

زَهْرُ الْأَعْيُنِ

زَهْرُ الْأَلْبَابِ

ونهر الألباب

لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري، القيرواني، المتوفى في عام ٤٥٣ من الهجرة

مفصل ومضبوط ومشروح بقلم المرحوم

الدكتور زكي مبارك

حققه وزاد في تفصيله وضبطه وشرحه

محمد عبي الدين عبد الحميد

الجزء الأول

دار الحديث

بيروت

جميع الحقوق محفوظة لدار الجليل
الطبعة الخامسة
١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

مقدمة الناشر

احياء التراث العربي، بتحقيقه تحقيقاً علمياً دقيقاً وضبطه وشرح ما غمض من معانيه ومراجعة نصوصه الأصلية؛ مهمة جليلة ومسؤولية بالغة تصدى لها العديد من أكفأ وأخلص رجالات الأدب في عصرنا الحاضر، وفي طليعتهم الدكتور زكي مبارك .

. . إن تحقيق هذه الروائع الأدبية وشرحها رسالة سامية ... وكذلك نشرها وتقديمها إلى القارئ العربي بالصورة اللائقة؛ رسالة يتصدى لها الناشر الواعي لأهمية تراثنا العربي المقدّر لقيمته، الحريص على إغناء الثقافة العربية، والباذل لكل جهد مهما عظم في سبيل تقديم روائع القديم في أبهى وأحدث حلة تبويهاً وإخراجاً وطباعة .

بين روائع التراث العربي يتألق كتاب « زهر الآداب » وثمر الألباب » كالدرة النادرة ، وقد زاد من قيمته جهداً لا يقارن به جهد بذله الأديب العملاق، الدكتور زكي مبارك في تحقيقه وضبطه وشرح نصوصه .

كتاب « جمع كل غريبة » . بل خزانة من خزائن الأدب العربي عامرة بأخبار الأدب والأدباء ، حافلة بألوان البلاغة والشعر والانشاء وبكل ما يصور بصدق العصر الذي عاش فيه مؤلفه أبو اسحاق ابراهيم بن علي الحصري القيرواني في القرن الخامس الهجري ، ويبين بوضوح المعادات الاجتماعية التي كانت محودة في عصره ؛ حتى أن دارس الآداب المهتم بذلك العصر ليكتفي بدراسة هذا الكتاب كمرجع رئيسي شامل .

لذلك العصر من حياة الأدب طابع خاص ، أظهر سماته إجادة الوصف ؛ وصف ما تقع عليه العين من مرئيات أو ما يجري في الخاطر من أفكار ، بل ووصف أهواء النفس ونزعاتها الوجدانية ، وصفاً مفصلاً مقصوداً ، حتى أصبح العصر غنياً إلى درجة مميزة بالتعابير الرائعة الناضجة في معظم أبواب الوصف . . يرافقها تنظيم كامل للأفكار ، مما يعوّد القارئ تذوق الأسلوب البديع ويحبب إليه النثر الجيد وأصوله الفنية .

إننا إذا قسنا أعمال أدباء ذلك للعصر بالمقاييس المصرية لانطبق عليها مفهوم النظرية الحديثة « الفن للفن » . . فقد عرفوا اللغة معرفة جيدة حتى وقفوا على أسرارها وطرائق تعبيرها ، فجمعوا شاتها لتصبح طوع أفكارهم وأقلامهم في نتاج منسّق متكامل .

وان دار الجيل التي تعتر بما قدمت من كتب التراث . . كتاب « العمدة » لابن رشيّق تحقيق الأستاذ محيي الدين عبد الحميد ، ليزيدها اعتزازاً أت تقدم تباعاً مجموعة أعمال الدكتور زكي مبارك : النثر الفني ، الموازنة بين الشعراء ، التصوف الاسلامي ، المدائح النبوية ، الاخلاق عند الغزالي . . ودره هذه الأعمال هذا الكتاب الذي تقدمه الدار اليوم : زهر الآداب . . إنه دائرة معارف أدبية ، لا غنى للقارئ الأديب الباحث عن المعرفة والمتطلع الى التزيد من بحور الفنون الأدبية ، عن اقتنائه .

والله الموفق

دار الجيل

مقدمة الطبعة الأولى

الحُصْرِيُّ القِيْرَوَانِي ، أبو الحسن الحُصْرِيُّ ، طَرَفٌ من أخباره ، حياته الأدبية ، دالته ودالية شوقي ، أبو إسحاق الحُصْرِيُّ : شعره ونثره ، طريقتة في التأليف ، التعريف بزهر الآداب ، إغفال الجون ، تهذيب كتب المتقدمين ، رأى الدكتور طه حسين ، تهذيب زهر الآداب ، تفصيله وضبطه وشرحه ، قيمته الأدبية .

الحصري ، القيرواني

الحصري — بضم الحاء المهملة ، وسكون الصاد المهملة وبعدها راء مهملة — نسبة إلى الحُصْرِ أو بيعها ، كما ذكر ابن خلكان — والقيرواني : نسبة إلى مدينة القيروان .

ويُعرَفُ تاريخُ الآدابِ رجلين بهذا الاسم ، أولهما :

أبو الحسن الحصري

وأبو الحسن هذا هو : علي بن عبد الغني ، الفهري ، المقرئ ، الضريع ، القيرواني ، وقد كان — كما ذكر ابن بسام في الذخيرة — بجزيرة بركة ، ورأس صناعة ، وزعيم جماعة .

طراً على الأندلس — كما قال ابن بسام أيضاً — في منتصف المائة الخامسة من الهجرة ، بعد خراب وطنه من القيروان ، والأدبُ بأفق الأندلس يومئذٍ نافقُ السوق ، معمور الطريق ، قتهاداه ملوك الطوائف تهادى الرياض بالنسيم ، وتنافسوا فيه تنافس الديار بالأنس المقيم .

ولكنه ، فيما نُقِلَ ، لم يطمئن هناك ، فاحتمل على مَضَضِ بَيْنِ زمانه ،

وَبُعْدِ قَطْرِهِ ، ثُمَّ اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مَدِينَةُ طَنْجَةَ بَعْدَ خَلْعِ مَلُوكِ الطَّوَائِفِ ، وَتَوَفَّى بِهَا
سَنَةَ ٤٨٨ هِجْرِيَّةً .

طرف من أخباره

ذَكَرَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ مَقِيمًا بِمَدِينَةِ طَنْجَةَ أَرْسَلَ غَلَامَهُ إِلَى الْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ
صَاحِبِ إِشْبِيلِيَّةٍ ، وَاسْمِهَا فِي بِلَادِهِمْ حِصْنٌ ، فَأَبْطَأَ عَنْهُ ، وَبَلَغَهُ أَنَّ الْمُعْتَمِدَ لَمْ
يَحْفَلُ بِهِ ، فَقَالَ :

نَبَّهَ الرَّكْبَ الْمُجُوعَا وَ لَمْ الدَّهْرَ الْفَجُوعَا^(١)
حِصْنُ الْجَنَّةِ قَالَتْ لِعَلَامِي : لَا رُجُوعَا
رَحِمَ اللَّهُ غَلَامِي مَاتَ فِي الْجَنَّةِ جُوعَا

وهذه الأبيات غاية في خفة الروح .

وَحُكِيَ أَنَّ الْمُعْتَمِدَ بْنَ عَبَّادٍ بَعَثَ إِلَى أَبِي الْعَرَبِ الزَّيْنِيِّ خَمْسًا مِائَةَ دِينَارٍ ،
وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَّجِرَ بِهَا وَيَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ ، وَكَانَ بِمِزْرَةَ صِقْلِيَّةٍ وَهُوَ مِنْ أَهْلِهَا ، وَبَعَثَ
مِثْلَهَا إِلَى أَبِي الْحَسَنِ الْخُضْرِيِّ ، وَهُوَ بِالْقَيْرَوَانِ ، فَكَتَبَ أَبُو الْعَرَبِ :

لَا تَعْجَبَنَّ لِرَأْسِي كَيْفَ شَابَ أَسَى وَأَعْجَبْ لِأَسْوَدِ عَيْنِي كَيْفَ لَمْ يَشِبْ
الْبَحْرُ لِلرُّومِ لَا يَجْرِي السِّفِينُ بِهِ إِلَّا عَلَى غَرَرٍ وَالْبَرُّ لِلْعَرَبِ
وَكُتِبَ لَهُ الْخُضْرِيُّ :

أَمْرَتَنِي بِرُكُوبِ الْبَحْرِ أَقْطَعُهُ غَيْرِي ، لَكَ الْخَيْرُ ، فَاحْضُنْهُ بِذَا الدَّاءِ
مَا أَنْتَ نُوْحٌ فَتُنْجِيَنِي سَفِينَتُهُ وَلَا الْمَسِيحُ أَنَا أَمْشِي عَلَى الْمَاءِ

حياته الأدبية

ذَكَرُوا أَنَّهُ كَانَ عَالِمًا بِالْقِرَاءَاتِ وَطُرُقِهَا ، وَأَنَّهُ أَقْرَأَ النَّاسَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ

(١) فِي الطَّبَعَةِ السَّابِقَةِ « وَلَمْ الدَّعْر » (م) .

بِسْبْتَةٍ وَغَيْرِهَا ، وَأَنَّ لَهُ قَصِيدَةَ نَظْمًا فِي قِرَاءَاتِ نَافِعٍ ، عَدَدُ أَيْبَاتِهَا ٢٠٩ ، وَأَنَّ لَهُ دِيْوَانَ شَعْرٍ ، وَهُوَ الْقَائِلُ :

أَقُولُ لَهُ وَقَدْ حَيًّا بِكَأْسٍ لَهَا مِنْ مِسْكِ رِقَّتِهِ خِتَامُ :
أَمِنْ نَحْدَيْكَ يُعْصِرُ؟ قَالَ : كَلَّا مَتَى عُصِرَتْ مِنَ الْوَرْدِ اللَّدَامُ ؟

وَأَشْهُرُ قِصَائِدَهُ تِلْكَ الدَّالِيَّةُ الَّتِي أَفْتَنَ فِي مَعَارِضَتِهَا الشُّعْرَاءُ (١) وَلَنَذْكُرُهَا هُنَا لِقِيَمَتِهَا وَأَثَرِهَا فِي تَارِيخِ الْأَدَابِ الْعَرَبِيَّةِ ، قَالَ :

يَالَيْلِ الصَّبِّ مَتَى عَدُّهُ	أَقِيَامُ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ
رَقَدَ الشَّمَارُ وَأَرْقَهُ	أَسْفُ لِّلْبَيْنِ يُرَدِّدُهُ
فَبَكَاهُ النَّجْمُ وَرَقَّ لَهُ	مِمَّا يَرَعَاهُ وَيَرْصُدُهُ
كَلِفٌ بَغْزَالٍ ذِي هَيْفٍ	خَوْفُ الْوَاشِينِ يَشْرُدُهُ
نَصَبْتُ عَيْنَايَ لَهُ شَرَكًا	فِي النَّوْمِ فَمَزَّ تَصِيدُهُ
وَكُنِّي عَجَبًا أَنِي قَنَصٌ	لِلسَّرْبِ سَبَائِي أُعِيدُهُ
صَمٌّ لِّلْفِتْنَةِ مُنْتَصِبٌ	أَهْوَاهُ وَلَا أَعْبِدُهُ
صَاحٍ وَالْمَرْجَنِي فِيهِ	سُكْرَانُ اللَّحْظِ مُعْرِبُهُ
يَنْضُو مِنْ مُقْلَتِهِ سَيْفًا	وَكَانَ نَعَاسًا يُعْمِدُهُ
فَيَرِيقُ دَمَ الْعِشَاقِ بِهِ	وَالْوَيْلُ لِمَنْ يَتَقَلَّدُهُ
كَلَّا لَا ذَنْبَ لِمَنْ قَتَلَتْ	عَيْنَاهُ وَلَمْ تَقْتُلْ يَدُهُ
يَا مَنْ جَحَدَتْ عَيْنَاهُ دَمِي	وَعَلَى خَدَيْهِ تَوَرَّدُهُ
خَدَاكَ قَدْ اعْتَرَفَا بَدْمِي	فَعَلَامَ جُفُونِكَ تَجْحَدُهُ
إِنِّي لِأَعِيدُكَ مِنْ قَتْلِي	وَأُظْنُكَ لَا تَتَعَمَّدُهُ

(١) تجد هذه المعارضات في مجموعة صغيرة نشرها الأديب محي الدين أفندي رضا

بالله هب المشتاق كرى
 ففعل خيالك يسوده
 ماضرك لو دوايت ضنى
 صب يدنيك وتبده
 لم يبق هواك له رمقا
 فلنسك عليه عوده
 وغدا يقضى أو بعد غد
 هل من نظر يزوده؟
 يا أهل الشوق لنا شرق
 بالدمع يفيض مورده
 يهوى المشتاق لقاءكم
 وضروف الدهر تبعده
 ما أحلى الوصل وأعذبه
 لولا الأيام تكده
 بالبين وبالهجران فينا
 لفؤادى كيف تجلده

ومن عارض هذه القصيدة من المتقدمين نجم الدين التمرأوى إذ يقول:

قد ملّ مريضك عوده
 ورثى لأسيرك حسده
 لم يبق جفاك سوى نفس
 زفرت الشوق تصدده
 هاروت يعنن فن السحر
 إلى عينيك ويسده
 وإذا أعمدت اللحظ فتك
 فكيف وأنت تجرده
 كم سهّل خدك وجه رضا
 والحاجب منك يعقده
 ما أشرك فيك القلب فلم
 في نار الهجر مخلده؟

وناصح الدين الأرجاني إذ يقول:

هل أنت بطولك مسده
 ياليل فصبحك موعده
 لا كان قصير الليل فتى
 ميعاد منيته غده
 في صدرى من كلف بكم
 جنود للشوق يحنده
 أعليل اللحظ وعلته
 منها المتألم عوده
 عينك لسفك دمي مجتتا
 فالصدغ علام تجده
 ودمى لا يحسن محله
 فى الناس فلم تقلده
 لم أنس برامة موقفنا
 والشمل أطل تبدده

رَشَاءٌ قَدْ أَفَلَتَ مِنْ شَرِّكَى
وَالْبَيْنِ غَدَا يَتَصَيَّدُهُ
سِرْبٌ قَدْ عَنَّ بَدَى سَلَمٌ
وَعَدَا بِفَوَادَى أُغْيِدُهُ
وَتَطَاوَلُ يُتَّبِعُهُمْ نَظْرًا
صَبًّا قَدْ طَالَ تَبَلَّدُهُ
خِرَانُ الْقَلْبِ مُتَّيِّمُهُ
حِيرَانُ الطَّرْفِ مُسَهَّدُهُ
وَأَبْرَعُ مَنْ عَارِضَهَا مِنَ الْمَعَاصِرِينَ فَخَرُّ مِصْرَ وَالشَّرْقِ أَمِيرُ الشَّعْرَاءِ أَحْمَدُ
شَوْقِي (بِك) إِذْ يَقُولُ :

مُضْنَاكَ جَفَاءَ مَرَقْدُهُ
وَبِكَاءُ وَرَحْمٍ عَوْدُهُ
حِيرَانُ الْقَلْبِ مُعَذِّبُهُ
مَقْرُوحُ الْجَفْنِ مُسَهَّدُهُ
أُودَى حُرْقًا إِلَّا رَمَقًا
يُبْقِيهِ عَلَيْكَ وَتُنْفِدُهُ
يَسْتَهْوَى الْوَرْقَ تَأْوُهُهُ
وَيُنَاجِي النُّجْمَ وَيَتَّبِعُهُ
وَيُعَلِّمُ كُلَّ مَطْوُوقَةٍ
شَجْنًا فِي الدَّوْحِ تَرْدُدُهُ
كَمْ مَدَّ لَطِيفَكَ مِنْ شَرِّكَى
وَتَأَدَّبَ لَا يَتَصَيَّدُهُ
فَعَسَاكَ بَغْمُضٍ مُسَعِفُهُ
وَلَعَلَّ خِيَالَكَ مُسَعِدُهُ
الْحَسَنُ حَلَفْتُ «بِيُوسُفِهِ»
و«السُّورَةِ» أَنْكَ مُفْرَدُهُ
قَدْ وَدَّ جَمَالَكَ أَوْ قَبَسًا
حُورَاهُ الْخِلْدَ وَأَمْرَدُهُ
وَتَمَنَّتْ كُلَّ مَقْطَعَةٍ
يَدَّهَا لَوْ تُبَغِثُ تَشْهَدُهُ
جَحَدْتُ عَيْنَاكَ زَكَى دَمِي
أَكْذَلِكَ خَدُّكَ يَحْجَدُهُ
قَدْ عَزَّ شَهُودِي إِذْ رَمَتَا
فَأَشْرَتُ لِحْدِكَ أَشْهَدُهُ
وَهَمَّتْ بِجِيدِكَ أَشْرِكُهُ
فَأَبَى وَاسْتَكْبَرَ أَضِيدُهُ
وَهَزَزْتُ قِوَامَكَ أَعْظِفُهُ
فَنَبَا وَتَمَنَّعَ أَمَلَدُهُ^(٢)

(١) الورق : جمع ورقاء وهى الحمامة (٢) الأملد والأملود : الغصن اللين الناعم

سببٌ لرضاك أمهدهُ ما بال الخصر يعقدهُ
 بيني في الحب وبينك ما لا يقدر واشٍ يفسدهُ
 ما بال العاذل يفتح لي باب السلوان وأوصدهُ
 ويقول: تكاد تُجنُّ به فأقول: وأوشك أعبدهُ
 مولايَ وروحي في يدهِ قد ضيَّعها، سلمت يدهُ!
 ناقوسُ القلب يدقُّ لهُ وحنايا الأضلع معبدهُ
 حُسادى فيه أعذرهم وأحقُّ بعذرى حُسددهُ
 قسماً بنايا لؤلؤها قسم الياقوت مُنصددهُ
 ورُضابٍ يوعدُ كوثرهُ مقتول العشق ومُشهددهُ
 وبخالٍ كاد يُحجُّ لهُ لو كان يُقبل أسوددهُ
 وقوامٍ يرَوى العصنُ لهُ نسباً والرمح يُفنددهُ
 وبخصرٍ أوهن من جلدي وَعَوادى الهجر تبدددهُ
 ماخنت هواك ولاخطرتُ سلوى بالقلب تبردددهُ

وإنما ذكرت حياة أبي الحسن الحُصرى ، وشيئاً من أخباره ، لأنى رأيت
 أكثر الناس يحسبونه صاحب زهر الآداب ، ولأنى أحب دائماً أن أقدم للقارىء
 ما يمتنعُ عقله ووجدانه من المعارف الأدبية ، لأية مناسبة ؛ ولأن أبا الحسن
 الحُصرى ابن خالة أبى إسحاق الحُصرى صاحب زهر الآداب ، وفى هذه القرابة
 ما يدعو للتتويه به فى هذا المقام ، والظفر للقارىء على أى حال (١) .

(١) فى كتاب « الموازنة بين الشعراء » فضل مسهب فى الموازنة بين الحُصرى
 وشوقى ؛ فليرجع إليه القارىء إن شاء .

أبو إسحاق الحضرمي

أما أبو إسحاق الحضرمي فهو إبراهيم بن علي بن تميم، المتوفى سنة ٤٥٣ هجرية وقد عُني به كثير من كتّاب التراجم : فتكلم عنه ابن رَشِيْقٍ في الأَنْمُودَجِ ، وابن بَسَّام في الذخيرة ، والرشيْد بن الزبير في الجنان ، وابن خُلْكان في وَفِيَّاتِ الأَعْيَانِ .

وقد كان شباب القيروان — فيما قالوا — يجتمعون عنده ، ويأخذون عنه ، وكان لسيهم من المُكْرَمِينَ .

شعره ونثره

أورد ابن رَشِيْقٍ من شعره هذين البيتين :

إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبًّا لَيْسَ يَبْلُغُهُ فَنَهُمْ ، وَلَا يَنْتَهِي وَصْفٌ إِلَى صِفَتِهِ
أَقْصَى نَهَايَةِ عِلْمِي فِيهِ مَعْرِفَتِي بِالْعَجْزِ مِنِّي عَنِ إِدْرَاكِ مَعْرِفَتِهِ

وأورد له ابن بَسَّام هذين البيتين :

أُورِدَ قَلْبِي الرَّدَى لَامُ عِذَارٍ بَدَا
أَسْوَدَ كَالْكَفْرِ فِي أَيْضَ مِثْلِ الْهَدَى

واختار له ياقوت هذه المقطوعة :

يَا هَلْ بَكَيْتَ كَمَا بَكَتْ وَرُقُ الْحَمَامِ فِي الْفُصُونِ
هَتَفْتُ سُحَيْرًا ، وَالرَّبِي لِلْقَطْرِ رَافِعَةَ الْجَفُونِ
فَكَانَهَا صَاغَتْ عَلَيَّ شَجْوِي شَجَى تِلْكَ اللَّحُونِ
ذَكَرْتَنِي عَهْدًا مَضَى لِلْأَنْسِ مَنْقَطِعِ الْقَرِينِ
فَتَصَرَّمَتْ أَيَّامَهَا وَكَانَهَا رَجَعُ الْجَفُونِ

واختار له أيضاً :

كتمتُ هواك حتى عيل صبرى وأدنتى مكاتمتى لرمى
ولم أقدّر على إخفاء حال يحول بها الأسى دون التأسى
وحبك مالك لحظى ولفظى وإظهارى وإضمارى وحسى
فإن أنطقُ ففيك جميعُ نُظقى وإن أسكت ففيك حديث نفسى

ولو نقلت إلينا من شعره طائفة صالحة لاستطعنا أن نعين منزلته بين الشعراء .
أما ثمره فمستملح ، ويغلب فيه السجعُ للقبول ، الخالص من شوائب الصنعة
والتكلف ، والسجع في الأصل حليلة وزينة ، وإتباعها عند الغلو والإغراق .
وإليك أمودجاً مما جاء من ثمره في مقدمة كتابه ، قال :

« ولم أذهب في هذا الاختيار ، إلى مطولات الأخبار ، كأحاديث صعصعة
ابن صوحان ، وخالد بن صفوان ، ونظائرها ؛ إذ كانت هذه (يريد الفقر الصغيرة)
أجل لفظاً ، وأسهل حفظاً ، وهو كتاب يتصرف فيه الناظر من ثمره ، إلى شعره ،
ومطبوعه ، إلى مصنوعه ، ومحاورته ، إلى مفاخرته ، ومناقشته ، إلى مساجلته ،
وخطابه المبهت ، إلى جوابه المسكت ، وتشبيهاته المصيبة ، إلى اختراعاته العريية ،
وأوصافه الباهرة ، إلى أمثاله السائرة ، وجده المعجب . إلى هزله المطرب ، وجزله
الرائع ، إلى رقيقه البارع » .

وهذا كما ترى سجعٌ يجمع بين دقة الصنع ، ورقة الطبع ، فهو في دقته
مطبوع ، لا مصنوع .

طريقته في التأليف

الأدبُ لا موضوع له ، كما يقول أستاذنا الجليل الشيخ سيد المرصفي ،
وكذلك كان يفهمه أبو إسحاق الحنصري ، فهو لا يحفل بترتيب المسائل ،
ولا بتبويب الموضوعات . وإنما يتصرف من الجدل إلى الهزل ، ومن الأوصاف

إلى التشبيهات ، ومن الشعر إلى النثر ، ومن المطبوع إلى المصنوع ، وهذه الطريقة من أم الطُّرُق في التأليف ، وإن عابها مَنْ لا يفرق بين الموضوعات العلمية ، والموضوعات الأدبية .

ذكروا أنه ترك كتاباً اسمه « المصُون في سر الهوى المكنون » في مجلد واحد ، فيه مُلَح وآداب ، أما كتابه الخالد فهو « زهر الآداب ، وثمر الألباب » وإنه ليسجع حتى في تسمية كتبه ، وكذلك كان يفعل في عهده المؤلفون .

التعريف بزهر الآداب

كان المتقدمون لا يَصِفُونَ زهر الآداب إلا بأنه « جَمَع كلَّ غَرِيبَةٍ » وهو وصف صادق ، وإني ذاكرته هنا بعضَ صفات هذا الكتاب ، وعلى الأخص الصفات التي تعين منهج مؤلِّفه ، وتميز اتجاه بعض الأفكار في العصر الذي عاش فيه .
وإنا لنجده :

أولاً : يهتم بيراة المطلاع ، وحسن الختام ، فيبدأ كتابه بهذه الجملة :
« الحمد لله الذي اختص الإنسان بفضيلة البيان ، وصلى الله على محمد خاتم النبيين ، المرسل بالنور المبين ، والكتاب المستبين ، الذي تحدى الخلق أن يأتوا بمثله ، فعجزوا عنه ، وأقروا بفضله ، وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً »
ويحتمه بهذه العبارة :

« وقال ابن الأعرابي : أمدح بيتَ قاله الحدّثون قول أبي نُوَاس :
أخذت بجبلٍ من حِبالِ محمدٍ أمنتُ به من طارقِ الحدّثان ^(١) .
ثانياً : يُعنى عنايةً خاصةً بالكلام عن الصحابة والتابعين ، فينقل أخبارهم ، ويدون آثارهم ، وكانت هذه فيما يظهر عادة إسلامية ، في ذلك الحين .

(١) في بعض النسخ الخطية فصل في صفات الله — عز وجل — ختم به الكتاب وذلك توفيق في حسن الختام — هكذا ، وفي نسخة أن ختام الكتاب فصل في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم (م) .

ثالثاً: يجعل الكلام في المصيبة بأبناء النبوة باباً من أبواب الأدب؛ فينقل هذه التعابير:

قد نُعي سليلٌ من سلالة النبوة، وفرع من شجرة الرسالة، وعضو من أعضاء الرسول، وجزء من أجزاء الوصيِّ والبتول.

تجدد في بيت الرسالة رُزءٌ جدد المصائب، واستعاد النواذب ..
إنها لمصيبة تحيَّفت جانب الوحي المنزل، وذكَرت بموت النبي المرسل .
إلخ إلخ :

ويتصل بهذا عنايته بأوصاف الأشراف، كقولها هذه العبارات:
«استقى عرقه من منبع النبوة، ورضعت شجرته من ندى الرسالة، وتهدلت أغصانه عن كعبة الإمامة، وتبججت أطرافه في عرصة الشرف والسيادة، وتفتت بيضته من سلالة الطهارة، قد جذب القرآن بضبعه، وشق الوحي عن بصره وسمعه» إلخ إلخ .

وهذا الاتجاه يدل على وجهة سياسية خاصة، فصَّلتها بعض التفصيل في كتاب «الأخلاق عند الغزالي» وإلا فإن النبي يقول: «من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه» بل الله يقول: «فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ» .
رابعاً: يُبدى الخُصرى ويُعيد في الكلام عن البلاغة والبلغاء، والشعر والشعراء، والإنشاء والمنشئين، وكذلك كان أهل عصره يهتمون بدر النثر والشعر، ونحن مدينون لهم بما يتصل بهذا الباب من المعارف الأدبية .

خامساً: يذكر كثيراً من الآداب الاجتماعية التي كان يحمدها الناس لعهد، فيذكر ما يحمل في معاملة الملوك، ويتحدث عن فضل الليل، والحرص على الأدب، وواجب السُّنَّاح، وما إلى ذلك مما يتصل بما على المرء من الواجبات، وما له من الحقوق .

إغفال المجون

وقد جرى أبو إسحاق الحصرى فى زهر الآداب على إغفال المجون ، فنحده
يقول عن راشد بن أرشد :

« وله مذهب استفرغ فيه أكثر شعره ، وصنّت الكتاب عن ذكره » .
وقد صرحت بإنكار هذا المهج فى « مدامع العشاق » وبينت هناك أن
حرص الحصرى على الأخلاق ضيّع علينا ما أعرض عنه من الآثار الأدبية ،
وكنا فى حاجة إلى أن نعرف كل ماترك الأولون !

وأحب أن يعلم القارىء أن المجون لون من ألوان الغذاء التى تحيا بها العقول ،
فكما أن الأجسام تحتاج فى تغذيتها إلى المواد المختلفة ، والعناصر المتنوعة : من
الملح ، والخلو ، والمر ، كذلك العقول تحتاج فى تغذيتها إلى المعارف المتباينة :
من جدّ القول وهزله ، وحلوه ومرّه ، ولكن أكثر الناس لا يفقهون !
على أن الحصرى لم يُخل كتابه من المجون ، بل ومن فاحش المجون ،
وللقارىء أن يتتبع ما وقع من ذلك فى ألفاف الكتاب ليرى كيف غلب لمؤلف
على أمره ، فأباح ما لا يباح !

تهذيب كتب المتقدمين

يهتم كثير من علماء العصر بتهذيب كتب المتقدمين ، وهذا التهذيب
 ينحصر في حذف المجون وضم بعض الموضوعات إلى بعض ، وأنا أنكر هذا
 الأسلوب ، والمهد قريب بما كتبه أستاذنا الدكتور طه حسين في نقد مهذب
 الأغاني الذي أظهره الأستاذ الكبير محمد بك الحضري منذ أسابيع ، ويرجح أن
 يترك للمعاصرون هذه الطريقة المنكرة ، بعد تلك الحملة التي أصابها صاحب
 حديث الأربعماء .

تهذيب زهر الآداب

ولقد رأيت أن أترك تلك الطريقة في تهذيب زهر الآداب ؛ لأن المؤلف لم يرد أن يكون كتابه ذا فصول وأبواب ، وإنما أراد أن يتصرف القارىء فيه من الشعر إلى النثر ، ومن الجد إلى الهزل ، إلى آخر ما قال .

وقد ظلّ بين يديّ نحو تسعة أشهر ، وأنا معتقل في سنة ١٩٢٠ ، فقرأته ، ثم قرأته ، وعُنيْتُ بضبطه ، وتصحيح ما وقع فيه من الأغلط ؛ ثم رأيت أن أفصله ، والتفصيل فيما أريد سو أن أضع عنواناً لكل موضوع ، وما أكثر ما في الكتاب من الموضوعات ؛ لأن المؤلف وضع قليلا من العناوين ، ثم أخذ يستطرد من معنى إلى معنى ، ومن غرض إلى غرض ، من غير أن يهتم بالترتيب والتبويب . وأرجو أن لا يجد القارىء في هذا الصنع تشويها لعمل المؤلف فقد أبقيت الكتاب كما هو ، وأبقيت على عناوينه وأبوابه ، وفقره وفصوله ، ووضعت ما أبدعت من العناوين في بُنط خاص ، فإذا شاء القارىء أن يعرف كيف وضع الكتاب مؤلفه فليرفع فقط ما جدّ من العناوين .

أهمية هذا التفصيل

على أتى مطمئن إلى ما صنعت ؛ قد كان الكتاب متقاذف الأرجاء ، بسبب ما أكثر فيه من الاستطراد ، فأصبح بفضل هذا التفصيل ، محدود الموضوعات ، بحيث يهتدى فيه القارئ إلى مئات المسائل الأدبية ، من غير أن يكلف نفسه عناء البحث والتنقيب .

ولم أحجم عن تكرار العنوان الواحد حين يقتضى المقام ذلك ، وربما أضفت كلمة يميز بها العنوان الجديد^(١) .

الضبط والشرح

كان زهر الآداب مطبوعاً على هامش العقد الفريد^(٢) ، من غير ضبط ولا شرح ، وكان يكفى أن يطبع الكتاب طبعة أزهرية ليصبح مثلاً في المسخ والتشويه ، ولتقضى في قراءته العيون ، وتفضل في فهمه العقول ؛ فأنفقت من جهدى ومن وقتى ، فى تحقيق ما جناه مرّ السنين وعبث الجاهلين ، ما لا أمن به على القارئ إلا وأنا آسف محزون ؛ لأنى مدين لمن طبعوه أول مرة على أى حال ، أحسن الله جزاءهم ، وتجاوز عما رماهم به الزمن من ألوان الضعف والقصور .

فى الطبعة القديمة كثير من الأغلاط ، ولا غرابة فى ذلك ، فقد كان الأدب يوم ظهرت قليل الأنصار ، وقد اعتمدت فى ضبط هذه الطبعة على مراجعة الأصول التى أخذ منها زهر الآداب ، وعلى ما أثق به من مختلف المعاجم والقواميس ، فإن استطاع القارئ أن يلفتنى إلى خطأ فاتنى إصلاحه ، فإنى بشكره خليق .

(١) قد أخذنا خطة أخرى فى هذه الطبعة سنتحدث عنها بعد (م)

(٢) وطبع نسخة مستقلاً فى المطبعة الوهية ، بدون تأريخ (م)

أما الشرح فقد أجهدت في أن يكون غاية في الإيجاز ؛ لأن الإطناب في شرح الكتب الأدبية من جملة العيوب ، وقد تمر الصفحة بلا شرح ، حين تستغنى عن ذلك ؛ لأنني أمقت التكلف ، وأبغض المتكلفين .

وقد قسمت الكتاب إلى أربعة أجزاء ، وكان المؤلف قسمه إلى ثلاثة ، وهي مسألة اعتبارية ؛ لأن الكتاب في الأصل مبني على التنقل والاستطراد .

قيمة زهر الآداب

كان المتقدمون يُعَنون بدراسة الكامل للمبرد ، والبيان والتبيين للجاحظ ، وأدب الكاتب لابن قتيبة ، والنوادر لأبي علي القالي ، وكانت هذه الكتب أصول الأدب عندهم كما ذكر ابن خلدون ، وعندى أن زهر الآداب أغزرمادة ، وأكبر قيمة من جميع تلك المصنّفات ؛ لأن ذوق الحُصري ذوق أدبيٌّ صرف ، أما أولئك فقد كانت أهواؤهم موزعة بين اللغة ، والرواية ، والنحو ، والتصريف . إن زهر الآداب دائرة معارف أدبية ، شاء الله أن تسلّم من جناية الليالي ، والحمد لله على أن كنت الموفق إلى إحياء هذا الأثر النفيس .

محمد زكي عبد السلام مبارك

٢٢ فبراير سنة ١٩٢٥

مقدمة الطبعة الثانية

موضوع زهر الآداب ، الوصف عند كتاب القرن الرابع ، نماذج من
التعابير الوصفية ، نظرية الفن للفن وقيمة الزخرف والهيئة ، الخصومات
الأدبية في القرن الرابع

رأى القارىء فى مقدمة الطبعة الأولى إشاراتٍ إلى الخصائص التى امتاز بها
زهر الآداب ، ونريد فى هذه الكلمة أن ننص على أن هذا الكتاب أريد به أن
يكون صورة للعصر الذى عاش فيه مؤلفه رحمه الله ، وإنه ليذكر أن أبا الفضل
العباس بن سليمان رحل إلى المشرق فى طلب الكتب « باذلاً فى ذلك ماله ،
مستعذباً فيه تعبته ، إلى أن أورد من كلام بلغاء عصره ، وفصحاء دهره ، طرائف
طريفة ، وغرائب غريبة » ثم سأله أن يجمع له من مختارها كتاباً يكتب به عن
جملتها ، وأن يضيف إلى ذلك من كلام المتقدمين ما قار به وقارنه وشابهه وماتله إلخ
فغاية الكتاب إذ آنحَير ما طاب من ثمرات العقول فى أواخر القرن الرابع وأوائل
القرن الخامس .

ولندكر أولاً أن الحصرى توفى سنة ٤٥٣ ، ولكننا نرجح أنه وصَّع زهر
الآداب قبل وفاته بأكثر من عشرين عاماً ، فقد حدثنا فى أثناء كتابته أنه
يعاصر الثعالبي ؛ إذ قال « وأبومنصور يعيش إلى وقتنا هذا » حين أشار إلى مختار
ما كتبه الميكالى إليه . والثعالبي توفى سنة ٤٢٩ ؛ وإنما عيَّنا أواخر القرن الرابع
وأوائل القرن الخامس لأن الحصرى أشار إلى أن فى من نقل عنهم من أدركه
بعمره ، أو لحقه أهل دهره . ولذلك العهد من حياة الأدب طابع خاص ، فصلت
خصائصه ومميزاته فى كتابى الذى وضعته بالفرنسية عن النثر فى القرن الرابع ،
وإنى لمشير هنا إلى بعض الجوانب البارزة فى أدب ذلك العصر ؛ ليكون القارىء .

على بيئة من الروح الذي استوحاه مؤلف زهر الآداب .

أظهر ميزة في ذلك العصر هي إجادة الوصف ، فقد اهتم كتابه اهتماماً عظيماً بوصف ما وقعت عليه أعينهم أو جرى في خواطرهم ، ولم يكن الوصف عندهم ، ما يأتي عفواً عند المناسبات الطلثة ، كما كان الخليل في أوائل العصر الإسلامي ، لا ، بل تعبدوا استقصاء الموضوعات الوصفية : فأطالوا الحديث عن الأزهار ، والرياض ، والنبات ، والنسيم ، والرياح ، والليل ، والنجوم ، والجداول ، والغدران ، والأنهار ، والبحار ، والأحواض ، والقصور ، ومنازل اللهو ، ومجالس الشراب ، والنساء ، والعلمان ، والجواري السود ، والقيان ، وآلات الطرب ، ومحاسن الشباب ، وأهوال المشيب ، والرعد والبرق ، والمطر والتلج ، والصحو ، والبلاغة والشعر والنثر ، والخيال ، والسيوف ، والنار ، والأفاعي ، والثعابين ، والطيور ، والأطعمة ، والفواكه ، والسكاكين ، والكؤوس ، والخواتم ، والحلي ، والقلائد ، والمحابر ، والأقلام ، والسفن ، والدواب ، والجيوش ، والأساطيل ، وأيام الصيف والشتاء والربيع .

وأطنبوا في وصف المعاني الوجدانية ، كما أطنبوا في وصف المراثيات ، فتكلموا عن أهواء النفوس ونزعاتها ، فوصفوا الخقد ، والبغض ، والكرم ، والنبيل ، وعرضوا لما يقع لأهل المهن وللرؤساء من المنكات والعورات . كل ذلك بطريقة مقصودة تدل على أنه كان لهم برنامج خاص لم يعرفه أسلافهم . وهذا المذهب له عيوبه ومزاياه : فعليه أنه حملهم على التكلف والإسراف ، وحسنه أنه حملهم على تنظيم أفكارهم ، وترتيب أغراضهم ، فإن القارئ يرى لهم قوة في تصوير المراثيات والمعنويات لا يراها لمن سبقهم ، وذلك بفضل هذا الاتجاه الذي جعل في عصرهم مدرسة وصفية لا تراها في عصر الخلفاء ولا عهد بني أمية ولا أوائل أيام بني العباس .

ولا تنكر أن الكتاب السابقين أجادوا الوصف في كثير من الموضوعات

ولكننا نقرر أن كتاب القرن الرابع عمدوا إلى كل ما يقع عليه الحس ،
أو يجرى في الخاطر ، أو يتقده العقل ، فوصفوه وصفا منفصلا مقصوداً بطريقة
لم يفكر في مثلها المتقدمون .

وقد قدم لنا صاحب زهر الآداب شواهد كثيرة في مواطن متفرقة من كتابه
عن الأوصاف التي عُني بها كتابُ ذلك العصر . فلنثبت منها شيئاً ليرى القارىء
صدق ما نراه من قصد رجال ذلك العهد إلى إجادة الوصف .

من ذلك قولهم في وصف الماء :

ماء كالزجاج الأزرق .

غدير كهين الشمس .

ماء كلسان الشمعة ، في صفاء الدمعة ، يسبح في الرضراض ، سبح النضناض .

ماء أزرق كهين السُّنور ، صاف كفضيب البلور .

غدير ترقرت فيه دموع السحاب ، وتواترت عليه أنفاس الرياح الفرائب .

وقولهم في وصف سكين :

« سكين كأن القدرَ سائقها ، أو الأجلَ سابقها ، مرهفة الصدر ، ممنطقة

الخضر ، يجول عليها فرند العتيق ، ويموج فيها ماء الجوهر ، كأن المنية تبرق من

حدها ، والأجل يلمع من متنها ، رُكبت في نصاب آبنوس ، كأن الحدق نفضت

عليه صبغها ، وحب القلوب كستته لباسها ، أخذ لها حديدتها الناصع بحظ من الروم ،

وضرب لها نصابها الحالك بسهم من الزنج ، فكانها ليل من تحت نهار ، أو حجر

أبدى سنا نار ، ذات غرار ماض ، وذباب قاض .

سكين أحسن من التلاق ، وأقطع من القراق ، تفعل فعل الأعداء ، وتنفع

نفع الأصدقاء . »

وقولهم في وصف متكبر :

« قد أسكرته خمرة الكبر ، واستغرقته لذة التيه ، كأن كسرى حامل غاشيته ، وقارون وكيل نفقته ، وبلقيس إحدى داياته ، وكان يوسف لم ينظر إلا بطلعته ، وداود لم ينطق إلا بنغمته ، ولقمان لم يتكلم إلا بحكمته ، والشمس لم تطلع إلا من جبينه ، والغمام لم يَبْدُ إلا من يمينه . »

وكان من أثر ذلك أن أصبح هذا العصر غنياً جداً بالتعابير الوصفية الرائعة في أكثر أبواب الوصف . ومنّ ذا الذي يرتاب في جمال قولهم في وصف النثر والنظم مما اختاره صاحب زهر الآداب :

نثر كنيث الورد ، ونظم كمنظم العقد .

نثر كالسحر أو أدق ، ونظم كالماء أو أرق .

رسالة كالروضة الأنيقة ، وقصيدة كالحذرة الرشيقة .

نثر كما تفتح الزهر ، ونظم كما تنفس السحر .

وقولهم في أوصاف النساء :

هي روضة الحسن ، وضرة الشمس ، وبدر الأرض .

هي من وجهها في صباح شامس ، ومن شعرها في ليل دامس ، كأنها فلقة

قمر على بُرج فضة .

بدر التّم يضيء تحت ثقابها ، وغصن البان يهتز تحت ثيابها .

لها عنق كإبريق اللجين ، وسرة كدهن العاج .

مطلع الشمس من وجهها ، ونبت الدر من فمها ، ومنقط الورد من خدها ،

ومنبع السحر من طرفها ، ومبادئ الليل من شعرها ، ومغرس الغصن من قدها ،

ومهيل الرمل من ردفها . . . إلخ .

وقولهم في صفات الغلمان :

جاءنا في غلالة تتم على ما يسترد ، وتحنو مع رقبتها على ما يظهره .
الجنة مجتناة من قربه ، وماء الجمال يتفرق في خده ، ومحاسن الربيع بين
سحره ونحره ، والقمر فضلة من حسنه .
له طرّة كالفسق ، على غرة كالفلق .
الحسن ما فوق أزراره ، والطيب ما تحت إزاره .
هو قمر في التصوير ، وشمس في التأثير .

وجه بماء الحسن مغسول ، وطرف بمروء السحر مكحول
شادن فآثر طرفه ، ساحر لفظه ، تكاد القلوب تأكله ، والعيون تشربه .
السحر في ألحظه ، والشهد في ألفاظه . الخ .
ولقد ظلت هذه التعابير الوصفية متبعاً يستقى منه الكتاب إلى العصر
الحديث والنقاد في مصر أعجبوا بقول حافظ إبراهيم في وصف الصبياء :

خمرة قيل إنهم عصروها من حدود الملاح في يوم عرس
وهو خيال، سبق إليه كتاب القرن الرابع ، وردده ابن خفاجة إذ قال :
وشربتها عذراء تحسب أنها معصورة من وجنتي عذراء
وقد ظن أستاذنا الدكتور طه حسين أن حافظ إبراهيم أول من ألم بهذا^(١)
الخيال فنقده وسفّهه حين عرض لنقد ترجمة البؤساء . فليقل المعركة إذن إلى
ميدان القرن الرابع ، وإن كنت لا أدري كيف يعاف الشراب المعصور من
حدود الملاح .

وكذلك أعجب النقاد بقول السيد توفيق البكري في وصف النساء
« صدور كالإغريض ، أو صدور البزاة البيض »

(١) الذي أذكره أن أدباء مصر ذهبوا إلى أن حافظا امتاز بذكر قيد « في يوم عرس » فأما أصل التشبيه فما أحسب أنه غاب عنهم أن حافظا مسبوق به ، وإعما
خص يوم العرس لكثرة ما يعطى الحسان فيه وجوههن بالأصباغ وألوان التحاسين .
ولهذا مدخل في التشبيه (م) .

وهي عبارة مأخوذة من قول الثعالبي في وصف آثار السرى الرفاء :
«كأنها أطواق الحمام ، وصدور البزاة البيض ، وأجنحة الطواويس ، وسواف
الفرلان ، ومهود العذارى الحسان ، وعجرات الحدق الملاح »
وكذلك يمكن رد أكثر التعابير الوصفية التي يُعْرَمُ بها كتابُ الصنعة في
العصر الحاضر من أمثال الأساتذة : صادق عنبر ، ومحمد السباعي ، ومحمد هلال
وكان القرن الرابع يؤدي للقرون التي تلتها ما أخذته عن القرون التي سبقتها ،
فقد كان كتابه مولعين بحل الشعر لا يرون معنى بديعاً ، ولا حيلاً طريفاً إلا
اقتبسوه ، وأضافوه إلى ثروتهم الثرية

وقد أشاع كتاب القرن الرابع نظرية (الفن للفن) وإن لم يدركوا ما لهذه
النظرية من الأوضاع والتقاليد ؛ فقد عودوا القراء تذوق الكتابة البديعة ، وحببو
إليهم النثر المصنوع ، فأصبح المتأدبون يتأملون مواقع الألفاظ وقرار التراكيب ،
وضارت فنون البديع من تورية وجناس وطباق أصولاً فنية يجد القارئ لذة
ومُتعة حين يراها وقعت موقفاً حسناً وأصاب الغرض الذي وضعت له ، ولو كان
غرضاً لفظياً لا يتوقف عليه تمام المعنى المقصود

* * *

ولكن أليس لهذا الزخرف قيمة في فهم ذلك العصر ؟ بلى ، إنه يدلنا على
أن أولئك الناس عرفوا لغتهم معرفة جيدة ، ووقفوا على أسرارها وطرائق تعبيرها ،
وكان مهمهم أن يرتبوا الألفاظ والمعاني والتعابير والأخيلة ، حتى استطاع كاتبهم أن
يحشر أبواب الصناعات في صعيد واحد ثم ينطقهم بأسرار البلاغة ، كل على
طريقته وبأسلوبه الذي يختاره في مفر مهنته ومهد عمله . وما نحسب كتاب
القرون الأولى مثلاً كانوا يفكرون في جمع شتات اللغة لتصبح طوع أفكارهم
وأقلامهم ، وإنما كانوا قوماً يكتفون في سبيل الوصول إلى أغراضهم بالعبارة

الواضحة الموجزة التي يفهمها عامة الناس وخاصتهم . أما كتاب هذا القرن فقد أصبحوا في حاجة إلى صفة تقرأ لهم وتفهم عنهم ؛ إذ أصبح خيالهم قويا ، ولغتهم غنية ، لا يدرك أسرارها الجمهور ؛ فليس كل قارئ ولا كل سامع بمسطيع أن يتذوق تشبيه الخط الجميل بأزهار الربيع ، والألفاظ بقلائد النحر ، والمعاني بلا لىء ، ولا أن يدرك كيف تمنى كل جارحة أن تكون أذنا تلتقط درر الكلام وجواهره ، أو عينا تجتلي مطالعه ومناظره ، أو لسانا يدرس محاسنه ومفاخره إذن فالصنعة التي عُرف بها كتاب القرن الرابع لها وجهان : وجه جميل يدل على حذقهم وبراعتهم ، ووجه آخر يدل على بعدهم من غاية البيان وهي الوضوح ، إذ كان الإغراق في الصنعة بابا من الغموض

ومن أهم الجوانب التي تمثل الحياة العقلية في ذلك العصر الخصومات العنيفة التي قامت بين الكتاب ؛ فقد كانت بينهم مناوشات ومجادلات نشأت عن أطاعهم في الحياة للمادية ، وكانوا يمثلون غالبا طوائف من الأفكار الدينية والسياسية يقومون في الدفاع عنها بما تقوم به الجرائد المغرضة في العصر الحاضر ، وكان لهم من القوة ما كان للشعراء ؛ فلم يكن بد من أن يتنافس أصحاب الملك في تربيهم ، ولم يكن بد كذلك من أن يتنافس هؤلاء في الاستئثار بالخطوة عند الوزراء والرؤساء والملوك

وفي الرسالة التي كتبها بديع الزمان إلى أبي نصر بن المرزبان فقرات مرة تمثل ما كان عليه كتاب ذلك العصر من الطمع في المناصب الرسمية . ومن ضعف الخلق عند الفنى ، ومن الثبيل عند الفقر : إذ « تنسيهم أيام اللدونة ، أوقات الخشونة ، وأزمان العذوبة ، ساعات الصعوبة » وقد كانوا كما قال : « ما اتسعت دورهم ، إلا ضاقت صدورهم ، ولا أوقدت نارهم إلا انطفأ نورهم ، ولا زاد مالهم إلا

معروفهم ، ولا وُرمَت أكياسهم إلا ورمت أنوفهم ، ولا صلحت أحوالهم ، إلا فسدت أعمالهم ، ولا فاض جاههم ، إلا غاضت مياههم ، ولا لانت بُرودهم ، إلا صلبت خدودهم»^(١)

وفي تلك المنافسات الشديدة ، وتلك الدسائس الملعونة ، التي كانت تقع بين الكتاب ، دليل على جشعهم في حب الحياة ، وفهمهم لها فما ماديًا يتناسب مع تلك العبقریات الغنية التي ظهرت في قفرهم ورسائلهم وأبحاثهم ؛ فإنه من المؤلم أن تظل قوة الحقد ويقظة الأثرة ، وشدة العداوة ، في كل عصر من السمات الغالبة على كبار الكتاب ، ومن النادر أن تجد كاتبًا كريمًا يعطف على زملائه ، ويجب لهم الخير ، ويتمنى لهم السداد . وقد بما أفرغت هذه الظاهرة عبد الحميد بن يحيى — وكان رجلاً نبيلًا — فكتب وصيته المعروفة يدعو بها الكتاب إلى التعاون وتبذ الأخقاد ، وفي أيامنا تُبعث تلك الشائيل من جديد ؛ فلا نجد كاتبًا في العالم العربي يجب لأخيه ما يجب لنفسه ، بحيث نطن أن شبوب العبقرية يوحى بالطمع ، والاستبداد بالفضل ، والاستئثار بالجاه

وأهم الخصومات التي وقعت بين كتاب ذلك العصر خصومة الهمداني والحوارزى ، وخصومة التوحيدى والصاحب بن عباد

أما خصومة الهمداني والحوارزى فترجع إلى رغبة الهمداني في الظهور ، وطمعه في الافراد بالشهرة ، وأهم مصدر لهذه الخصومة الرسالة المطولة التي كتبها الهمداني في وصف المناظرة التي قامت بينه وبين الحوارزى ، وهى رسالة مغرضة مملوءة بالتجامل والصعرة ، وليس فيها أفكار حدية تجعل خصومة بين عقليين ، إنما هى محاورات لفظية تدل على غلبة الزخرف وتمكنه فى السيطرة على عقول أهل

(١) رسائل بديع الزمان ص ١٤٥

ذلك الجليل . ولو أن الخوازمي دَوَّن بدوره تلك المناظرة لرأينا وجهين في بَسْطِ ذلك الحادث الأدبي ، واستطعنا أن نستخلص من مقابلة النصين نفس الرجلين ، ولكن الهمداني تكلم وحده ؛ فعرفنا فقط مبلغ زهوه وكبريائه وطعمه في كَيْتِ كاتب كان يومئذ على رأس الكاتبيين .

أما خصومة التوحيدى لابن عباد فترجع فيما ذكر كتاب التراجم إلى سبب ماضى ، وذلك أن التوحيدى رَغِبَ في مال ابن عباد وجاهه ، فضايق عنه صدره هذا ، فكتب التوحيدى كتابه « أخلاق الوزيرين » وهو كتاب جارح كشف به عورات ابن العميد وابن عباد . ثم عاد إليهما بالتجريح أيضا في كتابه « الإمتاع والمؤانسة » وأسلوبه في الهجاء أسلوب خطر فظيع ؛ إذ يخلق الحوادث والإشارات وينطقهما برسائل ومقطوعات تهوى بهما إلى الحضيض . ويعتبر التوحيدى من الوجهة الفنية رجلا خصب الذهن ، غنى اللغة ، وافر الحصول ، قوى الخيال .

وقد تنبه المتأدبون إلى تحامل التوحيدى وإسرافه في التعصب والتحامل وشاع الاعتقاد بأن كتابه « أخلاق الوزيرين » كتاب مشوم ، لا يملكه أحد إلا انعكست أحواله ، ويذكر ابن خلكان أنه جرب هذا وجربه مَنْ يثق به (١) فإذا صح هذا الوهم كان التوحيدى قد عوقب على بغيه وظلمه وبهتانه ؛ فقد أنظر صاحب بن عباد بعبارات مخجلة يندى لها وجه القارى ، وينفر منها الطبع والذوق ، وإن كانت وضعت بأسلوب شائق خلّاب .

(١) ارجع إلى « وفيات الأعيان » ج ٢ ص ٢٧٠

تلك ، أيها القارئ ، كلمة وحيزة أقدم بها الطبعة الثانية ، راجيا أن تكون
كافية في وصف الاتجاهات الفنية والعقلية التي عملت في ظلها مؤلف زهر الآداب ،
وإني لأمل أن يكون في هذه الطبعة من آثار الجهد والحرص على الصواب بعض
ما يجب في خدمة الأدب العربي الذي أصبح إحياءه ونشره من أظهر محامد مصر
في العصر الحديث ؟

زكي مبارك

مصر الجديدة في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٢٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي اختصَّ الإنسانَ بفضيلةِ البيانِ ، وصلى الله على محمدٍ خاتمِ النبيين ، المرسلِ بالنور المبين ، والكتابِ المستبين ، الذي محدَّى الخلقَ أن يأتوا بمثله فعجزوا عنه ، وأقرُّوا بفضله ، وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً .
وبعد ؛ فهذا كتابٌ اخترتُ فيه قطعةً كاملةً من البلاغات ؛ في الشعر والخبر ، والفصول والفقر (١) ، مما حسن لفظه ومعناه ، واستُبدلَ بفحواه على مغزاه (٢) ، ولم يكن شارداً حوشياً (٣) ، ولا ساقطاً سوقياً (٤) ، بل كان جميع ما فيه ، من ألفاظه ومعانيه ، كما قال البحرى (٥) :

في نظامٍ من البلاغةِ ما شكَّ أمرؤُ أنه نظامٌ فريدٍ (١)
حُرِّنَ مستعملَ الكلامِ اختياراً وتجنُّبِ ظلمةِ التعقيدِ
وركِّبَ اللفظَ القريبَ فأدرَكْن به غايةَ المرادِ البعيدِ

ولم أذهب في هذا الاختيار ، إلى مطولات الأخبار ، كأحاديث صغصعة

-
- (١) الفقر : جمع قفرة - بكسر الفاء وقتحها - وهي فصل أو بيت شعر ، وتقول : ما أحسن قفر كلامه ، أى نكته ، وهي في الأصل حلى تصاغ على شكل قفر الظهير
(٢) مغزى الكلام : هو المراد منه ، وخواه : هو ما يفهم منه ذلك المراد
(٣) الحوشى : الوحشى ، وقد وصف زهير بأنه كان لا يتبع حوشى الكلام .
(٤) السوقى : نسبة إلى السوق ، وهم عامة الناس
(٥) البحرى : شاعر مبدع من شعراء الدولة العباسية ، ولد في منبج - بين الفرات وحلب - في سنة ٢٠٦ . وتوفى في سنة ٢٦٤ .
(٦) الفريد : هو الدر الذي يفصل بين الذهب في القلادة المفضلة ، فالدر فيها فريد .
والذهب مفرد ، بتشديد الراء .

ابن صُوحان^(١) ، وخالد بن صفوان^(٢) ، ونظائرهما ؛ إذ كانت هذه أجملَ لفظاً ، وأسهلَ حفظاً .

منهج المؤلف في الكتاب وهو كتابٌ يتصرف الناظرُ فيه من نثره إلى شعره ، ومطبوعه إلى مصنوعه ، ومحاورته إلى مفاخرته ، ومناقشته^(٣) إلى مساجلته^(٤) ، وخطابه للمبته^(٥) إلى جوابه المُسبكت ، وتشبيهاته المُصيبة إلى اختراعاته الغريبة ، وأوصافه الباهرة إلى أمثاله السائرة ، وجدّه المعجب^(٦) إلى هزله المُطرب ، وجزله الرائع إلى رقيقه البارع .

وقد نرعتُ فيما جمعت عن ترتيب البيوت^(٧) ، وعن إبعاد الشكل عن شكله ، وإفراد الشيء من مثله ؛ فجعلتُ بعضه مُسلسلاً^(٨) ، وتركتُ بعضه مُرسلاً^(٩) ؛ ليحصلُ مُحَرَّرُ النقدِ^(١٠) ، مُقدَّرُ السردِ^(١١) ؛ وقد أخذتُ بطرْفَ التأييف ، واشتملتُ على حاشيتي التصنيف ؛ وقد بعثتُ المعنى ، فألحق الشكْلَ بنظائره ، وأعلق الأولَ بآخره ، وتبقى منه بقيةٌ أفرقتها في سائرهِ^(١٢) ليسلمَ من التطويل المملِّ ، والتقصير المحلِّ ، وتظهر في التجميع إفادةُ الاجتماع ؛ وفي التفريق لداذة

(١) صمصعة بن صوحان : خطيب بليغ من سادات عبد القيس . شهد صفين مع علي ، وفضاه الغيرة من الكوفة إلى الجزيرة أو إلى البحرين بأمر معاوية ، فمات فيها حوالي سنة ستين للهجرة (٢) خالد بن صفوان : كان من مشاهير الفصحاء وله أخبار مع عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك ، توفي نحو سنة ١١٥

(٣) ناقل الشاعر : ناقضه ، ورجل تقل بفتح فكسر وذو تقل بفتحتين ، إذا كان جليلاً مناقلاً (٤) المساخلة : المفاخرة (٥) المبهت : المحير (٦) المعجب : الذي يعجبك جماله (٧) البيوت كالأبيات : جمع بيت (٨) مسلسل : من السلسلة بفتح السين وهي وهي اتصال الشيء بالشيء (٩) مرسل : غير مسلسل (١٠) النقد : الوزن (١١) السرد : النسخ ، والتحرير ، ومثله التقدير : الضبط (١٢) سائرهِ : باقيه

الإمتاع ، فيكمل منه ما يُؤنقُ القلوبَ والأسماع^(١) ؛ إذ كان الخروجُ من حِدِّ إلى هَزَل ، ومن حَزْنٍ إلى سَهْلٍ^(٢) أنْفَى للكَلَلِ^(٣) ، وأبعَدَ من المَلَلِ ؛ وقد قال إسماعيل بن القاسم [هو أبو العتاهية]^(٤) :

لا يُصْلِحُ النفسَ إذ كانت مُدَابِرَةً إلا التَّنْقُلُ من حالٍ إلى حالٍ^(٥)

الداعي لتأليف
الكتاب

وكان السببُ الذي دعانى إلى تأليفه ، ونَدَبَتْنِي إلى تصنيفه ، ما رأيته من رغبة أبي الفضل العباس بن سليمان — أطال الله مُدَّتَه ، وأدام نعمته! — في الأدب^(٦) ، وإِنفاقِ عمره في الطلب وماله في الكتب ؛ وأن اجتِهَادَه في ذلك حمّله على أن ارتحل إلى المشرق بسببها ، وأغضَّ في طلبها^(٧) ، باذلاً في ذلك ماله ، مستعذباً فيه تعبهُ ، إلى أن أورد من كلام بلغاء عصره ، وفصحاء دهره ، طرائف طريفة ، وغرائب غريبة ، وسألني أن أجمع له من مُحَقَّراتها كتاباً يكتفي به عن جملتها ، وأضيفَ إلى ذلك من كلام المتقدمين ما قاربه وقارنه ، وشابهه ومائله ؛ فسارعتُ إلى مراده ، وأعنته على اجتِهاده ، وألّفتُ له هذا الكتاب ، ليستغنى به عن جميع كتبِ الآداب ؛ إذ كان موشحاً من بدائع البديع^(٨) ، ولآلئ الميكالي ، وشهَى الخوارزمي ، وغرائبِ الصاحب ، ونفيس قابوس ، وشذور أبي منصور^(٩) بكلامٍ يمتزجُ بأجزاء النفس لطافة ، وبالهاء رقة ، وبالماء عذوبة .

(١) يؤنق : يعجب (٢) الحزن : ما غلظ من الأرض ، ويقال له السهل (٣) الكلال : الإعياء ، ومثله الكلال (٤) ديوان أبي العتاهية ٢٢٣ ، وفيه « لن يصلح النفس

إذ كانت مدبرة » وفي نسخة « إن كانت مصرفة » (م)

(٥) مدبرة : ذات سأم وملال ، والمدبرة في الأصل : الهزيمة (٦) في للأدب :

متعلق بكلمة رغبة (٧) أغمض وغمض : ذهب ، وغمض السيف في اللحم : غاب

(٨) موشح : مرصع (٩) البديع والميكالي والخوارزمي والصاحب وقابوس وأبو

منصور : كل هؤلاء أعلام سيورد المؤلف طرفاً من منظومهم ومنثورهم ، وهم من رجال

القرن الرابع ، وسند ذكر تراجمهم حين يعود المؤلف إلى الحديث عن آثارهم الأدبية

وليس لى فى تأليفه من الافتخار، أكثر من حُسن الاختيار؛ واختيارُ المرءِ
 قطعةً من عقله، تدلُّ على تخلفه أو فضله؛ ولا شكّ - إن شاء الله - فى استجادة
 ما استجدت، واستحسان ما أوّردت؛ إذ كان معلوماً أنه ما انجذبت نفسٌ،
 ولا اجتمع حسنٌ، ولا مالٌ سرّ، ولا جالٌ فكرٌ، فى أفضلَ من معنى لطيفٍ، ظهر
 فى لفظٍ شريفٍ؛ فكسّاه من حسن الموقع، قبولاً لا يدفع، وأبرزه يَحْتَالُ من
 صفاء السبك [وبقاء السالك] وصحة الديباجة، وكثرة المائىة، فى أجمل
 حُلة، وأجلى حلية:

يستنبط الروح اللطيف نسيمةً أَرَجًا، ويؤكل بالضمير ويشرب^(١)
 وقد رغبتُ فى التجافى عن المشهور، فى جميع المذكور، من الأسلوب الذى
 ذهبتُ إليه، والنحو الذى عوّلتُ عليه؛ لأنّ أوّل ما يقرع الأذان، أدعى إلى
 الاستحسان، مما حجتّه^(٢) النفوسُ لطول تكراره، ولفظته^(٣) العقولُ لكثرة استمراره؛
 فوجدت ذلك يتعدّر ولا يتيسر، ويمتنع ولا يتسع^(٤)؛ ويوجب ترك ما ندر إذا اشتهر؛
 وهذا يوجب فى التصنيف دخلاً^(٥)، ويكسب التأليف خالاً؛ فلم أعرض إلاّ عما
 أهانه الاستعمال، وأذّاله الابتدال^(٦)؛ والمعنى إذا استدعى القلوب إلى حفظه،
 ما ظهر من مُستحسن لفظه؛ من بارع عبارة^(٧)، وناصع استعارة، وعُدُوبةٍ مورد،
 وسهولة مقصد، وحسن تفصيل، وإصابة تمثيل؛ وتطابق أنحاء، وتجانس أجزاء،
 وتمكّن ترتيب، ولطافة تهذيب، مع صحة طبع وجودة إيضاح، يثقفه
 تنقيف القداح، ويصوره أفضلَ تصوير، ويقدره أكملَ تقدير؛ فهو مشرق

(١) يستنبط: يستخرج (٢) حجتّه: مقتته (٣) لفظته: رتمته (٤) يتسع: يسهل

(٥) الدخلى والدخلى: العيب، ونخلة مدخولة: غفنة الجوف (٦) أذّاله: أهانه

(٧) من إضافة الصفة للموصوف، أى عبارة بارعة، وكذلك ما بعده

في جوانب السمع ، لا يُخْلَقُه عَوْدُه عَلَى المُسْتَعِيدِ (١) :

وهو المُشَيِّعُ بالمسمع إن مَضَى وهو المضاعف حُسْنُهُ إن كُرِّرَا
وإن كنتُ قد استدركتُ على كثيرٍ من سبقي إلى مثل ما جريتُ إليه ،
واقترعتُ في هذا الكتاب عليه ، لِمُلْحٍ أوردتها كَنَوَافِثِ السَّحْرِ (٢) ؛ وقَرَنَ نظمها
كَالغِنَى بعد الفَقْر ، من ألقاظ أهلِ العصر ، في محلولِ النثر ، ومعقود الشعر ؛
وفيهم من أدركته بَعْمَرَى ، أو لحقه أهلُ دهرى ؛ ولهم من لطائف الابتداع ،
وتوليدات الاختراع ، أبكارٌ لم تَفْتَرِعْهَا الأسماع (٣) ، يُضَبُّو إليها القلبُ والطَّرْفُ ،
ويَقَطِّرُ منها ماء المَلَّاحَةِ والطَّرْفِ ، وتمتزجُ بأجزاء النفس ، وتسترجع نافرَ الأُنْسِ ،
تخلَّلتُ تضاعيفه ، ووشَّحتْ تأليفه ، وطرزتُ ديباجه ، ورصَّعتُ تاجه ، ونظمتُ
عقوده ، ورقمتُ بروده ؛ فنورُها يَرِفُّ ، ونورُها يَشِفُّ ، في روضٍ من الكلم
مُوتِقٍ ، وروثوقٍ من الحكم مشرِقٍ :

صفا ونقى عنه القذى فكانه إذا ما استشفته العيون مصد (٤)
فهو كما قلت :

بديعٌ نثرٍ رِقِّ حَتَّى غَدَا يَجْرِي مع الرُّوحِ كما تجرى
من مُذْهَبِ الوَشْيِ على وجهه ديباجة لَيْسَتْ مِنَ الشعرِ (٥)
كزهرة الدنيا وقد أقبلت تَرُودُ في رَوْتِقِهَا النَّضْرُ (٦)
أو كالنسيم الغضِّ غِبِّ الحَيَا يَحْتَالُ في أَرْدِيَةِ الفَجْرِ (٧)
ولعل في كثيرٍ مما تركتُ ، ماهو أجودُ من قليلٍ مما أدركتُ ؛ إذ كان اقتصاراً
من كلِّ على بعض ، ومن فيضٍ على بَرُضٍ (٨) ؛ ولكنني اجتهدتُ في اختيار

(١) لا يخلقه : لا يذهب بجدته وروثقه (٢) الملح : جمع ملح ، وهي الكلمة
الستملحة المستعذبة . والنوافث : جمع نافثة ، وهي الساحرة (٣) افترع البكر : فض بكارتها
(٤) تصعد : ارتفع (٥) وشى مذهب : مطرز بالذهب
(٦) ترود : تحتال (٧) غب الحيا : عقب المطر (٨) فيض : كثير ، وبرض : قليل

ما وجدت ؛ وقد تدخل اللفظة في شفاعة اللفظات ، ويمرُّ البيت في خلال الأبيات ، وتعرض الحكاية في عرض الحكايات ، يتمُّ بها المعنى المراد ، وليست مما يُستجداد ، ويبعث عليها فرط الضرورة إليها [في إصلاح خلل] ؛ فمهما تره من ذلك في هذا الاختيار ، فلا تُعرض عنه بطرف الإنكار ؛ وما أقل ذلك في جميع المسالك الجارية في هذا الكتاب ، الموسوم بـ «زهر الآداب ، وثمر الألباب» لكنني أردت أن أشارك من يخرج من ضيق الاعتزاز ، إلى فسحة الاعتذار :

ويسئ بالإحسان ظناً ، لا كمن يأتيك وهو بشعره مفتون^(١)
والله المؤيد والمسدد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .
[إن من البيان لسحراً]

الزبرقان بن
بدر وعمرو بن
الأهتم بين يدي
رسول الله

روى عن عبد الله بن عباس - رضوان الله عليهما ! - قال :
وقد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم ؛
فقال الزبرقان : يا رسول الله ! أنا سيد تميم ، والمطاع فيهم ، والحجاب منهم ، أخذ
لهم بحققهم ، وأمنعهم من الظلم ، وهذا يعلم ذلك - يعنى عمراً .
فقال عمرو : أجل يا رسول الله ؛ إنه مانع لبحوزته^(٢) ، مطاع في
عشيرته ، شديد العارضة فيهم^(٣) .

فقال الزبرقان : أما إنه والله قد علم أكثر مما قال ، ولكنه حسدني شرفي !
تمال عمرو : أما لئن قال ما قال ؛ فوالله ما علمته إلا ضيق العطن^(٤) ، زمر
المروءة^(٥) ، أحمق الأب ، لئيم الخال ، حديث الغنى .

(١) هكذا حور المؤلف البيت ، وهو لأبي تمام ، ونصه في الأصل :

ويسئ بالإحسان ظناً لا كمن هو بانه وبشعره مفتون

(٢) حوزة الرجل : ما يحوزه ويملكه . (٣) العارضة : البدية وقوة الكلام

(٤) العطن : الناخ حول الورد ، وضيق العطن : كناية عن البخل

(٥) زمر المروءة - بالراء - أي قليها ، وفي نسخة زمن : أي بالو

فراى الكراهة فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله ؛ فقال : يا رسول الله ؛ رضيتُ فقلتُ أحسنَ ما علمتُ ، وغضبتُ فقلتُ أقبحَ ما علمتُ ، وما كذبتُ فى الأولى ، ولقد صدقتُ فى الثانية !

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من البيان لسحرا ، وإن من الشعر لحكمة . ويروى لحكما ، والأول أصح .

والذى روى أهل الثبوت ، من هذا الحديث أنه قديم رجلان من أهل المشرق فخطبا ؛ فعجب الناس لبيانهما ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من البيان لسحرا ، أو إن من بعض البيان لسحرا ^(١) .

ترجمة عمرو
ابن الأهم

وعمر بن الأهم هو : عمرو بن سنان بن سمي [بن سنان بن خالد] ابن منقر ابن عبيد بن الحارث ، والحارث هو : مقاعس بن عمرو بن كعب ابن سعد بن زيد مناة بن تميم . وسُمى سنان الأهم لأن قيس بن عاصم المنقرى سيد أهل الوبرِ ضربه بقوسه فتم فاه . هذا قولُ أبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة . وقال غيره : بل هُتم فوه يوم الكلاب الثانى ، وهو يوم كان لبنى تميم على أهل اليمن . وكان عمرو يلقب المكحل لجماله ، وبنو الأهم أهل بيت بلاغة فى الجاهلية والإسلام . وعبد الله بن عمرو بن الأهم هو جد خالد ابن صفوان وشيب بن شيبه . وكان يقال : الخطابة فى آل عمرو ، وكان شعره حُللاً منشرة عند الملوك تأخذُ منه ما شاءت . وهو القائل :

ذرىنى فإن البخلَ يا أمَّ مالكٍ لصالحِ أخلاقِ الرجالِ سرُّوقُ

لعمرك ما ضاقت بلادُ بأهلها ولكن أخلاقَ الرجالِ تضيقُ ^(٢)

والزبرقان : اسمه حصين بن بدر بن امرئ القيس [بن الحارث] بن

ابن بدر

(١) أنظر القصة كما رواها أولا فى مجمع الأمثال للميدانى (٦/١ بولاق) (م)

(٢) هذا البيت ورد أيضا فى آيات بشار القى مطلعها :

خلىلى إن العرس سوف يفيق وإن يسارا فى غد خلقى

بِهَدْلَةَ بن عوف بن كعب بن سعيد . وسمى الزبرقان لجماله ؛ والزبرقان :
القمر [قبل تمامه] وقيل : لأنه كان يُزْبِرُقُ عمامته ، أي يصفرها في الحرب .
وكانوا يسمون الكلام الغريب « السحر الحلال » ، ويقولون : اللفظ الجميل
من إحدى النفثات في العقد (١) .

وذكر بعض الرواة أنه لما استخلف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
قديم عليه وفود أهل كل بلد ؛ فتقدم إليه وفد أهل الحجاز ، فأشربهم منهم
غلام للكلام (٢) ، فقال عمر : يا غلام ؛ ليتكلم من هو أسن منك ! فقال الغلام :
يا أمير المؤمنين ! إنما المرء بأضعف ربه قلبه ولسانه ، فإذا منح الله عبده لساناً
لا لفظاً ، وقلباً حافظاً ، فقد أجاده الاختيار ؛ ولو أن الأمور بالسنة لكان هاهنا
من هو أحق بمجلسك منك .

عمر بن
عبد العزيز
وغلام يتقدم
وقد قومه

فقال عمر : صدقت ، تكلم ؛ فهذا السحر الحلال ! فقال : يا أمير المؤمنين ،
نحن وفد التهئة لا وفد المرزئة (٣) ، ولم تقدمنا إليك رغبة ولا رهبة ؛ لأننا
قد أمنا في أيامك ما خفنا ، وأدركنا ما طلبنا !

فسأل عمر عن سن الغلام ، فقيل : عشر سنين .

وقد روى أن محمد بن كعب القرظي كان حاضراً ، فنظر وجه عمر قد تهلل
عند ثناء الغلام عليه ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ لا يغلبن جهل القوم بك معرفتك
بنفسك ؛ فإن قوماً خدعهم الثناء ، وغرهم الشكر ، فزلت أقدامهم ، فهووا في
النار (٤) . أعاذك الله أن تكون منهم ، وألحقت بسالف هذه الأمة ؛ فبكي عمر حتى
خيف عليه ، وقال : اللهم لا تخلنا من واعظ !

(١) النفثات : جمع نفثة ، وهي أن تنفل الساحرة بريقها على ما تعقده ، وفي
نسخة « النفثات » جمع نفاثة وهي الساحرة نفسها (م) (٢) اشرب : تطلع
(٣) المرزك : الاستجداء وطلب النوال (٤) هووا : سقطوا ، من هوى يهوى على
وزن ضرب يضرب ، بخلاف هوى يهوى على وزن علم يعلم فإنه بمعنى أحب

وقد روى أن عمر قال للغلام: عِظْنِي، فقال هذا الكلام، وفيه زيادة يسيرة ونقص
 وأخذ قول عمر: «هذا السحر الحلال» أبو تمام فقال يعاتب أبا سعيد
 محمد بن يوسف الطائي:

إذا ما الحاجةُ انبَعَثَتْ يَدَاها جَعَلْتَ المَنْعَ مِنْكَ لها عِقَالاً
 فأين قِصَائِدُ لي فيكَ تَأْبِي وتَأْنِفُ أَنْ أَهَانَ وَأَنْ أَدَالاً
 هي السَّحْرُ الحلالُ لِمُجْتَلِيهِ ولم أَرَ قبلها سِحْرًا حَلالاً

وكتب أبو الفضل بن العميد^(١) إلى بعض إخوانه جواباً عن كتاب ورد إليه من ابن العميد
 لبعض إخوانه [فأجده]:

وَصَلَّ ما وَصَلْتَنِي به ، جعلني الله فداك ، من كتابك ، بل نعمتك التامة ،
 ومُنْتِكَ العامة ؛ فقررت عيني بوروده ، وشَفِيتُ نفسي بوفوده ، ونَشَرْتُه فَحَكِّي
 نَسِيمَ الرِياضِ غِبَّ المَطَرِ ، وتنفس الأنوار^(٢) في السَّحْرِ ، وتَأَمَّلْتُ مُفْتَتِحَهُ ، وما
 اشتمل عليه من لطائف كَلِمِكَ ، وبدائع حِكْمِكَ ؛ فوجدته قد تحمَّل من فنون
 البرِّ عنك ، وضروب الفضلِ مِنْكَ ، جِدًّا وهَزْلاً ، مَلَأَ عيني ، وعَمَّرَ قَلْبِي ، وغلب
 فِكْرِي ، وبَهَّرَ لُبِّي ؛ فبقيتُ لا أدري : أَسْمُوْتُ ذُرًّا خَصَصْتَنِي بها ، أم عقود
 جوهر منخنتيها ؟ كما لا أدري أبكراً زَفَفْتَهَا فيه ، أم روضةً جَهِزْتَهَا منه ؛
 ولا أدري أهدوداً ضُرِّجَتْ حياءً ضَمَنْتَهُ ؛ أم نجومًا طلعت عِشَاءً أودعته ؛ ولا أدري
 أَجْدُكَ أبلغ وألطف ، أم هَزْلُكَ أرفع وأظرف ؛ وأنا أوكُّلُ بِنْتِشِعِ ما انطوى
 عليه نَفْسًا لا تَرى الحِظَّ إلا ما اقْتَنَنْتَهُ منه ، ولا تُعَدُّ الفضلُ إلا فيما أَخَذْتَهُ عنه ،
 وأُمَّتُّ بِنَأْمَلِهِ عينا لا تَقْرَأُ إلا بِمِثْلِهِ ، مما يَصُدُّرُ عن يَدِكَ ، ويرِدُ من عنْدِكَ ،
 وأُعْطِيهِ نَظْرًا لا يَمِلُهُ ، وطَرَفًا لا يَطْرِفُ دونه ، وأَجْعَلُهُ مِثْلاً أَرْتَسِمُهُ وأَحْتَلِيهِ ،

(١) كان ابن العميد إمام الكتاب في عصره حتى قيل فيه «بدئت الكتابة بعد الحميد ،

وختمت بان العميد». توفي سنة ٣٦٩ بعد أن تولى كثيرا من المناصب العالة

(٢) الأنوار : جمع نور - بفتح النون - وهو نوار الزهر

وأمتع خلقي بروثته ، وأغذيتي نفسي ببهجته ، وأمزج قريحتي برفقته ، وأشرح صدري بقراءته ، ولئن كنت عن تحصيل ما قلته عاجزاً ، وفي تعديد ما ذكرته متخلفاً ؛ لقد عرفت أنه ما سمعتُ به من السَّحْرِ الحلال .

من وصف
الكلام بالسحر

وقال بعض المحدثين يمدح كاتباً :

وَإِذَا جَرَى قَلَمٌ لَهُ فِي مُهْرَقِ عَجَلَانَ فِي رِفْلَانِهِ وَوَجِيفِهِ (١)

نظمت مرأشفه قلابدَ نُظِّمَتْ بِنَفِيسِ جَوْهَرٍ لَفِظِهِ وَشَرِيفِهِ

بِدَعَاً مِنَ السَّحْرِ الحلالِ تَوَلَّدَتْ عَنْ ذَهْنِ مِصْقُولِ الذِّكَاةِ مَشُوفِهِ (٢)

مَتَلِّلاً لِمَضَارِبِهِ وَزَادَ مُسَافِرٌ جُعِلَتْ وَتَحْفَةَ قَادِمٍ لِأَلِيفِهِ

وصف رجل
محبوب

وعلى ذكر قوله «وتحفة قادم» قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : وصف رجل رجلاً فقال : كان والله سمحاً سهلاً ، كأنما بينه وبين القلوب نسب ، أو بينه وبين الحياة سبب ، إنما هو عيادة مريض ، وتحفة قادم ، وواسطة عمْد .

عود إلى وصف
الكلام بالسحر

وأخذ بعضُ بني العباس رجلاً طالبياً ، فهممَّ بعقوبته ، فقال الطالبي : والله لولا أن أفسد ديني بفساد دنياك لملكْت من لساني أكثر مما ملكت من سوطك ، والله إن كلامي لَفَوْقَ الشَّعْرِ ، ودون السَّحْرِ ، وإن أسره لَيَتَقَبُّ الحُرْدَلُ ، ويحطُّ الجُنْدَلُ .

وقال علي بن العباس (٣) يصفُ حديثَ امرأةٍ :

وَحَدِيثُهَا السَّحْرُ الحلالُ لَوْ أَنَّهُ لَمْ يَجْنِ قَتْلَ الْمُسْلِمِ الْمُتَحَرِّرِ (٤)

إِنْ طَالَ لَمْ يُمَلِّمْ ، وَإِنْ هِيَ أَوْجَزَتْ وَدَّ الحَدِيثُ أَنَّهَا لَمْ تُوجِزْ

شَرَكُ العُقُولِ ، وَنَزْهَةٌ مَا مِثْلُهَا لِلْمَطْمَئِنِّ ، وَعُقْلَةٌ الْمُسْتَوْفِرِ (٥)

(١) المهرق بفتح الراء : الصحيفة ، والجمع مهارق — عجلان : مسرع — الرفلان :

السير في تبخر — والوجيف : السير السريع (٢) المشوف : المحلج

(٣) هو ابن الرومي المتوفى سنة ٢٨٣ (٤) المتحرز : المتحفظ (٥) الشرك : الفخ — العقلة

العقال ، المستوفز : المستعجل — والشاعر يذكُر أن حديث هذه المرأة نزهة للمطمئن وعقال لمن يهيم بالانصراف .

ألمّ في بيته الآخر بقول الطائي :
 كَوَاعِبُ أتراب لغيداء أصبحت وليس لها في الحسن شكلٌ ولا تَرْبٌ (١)
 لها منظرٌ قيّد النواظر لم يزل يروّح ويغدو في حفارته الحب (٢)
 وأول من استنار هذا المعنى امرؤ القيس بن حجر البكدي في قوله :
 وقد أغددي والطير في وكُناتِها بمُجَرِّدٍ قيّد الأوابد هيكل (٣)
 وقالت عليّة بنت المهدي :
 اشرب علي ذكر الغزال الأغيد الحلو الدلال
 اشرب عليه وقُلْ له : يا غُلَّ ألباب الرجال (٤)

عليّة بنت
 المهدي أخت
 الرشيد

وكانت عليّة لطيفة المعنى ، رقيقة الشعر ، حسنة مجارى الكلام ، ولها
 ألحانٌ حسانٌ ، وعَلِقَتْ بغلام اسمه « رشأ » وفيه تقول :

أضحى الفؤاد بزينا عبأ كئيباً مُتَعَبَا
 فجعلتُ زينبَ سُرَّةً وكتمتُ أمراً مُعْجَبَا

[قولها : زينب تريد برشأ] .

فُنِىَ الأمر إلى أخيها الرشيد ، فأبعده ، وقيل : قتله ، وعَلِقَتْ بعده بغلام
 اسمه « طُلٌّ » ، فقال لها الرشيد : والله لئن ذكركته لأقتلنك! فدخل عليها يوماً

(١) الكواعب : جمع كاعب ، وهي الفتاة تكعب نديها : أي ، تتأ كالكعب ،
 أتراب : خدييات ، وتاربت الفتاة : خادتها ، قال كثير :

تتارب بيضا إذا استلعت كأمّ الظباء ترف الكبائثا

وقد يراد بالأتراب الشبهات في السن والحسن — والغيداء : الناعمة

(٢) قيد النواظر : هو للنواظر كالقيد — الحفارة : الحماية (٣) الوكنات : جمع
 وكنة ، وهي العش ، والمتجرد : الفرس سقط شعره من الضمور ، والأواد : الوحوش
 النافرة ، والهيكل : الضخم (٤) الغل : هو الطوق يوضع في عنق الأسير

على حين غفلة وهي تقرأ : فإن لم يُصِبها وابلٌ فما نهي عنه أمير المؤمنين ، فضحك ،
وقال : ولا كل هذا ، وهي القائلة :

يا عاذلي قد كنتُ قبلك عاذلاً حتى ابتليتُ فصرتُ صبياً ذاهلاً
الحب أول ما يكون مجانةً فإذا تحكّم صار شُغلاً شاغلاً^(١)
[أرضى فيغضبُ قاتلي فتعجبوا يرضى القتيلُ ولا يرضى القاتلاً]

وهي القائلة :

وُضع الحبُّ على الجُور ، فلو أنصف المشوق فيه لَسَمِحُ^(٢)
[وقليلُ الحبِّ صرفاً خالصاً لك خير من كثير قد مزج]
ليس يُستَحَسَنُ في نعتِ الهوى عاشقٌ يُحسِنُ تأليفَ الحُجَجِ
وكانها ذهبت في الأول إلى قول العباس بن الأحنف :

أشبه لشعر علي
بنت المهدي

وأحسنُ أيام الهوى يومك الذي تُروّع بالهجران فيه وبالعتبِ
إذ لم يكن في الحبِّ سُخْطٌ ولا رضاءً فأين حلاواتُ الرسائلِ والكُتُبِ
وقد زاد النيرى في هذا فقال :

رأحتي في مقالة العُدال وشفأني في قيلهم بعد قال
لا يطيبُ الهوى ولا يحسنُ الحبُّ لصبٍ إلا بِحَمْسِ خصال
بسماع الأذى ، وعدل نصيح ، وعتاب ، وهجرّة ، وتقال^(٣)
وقال بعض المحدثين :

لولا اطرادُ الصيد لم تكُ لذة فتطاردي لي في الوصال قليلاً^(٤)
هذا الشراب أخو الحياة وماله من لذة حتى يُصيبَ غليلاً^(٥)

(١) المجانة : العث (٢) سمح : قبح (٣) التقال : التباض

(٤) اطراد الصيد : جريه (٥) الغليل : الظم الشديد

وقال آخر :

دَعِ الصَّبَّ يَصْلِيْ بِالْأَذَى مِنْ حَبِيْبِهِ فَإِنَّ الْأَذَى مِنْ تَحْبٍ سُرُورٍ^(١)
غُبَارُ قَطِيْعِ الشَّاءِ فِي عَيْنِ ذَنْبِهَا إِذَا مَا تَلَا آثَارَهُنَّ ذُرُورٍ^(٢)

وأنشد الأصبغى [لجليل بن معمر العذرى]^(٣) :

لَا خَيْرَ فِي الْحَبِّ وَقَفًّا لَا تَجْرُكُهُ عَوَاضُ الْيَأْسِ أَوْ يَرْتَاخَهُ الطَّمَعُ
لَوْ كَانَ لِي صَبْرُهَا أَوْ عِنْدَهَا جَزَعِي لَكُنْتُ أُمْلِكُ مَا آتَى وَمَا أَدَعُ
إِذَا دَعَا بِأَسْمِهَا دَاعٍ لِيَحْزَنَنِي كَادَتْ لَهُ شُعْبَةُ مِنْ مُهْجَتِي تَفَعُ^(٤)

وهذا البيت كقول علي بن العباس الرومى :

لَا تُكْثِرَنَّ مَلَامَةَ الْعَاشِقِ فَكِفَاهُهُ بِالْوَجْدِ وَالْأَشْوَابِ
إِنْ الْبِلَاءُ يَطَاقُ غَيْرَ مُضَاعَفٍ فَإِذَا تَضَاعَفَ كَانَ غَيْرَ مُطَاقٍ
لَا تُطْفِئَنَّ جَوَى بَلْوَمٍ ؛ إِنَّهُ كَالرِّيحِ تُغْرِى النَّارَ بِالْإِحْرَاقِ

ويشبهه بيت عليّ الآخر بيت أنشد في شعر روى لأبي نواس ، ورواه

قوم لعنان جارية الناطقى^(٥) وهو :

حَلْوُ الْعَتَابِ يَهِيْجُهُ الْإِدْلَالُ لَمْ يَحُلْ إِلَّا بِالْعَتَابِ وَصَالُ
لَمْ يَهْوَ قَطُّ وَلَمْ يَسْمَعْ بِعَاشِقٍ مَنْ كَانَ يَصْرِفُ وَجْهَهُ التَّعْذَالَ^(٦)

(١) يصلى : يحترق (٢) الدرور : هو الملح يذر على اللحم والقلفل يوضع على الثريد وهو كذلك الدواء في العين . والمراد أن غبار الشاء في عين الذئب هو كالتوابل يوضع على الطعام

(٣) الأصبغى هو عبد الملك بن قريب ، ونسب إلى جده أصمع ، نشأ بالبصرة ، وأخذ عن فصحاء البادية ، واتصل بالرشيد ، وتوفي سنة ٢١٦ (٤) شعبة : قطعة

(٥) الناطقى : رجل من أهل بغداد ، وعنان : شاعرة ماجنة سمعها الرشيد فاشتراها بعد أن غالى بها سيدها ، ولها أخبار كثيرة مع أبي نواس توفيت في نحو سنة ٢٠٠

(٦) التعذال : اللوم ، ومثله العذل

وجميع أسباب الغرام يسيرة
تصف التضييب على الكثيب فنأتها
ولربّ لابسَة قِنَاعٍ مَلَا حَة
كَسَتِ الحَدَاثَةُ ظَرْفَهَا وَجَاهَهَا
وَكَانَهَا وَالكَأْسُ فَوْقَ بَنَانِهَا
حَتَّى إِذَا مَا اسْتَأْنَسَتْ بِحَدِيثِهَا
قَلْنَا لَهَا : إِنْ صَدَقْتَ أَقْوَالَهَا
قَوْلِي فَلَيْسَ تَرَكَ عَيْنُ نَيْمَةٍ
وَضَمِيرُ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ ضُلُوعُنَا
وَقَدْ أَخَذَ أَبُو الطَّيِّبِ المُنْتَبِي مَعْنَى «قَيْدِ الأَوْابِدِ» ، قَالَ يَصِفُ كَلْبًا :

نَيْلُ المُنَى وَحَكْمُ نَفْسِ المُرْسِلِ
كَأَنَّهُ مِنْ عِلْمِهِ بِالمَقْتَلِ
وَقَالَ فِي بَنِي حَمْدَانَ :

ما قيل في معنى
«قيد الأوابد»

مُتَّصِعِ الكَيْنِ عَلَى كَثَافَةِ مَلِكِهِمْ
يَتَقَبَّلُونَ ظِلَالَ كُلِّ مُطَهَّمٍ
مُتَوَاضِعِينَ عَلَى عَظِيمِ الشَّانِ (٥)
أَجَلَ الظَّلِيمِ وَرَبِيقَةَ السَّرْحَانِ (٦)
وَقَالَ أَعْرَابِي يَصِفُ فَرَسًا : إِنَّهُ لَدَرَكُ الطَّالِبِ ، وَمَنْجَى المَهَارِبِ ،
وَقَيْدِ الرَّهَانِ ، وَزَيْنِ الفِنَاءِ .

(١) يخرق: يترقق (٢) الجربال: الحر ، يريد الشاعر أن يصف تلك الحسنة
بعدم التحرز في الحديث وقد لعبت برأسها الصبياء .

(٣) التفل: الثعلب ، وفي النسخ القديمة (التقل) وهو تصحيف (٤) بقراط : من
كبار الأطباء القدماء ، والأكل: عرق في اليد (٥) متصعلك: متظاهر بالفقر ، والكشافة:
الضخامة (٦) مطهم: مضمر دقيق الجسم ، والظليم: ذكر النعام ، والريقة: الرباط ،
والسرحان الذئب ، والمعنى أنهم يتقبلون ظلال كل جواد في عدوه أجل الظليم وقيد الذئب

وقال بعضُ أهلِ العصرِ في وصفِ غلامٍ : وَجْهُهُ قَيْدُ الْأَبْصَارِ ، وَأَمْدُ الْأَفْكَارِ ، ونهايةُ الاعتبارِ .

وقال أبو القاسمِ إسماعيلُ بنُ عَبَّادٍ^(١) :

وقد أَعْتَدِي لِلصَّيْدِ غَدْوَةً أَصِيدُ أَعَاجِلُ فِيهَا الْوَحْشَ وَالْوَحْشُ هَجْدُ^(٢)
 فَعَنَّتْ ظَبَاءٌ خِفْنَ تَحْتِي مَطْلُوقَ الْيَدَيْنِ بِهِ أَيْدِي الْوَحْشِ تَقِيدُ^(٣)
 فَأَدْرَكْتَهَا وَالسَيْفُ لَمَعَهُ بَارِقٌ وَلَمْ يُغْنِهَا إِحْضَارُهَا حِينَ تَجْهَدُ^(٤)
 وَقَدْ رُعْتَهَا إِذْ كَانَ شَعْرِي رَائِعًا وَطَرَفُ مَشِيئِي عِنْدَ أَرَى أَرْمَدُ^(٥)
 وَمَا بَلَغَتْ حَدَّ الثَّلَاثِينَ مُدَّتِي وَهَذَا طِرَازُ الشَّيْبِ فِيهِ يُمَدَّدُ^(٦)

وأبياتُ ابنِ الروميِّ من أجودِ ما قيلَ في حسنِ الحديثِ ، وقد توسَّعَ الشعراءُ في هذا البابِ ، وكثُرَ إحسانُهُم ، كما كَثُرَ افتتانُهُم ، وسأَجْرِي شَأْوًا فِي مَحْتَارِ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ ، وَأَعُودُ إِلَى مَا بَدَأْتُ بِهِ .

ما يستملح
 مما قيل في
 حسن الحديث

قال القطامي - واسمه عُمَيْرُ بنُ شَيْمٍ الثُّعَلِيُّ^(٧) ، وسَمِيَ الْقُطَامِيَّ لِقَوْلِهِ :

يَحُطُّهُنَّ جَانِبًا فِجَانِيَا حَطَّ الْقُطَامِيُّ الْقَطَا الْقَوَارِبَا^(٨)

وقال أبو عبيدة : وَيُقَالُ لِلصَّقْرِ قُطَامِيٍّ وَقُطَامِيٍّ :

وَفِي الْأُدُورِ غَمَامَاتٌ بَرَقْنَ لَنَا حَتَّى تَصِيدُنَا مِنْ كُلِّ مُصْطَادِ
 يَتَلَنَّنَا بِحَدِيثٍ لَيْسَ يَعْلَمُهُ مَنْ يَتَّقِينَ وَلَا مَكُونُهُ بَادِي^(٩)

(١) هو الصاحب بن عباد المشهور، المتوفى ٣٨٥ (٢) الأصيد : من يرفع رأسه كبرا

(٣) عنت : عرضت ، ومطلق اليدين : وصف للفرس بالسرعة

(٤) الإحضار : نوع من السير السريع ، وتجهد : تعب (٥) أرمد : كليل البصر ،

يريد أن الشيب لم يسم بصره إلى عذاره

(٦) الطراز : الموضع الذي تنسج فيه الثياب الجياد

(٧) في النسخ القديمة (الثعلبي) وهو تحريف (٨) القوارب : طالبات الماء

(٩) يتقين : يخضن ، وباد : ظاهر .

فهنَّ يَنْبِذَنَ مِنْ قَوْلِ يُضَيِّنَ بِهِ مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْقَلْبَةِ الصَّادِي (١)
 وَقَالَ أَبُو حَيَّةَ الْيَمِينِيُّ ، وَاسْمُهُ الْمَيْمِيُّ بْنُ الرَّبِيعِ :
 وَخَبَّرَكَ الْوَأَشُونَ أَنَّ لِنَ أَحْبَبَكُمْ بَلَى وَسُتُورَ اللَّهِ ذَاتِ الْحَارِمِ
 وَإِنْ دَمًا ، لَوْ تَعْلَمِينَ ، جَنِينَتِهِ عَلَى الْحَيِّ جَائِي مِثْلَهُ غَيْرُ سَالِمٍ (٢) -
 أَصْدُ وَمَا الصَّدُّ الَّذِي تَعْلَمِينَهُ عِرَاءَ بَكُمْ إِلَّا ابْتِلَاعَ الْعَلَاقِمِ (٣)
 حَيَاءٌ وَتَقِيًّا أَنْ تَشِيْعَ نَيْمَةٌ بِنَاوِبِكُمْ ، أَفَّ لِأَهْلِ النَّمَامِ (٤)
 أَمَا إِنَّهُ لَوْ كَانَ غَيْرَكَ أُرْقَلْتَ إِلَيْهِ الْقَنَا بِالرَّاعِفَاتِ اللَّهَازِمِ (٥)
 وَلَكِنَّهُ وَاللَّهِ مَا طَلَّ مُسْلِمًا كَفَرُّ الثَّنَايَا وَأَضْحَاتِ الْمَلَاعِمِ (٦)
 إِذَا هُنَّ سَاقَطْنَ الْأَحَادِيثَ لِلْفَتَى سُقُوطَ حَصَى الْمَرْجَانِ مِنْ كَفِّ نَاطِمِ (٧)

(١) مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنَ الظَّمَانِ : كِنَايَةٌ عَنِ الْأَحْشَاءِ ، وَالْمُرَادُ أَنَّ حَدِيثَهُنَّ يَشْفِي الصَّبَّ الْمَغْرَمَ كَمَا يَطْفِئُ الْمَاءُ لَوْعَةَ الْغَلِيلِ !
 (٢) «لَوْ تَعْلَمِينَ» جَمَلَةٌ مَعْتَرِضَةٌ ، وَلَوْ هُنَا لِتَمْنَى (٣) الْعَلَاقِمِ : جَمْعُ عَلَقَمٍ ، وَهُوَ الْحَنْظَلُ وَكُلُّ شَيْءٍ مَرٍ . وَرَوَايَةُ الْمَبْرَدِ :

أَصْدُ وَمَا الصَّدُّ الَّذِي تَعْلَمِينَهُ شَفَاءٌ لَنَا إِلَّا اجْتِرَاعَ الْعَلَاقِمِ
 وَالاجْتِرَاعُ : مَصْدَرُ اجْتَرَعَ الْمَاءَ أَيْ ابْتَلَعَهُ

(٤) تَقِيًّا : خَوْفٌ ، وَرَوَايَةُ الْمَبْرَدِ بَقِيًّا ، وَأَفَّ لِأَهْلِ النَّمَامِ : تَبَاهَمُوا !
 (٥) أُرْقَلْتَ : أَسْرَعْتَ ، وَالرَّاعِفَاتُ وَالزَّوَاعِفُ : الرِّمَاحُ تَسِيلُ الرِّعَافَ - بَضْمُ الرَّاءِ - وَهُوَ النَّدْمُ ، وَاللَّهَازِمُ : الْقَوَاطِعُ ، وَالْمَفْرَدُ لَهْزَمٌ عَلَى وَزْنِ جَعْفَرٍ (٦) الْغَرُ : الْبَيْضُ ، وَالْمَلَاعِمُ : هِيَ طَرَفُ الْأَنْفِ وَمَا حَوْلَهُ إِلَى الشَّفَتَيْنِ ، وَالْوَضُوحُ : الْبَيَاضُ وَالْإِشْرَاقُ ، وَطَلَّ : مِنْ قَوَّطَهُمْ دَمٌ مَظْلُوقٌ إِذَا مَضَى هَدْرًا . وَأَثْبَتَ هَذَا الْبَيْتَ فِي النَّسَخِ الْقَدِيمَةِ هَكَذَا :

وَلَكِنَّهُ وَاللَّهِ مَا ظَلَّ مُسْلِمًا لَعْرَ الثَّنَايَا وَأَضْحَاتِ الْمَلَاعِمِ
 وَهُوَ تَحْرِيفٌ . هَذَا وَرَوَايَةُ الْمَبْرَدِ «وَلَكِنْ لَعَمْرُ اللَّهِ» إِخْ ، وَالْكَافُ فَاعِلٌ «طَلَّ»
 فِي قَوْلِهِ «مَا ظَلَّ مُسْلِمًا كَفَرُّ الثَّنَايَا» . (٧) وَقَعَ عَنِ الْمَبْرَدِ «سُقُوطَ حَصَى الْمَرْجَانِ» (م)

رَمَيْنَ فَأَنْفَذَنَ الْقُلُوبَ ، وَلَا تَرَى دَمًا مَاتِرًا إِلَّا جَوَى فِي الْحَيَازِمِ ^(١)
وقال أيضاً :

حديثٌ - إذا لم تَحْسَ عِينًا - كأنه إذا ساقطته الشَّهْدُ أو هو أطيبُ
لو أنك تستشفي به بعد سكرةٍ من الموت كادت سكرة الموت تذهب
إلى هذا ينظر قول الآخر وإن لم يكن منه :

أقول لأصحابي وهم يعدلونني ودمعُ جفوني دائم العبيرات
بذكر مني نفسي قبلوا ، إذا دنأ خروجي من الدنيا ، جفوف لهاتي ^(٢)
وقال سديف مولى بني هاشم يصف نساء :

وإذا نطقن تحالهن نواظماً ذرّاً يُفصلُ لؤلؤاً مكنوناً
وإذا ابتسمن فلنهن غمامةٌ أو أقحوان الرمل بات معينا ^(٣)
وإذا طرفن طرفن عن حدق المها وفضلنهن محاجراً وجفونا ^(٤)
وكان أجساد الطباء تمدّها وخصورهن لطافة ولدونا ^(٥)
وأصح ما رأت العيون محاجراً ولهن أمراض ما رأت عيوننا ^(٦)

(١) أنفذن القلوب : من قولهم «رميته فأنفذته» إذا أنفذت فيه السهم . ورواية
البرد «أفصدن القلوب» بمعنى أصبنا من قولهم أفصدت الرجل إذا طعنته فلم تخطيء مقاتله ،
وما تر : سائل ، والحيازم : جمع حيزوم ، وهو ما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر
(٢) اللهاة : اللحمية المشرفة على الحلق ، وهذا البيتان من الشعر الرائع
(٣) الأقحوان : زهر أبيض تشبه به الثغور الناصع البياض ، والمعين :
المطور ، والمطر يزيد الزهر نضرة .

(٤) طرفن : حركن عيونهن ، والمها : الغزلان (٥) الأجياد : جمع جيد - بكسر
الجيم - وهو العنق ، واللدون واللدونة - بضم اللام - الرقة

(٦) اللام في «لهن» لام الابتداء ، والمقصود بها التوكيد ، وفي هذا المعنى يقول جرير :
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله إنسانا (م)

وكانهن إذا نهضن لحاجةٍ يَهْضُنَّ بالعقدات من يبرينا^(١)
وقال الطائي^(٢) :

تُعْطِيكَ مَنْطِقَهَا فَتَعْلَمُ أَنَّهُ لِحَيِّ عُدُوبَتِهِ يَمُرُّ بِشَفْرِهَا
وَأُظُنُّ حَبْلَ وَصَالِهَا لِمُحِبِّهَا أَوْهَى وَأُضْعَفُ قُوَّةً مِنْ خَصْرِهَا
أخذه أبو القاسم بن هاني^(٣)، فقال يمدح جعفر بن علي ، إلا أنه قلبه فقال :
قَدْ طَيَّبَ الْأَفْوَاهَ طَيْبُ ثَنَائِهِ مِنْ أَجْلِ ذَا نَجْدِ الثُّغُورِ عِدَابَا
وَكَأَنَّمَا ضَرَبَ السَّمَاءَ سُرَادِقًا بِالزَّابِ ، أَوْ رَفَعَ النُّجُومَ قِيَابَا^(٤)
أَرْضًا وَطِئْتُ الدَّرَّ رَضْرَاضًا بِهَا وَالْمَسْكَ تَرْبًا وَالرِّيَاضَ جَنَابَا^(٥)

(١) العقدات : جمع عقدة ، وهي السفح والكثيب ، ويبرين : اسم مكان من
أصقاع البحرين ، يقول فيه أبو زياد الكلابي .

أراك إلى كئيبان يبرين صبة وهذا العمري لوقعت كئيب
وإن الكئيب الفرد من أيمن الحمي إلى ، وإن لم آته ، لحبيب

(٢) نسبه شاذة إلى طيء ، وكلا ذكر « الطائي » فالمراد أبو تمام ، وهو شاعر
فحل من شعراء الدولة العباسية . ولد في جاسم . وهي قرية قرية من دمشق في سنة ١٩٠
للهجرة ، ونقل صغيراً إلى مصر ، وأقام بهامدة يسقى الماء في جامع عمرو ، ثم رحل
إلى مقر الخلافة بعد أن نبغ في الشعر والأدب ، فاتصل بالمعتزم ووزيره محمد بن الزيات ،
ثم ولاء الحسن بن وهب بريد الموصل فأقام بها إلى أن مات سنة ٢٣١ . وله ديوان
(٣) محمد بن هاني : من أكبر شعراء الأندلس وأشهرهم . وكان يسمى
« متني الغرب » لجزالة شعره وقوة عارضته ، وهو صاحب الكافية المشهورة التي
يقول في مطلعها :

فتكات لحظك أم سيوف أيك . وكؤوس خمر أم مراشف فيك

توفي في سنة ٣٦٢ ، بعد أن جاب كثيراً من الأقطار واتصل بكثير من الرؤساء .
أما جعفر بن علي ممدوحه فقد توفي سنة ٣٦٤ .

(٤) الزاب : من أعمال أفريقية (٥) الرضاض : صغار الحمى

وقال الطائي :

بَسَطَتْ إِلَيْكَ بِنَانَةً أَسْرُوعًا تَصِيفُ الْفِرَاقَ وَمُقَلَّةً يَنْبُوعًا^(١)
كَادَتْ لِعِرْفَانَ النَّوَى أَلْفَاظُهَا مِنْ رِقَّةِ الشُّكْوَى تَكُونُ دُمُوعًا
وَمِنْ جَيِّدِ هَذَا الْمَعْنَى وَقَدِيمِهِ قَوْلُ النَّابِغَةِ الذِّيَابِيِّ^(٢) :

لَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَشْمَطِ رَاهِبٍ عَبَدَ الْإِلَهَ صَرُورَةً مُتَعَبِدٍ^(٣)
لَرْنَا لِلْهَجْتِهَا وَطِيبَ حَدِيثِهَا وَخَالَةَ رَشْدًا وَإِنْ لَمْ يَرْشُدِ
نَظَرْتُ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ لَمْ تَقْضِهَا نَظَرُوا السَّلِيمَ إِلَى وَجْهِهِ الْعُودِ^(٤)
وَمِنْ مَشْهُورِ الْكَلَامِ قَوْلُ الْآخَرِ :

وَكُنْتُ إِذَا مَا زُرْتُ سَعْدَى بِأَرْضِهَا أَرَى الْأَرْضَ تُطْوِي لِي وَيَذْنُونُ بَعِيدُهَا
مِنْ الْخُفْرَاتِ الْبَيْضِ وَدَّ جَلِيسِهَا إِذَا مَا انْقَضَتْ أَحَدُوتهُ لَوْ تُعِيدُهَا^(٥)
تَحَلَّلُ أَحْقَادِي إِذَا مَا لَقِيتُهَا وَتُرْمِي بِلَا جُرْمٍ عَلَيَّ حُصُودُهَا^(٦)
وقال بشار :

وَكَأَنَّ رَجَعَ حَدِيثِهَا قَطَعَ الرِّيَاضُ كَسِينِ زَهْرًا
حَوْرَاءَ إِنْ نَظَرْتُ إِلَيْكَ سَقَتِكَ بِالْعَيْنِ حَمْرًا^(٧)
تُنْسِي الْعَوَى مَعَادَهُ وَتَكُونُ لِلْحَكَمَاءِ ذِكْرًا
وَكَأَنَّهَا بَرْدُ الشَّرَا بَ صَفًا وَوَاقِفٌ مِنْكَ فَطْرًا^(٨)

(١) الأسروع : دود أحمر الرأس تشبه به الأنامل المخضبة (٢) النابغة : شاعر

جاهلي صحب النعمان بن المنذر وأجاد القول في الاعتذار

(٣) الأشمط : من يخالط يياض شجره سواد ، وصرورة ، وصارورة ، وصرور :

لم يزوج ، للواحد والجمع (٤) العود : جمع عائد ، والمراد أنها تنظر بتكسر وفتور
كما ينظر السقيم إلى وجوه العواد - والخنوظ «نظر السقيم» وهو نسخة ، وكذلك هو
في ديوانه (م) (٥) الخفرات : من الخفر - بفتحتين - وهو الحياء .

(٦) تحلل : تتحلل وتذوب ، والأحقاد والحقود : جمع حقد ، والجرم : الذنب

(٧) حوراء : من الحور - بفتحتين - وهو شدة يياض يياض العين مع شدة سواد

سوادها (٨) في الأصل «وافق فيه قطراً» والذي اثبتناه أوفق

وَكَانَ تَحْتَ لِسَانِهَا هَارُوتُ يَنْفُثُ فِيهِ سِحْرًا
وَتَحَالُ مَا جَمَعَتْ عَلَيْهِ نِيَابَهَا ذَهَبًا وَعِطْرًا^(١)

وسمع بشارت قول كثير بن عبد الرحمن^(٢) :

أَلَا إِنَّمَا لِي عَصَا خَيْرَانَةٍ إِذَا غَمَزُوهَا بِالْأَكْفِ تَلِينُ
فَقَالَ : قَاتِلِ اللَّهَ أَبَاصْخَرَ ! يُزَعَمُ أَنَّهَا عَصَا وَيَعْتَدِرُ بِأَنَّهَا خَيْرَانَةٌ ، وَلَوْ قَالَ :
عَصَا مُخٍّ ، أَوْ عَصَا زُبْدٍ ؛ لَكَانَ قَدْ هَجَّهَا مَعَ ذِكْرِ الْعَصَا ، هَلَا قَالَ كَمَا قُلْتَ :

وَدَعْجَاءَ الْمَحَاجِرِ مِنْ مَعَدِّ كَأَنَّ حَدِيثَهَا تَمَرُ الْجَنَانِ^(٣)
إِذَا قَامَتْ لِحَاجَتِهَا تَثَنَّتْ كَأَنَّ عِظَامَهَا مِنْ خَيْرَانِ

وبعد قول كثير : « أَلَا إِنَّمَا لِي عَصَا خَيْرَانَةٍ » :

تَمَتَّعَ بِهَا مَسَاعِفَتِكَ ، وَلَا يَكُنْ عَلَيْكَ شَجِيٌّ فِي الصَّدْرِ حِينَ تَبِينُ
وَإِنْ هِيَ أَعْطَتِكَ اللَّيَانَ فَإِنَّهَا لِآخِرَ مَنْ خَلَّانَهَا سَتَلِينُ
وَإِنْ حَلَقَتْ لَا يَنْقُضُ النَّأْيُ عَهْدَهَا فَلَيْسَ لِمُخْضَبِ الْبِنَانِ يَمِينُ
وقال البحرى :

وَمَا التَّقِينَا وَاللَّوَى مَوْعِدُ لَنَا تَعَجَّبَ رَأَى الدَّرَّ حُسْنًا وَلَا قِطْعَةً
فَمَنْ لَوْلُو تَجْنِيهِ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا وَمَنْ لَوْلُو عِنْدَ الْحَدِيثِ تُسَاقِطُهُ
وقال المتنبي :

أَمْنَعَةٌ بِالْعَبُودَةِ الظَّيْبَةُ الَّتِي بَغِيرَ وَلِيٍّ كَانَ نَائِلَهَا الْوَسْمِيُّ^(٤)
تَرَشَّفْتُ فَأَهَا سِحْرَةً فَكَأَنِّي تَرَشَّفْتُ حَرَّ الْوَجْدِ مِنْ بَارِدِ الظَّمِّ^(٥)

(١) يصف جسمها بأنه قطعة من الذهب والعطر .

(٢) هو كثير عزة التوفى في سنة ١٠٥ (٣) دعجاء : حوراء .

(٤) الوسى : المطر الأول ، والولى : المطر الذى يليه .

(٥) الظلم بفتح الظاء : الثغر ، قال كعب بن زهير :

تَجْلُو عَوَارِضَ ذِي ظَلَمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ كَأَنَّهُ مِنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَعْلُولٌ

وفى أساس البلاغة : الظلم كأنه ظلمة تركب متون الأسنان من شدة الصفاه

فتاةٌ تساوى عقدها وكلامها . ومبسمها الدررى في النثر والنظم .

تفسير حديث
وضبط لفظه

عاد الحديث الأول - قال أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي : حدثنا يوسف بن يعقوب قال : أخبرني جدِّي قراءة عليه ، عن أبي داود ، عن محمد بن عبيد الله ، عن أبي إسحاق ، عن البراء يرفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن من الشعر لحكماً ، وإن من البيان لسحراً » قال أبو القاسم : هكذا روينا الخبر ، وراجعت فيه الشيخ ، فقال : نعم ، هو : « إن من الشعر لحكماً » بضم الحاء وتسكين الكاف ، قال : ووجهه عندي إذا روى هكذا : إن من الشعر ما يلزم المقول فيه كلزوم الحكم للمحكوم عليه ؛ إصابة للمعنى ، وقصداً للصواب وفي هذا يقول أبو تمام :

وَلَوْلَا سَبِيلٌ سَنَّهَا الشَّعْرُ مَادَرَى بُغَاةَ الْعُلَى مِنْ أَيْنَ تُوَفِّي الْمَكَارِمُ (١)
يُرَى حِكْمَةً مَا فِيهِ وَهُوَ فُكَاهَةٌ وَيُرْضَى بِمَا يَقْضَى بِهِ وَهُوَ ظَالِمٌ
انتهى كلام أبي القاسم .

الخطيئة
وبنو أنف
الناقة

وقد وجدنا في الشعر أبياتاً يُجْرَى على رسمها ، ويُمضى على حكمها ؛ فقد كان بنو أنف الناقة إذا ذكروا أحدٌ عند أحد منهم أنف الناقة - فضلاً عن أن ينسبهم إليه - اشتدَّ غضبهم عليه ؛ فما هو إلا أن قال الخطيئة (٢) يمدحهم :
سِيرِي أَمَامَ فَإِنَّ الْأَكْثَرِينَ حَصَى وَالْأَطْيَبِينَ إِذَا مَا يُنْسَبُونَ أَبَا (٣)

(١) البغاة : الطلاب . وفي الأصل « بغاة الندى » وما أثبتناه أدق .

(٢) هو جرول بن أوس ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، كان سليط اللسان لم يكذب يسام من هجائه أحد ، وقد سجنه عمر بن الخطاب لذلك ، توفي نحو سنة ٣٠ .

(٣) سيرى : أمر من السير للفردة المؤنثة ، وأنام - بضم الهمزة - مرخم أمامة وهو اسم امرأة ، والأكثرين حصى : أى أكثر الناس عدداً ، ومنه قول الأعشى :
ولست بالأكثر منهم حصى وإنما العزة للكثير (م)

قومٌ إذا عقدوا عقداً لجارهمُ شَدَّوا العِناجَ وشَدَّوا فَوْقَهُ الكَرَباً (١)
 قومٌ همُ الأنفُ والأذُنُابُ غيرهمُ ومن يسوَّى بأنفِ الناقةِ الذَّنْبَا
 فصار أحدهم إذا سئل عن انتسابه لم يبدأ إلا به

وأنفُ الناقة: هو جعفر بن قريع بن عوف بن كعب بن زيد مناة بن تميم .
 وكان بنو العَجَلان يَفْخَرُونَ بهذا الاسم ، ويتشرفون بهذا الوَسْم ؛ إذ كان
 عبدُ الله بن كعب جدُّهم إنما سُمِّي العجلان لتعجيله القِرَى للضيَّفان ؛ وذلك أن
 حياً من طيء نزلوا به ، فبعث إليهم بقرام عبداً له ، وقال له : أمجَل عليهم ،
 ففعل العبدُ ، فأعتقه لعجلته ، فقال القوم : ما ينبغي أن يسمى إلا العجلان ؛ فسمى
 بذلك ؛ فكان شرفاً لهم ، حتى قال النجاشي ، واسمه قيس بن عمرو بن حرن
 ابن الحارث بن كعب يهجوهم :

بنو العجلان
والنجاشي
الحارثي

أولئك أحوالُ اللَّعينِ وأسرَةُ السَّهجينِ ورهطُ الواهِنِ المتذللِ (٢)
 وما سُمِّي العَجَلانُ إلا لقوله خذِ القَعْبَ وأحلب أيها العبدوا أمجَل

فصار الرجل منهم إذا سئل عن نسبه قال : كعبى ، ويكنى عن العجلان
 وزعمت الرواة أن بنى العجلان استعدوا (٣) على النجاشي لما قال هذا الشعر .
 ابن الخطاب رضى الله عنه ، وقالوا : هَجَانَا ، قال : وما قال فيكم ؟ فأنشده قوله :

إذا اللهُ عادى أهلَ لؤمٍ وورقةٍ فعادى بنى العَجَلانِ رهطَ ابنِ مُقيلِ
 فقال : إنَّ الله لا يُعادى مسلماً ، قالوا : فقد قال :

قَبِيلَةٌ لا يَفْدِرُونَ بِدِمَّةٍ ولا يَظْمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ (٤)

- (١) العناج : جبل اللوزمام الناقة . والكرب أيضاً : من جبال الدلو ، والمراد
 أنهم إذا عقدوا عقداً ربطوه بحبل بعد جبل ، وهذا كناية عن وثاقة العهد
 (٢) الأسرة والرهط بمعنى القوم ، والهجين : غير الشريف ، والواهن : الضعيف
 (٣) استعانوا واستنصروا (٤) قبيلة تصغير : قبيلة ، وفي الأصل قبيلته وهو تحريف ؛
 والمعنى أنهم لا يقدرون لضعفهم على ظلم أحد .

فقال : وددت أن آل الخطاب كانوا كذلك ! قالوا : فقد قال :
 تَعَاثُ الْكِلَابُ الضَّارِيَاتُ لِحَوْمِهِمْ وَتَأْكُلُ مِنْ عَوْفِ بْنِ كَعْبِ بْنِ نَهْشَلٍ
 فقال : كفى ضياعاً من تأكل الكلابُ لحمه ! قالوا : فقد قال :
 وَلَا يَرِدُونَ الْمَاءَ إِلَّا عَشِيَةً إِذَا صَدَرَ الْوَرَادُ عَنْ كُلِّ مَهْلٍ ^(١)
 فقال : ذلك أصفى للماء ، وأقل للزحام ! قالوا : فقد قال :
 وَمَا سُمِّيَ الْعَجْلَانُ إِلَّا لِقَوْلِهِ خُذِ الْقَعْبَ وَاخْلُبْ أَيُّهَا الْعَبْدُ وَاعْجَلِ
 فقال : سيّد القوم خادِمهم ! .

وكان عمر رضى الله عنه أعلم بما في هذا الشعر، ولكنه درأ الحدود بالشبهات ^(٢)
 وهؤلاء بنو نمير بن عامر بن صعصعة من القوم أحد جمرات العرب
 وأشرف بيوت قيس بن عيلان بن مضر . وجمرات العرب ثلاثة ؛ وإنما سُموا
 بذلك لأنهم متوافرون في أنفسهم ، لم يدخلوا معهم غيرهم ؛ والتجدير في كلام العرب :
 التجميع ، وهم : بنو نمير بن عامر ، وبنو الحارث بن كعب ، وبنو ضبة بن أد . فطفئت
 جمرتان ، وهما بنو ضبة لأنها حالفت الرباب ، وبنو الحارث لأنها حالفت مذحج ، جمرات العرب
 وبقيت نمير لم تحالف ؛ فهي على كثرتها ومنعتها . وكان الرجل منهم إذا قيل له :
 ممن أنت ؟ قال : نميري كما ترى ! إيدلاً بنسبه ، وافتخاراً بمنصبه ، حتى قال جرير
 ابن [عطية بن] الخططي لعبيد بن حصين الراعي أحد بني نمير بن عامر :
 ففُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَفَبًا بَلَفَتَ وَلَا كِلَابًا
 كعب و كلاب : ابنا ربيعة بن عامر بن صعصعة ؛ فصار الرجل منهم إذا قيل له :
 ممن أنت ؟ يقول : عامري ، ويكنى عن نمير .

ومرّت امرأة بقوم من بني نمير، فأحدّوا النظر إليها، فقال منهم قائل : والله

(١) يريد أنهم لا يستطيعون ورود الماء إلا إذا انصرف عنه الناس — وذلك
 كناية عن ضعفهم وعدم قدرتهم على المزاومة للوصول إلى الماء (م)
 (٢) هذا الحديث رواه ابن رشيقي في العمدة بشيء من التفصيل فليراجع هناك .

إِنهَا لَرَشْحَاءٌ^(١)، فقالت : يا بنى نَمِيرَ، والله ما امتلتم فيّ واحدةً من اثنتين، لا قول
الله عز وجل : (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) ولا قول الشاعر :

* فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نَمِيرِ *

وسائر شريك بن عبد الله النُمَيْرِي يَزِيدَ بنِ عُمَرَ بنِ هُبَيْرَةَ الْفَزَارِي ، فَبَرَزَتْ
بغلة شريك^(٢) ، فقال له يزيد : غُضَّ من لجامها ، فقال : إنها مكتوبة أصلح الله
الأمير ! فضحك ، وقال : ما ذهبت حيث أردت
وإنما عرض بقوله : « غُضَّ من لجامها » بقول جرير :

* فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نَمِيرِ *

فَعَرَّضَ لَهُ شَرِيكَ بِقَوْلِ ابْنِ دَارَةَ :

لَا تَأْمَنَنَّ فَزَارِيًّا خَلَوْتَ بِهِ عَلَى قَلْوَصِكَ وَآكُتْبَهَا بِأَسْتِيَارِ^(٣)

و بنو فزارة يُرْمَوْنَ بِأَيْتَانِ الْإِبِلِ ، ولذلك قال الفرزدق ليزيد بن عبد الملك
لما ولي عمر بن هبيرة^(٤) العراق :

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَأَنْتَ مَرَّةٌ
أَوْلَيْتَ الْعِرَاقَ وَرَأْفِدِيَةَ
وَلَمْ يَكُ قَبْلَهَا رَاعِي مَخَاضٍ
أَمِينٌ نَسْتُ بِالطَّمِيحِ الْحَرِيصِ
فَزَارِيًّا أَحَدًا يَدِ الْقَمِيصِ^(٥)
لِيَأْمَنَهُ عَلَى وَرِكِي قَلْوَصِ^(٦)

(١) رشحاء : كثيرة العرق ، وذلك من عيوب النساء .

(٢) برزت : سبقت (٣) اكتبها : مأخوذ من الكتبة - بضم الكاف وسكون
التاء - وهو سير يكتب به حياء الناقة لئلا يترى عليها . وكتب الناقة يكتبها - بكسر التاء
وضمها في المضارع - حتم حياءها .

(٤) عمر بن هبيرة الفزاري : أمير من الدهاة الشجعان ، وولاه عمر بن عبدالعزيز
الجزيرة ، فأقام فيها إلى أن كانت خلافة يزيد بن عبد الملك ، فولاه إمارة العراق
وخراسان ، توفي نحو سنة ١٩٠ (٥) أخذ : مقطوع ، ومقطوع يد القميص كناية
عن السارق (٦) القلوص : الناقة ، والخوف على وركي الناقة كناية عن الخوف عليها
من أن يأتها الفزاري !

تَفِيهَقَ بِالْعِرَاقِ أَبُو الْمُثَنَّى وَعَلَّمَ قَوْمَهُ أَكْبَلَ الْخَيْصِ (١)

الرافدان : دجلة والفرات .

نميرى يجيب
جريراً

وقال بعض النميريين يجيبُ جريراً عن شِعْرِهِ :

نَمِيرٌ جَمْرَةُ الْعَرَبِ الَّتِي لَمْ تَزَلْ فِي الْحَرْبِ تَلْتَهَبُ التَّهَابَا
وَإِنِّي إِذْ أَسْبُ بِهَا كَلِيبًا فَتَحَتْ عَلَيْهِمُ لِلْخَسْفِ بَابَا
وَلَوْلَا أَنْ يُقَالَ هَجَانِمٌ رِأً وَلَمْ يَسْمَعْ لَشَاعِرِهِمْ جَوَابَا
رَغَبْنَا عَنْ هَجَاءِ بَنِي كَلِيبٍ وَكَيْفَ يُشَاتِمُ النَّاسُ الْكِلَابَا

فما نفع نميراً ، ولا ضرَّ جريراً ، بل كان كما قال الفرزدق :

مَا ضَرَّ تَغْلِبَ وَأَثَلِ أَهْجَوْتَهَا أَمْ بُلْتَ حَيْثُ تَنَاطَحَ الْبَحْرَانِ
وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مَنْذَرٍ مَوْلَى بَنِي صَبِيرٍ بِنِ بَرِ بَعِثَ فِي هَجَائِهِ لَثِيفٌ :
وَسَوْفَ يَزِيدُكُمْ ضَعْفًا هِجَاؤِي كَمَا وَضَعَ الْمُهْجَاءُ بَنِي نَمِيرٍ
وَسَمِعَ الرَّاعِي (٢) مَنشُودًا يَنْشُدُ :

وَعَاوُ عَوَى مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ رَمَيْتُهُ بِقَافِيَةٍ أَنْفَازُهَا تَقَطَّرَ الدَّمَا (٣)
خَرُوجٍ بِأَفْوَاهِ الرُّوَاةِ كَأَنَّهَا قَرَى هُنْدُوَانِي إِذَا هَزَّ صَمًّا (٤)

فارتاعله ، وقال : لمن هذا؟ قيل : لجرير ، قال : لعن الله من يلومني أن يغلبني مثل هذا!

فضل الشعر

وقد بنى الشعرُ لقوم بيوتاً شريفة ، وهدم لآخرين أبنية منيفة :

وما هو إلا القول يسرى فتغندى له غررٌ في أوجهٍ ومواسم (٥)

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي (٦) : سمعت أبا عمرو بن العلاء ورجل يقول :

- (١) تفهق : عاش عيشة الترف ، والخيص : طعام يعمل من التمر والسمن .
(٢) الراعي : هو عبيد بن حصين النميري ، شاعر خلف كان يفضل الفرزدق على جرير فهجاه جرير ، واستمر بينهما العداة . توفي نحو سنة ٩٠ .
(٣) أنفاذ : جمع نفذ بفتح نين ، وهو الشق تحذته الطعنة
(٤) الهندواني : السيف ، والقرى : الشق والصدع ، وصمم : أصاب المفصل وقطعه
(٥) مواسم : جمع ميسم ، وأصله من الوسم ، وأراد به الكي (م)
(٦) كان من أبصر الناس بعلوم اللغة العربية توفي سنة ٣٠٩

إنما الشعر كاليسم^(١). فقال: وكيف يكون ذلك كذلك؟ واليسم يذهب بذهاب الجلد
ويُدْرَس مع طول العهد، والشعر يبقى على الأبناء بعد الآباء، ما بقيت الأرض والسماء!
وإلى هذا نحا الطائي في قوله :

وَأنى رأيتُ الوَسْمَ في خُلُقِ الفتى هو الوَسْمُ لا ما كان في الشَّعرِ والجلدِ
وقال عمر رحة الله عليه : تعاموا الشعر؛ فإن فيه محاسنٌ تُبْنِغى ، ومساوىءٌ تُتَّقَى .
وقال أبو تمام :

إنَّ القوافيَ والمِساءىَ لم تَزَلْ مثلَ النَّظامِ إذا أَصابَ فَرِيدا
هِيَ جَوْهرٌ نَشْرٌ فإن أَلْقَتْهُ في الشَّعرِ كان قلائِداً وَعُقُودا
من أجل ذلك كانت العربُ الألى يدعونَ هذا سُودَداً مَجْدُودا
وتندُّ عندهمُ العِلاَّ إلا إذا جُعِلَتْ لها مِرْرُ القَصيدِ قُبُودا^(٢)
وقال على بن الرومي :

أرى الشعر يُحْيِي النَّاسَ وَالْمَجْدَ بِالَّذِي تَبْقِيهِ أَرْوَاحُهُ لَهُ عَطْرَاتُ
 وَمَا الْمَجْدُ لَوْلَا الشُّعْرُ إِلَّا مَعَاهِدٌ وَمَا النَّاسُ إِلَّا أَعْظَمُ نَخْرَاتٍ (٣)
 [شذور من كلام الرسول]

رجعت إلى ما قطعت ، مما هو أحق وأولى ، وأجل وأعلى ، وهو كلامُ رسول الله
 صلى الله عليه وسلم الكريم النَّجْرِي (٤) ، العظيم القَدْر ، الذي هو النهاية في البيان ،
 والغاية في البرهان ، المشتمل على جوامع الكلم ، وبدائع الحكيم ، وقد قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم : أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ بَيْدَ أُنَى مِنْ قَرِيْشٍ ، واسترضعت في سعد
 ابن بكر! وليس بعضُ كلامه بأولى من بعض بالاختيار ، ولا أحقَّ بالتقديم والإيثار ؛
 ولكني أورد ما تيسر منه في أول هذا الكتاب استفتاحاً ، وتيمناً بذلك واستنجاحاً .

(١) الميسم : الكوواة . (٢) المرر : جمع مرة - بكسر الميم - وهي إحكام القتل ،
 وتند : تنفر وتشرذ . (٣) معاهد : أراد الأطلال الدارسة ، والمقصود أن المجد
 يفتي ويبيى بلاء الأطلال ما لم يدعمه الشعر . (٤) النجر : الأصل .

وهذه شذوْرٌ من قوله صلى الله عليه وسلم الصريح الفصيح ، العزيز الوَجيز ،
المتضمن بقليلٍ من المباني كثيرَ المعاني :

قوله للأَنصار : إنكم لتَقلُّون عند الطمع ، وتَكثرُون عند الفَرَغ .

وقوله عليه الصلاة والسلام : المسلمون تنكأفُ دماؤُهُم ، ويسعى بذمتهم
أَدْنَاهُمْ ، وهم يدٌ على مَنْ سِوَاهُمْ . الناسُ كإبلٍ مائةٌ لا تجدُ فيها راحلةً . إياكم وخَضراءُ
الدِّمَنِ ^(١) . كلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا ^(٢) . قاله لأبي سُفيانٍ صخر بن حرب .
الناسُ معادن ، خيارُهُم في الجاهلية خيارُهُم في الإسلام إذا فقهوا . المؤمن للمؤمن
كالبنيان يشدُّ بعضُهُ بعضاً . أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم . المتشعب بما
لم يُعطَ كلابس ثوبَي زورٍ . المرأة كالضلع إن رُميت قوامها كسرتُها ^(٣) ، وإن
دَارَتِهَا استمتعت بها . اليدُ العليا خيرٌ من اليد السفلى . مَطْلُ الْغَنِيِّ ظَلَمٌ .
يدُ الله مع الجماعة . الحياة شُعبَةٌ من الإيمان . مثلُ أبي بكرٍ كالقَطْر ، أينما وقع
نَفَع . لا تجعلون في أعجازِ كتبكم كقدحِ الرَّاكِبِ ^(٤) . أربعةٌ من كنوز الجنة :
كتمان الصَّدقة والمرضى والمصيبة والفاقة . جنة الرجل دارُهُ . الناسُ نيام فإذا
ماتوا انتَبهوا . كفى بالسلامة داءً . إنكم لن تَسْعُوا الناسَ بأموالكم ، فَسَعَوْهم
بأخلاقكم . ما قلَّ وكفى خيرٌ مما كثر وألهى . كلُّ مُيَسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ .
اليمين حِنْثٌ أو مَنْدَمَةٌ ^(٥) . دَعِ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ . أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَلَمًا كَانَ

(١) الدمن: جمع دمنة ، وهي مربيط الإبل والحيل ينبت فيها النبات فيكون رائحة
الخضرة لكثرة الماء والسماد ، وخضراء الدمن : كناية عن المرأة الوسيمة تدرج من
بيت السوء .

(٢) الفرا : حمار الوحش ، (كل الصيد في جوف الفرا) مثل ، ومعناه أن من
قال الأمر العظيم كان خليفاً أن ينسى ما سواه مما ينال الناس .

(٣) القوام بالكسر : التقويم (٤) الأعجاز : الأواخر

(٥) الحنث بكسر الحاء : الذنب ، والمعنى أنك حين تقسم تقع بين الذنب والندم

أو مظلوماً . احترسوا من الناس بسوء الظن . الندم توبة . انتظار الفرج عبادة . نعم صومعة الرجل بيته . المستشار معان والمستشار مؤتمن . المرء كثير بأخيه . إن للقلوب صدأ كصدأ الحديد وجلاؤها الاستغفار . اليوم الرهان وغداً السباق ، والجنة الغاية . كل من في الدنيا ضيف ، وما في يديه عارية ، والضيف مرمحل ، والعارية مؤداة .

ومن جوامع كده عليه الصلاة والسلام مارواه أهل الصحيح عن علقمة بن وقاص الليثي عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

قال أبو القاسم حمزة بن محمد الكنانى : سمعت أهل العلم يقولون : هذا الحديث ثلث الإسلام ، والثلث الثانى ما رواه النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الحلال بين ، والحرام بين ، وبينهما أمور مشتهيات ، فمن تركها كان أوفى لدينه وعرضه ، ومن واقعها كان كالرابع حول الحمى ؛ ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه » (١) .

قال : و [الثلث] الثالث ما رواه مالك [عن] ابن شهاب عن على ابن حسين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » .

(٢) الحمى : الشيء المحمى المنوع ، والمحارم : جمع محرم بمعنى الحرام ، يعنى أن المحرمات التى نهى الله ورسوله عنها تشبه الحمى ، فكما أنه لا يجرؤ أحد على الاقتراب مما يحميه الملوك ينبغى ألا يقرب أحد شيئاً مما حرمه الله ، وفي رواية « فمن تركها فقد استوثق لدينه وعرضه » (م)

وقد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعرَ وأثابَ عليه ، وندبَ
 حسانَ بنَ ثابتٍ إليه ^(١)، وقال : إن الله ليؤيده بروح القدس مانافع عن نبيه ^(٢) .
 ولما انتهى شعرُ أبي سفيانَ بنِ الحارثِ بن عبد المطلبِ إلى النبي صلى الله
 عليه وسلم شقَّ عليه ^(٣) فدعا عبدَ الله بنَ رِوَاحَةَ ^(٤) فاستنشدهُ فأنشده فقال : أنتَ
 شاعرٌ كريمٌ ، ثم دعا كعبَ بنَ مالكٍ فاستنشده فأنشده ، فقال : أنتَ تُحسِنُ صِفَةَ
 الحربِ ، ثم دعا بحسانَ بنِ ثابتٍ فقال : أجبْ عني ، فأخرجَ لسانه فضربَ به
 أُرْنَبَتَهُ ^(٥) ؛ ثم قال : والذي بعثك بالحق ما أحبُّ أن لي به مقولاً في بعدِّ ؛
 ولو أن لسانا فرى الشعرَ لفرَّاه ^(٦) . ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
 يمسَّ من أبي سفيانٍ ، فقال : وكيف ، وبينى وبينه الرِّحِمُ التي قد علمت ؟ فقال :
 أسلُّك منه كما تُسلُّ الشعرةُ من العجين ! فقال : اذهب إلى أبي بكرٍ ، وكان أعلمَ
 الناسَ بأَنسابِ قريشٍ ، وسائرِ العربِ ، وعنه أخذَ جُبَيْرُ بنُ مُطْعِمٍ علمَ النسبِ ،
 ففضى حسانُ إليه فذكر له معايبهُ ، فقال حسانُ بنُ ثابتٍ :

وإن سَنَامَ الْمَجْدِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
 وَمَنْ وَلَدَتْ أَبْنَاءَ زُهْرَةَ مِنْهُمْ
 وَلَسْتَ كَعَبَّاسٍ وَلَا كَابْنِ أُمِّهِ
 وَإِنَّ امْرَأً كَانَتْ سُمِّيَةَ أُمَّهُ
 وَأَنْتَ زَيْنِيمٌ نَيْطٌ فِي آلِ هَاشِمٍ

بنو بنت مخزوم ووالدك العبدُ
 كرامٌ، ولم يقرب عَجَائِزِكَ الْمَجْدُ (٧)
 ولكن كُتَيْمٌ لا يقوم له زَنْدٌ (٨)
 وسَمْرَاءُ مغموزٌ إذا بلغَ الْجَهْدُ (٩)
 كما نَيْطُ خَلْفِ الرَّأبِ الْقَدْحُ الْفَرْدُ (١٠)

- (١) ندب : دعا (٢) نافع : دافع (٣) شق عليه : عظم عليه (٤) عبد الله بن رواحة : صحابي يعد في الأمراء والشعراء الراجزين ، كان يكتب في الجاهلية ، شهد العقبة وبدرا وأحدا . واستخلفه النبي على المدينة في إحدى غزواته . توفي سنة ٨ .
- (٥) الأرنبة : طرف الأنف (٦) يفرى الشعر : يحوه ، ومحو الشعر : كناية عن غاية الإيذاء (٧) العجائز : جمع عجوز (٨) الزند : موصل طرف الذراع في السكف (٩) الجهد : التعب . وبلوغه : شدته ، وهذا كناية عن السعي للجد ، والمغموز : الحامل (١٠) زعيم : دعى معلق بمن ليس منه ، ونيط بكسر النون : علق

فلما بلغ هذا الشعر أباسفيان قال : هذا كلامٌ لم يَنْبِ عنه ابنُ أبي قحافة^(١)
يعنى بنى بنت مخزوم عبد الله وأباطالب والزبير بنى عبد المطلب بن هاشم [بن
عبد مناف] ، أمُّهم فاطمة بنت عمرو بن عائد بن عمران بن مخزوم ، وأخواتهم
برّة وأميمة والبيضاء ، وهى أم حكيم ، والبيضاء جدّة عثمان بن عفان أم أمه .
وقوله : « ومن ولدت أبناء زهرة منهم كرام » يعنى أميمة وصفية أم الزبير بن
العوام أمها هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة
وقوله : « ولست كعباس ولا كإبن أمه » أمّ العباس : ثبيلة امرأة من النمر
ابن قاسط ، وأخوه لأمه ضرار بن عبد المطلب
وقوله : « وإن امرأ كانت سمية أمه » سمية أم أبي سفيان ، وسمراء : أم أبيه ،
وليس هذا موضع إطناب فى رفع الأنساب .
وكان عبد الأعلى بن عبد الرحمن الأموى عتبّ على بعض ولد الحارث ،
فقال له مُعَرِّضاً بما قال حسان :

إِخَالٌ بِالْعَمِّ وَبِالْجَدِّ مَفْتَخِرًا بِالْقَدَحِ الْفَرْدِ^(٢)
الْتِهَجٌ بِحَسَّانٍ وَأَشْعَارِهِ فَإِنهَا أَدْعَى إِلَى الْمَجْدِ
لَوْلَا سَيْوْفُ الْأَزْدِ لَمْ تَوْثَمُوا وَلَمْ تَقِيمُوا سُورَةَ الْحَمْدِ
فَتَوَعَّدُوهُ ، فَخَافَهُمْ ، فَقَالَ :

بَنِي هَاشِمٍ عَفَوْا عَنَّا اللَّهُ عَنكُمْ وَإِن كَانَ ثَوْبِي حَشَوُ ثَنِيهِ مُجْرِمِ^(٣)
لَكُمْ حَرَمُ الرَّحْمَنِ وَالْبَيْتِ وَالصَّفَا وَجَمَعٌ وَمَاضِمٌ الْخَطِيمِ وَزَمَزَمُ
فَإِن قَلَسْتُمْ بَادَهْتَنَا بِعَظِيمَةٍ فَأَحْلَامُكُمْ مِنْهَا أَجْلٌ وَأَعْظَمُ

(١) ابن أبي قحافة : هو أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه (م)

(٢) إخال - بكسر الهمزة - أظن ، والمعنى : أظنك مفتخراً بالقدر الفرد

(٣) حشو ثنيه : أراد لابس ثوبه ، كناية عن نفسه ، وهذا مثل قولهم «المجدين

رديه ، والوجود حشو ثوبه » ونحو ذلك (م)

وأسلم أبو سفيان - رحمه الله ! - وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم حُنينٍ ،
 وكان ممسكاً بَعَلْتَهُ حين فرَّ الناس ، وهو أحد الذين ثبتوا ، وهم - على ما ذكره
 أبو محمد عبد الملك بن هشام - أبو بكر ، وعمر ، وعلي ، والعباس ، وأبو سفيان
 ابن الحارث ، وابنه الفضل ، وربيعة بن الحارث ، وأسامة بن زيد ، وأيمن بن أم
 أيمن بن عبيد قتل يومئذ ، وبعضُ الناس يعدُّ فيهم قُتمَ بن العباس ، ولا يعدُّ
 أباسفيان ، وكان أبو سفيان من أشعر قريش ، وهو القائل :

لَقَدْ عَلِمَتِ قُرَيْشٌ غَيْرَ فَيْحَرٍ بَأَنَا تَحْنُ أَجُودُهُمْ حِصَانًا
 وَأَكْثَرُهُمْ ذُرُوعًا سَابِغَاتٍ وَأَمْضَاهُمْ إِذَا طَعَنُوا سِنَانًا^(١)
 وَأَدْفَعُهُمْ عَنِ الضَّرَاءِ عَنْهُمْ وَأَبْيَنُهُمْ إِذَا نَطَقُوا لِسَانًا

ويروى أن ابن سيرين قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفره
 قد شئق ناقته بزمامها حتى وضعت رأسها عند مقدمة الرجل إذ قال : يا كعبُ
 ابن مالك : اُحْدِ بِنَا ! فقال كعب :

قَضِينَا مِنْ تِهَامَةٍ كُلِّ حَقٍّ وَخَيْرٍ ثُمَّ أَجْمَعْنَا السُّيُوفَ^(٢)
 نَحْيِرُهَا وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ قَوَاطِمُنَّ : دَوْسًا أَوْ تَقِيْفًا

فقال عليه السلام : والذي نفسي بيده لهي أشدُّ عليهم من رَشَقِ التَّبَلِ !
 ويقال : إن دَوْسًا أسلمت فرَقًا^(٣) من كَلَةِ كَعْبِ هَذِهِ^(٤) ، وقالوا : اذهبوا فخذوا
 لأنفسكم الأمان من قبل أن ينزل بكم ما نزل بغيركم !

وقتل النبي صلى الله عليه وسلم النضر بن الحارث ، وكان ممن أُسِرَ يوم بدر ،
 النضر
 ابن الحارث

(١) سابغات : طويلة ضافية (٢) أجمنا : أرحنا (٣) فرقا : خوفا (٤) كان
 كعب بن مالك جيد الشعر ، حتى قال روح بن زنباع : أشجع بيت وصف به رجل
 ومه قول كعب :

نصل السيوف إذا قصرن بخطونا يوما ، ونلحقها إذا لم تلحق
 وكانت وفاته سنة ٥٥

وكان شديد العداوة لله ولرسوله، وقتله على بن أبي طالب رضى الله عنه صبراً^(١)
فعرضت النبي صلى الله عليه وسلم أخته قتيلة بنت الحارث - وفي بعض الروايات
أن قتيلة أتته فأشدته :

يا راكباً إن الأثيل مظنة	من صبح غادية وأنت موفق ^(٢)
أبلغ بها ميتاً بأن حمية	ما إن تزال بها النجائب تغنق ^(٣)
مني إليه وعبرة مسفوحة	جادت بواكفها وأخرى تخنق ^(٤)
هل يسمعي النضر إن ناديته	إن كان يسمع ميت لا ينطق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه	لله أرحام هناك تشنق ^(٥)
قسراً يقاد إلى المنية متعباً	رسف المقيد وهو عان موثق ^(٦)
أحمدت ها أنت صنو كريمة	في قومها والفحل فحل معرق ^(٧)
ما كان ضرك لو منبت وربما	من القتي وهو المغيظ المحنق ^(٨)
فالنضر أقرب من قتلت قرابة	وأحتم إن كان عتي يغنق
أو كنت قابل فدية فليقدن	بأعز ما يغلي به من يننق

فذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رقق لها ودمعت عيناه ، وقال
لأبي بكر : لو كنت سمعت شعرها ما قتلته .

والنضر هذا هو النضر بن الحارث بن علقمة بن كلابة بن عبد مناف بن
عبد الدار^(٩) . قال الزبير بن بكار^(١٠) : وسمعت بعض أهل العلم يغمز في أبيات
قتيلة بنت الحارث ويقول : إنها مصنوعة .

(١) صبراً : حبساً (٢) الأثيل : موضع بعينه قتل فيه النضر (م) (٣) تغنق : من
العنق ، بفتحين ، وهو السير الحثيث (٤) الواكف : الدائم الجريان (٥) تنوشه : تناله
بالطعن (٦) قسراً : قهراً ، والرسف : مشى المقيد ، عان : أسير ، موثق : مقيد (٧) يروي
«ولأنت ضنء» وصنو : ابن ، معرق : أصيل (٨) من : صفع ، والمحنق : المملوء بالغيط .
(٩) كان النضر حامل لواء المشركين بيد فأسره المسلمون وقتلوه بعد انصرافهم
من الواقعة (١٠) ولد الزبير بن بكار بالمدينة وولى قضاء مكة فتوفي فيها سنة ٢٥٦

رثاؤه
لرسول الله
صلى الله عليه
وسلم

[من كلام أبي بكر رضى الله تعالى عنه]

ودخل أبو بكر الصديق رضوان الله عليه ، على النبي عليه الصلاة والسلام وهو مُسَجَّى بِثَوْبٍ^(١) ، فكشَفَ عنه الثوبَ وقال : يَا أَبَى أَنْتَ وَأُمَى ! طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا ، وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموتِ أحدٍ من الأنبياء من النبوة ، فعظمت عن الصفة ، وجَلَّتْ عن البكاء ، وَخَصَّصْتُ حَتَّى صرْتَ مَسَلَاةً ، وَعَمَمْتَ حَتَّى صِرْنَا فِيكَ سَوَاءً . ولولا أن موتك كان اختياراً منك لجدنا لموتك بالنفوس ولولا أنك نهيت عن البكاء لأنفدنا عليك ماء الشؤون^(٢) . فأما ما لا نستطيع نفيه عنَّا فكذبٌ وإذناف^(٣) يتحالفان ولا يبرحان . اللهم فأبلغه عنا السلام ، أذكرنا يا محمد عند ربك ، ولنكن من بالك ؛ فلو لا ما خلفت من السكينة لم نُقِمَ لما خلفت من الوحشة ؛ اللهم أبلغ نبيك عنا واحفظه فينا ، ثم خرج .

قوله رضى الله عنه : « لولا أن موتك كان اختياراً منك » إنَّما يزيد قولَ النبي صلى الله عليه وسلم : لم يُقبَضْ نبيٌّ حَتَّى يَرَى مقعده من الجنة ثم يُخَبَّرُ . قالت عائشة رضى الله عنها : سمعتهُ وقد شخَصَ بصره وهو يقول : فى الرفيق الأعلى ! فعلمت أنه خيرٌ ، فقلت : لا يختارنا إذن ، وقلت : هو الذى كان يحدتنا . وهو صحيح . وكان أبو بكر لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أرضه بالسَّنْحِ^(٤) فتواترت إليه الرسلُ ، فأنى وقد ذهل الناس ، فكأوا كالخرس ، وتفرقت أحوالهم ، واضطربت أمورهم ، فكذب بعضهم بموته ، وصمَّت آخرون ، فما تكلموا إلا بعد [التغير] ، وخالط آخرون فلائوا^(٥) الكلامَ بغير بيان ، وحق لهم ذلك للرزية

(١) مسجى : مغطى (٢) الشؤون : عروق الدمع (٣) الإذناف : المرض الثقيل

(٤) السَّنْحُ - بضم السين وسكون النون - مومض قرب المدينة ، وكان به منزل أبي بكر

رضى الله عنه .

(٥) لائوا : خلطوا .

العظمى ، والمصيبة الكبرى ، التي هي بيضة العقر^(١) ، وبيضة الدهر ، ومدى المصائب ، ومنتهى النوائب ، فكل مصيبة بعدها جَلَلٌ عندها^(٢) ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : لَتُعَزَّ المسلمون في مصائبهم المصيبةُ بي .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه من كذَّب بموته ، وقال : ما مات ، وليرجعته الله ، فليقطعنَّ أيديَ المنافقين وأرجلهم ، يتمنون لرسول الله صلى الله عليه وسلم الموت ؛ وإنما واعدته ربه كما واعد موسى ، وهو يأتيكم .
وأما عثمان رضى الله عنه فكان ممن أخرس ؛ فجعل لا يكلم أحداً ، فيؤخذ بيده ويُجاء به فينقاد .

حال الصحابة
عند ما بلغهم
موت الرسول

وأما على رضى الله عنه فلبط بالأرض^(٣) فتعد ولم يبرح البيت حتى دخل أبو بكر ، وهو في ذلك جلد العقل والمقالة^(٤) ، فأكبَّ عليه ، وكشف عن وجهه ومسح به ، وقبل جبينه ، وبكى بكاء شديداً ، وقال الكلام الذى قدمته . ولما خرج إلى الناس وهم في شديد غمراتهم ، وعظيم سكراتهم ، قام فخطب خطبة جُلها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، قال فيها : أشهد أن لا إله إلا الله وحده وأن الدين كما شرع ، وأن الحديث كما حدث ، وأن القول كما قال ، وأن الله هو

خطبة أبي بكر
يوم موت
الرسول

(١) بيضة العقر : مثل للحادث الذى يسدر أن يتكرر ، وهى فى الأصل بيضة الدجاجة التى لا تبيض بعدها ، والذى فى الأصل «بيضة العصر» وهو تحريف .
(٢) جَلَلٌ : من أسماء الأضداد ، ويطلق على الأمر العظيم كما يطلق على الأمر الصغير ، ومن أمثلة إطلاقه على الأمر الخطير قول الشاعر :

قوى هم قتلوا أميم أخى فإذا رميت بصيبنى سهمى
فلئن عفوت لأعفون جلالاً ولئن ضربت لأوهن عظمى

والمراد هنا المعنى الثانى ، وهى الحقير من الأمور ؛ لأنه يقصد أن كل مصيبة تهون وتحقق بعد المصيبة الكبرى بموت الرسول (م) .

(٣) لبط بالأرض ، ولبط به : سقط من قيام كأنما صرع . والعبارة الثانية بصيغة المفعول (٤) جلد : ثابت .

الحقّ المبين . في كلام طويل ، ثم قال : أيها الناس ؛ مَنْ كان يعبد محمداً فإنّ محمداً قد مات ، ومن كان يعبدُ الله فإنّ الله حيٌّ لا يموت ، وإن الله قد تقدّم إليكم في أمره ، فلا تدعوه جزعاً ، وإن الله قد اختار لنبيه ما عنده على ما عندكم ، وقبضه إلى ثوابه ، وخلف فيكم كتابه ، وسنة نبيه ، فمن أخذ بهما عرّف ، ومن فرّق بينهما أنكر ؛ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ، وَلَا يَشْفَلَنَّ كُفْرُ الشَّيْطَانِ بِمَوْتِ نَبِيِّكُمْ ، وَيَفْتَنَنَّكُمْ عَنْ دِينِكُمْ ؛ فعاجلوه بالذي تعجزونه ، ولا تستنظروه فيلحق بكم .

فلما فرغ من خطبته قال : يا عمر! بلغني أنك تقول مامات نبيّ الله ، أما علمت أنه قال في يوم كذا وكذا ، وفي يوم كذا وكذا : قال الله تبارك وتعالى : (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) ؟ فقال عمر : والله لكأني لم أسمع بها في كتاب الله قبل ؛ لما نزل بنا ، أشهد أن الكتابَ كما نزل ، وأن الحديثَ كما حدث ، وأن الله حيٌّ لا يموت ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ! ثم جلس إلى جنب أبي بكر رحمه الله . قالت عائشة رضوان الله عليها : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم نجّم النفاق ^(١) ، وارتدّت العرب ، وكان المسلمون كالغنم الشاردة ، في الليلة الماطرة ، فحمل أبي مالو حملته الجبال لهاضها ^(٢) فوالله إن اختلفوا في معظم إلا ذهب بحظه ورشده ، وغنائته ، وكنتُ إذا نظرتُ إلى عمر علمتُ أنه إنما خلقَ للإسلام ، فكان والله أحوذياً نسيجَ وَحْدِهِ ^(٣) ، قد أعدّ للأموار أقرانها .

وحدث أبو بكر بن دريد عن عبد الأول بن يزيد قال : حدثني رجل في مجلس يزيد بن هارون ^(٤) بالبصرة قال : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم رثاء فاطمة الزهراء لأبيها رسول الله

(١) نجيم : نشأ (٢) هاضها : دكها وحطمها (٣) أحوذي : حاذق قاهر للأموار لا يشد عليه شيء - ونسيج وحده : لا نظيره ، كأنما نسج على نول لم ينسج عليه سواه (م)
(٤) يزيد بن هارون : من حفاظ الحديث الثقات ، كان يهاجبه المأمون توفى بواسط في سنة ٢٠٦

دُفِنَ ورجع المهاجرون والأنصار إلى رحلهم ، ورجعت فاطمة إلى بيتها ؛ فاجتمع إليها نساؤها ، فقالت :

أَغْبَرَتْ آفَاقُ السَّمَاءِ ، وَكَوَّرَتْ شَمْسُ النَّهَارِ ، وَأَظْلَمَ الْعَصْرَانُ (١)
فَالْأَرْضُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ كَثِيبَةٌ أَسْفًا عَلَيْهِ كَثِيرَةُ الرَّجْفَانِ (٢)
فَلِيَبِيكِهِ شَرْقُ الْبِلَادِ وَعَرْبُهَا وَلِيَبِيكَه مَضْرٌّ وَكُلَّ يَمَانِ
وَلِيَبِيكَه الطُّورُ الْمُعْظَمُ جَوْهُ وَالْبَيْتُ ذُو الْأُسْتَارِ وَالْأَرْكَانِ
يَا خَاتِمَ الرِّسْلِ الْمُبَارِكِ ضَوْءُهُ صَلَّى عَلَيْكَ مِنْزَلُ الْفُرْقَانِ (٣)

وكان أبو بكر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ! - إذا أُثْنِيَ عَلَيْهِ يقول: اللهم أنت أعلم بي من نفسي ، وأنا أعلم بنفسى منهم ، فاجعلنى خيراً مما يَحْتَسِبُونَ ، واغفر لى برحمتك مالا يعلمون ، ولا تَوَاخِذْنِي بما يَقُولُونَ .

عود إلى المختار
من كلام أبي بكر

وقال رحمه الله في بعض خطبه : إنكم في مهمل ، من ورائه أجل ، فبادروا في مهل آجالكم ، قبل أن تنقطع آمالكم ، فتدركم إلى سوء أعمالكم .
وذكر أبو بكر الملوك فقال : إن الملك إذا ملك زهدَهُ اللهُ في ماله ، ورغبه في مالٍ غيره ، وأشرب قلبه الإشفاق ؛ فهو يسخط على الكثير ، ويحسد على القليل ، جذلُ الظاهر ، حزينُ الباطن ، حتى إذا وَجِبَتْ نفسه ، وَنَصَبَ عمره ، وَضَحَا ظله (٤) حاسبَهُ فأشدَّ حسابَهُ وأقلَّ عفوهُ .

وذكر أنه وصل إلى أبي بكر مالٌ من البحرين ، فسأوى فيه بين الناس ، ففضبت الأنصار ، وقالوا له : فضلنا ! فقال أبو بكر : صدقتم ، إن أردتم أن أفضلكم صار ما عملتموه للدنيا ، وإن صبرتم كان ذلك لله عز وجل ! فقالوا : والله ما عملنا إلا لله تعالى ، وانصرفوا ؛ فرقى أبو بكر المنبر ، فميد الله ، وأثنى

(١) كورت : سقطت (٢) الرجفان : الاضطراب (٣) في نسخة « المبارك ضؤوه »
أي الذي بارك الله نسله (م) والظاهر أن هذه الأبيات مصنوعة (٤) وجبت نفسه : فاضت روحه ، ونضب : نفذ - وضحا ظله : كناية عن أنه مات (م)

عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ثم قال : يا معشر الأنصار ؛ إن شئتم أن تقولوا : إِنَّا آوَيْنَاكُمْ فِي ظِلَالِنَا ، وشاطرناكم في أموالنا (١) ، ونصرناكم بأنفسنا لقلتم ، وإن لكم من الفضل ما لا يُحصيه العدد ، وإن طال به الأمد ، فنحن وأتم كما قال طفيل الغنوى (٢) :

جزى الله عنا جعفرًا حين أزلت بنا نعلنا في الواطنين فزلت (٣)
أبوا أن يملؤنا ولو أن أمنّا تلاقى الذي يلقون منا أملت (٤)
هم أسكنونا في ظلال بيوتهم ظلال بيوت أدفات وأظلت

فقر من كلامه رضى الله عنه : صنائع المعروف تقي مصارع السوء . الموت أهون مما بعده ، وأشد مما قبله . ليست مع العزاء مصيبة ، ولا مع الجزع فائدة . ثلاث من كن فيه كن عليه : البغي ، والنكث ، والمكر . إن الله قرن وعده بوعيده ؛ ليكون العبد راغباً وراهباً .

ولما توفى رضى الله عنه وقفت عائشة على قبره ؛ فقالت : نصر الله وجهك يا أبت ، وشكر لك صالح سعيك ، فلقد كنت للدينا مُدلاً بإدبارك عنها ، وللآخرة معزاً بإقبالك عليها ، ولن كان أجلّ الحوادث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رزؤك ، وأعظم المصائب بعده فقدك ، إن كتاب الله ليعيد بحسن الصبر عنك حسن العوض منك ، وأنا أستنجز موعود الله تعالى بالصبر فيك ، وأستقضىه بالاستغفار لك ، أما لن كانوا قاموا بأمر الدنيا فلقد قت بأمر الدين لما وهى شعبه (٥) وتفاقم صدعه (٦) ، ورجفت جوانبه (٧) ؛ فليكن

رثاء عائشة
أم المؤمنين
لأبيها الصديق

(١) آويناكم في ظلالنا : جعلناها لكم مأوى ، وشاطرناكم أموالنا : قاسمناكم فيها فأعطيناكم شطرها : أى نصفها (٢) (٣) شاعر جاهلى من الشجعان ، كان من أوصف الشعراء للخيل ، عاشر النابغة الجعدي وزهير بن أبي سلمى ، ومات نحو سنة ١٣ ق هـ (٣) زلت : سقطت (٤) هذا البيت غاية الغايات في وصف المواساة والبر الموصول (٥) وهى شعبه : تفرق شمله ، قال الطرماح * شت شعب الحى بعد التمام * (٦) تفاقم صدعه : اتسع كسره ، والصدع في الأصل : كسر الزجاجية (٧) رجفت : اضطربت

سلام الله توديع غير قالية لحياتك ، ولا زارية على القضاء فيك^(١)
 وقال أبو بكر ليلال لما قُتل أمية بن خلف وقد كان يسومه سوء العذاب
 بمكة فيخرجه إلى الرّمضاء^(٢) ، فيلقى عليه الصخرة العظيمة ليفارق دين الإسلام
 فيعصمه الله من ذلك :

هَيْبَتًا زَادَكَ الرَّحْمَنُ خَيْرًا قَدْ أَدْرَكْتَ تَارِكَ يَا بِلَالُ
 فَلَا نَكْسًا وَجِدْتَ وَلَا جَبَانًا غَدَاةَ تَنْوُشُكَ الْأَسَلِ الطَّوَالُ^(٣)
 إِذَا هَابَ الرَّجَالُ ثَبَّتَ حَتَّى تَخْلُطُ أَنْتَ مَا هَابَ الرَّجَالُ
 عَلَى مَضُضِ النَّكْلُومِ بِمَشْرِفِيٍّ جَلًّا أَطْرَافَ مَتْنِيهِ الصَّقَالُ^(٤)
 [من كلام عمر]

وكتب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه ! - إلى ابنه عبد الله :
 أما بعد ؛ فإنه من اتقى الله وقاه ، ومن توكل عليه كفاه ، ومن شكر له
 زاده ، ومن أقرضه جزاه ؛ فاجعل التقوى عماد قلبك ، وجلاء بصرك ، فإنه
 لا عمل لمن لا نية له ، ولا أجر لمن لا خشية له ، ولا جديد لمن لا خلق له .
 ودخل عدى بن حاتم على عمر ، فسلم وعمر مشغول ، فقال : يا أمير المؤمنين !
 أنا عدى بن حاتم ؛ فقال : ما أعرفني بك ! أمنت إذ كفروا ، ووفيت إذ غدرؤا ،
 وعرفت إذ أنكروا ، وأقبلت إذ أدبرؤا !

من عمر إلى
 ابنه عبد الله

بين عمر وعدى
 ابن حاتم الطائي

وقال رجل لعمر : من السيد ؟ قال : الجواد حين يُسأل ، الحلیم حين
 يُستجبل ، الكريم المجالس لمن جالسه . الحسن الخلق لمن جاوره .
 وقال رضي الله عنه : ما كانت الدنيا همّ رجلٍ قطُّ إلا لزم قلبه أربع خصال :

عمر يصف
 السيد

(١) زارية : عابئة (٢) الرّمضاء : هي الحجارة التي اشتد عليها وقع الشمس
 فحيت ، قال الشاعر :

السَّجِيرَ بِعَمْرٍو عِنْدَ كَرْبَتِهِ كَلِمَتِجِيرٍ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ
 (٣) النكس : الرذل ، والأسل : الرماح (٤) الكلوم : الجروح ، والشرفي : السيف

فَقَرُّ لَا يُدْرِكُ غِنَاهُ ، وَهُمْ لَا يَنْقُضِي مَدَّاهُ ، وَشُغْلٌ لَا يَنْفَعُهُ أَوْلَاهُ ، وَأَمَلٌ لَا يَبْلُغُ مِنْتَهَا .

فصول قصار من كلامه رضى الله عنه

مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَ الْخِيَارُ فِي يَدِهِ . أَشَقَى الْوَلَاةَ مَنْ شَقِيَتْ بِهِ رِعْيَتُهُ .
أَعْقَلُ النَّاسِ أَعْذَرُهُمُ لِلنَّاسِ . مَا الْخَرِصُ فَآ^(١) بَأَذْهَبَ لِعُقُولِ الرِّجَالِ مِنَ الطَّمَعِ .
لَا يَكُنْ حُبُّكَ كَلْفًا ، وَلَا بُغْضُكَ تَلْفًا . مُرْذِي القَرَابَاتِ أَنْ يَتَزَاوَرُوا ، وَلَا
يَتَجَاوَرُوا . قَلَّمَا أُدْبِرَ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ . أَشْكُو إِلَى اللَّهِ ضَعْفَ الْأَمِينِ ، وَخِيَانَةَ الْقَوِيِّ
تَكْثُرُوا مِنَ الْعِيَالِ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ بِمَنْ تُرْزَقُونَ . لَوْ أَنَّ الشُّكْرَ وَالصَّبْرَ
بَعِيرَانِ مَا بَالَيْتَ أَيُّهُمَا أَرْكَبُ . مَنْ لَا يَعْرِفُ الشَّرَّ كَانَ أَجْدَرَ أَنْ يَقَعَ فِيهِ .

وقال معاوية بن أبي سفيان لصعصعة بن صوحان: صِفْ لِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ؛ وَصَفَ صَعْصَعَةُ
إِبْنَ صَوْصَانَ
لِعُمَرَ بْنِ
الْخَطَّابِ
قَالَ : كَانَ عَالِمًا بِرِعْيَتِهِ ، عَادِلًا فِي قَضِيَّتِهِ ، عَارِيًا مِنَ الْكِبَرِ ، قَبُولًا لِلْعُذْرِ ، سَهْلًا
الْحِجَابِ ، مَصُونًا الْبَابِ ، مَتَحَرِّيًا لِلصَّوَابِ ، رَفِيقًا بِالضَّعِيفِ ، غَيْرَ مُحَابٍ
لِلْقَرِيبِ ، وَلَا جَافٍ لِلْغَرِيبِ .

وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حجَّ فلما كان بضجنان^(٢) قال :
يَذْكَرُ مَاضِيَهُ
وَحَاضِرَهُ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ، الْعَطِيُّ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ ، كُنْتُ فِي هَذَا الْوَادِي فِي
مِدْرَعَةٍ صُوفٍ أُرْعَى إِبِلَ الْخَطَّابِ ، وَكَانَ فَظًّا يُتَعَبَّنِي إِذَا عَمِلْتُ ، وَيَضْرِبُنِي
إِذَا قَصُرْتُ ، وَقَدْ أَمْسَيْتَ اللَّيْلَةَ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ أَحَدٌ ، ثُمَّ تَمَثَّلَ :

لَا شَيْءَ مِمَّا تَرَى تَبَقَّى بِشَاشَتُهُ
لَمْ تُغْنِ عَن هَرْمُزٍ يَوْمَ خَزَائِنَتِهِ
وَبَقِيَ الْإِلَهِ وَيُودِي الْمَالُ وَالْوَالِدُ^(٣)
وَأُخْلِدُ قَدْ حَاوَلْتُ عَادًا فَمَا خُلِدُوا
وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ فِيمَا بَيْنَهُمَا تَرِدُ
وَلَا سَلِيمَانَ إِذْ تَجْرِي الرِّيحُ لَهُ

(١) الحجر المصروف : الخالصة (٢) ضجنان : جبل قرب مكة .

(٣) يودى : يذهب .

أين الملوك التي كانت نوافلها من كل صوب إليها وافد يفد^(١)
حوض هنالك مورود بلا كدر لا بد من ورده يوماً كما وردوا

من شعر عمر
يوم فتح مكة

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم فتح مكة :

ألم تر أن الله أظهر دينه على كل دين قبل ذلك حائد^(٢)

وأمكنه من أهل مكة بعدما تداعوا إلى أمر من الغي فاسد

غداة أجال الخيل في عرصاتهما مسومة بين الزبير وخالد^(٣)

فأمسى رسول الله قد عز نصرته وأمسى عداه من قتيل وشارد

يريد الزبير بن العوام^(٤) حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخالد

ابن الوليد سيف الله تعالى في الأرض^(٥).

ولما قتله أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبه، قالت عاتكة بنت زيد بن عمرو

زوج عمر تربيته

ابن نقيب زوجته تربيته :

عين جودي بعبرة ونحيب لا تمل على الأمين النحيب

فجعتني المنون بالفارس المعبلم يوم الهياج والثويب^(٦)

عظمة الناس والمعين على الدهر وغيث المحروم والحروب^(٧)

قل لأهل الضراء والبؤس موتوا قد سقته المنون كأس شعوب^(٨)

وقالت أيضاً تربيته :

وفجعتني فيروز لا در دره بأبيض تال للكتاب منيب

(١) النوافل: العطايا، في نسخة «من كل أوب» والصوب، ومثله الأوب: الجهة

(٢) حائد: مائل (٣) مسومة: وضعت عليها العلامات

(٤) الزبير بن العوام: أحد المبشرين بالجنة، وأرل من سل سيفه في الإسلام،

كان طويلاً جداً إذا ركب تخط رجلاه الأرض، توفي سنة ٣٦.

(٥) توفي خالد بن الوليد سنة ٢١.

(٦) الفارس المعلم: هو الذي علق عليه صوف ملون في الحرب، والثويب: الدعاء

(٧) المحروب: السلوب (٨) شعوب: هي المنية؛ لأنها تشعب الشمل وتبدده

رعوف على الأدنى غليظ على العداً أخی ثقة في النائبات نجيب
متى ما يَقل لا يكذب القول فعاهُ سريع إلى الخيرات غير قطوبٍ

ترجمة عاتكة
بنت زيد بن
عمرو زوج
عمر

وعاتكة هذه : هي أخت سعيد بن زيد أحد العشرة الذين شهد لهم النبي
صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وكانت تحت عبد الله بن أبي بكر ، فأصابه سهمٌ في
غزوة الطائف فمات منه ، فتزوجها عمر رضى الله عنه فقتل عنها ، فتزوجها الزبير
ابن العوام فقتل عنها ؛ فكان على رضى الله عنه يقول : من أحب الشهادة
الحاضرة فليتزوج بعاتكة !

ومن كلام عثمان بن عفان رضى الله عنه :

ما يزعُ الله بالسلطان ، أكثر مما يزعُ بالقرآن^(١) . سيجعلُ الله بعد عُسْرِ
يسراً ، وبعد عَيٍّْ بياناً ؛ وأنتم إلى إمام فعّال ، أحوج منكم إلى إمامٍ قوّال ،
قاله في أول خلافته وقد صعد المنبر وأرتج عليه^(٢) .

وكتب إلى على رضى الله عنه وهو محصور : أما بعد ، فقد بلغ السيلُ الزُبى ، وجاوز
الحزام الطيبين^(٣) ، وطمع في مَنْ كان لا يدفع عنه نفسه ، ولم يعجزك كلتيم ، ولم
يغلبك كغلب^(٤) ؛ فأقبل إلى ، معى كنت أو على ، على أى أمرٍيك أحببت .
فإن كنت ما كولا فكن أنت اكلى وإلا فأدر كسني ولما أمزقي
وهذا البيت للمزقي العبدى ، وبه سمى المزقي ، واسمه شأس ، وإتمامه به
عثمان رضى الله عنه ؛ وحذّاق أهل النظر يدعون هذا ، ويستشهدون على فساده
بأحاديث تناقضه ليس هذا موضعها .

(١) يزع : يزرع ويردع (٢) أرتج عليه باب الكلام : أغلق .

(٣) الزبى : جمع زبية وهي الراية لا يعلوها ماء ، وبلوغ السيل الزبى كناية
عن اشتداد الأمر ، والطبي - بالضم والكسر - حلمات الضرع ، وبلوغ الحزام الطيبين
كناية أيضاً عن الشدة (٤) مغلب : غلب كثيراً ، ولم يغلبك كغلب : يستعمل في
الملح والدم .

قالوا : وكان عثمان رضى الله عنه أتقى لله أن يسعى في أمره على ، وعلى أتقى لله أن يسعى في أمر عثمان ، وهذا من قوله عليه السلام : أشقى الناس من قتله نبي أو قتل نبياً .

ومن كلام عثمان رضى الله عنه وأكرم نذله ، وقد تنكر له الناس : أمر هؤلاء القوم راع غير ، تطأطأت لهم تطأطأ الدلاء . وتلدت لهم تلدد المضطر ، رأيتهم ألحف إخواناً ، وأوهمني الباطل لهم شيطاناً . أجزرت المرسون رسنه ، وأبلغت الرايع مسعاته ، ففرقوا على فرقاء ثلاثاً ، فصامت صمته أنفذ من صول غيره ، وشاهد أعطاني شاهده ومنعني غائبه ، ومتهايت في فتنه زينت في قلبه ، فأنا منهم بين السن لداد ، وقلوب شداد ، عذيري الله منهم ، ألا ينهى عالم جاهلا ، ولا ينذر حلیم سفيهاً ؟ والله حسبي وحسبهم يوم لا ينظفون ، ولا يؤذن لهم فيعتدرون .

سئل الحكم بن هشام فقال : كان والله خيار الخيرة . أمير البرزة ، قتيل الفجرة ، منصور النصره ، مخذول الخذلة ، مقتول القتلة .

ونظير البيت الذى أنشده قول صخر الجعد :

فإن كنت ما كولا فكأن أنت آكلى فإن منايا القوم أكرم من بعض
قال المتوكل : أتيت بأسارى ، فسمعت امرأة منهم تقول :

أمير المؤمنين سما إينسا سمو الليث أخرجه العريف
فإن نسلم فعون الله نرجو وإن نقتل فقاتلنا شريف

وقد ذكر بعض أهل العلم أنه لا يعرف لعثمان شعر ، وأنشده بعضهم :

غنى النفس يُغنى النفس حتى يكفها وإن عضها حتى يضر بها الفقر
وما عسرة - فاضر لها إن تتأبعت - بياقية إلا سيتبعها يسر
وقول عثمان رضى الله عنه فيما روى : « ولم يغلبك كغلب » من قول

امرىء القيس :

فإنك لم يَفْخَرْ عليك كفاخر ضعيفٍ ولم يغلبك مثل مغلبٍ
وقال أبو تمام وذكر الخمر :

وَضَعِيفَةٌ إِذَا أَصَابَتْ فُرُصَةً قَتَلَتْ ، كَذَلِكَ قُدْرَةُ الضُّعْفَاءِ

ومن كلام علي بن أبي طالب رضى الله عنه

لا تَكُنْ مِنْ يَرْجُو الآخِرَةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ ، وَيُوَخِّرُ التَّوْبَةَ لِطَوْلِ الأَمَلِ . ويقولُ
في الدنيا بقول الزاهدين ، ويعملُ فيها بعمل الراغبين ، إن أُعْطِيَ منها لم يشبع ، وإن
مُنِحَ لم يَفْتَحْ ، يعجز عن شُكْرِ ما أُوتِيَ ، ويتغنى الزيادة فيما بقي ، يَنْهَى ولا يَنْتَهَى ،
ويأمر بما لا يَأْتِي ، يحبُّ الصالحين ولا يعملُ أعمالهم ، ويُغِيضُ المسيئين وهو سَنَمٌ ؛
يكره الموتَ لكثرة ذنوبه ، ويقمُّ على ما يكره الموت له ، إن سقم ظلَّ نادماً ، وإن
صحَّ أَمِنَ لآهيا ، يُعْجَبُ بنفسه إذا عوفي ، وَيَقْنَطُ إذا ابتلى ، تغلبه نفسه على ما يظنُّ ،
ولا يَفْزَعُها على ما يستيقن ، ولا يَثِقُ من الرزق بما ضَمِنَ له ، ولا يَعْمَلُ من العمل
بما فَرَضَ عليه ، إن استغنى بَطِرَ وقتن ، وإن افتقر قَنِطَ وحزِن ، فهو من الذنوب
والنعمة موقرٌ ^(١) ، يبتغي الزيادة ولا يشكر ، ويتكلف من الناس ما لم يُؤْمَرْ ، ويضيع
من نفسه ما هو أكثر ، ويُبَالِغُ إذا سأل ، ويقصر إذا عمل ، يخشى الموت ،
ولا يبادر الفوت ، يستكثر من معصية غيره ما يستقلُّ أكثره من نفسه ؛ ويستكثر
من طاعته ما يستقله من غيره ، فهو على الناس طاعن ، ولنفسه مداهن ، اللغو مع
الأغنياء أحبُّ إليه من الذكر مع الفقراء ، يحكم على غيره لنفسه ، ولا يحكم عليها
لغيره ، وهو يطاع ويعصى ، ويستوفى ولا يؤوفى .

وسئل رضى الله عنه عن مسألة فدخل مبادراً ، ثم خرج في حذاء ورداء ، وهو
يتبسم ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ، إنك كنت إذا سئلت عن مسألة كنت فيها
كالسكة المحمأة ^(٢) ! فقال : إني كنت حاقنا ولا رأيت لحاقن ^(٣) ، ثم أنشأ يقول :

(١) موقر : مثقل (٢) السكة : الحديد (٣) الحاقن : هو الذى احتبس بوله

إذا المشكلاتُ تصدَّينَ لى كسفتُ حقائقها بالنظرِ
 وإن برقتُ فى مخيل الصوا ب عمياء لا تجتليها الذكر^(١)
 مقنعةً بأمنور الغيوب وضعت عليها صحيح الفكرِ
 لساناً كسفشقة الأرحسى أو كالحسام الميأى الذِّكر^(٢)
 وقلباً إذا استنطقته العيون أمرٌ عليها بواهى الدرر^(٣)
 ولستُ بأمعة فى الرجال أسائل عن ذا وذا ما الخبر^(٤)
 ولكننى ذربُ الأصغرينِ أبين مع ما مضى ما غير^(٥)

وقال معاوية رضى الله عنه لضرار الصَّدائى : يا ضرار ، صف لى علياً ، فقال :

أَعْفَى يا أمير المؤمنين ، قال : لتصفنه ، فقال : أما إذ أذنت فلا بد من صفته :
 كان والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يقولُ فضلاً^(٦) ، ويحكمُ عدلاً ،
 يتفجرُ العلمُ من جوانبه ، وتنطقُ الحكمةُ من نواحيه ، يستوحشُ من الدنيا
 وزهرتها ، ويستأنس بالليل وظلمته ، كان والله عزيز الدِّمعة ، طويل الفكره ،
 يقلبُ كفه ، ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام
 ما خشن ، وكان فينا كأحدنا ، يُجيبنا إذا سألناه ، ويُنبئنا إذا استنبتناه ،
 ونحن - مع تقريبه إيانا ، وقربه منا - لانكادُ نكلمه لهيته ، ولا نبتدئه
 لعظمته ، يعظمُ أهل الدين ، ويحبُّ المساكين ، لا يطعمُ القوى فى باطله ،
 ولا ييأسُ الضعيفُ من عدله ، وأشهدُ لقد رأيتهُ فى بعض مواقفه ، وقد
 أرخى الليلُ سدوله ، وغارت نجومه ، وقد مثل فى محرابه ، قابضاً على حيطه
 يتمللُ تمللَ السليم^(٧) ، ويبكى بكاءَ الحزين ، ويقول : يا دنيا إليك

وصف ضرار
الصدائى لمعاوية
عليا

(١) مخيل : مظنون ، وهو السحاب تخاله باطراً لرعده وبرقه .

(٢) الأرحى : الجمل ، وشقشقه : هديره . (٣) نسخة « استنطقته الغيوب » (م)

(٤) الإمعة : الرجل الذى لا خطر له - فهو يكون تابعاً لغيره ولا يكون مستقلاً (م)

(٥) ذرب الأصغرين : حديد القلب واللسان (٦) القول الفصل : هو الحق

(٧) السليم : اللدوغ ، سمي بذلك تذاؤلاً .

عَنِّي ! غُرِّي غَيْرِي ، أَلِي نَعَرَضْتُ ، أُمِّ إِلَى تَشَوَّفَتْ ؟ هِيَهَات ! قَدْ بَايَنْتُكَ
ثَلَاثًا ، لَا رَجْعَةَ لِي عَلَيْكَ ؛ فَعَمْرُكَ قَصِيرٌ ، وَخَطْرُكَ حَقِيرٌ ، وَخَطْبُكَ
يَسِيرٌ ؛ آهٍ مِنْ قَلْبِ الزَّادِ ، وَبُعْدِ السَّفَرِ ، وَوَحْشَةِ الطَّرِيقِ !
فَبِكِي مَعَاوِيَةَ حَتَّى أَخْضَلْتَ دُمُوعُهُ لِحَيْتَهُ ؛ وَقَالَ : رَحِمَ اللَّهُ أَبَا الْحَسَنِ !
فَلَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ ، فَكَيْفَ حُزْنُكَ عَلَيْهِ يَا ضِرَارُ ؟ قَالَ : حُزْنٌ مِنْ ذُبْحِ
وَاحِدِهَا فِي حِجْرِهَا !

وَقَالَ عَلِيُّ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ : رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ فَوْعَى ، وَدُعِيَ إِلَى
الرِّشَادِ فَدَنَا ، وَأَخَذَ بِحُجْرَةِ هَادٍ فَنَجَا ^(١) ، وَرَاقِبَ رَبَّهُ ، وَخَافَ ذَنْبَهُ ، وَقَدَّمَ
خَالصًا ، وَعَمَلَ صَالِحًا ، وَاسْتَبَدَّ بِمَدْحُورًا ، وَاجْتَنَبَ مَحْذُورًا ، وَرَمَى غَرَضًا ،
وَكَابَرَ هَوَاهُ ، وَكَذَّبَ مُتَاهُ ، وَحَذَرَ رَاجِلًا ، وَذَابَ عَمَلًا ، وَجَعَلَ الصَّبْرَ
رَغْبَةً حَيَاتِهِ ، وَالتَّقَى عُدَّةَ وَفَاتِهِ ، يُظْهِرُ دُونَ مَا يَكْتُمُ ، وَيَكْتُمُ بِأَقْلٍ مِمَّا
يَعْلَمُ ، لَزِمَ الطَّرِيقَةَ الْغَرَاءَ ، وَالْحِجَّةَ الْبَيْضَاءَ ، وَاجْتَنَمَ الْمَهْلَ ، وَبَادَرَ الْأَجَلَ ،
وَتَرَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ .

وَلَمَّا رَجَعَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ صِفِّينَ ، فَدَخَلَ أَوَائِلَ الْكُوفَةِ إِذَا قَبْرُهُ ، عَلَى يَرْتِي خِجَابِ
فَقَالَ : قَبْرٌ مِنْ هَذَا ؟ قَلِيلٌ : خِجَابُ بِنِ الْأُرْتِ ^(٢) ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ :
رَحِمَ اللَّهُ خِجَابًا ! أَسْلَمَ رَاغِبًا ، وَهَاجَرَ طَائِعًا ، وَعَاشَ مُجَاهِدًا ، وَابْتَلَى فِي
جِسْمِهِ أَحْوَالًا ، وَلَنْ يَضِيعَ اللَّهُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا .

وَمَضَى فَإِذَا هُوَ بِقُبُورِ ، فَوَقَفَ عَلَيْهَا ، وَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ النَّيَّارِ عَلَى أَمَامِ الْقُبُورِ
لِلْمُوحِشَةِ ، وَالْحَالِ الْمُتَّقِرَةِ ، أُنْتُمْ لَنَا سَلَفٌ ، وَنَحْنُ لَكُمْ تَبِعٌ ، وَبِكُمْ — عَمَّا
قَلِيلٍ — لَاحِقُونَ ؛ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلَهُمْ ، وَتَجَاوَزْ عَنَّا وَعَنْهُمْ بِغَفْوِكَ ! طُوبَى

(١) الْحِجْرَةُ : الْحَضَنُ ، وَأَخَذَ بِحِجْرَةِ فَلَانٍ : اسْتَظْهَرَهُ وَاسْتَعَانَهُ (٢) خِجَابُ بِنِ الْأُرْتِ : صَحَابِي جَلِيلٌ ، اسْتَظْفَعَهُ الْمُسْرِكُونَ فَعَذَّبُوهُ لِيَرْجِعَ عَنْ دِينِهِ فَضَبِرَ ، إِلَى أَنْ كَانَتْ
الْمِجْرَةَ ، تُوُفِيَ سَنَةَ ٣٧ .

لمن ذكّر المَعَاد ، وَعَمِلَ لِلْحَسَابِ ، وَقَنِعَ بِالْكَفَافِ . ثم التفت رضى الله عنه إلى أصحابه ، فقال : أما إنهم لو تكلموا لقالوا : وجدنا خيراً الزادِ التَّقْوَى .

وَدَمَّ رَجُلٌ الدُّنْيَا بِمَحْضَرَةٍ عَلَى رِضَى اللَّهِ عَنْهُ ، قَالَ : دَارُ صِدْقٍ لِمَنْ عَلَى يَصِفِ الدُّنْيَا صِدْقَهَا ، وَدَارُ نَجَاةٍ مَنْ فَهَمَ عَنْهَا ، وَدَارُ غِنَى لِمَنْ تَرَوَّدَ مِنْهَا ، مَهْبِطُ وَحْيِ اللَّهِ ، وَمُصَلَّى مَلَائِكَتِهِ ، وَمَسْجِدُ أَنْبِيَائِهِ ، وَمَتَجَرُّ أَوْلِيَائِهِ ، رَزِيحُوا فِيهَا الرَّحْمَةَ ، وَاسْتَبَوُا فِيهَا الْجَنَّةَ ، فَمَنْ ذَا يَذْمُهَا ، وَقَدْ آذَنْتَ بَيْنَهُمَا ، وَنَادَتْ بِفِرَاقِهَا ، وَذَكَّرَتْ بِسُرُورِهَا السُّرُورَ ، وَبِبِلَائِهَا الْبِلَاءَ ، تَرْغِيبًا وَتَرْهِيبًا ، فَيَأْيَا الدَّامِ لَهَا ، الْعَلَلُ نَفْسَهُ بِغُرُورِهَا ، مَتَى خَدَعَتْكَ الدُّنْيَا ؟ أَمْ بِمَاذَا اسْتَدْنَمْتَ إِلَيْكَ ^(١) ، أَمْ بِمُصْرَعِ آبَائِكَ فِي الْبِلَى ؟ أَمْ بِمُضْجَعِ أُمَّهَاتِكَ فِي السُّرَى ، كَمْ مَرَضَتْ بِكَفَيْكَ ، وَكَمْ عُلَّتْ بِيَدَيْكَ ، تَطْلُبُ لَهُ الشِّفَاءَ ، وَتَسْتَوْصِفُ الْأَطْبَاءَ ، غَدَاةً لَا يَنْفَعُهُ بِكَأَوْكَ ، وَلَا يَغْنَى دَوَاؤُكَ .

من قصار
كلام على

فقر من كلامه رضى الله عنه : [البشاشة فتح المودة . والصبر قبر المغبون . والغالب بالظلم مغلوب . والحجر المنصوب بالدار رهنٌ بخرابها . وما ظفرٌ من ظفرت به الأيام . فسالمٌ تسلمٌ . رأى الشيخ خيرٌ من مشهد الغلام ^(٢) . الناس أعداء ما جهلوا . بقية عمر المؤمن لا تمن لها ، يدرك بها ما أفات [ويحيى ما أمات] . نقل هذا الكلام بعض أهل العصر ، وهو أبو الفتح على بن محمد البستي ^(٣) .

(١) استدنت إليك : فعلت ما تندمها عليه - وفي نسخة « استدنت إليك » (م)

(٢) مشهد الغلام : ما يشهده ويراه رأى العين (٣) على بن محمد ، ويقال ابن أحمد كما

ذكر ياقوت في معجم الشعراء - شاعر ، كاتب مات في بخارى سنة ٤٠٠ هـ ، وفي أبي الفتح

البستي يقول عمران بن موسى :

إذا قيل أى الأرض في الناس زينة أجبنا وقلنا: أبهج الأرض بستها
فلو أننى أدركت يوماً عميدها لزممت يد البستي دهرأ وبستها

بقية العمر عندى ما لها ثمن وإن غداً وهو محبوب من الثمن
 يستدرك المرء فيها ما أفات ويحسب ما أمات ويمحو السوء بالحسن
 الدنيا بالأموال ، والآخرة بالأعمال . لا تخافن إلا ذنبا ، ولا ترجون إلا
 ربك . وجهوا آمالكم إلى من تحبه قلوبكم . الناس من خوف الذل في الذل .
 من أيقن بالخلف جاد بالعطية . بقية السيف أئمنى عدداً ، وأنجب ولداً - وقد
 تبينت صحة ما قال في بنيه وبنى المهلب - إن من السكوت ما هو أبلغ من
 الجواب . الصبر مطية لا تكبو ، وسيف لا ينبو^(١) . خير المال ما أغناك ،
 وخير منه ما كفك ، وخير إخوانك من واساك ، وخير منه من كفك شره .
 وقال بعض أهل العصر ما يشاء كل هذا وهو أبو الحسن محمد بن نكك البصرى :

عدياً في زماننا عن حديث المكارم
 بن كفى الناس شره فهو في جود حاتم

أبو الطيب :

إننا لفي زمن ترك القبيح به من أكثر الناس إحساناً وإجمالاً
 إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه . قيمة كل
 امرئ ما يحسن .

ذكر أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ هذه الكلمة في كتاب البيان فقال : تعقيب الجاحظ
 فلوم تقف من هذا الكتاب إلا على هذه الكلمة لوجدناها شافية ، كافية ،
 ومجزية مغنية ؛ بل لوجدناها فاضلة عن الكفاية ، غير مقصرة عن الغاية ؛
 وأفضل الكلام ما كان قليلاً يعنىك عن كثيره ، ومعناه ظاهراً في لفظه ، وكان
 الله قد ألبسه من ثياب الجلالة ، وغشاه من نور الحكمة ، على حسب رتبة
 صاحبه ، وتقوى قائله ، فإذا كان المعنى شريفاً ، واللفظ بليغاً ، وكان صحيح الطبع ،

(١) الكبوة : السقطة ، والنبوة : عدم الإصابة . ويقولون : لكل جواد كبوة ،
 ولكل سيف نبوة .

بعيداً من الاستكراه ، منزهاً عن الاختلال ، مصوناً عن التكلف ؛ صنع في القلوب
صَنِيعَ الْغَيْثِ فِي التَّرَبُّبَةِ الْكَرِيمَةِ ، ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة ،
ونفذت من قائلها على هذه الصفة ، أصحبها الله عز وجل من التوفيق ، ومنحها
من التأييد ، مالا يمتنع من تعظيمها به صدور الجابرة ، ولا يذهل عن فهمها
معه عقول الجبهة^(١) .

دعاء لعلی
فی الحروب

ومن دُعَايِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي حُرُوبِهِ : اللَّهُمَّ أَنْتَ أَرْضَى لِلرَّضَا ، وَأَسْخَطَ
لِلسُّخْطِ ، وَأَقْدَرُ عَلَى أَنْ تَغَيِّرَ مَا كَرِهْتَ ، وَأَعْلَمُ بِمَا تَقْدِرُ ، لَا تُغْلَبْ عَلَى بَاطِلٍ ،
وَلَا تَعْجِزْ عَنِ حَقِّ ، وَمَا أَنْتَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ .

من شعر علی
رضى الله عنه

وقال على رضى الله عنه :

لَمِنْ رَايَةٍ سَوْدَاءَ يَخْفِقُ ظِلُّهَا إِذَا قِيلَ قَدَمُهَا حُضَيْنُ تَقْدَمًا
فيموردها في الصف حتى تردها حياضُ المنايا تقطر الموت والدمًا
جزى الله قوما قاتلوا في لقاءهم لدى الروعِ قوماً ما أعزوا وأكرما
وأطيب أخباراً وأفضل شبيبةً إذا كان أصواتُ الرجالِ تنغممًا^(٢)

حُضَيْنُ الَّذِي ذَكَرَهُ هُوَ : أَبُو سَاسَانَ الْحُضَيْنِيُّ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ وَعَلَةَ
الرَّقَاشِيَّ وَكَانَ صَاحِبَ رَايَتِهِ يَوْمَ صَفِّينَ .

ويروى عنه أنه قال بعد وفاة فاطمة رضى الله عنها :

أرى عِلَلَ الدُّنْيَا عَلَى كَثِيرَةٍ وَصَاحِبِيهَا حَتَّى الْمَمَاتِ عَلِيلُ
لكلِّ اجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيلِينَ فُرْقَةٌ وَإِنَّ الَّذِي دُونَ الْمَمَاتِ قَلِيلُ
وَإِنَّ افْتِقَادِي فَاطِمًا بَعْدَ أَحْمَدٍ دَلِيلٌ عَلَى أَلَا يَدُومَ خَلِيلُ

(١) انتهى المؤلف من الاستطراد الذي مضى فيه بمناسبة «قيمة كل امرئ ما يحسن»

ثم عاد إلى الكلام عن علي بن أبي طالب .

(٢) التغمم : الصوت عند القتال .

ولما قَتَلَ عمرو بن عبد ود سقط فانكشفت عَوْرَتَهُ (١) ، فتنجى عنه وقال :
 آلَى ابْنُ عَبْدِ - حِينَ شَدَّ - أَلِيَّةً وحلفتُ فاستمعوا من الكذّابِ (٢)
 أَلَا بِفِرٍّ وَلَا يَمَلُّ فَالتَقَى أسدَانِ يَضْطَرِّبانِ كُلَّ ضِرَابِ (٣)
 الْيَوْمِ يَمْنَعُنِي الْفِرَارَ حَفِيظَتِي ومُصَمِّمٌ فِي الرَّأْسِ لَيْسَ بِنَابِ (٤)
 أَعْرَضْتُ حِينَ رَأَيْتُهُ مَتَمَطِّراً كَالْجَذْعِ بَيْنَ دَكَاذِكِ وَرَوَابِي (٥)
 وَعَفَفْتُ عَنْ أَتْوَابِهِ وَلَوْ أَنِّي كنتُ المَقْطَرُ بِزَنِي أَثْوَابِي (٦)
 نَصَرَ الْحِجَارَةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ وَنَصَرْتُ دِينَ مُحَمَّدٍ بِصَوَابِ (٧)
 لَا تَحْسِبَنَّ اللَّهُ خَادِلَ دِينِهِ وَنِيَّهَ يَا مَعْشَرَ الْأَحْزَابِ

في أبيات غير هذه ، و بعضُ الرواة يَنْفِيها عن علي رضي الله عنه .

وعمرُو هذا هو : ابن عبدودِ بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي ،
 وكان قد جَزَعَ المذاد ، وهو موضع خُفِر فيه الخندقُ يومَ الأحزابِ ، وفي ذلك
 يقول الشاعر :

عمرُو بن ودّ كان أولَ فارس جَزَعَ المذاد وكان فارسَ يَلِيلِ (٨)
 ولما صار مع المسلمين في الخندقِ دعا [إلى] البراز ، وقال :

ولقد بَحِثْتُ مِنَ النِّدَاءِ بِمَجْمَعِهِمْ هَلْ مِنْ مُبَارِزِ (٩)
 وَوَقَفْتُ إِذْ نَكَلَ الشُّجَاعُ عَ بِمَوْقِفِ الْبَطْلِ الْمُنَاجِرِ (١٠)

- (١) عمرو بن عبدود : فارس قريش وشجاعها ، قتله على سنة ٥ للهجرة
 (٢) آلَى : أقسم ، والألية : اليمين (٣) يَمَلُّ : يتقلب ، والضراب : المطاردة
 (٤) الحفيظة : الحمية والغضب عند حفظ الحرمه ، والمصمم : السيف لا ينبو
 (٥) متقطر : صريع ، والدكاذك : جمع دكذك وهو الرمل المتلبد بالأرض
 (٦) بز : سلب . (٧) نصر الحجارة : كناية عن عبادة الأوثان . (٨) جزع المذاد :
 اجتازه ، والمذاد : الموضع الذي يناد فيه عن النفس ، أي موضع الحرب ، ويليل : اسم
 واد في بدر (٩) يح صوته : ضعف من كثرة النداء (١٠) نكل : نكص ،
 والمناجر : البادر إلى القتال

إني كذلك لم أزل متسرِّعاً نحو الهزاهز^(١)

إنَّ السَّماحةَ والشَّجاعةَ في الفتي خَيْرُ الغرائزِ^(٢)

فبرز على بن أبي طالب رضى الله عنه ، فقال : يا عمرو ! إنك عاهدت الله
لقريش ألا يدعوك أحدٌ إلى خلتين إلا أخذت إحداهما ، فقال : أجل ! قال :
فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام . قال : لاحتاجة لي بذلك ، قال :
فإني أدعوك إلى المبارزة ، فقال : يا ابن أخي ما أحبُّ أن أقتلك ! قال على :
لكنى والله أحبُّ أن أقتلك ، فخمى عمرو ، فافتحم عن فرسه وعرقبه^(٣) ثم
أقبل إلى على :

فتجاوَلَا كغماتين تكنفت متنيهما ريحا صباً وشمال^(٤)

في موقف كادت نفوس كياته تبتز قبيل تورُّد الآجالِ^(٥)

وعلت بينهما غيرة سترتهما فلم يرع المسلمين إلا التكبير ؛ فعهوا أن علياً قتله .
ولما قُتل عمرو جاءت أخته فقالت : من قتله ؟ فقيل : على بن أبي طالب ،
فقالت : كفُّ كريم ! ثم انصرفت وهي تقول :

لو كان قاتلُ عمرو غيرَ قاتله لكنت أبكى عليه آخرَ الأبد

لكنَّ قاتله من لا يُعابُ به وكان يُدعى قديماً بيضةَ البلدِ

من هاشمٍ في ذراها وهى صاعدةٌ إلى السماء تُميتُ الناسَ بالحسدِ

قومٌ أبى الله إلا أن يكونَ لهم مكارمُ الدِّينِ والدُّنيا بلا أمدِ

يا أم كلثوم بكِّيهِ ولا تدعى بكاءً مُعولةً حرَّى على وُلدِ

أم كلثوم : بنت عمرو بن عبد وُدٍّ . و « بيضة البلد » بمدحُ به العربُ

(١) الهزاهز : الشدائد والحروب لأنها تهزها الرجال (٢) الغرائز : الطباع ،
واحدتها غريزة : (٣) عرقبه : قطع عرقوبه (٤) تجاولا : تصاولا (٥) الكياة :
الشجعان ، واحدهم كى ، وتبتز : تسلب ، وتورُّد الآجال : ورود حياض الموت ، يريد
أن الكياة يموتون من الهيبة (م)

وَتَذَمُّ ؛ فَمَنْ مَدَّحَ بِهِ جَعَلَهُ أَصْلًا ، كَمَا أَنَّ الْبَيْضَةَ أَصْلُ الطَّائِرِ . وَمَنْ ذَمَّ بِهِ أَرَادَ أَنَّ لَا أَصْلَ لَهُ . قَالَ الرَّاعِي يَهْجُو عَدِيَّ بْنَ الرَّقَاعِ الْعَامِلِيَّ (١) :

يَا مَنْ تَوَعَّدَنِي جَهْلًا بكَثْرَتِهِ مَتَى تَهْدِدُنِي بِالْعَزْرِ وَالْعَدْرِ
أَنْتَ أَمْرٌ نَالٌ مِنْ عِرْضِي وَعِزَّتِهِ كَعِزَّةِ الْعَيْرِ يَرَعَى تَلْعَةَ الْأَسَدِ (٢)
لَوْ كُنْتُ مِنْ أَحَدٍ يُهْجِي هَجْوَتَكُمْ يَا بْنَ الرَّقَاعِ وَلَكِنْ لَسْتُ مِنْ أَحَدٍ
تَأْتِي قُضَاعَةٌ أَنْ تَرْضَى لَكُمْ نَسَبًا وَابْنَا نِزَارٍ ؛ فَأَنْتُمْ بَيْضَةُ الْبَلَدِ

وقال أبو عبيدة : عاملة بن عدى بن الحارث بن مرة بن أد [بن زياد] عاملة قوم ابن يشجب ، يُطْعَنُ فِي نَسَبِهِ مِنْ قِحْطَانَ ، وَيُقَالُ : هُوَ عَامِلَةٌ بِنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ قَاسِطٍ عَدِيِّ بْنِ الرَّقَاعِ ابْنِ أَهْيَبٍ ؛ فَذَلِكَ قَالَ الرَّاعِي هَذَا . وَيُقَالُ : إِنْ جَنَدَلُ بْنُ الرَّاعِي قَالَهَا وَقَدْ قَالَ يَحْيَى بْنُ أَبِي حَفْصَةَ الْأُمَوِيَّ فِي عَامِلَةٍ :

وَأَسْنَا نُبَالِي نَأَى عَامِلَةَ الَّتِي أَحَدَّ بِهَا مِنْ نَحْوِ بُصْرَى أَنْحَدَارُهَا
تَدَافِعُهَا الْأَحْيَاءُ حَتَّى كَأَنَّهَا ثِيَابٌ بَدَاَ لِلْمَشْتَرِينَ عَوَارُهَا
قَدَفْنَا بِهَا لَمَّا نَأَتْ قَدَفَ حَاذِفٍ بَسُودٍ حَصَى خَفَّتْ عَلَيْهِ صِغَارُهَا
وَيَشْبَهُ قَوْلُ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « وَعَفَفْتُ عَنْ أَثْوَابِهِ » قَوْلَ عَنْتَرَةَ بْنِ شَدَادِ

العبسي :

هَلَّا سَأَلْتَ الْخَيْلَ يَا بِنَةَ مَالِكٍ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي
يُخْبِرُكَ مَنْ شَهِدَ الْوَقِيعَةَ أَنْتِي أَغَشَى الْوَعْيَى وَأَعْفَى عِنْدَ الْمَغْمِ
وَقَالَ حَيْبِ بْنِ أَوْسِ الطَّائِي :
إِنَّ الْأَسْوَدَ أَسْوَدَ الْغَابِ هَمَّتْهَا يَوْمَ الْكُرَيْبَةِ فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبِ (٣)

(١) عدى بن الرقاع : شاعر كبير ، كان مقدما عند بني أمية ، توفي سنة ٩٥ .
(٢) العير : الحمار ، وتلعة الأسد : الراية التي يحميها ، وليس للحمار عزة في تلعة الأسد ، وإنما هو مثال الهوان (٣) السلب : الغنيمة ، ويجمع على أسلاب

قد علقت بذيل ما أوردته ، وألحقت بطرف ماجردته ، من كلام سيد الأولين والآخرين ، ورسول رب العالمين ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله الأخيار الطيبين الطاهرين ، قطعةً من كلام الخلفاء الراشدين ، قدمتها أمام كلِّ كلام ، لتقدمهم على الخلق ، وأخذهم بقصبِ السَّبِقِ (١) ، وهم كما قال بعضُ المتكلمين يصف قوما من الزهاد الواعظين . جَلَّوْا بكلامهم الأبصارَ العليَّةَ ، وشحذوا بمواعظهم الأذهانَ السكَّيلةَ ، ونَبَّهوا القلوبَ من رَقَدَتِهَا ، ونَقَلَوْهَا عن سوء عَادَتِهَا ، فسَقَوْا من داءِ القسوةِ ، وغِبَاوَةِ الفَقْلَةِ ، ودَاوَوْا من العيِّ الفاضحِ ، ونَهَجُوا لنا الطريقَ الواضحَ . وآمَرَتْ أن أُلْحِقَ بعد ذلك جملةً من سليمِ كلام سائر الصحابة والتابعين ، رضى الله عنهم أجمعين ، وأدرج في درجِ كلامهم وأثناء نثرهم ونظمهم ، ما التفتَ عليه والتفتَ إليه ، وتعلَّقَ بأغصانه ، وتشبَّثَ بأفئانه ، كما تقدَّم ، وأخرج إلى صفات البلاغات ، وأخذ بعد ذلك في نظم عقود الآداب ، ورقم برود الألباب .

عزم للؤلؤف
على ضروب
من الاختيار

من كل معنى يكاد الميت يفهمه حسناً ويعبده القرطاس والقلم
[من كلام الصحابة والتابعين]

قال معاوية بن أبي سفيان رحمه الله : أَفْضَلُ مَا أُعْطِيَ الرَّجُلُ الْقَلْبُ وَالْحَلْمُ ؛ فَإِذَا ذُكِرَ ذِكْرٌ ، وَإِذَا أَسَاءَ اسْتَغْفَرَ ، وَإِذَا وَعَدَ أُنْجِزَ .
وصف معاويةُ الوليد بن عتبة فقال : إنه لبعيد القور ، ساكن القور (٢) ،
وإن العودَ من لحائه (٣) ، والولد من آبائه ، والله إنه لنبات أصل لا يخلف ، ونجل

من كلام معاوية

(١) السبق : هو السباق ، وأخذ قصب السبق : كناية عن الفوز

(٢) القور : القصر من كل شيء ، وبعد القور : كناية عن أصالة الرأي وعمق التفكير ، والقور : الغضب ، ويقال : فلان نار ثائرة ، وفار فأره ، إذا اشتد غضبه . وبنو فلان تفور علينا قدرهم ، قال الشاعر :

تفور علينا قدرهم فديمها ونقشوها عنا إذا حميها غلا

وسكون القور : كناية عن الحلم (٣) اللحاء : القشر ، ومنه قولهم (لحاء الله) أي قشره ، وإذا قشر الإنسان هلك أ

فَحَلَّ لَا يَقْرَفُ (١) .

بين معاوية
ومصقلة بن
هيرة

ومرض معاوية مرضاً شديداً فأرَجَفَ (٢) به مصقلة بن هيرة وسأعده قومٌ على ذلك ، ثم تماثل وهم في إرجافهم (٣) ، فعمل زياد مصقلة إلى معاوية وكتب إليه : « إنه يجتمعُ مرافقاً من مرافق العراق (٤) فيُرْجِفُونَ بأمير المؤمنين ، وقد حملته إليه ليرى رأيه فيه » .

فقدم مصقلة وجلس معاوية للناس ؛ فلما دخل عليه قال : أذن مني ! فدنا منه ، فأخذته بيده فحذبه فسقط مصقلة ؛ فقال معاوية :

أبقى الحادثُ من خيلك مثلَ جندلةِ المراحِمِ (٥)

صُلباً إذا خارَ الرجا لُ أبلٍ ممتنعِ الشكائمِ (٥)

قد رامني الأعداء قبلك فامتنتُ عن المظالم

قال مصقلة : يا أمير المؤمنين ؛ قد أبقى الله منك ما هو أعظمُ من ذلك [بطشاً] و[حلماً] [راجحاً] وكلاً ومرعى لأولياك ، وسما ناعماً لأعدائك ، كانت الجاهلية فكان أبوك سيدَ المشركين ، وأصبح الناس مسلمين ؛ وأنت أميرُ المؤمنين ، وقام .

فوصله معاوية ، وأذن له في الانصراف إلى الكوفة . فقيل له : كيف تركت معاوية ؟ فقال : زعمتم أنه لما به (٦) ، والله لقد غمرني غمرة كاد يخطئني ، وحذبتني جذبة كاد يكسر عضواً مني !

(١) لا يقرف : من القراف بالكسر وهو داء يقتل البعير ، يريد أنه قوى متين لا تقربه الأدوية

(٢) الإرجاف : الخوض في أخبار الفتن ، ومنه (والمرجفون في المدينة)

(٣) مرافق : جمع مارق ، وهو الخارج على الجماعة

(٤) الجندلة : الصخرة (٥) الشكائم : جمع شكيمة ، وهي الحديدة المعرضة في فم

الفرس ، وفلان شديد الشكيمة : أنف أبي لايقاد

(٦) زعمتم أنه لما به : يريد زعمتم أنه ضعف لما به من السقم

بين معاوية
والأحنف بن
قيس

ودخل الأحنفُ بن قيسٍ على معاوية وافداً لأهل البصرة ، ودخل معه
النمر بن قُطبة ، وعلى النمر عباءة قَطَوَانِيَّة (١) ، وعلى الأحنف مِدْرَعَةٌ صوف
وشملة ، فلما مثلا بين يدي معاوية اقتحمتها عينه (٢) ؛ فقال النمر : يا أمير المؤمنين !
إِنَّ العبَاءَةَ لَا تَكَلِّمُكَ ، وَإِنَّمَا يَكَلِّمُكَ مَنْ فِيهَا ! فَأَوْماً إِلَيْهِ فجلس ، ثم أقبل على
الأحنف فقال : ثم مه ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أهلُ البصرة عدد يسير ، وعَظْمُ
كسِير ، مع تتابع من المَحُول (٣) ، واتصال من الذُّحُول (٤) فَاكْثُرَ فِيهَا قَد
أُطْرُق ، وَالْمَلِئُ قَدَامَهُ (٥) ، وبلغ منه المَحْنَقُ ؛ فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَنْعَشَ الْفَقِيرَ ،
وَيَجْبُرَ الْكَسِيرَ ، وَيَسْهَلِ الْعَسِيرَ ، وَيَصْفَحَ عَنِ الذُّحُولِ ، وَيُدَاوِيَ الْمَحُولَ ، وَيَأْمُرَ
بِالْعَطَاءِ ؛ لِيَكْشِفَ الْبَلَاءَ ، وَيُزِيلَ اللَّأْوَاءَ (٦) . وَإِنَّ السَّيِّدَ مِنْ يَعْمَ وَلَا يُخْصِئُ
وَمَنْ يَدْعُو الْجَفْلَى ، وَلَا يَدْعُو النَّقْرَى (٧) إِنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ شُكْرًا ، وَإِنْ أَسَىءَ
إِلَيْهِ غَفَرَ ، ثُمَّ يَكُونُ وَرَاءَ ذَلِكَ لِرَعِيَّتِهِ عِمَادًا يَدْفَعُ عَنْهَا الْمَلَمَاتَ ، وَيَكْشِفُ
عَنَّهُمُ الْعَضَلَاتَ .

فقال له معاوية : ها هنا يا أبا بحر ! ثم تلا : (وَكَتَمْتُمْ فِي لَحْنِ
أَقْوَالٍ) .

محاورة بين
معاوية وأهل
العراق

ومن جميل المحاورات ما رواه المدائني ، قال : وَفَدَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ عَلَى
معاوية رحمه الله ، ومعهم زيادٌ ، وفيهم الأحنف ، فقال زياد : يا أمير المؤمنين ؛
أَشْخَصَتْ إِلَيْكَ أَقْوَامًا الرِّغْبَةَ ، وَأَقْعَدَ عَنْكَ آخِرِينَ الْعُدْرَةَ ، فَهَدَّ جَعَلَ اللَّهُ
تعالى في سَعَةِ فَضْلِكَ مَا يُجْبِرُ بِهِ الْمُتَخَلِّفَ ، وَيَكْفَأُ بِهِ الشَّخْصَ . فقال معاوية :

(١) نسبة إلى قطوان وهو موضع بالكوفة

(٢) اقتحم : احتقر (٣) المحول : جمع محل ، وهو الضيق (٤) الذحول : جمع

ذحل ، وهو الثأر (٥) أملق : من الإملاق ، وهو الفقر (٦) اللأواء : الشدة

(٧) يدعو الجفلى : يدعو الجماعة ، والنقرى : دعوة الفرد . قال طرفة :

نحن في اللأواء ندعو الجفلى لا ترى الأدب منا ينتقر

مرحباً بكم يا معشر العرب ، أما والله لئن فرقت بينكم الدعوة ، لقد جمعتكم
الرحم ؛ إن الله اختاركم من الناس ليختارنا منكم ، ثم حفظ عليكم نسبكم
بأن تحيروا لكم بلاداً تجتاز عليها المنازل ، حتى صفاكم من الأمم كما تصفى الفضة
البيضاء من خبثها ؛ فصونوا أخلاقكم ، ولا تدنسوا أنسابكم وأعراضكم ،
فإن الحسن منكم أحسن لقربكم منه ، والقيح منكم أقبح لبعدهم عنه .
فقال الأحنف : والله يا أمير المؤمنين ، ما نعدم منكم قائلاً جزيلاً^(١)
ورأياً أصيلاً ، ووعداً جميلاً ؛ وإن أخاك زياداً لمتبوع آثارك فينا ، فنستمع الله
بالأمير والمأمور ، فإنكم كما قال زهير ، فإنه ألقى على المداحين فصول القول :

وما يك من خير أتوه فإتما توارثه آباء آبائهم قبل
وهل يُنبت الخطى إلا وشيجه وتغرس إلا في منابتها النخل^(٢)

وهذان البيتان لزهير بن أبي سلمى المزني في قصيدة يقول فيها :

وفيهن مقامات حسان وجوهها وأنديّة ينتأبها القول والفعل
على كثيرهم رزق من يعترهم وعند المقلين الساحة والبذل
سعى بعدهم قوم لكى يدرّكهم فلم يفعلوا ولم يليموا ولم يألوا^(٣)

قال بعض أهل العلم بالمعاني : أعجب بقوله : « ولم يألوا » ؛ لأنه لما
ذكر السعى بعدهم ، والتخلف عن بلوغ مساعيهم ، جاز أن يتوهم السامع أن
ذلك لتقصير الطالبين في طلبهم ؛ فأخبر أنهم لم يألوا ، وأنهم كانوا غير مقصرين
وأنهم — مع الاجتهاد — في المتأخرين ؛ ثم لم يرخص بأن يجعل مجدهم طارفاً

(١) القائل الجزيل : الذى يقول جزل الكلام ، وهو العاقل الأصيل الرأى ،

وفى نسخة « نائلاً جزيلاً » (م)

(٢) الخطى : نسبة إلى الخط وهو مرفأ السفن بالبحرين وتنسب إليه الرماح ،

لأنها تباع به لأنه منبتها - والوشيح : عروق القصب (٣) لم يألوا : لم يقصروا .

فيهم ، ولا جديداً لديهم ، حتى جعله إرثاً عن الآباء ، يتوارثه سائرُ الأبناء ، ثم لم يرضَ أن يكونَ في الآباء حتى جعله موروثاً عن آبائهم ، وهذا لو تكلفه متكلف في النشور دون الموزون لما كان له هذا الاقتدار مع هذا الاختصار .

منزلة شعر زهير
ابن أبي سلمى
وكانت قريشٌ معجبةً بشعر زهير ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنَّنا قد سمعنا كلامَ الخطباء والبلغاء ، وكلامَ ابن أبي سلمى ، فما سمعنا مثلَ كلامه من أحدٍ ؛ فجعلوا ابنَ أبي سلمى نهايةً في التجويد ، كما ترى .
وذُكِرَ أن عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه قال : إن من أشعر شعرائكم زهيراً ، كان لا يُعَاظَلُ بين الكلام^(١) ، ولا يتبع حوشيةً ، ولا يمدح الرجل إلا بما يكون في الرجال .

وأخذ معنى قولِ زهير : * سعى بعدهم قوم لكي يدركوهم *
طربحُ بن إسماعيل الثقفى^(٢) ، فقال لأبي العباس عبد الله بن محمد بن علي السفاح :

قَدْ طَلَبَ النَّاسُ مَا بَلَغْتَ وَلَمْ يَأْتُوا فَا قَارَبُوا وَقَدْ جَهَدُوا^(٣)
فِيهِمْ مُلُوكٌ مَا لَمْ يَرَوْكَ ، فَإِنْ لَاحَ لَمْ مِنْكَ بَارِقٌ خَدُّوا
تَعْرِوهُمْ رِعْدَةٌ لَدَيْكَ كَمَا قُرُوفٌ تَحْتَ الدَّجْنَةِ الصَّرْدِ^(٤)
لَا خَوْفَ ظُلْمٍ وَلَا قَلِي خُلُقِي لَكِنْ جَلَالًا كَسَاكَهُ الصَّمَدِ^(٥)
مَا يُبْقِكَ اللَّهُ لِلْأَنَامِ فَأَيُّفُقَدُ مِنَ الْعَالَمِينَ مُفْتَقِدِ^(٦)

معاوية يبين
النبيل والمروءة
وقال معاوية رحمه الله : المروءة : احتمال الجريرة^(٧) ، وإصلاحُ أمر العشيبة ؛
والنبيلُ : الحلم عند الغضب ، والعفو عند القدرة .

- (١) يعاظل : يكرر ويردد . وفي الأصل « يفاضل » وهو تحريف
(٢) شاعر مجيد توفي نحو سنة ١٧٠ (٣) جهدوا : تعبوا
(٤) قرقف على صيغة المفعول : أرعد ، والدجنة : الظلمة ، والصدرد : الذي يشكو قسوة البرد (٥) القلي : البغض (٦) ما في هذا البيت شرطية (٧) الجريرة : الجناية ، واحتمال الجريرة : كناية عن دفع الدية لئلا يؤخذ الجاني بجنايته

قَرَّ من كلامه رضى الله عنه : ما رأيتُ تَبْذِيرًا قَطُّ إِلَّا وَإِلَى جَنْبِهِ حَقٌّ مُضَيِّعٌ . انْقَصُ النَّاسِ عَقْلًا مَنْ ظَلَمَ مَنْ هُوَ دُونَهُ . أَوْلَى النَّاسِ بِالْعَفْوِ أَقْدَرُهُمْ عَلَى الْعُقُوبَةِ . التَّسَلُّطُ عَلَى الْمَالِكِ مِنْ لُؤْمِ الْمَقْدَرَةِ وَسُوءِ الْمَمْلَكَةِ .

وقال يحيى بن خالد : ما حَسُنَ أَدَبُ رَجُلٍ إِلَّا سَاءَ أَدَبُ غِلْمَانِهِ (١) .
وقال معاوية : إِصْلَاحُ مَا فِي يَدِكَ أَسْلَمَ مِنْ طَلَبِ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ . غَضَبِي عَلَى مَنْ أَمْلِكُ ، وَمَا غَضَبِي عَلَى مَنْ لَا أَمْلِكُ ؟ .

ولما تَوَفَّى معاويةُ رحمه الله واستُخْلِفَ يزيدُ ابنه اجتمع الناسُ على بابه ، ولم يقدروا على الجمع بين تهنئة وتعزية ، حتى أتى عبدُ الله بن همام السَّوْلِي ، فدخل عليه فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، آجَرَكَ اللهُ عَلَى الرَّزِيَةِ ، وَبَارَكَ لَكَ فِي الْعَطِيَّةِ ، وَأَعَانَكَ عَلَى الرَّعِيَّةِ ، فَقَدْ رُزِيتَ عَظِيمًا ، وَأُعْطِيتَ جَسِيًّا ، فَاشْكُرِ اللهُ عَلَى مَا أُعْطِيتَ ، وَاصْبِرْ لَهُ عَلَى مَا رُزِيتَ ؛ فَقَدْ قَدَدْتَ خَلِيفَةَ اللهِ ، وَمُنِحْتَ خِلَافَةَ اللهِ ؛ فَفَارَقْتَ جَلِيلًا ، وَوَهَبْتَ جَزِيلًا ؛ إِذْ قَضَى مُعَاوِيَةُ نُحْبَهُ ، فَغَفَرَ اللهُ ذَنْبَهُ ؛ وَوَلَّيْتَ الرِّيَاسَةَ ، فَأُعْطِيتَ السِّيَاسَةَ ؛ فَأَوْرَدَكَ اللهُ مَوَارِدَ السَّرُورِ ، وَوَقَّفَكَ لِصَالِحِ الْأُمُورِ ، وَأَنْشَدَهُ :

اصْبِرْ يَزِيدُ فَقَدْ فَارَقْتَ ذَا ثِقَةٍ وَاشْكُرْ حِيَاءَ الَّذِي بِالْمَلِكِ أَضْفَاكَ (٢)
لَارْزَاءَ أَصْبَحَ فِي الْأَقْوَامِ نِعْمَانَهُ كَمَا رُزِيتَ وَلَا عَقْبِي كَعُقْبَاكَ
أَصْبَحْتَ وَإِلَى أَمْرِ النَّاسِ كُلِّهِمْ فَأَنْتَ تَرَعَاهُمْ وَاللَّهُ يَرَعَاكَ
وَفِي مُعَاوِيَةَ الْبَاقِي لِنَاخِلْفٍ إِذَا نَعَيْتَ وَلَا نَسْمَعُ بِمَنْعَاكَ (٣)

يريد أبا ليلي معاوية بن يزيد ، ووُلِّيَ بعد أبيه شهرًا ، ثم انخلع عن الأمر ، فقال القائل :

(١) يظهر أن هذه الكلمة وقعت استطرادا من المؤلف ، وإذ كان الغرض ذكر

قمر من كلام معاوية

(٢) الحياء : العطاء (٣) «لا» حرف دعاء ، ولذلك جزم بها الفعل إلحاقا بلا الناهية

* والملك بعد أبي ليلي لمن غلبا *

الجمع بين التهينة والتعزية
وأول مَنْ فَتَحَ الباب في الجمع بين تهينة وتعزية عبد الله بن همام ، فَوَلَّجَهُ الناس ، ومن جَيِّد ما قيل في ذلك قصيدةُ أبي تمامٍ الطائي يمدح الواثقَ ويرثي المعتصم يقول فيها :

إِنْ أَصْبَحَتْ هَضْبَاتُ قَدْسٍ أزالها قَدَرٌ فَمَا زَالَتْ هِضَابُ شَمَامٍ^(١)
أَوْ يُفْتَقَدُ ذُو النُّونِ فِي المِهْيَجَا فَقَدْ دَفَعَ الإِلَهُ لَنَا عَنِ الصَّمَامِ
أَوْ كُنْتُ مَنَا غَارِبَا غَدَوَا فَقَدْ رُحْنَا بِأَنْمِي غَارِبٍ وَسَنَامٍ^(٢)
تلك الرزية لا رزية مثلها والقسم ليس كسائر الأقسام^(٣)
وهذا المعنى كثير .

وكان معاوية رحمه الله قد ترك قول الشعر في آخر عمره ، فنظر يوماً إلى جارية في داره ذات خلق رائع ، فدعاها فوجدها بكرأ فافترعها ، وأنشأ يقول :

سئمت غوايتي فأرحتُ حلمي وفي علي تحملي اعتراضُ
على أني أجيب إذا دعنتي ذواتُ الدَّلِّ والحَدَقِ المِراضُ
فقر لجماعة الصحابة والتابعين رضي الله عنهم

ابن عباس : الرخصة من الله صدقة ، فلا تردُّوا صدقته^(٤) . لكل داخل هية فابدهوه بالتحية ، ولكل طاعم حشمة فابدهوه باليمين .

ابن مسعود رحمه الله : الدنيا كلها هموم ، فما كان منها في سرور فهو ربح . عمرو بن العاص : مَنْ كَثُرَ إِخْوَانُهُ كَثُرَ غُرْمَاؤُهُ . وقال : أكرُّ مؤاسفهاءكم ، فإنهم يكتفونكم العار والنار .

المغيرة بن شعبة : العيشُ في بقاء الحشمة . في كل شيء سرف إلا في العروف .

(١) شمام : اسم جبل لباهلة (٢) الغارب : الكاهل (٣) القسم : النصيب
(٤) الرخصة : تسهيل الله للعبد فيما يخففه عليه كتقصير الصلاة ، وإباحة الفطر للمسافر

هذا كقول الحسن بن سهل^(١) — وقد أنفقَ في دخول ابنته بُورانَ على
 المأمون أموالاً عظيمة — فقيل له : لا خيرَ في السرفِ . قال : لا سرفَ في
 الخيرِ . فرد اللفظَ واستوفى المعنى :

معاذ بن جبل : الدين هدم الدين .

زياد : أرض من أخيك إذا ولى ولايةً بعشرٍ وُدّه قبلها .

مصعب بن الزبير^(٢) : التواضع من مصاديد الشرف .

الأحنف بن قيس : من لم يصبرِ على كلمة سمعَ كلماتٍ ! وقيل له : من السيد ؟
 قال : الذي إذا أقبلَ هابوه ، وإذا أدبرَ عابوه . وله : سرُّك من دمك^(٣) . وله : من
 تسرعَ إلى الناسِ بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون . وله : الكامل من عدت هفواته .
 وقال يزيد بن محمد المهلبى^(٤) :

ومن ذا الذي تُرضى سجاياه كلها كفى المرءُ نبلاً أن تُعدَّ معائبه

الحسن البصرى : ألا تستحيون من طول ما لا تستحيون ! ابن آدم راحلٌ
 إلى الآخرة كل يوم مرحلة . ما أنصفك من كلفك إجلاله ، ومنعك ما له . بدن
 لا يشكى مثل مالٍ لا يركى . إن امرءاً ليس بينه وبين آدم أبٌ حتى لمُعرقٍ في الموتى .
 قال الطائي :

تأمل رويداً هل تعدنَّ سالماً إلى آدمٍ أو هل تعدنَّ ابنَ سالمٍ

وقال أبو نواس :

وما الناسُ إلا هالكٌ وابنُ هالكٍ وذو نسبٍ في الهالكين عريق

- (١) كان وزير المأمون ، ومن أعلام زمانه ، توفي سنة ٢٣٦ بعد أن تغير عقله بمرض
 السوداء (٢) أحد الأبطال المشاهير ، وله مواقف معروفة في التاريخ ، توفي سنة ٧١
 (٣) تصحفت هذه العبارة على كل من نشر هذا الكتاب من أدباء هذا العصر
 قفروها « سرُّك من دمك » وضبطوها على أن أولها فعل ماضٍ من السرور وآخرها
 فعل ماضٍ من التمس ، وأى سرور يدخل على من يسمع ذمه ؟ وإنما هي كاضبطناها
 والمراد الوصية بكتان السر (م)
 (٤) كان يزيد بن محمد شاعر المتوكل وقد رثاه بعد وفاته أبلغ رثاء . توفي ببغداد سنة ٢٥٩

إذا أمتحن الدنيا ليبي^١ تكشفت له عن عدوِّ في ثياب صديق
 وكان المأمون يقول : لو قيل للدنيا : صفي نك ما عدت هذا البيت ؛
 وهو مأخوذ من قول مزاحم العقيلي :

قضين الهوى ثم ارتمى قلوبنا بأسمهم أعداء وهن صديق
 عمر بن عبد العزيز رحمه الله : ما الجزع عمالاً بدنه؟ وما الطمع فيما لا يرّجى؟
 لا تكن ممن يلعن إبليس في العلانية ويؤاليه في السرّ .

الشعبي : إني لأستحي من الحق إذا عرفته ألا أرجع إليه .

قطعة من كلام لبني علي بن أبي طالب أهل البيت رضي الله عنهم : [أهل
 الفضل والإحسان ، وتلاوة القرآن ، ونبعة الإيمان ، وصوام شهر رمضان]^٢ ولهم
 كلام يعرض في حلّي البيان ، ويُنقش في فصّ الزمان ، ويُحفظ على وجه الدهر ،
 ويفضح فلائذ الدُّر ، ويُخجل نورَ الشمس والبدر ، ولم لا يطنون ذُيولَ
 البلاغة ، ويحجرون فضول البراعة ، وأبوهم الرسول ، وأُمهم البتول^٣ ، وكلهم
 قد غدّى بدرَ الحكم^٤ ، ورُبّي في حِجر العلم :

ما منهم إلا مرّبّي بالحجّي أو مبشّر بالأخوذية مؤدم^٥

آخر :

تمتّهُ العرائن من هاشم إلى النسب الأوضح^٦

(١) البتول : لقب مريم عليها السلام لأنها انقطعت عن الزواج وظلت عذراء ، ثم

قيل لفاطمة البتول تشبيهاً بها في النزلة عند الله

(٢) الحكم : بضم الحاء هو الحكمة ، ومنه (وآتيناها الحكم صبيا)

(٣) الأخوذية : الحذق والخفة ، وهو مبشّر بالأخوذية ومؤدم : يعنى أن بشرته

وأدمه أى جلده حتى بالمهارة والنشاط (٤) العرائن : الأوائل

وصف أهل
 البيت

إلى نَبْعَةٍ فَرَعَهَا فِي السَّمَاءِ وَمَغْرَسُهَا فِي ذُرَى الْأَبْطَحِ (١)

وهم كما قال مسلم بن بلال العبدى — وقد قيل له : خطب جعفر بن سليمان خطبةً لم يُرَ أحسن منها ، فلا يُدرى أوجه أحسن أم خطبته ؛ فقال : أولئك قوم بنور الخلافة يُشْرِقُونَ ، وبلسان النبوة ينطقون ، وفيهم يقول القائل :

لو كان يُوجَدُ عَرَفٌ مَجْدٍ قَبْلَهُمْ لوجدته منهم على أميال (٢)
 إن جنتهم أبصرت بين بيوتهم كَرَمًا يقيك مواقف التَّسَالِ
 نور النبوة والمكارم فيهم متوقد في الشيب والأطفال (٣)

وسئل سعيد بن المسيب : مَنْ أبلغ الناس ؟ فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال السائل : إنما أعنى مَنْ دونه . فقال : معاوية وابنه ، وسعيد وابنه ، وإنَّ ابن الزبير لحسنُ الكلام ، ولكن ليس على كلامه ملح . فقال له رجل : فأين أنت من على وابنه ، وعباس وابنه ؟ فقال : إنما عنيت من تقاربت أشكالهم ، وتدانئت أحوالهم ، وكانوا كسيهام الجعبة (٤) ، وبنوهاشم أعلام الأنام ، وحكام الإسلام (٥) .

فصل لأبي عثمان عمرو بن بجز الجاحظ

في ذكر قريش ، وبني هاشم

قد علم الناس كيف كرم قريش وسخاؤها ، وكيف عقولها ودهاؤها ، وكيف رأيتها وذكاؤها ، وكيف سياستها وتدييرها ، وكيف إنجازها وتحيرها (٦)

(١) الأبطح : مسيل واسع فيه دقاق الحصى (٢) العرف بالفتح : الريح (٣) الشيب جمع أشيب (٤) الجعبة : الكنانة توضع فيها السهام والنشاب (٥) يلاحظ القارىء أن المؤلف لم يذكر ماسماه «قطعة من كلام لبنى على بن أبى طالب» وإنما تكلم عن أهل البيت وما قيل فيهم ، ثم انتقل إلى الكلام عن قريش . ولكن سئى كيف يعود إلى أبناء على بعد قليل (٦) في نسخة «وتحسيرها» والمراد ما يقابل الإنجاز ، وهو الإطناب والغرض وصف قريش بأنها تجيد إطالة القول حين تشاء

وكيف رجاجة أحلامها إذا خفَّ الحليم ، وحدهً أذهانها إذا كَلَّ الحديد^(١)
 وكيف صَبْرُهَا عند اللقاء ، وثباتها في اللأواء^(٢) ، وكيف وفاؤها إذا استُخْسِنَ
 القَدْرُ ، وكيف جُودُهَا إذا حُبَّ المال ، وكيف ذِكْرُهَا لأحاديثِ غدٍ
 وقلةُ صدودها عن جهة القصد^(٣) ، وكيف إقرارها بالحق ، وصبرها عليه ،
 وكيف وصفها له ، ودعاؤها إليه ، وكيف سماحة أخلاقها ، وصونها لأعرافها ،
 وكيف وصلوا قديمهم بحديثهم ، وطريفهم بتليدهم ، وكيف أشبه علانيتهم سرهم
 وقولهم قائلهم . وهل سلايةُ صدرِ أحدكم إلا على قدر بُعْدِ غوره^(٤) ؟ وهل
 غفلته إلا في وزن صدق ظنه ، وهل ظنه إلا كيقين غيره ؟
 وقال عمر : إنك لا تنتفع بعقله حتى تنتفع بظنه .

قال أوس بن حجر^(٥)

الألمعي الذي يظنُّ لك الظنَّ كأنَّ قد رأى وقد سمعا

وقال آخر :

مليحٌ نجيحٌ أخو مازنٍ فصيحٌ يحدثُ بالغائبِ

وقال بلعاء بن قيس :

وَأَيْنِي صَوَابَ الرَّأْيِ أَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا طَاشَ ظَنُّ الْمَرْءِ طَاشَتْ مَقَادِرُهُ

بل قد علم الناس كيف جمالها وقوامها ، وكيف نماؤها وبهاؤها ، وكيف
 سرؤها ونجاتها^(٦) ، وكيف بيانها وجهارتها ، وكيف تفكيرها وبداعتها ،

(١) الحديد : القوى الدهن (٢) اللأواء : الشدة

(٣) القصد : الغرض (٤) الغور : القعر من كل شيء . وفلان بعيد الغور : متعمق

النظر ، وهو بحر لا يدرك غوره ، وفي الأصل «بعد غدرة» بالدال ، وأحسب أنه

تحريف (٥) أوس بن حجر : هو شاعر تميم في الجاهلية ، مات قبيل الإسلام ، وهو

صاحب العينية التي قيل في مطلعها إنه أشجى بيت ، وهو قوله :

أيتها النفس أجملی جزعا إن الذي تحذرين قد وقعا

(٦) السرو : الشرف . والنجاة : كرم الحساب

فالعرب كالبَدَن وقريشٌ رُوحُها ، وقريشٌ روحٌ وبنو هاشم سرُّها ولُبُّها ،
وموضع غاية الدين والدينامنها ، وبنو هاشمٌ ملح الأرض ، وزينة الدنيا ، وحلى
العالم ، والسَّنَام الأضخم ، والكاهل الأعظم ، ولُبَّابُ كلِّ جوهر كريم ، وسرُّ
كلِّ عنصُرٍ شريف ، والطَّيْنَةُ البيضاء ، والمَغْرَسُ المبارك ، والتَّصَابُ الوثيق^(١) ،
ومَعْدِنُ الفَهْمِ ، وينيوع العِلْمُ ، ومَهْلَانُ ذُو الهَضَابِ فِي الحِلْمِ^(٢) ، والسيفُ الحُسامِ
فِي العَزْمِ^(٣) مع الأناة والحُزْمِ ، والصفح عن الجرم ، والقصد عند المعرفة ،
والعفو بعد المقدرة ، وهم الأنفُ المقدم ، والسَّنَام الأكرم ، وكالماء الذي
لا ينجسه شيء ، وكالشمس التي لا تخفى بكل مكان ، وكالذهب لا يُعرفُ
بالنقصان ، وكالنجم للحَيْرَانِ ، والبارد للظَّمَانِ ، ومنهم الثَّقَلَانِ ، والشهيدان ،
والأطيان ، والسَّبْطَانِ ، وأسد الله ، وذو الجَنَاحَيْنِ ، وذو قَرْنَيْنِهَا ، وسَيِّدُ
الوَادِي ، وساقِي الحَجَّيْحِ ، وحَلِيمُ البَطْحَاءِ ، والبحر ، والحبر^(٤) ، والأنصار
أنصارهم ، والمهاجرون مَنْ هاجر إليهم أو معهم ، والصدِّيق مَنْ صدقهم ،
والفاروق من فرَّق بين الحق والباطل فيهم ، والحواريُّ حواريَّهم ، وذو الشهادتَيْنِ
لأنه شهيدَ لهم ، ولا خيرَ إلا لهم أو فيهم أو معهم ، أو يُضَافُ إليهم ، وكيف
لا يكونون كذلك ومنهم رسولُ رب العالمين ، وإمامُ الأولين والآخرين ،
ونجيبُ المرسلين ، وخاتمُ النبيين ، الذي لم يتم لنبى نبوةٌ إلا بعد التصديق
به ، والبشارة بمجيئه ، الذي عمَّ برسالته ما بين الخافقين ، وأظهره الله على الدين
كله ولو كره المشركون؟

قال الحسن بن علي عليهما السلام لحبيب بن مسleme الفهرى : رُبَّ مَسِيرٍ لَكَ

بين الحسن بن

علي السبط

وحبيب بن

مسleme الفهرى

(١) النصاب : الأصل (٢) مهلان : اسم جبل (٣) الحسام : القاطع

(٤) تلك ألقاب اخص بها فريق من أشرف قريش ، يرجع إليها من شاء في كتب

السيرة والغزوات

في غير طاعة الله ! قال : أَمَا مَسِيرِي إِلَى أُنَيْكَ فَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ ! قَالَ : بَلَى !
أَطَعْتَ فَلَنَا عَلَى دُنْيَا بِسِيرَةٍ ، وَلِعَمْرِي لَئِنْ كَانَ قَامَ بِكَ فِي دُنْيَاكَ لَقَدْ قَعَدَ بِكَ
فِي دِينِكَ ، فَلَوْ أَنَّكَ إِذْ فَعَلْتَ شَرًّا قُلْتَ خَيْرًا كُنْتَ كَمَنْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :
(خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) وَلَكِنَّكَ كَمَا قَالَ :
(كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) .

صفة الحسن بن علي السبط
وكان الحسن عليه السلام جواداً ، كريماً ، لا يردُّ سائلاً ، ولا يقطع نائلاً ،
وأعطى شاعراً مالا كثيراً فقيل له : أَتُعْطِي شَاعِرًا يَعْصِي الرَّحْمَنَ ، [وَيَطِيعُ
الشَّيْطَانَ] ، ويقول البُهْتَانُ ؟ فقال : إِنْ خَيْرٌ مَا بَدَلْتَ مِنْ مَالِكَ مَا وَقَّيْتَ بِهِ
عِرْضَكَ ، وَإِنَّ مِنْ ابْتِغَاءِ الْخَيْرِ انْتِغَاءَ الشَّرِّ .

وقد روى مثل ذلك عن الحسين رضي الله عنه ، وقيل : إِنْ شَاعِرًا مَدَحَهُ
فَأَجْرَلْ ثَوَابَهُ ، فَلِمَ عَلَى ذَلِكَ ، فقال : أَتَرَانِي خِفْتُ أَنْ يَقُولَ : لَسْتُ ابْنَ فَاطِمَةَ
الزَّهْرَاءِ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا ابْنَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ! وَلَكِنِّي
خِفْتُ أَنْ يَقُولَ : لَسْتُ كَرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا كَعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛
فِيصَدَّقَ ، وَيُجَمَلَ عَنْهُ ، وَيَبْقَى مُخَلَّدًا فِي الْكُتُبِ ، مُحْفُوظًا عَلَى أَسْنَةِ الرِّوَاةِ . فقال
الشاعر : أَنْتَ وَاللَّهِ يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْرَفُ بِالْمَدْحِ وَالذَّمِّ مِنِّي .

محمد بن الحنفية
يرثي أخاه
الحسن بن علي
ولما توفى الحسن أدخله قبره الحسين ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس
رضي الله عنهم ، ثم وقف محمد بن علي قبره وقد اغرورقت عيناه بالدموع ، وقال :
رَحِمَكَ اللَّهُ يَا مُحَمَّدُ ! فَلَيْتَ عَزَّتْ حَيَاتُكَ ، لَقَدْ هَدَّتْ وَفَاتُكَ ، وَلِنِعْمِ الرُّوحُ
رُوحٌ تَضَمَّنَهُ بَدُنُكَ ؛ وَلِنِعْمِ الْجَسَدُ جَسَدٌ تَضَمَّنَهُ كَفَنُكَ ، وَلِنِعْمِ الْكَفَنُ كَفَنٌ
تَضَمَّنَهُ لِحَدُوكَ ، وَكَيْفَ لَا تَكُونُ كَذَلِكَ وَأَنْتَ سَلِيلُ الْهُدَى ، وَخَامِسُ أَصْحَابِ
السِّبَا ، وَخَلْفُ أَهْلِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى ؟ جَدُّكَ النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى ، وَأَبُوكَ عَلِيُّ الْمُرْتَضَى ،
وَأُمُّكَ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءِ ، وَعَمُّكَ جَعْفَرُ الطَّيَّارِ فِي جَنَّةِ الْمَأْوَى ، وَغَدَتُكَ أَكْفُ
الْحَقِّ ، وَرَبَّيْتَنِي فِي حِجْرِ الْإِسْلَامِ ، وَرَضَعْتَ تَدْيِي الْإِيمَانِ ، فَطَبَّتْ حَيًّا وَمَيِّتًا ؛

فلئن كانت الأنفُسُ غيرَ طَيِّبَةٍ لِفراقِك ؛ إنها غيرُ شاكَّةٍ أنْ قد خيَّرَ لَكَ ، وإِنَّكَ وأَخاك لسيِّداً شَبابِ أهلِ الجنَّةِ ، فعليك يا أبا محمد منا السلام .

وقام رجلٌ من ولد أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب على قَبْرِهِ ، فقال : رجل من ولده
 إنَّ أقدامِكُم قد نَقَلتْ ، وإنَّ أعناقِكُم قد سَحَلتْ إلى هذا القبرِ ولياً من أوليائه الحارث يرنى
 اللهُ يُبَشِّرُ نبيَّ اللهُ بمقدمه ، وتُفْتَحُ أبوابُ السماءِ لروحه ، وتبتهجُ الحورُ العِينُ الحسن بن علي
 بِلِقائِهِ ^(١) ، ويأنسُ به سادةُ أهلِ الجنَّةِ من أمته ، ويوحشُ أهلَ الحِجَابِ والدين
 فقَدَهُ ، رحمةَ اللهُ عليه ، وعنده تحتَسَبُ المصيبةُ به .

ألفاظ لأهل العصر في ذكر المصيبة بأبناء النبوة

قد نعى سليلٌ من سلالة النبوة ، وفرَّغ من شجرة الرسالة ، وعُضُوهُ من
 أعضاء الرسول ، وجزءٌ من أجزاء الوصيِّ والبتول ^(٢) . كتبت وليتني ما كتبت وأنا
 ناعي الفضل من أقطاره ، وداعي المجدِ إلى شَقِّ ثوبِهِ وصِدارِهِ ، ومخبر أن شمس
 الكرم واجبة ^(٣) والمآثر مودَّعة ، وبقايا النبوة مرتفعة ، وآمال الإمامة منقطعة ،
 والدين منخذيلاً واجم ^(٤) ، وللتقوى دَمَعانُ هامٍ وساجم . كتابي وقد شلتُ يمين
 الدهر ، وفقيتُ عينُ المجد ، وقصُرَ باعُ الفضل ، وكسِفَت شمسُ المساعي ، وخسِفَ
 قمرُ المعالي ، وتجدَّد في بيت الرسالة رُزءُ جدِّ المصائب ، واستعاد التوائب ؛ كل
 هذا لفقْد من حطَّ الكرمُ برَبِّهِ ، ثم أدرج في بُرْدِهِ ، وامتزج المجدُّ به ، فدفن
 بدفنه ، إنها لمصيبةٌ عمَّت بيتَ الرسالة ، وغضت طرفَ الإمامة ، وتحيفتُ
 جانبَ ^(٥) الوُحَى المنزَّل ، وذكَّرت بموت النبي المرسل . كتبت والدهرُ ينعي مُهْجَتَهُ

(١) الحور العين : لقب نساء أهل الجنة ، والحور : جمع حوراء ، من الحور
 بالتحريك وهو أن يشتد بياض بياض العين وسواد سوادها ، أو هو اسوداد العين
 كلها مثل عيون الظباء ، والعين : جمع عينا وهو الحلوة العينين

(٢) الوصي : هو علي بن أبي طالب ، والبتول : لقب فاطمة الزهراء (م)

(٣) وجبت الشمس : غابت (٤) واجم : مطرق عبوس (٥) تحيفت : انتقصت (م)

والمجد يُندب بهجته ، ومهابط الوحي والرسالة تحنى ظهورها أسفا ، وماقى الإمامة
والوصية والرسالة تُذرى دموعها لهفاً ؛ وذلك أن حادث قضاء الله استأثر بفرع
النبوة ، وعنصر الدين والمروءة .

[رجع إلى كلام أهل البيت]

ووقع بين الحسنِ ومحمد بن الحنفية^(١) لِحاء ، ومَشَى الناسُ بينهما بالنمائم ،
فكتب إليه محمد بن الحنفية : أمّا بعد فإن أبى وأباك على بن أبي طالب ؛ لاتفضلنى
فيه ولا أفضلك ، وأمى امرأة من بنى حنيفة ، وأمك فاطمة الزهراء بنت رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، فلو ملئت الأرضُ بمثل أمى لكانت أمك خيراً منها ؛
فإذا قرأت كتابى هذا فأقدم حتى ترضانى ، فإنك أحق بالفضل منى .

بين الحسن بن
على وأخيه محمد
ابن الحنفية

وخطب الحسين بن على رضوان الله عليهما غداة اليوم الذى استشهد فيه ،
فحمد الله تعالى وأثنى عليه ؛ ثم قال : يا عباد الله ، اتقوا الله ، وكونوا من الدنيا
على حذر ؛ فإن الدنيا لو بقيت على أحد [أو بقى عليها أحد] لكانت
الأنبياء أحق بالبقاء ، وأولى بالرضاء ، [وأرضى] بالقضاء ؛ غير أن الله تعالى
خلق الدنيا للفناء ، فجديدها بال ، ونعيمها مضمحل ، وسرورها مكفهر^(٢) ،
منزل تلمعة ، ودار قلعة^(٣) ؛ فتزودوا فإن خير زاد التقوى ، واتقوا الله
لعلكم تفلحون .

خطبة للحسين
بن على

(١) محمد بن الحنفية : هو محمد بن على ، أخو الحسن والحسين ، وأمه خولة بنت جعفر
الحنفية ينسب إليها تمييزاً له عن أخويه . ولد في المدينة سنة ٢١ وتوفى بها سنة ٨٠
(٢) مكفهر مغبر (٣) التلمعة : ما ارتفع من الأرض ، وما انهبط منها ، فهى من
الأضداد ، وهى كذلك مسيل الماء وما اتسع من فوهة الوادى ، ومنازل التلاع لا ثبات
لها لأنها عرضة لهجات السيل ، ودار قلعة : أى انقلاع وذهاب . وفى الأصل «والمنزل
تلمعة والدار قلعة » وما أثبتناه أنسب

وكان معاوية بن أبي سفيان عيّن بالمدينة يكتبُ إليه بما يكونُ من أمور بين معاوية والناس وقريش ، فكتب إليه : إنَّ الحسين بنَ عليٍّ أعتقَ جاريةً له وتزوَّجها ؛ والحسين بن عليٍّ فكتبَ معاويةُ إلى الحسين : من أمير المؤمنين معاوية إلى الحسين بن عليٍّ . أمّا بعد ، فإنه بلغني أنك تزوّجتَ جاريَتَكَ ، وتركتَ أكَفَاءَكَ من قریش ، مِمَّنْ تَسْتَنْجِبُهُ للولد ، وتمجد به في الصَّهْر ، فلا لِنَفْسِكَ نَظَرْتُ ، ولا لَوَلَدِكَ انْتَقَيْتَ .

فكتب إليه الحسين بن عليٍّ : أمّا بعد ، فقد بلغني كتابُكَ ، وتعميرُكَ إِيَّايَ بَأني تزوّجتُ مولاتي ، وتركتَ أكَفأَي من قریش ، فليسَ فوقَ رسولِ الله مُتَمَهِّي في شرف ، ولا غايةً في نسب ؛ وإنما كانت ملكَ يميني ، خرجتَ عن يدي بأمرِ التمسْتُ فيه ثوابَ الله تعالى ؛ ثم ارتجعتها على سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وقد رفعَ اللهُ بالإسلامِ الحسيسة ، ووضعَ عَنَّا به النقيصة ؛ فلا لَوَمَ على امرئ مسلمٍ إلا في أمرٍ مآثم ، وإنما اللومُ لَوَمُ الجاهلية . فلما قرأ معاويةُ كتابه نَبَذَهُ إلى يزيد ققرأه ، وقال : لَشَدَّ ما فخرَ عليك الحسين ! قال : لا ، ولكنها السنةُ بنِي هاشمِ الحِدادِ التي تَقْلِقُ الصَّخْرَ ، وتَعْرِفُ من البحر !

والحسين - رضی الله عنه ! - هو القائل :

لَعَمْرُكَ إِنِّي لِأَحِبُّ دَارًا تَحُلُّ بِهَا سُكِينَةُ وَالرَّبَابُ
أُحِبُّهُمَا وَأَبْذُلُ كُلَّ مَالِي وليسَ لِلأُمِّ عِنْدِي عِتَابُ

من شعر
الحسين بن عليٍّ

سُكِينَةُ: ابنته، والرَّبَابُ: أمُّها، وهي بنت امرئ القيس [بن الجرول] الكلبيّة .
وفي سُكِينَةَ يقول عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة الخزومي كذباً عليها (١) :

(١) انظر الطبعة الثالثة من كتاب « حب ابن أبي ربيعة وشعره » فيه فصل مطول عن السيدة سَكِينَةَ بنت الحسين وحياتها الأدبية والوجدانية وعلاقتها بعمر بن أبي ربيعة ل ترى أكان يكذب عليها كما يحدثنا صاحب زهر الآداب ؟

لابن أبي ربيعة
في سكينه بنت
الحسين

قالت سَكِينَةُ والدموعُ دَوَارِفُ
ليتَ الْمُعْبِرِيُّ الذي لَمْ أَجْزِهِ
كانت تردُّ لنا الَمْنَى أَيامنا
خُبِرْتُ مَا قَالَتْ قَبْتُ كَأَنَّمَا
أَسْكِينُ مَا مَاءَ الْفُرَاتِ وَطَيْبُهُ
بِأَلَدِّ مَنْكَ ، وَإِنْ نَأَيْتِ ، وَقَلَّمَا
إِنْ تَبَدَّلِي لِي نَائِلًا أَشْفِي بِهِ
وَعَصَيْتُ فَيْكَ أَقَارِبِي وَتَقَطَعْتُ
فَتَرَكْتَنِي لَا بِالْوَصَالِ مُمْتَعًا
فَقَعَدْتُ كَالْمُسَهْرِيْقِ فَضْلَةَ مَائِهِ

تَجْرِي عَلَى الْخَدَّيْنِ وَالْجَلْبَابِ
فِيمَا أَطَالَ تَصَيِّدِي وَطَلَابِي
إِذْ لَا نُلَامُ عَلَى هَوَى وَتَصَابِ
يُرْمِي الْحَشَى بِنَوَافِدِ النَّشَابِ
مِنِّي عَلَى ظَلَمًا وَقَدَّ شَرَابِ
تَرَعَى النِّسَاءَ أَمَانَةَ الْغِيَابِ
دَاءَ الْفَوَادِ قَدَّ أَطَلَّتْ عَذَابِي
بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ عَزَى الْأَسْبَابِ
مِنْهُمْ ، وَلَا أَسْمَعْتَنِي بِشَوَابِ
فِي حَرِّ هَاجِرَةٍ لِلْمَعِ سَرَابِ

سكينة ترى - وكانت سكينه من أجل نساء زمانها وأعقلهن ، وكان مصعب بن الزبير
مصعب بن الزبير قد جمَعَ بينها وبين عائشة بنت طلحة بن عبيد الله ؛ فلما قُتِلَ مصعب
قالت سكينه :

فَإِنْ تَقْتُلُوهُ تَقْتُلُوا الْمَاجِدَ الَّذِي
وَقَبْلَكَ مَا خَاضَ الْحَسِينَ مَنِيَّةً
يَرَى الْمَوْتَ إِلَّا بِالسِّيْفِ حَرَامًا
إِلَى الْقَوْمِ حَتَّى أَوْرَدُوهُ حِمَامًا

لعلي بن الحسين وقال علي بن الحسين (١) رحمه الله : لو كان الناس يعرفون جملة الحال
في فضل الاستبانة ، وجملة الحال في فضل التبيين ، لأعربوا عن كل ما يتلجلج
في صدورهم ، ولو جدوا من برود اليقين ما يفيضهم عن المنازعة إلى كل حال سوى

(١) كان علي بن الحسين مضرب المثل في الحلم والتقوى والسخاء . أحصى بعد
موته عدد من كان يقوتهم سرا فإذا هم نحو مائة بيت . قال محمد بن إسحاق : كان
ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين معايشهم وما كلمهم ، فلما مات علي بن
الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به ليلًا إلى منازلهم . وله أثابة الله بالمدينة سنة ٣٨
وتوفي سنة ٩٤ .

حالمهم ، على أن إدراك ذلك كان لا يعدمهم في الأيام القليلة العدة ،
والفكرة القصيرة المدّة ، ولكنهم من بين مغمور الجهل ، ومفتون
بالمعجب ، ومعدول بالهوى عن باب الثبّت ، ومصروف بسوء العادة عن
فضيل التعلم .

وقال رضى الله عنه : المرأه يُفسدُ الصداقة القديمة ، ويحلّ العقدة الوثيقة ،
وأقلّ مافيه أن تكون به المغالبة ، والمغالبة من أمتن أسباب القطيعة .
ومن دعائه : اللهم ارزقنى خوف الوعيد ، وسرور رجاء الموعود ، حتى لأرجو
إلا ما رجيت ، ولا أخاف [إلا] ماخوفت .

وحجّ هشام بن عبد الملك ، أو الوليد أخوه ، فطاف بالبيت وأراد استلام
الحجر فلم يقدر ، فنُصِبَ له منبرٌ فجلس عليه ؛ فبينما هو كذلك إذ أقبلَ على بن
الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه في إزار ورداء ، وكان أحسن الناس
وجهاً ، وأعظم راحةً ، وأكثرهم خشوعاً ، وبين عينيه سجادة^(١) ، كأنها رُكبة
عنز ، وطاف بالبيت ، وأتى ليستلم الحجر ، فتنحى له الناس هيبّة وإجلالاً ،
ففاظ ذلك هشاماً ؛ فقال رجلٌ من أهل الشام : من الذى أكرمه الناس هذا
الإكرام ، وأعظموه هذا الإعظام ؟ فقال هشام : لا أعرفه ، لئلا يعظّم فى صدور
أهل الشام ؛ فقال الفرزدق وكان حاضراً :

هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا النقيّ التقى الطاهر العلم
هذا الذى تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحلّ والحرم
إذا رأته قريشٌ قال قائلها	إلى مكارم هذا ينتهى الكرم
يكادُ يمسكه عرفان راحته	رُكن الحطيم إذا ما جاء يستلم ^(٢)

(١) المراد بالسجادة أثر السجود .

(٢) يريد أن ركن الحطيم يكاد يمسكه لعرفان راحته ويقينه بأنها من سلالة الرسول

الفرزدق يمدح
علياً بن
العابدين ابن
الحسين

فِي كَفِّهِ خَيْرٌ زَانٍ رِيحُهُ عَبِقٌ
 يُغِيضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ
 مُشْتَقَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ تَبِعَتْهُ
 يُنَمِّي إِلَى ذِرْوَةِ الْعِزِّ الَّتِي قَصُرَتْ
 يَنْجَابُ نُورَ الْمَهْدِيِّ عَنِ نُورِ غُرَّتِهِ
 حَمَلُ أَثْقَالِ أَقْوَامٍ إِذَا اقْتَرَحُوا
 هَذَا ابْنُ فَاطِمَةَ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَهُ
 اللَّهُ فَضَّلَهُ قَدَمًا وَشَرَفَهُ
 مِنْ جَدِّهِ دَانَ فَضْلُ الْأَنْبِيَاءِ لَهُ
 عَمَّ الْبَرِيَّةَ بِالْإِحْسَانِ فَانْقَشَعَتْ
 كَلْتَا يَدَيْهِ غِيَاثٌ عَمَّ نَفْعُهُمَا
 سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لَا تُخْشَى بُوَادِرُهُ
 لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ مَيْمُونٌ بَعْرَتِهِ
 مَا قَالُ «لَا» قَطُّ إِلَّا فِي تَشْهَدُهُ
 مِنْ مَعْشَرِ حُبِّهِمْ دِينَ، وَبَعْضُهُمْ
 يُسْتَدْفَعُ السُّوءَ وَالْبَلَاةَ بِحُبِّهِمْ
 مَقْدَمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللَّهِ ذِكْرُهُمْ
 إِنْ عُدَّ أَهْلُ التَّقْوَى كَانُوا أُمَّتَهُمْ
 لَا يَسْتَطِيعُ جَوَادُ بَعْدَ غَايَتِهِمْ

فِي كَفِّ أُرْوَعٍ فِي عِرِّيْنِهِ شَمَمٌ (١)
 فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ
 طَابَتْ عُنَاصِرُهُ وَالخَيْمُ وَالشِّيمُ (٢)
 عَنْ نَيْلِهَا عَرَبُ الْإِسْلَامِ وَالْعَجَمُ (٣)
 كَالشَّمْسِ يَنْجَابُ عَنْ إِشْرَاقِهَا الْقَمَمُ (٤)
 حُلُو الشَّمَائِلِ تَحَلُّو عِنْدَهُ نَعَمُ
 بِحُدَّةِ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ قَدْ خُتِمُوا
 جَرَى بِذَلِكَ لَهُ فِي لَوْحِ الْقَلَمِ
 وَفَضْلُ أُمَّتِهِ دَانَتْ لَهُ الْأُمَّمُ
 عَنْهَا الْغِيَابَةُ وَالْإِمْلَاقُ وَالظُّلْمُ (٥)
 تَسْتَوَكْفَانُ وَلَا يَعْرِوْهَا الْعُدْمُ (٦)
 تَزِينُهُ الْأَثْنَانُ الْحِلْمُ وَالكَرَمُ
 رَحْبُ الْفَنَاءِ أَرِيْبٌ حِينَ يَعْتَزَمُ (٧)
 لَوْلَا التَّشَهُدُ كَانَتْ لَاءَهُ نَعَمُ
 كُفْرٌ، وَقُرْبُهُمْ مَنْجِيٌّ وَمُعْتَصِمٌ
 وَيَسْتَرْبُ بِهِ الْإِحْسَانُ وَالنَّعَمُ (٨)
 فِي كُلِّ بَدءٍ وَمُخْتَوِمٌ بِهِ الْكَلِمُ
 أَوْ قِيلَ مِنْ خَيْرِ أَهْلِ الْأَرْضِ قِيلُ هُمْ
 وَلَا يُدَانِيهِمْ قَوْمٌ وَإِنْ كَرُمُوا

(١) أُرْوَع: ذكي الروع، بضم الراء، وهو الفؤاد. والعريين: الأنف، والشمم: الارتفاع
 (٢) الخيم: الأصل (٣) ينسى: ينسى (٤) القمم والقمام: الغبار (٥) الغيبة: غيبة
 الرشد، والإملاق: الفقر (٦) تستوكفان: تجريان، والعدم بضم العين: الفقر.
 (٧) الأريب: وافر العقل (٨) يسترب: يصلح.

همُ الغيوثُ إذا ما أزمَةُ أزمَتِ الأَسْدُ أسدُ الشَّرَى والبأسُ مُحْتَدِمٌ (١)
يَأْبَى لَهُمْ أَنْ يَحِلَّ الدَّمُ سَاحَتِهِمْ خِيمٌ كَرِيمٌ وَأَيْدٍ بِالنَّدَى هُضْمٌ (٢)
لَا يَنْقُصُ الْعَسْرُ بَسْطًا مَنْ أَكْفَهُمْ سَيِّئَانِ ذَلِكَ إِنْ أَثَرُوا وَإِنْ عَدَمُوا
أَيُّ الْخَلَائِقِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ لِأَوْلِيَّةِ هَذَا أَوْ لَهُ نَعَمٌ (٣)
مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ يَعْرِفُ أَوْلِيَّتَهُ فَالِدِينُ مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالَهُ الْأُمُّ
وَلَيْسَ قَوْلِكَ مِنْ هَذَا بَضَائِرِهِ الْعَرَبُ تُعْرِفُ مِنْ أَنْكَرَتْ وَالْعَجَمُ
وَقَدْ رَوَى أَنَّ الْحَزِينِ الْكِدَانِيَّ وَقَدَّ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ
وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى مِصْرَ فَأَنْشَدَهُ قَصِيدَةً مِنْهَا :

لَمَّا وَقَفْتُ عَلَيْهِ فِي الْجُمُوعِ ضَجِي وَقَدْ تَعَرَّضْتُ الْحُجَّابُ وَالْحَدَمُ
حَيْثُهُ بِسَالِمٍ وَهُوَ مُرْتَفِقٌ وَضَجَّةُ الْقَوْمِ عِنْدَ الْبَابِ تَرَدَّدِحِمُ (٤)
فِي كَفِّهِ خَيْرَ زَانَ وَالْبَيْتَ الَّذِي يَلِيهِ .

ويقال : إنها لداود بن سلم في قثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس بن
عبد المطلب ، وهو الذي يقول فيه الأخطل :

وَلَقَدْ غَدَوْتُ عَلَى التَّجَارِ بِمَسْمَحٍ هَرَّتْ عَوَاذِلُهُ هَرِيرَ الْأَكْلَبِ (٥)
لَذَّ يُقْبَلُهُ النِّعَمُ ، كَأَنَّمَا مُسِحَتْ تَرَائِبُهُ بِمَاءِ مُذْهَبِ (٦)
لِبَاسِ أَرْدِيَةِ الْمَلُوكِ تَرُوقُهُ مِنْ كُلِّ مَرْتَقَبِ عِيُونِ الرَّبْرِ (٧)
يَنْظُرُونَ مِنْ خَلْلِ الشُّؤْرِ إِذَا بَدَا نَظَرَ الْهَجَانَ إِلَى الْفَنِيقِ الْمُصْعَبِ (٨)

(١) الأزمة : الشدة ، والشرى : جيل بهامة كثير السباع .

(٢) هضم : جمع هضم ، وهو كثير الإنفاق (٣) المراد بالأولية الآباء والأجداد

(٤) مرتفق : متكىء على مرقفه (٥) هرت : صاحت .

(٦) الترائب : موضع القلادة من الصدر ، والمذهب : المزوج بالذهب .

(٧) الربرب : الظباء ، والمراد بها النساء (٨) الصعب : الجمل الذي لم يركب ،

والفنيق : المكرم ، والهجان : الإبل البيض .

ويقال : بل قالها في علي بن الحسين اللعين المتقري ، وسمى اللعين لأن عمر سمعه يُنشد شعراً والناس يُصلُّون ، فقال : مَنْ هذا اللعين ؟ فعلق به هذا الاسم ^(١) وليقله مَنْ شاء ، فقد أحسن ماشاد وأجاد وزاد ^(٢) .

وقال ذو الرمة في بلال بن أبي بُرْدَة بن أبي موسى الأشعري :

مِنْ آلِ أَبِي مُوسَى تَرَى النَّاسَ حَوْلَهُ كُنْهَمُ الْكِرْوَانُ عَائِنٌ بَارِيَا ^(٣)
فَمَا يَعْرِفُونَ الضُّحْكَ إِلَّا تَبَسُّمًا وَلَا يَنْبَسُونَ الْقَوْلَ إِلَّا تَنَاجِيًا ^(٤)
وَمَا الْفُحْشَ مِنْهُ يَرْهَبُونَ ، وَلَا الْخُلْنَ عَلَيْهِ ، وَلَكِنْ هَيْبَةٌ هِيَ مَا هِيََا
فَتِي السِّنِّ ، كَهَلِ الْخَلْمِ ، يُسْمَعُ قَوْلُهُ يُوزَنُ أَدْنَاهُ الْجَمَالَ الرَّوَاسِيَا
وَمِنْ أَجْوَدِ مَا لِلْمُحَدَّثِينَ فِي ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي عِبَادَةَ الْبَحْتَرِيِّ فِي الْفَتْحِ

لدى الرمة يمدح
بلال ابن أبي
بردة

للبحترى يمدح
الفتح ابن
خاقان

ابن خاقان :

وَمَا حَضَرَ نَا سُدَّةَ الْإِذْنِ أُخْرِتَ رَجَالٌ عَنِ الْبَابِ الَّذِي أَنَا دَاخِلُهُ
فَأَفْضَيْتُ مِنْ قُرْبِ إِلَى ذِي مِهَابَةٍ أَقَابِلُ بَدْرٍ لَمْ حِينَ أَقَابِلُهُ
بَدَا لِي مَحْمُودَ السَّجِيَّةِ شُمْرَتْ سَرَائِيلُهُ عَنْهُ وَطَالَتْ حَمَائِلُهُ ^(٥)
كَمَا اتَّصَبَ الرُّمَحُ الرُّدَيْنِيُّ تُفْقَتْ أَنْابِيهِ وَاهْتَرَّتْ لِلطَّنِّ عَامِلُهُ ^(٦)
وَكَالْبَدْرِ وَافْتَهُ لَمْ يُسْعُودُهُ وَتَمَّ سِنَاهُ وَاسْتَهَلَّتْ مَنَازِلُهُ
فَسَلَّمْتُ فَاعْتَاقَتْ جَنَانِي هَيْبَةً تَنَازَرَتْ عَنِّي الْقَوْلَ الَّذِي أَنَا قَائِلُهُ ^(٧)

(١) اللعين المتقري : هو أبو الأ كيدر مبارك بن زمعة . وفي الأصل « اللعين الشنقري » وهو تحريف (٢) يريد أن الشعر جيد بغض النظر عما ينسب إليه من الشعراء (٣) الكروان بكسر الكاف جمع الكروان بفتحها مع سكون الراء وهو طائر مغرد ، والبازي : الصقر (٤) ينبسون : ينطقون .

(٥) السرايل : الثياب ، والحائل : جمع حمالة - بالكسر - وهي علاقة السيف

(٦) عامل الرمح : صدره

(٧) اعتاق وعاق : منع ، والجنان : القلب .

إلى مُسْرِفٍ فِي الْجُودِ لَوْ أَنَّ حَاتِمًا
لَدَيْهِ لِأَضْحَى حَاتِمٌ وَهُوَ عَاذِلُهُ
فَمَا تَأَمَّلْتُ الطَّلَاقَةَ وَأَنْتَنِي
إِلَى بِيْشْرِ أَنْسَتَنِي مَخَايِلُهُ (١)
دَنَوْتُ قَقْبَلْتُ النَّدَى مِنْ بَدِ امْرِيءٍ
جَمِيلٍ مَحْيَاهُ سَبَاطٌ أَنْامِلُهُ (٢)
صَفَّتْ مِثْلَ مَا تَصْفُو الْمَدَامُ خِلَالَهُ
وَرَقَّتْ كَمَا رَقَّ النَّسِيمُ شَمَاءَ ثُلُهُ

ووقعت حرب بالجزيرة بين بني تغلب، فتولى الإصلاح بينهم الفتح بن خاقان فقال البحتري فيما تعلق بعضه بذكر الهيبة :

بني تغلبٍ أَعَزُّ عَلَيَّ بَأَنَّ أَرَى
دِيَارِكُمْ أَمْسَتْ وَبَلَسَ لَهَا أَهْلُ (٣)
خَلَّتْ دِمْنَةٌ مِنْ سَاكِنِيهَا وَأَوْحَشَتْ
مِرَاعٌ مِنْ سَنَجَارٍ يَهْمِي بِهَا الْوَبْلُ (٤)
إِذَا مَا التَّقَوْنَا يَوْمَ الْهِيَاجِ تَحَاجَزُوا
وَالْمَوْتُ فِيَا بَيْنَهُمْ قِسْمَةٌ عَدْلُ
كَفَى مِنْ الْأَحْيَاءِ لَأَقَى كَفِيَّةً
وَمِثْلُ مِنَ الْأَقْوَامِ زَاخَفُهُ مِثْلُ (٥)
إِذَا مَا أَخْجَرَ الرَّمَاحَ انْتَهَى لَهُ
أَخٌ لَا بَلِيدٌ فِي الطَّعَانِ وَلَا وَغْلُ (٦)
تَخَوُّطُهُمُ الْبَيْضُ الرِّقَاقُ ، وَضَمْرُ
عِتَاقُ ، وَأَنْسَابُ بِهَا يَدْرِكُ التَّبْلُ (٧)
بَطْعُنٍ يَكْبُ الدَّارِعِينَ دِرَاكُهُ
وَضَرْبُ كَمَا تَرَعُو الْحَزْمَةَ الْبُزْلُ (٨)
تَجَافَى أُمَيْرُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ التِّي
عَلِمْتُ ، وَلِلْجَانِبِينَ فِي مِثْلِهَا الثُّكْلُ (٩)

(١) الخايل : جمع مخيلة ، وهي الدلالة (٢) سباط : طوال ، كناية عن الكرم

(٣) هذه القطعة من قصيدة جيدة طويلة مطلعها :

ضمان على عينيك أني لا أسلو وأن فؤادي من جوى بك لا يخلو

(٤) سنجار : مدينة في نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام ، والوبل : المطر الشديد ، ويهمي : ينسكب (٥) كفي : نظير ، زاخفه : نازله ، من الزحف . وفي الأصل « راجعه » وهو تحريف (٦) الوغل : الضعيف النذل (٧) البيض الرقاق : السيوف المرفهة ، والضمير العتاق : الحيلول الضامرة الكريمة ، والتبل : الثأر (٨) الدارعون : لابسو الدروع ، ودراكه : تتابعه ، وترعو : تصيح ، والحزمة :

التي وضع في شدقها الحرام ، والبزل : جمع بازل . وهو البعير يبلغ تسع سنين

(٩) الثكل : الفقد

وكانت يدُ الفتح بن خاقان عندكم
 ولولاهُ طَلَّتْ بِالْعُقُوقِ دِمَاؤُكُمْ
 تَلَا فَيَتَ يَا فَتَحُ الْأَرَاقِمَ بَعْدَ مَا
 وَهَبْتَ لَهُمُ بِالسَّلْمِ بَاقِي نَفُوسِهِمْ
 أَتَاكَ وَفُودُ الشُّكْرِ يُبْنُونَ بِالَّذِي
 فَلَمْ أَرَ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ سُودَدًا
 تَرَاءَوْكَ مِنْ أَقْصَى السَّمَاطِ قَفَصَرُوا
 وَلَمَّا قَضَوْا صَدْرَ السَّلَامِ تَهَافَتُوا
 إِذَا شَرَعُوا فِي خُطْبَةٍ قَطَعْتَهُمْ
 إِذَا نَكَسُوا أَبْصَارَهُمْ مِنْ مَهَابَةٍ
 نَصَبْتَ لَهُمْ طَرْفًا حَدِيدًا ، وَمَنْطِقًا
 وَسَلَّتْ سَخِمَاتِ الصَّدُورِ فَعَالِكَ الْكَرِيمِ ، وَأَبْرَأَ غَلْهَا قَوْلُكَ الْفَضْلِ
 بَكَ التَّامُ الشَّعْبُ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ
 فَمَا بَرِحُوا حَتَّى تَعَاظَتْ أَكْفُهُمْ
 وَجَرَّوْا ذِيُولَ الْعَصَبِ تَضْفُو ذِيُولَهَا
 يَدَ الْغَيْثِ عِنْدَ الْأَرْضِ أَجْدَبَهَا الْحُلُ (١)
 فَلَا قَوْدَ يُعْطَى الْأَذْلُ وَلَا عَقْلُ (٢)
 سَقَاهُمْ بِأَوْحَى سُمِّهِ الْأَرْقَمُ الصَّلُ (٣)
 وَقَدْ أَشْرَقُوا أَنْ يَسْتَمْتَهُمُ الْقَتْلُ (٤)
 تَقَدَّمَ مِنْ نَعَاكَ عَنْهُمْ قَبْلُ
 مِنْ الْيَوْمِ ضَمَّتَهُمْ إِلَى بَابِكَ الشُّبْلُ (٥)
 خُطَاهُمْ ، وَقَدْ جَاوَزُوا الشُّتُورَ وَهُمْ عَجَلُ (٦)
 عَلَى يَدِ بَسَنَامٍ سَجِيَّتُهُ الْبَذْلُ
 جَلَالَةُ طَلَّقِ الْوَجْهَ جَانِبُهُ سَهْلُ (٧)
 وَمَالُوا بِلَحْظِ خَلَّتْ أَنَّهُمْ قَبْلُ (٨)
 سَدِيدًا ، وَرَأْيَا مِثْلَ مَا انْتَضَى النَّصْلُ (٩)
 الْكَرِيمِ ، وَأَبْرَأَ غَلْهَا قَوْلُكَ الْفَضْلِ (١٠)
 عَلَى حِينِ بُعْدِهِ مِنْهُ ، وَاجْتَمَعَ الشُّمْلُ (١١)
 قِرَاكَ ، فَلَا ضِعْفُ لَدَيْهِمْ وَلَا ذَخْلُ (١٢)
 عَطَاءِ كَرِيمٍ مَا تَكَاؤَدَهُ بُحْلُ (١٣)

(١) الحُل: الجذب (٢) طلت: هدرت ، والقود: القصاص ، والعقل: الدية

(٣) أوحى: أسرع ، والسَم الوحي: السريع ، والأرقم الصل: الحية التي لاتنفع فيها الرق (٤) شارفوا: قاربوا . وفي الأصل (اسرفوا) وهو تحريف (٥) الشبل:

جمع سبل ، وهو الطريق ، والبراديه الحاجة (٦) عجل: جمع أعجل وهو السرعة

(٧) طلق الوجه: وافر البشر (٨) قبل: جمع أقبل ، وهو الذي ينظر بانحراف كأنما ينظر إلى أنفه (٩) النصل: السيف (١٠) السخيمات: جمع سخيمة ،

وهي الحقد

(١١) التأم الشعب: اجتمع (١٢) القرى بكسر القاف: ما يتناوله الضيغان ، والدخل:

الغل (١٣) تكاؤده: منعه وشق عليه (م)

وما عمَّهم عمرو بن غنم بنسبةٍ كما عمَّهم بالأمسِ نائلُك الجزلُ
فهما رأوا من غبطةٍ في اصطلاحهم فنك بها النعمى جرَّتْ ولَك الفضلُ

عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل بن قاسط .

وللطائيين [أبى تمام والبحترى] فى ذلك أشعارٌ كثيرةٌ مخنارة ، منها قول

البحترى يحذر عاقبة الحرب ^(١) :

أما لربيعة الفرس اتبهاء	عن الزلزال فيها وأحروب ^(٢)
وكانوا رفقوا أيام سلم	على تلك الضغائن والندوب ^(٣)
إذا ما الجرح رم على فساد	تبين فيه تفریط الطيب
رزية هالك جلبت رزايا	وخطبات يكشف عن خطوب
يشق الجيب ثم يحيى أمره	يصر في فيه تشقيق الجيوب
وقبر عن أيام برقيعد	إذا هي ناحرت أفق الجنوب ^(٤)
يسح ترابه أبدا عليها	عبادا من مراق دم صيب ^(٥)
فهل لابنى عدي من رشيد	يرد شريد حلما العزيب ^(٦)
أخاف عليهما إمرار مرعى	من الكلاء الذى عقباه توبى ^(٧)
وأعلم أن حرهم خبال	على الداعى إليها والمجيب
لعل أبا المعمر يتليها	ببعد هم والصدر الرحيب ^(٨)

(١) اختار المؤلف هذه القطعة من بائة البحترى التى مطلعها :

أمنك نأوب الطيف الطروب حبيب جاء يهدى من حبيب

(٢) ربيعة الفرس : أبو قبيلة ، وهو ابن نزار بن معد بن عدنان

(٣) فى الأصل (وقعوا) والتصحيح عن الديوان والندوب : جمع ندب ، وهو الجرح

(٤) برقيعد : بلدة الموصل ، وناحرت : قابلت ، وفى الأصل «فاحرت» وهو تحريف

(٥) العهد : أمطار الربيع ، واحدها عهدة ، تقول : حديقة معمودة وبستان معهود

(٦) العزيب : من العزوب وهو الغيبة والذهاب ، وفى الأصل (الغريب) وهو تحريف

(٧) توبى : تهلك . (٨) يتليها : يتبعها ، والمهم هنا : بمعنى الهمة

فكم من سُودِدٍ قد بات يُعطى عطيَةً مُكثِرٍ فيها مُطيبٍ
 أَهَيْتُمْ يَا بَنَ عَبْدِ اللَّهِ، دَعْوَى مُشِيرٍ بِالنَّصِيحَةِ أَوْ مُهَيِّبٍ (١)
 تناسَ ذُنُوبَ قَوْمِكَ إِنْ حَفِظَ الذُّنُوبَ إِذَا قَدِمَ مِنْ مِنَ الذُّنُوبِ (٢)
 فَلَسَّهْمُ السَّيِّدِ أَحَبُّ غَيْبًا إِلَى الرَّامِي مِنَ السَّهْمِ الْمَصِيبِ (٣)
 متى أَحْرَزْتَ نَصْرَ بَنِي عَمِيْدٍ إِلَى إِخْلَاصِ وَدِّ بَنِي حَبِيبٍ
 فقد أَصْبَحْتَ أَغْلَبَ تَعْلَبِيٍّ عَلَى أَيْدِي الْعَشِيرَةِ وَالْقُلُوبِ
 يناسب قوله :

* إِذَا مَا الْجَرْحُ رَمَّ عَلَى فَسَادٍ *

قولُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيِّ لَعَلِّيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ التَّنُوخِيِّ أَحَدِ بَنِي الْقَصِيصِ :

فلا تَعْرُزْكَ أَلْسِنَةُ مَوَالٍ تَقْلِبُنَّ أَفئِدَةً أَعَادِي (٤)
 وَكُنْ كَالْمَوْتِ لَا يَرْتِي لِبَاكِ بَكَى مِنْهُ، وَيَرَوِي وَهُوَ صَادٍ
 فَإِنَّ الْجَرْحَ يَنْغَرُّ بَعْدَ حِينٍ إِذَا كَانَ الْبِنَاءُ عَلَى فَسَادٍ (٥)

وفي هذه القصيدة :

كَأَنَّ الْهَامَّ فِي الْهَيْجَا عِيُونٌ وَقَدْ طُبِعَتْ سَيُوفُكَ مِنْ رُقَادٍ
 وَقَدْ صُغَتْ الْأَسِنَّةُ مِنْ هُمُومٍ فَمَا يَحْتَظُرُنَّ إِلَّا فِي فُؤَادٍ
 كَانَ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ مِنْ هَذَيْنِ يَنْظُرُ إِلَى قَوْلِ مُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ مِنْ
 طَرْفٍ خَفِيِّ

وَلَوْ أَنَّ قَوْمًا يَخْلُقُونَ مَنِيَّةً مِنْ بَأْسِهِمْ كَانُوا بَنِي جَبْرِيلَا
 قَوْمٌ إِذَا احْمَرَّ الْهَجِيرُ مِنَ الْوَغْيِ جَعَلُوا الْجَاهِمَ لِلسَّيْفِ مَقِيلًا (٦)

(١) مهيب: داعي (٢) في هذا البيت حكمة بالغة (٣) غبا : عاقبة

(٤) الموالى : جمع مولى وهو الصديق (٥) ينغر : يجيش بالدم

(٦) احمرار الهجير - وهو وقت الظهر - كناية عن سيل الدماء فيه

وإنما أخذه [أبو الطيب] من قول منصور النخيري ، وذ كر سيفاً :
 ذَ كَرَهُ ، بَرَوْنَقَهُ الدَّمَاءُ ، كَأَنَّمَا يَعْلُو الرِّجَالَ بَارِجُونَ نَاقِعٌ (١)
 وترى مساقط شفرتيه كأنها ملح تبدد من وراء الدارِع
 وترأه مُعْتَمًا إِذَا جَرَدَتْهُ بَدَمَ الرِّجَالِ عَلَى الأَدِيمِ النَّاقِعِ (٢)
 وكان وقعته بِجُمُجْمَةِ الفَتَى خَدَرُ المَدَامَةِ أَوْ نَعَاسُ المَاجِعِ (٣)
 أردت هذا البيت ، وقول النخيري :

* وَتَرَاهُ مُعْتَمًا إِذَا جَرَدَتْهُ *

يشير إليه قول أبي الطيب ، وذ كر سيفاً :

يَبْسُ النَّجِيعُ عَلَيْهِ فَهُوَ مُجَرَّدٌ مِنْ غَمْدِهِ وَكَأَنَّمَا هُوَ مُعْتَمٌ (٤)
 رِيَانٌ لَوْ قَذَفَ الذِّي أَسْقَيْتَهُ لَجَرَى مِنَ المَهَجَاتِ بِحُرِّ مُزِيدٍ (٥)

وبنو عبيد ، وبنو حبيب - اللذان ذكرهما البحتري - هم : بنو عبيد

ابن الحارث بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ، وحبيب بن الهجرس
 ابن تيم بن سعد بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ، وفيهم
 حبيب بن حرقة بن تغلب بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ، فلا
 أدري أيهما أراد !

(١) سيف ذكر : من الذكرة بضم الهمزة وهي الحدة . والأرجوان : صبغ أحمر ،
 وفاقع : صفة تراد بها مبالغة . وكل ناصع اللون فاقع ، وأكثر ما يوصف به الأحمر والأصفر
 (٢) معتم : جمد الدم عليه حتى صار له كالعمامة ، والناقع : الذي تروى بالدم .
 وفي الأصل (الفاقع) وهو تحريف (٣) يصف إمالة السيف للرؤوس ويشبه فعله بفعل
 المدام والنعاس (٤) النجيع : الدم يتجمد

(٥) ريان : ممتلىء بالري ، وقذف : ألقى وطرح ورمى ، وبحر مزبد : يرمى

بالمزبد ، وذلك كناية عن كثرة ما يجرى فيه وعن شدة موجه (م)

أَسَيْتُ لِأَخْوَالِي رِبِيعَةَ أَنْ عَفَّتْ
بِكُرْهِىَ أَنْ بَاتَتْ خَلَاءَ دِيَارِهَا
إِذَا افْتَرَقُوا مِنْ وَقَعَةٍ جَمَعْتَهُمْ
تَذَمُّ الْفِتَاءُ الرُّودُ شِيمَةَ بَعْلِهَا
حَمِيَّةُ شَعْبٍ جَاهِلِيٍّ وَعِزَّةُ
وَفِرْسَانٍ هِجَاءِ تَجْدِيشِ صَدُورِهِمْ
تُقْتَلُ مِنْ وَتَرٍ أَعَزَّ نَفْسِهَا
إِذَا احْتَرَبَتْ يَوْمًا فِقَاضَتْ دِمَاؤَهَا
شَوَاجِرُ أَرْمَاحٍ تَقَطَّعَ بَيْنَهَا
فَكُنْتُ أَمِينَ اللَّهِ مَوْلَى حَيَاتِهَا
وقال أبو تمام الطائي :

مَهْلًا بَنِي مَالِكٍ لَا تَجْلُبُنَّ إِلَى
لَمْ يَأْلِكُمْ مَالِكٌ صَفْحًا وَمَغْفِرَةً
أَخْرَجْتُمُوهُ بِكُرْهِهِ مِنْ سَجِيَّتِهِ
أَوْ طَأْتُمُوهُ عَلَى جَمْرِ الْعُقُوقِ ، وَلَوْ
حَى الْأَرَاقِمِ ذُو لَوْلِ ابْنَةِ الرَّقْمِ (٧)
لَوْ كَانَ يَنْفَخُ قَيْنُ الْحَمِيِّ فِي فَحْمِ (٨)
وَالنَّارِ قَدْ تَلْتَضَى مِنْ نَاضِرِ السَّلْمِ (٩)
لَمْ يُخْرَجِ اللَّيْثُ لَمْ يُخْرَجِ مِنَ الْأَجَمِ (١٠)

لأبي تمام

- (١) أسيت : حزنت ، والمصايف : جمع مصيف ، وفي الأصل «مصانعها» وهو تحريف ، والتصحيح عن الديوان ، وأقوت : خلت .
(٢) المغاني : جمع مغنى ، وهو المنزل الذى غنى به أهله : أى أقاموا .
(٣) يطل : يهدر (٤) الرود : الجميلة الوافرة الحياء (٥) الوتر : النار .
(٦) الشواجر : القواطع ، أو الروابط ، فهى من أسماء الأضداد .
(٧) الأرقام : حى من تغلب ، وابنة الرقم : الحية ، والذلول : السم ، يريد لا تقدموا السم بأنفسكم إلى حى الأرقام ليقنلوكم به (٨) القين : الحداد .
(٩) تلتضى : تستخرج ، والسلم : اسم شجر (١٠) الأجم : مأوى الأسد

لولا مناشدةُ القُرْبِيِّ لغادرَكُمْ
لا تجعلوا البَغْيَ ظَهْرًا إِنَّهُ جَلُّهُ
وقال أيضاً :

مهلاً بنى عمرو بن غنمٍ ؛ إنكم
ما منكم إلا مُردى بالحجى
عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتّاب بن سعد سهمكم لا يُمنهم^(١)
خلقت ربيعةً من لدن خلقت يداً
جشمُ بن بكرٍ كفها والمعصم^(٢)
تغزو فتغلب تغلب مثل اسمها
وتسيح غنمٌ في البلاد فتغنم^(٣)
وستذكرون غداً صنائع مالك
إن جلَّ خطبٌ أوتدو فمع معرم^(٤)
مالي رأيتُ ثراكم ببسالة
مالي أرى أطوادكم تهدم^(٥)
ما هذه القُرْبِيُّ التي لا تُصطفى
ما هذه الرحمُ التي لا تُرحمُ ؟
حسدُ القراية للقراية قرحة^(٦)
أعيتُ عوائدها وجرح أقدام^(٧)
تلكم قريشٌ لم تكن أبواها
تهفؤ ولا أجلامها تنقسم^(٨)
حتى إذا بعث النبيُّ محمداً
فيهم غدت شحناؤهم تنضم^(٩)
عزبتُ عقولهم ، وما من معشرٍ
إلا وهم منه ألبٌ وأحزم^(١٠)
لما أقام الوحى بين ظهورهم
ورأوا رسول الله أحمدَ منهم

- (١) الهدف : الغرض (٢) مردى بالحجا : يتخذ رداء ، والأحودية : الحفة والنشاط ، ومبشر بها ومؤدم : أخذ منها بشرته وأدمه ، ولأدم : الجلد
(٣) لا يسهم : لا يغلب (٤) من لدن : من منذ (٥) الصنائع : جمع صنيع وهو المعروف (٦) من معاني البسالة لهلاك ، ورأيت ثراكم ببسالة : أى فى بسالة — كذا ، والذى فى الديوان « مالي رأيتُ ثراكم ببسالة » يريد جافاً لا يبيله ندى ؛ فليس يثبت شيئاً ، وهذا معنى جيد (م) .
(٧) يريد من العوائد النكسات التى تعود بها القروح (٨) لاتقسم أجلامها : لاتتفرق آراؤها (٩) الشحناء : البغضاء (١٠) عزبت : غابت ، ألب : أعقل
(٦ — زهر الآداب ١)

ومن الحزامة لو تكون حزامة^(١) ألا تؤخر من به تتقدم^(٢) ومالك هو: ابن طوق^(٣) بن مالك بن عتاب بن زفر بن مرة بن شريح ابن عبد الله بن عمرو بن كلثوم بن مالك [بن عتاب] بن سعد بن [زهير ابن] جشم بن بكر [بن وائل] بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ، وفيه يقول دُعيل^(٤) يهجوهُ :

الناسُ كلُّهمُ يَعدُّو لحاجتهِ من بين ذى فرَجٍ منها ومهمومٍ
ومالكٌ ظلٌّ مشغولاً بنسبتهِ يرمُّ منها بناءً غيرَ مرمومٍ^(٥)
يبنى بيوتاً خراباً لا أنيسَ بها ما بين طوق إلى عمرو ابن كلثوم
والتكثير من المعنى المُعترِض ، يزيح عن ثغرة الغرَض^(٥) ، لكنى أجرى
منه إلى حلبة الإجابة ، وأقصدُ قصدَ الإفادَةِ ، ثم أعود حيثُ أريد .

وقال ابن الخياط المكي - واسمه عبد الله بن سالم - في باب الهيبة ، في مالك لابن الخياط
ابن أنس^(٦) الفقيه ، رحمة الله عليه ؛ وقيل : إن هذا من قول ابن المبارك مدح الإمام
مالك بن أنس مالك بن أنس

(١) الحزامة : الحزم

(٢) كان مالك بن طوق من الفرسان ، وهو الذي بنى « رحبة مالك » على شاطئ الفرات ، وله مع هرون الرشيد موقف مشهور ، وهو صاحب التائية التي يقول فيها :

وما في خوف أن أموت ، وإننى لأعلم أن الموت شيء مؤقت
ولكن خلفي صبية قد تركتهم وأكبادهم من خشية تفتت

وتوفي سنة ٢٥٩

(٣) هو دعبل بن علي ، الحزاعي ، المتوفى سنة ٢٤٦ ، كان دعبل بنى اللسان مولعا بالهجو والحط من أقدار الناس ، وكان يتعرض للشر والموت ، ولكنه عمر طويلا مع تعرضه للخلفاء .

(٤) ريم : يصلح (٥) الثغرة : الطريق

(٦) هو الإمام مالك ، أحد الأئمة الأربعة ، المتوفى سنة ١٧٩

يَابِي الْجَوَابَ فَمَا يُرَاجِعُ هَيَّيَّةً والسائلون نَوَاكِسُ الْأَذْقَانِ (١)
أَدَبُ الْوَقَارِ، وَعِزُّ حِلْطَانِ التَّقَى، فهو الْمَهَيْبُ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانِ

وقول الفرزدق :

* يَكَادُ يَمْسِكُهُ عِرْفَانُ رَاحَتِهِ *

قد تَجَادَبَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ ؛ قَالَ أَشْجَعُ بْنُ عَمْرٍو السَّمَلِيُّ (٢) لَجَعْفَرِ الْبَرْمَكِيِّ : لِأَشْجَعِ السَّمَلِيِّ

حَبْدًا أَنْتَ قَادِمًا تَرُدُّ الشَّا مَ فَتَخْتَالُ بَيْنَ أَرْحُلِ عَيْرِكِ

إِنَّ أَرْضًا تَسْرِي إِلَيْهَا لَوَاسِطًا عَتَ لَسَارَتِ إِلَيْكَ مِنْ قَبْلِ سَيْرِكِ

وإليه أشار أبو تمام الطائي في قوله :

دَيْمَةٌ سَمِيحَةٌ الْقِيَادِ سَكُوبُ مُسْتَنْغِيثٌ بِهَا التَّرَى الْمَكْرُوبُ لأبي تمام

لَوْ سَمِعْتَ بَقْعَةً لِإِعْظَامِ نُعْمَى لَسَعَى نَحْوَهَا الْمَكَانُ الْجَدِيدُ

وفي هذه القصيدة في وصف الدَّيْمَةِ ، ومدح محمد بن عبد الملك الزيات (٣) :

(١) نواكس الأذقان : مطرقون إلى الأرض خشوعاً

(٢) كان أشجع السلمي شاعراً فخلاً يجيد المدح ، ولد في اليمامة ، ونشأ في البصرة ، ومدح البرامكة ، واقطع إلى جعفر بن يحيى ، فقربه من الرشيد .

ومن أبياته السائرة قوله :

وعلى عدوك يا ابن عم محمد رصدان ضوء الصبح والإظلام

فإذا تنبه رعته ، وإذا غفا سلت عليه سيوفك الأحلام

وكانت وفاة أشجع نحو سنة ١٩٥

(٣) هو وزير المعتصم والوائق ، وأحد مشاهير الكتاب والشعراء ، عرف حلو

الحياة ومرها ، وهو القائل في سجنه :

من له عهد بنوم يرشد الصب إليه

رحم الله رحماً دل عيني عليه

سهرت عيني ونامت عين من هنت لديه

وكانت وفاته سنة ٢٣٣

لذَّ شَوْبُوبِهَا وَطَابَ فَلَوَ تَسْطِيعُ قَامَتْ فَعَاثَقَتْهَا الْقُلُوبُ (١)
 فَهَوَّ مَاءٌ يُجْرَى وَمَاءٌ يَلِيهِ وَعَزَّالٍ تَنْشَا وَأُخْرَى تَصُوبُ (٢)
 أَيُّهَا الْغَيْثُ حَيٌّ أَهْلًا بِمَعْدَا لِكَ وَعِنْدَ الشَّرَى وَحِينَ تَوُوبُ (٣)
 لِأَبِي جَعْفَرٍ خَلَاتِقِ تَحْكِيمِينَ قَدْ يَشْبَهُ النَّجِيبِ النَّجِيبِ

وأنشدها أبا جعفر بن الزيات ، فقال : يا أبا تمام ؛ والله إنك لتحلّي
 شعرك من جواهر لفظك وبدائع معانيك ، ما يزيد حسناً على بهيّ الجواهر
 في أجياد الكواعب ؛ وما يدخرُ لك شيءٌ من جزيل المكافأة إلاّ يقصرُ
 عن شعرك في الموازنة . وكان بحضرة رجلٍ من الفلاسفة ، فقال : هذا الفتى
 يموتُ شاباً ! فقيل له : من أين حكمت عليه بهذا ؟ فقال : رأيتُ فيه من
 الحدّة والذكاء والفطنة مع لطافة الحس ما علمتُ به أن النفسَ الروحانية
 تأكل عمره كما يأكلُ السيفُ المهندُ غمدَه ! قال الصولي : مات وقد نيّفَ
 على الثلاثين .

بين أبي تمام
 وابن الزيات

وقال في أبي دُلف العجلي القاسم بن محمد بن عيسى (٤) :

لأبي تمام
 في أبي دلف

تَكَادُ عَطَايَاهُ يُجِنُّ جَنُوبَهَا إِذَا لَمْ يُعَوِّذْهَا بِنِعْمَةِ طَالِبِ
 تَكَادُ مَغَانِيهِ تَهَشُّ عِرَاصُهَا فَتَرْكَبُ مِنْ شَوْقِي إِلَى كُلِّ رَاكِبِ (٥)

(١) الشؤبوب : الدفعة من المطر

(٢) عزال : جمع عزلاء ، وهي مصب الماء ، والمراد بها السحابة ، وتصوب : تنسكب

(٣) تَوُوبُ : ترجع (٤) أبو دلف : كان أمير الكرخ ، وسيد قومه ، وأحد قواد

المأمون الشجعان ، وللشعراء فيه مدائح كثيرة ، من أروعها هذا البيتان :

إنما الدنيا أبو دلف بين يديه ومحتضره

فإذا ولي أبو دلف ولت الدنيا على أثره

وكانت وفاته سنة ٢٤٦ (٥) العراص : جمع عرصة ، وهي : ساحة الدار

وقال البُحترى :

لو أنَّ مُشتاقاً تكلف فوقَ ما في وَسعِهِ لمشي إِلَيْكَ المُنبرُ

وقال أبو الطيب المتنبي لبدر بن عمار :

طَرَبْتُ مَرَاكِبَنَا فَخَلْنَا أَنهَا لولا حَيَاءُ عاقِبها رَقَصَتْ بنا
لو تعقلُ الشجرُ التي قابلتها مَدَّتْ مُحِيمةً إِلَيْكَ الأَغصَنُا

رجع ما انقطع

قال أعرابي لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين^(١) رضى الله عنه : هل رأيت
الله حين عبَدتهُ ؟ فقال : لمَ أ كُنْ لأُعبد مَنْ لم أَره ، قال : فكيف رأيتهُ ؟
قال : لم تره الأبصارُ بمشاهدة العيان ، ورأتهُ القلوبُ بحقائق الإيمان ، لا يدرك
بالحواسِّ ، ولا يُشَبَّه بالناس ، معروفٌ بالآيات ، منعوتٌ بالعلامات ، لا يجورُ
في القضيّات ، ذلك الله الذى لا إلهَ إلا هو . فقال الأعرابي : الله أعلمُ حيثُ
يجعلُ رسالته .

قال الجاحظ : قال محمد بن علي : صلاحُ شأنِ الدنيا بمخادفِها في كلِّتين ؛
لأنَّ صلاحَ شأنِ جميعِ الناسِ [فى التعايشِ و] التعاشرِ وهو ملءُ مكيالٍ : ثلثاه
فطنة ، وثلثه تغافل .

قال الجاحظ : لم يجعل لغير الفطنة نصيباً من الخير ، ولا حظاً من الصلاح ؛
لأنَّ الإنسان لا يتغافلُ عن شيءٍ إلا وقد عرفه وفطن له ، قال الطائى :

ليس النبيُّ بسيدٍ فى قومِهِ لكنَّ سيدَ قومِهِ المتقايِ

وقال ابن الرومى لأبي محمد بن وهب بن عبيد الله بن سليمان :

تظلُّ إذا نامت عيونُ ذوى العمى وإن حدّدا زُرُقاً إِلَيْكَ جَواحِظاً^(٢)

(١) ولد محمد بن علي بالمدينة سنة ٥٧ ودفن بها سنة ١١٤ ، وكان مشهوراً بالعلم والتقى ، وله آراء فى تفسير القرآن

(٢) جواخط : جمع جاحظة ، وهى : النائثة الحدقة

تَغَاضَى لَمْ وَسَنَانَ ، بِلِ مَتَوَاسِنَا ، وَتَوَقُّظُهُمْ يَقْظَانِ بِلِ مَتِيَاظًا^(١)
 [وأبو جعفر هذا هو الباقر] ، وَكَانَ أَخُوهُ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دِينًا ،
 شَجَاعًا ، نَاسِكًا ، مِنْ أَحْسَنِ بَنِي هَاشِمٍ عِبَارَةً ، وَأَجْمَلِهِمْ شَارَةً .

زيد بن علي
ابن الحسين

وَكَانَتْ مَلُوكُ بَنِي أُمِيَّةٍ تَكْتُبُ إِلَى صَاحِبِ الْعِرَاقِ أَنْ أَمْنَعَ أَهْلَ الْكُوفَةِ
 مِنْ حُضُورِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ ؛ فَإِنَّ لَهُ لِسَانًا أَقْطَعُ مِنْ طَبَةِ السَّيْفِ وَأَحَدًا مِنْ شَبَا
 الْأَسِنَّةِ^(٢) ، وَأَبْلَغُ مِنَ السَّحْرِ وَالْكَهَانَةِ^(٣) ، وَمِنْ كُلِّ نَفْثٍ فِي عُقْدَةٍ .

وَقِيلَ لِزَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ : الصَّمْتُ خَيْرٌ أَمْ الْكَلَامُ ؟ فَقَالَ : قَبَّحَ اللَّهُ الْمَسَاكَةَ ،
 مَا أَفْسَدَهَا لِلْبَيَانِ ، وَأَجْلَبَهَا لِلْعَبِيِّ وَالْحَصْرِ^(٤) ! وَاللَّهُ لَلْمُمَارَاةِ أَسْرَعُ فِي هَدْمِ الْعَبِيِّ^(٥)
 مِنَ النَّارِ فِي بَيْتِ الْعَرْفَجِ ، وَمِنْ السَّيْلِ إِلَى الْخُدُورِ^(٦) .

وَقَالَ لَهُ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : بَلِّغْنِي أَنَّكَ تَرُومُ الْإِخْلَافَةَ وَأَنْتَ لَا تَصْلُحُ لَهَا
 لِأَنَّكَ ابْنُ أُمَّةٍ ؟ قَالَ زَيْدٌ : فَقَدْ كَانَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ابْنُ أُمَّةٍ ،
 وَإِسْحَاقُ ابْنُ حُرَّةٍ ؛ فَأَخْرَجَ اللَّهُ مِنْ صُلْبِ إِسْمَاعِيلِ خَيْرَ وَلَدِ آدَمَ ! فَقَالَ لَهُ : قُمْ !
 فَقَالَ : إِذَا وَاللَّهِ لَا تَرَانِي إِلَّا حَيْثُ تَكْرَهُ ! فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ الدَّارِ قَالَ : مَا أَحَبُّ
 أَحَدًا الْحَيَاةَ قَطُّ إِلَّا ذَلًّا ، فَقَالَ لَهُ سَالِمُ مَوْلَى هِشَامٍ : لَا يَسْمَعَنَّ هَذَا الْكَلَامَ مِنْكَ
 أَحَدٌ ، وَكَانَ زَيْدٌ كَثِيرًا مَا يَنْشُدُ :

شَرَّدَهُ الْخُوفُ وَأَزْرَى بِهِ كَذَاكَ مِنْ يَكْرَهُ حَرَّ الْجِلَادِ^(٧)

مَنْخَرِقِ الْخَفِيِّنَ يَشْكُو الْوَجَى تَنْكِبُهُ أَطْرَافُ مَرَّوٍ حِدَادِ^(٨)

(١) متواسن : متناوم وليس بنائم ، ومتياظ : متظاهر بالقبضة (٣) طبة السيف :
 طرفه ، وكذلك شبا السنان (٣) الكهانة : نوع من فتنة الناس باسم البحث عن الغيب
 (٤) الحصر : عسر الكلام (٥) في الأصل «هدم الفق» وهو تحريف (٦) الخدور :
 المنحدرات يجري إليها الماء (٧) الجلاذ : الحرب .
 (٨) الرو : الحجارة البيض الرقاق ، والجداد : جمع حديد .

قد كان في الموت له راحةً والموت حَمِيمٌ في رقاب العباد
وقد رُوِيَت هذه الأبيات لمحمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين ، وقد
رُوِيَت لأخيه موسى .

قال عبد الرحمن بن يحيى بن سعيد : حدثني رجل من بني هاشم قال : كنا
عند محمد بن علي بن الحسين ، وأخوه زيد جالس ، فدخل رجلٌ من أهل الكوفة زيد بن علي
فقال له محمد بن علي : إنك لتروى طرائف من نوادر الشعر ، فكيف قال
الأنصاري لأخيه ؟ فأنشده :

لعمرك ما إن أبو مالكٍ بوانٍ ولا بضعيفٍ قَوَاهُ
ولا بالده له نازعٌ يُعَادِي أحماءه إذا ما نَهَاهُ
ولكنه غيرُ مخالفةٍ كريم الطبايع حلوا نثَاهُ^(١)
وإن سُدَّتْهُ سُدَّتْ مطواعةً ومهما وگلت إليه گفَاهُ

فوضع محمد يده على كتف زيد ، فقال : هذه صفتك يا أخي ؛ وأعيدك
بالله أن تكون قتيل أهل العراق !

وكانت بين جعفر بن الحسن بن الحسين بن علي وبين زيد رضوان الله
عليهم منازعةً في وصية ، فكانا إذا تنازعا انشأ الناسُ عليهما لیسمةوا بلاغة جعفر
محاوَرتهما ؛ فكان الرجلُ يحفظ على صاحبه اللفظة من كلام جعفر ، ويحفظُ
الآخر اللفظة من كلام زيد . فإذا انفصلا وتفرق الناسُ عنهما قال هذا
لصاحبه : قال في موضع كذا وكذا ، وقال الآخر : قال في موضع كذا وكذا ؛
فيكتبون ما قالوا ، ثم يتعلمونه كما يتعلم الواجب من الفرض ، والناذر من الشعر ،
والسائر من المثل ! وكانا أعجوبة دهرهما وأخذوثة عصرهما .
ولما قتل زيدا يوسف بن عمر^(٢) وصلب جثته بالكُناسة^(٣) وبعث برأسه

(١) التثنية : الحديث عنه ، يريد أنه لا يقال عنه غير الخير (م)
(٢) أحد الولاة في العصر الأموي ، كانت وفاته سنة ١٢٧ (٣) الكُناسة : محلة
بالكوفة يقول فيها الشاعر :

مع شَبَّة بن عقال ، وكَلَّف آل أبي طالب البراءة من زيد ، وقام خطباؤهم بذلك ؛ فكان أول مَنْ قام عبدُ الله بن الحسن بن الحسين بن علي رحمة الله عليه فأوجَز في كلامه ثم جَلَس ، وقام عبدُ الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فأطنَب - وكان شاعراً خطيباً لِسِنَا ناسباً - فانصرف الناسُ وهم يقولون : ابن الطيار من أخطبِ الناس ، فقبل لعبد الله بن الحسن في ذلك ؛ فقال : لو شئت أن أقول لقلت ، ولكن لم يكن مقام سرور ، وإنما كان مقام مُصِيبَةٍ !

من كلام عبد الله
ابن الحسن بن
الحسين

وعبدُ الله هذا هو : أبو محمد وإبراهيم الخارَجِينِ على أبي جعفر المنصور ، وهو القائلُ لابنه محمد أو إبراهيم : أَيْ بُنَيَّ ! إني مُؤَدِّ حقَّ الله في تأديبك ، فأدُّ إلى حقِّ الله في الاستماع مني ؛ أَيْ بُنَيَّ ! كُفَّ الأذى ، وارفُضِ البِذَى (١) واستعنْ على الكلام بطول الفِكر في المواطن التي تدعوك فيها نفسك إلى الكلام ، فإنَّ للقول ساعات يضرُّ فيها الخطأ ، ولا ينفعُ فيها الصوابُ ، واحذرْ شورةَ الجاهل . وإن كان ناصِحاً ، كما تُمذَّر مشورة العاقل إذا كان غاشياً ؛ لأنه يُرَدِّدك بمشورته ؛ واعلم يا بُنَيَّ أن رأيك إذا احتجت إليه وجدته ناعماً ، ووجدت هواك يقظان ، فإياك أن تستبدَّ برأيك ، فإنه حينئذ هواك ؛ ولا تفعلْ فعلاً إلا وأنت على يقين أن عاقبته لا تُرَدِّدك ، وإن نتيجته لا تجني عليك . وهو القائل : إياك ومُعَاداة الرجال فإنك لن تعدم مكر حليم ، أو مُعَاداة لئيم . وكتب إلى صديق له : أوصيك بتقوى الله تعالى ، فإنَّ الله تعالى جعل لمن اتقاه

الخروج من حيث يكرهه ، والرزق من حيث لا يحتسب
وعبدُ الله هو القائل :

= يا أيها الراكب الغادي لطيته يوم بالقوم أهل البلدة الحرم
أبلغ قبائل عمرو إن أتيتهم أو كنت من دارهم يوماً على أمم
إنا وجدنا فقروا في دياركم أهل الكناسة أهل اللؤم والعمم
(١) البذى : مقصور البذاء ، وهو فحش القول - ومن حقه أن يكتب بالألف (م)

أُنْسٌ جَرَأْتُ مَا هَمَمْتُ بِرَبِيعةٍ كظباء مكة صيدهن حرام (١)
يُحْسِنُ مِنْ لَيْلِنِ الْحَدِيثِ دَوَانِيَا وَيَصْدَهُنَّ عَنِ الْخَنَاءِ الْإِسْلَامِ (٢)

قال : وهذا كما روى أنَّ عبد الملك بن مروان استقبل عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة الخزومي ، فقال له : قد علمت قريش أنك أطولها صبوة ، وأبعدها توبة ، ويحك ! أملك في نساء قريش ما يكفيك من نساء بني عبد مناف (٣) ؟ ربيعة .
ألست القائل :

نظرتُ إليها بالخصب من ميني ولى نظرم لولا التحرش عارم (٤)
فقلت : أصيخ أم مصايح راهبٍ بدتلك خلف السجف أم أنت حالم (٥)
بعيدة مهوى القرط إماما لنوفل أبوها وإماما عبد شمس وهاشم (٦)
فقال : يا أمير المؤمنين ، فإنَّ بعد هذا :

طلبن المهوى حتى إذا ما وجدته صدرن وهن المسلمات الكرام (٧)
فاستحيا منه عبد الملك ، وقضى خواجه ووصله .

وقال آخر في هذا المعنى :

تعطلن إلا من محاسن أوجهه فهن حوال في الصفات عواطل (٨)
كواس عوار صامتات نواطق بعف الكلام باخلات بواذل (٩)
برزن عفافا واحتجبن تسترا وشيب بحق القول منهن باطل (١٠)

(١) أنس : آنسات (٢) الخنا : الفحش ، وفي نسخة « زوانيا »

(٣) كذا ، وأعتقد أن صوابه « ما يكفك عن نساء بني عبد مناف » (م)

(٤) عارم بالراء المهملة : طامع شرس وفي الأصل « عازم » بالزاي المعجمة ، وأرجح أنه تحريف (٥) السجف بفتح السين أو كسرهما : الستر (٦) القرط : حلى يعلق في الأذن . وبعد مهوى القرط : كناية عن طول العنق (٧) صدرن : رجعن (٨) حوال : جمع حالية ، والعواطل : جمع عاطل ، وهي التي تعطلت من الحلى .

(٩) كواس : جمع كاسية ، والعف : الغفيف (١٠) شيب : مزج

فدو الحلم مرتادٌ وذو الجهل طامعٌ وهنّ عن الفحشاء حيدٌ نواكل (١)

وقال العديّل بن الفرخ فيما يتطرف طرفاً من هذا المعنى :

لعب النعيمُ بهنّ في أطلاله حتى لبسَ زمانَ عَيْشِ غافلٍ (٢)

يأخذن زينتهنّ أحسنَ ما ترى فإذا عَطَلْنَ فهنّ غيرُ عَوَاطِلِ

وإذا خَبَانَ خدودهنّ أرْبَيْدَنِي حَدَقَ الْمَهَا وَأَخَذْنَ نَبْلَ الْقَاتِلِ (٣)

يرميننا لا يَسْتَتِرْنَ بِجُنَّةٍ إِلَّا الصَّبَا وَعَلِمْنَ أَيْنَ مَقَاتِلِي (٤)

يلبسن أرْدِيَةَ الشَّبَابِ لِأَهْلِهَا وَيَجْرُ بِأِطْلَمَنْ ذَيْلَ الْبَاطِلِ

وتعرّضَ لعبدِ الله بنِ الحِسنِ رَجُلٌ بِمَا يَكْرَهُ، فَقَالَ فِيمَا أَنشَدَهُ ثَعْلَبُ :

أَطْنَّتْ سَفَاهَا مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهَا أَنْ أَهْجُوهَا لِمَا هَجَجْتَنِي مُحَارِبٍ (٥)

فلا وأبيها إني بعشيري ونفسي عن ذلك المقام لراغب (٦)

وأنشد هذين البيتين أبو العباس المبرد لرجل لم يسمه في رجلٍ يُعرَفُ بابن

البعير، وقبلهما :

يقولون أبناء البعير وما لهم سنامٌ ولا في ذرّوة المجد غاربٌ (٧)

وسائر عبد الله بن الحسن أبا العباس السفاح بظهر مدينة الأنبار وهو

يَنْظُرُ إِلَى بِنَاءِ قَدِ بَنَاهُ أَبُو الْعَبَّاسِ وَيَدُورُ بِهِ ، فَأَنْشَدَ عَبْدُ اللَّهِ :

ألم ترَ جوشنا ما تبني بناءً نفعه لبنى بقبيله

يوملُ أن يعمر عمر نوح وأمرُ الله يحدث كلَّ ليله

وكان أبو العباس له مُكْرِمًا ، ولحقه معظماً ؛ فتبسّم مفضباً ، وقال : لو علمنا

بين السفاح
وعبد الله بن
الحسن

(١) حيد : جمع حيداء ، وهي التي تحيد عن مواطن التهم ، والنواكل : جمع ناكلة ، وهي النافرة من الفحش .

(٢) الأطلال : جمع ظلل ، وهو الدار : والمراد أنهم نشأن في مدارج النعيم ،

وفي نسخة « في أطلاله » (٣) المها : واحدها مهاة ، وهي الظبية

(٤) الجنة : ما يتقى به الرء السهام (٥) محارب : اسم قبيلة (٦) رغبت

عن الشيء : زهدت فيه (٧) الغارب : الكاهل ، وذرّوة الشيء : أعلاه .

لا شترطنا حقَّ المسيرة ! فقال عبدُ الله : بوادرُ الخواطر ، وأغفال المسامح ؛ والله ما قلمتُها عن روية ، ولا عارضني فيها فكر ؛ وأنت أجلُّ من أقال ، وأولى من صفح ، قال : صدقت ؛ خذ في غير هذا .

المنصور
وعبد الله
ابن الحسن

ولما قتل المنصورُ ابنه محمدًا - وكان عبدُ الله في السجن - بعث برأسه إليه مع الربيع حاجبه ؛ فوضع بين يديه ، فقال : رحمك الله أبا القاسم فقد كنت من « الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ، وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ، وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ » ! ثم تمثل :

فَتَى كَانَ يَحْمِيهِ مِنَ الذَّلِّ سَيْفُهُ وَيَكْفِيهِ سِوَاتِ الْأُمُورِ اجْتِنَابُهَا
ثم التفت إلى الربيع فقال له : قل لصاحبك قد مضى من بؤسنا مدة ، ومن نعيمك مثلها ؛ والموعدُ الله تعالى ! قال الربيع : فما رأيت المنصور قطُّ أكثر انكساراً منه حين أبلغته الرسالة^(١) .

أخذ العباس بن الأحنف^(٢) هذا المعنى ، وقيل : عمارة بن عقيل بن بلال ابن جرير^(٣) فقال :

فإن تلحظي حالي وحالك مرةً بنظرة عين عن هوى النفس تُحجَبُ
تجد كل يوم مرّ من بؤس عيشتي يمرّ بيوم من نعيمك يُحسَبُ

ولما قتل المنصورُ محمدَ بن عبد الله اعترضته امرأةٌ معها صبيان ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، أنا امرأةٌ محمد بن عبد الله ، وهذان ابناه ، أيتهمما سيفك ، وأضرعهما خوفك^(٤) . فناشدتُك الله يا أمير المؤمنين أن تُصعّرَ لهما خدك ،

بين المنصور
وامرأة محمد
ابن عبد الله
ابن الحسن

(١) كانت وفاة عبد الله بن الحسن في سجن المنصور سنة ١٤٥ .

(٢) العباس بن الأحنف : شاعر غزل رقيق الإحساس ، توفي سنة ١٩٢ .

(٣) عمارة بن عقيل : شاعر فصيح ، كان التحويون في البصرة يأخذون عنه اللغة ،

توفي سنة ٢٣٩ . (٤) أضرعه : أذله

أَوْ يَنَازِي عَنْهُمَا رِفْدُكَ^(١)؛ وَلتَعَطَّفِكَ عَلَيْهِمَا شَوَابِكُ النَّسَبِ، وَأَوَاصِرُ الرَّحِمِ^(٢)
فَالْتَقَتَ إِلَى الرَّبِيعِ، فَقَالَ: ارْدُدْ عَلَيْهِمَا ضِيَاعَ أَبِيهِمَا، ثُمَّ قَالَ: كَذَا وَاللَّهِ أَحَبُّ
أَنْ تَكُونَ نِسَاءَ بَنِي هَاشِمٍ .

بين المنصور وجعفر الصادق
وكان أهل المدينة لما ظهر محمد أجمعوا على حرب المنصور ، ونصر محمد ؛
فلما ظهر المنصور أحضر جعفر بن محمد بن علي بن الحسين الصادق ، فقال له :
قد رأيت إطباق أهل المدينة على حرّبي ، وقد رأيت أن أبعث إليهم من يعور
عيونهم^(٣) ، ويحمرّ نخلهم^(٤) . فقال له جعفر : يا أمير المؤمنين ؛ إن سليمان
أعطى فشكر ، وإن أيوب ابتلى فصبر ، وإن يوسف قدر فغفر ؛ فأقتد بأبيهم
شئت ، وقد جعلك الله من نسل الذين يعفون ويصفحون ، فقال أبو جعفر :
إن أحداً لا يعلمنا الحلم ، ولا يعرفنا العلم ، وإنما قلت هممت ، ولم ترني فعلت ؛
وإنك لتعلم أن قدرتي عليهم تمنعني من الإساءة إليهم .

وعزى جعفر بن محمد رجلاً ، فقال : أعظم بنعمة في مصيبة جلبت أجراً
لجعفر الصادق تعزية
وأفطع بمصيبة في نعمة أكسبت كُفراً
هذا كقول الطائي :

قَدْ يَنْعِمُ اللَّهُ بِالْبَلْوَى وَإِنْ عَظُمَتْ وَيُدْتَلِي اللَّهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنِّعَمِ
وَكَانَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ يَقُولُ : إِنِّي لِأَمْلِقُ أَحْيَانًا فَأُتَاجِرُ اللَّهَ بِالصَّدَقَةِ فَيُرْبِحُنِي .
وقال جعفر رضي الله عنه : من تخلّق بالخلق الجميل وله خلُقُ سوء أصيل
فتخلقه لا محالة زائل ، وهو إلى خلقه الأوّل آيل ، كطلّي الذهب على النحاس
ينسحق وتظهر صفوته للناس .

من كلام
جعفر الصادق

وهذا كقول العرجي :

بِأَيِّهَا الْمَتْحَلِّي غَيْرَ شِمْتِهِ وَمِنْ خِلَاقِهِ الْإِقْصَارُ وَالْمَلَقُ^(٥)

(١) الرفد : العطاء (٢) الشوابك والأواصر : هي الروابط

(٣) يعور عيونهم : يطمسها ويذهب ماءها بالعين المهملة أو بالعين المعجمة (م) ،

وفي الأصل «ينور» وهو تحريف . (٤) جمر النخلة تجميرا قطع جوارها .

(٥) المراد من الإقصار القصور والضعف ، والملق : إظهار الود ذلة وخضوعا .

ارجع إلى خلقك المعروف وارض به إنَّ التخلُّقَ يَأْتِي دُونَهُ انْتَلِقَ (١)
 وكان يقول : ما تَوَسَّلَ إِلَى أَحَدٍ بِوَسِيلَةٍ هِيَ أَقْرَبُ إِلَيَّ مِنْ يَدِي سَبَقَتْ مِنِّي
 إِلَيْهِ أَتْبَعُهَا أَخْتَهَا لِتَحْسَنَ رَبِّهَا وَحِفْظُهَا (٢) ؛ لِأَنَّ مَنَعَ الْأَوَّخِرَ يَقْطَعُ لِسَانَ الْأَوَّائِلِ .
 وقيل لجعفر رحمه الله : إنَّ أبا جعفر المنصور لا يلبسُ مَذْصَارَتَ إِلَيْهِ
 الْخِلَافَةَ إِلَّا الْخَشْنَ ، وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا الْجُشْبَ (٣) . فقال : يَا وَيْحَهُ ! مَعَ مَا مُسَكَّنَ
 لَهُ مِنَ السُّلْطَانِ ، وَجَبِيَ إِلَيْهِ مِنَ الْخِرَاجِ ! قَالُوا : إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ مُجَلًّا وَجَمْعًا لِلْمَالِ .
 فقال : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَرَّمَ مِنْ دُنْيَاهُ مَا تَرَكَ لَهُ مِنْ دِينِهِ . انتهى .

قال : ومن دعاء جعفر رضى الله عنه : اللهم إنك بما أنت أهلٌ له من العفو
 أولى بما أنا أهلٌ له من العقوبة .

وكان عبدُ الله [بن معاوية بن عبد الله] بن جعفر عالماً ، ناسباً ، وكان من عبد الله
 ابن معاوية خطيباً مفوهاً ، وشاعراً مجيداً ، وكتب إلى بعض إخوانه :
 أما بعدُ ، فقد عاقبني الشكُّ في أمرِك عن عزيمة الرأى فيك ، وذلك أنك
 ابتدأتني بلطفٍ عن غير خيرة ؛ ثم أعقبني جفاءً عن غير جريرة ؛ فأطمعني أولئك
 في إخوانك ، وأياسني آخرُك عن وفائك ؛ فلا أنا في غير الرجاء مجمعٌ لك
 أطراحاً ، ولا أنا في غَدِّ وانتظاره منك على ثقة ؛ فسبحان من لو شاء كشف
 بياض الشكِّ في أمرِك عن عزيمة الرأى فيك ؛ فأجتَمَعْنَا على ائتلاف ، أو افترقنا
 على اختلاف ، والسلام .

وهو القائل :

رَأَيْتُ مُضِيلاً كَانَ شَيْئاً مُلْفَعاً فَكَشَفَهُ التَّمْحِيصُ حَتَّى بَدَأَ لِيَا (٤)

(١) التخلُّق : تكلف المرء ما ليس فيه من حسن الخلق . (٢) رب الشيء : أصلحه

(٣) الجشب : هو الطعام القفار الذي لا إدام فيه (٤) ملقع : مغطى ، وتقول :

تَلْمَعُ الشَّجَرُ بِالْحَضْمَةِ - وَاعْمَلِ الْأَصْلَ « مُلْفَعًا » بَقَاءِ يَنْ (م) .

فَأَنْتِ أَخِي مَا لَمْ تَكُنْ لِي حَاجَةً
 كَلَانَا غَنِيٌّ عَنْ أَخِيهِ حَيَاتِهِ
 فَإِنْ عَرَضَتْ أَيَقَنْتُ أَنْ لَا أَخَالِيَا
 وَنَحْنُ إِذَا مُتْنَا أَشَدُّ تَفَانِيَا
 فَلَا زَادَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ مَا
 بَلَوْتُكَ فِي الْحَاجَاتِ إِلَّا تَمَادِيَا
 فَعَيْنَ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ
 كَمَا أَنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبَدِي الْمَسَاوِيَا
 وَالْقَائِلُ أَيْضًا:

لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَابُنَا كَرُمْتَ
 يَوْمًا عَلَى الْأَحْسَابِ تَتَكَلَّمُ
 نُبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا
 تَبْنِي وَنَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَا

وهذا كقول عامر بن الطفيل ، قال أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش :
 أنشدني محمد الحسن بن الحرون لعامر بن الطفيل (١) :

تَقُولُ ابْنَةُ الْعَمْرِيِّ : مَا لَكَ بَعْدَ مَا
 أَرَاكَ صَحِيحًا كَالسَّلِيمِ الْمَعْدَبِ (٢)
 فَقُلْتُ لَهَا : هَمَّتِي الَّذِي تَعْرِيفِنَهُ
 مِنْ النَّارِ فِي حَيِّ زُبَيْدٍ وَأَرْحَبِ
 إِنْ أَعَزُّ زُبَيْدًا أَعَزُّ قَوْمًا أَعَزَّةً
 مَرَكَبُهُمْ فِي الْحَيِّ خَيْرَ مَرَكَبِ
 وَإِنْ أَعَزُّ حَيِّ حَتَمَ فِدْمَاؤُهُمْ
 شِفَاءً وَخَيْرُ النَّارِ لِلتَّائِبِ (٣)
 فَمَا أَدْرَكَ الْأَوْتَارَ مِثْلُ مُحَقِّقِ
 بِأَجْرَدٍ طَاوٍ كَالْعَسِيبِ الْمَشْدَبِ (٤)

لعامر
 ابن الطفيل

- (١) عامر بن الطفيل: أحد فتاك العرب وشعرائهم في الجاهلية ، ولد ونشأ بنجد وكان يامر مناديا ينادي في عكاظ : هل من راجل فنحمله ، أو جائع فنطعمه ، أو خائف فنؤمنه ؟ أدرك الإسلام وهو شيخ ، فوفد على الرسول وهو في المدينة بعد فتح مكة يريد الغدر به ، ولكنه لم يجرؤ عليه ، ودعاه الرسول إلى الإسلام ، فاشترط أن يجعل له نصف ثمار المدينة ، وأن يجعله ولي الأمر من بعده ، فردده النبي ، فرجع مغيظا محققا ، وسمعه أحدهم يقول : لأملأها خيلا جردا ، ورجالا مردا ، ولأرطن بكل نخلة فرسا ! فمات في طريقه قبل أن يبلغ قومه سنة ١١ (٢) السليم : اللدوغ .
 (٣) أصل التائب : الذي يترك ليلا ، وأراد الشاعر (م)
 (٤) الطاوي : الضامر ، والأجرد : الحصان سقط شعره من الضمور ، والعسيب : جريدة من النخل مستقيمة دقيقة يكشف حوصها ، والشذب : القلد .

وَأَسْمَرَ خَطِيٍّ وَأَبْيَضَ بَاتِرٍ وَرَغْفٍ دِلَاصٍ كَالْقَدِيرِ الْمُتَوَّبِ (١)
 وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ ابْنَ سَيْدِ عَامِرٍ وَفِي السَّرِّ مِنْهَا وَالصَّرِيحِ الْمَهْدَبِ
 فَمَا سِوَايَ وَوَدَّتْنِي عَامِرٌ عَنْ وَرَائِهِ أَبِي اللَّهِ أَنْ أَسْمُو بِأُمَّ وَلَا أَبِ
 وَلَكِنِّي أَحْيَى حَمَاهَا ، وَأَتَقَى أَذَاهَا ، وَأَرْمَى مَنْ رَمَاهَا بِمَنْكَبِ

وقال أيضاً يهنيء بعض الهاشميين بإملاك (٢) : زاد الله في نعمته ، وبارك
 في فوائضه ، وجميل نوافله ؛ ونسأل الله - الذي قسم لكم ماتحبون من السرور -
 أن يحببكم ما تكرهون من المحذور ، ويجعل ما أحدثه لكم زينا ، ومتاعاً حسناً ،
 ورشداً ثابتاً ، ويجعل سبيل ما أصبحت عليه ، تماماً لصالح ما سموت إليه ؛ من
 اجتماع الشمل ، وحسن موافقة الأهل ؛ أَلَفَ اللهُ ذَلِكَ بِالصَّلاحِ ، وتممه بالنجاح ،
 ومدك لك في ثروة العدد ، وطيب الولد ، مع الزيادة في المال ، وحسن السلامة في
 الحال ، وقرّة العين ، وصلاح ذات البين .

وهجا أبو عاصم محمد بن حمزة الأسلمي للمدني الحسن بن زيد بن الحسين (٣) بن علي
 ابن أبي طالب رحمة الله عليه ، فقال :

بين أبي عاصم
 الألمي الشاعر
 والحسن بن زيد

له حقٌ وليس عليه حقٌّ ومهما قال فالحسن الجميلُ
 وقد كان الرسولُ يرى حقوقاً عليه لغيره وهو الرسولُ

فلما ولي الحسن المدينة أتاه متنكراً في زى الأعراب ، فقال :

ستأني مدحتي الحسن بن زيدٍ وتشهد لي بصفين القبور (٤)
 قبورٌ لم تزل مُدَّةً غاب عنها أبو حسنٍ تُعَادِيها الدهورُ
 قبورٌ لو بأحمد أو عليٍّ يلوذُ مُجْبِرُها حُمَيَّ المَجِيرِ
 ها أبوأك من وضعاً فضَّعه وأنت برفع من رَفَعَا جَدِيرُ

(١) الأسمر الخطي : هو الرمح ، والأبيض الباتر : السيف القاطع ، والزغف ،
 الدرور ، والدلاص : اللينة اللساء ، والقدير للثوب : النهر الممتلئ (٢) الإملاك : الزواج
 (٣) في نسخة «الحسن بن زيد بن الحسن» والذي تولى المدينة هو الحسن بن زيد
 ابن علي بن أبي طالب ؛ فكلمة «بن الحسن» زائدة (م) (٤) صفين : موضع واقعة مشهورة

فقال : من أنت ؟ قال : أنا الأسلى . قال : اذن حياك الله ! وبسط
له رداءه ، وأجلسه عليه ، وأمر له بعشرة آلاف درهم .

بين الحسن
ابن زيد وداود
ابن سلم التيمي
وكان الحسن بن زيد قد عود داود بن سلم مولى بني تيمم أن يصله ، فلما
مدح داود جعفر بن سليمان بن علي - وكان بينه وبين الحسن بن زيد تباعد - أغضبه
ذلك ^(١) ، وقدم الحسن من حج أو عمرة ، فدخل عليه داود بن سلم مهنتاً ، فقال :
أنت القائل في جعفر بن سليمان بن علي :

وكنا حديثاً قبل تأمير جعفر
وكان المني في جعفر أن يؤمراً ^(٢)
جوى المنبرين الطاهرين كليهما
إذا ما خطا عن منبر أم منبرا ^(٣)
كان بني حواء صفوا أمامه
فخيراً في أنسابهم فتخييراً

فقال داود : نعم ، جعلني الله فداك ، فكنتم خيرة اختياره ! وأنا القائل :
لعمرى لئن عاقبت أوجدت منعماً
بغفو عن الجاني وإن كان مُعذراً ^(٤)
لأنت بما قدمت أولى بمدحة
وأكرم فخراً إن فخرت وعُصراً
هو الغرة الزهراء من فرع هاشم
ويدعو علياً ذا العلى وجعفر ^(٥)
وزيد الندى والسبط سبط محمد
وعمك بالطف الزكي المطهراً
وما نال منها جعفر غير مجلس
إذا ما نفاه العزل عنه تأخراً ^(٦)
بحكم نالوا ذراها وأصبحوا
يرون به عزراً عليكم ومظهراً
فعادله الحسن بن زيد إلى ما كان عليه ، ولم يزل يصله ويحسن إليه إلى
أن مات .

(١) في الأصل «غصه ذلك» وهي عبارة جيدة (٢) يؤمر : يولي الإمارة
(٣) أم : قصد (٤) المنذر : ذوالعذر (٥) الغرة : في الجبين ، ولها جبال خاص
(٦) العزل : الضعف - وما أراه أراد غير العزل عن الولاية (م)

وقوله : « وإن كان مُعْذِرًا » ، لأن جعفرًا أعطاه على آيائه الثلاثة ألفَ دينار .
ولما ولى الحسن بن زيد المدينة دخل عليه إبراهيمُ بن علي بن هرمة ، فقال
له الحسن : يا إبراهيم ؛ لستُ كمن باع لك دينه رجاء مدحك ، أو خوف ذمك ،
فقد رزقني الله تعالى بولادة نبيه صلى الله عليه وسلم المادح ، وجنّبتني المقابح ،
وإنَّ من حقه عليّ ألا أُغْضِيَّ على تقصير في حقِّ وجب ؛ وأنا أقسمُ لئن أتيتُ
بك سكرانَ لأضربنك حدًّا للخمر ، وحدًّا للسكر ؛ ولأزيدن لموضع حُرمتك
بي ، فليكن تركك لها لله عز وجل تُعَنِّ عليه ، ولا تدعها للناس فتوكل إليهم .
فنهض ابن هرمة ، وهو يقول :

نهاني ابنُ الرسولِ عن المُدامِ وأدبني بأداب الكرامِ
وقال لي أصطبر عنها ودعها لخوفِ الله لاخوفِ الأنامِ
وكيف تصبّري عنها وحبّي لها حبٌّ تمكّن في عظامي
أرى طيفَ الخيالِ عليّ خُبْنًا وطيب العيش في خبث الحرامِ

وكان إبراهيمُ منهومًا في الخمر ، وجلده خَيْمٌ بنِ عِرَاكٍ^(١) صاحبُ شُرْطَةِ
المدينة لرباح بن عبد الله الحارثي في ولاية أبي العباس .

ولما وفد على أبي جعفر المنصور ومدحه استحسّن شعره ووصله ، وقال له :
بين أبي جعفر المنصور وابن هرمة
سَلِّ حاجتك ، قال : تكتب لي إلى عامل المدينة ألاَّ يحدّني إذا أتني بي سكران
فقال أبو جعفر : هذا حدٌّ من حدود الله تعالى لا يجوز أن أعطله ، قال : فاحتل
لي يا أمير المؤمنين ! فكتب إلى عامل المدينة : « مَنْ أتاك بـابن هرمة سكران
فاجلده مائة ، واجلد ابن هرمة ثمانين » .

فكان الشرطُ يمرّون به مطروحًا في سِكِّكِ المدينة ، فيقولون : مَنْ يشتري
مائة بثمانين !؟

وقال موسى بن عبد الله^(٢) بن علي بن أبي طالب :

(١) في نسخة « عثيم بن عراق » (م)

(٢) في نسخة « بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي » (م)

من شعر موسى
ابن عبد الله
الطالبي

إذا أنا لم أقبل من الدهر كلَّ ما
إلى الله كلُّ الأمر في الخلق كلهم
تعودت مسَّ الضر حتى ألفتُهُ
ووسَّع صدرى للأذى الأنسُ بالأذى
وصيَّرتي يأسى من الناس راجياً
وموسى بن عبد الله هو القائل :

تولت بهجة الدنيا فكل جديدها خلق^(١)
وخان الناس كلهم فإدري بمن أثق
رأيت معالم الخير أث سُدَّتْ دونها الطرق
فلا حسب ولا نسب ولا دين ولا خلق
فلمست مُصدِّق الأقوام في شيء وإن صدقوا

وكان المنصور حبه لخروجه عليه مع أخويه ، ثم ضرب به ألف سوطٍ ، فما
نطق بحرفٍ واحد ؛ فقال الربيع : عذرت هؤلاء الفساق في صبرهم ؛ فما بَالُ
هذا الفتى الذي نشأ في النعمة والدعة ؟ فقال :

بعض أخبار
موسى

إني من القوم الذين يزيدهم جلدًا وصبرًا قسوة السلطان
وولدت هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن زَمعة موسى ، ولها ستون سنة ،
ولا يعلم امرأة ولدت بنت ستين سنة إلا قرشية .

اجتاز على بن محمد العلوي بالجرس بحيد^(٢) ثمان^(٣) قتل عمر بن يحيى بن عبد الله
ابن الحسين ، وقاتله الحسين بن إسماعيل هناك قد جرّد رجلاً للقتل ، فلما رأت
أمّ الرجل عليا سألته أن يشفع فيه ، فقال عليٌّ إلى الحسين فأنشده :

بين علي بن
محمد العلوي
والحسين بن
إسماعيل

(١) الخلق - بفتح الخاء - البالي .

(٢) حدثان الأمر : أوله ، وهو بكسر الحاء وسكون الدال - والباء بمعنى في (م)

قتلت أبر من ركب المطايا وجئتك أستلينك بالكلام
وعز على أن ألقاك إلا وفيما بيننا حدة الحسام
ولكن الجناح إذا أصيبت قوادمه يرف على الإكام^(١)

فقال له : وما حاجتك ؟ قال : الغفوة عن ابن هذه المرأة ! فتركه .

العباس بن
الحسين
الهاشمي

وسئل العباس بن الحسين عن رجل ، فقال لجليسه : أطرب من الإبل على
الخداء ، ومن التمل على الغناء .

وذكر العباس رجلا فقال : ما الحمام على الأحرار ، وطول السقم في
الأسفار ، وعظم الدين على الإقتار ، بأشد من لقائه .

وقال العباس بن الحسين للمأمون : يا أمير المؤمنين ؛ إن لساني ينطلق
بمدحك غائبا ، وقد أحببت أن يتزيد عندك حاضرا ، أفأذن لي يا أمير
المؤمنين في الكلام ؟ فقال له : قل ؛ فوالله إنك لتقول فتخسن ، وتخضر
فتزبن ، وتغيب فتوئمن ، فقال : ما بعد هذا كلام يا أمير المؤمنين ! أفأذن
بالسكوت ؟ قال : إذا شئت .

وذكر رجلا بليغا فقال : ما شبهت كلامه إلا بشعبان ينهال بين رمال ،
وماء يتغلغل بين جبال .

وسمع المنتجع بن نهبان كلام العباس بن الحسين ، فقال : هذا كلام
يبدل سائرته على غيره^(٢) وأوله على آخره .

وسأل المأمون العباس بن الحسين عن رجل ؟ فقال : رأيت له حلما وأناة ،
ولم أسمع لحنًا ولا إحالة^(٣) ؛ يحدُّك الحديث على مطاويه^(٤) ، ويُنشدك الشعر
على مدارجه .

(١) القوادم : مقدم الريش ، ولا كذلك الخوافي ، والإكام : جمع أكمة .

(٢) سائرته : باقيه ، وغايته : ماضيه (٣) الإحالة : التكلم بالحال

(٤) على مطاويه : على خفياه

وكان المأمون يقول: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْمَعَ لَهْوًا بَلَاحِرَجٍ فَلْيَسْمَعْ كَلَامَ الْعَبَّاسِ
وَالْعَبَّاسُ بْنُ الْحُسَيْنِ مِنْ أَشْعَرِ الْمَاشِمِيِّينَ ؛ وَهُوَ يُعَدُّ فِي طَبَقَةِ إِبْرَاهِيمِ
ابْنِ الْمَهْدِيِّ ، وَهُوَ الْقَائِلُ :

أَتَاكَ لِكَ الْهَوَى بِيضٌ حِسَانٌ سَبَّيْنِكَ بِالْعَيُونِ وَبِالشُّعُورِ (١)
نَظَرْتُ إِلَى النَّحُورِ فَكَدَّتْ تَقْضِي وَأَوْلَى لَوْ نَظَرْتُ إِلَى الْخُصُورِ (٢)
وَهُوَ الْقَائِلُ أَيْضًا :

صَادَتْكَ مِنْ بَعْضِ الْقُصُورِ بِيضٌ نَوَاعِمٌ فِي الْخُدُورِ
حُورٌ تَحُورُ إِلَى صَبَا كَ بَاعَيْنِ مِنْهُنَّ حُورِ (٣)
وَكَأَنَّمَا بَغْتُورَهُنَّ جَنَى الرُّضَابِ مِنَ الْخُورِ (٤)
يَصْبُغْنَ تَفَاحَ الْخُدُودِ بِمَاءِ رُمَانَ الصُّدُورِ

وَهُوَ : الْعَبَّاسُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَأُمُّ عُبَيْدِ اللَّهِ جَدَّةُ بِنْتِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ عَمِّ
مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ أَبِي الْخَلْفَاءِ .

وَكَانَ الرَّشِيدُ وَالْمَأْمُونُ يُقَرِّبَانِ الْعَبَّاسَ غَايَةَ التَّقْرِيبِ ؛ لِئَسْبَهُ وَأَدْبَهُ ؛
قَالَ أَبُو دَلْفٍ : دَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ وَهُوَ فِي طَارِمَةَ عَلَى طَنْفَسَةَ (٥) وَمَعَهُ عَلَيْهَا شَيْخٌ
جَمِيلٌ الْمُنْظَرُ ؛ فَقَالَ لِي الرَّشِيدُ : يَا قَاسِمُ ؛ مَا خَبَرُ أَرْضِكَ ؟ فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
خَرَابٌ يَبَابُ ، أَخْرَبَهَا الْأَكْرَادُ وَالْأَعْرَابُ . فَقَالَ قَائِلٌ : هَذَا آفَةُ الْجَبَلِ ،
وَهُوَ أَفْسَدُهُ ، فَقُلْتُ : أَنَا أَصْلَحُهُ ، قَالَ الرَّشِيدُ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قُلْتُ : أَفْسَدَتْهُ
وَأَنْتَ عَلَيَّ وَأَصْلَحْتُهُ وَأَنْتَ مَعِيَ ! قَالَ الشَّيْخُ : إِنْ هَمَّتْ لَتَرِمِي بِهِ مِنْ وَرَاءِ سَنَةٍ

(١) أتاح : هيا ، وسبينك : أسرنك (م) (٢) تقضى : تهلك .

(٣) حور : جميل (٤) الرضاب : الريق

(٥) الطارمة : بيت من خشب كالقبة

مَرَّمِي بَيْدًا ؛ فَسَأَلَتْ عَنْ الشَّيْخِ قَعِيلٍ : الْعَبَّاسُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، وَكَانَ أَبُو دُؤْلَفَ ذَلِكَ الْوَقْتِ صَغِيرَ السِّنِّ .

ولقي موسى بن جعفر^(١) رضي الله عنه محمد بن الرشيد الأمين بالمدينة وموسى بن جعفر والفضل بن الربيع بن الربيع .
 علي بكفلة ، فقال للفضل بن الربيع : عَاتِبْ هَذَا ، فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ : كَيْفَ لَقِيتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى هَذِهِ الدَّابَّةِ الَّتِي إِنْ طَلَبْتَ عَلَيْهَا لَمْ تَسْبِقْ ، وَإِنْ طَلَبْتَ عَلَيْهَا تَلْحَقْ ، فَقَالَ : لَسْتُ أَحْتَاجُ أَنْ أُطَلَّبَ ، وَلَا إِلَى أَنْ أُطَلَّبَ ؛ وَلَكِنَّهَا دَابَّةٌ تَنْحَطُّ عَنْ خَيْلَاءِ الْخَيْلِ ، وَتَرْتَفِعُ عَنْ ذِلَّةِ الْعَيْرِ^(٢) ، وَخَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا .

أُصِيبَ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى بِمُصِيبَةٍ ، فَصَارَ إِلَيْهِ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ ، فَقَالَ : إِنَا لَمْ نَأْتِكَ مُعَزِّينَ ؛ بَلْ جِئْنَاكَ مُقْتَدِرِينَ ؛ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ حَيَاتِكُمْ لِلنَّاسِ رَحْمَةً ، وَمَصَائِبِكُمْ لَهُمْ قَدْوَةً .

وكان علي بن موسى الرضا رحمه الله قد ولّاه المأمون عهده ، وعقد له الخلافة بعده ، ونزع السواد عن بني العباس ، وأمرهم بلباس الخضرة^(٣) ، ومات علي بن موسى في حياة المأمون بطوس ، فشقّ [المأمون] قبر الرشيد ودُفِنَ فِيهِ تَبْرًا كَأَبِهِ ، وَكَانَ الرَّشِيدُ قَدْ مَاتَ بِطُوسٍ فَدُفِنَ هُنَاكَ^(٤) ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ دُعَيْلُ بْنُ عَلِيٍّ الْخُرَاعِيُّ :
 ارْزُقْ بِطُوسٍ عَلَى قَبْرِ الزُّكِيِّ بِهَا إِنْ كُنْتُ تَرْبِيعَ مَنْ دِينَ عَلِيٍّ وَطَرِ^(٥)
 مَا يَنْفَعُ الرَّجْسَ مِنْ قُرْبِ الزُّكِيِّ ، وَلَا عَلَى الزُّكِيِّ بِقُرْبِ الرَّجْسِ مِنْ ضَرَرِ
 هِيَّاتِ كُلِّ أَمْرٍ رَهْنٌ بِمَا كَسَبْتَ لَهُ يَدَاهُ فَخُذْ مِنْ ذَلِكَ أَوْ قَدَرِ

(١) كان موسى بن جعفر سيّدا من سادات بني هاشم ، وإماما مقدما في العلم والدين ولد في الأبواء - قرب المدينة - سنة ١٢٨ وتوفي في بغداد سنة ١٨٣ (٨) العير: الحمار
 (٣) وكان لباس الخضرة شعار أهل البيت ، وكان من أثر نزع السواد عن بني العباس أن اضطرب العراق ، وثار أهل بغداد ، فخلعوا المأمون وهو بطوس وبايعوا عمه إبراهيم بن المهدي ، فقصدهم المأمون بجيشه ، فاخْتَبَأَ إِبرَاهِيمُ ثُمَّ اسْتَسَلِمَ وَعَقَا عَنْهُ الْمَأْمُونُ .
 (٤) كانت وفاة علي بن موسى سنة ٢٠٣ (٥) ربيع : أقام ، والوטר : الحاجة

قبران في طوس: خَيْرُ الناسِ كلِّهم وقبر شَرِّهم، هذا من العِبَرِ
وكان دعبل مداحاً لأهل البيت، كثير التعصُّب لهم، والغلوِّ فيهم. وله
المرثية المشهورة، وهي من جيد شعره، وأولها:

مَدَارِسِ آيَاتِ عَفَتْ مِنْ تِلَاوَةٍ وَمَنْزِلُ وَحْيٍ مُقْفَرٍ الْعَرَصَاتِ (١)
لَأَلِ رَسُولِ اللَّهِ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنِيَّ وَبِالْبَيْتِ وَالتَّعْرِيفِ وَالْجَمْرَاتِ
دِيَارُ عَلِيٍّ وَالْحُسَيْنِ وَجَعْفَرٍ وَحَمْرَةَ وَالسَّجَّادِ ذِي الثَّنَائَاتِ
قِفَا نَسْأَلِ الدَّارَ الَّتِي خَفَتْ أَهْلَهَا مَتَى عَهْدُهَا بِالصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ
وَأَيْنَ الْأُولَى شَطَّتْ بِهِمْ غُرْبَةَ النَّوَى أَفَانِينَ فِي الْآفَاقِ مُفْتَرَقَاتِ (٢)
أَحِبُّ قَصِيَّ الدَّارِ مِنْ أَجْلِ حُبِّهِمْ وَأَهْجُرُ فِيهِمْ أَسْرَتِي وَتِقَاتِي
وهي طويلة.

رثاء دعبل
لآل البيت

ولما دخل المأمونُ بغدادَ أخضرَ دعبلاً بعد أن أعطاه الأمان، وكان قد
هجاه وهجاً أباه، فقال: يادعبل، من الخضيض الأوهدي! فقال: يا أمير المؤمنين،
قد عفوت عن من هو أشدُّ جرماً مني! أراد المأمون قول دعبل يهجوهُ:
إِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ سَيُوفُهُمْ قَتَلْتَ أَخَاكَ وَشَرَفْتِكَ بِمَقْعَدِ
شَادُوا بِذِكْرِكَ بَعْدَ طَوْلِ حُمُولِهِ وَاسْتَنْذُوكَ مِنَ الْخَضِيضِ الْأَوْهَدِ
يفتخرُ عليه بقتلِ طاهر بن الحسين بن مصعب ذي اليمينين أخاه محمداً،
وطاهر مولَى الخُرَاعة، فاستنشد هذه القصيدة التائيَّة (٣)، فاستغفاه، فقال: لا بأسَ
عليك، وقد رويتها، وإنما أحببت أن أسمعها منك، فأنشدها دعبل؛ فلما
انتهى إلى قوله:

أَلَمْ تَرَأْنِي مَدَّ ثَلَاثِينَ حِجَّةً أَرْوَحُ وَأَعْدُو دَائِمَ الْحَسْرَاتِ

(١) العرصات: الساحات (٢) غربة النوى: بعده
(٣) في المطبوعات كلها « الثانية » وهو تحريف ما أثبتناه (م).

أرى فيهم في غيرهم مُتَقَسِّمًا وأيديهم من فيهم صفرات^(١)
 إذا وتبروا مدوا إلى أهل وترهم أكفأ عن الأوتار مُنْقَبِضَاتِ
 وآل رسول الله نُحْفٌ جُسُومِهِم وآل زياد غُلْظُ الْقَصَرَاتِ^(٢)
 بنات زياد في القصور مَضُونَةٌ وبنات رسول الله في الفلواتِ
 بكى المأمون ، وجدد له الأمان ، وأحسن له الصلّة .

والشيء يستدعى ما قرع بابه ، وجذب أهدابه^(٣) ، قال سليمان بن قتيبة :
 لسلیمان بن قتيبة :
 برئى آل البيت
 مرتت على أبيات آل محمد فلم أر ما عهدتني بها يوم حلت^(٤)
 فلا يبعد الله الديار وأهلها وإن أصبحت من أهلها قد تخلت^(٥)
 وكانوا رجاء ثم عادوا رزيةً ألا عظمت تلك الرزايا وجلت^(٦)
 وإن قتيل الطف من آل هاشم أذل رقاب المسلمين فذلت^(٧)
 ويشبهه قوله : « وكانوا رجاء ثم عادوا رزية » قول امرأة من العرب مرّت
 بالجرس بجثة جعفر بن يحيى البرمكي مصلوبا^(٨) ؛ فقالت : لئن أصبحت نهاية في
 البلاء ، لقد كنت غاية في الرجاء .

ألفاظ لأهل العصر في أوصاف الأشراف

لها في هذا الموضع موقع

فلان من شرفِ العنصر الكريم ، ومعدن الشرف الصميم . أصل تراسخ ،

- (١) صفرات : خاليات (٢) القبصرات : أصول العنق ، جمع قصرة بفتحين
 (٣) هكذا وقع هذا الكلام في النسخ التي بأيدينا والظاهر أنه سقطت بعض عبارات
 يراد بها التمهيد للمضى في ذكر بعض الشواهد التي تتحدث عن بكاء أهل البيت .
 (٤) رواية الحماسة « فلم أرها أمثالها » (٥) رواية الحماسة « وإن أصبحت منهم برغمي
 تخلت » (٦) رواية الحماسة « وكانو غيانا » (٧) الطف : موضع قرب الكوفة ، ورواية
 الحماسة : « ألا إن قتلى الطف من آل هاشم أذلت » (٨) جعفر بن يحيى : كان وزير
 الرشيد ، يرمو وينقض في الدولة ماشاء ، إلى أن ثار الرشيد بالرامكة قتلته فيمن قتل منهم ،
 وكان جعفر فصيح النطق بليغ القول ، ولد في بغداد سنة ١٥٠ ، وتوفي سنة ١٨٧

وفرع شامخ ، ومجدُّ بأذخ^(١) ، وحسبُ شادخ .

فلان كريمُ الطرفين ، شريفُ الجانبين ، قد ركبَ الله دَوْحَتَهُ في قرارةِ
المجدِّ ، وغرسَ نَبْعَتَهُ في محلِّ الفضل . أصلُ شريف ، وعِرْقُ كريم ، ومغرسُ
عظيم ، ومغرزُ ضميم . المجد لسانُ أوصافه ، والشرفُ نسبُ أسلافه . نسبُ فخم ،
وشرفُ ضخم . يستوفى شرفَ الأرومة^(٢) بكرم الأبوّة والأُمومة ، وشرف
الخلوّة والعمومة . ما أتته المحاسنُ عن كلاله^(٣) ، ولا ظفر بالهدى عن ضلالة ،
بل تناول المجدَّ كابرًا عن كابر ، وأخذ الفخرَ عن أسيرةٍ ومنابر :

شرفٌ تنقلَ كابرًا عن كابر كالرمح أنبوا على أنوب^(٤)

استقى عِرْقَهُ من منبعِ النبوة ، ورضعت شجرته من ثدي الرسالة ، وتهدلت
أغصانه عن نبعه الإمامة ، وتبججت أطرافه في عرصَةِ الشرفِ والسيادة^(٥) ،
وتفتت بيضته عن سلالةِ الطهارة^(٦) ، قد جذب القرآنُ بضبعه^(٧) وشقَّ الوحى عن
بصره وسمعه ، مختار من أكرمِ المناسب ، منتخب من أشرفِ العناصر ، مرتضى
من أعلى المحاند^(٨) ، مؤثر من أعظمِ العشائر ، قد ورث الشرفَ جامعًا عن جامع ،
وشهد له نداء الضوامع ، هو من مضر في سويداء قلبها ، ومن هاشم في سواد
طرفها ، ومن الرسالة في مهبطِ وحيها ، ومن الإمامة في موقف عزّها ، ينزع إلى
الحامدِ بنفس وعِرْق ، وينحني إلى المكارم بورائه وخلق ؛ يتناسب أصله وفرعه ،
ويتناصف نجره وطبعه ، وهو الطيب أصله وفرعه ، الزاكي بذره وزرعه ، يجمع

(١) شامخ وباذخ وشادخ : مترادفات بمعنى عال (٢) الأرومة : الأصل .

(٣) الكلاله : ما عدا الولد والوالد من الأقرباء (٤) الأنوب : القصبة

(٥) تبججت : تمكنت ، والعرصة : الساحة (٦) تفتت : تفتحت

(٧) جذب بضبعه : نوه به

(٨) المناسب : جمع منسب ، والعناصر : جمع عنصر ، والمحاند : جمع محند ،

وكلها بمعنى الأصل (م)

إلى عزّ النَّصاب، مَزِيَّةَ الآداب، لاغزو أن يجرى الجوادُ على عِرْقِهِ، وتلوح مخايلُ
الليثِ في شِبْلِهِ، ويكون النجيبُ قرعاً مشيداً لأصله. له مع نباهة شرفه، نزاهة
سلفه، ومع كرم أرومته وحزمه، مزية أديه وعلمه، لن تخلف ثمرة غرس ارتيد
لها من النبات أزرُ كها، ومن المغارس أطيبها وأغذاها وأعماسها؛ قد جمع شرف
الأخلاق، إلى [شرف الأعراف، وكرم الآداب، إلى] كرم الأنساب؛ له في المجد
أولٌ وآخر، وفي الكرم تليدٌ وطارف، وفي الفضل حديثٌ وقديمٌ؛ لا غرو أن
يغمر فضله، وهو نجلُ الصَّيدِ الأكارم، أو يغزر علمه وهو فيضُ البحور الخضارم^(١)
دَوْحَةٌ رسب عِرْقُهَا، وَسَمَقٌ فَرَعُهَا^(٢)، وطاب عودُها، واعتدل عمودُها،
وتفَيَّاتٌ ظلالُها، وتمهدَّتْ ثمارُها، وتفرَّعتْ أغصانُها، وبرد مقيلُها. مجدُّ
يلحظ الجوزاء من عال، ويطولُ النجمُ كلَّ مَطَّال. شَرَفٌ تُضَعُّ له الأفلakُ
خُدودَها وجباها، وتَلْشِمُ النجومُ أرضَه بأفواهِها وشفاهِها. نسبُ المجدِ به
عَرِيْقٌ، وَرَوْضٌ الشرفِ به أنيق. ولسانُ الثناء بقضله نطوق. فَلكُ المجدِ عليه
يدور، ويدُ العَلاِ إليه تُشير. محله شاهق، ومجدُّه بأسق.

(١) الخضارم: جمع خضرم بكسر الخاء والراء، وهو الواسع (٢) سمق: ارتفع

بدء الكتاب

الكلام في
حمد الله

قد تمَّ ما استفتحت به التأليف ، وجعلته مقدمة التصنيف ، مع ما اقترن به ،
وانصَّافَ إليه ، والتفَّ به ، وانعطفَ عليه ، ورأيتُ أن أبتدىءَ مقدّمات
البلاغات ، بغيرِ التحاميدِ وأوصافِها^(١) ، وما يتعلقُ بأثنائِها وأطرِّافِها .

وقد قال سهل بن هارون في أول كتاب عمله : يجب على كلِّ مبتدئٍ
مقالةً أن يبتدئَ بحمدِ الله قبل استفتاحها ، كما بُدئَ بالنعمة قبل استحقاقها .
ولأهل العصر : أولى ما فغر به الناطقُ فمه^(٢) وافتتح به كِلمه ، حمدُ الله
جلَّ ثناؤه ، وتقدَّست أسماؤه . حمدُ الله خيرُ ما ابتدئَ به القول وختمُ ،
وافتتح به الخطابُ وتمم .

وقال أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله : إنَّ الله جلَّ ثناؤه لا يُمنَّلُ بنظير ،
ولا يُغلبُ بظهير^(٣) ، جلَّ عن موقع تحصيل أدوات البشر ، ولطفَ عن ألحاظ
خبرات الفكر ، لا يُحمدُ إلا بتوفيقٍ منه يقتضى حمداً ، فمتى تُخصى نعاؤه ،
وتكافأ آلاؤه ؟ عجزَ أقصى الشكرِ عن أداء نعمته ، وتضاءل ما خلق في
سعة قدرته ؛ قدرَ فقدَّر ، وحكم فأحكم ؛ وجعل الدِّينَ جامعاً لشملِ
عباده ، والشرائعَ مناراً على سبيل طاعته ؛ يتبعُها أهل اليقين به ، ويحمِّدُ
عنها أهلُ الشكِّ فيه .

أخذ أبو العباس قوله : « ولا يُحمدُ إلا بتوفيقٍ منه يقتضى حمداً » من قول

محمود بن الحسن الوراق :

إذا كان شكري نعمة الله نعمةً عليَّ له في مثلها يجبُ الشكرُ
فكيف بلوغُ الشكرِ إلا بفضلِهِ وإن طالت الأيام واتَّصلَ العمرُ

(١) كذا في الطبوعات كلها ، ولو كان « وأوصافها » لكان أطرف ، وإن لم
يتم به التسجيع على الشائع من طريقة المؤلف (م) (٢) فغر : فتح (٣) الظهير : العين

إذا عمَّ بالسَّراء عمَّ سرورُها وإنَّ مَسَّ بالضراء أعقبها الأجرُ
فما منهما إلا له فيه نِعْمَةٌ تَضِيقُ بها الأوهامُ والبرُّ والبجرُ
وإنما أخذهُ محمودٌ من قول أبي العنابية :

أحمد الله فهو ألهمني الحمدَ على الحمدِ والمزيدُ لديهِ
كم زمانٍ بكيتُ فيه فلمَّا صرْتُ في غيره بكيتُ عليه
وقد اضطربت الروايةُ في هذين البيتين وقائلهما، وهذا البيت الثاني كثيرٌ (١)،

قال إبراهيم بن العباس :

كذلك أيامنا لاشكَّ نندُبُها إذا تقصَّصتْ ونحنُ اليومُ نشكُّوها
آخر :

وما مرَّ يومٌ أرتجى فيه راحةً فأفقدُهُ إلا بكيتُ على أمسٍ
ومحمود هو القائل أيضاً :

من شعر
محمود الوراق

تفصى الإلهة وأنت تُظهرُ حبهُ هذا محالٌ في القياسِ بديعُ
لو كان حبُّك صادقاً لأطعتهُ إنَّ الحبَّ لمن أحبَّ مطيعُ
وكان كثيراً ما ينقلُ أخبارَ الماضين ، وحكِّم المتقدِّمين ، فيحلى بها
نظامه ، ويُرَيَّنُ بها كلامه ، وهو القائل :

إني وهبتُ لظلمي ظلمي وشكرتُ ذاكَ له على علمي
ورأيتُهُ أسدَى إلى يداً لَمَّا أبانَ بمجهلهُ حلمي
رَجَعَتْ إِسَاءَتُهُ عَلَيْهِ ، وَلِي فَضْلُ فِعَادِ مُضَاعَفِ الْجُرْمِ
فكأنما الإحسانُ كان له وأنا المسىءُ إليه في الزعمِ
ما زال يظلمني وأرحمه حتى رثيتُ له من الظلمِ

(١) يريد أن الشعراء ردوا هذا المعنى كثيراً . ومن جيد ما صور به هذا المعنى

قول سعيد بن حميد :

لم أبلُك من زمنٍ ذممتُ صروفه إلا بكيتُ عليه حين يزول

وهو القائل :

أرأني إذا ما ازددتُ مالاَ وثروةً وخَيْراً إلى خَيْرٍ تزيّدتُ في الشرِّ
فكيف بشُكرِ اللهِ إن كنتَ إنما أقومُ مقامَ الشُّكرِ لله بالكُفْرِ
بأىِّ اعتذارٍ أوْ بأَيَّةِ حُجَّةٍ يقولُ الذي يدري من الأمرِ ما أدري
إذا كان وجهُ العُذْرِ ليسَ ببيِّنٍ فإنَّ أطراحَ العُذْرِ خَيْرٌ من العُذْرِ

[البيان والبلاغة]

ولابن المعتز: البيان ترجمانُ القلوب ، وصَيْقَلُ العقول ، وَمُجَلِّي الشبهة ، وموجب الحجة ، والحالكم عند اختصام الظنون ، والمفرقُ بين الشكِّ واليقين ، وهو من سلطان الرُّسُل الذي انقاد به المصعب^(١) ، واستقام الأُصَيْدُ^(٢) ، وبُهِت الكافر ، وسَلَّم الممتنع ، حتى أَشَبَّ الحقُّ بأنصاره^(٣) ، وَخَلَّ رَنْعُ الباطلِ من عُمارةٍ ؛ وخيرُ البيان ما كان مصرحاً عن المعنى ؛ لِيُشْرَعَ إلى الفهم تلقيةً ، وموجزاً ليخفَّ على اللفظ تعاطيه .

لابن المعتز
في فضل البيان

وفَضْلُ القرآن على سائر الكلام معروفٌ غيرٌ مجهول ، وظاهرٌ غيرٌ خفي ؛ يشهدُ بذلك عَجْزُ المتعاطين ، وَوَهْنُ المتكلفين^(٤) ، وَتَحْيِرُ الكذابين ، وهو المبلغ الذي لا يُبَل ، والجديد الذي لا يَخْلُق^(٥) ، والحق الصادع ، والنورُ الساطع ، والماسِحُ لُظْمِ الضلال ، ولسانُ الصِّدْقِ الناقِ للكذب ، ونذيرُ قَدَمَتِهِ الرحمةُ قبل الهلاك ، وناعِي الدنيا المنقولة ، وبَشِيرُ الآخرةِ الخَلدَة ، ومِفْتَاحُ الخيرِ ، ودليل الجنة . إنْ أَوْجَزَ كان كافياً ، وإنْ أَكْثَرَ كان مُدَكِّراً ، وإنْ أَوْمَأَ^(٦) كان مُقْنِعاً ، وإنْ أَطَالَ كان مُفهِمًا ، وإنْ أَمْرَ فَناصِحًا ، وإنْ حَكَمَ فَعادِلًا ، وإنْ أَخْبَرَ فصادقًا ، وإنْ بَيَّنَّ فشافيا ، سَهْلٌ على الفهم ، صَعْبٌ على المتعاطي^(٧) ، قَرِيبٌ المَأْخَذُ ،

فضل القرآن
على سائر
الكلام

(١) المصعب : الفحل الصعب القياد . وفي الأصل «المستصعب» وأرجح أنه تحريف
(٢) الأُصَيْدُ : المائل العنق كبرا (٣) أشب : تجمع وقوى (٤) الوهن : الضعف (م)
(٥) لا يَخْلُق : لا يبلى (٦) أومأ : أشار (٧) يريد بالمتعاطي المتكلف مجاراته (م)

بعيد المرام ، سراج تستضيء به القلوب ، حلو إذا تذوقته العقول ، بحر العلوم ،
 وديوان الحكم ، وجوهر الكلم ، ونزهة المتوسمين ، وروح قلوب المؤمنين ،
 نزل به الروح الأمين على محمد خاتم النبيين ، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين ،
 فخصم الباطل ، وصدع بالحق ، وتألف من النفرة ، وأتقد من الملكة ، فوصل
 الله له النصر ، وأضرع به خد الكفر^(١) .

تفسير الرماني
 للبلاغة

قال علي بن عيسى الرماني^(٢) : البلاغة ما حطَّ التكلف عنه^(٣) ، وبنى على التبيين ،
 وكانت الفائدة أغلب عليه من القافية ، بأن جمع مع ذلك سهولة الخرج ، مع قرب
 المتناول ؛ وعذوبة اللفظ ، مع رشاقة المعنى ؛ وأن يكون حسنُ الابتداء كحسنِ
 الانتهاء ، وحسن الوصل ، كحسن القطع ، في المعنى والسمع ، وكانت كل كلمة
 قد وقعت في حقها ، وإلى جنب أختها ، حتى لا يقال : لو كان كذا في موضع
 كذا لكان أولى ! وحتى لا يكون فيه لفظ مختلف ، ولا معنى مُستكره ؛
 ثم ألبس بهاء الحكمة ، ونور المعرفة ، وشرف المعنى ، وجزالة اللفظ ، وكانت
 حلاوته في الصدر وجلالته في النفس تفتق الفهم ، وتثر دقائق الحكم ، وكان
 ظاهر النفع ، شريف القصد ، معتدل الوزن ، جميل المذهب ، كريم المطلب ،
 فصيحاً في معناه ، بيناً في فحواه ؛ وكل هذه الشروط قد حواها القرآن ، ولذلك
 عجزَ عن معارضة جميع الأنام .

(١) أضرع : أذل

(٢) وكان يعرف أيضاً بالإخشيدي ، وبالوراق ، وهو بالرماني أشهر - كما ذكر
 السيوطي في بغية الوعاة - كان إماماً في العربية علامة في الأدب في طبقة الفارسي والسيرافي
 وكان يمزج النحو بالمنطق حتى قال الفارسي : إن كان النحو ما يقوله الرماني فليس
 معنا منه شيء ، وإن كان النحو ما تقوله نحن فليس معه منه شيء . وكان معتزلياً بصيراً
 بعلم الكلام . ولد سنة ٢٧٦ وتوفي في ١١ جمادى الأولى سنة ٣٨٤

(٣) الضمير عائد على الكلام البليغ المفهوم من البيان

ألفاظ لأهل العصر في ذكر القرآن

القرآن حَبْلُ اللَّهِ الممدود ، وَعَهْدُ المَعهُود ، وظلُّه العميم ، وصِرَاطُهُ المستقيم ، وَحُجَّتُهُ الكبرى ، ومجته الوُسْطَى ، وهو الواضح سبيله ، الراشدُ دليله ، الذى مَن استضاء بمصابيحه أَبْصَرَ وَنَجَّى ، وَمَن أَعْرَضَ عَنْهُ ضَلَّ وَهُوَ سَى ؛ فضائل القرآن لا تُسْتَفْصَى فى أَلْفِ قَرْنٍ ، حجة الله وَعَهْدُهُ ، ووَعِيدُهُ ووَعْدُهُ ، به يعلمُ الجاهلُ ، ويعملُ العاْمِلُ ، ويتنبَّه الساهى ، ويتذكَّرُ اللاهى ، بِشَيْرِ الثواب ، وَذَيْرِ العقابِ ، وشفاه الصدور ، وَجَلَاءِ الأمورِ ؛ من فضائله أنه يُقرأ دائماً ، وَيُكْتَبُ ، وَيُمْلَى ، ولا يَمَلُّ . ما أهون الدنيا على مَنْ جعل القرآن [إمامه ، وتصور الموت أمامه ، طوبى لمن جعل القرآن] مصباح قلبه ، ومفتاح لُبه . من حق القرآن حِفْظُ ترتيبه ، وحسنُ ترتيله .

قال بعض الحكماء : الحكمة مُوقَظَةٌ للقلوب من سِنَةِ (١) الغفلة ، وَمُنْقِذَةٌ للبصائر من سَكْرَةِ الخَيْرَةِ ، وَمُحْيِيَةٌ لها من مَوْتِ الجهالة ، وَمُسْتَخْرِجَةٌ لها من ضيقِ الضلالة ؛ والعلمُ دواءٌ للقلوب العليلية ، وَمُسْحَدٌ للأذهان الكليية (٢) ، ونورٌ فى الظلمة ، وَأَنْسٌ فى الوحشة ، وصاحبٌ فى الوحده ، وَسَمِيرٌ فى الخلوَّةِ ، ووصلةٌ فى المجلس ، ومادَّةٌ للعقل ، وتَلْقِيحٌ للفهم ، ونافٍ للعى المزرى بأهلِ الأحسابِ ، المقصرِ بذوى الأبواب ؛ أنطق الله سبحانه أهله بالبيان الذى جعله صفةً لكلامه فى تنزيله ، وأيدَّ به رُسله إيضاحاً للمشكلات ، وفضلاً بين الشبهات ؛ شَرَّفَ به الوضع ، وأعزَّ به الدليل ، وسوَّدَ به المسود ، من تحلَّى بغيره فهو معطلٌ ، ومن تعطلَّ منه فهو مغفلٌ ، لا تُبْلِيه الأيام ، ولا تُخترِمُه الدهور ، يتجددُ على الابتدال ، وَيَزِرُ كَوْعَى الإِنْفَاقِ ؛ اللهُ على مامنٍ به على عباده الحمدُ والشُّكْرُ .

(١) السنة - بكسر السين - أول النوم ، ومثله الوسن - بالتحريك (م)

(٢) الكليية : وصف من الكلال ، وهو الإعياء ، وأراد غير الماضية فيما تبحث ،

شبهها بالسكين التى لا تنفذ فى ضريبها (م)

[أقوال في البلاغة]

قيل لعمر بن عبيد : ما البلاغة ؟ قال : ما بلغك الخيطة ، وعدك بك عن رأي عمرو بن النار ، وبصرك مواقع رشديك ، وعواقب غيبك . قال السائل : ليس هذا أريد ، عبيد في البلاغة قال : من لم يُحسِن أن يسكت لم يُحسِن أن يستمع ، ومن لم يُحسِن الاستماع لم يُحسِن القول ، قال : ليس هذا أريد ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّا مَعَشَرَ الْأَنْبِيَاءِ فِينَا بَكَءٌ » أَي قَلَّةُ كَلَامٍ ^(١) ؛ وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله ، قال السائل : ليس هذا أريد ، قال : كانوا يخافون من فتنَةِ القول ومن سقطات الكلام ما لا يخافون من فتنَةِ السكوت ، وسقطات الصمت ، قال : ليس هذا أريد ، قال عمرو : يا هذا ؛ فكأنك تريد تحبير اللفظ ^(٢) في حسن الإفهام ، قال : نعم ، قال : إنك إن أردت تقرير حجة الله عز وجل في عقول المكلفين ، وتخفيف المؤونة عن المستمعين ، وتزيين تلك المعاني في قلوب المرئيين ، بالألفاظ المستحسنة في الأذان ، المقبولة في الأذهان ، رغبة في سرعة إجابتهم ، ونفي الشواغل عن قلوبهم ، بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة - كنت قد أوتيت الحكمة وفضل الخطاب ، واستوجبت من الله جزيل الثواب ، فقيل لعبد الكريم بن روح الغفاري : من هذا الذي صبر له عمرو وهذا الصبر ؟ قال : سألت عن ذلك أبا حفص الشمري ، فقال : ومن يجترىء عليه هذه الجرأة إلا حفص بن سالم ؟

وعمر بن عبيد بن باب هو رئيس المعتزلة في وقته ، وهو أول من تكلم على عمرو بن عبيد الخلق ، واعتزل مجلس الحسن البصري ، وهو أول المعتزلة .

(١) وفي الأصل «فينا تلسكاً» وهو تحريف

(٢) تحبير اللفظ : تحسينه ، قالوا : «وكان مهلهل يحبر شعره» - وفي نسخة

«تغير» بمعنى الاختيار (م)

ودخل عمرو بن عبيد على أبي جعفر المنصور ، فقال : عَظِي ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنَّ اللهَ أعطاك الدنيا بأسرها ، فأشترتَ نفسك منه ببعضها ؛ يا أمير المؤمنين ؛ إن هذا الأمرَ لو كان باقياً لأحدٍ قبلك ما وصل إليك ، ألم ترَ كيفَ فَصَلَ رَبُّكَ بِعَادِ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ! قال : فبكى المنصور حتى بلَّ ثوبه . ثم قال : حاجتكَ يا أبا عثمان ! وكان المنصور لَبَّماً دخل عليه طَرَحَ عليه طَيْلَسَانًا ، فقال : يُرْفَعُ هذا الطيلسان عني ! فَرُفِعَ ، فقال أبو جعفر : لا تَدْعُ إِيَّانَا ! قال : نعم ، لا يَضْمَنِي وإياك بلدٌ إِلا دَخَلْتُ إِلَيْكَ ، ولا بَدَتُ لِي حاجةٌ إِلا سَأَلْتُكَ ، ولكن لا تُعْطِنِي حتى أسألك ، ولا تَدْعُنِي حتى آتِيكَ ، قال : إِذَا لا تَأْتِينَا أَبَداً ! وقد رَوَى مثل هذا لابن السماك مع الرشيد

وقوله «لو كان هذا الأمر باقياً لأحدٍ قبلك ما وصل إليك» كقول ابن الرومي :
 لعمرُك ما اللُّثْمُ بِدَارِ إِقَامَةٍ إِذَا زَالَ عَنِ الْبَصِيرِ غِطَاؤُهَا
 وكيف بقاء الناس فيها وإنما يُنَالُ بِأَسْبَابِ الْفَنَاءِ بَقَاؤُهَا ؟

ووعظ شبيب بن شبة المنصور ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن الله لم يجعل فوقك أحداً ، فلا تَجْعَلْ فوق شكره شكراً .

ودخل عمرو بن عبيد على المنصور وعنده المهدي فقال له : هذا ابن أخيك المهدي ، ولي عهد المسلمين ، فقال : سَمِيَتْهُ اسماً لم يستحقَّ حمله ، ويفضى إليك الأمر وأنت عنه مشغول^(١)

وكان عمرو بن عبيد يقول : اللهم أغنني بالافتقارِ إليك ، ولا تُفْقِرْني بالاستغناء عنك .

وقال له المنصور : يا أبا عثمان ؛ أَعَنِي بِأَصْحَابِكَ : قال : يا أمير المؤمنين ؛ أَظْهِرِ الْحَقَّ يَتَّبِعُكَ أَهْلُهُ .

وقال عمر الشمري : كان عمرو بن عبيد لا يكادُ يتكلَّم ، وإن تكلم لم يكذُ

(١) كذا في المطبوعات كلها ، ولعل أصل العبارة «ويفضى إليه الأمر وأنت عنه مشغول» يريد بالأمر الذي يصل إليه الخلافة ، ولن تصل إليه إلا وقد مات أبوه (م)

يُطِيلُ ؛ وكان يقول : لا خيرَ في المتكلمِّ إذا كان كلامه لمن يشهدهُ دونَ قائله ،
وإذا طال الكلامُ عرضتُ للمتكلم أسبابُ التكلف ، ولا خيرَ في شيءٍ يأتيك
به التكلف^(١) .

البلاغة عند
أهل الهند

قال معمر بن الأشعث : قلت لبهلةَ الهندي أيام اجتلبَ يحيى بن خالدٍ أطباءَ
الهند : ما البلاغةُ عند أهلِ الهند ؟ قال بهلة : عندنا في ذلك صحيفةٌ مكتوبةٌ ،
ولكنني لا أحسنُ ترجمتها ، ولم أعالجُ هذه الصناعةَ ، فأثِقَ من نفسي بالقيام
بخصائصها ، ولطيفِ معانيها . قال ابنُ الأشعث : فلقيتُ بتلك الصحيفة التراجمة
فإذا فيها : أولُ البلاغةِ اجتماعُ آلةِ البلاغةِ ، وذلك أن يكونَ الخطيبُ رابطاً
الجلأش^(٢) ، ساكنَ الجوارحِ ، قليلَ اللَّحْظِ ، متخيرَ اللفظِ ، لا يكلمُ سيدَ الأمةِ
بكلامِ الأمةِ ، ولا الملوكَ بكلامِ الشُّوقِ ، ويكونُ في قِوَاهُ فضلُ التصرفِ في
كلِّ طبقةٍ ، ولا يدققُ المعاني كلَّ التدقيقِ ، ولا يُنقحُ الألفاظَ كلَّ التنقيحِ ،
ولا يصفِيها كلَّ التصفيةِ ، ولا يهذبها غايةَ التهذيبِ ، ولا يفعلُ ذلك حتى
يصادفَ حكماً ، أو فيلسوفاً عليماً ، ومن قد تعودَ حَذْفَ فُضُولِ الكلامِ ،
وإسقاطَ مشتركاتِ الألفاظِ ؛ وقد نظرَ في صناعةِ المنطقِ على جهةِ الصناعةِ والمبالغةِ ،
لا على جهةِ التصفحِ والاعتراضِ^(٣) ، ووجهَ النظرِ والاستطرافِ .

البلاغة عند
ابن القفيع

قال إسحاق بن حسان بن قوهي : لم يفسر أحد البلاغة تفسير عبد الله
ابن المقفع إذ قال : البلاغةُ اسمٌ لمعانٍ تجرِي في وجوهٍ كثيرةٍ ، فمنها ما يكونُ
في الاستماعِ ، ومنها ما يكونُ في السكوتِ ، ومنها ما يكونُ في الإشارةِ ، ومنها
ما يكونُ في الحديثِ ، ومنها ما يكونُ في الاحتجاجِ ، ومنها ما يكونُ شعراً ،

(١) وكانت وفاة عمرو بن عبيد سنة ١٤٤

(٢) الجلأش : الصدر ، ومثله الجؤشوش بضم الجيم

(٣) التصفح : تقليب الصفحات .

ومنها ما يكون ابتداءً ، ومنها ما يكون جواباً ، ومنها ما يكون سجعاً ، ومنها ما يكون خطبياً ، ومنها ما يكون رسائل ؛ فغاية هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى ؛ والإيجاز هو البلاغة ، فأما الخطب فيما بين السامطين^(١) وفي إصلاح ذات البين ، فالإيجاز في غير خطب^(٢) ، والإطالة في غير إملال ، ولكن ليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك ، كما أن خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت فافيته (كأنه يقول فرّق بين صدر خطبة النكاح وخطبة العيد وخطبة الصلح وخطبة التواهب ، حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على عجزه^(٣)) فإنه لا خير في كلام لا يدل على معنك ، ولا يشير إلى مفرّك ، وإلى العمود الذي إليه قصّدت ، والغرض الذي إليه نزعت .

فقيل له : فإن ملّ المستمع الإطالة التي ذكرت أنها أحقّ بذلك للموضع ؟ قال : إذا أعطيت كلّ مقام حقه ، وقت بالذي يجب من سياسة الكلام ، وأرضيت من يعرف حقوق ذلك ، فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو ؛ فإنهما لا يرضيان بشيء ؛ فأما الجاهل فلست منه وليس منك ، ورضا جميع الناس شيء لا ينال .

[الإطالة والإيجاز]

وقدمدحوا الإطالة في مكانها ، كما مدحوا الإيجاز في مكانه . قال أبو داود [ابن جرير] في خطباء إباد :

يَرْمُونَ بِالْخُطْبِ الطَّوَالَ ، وَتَارَةً وَحَى الْمَلَاظِ خِيَقَةَ الرِّقَابِ^(٤)
قال أبو وجزة السعدي يصف كلام رجل :

(١) بين السامطين : الصفيين . (٢) الخطل : السخف
(٣) ما وضعناه بين قوس أثبتته المؤلف توضيحاً لكلام ابن المقفع
(٤) المراد من وحى الملاحظ إشارة العيون .

يَكْفِي قَلِيلُ كَلَامِهِ ، وَكَثِيرُهُ تَبِتٌ ، إِذَا طَالَ النَّضَالُ ، مُصِيبٌ ^(١)
 وَأَنْشَدَ أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُبَرَّدُ ^(٢) وَلَمْ يَسْمُ قَائِلَهُ ، وَهُوَ مَوْلِدٌ وَلَمْ يَنْقُصَهُ
 تَوْلِيدُهُ مِنْ حِطِّ الْقَدِيمِ شَيْئًا :

طَيِّبٌ بَدَأَ فَنُوبِ الْكَلَا مَ لَمْ يَعَى يَوْمًا وَلَمْ يَهْدِرِ
 فَإِنَّ هُوَ أَطْنَبَ فِي خُطْبَةٍ قَضَى لِلْمُطِيلِ عَلَى الْمُنْزَرِ ^(٣)
 وَإِنْ هُوَ أَوْجَزَ فِي خُطْبَةٍ قَضَى لِلْمُقِلِّ عَلَى الْمُكْثِرِ
 وَقَالَ آخِرُ يَصِفُ خَطِيْبًا :

فَإِذَا تَكَلَّمَ خَلْتَهُ مَتَكَلِّمًا بِجَمِيعِ عِدَّةِ السَّنِ الْخَطْبَاءِ
 فَكَانَ آدَمُ كَانَ عِلْمُهُ الَّذِي قَدْ كَانَ عِلْمُهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ
 وَكَانَ أَبُو دَاوُدَ يَقُولُ : تَلْخِيصُ الْمَعَانِي رِفْقٌ ، وَالِاسْتِعَانَةُ بِالْغَرِيبِ عَجْزٌ ،
 وَالتَّشْدُقُ فِي الْإِعْرَابِ نَقْصٌ ، وَالنَّظْرُ فِي عَيُونِ النَّاسِ عِيٌّ ، وَمَسُّ اللِّحْيَةِ هُلَاكٌ ،
 وَالخُرُوجُ عَمَّا بُنِيَ عَلَيْهِ الْكَلَامُ إِسْهَابٌ .
 وَقَالَ بَعْضُهُمْ يَهْجُو رَجُلًا بِالْعِي :

مَلِيٌّ بِبُهْرٍ وَالتَّفَاتِ وَسَعَلَةٍ وَمَسْحَةٍ عَثُونٍ وَفَتَلِ الْأَصَابِعِ ^(٤)
 وَوَصَفَ الْعَتَابِيَّ ^(٥) رَجُلًا بَلِيغًا قَالُ : كَانَ يُظْهِرُ مَا غَمَضَ مِنَ الْحِجَّةِ ،
 الْعَتَابِيُّ يَصِفُ
 الرَّجُلَ الْبَلِيغَ

(١) ثبت : مثبت (٢) كان المبرد إمام العربية ببغداد في زمانه ، وكان فصيحاً
 بليغاً مفوهاً صاحب نواذر وظرف ، وكان جميلاً ، لاسياً في صباه ، ولما صنف المازني
 كتاب الألف واللام سأل المبرد عن دقيقه وعويصه ، فأجابه بأحسن جواب ، فقال له :
 قم فأنت المبرد ، بكسر الراء ، أي المثبت للحق ، فغيره الكوفيون وفتحوا الراء . ولد
 في سنة ٢١٠ وتوفي سنة ٢٨٥ (٣) المنزر : المقل .

(٤) الهر : تتابع النفس وانقطاعه من الإعياء . والعثون : اللحية .
 (٥) العتابي : هو كلثوم بن عمرو . أصله من الشام من أرض قنسرين ، صحب
 البرامكة ، ثم صحب طاهر بن الحسين وعلي بن هشام القائدين ، وكان حسن الاعتذار =

ويصورُّ الباطلَ في صورةِ الحقِّ ، ويُفهِّمُك الحاجةَ من غيرِ إعادةٍ ولا استعانة .
 قيل له : وما الاستعانة ؟ قال : يقول عند مقاطع كلامه يا هناة ، واسمع ، وفهمت !
 وما أشبه ذلك . وهذا من أمارات العجز ، ودلائل الحصر ! وإنما ينقطعُ عليه
 كلامه فيحاولُ وصله بهذا ، فيكون أشدَّ لا نقطاعه .

وكان أبو داود يقول : رأسُ الخطابة الطَّبَع ، وعمودُها الذرِّبة ، وجناحُها
 رِوَايةُ الكلام ، وحلِّيها الإعراب ، وبهاؤها تَخِيرُ اللفظ ؛ والحبةُ مقرونةٌ
 بقلة الاستكراه .

عدة الخطابة
 عند أبي داود

وقال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : قال بعض جهابذة الألفاظ ، ونقاد
 المعاني : المعاني القائمةُ في صدور الناس ، المختلجة في نفوسهم ، والتصوِّرة في أذهانهم
 المتصلة بخواطرم ، والحادثة عن فكرهم ، مستورةٌ خفيةٌ ، وبعيدةٌ وحشيةٌ ،
 ومحجوبةٌ مكنونةٌ ، وموجودةٌ في معنى معدومةٌ ، لا يعرفُ الإنسانُ ضميرَ صاحبه ،
 ولا حاجةَ أخيه وخليطه ، ولا معنى شريكه والمعاون له على أمره ، وعلى
 ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره ، وإنما يجي تلك المعاني ذكْرهم لها ، وإخبارهم
 عنها ، واستعمالهم إياها .

منزلة اللفظ
 من المعنى عند
 الجاحظ

وهذه الخصالُ هي التي تقرِّبها من الفهم ، وتجلِّيها للعقل ، وتجعل الخفيَّ منها
 ظاهراً ، والغائب شاهداً ، والبعيد قريباً . وهي التي تلخِّصُ الملتبس ، وتحلُّ للمتعقد ،
 وتجعل المهمل مقيّداً ، والمقيد مطلقاً ، والمجهول معروفاً ، والوَحْشِيَّ مألوفاً ،
 [والفعل موسوماً^(١) ، والموسوم معلوماً] ؛ وعلى قدرِ وضوح الدلالة ، وضواب

في رسائله وشعره ، يشبه في المحدثين بالناطقة في الجاهلية . ومن جيد شعره قوله في
 جعفر بن يحيى وقد كان بلغ الرشيد عنه ما أهدر به دمه فخلصه جعفر :

ما زلت في غمرات الموت مطرحة يضيق عنى فسيح الرأى من حيلي
 فلم تزل دائماً تسعى بلطفك لي حتى احتلست حياتي من يدي أجلى
 وكانت وفاة العتابي سنة ٢٢٠

(١) الفعل : الذي لاعلامه له ، والموسوم : ذو العلامة ، من الوسم (م)

الإشارة ، وحسن الاختصار ، ودقة المدخل ، يكون ظهور المعنى . وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح ، وكانت الإشارة أبين وأنور ، كانت أفتح وأنبج في البيان . والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله يمدحه ، ويدعو إليه ، ويحث عليه ؛ بذلك نطق القرآن ، وبذلك تفاخرت العرب ، وتفاضلت أصناف العجم .

البيان عن
الجاحظ

والبيان : اسم لكل شيء كشف لك عن قناع المعنى ، وهتك لك الخجب دون الضمير ، حتى يُفصّل السامع إلى حقيقته ، ويهجم على محصولة ، كأنما ما كان ذلك البيان ، ومن أي جنس كان ذلك الدليل ؛ لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام ؛ فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع .

الدلالة
على المعاني

ثم اعلم - حفظك الله ! - أن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ ؛ لأن المعاني مبسطة إلى غير غاية ، وأسماء المعاني محصورة معدودة ، ومحصلة محدودة . وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ أو غيره خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد : أولها اللفظ ، ثم الإشارة ، ثم المقد ، ثم الخط ، ثم الحال التي تسمى نضبة . والنضبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف ، ولا تقصر عن تلك الدلالات .

ولكل واحدة من هذه الدلائل الخمسة صورة بئنة^(١) من صورة صاحبها ، وحلية مخالفة إجلية أختها ؛ وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة ، وعن حقائقها في التفسير ، وعن أجناسها وأقدارها ، وعن خاصها وعامها ، وعن طبقاتها في السار والضار ، وعمما يكرن منها لفظاً بهرجاً^(٢) ، وساقطاً مطرّحاً .

(١) صورة بئنة : متميزة يظهر فرق ما بينها وبين صاحبها (م)

(٢) بهرج : ردى .

وفي نحو قول أبي عثمان « إن المعاني غير مقصورة ولا محصورة » يقول أبو تمام الطائي لأبي دلف القاسم بن عيسى العجلي :

ولو كان يَفْنَى الشعرُ أَفْنَتَهُ مَا قَرَّتْ حَيَاضُكَ مِنْهُ فِي الْعُصُورِ الذَّوَاهِبِ (١)
ولكنه فَيَضُّ الْعُقُولِ إِذَا انْجَلَتْ سَحَابٌ مِنْهُ أُعْقِبَتْ بِسَحَابِ
كما أشار إلى قول أوس بن حجر الاسدي :

أقول بما صَبَّتْ عَلَى غَمَاتِي وَجَهْدِي فِي حَبْلِ الْعَشِيرَةِ أَحْطَبِ (٢)

وقال بعضُ البلغاء : في اللسان عشرُ خصالٍ (٣) محمودة ، أداةٌ يظهر بها البيان ، وشاهدٌ يخبر عن الضمير ، وحاكمٌ يفصل الخطاب ، وواعظٌ ينهى عن القبيح ، وناطقٌ يردُّ الجواب ، وشافعٌ تُدرَك به الحاجة ، وواصفٌ تعرف به الأشياء ، ومُعربٌ يُشكر به الإحسان ، ومُعزٌّ تذهب به الأحزان ، وحامدٌ يذهب الضغينة ومونقٌ يلهي الأسماع .

فضل اللسان

وقال أبو العباس بن المعتز : لحظةُ القلب أسرعُ خطرةً من لحظةِ العين ، وأبعدُ كجلاً ، وهي الغائصةُ في أعماقِ أودِيَةِ الفكر ، والمتأملَةُ لوجوهِ العواقب ، والجامعةُ بين ما غاب وحَضَرَ ، والميزانُ الشاهدُ على ما نفعَ وضرَّ ، والقلبُ كالمُليِّ للكلامِ على اللسانِ إذا نطق ، واليدُ إذا كتبت ، والعاقِلُ يكسو المعاني وشَى الكلامِ في قلبه ، ثم يُبديها بألفاظِ كَوَاسٍ في أحسنِ زينةٍ ، والجاهلُ يستعجلُ بإظهارِ المعاني قبلِ العنايةِ بتزيينِ معارضِها ، واستكمالِ محاسنها .

صلة اللفظ بالمعنى
عند ابن المعتز

وقيل لجعفر بن يحيى البرمكي : ما البيان ؟ قال : أن يكون الاسمُ يحيطُ بمعناك ، ويكشفُ عن مغزأك ، ويخرجه من الشركة ، ولا يُستعانَ عليه .

البيان
عند جعفر بن
يحيى البرمكي

(١) قرت : أخذت (٢) يحطب في جبل الصميرة : أي يستعين بها كما يستعين الحاطب بالحبل . (٣) إذا عدت ما ذكره وجدته إحدى عشرة خصلة (م)

بالفكر، ويكون سليماً من التكلف، بعيداً من الصنعة، بريئاً من التعقيد، غنياً عن التأويل.

وذ كرسهل بن هارون^(١) - وقيل ثمامة بن أشرس - جعفر بن يحيى فقال: قد جمع في كلامه وبلاغته الهدى والتمهل^(٢) والجزالة والحلاوة، وكان يفهم إفيها ما يفنيه عن الإعادة للكلام. ولو كان يستغنى مستغنى عن الإشارة بمنطقه لاستغنى عنها جعفر. كما استغنى عن الإعادة فإنه لا يتحسس^(٣) ولا يتوقف في منطقته ولا يتلجلج، ولا يتسعل، ولا يترقب لفظاً قد استدعاه من بعد، ولا يتلمس معنى قد عصاه بعد طلبه له.

وقيل لبشار بن برد: بيم فقت أهل عمرك، وسبقت أهل عصرك، في حسن معاني الشعر، وتهذيب ألفاظه؟ فقال: لأنى لم أقبل كل ما تورده على قريحتي، ويناجيني به طبعي، ويبعته فكري، ونظرت إلى مغارس الفطن، ومعادن الحقائق، ولطائف التشبيهات، فسررت إليها بفهم جيد، وغريزة قوية، فأحكمت سبرها، وانتقيت حرها، وكشفت عن حقائقها، واحترزت من متكلفها ولا والله ما ملك قيادي قط الإعجاب بشيء مما آتني به.

وكان بشار بن برد خطيباً، شاعراً، راجزاً، سجعاً، صاحب منشور ومزدوج، ويلقب بالمرعث لقوله:

(١) كان سهل بن هرون من الخطباء الشعراء الذين جمعوا الشعر والخطب والرسائل الطوال والقصار. وقعت آراؤه في الأدب وتدير الملك مفرقة في الكتب، ولم يصل إلينا من مؤلفاته الكثيرة شيء يستحق الذكر. وقد أطلعني المسيو مارسيه في باريس على مذكرات مهمة قيد فيها ما عثر عليه من آثار ذلك الكاتب البليغ. وكانت وفاة سهل ابن هرون في سنة ١٧٣ (٢) الهد: السرعة (٣) في الأصل (يتحسن) وهو تحريف

مَنْ لِيْظِيْ مُرْعَثٍ سَاحِرِ الطَّرْفِ وَالنَّظَرِ^(١)
 قَالَ لِي لَنْ تَنَالِي قَلْتَ أَوْ يَغْلِبَ الْقَدَرَ

وليس هذا موضع استقصاء ذكره ، واختيار شعره ، وسأستقبل ذلك إن شاء الله .

[وصية أبي تمام للبحترى]

وقال الوليد بن عبيد البحترى : كُنْتُ فِي حَدَاثَتِي أُرُومَ الشَّعْرِ ، وَكُنْتُ
 أَرْجِعُ فِيهِ إِلَى طَبْعٍ ، وَلَمْ أَكُنْ أَقِفُ عَلَى تَسْهِيلِ مَأْخَذِهِ ، وَوَجْوهِ اقْتِضَابِهِ ،
 حَتَّى قَصَدْتُ أَبَاتِمَامَ ، وَانْقَطَعَتْ فِيهِ إِلَيْهِ ، وَاتَّسَكْتُ فِي تَعْرِيفِهِ عَلَيْهِ ؛ فَكَانَ
 أَوَّلَ مَا قَالَ لِي : يَا أَبَا عُبَادَةَ ؛ تَحْيِرُ الْأَوْقَاتِ وَأَنْتَ قَلِيلُ الْهَمُومِ ، صَفْرُ
 مِنَ الْغَمُومِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَادَةَ جَرَتْ فِي الْأَوْقَاتِ أَنْ يَقْصِدَ الْإِنْسَانُ لِتَأْلِيفِ
 شَيْءٍ أَوْ حِفْظِهِ فِي وَقْتِ السَّحَرِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ قَدْ أَخَذَتْ حِظَّهَا مِنَ
 الرَّاحَةِ ، وَقَسَطَهَا مِنَ النَّوْمِ ، وَإِنْ أَرَدْتَ التَّشْبِيهَ فَاجْعَلِ اللَّفْظَ رَشِيقًا ، وَالْمَعْنَى
 رَقِيقًا ، وَأَكْثِرْ فِيهِ مِنْ بَيَانِ الصَّبَابَةِ ، وَتَوَجُّعِ الْكَآبَةِ ، وَقَلْقِ الْأَشْوَاقِ ، وَلَوْعَةِ
 الْفِرَاقِ ، فَإِذَا أَخَذْتَ فِي مَدِيحِ سَيِّدِ ذِي أَيْدِي فَاشْهَرِ مَنَاقِبَهُ ، وَأَظْهَرِ مَنَاسِبَهُ ،
 وَأَيِّنْ مَعَالِمَهُ ، وَشَرَفِ مَقَامَهُ ، وَنَضِّدِ الْمَعَانِي^(٢) ، وَاحْذَرِ الْمَجْهُولَ مِنْهَا ، وَإِيَّاكَ أَنْ
 تَشِينَ شِعْرَكَ بِالْأَلْفَاظِ الرَّدِيئَةِ ، وَلَنْ تَكُنْ كَأَنَّكَ خِيَّاطٌ يَقْطَعُ الثِّيَابَ عَلَى مَقَادِيرِ
 الْأَجْسَادِ . وَإِذَا عَارَضَكَ الضَّجْرُ فَارْحِ نَفْسَكَ ، وَلَا تَعْمَلْ شِعْرَكَ إِلَّا وَأَنْتَ فَارِعُ
 الْقَلْبِ ، وَاجْعَلْ شَهْوَتَكَ لِقَوْلِ الشَّعْرِ الذَّرْبِعَةَ^(٣) إِلَى حَسَنِ نَظْمِهِ ؛ فَإِنَّ الشَّهْوَةَ

(١) مرعث : يلبس الرعثة - بالضم - وهي القُرط .

(٢) نضد : بمن التنضيد ، وهو ضم بعض الشيء إلى بعض .

(٣) الذرْبِعَةُ : الوَسِيلَةُ .

زعم المعين . وجملة الحال أن تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين ، فما استحسنت العلماء قاصده ، وما تركوه فاجتنبه ، ترشد إن شاء الله .

قال : فأعملت نفسي فيما قال فوفقت على السياسة^(١) .

وقالوا : البليغ من يحك الكلام على حسب الأمانى ، ويخيط الألفاظ على وصف البليغ قدود المعاني .

بعض
مزايا الليل
للحاتمي

ولذكر الطائي الليل ذكر بعض أهل العصر - وهو أبو علي محمد بن الحسن ابن المظفر الحاتمي^(٢) - الليل فقال: فيه تجمُّ الأذهان^(٣) ، وتنقطع الأشغال ، ويصح النظر ، وتؤلف الحكمة ، وتدرّ الخواطر ، ويتسع مجال القلب ، والليل أضوأ في مذاهب الفكر ، وأخفى لعمل البر ، وأعون على صدقة السر ، وأصح لتلاوة الذكر ، ومُدبرُّو الأمور يختارون الليل على النهار ، فيما لم تصف فيه الأناة لرياضة التدبير وسياسة التقدير ، في دَفَع اللَّمَمَ ، وإمضاء المهمم ، وإنشاء الكتب ، وتصحيح المعاني ، وتقويم المباني ، وإظهار الحُجَج ، وإيضاح المُنْبَج ، وإصابة نَظْمِ الكلام ، وتقريبه من الأفهام .

وقال بعض رؤساء الكتّاب : ليس الكِتَابُ في كل وقتٍ على غير

(١) ارجع إلى نقد هذه الوصية في كتاب (الموازنة بين الشعراء) .

(٢) كان الحاتمي حسن التصرف في الشعر ، يجمع بين البلاغة في النثر والبراعة في النظم ، وكان من خصوم المتنبي ، وله في شعره عدة أبحاث . ومن جيد شعره قوله في وصف الثريا :

وليل أقمنا فيه نعمل كأسنا إلى أن بدا للصبح في الليل عسكر
ونجم الثريا في السماء كأنه على حلة زرقاء جيب مدز
مات في شهر ربيع الآخر سنة ٣٨٨ (٣) تجم : تستريح .

نسخة لم تُحرَّر بصواب ؛ لأنه ليس أحدٌ أولى بالأناة وبالروية من كاتب يعرض عقله ، وينشر بلاغته ؛ فينبغي له أن يعمل النسخ ويرويها ، ويقبل عفو القريحة ولا يستكرهها ، ويعمل على أن جميع الناس أعداء له ، عارفون بكتابه ، منتقدون عليه ، متفرغون إليه .

فضل الروية
والأناة

وقال آخر : إن لا ابتداء الكلام فتنة تروق ، وجدة تعجب ، فإذا سكنت القريحة ، وعدل التأمل ، وصفت النفس ، فليعد النظر ، وليكن قرحة بإحسانه ، مساوياً لعمه بإساءته ؛ فقد قالت الخوارج لعبد الله بن وهب الراسبي : نبايعك الساعة فقد رأينا ذلك ، فقال : دعوا الرأي حتى يبلغ أناة ، فإنه لا خير في الرأي الفطير ، والكلام القضيبي (١) .

وقال معاوية بن أبي سفيان رحمه الله لعبد الله بن جعفر : ما عندك في كذا وكذا ؟ فقال : أريد أن أصقل عقلي بنومة القائلة (٢) ، ثم أروح فأقول بعد ما عندي قال الشاعر :

إن الحديث تفرُّ القوم جَلَوْتُهُ حتى يغيِّره بالوزن مضار (٣)
فعد ذلك تستكفي بلاغته أو يستمرُّ به عيٌّ وإكثارُ
وقالوا : كلُّ مجرٍ بالخلاء يسرُّ (٤) ، وقال أبو الطيب المتنبى :
وإذا ما خلا الجبان بأرضٍ طلب الطعن وحده والنزالاً

وكان قلم بن المقفع يقف كثيراً ، فقيل له في ذلك ، فقال : إن الكلام يزدهم في صدري ، فيقف قلبي لبتخير .

تخيّر ابن المقفع
ما ردد عليه
من الكلام

(١) الرأي الفطير : الذي لم ينضج ، والكلام القضيبي : المرتجل (٢) نومة القائلة : نومة الظهيرة (٣) الجلوة : الزينة (٤) يريد أن الذي يجري فرسه بالخلاء يسر بظفوره حيث لا مناضل ، وهو مثل في التهمك .

وقالوا: الكتابُ يُتصفح أكثر مما يتصفح الخطاب؛ لأن الكاتب متخير،
والخطاب مضطر، ومن يَرِدُ عليه كتابك فليس يعلم أَمْرَعتَ فيه أم أبطأت؛
وإنما ينظر أخطأت أم أصبت؛ فإبطاؤك غير قادح في إصابتك، كما إن إسراعك
غير مُعْطٍ على غَلَطِكَ.

ووصف بعضُ الكتاب النسخ فقال: ينبغي أن يصحبها الفكر إلى استقرارها،
ثم تُستبرأ بإعادة النظر فيها بعد اختيارها^(١)، ويوسع بين سُطورِها، ثم تحرر على
ثقة بصحتها، وتأمل بعد التحرير حرفاً حرفاً إلى آخرها.

قد كتب المأمون مُصحفاً اجتمع عليه؛ فكان أوله: بسم الله الرحيم، فأغفلوا
الرحمن؛ لأن العين لا تعتبر ذلك؛ ثقة أنه لا يُفَلَطُ فيه، حتى فطن المأمون له.
وقال محمد بن عبد الملك الزيات للحسن بن وهب: حرر هذه النسخة وبكر
بها، فتصبح الحسن^(٢) فقال له: لم تصبحت؟ قال: حتى تصفحت!

وقال أحمد بن إسماعيل بطاحه: كان بعض العلماء الأغبياء ينظر في نسخته
بعد نفوذ كتبه، فقال بعض الكتاب:

مُسْتَلَبُ اللَّبِّ غَوِيُّ الشَّبَابِ عَذَّبَهُ الْمَهْجَرُ أَشَدَّ الْعَذَابِ
يُؤْمَلُ الصَّبْرُ وَأَتَى لَهُ بِهِ وَقَدْ مُكِّنَ مِنْهُ التَّصَابُ
كِنَاظِرٍ فِي نَسْخَةٍ يَبْتَغِي إِصْلَاحَهَا بَعْدَ نَفْوْذِ الْكِتَابِ

أوصاف بليغة في البلاغات

على السنة أفوام من أهل الصناعات

قال بعض من ولد عقائل هذا المنثور، وألف فواصل هذه الشذور: تجمع

(١) تستبرأ: تحفف - كذا وليس بمقصود، ولكن المراد معاودة النظر فيها ليتعرف
كاتبها ما فرط منه إن كان فيتداركه (م) (٢) تصبح: تأخر عن الحضور صباحاً.

قوم من أهل الصناعات ، فوصفوا بلاغاتهم ، من طريق صناعاتهم ^(١) :
 فقال الجوهري : أحسنُ الكلامِ نظاماً ما تقبته يدُ الفكرة ، ونظمتها الفطنة ،
 ووُصِلَ جوهرُ معانيه في سُموط ^(٢) ألقاظه ، فاحتملته نحوُ الرواة .
 وقال العطار : أطيّبُ الكلامِ ما عَجِنَ عَنَبُ ألقاظه بِمَسْكِ معانيه ، ففاح
 نَسِيمُ نَشَقِهِ ، وسطعت رائحةُ عِبَقِهِ ، فتعلقت به الرّواة ، وتعطّرت به السّراة .
 وقال الصائغ : خيرُ الكلامِ ما أحمّيته بِكبيرِ الفِكرِ ^(٣) ، وسبّكته بِمِشَاعِلِ
 النَّظَرِ ، وخلصته من خَبَثِ الإطناب ، فبرز بروزُ الإبريز ^(٤) ، في معنى وَحيز .
 وقال الصيرفي ^(٥) : خيرُ الكلامِ ما تقدّته يدُ البصيرة ، وجلته عين الرويّة ،
 ووزنته بمِيعَارِ الفصاحة ، فلا نظيرَ زَيْفِهِ ^(٦) ، ولا سماعَ يُبْهِرِجُهُ ^(٧)
 وقال الحداد : أحسن الكلام ما نصبت عليه مِنفَخَةِ القريحة ، وأشعلت عليه
 نارَ البصيرة ، ثم أخرجته من غم ^(٨) الإخام ، ورقفته بفطيس الإفهام ^(٩) .
 وقال النجار : خيرُ الكلامِ ما أحكمتَ نَجْرَ معناه بِقدومِ التقدير ، ونشّرتَه
 بِمِشَارِ التديير ، فصار باباً لبيت البيان ، وعارضةً لسقفِ اللسان .
 وقال النجاد : أحسنُ الكلامِ ما لطفَت رَفَارِفُ ألقاظه ^(١٠) ، وحسنت مطّارِح

(١) هذا نوع من فن المقامات الذي ذاع في القرن الرابع بفضل أبي بكر بن دريد
 وبديع الزمان ، وقد ترجمت هذا الحديث إلى اللغة الفرنسية في كتابي .

La prose arabe au IV^e siècle de l'hegire

(٢) السموط : جمع سوط - بالكسر - وهو خيط النظم

(٣) الكير بالكسر : هو منفخة الحداد (٤) الإبريز : هو الذهب الخالص

(٥) الصيرفي : صراف الدراهم ، والجمع صيارفة ، وجاء في الشعر صياريف

(٦) زاف الدراهم وزيفها : حكم برداءتها (٧) يبهرجه : يحكم بأنه بهرج ،

والبهرج : الباطل والردى (٨) الإخام : العجز عن البيان ، ومنه : شاعر

مفحم ، على صيغة المفعول (٩) الفطيس : الطرقة

(١٠) الرفارف : الأطراف ، مفرد هارف - وهي ثياب خضر تبسط (م)

معانيه، فنزهت في زراي محاسنه عيون الناظرين^(١)، وأصاحت للمارق^(٢) بهجته آذان السامعين .

وقال الماتح : أبين الكلام ما عقلت وذم أفاظه بيكرة معانيه^(٣) ، ثم أرسلته في قلب الفطن^(٤) فتحت به سقاء يكشف الشهات ، واستنبت به معنى يروى من ظمأ للمشكلات .

وقال الخياط : البلاغة قيص ؛ فجر بانه البيان^(٥) ، وجببه المعرفة ، وكماه الوجازة ، ودخار يسه الإفهام^(٦) ، ودروزه الخلاوة^(٧) ، ولا بس جسده اللفظ ، وروحه المعنى .

وقال الصباغ : أحسن الكلام ما لم تنض بهجة إجازته^(٨) ، ولم تكشف صنعة إعجازه ، قد صقلته يد الروية من كمود الإشكال ، فراع كواعب الآداب ، وألف عذارى الألباب .

وقال الحايك : أحسن الكلام ما اتصلت لحمه أفاظه بسدى معانيه^(٩) فخرج موقفاً منيراً ، وموشى محبباً .

وقال البراز^(١٠) : أحسن الكلام ما صدق رقم أفاظه ، وحسن نشر معانيه فلم يستعجم عنك نشر ، ولم يستبهم عليك طي .

وقال الرائض : خير الكلام ما لم يخرج عن حد التخليع^(١١) ، إلى منزلة

(١) الزراي : واجدها زري - بالكسر ويضم - وهو كل ما بسط واتكى عليه

(٢) المارق : واحدتها المارقة - بالتثنية - وهي الوسادة الصغيرة

(٣) الودم : الدلو (٤) القلب : البئر

(٥) الجربان : الطوق (٦) الدخاريس : فتحات الأزرار

(٧) الدروز : الأطراف الرقاق (٨) لم تنض : لم تتمع

(٩) اللحم والسدى : ما يسدى ويلحم به الثوب (١٠) البراز : بائع البر ، بالفتح ،

وهو الثياب أو متاع البيت من الثياب (١١) التخليع : هز المنكبين في المشي (م)

التَّقْرِيبُ^(١) إلا بعد الرياضة ، وكان كالمهْر الذي أطمع أولُ رياضته في تمام ثقافته .
وقال الجمال : البليغُ من أخذَ بخطامِ كلامه ، فأناخه في مَبْرَكِ المعنى ، ثم
جعل الاختصار له عقلاً ، والإيجاز له مجالاً ، فلم يندب عن الآذان ، ولم يشذ
عن الأذهان .

وقال الخنث : خيرُ الكلام ما تكسرت أطرافه ، وتشتت أعطافه ، وكان
لفظه حُلَّةً ، ومعناه حلية .

وقال الخمار : أبلغُ الكلام ما طبعته مَرَّاجِلُ العلم ، وصفاه زَاوُوقُ الفهم ،
وضمنته دِنَانُ الحكمة ، فتمشت في المفاصل عُدُوْبَتُهُ ، وفي الأفكار رِقَّتُهُ ، وفي
المقول حدِّته .

وقال الفقاعي : خيرُ الكلام ما رَوَّحَتْ ألفاظه عَبَاوَةَ الشكِّ ، ورفعت
رِقَّتَهُ فظاظَةَ الجهل ، فطاب حسابه فطنته ، وعذب مَعْنَى جُرْعِهِ .

وقال الطيب : خيرُ الكلام ما إذا باشر [دواء] بيانه سَقَمَ الشبهة استطلقت
طبيعة العبادة ؛ فشفي من سوء التفهم ، وأورث صحة التوهم .

وقال الكحال : كما أن الرمدَ قَدَى الأبصارِ ، فكذا الشبهة قَدَى البصائرِ ،
فأكحل عينَ اللسنة بِمِثْلِ البلاغة ، وأجلُّ رَمَصِ العفلة^(٢) بِمَرُودِ اليقظة .

ثم قال : أجمعوا كلهم على أن أبلغ الكلام ما إذا أشرقت شمسُه ، انكشف
لبسه ، وإذا صدقت أنوارُه^(٣) اخضرت أحماؤه^(٤) .

فقرُّ في وصف البلاغة لغير واحد

قال أعرابي : البلاغةُ التقربُ من البعيد ، والتباعدُ من الكلفة ، والدلالة
بقليل على كثير .

(١) التقريب : ضرب من العدو ، أو هو أن يرفع الجواد يديه معاً ويضعهما معاً

(٢) الرمص : وسخ أيضاً يجتمع في موق العين

(٣) الأنواء : جمع نوء ، وهو النجم مال للغروب ، والمراد به هنا المطر

(٤) الأحماء : جمع حمى ، وهو المكان يحميه الرجل ويمنعه

قال عبد الحميد بن يحيى : البلاغةُ تقريرُ المعنى في الأفهام ، من أقرب وجوه الكلام .

ابن المعتز : البلاغةُ البلوغُ إلى المعنى ولم يظل سفرَ الكلام .

سهل بن هارون : البيان ترجمان العقول ، وروّض القلوب ، وقال : العقل رائدُ الروح ، والعلم رائدُ العقل ، والبيان ترجمان العلم .

إبراهيم بن الإمام : يكنى من البلاغة ألا يؤتَى السامع من سوء إفهام الناطق ، ولا يؤتَى الناطق من سوء فهم السامع .

الفتّابي : البلاغة مدُّ الكلام بمعانيه إذا قصر ، وحسن التأليف إذا طال .

أعرابي : البلاغة إيجاز في غير عَجْز ، وإطناب في غير حَظَل .

[وكتب إبراهيم بن المهدي إلى كاتب له ورآه يتبع وحشيّ الكلام : إياك وتتبع الوحشي طمعاً في نيلِ البلاغة ؛ فإن ذلك العيُّ الأكبر ، وعليك بما سهل مع تجنبك ألفاظ السفل .

وقال الصولي : وصف يحيى بن خالد رجلاً فقال : أخذ بزمام الكلام ، فقاده أسهل مقاد ، وساقه أجمل مساق ؛ فاسترجع به القلوب النافرة ، واستصرف به الأبصار الطامحة .

وسمع أعرابي كلامَ الحسن البصري رحمه الله ، فقال : والله إنه لفصيح إذا نطق ، نصيح إذا وعظ .

قال الجاحظ : ينبغى للكاتب أن يكون رقيقَ حواشي الكلام ، عذبَ ينابيع اللسان ؛ إذا حاور سدّد سهم الصواب إلى غرض المعنى ، لا يكلم الخاصة بكلام العامة ، ولا العامة بكلام الخاصة .

وقال أبو العباس المبرد : قال الحسن بن سهل لسالم الحراري : ما المنزلة التي إذا نزل بها الكاتب كان كاتباً في قوله وفعله واستحقاقه ؟ قال : أن يكون مطبوعاً على المعرفة ، مُحْتَنَكاً بالتجربة ، عارفاً بجلال الكتاب وحرامه ، وبالدهور في تصرفها

وأحكامها ، وبالملوك في سيرها وأيامها ، وأجاس الخط ، وبادية الأعلام ، مع
تشاكل اللفظ وقرب المأخذ . قال الحسن : فليس في الدنيا إذاً كاتب [.

وقيل لليوناني : ما البلاغة ؟ قال : تصحيح الأقسام ، واختيار الكلام .
وقيل للرومي : ما البلاغة ؟ قال : حسن الاقتضاب عند البداهة ، والفرارة
يوم الإطالة .

وقيل للهندي : ما البلاغة ؟ قال : وضوح الدلالة ، واتهاز الفرصة ،
وحسن الإشارة .

وقيل للفارسي : ما البلاغة ؟ قال : معرفة الفضل من الوصل .
وقال علي بن عيسى الرَّمَّاني : البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن
صورة من اللفظ .

ومن كلام أهل العصر ، في صفة البلاغة والبلغاء
[قال علي بن عيسى الرماني] : أبلغ الكلام ما حسن إيجازه ، وقل تجارزه ،
وكثر إيجازه ، وتناسبت صدورُهُ وأعجازه .

أبلغُ الكلام ما يُؤنِسُ مُسمِعَهُ ، ويؤنِسُ مضيقَهُ .
البلغ من يحتج من الألفاظ أنوارها ^(١) ، ومن المعاني ثمارها .
ليست البلاغة أن يُظال عِنَانُ القلم أو سِنَانُهُ ، أو يُبَسِّطَ رِهَانُ القول
ومِيدَانُهُ ، بل هي أن يبلغ أمد المراد بألفاظ أَعْيَانٍ ، ومعانٍ أَفْرَادٍ ، من حيث
لا تَزِيدُ على الحاجة ، ولا إِخْلَالُ يُفِضِي إلى الفاقة .

البلاغة ميدانٌ لا يُقَطَعُ إلا بسوابق الأذهان ، ولا يُسَلَّكُ إلا ببصائر البيان .
فلان يعبث بالكلام ، ويقوده بألین زمام ، حتى كأنَّ الألفاظَ تَتَحَاسَدُ
في التسابق إلى خواطره ، والمعاني تتغايَرُ في الاندِيكَالِ على أنامله .

هذا كقول أبي تمام الطائي :

تَغَايَرَ الشَّعْرُ فِيهِ إِذْ سَهَرَتْ لَهُ حَتَّى ظَنَنْتُ قَوَافِيهِ سَتَقْتَتِلُ

(١) الأنوار : جمع نور - بفتح النون وسكون الواو - وهو الزهر ، أو الأبيض منه (م)

فلان مشرفى الشرق ، وصَيْرَفَى المنطق . البيانُ أَصغر صفاته ، والبلاغةُ
عَفْوُ خطراته . كأنما أوحى بالتوفيق إلى صدره ، وحسن الصواب بين
طَبَعه وفكره .

فلان يحزّ مفاصل الكلام ، ويسبق فيها إلى درك المرام ، كأنما جمع الكلام
حوله حتى انتقى منه وانتخب ، وتناول منه ما طَلَب ، وترك بعد ذلك أذناً
لا رؤوساً ، وأجساداً لا نفوساً .

فلان يَرْضَى بعفو الطَّبَع ، ويقنع بما خفَّ على السمع ، ويُوَجِّز فلا يُخَلِّ ،
ويُطَنِّب فلا يُمِلُّ ، لله فلان أخذ بأزمة القول يقودها كيف أراد ، ويجذبها أئى
شاء ، فلا تعصيه بين الصَّعب والدَّلول ، ولا تسلمه عند الجُرؤنة والسهول ، كلامه
يشتدّ مرّة حتى تقول الصَّخْرَ الأملس ، ويلين تارة حتى تقول الماء أو أسلس ،
يقول فيضول ، ويُجِيب فيصيب ، ويكُتُبُ فيطبقُ المَفْصِل ، أو يُنَسِّقُ الدرَّ
المفصَّل ، ويردُّ مشارع الكلام وهي صافية لم تُطْرَق ، وجامّة لم تُرَنَّق^(١) ،
خاطرُهُ البرقُ أو أسرع لهما ، والسيفُ أو أَحَدُ قِطْعَا ، والماءُ أو أسلس جرياً ،
والفلكُ أو أقوم هدياً ؛ هو من يسهلُ الكلام على لفظه ، وتزاحمُ المعانى على
طَبَعِهِ ، فيتناول المرّمى البعيدَ بقريب سَعِيهِ ، ويستنبطُ المشرعَ العميقَ بيسير
جَرِيهِ ، لسانُهُ يَفْلِقُ الصَّخُورَ ، ويعيضُ البحورَ ، ويُسمعُ الصَّمَّ ، ويستنزلُ
العُصْمَ^(٢) ، خطيبٌ لا تنالُهُ حُبْسَةٌ ، ولا ترتنههُ كُنْئَةٌ ، ولا تتمشى في خطابه
رنة ، ولا تتحيّفُ بيانه عَجْمَةٌ ، ولا تعترضُ لسانه عُقْدَةٌ .

فلان رقيق الأسلّة ، عذب العذبة^(٣) لو وُضِعَ لسانُهُ على الشعر حلقه ، أو

(١) جامّة لم تُرَنَّق : ساكنة لم تعكّر (٢) العصم : جمع أعصم ، وهو الوعل يعتم
بالجبال (٣) المراد من الأسلّة والعذبة طرف اللسان

على الصَّخْرَ فَلَقَهُ ، أو على [الجرأ حرقه ، أو على] الصَّفَا حرقه^(١) ؛ قد أحسن
السَّفارة ، واستوفى العبارة ، وأدَّى الألفاظ ، واستغرق الأغراض ، وأصاب
شواكل المراد^(٢) ، وطَبَّقَ مَفَاصِلَ السَّدَادِ ، وبسط لسان الخطاب ، ومدَّ أَطْنَابَ
الإطْناب^(٣) ، وطلب الأمد في الإسهاب ، قال حتى قال الكلامُ : لو أعفيت !
وكتب حتى قالت الأقلامُ : قد أحفيت ، قد اتَّسعَ له مَشْرَعُ الإطْناب ، وانفجَحَ له
مَسَلِّكُ الإسهاب ، أرسل لسانه في مِيدَانِهِ ، وأرخی له من عنانه ، قال وأطال ،
وَجَالَ في بَسْطِ الكلامِ كلَّ بَحَالٍ ، إذا اسْحَنَفَرَ في الكلامِ طَفَحَ إِذِيهِ ، وسبَّال
أْتِيهِ^(٤) ، وانتال عليه الكلامُ كأنثيال الغمام ، واستجاب له الخطاب كصوب
الرباب^(٥) . ألفاظٌ كغميزات الأخطاظ ، ومعانٍ كأنها فكُّ عانٍ^(٦) ! ألفاظٌ
كما نورَّت الأشجار ، ومعانٍ كما تنفَّست الأسحار . ألفاظٌ قد استعارت حلاوة
العناب بين الاحباب ، واستلانت كتشكى العشاق يوم الفراق . كلامٌ قريب
شاسعٌ^(٧) ومُطمع مانع ، كالشمس تقرب ضياءً ، وتبعد علاءً ؛ أو كالماء
يرخص موجوداً ، ويغلو مفقوداً . كلامٌ لا تمجُّه الآذان ، ولا تُبليه الأزمان ،
كالبشرى مسموعة ، أو أزاهير الرياض مجموعة ، ومعانٍ كأنفاس الرياح ،
تعبق بالريحان والراح .

كلامٌ سهلٌ متسلسل ، كاللدام بماء الغمام ، يقرب إذنه على الأفهام .

كلامٌ كثيرُ الشراب على الأكباد الحرار ، وبُرْدُ الشباب في خلع العذار .

كلامٌ كثيرُ العيون ، سلسُ المتون ، رقيقُ الحواشي ، سهلُ النواحي .

(١) الصفا : الصخر (٢) الشواكل : جمع شاكلة ، وهى ما بين الأذن والصدغ

(٣) الأطناب : الحبال ، واحدها طنْب بضمين ، نظير عنق وأعناق (م)

(٤) الآدى : الموج ، والآتى : السيل ، واسحنفر : اتسع - وأصل معناه مضى

مسرعا (م) (٥) الرباب : السحاب . (٦) عان : أسير . (٧) شاسع : بعيد

كلامٌ هو السَّحْرُ الحلالُ ، والماء الزُّلالُ ، والبُرود والحَبَرُ ، والأمثال والعِبَرُ ،
والنعيم الحاضر ، والشباب النَّاصِرُ .

نظرت منه إلى صورة الظرف بَحْتًا ، وصورة البلاغة سَبْكَا ونَحْتًا ، ألفاظ
هي خُدَع الدهر ، وعُقَد السحر .

كلامٌ يسر المحزون ، ويسهل الحزون^(١) ، ويعطل الدر المحزون . كلامٌ بعيد
من الكلف ، نقيٌّ من الكلف^(٢)

كلامٌ كاتنفس السَّحَر عن نسيمة ، وتبسم الدر عن نظيمه . ألفاظ تأنق
الخاطر في تذهيبها ، ومعانٍ غني الفهم بتهذيبها . ألفاظ حسبتها من رقتها منسوخة
في صحيفة الصبا ، وظننتها من سلاستها مكتوبةً في نحر الهوى .

كلامٌ كالبشرى بالولد الكريم ، قرع به سمع الشيخ العقيم .

كلامٌ قُرْب حتى أطمع ، وبعد حتى امتنع ، وقُرْب حتى صار قاب قوسين
أو أدنى ، ثم [سما و] علا حتى صار بالمتزل الأعلى . رقيق المزاج ، حلو السماع ،
نقي السبك ، مقبول اللفظ . قرأت لفظًا جليًا ، حوى معني خفيًا ، وكلامًا
قريبًا ، رمى غرضًا بعيدًا . لو أن كلامًا أذيب به صخر ، أو أطفئ به جمر ،
أو عوفى به مريض ، أو جهر به مهيب^(٣) لكان كلامه الذي يقود سامعيه إلى
السجود ، ويجرى في القلوب كجرى الماء في العود . ألفاظه أنوار ، ومعانيه
ثمار . كلامه أنس المقيم الحاضر ، وزاد الراحل المسافر . كلامه يُضغى إليه المقبور ،
وينتفض له المصفور . كلامٌ يقضى حق البيان ، ويملك ريق الحُسن والإحسان ،
كلامٌ منه يجتنى الدر ، وبه يُعقد السَّحَر ، وعنده يُعتب الدهر^(٤) ، وله
ينشرح الصدر .

(١) الحزون : جمع حزن — بفتح الحاء — وهو ماغلظ من الأرض .

(٢) الكلف : تمش في الوجه ، لم تسلم منه صفحة القمر ! (٣) مهيب : مكسور

(٤) يعتب : يصفو ، من أعتب إذا ترضى وأزال أسباب العتب

ومن ألفاظهم في وصف النظم والنثر والشعر والشعراء

نثر كثير الورد ، نَظْمٌ كَنَظْمِ الْعِقْدِ . نثر كالسحر أو أدق ، ونظم كالماء أو أرق . رسالة كالرؤضة الأنيقة ، وقصيدة كالحذرة الرشيقة . رسالة تقطر ظرفاً ، وقصيدة تخرج بماء الراح لطفاً . نثره سحر البيان ، ونظمه قطع الجبان . نثر كما تفتح الزهر ، ونظم كما تنفس السحر . نثر ترق نواحيه وحواشيه ، ونظم تروق ألفاظه ومعانيه . نثر كالحديقة تفتحت أهداق ووردها ، ونظم كالخريذة توردت أسرار خدها^(١) . رسالة تضحك عن غرر وزهر ، وقصيدة تنطوى على حبر ودرر . لم ترض في برك ، بأخوات النثرة من نثرك ، حتى وصلتها بينات الشعري من شعرك^(٢) . كلام كما هب نسيم السحر ، على صفحات الزهر ، ولذ طعم الكرمي بعد برح السهر^(٣) . وشعر في نفسه شاعر ، تؤسم به المواسم والمشاعر . كلام أنتى حلاوة الأولاد بحلاوته ، وطلاوة الربيع بطلاوته ، وشعر من حلل الشباب مسروق ، ومن طينة الوصال مخلوق . قصيدة ، في فنها فريدة ، هي عروس كسوتها القوافي ، وحليتها المعاني . شعر يترقرق فيه ماء الطبع ، ويرتفع له حجاب القلب والسمع . شعر لا مزية الإيجاز أخطأته ، ولا فضيلة الإيجاز تحطته . شعر رويته لما رأيته ، وحفظته لما لحظته . أبيات لو جعلت خلعاً على الزمان لتحلى بها مكاتراً ، وتجلى فيها ، فمأخراً . شعر راقبي ، حتى شاقني ، فإنه مع قرب لفظه بعيد المزاج ، ممر النظام^(٤) ، قوي الأسر^(٥) ، صافي البحر . نظم قد ألبس من البداوة فصاحتها ، وغشى من الحضارة سجاتها^(٦) ؛ فإن

- | | |
|------------------------------|--------------------------------------|
| (١) الخريذة : الفتاة المخدرة | (٢) النثرة : اسم كوكب ؛ وكذلك الشعري |
| (٣) برح السهر : شدته | (٤) ممر النظام : قويه محكمه (م) |
| (٥) الأسر ، إحكام الحلقة | (٦) السجاجة : استواء الصورة |

شئت قلت عبيد وليد، وإن شئت حبيب والوليد^(١). قصيدته روضة تجتنى
 بالأفكار، ونقل يتناول بالأسماع والأبصار^(٢)، ونقل العلم والأدب، ألد من نقل
 المأكّل والمشرب، وفاكهة الكلام، أطيب من فاكهة الطعام. نظم كنظم
 الجمان، وروض كالجمان، وأمن الفؤاد، وطيب الرقاد. قصيدة لم أر غيرها بكراً،
 استوفت أقسام الحنكة، واستكملت أحكام الدرّبة^(٣)؛ فليها رونق
 الشباب، ولها قوة المذكيات الصلاب^(٤)، روح الشعر، وتاج الدهر، ومقدمة
 عساكر السحر. كل بيت شعر خير من بيت تثر. شعر يحكم له بالإعجاز والتبريز،
 ويشبه في صفاء سبكه بالذهب الإبريز. شعر تاتلف القلوب على درره اثلافا،
 وتصير الأذان له أصدافاً. لله درّه ما أحلى شعره! وأدنى درّه، وأعلى قدره، وأعجب
 أمره! قد أخذ برقاب القوافي، وملك رِق المعاني، فضله برهان حق، وشعره
 لسان صدق. فلان يعرب بما يجلب، ويبدع فيما يصنع، حسن السبك،
 محكم الرصف، بديع الوصف، مرغوب في شعره، متأنس في سحره. هو
 ضارب في قداح الشعر بأعلى السهام، أخذ في عيون الفضل بأوفى الأقسام، شعاره
 أشعاره، ودابه آدابه، هو من يبتدعه فيبتدع، طبعه يملئ عليه، مالا يمل الاستماع
 إليه. قرينة غير قرينة، وطبع غير طبع^(٥)، وخيم غير وخيم، ليده عنده بكيد،
 وعبيد لديه من العبيد، والفرزدق عنده أقل من فرزدقة خبير^(٦)، وجريز يقاد
 إليه بجريز^(٧) قد نسج خللاً لا يبلى جدتها الحديدان، ولا تزداد إلا حسناً على

- (١) عبيد بن الأبرص: شاعر جاهلي وليد بن ربيعة العامري: شاعر مخضرم؛
 وحبيب هو أبو تمام بن أوس الطائي، والوليد هو أبو عبادة الوليد البحرى: شاعران
 من شعراء العصر العباسي (م). (٢) النمل: ما ينتقل به من أنواع الفواكه على الشراب
 (٣) الحنكة: التجربة، والدرّبة: التمرين
 (٤) المذكيات والمذاكي: الخيول بلغت من القوة
 (٥) غير طبع: غير لثيم، وهي من طبع السيف، على وزن علم، إذا ركب
 الصدا الكثير (٦) الفرزدقة: القطعة من العجين (٧) الجريز: الحبل.

تردُّدِ الأزمان . نَظْمُهُ قَدْ نَظَمَ حَاشِيَتِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، وَأَدْرَكَ نَاحِيَتِي الشَّرْقِ
وَالغَرْبِ . أشعارُ قَدْ وَرَدَتِ المِياهُ ، وَرَكِبَتِ الأَفْواهُ ، وَسارتِ فِي البِلاَدِ ، وَلَمْ تَسِرْ
بِرِأْدِ ، وَطَارَتِ فِي الأَفَاقِ ، وَلَمْ تَمْسِ عَلَى ساقِ . شِعْرُهُ أَشِيرٌ مِنَ الأَمْثالِ ، وَأَسْرَى
مِنَ الخِلالِ ، سارَ مَسِيرَ الرِّياحِ ، وَطارَ بَغِيرَ جَنَاحِ . أشعارُهُ سارتِ مَسِيرَ الشَّمسِ ،
وَهَبَّتْ هبوبَ الرِّيحِ ، وَطَبَقَتْ نُحُومَ الأَرْضِ ، وَانْتَضَمَتِ الشَّرْقَ إِلَى الغَرْبِ .
قَدْ كادَتِ الأَيامُ تَنشُدُها ، وَالليالي تَحْفَظُها ، وَالجنُّ تَدْرُسُها ، وَالطَّيْرُ تَتَغَنَّى بِها .
أَيَّاتُ أَشْفَرِ عَنها طَبَعَ المَجْدِ ، فَعَلِمَتِ كَيْفَ يَتَكَسَّرُ الزَّهْرُ عَلَى صَفْحَتِ الخِداثِ ،
وَكَيفَ يَغْرَسُ الدَّرُّ فِي رِياضِ المَهْارِقِ ^(١) . شِعْرُهُ قَدْ أَحْسَنَ خِدمَتَهُ بِكَمالِ فِكرِهِ ،
وَوَقَّفَ كَيْفَ شاءَ عِنْدَ عَاليِ أَمْرِهِ . شِعْرُهُ يُعَلِّقُ فِي كَعْبَتِهِ المَجْدَ ، وَيَتَوَجَّعُ بِهِ مَفْرُقُ
الدَّهْرِ . جاءَتِ القَصيدةُ وَمَعها عِزَّةُ المَلِكِ ، وَعَليها رِواهُ الصِّدْقِ ، وَفِيها سِياهُ العِلْمِ ،
وَعِنْدَها لِسانُ المَجْدِ ، وَلِها صِيالُ الحَقِّ ، لا غَرَوَ إِذا فاضَ بَحْرُ العِلْمِ عَلَى لِسانِ
الشُّعْرِ أَنْ يَنْتِجَ ما لا عَيْنَ وَقَعَتْ عَلَى مِثْلِهِ وَلا أذُنَ سَمِعَتْ بِشَبْهِهِ . شِعْرُ يَكْتَبُ فِي
غُرَّةِ الدَّهْرِ ، وَيُشْرِحُ فِي جَبْهَةِ الشَّمسِ [وَالبَدْرِ] .

وهذه جملة من فصول أهل العصر تليق بهذا الموضوع

كتب أبو الفضل بن العميد إلى أبي محمد خلاد الراهبرمزي القاضي

«وصل كتابك الذي وصلت جناحه بفنون صلاتك وتفقدك ، وضروب برِّك
وتعهدك ؛ فارتحمت لكل ما أو كئت ، وابتهجت بجميع ما أهديت ، وأضفت
إحسانك في كل فصل إلى نظائره التي وكلت بها ذكري ، ووقفت عليها
شكري ، وتأملت النظم فلسكى العجب به ، وبهرى فى التعجب منه ، وقد
رمت أن أجرى على العادة فى تشبيهه بمستحسن من زهر جنى ، وحللى وحللى ،
وشذور الفرائد ، فى نحور الخرائد .

من ابن العميد
إلى خلاد
الراهبرمزي

(١) المهارق: جمع مهرق - على صيغة المفعول - وهو الصحيفة البيضاء يكتب فيها .

والعذارى غَدَوْنَ في الحلال البية ض وقد رُحِنَ في الخطوط السود
فلم أَرِدْ لشيءٍ عَدْلًا ، ولا أَرْضَى ما عَدَدْتُهُ له مثلاً ؛ والله يزيدك من فضله
ولا يُخْلِيكَ من إحسانه ، ويلهمك مِنْ بَرٍّ إِخْوَانِكَ ما تَمَنَّمُ به صَنِيعَكَ لديهم ،
ويُرَبِّبْ معه إِحْسَانَكَ إِلَيْهِمْ .

وكتب أبو القاسم إسماعيل بن عباد الصاحب إلى أبي سعيد الشيباني :

« قد رأى شيخُ الدولتين كيف الكَلَفُ بسادتي من أهل ميكال - أيدهم من الصاحب
ابن عباد إلى الشيباني
الله ! - بين ودَّ أَضْمَرَهُ على البُعد ، وإيثارَ أَظْهَرَهُ على تراخي المزار ، وتقريظٍ يَمْلِيهِ عَلَيَّ
الْمَلُوانُ ^(١) ، ومَدْحٍ أَنْطَقُ فِيهِ بلسان الزَّمَانِ ، حتى إن ذِكْرَهُمْ إِذَا جَرَى على
لساني اهْتَزَّتْ له نَفْسِي ، وَقَضَلَهُمْ إِذَا جَرَى على سَمْعِي انْفِرَجَ له صَدْرِي ، فتلك
عصبةٌ خَيْرٌ فَضْلُهَا بَاهِرٌ ، وشرفُها على شرف النماء زاهر ، وشجرةٌ طيبةٌ أَصْلُهَا
ثابتٌ وفروعُها في السماء [ناظر] ، والله يَتَمَمُّ أَعْدَادُهَا ، ولا يَعْدَمُنِي وِدَادُهَا ،
وَإِذَا كَانَ إِكْبَارِي لَهْمُ هَذَا إِلا كِبَارُ فَكُلِّ مَنْتَسَبٍ إِلى جَنِبِهِمْ أَثِيرٌ ^(٢) لَدِي ، كثيرٌ في
يَدِي . وطراً عَلَيَّ فَلانٌ مَنْتَسَباً إِلى جَلْتِهِمْ ، وَجَبْدًا الْجَلْمَةَ ، وَمُعْتَرِياً إِلى
خَدْمَتِهِمْ ، وَنِعْمَتِ الخِدْمَةِ ، ففررناه عن طَبْعِ سَمْعِ ^(٣) ، وَلَفْظِ عَدَبٍ ، وَصَلَةِ
نَثْرِ بِنَظْمٍ ؛ فَإِنْ شَاءَ قَالَ : أَنَا الوليد ، وَإِنْ شَاءَ قَالَ : أَنَا عبد الجليل ؛ ولم أَعْظِمْ مِنْ
خَرَجْتِهِ تِلْكَ النِعْمَةَ وَتَنْجَتِهِ تِلْكَ السُّدَّةَ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ كُلِّ حَسَنَةٍ بَعْرُوةً ، وَيَقْدَحَ
فِي كُلِّ نارٍ بِجَدْوَةٍ ؛ وَأَنْسَنَا بِالْمَقَامِ مُدَّةً ، أَكْثَرُها شَوَافِعِ عِدَّةً ، إِلى أَنْ تَذْكَرَ
مَعَاهِدَ رَأْيٍ فِيهَا الدَّهْرَ طَلَقًا ، وَالزَّمانَ غُلَامًا ، وَالْفَضْلَ رَهْنًا ، وَالْإِفْضَالَ إِزَامًا ؛
فَإِنْ حَنِينِ الرَّكَّابِ ، وَرَكَبَ عَزِيمِ الْإِيَابِ ^(٤) .

فصل [من كتاب] كتبه الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحد الميكالي إلى

(١) الملوان : الليل والنهار (٢) أثير : عزيز (٣) فررناه : اخترناه ، والفر
في الأصل : اختباراً أسنان الدابة ليعرف مبلغها من القوة (٤) العزيم : الجري الشديد

أبي القاسم الداوودي جواباً عن كتاب له ورد عليه . وأبو الفضل رئيس لفسابور وأعمالها في وقتنا هذا^(١) ، وسيمرُّ من كلامه ونثره ونظامه ما يفنى عن التنويه ، ويكفي عن التنبيه ، ويحلُّ عن التشبيه ، ويكون كما قال أبو الحسن الأخفش على بن سليمان : [استهدى إبراهيم بن المدبر] أبا العباس محمد بن يزيد جليساً يجمعُ إلى تاديب ولده الإمتاعَ يابنأسه ؛ فندبني لذلك ، وكتب إليّ معي : قد أنفدت إليك - أعزك الله - فلانا ، وجملة أمره أنه كما قال الشاعر :

إذا زُرتَ الملوكَ فإن حسي شفيحاً عندهم أن يخبروني

وفصل أبي الفضل : وقتتُ على ما أتخفني به الشيخ : من نظمه الرائق البديع ، وخطه المُرري بزهر الربيع ، مُوشحاً بقريرِ ألقاظه ، التي لو أُعبرت حليتها لعطّلت قلائد النحور ، وأبكارٍ معانيه التي لو قُسمت حلاوتها لأعدبت موارِد البحور ، فسرختُ طرفي منها في رياض جادتها سحائب العلوم والحكم ، وهبَ عليها نسيمُ الفضل والكرم ، وابتسمتَ عنها ثغورُ المعالي والهمم ، ولم أدرِ - وقد حيرتني أصنافها ، وبهرتني ثغورُها - وأوصافها ، حتى كسنتني اهتزازاً وإعجاباً ، وأنشأت بيني وبين التماسك سترًا وحجاباً ، ولم أدرِ^(٢) أدهنتني لها شوقاً راح ، أم أزدتهنني نعمة ارتياح ، وانتظم عندي منها عقد ثناء وقرير^(٣) ، أم قرع سمعي منها غناء مَعْبِدٍ وغرييض ، وكيفما كان فقد حوى رتبة الإعجاز والإبداع ، وأصبح نزهة القلوب والأسماع ، فما من جارحةٍ إلا وهي تودُّ لو كانت أذنا فتلتقط درره وجواهره ، أو عيناً تجتلي مطالعه ومناظره ، أو لساناً يدُرُّس محاسنه ومفاخره .

من أبي الفضل
الميكالي إلى أبي
القاسم
الداوودي

وله فصل من كتاب إلى أبي منصور عبد الملك بن إسماعيل الثعالبي : « وصل كتابُ مولاي وسيدى ، أبدع الكتب هوادى وأعجازاً^(٤) ، وأبرعها بلاغة

ومنه
إلى الثعالبي

(١) توفي أبو الفضل الميكالي سنة ٤٣٦ هـ ، وقد توفي مؤلف هذا الكتاب في سنة ٤٥٣ هـ (م)

(٢) هكذا ، وكلمة « ولم أدرِ » تكرر هنا التي سبقت (م) (٣) كذا ، ولعل

الأصل « عقد ثار وقرير » (م) (٤) الهوادى والأعجاز : البدايات والنهايات

وإعجازاً ، فحسبت ألقاظه درّ السحاب ، أو أصفى قطراً وديمة ، ومعانبه دُرّ السحاب^(١) ، بل أوفى قدراً وقيمة . وتأملت الأبيات فوجدتها فائقة التّظنم والرّصف ، عبقة النسيم والعرّف ، فأثرة بقِداح الحُسن والظرف ، مالكة ليزام القلب والظرف ؛ ولا غرّو أن يصدر مثلها عن ذلك الخاطر ، وهو هداف الفجر والنوادر ، وصدف الدرر والجواهر ، والله يُمتعه بما منحه من هذه الغرر والأوضاع ، كما أطلق فيه السنة الثناء والامتداح .

وأبو منصور هذا يعيش إلى وقتنا هذا [على طريق التخمين لا على حقيقة اليقين] وهو فريدُ دهره ، وقرّيع عصره ، ونسيحُ وُحده ، وله مصنفات في العلم والأدب ، تشهد له بأعلى الرتب ، وقد فرّقت ما اخترته منها في هذا الكتاب ، مع ما تعلّق بشاكلته من الخطاب^(٢) ؛ منها كتاب سماه « سحر البلاغة » قال في صدر هذا الكتاب : « أخرجتُ بعضه من غرر نجوم الأرض ، ونكّت أعيان النضل ، من بُلغاء العصر ، في النثر ، وحللت بعضه من نظم أمراء الشعر ، الذين أوردت مُلح أشعارهم في كتابي المترجم بيتيمة الدهر ، فلفقت جميع ذلك وحرّرته ، وسقته ونسّفته ، وأنفقت عليه مارزقته ، وعملت به بكاد الناظر ، وجهد الخاطر ، وتعب اليمين ، وعرق الجبين ، وتعمّدت فيه لذّة الجدة ، وروّنت الحداثة ، وحلاوة الطراوة ، ولم أشبهه بشيء من كلام غير أهل العصر ، إلا في قلائل وقلائد من ألقاظ الجاحظ وابن المعتز ، تخلّلت أثناءه ، وتوشحت تضاعيفه ، ولم أخل كلماته - التي هي وسائط الآداب ، وصياقل الألباب ، وما تستمتعه أنفسُ

(١) السحاب : قلادة من القرنفل

(٢) كان الثعالبي فراءً يخطط جلود الثعالب ، فنسب إلى صناعته ، ثم أقبل على الأدب والتاريخ فنبغ ، وترك طائفة من المؤلفات القيمة أشهرها بيتيمة الدهر ، وكانت وفاته سنة ٤٢٩

الأدباء ، وتلذّ أعين الكتاب - من لفظ صحيح ، أو معنّى صريح ، أو تجنيس أنيس ، أو تشبيه بلاشبيه ، أو تمثيل بلا مثيل ولا عدل ، أو استعارة مُختارة ، أو طباق ، ذى روثق باق ؛ فمن رافق هذا الكتاب قُربَ تناوُلِهِ من الكتاب ، إذا وشوا ديباجة كلامهم بما يقتبسونه من نُوره ، وسماحة قيادِهِ لأفراد الشعراء ، إذا رصّعوا عقود نظائهم بما يلتقطونه من شدُوره ، فأما المحاطبات والمحاورات ، فإنها تتبرّج بغرّة من غرره ، وتُتوّج بدرة من دُرّره .

وقد ذكر جملة من أخرج معظم كتابه من نثرهم ونظمهم ، وهم : الصايبان ^(١) ، والحالديان ^(٢) ، وبيدع الزمان ، وأبونصر بن المرزبان [وعلى بن عبدالعزيز القاضي ، وأبو محمد القاضي ، وأبو القاسم الزعفراني ، وأبو فراس الحمداني] ، وابن أبي العلاء الأصبهاني ، وأبو الطيب المتنبي ، وأبو الفتح البُستي ، وأبو الفضل الميكالي ، وشمس المعالي ، والصاحب بن عباد ، وجماعة يكثر بهم التعداد ، قد ذكّرهم في كتابه ، فكل ما مرّ أو يمر من ذكر ألفاظ أهل العصر فمن كتابه نُقلتُ ، وعليه عوّات .

وفي أبي منصور يقول أبو الفتح علي بن محمد البُستي :

قلبي رهين بنيسابور عند أخ ما مثله حين سُتقرى البلادُ أخُ
له صحائف أخلاق مهذبة من الحجاج والعلا والظرف تُنتسخُ

وأما الذين ذكر أسماءهم في كتابه فسأظهر من سرائر شعرهم الرصين ، وأجلو من جواهر نثرهم الثمين ، ما أخذ من البلاغة باليمين .

(١) هما إبراهيم بن هلال المتوفى سنة ٣٨٤ ، وهلال بن الحسن المتوفى سنة ٤٤٨

(٢) هما سعيد بن هاشم المتوفى سنة ٤٠٠ ومحمد بن هاشم المتوفى سنة ٣٨٠

وكان هذان الأخوان يعرفان بالحالدين ، وكانا يشتركان في نظم الأبيات أو القصيدة فتنسب إليهما معا ، أصلهما من الخالدية - من قرى الموصل - وكانا من خواص سيف الدولة بن حمدان ، ولهما مع أهل عصرهما أخبار كثيرة

فصل لأبي الفضل : وصل كتاب الشيخ المبشر من خبر سلامته التي هي غرّة
الزمان البهيم^(١) ، وعذر الدهر المليم^(٢) ، بما أشرقت له آفاق الفضل والكرم ،
وتمت به نفائس الآلاء والنعم ، فسرحت طرفي من محاسن ألفاظه ، في أنوار
تروق أزاهرها ، وقلائد تروع دررها وجواهرها ، ومبار يسترق الرقاب باطمها
وظاهرها^(٣)

وله إلى أبي سعيد بن خلف الهمداني :

وصل كتابك متحملاً من أخبار سلامتك ، وآثار نعم الله بساحتك ، ما أدى
روح البرّ ونسيمه ، وجمع فنون الفضل وتقاسيمه ، ومجدداً عندي من عمر مواصلته ،
ومعسول كلامه ومحاورته ، ماترك غصن المقة غصاً تروق أوراقه^(٤) ، ووجه الثقة
طلقاً يتهلل إشراقه ، فكم جنيت عنه من ثمر مسرة كانت عوائق الأيام تحاذي بنيه ،
وحويت به من علق مضمّنة قلما يجود الدهر بمثله لبنيه^(٥) .

وله فصل إلى بعض الحكام بجوين^(٦) :

وصل كتاب الحاكم وقد وشّحه بمحاسن فقره ، وتناجج فكره ، من لفظ
شهي أعطته القلوب فضل المقادة ، ومعنى سني جاده صوب الإصابة والإجادة ،
وبرّ هني اتفقت على الاعتراف بفضل السنة الثناء والشهادة ، فسرحت طرفي
فيما حواه من بدائع وطرف ، قد جمعت في الحسن والإحسان بين واسطة
وطرف ، حتى لم تبق في البلاغة يتيمة إلا جبرتها وتممتها .

وله إلى الأمير السيد أبيه يهنئه بالقدوم .

كتبت وأنا بمنزلة من ارتدّ إليه شبابُه بعد المشيب ، وارتدى برداء من العمر

(١) البهيم : المظلم

(٢) المليم : المذنب

(٣) مبار : جمع مبرة (٤) المقة : الحب (٥) العلق : الشيء النفيس

(٦) جوين : كورة كبيرة في خراسان

قَشِيب^(١) ، والحمد لله رب العالمين ، وصل كتابُ مولاي مبشراً من خبر عَوْدِهِ إلى مقرِّ عزِّه وشرفه ، محروسا في حفظ الله وكفنه ، بما لم تزل الآمال تتسَّم روائحه ، وتترقب غادى صُنْعِ الله فيه ورائحه ، واثقة بأنَّ عادةَ الله الكريمة عنده تُسَايِرُهُ وتُرَافِقُهُ ، وتلزم جنابه فلا تُفَارِقُهُ ، حتَّى تخرجه من نَمْرَةِ الغمَاءِ خروجَ السيف من الغمْدِ ، والبدر بعد السَّرَارِ^(٢) إلى الانجلاء ، فعددتُ يومَ وُروده عيداً ، أعاد عهد السُّرورِ جديداً ، وردَّ طَرْفَ الحسودِ كليلاً وقد كان حديداً ، ولم أشبَّههُ في إهداء الرُّوحِ والشفاء ، وتلافي الرُّوحِ بعد أنْ أشفَى على المكروهِ كلَّ الإشفاءِ^(٣) إلَّا بقميصِ يوسف حين تلقاه يعقوبُ عليه السلام من البشير ، وألقاه على وجهه فنظر بعينِ البصير ، فكَم أوسعته لثمًا واستلاما ، والتقطت منه بَرْدًا وسلاما ، حتَّى لم تبقْ غُلَّةٌ في الصدرِ إلَّا بَرَدَتْهَا ، ولا نَمْعَةٌ في النفسِ إلَّا طَرَدَتْهَا ، ولا شريعة من الأنسِ إلَّا وَرَدَتْهَا .

وله فصل من رسالة :

وكان فرطُ التعجبِ مرَّةً وعظُمُ الإعجابِ تارة يقفُ بي عند أولِ فصل من فصوله ، ويثبطني عن استيفاءِ غرره وحُجُوله ، ويوهمني أنَّ المحاسنَ ما حوتُهُ قلائدُهُ ، ونظمته فرائدُهُ ؛ فليس في قوسِ إحسانِ وراءها منزع^(٤) ، ولا لاقتراحِ جَنَانٍ فوقها مُتَطَلِّع ، حتَّى إذا جاوزته إلى لُفِّهِ وتزَيُّدِهِ ، وأجالتُ فكري في نُكْتِهِ وعُيُونِهِ ، رأيتُ ما يُحَيِّرُ الضَّرْفَ ، ويعجزُ الوَصْفَ ، ويعلو على الأولِ محلاً ومكاناً ، ويفوقه حسناً وإحساناً ، فترنعتُ كيف شئتُ في رياضِهِ وحدائقِهِ ، واقتبستُ نورَ الحِكمِ من مطالعِهِ ومشاركِهِ ، وسأمتُ لمعانيهِ وألفاظِهِ فضيلةَ السَّبِقِ

(١) قشيب: جديد (٢) السرار- بكسر السين- آخر ليلة من الشهر، ولا يظهر فيها القمر (م) (٣) أشفى على المكروه: أشرف عليه (٤) منزع- على وزن منبر- السير الذي ينزع به ، ويقولون : لم يبق في قوس الصبر منزع ، يريدون أن الصبر نفدت أسبابه .

والبَرَاعَةَ ، وتَلَقَّيْتَهَا بواجبها من النَّشْرِ والإِذَاعَةِ ؛ فإنها جمعت إلى حُسْنِ الإِيحَازِ
درجةَ الإعجازِ ، وإلى فضيلة الإبداعِ جلالَةَ الموقعِ في القلوبِ والأسماعِ .

وله من فصل :

وصل كتابُ الشيخِ فَذَشَرَ عِنْدِي من جُللِ إفضاله وإكرامه ، ومحاسنِ خطابه
وكلامه ، ما لم أشبِّهه إلا بأنوارِ النُّجُودِ^(١) ، وحِبرِ البرودِ ، وقلائدِ العُقُودِ .

أبو منصور
الثعالبي يصف
أبا الفضل
الميكالي

وذكر أبو منصور الثعالبي الأمير أبا الفضل في كتابِ أَلْفِهِ ، فقال في بعض
فصوله : مَنْ أراد أن يسمعَ سِرَّ النِّظْمِ ، وسِحْرَ الشَّعْرِ ، ورُقِيَّةَ الدَّهْرِ ،
ويرى صَوْبَ العَقْلِ ، وذَوْبَ الظَّرْفِ ، ونتيجةَ الفُضْلِ ؛ فليستشُدْ ما أسفر عنه
طبعُ مَجْدِهِ ، وأثْمَرَهُ عالى فكره ، من مُلَحِّ تَمزِجُ بالنفوسِ لنفاستها ، وتشرب
بالقلوبِ لسلاستها :

قوافٍ إذا ما رَوَّاهَا المشو ق هزَّتْ لَهَا الغانياتُ القُدُودا
كسَوْنِ عبيدٍ ثيابَ العبيدِ وأضحى لبيدٍ لبيها بليدا

وأيُّمُ اللهُ ما مرَّ يومٌ أسعفنى فيه الزمانُ بمواجهةِ وَجْهِهِ ، وأسعدنى بالاعتباسِ
من نُورِهِ والاعترافِ من بَحْرِهِ ، فشاهدتُ ثَمَارَ المجدِ والسُّودِ تَنْتَبِثُ من
شماله ، ورأيتُ فضائلَ الدَّهْرِ عيلاً على فضائله ، وقرأتُ نسخةَ الفُضْلِ والكرمِ
من أَلْحَاطِهِ ، وانتَهَبتُ فضائلَ الفوائدِ من أَلْفَاطِهِ ، إلا تذكرتُ ما أنشدنيه
أدام اللهُ تَأْيِيدَهُ لابنِ الرُّومى :

لولا عجائبُ صُنْعِ اللهِ ما ثبتت تلكَ الفضائلُ في لَحْمٍ ولا عَصَبِ
وقول الطائي :

فلو صوِّرتَ نَفْسَكَ لم تَرَدِّهَا على ما فيكَ من كَرَمِ الطَّبَّاعِ

(١) النجود : جمع نجد ، وهو ما ارتفع من الأرض ، وفيه يوضع الزهر .

وقول كشاجم :

ما كان أحوج ذا الكمال إلى عَيْبِ يَوْقِيهِ مِنَ الْعَيْنِ
وربعت بقول أبي الطيب :

فَإِنْ تَقَى الْأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ

ثم استعرت فيه بيان أبي إسحاق الصابى حيث يقول للصاحب « وَرَبِّهِ
الله أعمارها ، كما يلغنه في البلاغة أنوارها »

اللهُ حَسْبِي فَيْكَ مِنْ كُلِّ مَا تَعَوَّدَ الْعَبْدُ عَلَى الْمَوْلَى
فَلَا تَزَلْ تَرْفُلُ فِي نِعْمَةٍ أَنْتَ بِهَا مِنْ غَيْرِكَ الْأَوْلَى

وقال في فصل منه : وما أنسَ لا أنسَ أيامى عنده بفيروزاباد إحدى قرأه
برستاق جوين ، سقاها الله ما يحكى أخلاقَ صاحبها من سَيْلِ الْقَطْرِ ، فإنها
كانت - بَطَلْعَتِهِ الْبَدْرِيَّةِ ، وَعِشْرَتِهِ الْعِطْرِيَّةِ ، وآدابه العلووية ، وألفاظه اللؤلؤية
مع جلائل نِعْمِهِ الْمَذْكُورَةِ ، ودقائق كرمه المشكورة ، وفوائد مجالسه المعمورة ،
ومحاسن أقواله وأفعاله التي يعيا بها الواصفون - أتمودجات من الجنة ، التي وُعد
المتقون ، وإذا تذكرتها في المربع التي هي مَرَاتِعُ النَّوَاطِرِ ، والمصانع التي هي
مطالع العيش الناضر ، والبساتين التي إذا أخذت بدائع زخارفها ، ونشرت
طرائف مطارفها ، طوى لها الديباج الخسروانى ، ونقى معها الوشى الصنعانى ،
فلم تشبهه إلا بشيئه ، وآثار قلعه ، وأزهار كفه ، تذكرت سحراً وسياً ، وخيراً
عمياً ، وارتياحاً مقياً ، وروحاً وريحاناً ونعياً .

عود إلى ذكر
فصول من كلام
الميكالى

وكثيراً ما أحكى للاخوان أنى استغرقت أربعة أشهر بحضرته ، وتوفرت
على خدمته ، ولازمت في أكثر أوقاتي على مجلسه ، وتعطرت [عند ركوبه]
بغبار موكبه ؛ فبالله يمينا كنت غنيا عنها لو خفت حينئذ فيها إني ما أنسكت
طرفاً من أخلاقه ؛ ولم أشاهد إلا مجدداً وشرفاً من أحواله . وما رأيتُه اغتَابَ

غائبًا ، أو سبَّ حاضرًا ، أو حرَّم سائلا ، أو خيَّب آملا ، أو أطاع سلطانَ الغُصْبِ في الحضْر ، أو تسكَّى بنار الضَّجْرِ في السَّفَر ، أو بطش بَطْشَ المتجَبِّر ؛ ولا وجدت المآثر إلا ما يتعاطاه ، والمآثم إلا ما يتخطَّاه .

وقال في فصل منه يصفه : وأما فنونُ الأدب فهو ابن بجدتها^(١) ، وأخو جملتها ، وأبو عُذْرَتِهَا^(٢) ، ومالك أزمتهَا ، وكأنا يُوحَى إليه في الاستئثار بمحاسنها ، والتفرُّد ببدائعها ، والله هو إذا غرس الدرَّ في [أرض] القراطيس ، وطرَّز بالظلام رداءَ النهار ، وألقت بحارُ خواطره جواهرَ البلاغة على أنامله ، فهناك الحُسنُ برُمته ، والحُسنُ بكليته .

وذكر عمر بن علي الطوعى في كتاب ألفه في^(٣) شعر أبي الفضل ومنشوره المطوعى يذكر الشعراء ، فقال : رأيتُ أهل هذه الصناعة قد تشعبوا على طُرُق ، وانقسموا على ثلاث فرق ، فمنهم من اكتسى كلامه شرف الاكتساب دون شرف الانتساب ثم يذكر الميكي أنواع الشعراء كالكتبيين من الشعراء بالمدائح ، المترشحين بها لأخذ الجوائز والمنائح ، وهم الأكثرون من أهل هذه الصناعة ؛ ومنهم من شرفَتْ بناتُ فكره عند أهل العقول ، وجلبت لديهم فضائل القبول ، لشرف قائلها ، لا لِكثرة عقائلها ، وكرم واشيها ، لالرِّقَّة حواشيها ، كالعدد الكثير ، والجُم الغفير ، من الخلفاء والأمراء والجلَّة والوزراء ؛ ومنهم من أخذ بجبل الجودَّة من طرفيِّه ، وجمع رداء الحُسن من حاشيتيِّه ، كامرئ القيس ابن حُجر الكندي في المتقدمين ، وهو أميرُ الشعراء غير مُنازع ، وسيدهم غير مُجادب ولا مدافع ، وعبد الله بن المعتز بالله أمير المؤمنين في المولدين ، وهو أشعر أبناء الخلافة الهاشمية ، وأبرع أنشاء الدولة العباسية ، ومن

(١) ابن بجدتها : هو الخير بها ، وتقول : فلان عالم يبجدة أمرك ، أى بحقيقته

(٢) أبو عُذْرَتِهَا . العذرة : البكارة ، وأبو عُذْرَتِهَا : أول من افتضاها ، كناية عن

التفوق في أمر من الأمور (٣) لعل كلمة « في » هذه مقحمة (م)

جلّ كلامه في التشبيه ، عن أن يُمثّل بنظير أو شبيهه ، وعَلَّت أشعاره في الأوصاف ،
 عن أن تتعاطاها ألسنة الوصّاف ؛ والأمير أبي فراس بن حمدان فارس البلاغة ،
 ورجل الفصاحة ، ومن حكمت له شعراء العصر قاطبةً بالسيادة ، واعترفت لكلامه
 بالإحسان والإجادة ، حتى قال أبو القاسم إسماعيل بن عباد صاحب : بُدِيَء
 الشعرُ بملكٍ وختم بملك ، يعني امرأ القيس وأبا فراس ؛ وهذه الطائفة أشهر
 الثلاثة تقدماً ، وأثبتها في مواطن الفخر ومواطن الشرف قدماً ، وأسبق الشعراء
 في ميدان البلاغة ، وأرجحهم في ميدان البراعة ؛ فإنّ الكلام الصادر عن الأعيان
 والصدور ، أقرُّ للعيون وأشقى للصدور ، فشرف القلائد بمن قلدّها ، كما أن شرف
 العقائل بمن ولّدّها :

وخيّر الشعر أكرمهُ رجالاً وشرّ الشعر ما قال العبيدُ
 وإذا اتفق من اجتمعت فيه هذه الشرائط ، وانتظمت عنده هاتيك الحاسن ،
 كان خليقاً بأن تُخلد في صحائف القلوب أشعاره ، وتُدوّن في ضمائر النفوس
 آثاره ، وتكتب على الأحداق والعيون أخباره ، وجديراً بأن يختصّ بسرعة
 المجال في المجالس ، وخفة المدار في المدارس ، كالأمير الجليل السيد مولانا :
 أبي الفضل من نال السماء بفضله ومن أوعدته نفسه بمزيد
 توذ عقود الدرّ لو كنّ لفظه فينظمها من توأم وفريد

وهذه مقطعات لأهل العصر في وصف البلاغة

قال أبو الفتح البستي :
 مدحتك فالتامت قلائدُ لم يفزُ بأمثالها الصيّدُ الكرامُ الأعظمُ
 لأنك بحرٌ والمعاني لآليءُ وفكري غواصٌ وشعري ناظمُ
 وقال أيضاً :

ما إن سمعت بنواري له ثمراً في الوقت يُمتع سمع المرء والبصراً

لأبي الفتح
 البستي

حتى أتاني كتابٌ منك مبسّمٌ
فكان لفظك في لآلئه زهراً
تسابقاً فأصاباً القصد في طلقٍ
وقال أيضاً :

لَمَّا أتاني كتابٌ منك مبسّمٌ
حكّت معانيه في أثناء أسطره
عَنْ كُلِّ بَرٍّ وَلَفْظٍ غَيْرِ مَحْدُودِ^(١)
أَتَارِكِ الْبَيْضِ فِي أَحْوَالِ الشُّوَدِ
كَأَنَّهُ أَلْمُ بِقَوْلِ الطَّائِي :

يرى أقبح الأشياء أوبةً أملٍ
وأحسن من نورٍ تفتحه الصبا
كَسَبَهَا يَدُ الْمَأْمُولِ حُلَّةَ خَائِبِ
بِيَاضِ الْعَطَايَا فِي سَوَادِ الْمَطَالِبِ
وقال أبو الفتح البستي في أبي نصر أحمد بن علي الميكالي :

جمع الله في الأمير أبي نصر خصالاً تغلوبها الأقدارُ
راحة برّةٍ وصدراً فضاءً وذكاءً تبدو له الأسرار^(٢)
خَطُهُ رَوْضَةٌ ، وَأَلْفَاظُهُ الْأَزْ
هَارٌ يَضْحَكُنْ ، وَالْمَعَانِي تَمَارُ
وقال عمر بن علي المطوعي يمدح أبا الفضل الميكالي من قصيدة :

للمطوعي
يمدح الميكالي

وإلى الأمير ابن الأمير المعتلي
وطئت بي الوجناءً وجنةً مهمّةً
كَمَا أَلْحَظَ مِنْهُ فِي أَفْقِ الْعَلَا
كَالْبَدْرِ غَيْرِ دَوَامِهِ مُتَكَامِلًا
بِالْفَضْلِ يُكْنَى وَهُوَ فِيهِ كَامِنٌ
يَا مَنْ إِذَا خَطَّ الْكِتَابَ يَمِينُهُ
بِكَمَالٍ سُودِدِهِ عَلَى الْأَمْرَاءِ
مَتَقَاذِفِ الْإِكْنَفِ وَالْإِرْجَاءِ^(٣)
فَلَكَا يُدِيرُ كَوَاكِبَ الْعَلْيَاءِ
كَالْبَحْرِ غَيْرِ عَذُوبَةٍ وَصَفَاءِ
كَارِئِي يَكْمُنُ فِي زَلَالِ الْمَاءِ
أَهْدَى إِلَيْنَا الْوَشْيَ مِنْ صَنْعَاءِ

(١) في نسخة «عن كل بروفصل» (م) (٢) في نسخة «راحة ثرة» والراحة : اليد ،
والثرة : التي تفيض بالعتاء (م) (٣) الوجناء : الناقة الصلبة ، من الوجين ، وهي
الأرض الغليظة ، والمهمه : الوادي القفر ، ومتقاذف الإكناف : متباعد الأطراف
(١٠ - زهر الآداب ١)

لم تجر كفك في البياض موقعا
قـرـمٌ يـداه وقلبه ما منهما
إلا تجلت عن يدٍ بيضاء
في النظم والإعطاء إلا الطائي^(١)
وقال فيه أيضاً :

كلامُ الأميرِ النَّدْبِ في نبي نَظْمِهِ
فَرَوَى متى تَرَوَى بَدَائِعَ نَظْمِهِ
يَنُوبُ عن الماءِ الزلالِ لمن يَظْمَأُ^(٢)
وَنَظْمَأُ إذا لم تَرَوْهُ يوماً له نَظْمَأُ
وكتب إليه أيضاً :

أقول وقد جادت جُفُونِي بأدْمَعِ
وقد عَلِمْتُ بي للنزاعِ نَوَازِعِ
إلى سَيِّدِ أوفى على الشَّمْسِ قَدْرُهُ
أبي الفضلِ من راحته فواضِلُ كَفِّهِ
كأني قد استمعتُ لَيْتِهِنَّ من الشَّحْبِ
كَتَبِينَ مُعَانَاةَ العناءِ على قَلْبِي
وزادت معاليه ضياءً على الشهبِ
وراحتَه تُرْبِي على عَدَدِ التُّرْبِ^(٣)
سقى اللهُ أرضاً حلَّ فيها سحائباً
سحائبٌ يَحْدُوها نَسِيمٌ كخَلْقِهِ
ولا زال أفلاكُ السعودِ مُطِيفَةً
ويقدمها بَرَقٌ كصارمه العُضْبِ^(٤)
بحضرتِه تتناوبا وهو كالقُطْبِ
وقال أبو منصور الثعالبي للأمير أبي الفضل :

لك في الفضائل معجزات جمة
بحران بحر في البلاغة شابه
أبدأ لغيرك في الوري لم تجتمع
شعرُ الوليد وحسن لفظ الأصمعي^(٥)
كالنور أو كالسحر أو كالدر أو
كالوشى في برود عليه موشع^(٦)
وإني الكريم بعيد فقير مدقع^(٧)
شكرا فكم من فقرة لك كالغنى

للثعالبي يمدح
الميكالي

(١) القرم : السيد ، والطائي في الكرم هو حاتم الطائي ، وفي النظم أبو تمام

(٢) الندب : الشهم - وهو أيضا الخفيف في الحاجة ، والتجيب (م)

(٣) تربي : يزيد (٤) الصارم العضب : السيف القاطع (٥) الوليد: هو البحري

(٦) موشع : ذي رقوم وطرائق (٧) فقير مدقع : شديد ، لصق صاحبه بالدعاء

وهي التراب .

وإذا تفتق نورُ شعركِ ناضراً فالحسنُ بين مرصعٍ ومُصرَع
أرجلتُ فرسانَ الكلامِ ورُضتُ أفراسَ البديعِ وأنتِ أمجدُ مبدِع
وتشتت في فصِّ الزمانِ بدائعاً تُزري بآثارِ الربيعِ الممرِّع^(١)

وللتعالى في
وصف فرس

[وقال في وصف فرس أهدها إليه بمدوحه] :

يامهْدَى الطَّرْفِ الجوادِ كأنما قد أنعلوه بالرياحِ الأربَع^(٢)
لاشئٍ أسرعُ منه إلا خاطري في شكرِ نائلِك اللطيفِ الموقِع
ولو أننى أنصفتُ في إكرامِهِ لجلالِ مُهدِيهِ الكريمِ الأروَع^(٣)
أنظمته حبَّ القلوبِ ليحبِّه وجعلت مر بطه سوادِ اللدِّ مع
وخلعت ثم قطعت غير مضيقٍ بزُدِّ الشبابِ لجلِّه والبُرِّع

وكتب إليه في جواب كتاب ورد عليه :

للتعالى جواباً
على الميكالى

أنسيمُ الرياضِ حَوْلَ الغديرِ ما زَجَّته رَبِيًّا الحبيبِ الأثيرِ^(٤)
أم وُرُودِ البشيرِ بالنجحِ من فكِّ أسيرٍ أو يُسرِ أمرِ عسيرِ
في ملاءٍ من الشبابِ جديدي تحت أيكٍ من النَّصابِ نضيرِ^(٥)
أم كتابِ الأميرِ سيدنا الفَرِّ د؛ فياحبذا كتابُ الأميرِ
وتمارِ الصدورِ ما أجتنيه من سُطورٍ فيها شفاءُ الصدورِ
تَقَمَّتْها أناملٌ تفتقُ الأنوارَ والزهرِ في رياضِ السطورِ
كالمنى قد جُمِعن في التَّعمِ الفَرِّ مع الأمنِ من صروفِ الدهورِ
يا أبا الفضلِ وابنهُ وأخاهُ جلَّ بَارِكِ من لطيفِ خبيرِ
شيمٌ يَرْتَضِعن دَرَّ المعالي ويُعَبِّرُن عن نسيمِ العبيرِ

(١) الممرع : المملوء بالكلا والعشب (٢) الطرف : الحصان

(٣) الأروع : الذكي الروع ، بضم الراء ، وهو الفؤاد

(٤) الأثير : العزير (٥) الأيك : الشجر الملتف

وَسَجَايَا كَانَهُنَّ لَدَى النَّشْرِ رُضَابُ الْحَيَا بِأَرْبَى مَشُورٍ (١)
وَمُحْيَا لَدَى الْمَلُوكِ مَحْيَا صَادِقِ الْبَشْرِ مُخْجِلِ الْبَدُورِ
فَأَجَابَهُ أَبُو الْفَضْلِ بِأَيَاتٍ يَقُولُ فِيهَا فِي صِفَةِ آيَاتِهِ :

جواب الميكالى
على آيات
الثعالبي

وَهَدَى زُفْتٌ إِلَى السَّمْعِ بَكْرٍ تَهَادَى فِي حِلْيَةٍ وَشُدُورٍ (٢)
عَجِبَ النَّاسُ أَنْ بَدَتْ مِنْ سَوَادٍ فِي بِيضِ كَالْمِسْكِ فِي الْكَافُورِ
نُظِمَتْ فِي بِلَاغَةٍ وَمَعَانٍ مِثْلَ نَظْمِ الْعُقُودِ فَوْقَ النَّحُورِ
كَمْ تَذَكَّرْتَ عِنْدَهَا مِنْ عُهُودٍ لِلتَّلَاقِ فِي ظِلِّ عَيْشٍ نُضِيرِ
فَذَمَّمْتَ الزَّمَانَ إِذْ ضَنَّ عَنَا بِاجْتِمَاعِ يُضْمُ شَمْلَ السَّرُورِ
وَلَنْ رَاعَنَا الزَّمَانُ بَيْنِي وَأَنْتِ الْبَسَ الْأَنْسَ ذِلَّةَ الْمُهْجُورِ
فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يُعِيدَ اجْتِمَاعًا فِي أَمَانٍ مِنْ حَادِثَاتِ الدَّهُورِ
إِنَّهُ قَادِرٌ عَلَى رَدِّ مَا فَا تِ وَيَسِيرٌ كُلُّ أَمْرٍ عَسِيرِ

للصابي يمدح
الوزير المهلبى

وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هَلَالٍ الصَّابِي فِي الْوَزِيرِ الْمُهَلَّبِيِّ :
قَلَّ لِلْوَزِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ الَّذِي قَدَ اعْجَزَتْ كُلُّ الْوَرَى أَوْصَافُهُ
لَكَ فِي الْمَجَالِسِ مَنْطِقٌ يَشْفِي الْجَوَى وَيَسُوعُ فِي أُذُنِ الْأَدِيبِ سُلَافُهُ (٣)
وَكَأَنَّ لَفْظَكَ جَوْهَرٌ مَتَخَلٌّ وَكَأَنَّما آذَانُنَا أَصْدَافُهُ (٤)

والمهلبى هذا هو أبو محمد الحسن بن هارون بن إبراهيم بن عبد الله بن يزيد
ابن حاتم بن قبيصة بن المهلب، وزير لأحمد بن بويه الديلمي، وكانت وزارته سنة تسع
وثلاثين وثلاثمائة، وكان أبو محمد من سرّوات الناس وأدبائهم وأجوادهم وأعفائهم؛
وفيه يقول أبو إسحاق الصابى :

ترجمة الوزير
المهلبى

(١) الأرى : العسل ، والشور : المصفي ، تقول : شار العسل واشتاره ، إذاصفاه
من الأفراس (٢) الهدى - على وزن غنى - هي العروس ، والشذور : قطع الذهب -
واحدتها شذرة (م) (٣) السلاف - بضم السين - في الأصل : الحجر (م)
(٤) متخل - بالخاء المعجمة - مختار

نَعْمَ اللهُ كَالْوَحُوشِ فَمَا تَأْتِي إِلَّا الْأَخْيَارَ النَّسَاكَ
 نَفَرَتْهَا آثَامُ قَوْمٍ وَصَيَّرَتْ لَهَا الْبِرَّ وَالتَّقَى أَشْرَاكَ
 وكان قبل اتصاله بالسلطان سائحاً في البلاد ، على طريق الفقر والتصوف ،
 قال أبو علي الصوفي : كنت معه في بعض أوقاته ، أماشيته في إحدى طرقاته ،
 فضجرت لضيق الحال ، فقال :

أَلَا مَوْتُ يُبَاعُ فَأَشْتَرِيهِ فهذا العيشُ مالا خَيْرَ فِيهِ
 أَلَا رَحِمَ الْمُهَيَّمِ نَفْسَ جَرٍّ تصدَّقْ بِالْوَفَاةِ عَلَى أَخِيهِ

ثم تصرف بما يُرِضِيهِ الدهر ، وبلغ المهلى مبلغه . قال أبو علي : دخلت البصرة
 فاجتزت بسرّاً من رأى ، وإذا أنا بناشطيات وحرقات وزيارب وطيّارات في
 عُدَّةٍ وَعُدَدٍ ، فسألت : لمن هذا ؟ فقيل : للوزير المهلبى ، ونعتوا لي صاحبي ؛
 فوصلت إليه حتى رأيت ، فكتبتُ إليه رقعة ، وتوصلت حتى دخلتُ فدلت ،
 وجلستُ حتى خلا مجلسه ، فدفعتُ إليه الرقعةَ وفيها :

أَلَا قُلُوبٌ لِلْوَزِيرِ بِلَا اخْتِشَامٍ مقال مُذَكَّرٌ مَا قَد تَسِيهِ
 أَتَذَكَّرُ إِذْ تَقُولُ لَضَيْقِ عَيْشٍ « أَلَا مَوْتُ يُبَاعُ فَأَشْتَرِيهِ »

فنظر إليّ وقال : نعم ، ثم نهض وأنهضني معه إلى مجلس الأُنس ، وجعل
 يُبَدِّئُ كَرْنِي مَا مَضَى ، وَيَذَكِّرُ لِي كَيْفَ تَرَقَّتْ حَالُهُ ، وَقَدَّمَ الطَّعَامَ فَطَعِمْنَا ،
 وَأَقْبَلَ ثَلَاثَةَ مِنْ الْعُلَمَاءِ عَلَى رَأْسِ أَحَدِهِمْ ثَلَاثُ بَدَرٍ (١) ، وَمَعَ الْآخَرِ تَحْوُتٌ
 وَثِيَابٌ ، وَمَعَ الْآخَرِ طَيْبٌ وَبُخُورٌ ، وَأَقْبَلَتْ بَعْلَةٌ رَائِعَةٌ بِسَرِيحٍ ثَقِيلٍ ؛ فَقَالَ :
 يَا أَبَا عَلِيٍّ ؛ تَفَضَّلْ بِقَبُولِ هَذَا ، وَلَا تَتَخَلَّفْ عَنْ حَاجَةِ تَعْرِضٍ لَكَ ، فَشَكَرْتَهُ
 وَانصرفت ، فلما هممتُ بالخروج من الباب استردتني وأنشدني بديها :

رَقَّ الزَّمَانُ لِفَاقَتِي وَرَنَى لَطُولَ تَحْرِقِي

(١) البدر : جمع بدرة ، وهى كيس الدنانير

وأنالني ما أرتجى وأجارَ ممّا أتقى
فلاُغفرنَ له الكثيرَ من الذنوبِ الشَّبَقِ
إلاّ جنائتَه التي فعلَ المشيبَ بمفْرِقِي^(١)

منزلة العقل وطريق رياضته
قال بعضُ العلماء : العقول لها صُورٌ مثلُ صورِ الأجسام ، فإذا أنتَ لم تنسكُ
بها سبيلَ الأدبِ حارتَ وضلتَ ، وإن بعثتها في أوديتها كلتَ وملتَ ، فانسكُ
بعقلك شحَابَ المعاني^(٢) والفهم ، واستنْبِقِهِ بِالْجَامِ لِلْعِلْمِ^(٣) ، وارْتَدِّ لعقلك أفضلَ
طبقاتِ الأدبِ ، وتوقَّ عليه آفةَ العطبِ ؛ فإنَّ العقلَ شاهدك على الفضلِ ،
وحارسك من الجهلِ .

واعلمَ أن مغارسَ العقولِ كمغارسِ الأشجارِ ؛ فإذا طابت بِقَاعُ الأرضِ
للشجرِ زكَّأ ثمرُها ، وإذا كَرُمَتِ النفوسُ للعقولِ طابَ خَيْرُها ، فاعْمُرْ نفسك
بالكرمِ ، تَسَلِّمْ مِنَ الْآفَةِ وَالسُّقْمِ .

واعلمَ أَنَّ العقلَ [الحسن] في النفسِ اللثيمة ، بمنزلةِ الشجرةِ الكريمةِ في
الأرضِ الذميمةِ ، ينفعُ بثمرها على خُبثِ المَغْرَسِ ؛ فاجتنِ ثمرَ العقولِ وإن أتاك
من لثامِ الأنفسِ . [وقال النبي عليه السلام : « ربَّ حاملٍ قفه إلى مَنْ هو أوعى
له » . وقيل : رب حامل قفه غير قفيه ، ورب رمية من غير رام] .

الحكمة
وواجب العاقل
إزاءها
وقيل : الحكمةُ ضالَّةُ المؤمنِ ، أينما وجدها أخذها . وسمع السَّعْبِيُّ الحجاجَ
ابن يوسف وهو على المنبر يقول : أما بعد ، فإنَّ الله كتب على الدنيا الفناءَ ، وعلى
الآخرةِ البقاءَ ، فلا فناءَ لما كُتِبَ عليه البقاءُ ، ولا بقاءَ لما كُتِبَ عليه الفناءُ ،
فلا يفرنكم شاهدُ الدنيا عن غائبِ الآخرةِ ، وأقصرُ رَأْيِ الأملِ ، لِقَصْرِ الأجلِ .

(١) وكانت وفاة الوزير المهلب سنة ٣٥٢ (٢) الشهاب : جمع شعب - بكسر الشين -
وهو الطريق في الجبل (٣) الجمام - بكسر الجيم - الراحة .

قال : كلامٌ حكمةٍ خرَجَ من قلبِ خرابٍ ا وأخرج ألواحه فكتب
وقد روى ذلك عن سفيان الثوري .

وقد سَمِعَ إبراهيم بن هشام وهو يخطُبُ على المنبر ويقول : إن يوماً أشاب
الصغير ، وأسكر الكبير ، ليومٌ شرُّه مُستَظِير !
[وصف الكتب]

قال الجاحظ : الكتاب وعاءٌ مليءٌ علمًا ، وظرفٌ حِثِّي ظرفًا ، وبُستَانٌ وصف الكتاب
يُجَمَلُ في رَدْنٍ ^(١) ، وروضةٌ تَقَلَّبُ في حجر ، ينطق عن الموتى ، ويُترجمُ كلامٌ للجاحظ
الأحياء .

وقال : من صنَّف كتابًا فقد استهدف ^(٢) ؛ فإن أحسن فقد استعطف ، وإن
أساء فقد استقذف ^(٣) .

وقال : لا أعلم جاراً أبرّ ، ولا خليطاً أنصف ، ولا رفيقاً أطوع ، ولا معاماً
أخضع ، ولا صاحباً أظهر كفاية ، وأقلّ جنابةً ، ولا أقلّ إملالا وإبراما ، ولا
أقلّ خلافاً وإجراما ، ولا أقلّ غيبةً ، ولا أبعد من عَضِيبة ^(٤) ، ولا أكثر أعجوبة
وتصرفاً ، ولا أقلّ صلفاً وتكلفاً ، ولا أبعد من مرء ، ولا أترك لشغب ، ولا أزهد
في جدال ، ولا أكفّ عن قتال ، من كتاب . ولا أعلم قريناً أحسن مؤاتاةً ، ولا
أعجل مكافأةً ، ولا أخضر مَعُونَةً ، ولا أقلّ مَثُونَةً ، ولا شجرةً أطول عمراً ، ولا
أجمع أمراً ، ولا أطيب ثمرةً ، ولا أقرب مُجْتَنِيً ، ولا أسرع إدراكاً كلّ أوانٍ ،
ولا أوجد في غير إبان ، من كتاب . ولا أعلم تتاجاً في حدائمه سنّه ، وقرب ميلاده ،
ورخص ثمنه ، وإمكان وجوده ، يجمع من التداير الحسنة ، والعلوم الغريبة ، ومن
آثار العقول الصحيحة ، ومحمود الأخبار عن القرون الماضية ، والبلاد المتراخية ،
والأمثال السائرة ، والأمم البائدة ما يجمع الكتاب .

(١) الردن : الكم (٢) استهدف : صير نفسه هدفاً لسهام النقد

(٣) استقذف : عرض نفسه للقذف (٤) العضية : الإفك وتعمد الكذب

وَدَخَلَ الرَّشِيدَ عَلَى الْمَأْمُونِ وَهُوَ يَنْظُرُ فِي كِتَابٍ ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ فَقَالَ :
 كِتَابٌ يَشْحَدُ الْفِكْرَةَ ، وَيُحَسِّنُ الْعِشْرَةَ . فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَزَقَنِي مَن يَرَى
 أَمُون يصف
 كِتَابَ لِأَيِّهِ
 الرَّشِيدِ

وَقِيلَ لِبَعْضِ الْعُلَمَاءِ : مَا بَلَغَ مِنْ سُرُورِكَ بِأَدَبِكَ وَكُتُبِكَ ؟ فَقَالَ : هِيَ إِنْ
 خَلَوَتْ لِذَاتِي ، وَإِنْ اهْتَمَمْتُ سَلَوْتِي ، وَإِنْ قَلَّتْ : إِنْ زَهَرَ الْبُسْتَانُ ، وَنَوَّرَ
 الْجَنَانُ ، يَجْلُوَانِ الْأَبْصَارَ ، وَيُمْتِعَانِ بِحُسْنِهِمَا الْأَلْحَاطَ ؛ فَإِنَّ بَسْتَانَ الْكُتُبِ
 يَجْلُو الْعُقْلَ ، وَيَشْحَدُ الذَّهْنَ ، وَيُحْيِي الْقَلْبَ ، وَيَقْوِي الْقَرِيحَةَ ، وَيُعِينُ الطَّبِيعَةَ ،
 وَيُبْعَثُ نَتَائِجَ الْعُقُولِ ، وَيَسْتَثِيرُ دَفَائِنَ الْقُلُوبِ ، وَيُمْتِعُ فِي الْخُلُوعَةِ ، وَيُؤْنِسُ فِي
 الْوَحْشَةِ ، وَيُضْحِكُ بِنُوَادِرِهِ ، وَيُسْرُّ بِغَرَائِبِهِ ، وَيَقِيدُ وَلَا يَسْتَفِيدُ ، وَيُعْطَى وَلَا
 يَأْخُذُ ، وَتَصِلُ لِذَاتِهِ إِلَى الْقَلْبِ ، مِنْ غَيْرِ سَامَةٍ تُدْرِكُكَ ، وَلَا مَشَقَّةٍ
 تَعْرِضُ لَكَ .

وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُنْتَبِي :

وَاللَّسْرُ مَنِّي مَوْضِعٌ لَا يَبَالُهُ
 وَاللَّخْوَدُ مَنِّي سَاعَةٌ ، ثُمَّ يَبِينُنَا
 وَمَا الْعَشْقُ إِلَّا غِسْرَةٌ وَطَاعَةٌ
 وَغَيْرُ فَوَادِي لِلْغَوَائِي رَمِيَّةٌ
 تَرَكْنَا لِأَطْرَافِ الْقَنَا كُلِّ لَذَّةٍ
 نَصْرَفُهُ لِلطَّعْنِ فَوْقَ سَوَابِحٍ
 أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنَا سَرَجُ سَابِحٍ
 نَدِيمٌ ، وَلَا يُفِضِي إِلَيْهِ شَرَابُ
 فَلَاةٌ إِلَى غَيْرِ الْقَاءِ تَجَابُ (١)
 يُعْرِضُ قَلْبٌ نَفْسَهُ فِيصَابُ
 وَغَيْرُ بَنَانِي لِلرَّخَاخِ رِكَابُ (٢)
 فَلَيْسَ لَنَا إِلَّا بَهْنٌ لِعَابُ (٣)
 قَدَانَةٌ صَفَّتْ فِيهِنَّ مِنْهُ كِهَابُ (٤)
 وَخَيْرُ جَلِيدٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابُ

لأبي الطيب
المنتبي

(١) الخود : الفتاة الجميلة ، وتجاب : تقطع (٢) رمية : فريسة ، والرخاب : جمع رخ ، وهو من أدوات الشطرنج (٣) اللعاب : هو اللعبة (٤) السوابح : الخيول .
 والكعاب : أطراف القنا

فقر في الكتب

إنفاق النضة على كتب الآداب ، يُخلفك عليه ذهاب الألباب . إن هذه الآداب شوارد ، فاجملوا الكتب لها أزيمة . كتاب الرجل عنوان عقله ، ولسان فضله . ابن المعتز : من قرأ سطرًا من كتاب قد خط عليه فقد خان كاتبه ؛ لأن الخط يُحرز ماتحته .

بزرجمهر : الكتب أصداف الحكم ، تنشق عن جواهر الكلم
بعض الكتاب : إعجاب الخط يمنع من استعجابه ، وشككه يؤمن من إشكاله .
كان هذا الكاتب نحا إلى قول أبي تمام :
تري الحادث المستعجم الخطب معجمًا لديه ، ومشكولًا إذا كان مُشكِلًا
ما كتب قرء ، وما حفظ فرء . الخطوط المعجمة ، كالبرود المعلمة .
وقال ابن المعتز يصف كتابًا :

وذي نكت موسى نمتته وحاكته الأناملُ أيَّ حوكِ
بشكل يرفع الإشكال عنه كأن سطورَه أغصانُ شوكِ

جملة من ألفاظ أهل العصر

في صفة الكتب وتهاديتها ، وما يتعلق بأسمائها ومعانيها

حضرة مولاي تجلُّ عن أن يُهدى إليها غيرُ الكتب ، التي لا يترفع عنها كبير ، ولا يمتنع منها خضير ، وقد فكرت فيما أنفذت به مقيا للرسم في جملة الخدم ، وحافظ الاسم في غمار الخشم ، فلم أجد إلا الرق الذي سبق ملكه له ، والمال الذي منحه وخوله ، فعدلتُ إلى الأدب الذي تنفقُ سوقه بباب سيدنا ولا تكسد ، وتهب ريحه بجانبه ولا تركد . وأنفذت كتابي هذا راجيًا أن أشرف بقبوله ، ويوقع إليَّ بحصوله ؛ ولما وجب على ذوي الاختصاص لسيدنا إهداء ماجرت العادة بتسابق الأولياء إلى الاجتهاد في إهدائه^(١) ، وجب العدولُ في إقامة رسم الخدمة إلى اتباع

(١) في نسخة « بتسابق الأولياء إلى الاحتشاد في إهدائه » (م)

ما صدر عنه من الرخصة فيما تسهل كلفته ، وتجل عند ذوى الألباب قيمته ، وتحو
ثمرته ؛ وهو علم يُقتنى ، وأذب يُحتنى .

قال أبو الحسن بن طباطبا العلوى :

لابن طباطبا

لا تُنكرن إهداءنا لك منطقاً منك استفدنا بحسنه ونظامه
فالله عز وجل يشكرُ فعلَ من يتلو عليه وحيه وكلامه
وأهدى أحمد بن يوسف ^(١) إلى المأمون في يوم مهرجان هدية قيمتها ألف
ألف درهم ، وكتب :

لأحمد بن
يوسف

على العبد حق فهو لا بد فاعله وإن عظم المولى وجلت فضائله
ألم ترنا نهدي إلى الله ماله وإن كان عنه ذا غنى وهو قابله
وقال أبو الفتح البستي :

لأبي الفتح
البستي

لا تُنكرن إذا أهديت نحوك من علومك القر أو آدابك التثنا
فقيم الباغ قد يهدي لمالكه برسم خدمته من باغه التحفا ^(٢)

لأبي إسحاق
الصابي

وكتب أبو إسحاق الصابي إلى عضد الدولة في هذا المعنى : العبيد تلاطف
ولا تُكأثر الموالى في هداياها ، والموالى تقبل الميسور منها قبولاً هو محسوب في
عطاياها . ولما كان - أدام الله تعالى عزه - مبرزاً على ملوك الأرض في الخطر
الذى قصرُوا عنه شديداً ، والسعى الذى وقفوا منه بعيداً ، والآداب التى عجزوا عن
استعلامها فضلاً عن علمها ، والأدوات التى نكأوا ^(٣) عن استفهامها فضلاً عن فهمها ،
وجب أن يُعدّل عن اختياراتهم فيما تحظى به الجسوم البيهية ، إلى اختياره

(١) أحمد بن يوسف : كاتب بليغ كان يتولى ديوان الرسائل للمأمون ، وله أخبار
كثيرة تدل على أنه كان مع مركزه فى الدولة كثير العبث والمجون . شتمه رجل بين
يدى المأمون فقال مخاطب المأمون : قد والله يأمر المؤمنين رأيه يستملى من عينك ما يلقي
به . وسيعود صاحب زهر الآداب إلى الكلام عنه فى عدة مواطن . كانت وفاته سنة ٣١٣
(٢) الباغ : الطيب (٣) نكل عن الشيء - من باب نصر وضرب و فرح - جنب وتأخر (م)

فما تحظى به النفوس العليّة ، وعمّا ينفق في سوقهم العامية ، إلى ما ينفق في سوقه الخاصة ، إفراداً لرُتبته العُليا ، وغايته القصوى ، وتميزاً له عن لا يجرى معه في هذا المضمار ، ولا يتعلّق منه بالغبّار ؛ وقد حملت إلى الخزانة - عمرها الله ! - شيئاً من الدفاتر وآلة النجوم ، فإن رأى مولانا أن يتطوّل^(١) على عبده بالإذن في عرض ذلك عليه مُشرّفاً له وزائداً في إحسانه إليه فعَلَّ إن شاء الله تعالى .

وأهدى أبو الطيب المتنبي إلى أبي الفضل بن العميد في يوم نوروز قصيدة من أبي الطيب مدحه فيها^(٢) يقول في آخرها :

كثُرَ الفِكرُ كيف نُهدى كما تهدي إلى ربّها الرئيسِ عبادُهُ
والَّذي عندنا من المالِ والتَّخيلِ فَمِنهُ هِبَاتُهُ وَقِيادُهُ
فبعثنا بأربعين مِهَارٍ كُلُّ مَهْرٍ مَيِّدَانُهُ إِنْشَادُهُ
فَارْتَبَطَها فَإِنَّ قَلْبًا تَمَاهَا مَرَبُطٌ تَسْبِقُ الجِيادَ جِيادُهُ

وفي هذه الكلمة يقول وقد احتفل فيها ، واجتهد في تجويد ألفاظها ومعانيها ، فعقب عليه أبو الفضل في مواضع وقف عليها فقال^(٣) :

هل لهُذري إلى الهمام أبي الفضل قبولٌ سوادُ عيني مِدَادُهُ
أنا من شدة الحياءِ عليلٌ مَكْرُمَاتُ المَعْلَمِ عَوَادُهُ^(٤)
ما كَفَانِي تَقْصِيرُ ما قُلْتُ فِيهِ عَن عِلَادُهُ حَتَّى ثَنَاهُ انْتِقَادُهُ

(١) يتطول : يتفضل (م) (٢) مطلع هذه القصيدة :

جاء نيروزنا وأنت مراده وورث بالذي أراد زناده

(٣) ليس الأمر كما ذكر المؤلف ، وإنما لاحظ ابن العميد ملاحظته على المتنبي في القصيدة الرائية التي يشير إليها المؤلف بعد ذلك ، فكانت هذه الأبيات انتذاراً وقع في تصاعيف الدالية التي قصد بها تهنئة ابن العميد بعيد النوروز

(٤) المعلة : من إضافة اسم الفاعل إلى مفعوله

مَا تَعَوَّدْتُ أَنْ أَرَى كَأَبِي الْفَضْلَ ، وَهَذَا الَّذِي أَتَاهُ اعْتِيَادُهُ
 غَمَّرْتَنِي فَوَائِدُ شَاءَ مِنْهَا أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ مِمَّا أَفَادُهُ
 مَا سَمِعْنَا مِنْ أَحَبِّ الْعَطَايَا فَاشْتَهَى أَنْ يَكُونَ مِنْهَا فَوَادُهُ
 وَقَدْ كَانَ مَدْحَهُ بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوْلَاهَا :

بَادٍ هَوَاكَ صَبْرَتْ أَمْ لَمْ تَضْبِرَا وَبُكَاءُكَ إِنْ لَمْ يَجْرِدْ مَعَكَ أَوْ جَرَى
 وَفِيهَا مَعَانٍ مَخْتَرَعَةٌ ، وَأَبْيَاتٌ مَبْتَدَعَةٌ ، يَقُولُ فِيهَا :

مِنْ مُبْلَغِ الْأَعْرَابِ أَنْى بَعْدَهَا جَالَسْتُ رَسْطَالِيْسَ وَالْإِسْكَانْدَرَا
 وَمَلَّتْ نَحْرَ عَشَارِهَا فَأَضَافَنِ مِنْ يَنْحَرِ الْبِدْرِ النَّضَارِ لِمَنْ قَرَى ^(١)
 وَسَمِعْتُ بَطْلِيمُوسَ دَارِسَ كَتَبَهُ مَتَمَلِّكًا مَتَبَدِيًّا مَتَحَضَّرًا ^(٢)
 وَرَأَيْتُ كُلَّ الْفَاضِلِينَ كَأَنَّمَا رَدَّ الْإِلَاهُ نَفُوسَهُمْ وَالْأَعْضُرَا
 نَسَقُوا لَنَا نَسْقَ الْحِسَابِ مَقْدَمًا وَأَتَى فَذَلِكَ إِذْ أَتَيْتُ مُؤَخَّرَا
 وَفِيهَا يَقُولُ :

فَدَعَاكَ حُسْدُكَ الرَّئِيسَ وَأَمْسَكُوا وَدَعَاكَ خَالِقُكَ الرَّئِيسَ الْأَكْبَرَا
 خَلَقْتَ صِفَاتِكَ فِي الْعَيُونِ كَلَامُهُ كَالْخَطِّ يَمْلَأُ مِسْمَعِي مَنْ أَبْصُرَا
 أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الطَّائِي يَصِفُ قِصَائِدَهُ :

بَشْرَبَ يَرَاهَا مِنْ يَرَاهَا بِسَمْعِهِ وَيَدُنُو إِلَيْهَا ذُو الْحِجَا وَهُوَ شَاسِعٌ ^(٣)

[فَقَرَّ فِي وَصْفِ الْكُتُبِ]

كِتَابُ كَتَبَ لِي أَمَانًا مِنَ الدَّهْرِ ، وَهَنَانِي فِي أَيَّامِ الْعَمْرِ . كِتَابٌ أَوْجِبُ
 مِنَ الْاِعْتِدَادِ فَوْقَ الْأَعْدَادِ ، وَأَوْدَعُ بِيَاضِ الْوُدَادِ سَوَادَ الْفَوَادِ . كِتَابٌ النَّظْرُ فِيهِ

(١) البدر : جمع بكرة ، وهى الكيس فيه عشرة آلاف دينار ، والنضار - بالضم -
 الذهب ، وقرى : أضاف (٢) متبديا : فى أخلاق أهل البدواة (٣) شاسع : بعيد

نعيم مقيم ، والظفرُ به فتح عظيم . كتاب ارتحت لعيانه ، واهتزرت لعنوانه .
 كتاب هو من الكتب الميامين^(١) ، التي تأتي من قبل اليمين . كتاب عدده
 من حُجُولِ العُمَرِ وغرره^(٢) ، واعتدده من فُرُصِ العيشِ وغُرَرِه^(٣) .
 كتابٌ هو أنفُسُ طالع ، وأكْرَمُ متطلع ، وأحْسَنُ واقع ، وأجْلُ
 متوقع . كتابٌ لو قُرئ على الحِجَارَةِ لَانْفَجَرَتْ ، أو على الكِوَاكِبِ
 لانتَثَرَتْ . كتابٌ كَدَتْ أبلية طيًّا ونشراً ، وقبَلَتْهُ أَلْفَا ، وَيَدٌ حَامِلَةٌ
 عَشْرًا . كتابٌ نَسِيتُ لِحْسَنِهِ الرِّوْضَ وَالزَّهْرَ ، وَغَفَرْتُ لِلزَّمَانِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ
 ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ . كتابٌ أَمَلْتُهُ هِرَّةَ المَجْدِ عَلَى بَنَانِكَ ، وَنَطَقَ بِهِ لِسَانُ الفَضْلِ
 عَنِ لِسَانِكَ . أَنَا أَلْتَقِطُ مِنْ كُلِّ حَرْفٍ تَدْبِيرَهُ أَنَامُكُ مُخْفَةً ، وَأَخْذُ
 مِنْ كُلِّ سَطْرٍ تَتَجَشَّمُ تَخْطِيطَهُ نَزْهَةً . إِذَا قَرَأْتَ مِنْ خَطِّكَ حَرْفًا ، وَجَدْتُ
 عَلَى قَلْبِي خَفًّا^(٤) ، وَإِذَا تَأَمَّلْتَ مِنْ كَلَامِكَ لَفْظًا ، أَزْدَدْتُ مِنْ أُنْسِي حَظًّا .
 كتابٌ كَتَبَ لِي أَمَانًا مِنَ الزَّمَانِ ، وَتَوَقَّعْتُ وَقَعَ مِثْلِي مَوْقِعَ المَاءِ مِنَ
 العَطْشَانِ . كتابٌ هُوَ تَعَلَّةُ المَسَافِرِ^(٥) ، وَأُنْسَةُ المَسْتَوْحِشِ ، وَزِبْدَةُ الوَصَالِ ،
 وَعُقْلَةُ المَسْتُوفِزِ^(٦) . كتابٌ هُوَ رُقِيَّةُ القَلْبِ السَّلِيمِ^(٧) ، وَغَرَّةُ العَيْشِ البَهِيمِ^(٨) .
 كتابٌ هُوَ سَمَرٌ بِلَا سَهَرٍ ، وَصَقْوٌ بِلَا كَدَرٍ . كتابٌ تَمَتَّعْتُ مِنْهُ بِالنَّعِيمِ
 الأَبْيَضِ ، وَالعَيْشِ الأَخْضَرِ ، وَاسْتَلَمْتُهُ اسْتِلَامَ الحِجْرِ الأَسْوَدِ^(٩) ، وَوَكَلْتُ
 طَرْفِي مِنْ سَطُورِهِ بَوْشَى مُهَلَّلٍ ، وَتَاجَ مُكَلَّلٍ ، وَأَوْدَعْتُ سَمْعِي مِنْ مَحَاسِنِهِ

(١) الميامين: جمع ميمون (٢) الحجول: جمع حجل، وهو يبيض في القوائم تجمل به
 الخيول ، والغرر: جمع غرة، وهي يبيض في الجهة (٣) غرر: جمع غرة بكسر العين وهي
 الرزق ، وقد يحلو في الشباب (٤) الخف والخفة : الارتفاع (٥) تعلقة المسافر :
 ما يتلوه به لقطع الوقت (٦) المستوفز : المتهيء للوثوب (٧) السليم : الملدوغ
 (٨) البهيم : المظلم (٩) يريد أنه استلمه متيمنا باستلامه كما يتقرب الحاج إلى
 الله باستلام الحجر الأسود

ما أنساني سماع الأغاني من مطربات الغواني^(١) . نشأت سحابة من لفظك ،
غَيْمَهَا نِعْمَةٌ سَابِقَةٌ ، وَغَيْبُهَا حِكْمَةٌ بِاللِّغَةِ ، سَقَتْ رَوْضَةَ الْقَلْبِ ، وَقَدْ
جَهَدْتَهَا يَدُ الْجُدْبِ^(٢) ؛ فَاهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ ، وَكَتَسَتْ مَا كَتَسَتْ .
كتابُ حَسْبَتِهِ سَاقِطًا إِلَى مِنَ السَّمَاءِ ، اهْتِزَّازًا لِمَطْلَعِهِ ، رَابِتْهَا جَاءَ بِحَسَنِ
مَوْقِعِهِ ، تَنَاوَلْتُهُ كَمَا يُتَنَاوَلُ الْكِتَابُ الْمَرْقُومُ ، وَفَضَضْتُهُ كَمَا يُفَضُّ الرِّحِيقُ
الْمُخْتَمُ^(٣) . كِتَابٌ كَالْمَشْتَرَى شَرُفَ بِهِ الْمَسِيرَ ، وَقَمِيصٌ يَوْسَفَ جَاءَ بِهِ
الْبَشِيرَ . كِتَابٌ هُوَ مِنَ الْحَسَنِ ، رَوْضَةٌ حَزْنٌ ، بَلْ جَنَّةٌ عَدْنٌ ، وَفِي شَرْحِ
النَّفْسِ وَبَسْطِ الْأَنْسِ بَرْدُ الْأَكْبَادِ وَالْقُلُوبِ ، وَقَمِيصٌ يَوْسَفَ فِي أَجْفَانِ
يَعْقُوبَ . قَدْ أَهْدَيْتَ إِلَى مَحَاسِنِ الدُّنْيَا مَجْمُوعَةً فِي وَرْقِهِ ، وَمَبَاهِجِ الْحَلِيِّ وَالْحُلَلِ
مَحْصُورَةً فِي طَبَقِهِ . كِتَابٌ أَلْصَقْتُهُ بِالْقَلْبِ وَالسَّكْبِ ، وَشَمَمْتُهُ شَمَّ الْوَالِدِ .
وَرَدَّ مِنْكَ الْمِسْكُ ذِكْيَا ، وَالزَّهْرُ جَنْبِيًّا ، وَالْمَاءُ مَرِيًّا^(٤) ، وَالْعَيْشُ هَنِيًّا ،
وَالسَّحْرُ بَابِلِيًّا^(٥) كِتَابٌ مَطْلَعُهُ أَهْلَةُ الْأَعْيَادِ ، وَمَوْقِعُهُ مَوْقِعُ نَيْلِ الْمَرَادِ .
كِتَابٌ وَجَدْتَهُ قَصِيرَ الْعَمْرِ ، كَلِيَالِي الْوِصَالِ بَعْدَ الْمَجْزُ ، لَمْ أَبْدَأْ بِهِ حَتَّى
اسْتَكْمَلَ ، وَقَارَبَ الْآخِرَ مِنْهُ الْأَوَّلَ . كِتَابٌ مَمْتَقِضُ الْأَطْرَافِ ، مَمْتَقِطُ
الْأَكْتَاظِ ، أَبْتَرُّ الْجَوَارِحِ ، مَضْطَرِبُ الْجَوَائِحِ ، كِتَابٌ كَأَنَّهُ تَوْقِيعُ
مَتَحَرِّزٍ ، أَوْ تَعْرِيفُ مُتَبَرِّزٍ^(٦) ، كَادَ يَلْتَقِي طَرْفَاهُ ، وَيَتَقَارَبُ مُفْتَتِحُهُ
وَمُنْتَهَاهُ . كِتَابٌ التَّقَتْ طَرْفَاهُ صَغِيرًا ، وَاجْتَمَعَتْ حَاشِيَتَاهُ قِصْرًا . مَا أَظُنُّنِي

(١) الغواني : جمع غانية ، وأصلها المرأة التي استغنت بمجالها عن الزينة ، أو التي
استغنت ببيت أبيها عن الأزواج ، وأراد هنا القيان (م)
(٢) أجهدتها : أشقتها ، والجدب : القحل (٣) الرحيق المختوم : الحمر المعلقة التي لم
تفرض عن دنائها الأختام (٤) مري : هنيء . (٥) بابل : مدينه ينسب إليها السحر ،
وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم (م) (٦) متبرز : متعفف ؛ ورجل برز ،
وامرأة برزة : عفيف وعفيفة ؛ وكلاهما يسكون الراء

ابتدأته حتى ختمته ، ولا استفتحته حتى آتمته ، ولا لحنه حتى استوفيته ،
 ولا نشرته حتى طويته ، وأحسبني لو لم أجود ضبطه ، ولم ألزم يدي حفظه ،
 لطار حتى يختلط بالجو ، فلا أرى منه إلا هباءً منثوراً ، وهواءً منشوراً .
 كتاب حسبه يطير من يدي لحنته ، ويلطف عن حسي لقلته ، وعجبت
 كيف لم تحمله الرياح قبل وصوله إلي ، وكيف لم يختلط بالهواء عند وصوله لذي .
 كتاب قص الاقتصار أحنثه ، فلم يدع له قوادم ولا خوائف ، وأخذ
 الاختصار حثته ، فلم يبق ألفاظاً ولا معاني . طلع كتابك كإيماء بطرف ،
 أو وحي بكف .

وقال أبو العباس عيد الله بن المعتز : استعرت من علي بن يحيى النجم جزءاً فيه
 أخبار معبد بخط حماد بن إسحاق الموصلي ، وكان وعدني به ، فبعث إلى بست
 ورفات لطاف ، فردتها وكتبت إليه : « إن كنت أردت بقولك جزءاً الجزء
 الذي لا يتجزأ فقد أصبت ، وإن كنت أردت جزءاً فيه فائدة للقارىء ، ومثممة
 للسامع ، فقد أحلت^(١) ؛ وقد ردّته عليك بعد أن طار اللحظ
 عليه طيرة . »

فأجابني : إذا كان السفر عندك منجاةً فما أصنع^(٢) ؟

[المحادثة والمجالسة]

وقال أبو العباس : دخل رجل على الحسن بن سهل بعد أن تأخر عنه أياماً ،
 فقال : ما ينقضي يوم من عمري لأراك فيه إلا علمت أنه مبتور القدر ، منحوس
 الحظ ، مقبون الأيام .

فقال الحسن : هذا لأنك توصل إلى بحضورك سروراً لا أجده عند غيرك ،

(١) أحال : تسلم بالمحال (٢) المنجاة : ما يطهر به من ورق أو ماء .

وَأَتَلَسَّمْ مِنْ أَرْوَاحِ عِشْرَتِكَ مَا تَجِدُ الْحَوَاسِ بِهِ يُفِيئُهَا ، وَتَسْتَوِي مِنْهُ لَذَّتُهَا ،
فَنَفْسُكَ تَأَلَّفُ مِنِّي مِثْلَ مَا آلَفَهُ مِنْكَ .

وكان يقال : محادثة الرِّجال تَلْقِيحُ الألبابِ (١) .

وقال ابن الرومي :

وَلَقَدْ سَمِئْتُ مَبَارِييَ فَكَأَنَّ أَطْيَبَهَا خَيْثُ
إِلَّا الْحَدِيثَ ؛ فَإِنَّهُ مِثْلُ اسْمِهِ أَبَدًا حَدِيثُ

قال بخارق : لتيني أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم قبل نسكه ، فقال : أنا والله
صَبَّ بكَ ، وَلُوعَ إِلَيْكَ ، مَغْمُورُ الْقَلْبِ (٢) بِشُكْرِكَ ، وَاللِّسَانِ بِذِكْرِكَ ، مَتَشَوِّفٌ إِلَى
رُؤْيَيْتِكَ وَمَفَاوِضَتِكَ ، وَقَدْ طَالَتِ الْأَيَّامُ عَلَى مَا أُعِدُّ بِهِ نَفْسِي مِنَ الْاجْتِمَاعِ مَعَكَ ،
وَمِنْ قِضَاءِ الْوَطْرِ مِنْكَ ؛ فَمَا عِنْدَكَ ؟ أَنَا الْفِدَاءُ لَكَ ! وَتَزُورُنِي أَمْ أَزُورُكَ ؟

قلت : جعلني الله فداك ! ما يكونُ عند مَنْ هو مِنْكَ بهذا الموضع وفي هذا
الحلِّ إلا الاقْتِيادُ إِلَى أَمْرِكَ ، وَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لَكَ ، وَلَوْلَا أَنْ أَسَىءَ الْأَدَبَ فِي
أَمْرٍ بَدَأْتَ فِيهِ بِالْفَضْلِ لَقَلْتُ : إِنْ كَثِيرَ مَا ابْتَدَأْتَ بِهِ مِنَ الْقَوْلِ يَقْلُ فِي مَا عِنْدِي
مِنَ الشُّوقِ إِلَيْكَ ، وَالشَّغْفِ بِكَ ، دُونَ مَا حَرَّكَ هَذَا الْقَوْلُ مِنِّي ، فَوَجَبَتْ لَكَ بِهِ
الْمَنَّةُ عَلَيَّ ، وَأَنَا بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَأَنْتَ عِنَانِي إِلَى مَا أَرَدْتُ ، وَقَدْ نِي كَيْفَ شِئْتُ ،
تَجِدُنِي كَمَا قَالَ الْقَائِلُ :

مَا تَشْتَهِيهِ فَإِنِّي الْيَوْمَ فَاعِلُهُ وَالْقَلْبُ صَبَّ فَمَا جَسَّمْتَهُ جِسْمًا
وَذَكَرَ سَهْلُ بْنُ هَارُونَ رَجُلًا ، فَقَالَ : لَمْ أَرِ أَحْسَنَ مِنْهُ فَهْمًا جَلِيلًا ، وَلَا نَفْهًا دَقِيقًا
أَشَارَ إِلَيْهِ أَبُو تَمَامٍ فَقَالَ :

وَكَنتَ أَعَزَّ عِزًّا مِنْ قَنُوعٍ تَعَرَّضَهُ صَفُوحَ مِنْ مَعُولٍ
فَصرتَ أَذْلَ مِنْ مَعْنَى دَقِيقٍ بِهِ فَفَقِرُ إِلَى ذَهْنِ جَلِيلٍ (٣)

(١) التلقيح: ما تلقح به النخلة لشمر (٢) كذا . وأحسبه «معمور القلب» بعين

مبسطة (م) (٣) في ديوان أبي تمام (ص ٥٠٣) «به فقر إلى فهم جليل» (م)

أنى ولم ترها تهذى ! فقلت لهم : إن الفؤاد يرى مالا يرى البصر
وقال :

يزهدنى في حب عبدة معشره قلوبهم فيها مخالفة قلبي
فقلت : دعوا قلوبى وما اختار وارتنضى وما تبصر العينان في موضع الهوى
ولا تسمع الأذنان إلا من القلب

وقد قال أبو يعقوب الخريبي في هذا المعنى ، وكان قد أعور ثم عمى ، وقيل :
إنها للخليل بن أحمد :

قالت أمهزأ بي غداة لقيتها بالرجال لصبوة العميان
فأجبتها : نفسى فداؤك إنما أذى وعينى فى الهوى سيان

وقريب من هذا قول الحكم بن قنبر ، وإن لم يكن منه :

إن كنت لست معى فالذكر منك معى يرعاك قلبى وإن غيبت عن بصري
العين تبصر من تهوى وتفقدته وناظر القلب لا يخلو من النظر
وقال آخر :

أما والذي لو شاء لم يخلق الهوى لئن غيبت عن عيني فما غيبت عن قلبي
تريينيك عين الوهم حتى كأنى أنا جيك من قرب وإن لم تكن قربي (١)

وقال أبو عثمان سعيد بن الحسن الناجم :

لئن كان عن عيني أحمد غائباً فما هو عن عين الضمير بغائب
له صورة في القلب لم يقصها النوى ولم تتخطفها أ كف النوائب

(١) ومن هذا الباب قول أحمد بن يوسف :

تطاول باللقاء العهد منا وطول العهد يدح في
أراك وإن نأيت بعين قلبي كأنك نصب عينه
فهل لي في الرواح إلى حبيب يقر بعينه

وقال سعيد بن مسلم للآمون : لو لم أشكر الله تعالى إلا على حسن بين المؤمن وسعيد بن مسلم ما أبلاني من أمير المؤمنين من قصده إلى بحديثه ، وإشارته إلى بطرفه ؛ لقد كان في ذلك أعظم الرفعة ، وأرفع ما توجه به الحرمة . فقال : يفعل أمير المؤمنين ذلك ؛ لأن أمير المؤمنين يجد عندك من حسن الإفهام إذا حدثت وحسن الفهم إذا حدثت ما لا يجده عند أحد من مضي ، ولا يظن أنه يجده عند أحد ممن بقي ، فإنك لتستقصي حديثي ، وتقف عند مقاطع كلامي ، وتخبر بما كنت أغفلته منه .

وقال المتوكل لأبي العيناء : ما تحسن ؟ قال : أفهم وأفهم .
 وقال بعض الحكماء لتلميذه ، وقد ضرب الموسيقى : أفهمت ؟ قال : نعم ، قال : بل لم تفهم ؛ لأنني لا أرى عليك سرور الفهم ! وقد قيل : من نظر إلى الربيع وأنواره ، والروض وأصباغه ، ولم يبتهج كان عديم حس ، أو سقيم نفس .
 ومر أبو تمام بإبرشهر من أرض فارس ، فسمع جارية تغني بالفارسية ، أبو تمام يصف جارية تغني بالفارسية فشقّه شجى الصوت ، فقال :

ومُسَمِّعَةٌ تروقُ السمعَ حسنًا ولم تصمه ، لا يصمم صداها !
 لوت أوتارها فشجت وشاقت فلو يستطيع حاسدُها فدأها
 ولم أفهم معانيها ، ولكن ورت كبدى قلم أجهل شداها
 فكنت كأنني أعمى معني محبُّ الغانيات ولا يراها

قال أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر : قلت لأبي تمام : أخذت هذا المعنى من أحد ؟ قال : نعم ، أخذته من قول بشار بن برد :

يا قوم أذني لبعض الحى عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحياناً
 قالوا : بمن لا ترى تهذي ؟ فقلت لهم : الأذن كالعين توفى القلب ما كانا
 وقال بشار أيضاً في هذا المعنى :
 قالت عقيل بن كعب إذ تعلقها قلبي فأضحى به من حبها أثر :
 (١١ - زهر الآداب ١)

أبو تمام يذكر أنه أخذ المعنى من بشار

إذا ساءنى منه شُحوطُ مزاره وضائق بقلبي في نَوَاهِ مَذَاهِبِي (١)

عظفتُ على شَخِصٍ له غير نازِحٍ مَحَلَّتُهُ بَيْنَ الْحَشَا وَالْقَرَّابِ (٢)

وذَكَرَ أَبُو عِيْدَةَ كَيْسَانَ مُسْتَمْلِيَةً فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ، فَقَالَ : مَا فَهَمَ ، وَلَوْ كَيْسَانَ مُسْتَمْلِيَةً
فَهَمَ لَوْ هَمَّ (٣) . وَكَانَ كَيْسَانُ يُوصَفُ بِالْبَلَادَةِ وَالْفِغْلَةِ .

قال الجاحظ : كان يكتبُ غيرَ ما يسمع ، ويستقنى غيرَ ما يكتب ،
ويقرأ غيرَ ما يستقنى (٤) ، ويُعَمَلِي غيرَ ما يقرأ ، أَمَلَيْتَ عَلَيْهِ يَوْمًا :

عَجِبْتُ لِمُعْشِرِ عَدَلُوا بِمُعْتَمِرِ أَبِي عَمْرٍ

فَكَتَبَ أَبِي بَشْرٍ ، وَقَرَأَ أَبِي حَفْصٍ ، وَاسْتَقْنَى أَبِي زَيْدٍ .

قال أبو عباد : للمحدث على جلسيه ، السامع لحديثه ، أن يَجْمَعَ له باله ،
ويُضْعِي إلى حديثه ، ويكتم عليه سره ، وينسط له عذره .

وقال : ينبغى للمحدث إذا أنكر عين السامع أن يستفهمه عن معنى حديثه ، فإن
وجد قد أخلص له الاستماع أتم له الحديث ، وإن كان لاهياً عنه حرمة حُسنِ
الإقبال عليه ، ونفع المؤانسة له ، وعرفه بسوء الاستماع والتقصير في حق المحدث .
وقال : نشأطُ المحدث على قَدْرِ فهم المستمع .

وكان عبد الله بن مسعود (٥) - رضي الله عنه ! - يقول : حدثت الناس ما حدَّ جُوكُ
بأسماعهم (٦) ، ولحظوك بأبصارهم ، فإذا رأيت منهم فتوراً فأمسك .

وقال أبو الفتح البستي :

إذا أَحْسَسْتَ فِي لَفْظِي فَتُورًا وَحَفْظِي وَالْبَلَاغَةَ وَالْبَيَانَ

(١) الشحوط : البعد (٢) النازح : البعيد (٣) وهم : غلط (٤) استقنى : سود

(٥) صحابي جليل ، كان من السابقين إلى الاسلام ، وكان أول من جهر بقراءة القرآن في مكة . وتولى بعد وفاة الرسول بيت مال الكوفة ، كان رضي الله عنه يكثر من التطيب . وكان من المتفوقين في رواية الحديث ، توفي سنة ٣٢

(٦) حدجوك بأسماعهم : وجهوها نحوك

فلا ترتب بفهمي إن رقصي على مقدار إيقاع الزمان

وقال عامر بن عبد قيس : الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب ،
وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الأذان .

وقال الحسن — وقد سمع متكلمًا يعظُّ فلم تقع مؤعظته من قلبه ولم يرق لها — : يا هذا ؛ إن بقلبك لشرًّا ، أو بقلبي !

وقال محمد بن صبيح المعروف بابن اسماك لجاريته : كيف ترين ما أعظُّ
الناس به ؟ قالت : هو حسن ، إلا أنك تكرره ، قال : إنما كرره ليفهمه من
لم يكن فهمه ، قالت : إلى أن يفهمه البطيء يثقل على سمع الذكي .

واسمعيدي بن عباس حديثًا فقال : لولا أني أخاف أن أغص من بهائه ،
وأريق من مائه ، وأخلق من جدّة روائه ، لأعدته .

وقال أبو تمام الطائي يصف قصائده :

منزّهة عن السرّق المؤدى مكرّمة عن المعنى المعاد

أخذه البحترى فقال :

لا يعمل اللفظ المكّرر فيه واللفظ المرّدّد

والإطالة ممّولة كما يملّ التكرير .

وقد قال الحسن بن سهل : الآداب عشرة ؛ فتلاثة شهرجانية ، وثلاثة
أنوشروانية ، وثلاثة عربية ، وواحدة أرّبت عليهن ؛ فأما الشهرجانية فضرب العود ،
ولعب الشطرنج ، ولعب الصّوالج . وأما الأنوشروانية فالطب ، والهندسة ،
والقروسية . وأما العربية فالشعر ، والنسب ، وأيام الناس . وأما الواحدة التي
أرّبت عليهن : فمقطعات الحديث ، والسمر ، وما يتلقاه الناس بينهم في المجالس .

وكان يُقال : خذ من العلوم تنتفها ، ومن الآداب طرّفها .

وكان يُقال : مقطعات الأدب ، قرّاضات الذهب .

تكرار
الحديث

الآداب

لسمر وتنف
الأحاديث

وحضّر بشار بن بُرْدٍ مجلساً فقال : لا تجعلوا مجلسنا غناءً كَلَّةً ، ولا شعراً
كله ، ولا سمرّاً كله ، ولكن اتهبوه انتهباً يا .

وقال الحسن رحمه الله : حدثوا هذه القلوب فإمها سريعة الدثور ، وأقدعوا^(١)
هذه الأنفس فإنها طُلعة^(٢) ؛ وإنكم إلا تزعوها^(٣) تنزع بكم إلى شرّ غاية .
وقال أزدشير بن بابك : إن للأذهان كلالاً ، وللقلوب ملالاً ، ففرّقوا بين
الحكمتين يكن ذلك استجماماً .

ويروى في حكمة آل داود : لا ينبغي للعاقل أن يُخْلِ نفسه من أربع :
عُدّة لمعادِهِ ، وصلاح لمعاشِهِ ، وفكره يقفُ به على ما يُصْلِحُهُ من فسادِهِ ،
ولذة في غير مُحَرَّم يستعينُ بها على الحالات الثلاث .
وما أحسن ما قال أبو الفتح بن كشاجم^(٤) :

عَجِبِي مَن تَنَاهَتْ حَالُهُ	وكفاه الله ذِلَاتِ الطَلَبِ
كَيْفَ لَا يُقْسِمُ شَطْرِي عَمْرِهِ	بَيْنَ حَائِلَيْنِ نَعِيمٍ وَأَدَبٍ؟
سَاعَةٌ يُمْتِعُ فِيهَا نَفْسَهُ	مِنَ غِذَاءٍ وَشَرَابٍ مُنْتَخِبِ
وَدُونُوٍّ مِنْ دُمِّي هُنَّ لَهُ	حِينَ يَشْتاقُ إِلَى اللَّعْبِ لَعَبٌ ^(٥)
فَإِذَا مَا نَالَ مِنْ ذَا حَظِّهِ	فَحَدِيثٌ وَنَشِيدٌ وَكُتُبٌ
مَرَّةً جِدًّا ، وَأُخْرَى رَاحَةً	فَإِذَا مَا غَسَقَ اللَّيْلُ انْتَصَبَ
فَقَضَى الدُّنْيَا نَهَاراً حَقَّهَا	وَقَضَى اللَّهُ لَيْلاً مَا وَجَبَ

(١) من القدح ، بالقاف ، وهو ازجر . وفي الأصل (أفدعوا) بالقاف وهو تحريف

(٢) طلعة : كثير التطلع (٣) يزع - بالزاي العجمة - يزجر ، وفي الأصل (ترعوها) بالراء المهملة وهو تحريف - وفي نسخة «تقدعوها» وفي أخرى «تنزعوها» بزيادة نون بين حرف المضارعة والزاي ، وفي أخرى «الإلتطعوها» وهذه لا يصح العنى عليها (م)

(٤) هو محمود بن محمد ، الشاعر الكاتب ، التوفي سنة ٣٥٠ .

(٥) الدمى : جمع دمية ، وهي الصورة توضع في الحراب لتمثل الحور العين

تلك أقسام متى يعمل بها دهره بسعدو يرشدو ويصّب
 وقال أبو العباس محمد بن يزيد : قدّم كسرى أيامه فقال : يصلح يوم
 الريح للنوم ، ويوم الغسيم للصيد ، ويوم المطر للشرب واللّهو ، ويوم الشمس
 لقضاء الحوائج .

نظام كسرى
 في حياته

قال الحسن بن خالويه^(١) : ما كان أعرفهم بسياسة دنياهم ، يعلمون ظاهراً
 من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ، ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم قد
 جزأ نهاره ثلاثة أجزاء : جزء لله ، وجزء لأهله ، وجزء لنفسه ، ثم جزء جزأه
 بينه وبين الناس ؛ فكان يستعين بالخاصة على العامة ، وكان يقول : أبلغوني
 حاجة من لا يستطيع إبلاغي ؛ فإنه من أبلغ [ذا سلطان] حاجة من لا يستطيع
 إبلاغها آمنه الله تعالى يوم الفرع الأكبر .

رسول الله صلى
 الله عليه وسلم
 يجزئ نهاره
 على المصالح

[عود إلى الإطالة والإيجاز]

وقال شيب بن شيبه^(٢) : إن ابتليت بمقام لا بد لك فيه من الإطالة فقدّم
 إحكام البلوغ في طلب السلامة من الخطل ، قبل التقدم من إحكام البلوغ في

(١) هو الحسين « لا الحسن كما ورد في الأصل » ابن أحمد ، إمام اللغة والعربية في
 عصره ، طلب العلم في بغداد ، ثم سكن حلب واختص بسيف الدولة بن حمدان وأولاده ،
 وهناك انتشر علمه وروايته . وكانت وفاته سنة ٣٧٠ . قال السيوطي في بغية الوعاة :
 سألت سيف الدولة جماعة من العلماء بحضرته ذات ليلة : هل تعرفون اسماً ممدوداً
 وجمعه مقصوراً ؟ فقالوا : لا ، فقال لابن خالويه : ماتقول أنت ؟ فقال : أنا أعرف اسمين
 قال : فماها ؟ قال صحراء وصحاري ، وعذراء وعذارى . فلما كان بعد شهر من أصاب
 حرفين آخرين هما صلفاء وصلافي وهي الأرض العليظة ، وخبراء وخباري وهي أرض
 فيها ندوة ، ثم بعد عشرين سنة وجد حرفاً خامساً ، وهو سبتاء وسبائي وهي الأرض الحشنة
 (٢) كان شيب بن شيبه مشهوراً بالفصاحة والدهام ، وكان ينادم خلفاء بني أمية
 ويفزع إليه أهل بلده في حوائجهم ، توفي سنة ١٧٠

شَرَفِ التَّجْوِيدِ؛ ثُمَّ يَاكَ أَنْ تَعْدِلَ بِالسَّلَامَةِ شَيْئًا، فَقَلِيلٌ كَافٍ خَيْرٌ لَكَ مِنْ كَثِيرٍ غَيْرِ شَافٍ .

وكان جعفر بن يحيى يقول لكتابه: إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ يَكُونَ كَلَامُكُمْ كُلَّهُ مِثْلَ التَّوْقِيعِ فَافْعَلُوا .

وقال ثمامة بن أشرس: لَمْ أَرَ قَطُّ أَنْ نَطَقَ مِنْ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ، وَكَانَ صَاحِبَ إِيجَازٍ .

وكان أبو وائلة إياس بن معاوية - على تقدّمه في البلاغة، وفضل عقله وعلمه - بالإكثار معيباً، وإلى التطويل منسوباً، وقال له عبد الله بن شبرمة: أَنَا وَأَنْتَ لَا تَنْفَقُ، أَنْتَ لَا تَسْتَهِي أَنْ تَسْكُتَ، وَأَنَا لَا أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَ . وقيل له: مَا فِيكَ عَيْبٌ إِلَّا كَثْرَةُ كَلَامِكَ: قَالَ: أَفْتَسْمَعُونَ صَوَابًا أَمْ خَطَأً؟ قَالُوا: بَلْ صَوَابًا، قَالَ: فَالزِّيَادَةُ فِي الْخَيْرِ خَيْرٌ .

قال الجاحظ: وَلَيْسَ كَمَا قَالَ، بَلْ لِلْكَلامِ غَايَةٌ، وَلِنَشَاطِ السَّامِعِينَ نَهَايَةٌ، وَمَا فَضَّلَ عَنِ مَقْدَارِ الْإِحْتِمَالِ، وَدَعَا إِلَى الْإِسْتِقْطَالِ وَالْكَوْثَرِ؛ فَذَلِكَ هُوَ الْفِضَالُ^(١) وَالْهَذْرُ وَالنَّحْطُ وَالْإِسْمَهَابُ الَّذِي سَمِعْتُ الْخَطْبَاءَ يَعْينُونَهُ .

وذكر الأصمعي أن ابن هبيرة لما أراد إياساً على القضاء قال: إني والله لا أصلح له، قال: وكيف ذلك؟ قال: لأني دميم حديد، ولأني عبي، قال ابن هبيرة: أما الحدّة فإن السّوط يُقَوِّمُكَ؛ وأما العبيّ فقد عبّرت عما تريد؛ وأما الدّمامة فإني لا أريد أن أحاسن بك .

ولم يصفه أحد بالعبيّ، وإنما كان يُعَابُ بالإكثار، ولكنه أراد المدافعة عن نفسه والحديث ذو شجون^(٢) .

(١) الفضال، على وزن كتاب، المتبدل من قول أو غيره

(٢) شجون: ضروب

إياس بن
معاوية محتج
للاطناب

الجاحظ يرد
عليه

ابن هبيرة
يريد إياساً
على القضاء

أبو العيناء قال أبو العيناء ، ذُكِرْتُ لبعض القِيَانِ فعشقتني على السماع ، فلما رأته
وبعض القيان استقبحتني ، قلت :

وشاطرةٍ لما رأته تنكرتُ وقالت : قبيحٌ أخولٌ ماله جسمٌ
فإن تنكرى مني أخولاً لأفانتي أديبٌ أريبٌ لا عيٌّ ولا فدمٌ^(١)

[فاتصل بها الشعر ،] فكتبتُ إلى : إننا لم نرد أن نُؤلِّيك ديوانَ الزمام !

وكان عمرُ بن عبد العزيز رحمه الله تعالى كتب إلى عدى بن أرطاة^(٢) : إن

قبلك رجُلَيْنِ من مُزينة — يعني بكر بن عبد الله ، وإياس بن معاوية — فَوَلَّ
أحدهما قضاءَ البصرة ؛ فأحضرهما ، فقال بكر : والله ما أحسن القضاء ؛ فإن كنتُ
صادقاً فما تحلُّ توليتي ، وإن كنتُ كاذباً فذلك أوجبٌ لتركِي ، فقال إياس :
نكم وقفتموه على شفيرِ جهنم ، فافتدى منها بيمينٍ يكفرها ، ويستغفرُ الله تعالى
إنها ، فقال له عدى : أما إذ اهتديت لها فأنت أحقُّ بها ، فولاه .

وَدَخَلَ إِيَّاسُ الشَّامَ وَهُوَ غُلَامٌ صَغِيرٌ ، فَقَدَّمَ خَصَمًا لَهُ إِلَى بَعْضِ الْقَضَاةِ ،

وَكَانَ اتَّخَذَ شَيْخًا ، فَصَالَ عَلَيْهِ إِيَّاسٌ بِالْكَلَامِ ، فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي : حَفَّضَ عَلَيْكَ
فِيهِ شَيْخٌ كَبِيرٌ ، قَالَ : الْحَقُّ أَكْبَرُ مِنْهُ ، قَالَ : اسْكُتْ ! قَالَ : فَمَنْ يَنْطِقُ بِحُجَّتِي ؟
قَالَ : مَا أَرَاكَ تَقُولُ حَقًّا ، قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ! فَدَخَلَ الْقَاضِي عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ
فَأَخْبَرَهُ ؛ فَقَالَ : اقْضِ حَاجَتَهُ السَّاعَةَ وَأَخْرِجْهُ مِنَ الشَّامِ لَا يُفْسِدِ أَهْلَهَا^(٣) !

الحديث المألوف وقال أحمد بن الطيب السرخسي تلميذ يعقوب بن إسحاق الكندي^(٤) :

(١) القدم : العبي عن الكلام (٢) عدى بن أرطاة : أمير من أهل دمشق ، وولاه
عمر بن عبد العزيز على البصرة سنة ٩٩ فاستمر إلى أن قتله معاوية ابن يزيد سنة ١٠٣ .
(٣) وكانت وفاة إياس سنة ١٣٢ (٤) كان الكندي فيلسوف العرب في عصره ،
وأحد أبناء الملوك من كندة ، نشأ في البصرة ، وانتقل إلى بغداد ، وكان من أعرف
الناس بالطب والفلسفة والموسيقى والهندسة والفلك . وقد ترجم عدد من كتبه إلى
اللاتينية ، وكانت وفاته نحو سنة ٢٦٠

كنتُ يوماً عند العباس بن خالد ، وكان ممن حَبَّبَ اللهُ إليه أن يتحدَّثَ ، فأخذ يحدثني ، وينتقلُ من حديثٍ إلى حديثٍ ، وكنا في صَحْنٍ له ، فلما بلغتنا الشمس انتقلنا إلى موضعٍ آخر ، حتى صار الظلُّ قَيْئاً ؛ فلما أَكْثَرَ وَأَضْجَرَ ، ومِلَّتْ حُسْنَ الأَدبِ في حُسْنِ الاستماعِ ، وذكرْتُ قولَ الأوزاعي : إن حَسْنَ الاستماعِ قُوَّةٌ للمحدثِ ، قلتَ له : إذا كنتُ وأنا أسمعُ قد عَمِيتُ بما لا كُفَّةَ علىَّ فيه ، فكيف أراكِ وَأَنْتِ الملتكِمُ ؟ فقال : إنَّ الكلامَ يَحُلُُّ الفُضولَ اللُّزجةَ الغليظةَ التي تعرض في اللِّهَوَاتِ وَأَصْلُ اللسانِ ومَنابِتِ الأَسنانِ ، فوثبتُ وقلتُ : لا أراني معك اليوم إلا « إِيَارَجُ الفِيقِرا » ؛ فَأَنْتِ تَتَعَرَّ غَرُّبِي ! فاجتهد في أن أجلسَ فلم أَفْعَلْ .

قال أحمد بن الطيب : كنا مرَّةً عند بعض إخواننا ، فتكلَّم وأعجبه من نفسه البيان ، ومِنَّا حَسَنُ الاستماعِ ، حتى أَفْرَطَ ، فعرض لبعض مَنْ حَضَرَ مَلَلٌ ، فقال : إذا بارك اللهُ في الشيء لم يَقْنِ ، وقد جعل اللهُ تعالى في حديثِ أَخينا البركة ! .

ولعبد الله بن سالم الخياط في رجل كثير الكلام :

لى صاحبٌ في حديثه البركة يزيدُ عند السكونِ والخُرُوكه

لو قال لآ في قليلٍ أحرُفِها لردَّها بالحروفِ مُسْتَبِكه

ومن طرائف التطويل ما أنشأه البديع ، وسيمرّ من كلامه ما هو آتق من

زَهْرُ الرِّيع .

[الملاح]

قال الأصمعي : بالعلم وصلنا ، وبالملح نلنا ، وقال الأصمعي أيضاً : أنشدت

محمد بن عمران قاضي المدينة ، وكان أعقلَ مَنْ رأيتُهُ :

يأبها السائلُ عن مَنزِلِي نزلتُ في الخانِ على نَفْسِي

يغدو على الخُبْزِ من خبزٍ لا يقبل - الرهن ولا يُنسى^(١)
 آكلٌ من كَيْسِي ومن كِسْرَتِي حتى لقد أوجعني خِرْسِي
 فقال : اكتب لي هذه الآيات ، فقلت : أصلحك الله ! هذا لا يُشبهُ مثلك ،
 وإنما يروى مثل هذا الأحداث ، فقال : اكتبها فالأشراف تُعْجِبُهُم المَلْح .
 وقد قال أبو الدرداء رحمه الله تعالى : إني لأستجِمُّ نَفْسِي ببعض الباطل ،
 ليكون أقوى لها على الحق .

[وقال ابن مسعود رحمه الله : القلوب تمل كما تمل الأبدان ، فاطلبوا لها
 طرائف الحكمة] .

وقال ابن الماجشون : لقد كنّا بالمدينة وإن الرجل ليحدثني بالحديث من
 الفقه فيمليه عليّ ، ويذكر الخبر من المَلْح فأستعيده فلا يفعل ، ويقول : لأعطيك
 مَلْحِي ، وأهْبِك ظَرْفِي وأدبِي .

وقال ابن الماجشون : إني لأسمع بالكلمة المَلِيحَة ومالي إلا قميصٌ واحد ؛
 فأدفعه إلى صاحبها ، وأستكسب الله عزّ وجلّ .

وقال الزبير بن بكار^(٢) : روى الغاضريّ يُنْازِعُ أشعْبَ الطمع عند بعض
 الوُلاة ، ويقول : أصلح الله الأمير ! إن هذا يدخُلُ عليّ في صناعتي ، ويطلبُ
 مشاركتي في بضاعتي ، وهيأته حياة قاضي ، والأمير يضحك ، وكانا جميعاً فرسِي
 رهان ورضيعي لبان في بيّانهما ؛ إلا أن الغاضريّ [كان] لا يتخلّق بالطمع
 تخلّق أشعْب .

بعض ملح
 الغاضري

وأتى الغاضريّ يوماً الحسن بن زيد فقال : جُعتُ فِدَاكَ ! إني عصيت الله
 ورسوله ، قال : بئس ما صنعت ! وكيف ذلك ؟ قال : لأن رسول الله صلى الله

(١) ينسى : ينسى ، من النسيئة وهي التأخير .

(٢) كان الزبير بن بكار عالماً بالأنساب وأخبار العرب ، وهو من أحفاد الزبير

ابن العوام ، ولد في المدينة ، وتولى قضاء مكة فتوفى فيها سنة ٢٥٦

عليه وسلم قال : لا يُفْلِحُ قومٌ ولوَّأ أمرتهم امرأة ، وأنا أطعتُ امرأتى ، فاشتريتُ غلاماً فهرب .

قال الحسن : فاختر واحدةً من ثلاث : إن شئتَ فتمنُ الغلام ، قال : بأبي أنت ! قف عند هذه ولا تتجاوزها ! قال : أعرضُ عليك الخصلتين ، قال : لا ، حسبي هذه .

وقد روى نحو هذا عن أشعب ، أنه قال له بعضُ إخوانه : لو صرتَ إلى العشيَّة تنفرج ؟ قال : أخاف أن يجيء ثقيل ، قلت : ليس معنا ثالث ، فضى معي ، فمأ صلينا الظهر ودعوتُ بالطعام ، فإذا بدأ يقَّ يدقُّ الباب ، قال : ترى أن قد صرنا إلى مانكره ، قلت له : إنه صديق ، وفيه عشرُ خصال إن كرهتَ واحدةً منهن لم آذن له ، قال : هات ، قلت : أولها أنه لا يأكل ولا يشرب ، فقال : التسعُ لك ! قل له يدخل !

ورأى سفيان الثوري^(١) الغاضري وهو يضحكُ الناس ؛ فقال : يا شيخُ أو ما علمت أن الله يوماً يحسُرُ فيه المُبطلون ؟ فوجمَّ الغاضري ، وما زال ذاك يُعرَفُ فيه حتى لقي الله عزَّ وجلَّ .

وأشعب الطَّمع هو أشعب بن جبَّير ، مولى عبد الله بن الزبير ، وكان أحملي أشعب المشهور بالطمع الناس ، قال الزبير بن أبي بكر : كان أهلُ المدينة يقولون : تغَيَّرَ كلُّ شيءٍ إلا مُلحَ أشعب ، وخُبزُ أبي العيث ، ومشيَّةُ برة^(٢) ؛ وكان أبو العيث يعالج الخُبزَ بالمدينة ، وبرَّة بنت سعيد بن الأسود كانت من أجملِ النساء وأحسنهنَّ مشيَّةً ، وأشعب يضربُ به المثلُ في الطَّمع ، وكان أشعبُ قد نشأ في حجرِ عائشة

(١) ولدسفيان الثوري في الكوفة سنة ٩٧هـ ، ونشأ نشأة أهل التقى والدين المولعين برواية الحديث ، وكانت وفاته بالبصرة سنة ١٦١هـ .

(٢) انظر جمال المشية وما قيل في ذلك من الشعر الجميل في كتاب (أفنان الجمال)

بت عثمان - رحمة الله! - مع أبي الزناد^(١)، قال أشعب: فلم يزالوا يعلموا وأنحط حتى بلغنا الغاية.

وقال أشعب: أسلمتني أمي إلى بزاز، فسألتني بعد سنة، أين بلغت؟ فقلت: في نصف العمل، قالت: وكيف؟ قلت: تعلمت النشْرَ وبقِي الطَيِّ، قالت: أنت لا تفلح.

وسأله صديقه له خاتماً، فقالت: أذكرك به، قال: اذكري أنك سألتني ومنعتك!

وقيل له: كم كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر؟ قال: ثلاثمائة عشر درهما! ثم تنسك في آخر عمره، وغزاً ومات على خير، رحمه الله تعالى!

وقيل لأشعب: أرايت أطمع منك؟ قال: نعم، كلبه آل فلان، رأيت رجلين يَمْضُغانِ عَلْكَا^(٢)، فتبعتهما فرسخين نظراً أيهما يأكلان شيئاً.

وأهدى رجلٌ من ولد عامر بن لؤي إلى إسماعيل الأعرج قالودجة وأشعب حاضر، فقال: كل يا أشعب، فأكل منها؛ فقال: كيف تراها؟ فقال: عليه الطلاق إن لم تكن عمّلت قبل أن يوحى ربك إلى النحل! أي: ليس فيها حلاوة^(٣).

وروى أبو هفان قال: دخل أبو نؤاس الحسن بن هانيء على يحيى بن خالد فقال له: أنشدني بعض ما قلت، فأنشده:

ظرف

أبي نؤاس

وسرعة بديهته

إني أنا الرجلُ الحكيمُ بطبعه ويُرِيدُ في علمي حِكَايَةَ مَنْ حَكَمِي
أَتَتَّبِعُ الظَّرْفَاءُ أكتبُ عنهم كما أحدثت من أحب فيضحكا

(١) أبو الزناد هو: عبد الله بن ذكوان القرشي المدني، كان من كبار الحديثين، وكان كثير الأتباع من طلاب الفقه والشعر والعربية، توفي فجأة بالمدينة سنة ١٣١
(٢) العاك: اللبان (٣) وكانت وفاة أشعب بالمدينة سنة ١٥٤

فقال له يحيى [بن خالد] : إن [أول] زَنَدِكَ لِيُورِي بِأَوَّلِ قَدْحَةٍ ، فقال
ارتجالاً في معنى قول يحيى :

أما وزندُ أبي عليّ إنه زَنَدُ إِذَا اسْتَوْرَيْتَ سَهْلَ قَدْحَكَ
إنّ الإلهَ لِعِلمِهِ بعباده قدصاعَ جَدِّكَ للسَّحَابِ وَمَنَحَكَ
تَأبَى الصَّنَائِعَ هِمَّتِي وَقَرِيحَتِي من أهلها وتَعَافُ إِلَّا مَدْحَكَ

ووصف أبو عبد الله الجواز أبا نواس فقال : كان أظرفَ النَّاسِ منقطعاً ،
وأغزَرهم أديباً ، وأقدَرهم على الكلام ، وأسرعهم جواباً ، وأكثَرهم حياةً ،
وكان أبيضَ اللونِ ، جميلَ الوجهِ ، مليحَ النعمة والإشارة ، ملتفَ الأعضاءِ ،
بين الطويلِ والقصيرِ ، مسنونَ الوجهِ^(١) ، قائمَ الأنفِ ، حسنَ العينينِ والمضحك^(٢) ،
حُلُوَ الصُّورَةِ ، لطيفَ الكفِّ والأطرافِ ؛ وكان فصيحَ اللسانِ ، جيِّدَ البيانِ ،
عذبَ الألفاظِ ، حُلُوَ الشِّمَائِلِ ، كثيرَ النوادرِ ، وأعلمَ الناسِ كيف تكلمت
العربُ ، رَأويةً للأشعارِ ، علامةً بالأخبارِ ، كأن كلامه شعرٌ موزون .

وأقبل أبو شراعة العبسي ، والجَمَّازُ في حديثه ، وكان أقبحَ الناسِ وجهاً ،
وكانت يدُ أبي شراعة كأنها كَرَبَةٌ نَحْلٍ^(٣) ؛ فقال الجواز : فلو كانت أطرافه على
أبي شراعة لَمَّ حُسْنُهُ ؛ ففضِّب أبو شراعه وانصرفَ يَشْتُمُهُ .

والجواز هو : أبو عبد الله محمد بن عمرو بن حماد بن عطاء بن ياسر ، وكانوا ترجمة الجواز
يَرَعَمونَ أَنهم من حَمِيرٍ ، نالَهُمُ سِيَاءٌ في خِلافةِ أبي بكرٍ ، رضى الله عنه ،
وهم مَوَالِيهِ ، وسَلِمَ الخاسرُ عمه^(٤) ، وكان الجواز من أحلى الناسِ حكايةً ،
وأكثرهم نادرة .

قال بعضُ جلساءِ المتوكل : كنا نكثرُ عند المتوكل ذِكْرَ الجواز حتى

(١) مسنون : مخروط (٢) المضحك : القم (م) (٣) الكربة — بالتحريك — أصل
السفة (م) (٤) سلم الخاسر هو : سلم بن عمرو بن حماد التوفي سنة ١٨٦ ، كان
شاعراً ماجناً خليعاً . وسى الخاسر لأنه باع مصحفاً واشترى بئمه طنبوراً .

اشتاقيه ، فكتب في حمله إليه ، فلما دخل أفحيم ، فقال له المتوكل : تكلمم
 فإني أريد أن أستبرئك ، فقال : بَحِيضَةٌ أَوْ بَحِيضَتَيْنِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فقال
 له الفتح ^(١) : قد كلمتُ أمير المؤمنين يُؤَلِّيكَ على القرود والكلاب ! قال :
 أفلستَ سامعاً مطيعاً ؟ فضحك المتوكل وأمر له بعشرة آلاف درهم
 وكان لا يدخلُ بيته أكثر من ثلاثة لضيقة ؛ فدعا ثلاثة ، أُلجأه ستة ،
 وقرعوا الباب ، ووقفوا على رجلٍ رجلٍ فعدَّ أرجلهم من خلفِ الباب ؛ فلما
 حصلوا عنده ، قال : اخرجوا عني ، فإنما دعوتُ ناساً ولم أدعُ كراكي .

وقال الطائي في عمرو بن طوق التغلبي :

لأبي تمام يمدح
 عمرو بن طوق

الجُدُّ شيمته ، وفيه فكاهاةٌ سجحٌ ولا جدَّ لمن لم يناعب ^(٢)
 شرسٌ ، ويتبع ذاك لين خليقةٍ لا خيرَ في الصَّهباءِ ما لم تقطب ^(٣)
 وقال في الحسن بن وهب :

وله يمدح
 الحسن بن
 وهب

لله أيامٌ خطبنا ليتها في ظلِّه بالخندريس السلسل ^(٤)
 بدمامة نغم السماع خفيها لا خيرَ في المعلولِ غيرِ معلل ^(٥)
 يفشى عليها وهو يحلو مُقلتي باز ، ويفغل وهو غيرُ مُغفل
 لا طائشٌ تهفو خلائقه ، ولا خشنُ الوقارِ كأنه في محفل
 فكةٌ يجمُّ الجدُّ أحياناً ، وقد ينضى ويهزل عيشٌ من لم يهزل
 وقال فيه :

ولقد رأيتك والكلامُ لآلي : تومٌ فبكرٌ في النظامِ وثيب ^(٦)
 وكان قساً في عكاظٍ يخطبُ وابن المقفعِ في اليتيمةِ يُسهب ^(٧)

(١) الفتح : هو الفتح بن خاقان ، وزير المتوكل ونديعه ، وقتل معه في ليلة
 واحدة (م) (٢) سجح : سهل ، وفي الديوان (ص ١٣) « سجح » بالميم (م)
 (٣) تقطب : تمزج (٤) الخندريس : الجمر (٥) المعلول : الذي يشرب العلل
 بفتحين ، وهو الشرب الثاني ، بخلاف النهل فهو الشرب الأول
 (٦) توم : أشباه الدر (٧) اليتيمة : اسم كتاب لابن المقفع

وَكَانَ تَيْلَى الْأَخِيلِيَّةِ تَنْدُبُ
يَكْسُو الْوَقَارَ وَيَسْتَخْفُ مَوْقِرًا
وَقَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبَسْتِيُّ :

لأبي الفتح
البيستى

أَفِذْ طَبَعَكَ الْمَكْدُودَ بِالْهَمِّ رَاحَةً
وَلَكِنْ إِذَا أَعْطَيْتَهُ الْمَرْحَ فَلْيَكُنْ
بِرَاحٍ ، وَعَلَلَهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَرْحِ
بِمَقْدَارِ مَا نُعْطِي الطَّعَامَ مِنَ الْمَلْحِ

الكلام في المزاح

[المزاح]

وما زال الأشراف يمزحون ، ويسمحون بما لا يقدر في أديانهم ،
ولا يغيض من مروءاتهم .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : بعثت بالحنيفية السمحة .

وقال : إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً .

وقيل لسعيد بن المسيب^(١) : إن قوماً من أهل العراق لا يرون إنشاد الشعر
فقال : لقد نسكوا نسكاً أعجمياً .

وقيل لابن سيرين : إن قوماً يزعمون أن إنشاد الشعر ينقض الوضوء ، فأشدد :
لقد أصبحت عرسُ الفرزدق نائماً ولورضيت رشح أسنته لاستقرت^(٢)
وقام يصلى ! وقيل : بل أشدد :

أُنْبِثْتُ أَنْ عَجُوزًا جِثْتُ أُخْطِبُهَا
عُرُوبُهَا مِثْلُ شَهْرِ الصَّوْمِ فِي الطَّوْلِ

[النسيب]

وقيل لأبي السائب الخزومي : أترى أحداً لا يشتهى النسيب ؟ فقال : أما من
يؤمن بالله واليوم الآخر فلا .

(١) أحد الفقهاء السبعة بالمدينة : جمع بين الحديث والفقه والزهد ، وكان يعيش
من التجارة بالزيت ، وكان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب وأقضيته حتى سمي
راوية عمر ، وكانت وفاته سنة ٩٤

(٢) عرس الرجل — بكسر العين وسكون الراء — زوجه (م)

لعروة بن أذينة وروى مصعب بن عبد الله الزبيرى^(١) عن عروة بن عبيد الله بن عروة الزبيرى
قال: كان عرووة بن أذينة^(٢) نازلاً في دار أبي بالعقيق، فسمعتُه يُنشدُ لنفسه:

إِنَّ الَّتِي زَعَمْتَ فؤادك ملها خُلِقَتْ هَوَاكِ كَمَا خُلِقَتْ هَوَى لها
فِيكَ الَّتِي زَعَمْتَ بها، وَكَلَّا كَأَ أَبْدَى لِصَاحِبِهِ الصَّبَابَةَ كُلَّهَا
وَلَعَمْرُهَا لو كان حُبُّكَ فَوْقَهَا يَوْمًا وَقَدْ ضَحَّيْتَ إِذْنَ لِأَظْلَمِهَا^(٣)
فَإِذَا وَجَدْتَ لها وَسَاوِسَ سَلْوَةٍ شَفَعِ الضَّمِيرُ إِلَى الفؤادِ فَسَلَّهَا
بِإِضَاءِ بَا كَرَهَا النِّعِيمُ فَصَاغَهَا بِلِبَاقَةٍ فَأَدَقَّهَا وَأَجْلَمَهَا^(٤)
لَمَّا عَرَضْتُ مُسَلِّمًا ، لِي حَاجَةٌ أَخْشَى صُعُوبَتَهَا ، وَأَرْجُو ذُلَّهَا^(٥)
مَنْعَتْ تَحِيَّتَهَا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي : مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقْلَمَهَا
فَدَنَا وَقَالَ : لَعَلَّهَا مَعْدُورَةٌ فِي بَعْضِ رِقَبَتِهَا ، فَقُلْتُ : لَعَلَّهَا^(٦)

قال: فأتاني أبو السائب المخزومي فقلت له بعد الترحيب به: ألك حاجة.

(١) رواية أديب محدث ، وهو عم الزبير بن أبي بكر ، وكان شاعرا ، وكان أبوه عبد الله بن مصعب من أشرار الناس ، وكانت وفاة مصعب بن عبد الله في ٢ شوال سنة ٢٣٣ ، وفي الطبعة الثالثة من كتاب «حب ابن أبي ربيعة وشعره» بحث مفصل عن طريقة مصعب بن عبد الله في النقد ، ورأى الدكتور طه حسين فيه ، فليرجع إليه القارئ إن شاء (٢) هو عمرو بن يحيى المتوفى سنة ١٣٠ ، كان شاعرا غزلا ، فضلا عن تقدمه في الفقه والحديث ، وهو القائل :

لا أركب الأمر تزرى بي عواقبه ولا يعاب به عرضي ولاديني
كم من فقير غنى النفس تعرفه ومن غنى فقير النفس مسكين
(٣) ضحيت : تأذت من الشمس ، وفي الأغاني قبل هذا البيت :
وبيت بين جوانحي حب لها لو كان تحت فراشها لأقلها
(٤) أدقها وأجلها : أدق المواضع التي يجب أن تكون دقيقة ، وأجل المواطن التي يجب أن تكون جليلة ، فهي مثلا دقيقة الحصر ، وثيرة الردف .
(٥) ذلها : أراد سهولة قضائها وتذليلها (م)
(٦) رقبته — بكسر الراء وسكون القاف — هنا الحذر والخوف (م)

فقال : نعم أبياتٌ لعروة بلغني أنك سمعته يُنشدُها ، فأنشدته الأبيات ، فلما بلغت قوله :

* فدنا وقال لعلها معذورة ... البيت *

طرب ، وقال : هذا والله الدائمُ الصَّباة ، الصادقُ العهدُ ، لا الذي يقول :

إن كان أهلك يمينونك رغبةً عني فأهلي بي أضنُّ وأرغبُ

لقد عدا هذا الأعرابي طوره ، واني لأرجو أن يغفر [الله] لصاحب هذه الأبيات لمحسن الظن بها ، وطلب العذر لها ؛ قال : فرضت عليه الطعام فقال : لا والله ما كنت لأخلط بهذه الأبيات طعاماً حتى الليل ، وانصرف .

وكان أبو السائب غزير الأدب ، كثير الطرب ، وله فكاهاتٌ مذكورة ، وأخبارٌ مشهورة ، وكان جدُّه يكنى أبا السائب أيضاً ، وكان خليطاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكره قال : نعم الخليل كان أبو السائب ! لا يسارى ولا يمارى ^(١)

واسمُ أبي السائب عبدُ الله ، وكان أشرفُ أهل المدينة يستظرفونه ويقدمونه لشرفِ منصبه ، وحلاوة ظرفه .

وكان عروة بن أذينة - على زهده ، وورعه ، وكثرة علمه وفهمه - رقيق الغزل كثيره ، وهو القائل :

إذا وجدت أوار الحب في كيدي أقبلت نحو سقاء القوم أبردُ

هبنى بردتُ ببرد الماء ظاهرهُ فَمَنْ لِنَارِ عَلَى الْأَحْشَاءِ تَتَقَدُّ؟

وقد روى هذان البيتان لغيره

(١) المشارة والمارة : العنف في المجادلة

ومرّت به سكينه بنت الحسين بن علي بن أبي طالب - رضی الله عنهم! -
فقلت له : أنت الذي تزعم أنك غير عاشق ، وأنت تقول (١) :

قالت وأبثثتها سري فبجحت به قد كنت عندي تحب الستر فاستتر
ألسنت تبصر من حوئي؟ فقلت له : غطى هواك وما ألقى على بصري
والله ما خرج هذا من قلب سليم ذم .

وروى الزبير عن رجل لم يسمه ، قال : قال لي أبو السائب : أنشدني
للأحوص (٢) فأشدهته :

قالت - وقلت : تخرجني وصلي
صاحب إذن بعلي؟ فقلت لها :
شيئان لا أدنو لوصلهما
أما الخليل فليست فاجعه
عوجا كذا نذكر لغاية
ونقل لها : فيم الصدود ولم
إن تقبلي تقبل ونزلكم
أو تهجري تكدر معيشتنا
فقال : هذا والله الحب حقاً ، لا الذي يقول :
وكنت إذا حبيب رام هجري
حبل امرئ بوصولكم صب - :
القدر شيء ليس من ضربى (٣)
عرس الخليل وجارة الجنب
والجار أوصاني به ربى
بعض الحديث مطيكم صجبي (٤)
نذنب ، بل أنت بدأت بالنذب؟
منا بدار السهل والرطب
وتصدعي متالأم الشعب

للأحوص
في الغزل

(١) عبارة الأغاني « أنت الذي تزعم أنك مروءة وأن غزلك من وراء عفة وأنتك
تقى؟ قال : نعم ، قالت : أفأنت الذي تقول ، إلخ » (٢) الأحوص هو : عبدالله بن
محمد الأنصاري ، شاعر هجاء رقيق النسيب ، كان معاصراً لجرير والفرزدق ، وهو من
سكان المدينة ، ونفاه الوليد بن عبد الملك إلى اليمن ، ولقب بالأحوص لضيق في مؤخر
عينيه ، وله أخبار كثيرة بين الجند والمخجون ، وكانت وفاته سنة ١٠٥ . (٣) ليس من
ضربى : ليس من طبعي وخلقى (٤) عوجا معطيكم : قفا مطيكم أو ميلوا بها

ثم قال : اذْهَبْ ، فلا صَحَبِكَ اللهُ ، ولا وَسَّعَ عَلَيْكَ ^(١) !

وخرج أبو حازم يوماً يَرْمِي الجمار ، فإذا هو بامرأة حَاسِرٍ ^(٢) قد فَتَنَتْ ظرف أهل الحجاز ورقمهم الناسَ بِحُسْنِ وجهها ، وألْمَتْهُمُ بِجمالها ، فقال لها : يا هذه ، إنك بِمَشْعَرٍ حَرَامٍ ، وقد فَتَنَتْ الناسَ وَشَفَلْتِهِمُ عن مَناسِكِهِم ، فاتقِ اللهُ واستتري ؛ فإنَّ اللهُ عز وجل يقول في كتابه العزيز : (وَلْيُضْرِبَنَّ بِخُمْرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) ؛ فقالت : إني من اللاتي قيل فيهن :

أماطت كساءً أنظر عن حُرِّ وجهها وأرخت على المتنين بُرداً مهلهلاً
من اللاء لم يحجبن يَبغين حِسبةً ولكن ليقتلن البريء المَغفلاً ^(٣)

الشعر للحارث بن خالد الحزومي . فقال أبو حازم لأصحابه : تعالوا ندعُ اللهُ لهذه الصورة الحسنة ألاَّ يعذبها اللهُ تعالى بالنار ! فجعل أبو حازم يدعُو وأصحابه يُؤْمِنُونَ ، فبلغ ذلك الشعبي ، فقال : ما أرقكم بأهل الحجاز وأظرفكم ! أما والله لو كان من قرى العراق لقال اعزبي عليك لعنة الله !

وكان أبو حازم من فضلاء التابعين ، وله مقامات جميلة من الملوك ، وكلامٌ محفوظ يدلُّ على فضله وعقله ، وهو القائل : كل عمل تَكَرَّرَهُ من أجله الموتُ فاتركه ، ولا يضرك متى متَّ . وكان يقول : ما أحببت أن يكون معك غداً قدَّمه اليوم . وكان يقول : إنما بيني وبين الملوك يوم واحد ، أما أمس فلا يجدون لذته ، وأنا وإياهم من غدٍ على وَجَلٍ ؛ وإنما هو اليوم ، فما عسى أن يكون اليوم ؟ وقال أبو العتاهية :

لأبي العتاهية

حتى متى نحنُ في الأيام نحسُّها وإيمانحنُ فيها بين يومين
يومٌ تولى ، ويومٌ نحنُ نأمله لعله أجلبُ اليومين للحين ^(٤)

(١) الخطاب لقائل البيت الأخير (٢) امرأة حاسر وسافر : ليس على وجهها قناع
(٣) المغفل : الطيب القلب (٤) الحين — فتح الحاء وسكون الياء — الهلاك

وروى الزبير بن أبي بكر قال : قدمت امرأة من هذيل المدينة ، وكانت جميلةً ، ومعها ابن لها صغير ، وهي أيم^(١) ، فخطبها الناسُ وأكثروا ، فقال فيها عبيدالله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود :

أَحَبُّكَ حَبًّا لَا يَجِبُكَ مِثْلُهُ قَرِيبٌ وَلَا فِي الْعَالَمِينَ بَعِيدٌ
أَحَبُّكَ حَبًّا لَوْ عَلِمْتَ بِنِعْضِهِ لَجَدْتِ وَلَا يَصْغُبُ عَلَيْكَ شَدِيدٌ
وَحَبُّكَ يَا أُمَّ الْعَلَاءِ مُتَمَيِّئِي شَهِيدِي أَبُو بَكْرٍ فَذَاكَ شَهِيدٌ
وَيَعْلَمُ وَجَدِي الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَعُرْوَةٌ مَا أَلْقَى بِكُمْ وَسَعِيدٌ
وَيَعْلَمُ مَا أَخْفَى سَلْيَانُ كُلَّهُ وَخَارِجَةٌ يَبْدِي لَنَا وَيَعِيدُ
مَتَى تَسْأَلِي عَمَّا أَقُولُ فَتَخْتَبِرِي فَلَحُوبٌ عِنْدِي طَارِفٌ وَتَلِيدُ

لعبيد الله
ابن عبد الله
ابن عتبة

فقال له سعيد بن المسيب : قد أمنت أن تسألنا ، ولو سألتنا ما شهدنا لك بزور . وكان عبيد الله أحدَ الفقهاء السبعة الذين انتهى إليهم علمُ المدينة ، وقد ذكروهم عبيدالله في هذه الأبيات ؛ وهم : أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ابن المغيرة الحزمي . والقاسم بن [محمد بن] أبي بكر الصديق ، وعروة بن الزبير ابن العوام ، وسعيد بن المسيب بن حزن ، وسليان بن يسار ، وخارجة بن زيد ابن ثابت الأنصاري .

فقهاء المدينة
السبعة

وقيل لعبيد الله : أتقول الشعر على شرفك ؟ فقال : لا بد للمصدر أن يَنْفُثَ^(٢) ؛ وعبيد الله هو القائل :

شَقَقْتُ الْقَلْبَ ثُمَّ ذَرَزْتُ فِيهِ هَوَاكَ فَلِيمٍ وَالتَّامُ الْفُطُورُ^(٣)
تَغْلَغَلَ حُبُّ عَثْمَةَ فِي فُؤَادِي فَبَادِيهِ مَعَ اتِّخَافِي يَسِيرُ
تَغْلَغَلَ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابُ وَلَا حَزْنٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سُرُورُ

لعبيد الله
السعودي أيضاً

(١) أيم : لزوج لها (٢) هذا مثل ، والمصدر : الريض صدره ، وأصل النفث . نقل الريق ، ويقال « هذه نفثة مصدر » أيضاً (م) .
(٣) ليم والتأم معناهما واحد ، والفظور : جمع فطر - بالفتح - وهو الصدع .

أشياء
لقول السعوى

أخذه سلم بن عمرو الخاسر فقال :
سقتني بعينها الهوى وسقيتها
وقال أبو نواس :

فَدَبَّ دَيْبَ الْخَمْرِ فِي كُلِّ مَقْصِلِ

لترداد اسمها فيها ألامُ
مَدَاخِلَ لَا تَغْلَقُهَا إِلَّا الدَّمَامُ (١)

أَحَبُّ اللُّومِ فِيهَا لَيْسَ إِلَّا
وَيَدْخُلُ حُبُّهَا فِي كُلِّ قَلْبٍ

ومنه قول المتنبي :

نَدِيمٌ ، وَلَا يُفِضِي إِلَيْهِ شَرَابُ

وَاللَّسْرُ مَنِّي مَوْضِعٌ لَا يَنَالُهُ

وقال بعض المحدثين :

حتى حلت بحيث حل شرابي (٢)
ما هكذا الأحباب للأحباب

مازلت تعويني وتطلب خلتي
ثم انصرفت بغير جريم كان لي

لأبي محمد
ابن أبي أمية

أخذ أبو نواس قوله : « أحب اللوم فيها » . . . البيت من قول [أبي محمد]

ابن أبي أمية :

رسول أمين ، والنساء شهود
وذكرك من بين الحديث أريد
كأني بطيء الفهم عنه بعيد

وحدثني عن مجلس كنت زينة
فقلت له رد الحديث الذي مضى
أناشده بالله إلا أعدته

وقول أبي نواس في البيت الأول كقوله :

لأبي نواس

فمزوجاً بتسمية الحبيب
عليك ، إذا فعلت ، من الذنوب
وإن ضنت بمخوس النصيب
بغير تكلف ثمر القلوب

إذا غاديتني بصبح لؤيم
فإني لا أعد اللوم فيها
ولا أنا إن عمدت أرى جنانا
مقنعة بتوب الحسن ترعى

وفي جنان هذه يقول أبو نواس :

(١) لا تغلقها اللدما : لا تغلق فيها . (٢) الحلة - بالضم - الصداقة والمحبة (م) .

يَا ذَا الَّذِي عَنْ جَنَانٍ ظَلَّ يُخْبِرُنَا
 قَالُوا اسْتَكْتَمْتَ وَقَالَتَ مَا ابْتَلَيْتَ بِهِ
 وَيَرْفَعُ الطَّرْفَ نَحْوِي إِنْ مَرَرْتُ بِهِ
 وَإِنْ وَقَفْتُ لَهُ كَمَا يُكَلِّمُنِي
 مَا زَالَ يَفْعَلُ بِي هَذَا وَيُدْمِنُهُ
 بِاللَّهِ قُلْ وَأَعِدُّ يَا طَيْبَ الْخَبِيرِ
 أَرَاهُ مِنْ حَيْثُ مَا أَقْبَلْتُ فِي أَثَرِي
 حَتَّى لِيخْجَلَنِي مِنْ شِدَّةِ انْتِظَارِ
 فِي الْمَوْضِعِ الْخَلْوِ لَمْ يَنْطِقْ مِنَ الْحَصْرِ (١)
 حَتَّى لَقَدْ صَارَ مِنْ هَمِّي وَمِنْ وَطَرِي (٢)

وفي جنان أيضاً يقول أبو نواس، وكان بها صبياً، ولها محبباً:

جَنَانٌ تَسْبِيءِي ذُكِرَتْ بِخَيْرِ
 وَأَنْ مَوَدَّقِي كَذِبٌ وَمَيِّنٌ
 وَلَيْسَ كَذَا، وَلَا رَدٌّ عَلَيْهَا،
 وَلِي قَلْبٌ يُنَازِعُنِي إِلَيْهَا
 رَأَتْ كَلْفِي بِهَا وَقَدِيمَ وَجْدِي
 وَتَزْعَمُ أَنَّي رَجُلٌ خَيْثُ
 وَأَنْيَ لَلَّذِي تَطْوِي بَشُوثُ (٣)
 وَلَكِنَّ اللَّوْلُ هُوَ التَّنَكُّوثُ
 وَشَوْقٌ بَيْنَ أَضْلَاعِي حَيْثُ
 فَمَلَّتْنِي، كَذَا كَانَ الْحَدِيثُ

[وكانت جنان مولاة لبعض الثقفين].

وفي معنى قول ابن أبي أمية يقول العباس بن الأحنف:

وَحَدَّثْتَنِي يَا سَعْدُ عَنْهَا فَرَدَّتْنِي
 وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ أَكْثَرَ النَّاسِ ظَرْفًا، وَأَكْثَرَهُمْ طَيْبًا، وَأَحْلَاهُمْ مَرَاجَا،
 وَأَشَدَّهُمْ اهْتِرَازًا لِلسَّمَاعِ، وَحَسَنَ أَدَبٍ عِنْدَ السَّمَاعِ. وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ:
 إِنْ لِي عِنْدَ السَّمَاعِ هِرَّةٌ لَوْ سُئِلْتُ عَنْهَا لَأَعْطَيْتُ، وَلَوْ قَاتَلَتْ لَأَبْلَيْتُ.

وروى أبو العينية قال: قال الأصمعي: مررت بدار الزبير بالبصرة، فإذا شيخ
 قديم من أهل المدينة من ولد الزبير يكنى أبا ربحانة جالس بالباب عليه شملة
 تسترُهُ، فسأته عليه، وجلستُ إليه؛ فبينما أنا كذلك إذ طلعت علينا سويداء

شيم
 أهل المدينة

طرب
 أبي ربحانة

(١) الحصر: العي (٢) الوطر: الحاجة

(٣) بثوث: كثير البث لسره والتحدث عنه.

تحمل قربة ، فلما نظر إليها لم يتألم أن قام إليها ، فقال لها : بالله غنى صوتاً .
فقلت : إن موالى أعجلونى ، فقال : لا بدّ من ذلك ، قالت : أما والقربة على
كتفى فلا ، قال : فأنا أحملها ، فأخذ القربة منها ، فاندفعت تُغنى :
فُوَادِي أَسِيرَ لَا يُفَكُّ ، وَمُهَجَّتِي تَقِيضُ ، وَأَحْزَانِي عَلَيْكَ تَطُولُ
وَلِي مُقَلَّةٌ قَرَحَى لَطُولَ اسْتِيَاقِهَا إِلَيْكَ ، وَأَجْفَانِي عَلَيْكَ مُهُوَلُ
فَدَيْتِكَ ، أَعْدَائِي كَثِيرٌ ، وَشَقِيٌّ بَعِيدٌ ، وَأَشْيَاعِي لَدَيْكَ قَلِيلٌ (١)

فطرب وصرخ صرخة ، وضرب بالقربة إلى الأرض فشققها ؛ فقامت الجارية
تبكي ، وقالت : ما هذا بجزأى منك ؛ أسعفتك بنجارتك فعرضتني لما أكره
من موالى . قال : لا लगنى فإن المصيبة على حصلت ، ونزع الشملة ووضع يداً
من خلف ويدياً من قدام ، وباع الشملة وابتاع لها قربة جديدة ، وقعد بتلك
الجال ؛ فاجتاز به رجل من ولد علي بن أبي طالب - رضى الله تعالى عنه ! - فعرف
حاله ، فقال : يا أبا ريحانة ! أحسبك من الذين قال الله تعالى فيهم : (فَأَرَبِحَتِ
تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) . قال : لا يا بن رسول الله ، ولكنى من الذين
قال الله تعالى فيهم : (فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ)
فضحك ، وأمر له بألف درهم .

ومرّ بالأوقص الحزوى ، وهو قاضى المدينة ، سكران [وهو] يتغنى بليل ،
فأشرف عليه ، وقال : يا هذا ، شربت حرّاما ، وأيقظت نياما ، وغتيت خطأ ؛
خذه عنى ، وأصلح له الغناء .

وسمع سعيد بن المسيب منشداً ينشد :

فلم تر عيني مثل سرب رأيتهُ خرجن من التتيم مُعْتَمِرَاتِ (٢)

ابن المسيب
يستمع إلى
منشد شعر

(١) فديتك : كنت فداء لك ، وشقى بعيد : أي أن ما بينى وبين أهلى بعيد ،
والأشياء : الأنصار (م) .
(٢) السرب : القطيع من البقر والظباء ، والمراد به هنا جماعة من حسان النساء

مَرَزْنٌ يَفِيحُ، ثُمَّ رُحْنٌ عَشِيَّةٌ
 وَلَمَّا رَأَتْ رَكْبَ النَّمِيرِ أَعْرَضَتْ
 دَعَتْ نِسْوَةَ شَمِّ الْعَرَانِينَ بَزْلًا
 فَأَبْرَزْنَ لَهَا قَمْنَ يَجْبِنُ دُونَهَا
 تَضَوَّعَ طَيِّبًا بَطْنُ نَعْمَانَ إِذْ مَشَتْ
 يُجَبِّنُ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ التَّقَى
 يُبَلِّبِينَ لِلرَّخْمَنِ مَوْتَجِرَاتٍ (١)
 وَكَنَّ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتٍ
 نَوَاعِمٌ، لَا شَعْنًا وَلَا عَبْرَاتٍ (٢)
 حِجَابًا مِنَ الْقَسَى وَالْحَبْرَاتِ (٣)
 بِهِ زَيْنٌ فِي نِسْوَةِ عَطْرَاتٍ
 وَيَخْرُجْنَ شَطْرَ اللَّيْلِ مُعْتَجِرَاتٍ (٤)
 قَالَ سَعِيدٌ : هَذَا وَاللَّهِ مَا يَلِدُ اسْتِماعَهُ ، ثُمَّ قَالَ :

وَلَيْسَتْ كَأُخْرَى وَسَعَتْ حَيْبَ دِرْعِهَا
 وَغَالَتْ بَيَانَ الْمَسْكَ وَخَفًّا مَرَجَلًا
 وَقَامَتْ تَرَءَى بَيْنَ جَمْعٍ فَأَقْتَلَتْ
 وَأَبَدَتْ بَنَانَ الْكَفِّ لِلجَمَرَاتِ
 عَلَى مِثْلِ بَدْرِ لَاحٍ فِي الظُّلَمَاتِ (٥)
 بِرُؤْيَيْهَا مِنْ رَاحٍ مِنْ عَرَافَاتِ

قَالَ : فَكَانُوا يَرُونَ أَنَّ الشَّعْرَ الثَّانِي لَهُ ، وَالْأَوَّلَ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَمِيرِ
 التَّقِي يَقُولُهُ فِي زَيْنِ بِنْتِ يَوْسُفَ أُخْتِ الْحِجَاجِ ؛ [وَطَلَبَهُ الْحِجَاجُ] حَتَّى
 ظَفِرَ بِهِ فَقَالَ : أَنْتِ الْقَائِلُ مَا قُلْتِ ؟ قَالَ : وَهَلْ قُلْتِ أَصْلِحِ اللَّهُ الْأَمِيرَ إِلَّا :
 يُجَبِّنُ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ التَّقَى وَيَخْرُجْنَ شَطْرَ اللَّيْلِ مُعْتَجِرَاتِ
 قَالَ لَهُ : كَمْ كُنْتُمْ إِذْ تَقُولُ :

* لَمَّا رَأَتْ رَكْبَ النَّمِيرِ أَعْرَضَتْ *

بين الحجاج
والنميرى

(١) فح : موضع بمكة (٢) العرائين : جمع عرينين وهو الأنف ، وبزل : جمع بازل وهو البعير يبلغ تسع سنين فتكتمل قوته ، والمراد وصف هؤلاء النسوة بأنهن بلغن السن التي ينقلن فيها القلب من مكان إلى مكان .
 (٣) القسى : نوع من اللباس ينسب إلى قرية مصرية بقرب العريش ، أو هو القزى فأبدلت الزاى .

(٤) الاعتجار : لبسة خاصة للمرأة (٥) وحف : أسود ، وهو صفة الشعر ، والمرجل : السرح .

قال : والله ما كنت إلا أنا وصاحب لي على حمارٍ هزيل ! فضحك وعفاه عنه ،
وهو القائل :

لمحمد بن عبد الله
ابن عمير الثقفي

أهَاجَنَكَ الطَّعَانُ يَوْمَ بَانُوا بَدِي الزَّيِّ الْجَمِيلِ مِنَ الْأَثَاثِ (١)
ظَعَانٌ أَسْلَكْتُ فِي بَطْنِ قَوْ تَحْتِ إِذَارَنْتَ أَيِ اخْتِنَاثِ
كَانَ عَلَى الْهُوَادِجِ يَوْمَ بَانُوا نِمَاجًا تَرْتَعِي بَقْلَ الْبِرَاثِ (٢)
يَهَيِّجُكَ الْحَمَامُ إِذَا تَفَعَّى كَمَا سَجَّعَ النَّوَادِبِ بِالْمَرَاثِ

[من أدب ابن المعتز]

وقال ابن المعتز : وَعَدُّ الدُّنْيَا إِلَى خَلْفٍ ، وَبِقَاوِهَا إِلَى تَلَفٍ ، وَبَعْدَ عَطَائِهَا
الْمَنَعِ ، وَبَعْدَ أَمَانِهَا الْفَجْعَ ، طَوَاحِةٌ طَرَّاحَةٌ ، أَسِيَّةٌ جَرَّاحَةٌ ، كَمِ رَاقِدٍ فِي ظِلِّهَا
قَدْ أَيَقْظَنُهَا ، وَوَاتِقٍ بِهَا قَدْ خَانَتْهُ ، حَتَّى يَلْفِظَ نَفْسَهُ ، وَيُودِعَ دُنْيَاهُ ، وَيَسْكُنُ
رَمْسَهُ ، وَيَنْقَطِعَ عَنِ أَمَلِهِ ، وَيُشْرِفَ عَلَى عَمَلِهِ ، وَقَدْ رَجَحَ الْمَوْتَ بِحَيَاتِهِ (٣) ، وَتَقَضَّ
قُوَى حَرَكَاتِهِ ، وَطَمَسَ الْبَيْلَى جَمَالَ بَهْجَتِهِ ، وَقَطَعَ نِظَامَ صُورَتِهِ ، وَصَارَ كَخَطٍّ مِنْ
رَمَادٍ تَحْتِ صَفَائِحِ أَنْضَادِ (٤) ؛ وَقَدْ أَسْلَمَهُ الْأَحْيَابُ ، وَافْتَرَشَ التُّرَابَ ، فِي بَيْتِ
نَجْرَتِهِ الْمَعَاوِلِ (٥) ، وَفَرِشَتْ فِيهِ الْجُنَادِلُ ، مَا زَالَ مُضْطَرِبًا فِي أَمَلِهِ ، حَتَّى اسْتَقَرَّ
فِي أَجَلِهِ ، وَحَمَتِ الْأَيَّامُ ذِكْرَهُ ، وَاعْتَادَتِ الْأَلْحَاظُ قَدَّهُ .

بين ابن المعتز
وأستاذه ثعلب

وكتب وهو معتقل إلى أستاذه أبي العباس أحمد بن يحيى
ثعلب (٦) يتشوقه :

مَا وَجَدُ صَادٍ بِالْحَبَالِ مُوتِقٍ بِمَاءِ حَزْنٍ بَارِدٍ مُصَفَّقٍ (٧)

(١) الطعان : جمع طعينة ، وهي المرأة في الهودج ، والأثاث : متاع البيت .
(٢) البراث : الأرض السهلة . (٣) رجح : مال كما ترجح كفة الميزان (م) .
(٤) صفائح أنضاد : الصفائح الحجرية العريضة ، وأنضاد : جمع تضد ، وهو المنحوت
بأستواء (٥) العاول : جمع معول ، وهو آلة كالقندوم (٦) كان ثعلب من أصدق أهل
العريفة لساناً ، وأبعدهم ذكراً ، وأثبتهم حفظاً ، وكان في رأي البرد أعلم الكوفيين . توفي
في جمادى الآخرة سنة ٢٩١ (٧) مصفق : صففته الريح : أي لعبت به حتى لكانه يصفق

بالريح لم يكدر ولم يرتق
بصخرة إن تر شمساً تبرق
صريح غيث خالص لم يمدق
يا فاتحاً لكل باب مغلق
إن قال هذا بهرج لم ينفق
إننا على البعاد والتفرق
لنلتقى بالذكر إن لم نلتقى

فأجابه : أخذت أطل الله بقاءك أول هذه الأبيات مما أملتُهُ عليك من قول جميل (٥) :

وما صاديات حمن يوماً وليلة
على الماء يخشين العصي حوائى
كواعب لم يصدرن عنه لوجهة
ولا هن من برود الحياض دوائى
يرين حباب الماء والموت دونه
فهن لأضوات الشقاة زوائى
بأكثر منى غلة وصباة
إليك ، ولكن العدو عرائى
وأخذت آخرها من قول رؤبة بن العجاج (٦) :

(١) الأخلاف : الأنداء يفيض منها اللبن ، والدجن المطبق : هو السحاب التراكم
(٢) ماد : مال (٣) لم يمدق : لم يمزج ، يشبه الغيث القوى بالبحر الصرفة تصرع الشارين
(٤) الصيرى : الرجل الحاذق فى تمييز النقود ، ويريد به هنا البصير بنقد القول
(٥) هو جميل بن عبد الله بن معمر العذرى ، وهو شاعر أذاب قلبه بالحنين إلى معشوقته بثينة ، وكانت سكينه بنت الحسين تقدمه على الشعراء الغزليين ، لقوله :

يقولون : جاهديا جميل بغزوة ، وأى جهاد غيرهن أريد ؟
لكل حديث بينهن بشاشة وكل قتيل عندهن شهيد

وكانت وفاته سنة ٨٢

(٦) راجز فصيح من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية ، كان أكثر مقامه بالبصرة ، ومات فى البادية سنة ١٤٥ فقال الخليل : دفا الشعر واللغة والفصاحة .

إِنِّي وَإِنْ لَمْ تَرَنِي فَأَتَنِي أَخُوكَ وَالرَّاعِي إِذَا اسْتَرَعَيْنِي
أَرَاكَ بِالْوَدِّ وَإِنْ لَمْ تَرَنِي
قال : فاستخفني في ذلك ونسب إلى سوء الأدب .

بعض أخبار
ابن المعتز
والختار من
قوله

وكان أبو العباس عبدُ الله بن المعتز في المنصب العالي من الشعر والنثر ، وفي
النهاية في إشراق ديباجة البيان ، والغاية من رقة حاشية اللسان . وكان كما قال
ابن المرزبان : إذا انصرف من بديع الشعر إلى رقيق النَّثر أتى بحلال السحر ،
وليس بعد ذى الرمة^(١) أكثرُ افتناناً وأكبرُ تصرفاً وإحساناً في التشبيه منه .
وإنما فرقتُ جملة ما اخترتُ من شعره ونثره في جملة هذا الكتاب ؛ لثلاً أخرج
عما تقدم به الشرط في البسط ، وآتى ههنا ببعض ما اختاره له ، قال :

وَفَتَيَانِ سَرَوْا وَاللَّيْلُ دَاجٍ وضوء الصبح متهم الطلوع
كَأَنَّ بُرَاتَهُمْ أُمْرَاءَ جَيْشٍ على أكتافهم صدأ الدروع
وقال أيضاً :

فِي لَيْلَةٍ أَكَلَ الْحَاقُ هِلَالَهَا حتى تبدى مثل وقف العاج^(٢)
وَالصَّبْحُ يَتَلَوُ الْمُشْتَرَى فَكَأَنَّهُ عُرْيَانٌ يَمْشِي فِي الدُّجَا بِسِرَاجٍ^(٣)
وقال أيضاً يصف فرساً :

وَلَقَدْ غَدَوْتُ عَلَى طِمْرٍ سَاجِحٍ عقدت سنابكه بحجاجة قسطل^(٤)

(١) ذو الرمة هو: غيلان بن عقبة، أحد فحول الشعر في عصره ، قال فيه أبو عمرو
ابن العلاء : «فتح الشعر بامرئ القيس وختم بذى الرمة» ولعل ذلك لأنه كان يكثر
من التشبيب وبكاء الأطلال، أولأن ديباجته كانت بدوية خالصة ، توفي بأصهان سنة ١١٧
(٢) وقف العاج : هو القطعة من العاج يمسك بها الثوب كالدبوس ونحوه
(٣) الدجى : جمع دجية ، وهى الظلمة (٤) طمر : حصان سريع الجرى كما تهاوى
من طيار : أى من مكان مرتفع ، وسنابك الجواد : حوافره ، والحجاجة : السجاجة ،
والقسطل الغبار .

مثلتمَّ لُجْمَ الحَديدِ يُلوكُها لوكُ الفتاةِ مساوِكاً من إِنْجِلٍ^(١)
 ومُحَجَّلٍ غَيرِ اليمينِ كأنَّه متبخترٌ يمشي بكمٍ مُسَبَّلٍ
 وقال :

قد أغتدي بقارح مَسْـوَمٍ يَعْبُوبِ^(٢)
 ينفي الحصى بحافرٍ كالقدحِ المكبُوبِ
 قد ضحكت غرته في موضعِ التَّقْطِيبِ^(٣)

وقال أيضاً :

ولقد وطئتُ الغيثَ يحملي طرفٌ كلونِ الصبحِ حينَ وفدِ
 جماعِ أطرافِ الصَّوارِفا الأخرى عليه إذا جرى بأشدِّ^(٤)
 يمشي فيعرض في العنانِ كما صدف الممشقِ ذو الدلالِ وصدِ
 فكانه مَسْـوَجٌ يذوبُ إذا أطلقتهُ فإذا حبست جمدِ
 وقال أيضاً يصف سيمًا :

ولي صارمٌ فيه المنايا كوامن فما يُنتَضَى إلا لسفكِ دِمَاءِ
 ترى فوقَ مثنيه الفِرِّندِ كأنه بقية غَيمٍ رَقَّ دُونَ سَمَاءِ
 وقال يصف ناراً :

مُشْتَهَرَةٌ لا يحجب النخلُ ضوءها كأن سيوفا بين عيدانها تُجلى
 يُفَرِّجُ أغصانِ الوقودِ اضطرأها كاشقت الشقراء عن متهاجلاً^(٥)

(١) اللجم : جمع لجام ، والإسحل بالكسر : شجر يستاك به

(٢) القارح من ذى الحافر : ما طلع نابه ، وذلك في السنة التاسعة ، والمسوم :

المعلم ، واليعيوب : السهل الجرى في سدوه

(٣) التَّقْطِيبُ : العبوس

(٤) الصوار : القطيع

(٥) الشقراء : فرس زهير بن جذيمة ومثها : ظهرها ، والجلل بالضم السرج (٢)

للسرى الرفاء

وقال بعض أهل العصر، وهو السرى الموصل^(١) :

يوم رذاذ مُمَّسِكَ الحُجْبِ يَضْحَكُ فِيهِ السَّرُورُ مِنْ كَثَبِ^(٢)
 ومجلسٍ أُسِبتِ ستائرُهُ على شمسِ الهباءِ والحسبِ
 وقد جرت خيلُ راحنا خَبِيًّا في حَلِيهَا أو هَمِنَ بِالْحَبَبِ^(٣)
 والتبَّيت نارُنَا فَمَنْظَرُهَا يُغْنِيكَ عَنْ كُلِّ مَنْظَرٍ عَجَبِ
 إِذَا ارْتَمْتَ بِالشَّرَارِ فَاطْرَدْتَ عَلَى ذَرَاها مَطَّارِدُ اللَّهَبِ
 رَأَيْتَ يَاقوتَةً مُشْبَكَةً تَطِيرُ عَنْهَا قُرَاصَةُ الذَّهَبِ
 فَانْهَضَ إِلَى المَجْلِسِ الَّذِي ابْتَسَمْتَ فِيهِ رِياضُ الجَمالِ والأدبِ

وقال بعض أهل العصر، وهو أبو الفرج البغيا^(٤) :لأبي الفرج
البيغاء

فَحَمًّا قَدَمَ النِّعَامِ فَأَهْدَى فِي كَوائِنِهِ حَيَاةَ النُّفُوسِ
 كَانَ كالأَبْنُوسِ غَيْرَ مَحَلِّي فَعَدَا وَهُوَ مُذْهَبُ الأَبْنُوسِ
 لَقِيَ النَّارَ فِي ثِيَابِ حِدَادٍ فَكَسَتْهُ مُصَبَّعَاتِ عَرُوسِ

لأبي الفضل
الميكالي

وقال أبو الفضل الميكالي :

كَانَ الشَّرَارَ عَلَى نارِنَا وَقَدِ رَاقَ مَنْظَرُهَا كُلَّ عَيْنِ
 سُحَّالَةً تَبْرُ إِذَا ما عَلَا فَأَيُّما هَوَى ففتَاتِ الأَحِينِ^(٥)

لابن المعتز

وقال ابن المعتز يصف سحابة :

(١) هو السرى الرفاء، المتوفى ببغداد سنة ٣٦٦ . وسمى الرفاء لأنه كان في صباه يرفو الثياب ، وهو جيد الشعر، كثير الولوج بالأوصاف والتشبيهات (٢) الرذاذ : المطر الضعيف . والكثب بالتحريك : القرب (٣) الحبيب : ضرب من العدو، وهو أن ينقل الفرس أيامه جميعا وأياسره جميعا ، أو أن يراوح بين يديه (٤) هو عبد الواحد بن نصر، المتوفى سنة ٣٩٨ . كان من أهل نصيبين، واتصل بسيف الدولة، ودخل الموصل وبغداد ونادم الملوك والرؤساء (٥) السحالة : النخالة

- مُوقِرَةٌ بِثِقَلِ الْمَاءِ جَاءَتْ
فَبَاتَتْ لَيْلَهَا سَحًا وَوَبْلًا
كَأَنَّ سَمَاءَهَا لَمَّا تَجَلَّتْ
رِيَاضُ بِنَفْسِجٍ خَضِلٍ تَرَاهُ
وقال :
- وَلِجَّةٌ لِلنَّيَا خُضَّتْ غَمْرَتَهَا
وَقَارِحٌ صَبِغَ الْخِيلَانَ دُهُمَّتَهُ
وقال :
- وَلَيْلٌ كَكُجْلِ الْعَيْنِ خُضَّتْ ظِلَامَهُ
وَمَضْبُورَةُ الْأَعْضَادِ حَرْفٍ كَأَنَّهَا
وقال يصف حَيَّةً :
- نَعَتْ رِقْطَاءَ لَا تَحْيَا لَدَيْغَتِهَا
تَلْقَى إِذَا انْسَلَخَتْ فِي الْأَرْضِ جِلْدَتَهَا
وقال أيضاً :
- وَأَسَارَ مَنَى الدَّهْرُ عَضِيًّا مُهْتَدًا
وَرَأَى كَرَاةَ الصَّنَاعِ أَرَى بِهِ
وقال يصف حَيَّةً :
- بِأَرْقٍ لَمَاعٍ وَأَبْيَضَ صَارِمٍ
تَصَافِحَ رَضَارِضِ الْحَصَى بِمَنَاسِمٍ^(٥)
- لَوْ قَدَّهَا السَّيْفُ لَمْ يَلْقَ بِهِ بَلَلٌ^(٦)
كَأَنَّهَا كُمٌ دَرِيعٌ قَدَّهُ بَطَلٌ
- يُقَلُّ شَبَابًا حَظِيًّا ، وَقَلْبًا مَشِيْعًا^(٧)
سِرَائِرَ غَيْبِ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ مَاسَعَى

(١) موقرة : مثقلة (٢) خضل : ندى (٣) خضم : قاطع (٤) قارح : الفارح من ذى الحافر بمنزلة البازل من الإبل ، وهو الذى قوى يبلوغه تسع سنين ، والخيلان : جمع خال وهو شامة فى البدن. والدهمة : السواد ، والشبهة : لون بين السواد والبياض (٥) الأعضاد : جمع عضد ، ومضبورة : محكمة الخلق مكتنزة اللحم . وحرف : ضامرة ، ورضاراض الحصى : صغارها ، والمناسم : جمع منسم وهو خوف البعير (٦) رقطاء : منقطة - وانظر ديوانه (١١٣/٤) (٧) أسار : أبقى ، والشيع : الشجاع

أخذه من قول المنصور لابنه المهدي : لا تُبْرِمَنَّ أُمَّراً حتى تفكر فيه ؛ فإن
فِئْكَرة العاقل مرآته ، تريه قبحه وحسنه .

ولما دُفِنَ المنصور وقف الربيعُ على قبره فقال : رَحِمَكَ اللهُ يا أمير المؤمنين ،
وغفر لك ! فقد كان لك حَمِيٌّ من العقل لا يطيرُ به الجهل ، وكنت ترى باطنَ
الأمر بمرآةٍ من الرأي ، كما ترى ظاهره . ثم التفت إلى يحيى بن محمد أخى المنصور
فقال : هذا كما قال أبو دَهَبِلَ الجحى ^(١) :

عُقِمَ النساءُ فما يلدنَ شبيههُ إنَّ النساءَ بمثلِهِ عُقِمَ ^(٢)
وبعدهُ ^(٣) :

متهللٌ بنَعَمٍ ، بِلامْتِباعِ سِيَّانٍ منه الوَفْرُ والعدمُ ^(٤)
نَزْرُ الكَلامِ من الحياءِ تخالهُ ضَمِيناً ، وليسَ بِجِسمِهِ سَقَمُ ^(٥)
أخذ البيت الأخير من قول ليلي الأخيلية ^(٦) :

لا تقربنَّ الدهرَ آلَ مُطَرِّفٍ إن ظالماً يوماً وإن مظلوماً

(١) في الأصل «أبو دعبل» وهو تحريف (٢) عقم: جمع عقيم، وهى المرأة العاقرة
وقبل هذا البيت كما فى الحماسة :

إن البيوت معادن فنجاره ذهب وكل بيوته ضخم
والنجار: الأصل (٣) هذا استطراد من المؤلف (٤) الوفور والعدم: الغنى والفقير
(٥) ضمن: مريض (٦) هى ليلي بنت عبدالله، اشتهرت بأخبارها مع توبة، وله
فيها شعر جميل، وهى أشهر النساء الشواعر بعد الخنساء، توفيت نحو سنة ٧٥
وأول هذه المقطوعة كما فى ديوان الحماسة :

يا أيها السدم الملوى رأسه ليقود من أهل الحجاز بريما
أتريد عمرو بن الخليع ودونه كعب ؟ إذن لو جدته مرءوما
إن الخليع ورهطه فى عامر كالقلب ألبس جوجوا وخزما
السدوم: الفحل الهائج . والبريم: الجيش المؤلف من أخلاط الناس . والمرءوم:
المخاوط بالعطف ، والجوجو: الصدر

قوم رِبَاطُ الخيلِ حَوْلَ بَيْوتِهِمْ وَأَسِنَّةُ زَرْقٍ يُحَلْنَ نُجُومًا
وَمَزَّقَ عَنْهُ القَمِيصَ نَحَالَهُ وَسَطَ البَيْوتِ مِنَ الحِيَاءِ سَقِيًا
حتى إِذَا رُفِعَ اللِوَاءُ رَأَيْتَهُ يَوْمَ المِهَاجِ عَلى الجَمِيسِ زَعِيًا^(١)
وقال :

يُشَبَّهونَ مَلوِكًا في تَجَلَّتْهُمُ وَإِذَا بَدَأَ المَسْكُ يُجْرَى في مَفَارِقِهِمْ
وطولُ أَنصِبَةِ الأَعْنَاقِ وَاللَّمَمِ^(٢) رَاحُوا كَأَنَّهُم مُرَضِيٌّ مِنَ الكَرَمِ
وقال أبو علي الحاتمي : وما أحسن أبياتا أنشدها أبو عمر المطرز غلام ثعلب
يعترض في أثنائها هذا المعنى :

تَخَالَهُمُ لِلحَلْمِ مُصَمًّا عَنِ انْحِنَا وَخُرُوسًا عَنِ الفَحْشَاءِ عِنْدَ التَّهَاتُرِ^(٣)
وَمَرَضَى إِذَا لَاقُوا حِيَاءً وَعِفَّةً وَعِنْدَ الحُرُوبِ كَاللِّيُوثِ انْحَوَادِرِ^(٤)
لَهُم عِزٌّ بِإِنصَافٍ وَذُلٌّ بِتَوَاضُعٍ بِهِمْ وَلَهُمْ ذَلَّتْ رِقَابُ العِشَائِرِ
كَأَنَّ بِهِمْ وَصَمًّا يَخَافُونَ عَارَهُ وَليس بِهِمْ إِلَّا اتِّقَاءُ المَعَايِرِ^(٥)
وَأَنشَد :

أحلام عادٍ لا يَخَافُ جَلِيسَهُمْ - وَإِن نَطَقَ العُورَاءُ عَيْبَ لِسَانِ
إِذَا حَدَّثُوا لَمْ يُخْشَ سِوَهُ اسْتِماعَهُمْ وَإِن حَدَّثُوا أَدَّوْا بِجُحْشِنِ بِيَانِ

(١) اللواء: الراية، والجميس: الجيش؛ لأنه خمس فرق: المقدمة، والقلب، والميمنة، والميسرة، والساقة. والزعيم: الرئيس
(٢) الأنصبه: جمع نصاب، وهو الأصل الذي ركب فيه الفئق
(٣) التهاتر: تبادل السباب الباطل (٤) الخوادر: جمع خادر، وهو الليث يلزم
أجمته (٥) المعابر: المعايير

وكانَ رِمَاحَهُمْ قِرونُ الوُغُولِ^(١) ، وكانَ دُرُوعُهُمْ زَبَدُ السَّيُولِ ، على خيلِ
 تَأْكُلُ الأَرْضَ بِجِوارِها ، وتمتدُّ بالنَّعْمِ سُرَادِقُها^(٢) ، قد نُشِرتْ في جِوهِها
 غُرَرٌ كأنَّها سَحائِفُ الرِّقِّ^(٣) ، وأمسكها تَاجِيلٌ^(٤) كأنَّه أسُورَةُ اللِّجِينِ^(٥) ، وقُرِّطتْ
 مُدْرَأاً كأنَّها الشَّنْفُ^(٥) ، تتلقَّفُ الأعداءَ أوائلُهُ ولم تَنْهَضْ أوَاخِرُهُ ، قد صَبَّ
 عليهم وقارُ الصِّبرِ ، وهبَّتْ معهم رِيحُ النَّصْرِ .

وله في عليل : آذَنَ اللهُ في شِفاثِكَ ، وتَلَقَّى داءَكَ بِدِوانِكَ ، ومسحَ بيدِ
 العافِيَةِ عليك ، ووجَّهَ وَفَدَّ السَّلامَةَ إِلَيْكَ ، وجعلَ عِلَّتَكَ ما جِئْتَ لذنُوبِكَ ،
 مضاعِفَةً لِثِوابِكَ .

وكتب إلى عبيد الله بن سليمان بن وهب^(٦) في يوم عيد : أَخَرْتُني العِلمَةَ
 عن الوَزيزِ أَعزَّهُ اللهُ ، فحضرتُ بالدعاءِ في كِتابي لِتِئُوبَ عَنِي ، وَيَعْمُرُ ما أَخلتُهُ
 العِواثِقُ مِنِّي ، وأنا أسأَلُ اللهُ تَعالَى أنْ يَجْعَلَ هذا العِيدَ أَعظَمَ الأعيادِ السالِفةِ
 بِرِكةً على الوَزيزِ ، ودونِ الأعيادِ المُستقبَلَةِ فِما يُحِبُّ وَيُحِبُّ لهُ ، وَيَقْبَلُ ما توَسَّلُ
 بِهِ إلى مَرَضاتِهِ ، وَيَضاعِفُ الإِحسانَ إِلَيْهِ ، على الإِحسانِ مِنْهُ ، وَيَمْتَنِعَهُ بِصِحبَةِ
 النِّعمَةِ ولباسِ العافِيَةِ ، ولا يُرِيهِ في مَسرَّةٍ نَقصاً ، ولا يَقطِعَ عَنْهُ مَرِيداً ، وَيَجْعَلَنِي
 مِنْ كُلِّ سِوءِ فِداءٍ ، وَيَصْرِفَ عِيونَ الغِيبِ عَنْهُ ، وَعَنْ حَظِّي مِنْهُ .

(١) الوعول : جمع وعل ، وهو التيس الجبلي . (٢) النقع : غبار الحرب

(٣) الرق ، بالفتح ويكسر : جلد رقيق يكتب فيه (٤) اللجين : الفضة

(٥) الشنف ، بالفتح : القرط ، والعذر بضمين : جمع عذار

(٦) وزير من أكابر الكتاب ، استوزره المعتد على الله وأهـ

واستمرت وزارته عشر سنين وخمسين يوماً ، وكانت وفاته .

فيه عبيد الله بن عبد الله بن طاهر حين وزر للمعتد .

أبي دهرنا إنصافنا في نقوسنا وأنصـ

قفلت له : نعالك فيهم أمها ودعـ

وخطوف
 في الديوان

وقال ابن المعتز :

وعاقِدِ زُنَّارٍ عَلَى غُصْنِ الْآسِ دَقِيقِ الْمَعَانِي مُخْطَفِ الْخِصْرِ مَيَّاسٍ ^(١) لابن المعتز
سَقَانِي عُقَارًا صَبَّ فِيهَا مِرْأَجِيهَا فَأَضْحَكَكَ عَنْ تَفْرِجِ الْحُبَابِ فَمِ الْكَاسِ

وقال :

يَالَيْلَةَ نَسِيَ الزَّمَانُ بِهَا أَخْذَانَهُ ، كُونِي بِلَا فَجْرِ
فَاحِ الْمَسَاءِ بِيَدِهَا ، وَوَشَّتْ فِيهَا الصَّبَا بِمَوَاقِعِ الْقَطْرِ
ثُمَّ انْقَضَتْ وَالْقَلْبُ يَنْتَبِئُهَا فِي حَيْثُ مَا سَقَطَتْ مِنَ الدَّهْرِ ^(٢)

وقال :

يَا رَبِّ إِخْوَانٍ صَحْبَتَهُمْ لَا يَمْلِكُونَ لِسُلُوكِ قَلْبًا
لَوْ تَسْتَطِيعُ قُلُوبُهُمْ نَفَرْتُ أَجْسَادَهُمْ فَتَعَانَقْتُ حُبًّا ^(٣)

هذا كقول ابن الرومي :

أَعَانَقَهُ وَالنَّفْسُ بَعْدُ مَشُوقَةٌ إِلَيْهِ ، وَهَلْ بَعْدَ الْعِنَاقِ تَدَانِي ؟ لابن الرومي
وَأَلْتَمَّ فَاهُ كَمَا تَزُولُ حَرَارَتِي فَيَشْتَدُّ مَا أَلْتَمَّ مِنَ التَّهَيَّانِ
وَلَمْ يَكْ مِقْدَارُ الَّذِي بِي مِنَ الْهَوَى لِيُرْوِيَهُ مَا تَرَشَّفُ الشَّقَاتَانِ
كَأَنَّ فَوَادِي لَيْسَ يَشْفِي غَلِيلَهُ سِوَى أَنْ يُرَى الرُّوحَانُ بِتَرْجَانِ

ومن منشوره : لا يزال الإخوان يسافرون في المودّة ، حتى يبلغوا الشقة ، من ثرا ابن المعتز
فإذا بلغوها ألقوا عصا التسيار ، واطمأنّت بهم الدار ، وأقبلت وفود النصائح ،
وأمنت حبايا الضائر ، فخلوا عقد التحفظ ، ونزعوا ملابس التخلّق .
وله : سار فلان ، في جيوش عليهم أزدية السيوف ، وأقمصة الحديد ،

(١) الزنار : رباط يشد به الخصر - ومخطف الخصر : ضامره ، ومثله أخطف
ومخطوف (٢) هذا البيت غاية في روعة الخيال (٣) نفرت : سعت - والذي
في الديوان (١٢٦) فقدت * أجسادها وتعانقت حبا (م)

وله إلى بعض الرؤساء : لَاتَشْنِ حُسْنَ الظَّفَرِ بِقُبْحِ الانتقامِ ، وتجاوز عن كل مُذْنِبٍ لم يَسْئَلْكَ من الإِعتذار طَرِيقاً^(١) حتى آتِخِذَ من رَجَاءِ عَفْوِكَ رَفِيقاً .

وله اعتذار إلى القاسم بن عبيد الله : تَرَفَّعَ عَن ظُنْمِي إِنْ كَدْتُ بُرِيئاً ، وَتَفَضَّلَ بِالْعَفْوِ إِنْ كُنْتُ مُسِيئاً ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لِأَطْلُبُ عَفْوَ ذَنْبِي لِمَ أَجْنِهَ ، وَالْتَمَسَ الإِفَالَةَ مِمَّا لَأَعْرِفُهُ ؛ لَتَزِدَادُ تَطَوُّلاً ، وَأَزْدَادُ تَذَلُّلاً ؛ وَأَنَا أُعِيدُ خَالِي عِنْدَكَ بِكَرْمِكَ مِنْ وَاشٍ يَكِيدُهَا ، وَأَحْرُسُهَا بِوَفَائِكَ مِنْ بَاغٍ يَحَاوِلُ إِفْسَادَهَا ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ حَظِّي مِنْكَ ، بِقَدْرِ وَدِّي لَكَ ؛ وَمَحَلِّي مِنْ رَجَائِكَ ، بِمِثِّ اسْتِحْقَاقِي مِنْكَ .

وله إليه : لو كان في الصِّمْتِ مَوْضِعٌ يَسَعُ خَالِي لَخَفَفْتُ عَن سَمْعِ الوَازِرِ وَنَظَرِهِ ، وَلَمْ أَشْعَلْ وَجْهًا مِنْ فِكْرِهِ ، وَمَا زَالَتِ الشُّكُوى ، تُعْرَبُ عَن لِسَانِ البَلْوَى ، وَمِنْ اخْتَلَّتْ حَالَتُهُ ، كَانَ فِي الصِّمْتِ هَذَكْتُهُ ، وَقَدْ كَانَ الصَّبْرُ يَنْصَرُّنِي عَلَى سِتْرِ أَمْرِي حَتَّى خَذَلَنِي .

وهذا كقول أحمد بن إسماعيل : فَصَاحَةُ الشُّكُوى ، عَلَى قَدْرِ البَلْوَى ، إِلا أَنْ يَكُونَ بِالشَّاكِي انْقِبَاضٌ ، وَبِالمَشْكُورِ إِلَيْهِ إِعْرَاضٌ .

[وصف الماء وما يتصل به]

وقد أحسن أبو العباس بن المعتز في صفة الماء في أرجوزته التي أنشدتها آفياً ، لابن المعتز
وقد قال في قصيدة له وذكر إبلاً :
يصف ماء

فَتَبَدَّى لَهْنَ بِالنَّجْفِ المُدُّ بِرِ مَاءِ صَافِي الجِمامِ عَرِي^(٢)

(١) الإِعتذار : إبداء العذر ، وفي الأصل «الأقذار» وهو تحريف

(٢) النجف ، محركة وهاء ، مكان لا يعالوه الماء مستطيل منقاد ويكون في بطن الوادي وقد يكون يبطن من الأرض . والجمام : جمع جم ، وهو الماء الكثير ، والمرى : الهنيء

يتمشى على حصى يسلبُ الماء
وإذا داخلته دُرَّةُ شمسٍ
وقال (٢):

وله أيضاً
يحن للدورة
ويصف ماء

لا مثل منزلة الدَّويرة منزلُ
بؤساً لدهرٍ غيرتكَ صروفهُ
لم يحلُ للعينين بعدك منظرهُ
أى المعاهد منك أندبُ طيبهُ
أم برَدُ ظلك ذى العصون وذى الجنى
وكأنما سطعت مجامرُ عنبر
وكأنما حصبناه أرضيكِ جوهرهُ
[وكأنما أيدى الربيع ضحيةً
وكان درعاً مفرغاً من فضة]

اعتكفة المربة
في وصف ماء

وعشقت عاتكة المربة ابن عمَّ لها فراودها عن نفسها. فقالت :
فما طعم ماء أى ماء تقوله
بمنعرج من بطن وادٍ تقابلت
نفت جربة الماء القذى عن متونه
بأطيب ممن يقصر الطرف دونه
تحدّر عن غرّ طوال الذوائب
عليه رياح الصيف من كل جانب
فما إن به عيبٌ تراه لشارب
نقى الله واستحياء بعض العواقب
وأشد الأصمى قال : أنشدنى أبو عمرو بن العلاء لجابر بن الأرق ، وقال :

هو أحسن ما قيل في معناه :

(١) من حق العربية عليه أن يقول « فمتنه مجلو » فإن فعله جلاه مجلوه (م) .
(٢) هذه الكافية من أروع ما قال ابن المعتز ، وقد ترجمتها إلى الفرنسية في كتابي

La prose arabe au ive siècle de l'hegire

(٣) الدويرة : محلة ببغداد (٤) رواية الديوان (أم برد ظلك ذى العيون وذى
الحيا) واليشاء : اللينة (٥) فأرالمسك : ما جمعد من دم الغزال (٦) ضحية : تصغير
ضحوة ، واتصابه على الظرفية الزمانية (م) (٧) مفرغ : مصبوب

أَيَاوَيْحَ نَفْسِي كَمَا التَّحْتُ لَوْحَةً (١) عَلَى شَرْبَةٍ مِنْ مَاءِ أَخْوَاضِ مَارِبِ (٢)
 بَقَايَا نَطَافٍ أَوْدَعِ الْعَيْمَ صَفَّوْهَا مَصْفَلَةَ الْأَرْجَاءِ زُرُقِ الْمَشَارِبِ (٣)
 تَرَفَّرَقَ دَمْعُ الْمُزْنِ فِيهِنَّ وَالتَّوَتَّ عَلَيْهِنَ أَنْفَاسُ الرِّيَاحِ الْغَرَابِ
 وَأَنشَدَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ لِلأَيُّرِدِ الْيَرْبُوعِي ، وَرَوَيْتَ لِمَضْرُوسِ بْنِ رَبِيعِ
 الأَسَدِي :

ولالأبيرد
 اليربوعي

فَأَلْقَتْ عَصَا التَّسْيَارِ عَنْهَا ، وَخَيَّمَتْ بِأَرْجَاءِ عَذْبِ الْمَاءِ زُرُقِ مَحَافِرِهِ
 أَرَاكَ الْقَدَى عَنْ مَائِهِ وَأَفِئِدُ الصَّبَا يَرُوحُ عَلَيْهِ نَاسِماً وَبَيَّاباً كَرِهَ
 وَأَوَّلُ مَنْ أَتَى بِهَذَا زَهْرِي بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ فِي قَوْلِهِ :

ولزهير

فَلَمَّا وَرَدْنَا الْمَاءَ زُرُقًا جَاهِمُهُ وَضَعْنَ عِصَى الْحَاضِرِ الْمُتَخَيِّمِ (٤)
 وَقَالَ ابْنُ الرَّومِيِّ :

وَمَا جَلَّتْ عَنْ حُرِّ صَفْحَتِهِ الْقَدَى مِنَ الرِّيحِ مِعْطَارُ الْأَصَابِلِ وَالْبُسْكَرُ
 بِهِ عَيْقٌ يَمَّا تَسَحَّبَ فَوْقَهُ نَسِيمُ الصَّبَا يَجْرِي عَلَى النُّورِ وَالزَّهْرُ

[وصف الدور والقصور]

ويتعلق بهذا الباب قولُ البحترى يصف بركة الجعفرى (٥) وهو قصر
 ابتناه المتوكل في سرٍّ مَنْ رَأَى :

للبحترى يصف
 بركة الجعفرى

(١) التحت : عطشت ، من قولهم لاحه العطش ولوجه إذا غيره ، وهو ملتاح ،
 وبه لوح شديد ، وبغير ملواح وإبل ملاويح : سريعة العطش
 (٢) مارب : هي بلاد الأزد باليمن ، وهي غير مهموزة لأنها وردت كذلك في الخطوط
 الحميرية كما أخبرنا السنيور نلينو . وهذا لا ينافي أنها همزت في بعض الأشعار ، ولسد
 مارب وسيل العرم قصص طويلة ذكر بعضها في معجم البلدان .
 (٣) النطاف والنطف : جمع نطفة ، وهي الماء الصافي قل أو أكثر (٤) المتخيم : المقيم
 (٥) الجعفرى : اسم قصر بناه المتوكل قرب سامراء ، فلما انتقل إليه انتقل معه
 أهل سامراء حتى كادت تخلو ، وفي هذا القصر قتل المتوكل في شوال سنة ٢٤٧ ، وسُميت
 البركة بركة لإقامة الماء فيها ، من برك البعير

يَأْمَنَ رَأَى الْبِرْكََةَ الْحَسَنَاءَ وَرَوَّعَهَا
 مَا بِالْ دَجَلَةَ كَالغَيْرَى تَنَافُسَهَا
 إِذَا عَلَتْهَا الصَّبَا أَبَدَتْ لَهَا حُبُكَ
 فَحَاجِبُ الشَّمْسِ أحيانًا يُغَازِلُهَا
 إِذَا النُّجُومُ تَرَاءَتْ فِي جَوَانِبِهَا
 كَأَمَّا الْفِضَّةُ الْبِيضَاءُ سَنَائِلَةٌ
 تَنْصَبُ فِيهَا وَفُودُ الْمَاءِ مُجَلَّةٌ
 كَأَنَّ جَنِّ سَلِيَابِ الَّذِينَ وَلُوا
 فَلَوْ تَمَرَّتْ بِهَا بَلْقَيْسُ عَنْ عُرْضِ
 [لَا يَبْلُغُ السَّمَكُ الْمَقْصُورَ غَايَتِهَا
 يَعْمَنَ فِيهَا بِأَوْسَاطِ مُجَنِّحَةٍ
 وَلَمْ يُنْفِقْ أَحَدٌ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ فِي الْبِنَاءِ مَا أَنْفَقَهُ التَّوَكُّلُ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ
 أَنْفَقَ فِي أَبْنَيْتِهِ ثَلَاثَةَ أَلْفِ أَلْفٍ ، وَفِي أَبْنَيْتِهِ يَقُولُ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ (٦) :

وَالْأَنَسَاتِ إِذَا لَاحَتْ مَعَانِيهَا (١)
 فِي الْحُسْنِ طَوْرًا وَأَطْوَارًا تَبَاهِيهَا !
 مِثْلَ الْجَوَاشِينِ مَصْقُولًا حَوَاشِيهَا (٢)
 وَرَيْقُ الْغَيْثِ أحيانًا يُبَاكِهَا (٣)
 لَيْلًا حَسِبْتَ سَمَاءَ رَكِبْتَ فِيهَا
 مِنْ السَّبَائِكِ تَجْرِي فِي سَجَارِيهَا
 كَالخَلِيلِ خَارِجَةً مِنْ حَبْلِ مُجْرِيهَا (٤)
 إِبدَاعَهَا فَادْقُوا فِي مَعَانِيهَا
 قَالَتْ : هِيَ الصَّرْحُ تَمثِيلًا وَتَشْبِيهَا (٥)
 لُبْعِدٍ مَا بَيْنَ قَاصِيهَا وَدَانِيهَا]
 كَالطَّيْرِ تَنْشُرُ فِي جَوْ خَوَافِيهَا

- (١) رواية الديوان « الحسناء رؤيتها »
 (٢) الجواشن: جمع جوشن، وهو الدرع ، وفي الأصل «من الجواشن» وهو
 تحريف (٣) رواية الديوان «يضاحكها» وهي أنسب
 (٤) الوفود: جمع وفد ، وهو هنا تيار الماء (٥) عن عرض : من جانب ، وفي
 الأصل «معرضة» وقد آثرنا رواية الديوان .
 (٦) شاعر فحل من معاصري أبي تمام والبحرئى، وهو صاحب الرائية المشهورة
 التي يقول في أولها :

عيون المها بين الرصافة والجسر
 جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري
 أعدن في الشوق القديم ، ولم أكن
 سلوت ، ولكن زدن جمرًا إلى جمر
 اختص بالمتوكل ، ثم غضب عليه فنفاه إلى خراسان ، فأقام بهامدة ، ورحل إلى
 حلب ، فقتله بقرها بعض بني كلب سنة ٢٤٩ .

لعلى بن الجهم
يصف قصور
المتوكل

وما زلتُ أسمعُ أنَّ الملو
وأعلمُ أنَّ عقولَ الرجا
صُحونٌ تسافرُ فيها العيونُ
وقبّةُ ملكٍ كأنَّ النجومَ
إذا أوقدتُ نارُها بالعراقِ
لها شرفاتُ كأنَّ الربيعَ
فهنَّ كمصطحاتٍ خرَّجنَّ
نظمنَ القنبيَّ كنظمِ الحلي
فن بين عاقصةٍ شهَرها
وللبحتري فيها شعرٌ كثيرٌ منه :

أرى المتوكّليّة قد تعالت
قصور كالكوكب لأمّات
وروض مثل بُردِ الوشى فيه
غرائب من فنون النور فيها
تضاحكها الضحى طوراً وطوراً
ولو لم يستهلّ لها غمامٌ
وقال أيضاً :

قد تمَّ حُسنُ الجعفريِّ ولم يكن
ليتمَّ إلاَّ للخليفة جعفر

- (١) تحسر : تكل ، والأقطار : النواحي والأرجاء (٢) الفصح : من أعياد النصارى
(٣) عون : جمع عوان ، على وزن سحاب ، وهي التي كان لها زوج .
(٤) الزنار : رباط يشد به الحصر (٥) مصانعها : مبانيها ، وفي الديوان « محاسنها »
(٦) الحوذان والحزامي : من النباتات المزهرة (٧) في الأصل « يضاحك نورها »
وقد آثرنا رواية الديوان (٨) ريق القطر : الغزير منه .

ملكٌ تَبَوَّأَ خَيْرَ دَارٍ نَشِثَتْ [في خير مَبْدَى لِلْأَنَامِ وَتَحْضَرِ]
 [في رأسٍ مشرفةٍ حَصَاهَا لَوْلُوٌّ]
 مُخْضَرَةٌ وَالغَيْثُ لَيْسَ بِسَاكِبٍ
 رَفَعَتْ بِمُنْحَرِقِ الرِّيحِ، وَجَاوَرَتْ
 وَبَعْدَهُ :

وَرَفَعَتْ بُنْيَانًا كَانَ زُهَاءَهُ
 عَلَّ عَلَى لِحْظِ الْعَيُونِ كَأَنَّمَا
 مَلَأَتْ جَوَانِبَهُ الْفُضَاءُ، وَعَانَقَتْ
 وَتَسِيلُ دَجَلَةٌ تَحْتَهُ فَنَفَاؤُهُ
 شَجَرٌ تُلَاعِبُهُ الرِّيحُ فَتَنْثَنِي
 أَخَذَ أَبُو بَكْرٍ الصَّنُبُورِيُّ ^(٥) قَوْلَ الْبَحْتَرِيِّ فِي صِفَةِ الْبَرَكَةِ فَقَالَ يَصِفُ مَوْضِعًا :

للصنوبري
 يصف موضعا
 في حلب

سَقَى حَلْبًا سَافِكًا دَمْعُهُ
 مَيَادِينَهُ بَسْطُومًا الرِّيَاضُ
 تَرَى الرِّيحَ تَنْسِجُ مِنْ مَائِهِ
 كَأَنَّ الزَّجَاجَ عَلَيْهَا أَذْيَبَ
 هِيَ الْجَوْثُ مِنْ رِقَّةٍ غَيْرِ أَنَّ
 وَقَدْ نَظَّمَ الزُّهْرُ نَظْمَ النُّجُومِ
 يَطِيءُ الرِّقْوَةَ إِذَا مَاسَتْكَ ^(٦)
 وَسَاحَاتُهُ بَيْنَهُنَّ الْبَرَكُ
 دُرُوعًا مُضَاعَفَةً أَوْ شَبِكُ
 وَمَاءَ اللَّجَيْنِ بِهَا قَدْ سُبِكُ
 مَكَانَ الطَّيُورِ يَطِيرُ السَّمَكُ
 فَمُفْتَرِقِ النَّظْمِ أَوْ مُشْتَبِكُ

(١) يشاب : يمزج (٢) الصيب : الكثير الانهمال ، ورواية الديوان :

ظهرت لخرق الشمال وجاورت ظلل الغمام الصائب المستغزر

(٣) رضوى وضير : جبلان ، وفي الأصل « شواحق منبر » وهو تحريف

(٤) المشتري : اسم نجم . (٥) هو أحمد بن محمد الحلبي المتوفى سنة ٣٣٤

(٦) الرقوة : السكون ، يقال : رقأ دمه ودمه ، ولا رقأت دمه فلان ، ولا

أرقأ الله عينه . ومن كلامهم : اليأس رقوة الدمع ، وقال ذو الرمة :

لئن قطع اليأس الحنين فإنه رقوة لتذراف الدموع السوافك

كما درج الماء مرَّ الصَّبَا ودبَّحَ وجهَ السماءِ الحُبُكُ
يُبَاهِينِ أَعْلَامِ قُمْصِ القِيَانِ ونَقَشَ عَصَابِهَا وَالتَّسْكَكُ
وأخذ قوله :

* إذا النُّجُومُ تراءتْ في جَوَانِبِهَا *

فقال :

ولما تعالَى البدرُ وامتدَّ ضوؤه بدجلة في تشرين في الطولِ والعرضِ
وقد قابل الماءَ المفضضَ نورهُ وبعضُ نُجُومِ اللَّيْلِ يَقْفُو سَنًا بَعْضُ (١)
توهَّم ذو العَيْنِ البصيرةُ أنه يرى باطنَ الأفلَاقِ مِن ظَاهِرِ الأَرْضِ
ولأهلِ العَصْرِ في هذا النَّحْوِ كلامٌ كثير :

قال الأمير أبو الفضل الميكالي ، يصف بركة وقع عليها شعاع الشمس فألقته
على مَهْوٍ مَطْلٍ (٢) عليها يقول :

أما ترى البركة الغراء قد لَبِسَتْ نوراً من الشمس في حافاتها سطعاً
والمهْوُ من فوقها يُلهِيكَ منظرُهُ كأنه ملكٌ في دَسْتِهِ ارتفعاً
والماء من تحته ألقى الشعاع على أعلى سماواته فارتجَّ مُلْتَمِعاً
كأنه السيفُ مصقولاً نُقِلَبَهُ كف الكميِّ إلى ضَرْبِ الكميِّ سَعَى (٣)
وقال علي بن محمد الإيادي يمدح المعزَّ ويصف دار البحر بالمنصورية (٤) :

ولما استطلَّ المَجْدُ واستولت البني على النَجْمِ واشتدَّ الرواقُ المروِّقُ (٥)
بني قبةً للملك في وَسْطِ جَنَّةٍ لها منظرٌ يُزْهِى به الطَّرْفُ مُونِقُ
بمعشوقة السباحات ، أمَّا عِراضُها فَخُضْرٌ ، وأمَّا طيرها فهي نَطَقُ (٦)

(١) يقفو : يتبع ، والسنا : الضوء . (٢) المهو : الحصى الأبيض (م)

(٣) الكمي : الشجاع (٣) المنصورية : مدينة بقرب القيروان (٤) البني : جمع

بنيّة ، بالضم والكسر (٥) العراض : هي الباحات

تحف بقصر ذي قصور كأنما
له بركة للماء ملء فضائه
لها جدول ينصب فيها كأنه
لها مجلس قد قام في وسط مائها
كأن صفاء الماء فيها وحسنه
إذا بث فيها الليل أشخاص نجمه
وإن صاغتها الشمس لاحت كأنها
كأن شرافات المقاصر حولها
يدوب الجفاء الجعد عن وجه مائها

وقال عبد الكريم بن إبراهيم :

يا رب فتیان صدق رُحْتُ بينهم
مرضى أصائلها حسرى شمائلها
معاطيا شمس إبريق إذا مُرِجَتْ
عن محل طافح بالماء مُعتلج
تضمه الريح أحيانا، وتفرقه
من أخضر ناضر والطل يلحقه
تهزه الريح أحيانا فيمنحها
كأن خافاته نطقن من زبد

لعبد الكريم
ابن إبراهيم
يصف موضعا

ترى البحر في أرجائه وهو متاق^(١)
تخب بقصر يها العيون وتعنق^(٢)
حسام جلّاه القين بالأرض ملصق^(٣)
كما قام في فيض الفرات الخورنق^(٤)
زجاج صفت أرجاؤه فهو أزرق
رأيت وجوه الزنج بالنار تحرق
فرئد على تاج المعز ورونق
عذاري عابن الملاء المنطق
كما ذاب آل الصحصجان المررق^(٥)

والشمس كالديف العشوق في الأفق
تروح الغصن المظور في الورق
تقلدت عقد مرجان من النزق
كأنما نفسه صيغت من الحدق
فالماء ما بين محبوس ومُنطلق
وأبيض تحت قيطى الضحى يقق^(٦)
للزجر خفق فواد العاشق القاق
مناطقاً رصعت من لؤلؤ نسق

(١) متاق : ملآن (٢) تخب، وتعنق : من الحجب والعنق بفتحين وهما من أنواع السير (٣) القين : الحداد (٤) الخورنق : اسم قصر (٥) الصحصجان : موضع بين حلب وتدمر ، والآل : السراب (٦) قيطى : منسوب إلى القيظ وهو الحر الشديد . وفي الأصل «قبطى» وهو تحريف ، واليقق : الناضع البياض .

كَانَ قِيَّتَهُ مِنْ سُنْدُسٍ نَمَطٍ حَسَنَاءَ مَجْلُوءَةٍ اللَّيَّاتِ وَالْعُنُقِ
 إِذَا تَبَلَّجَ فَجَرٌّ فَوْقَ زُرْقَتِهِ حَسْبَتَهُ فَرَسًا دِهَاءَ فِي بَلَقِ (١)
 أَوْلَا زَوْزِدًا جَرَى فِي مَتْنِهِ ذَهَبٌ فَلَاحَ فِي شَارِقٍ مِنْ مَائِهِ شَرْقِ
 عَشِيَّةٍ كَمَلَتْ حُسْنًا وَسَاعَدَهَا لَيْلٌ يُمَدِّدُ أَطْنَابًا عَلَى الْإَفُقِ
 تَجَلَّى بَغْرَةً وَضَاحَ الْجَبِينِ لَهُ مَا شَتَّ مِنْ كَرَمٍ وَافٍ وَمِنْ خُلُقِ

ألفاظ لأهل العصر في وصف الماء وما يتصل به

ماء كالزجاج الأزرق ، غدير كعين الشمس ، موارِد كالمبارِد ، وماء كلسان
 الشعمة ، في صفاء الدمعة ، يسبح في الرضراض ، سَبَحَ النَّضْنَأْضُ ، ماء أزرق
 كعين السنور (٢) ، صاف كقضيب البلور ، ماء إذا مسَّته يدُ النسيم حتى سَلَاسِلَ
 الفضة ، ماء إذا صاحته راحةُ الريح ، لبس الدرّع كالمسيح ، كَأَنَّ الْغَدِيرَ بِتَرَابِ
 الْمَاءِ رِدَاءٌ مُصْنَدَلٌ ، بركة كأنها امرأة السماء ، بركة مَفْرُوزَةٌ بِالْحَضْرَةِ ، كأنها
 مِرْآةٌ مَجْلُوءَةٌ ، على ديباجة خضراء ، بركة ماء كأنها مِرْآةُ الصَّنَاعِ (٣) ، غدير
 ترقرقت فيه دموعُ السحاب ، وتواترت عليه أنفاسُ الرياح الغرائب ، ماء زُرْقِ
 رِجَامِهِ ، طامية أرجاؤه ، يَبُوحُ بِأَسْرَارِهِ صَفَاؤُهُ ، وتلوحُ في قراره حَصْبَاؤُهُ ،
 ماء كأنما يفقده مَنْ يَشْهَدُهُ ، يَتَسَلَّسَلُ كَالزَّرَافِينِ (٤) ، ويرضع أولاد الرِّيَاحِينَ ،
 انحلَّ عقدُ السماء ، ووَهَى عَقْدَ الْأَنْوَاءِ ، انحلَّ سَلْكُ الْقَطْرِ عَنْ دُرِّ الْبَحْرِ ، أَسْعَدَ
 السحابُ جفونَ العُشَّاقِ (٥) ، وَأَكْفَى الْأَجْوَادَ ، وانحلَّ خَيْطُ السَّمَاءِ ، وانقطع

(١) البلق : ارتفاع التحجيل إلى الفخذين (٢) السنور : القط .

(٣) الصناع : المرأة الماهرة فيما تصنع وكأنما يراد بها المرأة التي تهتم بزينة النساء

(٤) الزرافين : الآلات يرفع بها الماء ، فترى له عليها بريقاً ولمعاناً

(٥) أسعد : من الإسعاد ، وهو المشاركة في البكاء

شَرِيَانُ الْعَمَامِ ، سحابة يتجلى عليها ماء البحر ، وتفرض علينا عقود الدّر ، سحابٌ
 حكى الحبّ في انسكاب دموعه ، والتهاب النار بين ضلوعه ، سحابة تحدو من الغيوم
 جمالاً ، وتمدُّ من الأمطار حبالاً ، سحابة ترسلُ الأمطارَ أمواجاً ، والأمواجَ
 أفواجاً ، تحملت نقد السماء بالديمة الهطلاء ، غيثٌ أجشٌ^(١) يروى الهصَابَ
 والآكام^(٢) ، ويحيى النبات والسّوام^(٣) ، غيثٌ كغزارة فضلك ، وسلاسة طبعك ،
 وسلامة عقدك ، وصفاء ودك ، وبل كالنبل ، سحابة يضحك من بكائها الرّوض ،
 وتخصّر من سوادها الأرض ، سحابة لا تجف جفونها ولا يخف أنينها ، ديمة
 روت أديم الثرى ، ونهت عيون النّور من الكرى ، سحابة ركبت أغناق الرياح ،
 وسحّت كقفواه الجراح ، مطر كقفواه القرب ، ووحل إلى الركب ، أنديّة من الله
 معها على البيوت بالثبوت ، وعلى السقوف بالوقوف ، أقبل السيل ينحدر انحداراً ،
 ويحمل أحجاراً وأشجاراً ، كأن به جنة ، أو في أحشائه أجنة .
 وبعض ما مر من هذه الألفاظ محلول نظام ما تقدم إنشاده .

ولهم في مقدمات المطر

لبست السماء جلبابها ، وسحبت السحاب أذيالها ، قد احتجبت الشمس في
 سُرّادق الغيم ، ولبس الجو مطرّفه الأدكن ، باحت الريح بأسرار الندى ،
 وضربت خيمة الغمام ، ورش جيش النسيم ، وابتل جناح الهواء ، واغرورقت مقلة
 السماء ، وبشّر النسيم بالندى ، واستعدت الأرض للقطر ، هبت شمائل الجنائب ،
 لتأليف شمل السحاب . تألفت أشنات الغيوم ، وأسبلت السنور على النجوم .

(١) أجش : ذو صوت (م) (٢) الآكام : جمع أكمة وهي التل .
 (٣) السوام : جمع ساعة ، وهي المشية (م)

وفي الرعد والبرق

قام خطيبُ الرِّعْدِ ، ونبضُ عِرْقِ البرقِ ، سحابة ارتجزت^(١) رَوَاعِدُهَا ، وأذهبت
ببروقها مطاردها ، نطقَ لسانُ الرعد ، وخفق قلبُ البرق ، فالرعدُ ذو صَخَبٍ ،
والبرقُ ذو لَهَبٍ ، ابتسم البرقُ عن قهقهة الرعد ، زارت أسد الرعد ، ولمعت سيوف
البرقِ ، رعدت [سيوفُ] الغمام ، وبرقت ، وانحلت عزَّ إلى السماء فطبقت ،
هدرت رَوَاعِدُهَا ، وقربت أباعدها ، وصدقت مَوَاعِدُهَا . كأن البرق قلب مشوق ،
بين التهاب وخُفوق .

ويتصل بهذه الأنحاء

ما حكاه عمر بن علي المطوعي قال : رأى الأمير السيد أبو الفضل عبيد الله
ابن أحمد - أدام الله عزه! - أيام مُقَامِهِ بِمَجُورٍ أن يطالع قريةً من قرى ضياعه تدعى
نجاب على سبيل التنزه والتفرُّج ، فكنت في جملة من استصحبه إليها من
أصحابه ، واتفق أنا وصلنا والسماء مُصْحِيَّة ، والجوُّ صاف لم يطرز ثوبه بعلم الغمام ،
والأفق فيروزج لم يعبق به كافور السحاب ؛ فوقع الاختيار على ظلِّ شجرةٍ باسقة
الفروع^(٢) ، متسقة الأوراق والغصون ، قد سترت ما حواليتها من الأرض طولاً
وعرضاً ، فنزلنا تحتها مستظليين بِسَمَاوَةِ أَفْنَانِهَا^(٣) ، مستترين من وهج الشمس
بستارة أغصانها ، وأخذنا نتجاذبُ أذْيَالِ المذاكرة ، وتَسَالِبُ أهدابِ المُتَأَشِدَّةِ
والمحاورة؛ فاشعرنا بالسماء إلا وقد أرعدت وأبرقت ، وأظلمت بعدما أشرقت ، ثم جادت
بمَطَرٍ كأفواه القرب فأجادت ، وحكت أنامل الأجواد ومدامع العشاق^(٤) ، بل

(١) ارتجزت : أراد صوتت (م) (٢) باسقة : عالية مرتفعة (م) .

(٣) السماوة : السماء وهو السقف - والأفنان : جمع فنن ، بالتحريك ، وهو

الغصن (م) (٤) اللداعم : جمع مدمع ، وهو هنا مكان الدمع .

أَوْفَتْ عَلَيْهَا وَزَادَتْ، حَتَّى كَادَ غَيْثُهَا يَعُودُ عَيْثُنَا^(١)، وَهَمَّ وَبَلَّهَا أَنْ يَسْتَحِيلَ وَيَبْلَأَ
فَضَبْرَنَا عَلَى أَذَاهَا، وَقَلْنَا: سَحَابَةٌ صَيْفٌ عَمَّا قَلِيلٍ تَقْشَعُ، فَإِذَا نَحْنُ بِهَا قَدْ أَمْطَرْتَنَا
بَرْدًا كَالثُّغُورِ، لَكِنَّا مِنْ ثُغُورِ الْعَذَابِ، لَا مِنَ الثُّغُورِ الْعَذَابِ، فَأَيُّقِنَا بِالْبَلَاءِ،
وَسَأَمْنَا لِأَسْبَابِ الْقَضَاءِ؛ فَمَا مَرَّتْ إِلَّا سَاعَةٌ مِنَ النَّهَارِ، حَتَّى سَمِعْنَا خَرِيرَ الْأَنْهَارِ،
وَرَأَيْنَا السَّيْلَ قَدْ بَلَغَ الرَّبِّيَّ^(٢)، وَالْمَاءُ قَدْ غَمَرَ الْقَيْعَانَ وَالرَّبِّيَّ^(٣)؛ فَبَادَرْنَا إِلَى
حِصْنِ الْقَرْيَةِ لِأَنْذِينَ مِنَ السَّيْلِ بِأَفْنِيَّتِهَا، وَعَانِذِينَ مِنَ الْقَطْرِ بِأَبْنِيَّتِهَا، وَأَثْوَابِنَا
قَدْ صَدَّدَلْ كَافُورِيَّهَا مَاءَ الْوَيْبِلِ، وَغَلَّفَ طِرَازِيَّهَا طِينُ الْوَحْلِ، وَنَحْنُ نَحْمَدُ
اللَّهَ تَعَالَى عَلَى سَلَامَةِ الْأَبْدَانِ، وَإِنْ فَقَدْنَا بَيَاضَ الْأَكَامِ وَالْأَرْدَانَ، وَنَشْكُرُهُ
عَلَى سَلَامَةِ الْأَنْفُسِ وَالْأَرْوَاحِ، شُكْرَ التَّاجِرِ عَلَى بَقَاءِ رَأْسِ الْمَالِ إِذَا فُجِعَ
بِالْأَرْبَاحِ؛ فَبِتِنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي سَمَاءِ تَكْفٍ وَلَا تَكْفٍ^(٤)، وَتَبَكَّى عَلَيْنَا إِلَى الصَّبَاحِ
بِأَدْمَعٍ هَوَامٍ^(٥)، وَأَرْبَعَةَ سِجَامٍ؛ فَمَا سُلَّ سَيْفُ الصَّبْحِ مِنْ غِمْدِ الظَّلَامِ،
وَصُرِفَ بِوَالِي الصَّحْوِ عَامِلُ الْغَمَامِ، رَأَيْنَا صَوَابَ الرَّأْيِ أَنْ تُوسِعَ الْإِقَامَةَ بِهَا
رَفُضًا، وَتَتَخَذَ الْإِرْتِحَالَ عَنْهَا فَرُضًا؛ فَمَا زَلْنَا نَطْوِي الصَّحَارَى أَرْضًا فَأَرْضًا، إِلَى
أَنْ وَافِينَا الْمُسْتَقَرَّ رُكُضًا؛ فَلَمَّا نَفَضْنَا غُبَارَ ذَلِكَ الْمَسِيرِ، الَّذِي جَمَعْنَا فِي رِبْقَةِ
الْأَسِيرِ، وَأَفْضِينَا إِلَى سَاحَةِ التَّيْسِيرِ، بَعْدَ مَا أُصِيبْنَا بِالْأَمْرِ الْعَسِيرِ، وَتَذَا كَرْنَا
مَا لَقِينَا مِنَ التَّعَبِ وَالْمَشَقَّةِ، فِي قَطْعِ ذَلِكَ الطَّرِيقِ وَطَى تِلْكَ الشُّقَّةَ، أَخَذَ الْأَمِيرُ
السَّيْدَ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ! - الْقَلَمَ فَعَلَقَ هَذِهِ الْأَيَّاتِ ارْتِجَالًا:

دَهْتَنَا السَّمَاءُ غَدَاةَ السَّحَابِ بَغِيثٍ عَلَى أَفْقِهِ مُسْبِلٍ
فَجَاءَ بَرَعْدٍ لَهُ رَنَةٌ كَرَنَةٌ تَكْلَى وَلَمْ تَشْكَلِ

(١) العيث: الفساد (٢) الربِّي جمع زبية، وهي الراية لا يعلوها ماء

(٣) القيعان: جمع قاع، والربِّي: جمع ربوة (٤) تكف: تسيل، وتكف: تمتع

(٥) هوام: جمع هامية، وسجام: جمع ساجمة، أي مطررة

وَتَنَى بَوَّابِ عَدَا طَوْرَهُ
 وَأَشْرَفَ أَصْحَابُنَا مِنْ أَدَاهُ
 فَمِنْ لَائِذِ بِنَاءِ الْجِدَارِ
 وَمِنْ مُسْتَجِيرِ يُنَادَى: الْغَرِيقَ
 وَجَادَتْ عَلَيْنَا سَمَاءُ السَّقُوفِ
 كَأَنَّ حَرَامًا لَهَا أَنْ تَرَى
 وَأَقْبَلَ سَيْلٌ لَهُ رَوْعَةٌ
 يُقْلَعُ مَا شَاءَ مِنْ دَوْحَةٍ
 كَأَنَّ بِأَخْشَاهُ إِذْ بَدَا
 فَمِنْ عَامِرٍ رَدَّهُ غَامِرًا
 كَفَانَا بَلَيْتَهُ رَبَّنَا
 قَقْلٌ لِلسَّمَاءِ ارْعُدِي وَابْرُقِي
 فَعَادَ وَبَالًا عَنِ الْمُجَلِّ (١)
 عَلَى خَطَرٍ هَائِلٍ مُفْضِلٍ
 وَأَوْ إِلَى نَفَقٍ مُهْمَلٍ (٢)
 هُنَاكَ ، وَمَنْ صَارِخٍ مُعْوَلٍ
 بِدَمْعٍ مِنَ الرَّجْدِ لَمْ يَهْمَلِ
 يَبِينَا مِنَ الْأَرْضِ لَمْ يُبْلَلِ
 فَأَذْبَرَ كُلٌّ عَنِ الْمُقْبِلِ
 وَمَا يَلْقَى مِنْ صَخْرَةٍ يَحْمِلِ
 أَجْنَةً حُبْلَى وَلَمْ تَحْبَلِ
 وَمِنْ مُعَلِّمٍ عَادَ كَالْمَجْهَلِ (٣)
 فَقَدْ وَجِبَ الشُّكْرُ لِلْمُفْضِلِ
 فَإِنَّا رَجَعْنَا إِلَى الْمَنْزِلِ (٤)

أخذ المطوعى قوله: « فلما سلَّ سيفُ الصبحِ من غنْدِ الظلامِ » من قول

أبي الفتح البستي :

رُبَّ لَيْلٍ أَغْمَدَ الْأَنْوَارَ إِلَّا
 قَدْ نَعْمًا بَدَا يَأْجِيهِ إِلَى أَنْ
 نَوْرَ تَغْرٍ أَوْ مَدَامَ أَوْ نِدَامَ
 سُلَّ سَيْفِ الصَّبْحِ مِنْ غَمْدِ الظَّلَامِ
 [وقال بعض أهل العصر ، وهو أبو العباس الناشيء] :

خَلِيلِي هَلْ لِلْمُزْنِ مُقْلَةٌ عَاشَتْ
 أَشَارَتْ إِلَى أَرْضِ الْعِرَاقِ فَأَصْبَحَتْ
 أَمْ النَّارُ فِي أَحْشَائِهَا وَهِيَ لَا تَنْذَرِي
 وَكَاللَّوْلُوِّ الْمَشُورِ أَدْمَعُهَا تَجْرِي
 لَأَبِي الْعَبَّاسِ
 النَّاشِئِ ٦

(١) المجل : المجدب (٢) النفق : السرداب

(٣) غامر : خراب ، ومعلم ومجهل : معلوم ومجهول

(٤) هذا البيت غاية في خفة الروح

سحاب حكّتْ تَكَلَّى أُصِيبَتْ بِوَاحِدٍ
تَسْرِبَلٍ وَشَيْئاً مِنْ حُزُونٍ تَطْرَزَتْ
فَوْشَى بِلَا رَقْمٍ، وَرَقْمٌ بِلَا يَدٍ،
وَقَالَ آخِرُ :

أرقتُ لبرقٍ شديد الوميض
كأنَّ تَأْتِقَهُ فِي السَّمَاءِ

وقال ابن المعتز لابن المعتز

كأن الرّباب الجونَ دون سحابه
إذا لحفته خيفةً من رعوده
وقد قال حسان بن ثابت :

لحسان بن ثابت

كأن الرّباب دوينَ السحاب
وقال ابن المعتز :

لابن المعتز أيضاً

بأكية يضحك فيها برقها
رأيت فيها برقها منذ بدا
جرت بها ريح الصبا حتى بدا
تحسبه طوراً إذا ما انصدعت
وتارةً تحسبه كانه
موصلة بالأرض مرخاة الطنب
كمثل طرف العين أو قلب يحب^(٣)
منها لي البرق كأمثال الشهب^(٤)
أحشاؤها عنه شجاعاً يضطرب^(٥)
أهلق مال جله حين وثب^(٦)

(١) الرباب : السحاب ، والجون : الأسود

(٢) دوين : تصغير دون (٣) يحب : يضطرب (٤) رواية الديوان :

ثم حدث بها الصبا كأنها فيها من البرق كأمثال الشهب
(٥) الشجاع : الثعبان . ورواية الديوان :

إذا تعرى البرق فيها خلته بطن شجاع في كتيب يضطرب

(٦) الأبلق : الجواد يرتفع تحجيله إلى الفخذين ، والتحجيل : يياض في القوائم ،

والجلل : ما يوضع على ظهر البعير والجواد

وتارةً تحسبه كأنه سلاسل مفصولة من الذهب
وقال الطائي :

ياسهم للبرق الذي استطارا صار على رغم الدجى مهارة
أض لنا ماء وكان ناراً^(١)

وينشد أصحاب المعاني :

نارٌ تجدد للعينين نضرتها والنار تفتح عيدانا فتحترق
وقال ابن المعتز يمدح الشرب في الصحو ، ويدمه في المطر :

أنا لا أشتهى سماء كبطان العير والشرب تحتها في خراب^(٢)

بين سقف قد صار منخل ماء وجدار ملقى وتل تراب

وبيوت يوقع الوكف فيهن وإيقاعه بغير صواب^(٣)

إنما أشتهى الصبح على وجهه سماء مصقولة الجلباب

ونسيم من الصبا يتمشى فوق روض ندجديد الشباب

وكان الشمس المضيئة دينا رجته حداثد الضراب

في غداة وكأسها مثل شمس طلعت في ملاءة من شراب^(٤)

أوعروس قد ضمخت مخلوق فهي صفراء في قبض حباب

وغناء لا عذر للعود فيه بتندى الأوتار والمضراب

ونقاء البساط من وضر الطيان ومسح الأقدام في كل باب

ونشاط العلمان إن عرضت حا جاتنا في مجيهم والذهاب

وجفاف الريحان والبرجس الفض بأيدي الخلان والأصحاب

لا تندى أنوفهم كلما حيو وأبضت ندى أنوف الكلاب

(١) أض : رجع وصار (٢) الشرب - بالفتح - جماعة الشاربين (م) .

(٣) في الديوان (٥٣/٤) « وإيقاع الوكف غير صواب » . التوقيع : الضرب على

آله الغناء ، والوكف : انهمال المطر (م) (٤) هذا البيت ملفق من بيتين وهما كافي الديوان :

في غداة قد تمتك يرد ال . سماء في يومها وضخو الشراب

من عقار في السكاس تشبه شمساً طلعت في غلالة من سراب (م)

(١٤ - زهر الآداب ١)

لابن المعتز
يمدح الشراب
في الصحو

ذَٰكَ يَوْمٌ أَرَاهُ غَمًّا وَحُظًّا
 من عَطَاءِ الْمُهَيِّمِينَ الوَهَّابِ
 وقال الصنوبري :

أُنَيْسٌ ظَبَاءٌ بُوْحَشِ الظَّبَا
 وصَبَغَ حَيًّا مِثْلَ صَبَغِ الحَيَا
 وَيَوْمٌ تَكَلَّلَهُ الشَّمْسُ مِنْ
 صَفَاءِ الهَوَىِّ وَصَفَاءِ الهَوَا
 بِشَمْسِ الدَّنَانِ وَشَمْسِ التِّيَابِ
 وَشَمْسِ الجَنَانِ وَشَمْسِ السَّمَآ
 وَشَدِيدِهِ بِالْأَبْيَاتِ الَّتِي كَتَبَهَا ثَعْلَبٌ إِلَى أَبِي العَبَّاسِ بنِ العَازِمِ الجَلِيلِ ^(١) قَوْلُ الْآخِرِ:
 وَمَا وَجَدَ مِلْوَا حَ مِنْ الهَيْمِ خُلِّيتْ
 عَنِ الوَرْدِ حَتَّى جَوُّ فَهَا يَتَصَلَّصِلُ ^(٢)
 تَحُومٌ وَتَغَشَاهَا العَصِيُّ وَحَوَّلَهَا
 أَقَاطِيعُ أَنْعَامٍ تُعَلُّ وَتَهْلُ
 بِأَكْثَرِ مَنِي لَوْعَةٍ وَصَبَابَةٍ
 إِلَى الوَرْدِ إِلَّا أَنِّي أَتَجَمَّلُ ^(٣)
 وقال أبو حية النخيري :

وصف شدة
 الشوق

لأبي حية
 في هذا المعنى

كُنِيَ حَزَنًا أَنِّي أَرَى المَاءَ مُعْرَضًا
 لِعَيْنِي وَلَكِنْ لَاسَبِيلَ إِلَى الوَرْدِ ^(٤)
 وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ مَنِيَّتِي
 بَكَفِّ أَعْرَ النَّاسِ كُلِّهِمْ عِنْدِي

[وصف رجل حازم لابن المقفع]

قال ابن المقفع : كان لي أخ أعظم الناس في عيني ^(٥) ، وكان رأس ما عظمت
 في عيني صغر الدنيا في عينه ، وكان خارجاً من سلطان بطنه ، فلا يشتهي مالا

(١) قد مرت هذه الأبيات في ص ١٨٦ (٢) اللواح : الناقة أصابها اللوح وهو
 الظم الشديد ، والهيم : جمع هيماء ، وهي التي أصيبت بداء الهيام ، وهوشدة الظم ،
 ويتصلصل : يصوت (٣) ومثل هذا أيضا قول الشريف الرضي :

وما حائمت يلتفتن من الصدى
 إلى الماء قد موطن بالرشقان
 إذا قيل هذا الماء لم يملكوا لها
 معاجا بأقران ولا بمشان
 بأظما إلى الأحباب مني وفيهم
 غريم إذا رمت الديون لواني
 (٤) ومن هذا الباب قول الآخر :

إني وإياك كالصادي رأيت هلا
 ودونه هوة يخفى بها التلغا
 يري بعينه ماء عز مورده
 وليس يملك دون الماء متصرفا
 (٥) عبارة اليتيمة : « إني مخبرك عن رجل كان أعظم الناس في عيني »

يُجد ، ولا يُكثِرُ إذا وجد ، وكان خارجاً من سُلطانِ فَرَجِه ، فلا تدعوه إليه مؤنة ، ولا يستخف له رأياً ولا بدناً . وكان لا يتأثر عند نعمة ، ولا يستكين عند مصيبة . وكان خارجاً من سُلطانِ لسانه ، فلا يتكلم بما لا يعلم ، ولا يُمارى فيما علم ، وكان خارجاً من سُلطانِ الجهالة ، فلا يتقدم^(١) أبداً إلا على نعمة بمنفعة ، وكان أكثر دهره صامتا ، فإذا قالَ بَرٌّ القائلين^(٢) ، وكان ضعيفا مستضعفا ، فإذا جدَّ الجدُّ^(٣) فهو اللَّيْثُ عاديا^(٤) . وكان لا يدخل في دَعْوَى ، ولا يُشارك في مِرَاء^(٥) ، ولا يُدلى بحِجَّةٍ حتى يَرى قاضيا فهما^(٦) وشهودا عدولا . وكان لا يلوم أحداً فيما يكون العُدْرُ في مثله حتى يعلم ما عُدْرُه .

وكان لا يشكو وجعه إلا عند مَنْ يرجو عنده النُبْرُ ، ولا يستشيرُ صاحباً إلا أن يرجو منه النصيحة . وكان لا يتبرم^(٧) ولا يتسخط ، ولا يتشكى ولا يتشهى ، ولا ينتقم من العدو ، ولا يغفل عن الولي ، ولا يخصُّ نفسه بشيء دون إخوانه من اهتمامه وحيلته وقوته . فليكن بهذه الأخلاق إن أطقها ، وإن طيق ، ولكن أخذ القليل خير من ترك الجميع .

وعلى ذكر قوله : « وإن قال بَرٌّ القائلين » قال ابن كناسه — واسمه محمد بن

عبد الله ، ويكنى أبا يحيى — في إبراهيم بن أدهم^(٨) الزاهد :

رَأَيْتَكَ لَا تَرْضَى بِمَادُونَةَ الرِّضَا وَقَدْ كَانَ يَرْضَى دُونَ ذَلِكَ ابْنَ أَدَهْمَا
لابن كناسه
يصف ابن أدهم

(١) عبارة اليتيمة « فلا يقدم إلا على ثقة أو منفعة »

(٢) بز: غلب ، بالدال والزاي ، ومنه : من عزيز (٣) في الأصل « فإذا وجد الجد »

وهو محريف . وعبارة اليتيمة « فإذا جاء الجد » (٤) عاديا : منصوب على الحال

(٥) المراء : الجدال (٦) رواية اليتيمة « قاضيا عدلا » (٧) يتبرم : يتضجر

(٨) إبراهيم بن أدهم : شخصية قوية ترى أثرها في كتب الدين والأخلاق . كان

يعيش من عرق جبينه ، ويشترك مع الغزاة في قتال الروم ، تعفف عن ميراث أبيه

واكتفى بحياة التمسف والحشونة ، وكان معروفاً بالفصاحة والحرص على صواب القول ؛

فكان إذا حضر مجلس سفيان الثوري وهو يمظ أو جز سفيان في كلامه مخافة أن

يزل . وكانت وفاته نحو سنة ١٦١ .

وكان يرى الدنيا صغيراً عظيماً وكان لأمر الله فيها معظماً
وأكثر ما تلقاه في الناس صامتا وإن قال بز القائلين فأفحماً
يشيح الغنى في الناس إن مسه الغنى وتلقى به البأساء عيسى بن مريم
أهان الهوى حتى تجنبه الهوى كما اجتنب الجاني الدم الطالب الدما

ألفاظ لأهل المصر في ذكر التقى والزهد

فلان عذب المشرب ، عفت المطلب ، تقى الساحة من المآثم ، برى
الذمة من الجرائم ، إذا رضى لم يقل غير الصدق ، وإذا سخط لم يتجاوز جانب
الحق ، يرجع إلى نفس أمارة بالخير ، بعيدة من الشر ، مدلولة على سبيل البر ؛
أعرض عن زبرج الدنيا وخدعها ، وأقبل على اكتساب نعم الآخرة ومتمعها .
كف كفه عن زخرف الدنيا ونصرتها ، وغض طرفه عن متاعها وزهرتها ؛
وأعرض عنها وقد تعرضت له بزيتها ، وصد عنها وقد تصدت له في حليتها .
فلان ليس ممن يقف في ظل الطمع ، فيسب إلى حضيض الطمع ^(١) ، تقى
الصحيفة ، على عن الفضيحة ، عفت الإزار ، طاهر من الأوزار ، قد عاد لإصلاح
المعاد ، وإعداد الزاد .

وكان ابن المقفع من أشراف فارس ، وهو من حكماء زمانه ، وله مصنفات
كثيرة ، ورسائل مختارة ؛ وكان مُحجماً عن قول الشعر ، وقيل له : لم لا تقول
الشعر ؟ فقال : الذى أرضاه لا يجيئنى ، والذى يجيئ لأرضاه ^(٢) .

من أخبار
ابن المقفع

(١) الطمع - بفتح الباء - الحسة . وفي الأصل (التصنع) وهو تحريف .
(٢) ومع هذا فقد تيسرت له الإجابة ، حتى اختار له مؤلف الحماسة الأبيات الآتية

رزئنا بأعمرو ، ولا حتى مثله فله ريب الحادثات بمن وقع
فإن تك قد فارقتنا وتركتنا ذوى خلة ما فى انسداد لها طمع
فقد جر نفعاً فقدنا لك أننا أمنا على كل الرزايا من الجزع

أخذ هذا بعضهم فقال :

أبى الشعرُ إلا أن ينفى رديهُ إلى ، ويأبى منه ما كان مُحسماً
فيا ليتنى إذ لم أجد حوك وشيه ولم ألك من فرسانه كنت مُفحماً^(١)
وكان ظريفاً في دينه^(٢) ، وذكر أنه مرَّ بيت النار فقال :

يا بيت عاتكة الذى أتزلُّ حذر العدا وبه الفؤاد موكل^(٣)
أصبحت أمنحك الصدود، وإنتى قسماً إليك مع الصدود لأتميل^(٤)

البيتان للأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الأنصارى أخى
ترجمة
للأحوص
بنى عمرو بن عوف . وعاصم بن ثابت حمى الدبر^(٥) قتله بنو لحيان من هذيل
يوم الرגיע ، فأرادوا أن يبعثوا برأسه إلى مكة ، وكانت سلافة بنت سعد نذرت
لتشربن في رأسه الخمر ، وكان قتل بعض ولدها من طلحة بن أبي طلحة أحد
بنى عبد الدار يوم أحد ، فلما أرادوا أخذ رأسه حمته الدبر - وهى النحل - فلم
يجدوا إليه سبيلاً ، وجعلوا يقولون : إن الدبر لو قد أمسى صرنا إلى حشواسته ،
فلما أمسوا بعث الله أتياً فواراه منهم^(٦) . وعاتكة التى ذكرهى عاتكة
بنت يزيد بن معاوية .

[أطف تعريض ، وأدق فهم]

ولما دخل أبو جعفر المنصور المدينة قال للربيع : أبعنى رجلاً خاقلاً عالماً
بالمدينة ليقيفى على دورها ؛ فقد بعد عهدى بديار قومي ؛ فالتمس له الربيع فتى

- (١) مفحماً : مغلوب (٢) يريد أنه كان متهما ؛ لأنه كان قبل إسلامه مجوسياً
- يعبد النار . توفى سنة ١٤٢ (٣) أتزل : أتجنب : وفى الأصل (أتزل) وهو تحريف
- (٤) انظر ما كتب عن هذا الشعر فى كتاب البدائع تحت عنوان (الأدب الجديد)
- (٥) الدبر - بالفتح - جماعة النحل والزناير (٦) الأى - على وزن غنى - هو السيل

من أعقل الناس وأعلمهم ، فكان لا يتدري ؛ ياخبر حتى يسأله المنصور فيجيبه بأحسن عبارة ، وأجود بيان ، وأوفى معنى ، فأعجب المنصور به ، وأمر له بمال ، فتأخر عنه ، ودعت الضرورة إلى استنجاهه ، فاجتاز بيت عاتكة ، فقال : يا أمير المؤمنين : هذا بيت عاتكة الذي يقول فيه الأحوص : « يا بيت عاتكة الذي أتعزل . . . البيت ، ففكر المنصور في قوله ، وقال : لم يخالف عادته بإبتداء الإخبار دون الاستخبار إلا لأمر ، وأقبل يردد التصيدة ويتصفحها بيتا بيتا حتى انتهى إلى قوله فيها :

وأراك تَقُولُ ماتقولُ وبعضهم مَذِقُ اللسان يقولُ ما لا يفعلُ (١)
 فقال : ياربيع ، دل أوصات إلى الرجل ما أمرتاه به ؟ فقال : أخرته عنه - نعلته ذكرها الربيع - فقال : عجزته له ، ضاعفاً ، وهذا ألطف تعريض من الرجل ، وحسن فهم من المنصور .

[الحسد والحساد]

لابن المقفع في
 صفة الحاسد
 ومن كلام ابن المقفع : الحاسد لا يزال زاراً على نعمة الله ولا يجدها مزاً إلا ،
 ومكدرًا على نفسه ما به من النعمة فلا يجدها طعاماً ، ولا يزال سائحاً على من
 لا يترضاه ، ومتسخطاً لما [لا] ينال ، فهو كظوم هلوع جزوع ، ظالم أشبه شيء
 بمظلوم ، محروم الطيبة ، منغص العيشة ، دائم التسخط ، لا بما قسم له يقنع ،
 ولا على ما لم يقسم له يغلب ، والحسود يتقلب في فضل نعم الله مباشرة للسرور .
 ممهلاً فيه إلى مدة لا يقدر الناس لها على قطع ولا انتقاص ، ولو صبر الحاسد على
 ما به لكان خيراً له ؛ لأنه كلما أراد أن يطفيء نور الله أعلاه ، ويأبى الله إلا أن
 يتم نوره ولو كره الكافرون .

(١) مذاق اللسان : يمزج الجذب بالهزل

قال الطائي :

لولا التَّخَوُّفُ لِلْعَوَاقِبِ لَمْ تَزَلْ
وإذا أراد الله نَشْرَ فضيلةٍ
لولا اشتعالُ النارِ فيما جاوَرَتْ
أخذه البحتری فقال :

لِلْحَاسِدِ التُّعْمَى عَلَى المحسودِ
طَوَيْتُ أَتَاحَ لها لسانَ حَسودِ
ما كان يُعْرِفُ طِيبَ عَرَفِ العودِ
إذا أنتَ لم تُدَلِّلْ عليها بِحَاسِدِ

وَلَنْ تَسْتَبِينَ الدَّهْرَ مَوْضِعَ نِعْمَةٍ
ولقد أحسنَ القائل :

قَبِلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلَ الفِضْلِ قَدْ حَسِدُوا
وماتَ أَكثَرُنا غَيْظاً بِما يَجِدُ
لا أرتقي صَدْرًا عنها ولا أُرِدُ^(١)

إن يحسدوني فإنِّي غيرُ لَأَمِهِمْ
فدام لي وَلَهُمْ ما بي وما بهم
أنا الذي يَجِدُونِي في صَدورِهِمْ
وقال ابن الرومي لصاعد بن مُحَمَّد :

ولا بَرَحَتْ أنفاسُهُ تَنصَعِدُ^(٢)
ويُغضِي عن استحقاقكم فهو يُفَادُ^(٣)
لأطفأ ناراً في الحُشَا تَتَوَقَّدُ
وأحسن من سِرِّهاها المتجرَّدُ^(٤)

وَضِدُّ لَكُمْ لا زال يَسْفُلُ جَدُّهُ
يرى زَبْرَجَ الدُّنيا يُزِفُ إليكم
ولو قاس باستحقاقكم ما مُنِحْتُمْ
وَأَنقُ من عِقْدِ العَقِيلَةِ جِيدُها
وقال معن بن زائدة :

لأعاشَ مَنْ عاشَ يوماً غَيْرَ محسودِ
بالعلم والظُّرْفِ، أو بالبأسِ والجُودِ

إني حُسِدْتُ فزادَ اللهُ في حَسَدِي
ما يُحَسدُ المرءَ إلا مِن فِضائلِهِ

- (١) لأرتقي صدرًا ولا أُرِدُ : لأصعد ولا أهبط ؛ فأنا كالشجي الدائم الذي لا سلامة لأعدائي منه . وهذه الأبيات غاية في جمال البيان (٢) الجِدُ - بالفتح - الحِظُ (٣) يفادُ : يحرق فؤاده .
(٤) يقول : إن جيد العقيلة أجمل من العقد الذي يظن أنه يزيد ، والتجرد - أى الجسم العريان - أجمل من السربال وهو القميص .

لأن تمام في
فضل الحاسد
على المحسود

للبحتری
في هذا المعنى

لابن الرومي

لمعن بن زائدة

ألفاظ لأهل العصر في ذكر الحسد

دَبَّتْ عِقَابِيُ الحَسَدَةِ ، وَكُنْتُ أَفَاعِيهِمْ بِكُلِّ مَرَّصِدٍ . فلان مَعْجُونٌ مِنْ طِينَةِ الحَسَدِ وَالْمُنَافَسَةِ ، مَضْرُوبٌ فِي قَالِبِ الصِّيقِ وَالْمُنَاقِشَةِ . قَدْ وَكَلَّ بِي لِحْظًا يَنْتَضِلُ بِأَسْمِهِمُ الحَسَدِ . فلان جَسَدٌ كُلُّهُ حَسَدٌ ، وَعَقْدٌ كُلُّهُ حِقْدٌ . الحاسدُ يَعْمَى عَنْ مَحَاسِنِ الصُّبْحِ ، بَعِينٌ تُدْرِكُ حَقَائِقَ الصُّبْحِ .

[التلطف في الطلب]

كتب محمد بن حماد يُعَرِّضُ فِي حَاجَةٍ لَهُ بِيْتِي شِعْرًا إِلَى الْوَاتِقِ يَقُولُ :
 جَذِبَتْ دَوَاعِي النِّفْسِ عَنْ طَلْبِ الْمَنِيِّ وَقَلَّتْ لَهَا كُنْفِي عَنْ الطَّلَبِ الْمُزْرِي
 فَإِنَّ أُمَّ سَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ بِكَفِّهِ مَدَارٌ رَحِيٌّ بِالرِّزْقِ دَائِبَةٌ تَجْرِي
 فَوَقَّعَ تَحْتَهَا : جَذَبَكَ نَفْسَكَ عَنْ امْتِهَانِهَا بِالْمَسْأَلَةِ دَعَانِي إِلَى صَوْنِكَ بِسَعَةِ
 فَضْلِي عَلَيْكَ ، فَخُذْ مَا طَلَبْتَ هَنِيئًا .

بين الحسن بن سهل وعلى ابن عبيدة :
 قال علي بن عبيدة : أتيت الحسن بن سهل بفهم الصليخ ؛ فأقامتُ بيبابه ثلاثة أشهر لا أخطئ منه بطائل ، فكتبت إليه :

مَدَحْتُ ابْنَ سَهْلٍ ذَا الْأَيْدِي وَمَالَهُ بِذَلِكَ يَدٌ عِنْدِي وَلَا قَدَمٌ بَعْدُ
 وَمَا ذَنْبُهُ ، وَالنَّاسُ - إِلَّا أَقْلَهُمْ - عِيَالٌ لَهُ ، إِنْ كَانَ لَمْ يَكُ لِي جَدُّ
 سَأَحْدَهُ لِلنَّاسِ حَتَّى إِذَا بَدَأَ لَهُ فِي رَأْيِي عَادَ لِي ذَلِكَ الْحَدُّ

فكتب إليّ : باب السلطان يحتاجُ إلى ثلاثِ خِلالٍ : عقلٌ وصبرٌ ومالٌ ، فقلتُ للواسطة : تؤدّي عنّي ؟ قال : نعم . قلت : تقول له : لو كان لي مالٌ لا أغناني عن الطلبِ إليك ، أو صبرٌ لصبرت عن الذُّلِّ بيبابك ، أو عقلٌ لاستدللت به على البرزاهة عن رِفْدِك ! فأمر لي بثلاثين ألفَ درهم .

وقال علي بن عبيدة الريحاني يوماً، وقد رأى جارية يهواها: لولا البقيا على الضمائر لبعنا بما نحنه السرائر، لكن نيران الحب تتدارك بالإخفاء، ولا تعاجل بالإبداء؛ فإن دوامها مع إغلاق أبواب الكتمان، وزوالها في فتح مصاريع الإعلان. وقد قال محمد بن يزيد الأموي:

لا وحيبك لا أصا فح بالدمع مدمعا
من بكى حبة استرا ح وإن كان موجعا

ومن كلام علي بن عبيدة: اجعل أنسك آخر ما تبدل من ودك، وضن الاسترسال منك، حتى تجد له مستحقاً؛ فإن الأنس لباس العرض، وتحنف الثقة، وحياء الأكفاء، وشعار الخالص، فلا تخلق جدته إلا لمن يعرف قدر ما بذلت له منك.

وقال: لولا حركات من الابتهاج أجد حسنها عند رؤيتك في نفسي لا أعرف لها مثيلاً من مظانها إلا مؤانستك لي، لأبقيت عليك من العناء، وخففت عنك مؤونة اللقاء؛ لكنني أجد من الزيادة بك عندي أكثر من قدر راحتك في تأخرك عني، فأضيق عن احتمال الخسران بالوحدة منك.

وقال: لوجلي من طلوع الملائة بكر اللقاء أستخف التجاني مع شدة الشوق، لتبقى جدّة الحال عند من أحب دوامه لي؛ ورد طرف الشوق باطنا أيسر من معاناة الجفاء مع الودّ ظاهراً.

وقال بعض المحدثين:

كم استرلح إلى صبر فلم يرح
تركتم قلبه من حزن فرقتكم
صب إليكم من الأشواق في ترح
لو يرزق الوصل لم يقدر على الفرح

وقال أعرابي:

ألا قل لدار بين أكتبة الحمى
وذات الغصى: جادت عليك المواصب^(١)

(١) المواصب: السحب المواطر

بعض كلام علي
بن عبيدة
الريحاني

لبعض المحمسين
من الشعراء
في الشوق

أَجَدَّكَ لَا آتِيكَ إِلَّا تَتَابَعْتُ دُمُوعٌ، أَضَاعَتْ مَا حَفِظْتُ، سَوَاكَ بْ
 دِيَارٍ تَنَسَّمْتُ الْمَنَى نَحْوَ أَرْضِهَا وَطَاوَعَنِي فِيهَا الْهُوَى وَالْحَبَائِبُ
 لِيَالِي لَا الْمَجْرَانَ مُحْتَكِمٌ بِهَا عَلَى وَضَلٍ مِّنْ أَهْوَى وَلَا الظَّنُّ كَاذِبٌ
 [الأدب في مجلس الحكم]

بين إبراهيم بن أدهم والطبيب ابن بختيشوع عند ابن أبي دؤاد
 تنازع إبراهيم بن المهدي وابن بختيشوع الطبيب بين يدي أحمد بن أبي دؤاد في مجلس الحكم في عقار بناحية السواد، فأرَبِي عليه إبراهيم وأغْلَظَ له، فأحفظ ذلك ابن أبي دؤاد، فقال: يا إبراهيم، إذا نازعت في مجلس الحكم بحضرتنا أمرًا فلا أعلن أنك رفعت عليه صوتًا، ولا أشرت بيد، وليكن قصدك أتمًّا^(١)، وريحك ساكنة، وكلامك معتدلاً، مع وفاء مجالس الخليفة حقوقها من التّعظيم، والتوقير، والاستكانة، والتوجه إلى الواجب؛ فإن ذلك أشكلُ بك، وأشملُ لمذهبك في محنتك، وعظيم خطرُك، ولا تعجلنَّ، فربَّ بحملة تهبُّ ريشًا، والله يعصمك من خطئ القول والعمل، ويتم نعمته عليك كما أتمها على أبويك من قبل، إن ربك حكيم عليم.

فقال إبراهيم: أصلحك الله تعالى؛ أمرت بسداد، وحضضت على رشاد؛ ولستُ عائدًا لما يثلمُ مروءتي عندك، ويسقطني من عينك، ويخرجني من مقدار الواجب إلى الاعتذار، فهأنا معتذرُ إليك من هذه البادرة اعتذارًا مقررًا بذنبه، مُعترفٌ بجُرْمِهِ، ولا يزال الغضبُ يستقرني بمواده، فيردني مثلك بحلمه، وتلك عادةُ الله عندك وعندنا منك؛ وقد جعلتُ حقي من هذا العقار لابن بختيشوع، فليت ذلك يكون وافيًا بأرْشِ الجناية عليه^(٢)؛ ولم يتأنف مالٌ أفاد موعظةً؛ وحسبنا الله ونعم الوكيل^(٣).

(١) أتم: قريب

(١) الأرش: الدية (٢) هذا الحديث يمثل جانباً من الحظ الذي ظفر به أحمد ابن أبي دؤاد في عصره. وقد صحب هذا الرجل للمأمون والمعتصم والواثق وعمل معهم جميعاً. توفي سنة ٢٤٠

[حكمة أردشير وحضه على العلم]

لما استوثق أمر أردشير بن بابك وجمع ملوك الطوائف . وتم له ملكه ، جمع الناس فخطبهم خطبة حض فيها على الألفة والطاعة ، وحذّرهم المعصية ومفارقة الجماعة ، وصف الناس أربعة صفوف ؛ فخرّوا له سجّداً ، وتكلّم متكلّمهم فقال :

لازلت أيها الملك محبوباً من الله تعالى بعزّ النصر ، ودرك الأمل ، ودوام العافية ، وتمام النعمة ؛ وحسن الزيد ، ولازلت تتابعُ لديك المكرمات ، وتشفّع إليك الذمامات ^(١) حتى تبلغ الغاية التي يؤمن زوالها ، وتصل إلى دارالقرار التي أعدها الله تعالى لنظرائك من أهل الزلّني عنده والمكانة منه ، ولازال ملكك وسلطانك باقيين بقاء الشمس والقمر ، زائدين زيادة النجوم والأنهار ، حتى تستوى أقطار الأرض كلها في علوّ قدرك عليها ، ونفاذ أمرك فيها ، فقد أثمرق علينا من ضياء نورك ما عمنا عموم ضياء الصبح ، ووصل إلينا من عظيم رأفتك ما اتّصل بأنفسنا اتصال النسيم ؛ فأصبحت قد جمع الله بك الأيدي بعد افتراقها ، وألف القلوب بعد توقد نيرانها ، ففضلك الذي لا يدرك بوصف ، ولا يُحدّث بتعّت .

فقال أردشير : طوبى للمدوح إذا كان للمدح مستحقاً ، وللداعي إذا كان

للاجابة أهلاً .

وقيل لأردشير : أيها الملك الرفيع الذي حلب العصور ، وجرب الدهور ، أي الكنوز أعظمُ قدراً ؟ قال : العلم الذي خفّ محمله ، فتقلّت مفارقتة ، وكثرت مراقبته ، وخفي مكانه ، فأمن من السرّق عليه ؛ فهو في الملاء جمال ، وفي الوحدة أنيس ، يُرأسُ به الخسيس ، ولا يمكن حاسدك عليه انتقاله عنك . قيل له : فالمال ؟ قال : ليس كذلك . محمله ثقيل ، والهّم به طويل ؛ إن كنت في ملاء شغلك الفكرُ فيه ، وإن كنت في خلوة أتعبتك حراسته .

(١) الذمامات : جمع ذمام — بكسر الهمزة ، بزنة كتاب — وهو العهد ونحوه

[أخلاق الملوك]

قال الجاحظ : حدثني الفضل بن سهل قال : كانت رسلُ الملوك إذا جاءت بالهدايا يُجْعَلُ اختلافُهم إلى ، فتكون المؤامراتُ فيما معهم من ديوانى ، فكنتُ أسألُ رجلاً رجلاً منهم عن سيرِ ملوكهم ، وأخبارِ عظائهم ، فسألتُ رسولَ ملكِ الروم عن سيرة ملكهم ، فقال : بَدَلُ عُرْفِهِ ، وَجَرَدُ سَيْفِهِ ، فَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْقُلُوبُ رَغْبَةً وَرَهْبَةً ، لَا يُنْظَرُ جُنْدُهُ ، وَلَا يُخْرَجُ رَعِيَّتُهُ ؛ سَهْلُ النَّوَالِ ، حَزَنُ النِّكَالِ ، الرَّجَاءُ وَالْخَوْفُ مَعْقُودَانِ فِي يَدِهِ .

وصف ملك
الروم

قلت : فكيف حُكْمُهُ ؟ فقال : يَرُدُّ الظُّلْمَ ، وَيَرُدُّعُ الظَّالِمَ ، وَيُعْطِي كُلَّ ذِي حَقِّ حَقَّهُ ؛ فَالرَّعِيَّةُ اثْنَانِ : رَاضٍ ، وَمُعْتَبِطٌ .

قلت : فكيف هَيْبَتُهُمْ له ؟ قال : يُتَصَوَّرُ فِي الْقُلُوبِ ، فَتُنْفِضِي لَهُ الْعِيُونَ .

قال : فنظر رسولُ ملكِ الحبشة إلى إصغافى إليه ، وإقبالى عليه ، فسأل الترجمان : مالذي يقوله الرومى ؟ قال : يَدُ كُرِّ مَلِكِهِمْ ، وَيَصِفُ سِيرَتَهُ ؛ فَتَكَلَّمُ مَعَ التَّرْجَمَانِ بِشَيْءٍ ، فَقَالَ لِي التَّرْجَمَانُ : إِنَّهُ يَقُولُ : إِنَّ مَلِكَهُمْ ذُو أُنَاةٍ عِنْدَ الْقُدْرَةِ ، وَذُو حِلْمٍ عِنْدَ الْغَضَبِ ، وَذُو سَطْوَةٍ عِنْدَ الْمَغَالِبَةِ ، وَذُو عَقُوبَةٍ عِنْدَ الْاجْتِرَامِ ، قَدْ كَسَا رَعِيَّتَهُ جَمِيلَ نِعْمَتِهِ ، وَخَوَّفَهُمْ عَسْفَ نِقْمَتِهِ ؛ فَهَمَّ يَتَرَاءَوْنَهُ رَأَى الْمَلَالَ خِيَالًا ، وَيَخَافُونَهُ مَخَافَةَ الْمَوْتِ نِكَالًا ، وَسَمِعَهُمْ عَدْلُهُ ، وَرَدَّعَتْهُمْ سَطْوَتُهُ ، فَلَا تَمْتَنُهُ مَرْحَةً ، وَلَا تَوَمَّنُهُ غَفْلَةً ؛ إِذَا أُعْطِيَ أَوْسَعُ ، وَإِذَا عَاقَبَ أَوْجَعُ ؛ فَالنَّاسُ اثْنَانِ : رَاجٍ وَخَائِفٌ ، فَلَا الرَّاجِي خَائِبُ الْأَمَلِ ، وَلَا الْخَائِفُ بَعِيدُ الْأَجْلِ . قلت : فكيف هَيْبَتُهُمْ له ؟ قال : لَا تَرْتَفِعُ إِلَيْهِ الْعِيُونَ أَجْفَانَهَا ، وَلَا تُتَدَبَّرُ الْأَبْصَارُ إِنْسَانَهَا ، كَأَنَّ رَعِيَّتَهُ قَطَأَ رَفْرَفَتْ عَلَيْهَا صِقُورٌ صَوَائِدُ .

وصف ملك
الحبشة

فحدثتُ المأمونَ بهذين الحديثين فقال : كم قيمتهما عندك ؟ قلت : ألفا درهم .

قال : يا فضل ؛ إن قيمتهما عندي أكثرُ من الخلافة ، أما عرفت قول علي بن

أبي طالب كرم الله وجهه : قيمة كل امرئ ما يحسن . أفتعرف أحداً من الخطباء البلغاء يُحسِنُ أن يصف أحداً من خلفاء الله الراشدين المهديين بهذه الصفة ؟ قلت : لا . قال : فقد أمرتُ لها بعشرين ألف دينار ، واجعل العذر مادة بيني وبينهما في الجائزة [على العوز] ؛ فلولا حقوق الإسلام وأهله لرأيتُ إعطاءهما مافي بيت مال الخاصة والعامه دون ما يستحقانه .

وقال الجاحظ : حدثني حميد بن عطاء قال : كنتُ عند الفضل بن سهل ، وعنده رسولُ ملك الحزْر ، وهو يحدثنا عن أختٍ لملكهم ، قال : أصابتنا سنةٌ احترم شواظها علينا بحرّ المصائب ، وصنوف الآفات ؛ ففرع الناسُ إلى الملك ، فلم يدرِ ما يُجيئهم به ، فقالت أخته : أيها الملك ؛ إن الخوفَ لله خلق لا يخلقُ جديدةً ، وسببٌ لا يمتنن عزيزه ، وهودالُ الملكِ على استصلاح رعيته ، وزاجرُهُ عن استفسادها ، وقد فرّعتُ إليك رعيّتك بفضل العجزِ عن الالتجاء إلى مَنْ لا تزيدُه الإساءة إلى خلقه عزاً ، ولا ينقصه العودُ بالإحسان إليهم مُلكاً ، وما أحدٌ أولى بحفظ الوصية من الموصي ، ولا بركوب الدلالة من الدال ، ولا بحسنِ الرعاية من الراعي . ولم تزل في نعمة لم تغيرها نعمة ، وفي رضا لم يكدّره سُخط ، إلى أن جرى القدرُ بما عمي عنه البصر ، وذهل عنه الحذر ، فسلب الموهوب ، والواهب هو السالب ؛ فعذُ إليه بشكرِ النعم ، وعذُ به من فطيع التّقم ، فمتى تنسه ينسك ، ولا تجعلنّ الحياء من التذلل للمعزّ اللذل سترًا بينك وبين رعيّتك ، فتستحق مذمومَ العاقبة ؛ ولكن مُرّمهم ونفسك بصرف القلوب إلى الإقرار له بكنه القدرة ، وتذلل الألسن في الدعاء بمحضِ الشكرِ له ؛ فإن الملك ربما عاقب عبده ليرجمه عن سيئِ فعلٍ إلى صالح عمل ، أو ليبيعه على ذائبِ شكرٍ يُحرّز به فضلَ أجر .

فضل أخت
ملك الحزْر

فأمرها الملك أن تقومَ فيهم فتندرهم بهذا الكلام ، ففعلت ، فرجع القومُ وقد

علم الله منهم قبول الوَعْظِ في الأمر والنهي ؛ فجال عليهم الحَوْل وما مهم مفتقد
 نعمة كان سلبها ، وتواترت عليهم الزيادات بحمى الصنْع ؛ فاعترف لها الملك
 بالفضل ، فقلدها الملك ؛ فاجتمعت الرعية لها على الطاعة في المسكروه والمحبوب
 قال : وهذا هم أعداء الله تعالى ، وضرائر نعمته ، ومستوجبو نعمته ، أعاد لهم
 بالشكر ما أرادوا ، وأعطاهم بالإقرار له بكنهه قدرته ما تمنوا ، فكيف بمن جمعه على
 الشكر نوران اثنان : قرآن منزل ، ونبي مرسل ، لو صدقت النيات ، واجتمعت
 على الافتقار إليه الطلبات ؛ لكنهم أنكروا ما عرفوا ، وجهلوا ما علموا ، فانقلب
 جد هم هزلا ، وسكوتهم خبلا .

قطعة صادرة من أقوال الملوك دالة على فضل كرمهم وبمد همهم

غضب كسرى أنوشروان على بعض مرآز بنه ، فقال : يُحطُّ عن مرتبته ،
 ولا ينقص من صلته ؛ فإن الملوك تؤدّب بالهجران ، ولا تعاقب بالحُرمان .
 واصطنع أنوشروان رجلا فقيل له : إنه لا قديم له . قال : اصطناعنا
 إياه شرفه .

قال معاوية رضى الله عنه : نحن الزمان ، من رفَعناهُ ارتفع ، ومن وضعناه
 اتضع . وكان يقول : إني لآنف من أن يكون في الأرض جهل لا يسعه حلمي ،
 وذنب لا يسعه عفوي ، وحاجة لا يسعها جودي .

عبد الملك بن مروان - أفضل الناس من تواضع عن رفعة ، وعفا عن قُدرة ؛
 وأنصف عن قُوَّة .

زياد - استشفعوا لمن وراءكم ؛ فليس كل أحد يصل إلى السلطان ، ولا كل
 من وصل إليه يقدر على كلامه .

المهلب - عَجبت لمن يشتري المماليك بماله ، كيف لا يشتري الأحرار

بمعرفة! وقد روى هذا ابن المبارك. وقال لبيه: يا بني؛ أحسن ثيابكم ما كان على غيركم.

قال أبو تمام الطائي يستهدي فرّوا، وعرض بقول المهلب:
 فهل أنت مُهديه بمثل شكيره من الشكر يعاومُ بعداً أو يصبُ (١)
 فأنت العليمُ الطبُّ أيُّ وصية بها كان أوْحى في الثيابِ المهلب (٢)
 يزيد بن المهلب - استكثرُوا من الحمد؛ فإنّ الذمّ قلّ من ينجو منه.
 السفاح - ما أقبح بنا أن تكون الدنيا لنا وأولياؤنا خالون من أثرها.
 المأمون - إنما تُطلبُ الدنيا لتُملك، فإذا مُلكت فلتوهب. وقال: إنما
 يتكثّر بالذهب والفضة من يقلان عنده.

الحسن بن سهل - الأطراف منازل الأشراف؛ يتناولون ما يزيدون بالقدرة،
 ويتناهبهم من يريدهم بالحاجة. وتعرض له رجل فقال له: من أنت؟ قال: أنا
 الذي أحسنت إلى يوم كذا وكذا. فقال: مرحباً بمن توسّل إلينا بنا.
 ولما أراد المعتصم أن يشرف أشناس التركي بعقب فتح الخزمية أمر أصحاب
 المراتب بالترجل إليه، فترجل إليه الحسن بن سهل، فنظر إليه حاجبه يمشی ويتعثر
 في مشيه، فسكى، فقال: ما بيكيك؟ إن الملوك شرفتنا وشرفت بنا.

ومن كلام أهل العصر

للأمير شمس المعالي قابوس بن وشمكير (٣) - من أقدته نكايه الأيام أقامته
 إغاثة الكرام؛ ومن ألبسه الليل ثوب ظلماته نزعته النهار عنه بضياته.

(١) شكيره: شعرة، يريد أن هديتك لاتساوى شعرة من شكره، ويعاوم ويصوب:
 يرفع وينخفض:

(٢) الطب - بالفتح - الماهر الحاذق بعمله، وهو أيضاً الفحل الحاذق بالضراب
 (٣) له ترجمة في ابن خلكان (رقم ٥١٢ بتحقيقنا) وقيمة الدهر للشعالي (م)

وله : ابتناه المناقب باحتمال المتاعب ، وإحراز الذِّكر الجميل بالسَّمتى في الخطب الجليل .

الصاحب بن عباد :

وقائلة : لِمَ عَرَّتْكَ الهمومُ وأمرُك مُنْتَمِلٌ في الأممِ ؟
فقلت : دَرَبِنِي لما أَشْتَكِي فإنَّ الهمومَ بِقَدْرِ الهمَمِ

أبو الطيب المتنبي :

أفاضِلُ الناسِ أَعْرَاضٌ لِدَا الزَمَنِ يَخْلُو من الهمِّ أَخْلَاهُم من الفِطَنِ
أبو الفتح البستي :

صاحبُ السلطانِ لا بَدَلَهُ من هُمومِ تَعَرَّبِهِ وَعُمَمِ
والَّذِي يَرَكِبُ بِحُرّاً سَيَرِي قَحَمَ الأهوالِ من بَعْدِ قَحَمِ (١)

ومن كلام الملوك الجاري مجرى الأمثال

أردشير - إذا رغبت للملوك عن العدل رغبت الرعيّة عن الطاعة .
أفريدون - الأيام صحائفُ آجالِكُم ، فخلدوها أحسنَ أعمالِكُم .
وقيل للإسكندر : ما بالُ تعظيمك لمؤدِّبك أكثر من تعظيمك لأبيك ؟
قال : لأنَّ أباي سبَّبُ حياتي الفانية ومؤدِّبي سبَّبُ حياتي الباقية .

ودخل محمد بن زياد مؤدِّب الواثق على الواثق ، فأظهر إكرامه ، وأكثر إعظامه ، فقيل له : من هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال هذا أولُ من فَتَقَ لساني بِذِكْرِ اللهِ ، وأدنانِي من رحمة الله .

وأشير على الإسكندر بتبئيت الفرس (٢) ، فقال : لأجعل غلبتي سرقة . وقيل له : لو تزوجت بنت دارا ؟ فقال : لا تغلبني امرأةٌ غلبتُ أباهَا .

(١) قحمة : جمع قحمة ، وهي الشدة (٢) التبئيت : الهجوم بغتة بالليل

أنوشروان - الملك إذا كثرت ماله مما يأخذ من رعيته كان كمن يعمر سطح بيته بما يقتلعه من قواعد بنيانه .

أبرويز - أطع من [فوقك يطعك من] دونك ،
السفاح - إن من أدنى الناس ووضعا بهم من عدّ البخل حزمًا ، والعمو ذلًا .
وكان يقول : إذا كان اللحم مفسدة كان العمو معجزة ، والصبر حسن إلا على ما أوقع بالدين ، وأوهى السلطان ؛ والأمة محمودة إلا عند إمكان الفرصة .
وقد قال ابن المعتز :

كم فرصة ذهبت فمادت غصة تشجى بطول تلتهف وتندم^(١) ،
ولما عزم المنصور على الفتك بأبي مسلم فزع من ذلك عيسى بن موسى ،
فكتب إليه :

إذا كنت ذارأي فيكن ذاتدثر^(٢) فإن فساد الرأي أن تتعجلا

فأجابه المنصور :

إذا كنت ذارأي فيكن ذاعزيمة^(٣) فإن فساد الرأي أن تترددا
ولا تمهل الأعداء يوما بقذوة^(٤) وبادرهم أن يملكوا مثلها غدا^(٥) .
وهذا في موضعه كقول الإمام علي كرم الله وجهه : من فكر في العواقب

لم يشجع

وقال سعد بن ناشب فأفرط^(٦) .

(١) الغصة : ما اعترض في الحلق ، وتشجى : تحدث الشجا وهو الغصة ،
وغصصت ، بالكسر والفتح ، تعص ، بالفتح ، غصصا ، فأنت غاص وغصان .
(٢) في نسخة « ولا تمهل الأعداء يوما بقدره » (م) .
(٣) وأول هذه القطعة :

سأغسل عنى العار بالسيف جالبا على قضاء الله ما كان جالبا

وأذهل عن داري وأجعل هدمها لعرضى من باقى الذمة حاجبا

لسعد بن ناشب

عليكم بدارى فهدموها ؛ فإنها^(١) تراثُ كريم لا يخافُ العواقب^(٢)
 إذا همَّ ألقى بين عينيه عَزْمَهُ ونكَبَ عن ذِكْرِ العواقبِ جانبا
 ولم يَسْتَشِرْ في رأيه غيرَ نفسه ولم يرضَ إلا قائمَ السيفِ صاحبا
 سأغسل عني العارَ بالسيفِ جالِباً على قضاء الله ما كان جالِباً
 ويصغرفي عيني تِلادِي إذا اثنت يميني بإدراكِ الذي كُنْتُ طَالِباً
 وكان سعدٌ من مرَدَةِ العرب وشياطينِ الإنس ، وفيه يقول الشاعر :
 وكيف يُفِيقُ الدهرَ سعدُ بنِ ناشب وشيْطَانُهُ عندَ الأهلَةِ يُضْرَعُ
 كتب مروان بن محمد الجعدي إلى عبد الله بن علي يسأله حفظَ حرمة ، فقال
 له : الحقّ لنا في دَمِكَ ، وعلينا في حُرْمِكَ .

وقال الرشيد لإسماعيل بن صبيح : إياك والبدالة^(٣) فإنها تفسد الحرمة ، ومنها
 أتى البرامكة .

وقال المأمون : الملوكُ تحتَمِلُ كلَّ شيءٍ إلا ثلاثاً : إفشاءَ السرِّ ، والقذح
 في الملك ، والتعرض للحُرْمِ .

المتعصم إذا نُصِرَ الهوى بطلَ الرأى .
 المنتصر - لَذَّةُ العَفْوِ أَطْيَبُ من لَذَّةِ التَشَفِّي ؛ وذلك أن لَذَّةَ العَفْوِ يلحقها
 حَمْدُ العاقبة ، ولذَّةُ التَشَفِّي يلحقها ذمُّ الندم .

(١) رواية الحماسة : « فإن تهدموا بالعدو دارى »

(٢) وبعد هذا البيت روى صاحب الحماسة :

أخى غمرات لا يزيد على الذي يهم به من مقطع الأمر صاحباً

إذا هم لم تردع عزيمة هم ولم يأت ما يأتي من الأمر هائياً

فيا لرزام رشحوا بي مقدما إلى الموت خواضاً إليه الكنايباً

(٣) الدالة : ما تدل به على صدقك من خير قدمته ، وفي الأصل (الدالة) وهو تحريف

والمُنْتَصِرُ يَقُولُ عَنْ تَجْرِبَةٍ ؛ لِأَنَّهُ قَتَلَ أَبَاهُ الْمُتَوَكَّلَ ، وَالْأَمْرُ فِي ذَلِكَ أَشْهُرُ
مِنْ أَنْ يُذَكَّرَ ، وَلَكِنِّي أُلِيعُ مِنْهُ بِالسَّيْرِ :

مقتل المتوكل
العباسي

كَانَ الْمُتَوَكَّلُ قَدْ عَقَدَ لَوْلَاهُ الْمُتَنْصِرَ وَالْمَعْتَزَ وَالْمُوَيْدَ وَوَلَايَةَ الْعَهْدِ ، ثُمَّ تَغَيَّرَ عَلَى
الْمُنْتَصِرِ دُونَ أَخَوَيْهِ ، وَكَانَ يُسَمِّيهِ الْمُتَنْظِرَ ، وَيَقُولُ لَهُ : أَنْتَ تَتَمَتَّى مَوْتِي ،
وَتَنْتَظِرُ وَقْتِي ! وَيَأْمُرُ النَّدْمَاءَ أَنْ يَعْشُوا بِهِ ، إِلَى أَنْ أَوْعَرَ صَدْرَهُ ، وَأَقْلَّ صَبْرَهُ ؛
فَمَا كَانَتْ لَيْلَةَ الْأَرْبَعَاءِ ثَلَاثِ خَلَوْنَ مِنْ شَوَّالٍ سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ كَانَ
الْمُتَوَكَّلُ يُشْرَبُ مَعَ الْفَتْحِ فِي قَعْرِهِ الْمَعْرُوفِ بِالْجَعْفَرِيِّ ، وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّدْمَاءِ
وَالْمَغْنِيِّينَ ، وَكَانَ الْمُتَنْصِرُ مَعَهُمْ ، فَلَمَّا انْصَرَمَتْ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ لِرِزْقَةِ
الْتُرْكِيِّ : أَلَا تَسْعُنِي سَاعَةٌ حَتَّى أَشْكُو إِلَيْكَ مَا يَمُرُّ بِي ؟ قَالَ : بَلَى ، وَجَعَلَ يَمِاطِلُهُ
وَيَطَاوِلُهُ ، وَغَلَقَ بُغَا الشَّرَائِبِ الْأَبْوَابَ كُلَّهَا إِلَّا بَابَ الْمَاءِ ، وَمِنْهُ دَخَلَ الَّذِينَ قَتَلُوهُ ،
فَأَوَّلَ مَنْ ضَرَبَهُ بَاغِرُ التُّرْكِيِّ ضَرْبَةً قَطَعَ بِهَا حَبْلَ عَاتِقِهِ ، وَتَلَقَّاهُ الْفَتْحُ بِنَفْسِهِ
فَأَكَبَّ عَلَيْهِ ، فَقَتَلَاهُ جَمِيعًا ، وَبَوَّعَ الْمُتَنْصِرُ مِنْ سَاعَتِهِ ، وَكَانَتْ مَدَّةَ الْمُتَنْصِرِ فِي
الْخِلَافَةِ مَدَّةَ شَيْرُوَيْهِ بْنِ كَسْرَى — حِينَ قَتَلَ أَبَاهُ — سِتَّةَ أَشْهُرٍ .

إبراهيم بن
أحمد الأسدي
يرثي المتوكل

وقال إبراهيم بن أحمد الأسدي يرثي المتوكل :

هكذا فلتكن منايا الكرام بين ناي وميزهر ومُدَامِ
بين كأسين أروتاه جميعاً كأس لذاته وكأس الحِمامِ
يقطُ في السرور حتى أتاه - قَدَّرَ اللهُ - حَتْفُهُ فِي النَّامِ
والنِايَا مَرَاتِبٌ يَتَفَاضَلْنَ وَبِالْمُرْهَفَاتِ مَوْتُ الْكِرَامِ
لم ير نفسه رسولُ المنايا بصنوفِ الأوجاعِ والأَسْقَامِ
هابه مُعَلِنًا فِدَبَ إِلَيْهِ فِي سُتُورِ الدُّجَى بِجِدِّ الْحُسَامِ

أخذ هذا المعنى عبد الكريم بن إبراهيم التيمي ، فقال يرثي عيسى بن خلف
صاحب خراج المغرب ، وكان قد تناول دواءً فمات بسببه :

عبد الكريم
التيمي يرثي
صاحب خراج
المغرب

منايا سددت الطرقي عنها ولم تدع لها من ثنايا شاهی متطلعا

فلما رأت سُورَ المهابة دونها عليك ولما لم تجد فيك مطمعا
ترقت بأسبابٍ لطفٍ ولم تكذب تواجبه موفور الجلالة أروعا
فجاءتك في سرِّ الدواء خفيةً على حين لم تحذرن للداء توقعا
فلم أر مالا يتقى مثل سهمها ولا مثلها لم تخش كيدا فترجعا

وقد رثاه البحترى ويزيد المهلبى بمرثيتين من أجود ما قيل في معناهما ، وكانا
حاضرين ليلة قتله . فاختمني أحدهما في طي الباب ، والآخر في قناة الشاذروان ؛
فمن قصيدة البحترى :

تغيب حُسنُ الجعفرى وأنسه وقوض بادى الجعفرى وحاضره
تحلل عنه ساكنوه فجاءه فأضت سواء دُورُه ومقابرُه (١)
ولم أر مثل القصرِ إذ ربيع سربه وإذ ذعرت أطلاؤه وجاذره (٢)
وإذ صيح فيه بالرحيل فهتكت على عجل أستاره وستاره
إذا نحن زُرناه أجد لنا الأسي وقد كان قبل اليوم يهيج زاره
فأين عميد الناس في كل نوبة تنوب وناهى الدهر فيهم وأمره (٣)
تخفى له مُغتاله تحت عرّة وأولى لمن يغتاله لو يجاهره
صريع تقاضاه السيوف حشاشة يجود بهسا والموت حمره أظافره
حرام على الراح بعدك أو أرى دما بدم يجرى على الأرض مأرّه
وهل يرتهجى أن يطلب الدم طالب مدى الدهر والموتور بالدم وآرّه (٤)
فلا ملى الباقي ثراث الذى مضى ولا حلت ذاك الدعاء متآبره

للبحترى في رثاء
التوكل

(١) أضت: صارت (٢) الأطلاء: جمع طلا، وهو ولد الظنة، والجاذر: جمع
جوذر، وهو ولد البقرة (٣) قبل هذا البيت :

فأين الحجاب الصعب حيث تمنعت بهبتها أبوابه ومقاصره
وأين عميد الناس — إلخ (٤) الموتور هو الوتر؛ لأن الذى قتل التوكل هو ابنه

وهي طويلة^(١)، وكان أبو العباس ثعلب يقول فيها: ما قيلت هاشمية أحسن
منها، وقد صرح فيها تصريحاً من أذهلته المصائب عن تخوف العواقب .
وفد كان البحترى يرتاح في كثير من شعره إلى ذكره وذكر الفتح بن خاقان،
فمن ذلك قوله لبعض من يمدحه :

من شعر
البحترى

تداركني الإحسان منك ، ونالني
ودافعت عني حين لا الفتح يرتجني
وقال :

مضى جعفرٌ والفتحُ بين مؤسدي
أأطلبُ أنصاراً على الدهر بعدما
وقال في غلام له :

ودهرٌ توأى بالأحبة يُقبلُ
وحالٌ التَّعَادَى دونه والتَّزِيلُ
ولم يخترم نفسي الحيامُ العجولُ
وفارقي شفعاً له المتوكلُ
ولا فعل الوجدُ الذي خلت يفعلُ
فما بلغ الدمعُ الذي كنت أرتجني
وقال أبو خالد يزيد بن محمد المهلبى في قصيدة أولها :

ليزيد بن محمد
المهلبى يرتجى
المتوكل

ولا كمن فقدت عيناي مفتقدُ

(١) ومن جيدها قوله :

أدافع عنه باليدين ، ولم يكن
ولو كان سيفي ساعة الفتك في يدي
أكان ولي العهد أضمر غدره
فمن عجب أن ولي العهد غادره
(٢) مات أوسه وخزرجه : مثل في فقد النصير لأن الأوس والخزرج يضرب بهما
المثل العالي في النصرة .

يقول فيها :

لا يَبْعَدَنَّ هَالِكٌ كَانَتْ مَنِينَتُهُ كما هَوَى من عِضَاهِ الزُّبْيَةِ الْأَسَدُ^(١)
 جَاءَتْ مَنِينَتُهُ وَالْعَيْنُ هَادِيَةٌ هَلَّا أَتَتْهُ الْمَنَائِي وَالْقَنَا قَصْدُ^(٢)
 فخرٌ فَوْقَ سُرِيرِ الْمَلِكِ مُنْجَدِلًا لم يَحْمِهْ مُلْكُهُ لَمَّا انْقَضَى الْأَمْدُ
 لا يَدْفَعُ النَّاسُ ضَيْمًا بَعْدَ لَيْلَتِهِمْ إِذْ لَا يُهْرُؤُ إِلَى الْجَانِي عَلَيْكَ يَدُ
 عَدَّتْكَ أَسْيَافٌ مَن لَادُونَهُ أَحَدٌ وِلَيْسَ فَوْقَكَ إِلَّا الْوَاحِدُ الصَّمْدُ
 إِذَا بَكَيْتُ فَإِنَّ الدَّمْعَ مُنْهَمِلٌ وَإِنْ زَيْتٌ فَإِنَّ الشَّعْرَ مُطْرِدُ
 إِنَّا قَدَّ نَاكَ حَتَّى لَا اصْطَبَارَ لَنَا وَمَاتَ قَبْلَكَ أَقْوَامٌ فَمَا قَدُّوا
 قَد كُنْتُ أُشْرِفُ فِي مَالِي فَتُخَلِّفُهُ فَعَلَّمْتَنِي اللَّيَالِي كَيْفَ اقْتَصِدُ
 وَقَالَ فِيهَا يَذْكَرُ الْأَثْرَاكُ ، وَيَحْضُرُ عَلَى اصْطِنَاعِ الْعَرَبِ :

لَمَّا اعْتَدْتُمْ أَنْاسًا لَا حِفَاطَ لَهُمْ ضَعِمْ وَضِعْتُمْ مَنْ كَانَ يُعْتَقَدُ
 وَلَوْ جَعَلْتُمْ عَلَى الْأَحْرَارِ نِعْمَتَكُمْ حَتْمَكُمُ الدَّادَةَ لِلنَّسُوبَةِ الْحَشْدُ^(٣)
 قَوْمٌ هُمْ الْأَصْلُ وَالْأَسْمَاءُ تَجْمَعُكُمْ وَالدِّينَ وَالْجِدُّ وَالْأَرْحَامُ وَالْبَادُ
 إِنْ الْعَبِيدَ إِذَا أَذَلَّتْهُمْ صَلَحُوا عَلَى الْهَوَانِ وَإِنْ أَكْرَمْتَهُمْ قَدُّوا
 وَقَالَ أَبُو حَيَّةَ النَّمِيرِيُّ^(٤) :
 رَمَتْهُ فِتْنَةٌ مِنْ رِبْعَةٍ عَامِرٍ تَوَوَّمُ الصُّحَى فِي مَأْتَمٍ أَى مَأْتَمٍ^(٥)

لأبي حية
النميرى

(١) العِضَاهُ : جمع عِضَاهَةٍ ، وهى الحية تقتل لساعتها ، والزبية : تلمة الاسد

(٢) قصد : جمع قصد - على وزن كتف - أى متكسر .

(٣) الدادة : جمع ذائد وهو المدافع ، والحشد بضمين جمع حشد ، على وزن كتف ، وهو من لا يدع عند نفسه شيئاً من الجهد والنصرة والمال (٤) هو الهيم بن ربيع التوفى نحو سنة ١٦٠ (٥) رواية الحماسة «رمته أناة» والأناة : المرأة فيها تور عند القيام . والمأتم : كل مجتمع فى حزن أو فرح ، أو هو خاص بالنساء ، أو بالشواب من =

قلن لها في السر: نفديك لا يرُحُ
فألقت قناعاً دونه الشمس واتقت
وقالت فلما أفرغت في فؤاده
فأصبح لا يدري أفي طلعة الضحى
أخذ قوله: « فألقت قناعاً دونه الشمس » من قول النابغة الذبياني:
قامت تراءى بين سجنى كلة
سقط النصف ولم ترد إسقاطه
كالثمس يوم طوبعها بالأسعد^(٢)
فتناولته واتقتنا باليسند

وقال أبو حية يرثي سلمة بن عياش:

كان أباحفص في البأس لم يجب
إلى الغاية القصوى، ولم تهتفت
ويعمل عناق العيس حتى كأنها
به الليل والبيض القلاص النجائب
كراماً وتخطوه الخطوب النواب
إذا وضعت عنها العلايا المشاجب^(٣)

لأبي حية
الغيري يرثي
سلمة بن عياش

= النساء، ونووم: كثيرة النوم، ونووم الضحى كناية عن المرأة المترفة. وبعد هذا البيت كما في الحماسة:

جاء تحوط البان لا متابع ولكن بسماذي وقار وميسم
والحوط: الغصن الرطيب، واليسم - بالكسر - أثر الحسن، ومثله الوسامة.
(١) مؤدى البيتين الأخيرين أنه نام في حمى تلك الفتاة، ولكن رواية الحماسة
تؤدى معنى يخالف هذا؛ إذ تذكر أنه رحل مزوداً بالحسرة، وذلك قوله:
وقالت فلما أفرغت في فؤاده وعينيه منها السحر قلن له قم
فود بجذع الأنف لو أن صحبه تنادوا وقالوا في المناخ له نم
فراح وما يدري أفي ساعة الضحى تروح أم داج من الليل مظلم
والظاهر أن صاحب زهر الآداب كان يستعمل ذاكرته فتخونه في بعض الأحيان.
(٢) الكلة: الناموسية (٣) العيس: الجمال، والعلايا: الأمتعة، مفرد هاعليان،
بالكسر، والمشاجب: أعواد من خشب تعلق عليها الثياب، مفرد هاشجب،
وفي نسخة « إذا وضعت عنها الولايا » والولايا: جمع ولية - بوزن عطية - وهي البرذعة.

بعيد مثاني الممَّ يُمَسِّي وماله
 يرؤمُ جسيات الأُملا فينالها
 فإنَّ يُمَسِّ وَحشاً نابهٌ فلربما
 ينجون بساماً كانَّ جينهُ
 وما غائب من غاب يرُجى إياهُ
 سوى الله والعصبِ السريحي صاحب^(١)
 قَتَى في جسيات المكارم راغبُ
 تَوَاثُرُ أفواجاً إليه المواكب^(٢)
 هِلَالٌ بَدَأَ وانجاب عنه السحابُ
 ولكنه من ضمنَّ اللحدِ غائبُ

وزعم الصولي أن أبا حية إنما قالها في محمد بن سليمان بن علي بن عبيد الله بن العباس .
 وكان أبو حية جيد الطبع ، مألوف الكلام ، رقيق حواشي الشعر .

[مجنون بنى عامر]

وَسُئِلَ الأصمعي عن قيس بن الملوح المجنون ، فقال : لم يكن مجنوناً ، وإنما
 كانت به لؤثة كلؤثة أبي حية^(٣) ، وهو القائل :

رمتي وسِترُ الله بيني وبينها
 رميمُ التي قالت لجلات بيتها :
 أَلَا رَبِّ يَوْمَ لورمتني رميمها
 فيا عجباً من قاتل لي أودهُ
 يرى الناسُ أني قد سلوتُ ، وإنتي
 وأنشدني إسحاق بن إبراهيم الموصلي في مثله ، ولم يسم قائله :
 هل الأدم كالآرام والزهر كالدمي
 معاودتي أيامهن الصوالح^(٤)

(١) السريحي : نسبة إلى سريح ، وهو قين كان مضرب الثل في صنع السيوف
 (٢) وحش : موحش لا أنيس به (٣) اللؤثة — بالضم — مس الجنون
 (٤) أشاط : أحرق (٥) المدنف : هو المريض ثقل عليه المرض ، والأحناء : جمع
 حنو ، بالكسر والفتح ، وهو كل ما فيه اعوجاج من عظم البدن (٦) الأدم : جمع أدماء
 وهي السمراء ، والزهر : جمع زهراء وهي البيضاء . وفي الأصل (الدهر) وهو تحريف -
 و « كالآرام » متعلق بمحذوف حال من الأدم ، ومثله « كالدمي » وقوله « معاودتي »
 خبر المتبدأ (م)

زَمَانَ سِلَاحِي بَيْنَهُنَّ شَيْبَتِي لَهَا سَائِفٌ مِنْ حَسَنِينَ وَرَامِحٌ^(١)
فَأَقْسَمَنْ لَا يَسْقِينِنِي قَطْرَ مَرْنَةٍ لِشَيْبَتِي وَلَوْ سَأَلْتَهُنَّ الْأَبَاطِحُ
وقال هارون بن علي بن يحيى المنجم: ^(٢)

لهارون بن علي
ابن يحيى المنجم
في الشباب

الغائيات عهدُهُنَّ إِلَى انْصِرَامٍ وَأَنْقِصَابٍ
مَنْ شَابَ شَيْبَةً لَهَ الْمَوَدَّةُ بِالْخُدَيْعَةِ وَالْكَذَابِ^(٣)
فَانْعَمَ بِهِنَّ وَزَنَدُ سِنِّكَ فِي الشَّيْبَةِ غَيْرُ خَابِي^(٤)
مَا دُمْتَ فِي رَوْقِ الصَّبَا وَغَضُونَهُ الْخَضِرُ الرُّطَابِ^(٥)
فَأَفْخَرُ بِأَيَّامِ الصَّبَا وَأَخْلَعُ عِذَارَكَ فِي التَّصَابِي
وَأَعْطِ الشَّبَابَ نَصِيْبَهُ مَا دُمْتَ تَعْذِرُ بِالشَّبَابِ

لأشجع السلمي
في الشباب

وقال أشجع بن عمرو السلمي:
ومالَى لَا أُعْطِيَ الشَّبَابَ نَصِيْبَهُ وَغَضْبَاهُ يَهْتَزُّ أَنْ فِي عُوْدِهِ الرَّطْبِ
رَأَيْتُ اللَّيَالِي يَتَّبِعُنَّ شَيْبَتِي فَأَسْرَعْتُ بِاللَّذَاتِ فِي ذَلِكَ النَّهْبِ
فَإِنَّ بَنَاتِ الدَّهْرِ يَخْلَسْنَ لِذَنِّي فَقَدْ جُرُنَ سَلْمِي وَاتَّهَيْنَ إِلَى حَرْبِي
وَقَدْ حَوَّلَتْ حَالِي اللَّيَالِي وَأَسْرَجَتْ عَلَى الرَّأْسِ أَمْثَالَ الْفَتِيلِ مِنَ الْعَطْبِ
وَمَوْتُ الْفَتَى خَيْرٌ لَهُ مِنْ حَيَاتِهِ إِذَا كَانَ ذَا حَالِينَ يَصْبُو وَلَا يُصْبِي
وقال آخر:

مَا الْعَيْشُ إِلَّا أَنْ تَحْسَبَ وَأَنْ يَحْسَبَكَ مِنْ تَحْبَةٍ

فَقَرَّ تَتَّصِلُ بِهِذِهِ الْأَيَّامُ . فِي وَصْفِ الشَّبَابِ

أَطَاعَ الشَّبَابَ وَغَرَّتَهُ ، وَأَجَابَ الصَّبَا وَشَرَّتَهُ . جَرَّ إِزَارَةَ الصَّبَا ، وَأَذَالَ

(١) سائِفٌ : اسم الفاعل من «ساف يسيف» أي ضرب بالسيف ، ورامح :

اسم الفاعل من «رمح يرمح» أي ضرب بالرمح ، والكلام على الاستعارة (م)

(٢) هو منجم اشتهر بعلم الهيئة وعمل آلاتها ، توفي في بغداد سنة ٣٧٦

(٣) شين : مزجن (٤) غير خاب : غير منطفيء ، ويقال خاب له إذا سكن فور غضبه

(٥) روق الصبا : أوله ، وفي الأصول «ورق» تحريف جله ذكر النصوص (م) .

ذبول الهوى^(١)، ورَكْض^(٢) في ميدان التصابي، وجنى ثمرات الملاهي. هو في اقتبال شبابه، وحدائمه أترابه^(٣)، ورِيعَانُ عمره، وعُنْفوانُ أمره، هو في إبان شبابه واعتداله ورِيعَانُ إقباله واقتباله. بعثه على ذلك أشرُّ الصبا، ولينُ العُصْنِ، وشرُّخُ الشيبية وسكر الحدائمه. فتى السن، رطيب العُصْنِ، عمره في إقباله، ونشاطه في استقباله، وشبابه في اقتباله، وماؤه بحاله. فلان في حكم الأطفال، الذين لم يعصوا على نواجذ الرجال. هو في عُنْفوان شيبية تخاف سقطاتها وهفواتها، ولا يؤمن جيجحاتها وتزواتها. هو في سُكْرِي الشباب والشراب، وبين نزوات الشبان، وتزغات الشيطان. شبابه أعمى عن الرشد، أصم عن المدل، قد لبى داعي هواه، وانغمس في لجة صباه. قد هجم بسكر الحدائمه على سكرات الحوادث، يجرى إلى الصبا جري الصبا. فلان غفل من سمة التجربة، جامخ في عذار العفلة، صعب الرأس^(٤) على لجام العظة. هو من سلطان الصبا في التوبة الأولى، قد خلع عذاره ومقوده، وألقى إلى البطالة باعه ويده. هو بين حمار الغداة وسكر العشي^(٥) لا يعرف الصحو، ولا يفارق اللهو. فلان لا يفيق، ولا يذكر التوفيق، هو بين غرر الشباب، وغرر الأحباب.

ويتعلق بهذه الألفاظ ألفاظ لهم في نجابة الشباب وترشحهم للمعالي قد جمع نضارة الشباب إلى أبهة المشيب، وهو على حدوث ميلاده وقرب إنساده شيخ قدر وهيبته، وإن لم يكن شيخ سن وشيبة. هو بين شباب مقبل، وعقل مكتمل، قد لبس بزد شبابه على عقل كهل، ورأى جزل، ومنطق فصل. للدهر فيه مقاصد، وللأيام فيه مواعد، أرى له في فصل ضمان الأيام وودائع الحظوظ

(١) أذال : أهان

(٢) ركض : جرى

(٣) الأتراب : المتساوون في السن . (٤) أحسبه « صعب المراس » (م)

(٥) الحمار بالضم - ما يعترى - الشارب من الألم عند فقد الشرب

والأقسام ، تَبَاشِيرَ نَجْح ، وَخَائِلَ نَضْرٍ وَفَتْحٍ ، قد استكمل قوّة الفَضْلِ ، ولم يتكامل له سِنَّ الكَهْل . مازالت مَخَائِلُهُ وَلِيدًا وَنَاشِئًا ، وَشَمَائِلُهُ صَبِيرًا وَيَافِعًا ، نَوَاطِقَ بِالْحَسَنِ عَنْهُ وَضَوَامِينَ النَّجْحِ فِيهِ ! قد سما إلى مراتبِ أَعْيَانِ الرِّجَالِ ، التي لا تُدْرِكُ إِلَّا مَعَ الكَمَالِ وَالْاِكْتِهَالِ . مُجِدَّتْ عَزَائِمُهُ ، قَبْلَ أَنْ حُلَّتْ تَمَامُهُ ، وَشُهِدَتْ مَكْرَمَاتُهُ ، قَبْلَ أَنْ تُدْرَجَ لِذَاتِهِ ^(١) .

للبحترى

وقال البحترى :

لا تَنْظُرَنَّ إِلَى العَبَاسِ مِنْ صَفَرٍ فِي السَّنِّ وَانظُرْ إِلَى المَجْدِ الَّذِي شَادَا
إِنَّ النُّجُومَ نَجُومَ الأَقْفِ أَصْفَرَهَا فِي العَيْنِ أَذْهَبَهَا فِي الجَوِّ إِصْمَادَا
وقال آخر :

رَأَيْتَ العَقْلَ لَمْ يَكُنْ اتِّهَابًا وَلَمْ يُقَسِّمْ عَلَى قَدْرِ السِّنِينَا
فَلَوْ أَنَّ السِّنِينَ تَقَسَّمَتْ حَوَى الأَبَاهُ أَنْصَبَ البَنِينَا
وقال الفضل بن جعفر الكاتب :

للفضل بن جعفر
الكاتب

فَإِنْ خَلَفْتَهُ السَّنُّ فَالْعَقْلُ بَالِغٌ بِهِ رُتْبَةُ الكَهْلِ المَوْهَلِ المَجْدِ
قَدَّ كَانَ يَحْيَى أَوْيَى الحُكْمِ قَبْلَهُ صَبِيًّا وَعَيْسَى كَلَّمَ النَّاسَ فِي المَهْدِ

[مما قيل في أثر الأيام والليالي]

بين أبي حية
وابن مناذر

وَكَانَ أَبُو حِيَّةَ كَثِيرَ الرِّوَايَةِ عَنِ الفِرْزَدِقِ ، وَعُمَرَ حَتَّى التَّقَى بَابِنِ مَنَازِرِ
فَاسْتَنْشِدَهُ شِعْرَهُ ، فَاسْتَنْشِدَهُ أَبُو حِيَّةَ :

أَلَا حَيٌّ مِنْ أَجْلِ الحَبِيبِ المَغَانِيَا لِبِسْنِ البِيِّ مِمَّا لَبِسْنَ اللَّيَالِيَا
إِذَا مَا تَقَاضَى المَرَّةَ يَوْمٌ وَليَالِيَةٌ تَقَاضَاهُ شَوْءٌ لَا يَمَلُّ التَّقَاضِيَا
حَتَّتْكَ اللَّيَالِيَا بَعْدَمَا كُنْتَ مَرَّةً سَوِيَّ العَصَا لَوْ كُنَّ يُبْقِينَ بَاقِيَا

(١) اللذات : جمع لذة وهو الترب بالكسر ، أى المائل في السن وفي الأصل «اللذات» بالذال المعجمة وهو تحريف وتدرج : تمنى ، وهو خاص بالصبي والشيخ ، في نسخة «تدج» - بتشديد الجيم ، وبغير راء - ومعناه تدب (م)

فقال ابن منذر: أو شعر هذا؟ فقال أبو حية: ما في شعري عيب، غيبر
أنك تسمعه.

وفي هذه القصيدة يقول أبو حية:

ولما أبت إلا التواء بؤدها وتكديرها الشرب الذي كان صافيا
شربت برنق من هواها مكدر وكيف يعاف الرنق من كان صاديا^(١)
وقد قال عمرو بن قميئة^(٢) في معنى قول أبي حية:

لعمر وبن قميئة

كانت قناتي لا تلين لغامزٍ فالأتمها الإصباحُ والإمشاءُ
ودعوتُ ربي في السلامة جاهدًا ليصحني فإذا السلامة داءُ
وقال النمر بن تولب^(٣):

للنمر بن تولب

يودّ الفتى طولَ السلامة والبقِ فكيف يرى طولَ السلامة يفعلُ
يعودُ الفتى من بعدِ حُسنِ وصحةٍ ينوء إذا رامَ القيامَ ويُحمَلُ^(٤)
وقد روى في الحديث الشريف: «كفى بالسلامة داءً».

لمحمد بن تور

وقد أحسن حميد بن ثور في قوله:

أرى بصري قد رأيتني بعد صحةٍ وحسبك داءً أن تصحَّ وتَسَمَا

(١) ماء رنق - بفتح فسكون، وفيه لغة أخرى بفتح فكسر - أي غير صاف، وتقول:
رنق الماء - بالتضعيف - أي كدره، وكأنه ذهب برونقه وحسنه، ويعاف: يكره (م).
(٢) شاعر جاهلي، نشأ يتيماً، وأقام في الحيرة مدة، وخرج مع امرئ القيس حين
توجه إلى قيصر، فمات في الطريق. وفيه يقول امرؤ القيس:

بكي صاحبي لما رأى الندب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

فقلت له: لا تبك عينك؛ إنما نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا

وقدمته العرب «عمرا الضائع» لموته في غربة وفي غير مطلب ولا أرب

(٣) شاعر مخضرم، من شعراء الطبقة الثانية في الجاهلية، أدرك الإسلام، وهو
كبير السن. فوفد على الرسول، وكتب عنه كتاباً لقومه، وكان جواداً واسع القري
كثير الأضياف (٤) ينوء: ينهض بتناقل وإعياء

ولن يلبث العصران يومٌ و ليلةٌ إذا طلبا أن يدركا ما تيمما
وهذان البيتان من قصيدة طويلة ، وهي أجود شعر حميد^(١) ، ومن أجود

ما فيها :

وما هاج هذا الشوق إلا حمانةً دعت ساق حر نراحةً وترثماً
ثروح عليه والهأ ثم تنفدي موليةً تبغى له الدهر مطعماً
تؤمل منه مؤنساً لا نفرادها وتبكي عليه إن زقا وترثماً
كان على إشرافه نور خمرة إذا هو مد الجيد منه ليطعماً
فلما كتسى الريش الشحام ولم تجذ لها معه في ساحة الحى مجماً^(٢)
تنحّت قريباً فوق عُصن تداً بت به الريح صرفاً أى وجه تيمماً^(٣)
فأهوى لها صفر مسف فلم يدع لها ولداً إلا رماناً وأعظماً
فأوفت على عُصن ضحياً ولم تدع لناحمةً في نوحها متلوماً
عجبت لها أنى يكون غناؤها فصيحاً ولم تنفر بمنطقها فما^(٤)
فلم أر مثلى شاقه صوت مثلها ولا عربياً شاقه صوت أعحماً

ومن حيث الهجاء قوله في هذه القصيدة يخاطب رجلين بعثما :

وقولا إذا جاوزتما أرض عامرٍ وجاوزتما الحيين تهداً وخثعما
تريعان من جرّم بن زيان أنهم أبوا أن يريقوا في الهزاهز محجماً^(٥)

وما هجيت جرّم بأشد من هذا ، يريد أنهم لذتهم لم يتروا أحداً
فيطالبهم بدخل .

(١) من شعراء الإسلام ، أدرك عمر بن الخطاب ، وقال الشعر في أيامه ، وقد

أدرك الجاهلية أيضاً

(٢) السحام : الأسود ، والحجم : مكان الرقاد (٣) تداً بت : أتت من كل جانب كما

فعل الذئب (٤) تنفر : تفتح (٥) الهزاهز : الحروب ، والحجم : وعاء الحجامة والقص

وقال الأصمعي : قيل لبعض الصالحين : كيف حالك ؛ قال : كيف حال من
يَفْنَى ببقائه ، وَيَسْتَقِم بِسلامته ، وَيُؤْتَى من مأمّنه

لمحمود الوراق

وقال محمود الوراق :

يُحِبُّ الفتي طولَ البقاء كأنه على ثقة أن البقاء بقاءه
إذا ما طوى يوماً طوى اليومُ بعضه ويَطْوِيهِ - إن جَنَّ المساء - مساءه
زيادته في الجسمِ نقصُ حَيَاتِهِ وأنى على نَقْصِ الحياة نَمَاهُ (١)
جديديان لا يَبْقَى الجميعُ عليهما ولا لهما بَقْدَ الجميعِ بقاءه
وقال المتنبي :

زيادةُ شَيْبٍ وَهِيَ نَقْصُ زِيادَتِي وَقُوَّةُ عِشْقٍ وَهِيَ مِنْ قُوَّتِي ضَعْفُ
وبيت محمود الأخير كقول البحتری :

للمتنبي

أناةٌ أيها الفلكُ المدارُ أَنهَبُ ما تُصَرِّفُ أم جُبَارُ (٢)
سَتَفَنِي مِثْلُ ما تُفَنِي وَتَبْلِي كما تُبْلِي فَيُدْرِكُ مِنْكَ نارُ
تُنابُ النَّائِبَاتِ إذا تَنَاهَتْ وَيَدْمُرُ في تَصَرُّفِهِ الدَّمارُ
وما أهلُ المنازِلِ غَيْرُ كَبِ مطاياهم رِواحُ وابتِكارُ

للبحتری

ويقول فيها :

لنسا في الدهرِ آمالٌ طوالُ نُزجِيها وأعمارُ قِصارُ
أما وأبى بنى حارِ بنِ كعبِ لقد طرد الزمانُ بهم فساروا
أصاب الدهرُ دولةَ آلِ وهبِ ونالَ الليلُ مِنْهم والنهارُ
أعارهمُ رداءَ العزِّ حتى تقاضاهمُ فردوا ما استعاروا
وقد كانوا وأوْجُههمُ بَدُورُ لبصرِها وأيديهمُ بِجَارُ (٣)
أخذ قوله : « سَتَفَنِي مِثْلُ ما تُفَنِي » أبو القاسم بن هاني فقال :
تَفَنِي النجومُ الزَّهرُ طالعةً والنيرانُ الشَّمْسُ والقمرُ

لابن هاني

(١) النماء : الزيادة (٢) جبار : مهدر لا قود فيه

(٣) في ديوان البحتری «وأيديهم محور المختبط» والمختبط . هنا : السائر ليلاً (م)

ولئن تبَدَّتْ في مَطَالِمِهَا منظومة فَلَسَوْفَ تَنْتَبِرُ
ولئن سعى الفلك المَدَارُ بِهَا فسوف يُسَلِّمُهَا وَيَنْفَطِرُ

وقد استقصى على بن العباس الرومي المعنى الأول فقال :

والدَّهْرُ يُبِيلِي اللَّقِيَّ مِنْ حَيْثُ يُنْشِئُهُ حَتَّى تَكْرَّرَ عَلَيْهِ لَيْلَةُ الْقَرَبِ (١)
يَعْدُوهُ فِي كُلِّ أَنْ وَهُوَ يَا كَلِّهِ وَيُخَنِّسِي نُعْبَاءَ مِنْهُ عَلَى نُعْبِ (٢)
يُودِي بِجَالٍ فَجَالٍ مِنْ شَبِيئَتِهِ تَسْرِبُ الْمَاءُ فِي مُسْتَأْنَفِ الْكُتُبِ (٣)
حَسْبُ أَمْرِي مِنْ خَنِي دَهْرٍ تَطَاوَلَهُ وَإِنْ أَجَمَّ فَلَمْ يُنْكَبْ وَلَمْ يُنْبِ
فِي هَذِهِ الدَّهْرِ كَافٍ مِنْ وَقَائِعِهِ وَالْعُمُرُ أَقْدَحُ مِبْرَاةٍ مِنَ الْوَصْبِ

وقال أيضاً :

يَا بَانِي الْخِصْنِ أَرْسَادَ وَشِيدِهِ حَرِزاً لِشُلُوِّ مِنَ الْأَعْدَاءِ مَشْجُونِ (٤)
انظر إلى الدهر هل فاتته بغيته فِي مَطْمَحِ النَّسْرِ أَوْ فِي مَسْبِحِ النَّوْنِ (٥)
ومن تحصن منخوبا على وجل فَأَمَّا حَصْنَهُ سِجْنٌ لِمَسْجُونِ
أشكو إلى الله جهلاً قد أضربنا بَلْ لَيْسَ جَهْلًا وَلَكِنْ عِلْمٌ مَقْتُونِ
وقال الطائي :

وإن تُبِنَ حِيطَانٌ عَلَيْهِ فَأَيْمًا أَوْلَيْكَ عَقَالَاتُهُ لَا مَعَالِقَهُ

ودخل يحيى بن خالد على الرشيد وقد ابتدأت حاله في التغير ، فأخبر أنه مشغول ، فرجع ، فبعث إليه الرشيد : خننتني فآهمتني ، فقال : إذا انقضت المدة كان الخنن في الحياة ، والله ما انصرفت إلا تخفيفاً .

أخذه ابن الرومي فقال وقد فصد به بعض الأطباء ، فرغم أن الفصد زاد في علته : غلط الطبيب على غلطة موردٍ عجزت محالته عن الإصدار (٦)

(١) ليلة القرب - بفتح القاف والراء جميعاً - أن تسير الليل كله لترد الماء عندك (م) .

(٢) نصب - بضم ففتح - جمع نقبة ، وهي الجرعة (م) . (٣) الكتب : جمع

كتبة ، وهو السير الذي تحرز به قربة الماء (م) .

(٤) شلو : جزء ، ومشجون : مشعوب ومكسور (٥) النون : الحوت (٦) المحالة :

الحياة ، ومنه « المرء يعجز لا المحالة » ويخطئ من يقول : المرء يعجز لا محالة

لابن الرومي

لأبي تمام

والناس يُلحَوْنَ الطيب ، وإنما غلَطَ الطيب إصابة المقدارِ

[وصف الغفور]

وقال أبو حَيَّةَ النَميرى :

لأنى حبة
النميرى

سَقَّتْنِي بِكَأْسِ الْحَبِّ صِرْفًا مَرَوِّقًا رِقَاقُ الثَّنَائِيَا عَذْبَةٌ الْمَتَرِّقِ (١)
وَحُمَصَانَةٌ تَفْتَرُّ عَنِ مَتَشَقِّ كَنُورِ الْأَفَاحِي طَيْبِ الْمَتَدُوقِ (٢)
إِذَا امْتَضَعْتَ بَعْدَ امْتِنَاعٍ مِنَ الضَّحَى أَنْيَابَ مَنْ عُوِدِ الْأَرَاكِ الْخَلْقِ (٣)
سَقَّتْ شُعْبَ السَّوَاكِ مَاءَ غَمَامَةٍ فَضِيضًا بِحَرِّ طُومِ الرَّحِيقِ الْمَرَوِّقِ (٤)
وَأَنشُدُ الثَّوْرَى :

تَرَى الدَّرَّ مَشُورًا إِذَا مَا تَكَلَّمْتَ وَكَالدَّرِّ مَنْظُومًا إِذَا لَمْ تَكَلِّمْ
تُعَبِّدُ أَحْرَارَ الْقُلُوبِ بِدَلَّتِهَا وَتَمَلُّ عَيْنَ النَّاطِرِ الْمُتَوَسِّمِ
وَالْبَيْتَ الْأَوَّلَ مِنْ هَذَيْنِ كَقَوْلِ الْبَحْتَرِيِّ :

فَمَنْ لَوْ لَوْ تَجَلَّوْهُ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا وَمَنْ لَوْ لَوْ عِنْدَ الْحَدِيثِ تُسَاقِطُهُ (٥)
وَقَدْ تَقَدَّمَ .

لدى الرمة قال أبو الفرج اليراشي : سمعت الأصمعي يقول : أحسن ما قيل في وصف الثغر قول ذي الرمة :

وَتَجَلَّوْهُ بِفَرْعٍ مِنْ أَرَاكِ كَأَنَّهُ مِنَ الْعَنْبَرِ الْهِنْدِيِّ وَالْمِسْكِ يُصْبِحُ (٦)

(١) المترق : العين ، وقول : رنق الثوم في عينه خالطهما (٢) خصانة : ضامرة البطن ، والمتشق : الثغر ؛ لأنك تنشق منه نكهته العطرة ، والمتدوق : هو الريق لأنك لذ تذوقه (٣) الخلق : المدهون بالخلوق ، وهو ضرب من الطيب

(٤) الفضيض : ماتناثر من الماء (٥) قيل هذا .

ولما التقينا واللوى موعدا لنا تعجب رأى الدر حسنا ولاقطا

(٦) أراد بفرع من أراك السواك تجلوه به أسنانها ، وكفى بما وصف به السواك

عن طيب رائحة فيها (م) .

ذُرِّي أَفْحُوَانَ وَاجَهَ اللَّيْلَ وَارْتَقَى
 هِجَانَ الثَّنَائِيَا مُعْرَبٌ لَوْ تَبَسَّمْتُ
 إِلَيْهِ النَّدَى مِنْ رَامَةِ الْمُتْرُوحِ
 لِأَخْرَسَ عَنْهُ كَادَ بِالْقَوْلِ يُفْصِحُ (١)

ومن قديم هذا المعنى وجيده قولُ النابغة الذبياني في صفة المتجرِّدة امرأة:

النعمان بن المنذر:

للنابغة الذبياني

تَجَلُّوْ بِقَادِمَتِي حَمَامَةً أَيْكَةً
 كَالْأَفْحُوَانَ غَدَاةً غِيبٌ سَمَائِهِ
 بَرَدًا أَسِفَ لثَاتُهُ بِالْإِنْمَدِ (٢)
 جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدِي
 زَعَمَ الْمُهَامُ بَأَنَّ فَاهَا بَارِدٌ
 عَذْبٌ مُقَبَّلُهُ شَهِيٌّ الْمَوْرِدِ
 زَعَمَ الْمُهَامُ وَلَمْ أَذُقْهُ أَنَّهُ
 يَشْفِي بَرِيًّا رِيْقَهَا الْعَطِشَ الصَّدِي
 وَمِنْ قَوْلِهِ: «وَلَمْ أَذُقْهُ» أَخَذَ كُلُّ مَنْ أُنِيَ بِهَذَا الْمَعْنَى، فَفَتَقَهُ النَّاسُ بَعْدَهُ،

قال المتوكل الليثي:

للمتوكل الليثي

كَأَنَّ مُدَامَةً صِهْبَاءَ صِرْفًا
 تَمَلُّ بِهَا الثَّنَائِيَا مِنْ سَلِيمِي
 تَرَقَّرَقُ بَيْنَ رَاوُوقِي وَوَدَنٍ
 فِرَاسَةٌ مُقَلَّتِي وَصَحِيحُ ظَنِّي
 وَقَالَ بَشَّارُ:

لبشار بن برد

يَا أَطْيَبَ النَّاسِ رِيْقًا غَيْرُ مُخْتَبِرِ
 قَدْ زُرْتِنَا مَرَّةً فِي الدَّهْرِ وَاحِدَةً
 إِلَّا شَهَادَةَ أَطْرَافِ الْمَسَاوِيكِ
 حَسْبِي بَرَايِحَةُ الْفَرْدُوسِ مِنْ فَيْكِ
 وَقِيلَ لِبَشَّارٍ: يَا أَبَا مَعَاذٍ، كَمْ بَيْنَ قَوْلِكَ، وَأَنْشُدْ هَذِهِ الْآيَاتِ. وَيَبِينُ أَنْ تَقُولَ:

إِنَّمَا عَظُمَ سَلِيمِي خَلَّتِي
 وَإِذَا قُرْبٌ مِنْهَا بَصَلٌ
 قَصَبُ السُّكَّرِ لَا عَظْمَ الْجَمَلِ
 غَلَبَ الْمِسْكُ عَلَى رِيحِ الْبَصَلِ

(١) هيجان الثنايا: يريد أن ثناياها ناصعة البياض. من قولهم: إبل هيجان، أي

بيض كرام

(٢) الإنمد: الكحل

فقال : إنما الشاعر المطبوع كالبحر : مرة يقذف صدْفُهُ ، ومرة يقذف جَيْتَهُ (١) .

[تفضيل السواد]

وقد تناول هذا المعنى أبو الحسن عليّ بن العباس الرومي من أقرب تناول فقال وكشفه بأوضح عبارة - في صفته لجارية أبي الفضل عبد الملك بن صالح السوداء بعد أن استوفى جميع صفاتها وكان قد اقترح عليه ، ضمها :

لابن الرومي
في وصف
جارية

وصفت فيها الذي هويت على السوم ولم تختبر ولم تذق

إلا بأخبارك التي رُفقت منك إلينا عن طيبة البرق (٢)

حاشا لسوداء منظرٍ سكنت ذراك إلا عن مخبرٍ يقق (٣)

وهذه الأبيات من قصيدة له وصف فيها السواد ، واحتج بتفضيله على البياض ، حتى أغلق فيه الباب بعده ، ومنع أن يقصد فيه أحد قصده ، إلا كان مقصر السهم عن غرض الإحسان . وقد تبه على بن عبد الله بن العباس [المسيب على] فضائلها ، وأجاد التشبيه ، وكشف عن وجوه الإبداع ، وضروب الاختراع وقد مدح الناس السواد والسود فأكثرُوا ؛ فمن جيد ما قالوا فيه قول أبي حفص الشطرنجي :

لأبي حفص
الشطرنجي

أشبهك المسك وأشبهته قائمة في لونه قاعده

لا شك إذ لونا كما واحد أنكما من طينة واحدة

فأخذ ابن الرومي هذا المعنى ، وأضاف إليه أشياء أخرتوسعاً واقتداراً ، فقال :

لابن الرومي

يذكرك المسك والقوالى والسك ذوات النسيم والعبق (٤)

(١) يريد أن الشاعر المطبوع له سقطات ، ومن هنا كانت سقطات التنبي مثلا فاضحة ؛ لأن الإجابة المطلقة فوق طاقة الإنسان ، وقد يطرد هذا الحكم في كثير من نواحي الحياة الإنسانية . (٢) البرق : جمع برقة - بالضم - وهي مكان تكثر فيه الظباء (٣) يقق : ناصع البياض (٤) السك : نوع من الطيب - والعبق ، بفتح العين والباء جميعا ، طيب الرائحة (م) .

وهذه الأشياء وإن كانت ناقصةً عن المسك ، فهي ممدوحة بالطيب ، خير مستغنى عن ذكرها في التشبيه ؛ فأما زيادته على جميع من تعاطى مدح السواد فقوله :
سوداء لم تنتسب إلى برص الشقَر ولا كلفةٍ ولا بهق^(١)
والأبيض الشديد البياض معيبٌ ، وقد دلّ عليه قوله :

وَبَعْضُ مَا فَضَّلَ السَّوَادُ بِهِ وَالْحَقُّ ذُو سُؤْلٍ وَذُو نَفَقٍ
أَلَّا يَعْيبَ السَّوَادَ خُلُقَتَهُ وَقَدْ يُعَابُ انْبِيَاضُ الْبَهَقِ^(٢)

قوله : « الحق ذو سُؤْلٍ وَذُو نَفَقٍ » أراد أن الحق يتصرف في جهات ، وضرب الصعود والنزول لذلك مثلاً ؛ ثم قصد لوصف هذه السواد بالكمال في الصفة ؛ ومن عيب السودان أن أكلهم عابسة^(٣) متشققة ، وأطرافهم ليست بناعمة لينة ، وكذلك لا يزال الفلح في شفاههم ، وهي الشقوق المذمومة الموجودة في أكثر السودان في أوساط الشفاه ، وأيضاً فإن الأسود مهجو بنجث العرق ، فنفي هذه الصفات المذمومة الموجودة في أكثر السودان عنها ، فقال :

لَيْسَتْ مِنَ الْعَبْسِ الْأَكْفُ وَلَا الْفُلْحِ الشَّفَاهُ الْخَبَائِثُ الْعَرَقِ

ثم عالج بخاطره على وصف هذه السواد بأضداد تلك الصفات المذمومة ، فقال :
فِي لَيْنٍ سَمُورَةٍ تَخْبِرُهَا أَلْفَرَاءُ أَوْ لَيْنٍ جِيْدٍ الدَّلَقِ^(٤)
ومن بدع مدح السواد قوله :

أَكْسَبَهَا الْحَبَّ أَنهَا ضَبِغَتْ صِبْغَةَ حَبِّ الْقُلُوبِ وَالْحُلْدَقِ

فانصرفت نحوها الضائرُ والأبصار يعشقن أئماً عشقِ

فأخبر أن القلوب إنما أحببتها بالمجانسة التي بينها وبين حب القلوب من

السواد ، وكذلك الحُدَقِ .

(١) الكلفة : النمش يوجد في الوجه ، والبرص والبهق معروفان

(٢) الحاكمة : شدة السواد ، ومنه قولهم : ظلام حالِك (٣) عابسة : يابسة ، وفعله

عبس — من باب فرح — أي يبس (م) . (٤) الدلق : دوية كالسمورة

ومن جيد تشبيهات أبي نواس وقد نبّه نديما لمصباح فأخبر عن حاله وقال :
 ققام والليل يُجْلُوهُ الصبَاحُ كما جَلَا التَّبَسُّمُ عن غُرِّ النَّبِيَّاتِ
 ولعلّ بن العباس عليه التقدّم بقوله :

لأبي نواس

لابن الرومي
أبضا

يَفْتَرُ ذَاكَ السَّوَادُ عن يَفْقَى من ثغرها كاللاليء النسق^(١)
 كأنها والنسج زاح يُضَحِّكُهَا ليلٌ تُعَرِّى دُجَاهَ عن فلق^(٢)
 وفضلُ هذا الكلام على ذلك أن هذا قدّم لمعناه في التشبيه مقدمة أيّده ،
 ووطأت له الأذان^(٣) ، وأصفت الأفهام إلى الاستحسان ، وهي قوله :

* يَفْتَرُ ذَاكَ السَّوَادُ عن يَفْقَى *

وفي هذه السوداء يقول ، وقد سأله أبو الفضل الهاشمي أن يستغرق صفات
 محاسنها الظاهرة والباطنة ، فقال :

لها حِرٌّ يستعير وَقَدْتَهُ من قلب صبٍ وصدردى حنق^(٤)
 كأنما حُرُّه لِخَابِرِهِ ما ألهبت في حشاه من حرّق
 يَزْدَادُ ضَيْقًا على المراس كما تَزْدَادُ ضَيْقًا أَنْشُوطَةُ الوَهَقِ^(٥)
 ثم فكرَ فيما فكرَ فيه النابغة ، وقد أمره النعمان بوصف المتجرّدة ،
 فوصف ما يجوز ذكره من ظاهر محاسنها ، ثم كره أن يذكر من فضائلها ما لا
 يسوغ بمثله أن يذكر منها ، فردّ الإخبار عن تلك الفضائل إلى صاحبها ، وهو
 الملك ، فقال :

زعمَ أُلْهُمَامُ بأن فاها باردٌ عذِبٌ إِذَا قَبَلْتَهُ قَلْتَ أزدَدِ
 فاحتذى على بن العباس هذا ، فقال بعد ما سأله أن يستغرق في وصف
 فضائلها الظاهرة والباطنة :

حُذِّهَا أبا الفضل كسوة لك من خَزِّ الأُمَادِجِ لا مِنِ الخِرْقِ

(١) نسق : متسق (٢) تعرى : تكشف (٣) وطأت : مهدت (٤) الحر - بكسر
 الحاء - هو الفرج (٥) الوهق : الحبل يرمى في أنشودة فتؤخذ به الدابة والإنسان

وصفت فيها التي هويت على الوهم ولم تختبر ولم تذق
 إلا بأخبارك التي وقعت منك إلينا عن ظبية البرق
 حاشا لسوداء منظرٍ سكنت ذراك إلا عن مخبر يقي
 وهذا المعنى أوماً إليه النابغة إيماء خفياً تذهب معرفته عن أكثر الناس ،
 ولو آثر النابغة ترك الاختصار ، وهم بكشف المعنى وإيضاحه ، ما زاد على هذا
 الكشف الذي كشفه ابن الرومي :

وأصحاب المعاني يندون للفرزدق :

للفرزدق

وجفن سلاحٍ قدر زنت فلم أنح عليه ولم أبعث عليه اليواكياً
 وفي بطنه من داريم ذو حفيظة لو أن المنايا أنسأته ليالياً^(١)
 ومعبأ عندهم أنه رثى امرأة توفيت حاملاً ، فقال علي بن العباس وقد وصف
 هذه المرأة السوداء :

لابن الرومي

أخلق بها أن تقوم عن ذكر كالسيف يفرى مضاعف الحلق
 إن جفون السيوف أكثرها أسود والحق غير مختلق
 فهذه زيادة بيّنة ، وعيارة واضحة ، لم تحتج إلى تفاسير أصحاب المعاني ،
 وقال مما لم ينشده المتنبي :

غصن من الآبنوس ركب في مؤزرٍ معجبٍ ومنتطق
 يهتز من ناهديه في ثمرٍ ومن دواحي ذراه في ورق
 وهذا معنى قد بلغ قائله من الإجمادة ، فوق الإرادة ، وامتل أبو الفضل الهاشمي
 ما أشار به ابن الرومي ، فأولدها ، فأنجبت .

وفي معنى معنى قول الفرزدق قال الطائي وأحسن وذكر ولدتين توأمين مانا لعبد الله
 ابن طاهر :

(١) الحفيظة : قوة الإباء - والمنايا : جمع منية ، وهي الموت ، وأنسأته : أجزته (م)

إن تُرُزَّ في طَرَفِي نهارٍ واحدٍ رُزَّيْنِ هاجاً لَوَعَةً وَبَلَايِلَا
 فَالْتَقُلُ ليس مضاعفاً لَطِيَّةٍ إلا إذا ما كان وهماً بارِزاً^(١)
 لهنى على تلك المشاهد منهما لو أمهات حتى تكون شامِلاً
 لَعَدَا سكونهما حِجِّي ، وصباها حُكَمَا ، وتلك الأريحية نائلاً
 إن الهلال إذا رأيت نماءهُ أيقنت أن سيكون بدرًا كاملاً

وعلى ذكر التوأمين ألفاظ لأهل العصر في التهنئة بتوأمين

تيسرت منحنان في وطن ، وانتظمت موهبتان في قرآن^(٢) ، طلع في أفق
 الكمال نجماً سَعد ، وشهاباً عَزِي ، وكوكباً مَجْد ، فتأهلت مهما ربوع المحاسن ،
 ووُطئت لها أكناف الكارم ، واستشرفت إليهما صدور الأسرة والمنابر . بلغنى
 خبرُ الموهبة المشفوعة بمثلها ، والنَّعمة المقرونة ببدلها^(٣) في الفارسين المقبلين ،
 رضيعي العزِّ والرفعة ، وقريني الجِدِّ والمنعة ، فسلمني من الاغتناب ما يؤجبه
 ازدواجُ البشري ، واقترانُ غادية^(٤) بأخرى .
 والشئ يُذكر بما قارب ناحيةً من أحنائه ، وجاذب حاشيةً من
 رِدَائِهِ^(٥) .

[شئ من الهجاء يشتمل على تضمين]

وقال بعض أهل العصر يهجو رجلاً وضمن قول النابغة :

* كالأقحوان غداة غيب سمانه *

(١) الوهم : الجمل الضخم القوي ، والبازل : المكتمل السن .

(٢) القرن : الحبل المقتول من لحاء الشجر أو من الصوف .

(٣) العدل - بالكسر - التطير .

(٤) الغادية : السحابة تمطر غدوة ، وفي نسخة «عارفة» (م) .

(٥) هذه العبارة من كلام المؤلف ، لبيان موجب الاستطراد في الكلام عن التوأمين

وأزاحه عن بابه؛ فجاء مليحاً في الطبع، مقبولاً في السمع:

ياسائلي عن جعفر، عهدى به رَطَبَ العِجَانِ وكَفَّهُ كالجَمَدِ (١)

كالأقحوان غداً غيب سمانه جفت أعالیه وأسقله ندى (٢)

ومن مستحسن ما روى في هذا التضمين قول الآخر وضمن بيتاً لمهلل ابن ربيعة:

وسائلة عن الحسن بن وهبٍ وعمّا فيه من كرمٍ وخيرٍ

فقلت هو المهبذ، غير أنى أراه كثيرَ إرخاءِ الستورِ

وأكثر ما يغنيهِ فتاهُ حُسينٌ حين يخلو بالشُرورِ

فلولا الريح أشجع من بحجرٍ صليل البيض تُقرعُ بالذُّكورِ

وهذا البيت لمهلل مما يعدونه من أول كذب العرب، وكانت قبل ذلك لا تكذب في أشعارها (٣)، وكان بين الموضع الذي كانت فيه هذه الواقعة وهي الجزيرة وبين حُجرٍ وهي قصبَةٌ باليمامة مسافةٌ بعيدةٌ، فأخرجَه هذا الشاعر بقوة مُنته، ونفاذٍ فطنته، إلى معنى آخر مستظرف في بابه. وهذا المذهب أحسن مذاهب

(١) العجان: الاست. والجمد: الصخر (٢) هذا التضمين يذكر بقول

بعض المولدين:

تصدى إلى ابرى فقلت له اتند وعيشك لو أبصرتَه وهو ثار

رأيت الذى لا كله أنت قادر عليه، ولا عن بعضه أنت صابر

والأصل:

وكنت إذا أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوماً أتعبتك المناظر

رأيت الذى لا كله أنت قادر عليه، ولا عن بعضه أنت صابر

(٣) هذا ترديد للفكرة المشهورة من أن العرب في جاهليتهم كانوا لا يتجاوزون

الواقع حين يصفون، وهذا فيما أرى غلو في تقدير أهل البادية، والمعقول أن طبيعة

الناس تبيح المغالاة، بلا تفريق بين الطبقات الاجتماعية

التضمين . ومن مליح ما في هذا الباب تضمينات الحمدوني في طيلسان أحمد بن حرب المهلبى ، وسيأتى ما أختاره من ذلك في غير هذا الموضع .

[عَوْدٌ إِلَى وَصْفِ الثَّغُورِ وَنَقَائِمِهَا]

وقد جاء في صفة الثغور والأفواه والريق شعرٌ كثير . قال جميل :

تمنيتُ منها نظرةً وهي واقفةٌ تُرِيكَ نَقِيًّا وَاصِحَّ الثَّغْرَ أَشْنَبًا^(١)
 كأنَّ عَرِيضًا مِنْ فَضِيضِ غَمَامَةٍ هَزِيمُ الذُّرَى تَمْرِي لَهُ الرِّيحُ هَيْدَبًا^(٢)
 يُصَفِّقُ بِالْمَسْكِ الذَّكِيُّ رُضَابَهُ إِذَا النَّجْمُ مِنْ بَعْدِ الْهُدَى تَصَوَّبًا^(٣)

جميل بن معمر
العدري

وقال :

وكان طارقها على علال الكرى والنجمُ وهنأ ثم بدا لتغور
 يستأفُ رِيحَ مُدَامَةٍ مَعْلُولَةٍ رُضَابِ مَسْكِ فِي ذِكْرِ الْعَنْبَرِ

وقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المنزومي :

يَمُجُّ ذِكْرِي الْمِسْكَ مِنْهَا مَفْلَجٌ نَقِيَّ الثَّنَائِيَا دُو غُرُوبِ مُؤَشَّرٍ^(٤)
 يَرِفُ إِذَا تَفَتَّرَ عَنْهُ كَأَنَّهُ حَصَى بَرْدٍ أَوْ أَقْحَوَانَ مُنَوَّرٍ

عمر
ابن أبي ربيعة

وقال الهذلي :

وما صهباه صافية لضبِّ كلون الصِّرفِ مُنْجَابٌ قَذَاهَا
 تُشِجُّ بِنُطْقَةٍ مِنْ مَاءِ مُزْنٍ أَحَلَّتْهُ بَرَضَارِضٍ عُرَاهَا
 بِأَطْيَبِ مَشْرَعًا مِنْ طَعْمٍ فِيهَا إِذَا مَا طَارَ عَنْ سِنَةِ كَرَاهَا

لهذلي

(١) أشنب : من الشنب - بالتحريك - وهو رقة وبرد وعدوبة في الأسنان

(٢) العريض : القطعة من السحاب ، والفضيض : ماتاثر من المطر والماء ، والهزيم :

الصوت ، والذرى : الأعلى ، والهيدب : ذيل السحاب (ج) تصوب : انحدر (٤) مؤشّر : من

الأشمر - بالتحريك - وهو مخزب أطراف الثنايا ، والغروب : جمع غرب - بالفتح - وهو الريق

وقال آخر :

وشقَّ عنها قناع الخرز عن برد
 كأنه أقحوان بات بضربه
 كأن صيرفاً كيت اللون صافية
 فوها إذا ما قضت من نومها سنة
 وقال الآخر :

هجان اللون واضحة الحيا
 تبسم عن أغر له غروب
 كأن صليب غادية لصيب
 على فيها إذا الجوزاء عالت
 وقال ابن المعتز :

يا نديمى أشربا واسقينا
 واقتلا هي بصرف عقار
 إن للمكروه لذعة شيرة
 وامزجا كأسى بريقة ألسى
 من فم قد غرس الدر فيه
 وقال ابن الرومي :

قد بدا الصبح لنا واستباناً^(١)
 واتركا الدهر فإشياء كانا
 فإذا دام على المرء هانا
 طاب للعطشان ورداً وحاناً
 ناصح الريق إذا الريق خاناً^(٧)
 يارب ريق بات بدر الدجى
 يمجّه بين ثناياكا

لابن المعتز

لابن الرومي

(١) الكسى : قصر الأسنان . والتعل : زيادة سن أو دخول سن تحت سن .

(٢) كيت اللون : فيها سواد وحمرة ، وشجت : مزجت ، وشنه : صبه متفرقا وبرده .

(٣) هجان اللون : بيضاء ، وقطيع الصوت : هي التي يتكسر كلامها لرقته .

(٤) فرات : عذب (٥) الرعيل : جماعة النجوم (٦) رواية الديوان « لا عملا

حنا واسقينا » (٧) ناصح الريق : لم تتغير نكهته

يُرَوَّى وَلَا يَنْهَاكَ عَنْ شَرِّهِ وَالْمَاءُ يُرَوِّيكُ وَيَنْهَاكَ

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر: لعبيد الله بن

عبد الله بن طاهر وإذا سألتك رشف ريقك قلت لي: أَخَشِي عُقُوبَةَ مَلِكِ الْأَمْلاَكِ

ماذا عليك؟ جعلت قلبك في الثرى! من أن أكون خليفة المسواك

أيجوزُ عندك أن يكون مُتَمِّمٌ صَبَّ بِحَبِّكَ دُونَ عُدِّ أَرَاكِ

وهذا المعنى يجاوز الإحصاء، ويفوت الاستقصاء؛ وكله مأخوذ من قول

امرئ القيس:

كَأَنَّ الْمُدَّامَ وَصَوَّبَ الْغَمَامَ وَرِيحَ الْخُرَّامِيِّ وَنَشَرَ الْقَطْرَةَ (١)

لامرئ القيس

يُعَلِّقُ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهَا إِذَا طَرَبَ الطَّائِرُ الْمُسْتَجِرَ (٢)

فجمع ما فرقوه، وأخذه الجعفرى فقصر عنه:

كَأَنَّ الْمُدَّامَ وَصَوَّبَ الْغَمَامَ وَرِيحَ الْخُرَّامِيِّ وَذَوَّبَ الْعَسْلَ للجعفرى

يُعَلِّقُ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهَا إِذَا النَّجْمُ وَسَطَ السَّمَاءَ اعْتَدَلَ

ويلحق بهذه المعاني من شعر أهل العصر قول أبي على محمد بن الحسين بن

المظفر الحاتمي - وذكر خيراً:

مِنْ كَفِّ سَاقِ أَهْيَفِ حَرَكَاتِهِ فِتْنٌ تَقَنَّعَ بِالْمَلَاحَةِ وَاعْتَجَرَ (٣)

ناولته كأسى وكسر جفونه يُوحى إِلَى أَنْ ارْتَقَبَهُمْ وَاضْطَبَّرَ

ففتى لها أقلام دُرِّ رَخِصَةٍ تَهْوَى إِلَى أَفْرَادِ دُرِّ ذِي أَشْر (٤)

فتحدرت من كأسه في ثغره كالشمس تغرب في هلال من قمر

وأهدى أبو الفتح كشاجم لبعض القيان مسواكا وكتب إليها:

قَدْ بَعَثْنَا لَكَ تَجَلُّوْ بِهِ وَاضِحًا كَاللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ أَعْرَ (٥)

لأبي الفتح
كشاجم

(١) القطر - بالضم - العود الذي يتبخر به (٢) المستجر: الحران

(٣) اعتجر: من الاعتجار، وهو لبسة خاصة بالنساء والغلمان (٤) رخصة: لينة

طَابَ مِنْهُ الْعَرَفُ حَتَّى خَلْتَهُ كَانَ مِنْ رَيْقِكَ يُسْقَى فِي الشَّجَرِ^(١)
 وَأَمَّا وَاللَّهِ لَوْ يَعْلَمُ مَا حَظَّهُ مِنْكَ لِأَثْنِي وَشَكَرَ
 لَيْتَنِي الْمَهْدَى فَيُرَوِّي عَطَشِي بَرْدُ أَنْبِيَاكَ فِي كُلِّ سَحَرٍ^(٢)
 [شعر عمر بن أبي ربيعة ، وشعر الحارث بن خالد]

وكان ذكراً بحضرة ابن أبي عتيق شعرُ عمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد الخروميين ، فقال رجلٌ من ولد خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة : صاحِبُنَا الحارثُ أشعر ، فقال ابنُ أبي عتيق : دَعَّ قَوْلَكَ يَا بَنَ أَخِي ، فَلِشِعْرِ ابْنِ أَبِي ربيعة لَوْطَةٌ بِالْقَلْبِ^(٣) ، وَعَلَقُ^(٤) بِالنَّفْسِ ، وَدَرَكٌ لِلْحَاجَةِ لَيْسَ لِشِعْرِ الحارثِ ؛ وَمَا عَصَى اللَّهَ بِشَعْرٍ قَطًّا أَكْثَرَ مِمَّا عَصَى بِشَعْرِ ابْنِ أَبِي ربيعة ، فَخَذَّ عَنِّي مَا أَصْفُ لَكَ : أَشَعْرُ قَرِيشٍ مَن رَقَّ مَعْنَاهُ ، وَأَطْفٌ مَدَخَلَهُ ، وَسَهْلٌ مَخْرَجَهُ ، وَتَعَطَّفَتْ حَوَاشِيهِ ، وَأَنَارَتْ مَعَانِيهِ ، وَأَعْرَبَ عَن صَاحِبِهِ ، فَقَالَ الَّذِي مِنْ وَلَدِ خَالِدِ بْنِ الْعَاصِ : صَاحِبُنَا الَّذِي يَقُولُ :

إِنِّي وَمَا نَحَرُوا غَدَاةَ مِنِّي عِنْدَ الْجَمَارِ تَشُوذُهَا الْعُقْلُ^(٤)
 لَوْ بَدَّدْتَ أَعْلَى مَنَازِلِهَا سِقْلًا وَأَصْبَحَ سِقْلُهَا يَعْلُو
 فَيَكَادُ يَعْرِفُهَا الْخَيْرُ بِهَا فَيَرُدُّهُ الْإِقْوَاءُ وَالْمَحَلُ^(٥)
 لَعَرَفْتُ مَعْنَاهَا بِمَا احْتَمَلْتُ بَنِي الضُّلُوعِ لِأَهْلِهَا قَبْلُ

فقال ابنُ أبي عتيق : يَا بَنَ أَخِي ، اسْتُرَّ عَلَى صَاحِبِكَ ، وَلَا تَشَاهِدِ الْمُحَاضِرَ بِمَثَلِ هَذَا ، أَمَا تَطَيَّرَ الحارثُ عَلَيْهَا حِينَ قَلَبَ رُبْعَهَا فَجَعَلَ عَلَيْهِ سَافَلَهُ ، مَا بَقِيَ إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا . ابْنُ أَبِي ربيعة كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ لِلرَّبِّعِ مَخَاطَبَةً وَأَجْمَلَ مَصَاحِبَةً إِذْ يَقُولُ :

(١) لا يطيب الريق في السحر إلا عند اكتمال القوة (٢) يتعنى لو أنه كان المسواك
 (٣) لوطة بالقلب : علوق به (٤) العقل : جمع عقال (٥) الإقواء : خلاء الديار ،
 والمحَل : الجذب

سَائِلًا الرَّبَّعَ بِالْبَلْبَلِ وَقَوْلًا هَيْجَتَ شَوْقًا لِي الْعِدَاةَ طَوِيلًا
 أَيْنَ أَهْلٌ حَلُّوكَ إِذْ أَنْتَ مَسْرُورٌ رُبِّهِمْ أَهْلٌ أَرَاكَ جَمِيلًا
 قَالَ: سَلِّزُوا، وَأَمْعِنُوا، وَاسْتَقْلُوا وَبَكَّرْهُ لَوْ اسْتَطَعْتُ سَبِيلًا
 سَتَمُونَا وَمَا سَتَمْنَا مُقَامًا وَاسْتَحْبَبُوا دِمَائِنَا وَسَهُولًا^(١)

وهنا حكاية تأخذ بطرف الحديث ، دخل مزيد المدني على مولى
 لبعض أهل المدينة ، وهو جالس على سرير ممدد ، ورجل من ولد أبي بكر الصديق
 وآخر من ولد عمر - رضى الله عنهما ! - جالسان بين يديه على الأرض ؛ فلما رأى
 المولى مزيداً تجهمه ، وقال : يا مزيد ما أكثر سؤالك ! وأشد إلتفانك !
 جئت تسألني شيئاً ؟ قال : لا والله ، ولكنى أردت أن أسألك عن معنى قول
 الحارث بن خالد :

إِنِّي وَمَا نَحْرُوا غَدَاةً مِنِّي عِنْدَ الْجِمَارِ تَشُوذُهَا الْعُقْلُ
 لَوْ بَدَّلْتُ أَعْلَىٰ مَنَازِلَهَا سَفَلًا وَأَصْبَحَ سَفَلَهَا يَهُلُّو

فلما رأيتك ورأيت هذين بين يديك عرفت معنى الذى قال . فقال :
 اعزب في غير حفظ الله ! وضحك أهل المجلس .

وأخذ الحارث قوله :

لَعَرَفْتُ مَغْنَاهَا بِمَا احْتَمَمْتُ مِنِّي الضَّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ
 مِنْ قَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ ؛ قَالَ عَلِيُّ بْنُ الصَّبَاحِ وَرَأَىٰ بَنَ أَبِي مُحَمَّدٍ قَالَ لِي
 أَبُو مُحَمَّدٍ : أَعْرِفُ لِامْرِئِ الْقَيْسِ أَيْبَاتًا سِينِيَةَ قَالَهَا عِنْدَ مَوْتِهِ فِي قُرُوحِهِ وَالْحَلَّةِ
 الْمَسْمُومَةِ ، غَيْرَ قَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوْلَاهَا :

(١) في الطبعة الثالثة من كتاب « حب ابن أبي ربيعة وشعره » شذرات مهمة
 عن الحارث بن خالد الخزومي ، الذى وقف شطرا من حياته وجاهه في مغازلة
 لحيان ، وأخباره مع عائشة بنت طلحة تعين مذاهبه في الحياة الوجدانية.

* أَلِمَّا عَلَى الرَّبِّعِ الْقَدِيمِ بِعَسَمًا *

قلت : لا أعرف غيرها ، فقال : أنشدني جماعة من الرواة :

لَمَنْ طَلَلُ دَرَسَتْ آيَهُ وَعَيْرَهُ سَالِفُ الْأَحْرُسِ (١)
تَسْكُرُهُ الْعَيْنُ مِنْ حَادِثٍ وَيَعْرِفُهُ شَفَعُ الْأَنْفُسِ

لطريح الثقفي

وقد أخذه لطريح بن إسماعيل الثقفي ، فقال :

تَسْتَخْبِرُ الدَّمَّ مِنَ الْقِفَارِ وَلَمْ تَكُنْ لَتَرَدِّ أَحْبَارًا عَلَى مُسْتَخْبِرٍ
فَطَلَّتْ تَحْكَمَ بَيْنَ قَلْبِي عَارِفٍ مَعْنَى أَحْبَبْتِهِ وَطَرَفٍ مُنْكَرٍ

وقال الحسن بن وهب ، إشارة إلى هذا المعنى :

للحسن بن
وهب

أَبْلَيْتَ جِسْمِي مِنْ بَعْدِ جِدَّتِهِ فَمَا تَكَادُ الْعْيُونَ تُبْصِرُهُ
كَأَنَّهُ رَسْمٌ مَنَزَلَ خَلْقِي تَمَرُّفُهُ الْعَيْنُ ثُمَّ تَسْكُرُهُ

ليحيى بن
منصور الذهلي

وقال يحيى بن منصور الذهلي :
أَمَا يَسْتَفِيقُ الْقَلْبُ إِلَّا انْتَبَرَى لَهُ تَذَكَّرُ طَيْفٍ مِنْ سُعَادٍ وَمَرَبِيعٍ
أُخَادِعٍ مِنْ عِرْفَانِهِ الْعَيْنِ ؛ إِنَّهُ مَتَى تَعْرِفُ الْأَطْلَالَ عَيْنِي تَدْمَعُ

وقال آخر :

هِيَ الدَّارُ الَّتِي تَعْرِفُ لِمَ لَا تَعْرِفُ الدَّارَا
تَرَى مِنْهَا لِأَحْبَابِكَ أَعْلَامًا وَأَنَارَا
فِي سِدَى الْقَلْبِ عِرْفَانًا وَتَبْدَى الْعَيْنُ إِنْكَارَا

وقال أبو نواس ، وتعلق أول قوله بهذا المعنى ، وأنا أنشد الأبيات كلها لأبي نواس

لَمَّا أَحَبَّهَا ؛ إِذَا كَانَ الْغُرُضُ فِي هَذَا التَّنَصُّفِ هُوَ إِرَادَةُ الْإِفَادَةِ :

أَلَا لَا أَرَى مِثْلَ امْتَرَى الْيَوْمِ فِي رَسْمٍ تَغَضُّ بِهِ عَيْنِي وَيَلْفِظُهُ وَهِيَ (٢)
أَنْتَ صَوْرُ الْأَشْيَاءِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَظَنِّي كَلَّا ظَنَّ وَعِلْمِي كَلَّا عِلْمِ

(١) الأحرس : الدهر (٢) رواية الديوان « مثل امترائي في رسم »

فَطِبُّ بِحَدِيثٍ مِنْ حَبِيبٍ مُسَاعِدٍ^(١) وَسَاقِيَةِ بَيْنِ الْمَرَاهِقِ وَالْحَلْمِ^(٢)
 ضَعِيفَةَ كَرِّ الظَّرْفِ تَحْسِبُ أَنَّهَا قَرِيبَةٌ عَهْدٌ بِالْإِفَاقَةِ مِنْ سُقْمِ
 يَفُوقُ مَالِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدٍ تَفُوقِ الصَّهْبَاءِ مِنْ حَلَبِ الْكَرَمِ^(٣)
 وَإِنِّي لَأَتَى الْوَصْلَ مِنْ حَيْثُ يُبْتَغَى وَتَعَلَّمَ قَوْسِي حِينَ أَنْزَعَ مِنْ أَرْمِي^(٤)

[شعر أبي نواس]

وَرَوَى أَبُو هَفَانَ قَالَ : كَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادِ الْأَعْرَابِيِّ^(٥) يَطْعَنُ عَلَى
 أَبِي نَوَاسٍ ، وَيَمِيبُ شَعْرَهُ ، وَيَضَعِفُهُ ، وَيَسْتَلِينُهُ ؛ فَجَمَعَهُ مَعَ بَعْضِ رِوَاةِ شِعْرِ
 أَبِي نَوَاسٍ مَجْلِسُ الشَّيْخِ لَا يُعْرِفُهُ ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُ أَبِي نَوَاسٍ : أَنْتَ عَرَفُ
 — أَعْرَكَ اللَّهُ! — أَحْسَنَ مِنْ هَذَا؟ وَأَنْشَدَهُ : «ضَعِيفَةَ كَرِّ الظَّرْفِ...» الْأَبْيَاتِ
 فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ ، فَلَمَنْ هُوَ؟ قَالَ : لِلَّذِي يَقُولُ :

رَسَمُ الْكَرْمِيِّ بَيْنَ الْجَفُونِ مُحِيلٌ عَفَى عَلَيْهِ بَكَاءُ عَلَيْكَ طَوِيلٌ
 يَا نَاطِرًا مَا أَقْدَمَتْ لِحْظَاتُهُ حَتَّى تَشْحَطَ بَيْنَهُنَّ قَتِيلٌ
 فَطَرَبَ الشَّيْخُ ، وَقَالَ : وَيَحْكُ ! لِمَنْ هَذَا؟ فَوَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ أَجُودَ مِنْهُ لِقَدِيمِ

(١) رواية الديوان « من نديم موافق » (٢) بين المراهق والحلم: يريد أن سنها
 قاربت سن الاحتلام، وليست مع ذلك طفلة، فهي كما قال صاحب البدائع: « طفلة في
 المنظر، وغادة في الخبر » (٣) تفوق مالي: تأكله، من قولهم «تفوق ناقته» حلبها،
 و «تفوق الفصيل اللبن» شر به (٤) رواية الديوان « وإني لآتي الأمر » وهي أدق
 (٥) هو ابن الأعرابي المتوفى سنة ٣٣٦. وكان نحويا عالما بال لغة والشعر، ولم
 يكن أحد من الكوفيين أشبهه برواية برواية البصريين منه، وكان يزعم أن الأصمعي
 وأبا عبيدة لا يحسنان قليلا ولا كثيرا. قال ثعلب: شاهدت ابن الأعرابي وكان يحضر
 مجلسه زهاء مئة إنسان كل يسأله أويقرا عليه ويحجب من غير كتاب، قال: ولزمته بضع
 عشرة سنة ما رأيت يده كتابا قط، وما أشك في أنه أملى على الناس ما يحمل على أجمال

ولا لِحَدَّث ! فقال : لا أُخْبِرُكَ أو تَكْتَبُه ؛ فَكْتَبُه ، وكتب الأول ، فقال : للذي يقول :

رَكِبْ تَسَاقُوا عَلَى الْأَكْوَارِ يَنْبَهُمْ كَأْسُ الْكَرَى فَانْتَشَى الْمَسْقِيُّ وَالسَّاقِ
كَانَ أَرْؤُسُهُمُ وَالنَّوْمُ وَأَضْعُمَا عَلَى الْمَنَاكِبِ لَمْ تُخْلَقْ بِأَعْصَاقِ
سَارُوا فَلَمْ يَقْطَعُوا عَقْدًا لِرَاحِلَةٍ حَتَّى أَنَاخُوا إِلَيْكُمْ قَبْلَ إِشْرَاقِ
مِنْ كُلِّ جَائِلَةِ الطَّرْفَيْنِ نَاجِيَةٍ مُسْتَأَقَّةٍ حَمَلَتْ أَوْصَالَ مُشْتَقِي
فقال : لمن هذا ؟ وكتبه . فقال : للذي تَدُمُّه ، وَتَعْيِبُ شَعْرَه ، أْبَى عَلِي
الْحَكَمِيُّ ! قال : اَكْتُمْ عَلَيَّ ، فَوَاللَّهِ لَا أَعُودُ لَدَيْكَ أَبَدًا .

أخذ قوله : « كَانَ أَرْؤُسُهُمُ وَالنَّوْمُ وَأَضْعُمَا » . أبو العباس بن المعتز ، فقال لابن المعتز يصف شرباً :

كَانَ أَبَارِيقَ اللَّجَيْنِ لِيهِمْ ظِبَاءٌ بِأَعْلَى الرَّقْمَتَيْنِ قِيَامُ
وَقَدْ شَرَبُوا حَتَّى كَانَ رُؤُسُهُمْ مِنْ اللَّيْنِ لَمْ يُخْلَقْ لَهُنَّ عِظَامُ
البيت الأول من هذين من قول علقمة بن عبدة (١) :

كَانَ إِبْرِيْقَهُمْ ظَبِيٌّ عَلَى شَرَفٍ مُقَدَّمٌ بِسَبَا الْكُتَّانِ مَلْثُومٌ (٢)
أراد بسباب (٣) ، مخذف . وقد أحسن مسلم بن الوليد في قوله :

لمسلم بن الوليد

إِبْرِيْقَتَنَا سَلَبَ الْغَزَالَةَ جِيْدَهَا وَحَكَى لِلدَيْرِ بِمَقْلَتِيهِ غَزَاالَا
يَسْتَقِيكَ بِالْأَلْحَاطِ كَأْسَ صَبَابَةٍ وَيُدِيرُهَا مِنْ كَفِّهِ جَرِيَالَا (٤)

(١) هو علقمة الفحل ، أحد معاصري امرئ القيس

(٢) مقدم : مسدود ، والقدام هو : السدادة ، والمثلثوم : الذي وضع عليه اللثام

وهو كالقدام (٣) السباب : جمع سبية ، وهي الحبل (٤) الجريال : الخمر

وأُشِدَّ الحارث بن خالد أبياته :

إني وما تحمروا غداة مَنِي

لعبد الله بن عمر ، فلما بلغ إلى قوله :

لَعَرَفْتُ مَعْنَاهَا بِمَا احْتَمَلْتُ مَنِي الضُّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَيْلُ

قال له ابن عمر : قل إن شاء الله ، قال : إذا فسد الشعر يا أبا عبد الرحمن ،

فقال : لا خَيْرَ في مَنِي يُفسده إن شاء الله .

[تشييب الحارث بن خالد]

وكان الحارث بن خالد أحد المجيدين في التشييب ، ولم يكن يعتمد شيئاً من ذلك ، وإنما يقولُه تظرفاً وتخلعاً ؛ وكان أكثر شعره في عائشة بنت طلحة ، فلما قُتِلَ عنها مُصعبُ بن الزبير قيل له : لو خطبتُها ! قال : إني لا كرهه أن يتوهم الناسُ عليّ أني كنت معتقداً لِمَا أقولُ فيها ، وهو القائل :

يا أمَّ عمرانَ ما زالت وما برحتُ بنا الصَّابَةَ حتى مسَّنا الشَّفَقُ^(١)

القلبُ تاقَ إليكم كني يلاقِيكم كما يتوقُ إلى منجاةهِ العَرِيقُ^(٢)

تُوفيك شيئاً قليلاً وهي خائفةٌ كما يمسُّ بظَهْرِ الحَيَّةِ الفَرِيقُ^(٣)

أخذ هذا الطائيُ حُسَّنه فقال :

تأبى على التَّصْرِيدِ إلَّا نائلاً إلَّا يَكُنْ ماءً قرَاحاً يُمَدَّقُ^(٤)

نَزراً كما استكرهتُ عابِرَ نَفْجَةٍ من فَاوَةِ المِسْكِ التي لم تُفْتَقِ

وحجَّت عائشةُ بنتُ طلحة ، فوجَّه إليها يستأذنها في الزيارة ، فقالت : نحن

حَرَامٌ ، فأخَّر ذلك حتى نحَلَّ ، فلما أحلتُ أدجَلتُ ولم يعلم ، فكتب إليها :

ما ضرَّكم لو قَلتمُ سَدَداً إنَّ المنيَّةَ عاجِلٌ غَدُّها^(٥)

ولها علينا نِعْمَةٌ سَلَفَتْ لَسنا على الأيامِ نَجَحْدُها

(١) الشفق : الخوف (٢) تاق : اشتاق (م) (٣) الفرق : الحائف (٤) التصريد .

التقليل ، وإسقاء ما لا يروى (م) . (٥) سدا : يريد كلاماً مستقبها لا تغيره (م) .

لو تَمَّتْ أسبابُ نِعْمَتِها تَمَّتْ بِذَلِكَ عنْدنا يَدُها
إني وإياها كَفَّتِنِ بالنَّارِ تَحْرِقُهُ وَيَعْبُدُها

[من أخبار ابن أبي عتيق وعائشة بنت طلحة]

وابنُ أبي عتيق هذا هو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ،
رضي الله عنه ! وكان من أفاضل زَمَانِهِ عِلْمًا وَعِفَافًا ، وكان أُخْلِى الناسُ فُكَاهَةً ،
وأظرفهم مِرْزَاحًا ، وله أخبارٌ مستظرفة سيمرُّ منها ما يُستحسن إن شاء الله .

روى الزبير بن أبي بكر أنه دخل على عائشة — يعني بنت طلحة ، رضي الله
عنهما ! — وهي لمباها ؛ فقال : كيف أنت جعلتُ فذاك ؟ قالت : في الموت ، قال :
فلا إذا ، إنما ظننت في الأمر فُسْحَةَ ، فضحكت ، وقالت : ما تدعُ مِرْزَاحَ بحالٍ .
وفيه يقول عمر بن أبي ربيعة القرشي :

ليت شعري هل أقولن لركب	بفلاةٍ هُمُ لديها خُشُوعُ
طالما عرستم فاستقلوا	حان من نجمِ الثريا طُوعُ
إن هَمِّي قد نفي النوم عني	وحدثُ النفسِ مِنِّي يَرُوعُ
قال لي فيها عتيقُ مقالاً	فجرتُ مما يقولُ الدموعُ
قال لي : ودع سليمي ودعها	فأجاب القلبُ : لا أستطيعُ
لا تلمني في اشتياقي إليها	وابنك لي مما تجنُّ الضُّلُوعُ

[مُثَل من التعريض]

قال أبو العباس محمد بن يزيد^(١) قوله : « حان من نجم الثريا طلوع » كناية ، وإنما

(١) أبو العباس محمد بن يزيد ، هو المعروف بالبرد ، كان شيخ أهل النحو
والعربية ، وإليه انتهى علمهما بعد طبة أبي عمر الجرجي وأبي عثمان المازني ، وقد أخذ
عنهما وعن أبي حاتم السجستاني وغيرهم ، ومات في شوال من سنة ٢٨٥ الهجرة (م)
(١٧ - زهر الآداب ١)

يريد الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر، وكانت موصوفةً بالجمال، وتزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، فقلها إلى مصر، وفي ذلك يقول عمر، وضرب لها المثل بالنجمين:

أيها المنكح الثرياً سهيلاً عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية إذا ما استقلت وسهيل إذا استقل يمانى

بين الثريا بنت علي والوليد بن عبد الملك
فمات سهيل عنها، أو طلقها، فخرجت إلى الوليد بن عبد الملك وهو خليفة دمشق تطلب في دين عليها، فبينما هي عند أم البنين ابنة عبد العزيز إذ دخل الوليد فقال: من هذه عندك؟ قالت: الثريا، جاءتك تطلب في دين ارتكبتها، فأقبل الوليد عليها، فقال: أتروين من شعر عمر بن أبي ربيعة شيئاً؟ قالت: نعم، أما إنه رحمه الله كان غفيفاً، غفيف الشعر، أروى له قوله:

ما على الرّسم بالبلين لو بسن رجع السلام أولو أجاباً
فإني قصر ذي العشرة بالصا نف أمسى من الأنيس يباباً
وبما قد أرى به حتى صدق ظاهري العيش نعمة وشباباً
وحساناً جوارياً خفرات حافظات عند الهوى الأحساباً
لا يكفّرن بالحديث ولا يتبعن ينعنن بالبهام الظراباً^(١)

فلما خلا الوليد بأم البنين قال: لله درُّ الثريا؛ أتدريين ما أردت بإنشادها ما أنشدت من شعر عمر؟ قالت: لا، قال: فإني لما عرضت لها بعمر عرضت بأن أمي أعرابية؛ وأم الوليد ولادة ابنة العباس بن جزء بن الحارث بن زهير العبسي، وهي أم سليمان، ولا تعلم امرأة ولدت خليفتين في الإسلام غيرها، وغير الخيزران، وهي سبيبة من خرسنة، ولدت موسى الهادي وهارون الرشيد ابني محمد المهدي، وشاهسفرم بنت فيروز بن يزدجرد بن شهريار بن كسرى أبرويز؛ فإنها

(١) الظراب: جمع ظرب - بزة كتف - وهو الجبل المنبسط، أو الراية

ولدت للوليد بن عبد الملك يزيد بن الوليد الناقص وإبراهيم بن الوليد المخلوع ؛
جلس في الخلافة بعد أخيه يزيد مدة يسيرة ، ثم جاء مروان بن محمد بن مروان
آخر ملوك بني أمية فخلعه ووُلِّي بعده .

وشبهه بقول الثريا في باب التعريض أنه دخلت عزة على عبد الملك بن
مروان ، فقال لها : أنت عزة كثير؟ قالت : أنا أم بكر الضميرية ، قال لها :
يا عزة ؟ هل تروين من شعر كثير شيئاً؟ قالت : ما أعرفه ، ولكن سمعت
الرواة ينشدون له :

قضى كل ذي دينٍ فوق غريمه وعزة مطولٌ مُمَنَّى غريمها
قال : فتروين قوله :

وقد زعمت أني تغيرت بعدها ومن ذا الذي يا عزة لا يتغير
تغير حالي والخليفة كالذي عهدت ولم يُخبر بسرك مُخبر
قالت : ما سمعت هذا ، ولكن سمعتهم ينشدون :

كأنِّي أنادي صخرة حين أعرضت من الصمِّ لو تمشى بها العُصم رَلَّتْ (١)
عَضوباً فما تلقاك إلا بجحيلة فمن ملَّ منها ذلك الوصل مَلَّتْ (٢)

[بعض أخبار عمر بن أبي ربيعة وغزله]

قال : وكلُّ ما ذكر ابنُ أبي ربيعة في شعره من عتيق ، أو أبي عتيق ، فإنما
هو ابنُ أبي عتيق ، وكان عمرُ بن عبد الله بن أبي ربيعة ، وأسمُ أبي ربيعة حذيفة ،
ابن المغيرة بن عبد الله [بن عمر] بن مخزوم ، ويكنى أبا الخطاب ، أمه أم ولد
سبية من حضرموت ، ويقال من حمير ، ومن ثم أتاه الغزل ؛ لأنه يقال : « عَشِقْتُ
يماني ، ودَلَّ حجازي » . قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي :

(١) كأنِّي أنادي صخرة : يريد أنها لا تجيب النداء ، والصم : جمع أصم أو صماء ،
والعصم : جمع أعصم ، وهو من الوعول والظباء ما في ذراعيه أو أحدها يياض
وسائرُه أسود (م) (٢) في الأغاني وغيره « صفوحاً فما تلقاك إلا بجحيلة » (م) .

إن قلبي بالتلّ تَلُّ عَزَازِيٍّ
 مع ظَنِّي من الطَّبَاءِ الجَوَازِيٍّ^(١)
 شَادِنٍ لَمْ يَرَ العِرَاقَ وَفِيهِ
 مَعَ ظَلْفِ العِرَاقِ دَلُّ الحِجَازِ
 وَقَالَ الطَّائِي وَذَكَرَ نَفْسَهُ :

قَدْ تَقَفْتُ مِنْهُ الحِجَازُ ، وَسَهَّلتُ
 مِنْهُ العِرَاقَ ، وَرَقَّقْتَهُ المَشْرِقُ^(٢)
 وَهَجَرْتُ الثَّرِيَاءَ عُمَرَ ، فَقَالَ :

قَالَ لِي صَاحِبِي لِيَعْلَمَ مَا بِي :
 أَتُحِبُّ القَتُولَ أُخْتِ الرِّبَابِ ؟
 قُلْتُ : وَجَدِي بِهَا كَوَجْدِكَ بِالمَا
 أَرْهَقَتْ أُمُّ نَوْفَلٍ إِذْ دَعَتْهَا
 مُهْجَتِي ، مَا لِقَاتِلِي مِنْ مَتَابِ
 أَبْرُزُوهَا مِثْلَ المِهَاءِ تَهَادَى
 بَيْنَ خَمْسِ كَوَاعِبِ أَتْرَابِ
 وَهِيَ مَكْنُونَةٌ تَحْدَرُ مِنْهَا
 فِي أُدِيمِ الخَلْدَيْنِ مَا هِ الشَّبَابِ
 ثُمَّ قَالُوا : تَحِبُّهَا ؟ قُلْتُ : بَهْرًا
 عَدَدَ الرَّمْلِ وَالْحَصَى وَالتُّرَابِ
 وَلَمَّا بَلَغَ ابْنُ أَبِي عَتِيْقٍ قَوْلَهُ :

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثَّرِيَاءِ ؟ فَإِنِّي
 ضِغْتُ ذُرْعًا بِهَجْرِهَا وَالكِتَابِ
 قَالَ : إِيَّاي أَرَادَ ، وَبِي هَتَفٌ وَنَوَّهٌ ، لَا جَرَمَ لَا ذُقْتُ طَعَامًا أَوْ أَشْخَصَ إِلَيْهَا ،
 وَأَصْلَحَ بَيْنَهُمَا ؛ قَالَ مَوْلَى لَبْنِي تَمِيمٌ : فَهَضَّ وَنَهَضْتُ مَعَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى السُّوقِ إِلَى
 الضَّمْرَتَيْنِ ، فَأَتَى قَوْمًا مِنْ بَنِي الدَّيْلِ بْنِ بَكْرِ يَكْرُونَ النِّجَابَ ، فَقَالَ : بَيْكُمْ
 تَكْرُوتِنِي رَاحِلَتَيْنِ إِلَى مَكَّةَ ؟ قَالُوا : بَكْذَا وَكَذَا دَرَاهِمًا ، فَقُلْتُ لِبَعْضِ التُّجَّارِ :
 اسْتَوْضِعُوا شَيْئًا ، فَقَالَ ابْنُ أَبِي عَتِيْقٍ : وَيْحَكَ ! إِنَّ المِلكَاسَ لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِ
 النَّاسِ^(٣) . ثُمَّ رَكِبَ وَاحِدَةً وَرَكِبْتُ أُخْرَى ، وَأَجَدْتُ السَّيْرَ ، فَقُلْتُ : ارْفُقْ بِنَفْسِكَ ،

(١) الجولوزي : هي الطباء التي تجزيء بالعشب عن الماء

(٢) المشرق : مخلاف باليمن (٣) الملكاس : الشدة في الأخذ والعطاء

فقال : ويحك ! أبادر حَبْلَ الوصل أن يتَقَصَّبَا . وما أملك الدنيا إذا تمَّ الوصلُ بين عمر والثريا ! فقدمنا مكة وأتى بابَ الثريا ، فقالت : والله ما كنت لَنَا زَوَّارًا ، فقال : أجل ، ولكن جئتُ برسالة ، يقول لك ابن عمك عمر : ضِقتُ ذرعًا بهجرها والكتاب . فلامه عمر ، فقال ابن أبي عتيق : إنما رأيتك مبادرًا تلتئمِسُ رسولًا ، فحَفقتُ في حاجتك ، فإنما كان ثوابي أن أشكر .

ووصف ابن أبي عتيق لعمر امرأةً من قومه ، وذَكَرَ جمالاً رائعاً ، وعقلاً فائقاً ، فرآها عمر ، فشبَّبَ بها ؛ فغضب ابنُ أبي عتيق وقال : تشبَّبُ بامرأة من قومي ؟ فقال عمر :

لا تَلْمِني عتيقُ حَسبي الَّذي بي إنَّ بي يا عتيقُ ما قد كَفاني
إنَّ بي مُضمرًا من الحبِّ قد أبلى عِظامي مَكُونُهُ وبراني
لا تَلْمِني فأنتَ زَيَّنتَها لي
فقال ابن أبي عتيق :

أنتَ مِثْلُ الشيطانِ للاندمان

فقال عمر : هكذا وربَّ الكعبة قلت .

فقال ابن أبي عتيق : إن شيطانك وربَّ القبرِ بما ألمَّ بي !
وحجَّت رملة بنت عبد الله بن خلف أخت طلحة الطلحات ، فقال عمر فيها :

أصبح القلبُ في الحبالِ رَهينًا مُقَصِّداً يومَ فارَقَ الظاعينَا
ولقد قلت يوم مكة سِرًّا قبلَ وشكٍ من بينكم تَوَلِينَا
أنتَ أهوى العبادِ قرابًا وبعداً لو تَوَاتَيْنَ عاشقًا محزونَا
قاده الحينُ يوم سَرنا إلى الحجِّ جَهارًا ولم يَحْفَ أنْ يَحِينَا
فإذا نَعجَة تراعى نَعاجَا ومَهًا نُجَلَّ النواظرِ عِينَا
فَسَبَّتْني بمقلَّةٍ ومجِيدِ وبوجهِ يضيءُ للناظرِينَا

قلتُ من أتمُّ فصدتُ وقالتُ أميدُ سؤالك العالميناً^(١)
قلتُ بالله ذى الجلالة لما أن تبتتِ الفؤاد أن تصدقينا
أى من تجمع الموائم أنتم فأبيني لنا ولا تكذينا
فأرت حِرْصِي الفتاة ، فقالت أخبريه بعلم ما تكتمينا
نحن من ساكنى العراق ، وكنا قبلها قاطنين مكة حينما
قد صدقناك إذ سألت فمن أنت عسى يجر شأن شؤونا
ونرى أننا عرفناك بالذمت ظنوناً وما قتلنا يقيمنا
بسوادِ الثنيتين ونعتٍ قد نراه لناظر مستيينا
قولها : « وكنا قبلها قاطنين مكة حيناً » أرادت إذ كانت مكة لخزاعة .
وكان آخر من نبذ مفتاح الكعبة من خزاعة أبو غبشان ، فباعه من قصى بزق
خر ؛ فقيل في المثل : « أخسر صفقة من أبي غبشان » . وكان أبو غبشان
إذ باع المفتاح قصياً مريضاً قد يئس من نفسه ، فلما أبل من مرضه لأمه قومه ،
وسألوه استرجاعه ، وذلك الذى هاج الحرب بين خزاعة وقريش ، فظفر قصى
واستولى على مكة ، وجمع قريشاً بها ؛ ولذلك سمى مجمعا ، قال مطرف الخزاعى :
أبوكم قصى كان يدعى مجمعاً به جمع الله القبائل من فهري
وقال الطائى :

ولما نضاً ثوب الحياة وأوقعتْ به نأباتُ الدهر ما يتوقع
غدا ليس يدري كيف يصنع مُعَدِمٌ ذرى دمه في خذه كيف يصنع
ولم أنس سعى الجود خلف سريره بأ كسفِ بالٍ يستقل ويطلع^(٢)
وتكبيره خمسا عليه معاً لنا وإن كان تكبير المصلين أربع
وما كنت أدري يعلم الله قبلها بأن الندى فى أهله يتشيع

صفقة أبى
غبشان الذى
باع مفتاح
الكعبة

(١) أميد سؤالك العالمين : أى هل أنت مقسمه بددا وتفارق على الناس بحيث
يعمم جميعاً (٢) يستقل ويطلع : ينهض ويسقط

غَدَاً فِي زَوَايَا نَعِشِهِ وَكَأَنَّهَا قَرِيشٌ قَرِيشٌ يَوْمَ مَاتَ مُجَمِّعٌ
وقال الشاعر في أمر قصي وأبي عُبدشان :

أَبُو عُبْدَشَانَ أَظْلَمُ مِنْ قَصِيٍّ وَأَظْلَمُ مِنْ بَنِي فَهْرِ خِزَاعِهِ
فَلَا تَلْحَوْا قُصِيًّا فِي بِرَاهِ وَلَوْ مَوَا شَيْخَكُمْ إِذْ كَانَ بَاعَهُ
وكان عمر أسود الثنيتين .

قال مولى ابن أبي عتيق بلال : أتيتُ الثريا مسلماً عليها ، فقالت : أنشدني
لعمر ، فأنشدتها :

* أَصْبَحَ الْقَلْبُ فِي الْجِبَالِ رَهِينًا *

فقالت الثريا : إني والله ، لئن سلمت له لأردنَّ من شأوه ، ولأثنينَّ من
عنايه ، ولأعرفنه نفسه ! فررت فيها حتى انتهيت إلى قوله :

قُلْتُ مَنْ أَنْتُمْ فَصَدَّتْ وَقَالَتْ أُمْبُدُّ سَوْءُ الْكَالِمَيْنَا
فقالت : أو قد أجابته بهذا ؟ أي وقت ؟ فلما انتهيت إلى قوله :

* وَتَرَى أَنَا عَرَفْنَاكَ بِالنَّعْتِ *

قالت : جاءت النوء كاءُ بأخر ما عندها في موقفي واحد^(١) .

وسأله أخوه الحارث - وهو المعروف بالقُبَاع ، وكان من أفاضل أهل دهره - أن
يترك الشعر ، ورجب إليه في ذلك ، ووعظه ، فقال : أما ما دمتُ بمكة فلا
أقدرُ ، ولكنني أخرج إلى اليمن ، فخرج ؛ فلما سار إلى هناك لم تدعه نفسه وترك
الشعر ، فقال :

هِيَهَاتَ مِنْ أَمَةِ الْوَهَابِ مَنْزِلْنَا إِذَا نَزَلْنَا بِسَيْفِ الْبَحْرِ مِنْ عَدَنِ^(٢)
وَاحْتَلَّ أَهْلُكَ أَجْيَادًا ، وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا التَّذْكَرُ أَوْ حِظٌّ مِنَ الْحَزَنِ
بَلْ مَا نَسِيتُ غَدَاةَ الْخُيْفِ مَوْقِفَهَا وَمَوْقِفِي ، وَكَلَّا نَا نَمُّ ذُو شَجَنِ

(١) النوء كاء : الحقاء (٢) سيف البحر - بكر السين - ساحله

وقولها للثريا وهي مطرقة^(١) والدمع منها على الخدين ذوسنن^(٢)
 بالله قولي له في غير معتبة ماذا أردت بطول المكث في اليمن
 إن كنت حاولت دنيا وظفرت بها فما أخذت بترك الحج من ثمن
 فلما بلغ الشعر الحارث قال : قد علمنا أنه لا يقى^(٣).

بين ابن جريج
 ومعن بن أوس

وروى سفيان بن عيينة عن ابن جريج قال : لزمى دين مرة فضاقت^٤
 ساحتي وبلادى بي ، فتوجهت إلى معن بن زائدة باليمن ، فقال : ما أقدمك
 هذه البلدة ؟ قلت : دين طردني عن وطني ، قال : يُقصي دينك ، وتُرد إلى
 وطنك محبوا محبوراً ، قال : فأمت عنده ، ثم رأيتُ الناس يرحلون إلى الحج ،
 فحنت إلى مكة ، وذكرت قول ابن أبي ربيعة ، وذكر الأبيات ... فأتيتُ باب
 معن ، فقلت للحاجب : استأذن لي على الأمير ، فلما دخلت عليه قال : إن
 لك لحادثٍ خبر ! قلت : أستودعُ الله الأمير وأستحفظه عليه . قال : وما حاج
 هذا منك ؟ قلت : رأيتُ خروجَ الناس إلى الحج ، وذكرت قول عمر ؛ فحنت
 إلى مكة ، فقال : أنتَ وحنينك ؛ وإن كنتُ بفراقك صنيماً ، وسيتبعك
 ما تحتاج إليه ؛ فسرْ مُصاحباً ، قال : فسرتُ إلى رَحلي ، فأتبعني بمالٍ وثياب
 ومطايا ودواب ، وسرت إلى مكة من فوري .

عفة عمر

وكان عمر - على غزله ، وما يذكره في شعره - عفيفاً . حدث المغيرة بن عبد الرحمن
 عن أبيه قال : دخلت مع أبي مكة ، فجاءه عمر ، فسلم عليه ، وأنا غلامٌ شابٌّ
 وعلى جبته ، فجعل يأخذُ بخصلة من شِئري فتمتد في يده ، ثم يُرسلها فترجع ،
 فيقول : واشباباه ! فقال لي : يا ابن أخي ، قد سمعتَ قولِي : « قلت لها وقالت لي » ؛
 وكل مملوك لي حرٌّ إن كنت قطُّ كشفت عن فرج حرّام ! قال : فقمتم وفي

(١) السنن : الطرائق (٢) ارجع إلى نقض هذا الرأي في كتاب « حب ابن
 أبي ربيعة وشعره » في الفصل الذي عنوانه « الجوانب الجديدة في حياة ابن أبي ربيعة »

نَفْسِي من يمينه شيء؛ فسألت عن رقيقه، فقيل لي: أما في هذا الحول فسبعون .
ويستحسن قول عمر في المساعدة:

وِخْلٌ كُنْتُ عَيْنَ النَّصْحِ مِنْهُ إِذَا نَظَرْتُ وَمُسْتَمًا مُطِيعًا
أَطَافَ بِغِيَّةٍ فَنَهَيْتُ عَنْهَا وَقُلْتُ لَهُ: أَرَى أَمْرًا شَنِيعًا
أَرَدْتُ رِشَادَهُ جَهْدِي، فَلَمَّا أَبِي وَعَصَى أَتَيْنَاهَا جَمِيعًا

وهذا مأخوذ من قول دريد بن الصمة الجشمي^(١):

أَمْرُهُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوِيِّ فَلَمْ يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إِلَّا ضُحَا الْعَدِ
فَقُلْتُ لَهُمْ: ظَنُّوا بِالْفَيْ مُدَجِّجٍ سَرَاتِهِمْ فِي الْفَارِسِيِّ الْمَسْرِدِ^(٢)
فَمَا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ وَقَدْ أَرَى غَوَايَتِهِمْ وَأَنْتِي غَيْرُ مُهْتَدِي
وَمَا أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ إِنْ غَوَتْ غَوَيْتُ، وَإِنْ تَرَشَّدُ غَزِيَّةٌ أُرْشِدُ
ومن جيد شعره:

يَقُولُونَ إِنِّي لَسْتُ أَصْدُقُ فِي الْهَوَى وَإِنِّي لَا أَرَعَاكَ حِينَ أَغِيبُ
فَمَا بَالُ طَرْفِي عَفَا عَمَّا تَسَاقَطَتْ لَهُ أَنْفُسٌ مِنْ مَعْشَرٍ وَقُلُوبُ
عَشِيَّةٍ لَا يَسْتَنْكِرُ الْقَوْمُ أَنْ يَرَوْا سَفَاهَ حِجِّي مِمَّنْ يُقَالُ لِيَبِ
وَلَا فِتْنَةً مِنْ نَاسِكٍ أَوْ مَضَتْ لَهُ بَعَيْنِ الْجَبَا كَسَلِي الْقِيَامِ لَعُوبِ^(٣)
تَرَوِّحَ يَرْجُو أَنْ تُحَطَّ ذُنُوبُهُ فَآبَ وَقَدْ زِيدَتْ عَلَيْهِ ذُنُوبُ
وَمَا النَّسْكَُ أَسْلَانِي، وَلَكِنْ لِلْهَوَى عَلَى الْعَيْنِ مَتَى وَالْفَوَادِ رَقِيبُ

ونظر عمر بن أبي ربيعة إلى فتى من قريش يكلم امرأة في الطواف، فعاب ذلك عليه، فذكر أنها ابنة عمه، فقال: ذلك أشنع لأمرك، قال: إني خطبتها

(١) أحد الشعراء الأبطال، غزا نحو مئة غزوة، ولم يخب في واحدة منها، عمر طويلا حتى سقط حاجباه على عينيه، أدرك الإسلام ولم يسلم، قتل على دين الجاهلية يوم حنين (٢) ظنوا، هنا معناها تيقنوا. والمدجج: التام السلاح. والمسرد: الحكيم النسيج، وهو صفة للدرع (٣) أومضت له: سارفته النظر

إلى عمي ، وإنه زعم أنه لا يزوجني حتى أصدقها أربعائة ديناراً ، وأنا غير قادر على ذلك ، وذكر من حاله وحبّه لها ؛ فأتى عمرُ عمه ، فكلمه في أمرها ، فقال : إنه مُعلق ، فزوجه ، وساق عمرُ عنه المهر .

وكان عمر حين أسنّ حلف ألا يقول بيتاً إلا أعتق رقبة ، فانصرف إلى منزله يحدث نفسه ، فجعلت جاريته تكلمه ولا يجيبها ؛ فقالت : إن لك لشأناً ، وأراك تريد أن تقول شعراً ، فقال :

تقول وليدتي لما رأيتني	طربتُ : وكنتُ قد أقصرتُ حيناً
أراك اليوم قد أحدثتُ أمراً	وهاج لك الهوى داءً دفيناً
وكنت زعمتُ أنك ذو عزاء	إنما ماشئتُ فارتقتُ القريناً
لعمرك هل رأيتَ لها سميّاً	فشاقك أم لقيتَ لها خديناً
فقلتُ : شكا إلى أخٍ مُحِبِّ	كبهضِ زماننا إذ تعلّمينا
ققضَ عليّ ما يلقى بهندٍ	فذكرَ بعضَ ما كنا نسينا
وذو الشوق القديم وإن تعزّى	مَشوق حين يلقى العاشقينا
فكم من مُخلّةٍ أعرضتُ عنها	لغيرِ قليّ ، وكنتُ بها ضنيناً
أردتُ بعادها فصددتُ عنها	وإن جنّ القوادُ بها جنوناً

ثم دعا تسعة من رقيقه فأعتقهم .

قال عثمان بن إبراهيم : حججتُ أنا وأصحابُ لنا ، فلما رجعنا من مكة مررنا بالمدينة ، فرأينا عمر بن أبي ربيعة ، وقد نَسك وترك قول الشعر ، فقال بعضنا لبعض : هل لكم فيه ؟ فمِلْنَا إليه ، وسأمنّا عليه ، وجلسنا وهو ساكتٌ لا يكلمنا . فقال له بعضنا : أيعجبك قول الفرزدق :

سرتُ لعينيك سامي بعد مفاها	فبتُ مُستليّاً من بعد مسراها
فقلتُ : أهلاً وسهلاً! من هداك لنا؟	إن كنتِ تمثالها أو كنتِ إياها
تأتي الرياح التي من نحو بلدتكم	حتى تقول : دنتُ منا برياًها

وقد تراخت بهم عنانوى قذف^(١) هيهات مصبها من بعد مساهها^(٢)
 من أجلها أتمنى أن يلاقيني من نحو بلدتها ناع فينعأها
 كما أقول: افتراق لاجتماع له ، وتضمير النفس ياساً ثم تسلاها
 ولو تموت لراعنتي وقلت لها : يا بؤس للدهر ليت الدهر أبقاها
 فلم يهش لذلك ! فقال الآخر : أيعجبك قول العذرى :

لو حز بالسيف رأسى فى مودتها مرَّ يهوى سريعاً نحوها راسى
 ولو لى تحت أطباق الثرى جسدى لكنت أبلى وما قلبى لكم ناسى
 أو يقبض الله روى صار ذكركم روجا أعيش به ما عشت فى الناس
 لولا نسيم لذكركم يروحنى لكنت محترقا من حر أنفاسى
 فتحرك ثم قال : يا ويحه ! أبعده ما يحز رأسه يميل إليه ؟

ثم أنشأ يحدثنا ، فقال : أتانى خالد الدليل ، فقال : إن هندا وأترابها بموضع
 كذا وكذا من الصحراء أيام الربيع ، فقلت : كيف الحيلة ؟ فقال : تتلم وتكتفل^(٣)
 كأنك طالب ضالة ، ففعلت ، فدفعت إليهن ، فقلن : يا أعرابى ، ماتطاب ؟ قلت :
 ضالة لى ، فقلن : قد كللت يا أعرابى ، فلو جلست فأصبت من حديثنا وأصبنا من
 حديثك ، ولعلك تروح إلى وجود ضالتك ، فنزلت ؛ فلما امتد الحديث بنا حسرت
 هند لثامى ، وقالت : أتراك خدعتنا ؟ نحن والله خدعناك ، وبعثنا إليك خالدا ،
 رأينا خلاء ومنظراً فأردناك ، ونظرت فى درعى فأعجبني ما رأيت ، فقلت :
 يا أبا الخطاب ! قال عمر : فقلت : لبيك ، وفى ذلك أقول :

ألم تسأل الأطلال والمتربعا بيطن حليات دوارس بلقعا^(٣)

(١) نوى قذف : بعيدة .

(٢) اكتفل : ركب فوق الكفل . بالكسر ، وهو شئ مستدير يتخذ من

خرق أو غيرها ويوضع على سنام البعير (٣) حليات : اسم موضع

إلى السرح من وادي الغمس بدلت
 فيحخلن أو يخبرن بالعلم بعدما
 هند وأتراب هند إذ الهوى
 وإذا لا نطيع العاذلين ولا زرى
 وإذا نحن مثل الماء كان عز أجه
 تنوعتن حتى عاود القلب حبله
 فقلت لمطريهن بالحسن : إنما
 وأشريت فاستشري وقد كان قد صحا
 لئن كان ما حدثت حقا فما أرى
 فقال : فقم فانظري ، فقلت : وكيف لي
 فقال : اكنفلي ثم التم فأت باغيا
 فأقبلت أهوى مثل ما قال صاحبي
 فلما توافقنا وسلمت أقبلت
 تبالهن بالعرفان لَمَا رأينني
 وقرَّبَن أسباب الهوى لمتيم
 فلما تنازعن الأحاديث قلن لي

معالمه وبلا ونكباء زعزعا^(١)
 نكأن فوادا كان قدما موجعا^(٢)
 جميع وإذ لم نخش أن يتصدعا
 لوأش لدينا يطلب الهجر مطمعا
 كما صفق الساق الرحيق المشعشا
 وحتى تدرت الحبيب المودعا
 ضررت ، فهل تستطيع نفعاً فتنفعا؟
 فواد بأمثال المهأ كان مولعا^(٣)
 كمثل الألى أطريت في الناس أربعا^(٤)
 أخاف حديثا أن يشاع فيشنا
 فسلم ولا نكثرت بأن تتورعا
 لموعده أبعي قلو صا موقعا^(٥)
 وجوه زهاها الحسن أن تنقعا
 وقلن : امرؤ باغ أكل وأوضعا^(٥)
 يقيس ذراعا كلما قسن إضعبا
 أخفت علينا أن نعر ونخدعا

- (١) الغمس : موضع قرب مكة في طريق الطائف ، والنكباء : الريح التي تتنكب عن مهاب الرياح ، وريح زعزع : شديدة
 (٢) نكأ الجرح : أصابه من جديد (٣) أشريته فاستشري : هجته فهاج ، وشري الشر ، على وزن رضى ، استطار . وشبرى زيد : غضب ولج ، ومثله استشري ، ومنه الشراة للخوارج ، سموا بذلك للجاجتهم وإمعانهم في الخروج ، لا لأنهم شروا أنفسهم وباعوها في الطاعة كما وهم بعض الناس (٤) الإطراء : البالغة في الثناء
 (٥) الموقع : البعير تكثر عليه آثار الدبر (٦) أكل راحلته وأوضعا : أضعها

فبالأمس أَرْسَلْنَا بِذَلِكَ خَالِدًا
 فَمَا جِئْنَا إِلَّا عَلَى وَفْقِ مَوْعِدٍ
 عَلَى مَلَأَ مَنَّا خَرَجْنَا لَهُ مَعَا
 دَمِيثَ الرَّبِيِّ سَهْلَ الْمَجْلَةِ مُمْرِعًا^(١)
 وَقَلْنَ : كَرِيمٌ نَالَ وَصَلَ كَرَاهِمُ
 فَخَقَّ لَهُ فِي الْيَوْمِ أَنْ تَمْتَعًا
 وَقَوْلُهُ : « وَجُوهَ زَهَاهَا الْحَسَنُ أَنْ تَنْفَعَا » يَقُولُ : هَذِهِ الْوَجُوهُ مُدَلَّةٌ بِجَاهِهَا
 فَلَا تَحْتَمِرُ ، فَتَسْتَرُ شَيْئًا عَنِ النَّاطِرِينَ إِلَيْهَا . وَقَدْ أَشَارَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى الشَّمَاخُ بْنُ
 ضِرَارٍ^(٢) يَصِفُ نَاقَتَهُ :

كَأَنَّ ذِرَاعَيْهَا ذِرَاعُ مُدَلَّةٍ
 بُعِيدَ الشَّبَابِ حَاوَلَتْ أَنْ تُعْذِرًا^(٣)
 مِنَ الْبَيْضِ أَعْطَافًا إِذَا اتَّصَلَتْ دَعَتْ
 فِرَاسَ بْنِ غَنَمٍ أَوْ نَقِيطَ بْنِ يَهُمْرًا
 بِهَا شَرَقٌ مِنْ زَعْفَرَانٍ وَعَنْبَرٍ
 أَطَارَتْ مِنَ الْحَسَنِ الرَّدَاءِ الْحَبْرَا

[مَنْ لَا تَرَى سِتْرَ الْوَجْهِ مِنَ النِّسَاءِ ، وَاحْتِجَاجَهَا لِذَلِكَ]

قَالَ : وَكَانَتْ عَائِشَةُ بَدَتْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ لَا تَسْتُرُ وَجْهَهَا ، فَلَمَّا دَخَلَتْ
 عَلَى مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ لَهَا فِي ذَلِكَ ، فَقَالَتْ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَسَمِنِي بِمِيسَمِ جَمَالٍ ،
 فَأَحْبَبْتُ أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ ، وَاللَّهِ مَا بِي وَصَمَةٌ أُسْتَرْتُ لَهَا .

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ الرَّوْمِيُّ يَصِفُ قَيْتَةَ :

لَمْ يَمْتَصِمِ عَوْدُهَا بِزَامِرَةٍ
 وَلَا انْضَوَى وَجْهَهَا إِلَى السِّتْرِ
 وَقَدْ رَدِدَ مَعْنَى قَوْلِهِ : « لَمْ يَمْتَصِمِ عَوْدُهَا بِزَامِرَةٍ » قَالَ : يَصِفُ بَرْعَةَ

الْكَبِيرَةَ :

غَنَتْ فَلَمْ تَحْجُجْ إِلَى زَامِرٍ
 هَلْ تَحْجُجُ الشَّمْسُ إِلَى شَمْعِهِ

(١) دميث : سهل ، والمرع : الخصب

(٢) هو معقل بن ضرار ، المتوفى سنة ٢٢ ، كان أرجز الناس على البديهة ، شهد

القادسية ، وتوفى في غزوة موقان (٣) في نسخة « ذراعا مدلة » (م)

كأنما غنت لشمس الضحى فألبستها حُسْنَهَا خَلَعَهُ
 كأنما رَنَتْ مَسْمُوعَهَا رَقَّةً شَكْوَى سَبَقَتْ دَمْعَهُ
 تُهْدِي إِلَى قَلْبِكَ مَا يَشْتَهَى كَأَنَّهَا قَبْدَ أَطْلَعَتْ ظَلَمَهُ
 يَجْتَمِعُ الظَّرْفُ جَلَّاسَهَا وَالْحَسَنُ وَالْإِحْسَانُ فِي بُقْعَهُ
 طَفَلٌ عَلَى مَنْ حَصَلَتْ عِنْدَهُ فَبَعْضُ تَطْفِيلِ الْفَتَى رَفَعَهُ (١)
 رِيحٌ غَيْثٌ فَانْتَجِعْ رَوْضَهُ فَلَنْ يُعَابَ الحَرَّ بِالنَّجْعِهِ (٢)

[سَتْرُ الرَّأْسِ لِإِخْفَاءِ الصَّلَعِ]

وكان ابن الرومي لا يزال معتمًا ، وكان يفضض إذا سُئِلَ عن ذلك ، وسأله
 بعضُ الرؤساء: لِمَ تَعْتَمُ؟ فقال بديها:

يَأْتِيهَا السَّائِلِي لِأَخْبَرَهُ عَنِّي لِمَ لَا أَرَاكَ مُعْتَجِرًا
 أَسْتَرُ شَيْئًا لَوْ كَانَ يُمْكِنُنِي تَعْرِيفُهُ السَّائِلِينَ مَا سُتِرَا
 وقد بين العلة التي أوجبت اهتمامه في قوله:

تَعَمَّتْ إِحْصَانًا لِرَأْسِي بُرْهَةً مِنَ القَرَّيَوْمِ وَالْحُرُورِ إِذَا سَفَعُ
 فَلَمَّا دَهَى طَوْلُ التَّعَمُّمِ لِمَتِي وَأَوْدَى بِهَا بَعْدَ الإِطَالَةِ وَالْفِرْعَ
 عَزَمْتُ عَلَى بُسِّ العِمَامَةِ حِيلَةً لَتَسْتَرِ مَا جَرَّتْ عَلَيَّ مِنَ الصَّلَعِ
 فَيَالِكَ مِنْ جَانٍ عَلَيَّ جِنَايَةً جَعَلْتَ إِلَيْهِ مِنْ جِنَايَتِهِ الفِرْعَ
 وَأَعْجَبُ شَيْءٌ كَانَ دَانِي جَعَلْتُهُ دَوَانِي عَلَى عَمْدٍ وَأَعْجَبُ بَأَنَّ نَفْعُ

وهذا كقولهِ ، وإن لم يكن في معناه ، وقد رأيت من ينسبه إلى كشاجم:

طَرَبْتُ إِلَى المِرَاةِ فَرَوَعَتْنِي طَوَالِحُ مُبَيَّتِينَ أَلْمَتَانِي
 فَأَمَّا شَيْبَةٌ فَفَرَعَتْ مِنْهَا إِلَى المِقْرَاضِ حُبًّا لِلتَّصَانِي

(١) التطفيل: غشيان الوليمة من غير دعوة

(٢) النجعة: الأرتحال في سبيل الكلا

وأما شَيْبَةُ فَصَفَحَتْ عَنْهَا
فَأَعْجَبَ بِالدَّلِيلِ عَلَى مَشْيِي
وَهُوَ الْقَائِلُ فِي صِفَةِ رَجُلٍ أَصْلَعُ :

يَجْذِبُ مِنْ نَقْرَتِهِ طُرَّةً
فَوْجُهُ يَأْخُذُ مِنْ رَأْسِهِ

وقال أعرابي :

قد ترك الدهرُ صفاتي صَفْصَفًا فصار رأسي جبهةً إلى القفا^(١)
* كأنه قد كان ربعا فعنا *

[من كلام الأعراب]

قال أعرابيٌ لسليمان بن عبد الملك : إني أكلك يا أمير المؤمنين بكلام
فاحتمله ، فإن وراءه إن قبلته ماتحبه ، قال : ها ته يا أعرابي ؛ فنحن نجودُ بسعة
الاحتمال على من لا تأمن غيبته ، ولا ترجو نصيحته ، وأنت المأمون غيبا ، الناصح
جيبا^(٢) . قال : فإني سأطلقُ لساني بما خرست عنه اللسان ، تأديةً لحق الله
تعالى ؛ إنه قد اكتنفتك رجالٌ أساءوا الاختيارَ لأنفسهم ، وابتاعوا دُنْيَاكَ بدينهم ،
ورضاك بسخطِ ربهم ، وخافوك في الله ولم يخافوا اللهُ فيك ، فهم حربٌ
للاخرة ، ومسلمٌ للدنيا ، فلا تأمنهم على ما أئتمنت اللهُ عليه ؛ فإنهم لم يألوا
الأمانةَ تضييعا ، والأمةَ كسفا وخسفا ، وأنت مسئول عما اجترموا ، ولبسوا
مسئولين عما اجترمت ؛ فلا تُصلِحْ دينهم بفسادِ آخرتك ؛ فإن أعظم الناس
عند الله غيبًا من باع آخرته بدُنْيَا غيره .

فقال سليمان : أما أنت يا أعرابي فقد سللت لسانك وهو سيفك ، قال :

أجل يا أمير المؤمنين ، لك لأعليك .

(١) الصفاة : الصخرة ، والمراد بها حال المرء (٢) نصح الجيب : كناية عن

وروى العتبي عن أبيه عن مولى لعمر بن حريث قال : شخصت إلى سليمان ابن عبد الملك ، فقيل لي : إنك ترد على أفصح العرب ، وسيألك عن المطر ، فانظر ما تجيبه ، قلت : ما عندي من الجواب إلا ما عند العامة ، فقيل لي : ما ذلك بمفنع عنده ، فلقيني أعرابي فقلت : هل لك في درهمين ؟ فقال : إني والله محتاج إليهما ، حريص عليهما ، فما شأنك ؟ قلت : لو سألك سائل عن هذا المطر لم كنت تجيبه ؟ قال : أو يعنيا بهذا أحد ؟ قلت : نعم ، سأئك ! قال : أتعباً أن تقول : أصابتنا سماء ، عمد لها الثرى ، واتصل بها العرسي ، وقامت منها الغدر ، وأتتك في مثل وجار الضبع ، فكتبت الكلام ، وأعطيت درهمين ؛ فكان هجيراً على الراحلة ^(١) ؛ فإذا نزلت أقبلت عليه وأمثل نفسي كأنى واقف بين يديه ، وقد سلمت عليه بالخلافة وهو يسألني عن المطر !

وصف المطر
لاعرابي

فلما انتهيت إليه سألتني فاقصصت الكلام ، فكسر إحدى عينيه ، وقال : إني لأسمع كلاماً ما أنت بأبي عذرتة ^(٢) . قلت : صدقت ! وحياتك يا أمير المؤمنين اشتريته بدرهمين ! فاستغرب ضحكاً ، ثم أحسن صلاتي .

وقال أعرابي يمدح رجلاً :

أعرابي
يمدح رجلاً

حليم مع التقوى ، شجاع مع الجدا
ويجداً أموراً لو تصيقت غيره
شديد مناط القلب في الموقف الذي
فتى هو من غير التخلق ماجداً
ندحين لا يندى السحاب سكوب
لمات خفتاً أو لكاد يدوب
به لقاوب العالمين وجيب
ومن غير تأديب الرجال أديب
وقال بعض المحدثين يمدح :

(١) كان هجيراً على الراحلة : أي لم يزل يكرره وهو سائر

(٢) ليس بأبي عذرتة : ليس صاحبه . والعذرة : البكارة ، وهو أبو عذرة هذا

الكلام : أي أول من اقتض بكارته ، يعني أنه مبدعه

فَتَى يَجْعَلُ المَعْرُوفَ قَبْلَ سُؤْلِ اللهِ وَيَجْعَلُ دُونَ العُدْرِ فَضْلَ التَّكْرِمِ
أَغْرَى مَتَى تَقْصِدُ بِهِ فَضْلَ حِظِهِ تُصِيبُ وَمَتَى تَطْلُبُ بِهِ النُّعْمَ تَقْنَمُ
عَلَى رَأْيِهِ يَنْضَمُّ مُنْصَدِعُ الصَّمَا وَبِنَحْلِ مَنْ عَقَدِ العُرَى كُلَّ مُبْرَمِ
لَهُ عَزْمَةٌ أَغْنَى مِنَ الجَيْشِ فِي الوَعَى وَخَطْرَةٌ رَأَمِ كَالْحُسَامِ المَصْمَمِ

جملة من كلام أبي الفضل أحمد بن الحسين الهمداني^(١) بديع الزمان

وهذا اسمٌ وافقُ مُسَمَّاهُ ، ولفظٌ طابقَ مَعْنَاهُ ، وكلامٌ غَضُّ المَكاسِرِ ،

أَنِيقُ الجِوَاهِرِ ، يَكادُ الهِوَاءُ يَسْرِقُهُ لُطْفًا ، والهوى يُعَشِّقُهُ ظَرْفًا

ولما رأى أبا بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي^(٢) أغرب بأربعين حديثًا ، وذكر كيف استوحى

أنه استنبطها من ينابيع صدره ، واستنخبها من معادن فكره ، وأبداها للأبصار صنع المقامات
والبصائر ، وأهداها للأفكار والضائر ، في معارض أعجمية ، وألفاظ حوشية ، فجاء
أكثر ما أظهر تنبؤ عن قبوله الطباع ، ولا ترفع له حجبها الأسماع ، وتوسع فيها ؛
إذ صرف ألفاظها ومعانيها ، في وجوه مختلفة ، وضروب متصرفة ، عارضها
بأربعائة مقامة في الكدوية ، تذوب ظرفًا ، وتقطر حسنًا ، لامناسبة بين
المقامتين لفظًا ولا معنى ، وعطف مساجلتها ، ووقف مناقلتها ، بين رجلين سمى
أحدهما عيسى بن هشام والآخر أبا الفتح الإسكندري ، وجعلهما يتهاديان الدر ،
ويتنافسان السحر ، في معان تضحك الحزين ، وتحرك الرصين ، يتطلع منها
كل طريفة ، ويوقف منها على كل لطيفة ، وربما أفرد أحدهما بالحكاية ،

(١) هو أشهر كتاب القرن الرابع ، وأبقاهم أثرًا . كانت وفاته سنة ٣٩٨ وسيتحدث

عنه صاحب زهر الآداب في مواطن متفرقة (٢) ابن دريد هو : محمد بن الحسن
« لا الحسين كما ورد في الأصل » المتوفى سنة ٣٢١ ، كان فها وصفوه أعلم الشعراء
وأشعر العلماء

وخصَّ أحدهما بالرواية؛ وسأذكر منها ما لا يُحِلُّ طولُه بالشرط المعقود، ولا ينافي حصوله الغرض المقصود^(١).

كتب إلى أبي نصر أحمد بن علي الميكالي :

كتابي - أعز الله الأمير! - وبودى أن أكونه، فأسعد به دونه، ولكنَّ الحريصَ محروم، لو بلغ الرزق فاه، لولاه قفاه. فرقى الله بين الأيام، تفرقها بين الكرام، وألهمها أن تورد بعقل، وتصدر بتمييز، وما ذلك على الله بعزيز، وأنا في مفاتيح الأمير، بين ثقة تعد، ويدي ترعد، ولم لا يكون ذلك؟ والبحر وإن لم أره، فقد سمعت خبره، ومن رأى من السيف أثره، فقد عاين أكثره، والليث وإن لم ألقه، فلم أجهل خلقه، وما وراء ذلك من تاليد أضلِّ وحسب، وطارفٍ فضلِّ وأدب، وبُعْدُ همة وصيت، فمعلوم تشهد به الدفاتر، والخبر المتواتر، وتنطق به الأشعار، كما تصدق به الآثار، والعين أقلُّ الحواس إدراكا، والأذن أكثرها استمساكا، وإن بعدت الدار فلا ضير؛ إن أيسر البعدين بُعد الدارين، وخير القربين قرب القلبين.

وكتب إليه في سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة :

الأمر الفاضل، والشيخ الرئيس، رفيع مناطِ المهمة، بعيد منال الحرمة، وفسيح مجال الفضل، رحيب منخرق الجود، رطيب مكسر العود

كتاب
من البديع
لأبي نصر
الميكالي

ومن البديع
إلى الميكالي أيضا

(١) مؤدى هذا الكلام أن بديع الزمان ليس مبتكر فن المقامات، وأنه حاكى ابن دريد في أحاديثه؛ وقد استغللت هذا النص في كتابي الذي وضعته بالفرنسية عن النثر في القرن الرابع. وقد دهش المسيومارسيه لهذه الفكرة، وعجب كيف اتفق الناس إلى اليوم على أن البديع هو منشىء فن المقامات، ولكني من جانب آخر أذكر أني لم أزمثل هذا الكلام في غير زهر الآداب، ولا أزال أتمسك له مصدراً آخر، ولم أعر على شيء إلى اليوم، ويزيد في الدهشة أن صاحب زهر الآداب يروى المسألة على أنها مقبولة معروفة لمتس بنقض ولا تكذيب، وقد نقلها عنه ياقوب في معجم الأدباء

فلو نظمت الثريا والشعريين قريبا
 وكاهل الأرض ضربا وشعب رصوى عروضا
 وضعت لادر ضدا ولله سواء نقيضا
 بل لو جلت عليه سود النوائب أيضا
 أو ادعت الثريا لأخصيه حضيضا
 والبحر عند لهاه يوم العطاء مقيضا

لما كنت إلا في ذمة القصور ، وجانب التقصير ، فكيف وأنا قاعدُ الحالة في المدح ، قاصرُ الآلة عن الشرح؟ ولكني أقول : الثناء مُنْجِحٌ أُنَى سلك ، والسخرى جوده بما ملك ، وإن لم تكن غرّة لأحثة فأمحة دالة ، وإن لم يكن صداء فماء^(١) ، وإن لم يكن خرفخلّ ، وإن لم يُصِبْها وابل فطلّ ، وبذل الموجود غاية الجود ، وبعض الجهد آخر المجهود ، وماش خير من لاش^(٢) ، ووجود ما قلّ خيرٌ من عدم ما جلّ . وقليل في الجيب خير من كثير في الغيب ، وجهد المقلّ خيرٌ من عذر المحلّ ، وحمار أيس خيرٌ من فرس ليس^(٣) ، وكوخ في العيان خيرٌ من قصر في الوهم . وزيت^(٤) خير من ليش ، وما كان أجود من لو كان ، وقد قيل : عصفور في العكف أجود من كركي في الجو ، ولأن^(٥) تقطف خيرٌ من أن تقف ، ومن لم يجد الجيم رعى المشيم^(٦) ، ومن لم يحسن صهيلاً نهق ، ومن لم يجد ماء تيمّم ؛ والأمير الرئيس - أدام الله نعماءه - لا ينظر في قوافي صنيعته إلى ركّابة أفاظها ، وبعُدِ أغراضها ، ولكن إلى كثرة جذرها^(٧) ، وثقل مهرها ، وقبلة

(١) صداء : ماء يضرب به المثل في الحلاوة ، ويقال : ماء ولا كصداء

(٢) لاش : لاشيء ، ويقال له ماش ، وهي عبارة مولدة

(٣) الأيس : القهر ، يريد أن حمار الضرورة خير من الفرس المدوم

(٤) زيت : هي هكذا بالزاي في الأصول عامة ، وأنا أخصيه «زيت» بالتدال ، وهي

من الألفاظ التي يكنى بها فيقال «كيت وزيت» (م) . (٥) تقطف : تسير ببطء (م) .

(٦) الجيم : التبت العزيز ، والمشيم : الياس (٧) الجذر : ماتكافأ به المغنية

كفئها ، وإننى منذ فارتق قَصَبَةَ جرجان ، ووطئت عَتَبَةَ خراسان ، ما زففتها
إلا إليه ، ولا وقفتها إلا عليه ، هذا على تمرغى فى أعطاف المحن ، وضرورتى
إلى أبناء الزمن ، وإن كان الأمير الرئيس يرفع لكل لفظٍ حجاب سمعه ، ويُفسيحُ
لكل شعرٍ فناء طبعه ، فهالك من النثر ما ترى ، ومن النظم ما يترى :

أدھِقِ الكاسِ فَعَرَفُ السَّفَجْرِ قَد كَادَ يَلُوحُ
فهو للناس صباحٌ ولذى الرأى صَبُوحُ
والذى يمرح بى فى حَلْبَةِ اللّهُو جَمُوحُ
فاسقنيها والأمانىءُ لها عَرَفٌ يَفُوحُ
إنّ للأيام أسرا رأبها سوف تَبُوحُ
لا يغرّنك جسمٌ صادقُ الحس وروحُ
إنما نحن إلى الآجال نَعْدُو ونروحُ
ويك هذا العمر تبريحٌ وهذا الروح ربيعُ
بينما أنت صحيح الجسم إذ أنت طَرِيعُ
فاسقنيها مثل ما يلفظه الديك الذى
قبل أن يضرب فى الدَّهْرِ بِي القِدْحِ السَّنِيعِ (١)
إنما الدَّهْرُ غَرُورٌ ولمن أضعى نصيحُ
ولسان الدَّهْرِ بِالْوَعْظِ لَواعِيه فَصِيحُ
نستبيح الدَّهْرَ والأَيَّامَ منّا تَسْتِبيحُ
نحن لاهون وآجالُ المنايا لا تريحُ
يا غلامُ الكأسِ فالياً س من الناس مُريحُ
ضاع ما نحويه من أنفسنا وهُوَ مبيحُ

(١) هكذا ، وهو فى الرسائل « السفيح » بالفاء ، وهو صواب ملائم المعنى المراد ، والسفيح : أحد ثلاثة أقذاح من أقذاح اليسر ليست تريح شيئاً ، وثانيها يسمى الوغد ، وثالثها يسمى المنسح (م) .

وقنوعا فقام الذَّل بالمرء قبيح
 أنا يا دهر بأبنا نك شقَّ وسطيح^(١)
 وبأبكار القوافي ٧ على كُفٍّ شجيجُ
 يا بني ميكال والجو دُ لعلاني زُريح
 شرفاً إن مجال الفضل فيكمُ نقيحُ
 وعلى قدر سنا الممدوح يأتيك المديح
 فهناك الشرف الأرفع والطرف الطمّوح
 والندي والخلق الطاهر والخلق^(٢) الصبيحُ
 مرتقى مجدٍ يحار الطرف فيه ويطيح
 أيُّ هذا التكرم المثل والخلق السجيج^(٣)
 كان هذا الجود ميتاً عادته منك المسيح

هذه - أطال الله بقاء الأمير - هدية الوقت ، وغفوة الساعة ، وفيضُ البديهة ،
 ومسارقة القلم ، ومسابقة اليدِ للقم ، وجمرات الحدّة ، وثمرات الدّة ، ومجاراة الخاطر
 للناظر ، ومباراة الطّبع للسمع ، ومجازبة الجنان للبيان ، والشعر إذا لم تقدمه رويّة ،
 ولم تنضجه تيّّة ، لم يفتح له السمع بابه ، ولم يرفع له القلب حجابَه ، وإذا لبس الأمير
 هذه على غلاتها رجوت أن يكون بعدها ماهو أفتن وأحسن وأرضن ، فرأيه أيده
 الله في الوقوف عليها موقفاً إن شاء الله .

وله إليه معاتبه :

كتاب عتب
 من البديع إن
 الميكالي

لَبْنُ سَاءَ نِي أَنْ نَلْتَنِي بِمَسَاءَةٍ قَد سَرَّ نِي أُنِّي خَطَرْتُ بِبَالِكِ
 الأمير الفاضل الشيخ الرئيس ، أطال الله بقاءه إلى آخر الدعاء ، في حال برّه
 وجفائه مُتَفَضِّلٌ ، وفي يومِي إِ اده وإدناؤه مُتَطَوَّلٌ . وهينئله من حمانا ما يُحِثُّه ،

(١) شق وسطيح : كاهنان من كهان الجاهلية كانوا يضربون بهما المثل في معرفة
 النيب (٢) الخلق السجيج : السهل .

ومن عُرَانَا مَا يُحَلُّهُ ، ومن أَعْرَاضِنَا مَا يَسْتَحِلُّهُ ؛ بلغنى أَنَّهُ — أَدَامَ اللهُ عِزَّهُ! — استزاد صنيعته ، وكنت أظننى مجنياً عليه ، مساءً إليه ، فإذا أنا فى قرارة الذَّنْبِ ، وبمثابة العُتْبِ ، وليت شعرى أىِّ محذور فى العشرة حَضَرْتَهُ ، أو مفروض من الخِدْمَةِ رَفَضْتُهُ ، أو واجبٍ فى الزيارة أَهْمَلْتُهُ ؟ وهل كنتُ إلا ضيفاً أهداه بِلْدِ شَاسِعٍ ، وأدَّاه أَمَلٌ وَاسِعٌ ، وحَدَّاهُ فَضْلٌ وَإِنْ قَلَّ ، وهَدَّاهُ رَأْيٌ وَإِنْ ضَلَّ ، ثم لم يُلْقِ إِلَّا فى آلِ مِيكَالَ رَحْلَهُ ، ولم يَصِلْ إِلَّا بِهِمْ حَبْلَهُ ، ولم يَنْظُمْ إِلَّا فِيهِمْ شِعْرَهُ ، ولم يَقِفْ إِلَّا عَلَيْهِمْ شُكْرَهُ ؛ ثم ما بَعَدَتْ صَحْبَهُ إِلَّا دَنَتْ مَهَانَةٌ ، ولا زادت حُرْمَةً إِلَّا نَقَصَتْ صِيَانَةَ ، ولا تضاغَفَتْ مِنِّهَ إِلَّا تراجعت منزلة ، ولم تزل الضَّمَّةُ بنا حتى صار وابلُ الإِعْظَامِ قِصْرَةً ، وعاد قَيْصُ القِيَامِ صُدْرَةً ، وذلك التَّقَرُّبُ أَرْوَرَارًا ، وطويلُ السَّلامِ اخْتِصَارًا ، والاهْتِزَازُ إِيمَاءً ، والعبارة إشارة ؛ وحين عاتبته أَمَلٌ إِعْتَابُهُ ، وكاتبته أَنْتَظِرُ جَوَابَهُ ، وسألته أَرْجُو إِجَابَهُ ، أجاب بالسكوت ، وأَعْتَبَ بالقنوت ، فما ازددت إِلَّا له ولاءً ، وعليه ثناء ؛ لا جَرَمَ إِنْى اليوم أبيضُ وَجْهِ العَيْدِ ، واضحٌ مَحْجَّةِ الوُدِّ ، طويلُ عِنَانِ القَوْلِ ، رفيعٌ حِكْمَةِ العُدْرِ ؛ وقد حَمَلَتْ فِلَانًا مِنَ الرِّسَالَةِ ما تَجَافَى عَنْهُ القَلَمُ ؛ والأمير الرئيس أطال الله بقاءه يُنْعَمُ بالإِضْغَاءِ لما يورده موفقاً إِنْ شاء الله .

وله إليه فى هذا الباب :

أنا فى خدمة الأمير الرئيس — أطال الله بقاءه! — مترجِّحٌ بين أن أشرِّبها رقيقة
 كتاب عتاب
 من البديع إلى
 الميكلمد أيضا
 ولا أَسِيغُهَا ، وأَجْلِجُ مِنْهَا مُضْغَةً ولا أُحْيِزُهَا ، وبين أن أطوِّبُهَا على عَرِّهَا ، ولا
 أَرْتَضِعُ أَخْلَافَ دَرِّهَا .

فَلَا نَفْسِي تُطَاوَعُنِي لِرَفْضِ ، ولا هِمَمِي تُؤَطِّنِي لِحَفْضِ
 وبقي أن أقرضه بأنامل العتْبِ ، وأخشمه بألحاظ العَدْلِ ، وأعرفه أنى ما
 أطوى مسافة مزار إلا متجشماً ، ولا أطاعتبة دار إلا متبرماً ؛ ولست كمن يَنْسِطُ
 يَدَهُ مُسْتَجْدِيًا ، أو يَنْقُلُ قَدَمَهُ مُسْتَعْدِيًا ؛ فإن كان الأمير الرئيس — أيده الله! —
 يسرحُ طَرْفَهُ مِنِّي فى طامحٍ أو طامِعٍ ، فليُعيِدِ لِلْفِرَاسَةِ نَظْرًا .

فما الفقرُ من أرضِ العشيِّرَةِ سَأَفِي إِلَيْكَ ، وَلَكِنَّا بِقُرْبَاكَ نَنْجِحُ
 وَأَجِدُنِي كَمَا اسْتَفْزَنِي الشُّوقُ إِلَى تِلْكَ الْحَاسِنِ ، أَطِيرُ إِلَيْهَا بِمَجْنَحَيْنِ عَجَلَا ،
 وَأَرْجِعُ بَعْرَجَاوِينَ حَجَلَا ، وَلَوْلَا أَنَّ الرِّضَا بِذَلِكَ ضَرْبٌ مِنْ سِقُوطِ الْهَمَّةِ ، وَأَنَّ
 الْعِتَابَ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْخِدْمَةِ ، لَصُنْتُ مَجْلِسَهُ عَنِ قَلَمِي ، كَمَا أَصُونَهُ عَنِ قَدَمِي ،
 وَبِلَيْتُ إِلَى أَرْضِ الدَّعَاءِ فَهِيَ أَنْجِعُ ، وَإِلَى جَانِبِ الثَّنَاءِ فَهِيَ أَوْسَعُ ، وَسَأَفْعَلُ
 لِنَخْفٍ مُوْتَنِي ، وَلَا تَتَقَلَّ وَطْأَنِي

إِذَا مَا عَتَبْتُ فَلَمْ تُعْتَبِ وَهَنْتُ عَلَيْكَ فَلَمْ تُعْنَبِ (١)
 سَلَوْتُ ، وَلَوْ كَانَ مَاءَ الْحَيَاةِ لَعَفْتُ الْوَرُودَ وَلَمْ أَشْرَبِ

قطعة من مفردات الأبيات لأهل العصر في معان شتى

تجرى مجرى الأمثال

أبو فراس الحمداني :
 إِذَا كَانَ غَيْرُ اللَّهِ لِلْمَرْءِ عُدَّةً أَتَمَّتْ الرِّزَايَا مِنْ وُجُوهِ الْمَكَاسِبِ
 وله :
 عَفَا فُكَّ عِيٌّ ، إِنَّمَا عِفَّةُ الْفَتَى إِذَا عَفَّ عَنْ لَذَائِهِ وَهُوَ قَادِرٌ (٢)
 وقال المتنبي :
 كُلُّ حِلْمٍ أَنَّى بَغَيْرِ اقْتِدَارٍ حُجَّةٌ لِأَجْبِيءَ إِلَيْهَا اللَّثَامُ
 وله :

وَإِذَا كَانَتِ النَّفُوسُ كِبَارًا تَعَبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ

(١) أعتبه : أزال عتبه (٢) كذا ، وأحسبه « عفاك عجز » (م)

لأبي فراس

للمتنبي

وله :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص

فهي الشهادة لي بأني كامل

وله :

لا يُعجبني مضيماً حسن برته

وهل تروق دفيناً جودة الكفن ؟

وله :

من أطاق التماس شئ غلاباً

واغتصاباً لم يلتئم منه سؤالا

وله :

والظلم من شيم النفوس ، فإن تجد

ذا عفة فليعلل لا يظلم

وله :

ماذا تقيت من الدنيا وأعجبه

أني بما أنا بك منه محسود

وله :

ذكرُ الفتى عمره الثاني ، وحاجته

ما قاته ، وفُضول العيش أشغال

والتنبي أكثرُ الحدّين افتناناً وإحساناً في الإغراب بهذا الباب ؛ والاستقصاء

يُخرج عن شرط الكتاب .

وقال السري الموصلي :

خذوا من العيش فالأعمار فائتة

والدهر مُنصرمٌ والعيش مُنقرض

وله :

فإنك كلما استودعت سراً

أنمٌ من النسيم على الرياض

وقال أبو إسحاق الصابي :

الضبُّ والتون قد يُرعى التقاؤهما

وليس يُرعى التقاء اللب والذهب^(١)

وقال ابن نباتة :

مثلٌ جَلَمْتُ على الزمان زداءهُ

عوزُ الدرّاهمِ آفةُ الأجوادِ

(١) الضب : من حيوان الصحراء ، والتون : الحوت ، من حيوان الماء ،

واللب : العقل (م) .

للسري الرفاء

للسابي

لابن نباتة

وله :

يهـوى الثناء مبرزٌ ومقيصرٌ
حبُّ الثناء طبيعةُ الإنسانِ

للسلامي

وقال أبو الحسن السلامي :

تبسطنا على اللذات لما
رأينا العفو من تمرِّ الذنوبِ

لابن لنكك

وقال ابن لنكك البصري :

وماذا أرحى من حياةٍ تكدرتْ
ولو قد صفتْ كانتْ كأحلامِ نائمٍ

للمأموني

وقال أبو طالب المأموني :

لي في ضميرِ الدهرِ سرٌّ كامنٌ
لا بدَّ أن تستلَّهُ الأعداءُ

لابن العميد

وقال أبو الفضل بن العميد :

الرأى يصدأ كالحسامِ لعارضٍ
يظرا عليه وصتهُ التذكيرُ

لأبي الفتح

وقال أبو الفتح :

بطرتم فطرتم والبصارَ جرمَ من عصى
وتقويم عبءِ الهونِ بالهونِ رادِعُ

ابن ابن العميد

وله :

إذا بلغ المرءُ آمالهُ
فليس له بعدها مقترَحُ

لابن عباد

وقال صاحب إسماعيل بن عباد :

إن أمَّ الصقمرِ في الودِّ
دِ لَمِقلَاةٌ تزورُ

وله :

من لم يعدنا إذا مرَّ ضنا
إن مات لم نشهد الجنازَه

وله :

حفظُ اللسانِ راحةُ الإنسانِ
فاحفظه حفظَ الشكرِ للاحسانِ

لنناشي

وقال إسماعيل الناشي :

وكنتُ أرى أنَّ التجاربَ عُدَّةٌ
فحانتُ مَنَاتُ الناسِ حتَّى التجاربِ

وقال أبو الفتح البستي :

لا تَرَجُ شَيْئًا خَالصًا نَفْعُهُ فالغيثُ لا يَحُلُو من العَيْثِ (١)

وله :

ولم أر مثل الشكر جنة غارسٍ ولا مثل حُسنِ الصبر جنة لابِسِ

وله :

وطول مقام الماء في مستقره يُغَيِّرُه رِيحًا ولونًا ومَطْعَمًا

وله :

ما استقامت قناة رأبي إلا بعد ما عوج المشيب قناتي

وقال أبو الفضل الميكالي :

الميكالي

هو الشوك لا يُعْطِيكَ وافر منةٍ يد الدهر إلا حين تضربه جلدًا

وله :

ذو الفضل لا يسلم من قدح وإن غدا أقوم من قدح

وقال شمس المعالي :

الشمس المعالي

وفي السماء نجوم ما لها عددٌ وليس يكسف إلا الشمس والقمر

هذا مأخوذ من قول البطاني :

إن الرياح إذا ما استعصفت قصفت عيدان نجد فلم يعبان بالرتم

بنات نعش ونعش لا كسوف لها والشمس والبدر منها الدهر في الرقم

وقال أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي :

للجرجاني

المجر أرواح من وصل على حذرٍ والموت أطيب من عيش على غرر

وقال أبو بكر الخوارزمي :

للخوارزمي

لا تغرنك هذه الأوجه الغرر فيأرب حية في رياض

(١) العيث — بالعين المهملة — الإفساد (م) (٢) الرتم : نبت ضعيف

[من تَبَطَّرَه النعمة لم يؤسف على زوالها عنه]

قال أبو العيناء : كان عيسى بن فرخان شاه يَتَّبِعُهُ عَلِيٌّ فِي وِلايَتِهِ الْوِزْرَةَ ، فلما صُرِفَ رَهْبَتِي ، فلقيني فسلم عليٌّ فأخفى . فقلت لغلامي : مَنْ هَذَا ؟ قال : بين أبي العيناء و ابن فرخان شاه
 أبو موسى ؛ فدنوتُ منه وقلت : أعزك الله ، والله لقد كنتُ أقنعُ بإيمانك دون بَيَانِكَ ، و بلحظكُ دون لَفْظِكَ ، فالحمدُ لله على ما آتتُ إليه حالك ، فلئن كانت أخطأتُ فيك النعمة ، فلقد أصابتُ فيك النِّقْمَةُ ، وئن كانت الدنيا أبدتُ مقابحها بالإقبال عليك ، لقد أظهرتُ محاسنها بالانصرافِ عنك ، والله المنةُ إذ أغنانا عن الكذبِ عليك ، ونزَّهنا عن قول الزورِ فيك ، فقد والله أسأتُ حَمَلَ النعم ، وما شكَّرتُ حقَّ المنعمِ ، فقيل له : يا أبا عبد الله ؛ لقد بالغت في السبِّ ، فما كان الذنب ؟ قال : سألتُه حاجةً أقل من قيمته ، فردَّ عنها بأقبح من خِلقته .

وقال عليُّ بنُ العباس الرومي لأبي الصقر إسماعيل بن بلبل لما نكبه الموفق
 بين ابن الرومي وأبي الصقر
 ابن أحمد وألم في بعض قوله بقول أبي العيناء :

لا زالَ يومكُ عبْرَةً لعدكُ	وبكَّتْ بشجْوِ عينِ ذِي حَسَدِكُ
فلئن نُكِبْتَ لطلما نُكِبْتَ	بكِ هِمَةٌ لَجأتُ إلى سَنَدِكِ
لو تسجدُ الأيامُ ما سجدتُ	إلاَّ ليومٍ فَتَّ في عَضُدِكِ
يا نِعمَةً ولتُ عَضارِئُهَا	ما كانَ أَقْبَحَ حَسَنها بِيَدِكِ
فلقد غَدَّتْ بَرْدًا على كَبدي	لَمَّا غَدَّتْ حَرًّا على كَبدِكِ
ورأيتُ نِعْمَى اللهُ زائِدَةً	لما اسْتَبانَ النقصُ في عَدَدِكِ
واقْد تَمَّتْ كُلُّ صاعِقَةٍ	لو أَنها ضَبَّتْ على كَتَدِكِ ^(١)
لَمْ يَبْقَ لي مما بَرَى جَسدي	إلاَّ بقاءَ الرُّوحِ في جَسَدِكِ

(١) الكتد : مجتمع الكتفين

وله فيه أهج كثيرة لما نكب ، منها قوله :

خَفَضَ أبا الصَّقْرِ فكم طائرَ خَرَّ صَرِيحاً بَعْدَ تَحْلِيْقِ
زُوِّجْتَ نَعْمِي لَمْ تَكُنْ كُفْأاً فَصَانَهَا اللهُ بِتَطْلِيْقِ
لَا قُدْسَتْ نَعْمِي تَسْرِبَلَتْهَا كَمْ حِجَّةٍ فِيهَا لِزُنْدِيقِ (١)

وكان أبو الصقر لما ولي الوزارة مدحه ابن الرومي بقصيدته النونية التي أولها :

أَجْنِيْنِكَ الْوَرْدُ أَغْصَانُ وَكُثْبَانُ فِيهِنَّ نَوْعَانُ تُفَاحٌ وَرِمَانُ
وَفَوْقَ ذِيْنِكَ أَعْنَابٌ مُمَدَّلَةٌ سَوْدٌ لَهْنٌ مِّنَ الظُّلْمَاءِ أُلْوَانُ
وَتَحْتَ هَاتِيْكَ عُنَابٌ تَلُوْحٌ بِهِ أَطْرَافِهِنَّ قُلُوْبُ الْقَوْمِ قِنْوَانُ
غُصُوْنٌ بَاتٍ عَلَيْهَا الزَّهْرُ فَأَكْهَةٌ وَمَا الْفَوَاكِهُ مِمَّا يَحْمَلُ الْبَانُ
وَنَرَجِسٌ بَاتٍ سَارِي الطَّلِّ يَضْرِبُهُ وَأَقْحَوَانٌ مُنِيرُ اللَّوْنِ رِيَّانُ
الْفَنِّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ طَيِّبٍ حَسَنٍ فَهِنَّ فَأَكْهَةٌ شَقِيٌّ وَرِيْحَانُ
ثَمَارِ صِدْقٍ إِذَا عَايَنْتَ ظَاهِرَهَا لَكِنَهَا حِيْنَ تَبَلَّوْا الطَّعْمَ حُطْبَانُ (٢)
وَلَا يَدْمُنُّ عَلَى عَهْدٍ لِمُعْتَقِدٍ وَالغَايَاتُ كَمَا شُبَّهْنَ بِسْتَانَ
يَمِيْلُ طَوْرًا بِحَمَلٍ ثَمَّ يَعْدُمُهُ وَيَكْتَسِي ثَمَّ يُلْفَى وَهُوَ عُرْيَانُ
وهي أكثر من مائتي بيت ، مر له فيها إحسان كثير ، فأنشدها أبو الصقر ،

فلما سمع قوله :

قَالُوا أَبُو الصَّقْرِ مِنْ شَيْبَانَ قَلْتَ لَهُمْ كَلًّا لِعَمْرِي وَلَكِنْ مِنْهُ شَيْبَانُ
قَالَ : هِجَانِي ، قِيلَ لَهُ : إِنَّ هَذَا مِنْ أَحْسَنِ الْمَدْحِ ؛ أَلَا تَسْمَعُ مَا بَعْدَهُ :
وَكَمْ أَبٍ قَدْ عَلَا بِإِنْ ذُرِّي شَرَفٍ كَمَا عَلَتْ بِرَسُولِ اللهِ عَدْنَانُ

(١) يريد أن النعم التي تسربلها هذا الرجل وليس لها بأهل ، مما تقوى به حجة الزنادقة في جحود الإله ؛ لأنه لو كان هناك عدالة إلهية لحيل بين اللثام وجميع الطيبات (٢) الخطبان : نبات مر ، يضرب به المثل ، فيقال : أمر من تبيع الخطبان ، وهو بضم الخاء العجمة

مدحة
لابن الرومي
في أبي الصقر

قال : أنا بشيبان لا شيبان بنى . فقيل له فقد قال :

ولم أقصر بشيبان التي بلغت بها المبالغ أعراقٌ وأغصان
لله شيبان قوم لا يشوبهم روع إذا الروع شابت منه ولدان
فقال : لا والله لا أتبيه على هذا الشعر ، وقد هجاني .

قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولى : كنت يوماً عند عبيد الله بن عبد الله
ابن طاهر ، وقد ذكروا قصيدة ابن الرومى هذه النونية ، فقال : هذه دار البطيخ ،
فاقرءوا تشبيهاً تعلموا ذلك ! فضحك جميع من حضر .

وفى هذه القصيدة يقول من المختار فى النسب :

يأربَّ حُسانةٍ منهن قد فعلت سوءاً ، وقد يفعل الأسوءاء إحساناً
تشكى الحبَّ وتلفى الدهر شاكيةً كالقوسِ تُصمى الرمايا وهى مِرنان (١)

وهذا كقوله فى قصيدة يصفُ فيها قوس البندق :

لها رنةٌ أولى بها من تصيبهُ وأجدر بالإعوال من كان موجعاً
يقول فيها :

لا تلحنينى وإياها على صرعى وزهوها ، ليجَّ مفتون وفنانُ
إنى ملكت فى الرقِّ مسكنةً وملكت فلها بالملك طغيانُ
لى مُذْناً وجنةً رياً بمشربها من عبرتى وفمِّ ما عشتُ ظمانُ

وفىها فى مدح بنى شيبان :

قومٌ سماحتهم غيثٌ ، ونجدتهم عوثٌ ، وآراؤهم فى الخطبِ شهبانُ
تلقاهمُ ورياحُ الخطِّ حولهم كالأسدِ ألبسها الآجامُ حَفان (٢)
صانوا النفوس عن الفخشاء وابتدلوا منهن فى سُبُلِ العلياء ما صانوا

(١) تشكى الحب : تحمله بظلمها على الشكاية ، والرمايا : جمع رمية بمعنى مرمية ،

وتصمى : تقتل وتبيد (٢) حَفان - بفتح الحاء العجمة - أجمعة فى سواد الكوفة

المنعون وما منوا على أحدٍ يقول فيها في أبي الصقر:

يَقْدِيهِ مَنْ فِيهِ عَن مِقْدَارِ فِدْيَتِهِ
قَوْمٌ كَأَنَّهُمْ مَوْتِي إِذَا مَدِحُوا
صَاحِي الطَّبَاعِ إِذَا سَأَلَتْ هَوَاجِسُهُ
يُصْحِيهِ ذَهْنٌ وَيَأْتِي صَحْوَهُ كَرَمٌ
فَرَدُّ جَمِيعِ يَرَاهُ كُلُّ ذِي بَصَرٍ
وهذا كقول أبي الطيب:

وَلَقَيْتُ كُلَّ الْفَاضِلِينَ كَأَنَّمَا
نُسِقُوا لَنَا نَسَقَ الْحِسَابِ مُقَدَّمًا
وقد تقدم .

وقال:

فَإِنَّكَ مَاءُ الْوَرْدِ إِنْ ذَهَبَ الْوَرْدُ
وَأَلْفٌ إِذَا مَا جُمِعَتْ وَاحِدٌ فَرْدٌ
وقال البحرى:

وَلَمْ أَرَ أُمَّثَالَ الرِّجَالِ تَفَاوُتًا
لدى المجد، حتى عد ألفٌ بواحدٍ

ومدحه وعاتبه بقصائد كثيرة فيما أنجحت ، فمن ذلك قوله في قصيدة طويلة

يمدحه:

لابن الرومي
في أبي الصقر
أيضاً

مَارَادٌ فِي مِثْلِهَا طَرْفٌ وَلَا سَرْحًا^(٢)
كَالْوَلْوِ الرُّطْبِ لَوْ رَقْرَقَتْهُ سَقْحًا
فِي وَجْهِهِ رَوْضَةٌ لِلْحَسَنِ مَوْثِقَةٌ
طَلُّ الْحِيَاءِ عَلَيْهَا سَاقِطٌ أَبَدًا

(١) مان : كذب ، والاسم المين ، بالفتح (٢) راد وارتاد معناهما واحد

أنا الزعيم لمكحولٍ بغيرته
 مجملأتى الناس من طولٍ ومن كرمٍ
 يعطى المزاح ويعطى الجدد حقهما
 وافي عطاردٍ والريخ مولده
 إن قال : لا ، قلها للأمر به بها
 في كفه قلمٌ ناهيك من قلمٍ
 يمحو ويثبت أزرأق العباد به
 كأنما القلم المولى في يده
 لما تبسم عنك المجد قلت له
 أنى عليك بنعمك التي عظمت
 أمطر بذلك جناتى تكسبه زهراً
 أنشدتها على متوالى الاختيار ، وكذلك أجرى في كثير من الأشعار .
 وقال يعاتبه ويستبطئه :

عقيد الذدى ، أطلق مدائح جمه
 وكنت متى تشد مديحا ظلمته
 عذرُك لو كانت سماء تقشعت
 ولكنها سقيا حرمت رويها
 وأكلاء معروف حرمت مريمها
 عرضت لأوردى وبحرك زاخره
 فلو لم ترد أذواد غيري غماره
 حبائس حصرى قدأبت أن تسرحا
 يرى لك أهجى ما يرى لك أمدحا
 سحائبها أو كان روض تصوحا
 وعارِضها ملقٍ كلاكل جنحاً^(٣)
 وقد عاد منها السهل والحزن مسرحاً
 فلما أوردن الورد ألقين ضحضحا
 لقلت : سراب بالمئان توضحاً^(٤)

وله إليه أيضاً

- (١) وحى : كتب ، قال رؤبة « لقدركان وحاه الواحى » (٢) الغل
 والقلع : فساد الأسنان (٣) الكلاكل : الصدور، وجنح : جمع جاح، وهو المائل
 (٤) الأذواد . جمع ذود ، وهو من الإبل من الثلاثة إلى العشرة ، وفي المثل
 « الذود إلى الذود إبل » ووقع في نسخة « أورد » وفي أخرى « أزواد » وكلاهما تحريف (م)

فِيَا لَكَ بَحْرًا لَمْ أَجِدْ فِيهِ مَشْرَبًا وَإِنْ كَانَ غَيْرِي وَاجِدًا فِيهِ مَسْبَحًا
 مَدِيحِي عَصَا مُوسَى ، وَذَلِكَ أَنِّي ضَرَبْتُ بِهِ بَحْرَ النَّدَى فَتَضَحَضَحَا
 سَأْمَدَحُ بَعْضَ الْبَاخِلِينَ لَعَلَّهُ إِذَا اطَّرَدَ الْقِيَاسُ أَنْ يَتَسَمَّحَا
 فَيَا لَيْتَ شِعْرِي إِنْ ضَرَبْتُ بِهِ الصَّفَا أُبَيْعْتُ لِي مِنْهُ جَدَاوِلَ سَيْحَا
 كَتَلِكَ الَّتِي أَبَدَتْ تَرَى الْأَرْضَ يَا بَسَا وَشَقَّتْ عَيْونًا فِي الْحِجَارَةِ سَفْحَا
 مَلَكْتُ فَأَسْجِحْ يَا أَبَا الصَّقْرِ إِنَّهُ إِذَا مَلَكَ الْأَحْرَارَ مِثْلَكَ أَسْجَحَا

وماضرع إلى أحد هذه الضراعة ، ولا في طوقه هذا الاحتمال ؛ وهذه الأبيات الأخيرة إنما ولدت أكثرها من قول أبي تمام الطائي لمحمد بن عبد الملك الزيات :
 فلو حارَدتْ شَوْلٌ عَدَرْتُ لِقَاحِهَا وَلَكِنْ حَرَمْتُ الدَّرَّ وَالضَّرْعَ حَافِلُ
 أَكْبَرْنَا عَطْفًا عَلَيْنَا ؛ فَإِنَّا بِنَا ظَمًا بَرَحٌ وَأَتَمَّ مَنَاهِلُ
 وفيه يقول :

هَذَا مَقَامِي يَا بَنِي وَائِلٍ مِنْ مُسْتَجِيرٍ بِكُمْ عَائِدٍ
 أَنْشَبَ فِيهِ الدَّهْرُ أَظْفَارَهُ وَعَضَّهُ بِالنَّابِ وَالنَّاجِدِ
 فَأَنْصِفُوا مِنْهُ أَخَا حُرْمَةٍ لِأَذِّبْكُمْ مِنْهُ مَعَ اللَّائِدِ
 فَمَا أَرَى الدَّهْرَ عَلَى جَوْرِهِ يَخْرُجُ مِنْ حَكْمِ النَّافِدِ

وقال أيضاً :

يَا أَيُّهَا السَّيِّدُ الَّذِي وَهَنْتَ أَنْصَارَ أَمْوَالِهِ وَلَمْ يَهِنِ
 فَأَصْبَحَتْ فِي يَدِ الضَّعِيفِ وَذِي الْقُوَّةِ وَالْبَاقِلِيَّ وَاللَّسِينَ (١)
 غَيْرِي - عَلَى أَنْتَى مُؤْمَلِكِ الْأَقْدَمِ - سَائِلُ بِذَلِكَ وَامْتَحِنِ
 مَادِحَ عَشْرِينَ حِجَّةً كَمَلًا مَحْرُومَهَا عَنْكَ غَيْرِ مَضْطَظِنِ
 فَضْلِكَ أَوْ عَدْلِكَ الَّذِي اتَّيَمَّنَ إِلَيْهِ عَلَيْهِ أَجَلٌ مُؤْتَمِنِ
 إِنْ كُنْتَ فِي الشَّعْرِ نَاقِدًا فَطَنَا فَلْتَعْطِنِي حَقَّ حِصَّةِ الْيَطْنِ
 وَإِنْ أَكُنْ فِيهِ سَاقِطًا زَمَنًا فَلْتَعْطِنِي حَقَّ حِصَّةِ الزَّمَنِ

(١) الباقي : النسوب إلى باقل ، وهو مضرب المثل في العي (م)

سم بي ديوانك الذي عدلت جدواه بين الصحيح والضمن^(١)
 كثير بشخصي من استطعت من الناس فإن لم أزنك لم أشن
 ما حق من لأن صدره لك بالود لقاء بجانب خشن
 وقال أبو العباس الرومي لرجل مدحه في كلمة :

أبعد لقاء دونك كل قفر يلقى الشخص فيه أن يلاق
 وإعالي إليك به المطايا وقد ضرب الظلام له رواقا
 ورفضني النوم إلا أن تراني أعانق واسط الكور اعتناقاً
 تسوق بنا الهداة فليس تدري أسوقاً كان ذلك أم سيقا
 أصادف درة المعروف شكري لديك ولا أذوق لها ذواقاً^(٢)
 يقول فيها :

غدا يعلو الجياد وكان يملؤ إذا ما استفره - السبت الرقاقاً^(٣)
 أعتتها الشسوع فإن عراها حفاء انكد أنعلها طراقاً^(٤)
 فزوج بعد قفر منه نعي أراي الله هبحتها الطلاقاً

[ترجمة أبي العيناء وطرف من أحباره]

قال أبو القاسم علي بن حمزة بن شمردل : حدثني أبي قال : سألت أبا العيناء
 عن نسبه ، فقال : أنا محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان ، وأصل قومي
 من بني حنيفة من أهل اليمامة ، ولحقهم سبأ في أيام المنصور ؛ فلما صار ياسر
 في قيده أعتقه ، فولأونا لبني هاشم ؛ وكان أبو العيناء ضير البصر ؛ ويقال :
 إن جده الأكبر لقي علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - فأساء مخاطبته ؛ فدعا
 عليه وعلى ولده بالعمى ، فكل من عمي منهم صحيح النسب !

- (١) الضمن - على وزن كتف - المريض (٢) شكري - على وزن سكري - ملانة
 (٣) استفره : يطلب الفاره القوى من الخيل ، والسبت - بكسر السين المهملة -
 جلود البقر ، يريد أنه كان يركب الخيل من الدواب .
 (٤) الطراق : جمع طرق ، وهو كل ما يحصف به التعل (م)

قال الصولي : حدثني أبو العيناء ، قال : لما أُدخِلْتُ على المتوكلِ فدعوتُ له وكلمته استحسنَ كلامي ، وقال لي : بلغني أن فيك شرًّا ! فقلتُ : يا أميرَ المؤمنين ؛ إن يكن الشرُّ ذِكرَ المحسنِ بإحسانه والمسيءِ بإساءته فقد زكَّى الله تعالى وذمَّ ، فقال في التزكية : (نِعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوْابٌ) ، وقال في الذم : (هَمَّازٍ مَشَاءَ بِنَمِيمٍ مَنَاعٍ لِلخَيْرِ مُعْتَدٍ أُثِيمٍ) . وقال الشاعر :

بين التوكل
وأبي العيناء

إذا أنا لم أندح على الخير أهله ولم أذم الجبس اللثيم المذمما^(١)
فقيم عرفت الخير والشر بأسمه وشق لي الله المسامح والقما؟
وإن كان الشر كفعل العقرَب التي تلتسع السنِّي والديني بطبع لا بتمييز فقد
صان الله عبدك عن ذلك !

فقال لي : بلغني أنك رافضيٌّ ، فقلتُ : يا أميرَ المؤمنين ، وكيف أكونُ رافضيًّا وبلدي البصرةَ ومَنشئي في مسجد جامعها ، وأستاذي الأضمعي ، وليس يخلو القومُ أن يكونوا أرادوا الدين أو الدنيا ؛ فإن كانوا أرادوا الدين فقد أجمع الناس على تقديم مَنْ أُخِرُوا ، وتأخير مَنْ قدموا ، وإن كانوا أرادوا الدنيا فأنت وأباؤك أمراء المؤمنين ، لا دينَ إلا بك ، ولا دنيا إلا معك .

قال : كيف ترى داري هذه ؟ قال : قلت : رأيت الناس بَنَوْا دورهم في الدنيا ، وأنت بنيت الدنيا في دارك .

فقال لي : ما تقول في عبيدالله بن يحيى ؟ قلت : نِعَمَ الْعَبْدُ لله ولك ؛ مقسم بين طاعته وخدمتك ، يؤثر رضاك على كل فائدةٍ ، وما عاد بصلاح ملكك على كل لذةٍ .

قال : فما تقول في صاحب البريد ميمون بن إبراهيم ؟ - وكان قد علم أنني

(١) الجبس : هو الدنيء الجبان ، ويجمع على أجباس ، قال :
ماض إذا الأجباس بعد الكرى تناكحت أزواج أحلامها

واجده عليه بتصير وقع منه في أمرى - فقلت : يا أمير المؤمنين ، يده تسرق واست
تضطر ! وهو مثل اليهودى سرق نصف جزيتته ، فله إقدام بما أدى ، وإحجام
بما أتى ، إساءته طبيعة ، وإحسانه تكلف !

قال : قد أردت لك المجالسى ، قلت : لا أطيق ذلك ، وما أقول ذلك جهلاً
بمالي في هذا المجلس من الشرف ، ولكنى محبوب ، والمحجوب تختلف عليه
الإشارة ، ويخفى عليه الإيحاء ، ويجوز أن يتكلم بكلام غضبان ووجهك راض
أو بكلام راض ووجهك غضبان ، ومتى لم أميز بين هذين هلكت ، قال : صدقت ،
ولكن تلمنا ، قلت : لزوم الفرص الواجب اللازم ، فوصلني بعشرة آلاف درهم .
ولأني العيناء مع المتوكل مجالس أدخل الرواة بعضها في بعض ، وسأورد
مستظرها إن شاء الله :

قال له المتوكل يوماً : يا أبا العيناء ؛ لا تكثير الوقعة في الناس ، قال :
إن لي في بصري لشغلاً عن الوقعة فيهم ، قال : ذلك أشد لحيفك في أهل العافية !
وقال له يوماً : هل رأيت طالبياً حسن الوجه قط ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ،
أرأيت أحداً قط سأل ضريراً عن هذا ؟ قال : لم تكن ضريراً فيما تقدم ، وإنما
سألتك عما سلف ، قال : نعم ، رأيت منهم ببغداد منذ ثلاثين سنة فتى مارأيت
أجمل منه ، قال المتوكل : تجده كان مؤاجراً ، وتجذك كنت قواداً عليه !
فقال أبو العيناء : وفرغت لهذا يا أمير المؤمنين ، أتراني أدع موالى على كثرتهم ،
وأؤود على الغرباء ؟ قال : اسكت يامأبون ؟ قال : مولى القوم منهم ! قال المتوكل :
أردت أن أشتى به منهم فأشتى لهم منى .

وكان أبو العيناء أحد الناس خاطراً ، وأحضرهم نادرة ، وأسرعهم جواباً ،
وأبلغهم خطاباً .

والتوكل أول من أظهر من خلفاء بني العباس الانهماك على شهوته ،
وكان أصحابه يتسخفون ويستخفون بحضرتة ، وكان يهأثر الجلساء ، ويفاخر الرؤساء ،
على شهوته

وهو مع ذلك من قلوب الناس مُحَبَّب ، وإليهم مُقَرَّب ؛ إذ أملت ما أحياء
الوائق من إظهار الاعتزال ، وإقامة سوق الجدال .

قال محمد بن مكرم الكاتب : مَنْ زعم أن عبد الحميد أكتب من أبي
العيناء إذا أحسن بكرم ، أو شرع في طمع ، فقد ظلم .

منزلة أبي العيناء
في الكتابة

كتب إلى أبي عبيد الله بن سليمان وقد نكبه وأباه المعتمد ، وهما يُطالبان
بمال يبيعان له ما يَمْدَكَتِه من عَقَارٍ وَأَثَاثٍ وَعَبِيدٍ وَأَمَةٍ ، وقد أعطى بخادم أسود
لعبيد الله خمسون ديناراً :

قد علمت - أضلحك الله ! - أن الكريم المنكوب أجراً على الأحرار من
اللئيم الموفور ؛ لأن اللئيم يزيد مع النعمة لوئماً ، والكريم لا يزيد مع المخنقة إلا
كرماً ، هذامتك على رازقه ، وهذائسي الظن بحالقه ، وعبدك إلى ملك «كافور»
فقير ، وثمنه على ما اتصل بي يسير ؛ لأنه بخدمته السلطان يعرفني الرؤساء والإخوان ؛
ولست بواجد ذلك في غيره من العالمان ؛ فإن سمحت به فتلك عادتك ، وإن أمرت
بأخذ مننه فمالك مادتي ، أدام الله دولتك ، واستقبل بالنعمة نكبتك . فأمر له به .
وسمع ابن مكرم رجلاً يقول : من ذهب بصره قلبت حيلته ، قال : ما أغفلك
عن أبي العيناء !

وكتب أبو العيناء إلى عبيد الله بن سليمان : أنا - أعزك الله تعالى ! -
ووالدي وعيالي زرع من زرعك ، إن سقيته راع وزكا ، وإن جفوته ذبل
ودوى ؛ وقد مستى منك جفأ بعد بر ، وإغفال بعد تعاهد ، حتى تكلم عدو ،
وسميت حاسد ، ولعبت بي ظنون رجال كنت مهم لاعباً ، ولهم مجرساً^(١) ، والله
در أبي الأسود في قوله :

من أبي العيناء
لعبيد الله بن
سلمان

لا شهنى بعد إذ أكرمتني وشديد عادة منزع
فوقع في رفته : أنا - أسعدك الله ! - على الحلال التي عهدت ، ومثل إليك كما

(١) كنت لهم مجرساً : أي كنت أكثر التسميع بهم (م)

عامت ، وليس من أنسأناه أهملناه ، ولا من أخرناه تركناه ، مع اقتطاع الشغل لنا ، واقتسام زماننا ، وكان من حَقِّك علينا أن تذكرنا بنفسك ، وتعلمنا أحرَّك ؛ وقد وقَّمت لك برزقِ شهرين ؛ لتريح غلتك ، وتعرفني مبلغ استحقاقك ، لِأُطْلِقَ لَكَ باقَى أرزاقك ، إن شاء الله ، والسلام .

وكان إذا خرج من داره يقول : اللهم إني أعودُ بك من الرِّكبِ والرِّكبِ ، والآجرِ والخشبِ ، والرَّوَايا والقربِ .

قطعة من خطابه وجوابه :

من أجوبة
أبي العيَّاش

دخل على أبي الصقر بعد ما تأخر عنه ، فقال : ما أحرَّكَ عنا ؟ قال : سُرقِ حمارى ، قال : وكيف سُرق ؟ قال : لم أكن مع اللص فأخبرك ! قال : فلم لتأتينا على غيره ؟ قال : قعدتُني عن الشراء قلة يسارى ، وكرهتُ ذلة المكارى ، ومِنَ العوارى وزججه رجل بالجسر على حماره ، فضرب بيديه على أذنى الحمار ، وقال : يا فتى ، قلْ للحمارِ الذى فوّكك يقول : الطَّرِيقُ !

ودخل على إبراهيم بن المدبر ، وعنده الفضل بن اليزيدى ، وهو يُلقي على ابنه مسائل من النحو ، فقال : فى أى باب هذا ؟ قال : فى باب الفاعل والمفعول به ، قال : هذا بابى وباب الوالدة حفظها الله ! فغضب الفضل وانصرف ؛ وكان البحرى حاضراً فكتب بعد ذلك بقصيدته إلى إبراهيم بن المدبر التى أولها :

ذَكَرْتُ نَبِيكَ رَوْحَةً لِلشُّمُولِ أَوْ قَدَّتْ أَوْعَتِي وَهَاجَتْ غَلِيْلِي
أى شىء أهلك عن سر من را وظلَّ للعيش فيها ظليل^(١)
وفيه يقول :

أقتصاراً على أحاديثِ فضلٍ وهو مستكرهٌ كثيرُ الفضولِ
فعلام اصطفت منكشف البيا ل معاد المخرق نزر القبول^(٢)

(١) سر من راء : هى مدينة سر من رأى

(٢) فى ديوان البحرى « فعلام اصطفت منكشف الزيف » (م)

إِنْ تَزْرَهُ تَجِدْهُ أَخْلَقَ مِنْ شَيْبِ النَّوْائِ وَمَنْ تَعَفَّى الطُّلُولِ
 مُسْرَجًا مَلَجِمًا وَمَا مَتَعَ الصُّبْحُ حِجَّ إِذْ لَاجًا لِلشَّحْدِ وَالتَّطْفِيلِ (١)
 غَيْرَ أَنْ الْعَالِمِينَ عَلَى حَالٍ قَلِيلٍ التَّمْيِيزِ ضَعْفَى الْعُقُولِ
 فَإِذَا مَا تَذَاكَّرَ النَّاسُ مَعْنَى مِنْ مَتَبِنِ الْأَشْعَارِ وَالْمَجْهُولِ
 قَالَ : هَذَا لَنَا وَنَحْنُ كَشَفْنَا غَيْبَهُ لِلتَّسْوَالِ وَالْمَسْئُولِ
 ضَرَبَ الْأَصْعَى فِيهِمْ أُمُّ الْأَحْمَرِ أَمْ أَلْفَحُوا بِأَيِّ الْخَلِيلِ (٢)
 جُلَّ مَا عِنْدَهُ التَّرَدُّدُ فِي الْفَا عَلَى مِنْ وَالِدَيْهِ وَالْمَعْمُولِ
 وَعَزَى بَعْضَ الْأَمْرَاءِ ، فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ؛ كَانَ الْعِزَاءُ لَكَ لَا بِكَ ، وَالْفَنَاءُ
 لِبَعْضِ الْأَمْرَاءِ لَنَا لَا لَكَ ، وَإِذَا كُنْتَ الْبَقِيَّةَ فَالرِّزِيَّةُ عَطِيَّةٌ ، وَالتَّعْزِيَّةُ تَهْنِئَةٌ .

تعزية أبي العيناء
لبعض الأمراء

وَسئَلَ أَبُو الْعَيْنَاءِ عَنْ مَالِكِ بْنِ طَوْقٍ ، فَقَالَ : لَوْ كَانَ فِي زَمَنِ بْنِ إِسْرَائِيلَ
 وَمَزَلْ ذَبْحُ الْبَقْرَةِ مَا ذُبِحَ غَيْرُهُ ! قِيلَ : فَأَخُوهُ عَمْرٌ ؟ قَالَ : كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ
 يَحْسِبُهُ الظُّمَّانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا .

سؤاله عن
مالك بن طوق

وَكَانَ مُوسَى بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ قَدْ اغْتَالَ نَجَاحُ بْنُ سَلْمَةَ فِي شَرَابٍ شَرِبَهُ عِنْدَهُ ،
 فَقَالَ الْمُتَوَكِّلُ بَعْدَ ذَلِكَ لِأَبِي الْعَيْنَاءِ : مَا تَقُولُ فِي نَجَاحِ بْنِ سَلْمَةَ ؟ قَالَ : مَا قَالَ اللَّهُ
 تَعَالَى : فَوَكَّرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ! فَاتَّصَلَ ذَلِكَ بِمُوسَى ، فَلَقِيَ الْوَزِيرَ عُبَيْدَ اللَّهِ
 ابْنَ يَحْيَى ابْنَ خَاقَانَ ، فَقَالَ : أَيُّهَا الْوَزِيرُ ، أَرَدْتُ قَتْلِي فَمَجَّدَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا
 إِلَّا بِإِدْخَالِ أَبِي الْعَيْنَاءِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ عَدَاوَتِهِ لِي ؛ فَعَاتَبَ عُبَيْدُ اللَّهِ
 أَبَا الْعَيْنَاءِ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا اسْتَعَذَبْتُ الْوَقِيعَةَ فِيهِ حَتَّى دَمَمْتُ سَرِيرَتَهُ
 لَكَ ؛ فَأَمْسَكَ عَنْهُ .

سؤاله عن
موسى بن
عبد الملك

ثُمَّ دَخَلَ بَعْدَ ذَلِكَ أَبُو الْعَيْنَاءِ عَلَى الْمُتَوَكِّلِ فَقَالَ : كَيْفَ كُنْتَ بَعْدُ ؟ قَالَ :
 فِي أَحْوَالٍ مُخْتَلِفَةٍ ، خَيْرُهَا رُوَيْتُكَ وَشَرُّهَا غَيْبَتُكَ ، فَقَالَ : قَدْ وَاللَّهِ اسْتَقْتُنْتَ !

(١) متع الصبح : ظهر ، والشحد والتطفيل : التسول والسؤال

(٢) الأحمر : هو خلف الأحمر

قال : إنما يشنأُ العبدُ ؛ لأنه يتعذرُ عليه لقاء مولاه ، وأما السيدُ فحتى أرادَ عبده دعاه .

وقال له المتوكل : مَنْ أَسْحَى مَنْ رَأَيْتَ ، ؟ قال : ابنُ أَبِي دُوَادٍ ، قال المتوكل : تأتي إلى رجل رفضته فتنسبه إلى السخاء ؟ قال : إنَّ الصِّدْقَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَيْسَ فِي مَوْضِعٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ أَنْفَقَ مِنْهُ فِي مَجْلِسِكَ ؛ وَإِنَّ النَّاسَ يَغْلَطُونَ فِيمَنْ يَنْسُبُونَهُ إِلَى الْجُودِ ؛ لِأَنَّ سَخَاءَ الْبِرَامِكَةِ مَنْسُوبٌ إِلَى الرَّشِيدِ ، وَسَخَاءُ الْفَضْلِ وَالْحَسَنِ ابْنِ سَهْلٍ مَنْسُوبٌ إِلَى الْمَأْمُونِ ، وَجُودُ ابْنِ أُنَى دُوَادٍ مَنْسُوبٌ إِلَى الْمُعْتَصِمِ ؛ فَإِذَا نَسَبَ النَّاسُ الْفَتْحَ وَعَبِيدَ اللَّهِ ابْنِي يَحْيَى إِلَى السَّخَاءِ فَذَلِكَ سَخَاؤُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : صَدَقْتَ ؛ فَمَنْ أَجْمَلُ مِنْ رَأَيْتَ ؟ قَالَ : مُوسَى بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، قَالَ : وَمَا رَأَيْتَ مِنْ بُخْلِهِ ؟ قَالَ : رَأَيْتَهُ يَخْدُمُ الْقَرِيبَ كَمَا يَخْدُمُ الْبَعِيدَ ، وَيَعْتَذِرُ مِنَ الْإِحْسَانِ كَمَا يَعْتَذِرُ مِنَ الْإِسَاءَةِ ، فَقَالَ لَهُ : قَدْ وَفَّقْتَ فِيهِ عِنْدِي مَرَّتَيْنِ ، وَمَا أَحَبُّ لَكَ ذَلِكَ ؛ فَأَلْفَهُ وَاعْتَذِرْ إِلَيْهِ ، وَلَا يَعْلَمُ أَنِّي وَجَّهْتُ بِكَ ، قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَنْ يَسْتَكَتُمُنِي بِحَضْرَةِ أَلْفٍ ؟ قَالَ : لَنْ تَخَافَ ، قَالَ : عَلَى الْإِحْتِرَاسِ مِنَ الْخُوفِ .

فصار إلى موسى فاعتذر كلُّ واحدٍ منهما إلى صاحبه ، وافترقا عن صلح ؛ فلقبه بعد ذلك بالجعفري ، فقال : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، قَدْ اصْطَلَحْنَا ، فَمَا لَكَ لَا تَأْتِينَا ؟ قَالَ : أُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ؟ فَقَالَ مُوسَى : مَا أَرَانَا إِلَّا كَمَا كُنَّا .

وقال له المتوكل : إِبْرَاهِيمُ بْنُ نُوحٍ النَّصْرَانِيَّ وَاجِدْهُ عَلَيْكَ ، قَالَ : وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ! قَالَ : إِنْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْكُتُبِ يَلُومُونَكَ ! فَقَالَ :

إِذَا رَضِيتُ عَنِّي كِرَامُ عَشِيرَتِي فَلَا زَالَ غَضَبَانَا عَلَى لِسَانِنَا

قال المتوكل له : أكان أبوك في البلاغة مثلك ؟ قال : لو رأى أمير المؤمنين

أبي لراى عبداً له لا يرضانى عبداً له .

وقيل لأبي العيناء : إن المتوكل قال : لولا أنه ضرير البصر لنادته ، فقال :
 إن أعفاني من رؤية الأهلّة ، وقراءة نقش الفصوص ، فأنا أصلح للمنادمة .
 ولقيه رجلٌ من إخوانه في السّحر ، فجعل يُعجّبُ من بُكوره ، فقال :
 أراك تشاركني في الفعل وتُفردني بالعجب !

ووقف به رجلٌ من العامّة فأحسّ به ، فقال : من هذا ؟ قال : رجلٌ من
 بني آدم ! قال : مرحباً بك ، أظال الله بباك ! وبقيت في الدنيا ، ماظننتُ هذا
 النّسل إلا قد انقطع !

ودخل على عبيد الله بن سليمان فقال : أقرب مني يا أبا عبد الله ، فقال :
 أعزّ الله الوزير ، تقرّيبُ الأولياء ، وحرمانُ الأعداء ، قال : تقرّيبك غنمٌ ،
 وحرمانك ظلمٌ ؛ وأنا ناظرٌ في أمرك نظراً يصلحُ من حالك إن شاء الله .
 وقال له يوماً : اعذرني فإني مشغول ، فقال له : إذا فرغت من شغلك لم
 نحتاجُ إليك ، وأنشده :

فلا تعتذِرْ بالشُّغْلِ عَنَّا ؛ فَإِنَّمَا تُنَاطُ بِكَ الْأَمَالُ مَا تَصَلَّ الشُّغْلُ
 ثم قال : يأسئدي قد عذرتك ، فإنه لا يصلحُ لشُركك من لا يصلحُ لِعُدْرِكَ .
 وأقبل إليه يوماً فقال : من أين يا أبا عبد الله ؟ قال : من مطّارِجِ الحِقَاءِ !
 وقال له مرة : نحن في العطلة مرّحومون ، وفي الوزارة محرومون ، وفي القيامة
 كلُّ نفسٍ بما كسبت رهيبة .

وسار يوماً إلى باب صاعد بن مخلد ، فقيل : هو مشغولٌ يصلّي ، قال : لكلِّ
 جديدٍ لذةٌ ! وكان صاعدٌ نصرانياً قبل الوزارة .

ودخل إلى عبيد الله بن سليمان ، فشكا إليه حاله ، فقال : أليس قد كتبنا
 لك إلى إبراهيم بن المدبر ؟ فقال : كتبتُ إلى رجلٍ قد قصرَ من همته طولُ
 الفقر ، وذُلُّ الأُسْرِ ، ومعاناةُ محنِ الدَّهْرِ ، فأخففته في طَلْبَتِي ! قال : أنت
 اخترته ؟ قال : وما عليّ - أعزّ الله الوزير - في ذلك ؟ قد اختار موسى قومه سبعين

رجلا، فما كان منهم رشيد، واختار النبي صلى الله عليه وسلم ابن أبي سرح كاتباً، فرجع إلى المشركين مرتدًا، واختار علي بن أبي طالب أبا موسى حاكما له فحكم عليه!

[إبراهيم بن المدبر]

وكان إبراهيم بن المدبر أسره صاحب الزنج بالبصرة وحبسه؛ فاحتال حتى نقب السجّج وهرب، فلذلك ذكر أبو العيّن ذلّ الأسر، وكان قد ضرب في وجهه ضربة بقي أثرها إلى أن مات؛ ولذلك قال البحري:

ومبيّنة شهر المنازل وسمها	والخيل تكبو في العجاج الكابي
كانت بوجهك دون عر ضك إذزأوا	أن الوجوه تضان بالأحساب
ولئن أسرت فما الإسار على امرئ	نصر الإسار على الفرار بعاب ^(١)
نام المضلل عن سراك ولم تحف	عين الرقيب وقسوة البواب
فركبتها هولا متى تخير بها	يقول الجبان: أتيت غير صواب
ما راعهم إلا استراقك مضلتا	في مثل برد الأرقم المنساب ^(٢)
تحوي أغيلة وطائشة الخطى	تصل التلفت خشية الطلاب
قد كان يوم ندى بطولك باهرا	حتى أضفت إليه يوم ضراب ^(٣)
ذكر من البأس استعدت إلى الذي	أعطيت في الأخلاق والآداب
ووحيدة أنت انقردت بفضلها	لولاك ما كتبت على الكتاب

[حديث صاحب الزنج، ودعواه، وبطلانها]

قال أبو بكر الصولي: حدثني محمد بن أبي الأزهر، وقد ذاكرته خبر علي صاحب الزنج، قال: ادعى أنه علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي

(١) العاب: العيب (٢) المصلت: السيف، والأرقم: الحية

(٣) الضراب: الطعان

ابن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، فنظرت مولده ومولد محمد
ابن أحمد الذي ادعاه فكان بينهما ثلاث سنين ، وكان لمحمد بن أحمد ولد
اسمه علي مات بعد هذا المدعى اسمه ونسبه بزمان . ثم رجع عن هذا النسب
فادعى أنه علي بن محمد بن عبد الرحيم بن رحيب بن يحيى المقتول بخراسان
ابن زيد بن علي .

قال أبو عبيدة محمد بن علي بن حمزة : ولم يكن ليحيى ولد يقال له رحيب
ولا غيره ؛ لأنه قتل ابن ثمانى عشرة سنة ولا ولد له .

قال بشر بن محمد بن السري بن عبد الرحمن بن رحيب : هو ابن عم أبي لحن
علي بن محمد بن عبد الرحمن بن رحيب ، ورحيب رجل من العجم من أهل ورتين
من ضياع الري ، وهو القائل لبني العباس :

بنينا من راحتيها عقودها	بنينا إنا وأنتم أنامل
ونحن قديماً أصلها وعمودها	بنينا ولئيم الترك أمونا
ونحن لدهيا في البلاد شهودها	فيا بال عجم الترك تقسم فينا
فبلغة عيش أو يباعد عيها ^(١)	فأقسم لأذقت القراح وإن أذق

وقال أيضاً :

دوما قد حوته من كل عاص	لطف نفسي على قصور بيغدا
ورجال على المعاصي حراص	ومخور هناك تشرب جبراً
أقجم الخيل بين تلك العراص	لست بأبن القواطم الزهر إن لم

وله في هذا المعنى شعر كثير قد ناقضه البغداديون ، وكانت مدته حين نجح
إلى أن قتل أربع عشرة سنة ، وجملة من قتل ألف وخمسمائة ألف .

(١) البلغة - بضم الباء وسكون اللام - ما يتبلغ به

[عَوْدٌ إِلَى مَسْحِ أَبِي الْعَيْنَاءِ]

وذكر أبو العيناء رجلاً، فقال: ضحكك كالبيضاء، وتودد كالغزاة، ونوادير كنتب الموتى!

وكان يهاتر ابن مكرم كثيراً، وكتب إليه ابن مكرم يوماً: قد ابتعتك لك غلاماً من بني ناشر، ثم من بني ناعظ، ثم من بني نهيد. فكتب إليه: فأتنا بما تمدنا إن كنت من الصادقين.

وولد لأبي العيناء ولد، فأتى ابن مكرم فسلم عليه، ووضع حجراً بين يديه وانصرف، فأحس به، فقال: من وضع هذا؟ فتيل: ابن مكرم، قال: لعنه الله! إنما عرض بقول النبي صلى الله عليه وسلم: الولد للفراش وللعاهر الحجر.

وقال لابن مكرم، وقد قدم من سفر: مالك لم تهدي إلينا هدية؟ قال: لم آت بشيء، وإنما قدمت في خف. قال: لو قدمت في خف خلقت رُوحك!

وأتى إلى باب إبراهيم بن رباح، فحُجِبَ، فقال: إذا شغل بكأس يميناه وبحر يسراه، وانتسب إلى أبي لا يعرف أباه، لا يخفيل بحجاب من أتاه.

وقدم إليه أبو عيسى بن المتوكل سكبحة، فجعل لا تقع يده إلا على عظم؛ فقال: جعلت فداك! هذه قدر أو قبر؟

ودعا ضريراً ليعشيه، فلم يدع شيئاً إلا أكله، فقال: يا هذا، دعوتك رحمةً فتركتني رحمة.

قد تم — بحول الله وقوته، وحسن دعوته — الجزء الأول من كتاب «زهر الآداب، وثمر الأبواب» لأبن إسحاق الحضرمي، ويليه — إن شاء الله تعالى — الجزء الثاني، مفتتحة بقول المصنف «الفاظ لأهل العصر في صفات الطعام ومقدماته، وموائد وآلاته» نسأل الله — جلت قدرته! — أن يعين على إكمالها، إنه ولي ذلك.

فهرست الجزء الأول

من كتاب زهر الآداب

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٥٩	جواب علي شعر جرير		مقدمة الطبعة الأولى
٥٩	فضل الشعر		مقدمة الطبعة الثانية
٦٠	شذور من كلام الرسول	٣	مقدمة المؤلف
٦٣	شعراء الرسول	٤٥	إن من البيان لسحرا
٦٥	أبو سفيان بن الحارث	٤٥	عمرو بن الأهمم والزبرقان بن بدر
٦٥	شعر كعب بن مالك		بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
٦٥	قصة النضر بن الحارث	٤٦	ترجمة عمرو بن الأهمم
٦٧	رثاء أبي بكر لرسول الله		— ترجمة الزبرقان بن بدر
٦٧	مناقب أبي بكر	٤٢	غلام يتكلم في حضرة عمر بن عبدالعزيز
٦٨	خطبة أبي بكر يوم مات الرسول	٤٣	كتاب من ابن العميد لبعض إخوانه
٦٩	رثاء فاطمة الزهراء لأبيها رسول الله	٤٤	السحر الحلال
٧٠	عود إلى المختار من كلام أبي بكر	٤٤	وصف رجل محبوب
٧١	رثاء عائشة أم المؤمنين لأبيها	٤٥	عليه بنت المهدي
٧٢	عمر بن الخطاب	٤٨	قيد الأوابد
٧٤	بكاء عمر	٤٩	عود إلى حلاوة الحديث
٧٥	عاتكة بنت زيد	٥٥	الشعر والبيان
٧٥	عثمان بن عفان	٥٥	تفسير حديث وضبطه
٧٨	علي بن أبي طالب		— الحطيئة وبنو أنف النافذة
٨٣	عمرو بن عبدود	٥٦	بنو العجلان والنجاشي
٨٤	بيضة البلد	٥٦	حكومة عمر في الشعر
٨٥	هوان قبيلة عاملة	٥٧	جمرات العرب
٨٦	كلام الصحابة والتابعين	٥٧	انتقام امرأة
٨٦	آثار معاوية	٥٨	تعريض قاذح

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
عبد الله بن معاوية	١٢٥	الأحفف بن قيس ومعاوية	٨٨
الحسن بن زيد	١٢٧	شعر زهير	٩٠
إبراهيم بن هرمة	١٢٩	التهنئة والتعزية	٩١
موسى بن عبد الله	١٣٠	أهل البيت	٩٤
بين علي بن محمد العلوي والحسين بن إسماعيل	١٣٠	وصف قريش وبنى هاشم	٩٥
العباس بن الحسين الهاشمي	١٣١	الحسن بن علي وحبیب بن مسلمة	٩٧
موسى بن جعفر	١٣٣	المصيبة بأبناء النبوة	٩٩
علي بن موسى	١٣٣	بين الحسن ومحمد بن الحنفية	١٠٠
دعبل بن علي يرثي آل البيت	١٣٤	الدنيا في رأي الحسين	١٠٠
أوصاف الأشراف	١٣٥	معاوية والحسين	١٠١
الابتداء بحمد الله	١٣٨	ابن أبي ربيعة وسكينة بنت الحسين	١٠٢
من شعر محمود الوراق	١٣٩	علي بن الحسين زين العابدين	١٠٢
البيان والبلاغة	١٤٠	قصيدة الفرزدق في علي بن الحسين	١٠٣
فضل القرآن على سائر الكلام	١٤٠	لنبي الرمة يمدح بلال بن أبي بردة	١٠٦
ماهية البلاغة لابن الرمانى	١٤١	—	—
ألفاظ لأهل العصر في ذكر القرآن	١٤٢	للبحترى يمدح الفتح بن خاقان عاقبة الحرب	١٠٩
أقوال في البلاغة	١٤٣	للبحترى في قتال الأفارب	١١٢
عمرو بن عبيد	١٤٣	لأبي تمام في المعنى	١١٢
البلاغة عند أهل الهند	١٤٥	لابن الحياط يمدح مالك بن أنس	١١٤
البلاغة في رأي ابن المقفع	١٤٥	لأشجع السلمى	١١٥
الإطالة والإيجاز	١٤٦	—	—
المعاني والألفاظ	١٤٨	محمد بن علي بن الحسين الباقر	١١٧
بشار بن برد	١٥١	بصرع زيد بن علي	١١٨
وصية أبي تمام للبحترى	١٥٢	عبد الله بن الحسن	١٢٠
فضل الليل فلحاعى	١٥٣	بين عبد الملك بن مروان وعمر بن أبي ربيعة	١٢١
فضل التروى والأناة	١٥٤	—	—
واجب التسخار	١٥٥	للعديل بن الفرخ	١٢٢
صور مختلفة للبلاغة	١٥٥	عود إلى عبد الله بن الحسن	١٢٢
		امرأة محمد بن عبد الله	١٢٣
		جعفر بن محمد	١٢٤

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
٢٠٠	فطنة إياس بن معاوية وقوة لسنه	١٦٠	صفة البلاغة والبلغاء
٢٠٠	الفرار من الحديث المماول	١٦٤	وصف النثر والشعر
٢٠١	طرف أدبية	١٦٥	كتاب لابن العميد
٢٠٢	ملح الغاضري	١٦٧	كتاب للصاحب بن عباد
٢٠٣	ملح أشعب	١٦٨	أبو الفضل الميكالي
٢٠٤	أبو نواس	١٦٩	أبو منصور الثعالبي
٢٠٥	الجزاز	١٧١	رسائل الميكالي
٢٠٦	أبو تمام يمدح عمرو بن طوق	١٧٣	وصف أبي الفضل الميكالي
—	ويمدح الحسن بن وهب	١٧٦	وصف البلاغة
٢٠٧	رواية الشعر والنسيب	١٧٦	لأبي الفتح البستي
٢٠٨	عروة بن أدينة	١٧٧	للمطوعي يمدح الميكالي
١٧٧	أبو السائب الخزومي	١٧٨	للتعالبي يمدح الميكالي
٢٠٩	عود إلى عروة بن أدينة	١٧٥	للتعالبي في وصف فرس
٢١٠	حب الأحوص	١٧٩	للتعالبي يمجيب الميكالي
٢١١	ظرف أهل الحجاز ورقةم	١٨٠	للميكالي يمجيب الثعالبي
١٧٩	أبو حازم	١٨٠	الوزير المهلي
٢١٢	عبيد الله بن عبد الله بن عتبة	١٨١	الحكمة ضالة المؤمن
١٨٠	قفهاء المدينة السبعة	١٨٢	وصف الكتاب للجاحظ
٢١٣	أبي نواس	١٨٥	تهادى الكتب
١٨١	لأبي محمد بن أبي أمية	١٨٨	أوصاف الكتب
٢١٤	ظرف أهل المدينة	١٩٣	المحادثة والمجالسة
٢١٥	لتشبيب بأخت الحجاج	١٩٣	الفهم والإفهام
١٨٥	وصف الدنيا لابن المعتز	١٩٥	واجب الجائس
٢١٨	بين ابن المعتز وثلعب	١٩٦	الحديث المعاد
٢١٩	شعر ابن المعتز	١٩٦	أنواع الأدب
٢٢٠	وصف النار للبيغاء	١٩٨	تقسيم الأيام
٢٢١	عود إلى شعر ابن المعتز	١٩٩	إياس بن معاوية يحتج للأطناب
١٩١	رثاء المنصور	—	الجاحظ يرد عليه
٢٢٢	وصاف الرجال	—	ابن هبيرة يريد إياساً على القضاء
٢٢٥	نثر ابن المعتز	٢٠٠	أبو العيناء وقبنة

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٢١٧	وصف الماء وما يتصل به	٢٥٨	كلام الخلفاء
٢٢١	كفة الجعفرى للبحترى	٢٥١	مقتل المتوكل
١٩٩	قصور المتوكل لابن الجهم	٢٦٠	وفاء البحترى
٢٢١	وصف موضع للبحترى	٢٦١	رثاء المتوكل للمهلبى
٢٢٢	صنوبرى يصف موضعاً فى حلب	٢٦٢	أبو حية النخبرى
٢٢٢	الميكالى يصف بركة	٢٣٣	وصف الشباب لهارون بن يحيى
—	لعلى بن محمد الإيادى يصف داراً بالتصورية	٢٦٥	قصر فى وصف الشباب
٢٢٥	النساء والغدران	٢٦٧	بين ابن منذر وأبى حية النخبرى
٢٢٧	وصف الرعد والبرق	٢٣٦	أعباء الكهولة لعمر بن قيس
٢٤١	الشرب فى الصحو	٢٦٨	للنهر بن تولب
٢٤٢	وصف شدة الشوق	٢٦٩	من شعر حميد بن ثور
٢١٠	وصف رجل حازم لابن المقفع	٢٧٠	لمحمود الوراق
٢٤٢	إبراهيم بن أدهم	—	للمتنى
٢٤٤	وصف التقي والزهد لابن كنانة	—	للبحترى
٢١٢	من أخبار ابن المقفع	—	لابن هانى
٢٤٥	ترجمة الأصوص	٢٧١	لابن الرومى
٢١٣	فهم المنصور	—	لأبى تمام
٢٤٦	بلية الحسد لابن المقفع	٢٧٢	وصف الثغر
٢٤٧	ألسنة الحساد	٢٧٤	وصف الجوارى السود
٢١٦	وصف الحسد	٢٧٥	التهنئة بنوأمين
٢٤٨	التلطف فى الطلب	٢٨٠	وصف الأفواه
٢٤٩	من كلام على بن عبيدة الرىحانى	٢٨٦	شعر أبى نواس
٢٥٠	بين إبراهيم بن المهدي وأحمد بن أبى دواد وبختيشوع الطيب	٢٨٧	طرفة أديبة
٢٥١	أردشير بن بابك	٢٨٨	تظرف الحارث بن خالد
٢٥٢	أخلاق الملوك	٢٥٧	من أخبار عائشة بنت طلحة
٢٥٣	أخت ملك الحزر	٢٨٩	مثل من التعريض
٢٥٤	أقوال الملوك والحكام	٢٩٠	الثريا بنت على
٢٥٧	همة سعد بن ناشب	٢٩١	عزة كثير
		٢٩٢	ظرف ابن أبى عتيق
		٢٩٣	كثل الشيطان

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
أبيات مختارة في معان شتى	٢٨٣	رملة بنت عبد الله	٢٦١
أبو العيناء	٢٨٣	صفقة أبي غبشان الذي باع مفتاح	٢٩٤
بين أبي الصقر وابن الرومي	٢٩٥	الكعبة بزق خمر	
نزحة أبي العيناء، وطرف من أخباره	٢٩٥	عفة ابن أبي ربيعة	٢٩٥
أحاديثه مع التوكل	٢٩٥	بين ابن جريج ومعن بن أوس	٢٩٦
التوكل أول من أظهر الانكباب	٢٩٥	عائشة بنت طلحة	٣٠١
على الشهوات من العباسيين ..		امامة ابن الرومي	٣٠٢
منزلة أبي العيناء في الكتابة	٣٠٤	سليمان بن عبد الملك وأعرابي	٣٠٣
من أبي العيناء لعبيد الله بن سليمان		وصف رجل ماجد	٣٠٤
نواده، وفكاهاته، وأجوبته	٣٢٥	البديع الهمداني، وكيف استوحى	٣٠٥
إبراهيم بن الدبر	٣٢٦	صنع المقامات	
صاحب الزنج	٣٢٦	كتابه إلى أبي نصر الميكالي	٣٠٦
عود إلى ملح أبي العيناء	٣٢٦	كتابه للميكالي	٣٠٦

تمت فهرس الجزء الأول من « زهر الآداب » والحمد لله أولاً وآخراً
والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه

زَهْرُ الْأَجْبِ

زَهْرُ الْأَلْبَابِ

وثمر الألباب

لأبي إسحاق إبراهيم بن علي ، الحصري ، القيرواني ، التوفي في عام ٤٥٣ من الهجرة

مفصل ومضبوط ومشروح بقلم المرحوم

الدكتور زكي مبارك

الجزء الثاني

دار الجليل

بيروت

جميع الحقوق محفوظة لدار الجليل

الطبعة الخامسة

١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

ألفاظ لأهل العصر في صفات الطعام

ومقدماته ، وموائده ، وآلاته

أَفْرِشُ طَعَامِكَ اسْمُ اللَّهِ ، وَالْحَفُّهُ حَمْدُ اللَّهِ . لَا يَطِيبُ حُضُورَ الْخِوَانِ ،
إِلَّا مَعَ الْإِخْوَانِ . الْبِخْلُ بِالطَّعَامِ ، مِنْ أَخْلَاقِ الطَّعَامِ . الْكَرِيمُ لَا يَحْضُرُ ، تَقْدِيمَ
مَا يَحْضُرُ . قَدْ قَامَتْ خُطْبَاهُ الْقُدُورِ . قُدُورٌ أَبْكَارٌ ، بِخَوَاتِمِ النَّارِ . قَدْرٌ طَارَ
عَرْفُهَا ، وَطَابَ غَرَفُهَا . دَهْمَاءٌ تَهْدِرُ كَالْفَنِينِ ^(١) ، وَتَفُوحٌ كَالْمِسْكِ الْقَتِينِ .
مَائِدَةٌ كِدَارَةُ الْبَدْرِ ، تَبَاعَدُ بَيْنَ أَنْفَاسِ الْجُلَاسِ . مَائِدَةٌ مِثْلُ عُرُوسٍ . مَائِدَةٌ
لَطِيفَةٌ ، مَحْفُوفَةٌ بِكُلِّ طَرِيفَةٍ . مَائِدَةٌ تَشْتَمِلُ عَلَى بَدَائِعِ الْمَأْكُولَاتِ ، وَغَرَائِبِ
الطَّيِّبَاتِ . مَائِدَةٌ كَأَنَّهَا عَمَلُهَا صُنَاعُ صِنَاعٍ ، تَجْمَعُ بَيْنَ أَنْوَارِ ^(٢) الرِّبْعِ ،
وَتَمَارِ الْخَرِيفِ .

وقال الجواز : جاءنا فلان بمائدة كأنها زمن البرامكة على العفاة !
وذم آخر رجلا فقال : لا يحضر مائدته إلا أكرم الخلق والأهم - يريد
الملائكة والذباب .

وقال ابن الججاج لرجل دعاه وأخر الطعام :

قَدْ جُنَّ أَصْحَابُكَ مِنْ جُوعِهِمْ فَاقْرَأْ عَلَيْهِمْ سُورَةَ الْمَائِدَةِ
ولبعض أهل العصر يذم رجلا :

خِوَانٌ لَا يُلِيمُ بِهِ ضُيُوفٌ وَعَرَضٌ مِثْلُ مَنْدِيلِ الْخِوَانِ
رُغْفَانٌ كَالْبِدُورِ الْمُنْطَقَةِ بِالنَّجُومِ . حَمَلٌ ذَهَبِيٌّ الدُّنَارُ ، فَضِيٌّ الشَّعَارُ . أَطْيَبُ
مَا يَكُونُ الْحَمَلُ ، إِذَا حَلَّتْ الشَّمْسُ الْحَمَلَ ^(٣) . جَدِيٌّ كَأَنَّهَا تُدْفِ عَلَى جَبِينِهِ الْقَرْزُ .
زَيْتُ بَاجَةٍ ، هِيَ الْمَائِدَةُ دِيبَاجَةٌ ، تَشْفِي السَّقَامَ ، وَلَوْهَا لَوْنُ السَّقِيمِ . سِكْبَاجَةٌ تَفْتَقُ

(١) الفنين : الفحل الهائج (٢) في الأصل « أنواع » وهو تحريف .

(٣) الحمل الأول : الصغير أولاد الضأن ، والحمل الثاني : برج في السماء (م)

الشهوة ، واسفيدباجة تُغذّي القرم^(١) ، وطبَاهِجَةٌ يُتَفَكَّهُ بِهَا ، وَخَبِيصٌ يَحْتَمُّ
 بِخَيْرٍ. طَبَاهِجَةٌ مِنْ شَرْطِ الْمَلُوكِ ، كَأَعْرَافِ الدِّيُوكِ ، وَقَلِيَّةٌ كَالْعُودِ الْمَطْرَبِيِّ. مَغْمُومَةٌ
 تَفْرَجُ غَمَّ الْجَانِعِ . هَرِيْسَةٌ نَفِيْسَةٌ ، كَأَنَّهَا خِيُوطُ قَزَمَشْتَبِكَةٍ ، كَأَنَّ الْمَرِيَّ^(٢) عَلَيْهَا
 عَصَا رُؤَسَاءِ الْمَسْكِ عَلَى سَيْبِكَةِ الْفِضَّةِ . أَرْزَةٌ مَلْبُونَةٌ ، فِي السَّكْرِ مَدْفُونَةٌ . شَوَالٌ رَشْرَاشٌ^(٣)
 وَفَالُوذَجٌ رَجْرَاجٌ^(٤) . طَبَاهِجَةٌ تَغْذِي ، وَفَالُوذَجَةٌ تَعْزِي ، وَاسْفِيدْبَاجَةٌ تَضَعُ قَفَا
 الْجُوعِ^(٥) . لَا فِرَاشَ لِلنَّبِيذِ ، كَالْحَمَلِ الْحَنِيدِ^(٦) . دَجَاجَةٌ سَمِيْطَةٌ ، لَهَا مِنَ الْفِضَّةِ
 جِسْمٌ ، وَمِنْ الذَّهَبِ قَشْرَةٌ . دَجَاجَةٌ دِينَارِيَّةٌ ثَمْنَا وَلَوْلَانَا .

لابن الرومي في وصف طعام
 وهذا محلول من قول علي بن العباس الرومي يصف طعاماً أكله عند أبي بكر
 الباقطاني :

وَسَمِيْطَةٌ صَفْرَاءُ دِينَارِيَّةٌ	ثَمْنَاً وَلَوْلَانًا زَفَّهَا لَكَ حَزْوَرٌ ^(٧)
عَظُمَتْ فَكَادَتْ أَنْ تَكُونَ أَوْزَةً	وَعَلَتْ فَكَادَ إِهَابُهَا يَنْفَطِرُ
طَلَقَتْ تَجُودٌ بِذَوْبِهَا جَوْذَابَةٌ	فَأَتَى لِبَابِ اللَّوْزِ فِيهَا السَّكْرُ
ظَلْنَا نَقَشَ جِلْدَهَا عَنِ لِحْمِهَا	فَكَانَ تَبْرَأً عَنِ كَبْجَيْنِ يُقَشَّرُ
وَتَقَدَّمَتْهَا قَبْلَ ذَلِكَ تَرَائِدٌ	مِثْلَ الرِّيَاضِ بِمِثْلِ ذَلِكَ تُصَدَّرُ
وَمَرَقَاتٌ كَأَنَّهَا مَزْخَرَفٌ	بِالْبَيْضِ مِنْهَا مُلْبَسٌ وَمُدَّتُّ
وَأَتَتْ قَطَائِفٌ بَعْدَ ذَلِكَ لَطَائِفٌ	تَرَضَى اللَّهْمَاءُ بِهَا وَيَرْضَى الْخُنْجَرُ
ضَحِكَ الْوَجُوهُ مِنَ الطَّبْرُزْدِ فَوْقَهَا	دَمَعُ الْعِيَانِ مِنَ الدَّهَانِ يُعَصَّرُ

(١) في نسخة « تغزو القرم » والقرم : شديد الشهوة إلى أكل اللحم (م)

(٢) المري : ضرب من الإدام (م)

(٣) الشواء : اللحم المشوي ، ورشراش : سمين (م) (٤) من كلام أبي بكر الخوارزمي

(٥) تلك أسماء الأطعمة التي كان يعرفها العرب لعهد الدولة العباسية ، وأكثرها

أسماء فارسية تغيب عنا مسمياتها الآن ؛ لأن للأطعمة اليوم أسماء جديدة أكثرها تركية وفرنسية (٦) الحنيد : المشوي (م) (٧) الحزور : السريع إلى إكرام الضيف .

قال البديع : حدثني عيسى بن هشام قال : اشتَهيتُ الأَزَادَ ، وَأَنَا بَعْدَ إِذٍ ^(١) ،
وليس مَعِيَ عَقْدٌ ، عَلَيَّ نَقْدٌ ^(٢) ، فخرجتُ أَنْتَهَزُ مَحَالَّهُ ، حَتَّى أَهْلَيْتُ الكَرِيخَ ^(٣) ؛
فإذا أَنَا بِسَوَادِيٍّ يَحْدُو بِالْجُهْدِ حِمَارَهُ ، وَيُطَرِّفُ بِالْعَقْدِ إِزَارَهُ ^(٤) ؛ فقلتُ :
ظَفَرْنَا وَاللَّهِ بِصَيْدٍ ، وَحَيَّاكَ اللَّهُ أَبَا زَيْدٍ ! مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ وَأَيْنَ نَزَلْتَ ؟ وَمَتَى
وَأَقْبَلْتَ ، فَهَلُمَّ إِلَى الْبَيْتِ . فقال السَّوَادِيُّ : لستُ بِأَبِي زَيْدٍ ، وَإِنَّمَا أَبُو عُبَيْدٍ !
فقلتُ : نعم لَعَنَ اللَّهُ الشَّيْطَانَ ، وَأَبْعَدَ النَّسِيَانَ ، أَنَسَانِي طُولَ الْعَهْدِ بِكَ ،
كَيْفَ أَبُوكَ ، أَشَابُ كَعَهْدِي ، أَمْ شَابَ بَعْدِي ؟ ^(٥) قَالَ : قد نَبَتَ اللَّرْعَى
عَلَى دِمْنَتِهِ ^(٦) ، وَأَرْجُو أَنْ يُصَيِّرَهُ اللَّهُ إِلَى جَنَّتِهِ ، فقلتُ : إِنَّ اللَّهَ ، وَلَا قُوَّةَ
إِلَّا بِاللَّهِ ، وَمَدَدَتِ يَدَ الْبِدَارِ ، إِلَى الصَّدَارِ ^(٧) أُرِيدُ تَمْزِيقَهُ ، وَأُحَاوِلُ تَحْرِيقَهُ ^(٨)
فقبض السَّوَادِيُّ عَلَى خَصْرِي بِجُمُعِهِ ^(٩) ؛ وَقَالَ : نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ لِأَمْزَقَتِهِ ، فقلتُ :
فهلُمَّ إِلَى الْبَيْتِ نَصِبٌ غَدَاءً ، أَوْ إِلَى السُّوقِ نَشْتَرِي شِوَاءً ؛ وَالسُّوقُ أَقْرَبُ ، وَطَعَامُهُ

مقامة
لبديع الزمان
فيها وصف طعام

- (١) الأَزَادُ : من أجود أنواع التمر ، وبعداذ : هي بغداد
(٢) ليس مَعِيَ عَقْدٌ عَلَيَّ نَقْدٌ : أى ليس مَعِيَ قَهْوٌ يَعْقِدُ عَلَيْهَا الْكَيْسُ وَالثَّوْبُ
(٣) المحال : جمع محل ، والكريخ : من الجانب الغربي من بغداد
(٤) السَّوَادِيُّ : الرجل من قرى العراق ، نسبة إلى السواد ، وسمى العراق سواداً
لأنه كثساء أرضه بالحضرة ، ومعنى «يطرف بالعقد إزاره» أى يرد أحد طرفيه إلى الآخر
(٥) كعهدي : أى كعهدي به حين عرفته
(٦) الدمنة : آثار الديار ، ولا ينبت الربيع على الدمنة إلا حين يبعد عهدها
بالخراب ، يريد أن أباه مات منذ زمن طويل .
(٧) البدار : السارعة ، والصدار : قيص صغير يلي البدن
(٨) يريد أنه هم بتمزيق ثوبه من الحزن
(٩) جمع الكف - بضم الجيم - قبضة

أطيب ، فاستنزته حمة القرم^(١) ، وعطفته عطفة النهم ، وطمع ، ولم يعلم أنه وقع ، ثم أتيت شواءً يتقاطر شواؤه عرقاً ، ويتسائل جوداًه سرقاً^(٢) ، قلت : أبرز لأبي زيد من هذا الشواء ، ثم زن له من تلك الخلواء ، واختر من تلك الأطباق ، ونضد عليها أوراق الرقاق ، وشيئا من ماء السماق^(٣) ؛ لياكله أبو زيد هنيا . فأنحى الشواء بساطوره^(٤) ، على زبدة تنوره ، فجعلها كالكحل سحفاً ، وكالطحين دقا ، ثم جلس وجلست ، ولا نبس ولا نبست ، حتى استوفيناه ، وقلت لصاحب الخلواء : زن لأبي زيد من اللوزينج رطلين^(٥) ، فإنه أجرى في الخلوق ، وأسرى في العروق ، وليكن ليلي العمر ، ويومي النشر^(٦) ، رقيق القشر ، كثيف الخشو ، لؤلؤي الدهن ، كوكبي اللون ، يذوب كالصمغ ، قبل المضغ ، لياكله أبو زيد هنيا . فوزنه ، ثم قعد وقعدت ، وجرّد وجرّدت^(٧) ، واستوفيناه ، ثم قلت : يا أبا زيد ، ما أحوجنا إلى ماء يشعشع بالثاج ، ليقمع هذه الصارة^(٨) ، ويفتأ هذه اللقم الحارة^(٩) ؛ اجلس أبا زيد حتى آتيك بسقاء ، يحمينا بشربة من ماء ، ثم خرجت ، وجلست بحيث أراد ولا يراني ، أنظر ما يصنع به . فلما أبطأت عليه قام السوادى إلى حمارة ، فاعتلق الشواء بإزاره .

(١) الحمة : إبرة العقرب يلسع بها من يلمسه ، والقرم : شدة الشهوة إلى اللحم

(٢) الجوداب : خبز يوضع في التنورة ومعه طائر أو لحم

(٣) السماق : حب أحمر صغير شديد الحموضة ، شجره يشبه الرمان

(٤) الساطور : آلة يقطع بها الجزار اللحم

(٥) اللوزينج : نوع من الخلواء يصنع من نوع من الخبز يسقى بدهن اللوز ،

ويحشى بلجوز .

(٦) ليلي العمر : صنع من ليلته ، ويومي النشر : نشر في يومه

(٧) جرد وجرّدت : يريد أن كلا منهما جرد يده من ثيابه استعداداً للمائدة

(٨) الصارة العطش

(٩) يفتأ : يسكن

وقال : أين ثمن ما أكلت ؟ قال : ما أكلته إلا ضيفا ! قال الشواء : هاك وآك متى دعوناك ؟ زن يا أبا القحبة عشرين ، وإلا أكلت ثلاثا وتسعين ! فجعل السوادى يبكي ويمسح دموعه بأردانه ، ويحلم عُقْدَهُ بِأَسْنَانِهِ ، ويقول : كم قلت لذلك القريد ، أنا أبو عبيد ، وهو يقول : أنت أبو زيد ! ؟ فأنشدت :

اعمل لرزقك كلَّ آله لا تقعدنَّ بذلَّ حالة
وانهضْ بكلِّ عزيمة فالمرءُ يعجزُ لا المحالة^(١)

لعلى بن يحيى
المنجم

ومن مليح ما قيل في القطائف قول على بن يحيى بن أبي منصور المنجم :
قطائفٌ قد حُشيتْ باللوزِ والسكرِ الماذي حشو الموز^(٢)
يسبح في آذى^(٣) دهن الجوز سررت لما وقعت في حوزى
سرور عباس يقرب فوز^(٤)

ومن ألفاظ أهل العصر في الحلواء : فالوذج بلباب البر ، ولعاب النحل ،
كأن اللوز فيه كواكب در ، في سماء عميق .

لابن الرومي
يف اللوزينج

ولم يقل أحد في صفة اللوزينج أحسن من قول ابن الرومي :
لا يحطّني منك لوزينج إذا بدا أعجب أو عجا
لوشاء أن يذهب في صخرة لسهل الطيب له مذهبا
لم تغلق الشهوة أبوابها إلا أبت زلفاه أن يحجبا
يدور بالنفحة في جامه دوراً ترى الدهن له لولبا^(٥)

(١) قد ترجمنا هذه المقامة الطريفة إلى الفرنسية في كتابنا

La prose Arabe au IV siècle de l'Hégire

(٢) الماذى : العسل

(٣) الآذى : الموج

(٤) فوز : هي معشوقة العباس بن الأحنف

(٥) اللولب : استدارة الماء

عَاوَنَ فِيهِ مَنظَرَ مَخْبَرًا مُسْتَحْسِنٌ سَاعِدًا مُسْتَعْدَبًا
 مُسْتَكْتَفُ الْحُسُوِّ وَلَكِنَّهُ أَرْقٌ جِلْدًا مِنْ نَسِيمِ الصَّبَا (١)
 كَأَنَّمَا قَدَّتْ جَلَابِيهُهُ مِنْ نَقْطَةِ الْقَطْرِ إِذَا حَبَّيَا (٢)
 يُخَالُ مِنْ رِقَّةٍ خِرْشَائِهِ (٣) شَارَكَ فِي الْأَجْنَحَةِ الْجُنْدُبَا (٤)
 لَوْ أَنَّهُ صُورَ مِنْ حُبْرِهِ نَعَرَ لَكَانَ الْوَاضِحَ الْأَشْنَبَا (٥)
 مِنْ كُلِّ بَيْضَاءٍ يَوَدُّ الْفَقِي أَنْ يَجْعَلَ الْكَفَّ لَهَا مَرْكَبَا
 مَدْهُونَةَ زَرْقَاءٍ مَدْقُوقَةٍ (٦) صَهْبَاءٍ تَحْكِي الْأَزْرَقَ الْأَشْهَبَا
 قَرَّةَ عَيْنٍ (٧) وَفَمِ حُسْنَتِ وَطَيَّبْتَ حَتَّى صَبَا مِنْ صَبَا
 دَيْفٍ لَهُ اللَّوْزُ ؛ فَمَا مُرَّةٌ مَرَّتْ عَلَى الذَائِقِ إِلَّا أَبِي (٨)
 وَانْتَقَدَ الشُّكْرَ نَقَّادُهُ وَشَاوَرُوا فِي تَقْدِهِ الْمَذْهَبَا
 فَلَا إِذَا الْعَيْنُ رَأَتْهُ نَبَتْ وَلَا إِذَا الصَّرْسُ عَلَاهُ نَبَا
 لَا تُنْكِرُوا الْإِدْلَالَ مِنْ وَامِقٍ وَجَّهَ تَلَقَّاءُكُمْ الْمُطَلْبَا

هذه الأبيات يقولها في قصيدة طويلة يمدح فيها أبا العباس أحمد بن محمد

ابن عبد الله بن بشر المرثدي ، ويهنيه ابن ولده ، وأولها :

شمسٌ وبدرٌ ولداً كوكبا أقسمتُ بالله لقد أنجبا

قال أبو عثمان سعيد بن محمد الناجم : دخلت على أبي الحسن وهو يعمل هذه

(١) رواية الديوان « أرق قشرا »

(٢) حب : صار ذا حب ، بالتحريك . ورواية الديوان « من أعين القطر

الذي قبا » وفي رواية أخرى « طبا »

(٣) الحرشاء : الجلدة الرقيقة (٤) الجندب : الجراد

(٥) الأشنب : من الشنب - بالتحريك - وهو رقة ورد وعدوية في الأسنان

(٦) كذا في الأصل . وفي الديوان « مدفونة » (٧) رواية الديوان « ملذعين »

(٨) يريد أن صانع اللوزينج كان يختبر اللوز ليطرح منه ما يجذبه مرارة

القصيدة ، قلت : لوتفَاءتَ فيها لأبي العباس بسبعة من الولد ؛ لأن أبا العباس منكوساً سابِعٌ ، لجاء المعنى ظريفاً ، فقال :

وقد تفاءلتُ له زاجِراً كُنَيْتَه ، لا زاجِراً تُعَلِّبَا
إِنِّي تَأَمَّلْتُ له كُنْيَةً إِذَا بَدَأَ مَمْلُوبُهَا أَعْجَبَا
يَصُوعُهَا الْعَكْسُ أَبَا سَابِعٍ لَا كَذَبَ اللهُ وَلَا خَيْبَا
بَلْ ذَاكَ قَالَ ضَامِنٌ سَبْعَةً مِثْلَ الصَّقُورِ اسْتَشْرَفَتْ مَرَقِبَا
يَأْتُونَ مِنْ صُلْبِ قَتَى مَا جِدِ وَذَاكَ قَالَ لَمْ يَعْزُدْ مَعْطَبَا
وَقَدْ أَنَا مِنْهُمْ وَاحِدٌ فَلَنَنْتَظِرُهُمْ سِتَّةً غُيْبَا
فِي مُدَّةٍ تَغْرُرُهَا نِعْمَةٌ يَجْعَلُهَا اللهُ له تَرْثُبَا (١)
حَتَّى نَرَاهُ جَالِسًا بَيْنَهُمْ أَجَلَ مَنْ رَضُوهُ وَمَنْ كَبَّكْبَا (٢)
كَالْبَدْرِ وَافَى الْأَرْضَ مِنْ نُورِهِ بَيْنَ نَجُومِ سَبْعَةٍ فَاجْتَبَى (٣)
وَلْيُشْكِرِ النَّاجِمُ عَنْ هَذِهِ فَإِنَّهَا مِنْ بَعْضِ مَا بَوَّبَا
سَدَى وَالْحَمْتُ أَخٌ لَمْ أَزَلْ أَشْكُرْ مَا أَسْدَى وَمَا سَبَّبَا

وكان ابن الرومي منهوماً في الماء كل ، وهي التي قتلته ، وكان مُعْجَباً بهم ابن الرومي
بالسمك ، فوعده أبو العباس المرثدي أن يبعث إليه كل يوم بوظيفة لا تنقطع ،
فبعث إليه يوم سَبْتٍ ، ثم قطعه ، فقال :

مَا لِحَيْتَانِنَا جَفْتَنَا وَأَنْتَى أَخْلَفَ الزَّائِرُونَ مَنْتَظِرِيهِمْ
جَاءَ فِي السَّبْتِ زَوْرُهُمْ فَأَتَيْنَا مِنْ حِفَاظٍ عَلَيْهِ مَا يَكْفِيهِمْ (٣)

(١) الترتب - على وزن قنفذ وجندب - الشيء المقيم الثابت

(٢) رضوى وكيبك : جبلان (م) (٣) اجتبي : جمع بين ظهره وساقه بعمامة

ونحوها . وهي جلسة معروفة عند أشرف العرب - كذا ، والصواب « فاجتبي »

بالجيم - أي اختار واجتبي (م) (٤) الزور : الضيف

وجعلناه يوم عيد عظيم فكأننا اليهود أو نخكهم
وأراهم مصممين على الهجر فلم يسخطون من يرؤضهم
قد سبتنا وما أتتنا وكانوا يوم لا يسبتون لا تأتهم
فاتصل ذلك بالناجم ، فكتب إلى ابن الرومي :

من الناجم إلى
ابن الرومي

أبا حسن أنت من لا ترا لئحمد في الفضل رجحانه
فكم تحسن الظن بالمرثدي وقد قلل الله إحسانه
ألم تدر أن الفتى كالسراب إذا وعد أوعد إخوانه
فبحر السراب يفوت الطلوب فقل في طلابك حيتانه

وخرج ابن الرومي إلى بعض المنزهات وقصدوا كرمًا رازقيًا ، فشرىوا
هناك عامة يومهم ، وكانوا يتهمونهم في شعره ، فقالوا : إن كان ما نئشدهنا لك
فقل في هذا شيئًا ، فقال : لا تر يموا حتى أقول فيه ، وأنشدهم لوقته :

لابن الرومي
يصف العنب
الرازقي

ورازقي محطف الخصور كأنه تخازن البلور
قد ضمنت مسكاً إلى الشطور وفي الأعلى ماء وزد جورى (١)
بلا فريد وبلا شذور له مذاق العسل المشور (٢)
وبرد مس الخصر المقرور ونكهة المنك مع الكافور (٣)
ورقة الماء على الصدور باكرته والطير في الوكور
بفتية من ولد المنصور أملاً للعين من البذور
حتى أتينا خيمة الناطور قبل ارتفاع الشمس للذرور (٤)

(١) جورى : نسبة إلى جور ، وهى مدينة فيروزاباد

(٢) من «شارالعسل يشوره» أى جناه

(٣) من الخصر - بالتحريك - وهو البرد ، والقر - بالضم - ومعناه البرد أيضاً

(٤) الذرور : الطلوع ، والناطور : حافظ الكرم والنخل

فانحط كالطأوي من الضفور
والحرث عبدُ الحلب المشطور
مملوءة من عسلٍ محصور
نمَّ جلسنا جلسةَ المحبور
أبيض مثل المهرق المنشور
ينسابُ مثل الحية المدعور
ناهيك للعقود من ظهور
وكل ما يُقضى من الأمور
تعلّة من يومنا المنظور
ومُتعة من مُتعة الغرور

ألفاظ تناسب هذا النحو لأهل العصر في صفات الفواكه والثمار

كزرم نُسلفه الماء القراح، ويقضينا أمهات الرّاح. عنقود كالثرثريا، وعنب
كخازن البلور، وضروب الثور، وأوعية السرور. أمهات الرحيق، في مخازن
العقيق. نخلٌ نُسلفه الماء، ويقضينا العسل. رطب كأنها شهيدة بالعقيق مُقنعة،
وبالعقيان مُقنعة. رُمان كأنه صرّ الياقوت الأحمر. سفرجل يجمع طيباً، ومنظراً
حسناً عجيباً، كأنه زئبر^(٥) الخبز الأغبر، على الديباح الأصفر. تفاح تفاح^(٦)،
يجمع وصف العاشق الوجل، والمعشوق الخجل، له نسيم العبير، وطعم السكر،
رسولُ الحب، وشبيه الحبيب. تين كأنه سفر مضمومة على عسل. مشمش
كأنه الشهد في بيادق الذهب.

(١) جمع أحور (٢) المحبور: السرور، ومسجور: مملوء

(٣) المهرق: الصحيفة (٤) السماط: الصف

(٥) الزئبر - بكر الزاي وسكون الهمزة وكسر الباء اللوحدة - هو ما يظهر من

درز الثوب (٦) يفتح بالرائحة العطرة

[بعض ما جاء في وصف الليل]

قال بعضُ الرواة : أنشدتُ أعرابياً قولَ جرير بن عطية بن الخطّافي :

أبدّلَ الليلُ لآسرى كواكبهُ أم طالَ حتى حَسبتَ النجمَ حَيْرَانا

لأعرابي في صف ليل لقاء فقال : هذا حسنٌ في معناه ، وأعوذ بالله من مثله ؛ ولكني أنشدك في ضده من قولي ، وأنشدني :

وليلٍ لم يُقَصِّرْهُ رُقَادٌ وقصّر طوله وصل الحبيب
نعيمُ الحبِّ أورق فيه حتى تناولنا جناهُ من قريب
بمجلسٍ لذّةٍ لم تقو فيه على شكوى ولا عدل الذنوب
بِحِلْمنا أن تقطعه بلفظٍ فترجعت العيون عن القلوب

لأعرابي يصف وفاءه لصعبه فقالت له : زدني ، فما رأيت أظرف منك شعراً ؛ فقال : أمّا هذا الباب فحسبك ، ولكن أنشدك من غيره :

وكنّت إذا علقتُ حبالَ قومٍ وصحبهم وشييتي الوفاء
فأحسن حين يُحسنُ محسنوهم وأجتنب الإساءة إن أساءوا
أشاء سوى مشييتهم فأني مشييتهم وأترك ما أشاء

لجرير يصف يوم صيد فلما بلغت إلى قوله : قرأتُ على أبي مُخَذِرٍ خلف بن حيان الأحمريّ شعراً جريراً ،

ويوم كإبهام القطاة محببٌ إلى صباهُ غالبٌ لي باطله
رُزِقنا به الصّيدَ العزيز ولم نكن كمن نبههُ محزومةٌ وحباثله
فيالك يومٌ خيرُهُ قبل شرِّه تغيب واشيه وأقصرَ عاذله

فقال خلف : ويحه ! فما ينفعه خيرٌ يؤول إلى شرٍّ ؟ فقالت له : كذا قرأته على أبي عمرو بن العلاء ، فقال لي : وكذا قال جرير ، وما كان أبو عمرو ليقرئك إلاّ ماسمع ، قلت : فكيف كان يجب أن يكون ؟ قال : الأجود أن

يقول: خيره دون شره، فأزوه كذلك، فقد كانت الرواة قديماً تُصَلِّحُ أشعار الأوائل، فقلت: والله لا أرويه بعدها إلا كذا.

لإبراهيم بن
العباس يصف
قصر الليل

ومن أجود ما قيل في قصر الليل قول إبراهيم بن العباس:

وليلة من الليالي العريِّ قابلتُ فيها بَدْرَها بَدْرِي
لم تكْ غير شفقٍ وفجرٍ حتى تَقَصَّتْ وهي بَكْرُ الدَّهْرِ

للأصبهاني
يصف يوم لهو

وقال محمد بن أحمد الأصبهاني فيما يتعلق بهذا المعنى وإن كان في ذكر النهار:

كيف يُرْجَى لَمَلَّتِي هُدُوٌّ ورُقَادِي لَطْرَفِ عَيْنِي عَدُوٌّ
بِأَبِي مَنْ نَعِمْتُ مِنْهُ بِيَوْمٍ لم يَزَلْ للسرورِ فِيهِ نَمُوٌّ
يَوْمَ لَهْوٍ قَدْ التَّقَى طَرْفَاهُ فَكَأَنَّ العَشِيَّ فِيهِ عُدُوٌّ
إِذْ لَشَخْصِ الرَّقِيبِ فِيهِ ثَنَاءٌ ولبَدْرِ السَّمَاءِ مِنِّي دُؤُوٌّ

لابن المعتز
يصف ليل
سرور

وقال ابن المعتز:

يارب ليلٍ سَحَرُ كُلِّهِ مَفْتَضَحِ البَدْرِ عَلِيلِ النَّسِيمِ
تَلْتَقِطُ الأَنْفَاسُ بَرْدَ النَّدى فِيهِ فَهَدِيهِ لِجَرِّ الهُمُومِ
لا أَعْرِفُ الإصْبَاحَ لَمَّا بَدَا فِي ضَوْئِهِ إِلا بِسُكْرِ النَّدِيمِ
لَبِستُ فِيهِ بِالتَّنَازُحِ الهَوَى وَلذَّةِ الرَّاحِ ثِيَابِ التَّعِيمِ

(١) وصف منبج

بين الرشيد
وعبد الملك بن
صالح

أخذ قوله: «سَحَرُ كُلِّهِ» من قول عبد الملك بن صالح بن علي، وقد قال له الرشيد لما دخل منبج: أهذا منزلك؟ قال: هو لك، ولي بك يا أمير المؤمنين، قال: كيف بناؤه؟ قال: دون منازل أهلي، وفوق منازل الناس، قال:

(١) بلد قديم ينسب إليه كثير من الشعراء أشهرهم البحري وأبو فراس

(٢) رواية ياقوت: «أهذا البلد منزلك؟»

وكيف ذلك وقدرك فوق أقدارهم؟ قال: ذلك خلق أمير المؤمنين أتاسى به،
وأفقر أثره، وأخذو حذوه، قال: فكيف طيب منبج؟ قال: عذبة الماء،
قليلة الأذواء، قال: فكيف ليئها؟ قال: سحر كله^(١)؟
وأخذ هذا الطائي فقال:

لأبي تمام

أيامنا مصقولة أطرافها بك، والليالي كلها أسحار

ولأهل العصر، قال أبو علي محمد بن الحسين بن المظفر الخاتمي:
يارب ليل سرور خيلته قصرأ كعارض البرق في أفق الدجاجة
قد كاد يعثر أولاه بأخره وكاد يسبق منه فجره الشفقا
كأنما طرفاه طرف انفق الجفنان منه على الإطباق وأفترقا

للخاتمي

الفاظ في هذا المعنى لأهل العصر

ليلة من حسنة الدهر، هواؤها صحيح، ونسيمها عليل. ليلة كبريد
الشباب، وبرد الشراب. ليلة من ليالي الشباب، فضية الأديم، مسكية
النسيم. ليلة هي لمعة العمر، وغرة الدهر. ليلة مسكية الأديم، كافورية النجوم.
ليلة رقد الدهر عنها، وطلعت سعودها، وغابت عذالها. ليلة كالمسك منظرها
ومخبؤها. ليلة هي باكورة العمر، وبكر الدهر. ليلة ظلماتها أنوار، وطوال
أوقاتها قصار.

(١) زاد ياقوت في معجم البلدان «قال: صدقت، إنها الطيبة، قال: بل طابت بأمر
المؤمنين، وأين يذهب بها عن الطيب؟ وهي برة حمراء، وسنبلة صفراء، وشجرة خضراء، في
فيف فيح، بين قيصوم وشيح؟» قال الرشيد: هذا الكلام والله أحسن من الدر النظيم

[سعيد بن هريم ، وصلته بالفضل بن سهل]

كان سبب اتصال سعيد بن هريم بندي الرياستين الفضل^(١) - وسمي ذا الرياستين لأنه جمع بين رياسة القلم ورياسة التدبير للمأمون - أنه دخل عليه يوماً ، فقال : «الأجل آفة الأمل ، والمعروف ذخراً الأبد ، والبر غنيمة الحازم ، والتفريط مصيبة أخى القدرة ، وإنا لم نصن وجوهنا عن سؤالك ، فصن وجهك عن ردنا ، وضعنا من إحسانك بحيث وضعنا أنفسنا من تأمليك » .

فأمر أن يكتب كلامه ، وسماه سعيداً الناطق ، ووصله للمأمون^(٢) فخص به . فلحقته في بعض الأوقات جفوة من الفضل ، فكتب إليه : « يا حافظ من يضع نفسه عنده ، ويا ذا كرم من نسي نصيبه منه ، ليس كتابي إذا كتبت استبطاء ، وما إمساكي إذا أمسكت استغناء ؛ فكتبت مذكراً لا مستقصراً ففعلك » فوصله وأحسن إليه

وقد روى بعض هذا الكلام المنسوب إلى سعيد بن هريم لأبي حفص الكرماني مع ذي الرياستين .

ويقول أبو محمد عبد الله بن أيوب التيمي :

للتعيمي يمدح
الفضل بن سهل

لعمرك ما الأشراف في كل بلدة
ترى عظماء الناس للفضل خشعاً
وإن عظموا للفضل إلا صنائع
إذا ما بدا ، والفضل لله خاشع
تواضع لِمَا زاده الله رفعة
وكل جليل عنده متواضع

لإبراهيم بن
العباس يمدح
الفضل

وقال إبراهيم بن العباس :
الفضل بن سهل يد
تقاصر عنها المثل

(١) هو الفضل بن سهل ، ولد سنة ١٥٤ في سرخس ، وتوفي به سنة ٢٠٢ ، اتصل بالمأمون في صباه ، وأسلم على يده سنة ١٩٠ ، وصحبه قبل أن يلي الخلافة ، فلما ولي اجعل له الوزارة وقيادة الجيش معاً . وقد مات قتيلًا في الحمام وهو في سرخس . وقيل : إن المأمون أعان على قتله ليخلص من سلطانه (٢) كذا ، ولعله « ووصله بالمأمون » (م)

فَبَاطِنُهَا لِلنَّدَى وَظَاهِرُهَا لِلقَبْلِ
وَبَسَطْنَاهَا لِلغِنَى وَسَطَوْنَاهَا لِلْأَجْلِ

أخذه ابن الرومي فقال لإبراهيم بن المدبر:

لا ابن الرومي
يمدح إبراهيم
ابن المدبر

أصْبَحْتُ بَيْنَ ضَرَاةٍ وَتَجْمَلٍ وَالسَّرَّهَ بَيْنَهُمَا يَمُوتُ هَزِيلًا
فَأَمَدْتُ إِلَى يَدَا تَعْوَدَ بَطْنُهَا بَدَلَ النِّوَالِ وَظَهَرُهَا التَّقْيِيلَا

لا ابن الرومي
يمدح ابن طاهر

وقال يمدح عبيدالله بن عبدالله بن طاهر، وزاد في هذا المعنى تشبيها ظريفاً:
مَقْبَلُ ظَهْرِ الكَفِّ وَهَابُ بَطْنِهَا لَهَا رَاحَةٌ فِيهَا الحَطِيمُ وَزَمْرَمُ
فَظَاهِرُهَا لِلنَّاسِ رُكْنٌ مَقْبَلٌ وَبَاطِنُهَا عَيْنٌ مِنَ العُرْفِ عَيْمٌ^(١)

وكان ذو الرياستين يَقْبَلُ صَوَابَ القَائِلِينَ بِمَا فِي قُوَّتِهِ مِنْ صَفَاءِ الغَرِيْزَةِ ،
وَجَوَادَةَ النَّحِيْزَةِ^(٢) فَهوَ كَمَا قَالَ أَبُو الطَّيْبِ :

من ترجمة
الفضل بن سهل

مَلِكٌ مُنْشِدُ القَرِيضِ نَدِيهِ يَضَعُ الثَّوْبَ فِي يَدَيْ بَرَّازِ

وكانت مخايل فضاه، ودلائل عقله، ظهرت ليحيى بن خالد وهو على دين
المجوسية، فقال له: أسلم أجد السبيل إلى اصطناعك، قال: فأسلم على يد
المأمون، ولم يزل في جنبته^(٣)، إلى أن رقى إلى رتبته.

وذكره يحيى عند الرشيد فأجمل الثناء، فأمر بإحضاره، فلما رآه أفجم؛ فنظر
الرشيد إلى يحيى كالمستفهم؛ فقال: يا أمير المؤمنين، إن من أدل دليل على
فراهة المملوك أن تملك هيئة مولاه لسانه وقلبه، فقال الرشيد: لئن كنت
سكت لكى تقول هذا فقد أحسنت، ولئن كان هذا شيئاً اعتراك عند الخصر
لقد أجدت؛ وزاد في إكرامه وتقريبه، وجعل لا يسأله بعد ذلك عن شيء إلا
أجابه بأفصح لسان، وأجود بيان.

(١) عيماً: كثيرة الماء، والعيماً أيضاً: البحر (٢) النحيزة: الطبيعة
(٣) جنبته جا: نبه (م).

قال سهل بن هارون : وما حُفِظَ من كلام ذي الرياستين مما رأينا تَحْنِيدَهُ
 في السكتب ؛ ليؤتمَّ به ، ويُنتَفَعَ بِمِقْوَلِ حِكْمَتِهِ ، قَوْلُهُ : مَنْ تَرَكَ حَقًّا فَقَدْ غَبِنَ
 حَقًّا . وَمَنْ قَضَى حَقًّا فَقَدْ أَجْرَزَ غُنْمًا ، وَمَنْ أَتَى فَضْلًا فَقَدْ أَوْجَبَ شُكْرًا ،
 وَمَنْ أَحْسَنَ تَوَكُّلاً لَمْ يَعدِمِ مِنَ اللَّهِ صُنْعًا ، وَمَنْ تَرَكَ لِلَّهِ شَيْئًا لَمْ يَجِدْ لِمَا تَرَكَ
 قَدْرًا ، وَمَنْ اتَّمَسَ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ حَمْدًا عَادَ ذَلِكَ عَلَى مُلْتَمِسِهِ ذِمًّا ، وَمَنْ طَلَبَ
 بِخِلَافِ الْحَقِّ لَهُ دَرَكًا عَادَ مَا دَرَكَ مِنْ ذَلِكَ لَهُ مُوَبَقًا^(١) ؛ وَذَلِكَ أَوْجَبَ الْفَلَاحَ
 لِلْمُحْسِنِينَ ، وَجَعَلَ سُوءَ الْعَاقِبَةِ لِلْمُسِيئِينَ الْمُقْصِرِينَ .

وَوَقَّعَ فِي رُقْعَةٍ سَاعِجٍ : نَحْنُ نَرَى قَبُولَ السَّعَايَةِ شَرًّا مِنْهَا ؛ لِأَنَّ السَّعَايَةَ
 دَلَالَةٌ ، وَالْقَبُولَ إِجَازَةٌ ، وَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى شَيْءٍ وَأَخْبَرَ بِهِ كَيْنَ قَبْلَهُ وَأَجَازَهُ ؛
 فَاتَّقُوا السَّاعِيَّ ؛ فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ فِي سَعَايَتِهِ صَادِقًا لَكَانَ فِي صِدْقِهِ آثَمًا ؛ إِذْ لَمْ يَحْفَظْ
 الْجُرْمَةَ ، وَلَمْ يَسْتِرِ الْعَوْرَةَ .

والشئ يقرن مع جلسه : كتب محمد بن علي إلى محمد بن يحيى بن خالد ،
 وكان واليا على أرمينية للرشيد : إن قوما صاروا إلى سبيل التصح فذكروا ضياعا
 بأرمينية قد عفت ودرست^(٢) ، يرجع منها إلى السلطان مال عظيم ، وإني وقفت
 عن المطالبة حتى أعرف رأيك .

فكتب إليه : قرأت هذه الرقعة المذمومة ، وفهمتها ، وسوق السعاية
 بحمد الله في أيامنا كاسدة ، وألسنة الشعاع في أيامنا كليلية خاسئة ؛ فإذا قرأت
 كتابي هذا فأحمل الناس على قانونك ، وخذهم بما في ديوانك ؛ فإننا لم نولك
 الناحية ، لتتبع الرسوم العافية ، ولا لإحياء الأعلام الدائرة ، وجنبي وتجنّب
 بيت جرير يخاطب الفرزدق :

(١) الدرك - بالتحريك - اللحاق ، والموبق : المهلك (م)

(٢) عفت ودرست : كلاهما بمعنى ذهبت معالمها (م)

(٢ - زهر الآداب ٢)

من محمد
 ابن علي إلى
 محمد بن يحيى
 ابن خالد

جواب يحيى
 ابن خالد

وَكُنْتَ إِذَا حَلَلْتَ بَدَارَ قَوْمٍ رَحَلْتَ بِخَزِيَّةٍ وَتَرَكْتَ عَارًا
وَأَجْرَ أُمُورِكَ عَلَى مَا يَكْسِبُ الدُّعَاءَ لَنَا لَا عَلَيْنَا ، وَعَلِمَ أَنَّهَا مَدَّةٌ تَنْتَهَى ،
وَأَيَّامٌ تَنْقُضِي ، فَإِمَّا ذِكْرٌ جَمِيلٌ ، وَإِمَّا خِزْيٌ طَوِيلٌ .

رجل يريد أن
ينصح المهدي

وقال رجلٌ للمهدي: عندي نصيحةٌ يا أمير المؤمنين ، فقال: لمن نصيحتك
هذه؟ لنا ، أم لعامة المسلمين ، أم لنفسك؟ قال: لك يا أمير المؤمنين^(١) ، قال:
ليس الساعي بأعظم عورةً ولا أقبح حالاً ممن قيل سعيته ، ولا تخلو من أن
تكون حاسداً نعمة ، فلا تشفي غيظك ، أو عدواً فلا تعاقب لك عدوك! ثم
أقبل على الناس فقال: لا ينصح لنا ناصحٌ إلا بما فيه الله رضا ، وللمسلمين صلاح؛
فإنما لنا الأبدان وليس لنا القلوب؛ ومن استتر عنّا لم نكشفه ، ومن بادأنا طلبنا
توبته ، ومن أخطأ أقلنا عثرته؛ فإني أرى التأديب بالصفح أبلغ منه بالعقوبة ،
والسلامة مع العفو أكثر منها مع المعالجة ، والقلوب لا تبتغي لوالٍ لا ينعطف إذا
استعطف ، ولا يعفو إذا قدر ، ولا يغفر إذا ظفر ، ولا يرحم إذا استرحم .

ووقع ذو الرياستين إلى تميم بن خزيمة: الأمور بتامها ، والأعمالُ بحواتمها ،
والصنائعُ باستدامتها ، وإلى الغاية يجزي الجواد؛ فهناك كشفت الخبزة قناع
الشك؛ فحمد السابق ، وذم الساقط

بعض توقعات
الفضل بن سهل

وذو الرياستين هو القائل:

أَنْصَيْتِ أَحْرَفَ «لَا» مِمَّا لَفَّظْتَ بِهَا فَحَوَّلِي رَحْلَهَا عَنَّا إِلَى نَعْمٍ
أَوْ صَيَّرِيهَا إِلَيْهَا مِنْكَ مَنَعَةً إِنْ كُنْتَ حَاوَلْتَ فِيهَا خِيفَةَ الْكَلِمِ^(٢)

(١) لم نرف في الأصل ذكراً للنصيحة . والظاهر من كلام المهدي أن ذلك «الناصح»
ذكر أصحاب المهدي بسوء؛ فقال المهدي: ليس الساعي الخ . فليلاحظ القارئ
تلك الجملة التي ضاعت ليظهر له ربط الكلام . قلت: ليس هذا بلازم ، بل يجوز أن
يكون المهدي قد قطع عليه أن يسعى بما أجاب به من الكلام (م)

(٢) الضمير في صيرها «يعود إلى «لا» وفي «إليها» يعود إلى «نعم» وكأنه
قال: صيرى لا إلى نعم (م)

قَسَمَ عَلَيْنَا فَعَارَضْنَا قِيَادَةَكُمْ يَا أَحْسَنَ النَّاسِ مِنْ قَرْنٍ إِلَى قَدَمٍ
وَلَمَّا قَتَلَ ذُو الرِّيَاسَتَيْنِ دَخَلَ الْمَأْمُونُ عَلَى أُمِّهِ فَقَالَ : لَا تَجْزَعِي فَإِنِّي أَبْنُكَ
بَعْدَ ابْنِكَ ، فَقَالَتْ : أَفَلَا أَبْنُكَ عَلَى ابْنِ أَسْتَبْنِي ابْنًا مِثْلَكَ ؟

[بعض أوصاف الخليل]

ووصف ابن القرية^(١) فرساً أهدها الحاجُّ إلى عبد الملك بن مروان فقال : لابن القرية
حَسَنُ الْقَدِّ ، أَسِيلُ الْخَدِّ ، يَسْبِقُ الطَّرْفَ ، وَيَسْتَعْرِقُ الْوَضْفَ .

وأهدى عبد الله بن طاهر إلى المأمون فرساً وكتب إليه : قد بعثتُ إلى
أمير المؤمنين بفرسٍ يلحق الأرانب في الصَّعداءِ ، ويمجاوزُ الطُّبَاءَ في الاستواءِ ،
ويسبق في الخدور جري الماء ، فهو كما قال تأبط شراً :

وَيَسْبِقُ وَفْدَ الرِّيحِ مِنْ حَيْثُ يَنْتَجِي بِمُنْحَرِقٍ مِنْ شَدِّهِ الْمَتَدَارِكِ

وقال رجل لبعض النخاسين : اشتري لي فرساً جيِّدَ القميصِ ، حسنَ
الفصوصِ ، وثيقَ القصبِ ، نقيَّ العصبِ ، يُشِيرُ بِأُذُنَيْهِ ، وَيَنْدِسُ بِرِجْلَيْهِ^(٢) ،
كأنه موجٌ في لجةٍ ، أو سَيْلٌ في خدور .

جمع محمد بن الحسين^(٣) هذين الكلامين وزاد فقال يصف فرساً : هُوَ حَسَنُ
القميصِ ، جيِّدُ الفصوصِ ، وثيقُ القصبِ ، نقيُّ العصبِ ، يُبْصِرُ بِأُذُنَيْهِ ،
وَيَتَبَوَّعُ بِيَدَيْهِ^(٤) ؛ وَيُدْأَخِلُ بِرِجْلَيْهِ ، كأنه موجٌ في لجةٍ ، أو سَيْلٌ في خدور ،
يناهب المشي قبل أن يُبْعَثَ ، ويلحق الأرانب في الصعداءِ ، ويمجاوزُ جوارى
الطبَّاءِ في الاستواءِ ، ويسبق في الخدور جري الماءِ ، إن عطف جَارَ ، وإن أرسل
طار ، وإن كلف السير أَمَعَنَ وسار ، وإن حُبَسَ صَمَنَ^(٥) ، وإن استوقف فطن ،
وإن رعى ابن^(٦) ؛ فهو كما قال تأبط شراً ، وذكر البيت .

(١) هو أيوب بن زيد للتوفى سنة ٨٤ هـ (٢) يندس : يضرب (٣) سماه النويري
في نهاية الأرب (٦٩/١٠) محمد بن الحسن بن الحرون (م) (٤) التبوع : إبعاد خطو الفرس
في جريه (٥) صمن الفرس : قام على ثلاث قوائم وطرف حافر الراجعة (٦) ابن : ترقب

آيات لتأبط
شرا

وأول هذه الآيات :

وإني لمُهَدِّدٌ من تَنَائِي قَقَاصِدُ
أَهْرُزُ بِهِ فِي نَدْوَةِ الْحَيِّ عَطْفَهُ
قَلِيلُ التَّشْكِيِّ لِلْعَلِمِ يُصِيبُهُ
يَظَلُّ بِمَوْمَاةٍ وَيُمْسِي بِقَيرِهَا
وَيَسْبِقُ وَفَدَ الرِّيحِ مِنْ حَيْثُ يَنْتَحِي
إِذَا خَاطَ عَيْنِيهِ كَرَى النُّومِ لَمْ يَزَلْ
إِذَا طَلَعَتْ أُولَى العَدُوِّ فَفَنَقَرُهُ
وَيَجْعَلُ عَيْنِيهِ رَيْثَةَ قَلْبِهِ
إِذَا هَزَّهٗ فِي عَظْمِ قَرْنٍ تَهَلَّتْ
يَرَى الوَحْشَةَ الأَنْسِ الأَنْسِ وَيَهْتَدِي

وأهدى عمرو بن العاص إلى معاوية ثلاثين فرساً من سوابق خيل مصر ،
فعرّضت عليه ، وعنده عقبة بن سنان بن يزيد الحارثي ، فقال له معاوية : كيف
ترى هدايانا يا أبا سعيد ؟ فإن أخاك عمراً قد أطنب في وصفها ، فقال : أراها
يا أمير المؤمنين على ما وصف ، وإنما الخيالة^(١) بكل خير ؛ إنها لسايسة العيون ،
لاحقة البطون ، مصغية الأذان ، قبّاء الأسنان^(٢) ، ضخام الرُّكبات ، مشرفات

عقبة بن سنان
يصف خيلا
أهداها عمرو
ابن العاص
لمعاوية

(١) الندوة : المجتمع ، والهجان : الإبل الكريمة ، والأوارك : زاعية الأراك
(٢) المومة : الفازة ينعدم فيها الماء ، وجحيش : متفرد ، ويعروري : يركب
على العري ، يريد أنه يركب ظهور المهالك بلا سرج وهو تعبير بدوي
(٣) الكاليء : الحافظ ، والشيخان : الحازم ، يريد أن قلبه يقظ وإن نامت
عينه ، وفي الأصل « سبحان »

(٤) الربيثة : الرقيب ، والصائك : القاطع ، وفي الأصل « صابك »
(٥) أم النجوم الشوابك : هي الشمس (٦) مخيلة : مبشرة (٧) قبّاء : لها صرير

الحجبات^(١)، رِحَابُ الْمَنَآخِرِ، صِلَابُ الْخَوَافِرِ، وَقَعْمَا تَحْلِيلٍ، وَرَفْعَهَا تَعْلِيلٌ^(٢).
فهذه إن مُطْلِمَتٍ سَبَقَتْ، وَإِنْ طَلَبْتَ لَحِقَتْ. قال له معاوية: اصرفها إلى
رَحْلِكَ؛ فَإِنْ بِنَا عَنْهَا غَنِيٌّ، وَبِفَتْيَانِكَ إِلَيْهَا حَاجَةٌ.

للناطقة الجعدى

وقال الناطقة الجعدى:

وَإِنَّا أَنَاسٌ لَا نَعُودُ خَيْلِنَا إِذَا مَا التَّقِينَا أَنْ تَحْمِيدَ وَتَنْفِرَا
وَنُنْكَرُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَوْ أَنْ خَيْلِنَا مِنْ الطَّعْنِ حَتَّى نَحْسِبَ الْجَوْنَ أَشْقَرَا^(٣)
فَلَيْسَ بِمَعْرُوفٍ لَنَا أَنْ نَرُدَّهَا صِحَّاحًا، وَلَا مُسْتَنْكَرًا أَنْ نُعَقِّدَا

لبعض العرب

وقال بعض العرب:

وَلَقَدْ شَهِدْتُ الْخَيْلَ يَوْمَ طَرَادِهَا بِسَلِيمٍ أَوْظِفَةَ الْقَوَائِمِ هَيْكَلِ^(٤)
فَدَعَوْا: نَزَالٍ! فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ وَعَلَامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزَلِ
وَوَصَفَ أَعْرَابِي فَرَسًا قَقَالٍ: لَمَّا أُرْسِلَتْ الْخَيْلُ جَاءُوا بِشَيْطَانٍ فِي أَشْطَانِ^(٥)،
فَأَرْسَلُوهُ، فَمَعَّ لَمَعَ الْبَرْقِ، وَاسْتَهْلَلَّ الْوَدْقِ^(٦)، فَكَانَ أَقْرَبَهُمْ إِلَيْهِ
الَّذِي يَتَمَعُّ عَيْنَهُ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِ.

لأعرابي

وَذَكَرَ أَعْرَابِي رَجُلًا قَقَالٍ: عِنْدَهُ فَرَسٌ طَوِيلٌ الْعِدَارِ، أَمِينُ الْعِثَارِ؛
فَكُنْتُ إِذَا رَأَيْتَهُ عَلَيْهِ ظَنَنْتُهُ بَازِيًا عَلَى مَرَبَأٍ، عَلَيْهِ رُمُحٌ طَوِيلٌ يَقْصُرُ بِهِ الْأَجَالَ.
وقال بعض المحدثين في هذا التطابق:

لأعرابي

لَقِينَاهُمْ بِأَرْمَاحِ طَوَالٍ تُبَشِّرُهُمْ بِأَعْمَارٍ قِصَارِ

- (١) جمع حجة - بالتحريك - وهى من الفرس ما أشرف على صفاق البطن من
وركيه (٢) التحليل والتعليل: من حركات الخيل
(٣) الجون: الأسود (٤) الأوظفة: جمع وظيف، وهو مستدق الذراع
والساق من الخيل والإبل وغيرها، والهيكل: الفرس الطويل
(٥) الأشطان: جمع شطن - بالتحريك - وهو الخيل (٦) الودق: المطر

أعرابي يصف خيل بني يربوع نغم^(١) ، كأن هوائها أعلام ، وأذناها أقلام ، وفرسانها أسود آجام^(٢) .

ولما أنشد العماني الرشيد يصف فرساً :

كَأَنَّ أذْنَيْهِ إِذَا تَشَوَّفَا قَادِمَةً أَوْ قَلَمًا مُحَرَّفَا

ولحن ، ففهم ذلك أكثر من حضر ؛ فقال الرشيد : اجعل مكان « كأن » تحال ، فمجبوا لسرعة تهديده .

وللطائيين في هذا النوع أشعار كثيرة معني من اختيارها كثرة اشتهاها ؛ لأن تمام يصف فرسا وسأشد بعض ذلك ، قال أبو تمام :

ما مقرب^(٣) يحتمل في أشطانه
بحوافر خفير وصلت أصلت^(٤)
ذو أولق تحمت العجاج ، وإنما
صافي الأديم كأنما ألبسته
إمليسة إمليدة لو علقت
مُسودَّ شطرٍ مثل ما سودَّ الدجى

ملان من صلف به وتلهوق^(٥)
وأشاعرٍ شعر^(٦) وخلق أخلق
من صفة إفراط ذلك الأولق^(٧)
من سندس برداً ومن إستبرق
في صهوتيه العين لم تعلق^(٨)
مبيض شطرٍ كإبيضاض المهرق^(٩)

(١) النغم : غبار الحرب

(٢) الآجام : جمع أجمة - بفتحات - وهي مسكن الأسود (م)

(٣) المقرب والمقربة - على صيغة المفعول - الفرس التي تدنى وتقرب لتلايطرقها

فحل لثيم (٤) التلهوق : بريق الياض في الفرس (٥) الصلت : الجبين الواضح

(٦) الأشاعر : جمع أشعر ، وهو ما استدار بالحافر من منتهى الجلد

(٧) الأولق : الجنون (٨) الصهوة : موضع السرج من فرس الفرس ، والشاعر

يصف الفرس بأنه إمليسة إمليدة أي ناعم اللبس براق .

(٩) المهرق : الصخيفة

للبحثرى يصف
فرسا

وقال أبو عبادة :
وأغرَّ في الرَّمَنِ البهيمُ مُحَجَّلٌ
وَإِنِّي الضُّلُوعُ يَشُدُّ عَقْدَ حِزَامِهِ
يهوى كاهوتِ العقابِ إِذْ أَرَأَتْ
متوحَّشٍ بَدِيقَتَيْنِ كَأَنَّمَا
كَلَارِأَحُ النَّشْوَانُ أَكْثَرُ مَشِيهِ
ويظنُّ رِيحَانَ الشَّبَابِ يَرُوعُهُ
هَزَجُ الصَّهِيلِ كَانَ فِي تَبْرَاتِهِ
تَتَوَهَّمُ الْجُوزَاهُ فِي أَرْسَائِهِ
صَافِي الأَدِيمِ كَأَنَّمَا عُيِّنَتْ لَهُ
وَكَأَنَّمَا كَسَى الخُلُودَ نَوَاعِمًا
وَكَأَنَّمَا نَفَضَتْ عَلَيْهِ صِبْغَهَا
قد رختُ منه على أغرِّ مُحَجَّلٍ (١)
يومَ اللقَاءِ على مُعِمِّ مُخَوِّلٍ
صِيدًا وَيَنْتَصِبُ انْتِصَابَ الأَجْدَلِ (٢)
تُرْيَانٍ مِنْ وَرَقٍ عَلَيْهِ مُوَصَّلٍ (٣)
عرض على السَّنَنِ البعيدِ الأَطْوَلِ
من نَشْوَةٍ أَوْ جِنَّةٍ أَوْ أَفْكَلٍ (٤)
نَفَاتٍ مَعْبَدَةٍ فِي التَّقِيلِ الأَوَّلِ
والبَدْرِ غُرَّةٌ وَجَبْهَةُ التَّهْلِيلِ
بِصَفَاءِ نُقْبَتِهِ مَدَاوِكُ صَيْقِلٍ (٥)
مَهَا تَلَاخِظَهَا بِلَخْظِ يَنْجَلِ
صَهْبَاءِ اللِّبْدَانِ (٦) أَوْ قَطْرَبِلٍ (٧)

- (١) البهيم : المظلم ، والغرة والتحجيل : يياض في الجبهة والقوام ، والأغر المحجل هو الفرس ، وهو مجازاً الرجل الكريم
(٢) الاجدال : الصقر (٣) الدقيقتان : صفة للساقين (٤) الأفكل : الرعدة
(٥) المداوك : جمع مدوك ، وهو المصقلة بكسر الميم فهما ، يقال : داك الصيقل السيف وسنه بالمدوك . وأخذنا في الدوك وهو تسوية الحلية وزينها
(٦) البردان ، بالتحريك ، اسم لعدة أما كن ، والمراد به هنا الموضع الذي كان بهذا الاسم قرب بغداد ، وكان مشهوراً بالبحر ، وفيه يقول جحظة :
ادفع ورود الهم عنك بهوة مخزونة في حانة الجمار
جازت مدى الأعمار ؛ فهي كأنها عند المذاق تزيد في الأعمار
يسعى بها خنت الجفون منم في خده ماء النضارة جار
في رقة البردان بين مزارع محفوفة بينفسج وبهار
بلد يشبه صيفه بحريفه رطب الأصائل بارد الأسجار
(٧) قطربل بضم فسكون ثم فتح الراء وباء موحدة مشددة مضمومة ولام ، اسم قرية

مَلَكَ الْعَيْونَ ؛ فَإِنْ بَدَأَ أُعْطِيَهُ نَظَرَ الْمُحِبِّ إِلَى الْحَبِيبِ الْقَبْلِ
وقال إسحاق بن خلف التميمي رواه لأبي دلف ، وكان له فرس أدهم

إسحاق بن
خلف يصف
فرس أبي دلف

كَمْ كَمْ تَجَرَّعَ لِنونٍ وَيَسْلُمُ
من كل منبت شعرة من جلده
ما تُدْرِكُ الأرواحُ أَدْنَى جَرِيهِ
رَجَعَتْهُ أَطْرَافُ الأَسِنَّةِ أَشْقَرًا
وكانما عقد النجوم بطرفه
لو يستطيعُ شكا إليك له الفمُ
حَطَّ يَنْمُقُهُ الحُسامُ لِلْمُخْذَمِ (١)
حتى يَفُوتَ الرِّيحَ وهو مُقَدَّمُ
واللونُ أدهمُ حينَ ضَرَجَهُ الدَّمُ
وكانه يُعْرَى المِجْرَةَ مُلْجَمُ

وقال أبو الطيب :

جَفَّتَنِي كَأَنِّي لَسْتُ أَنْطِقَ قَوْمِهَا
وأطعمهم والشهب في صور الدهم

وقال أبو الفتح كشاجم :

قد راح تحت الصُّبْحِ لَيْلٌ مُظْلَمٌ
ديباجُ ألوانِ الجِيادِ ، ولم يكن
ضَحِكُ الأَجْبِينِ على سوادِ أديمه
فكانه بينات نعشٍ ملببٌ
إذ لاح في السَّرْجِ الحَلِي الأدهمُ
لِيُخَصَّ بالدِيباجِ إلا الأكرمُ
وكذا الظلامُ تُبِيرُ فيه الأَنجمُ
وكانما هوَ بالثريا مُلْجَمُ

لأبي الفتح
كشاجم

قلت : هذا من قول ابن المعتز :

أَلَا فاسقِيانِي والظلامُ مُقَوِّضٌ
ونجمُ الدُّجَى تحتِ المغاربِ يَرَكُضُ

لابن المعتز

= بين بغداد وعكبر ينسب إليها الحمر . وكانت لها أخبار كثيرة تنسج لكتاب في عدة مجلداته كما قال ياقوت ، إذ كانت ملعبا للاهين من شعراء الحمر والمجون (١) المخدّم : القاطع

كَأَنَّ الثَّرِيَاءَ فِي أَوَاخِرِ لَيْلِهَا
وَقَالَ أَبُو الْفَتْحِ :

تَفْتَحُ نَوْرًا أَوْ لِيَامًا مَفْضُضًا

لأبي الفتح
أيضاً

مَنْ شَكَ فِي فَضْلِ الْكَمِيَّتِ فَيِنَّهُ

فِيهِ وَبَيْنَ يَمِينِهِ الْمِضَارُ

فِي مَنْظَرٍ مُسْتَحْسَنٍ مَحْمُودَةٍ

أَخْبَارُهُ إِذَا تُبْتَلَى الْأَخْبَارُ

مَاءٌ تَدْفُقُ طَاعَةً وَسَالَسَةً

فَإِذَا اسْتُدِرَّ الْخَضْرُ فِيهِ فَنَارُ

وَإِذَا عَطَفَتْ بِهِ عَلَى نَاوِرَدِهِ

لِتُدِيرَهُ فَكَأَنَّهُ بِرِكَارُ

وَصَفِ الْخَلُوقِ أَدِيمُهُ فَكَأَنَّمَا

أَهْدَى الْخَلُوقَ جَلْدِيهِ عِطَارُ^(١)

قَصْرَتْ قِلَادَةُ نَجْرِهِ وَعِذَارِهِ

وَالرَّسْعُ ، وَهِيَ مِنَ الْعِتَاقِ قِصَارُ

وَكَأَنَّمَا هَادِيهِ جِدْعٌ مُشْرِفٌ

وَكَأَنَّمَا لِلضَّبْعِ فِيهِ وَجَارُ^(٢)

يَرِدُ الضَّحَاضِحَ غَيْرَ ثَانِي سُنْبِكِ

وَيَرُودُ طَرْفَكَ خَلْفَهُ فَتَحَارُ^(٣)

لَوْ لَمْ تَكُنِ لِلخَيْلِ نِسْبَةَ خَلْقِهِ

حَاكِمُهُ مِنْ أَشْكَالِهَا الْأَطْيَارُ

وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

وَخَيْلٍ طَوَّاهَا الْقَوْدُ حَتَّى كَانَتْهَا

أَنَايِبُ سُرْمٍ مِنْ قَنَا الْخَلْطِ دُؤْبَلُ

صَبِينَا عَلَيْهَا - ظَالِمِينَ - سُيَاطِنَا

فَطَارَتْ بِهَا أَيْدٍ سِرَاعٍ وَأَرْجُلُ

قَوْلُهُ : « ظَالِمِينَ » مِنْ أَبْدَعِ حَسْوٍ جَرَى فِي بَيْتِ ، وَكَانَ ابْنُ الْمُعْتَزِ أَشَارَ

لَأَعْرَابِي مَوْلِدِ

إِلَى قَوْلِ أَعْرَابِي مَوْلِدِ :

وَعَوْدٌ قَلِيلِ الذَّنْبِ عَاوَدَتْ ضَرْبَهُ

إِذَا هَاجَ شَوْقِي مِنْ مَعَاهِدِهَا ذِكْرُ^(٤)

فَقَلْتُ لَهُ : ذَلْفَاءُ وَيُحَاكُ - سَبَبَتْ

لَكَ الضَّرْبَ ، فَاصْبِرْ ، فَإِنْ عَادَتْكَ الصَّبْرُ^(٥)

وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

أَرَا جَعْتِي فِدَاكَ بِأَعْوَجِي

كَقِدْحِ النَّبْعِ فِي الرَّيْسِ اللَّوَامِ^(٦)

لأبي المعتز أيضاً

(١) الخلق : نوع من الطيب (٢) هاديه : صدره (٣) الضحاضح : بقايا الماء

(٤) العود : البعير (٥) ذلفاء : اسم امرأة ، يريد أن حب السرعة إلى لقائها هو

السبب في ضرب راحلته (م) (٥) الأعوجي : الفرس الكريم ، منسوب إلى أعوج ،

واللوام : المحم

بأدهم كالظلام أغرَّ يجلو
تري أحنجاله يصعدن فيه
بغرته دياجير الظلام
صعود البرق في جوار الغمام
وقال أيضاً :

قد أغتدي والضبح كالشيب
بقارح مسوم يعبوب
في أفقٍ مثل مدالك الطيب
ذى أذن كخوصة العسيب^(١)
أو آسة أوفت على قضيب
أسرع من ماء إلى تصويب
ومن رجوع لحظة المريب^(٢)
وقال :

رُبَّ ركب عرسوا ثم هبوا
وعدونا بأعنة خيسل
نحو إشراج وشد رحال
تأكل الأرض بأيدٍ عجال
كبدور في وجوه ليل
غرز ضاحكات
وقال علي بن محمد الإيادي :

لعل الأيادي

مسح انظلام بعرفه يده
ومشى قبيل وجه البدر
وقال الناشء أبو العباس عبد الله بن محمد :

لأبي العباس
الناشء

أخوى عليه مسامح من ليطة
فكانه متلفع قبطية
شهب تسيل على نواشر ساقه^(٣)
أثناؤها مشدودة بنطاقه
فسواده كالليل في إظلامه
صافي الأديم كريمة أنسابه
وبياضه كالضبح في إشراقه
أخلاقه عاين على أعراقه

(١) القارح : الفرس القوى ، ومسوم : وضعت عليه السومة ، وهي العلامة ،
واليعوب : الفرس السريع الطويل ، والعسيب : جريئة من النخل مستقيمة دقيقة
والتي لم يثبت عليه الخوص من السعف
(٢) تصويب : انحدر (٣) الليطة - بكسر اللام - قشر القصب والقوس والقناة

كتب أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي إلى الأمير أبي
الفضل عبد الله بن أحمد بن ميكال ، وقد زاره الأمير في داره :

لا زال مجدك للسمك رسيلا وعلو جدك بالخلود كفيلا^(١)
يا غرة الزمن البهيم إذا غدا أهل الملا زمانهم تحجيلا
يا زائراً مدت سحاب طوله ظلاً على من الجمال ظليلا
وأنت بصوب جواهر من لفظه حتى انتظمن لفرق كليل
بأبي وغير أبي هلال نوره يستعجل التسيح والتهيل
نقشت حوافير طريفه في عرصتي نقشاً مجوت رسومه تقيلا
ولو استطعت فرشت مسقط خطوه بعيون عين لا ترى التكيل
ونثرت روحى بعد ما ملكت يدي وحررت بين يدي هواه قتيلا

وقال أبو القاسم بن هاني يصف خيل المعز :

له المقربات الجرد يُنعلمها دماً إذا فرعت هام الكرامة السنابك
يريق عليها اللؤلؤ الرطب ماءه ويسبك فيها ذائب التبرسا بك
صقيلات أجسام البروق كأنما أمرت عليها بالشموس المداوك

وقال يصف فرساً لجعفر بن علي بن حمدون :

تهلل مصقول النواحي كأنه إذا جال مله الحُسن فيه غريق
من البهيم ورد اللون شيب بكمته كما شيب بالمسك الفتيق خلوق^(٢)
فلوميز منه كل لون بذاته جرى سبج منه وذاب عقيق^(٣)

وقال في قصيدة يمدح بها أبا الفرج الشيباني :

فتفت لكم ريح الجِلاد بعنبر وأمدكم فلق الصباح المسفر

(١) رسيلا : قرين (٢) البهيم : جمع بهيم ، وهو الأسود ، وشيب : خلط
(٣) السبج : السواد ، والعقيق : أَرَادَ الأحمر

لابن هاني
يصف خيل
المعز

ولابن هاني
أيضاً

وجنيت ثم سرّ الوقاع يانعا
 أبي العوالي السّمهرية والسيو
 من منكم الملك المطاع كأنه
 القائد الخليل العتاق شوازيبا
 شعث النواصي حصرة آدابها
 تنبو سنا بكن عن عقر الثرى
 في فنية صدا الحديد عبيدهم
 لا يأكل السرحان شلو عقيرهم
 بالنصر من ورق الحديد الأخضر
 ف المشرفية والعديد الأكثر
 تحت السوانج تبع في حية
 خزرأ إلى لحظ السنان الأخرز (١)
 قب الأياطل داميات الأنسر (٢)
 فيطان في حد العزيز الأصغر (٣)
 وخلقهم علق النجيع الأحمر (٤)
 مما عليه من القنا المتكسر (٥)

وقال في قصيدة يمدح بها إبراهيم بن جعفر بن علي :

فخر طرف أعوجى أنت في
 يبدى لعزك نخوة ، فكأنه
 هاد على الخليل العتاق ، كأنه
 صهواته والحسن والتطعيم (١)
 ملك تدين له الملوك عظيم
 بين الدجنة والصباح صريم (٧)

(١) شوازيب : جمع شازب ، وهو الفرس الضامر ، والخزر : جمع أخزر ، وهو
 الذى ينظر بمؤخر عينه
 (٢) الأياطل : جمع أياطل وهو الحصر ، وقب : جمع أقب وقباء من القب بالتحريك
 وهو دقة الحصر وضمور البطن ، والأنسر : جمع نسر ، وهو ما ارتفع في باطن حافر
 الفرس من أعلاه .

(٣) الأصغر : الذى يصغر خده ويميله عن النظر إلى الناس تهاونا وكبرا

(٤) النجيع : دم الجوف ، والطلق : الدم الغليظ ، والخلوق : الطيب

(٥) السرحان : الذئب ، والشلو : العضو والجسد

(٦) التطعيم : الحسن ، يقال : جواد مطهم ، ورجل مطهم ، وامرأة في خلقها تطعيم

(٧) العتاق : الخيل الجياد ، والدجنة : الظلمة ، والصريم : المنقطع ، وأصله

الرملة النصرمة من الرمال . والراد أن لونه وسط بين السواد والبياض فهو كمت

سأى القذال بِمِسمَعِيهِ عِيَافَةً
أُذُنٌ مُؤَلَّلَةٌ ، وَقَلْبٌ أَصْمَعٌ
فَالطَّوْدُ مِنْ صَهَوَاتِهِ مُتَزَلِّزٌ
حَرَقَ الْعِيُونَ فَضَلَّ عَنْهَا لَوْنَهُ
فَكَأَنَّمَا جَمَدَتْ عَلَيْهِ مِرْنَةٌ
وَكَأَنَّمَا نُحِرَتْ عَلَيْهِ بَوَارِقٌ
وَكَأَنَّكَ ابْنُ الْمُنْذِرِ النِّعْمَانُ فَوْ

لعلى بن محمد
الإيادي

وقال علي بن محمد الإيادي يصف فرس أبي عبد الله جعفر بن أبي القاسم القائم :
وَأَقْبٌ مِنْ لِحْقِ الْجِيَادِ ، كَأَنَّهُ
لَدَيْتَ قَوَائِمُهُ عَصَابَ فِضَّةٍ
وَكَأَنَّمَا انْفَجَرَ الصَّبَاحُ بِوَجْهِهِ
قَيْدُ الْعِيُونَ إِذَا بَصُرْنَ بِشَخْصِهِ
مُتَسَيِّطِرٌ بِالرَّاكِبِينَ ، كَأَنَّهُ

تحت الدجى والظرفه تنجيم (١)
وحشاً أقب ، وكلسكل ملوم (٢)
والجيش من أنفاسه مهزوم
وصفاً فقلنا ما عليه أديم
والمجاب عنه عارض مر كرم (٣)
وكانما كسفت عليه نجوم
ق سراته ، وكأنه اليعحوم (٤)

(١) القذال : معقد العذار من الفرس خلف الناصية ، والعيافة : زجر الطيرو هو أن تعتبر بأسمائها ومساقطها وأنوائها فتسعد أو تنشأم ، والعائف : التسكهن بالطير أو غيرها ، والتنجم : النظر في النجوم بحسب مواقعها وسيرها ، والمراد أن أذني هذا الجواد تدلانه على مواقع الحير والشر في الظلام

(٢) مؤللة : من قولهم «أل الفرس» إذا نصب أذنيه وحددهما ، والقلب الأصمغ : هو الدكي التيقظ ، والأقب : الضامر ، والكلسكل : الصدر ، ومن الفرس ما بين محزومه إلى مامس الأرض منه إذا ربض ،

(٣) العارض : السحاب الملتصق في الأفق ، والمركوم : التراكم الذي جمع بعضه

فوق بعض . (٤) اليعحوم : علم على فرس النعمان بن المنذر (م)

(٥) أقب : ضامر دقيق ، ولحق : ضمير (م) (٦) متنة : ظهره (م)

(٧) الوكن : العش ومثله الوكنة .

يستوقف اللحظات في خطراته
 حلو الصهيل تخال في لهواته
 متجبر يُنفي بعنق نجاره
 ذو نخوة شمخت به عن نده
 وكأنه فلك إذا حرّكته
 قد راح يحمل جعفر بن محمد
 بكال خلقتِه ودقة حسنه
 حاد يصوغ بدائعا من لحنه (١)
 إشراف كاهله ودقة أذنه (٢)
 وشهامة طمحت به عن قرنه (٣)
 جار على سهل البلاد وحزنه
 تحمل النسيم لوابل من مزنه

وما أحسن ما قال أبو الطيب المتنبي :

لأبي الطيب
 المتنبي

ويوم كاذن العاشقين كمنته
 وعيسى إلى أذني أغر كأنه
 له فضلة عن جسمه في إهابه
 شقت به الظالماء ، أذني عنانه
 وأصرع أيّ الوحش قفيته به
 وما الخيل إلا كالصديق قليلة
 إذا لم تشاهد غير حسن شياتها
 أراقب فيه الشمس أيان تقرب (٤)
 من الليل باق بين عينيه كوكب (٥)
 تجم على صدر رحيب وتذهب (٦)
 فيظني ، وأزخيه مرارا فيلعب (٧)
 وأنزل عنه مثله حين أركب (٨)
 وإن كثرت في بين من لا يجرب
 وأعضائها فالحسن عنك مغيب (٩)

(١) اللهوات : مجارى الحلق

(٢) عتق النجار : كرم العنصر (٣) الند ، ومثله القرن : النظير

(٤) كمنته : أي كمنته فيه واستترت (٥) أغر : من الغرغرة وهي البياض في جهة الفرس

(٦) الإهاب : الجلد ، وهو يصف الفرس بعرض الصدر وسعة الجلد لتسهيل عليه

سرعة العدو

(٧) العنان : اللجام

(٨) قفيته : اتبعته ، ومثله : منصوب على الحالية من الضمير في (عنه) يريد وصف

الحصان بدوام النشاط فهو عند الزول مثله عند الركوب

(٩) الشيات : الألوان

وينخرط في سلك هذا المعنى مقامة^(١) من مقامات الإسكندري في الكدية^(٢) مما أنشأه بديع الزمان وأملأه في شهور سنة خمس وثمانين وثلاثمائة .
قال البديع :
مقامة لبديع
الزمان في
وصف فرس

حدثنا عيسى بن هشام قال : حضرنا مجلس سيف الدولة يوماً وقد عرض عليه فرس * متى ماترق العين فيه تسهل^(٣) * فلحظته الجماعة ؛ فقال سيف الدولة : أيكم أحسن صفته ، جعلته صلته ؛ فكل جهد جهده ، وبذل ما عنده ؛ فقال أحد خدمه : أصلح الله الأمير ! رأيت بالأمس رجلاً يَطأ الفصاحة بنعمته^(٤) ، وتقف الأبصار عليه ، يسأل الناس ، ويشقى الياس ، ولو أمر الأمير بإحضاره ، لفضلهم بحضاره^(٥) .

فقال سيف الدولة : على به في هيئته ، فصار الخدم في طلبه ، فجاؤوا للوقت به ، ولم يعلموه لأى حال دُعي به ، ثم قُرب واستدني ، وهو في طمرين وقد أكل الدهر عليهما وشرب^(٦) ، وحين حضر السباط ، لثم البساط ، ووقف . فقال سيف الدولة : بلقتنا عنك عارضة^(٧) ، فاعرضها في هذا الفرس وصفه . فقال : أصلح الله الأمير ! كيف به قبل ركوبه ووئوبه ، وكشف عيوبه [وغيوبه] ؟ فقال : اركبه ، فركبه وأجراه ، ثم قال : أصلح لله الأمير ! هو طويل الأذنين ،

(١) هذه المقامة شرحها مؤلف زهر الآداب فليعد القارىء إلى شرحه في الصحيفة التي تلى المقامة ، وليكتف منا بما تراه من الشرح القليل (وانظر مقامات البديع ١٥٠ بيروت) (٢) الكدية : قسوة الدهر ، والمراد هنا الاستجداء
(٣) يريد أن أعلاه وأدناه مستويان في الحسن ، وهذا التعبير مأخوذ من معلقة امرئ القيس

(٤) كناية عن اتقيادها له (٥) الحضار - بالكسر - أضله جودة السير وسرعته
(٦) الطمران : ثوبان باليان (٧) العارضة : سرعة البديهة

قليل الاثنين، واسع المراث^(١)، لثين الثلاث، غليظ الأكرع^(٢)، غامض الأربع، شديد النفس، لطيف الخمس، ضيق القلت^(٣)، رقيق الست، حديد السبع، غليظ السبع، رقيق اللسان^(٤)، عريض الثمان، شديد الضلع^(٥)، قصير التسع، واسع السخر^(٦)، بعيد العشر، يأخذ بالساجح، ويطلق بالرامح، ويطلع بلائح، ويضحك عن قارح، يحز وجه الكديد^(٧)، بمداق الحديد، يحضر كالبحر إذا ماج، والسيل إذا هاج.

فقال سيف الدولة: لك الفرس مباركاً فيه. فقال: لازلت تأخذ الأنفاس، وتمنح الأفراس، ثم انصرف، وتبعته، وقلت: لك على ما يليق بهذا الفرس من خلة إن فسرت ما وصفت، فقال: سل عما أحببت
فقلت: ما معنى قولك: بعيد العشر؟ فقال: بعيد النظر، والخطو، وأعلى الجنين^(٨)، وما بين الوقبين والجاعرئين، وما بين العرايين، والمنخرين، وما بين الرجلين، وما بين النقرة والصفاق، وبعيد القامة في السباق.

فقلت: لا فض فوك! فما معنى قولك: قصير التسع؟ قال: هاك: قصير الشعرة، قصير الأطرة، قصير السيب، قصير القضيب، قصير العضدين، قصير الرُسفين، قصير النسا، قصير الظهر، قصير الوظيف.
فقلت: لله أنت! فمات معنى قولك: عريض الثمان؟ قال: عريض الجبهة، عريض الصهوة، عريض الكتف، عريض الجنب، عريض الورك، عريض العصب، عريض البدة، عريض صفحة العنق.

فقلت: أحسنت، فما معنى قولك: غليظ السبع؟ قال: غايظ الذراع،

(١) المراث: خوران الفرس، وهو المبرع (٢) الأكرع: جمع كراع، وهو مادون الكعب (٣) القلت: النقرة في رأس الورك (٤) في المقامات «دقيق اللسان» (م) (٥) وفيها «مديد الضلع» (م) (٦) وفيها «واسع الشجر» وفي نسخة «واسع النحر» (م) (٧) الكديد: الأرض الغليظة، وفي المقامات «وجه الجديد» (م) (٨) بعد أعلى الجنين كناية عن متانة الخلق

غليظ الحزيم ، غليظ العكوة ، غليظ الشوى ، غليظ الرشح ، غليظ الفخذين ، غليظ الجبال (١) .

قلت : لله درك ! فما معنى قولك : رقيق الست ؟ فقال : رقيق الجفن ، رقيق السائلة ، رقيق الجحفة ، رقيق الأديم ، رقيق أعلى الأذنين ، رقيق العرضين (٢) .

قلت : أجدت ، فما معنى قولك : لطيف الحسن ؟ قال : لطيف الزور ، لطيف النسر ، لطيف الجبة ، لطيف العجاية ، لطيف الركبة .

قلت : حياك الله ! فما معنى قولك : غامض الأربع ؟ قال : غامض أعالي الكتفين ، غامض المرقتين ، غامض الحجاجين ، غامض الشظي .

قلت : فامعنى قولك : لئن الثلاث ؟ قال : لئن المرذعتين ، لئن العرف ، لئن العنان

قلت : فامعنى قولك : قليل الأثنين ؟ قال : قليل لحم الوجه ، قليل لحم المتنين .

قلت : فمن أين نبات هذا العلم ؟ قال : من الثور الأموية ، وبلاد الإسكندرية .

قلت له : أنت مع هذا الفضل ، تعرض وجهك لهذا البذل ؟! فأشأ يقول :

ساحف زمانك جداً فالدهر جده سخي
دع الحمية نسياً وعش بخير وريف
وقل لعبدك هذا ينجي لنا برغيف

سقط عنا تفسيره في « لئن الثلاث » (٣) ، وأكثر هذا التفسير يحتاج إلى

(١) الجبال : جمع جبل ، والمراد بها هنا العروق ، وهكذا وقع هذا « اللفظ » وسيكره المؤلف في شرح أفاظ هذه المقامة . ووقع في أصل المقامات (١٥٥) بيروت

« غليظ الحاذ » والحاذ : الظهر ، أو موضع اللبد من الفرس (م)

(٢) في المقامات « العرضين » بالعين المهملة (م)

(٣) قول المؤلف : « سقط عنا تفسيره في لئن الثلاث » يدل على أن المقامة التي

أثبتها لم يكن فيها تفسير « لئن الثلاث » ولكن النص الموجود فيه تفسير ذلك ،

فمن المرجح إذن أن يكون بعض النساخ أضاف هذا التفسير إلى المقامة نقلًا عن إحدى نسخ المقامات ، وقد فات ذلك الناسخ أن يشير إلى أن المؤلف نقل عن نسخة

لم يكن فيها تفسير « لئن الثلاث »

تفسير، ولم يُردّ بما أُورد إفهام العوامّ ، والبلاغة لمحّة دالة ، وبلاغة النثر أخت
بلاغة الشعر ؛ وقد قال البحرى :

والشعر لمح تكفى إشارته وليس بالهذر طوّلت خطبته

وسأقول فى شرحه بكلام وجيز زيادة فى الإفادة : الوَقْبَان : نُقْرَتَانِ فَوْقَ
الْعَيْنَيْنِ . وَالْجَاعِرَتَانِ مِنَ الْفَرَسِ : مَوْضِعُ الرَّقْمَيْنِ مِنَ الْحِمَارِ ، وَهِيَ مَتْنَى ضَرْبِهِ
بِدَنْبِهِ إِذَا حَرَّكَهُ . وَالْقِرَابَانِ : النَّائِثَانِ مِنْ أَعْلَى الْوَرَكَيْنِ ، وَذَكَرَ النَّقْبَةَ هُنَا ، وَهُوَ
الَّذِي يُعْرَفُ بِالْمُنْقَبِ ، وَهُوَ مِنَ الشَّرَّةِ حَيْثُ يَنْقَبُ الْبَيْطَارُ . وَالصَّفَاقُ : الْخَاصِرَةُ ،
وَقَدْ قِيلَ : جِلْدُ الْبَطْنِ كُلِّهِ صَفَاقٌ ، وَالَّذِي أَرَادَهُ الْخَاصِرَةُ . وَأَرَادَ بِبُعْدِ الْقَامَةِ فِي
السِّبَاقِ امْتِدَادَهُ إِذَا جَرَى مَعَ الْأَرْضِ . وَالْأُطْرَةَ هُنَا : طَرَفُ الْأَبْهَرِ ، وَهِيَ طَفِيفَةٌ
غَلِيظَةٌ . وَالْأَبْهَرُ : عِرْقٌ يَسْتَبْطِنُ الظَّهْرَ ، فَيَتَّصِلُ بِالْقَلْبِ ، وَقِيلَ : هُوَ الْأَخْلُ .
وَالْعَسِيبُ : عَظْمُ الذَّنْبِ . وَالرُّشْعُ مِنَ الْفَرَسِ : مَوْضِعُ الْقَيْدِ . وَالنَّسَا : عِرْقٌ مُسْتَبْطِنٌ
الْفَخْذَيْنِ ، وَقَصْرُهُ مَحْمُودٌ فِي جَرَى الْفَرَسِ ، وَلَكِنَّهُ لَا يَسْمَعُ بِالْمَشَى . وَالْوَلِيفُ
لِكُلِّ ذِي أَرْبَعٍ : مَا فَوْقَ الرُّشْعِ إِلَى السَّاقِ . وَالصَّهْوَةُ : الظَّهْرُ . وَالْبَلْدَةُ : مَا بَيْنَ
عَيْنَيْهِ . وَالْعُكُوتَةُ : مَغْرَزُ الذَّنْبِ . وَالشَّوَى : الْأَطْرَافُ . وَالْحِبَالُ : حَبَلَا الْعَاتِقِ
وَالظَّهْرِ . وَالْجَحْفَلَةُ مِنَ ذَوَاتِ الْحَافِرِ : كَالشِّفَةِ مِنَ الْإِنْسَانِ . وَالْعُرْضَانُ مِنَ
الْفَرَسِ : مَا انْحَدَرَ مِنْ قَصَبَةِ الْأَنْفِ مِنْ جَانِبَيْهَا وَالزُّورُ : الصَّدْرُ . وَالنَّسْرُ فِي
الْحَافِرِ : لِحْمَةٌ يَابِسَةٌ أَسْفَلَهُ يَشْبَهُهَا الشَّعْرَاءُ بِالنَّوَى . وَالْحِجَّةُ : الَّتِي فِيهَا الْحَوْشِبُ .
وَالْحَوْشِبُ : حَشْوُ الْحَافِرِ . وَالْعُجَابِيَّةُ : عَصَبٌ فِي قَوَائِمِ الْفَرَسِ وَالْبَعِيرِ مَرْكَبٌ
فِيهِ فِصُوصٌ مِنْ عِظَامٍ كَأَمْثَالِ الْكِعَابِ تَكُونُ عِنْدَ الرَّسْغِ . وَالْحِجَابِجَانُ : الْعِظْمَانِ
الْمُطِيفَانِ بِالْعَيْنِ . وَالشَّظَى : عِظْمٌ لَاصِقٌ بِالذَّرَاعِ . وَالْمَتْنَانُ : جَانِبَا الظَّهْرِ ؛ وَسَقَطَ
عَنَّا تَفْسِيرُ الثَّلَاثِ مِنْ نَفْسِ الْقَامَةِ (١) .

(١) تلك الثلاث هي « لين المرذغتين » والمرذغة : ما بين العنق إلى الترقوة ،
ثم « لين العرف » وهو الشعر الغزير النابت على عنق الفرس ، ثم « لين العنان » وهو سير
اللجام ، ولين العنان : كناية عن طاعة الجواد

[قولهم في الوعد ومنزلة إنجازه]

قال الجاحظ : قال أبو القاسم بن معن السعودي لعيسى بن موسى : أيها
بين أبي القاسم
السعودي
وعيسى بن
موسى
الأمير ؛ ما انتفعتُ بك مُنذُ عرفْتُك ، ولا إلى خيرٍ وصلتُ منك منذُ صحبتُك ،
فقال : ولم ؟ ألم أُكلمُ لك أميرَ المؤمنين في كذا وكذا ؟ قال : بلى ! فهل استنجرتَ
ما وعدتَ ، وعاودتَ ما ابتدأتَ ؟ فقال : حالتُ دون ذلك أمورٌ قاطمة ، وأحوالٌ
عاذرة . قال : أيها الأمير ، فما زدَ تني على أن نَهتَ الهمَّ من رَقْدَتِه ، وأثرتَ
الحزنَ من رَبْصَتِه ، إنَّ الوعدَ إذا لم يصحبه إنجازٌ يحقِّقه كان كلفظٍ لا معنى له ،
وجسمٍ لا روحَ فيه .

وكلمَ منصورُ بنُ زيادٍ يحيى بنَ خالدٍ في حاجةٍ لرجلٍ ، فقال : عِدَه قَصَاءَها .
بين منصور بن
زياد ويحيى بن
خالد
قال : قلت : أصلحك الله ! وما يدعوك إلى العِدَة مع وجود القدرة ؟ فقال : هذا
قولٌ من لا يعرفُ موضعَ الصنائع من القلوب ، إنَّ الحاجةَ إذا لم يتقدّمها
مُوعدٌ ينتظر به نُجْحُها لم تتجاذب الأَنفس سرورها ؛ إنَّ الوعدَ تطمئنُّ والإِنجاز
طعامٌ ؛ وليس من فاجأه طعامٌ كمن وجدَ رايحته ، وتمطَّق به ، وتطعمه ثم
طعمه ؛ فدعِ الحاجةَ تُختمْ بالوعدِ ؛ ليكونَ بها عند المصطنع حُسْنُ موقعٍ ،
ولُطفٌ محلٌّ .

ووعد المهديُّ عيسى بنَ دأبٍ جاريةً ، ثم وهبها له ، فأنشده عبد الله بن
بين المهدي
وابن دأب
صُعب الزبيري معرّضاً يقول مضرّس الأَسدي :
فلا تياسنُ من صالحٍ أن تَنالَهُ . وإن كانَ قدماً بين أيدي تبادِرهِ
فضحك المهديُّ ، وقال : ادفعوا إلى عبد الله فلانة ، لجاريةٍ أخرى ؛ فقال
عبد الله بن مصعب :

أنجز خيرُ الناسِ قبلَ وعْدِه أراح من مَظِلٍ وطولِ كَدِه
فقال ابن دأب : ما قلت شيئاً ، هلا قلت :

حَلَاوَةٌ الْفَضْلُ بَوَعْدٍ يُنَجِّزُ لَا خَيْرَ فِي الْعُرْفِ كَنَهَبٍ يُنْهَزُ
فقال المهدي :

الْوَعْدُ أَحْسَنُ مَا يَكُونُ إِذَا تَقَدَّمَ ضَمَانُ

وقد قال أبو قابوس النصراني يمدح يحيى بن خالد :
رَأَيْتُ يُحْيِي ، أُنِّمَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ ، يَأْتِي الَّذِي لَمْ يَأْتِهِ أَحَدٌ
يَنْسَى الَّذِي كَانَ مِنْ مَعْرُوفِهِ أَبَدًا إِلَى الرَّجَالِ ، وَلَا يَنْسَى الَّذِي بَعْدَ
وقال أبو الطيب المتنبي :

قَوْمٌ بُلُوغُ الْعِلَامِ عِنْدَهُمْ طَعْنُ نُحُورِ الْكَلِمَةِ لَا الْحَلْمُ
كَأَنَّمَا يُوَلَّدُ النَّدَى مَعَهُمْ لَا صِفْرٌ عَادِرٌ وَلَا هَرَمٌ
إِذَا تَوَلَّوْا عِدَاوَةً كَشَفَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا صَنِيعَةً كَتَمُوا
تَنْظُنُّ مِنْ فَقْدِكَ اعْتِدَادَهُمْ أَنَّهُمْ أَنْعَمُوا وَمَا عَلِمُوا^(١)

ودخل أبو علي البصير على الفضل بن يحيى ، فأنشده :

وَصِفَ الصَّدْلُ لِمَنْ أَهْوَى فَصَدُّ وَبَدَأَ يَمْزَحُ بِالْهَجْرِ . نَجِدُ
مَالَهُ يَعْدِلُ عَنِّي وَجِبْهُ وَهُوَ لَا يَعْدِلُهُ عِنْدِي أَحَدٌ
لَا تَرِيدُوا غِرَّةَ الْفَضْلِ ، وَمَنْ يَطْلُبُ الْغِرَّةَ فِي خَيْسِ الْأَسَدِ^(٢)
مَلِكٌ تَدْفَعُ مَا نَخَشَى بِهِ وَبِهِ نَصْلِحُ مَنْ مَّا قَسَدُ
يُنَجِّزُ النَّاسُ إِذَا مَا وَعَدُوا وَإِذَا مَا أُعْجَزَ الْفَضْلُ وَعَدَّ

وقال ابن الرومي في هذا المعنى :

لَهُ مَوَاعِدُ بِالْخَيْرَاتِ بَادِرَةٌ لَكِنَّا تَسْبِقُ الْمِعَادَ بِالضَّفْدِ^(٣)
يُعْطِيكَ فِي الْيَوْمِ حَقَّ الْيَوْمِ مَبْتَدَأً وَلَا يُضَيِّعُ بَعْدَ الْيَوْمِ حَقَّ غَدٍ

لأبي قابوس
يمدح يحيى بن
خالد

لأبي الطيب
المتنبي

لأبي علي البصير
في الفضل
بن يحيى

لابن الرومي

(١) الاعتداد : الاهتمام ، وفي طبعة بولاق « اعتدادهم »

(٢) خيس الأسد : عرينه (٣) الضفد : العطاء

[من عرف قدر النعمة استداعها]

خطب سليمان بن عبد الملك فقال : أيها الناس ، مَنْ لم يعلم أبوابَ مدخله
في الكرامة ، وجهل طريقته التي وقعت به على النعمة كان بعرضِ رُجوعِ إلى
دارِ هوان ، وانقلابِ بفادحِ خُسران .

فقام إليه أبو وائلة السدوسي ، وهو حاجبه ، فقال : يا أمير المؤمنين كنا كما قال
الله تعالى : (هَلْ أُنَبِّئُ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا) ،
ثم صرنا كما قال زهير :

يَدُ الْمَلِكِ الْجَلِيلِ تَنَاوَلَتْهُمْ يَا حَسَانَ فليس لها مُزِيلُ
لأنَّ الخَيْرَ أَجْمَعَ فِي يَدَيْهِ وَرَبِّي بِالْجِزَاءِ لَا كَفِيلُ

فقال سليمان : هذه والله المعرفةُ بقدرِ النعمة ، والعلمُ بما يجبُ للمنعم .

وروى يونس بن المختار في دار المأمون ، ومرتبتته في أعلى مراتب بني
العباس ، قاعداً على الأرض ، فقال الحاجبُ : ارتفع يا أبا المعلى إلى مرتبتك ،
قال : قد رفعني الله إليها بأمر المؤمنين ، وليس لي عملٌ يفي بها ، فلم لأُكرِّمها
عن القعود عنها^(١) إلى أن يتهيأ لي الشكر عليها ؟ فبلغ الكلامُ المأمونَ ؛ فقال :
هذا والله غايةُ الشكر ، وبمثلها تدرّ النعم .

وقال رجل للمعلى بن أيوب ، وقد رفعه المعتصمُ إلى مرتبة أهل بيته :
ما يزيدك التقريبُ إلا تباعداً . فقال : يا هذا ؛ إنى أصون تقريبه إياي تباعدى
منه ؛ لئلا تفسد حُرمتي عنده بقلّةِ الشكرِ على نعمته .

ولما استعان المنصورُ بالحارث بن حسان قال له : يا حارث ؛ إنى قد مكنتك
من حُسنِ رأيي فيك ، فاحفظه بتركِ إغفالِ ما يجبُ عليك ! قال : يا أمير
حسان

(١) في نسخة بولاق « عليها »

المؤمنين ، مَنْ أَغْفَلَ سَبَبَ حُلُولِ النِّعْمَةِ ، وَلَهَا عَنِ الْحَالِ الَّتِي أَصَارَتْهُ إِلَيْهَا ،
استصحبَ اليأسَ من نَيْلِ مِثْلِهَا ، وانقطعَ رجاؤُهُ من الزيادةِ فيها ، فقال
أبو جعفر : مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ هَذِهِ الْمَرْفَعَةُ دَامَتْ النِّعْمَةُ لَهُ ، وَبَقِيَ الْإِحْسَانُ إِلَيْهِ .

ولما قال المأمونُ لعبدِ اللهِ بنِ طاهرٍ عندَ قدومه من مصر : ما سرَّني اللهُ
منذَ ولَّيتُ الخِلافةَ بشيءٍ عَظُمَ موقِعُهُ عِنْدِي ، بعدَ جميلِ عَاقِبَةِ اللهِ ، هوَ أكثرُ
من سروريَ بقدومك ، فقال عبدُ اللهِ : إيذَنُ لي يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ في تَفْرِيقِ
أَمْوَالِي مِنْ طَارِفٍ وَتَالِدٍ . قال : ولم ؟ قال : شَكَرًا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ ؛ وَإِلَّا
قَصَّرَ بِي الْحَيَاءُ عَنِ النَّظَرِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فقال المأمونُ لِمَنْ حَضَرَ مِنْ أَهْلِ
بَيْتِهِ وَقَوَّادِهِ : ما شئِي ؛ مِنَ الْخِلافةِ يَفِي لعبدِ اللهِ ببعضِ شُكْرِهِ .

بين المأمون
وعبد الله بن
طاهر

وقال أبو نواس :

لأبي نواس
في المعنى

قد قلتُ للعباسِ معتذراً
أنتَ امرؤٌ جَلَلْتَنِي نِعْمًا
عن ضعفِ شُكْرِيهِ وَمُعْتَرِفًا
أَوْهَتْ قُوَى شُكْرِي قَدِ ضَعُفًا (١)
فإليكَ مِنِّي اليَسُومُ تَقْدِيمَةً
تَلْقَاكَ بِالْتَّصْرِيحِ مِنْكَشِفًا
لانسدينَ إِلَى عَارِفَةٍ
حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفًا

عارضه الناشئ واعرَضَ معناه ، فقال :

للناشئ يعارض
أبا نواس

إِنَّ أَنْتَ لَمْ تُحَدِّثْ إِلَى يَدَايَ
لَمْ أَحْظَ مِنْكَ بِبَائِلٍ أَبَدًا
حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفًا
وَرَجَعْتُ بِالْحُرْمَانِ مُنْصَرِفًا

وقال ابن الرومي :

لابن الرومي

مَا قَنَا أَنْ نَعُودَ أَنَّكَ أَوْلَيْتَ أَمْوَرًا يَضِيقُ عَنْهَا الْجِرَاهُ
غَمْرَتَنَا مِنْكَ الْأَيْدَى اللَّوَاتِي مَا لِمِشَارِهَا لَدَيْنَ كِفَاهُ

(١) جللتني نعمًا : برید غمرتني بها ، وأوهت : أضعفت (م)

فَهَيَّا نَا عَنْكَ الْحَيَاءَ طَوِيلًا ثُمَّ قَدْ رَدَّ نَا إِلَيْكَ الْحَيَاءَ
وَلَمَّا حَقَّ إِنَّ قُرْبَتَ التَّنَائِي وَلَمَّا حَقَّ إِنَّ بَرَزَتْ الْجَفَاءَ
غَيْرَ أَنَا أَنْضَاهُ شُكْرًا أُرِيحَتْ وَقَدِيمًا أُرِيحَتْ الْأَنْضَاهُ^(١)

ألفاظ لأهل المصر

في المعجز عن الشكر لتكاثر الإناعام والبر

عندي من برّه ما ملك الاعتذار بأزمته ، وقبض السنة أمراء الكلام
وأتمته . عندي له مبار^(٢) أعجزني شكرها ، كما أعوزني حصرها . شكره
شأونه بعيد لا تبلغه أسواطى ، ولا أتلافى التفريط فى حقه بإفراطى . إحسانه
يُعِيدُ الْعَرَبَ عَجْمًا ، وَالْفُصْحَاءَ بُكْمًا . قد زحمتى من مكارمه ما يحصر عنه
اللبين ، ويصعبه العى وبئس القرين^(٣) .

وقال أعرابي :

رَهْنَتْ يَدِي بِالْمَعْجَزِ عَنِ شُكْرِ بَرِّهِ وَمَا فَوْقَ شُكْرِي لِلشُّكْرِ مَزِيدُ
وَلَوْ كَانَ شَيْئًا يَسْتَطَاعُ اسْتِطَاعُهُ وَلَكِنْ مَا لَا يَسْتَطَاعُ شَدِيدُ
وَقَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْنَمٍ : كُنْتُ عِنْدَ الْمَأْمُونِ ، فَأَتَى بَرَجْلُ تَرْعَدُ فَرَائِصُهُ^(٤) ؛
فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ الْمَأْمُونُ : كَفَرْتَ نَعْمَتِي ، وَلَمْ تَشْكُرْ مَعْرُوفِي ، فَقَالَ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَأَيْنَ يَقَعُ شُكْرِي فِي جَنْبِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِكَ عَلَيَّ ، فَظَنَرُ إِلَى
الْمَأْمُونِ وَقَالَ مَتَمَثَلًا :

وَلَوْ كَانَ يَسْتَفْنِي عَنِ الشُّكْرِ مَا جِدُّهُ لِرَفْعَةِ قَدْرٍ أَوْ عُلُوِّ مَكَانٍ
لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ الْعِبَادَ بِشُكْرِهِ فَقَالَ : اشْكُرُوا لِي أَيُّهَا النَّقْلَانِ

(١) الأضاء : المهازيل - واحدها نضو بكسر النون وسكون الضاد (م)

(٢) جمع مبرة (٣) نسخة بولاق « ويز القرين » وهو تحريف

(٤) الفرائص : أوداج العنق

ثم التفت إلى الرجل فقال : هلا قلت كما قال أصرم بن حميد :

ملكتم حدي حتى إنني رجُلٌ كُلي بكل ثناء فيك مشتغلٌ
خولت شكري لما خولت من نعمٍ فخرٌ شكري لما خولتني خولٌ^(١)

وقال أبو الفتح البستي :

لئن عجزت عن شكرٍ برك قوتي وأقوى الوري عن شكرٍ برك عاجزٌ
فإن ثنائي واعتقادي وطاقتي لأفلاكٍ ما أوليتها مرا كزٌ

وقال أبو القاسم الزعفراني :

لي لسانٌ كأنه لي معادي ليس يُنبئ عن كنه ما في فؤادي
حكم الله لي عليه فلو أنصف قلبي عرفت قدر وداي

وقال إسماعيل بن القاسم ، أبو العتاهية ، يمدحُ عمر بن العلاء :

إني أميتٌ من الزمان ورِيبي لما علقتُ من الأمير حبالا
لو يستطيعُ الناسُ من إجلاله لحدوا له حُرَّ الوجوهِ نعالا
ما كان هذا الجود حتى كنت يا عمر ، ولو يوماً تزولُ لزالا
إنَّ المطايا تشتكك لأنها قطعتُ إليك سبأً ورمالا
فإذا وردن بنا وردن مُخِفةً وإذا صدرن بنا صدرن ثقالا

وهي قصيدة سهلة الطبع ، سلسلة النظام ، قريبة المتناول .

وروي أن عمر بن العلاء وصله عليها بسبعين ألف درهم ، فحسده الشعراء ،

وقالوا : لنا بباب الأمير أعوامٌ نخدمُ الآمالَ ، ما وصلنا إلى بعض هذا ! فانصل ذلك به ، فأمر بإحضارهم ، فقال : بلغني الذي قُلتُم ؛ وإن أحدكم يأتي فيمدحني بالقصيدة يشبب فيها فلا يصلُ إلى المدح حتى تذهب لذةُ حلاوته ، ورائقُ طلاوته ؛

لأبي الفتح
البستي

بين أبي العتاهية
وعمر بن
العلاء

(١) خولتني : أعطيتني وملكتني (م) - والحول : حاشية من العبيد والإماء للواحد والجمع والمذكر والمؤنث

وإنَّ أبا العتاهية أتى فشبب بأبيات يسيرة ، ثم قال : إنَّ المطايا تشتكيك لأنها ...
 وأنشد الأبيات . وكان أبو العتاهية لما مدحه بهذا الشعر تأخر عنه برهة قليلا ،
 فكتب إليه يستبطئه :

أصابت علينا جودك العين يا عمرُ
 أصابتك عينٌ في سخائك صلبةٌ
 فنحن لها نَبغي التأممَ والتشمرَ (١)
 وياربِّ عينِ صلبةٍ تَفلقُ الحَجَرَ
 سنزقك بالأشعارِ حتى تملها
 فإن لم تُفِقْ منها رَقِينَاكَ بالشوَرِ

وقال :

يا بنَّ العلاءِ ويا بنَّ القرمِ مرداسِ
 أثني عليك ولي حالٌ تُكذِّبني
 إني مدخُك في صحبي وجلاسي (٢)
 فما أقول فأستحبي من الناسِ
 حتى إذا قيل : ما أولاك من صفدي
 طأطأت من سوءِ حالٍ عندها رامي (٣)

فأمر حاجبه أن يدفع إليه المال ، وقال : لا تُدخِله عليَّ ، فإني أستحبي منه .

وذكر بعض الرواة أن المهدي خرج متصيِّداً ، فسمع رجلا يتغنى من القصيدة

التي مرّت منها الأبيات في عمر بن العلاء أنفا :

يا من تفرّد بالجمالِ فما ترى
 أكثرت في قولي عليك من الرُّقى
 عيني على أحدٍ سِواهُ جمالا
 وأبيت إلا جفوةً وقطيعةً
 وأوجدت قتلي في الكتابِ حلالاً
 أم لا ، ففيم جفوتني وظلمتني
 وجعلتني للمالين نكالا
 كم لأم لو كنت أسمعُ قوله
 قد لامني ونهَى وعدَّ وقالاً

(١) التشمر : جمع نشرة بالضمّة ، وهي الرقية يداوى بها المريض والمجنون .

(٢) القرم - بالفتح - الفحل .

(٣) الصفد - بالتحريك - العطاء .

قال المهديّ: عليّ به، نجاءه، فقال: لِمَنْ هذا الشعر؟ قال: لإسماعيل
ابن القاسم أبي العتاهية، قال: لمن يقوله؟ قال: لعتبة جارية المهديّ، قال:
كذبت، لو كانت جاريّتي لوهبْتُها له، وكانت عتبة لريطة بنت أبي العباس
السفاح، وكان أبو العتاهية قد بلغ من أمرها كل مبلغ، وكلّ ذلك فيما زعم
الرواة تصنع، وتخلق؛ ليذكر بذلك.

[من أخبار أبي العتاهية]

قال يزيد [بن] حوراء المغني: كلمني أبو العتاهية أن أكلّم المهديّ في عتبه؛
ولوعه بعتبة

قلت: إن الكلام لا يمكنني، ولكن قل شعراً أغنيه إياه، فقال:

نفسى بشيء من الدنيا مُعلّقةُ الله والقائمُ المهديّ يكفيها

إني لأياسُ منها ثم يُطمئني فيها احتقارك للدنيا وما فيها

فصلت فيه لحنًا وغنيته المهديّ؛ فقال: لِمَنْ هذا؟ فأخبرته خبر أبي العتاهية،
فقال: ننظر في أمره، فأخبرت بذلك أبا العتاهية؛ فمكث أشهراً، ثم أتاني فقال:
هل حدّث خبر؟ قلت: لا، فقال: غنّه بهذا الشعر:

ليت شعري ما عندكم ليت شعري إنما آخرَ الجوابُ لأمر

ما جوابُ أولى بكلِّ جميلٍ من جوابٍ يردّ من بعدِ شهرٍ

قال يزيد: فقتيتُ به المهديّ، فقال: عليّ بعتبة، فأحضرت، فقال: إن
أبا العتاهية كلمني فيك، وعندى لك وله ما تحبّان؛ فقالت له: قد علم مولاي
أمير المؤمنين ما أوجبه من حق مولاي، فأريد أن أذكرك لها ذلك؛ قال:
فاضلي؛ فأعلمتُ أبا العتاهية بما جرى، ومضت الأيام؛ فسألني معاودة المهديّ،
فقلت له: قد عرفت الطريقَ فقل ما شئت حتى أغنيه، فقال:

أشربت قلبي من رجائك ما له عنقُ إليك يحبُّ بي ورسيم^(١)

(١) العنق والرسم: من أنواع السير السريع.

وأملتُ نحو سماءِ صوتِكِ ناظِرِي أرعى تخاليلَ برّقيها وأشيم^(١)
ولقد تنسّمتُ الرياحَ لحاجتي وإذا لها من راحتِكِ نسيمُ
ولربما استيأست ثم أقولُ : لا إنَّ الذي ضمّنَ النجاحَ كريمُ

فغنيته بالشعر ، فقال : علىَّ بعُتْبَة ، فأنت ؛ فقال : ما صنعت ؟ قالت : ذكرت ذلك لمولاتي فأبته وكرهته ، فليفعلُ أميرُ المؤمنين ما يريد ، فقال : ما كنتُ لأفعل شيئاً تكرهه ، فأعلمت أبا العتاهية بذلك ، فقال :

قطعتُ منك حبائِلَ الآمالِ وأرحتُ من حلٍّ ومن ترحالِ
ما كان أشامَ إذ رجاؤك قَادِي وبناتُ وعدك يفتلجنَ بيالي
ولئن طمعتُ لرُبِّ برقِ حُلبِ مالتَ بذي طمعٍ ولُعمنةِ آلِ^(٢)
وقد نُقلت هذه الحكاية على غير هذا الوجه ، والله أعلم بالحق في ذلك .

وضرب المهدي أبا العتاهية مائة سوط لقوله :

المهدي يضرب
أبا العتاهية
مائة سوط

ألا إنَّ ظبيًّا للخليفةِ صادِي ومالي على ظبي الخليفة من عدوي
وقال : أبي يترس^(٣) ، ولحرمي يتعرّضُ ، وبنسائي يعيث ؟ ونفاهُ
إلى الكوفة .

وفي ضربه يقول أبو دُهان :

ولا الذي أحدث الخليفةُ للشاق من صرّهم إذا عشقوا
لبحتُ باسم الذي أحبُّ ، ولكني امرؤٌ قد نساى الفرق^(٤)

(١) أشيم : أنظر .

(٢) البرق الحلب : الماطر فيه ، والآل : الشراب .

(٣) يقال : ترس بالنساء وامترس ، إذا احتك به .

(٤) الفرق - بالتحريك - الخوف - وثناي : صرفني ومال بي عما أريد (م) .

وكان أبو العتاهية بالكوفة لما نفي يذُكْرُ عُتْبَةَ ، ويكنى باسمها ، فمن
من شعره
في عتبة
ذلك قوله :

قل لمن لستُ أسمى بأبي أنت وأمي
بأبي أنت لقد أصبحت من أكبر همي
ولقد قلت لأهلي إذ أذاب الحبُّ لحيي
وأرادوا لي طيباً فاكثفوا مني بعلي :
من يكن يجهل ما ألتقي فإنَّ الحبَّ سُفمي
إنَّ رُوحِي لبيغدا د ، وفي الكوفةِ جسْمِي

وقوله :

أُسمى ببغداد ظنِّي لستُ أذُكْرُهُ
إلاَّ بكيت إذا ما ذِكرُهُ خطراً
إنَّ الحبَّ إذا شطتْ منازلهُ
عن الحيبِ بكى أَوْحَنَ أَوْ ذَكْرَا
يأربن ليلى طويل بتُّ أرقبهُ
حتى أضاء عمودُ الضُّبحِ فانفجراً
ما كنتُ أحسبُ إلاَّ مُدَّ عرفتكُمُ
أنَّ المضاجعَ مما تُنبِتُ الإبرا
والليلُ أطولُ من يومِ الحِسَابِ عَلِي
عَيْنِ الشَّجِي إِذَا مَا نَوْمُهُ نَفْرَا

ولما قدمت عُتْبَةَ ببغداد قدم معها أبو العتاهية، وتلطَّفَ حتى اتَّصَلَ بالرشيد في
بين المهدي
وأبي العتاهية
خلافة أبيه المهدي ؛ وتمكَّن منه ، وبلغ المهدي خبره ، فأحضره ؛ فقال : يا بائس ؛
أنت مستقتل ، وسأله عن حاله ؛ فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

أنتَ المُقَابِلُ والمُدَا
بر في المناسبِ والمدريدِ
بينَ الصُّومَةِ والخُودِ
لِ والأبوةِ والجُدودِ
فإذا انتميتَ إلى أبيك فانتَ في المجدِ الشَّيدِ
وإذا اتَّعَرَّ خالُ فكا
خالُ بأكرمٍ من يزيدِ

يريد يزيد بن منصور ؛ وكانت أم المهدي أم موسى بنت منصور الحيرى
وأنشده :

عَلِمَ الْعَالَمُ أَنَّ الْمَنِيَا سَامَعَاتُ لَكَ فِيمَنْ عَصَاكَ
فَإِذَا وَجَّهَهَا نَحْوَ طَاغِ رَجَعَتْ تَرْعُفُ مِنْهُ قَنَاكَ (١)
وَلَوْ أَنَّ الرِّيحَ بَارَتْكَ يَوْمًا فِي سَمَاحٍ قَصَّرَتْ عَنْ نَدَاكَ

وأنشده:

أَتَتْهُ الْخِلَافَةُ مُنْقَادَةً إِلَيْهِ تُجَرَّرُ أَذْيَالَهَا
فَلَمْ تَكُ تَصْلُحُ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكُ يَصْلُحُ إِلَّا لَهَا
وَلَوْ رَامَهَا أَحَدٌ غَيْرُهُ لَزُلْزَلَتِ الْأَرْضُ زُلْزَالَهَا
وَلَوْلَمْ تَطْعِهِ بَنَاتُ الْقُلُوبِ لَمَّا قَبِلَ اللَّهُ أَعْمَالَهَا

فقال له المهدي: إن شئت أدبناك بضربٍ وجيع؛ لإقدامك على ما نهيت عنه،
وأعطيناك ثلاثين ألف درهم جائزة على مدحك لنا. وإن شئت عفونا عنك فقط.

فقال: بل يضيف أمير المؤمنين إلى كريم عفوه جميل معروفه؛ ومكر متان
أكثر من واحدة، وأمير المؤمنين أولى من شفع نعمته وأتم كرمه. فأمر له
بثلاثين ألف درهم وعفا عنه.

ولما قدم الرشيد الرقة أظهر أبو العتاهية الزهد والتصوف وترك الفزل، فأمره الرشيد بحبسه
الرشيد أن يتفزل، فأبى، فحبسه، فغنى بقوله:

خَلِيلِي مَالِي لَا تَزَالُ مَضْرَبِي تَكُونُ عَلَى الْأَقْدَارِ حَتْمًا مِنَ الْحَتْمِ
كَفَاكَ بِحَقِّ اللَّهِ مَا قَدْ ظَلَمْتَنِي فَهَذَا مَقَامُ الْمُسْتَجِيرِ مِنَ الظُّلْمِ
أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ جَسْمِي وَقُوَّتِي أَلَا مُسْعِدُ حَتَّى أَنْوَحَ عَلَى جِسْمِي

(١) ترعف: أراد به تسيل دما.

فأمر بإحضاره وقال : بالأمس ينهك أمير المؤمنين المهدي عن الغزل ،
فتأبى إلا لجاجاً ومَحْكاً ؛ واليوم أمرك بالقول فتأبى جُرأة على وإقداماً ، قال :
يا أمير المؤمنين ؛ إن الحسنات يُذهبن السيئات ، كنت أقول الغزل ولى شباب
وجدة ، وبى حراك وقوة ، وأنا اليوم شيخٌ ضعيف لا يحسن بمثلى تصاب ؛
فردّه إلى حبسه ؛ فكتب إليه :

أنا اليوم لى ، والحمد لله ، أشهر
تذكر ، أمين الله ، حتى وحرمتي
ليالى تَدْنِي منك بالقرب مجلسي
فمن لى بالعين التي كنت مرة
يرُوح على النعم منك ويُبكر
وما كنت توليني ، لعلك تذكر
ووجهك من ماء البشاشة يقطر
إلى بها من سالف الدهر تنظر
فبعث إليه : لا بأس عليك ؛ فقال :

كأن الخلق ركب فيه رُوح
أمين الله إن الحبس بأس
له جسدٌ وأنت عليه رأس
وقد وقعت : ليس عليك بأس

فأخرجه .

أخذ البيت الأول من هذين على بن جبلة وزاد فيه ، فقال لأبي غانم الطوسي :

دجلة تسقى وأبو غانم
والخلق جسم ، وإمام المهدي
يُطعم من تسقى من الناس
رأس ، وأنت العين في الرأس

وكان عمر بن العلاء مدحا ، وفيه يقول بشار بن برد :

إذا أيقظتكَ حُرُوبُ العدي
دعاني إلى عمرٍ جوده
فنبه لها عمراً ثم نم
وقول العشيّة بجر خضم

بشار يمدح
عمر بن العلاء

ولولا الذي ذكروا لم أكن لأمدح ربحانة قبل ثم
فتى لا يبيت على دمنة ولا يسرب الماء إلا بدم^(١)

لأبي سعد
الخرزعي

أخذ هذا البيت أبو سعيد الخزومي^(٢)، قال :

وما يُريدون ، لولا الجبن ، من رجل
لا يضرب الماء إلا من قلب دم^(٣)
بالليل مشتمل بالجمر مُكتحل
ولا يبيت له جار على وجل

وقال أبو الطيب :

لأبي الطيب
المتنبي

تعود ألا تقضم الحب خيله
ولا ترد الغدران إلا وماؤها
إذا الهام لم ترَ فع جُوب العلائق^(٤)
من الدم كالريحان تحت الشقائق^(٥)

وقال أبو القاسم بن هانيء :

(١) الدمنة هنا معناها الحقد الثابت .

(٢) كان أستاذنا للرحوم الشيخ سيد المرصفي أملاًنا أنه « أبو سعد » بدليل

قول من هجاه :

إن أبا سعد فتى ماجد يعرف بالكنية لا الوالد
ينشد في حى معد أبا ضل عن النشود والناشد
فرحمة الله على مسلم يرد مفقوداً على فاقد

(٣) القلب : البئر .

(٤) القضم : أكل اليابس ، والهام : الرؤوس ، والعلائق : جمع علاقة وهي ما

يتعلق به الشيء ، والمراد الخالي . قال ابن جنى : سألت أبا الطيب عن معنى هذا البيت ،

قال : الفرس إذا علق عليه الخلاة طلب لها موضعاً مرتفعاً يجعلها عليه ثم يأكل نخيله أبدأ إذا أعطيت عليها جعلته على هام الرجال الذين قتلهم لكثرة ما هناك منها .

(٥) الغدران : جمع غدير ، وهو القطعة من الماء يغادرها السيل ؛ وفي الأصل

« الثريان » ، والشقائق : جمع شقيق ، وهو زهر أحمر .

لابن هانيء

مَنْ لَمْ يَرَ الْمَيْدَانَ لَمْ يَرَ مَعْرَكَاً أَشْبَاءَ ، وَيَوْمًا بِالْأَسْنَةِ أَكْهَبًا^(١)
 وَكَتَابًا تُرْزِدِي غَوَارِبَهَا الْعِدَى وَفَوَارِسًا تَعْدُو صَوَالِحَهَا الظُّبَا
 لَا يُورِدُونَ الْمَاءَ سُنْبُكَ سَابِحٍ أَوْ يَكْتَسِي بِدَمِ الْفَوَارِسِ طُحْلُبًا^(٢)

[رجع إلى عمر بن العلاء]

قال : وبلغ عمر بن العلاء أن أبا العتاهية عاتب عليه في هَنَاتٍ نالها منه في مجلس ، وكان كثير الانقطاع إليه ، فتخلف عنه ، فساء ذلك عمر ، فكتب إليه : قد بلغني الذي كان من تحنُّبك فيما استخفك به سوء الأدب عن علم حقيقة مني ، فصرت مُتَرَدِّدًا من العنى في يَلَامِيعِ الشبهة^(٣) ؛ ولو كان معك من علمك دايع إلى لقائى لكشفت لك مَوْرَدَ الأمر ومصدره ، لترجع إلى الصلَّة ، فتقال أو تأنى إلا الصَّريمة فتصَّرم ؛ وقد قال الأول :

بين عمر بن
العلاء وأبي
العتاهية

مُسْتَعْتَبٌ أَبْدَى عَلَى الظنِّ عَتْبَهُ وَأَخْرَجَ مِنْهُ الْحَفِظَاتِ غَلِيلُ
 كَشَفَتْ لَهُ عُدْرًا فَأَبْصَرَ وَجْهَهُ فَعَادَ إِلَى الْإِنْصَافِ وَهُوَ ذَلِيلُ
 فَأَجَابَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ : لَمْ أَجُزْ بِعَتْبِي الْحَقِيقَةَ إِلَى الشَّبْهَةِ ، وَلَمْ أَجِدْ سَعَةً مَعَ عَظِيمِ قَدْرَتِكَ إِلَى حَمْلِ اللَّائِمَةِ ، فَقَصَّرَ بِي الْخَوْفُ مِنْ سَخَطِكَ ، عَلَى تَرَكِّ مَعَاتِبَتِكَ ؛ لِأَنَّ الْمَعَاتِبَةَ لَا تَجْتَنِي إِلَّا مِنَ الْمَسَاوِي ، وَلَوْ رَغِبْتَ عَنِ الصَّلَةِ إِلَى الْقَطِيعَةِ لَتَقَاضَيْتَكَ ذَلِكَ عَنِ طَوْلِ الصُّحْبَةِ ، وَسَالَفِ الْمُدَّةِ ، وَأَنَا أَقُولُ :

رَضِيْتُ بِيَعُضِ الذُّلِّ خَوْفَ جَمِيعِهِ وَليْسَ لِمِثْلِي بِالْمَلُوكِ يَدَانِ
 وَكُنْتُ امْرَأً أَخْشَى الْعِقَابَ وَأَتَّقَى مَعْبَةَ مَا تَجَنَّبِي يَدِي وَلِسَانِي
 فَهَلْ مِنْ شَفِيعٍ مِنْكَ يَضْمَنُ تَوْبَتِي فَإِنِّي امْرُؤٌ أَوْفَى بِكُلِّ ضَمَانِ
 فَتَرَاجَعَا إِلَى أَحْسَنِ مَا كَانَا عَلَيْهِ

(١) أشب: مختلط، وأكهب: مظلم

(٢) الطحلب: خضرة تملأ الماء الزمن

(٣) اليلاميع: جمع يلغ، وهو البرق الخلب والسراب، ويشبه به الكذاب.

وإنما ألم أبو العتاهية في قوله « إن المطايا تشتكك ... وما يليه » بقول أبي الحُجَّناء نُصِيبُ الأَكْبَرِ :

فَعَجَبُوا فَاتُّوا بِالذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكْتُوا أَثْنَتَ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ
وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ فِي أَبِي العِشَاءِ الحِمْدَانِي :

للمتدي

تُفْسِدُ أَثْوَابَنَا مَدَائِحُهُ بِالسُّنِّ مَالَهُنَّ أَقْوَاهُ
إِذَا مَرَرْنَا عَلَى الأَصَمِّ بِهَا أَغْنَتْهُ عَن مِسْمَعِيهِ عَيْنَاهُ

وهذا المعنى من النُصْبَةِ^(١) الدالة بذاتها التي ذكرتها عن الجاحظ في أقسام البيان .

وقال بعضُ الخطباء : أشهد أن في السموات والأرض آياتٍ ودلالاتٍ ،
وشواهدَ قائماتٍ ؛ كلُّ يُوْدِي عنك الحجَّةَ ، ويشهد لك بالر بوبية .

ونظيرُ هذا قولُ أبي العتاهية ، وروى أنه جلس في دكان وراق ، وأخذ

لأبي العتاهية

كتاباً فكتب على ظهره :

فَواعِجِباً كَيْفَ يُعْصَى المَلِيكَ أُمُّ كَيْفَ يَجِدُهُ الجَلِيدُ
وَلِلَّهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ وَتَسْكِينَةٍ فِي الوَرَى شَاهِدٌ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ

وانصرف ، فاجتاز أبو نواس بالموضع فرأى الأبيات ، فقال : لمن هذا ؟ لأبي نواس

فلو دنتها لي بجميع شعري ، فقيل : لإسماعيل بن القاسم ، فوقع تحتها :

سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الخَلْقَ مِنْ ضَعِيفٍ مَهِينٍ
فَصَاءَهُ مِنْ قَرَارٍ إِلَى قَرَارٍ مَكِينٍ
يَحْمُولُ شَيْئاً فَشَيْئاً فِي الحُجْبِ دُونَ العِيُونِ^(٢)
حَتَّى بَدَتْ حَرَكَاتُ مَخْلُوقَةٍ مِنْ سُكُونٍ

(١) النُصْبَةُ : ما ينصب من العلامات لتدل على معان جرى العرف بدلالاتها عليها (م)

(٢) يحول : يتحول من حال إلى حال أخرى (م)

وقال الفضل بن عيسى الرقاشي : سَلِ الْأَرْضَ مِنْ غَرَسِ أَشْجَارِكَ ، وَشَقِّ أَنْهَارِكَ ، وَجَنِّ ثَمَارِكَ ، فَإِنْ لَمْ تُجِيبْ حِوَارَا ، أَجَابَتْكَ اعْتِبَارًا .

وهذا شبيه بقول عدى بن زيد ، وقد نزل النعمان بن المنذر تحت سَرَحة^(١) ؛ فقال : أْتَدْرِي مَا تَقُولُ هَذِهِ السَّرْحَةَ أَيُّهَا الْمَلِكُ ؟ قَالَ : وَمَا تَقُولُ ؟ قَالَ : تَقُولُ : رَبُّ بَرٍّ رَكِبَ قَدْ أَنَاخُوا حَوْلَنَا يَشْرِبُونَ الْخَمْرَ بِالْمَاءِ الزَّلَالِ نَمُ أَضْحَوْا لَعِبِ الدَّهْرِ بِهِمْ وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ وَيُرَى « عَكْفَ الدَّهْرِ بِهِمْ فَتَوَّأ^(٢) » . فَتَكَدَّرَ خَالُ الثُّمَّانِ وَمَا كَانَ فِيهِ مِنَ اللَّذَّةِ .

ألفاظ لأهل العصر في الشكر بدلالة الحال

لو سكت الشَّاكِرُ لَنَطَقَتِ الْمَائِثَةُ . لَوْ صَمَتَ الْمُخَاطِبُ لَأَثْنَتِ الْحَقَائِبُ ، وَلَشَهِدَتِ شَوَاهِدُ حَالِهِ عَلَى صِدْقِ مَقَالِهِ . إِنْ جَعَدْتُ مَا أَوْلَانِيهِ ، وَكَفَرْتُ مَا أَعْطَانِيهِ ، نَطَقَتْ آثَارُ أَيَادِيهِ عَلَيَّ ، وَلَمَعَتْ أَعْلَامُ عَوَارِفِهِ^(٣) لَدَيَّ .

لأبي الفضل
الميكالي

ولأبي الفضل الميكالي من رسالة : وردَ فلانٌ فتعاطى من شُكْرِهِ عَلَى نِعْمِهِ الَّتِي أَلْبَسَهُ جَاهِلَهَا ، وَأَسَجَبَهُ أَذْيَالَهَا ، مَا لَوْ لَمْ يَتَحَدَّثْ بِهَ نَاشِرًا وَمُثْنِيًا ، وَمُعِيدًا وَمُبْدِيًا ، لَأَثْنَتِ بِهِ حَالَهُ ، وَشَهِدَتِ بِهِ رِحَالَهُ ، حَتَّى لَقَدْ امْتَلَأَتْ بِذِكْرِهِ الْحِجَابُ ، وَسَارَتْ بِحَبْرِهِ الرُّكْبَانُ وَالْقَوَافِلُ ، وَصَارَتْ الْأَلْسِنَةُ عَلَى الشُّكْرِ وَالنِّثَاءِ إِسَانًا ، وَالْجَمَاعَةُ عَلَى النَّسْرِ وَالِدَعَاءِ أَنْصَارًا وَأَعْوَانًا ، عَلَى أَنَّهُ وَإِنْ بَالَغَ فِي هَذَا الْبَابِ ، وَجَاوَزَ حَدَّ الْإِكْتَارِ وَالْإِسْهَابِ ، نَهَابَتْهُ الْقُصُورُ دُونَ وَاجِبِهِ ، وَالسَّقُوطُ عَنْ أَدْنَى دَرَجَاتِهِ وَمَرَاتِبِهِ .

(١) السرحة : الشجرة العظيمة ، أو هي كل شجرة لاشوك لها (م) ، وقد تطلق مجازاً على المرأة (٢) كذا ، ولا يستقيم وزنه ، ولو كان «عكف الدهر بهم ثم تَوَّأ» لم (٣) العوارف : جمع عارفة ، وهي النعمة (م)

لأن الفتح
اليسق

ومما يقتن لهم بهذا المعنى من ذِكْرِ الشكر : قال أبو الفتح البستي : الحرُّ نَحْلُ الشكر ، إن أجنأه المرء من خيره شكراً أجنأه من برِّه شهيداً .

غيره : الشكرُ ترجمانُ النيَّة ، ولسانُ الطَّويَّة ، وشاهدُ الإخلاص ، وعنوانُ الاختصاص . الشكرُ نسيمُ النِّعم ، وهو السببُ إلى الزيادة ، والطريقُ إلى السعادة . الشكرُ قيْدُ النِّعمَة ، ومفتاحُ المزيد ، وتمنُّ الجنة . مَنْ شَكَرَ قليلاً ، استحقَّ جزيلاً . شُكْرُ المولى ، هو الأوَّلَى . الشكرُ قيْدُ النِّعم وشكَّالها ، وعقالها ، وهو شبيه بالوخشي التي لا تقيم مع الإيجاش ، ولا تريم^(١) مع الإيناس . مَوْقِعُ الشكرِ من النعمة مَوْقِعُ القِرَى من الضيف ، إن وجدته لم يريم^(١) ، وإن فقدته لم يقيم . الشكرُ غرسٌ إذا أودع سَمْعُ الكريم أثمر الزيادة ، وحفظُ العادة . الشكرُ تعرُّضُ للمزيد السائغ ، والنِّعم السَّوابغ . شُكْرُهُ شُكْرُ الأسير لمن أطلقه ، والمملوكِ لمن أعتقه . أثنى عليه ثناء الرِّوضِ المُجِل ، على الغيثِ المُسْبِل . أثنى عليه ثناء لسان الزَّهر ، على راحة المطر . أثنى عليه ثناء العطشان الوارد ، على الزُّلالِ البارد . شُكْرُهُ شُكْرُ الأرضِ للدِّيم^(٢) ، وزُهَيْرُ لَهْرِم . بسَطَ لسانَ الثناء والثناء ، وبلغ عنانَ الشكرِ عنانَ السماء . شُكْرُهُ شُكْرًا ترتاحُ له المكارم ، وتمتدُّ له المواسم . لأشكرته شُكْرًا تشيعُ أنواعه ، وتنبسطُ أبواعه^(٣) ، ويولد ذكره وسماعه . شُكْرٌ ملاءَ القلبِ واللسانِ ، كشكرِ حَسَّانِ لآلِ غَسَّانِ . أطالَ عنانَ الشكرِ ، وفسحَ مجاله ، ورفعَ أعينَته ، ومدَّ أروقتَه . شُكْرٌ كأفئاسِ الأحبابِ ، أو أفئاسِ الأسحارِ ، أو أفئاسِ الرِّياضِ غِبَّ القِطارِ .

[من أخبار نُصيب وشعره]

رجع ما انقطع :

كان سببُ قولِ نُصيب :

(١) لا تريم : لا تنطلق ولا تذهب ولا تفارق (م)

(٢) الديم : جمع ديمة - بكسر الدال - وهي السجاجة التي يدوم مطرها (م)

(٣) الأبواع : جمع باع ، وهو مسافة ما بين أطراف أصابع يديك حين تبسطهما

موازيين لصدرك (م) .

* فَاجُوا فَأْتِنُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ *

أنه كان مع الفرزدق عند سليمان بن عبد الملك، فقال سليمان بن عبد الملك : يا فرزدق؛
مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ؟ قال : أنا يا أمير المؤمنين ، قال : لماذا؟ قال بقولي :

وَرَكِبَ كَأَنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عِنْدَهُم
سِرْوًا وَسَرَّتْ نَكْبَاءَ وَهِيَ تَلْفَهُم
إِذَا آنَسُوا نَارًا يَقُولُونَ : لَيْتَهَا ،
وَلَهَا تَرَةً مِنْ جَذْبِهَا بِالْمِصَابِ
إِلَى شَعْبِ الْأَكْوَارِ ذَاتِ الْحَقَائِبِ (١)

يريد أباه - وهو غالب بن صمصمة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان
ابن مجاشع - فأعرض عنه سليمان كالمغضب ؛ لأنه إنما أراد أن يُنشد مدحاً فيه ؛
ففهم نصيب مراده ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ قد قلتُ أبياتاً على هذا الروي
ليست بدونها ، فقال : هاتِها ؛ فأنشأ نصيبُ يقول :

أَقُولُ لِرَكِبٍ قَافِلِينَ لَقَيْتَهُمْ
فَقَدَّاتِ أَوْشَالٍ وَمَوْلَاكَ قَارِبُ (٢)
فقد أخبروني عن سليمان أنني
لِعُرُوفِهِ مِنْ آلِ وَدَّانِ طَالِبُ (٣)
فاجوا فأئتوا بالذي أنتَ أهلهُ
ولو سكتوا أمنتُ عليكِ الحَقَائِبُ
فقالوا : تركناه وفي كلِّ لَيْلَةٍ
مُيَطِيفُ بِهِ مِنْ طَالِبِي الْعُرْفِ رَاكِبُ
ولو كان فوقَ النَّاسِ حَيٌّ فِعَالُهُ
كفعلكِ أو للفعلِ منكِ يقاربُ
لقلنا : له شبهةٌ ، ولكنْ تَعَدَّرْتَ
سِوَاكَ عَنِ الْمُسْتَشْهِينِ الْمَطَالِبُ
هو البدر والناسُ الكواكبُ حَوْلَهُ
وهل نُشِبَهُ الْبَدْرَ الْمُنِيرَ الْكَوَاكِبُ

فقال سليمان : أحسنت ، والنفت إلى الفرزدق، فقال : كيف تسمع يا أبا فراس؟
قال : هو أشعرُ أهلِ جلدته ، قال : وأهلِ جلدتك ؛ فخرج الفرزدق وهو يقول :

(١) النكباء : هي الريح التي تميل عن مهاب الرياح ، والأكوار : جمع كور
بالضم وهو الرجل ، والحقائب : جمع حقيبة ، وهي الرفادة في مؤخر القتب وكل
ما شد في مؤخر رجل أو قتب .

(٢) الأوشال : جمع وشل ، وهو الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة ووقفا :
منصوب تقديره على أنه ظرف مكان ، أي لقيتهم في هذا الرضع (م)
(٣) حفطى «قفوا خبروني» وهو أدق (م)

وخيّر الشعر أكرمه رجالاً وشرّ الشعر ما قال العبيدُ

[من المديح]

قال أبو العباس محمد بن يزيد: وهذا بابٌ في المدح حسن متجاوز مُبتدع لم يُسبق إليه .

قول نصيب: « من أهل ودّان » . قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي: ذكر محمد ابن كنانة والزيدي أنّ نصيباً من أهل ودّان ، وكان عبداً لرجل من بني كنانة هو وأهل بيته ، وزعم أبو هفان أنه عبداً لعبد العزيز بن مروان ، وكان نصيبٌ شديد السواد ، وهو القائل :

كسيتُ - ولم أملك - سواداً ، وتحتهُ
فما ضرَّ أنوابي سوادِي ، وإني

وقال سُجيمُ عبد بنى الحساس :

أشعارُ عبدِ بنى الحساسِ قَمَنَ لَهُ
إن كنتُ عبداً فَنَفْسِي حُرَّةٌ كَرَمًا

وقال أبو الطيب المتنبي لكافور الإخشيدى :

إنّما الجِلْدُ مَلْبَسٌ وابيضاضُ الخَلْقِ خَيْرٌ من أبيضاضِ القَبَاءِ
وقال نصيب لبعض ملوك بني أمية: إن لي بنات نفّضتُ عليهن من سوادى ،
فقال : ما أحسن ما تَلَطَّفْتَ لهنَّ ! وأمر له بصلة .

وكان أبو تمام حبيبُ بن أوسٍ لما مدح أبا جعفر محمد بن عبد الملك الزيات بقصيدته التي أولها :

لَهَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَقُولَ وَتَفْعَلَا وَنَذْكَرَ بَعْضَ الْفَضْلِ مِنْكَ وَتَفَضَّلَا

وهي من أحسن شعره ، وقَعَ له على ظهرها :

رَأَيْتِكَ سَمَحَ الْبَيْعِ سَهْلًا ، وَإِنَّمَا يُعَالَى إِذَا مَاضَ الشَّيْءُ بِأُتَمَّةِ

(١) القوهي: ثياب بيض تنسب إلى قوهستان. والبناتق: الجيوب، مفرد هابنية

لسحيم

المتنبي

بين أبي تمام
وابن الزيات

فأما إذا هانت بضائع بيعة فيوشك أن تبقى عليه بصائمه
هو الماء إن أجمته طاب وزده ويفسد منه أن تبأح مشاركته

فأجابه بقصيدة طويلة ، واحتج عليه واعتذر إليه في مدحه لغيره ؛ فقال في

بعض ذلك :

أما القواني فقد حصنت غرمتها فما يُصاب دم منها ولا سلب
منعت إلا من الأكفاء أئمتها وكان منك عليها العطف والحدب
ولو عضلت عن الأكفاء أئمتها ولم يكن لك في إظهارها أرب^(١)
كانت بنات نصيب حين صن بها على المولى ولم تحفل بها العرب
وقد قيل إن أبا تمام أجابه بقوله :

أبا جعفر إن كنت أصبحت شاعرا أسامح في بيحي له من أبيامه
فقد كنت قبلي شاعراً تاجراً به تساهل من عادت عليك منافعهم
فصيرت وزيراً والوزارة مكرعاً يقص به بعد اللذازة كارع^(٢)
همك من وزير قد رأينا مُسلطاً ففاد وقد سُدت عليه مطالعته
ولله قوس لا تطيش سهامها ولله سيف لا تقل مقاطعه

قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولي : ويقال إن هذه الأبيات منحولة لحبيب ،
وليس مثل أبي جعفر في جلالة قدره واصطناعه لحبيب يعامل بمثل هذا الجواب ،

(١) عضل المرأة: منعها عن الزواج ظلماً، والأيم: من لا زوج لها، بكرأ أو ثيباً،
ومن لا امرأة له، وتأييم: مكث زماناً لم يتزوج.

(٢) المكرع: المكان الذي تشرب منه الدواب، وكان كذلك لأن الحيوان
لا يكاد يشرب إلا بإدخال أكارعه فيه، والكرع - بالضم - هو ما دون الكعب
في الدابة وما دون الركبة من الإنسان، وكرع في الماء: أدخل فيه أكارعه بالخوض
فيه ليشرب.

ولا يَنْتَهِي جَهْلُ حَيْبِ أَنْ يَقَابِلَ مَأْمُولَهُ وَمَنْ يَرْتَجِي جَلِيلَ الْفَائِدَةِ مِنْهُ
بهذه الأبياب .

وقد قيل : بل قالها ، ولم ينشدها أحداً ؛ وإنما ظهرت بعد موته .

وكان ابنُ الزيات كما قال شاعراً ، ومدح الحسن بن سهل في وزارته للمأمون ؛
وأعطاه عشرة آلاف درهم ، فقال :

لَمْ أُمْتَدِّحْكَ رَجَاءَ الْمَالِ أَطْلُبُهُ لَكِنْ لَتُبْدِسِنِي التَّحْجِيلَ وَالْفُرَا
مَا كَانَ ذَلِكَ إِلَّا أَنْتَى رَجُلٌ لَا أَقْرَبُ الْوِزْدَ حَتَّى أَعْرِفَ الصَّدْرَا

قال الصولي : وكان السببُ الذي أوجد (١) أبا جعفر على أبي تمام حتى

قال « لقد رأيتك سهلاً البيع - الأبيات » قولَ أبي تمام قصيدته المشهورة في
ابن أبي دُوَادِ التي أولها :

سَقَى عَهْدَ الْحَمَى سَبِيلُ الْعِهَادِ وَرَوَى حَاضِرَ مَنْهُ وَبَادِ (٢)
نَزَحَتْ بِهِ رَكِيَّةٌ الدَّمْعِ لَمَّا رَأَيْتَ الدَّمْعَ مِنْ خَيْرِ الْعِتَادِ (٣)
يقول فيها في مدحه :

هُمْ عَظَمُ الْأَثَافِيِّ مِنْ نَزَارٍ وَأَهْلُ الْمَهْضَبِ مِنْهَا وَالنَّجَادِ (٤)
مُعْرَسٌ كُلُّ مُعْضَلَةٍ وَخَطْبٍ وَمَنْبِتٌ كُلُّ مَكْرَمَةٍ وَآدِ (٥)

(١) أوجده : أثار موجدته ، وهي الغضب

(٢) العهاد : أمطار الربيع ، والواحدة عهدة .

(٣) الركي والركايا : الآبار ، والمفرد ركية ، وارتكى على صديقه : نول عليه ،

والعتاد : العدة ، والعتيد : المعد الحاضر .

(٤) الأثافي : جمع أئفة ، وهي الحجر أو الجبل .

(٥) المعرس : موضع التعريس وهو النزول ليلاً ، والآد والآيد : القوة ، وآد

يئيد أيدا : اشتد وقوى .

إذا حَدَّثُ القِبَائِلِ سَاجِدُوهُمُ
 تُفَرِّجُ عَنْهُمُ الغَمَرَاتِ بِيضٌ^(١)
 وحشو حوَادِثِ الأَيَامِ مِنْهُمُ
 لَهُمُ جَهْلُ السَّبَاعِ إِذَا المُنَايَا
 لَقَدْ أَنْسَتْ سُلُوِيَّ كُلِّ دَهْرٍ
 مَتَى تَحَلَّلُ بِهِ تَحَلُّلُ جَنَابَا
 وَمَا اشْتَبَهَتْ سَبِيلُ المَجْدِ إِلاَّ
 وَمَا سَافَرْتُ فِي الآفَاقِ إِلاَّ
 مَقِيمُ الظَّنِّ عِنْدَكَ وَالْأَمَانِي
 وَهَذِهِ النِّكْتُ^(٥) الَّتِي أَحَقَّدْتُ أَبَا جَعْفَرٍ ، وَأَعْتَبْتَهُ عَلَى أَبِي تَمَامٍ ، وَفِي هَذِهِ
 القَصِيدَةِ يَقُولُ مَعْتَدِرًا إِلَيْهِ فِي الَّذِي قُرِفَ^(٦) بِهِ عِنْدَهُ مِنْ هِجَاءِ مِضْرٍ :
 أَتَانِي عَائِرُ الأَنْبَاءِ تَسْرِي
 عِقَابُهُ بِدَاهِيَةِ نَادٍ^(٧)
 نَتَاخَبِرَا كَأَنَّ القَلْبَ مِنْهُ
 يُحْرُثُهُ بِهِ عَلَى شَوَاكِ القِتَادِ
 بَأْنِي نِدَاتُ مِنْ مِضْرٍ وَخَبَّتْ
 إِلَيْكَ شَكِيَّتِي خَبَبَ الجَوَادِ

(١) التلاد : جمع تلید ، وهو المجد القديم .

(٢) الغمرات : جمع غمرة وهي الشدة ، والبيض الجلاذ : هي السيوف القوية ، وقسطلة الجلاذ : شدة الحرب .

(٣) الطراد : القتال ، قال الزمخشري في الأساس : « وطارد قرنه ، وطاردا ، وبينهما طراد ومطاردة ، وهي حمل أحدها على صاحبه ومقاتلته وإن لم يكن ثم طرد ، كما قيل للمحاربة جلاذ ومجالدة وإن لم يكن ثم مسابقة » .

(٤) السوارى : جمع سارية وهي السحابة تمطر ليلا ، والغواذى : جمع غادية وهي السحابة تمطر نهاراً .

(٥) المراد بالنكت الإشارات .

(٦) وقع في كافة المطبوعات « في الذي قرب به » تحريف ما أبتناه (م)

(٧) نَادٍ : شديدة الأذى .

وما رُبِعَ القطيعة لي برَبِيعٍ ولا نَادَى الأذَى مِنِّي بِنَادٍ
وأين يجوز عن قَصْدِ لِسَانِي وَقَلْبِي رَائِحٌ بِرِضَاكَ غَادٍ
ومما كانت الحِكْمَاءُ قَالَتْ : لِسَانُ المرءِ من خَدَمِ القُوَادِ
وقد ما كنتُ معسولَ القوافي ومأدومَ المعاني بالسَّادِ

[من أخبار ابن أبي دُوَاد]

وكان ابن أبي دُوَاد غالباً في التعصّب لإياد وإلحاقها بنزار ، على مذهب نَسَابِ العَدَنَانِيين . قال : وكلُّ من بالعراق من إياد دخلوا في النَّحْجِ ، وإلَيْهِمْ يُنْسَبُونَ ؛ وَمَنْ كَانَ بالشَّامِ فَمِمْ^(١) على نسبهم في نزار ، وابن أبي دُوَاد يرمي بالدعوة ؛ والتكثيرُ من أخباره يُخْرِجُ إلى ما أخافهُ من تطوِيلِ التصرُّفِ ، في مملولِ التكلُّفِ .
وكان ابن أبي دُوَاد عالماً بضرُوبِ العِلْمِ والأدب ، متصرفاً في صناعة الجِدَالِ ، على مذهب أهل الاعتزال ، وكانت العداوةُ بينه وبين ابنِ الزِيَّاتِ بينة ، والنفاسةُ في الرياسة بينهما متمكِّنة ، وقال له بعض الشعراء :

أَكَلَّ أباي دُوَادٍ مِنْ إيَادٍ فكلُّ أباي ذُوَيْبٍ مِنْ هُدَيْلٍ

قال مسلم : ماتاه إلا وضع ، ولا فآخر إلا سقيط ، ولا تعصّب إلا دَخِيل .
وقال مدني لرجل : بمن أنت ؟ فقال : من قريش ، والحمد لله ، قال : بأبي أنت !
التحميد هاهنا ريبية ! واسم أبي دُوَاد دُعَيْمٌ ، قال أبو اليقظان : وهم من قبيلة يقال لها بنو زهرة إخوة بني جَدَّان ، وقد ذكره الطائي في قوله :

والغيث من زهرٍ سحابةٌ رَافِقَةٌ والركنُ من شيبانٍ طَوْدٌ حَدِيدِ

ذكر شيبان ، لأن خالد بن يزيد الشيباني شفع له عند ابنِ أبي دُوَاد فيما ينساقُ الحديثُ إليه من موجدته عليه .

قال محمود الوراق : كنتُ جالساً بطرفِ الجِسْرِ مع أصحاب لي ، فرآه بنو أبو تمام ، فجلس إلينا ، فقال له رجل منا : يا أبا تمام ، أيُّ رجلٍ أَنْتَ لو لم تكن من اليَمَنِ ! قال : ما أَحِبُّ أباي غيرَ الموضع الذي اختاره اللهُ لي ، فَمِمَّنْ تَحِبُّ^(٢) أَنْ

(١) هكذا ، وأحسبه « فهم على نسبهم - إلخ » (م)

(٢) في جميع المطبوعات « فمن تحب - إلخ » (م)

غلوه في التعصّب
لإياد

علمه وعداوته
لابن الزيات

أصله

أ كَوْنٌ؟ قَالَ: مِنْ مُضَرٍّ، قَالَ: إِنَّمَا شَرُفَتْ مُضَرٌّ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
 وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا قَيْسُوا بِلَوْكِنَا وَأَذْوَانِنَا، وَفِينَا كَذَاءٌ، وَمِنَّا كَذَاءٌ - يَفْخَرُ؛ وَذَكَرَ
 أَشْيَاءَ عَابَ بِهَا مُضَرٌّ، وَنَمِي الْخَبْرُ إِلَى ابْنِ أَبِي دُوَادٍ وَزَيْدٍ فِيهِ، فَقَالَ: مَا أَحِبُّ
 أَنْ يَدْخُلَ عَلَيَّ، فَقَالَ يَحْتَذِرُ إِلَيْهِ بِقَصِيدَةٍ أَوْهَا:

غضبه على
 أبي تمام ثم
 رضاه عنه

سَعِدَتْ غُرْبَةُ النَّوَى بِسُعَادِ فِي طُلُوعِ الْإِثْمَامِ وَالْإِنْجَادِ

يقول فيها:

بَعْدَ أَنْ أَضَلَّتْ الْوُشَاةُ سُبُوقًا قَطَعْتَ فِي وَهْيٍ غَيْرِ حِدَادِ
 فَتَنَى عَنْكَ زُخْرَفَ الْقَوْلِ تَمَعٌ لَمْ يَكُنْ فَرَضُهُ لغيرِ السَّدَادِ
 ضَرَبَ الْحِلْمُ وَالْوَقَارُ عَلَيْهِ دُونَ عَوْرِ الْكَلَامِ بِالْأَسْدَادِ
 مَلَأَتْكَ الْأَحْسَابُ أَيَّ حَيَاةٍ وَحَيَاةً أَرْزَمَةً وَحَيَّةً وَادِ
 عَاتَقَ مُعْتَقٌ مِنَ الرِّقِّ إِلَّا مِنْ مُقَاسَاةٍ مَفْرَمٍ أَوْ نِجَادِ
 لِلْحَمَائِلِ وَالْحَمَائِلِ فِيهِ كَلْحُوبِ الْمَوَارِدِ الْأَعْدَادِ^(١)

فَمَا رَضِيَ عَنْهُ حَتَّى تَشْفَعَ إِلَيْهِ بِخَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مَزِيدِ الشَّيْبَانِيِّ، فَقَالَ

فِي قَصِيدَةٍ:

أَسْرَى طَرِيدًا لِلْحَيَاءِ مِنَ الَّتِي زَعَمُوا، وَلَيْسَ لِقَوْلِهِ بِطَرِيدِ^(٢)
 كُنْتَ الرَّبِيعَ، أَمَامَهُ وَوَرَاءَهُ قَمَرُ الْقَبَائِلِ خَالِدُ بْنُ يَزِيدِ
 وَغَدَا تَبَيَّنَ مَا بَرَاءَةٌ سَاحَتِي لَوْ قَدْ نَفَضْتَ تَهَامِي وَنَجُودِي
 اللَّهُ دَرَكٌ أَيُّ بَابِ مُلَمَّةٍ لَمْ يُرَمَ فِيهِ إِلَيْكَ بِالْإِقْلِيدِ^(٣)

(١) الأعداد: جمع عد بالكسر وهو الماء الجاري الذي لا ينقطع، واللحوب:

الوضوح. والمعنى أن عاتق الممدوح تظهر فيه آثار الجمالات والحماثل ظهور قنوات

الماء الذي لا ينقطع (٢) الذي في الديوان « وليس لرهبه بطريد » (م)

(٣) الإقيد: المفتاح، وكذلك المقلاد والمقلد

لما أظلتني غمامك أَصْبَحْتَ
تلك الشهودُ على وهي شهودى
من بعد ما ظنُّوا بأن سيكون لي
يومٌ بزعمهم كيوم عييدٍ
يريد عييد بن الأبرص الأسدَى ، وكان النعمان بن المنذر لقيه يوم
بوئسه ققتله .

وكان ابن أبي دُوَادٍ كريماً فصيحاً جَزْلاً . قال أبو العيْناء : كنا عند ابن أبي
دُوَادٍ ومعنا محمود الرزاق وجماعةٌ من أهل الأدب والعلم ؛ فجاءه رسول إيتاخ
فقال : إن الحاجب أبا منصور يقرأ على القاضي السلام ، ويقول : القاضي يَتَعَنَّى (١)
ويجيء في الأوقات ؛ وقد تفاقم الأمرُ بينه وبين كاتب أمير المؤمنين ، يريد ابن
الزيات ، فصار يضمرُّنا عند قَصْدِهِ القاضي ، وما أَحِبُّ أن يتعنى إليَّ لهذا السبب ؛
إذ كنت لا أصل إلى مكافأته . فقال : أجيئوه عن رسالته ، فلم نذر ما نقول ،
ونظر بعضنا إلى بعض ، فقال : أما عندكم جواب ! قلنا : القاضي - أعزّه الله ،
أعلمُ بجوابه منا ، فقال للرسول : اقرأ عليه السلام ، وقل له : ما أتيتك متكرراً
بك من قلة ، ولا متعزراً بك من ذلّة ، ولا طالباً منك رتبة ، ولا شاكياً
إليك كربة ، ولكنك رجلٌ ساعدك زمان ، وحرَّكَكَ سلطان ، ولا علم
يؤلف ، ولا أصل يُعرَف ؛ فإن جئتك فبسلطانك ، وإن تركتك فلنفسك !
فَعَجِبْنَا من جوابه .

[من بَرَاةِ خالد بن عبد الله القسرى]

صعد خالد بن عبد الله القسرى المنبر يوم الجمعة ، فخطب وهو إذ ذاك أميرٌ
على مكة ، فذكر الحجاج فأحمد طاعته ، وأثنى عليه خيراً ، فلما كان في الجمعة
الثانية ورد عليه كتاب سليمان بن عبد الملك يأمره فيه بِشتم الحجاج وذكْر

(١) يتعنى : يتعب

عيوبه ، وإظهار البراءة منه ، وصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن إبليس كان ملكاً من الملائكة ، وكان يُظهِر من طاعة الله ما كانت الملائكة ترى له بذلك فضلاً ، وكان الله تعالى قد علم من غشه ما خفي عن الملائكة ، فلما أراد الله فضيحتَه ابتلاه^(١) بالسجود لآدم ؛ فظهر لهم ما كان يُخفيه عنهم فلعنوه ؛ وإن الحجاج كان يُظهِر من طاعة أمير المؤمنين ما كنا نرى له بذلك فضلاً ، وكان الله عز وجل أطلع أمير المؤمنين من غلّه وخبئته على ما خفي عنا ، فلما أراد الله فضيحتَه أجرى ذلك على يدي أمير المؤمنين ، فآلعنوه ، لعنه الله . ثم نزل .

وكان أبو تمام قد مدح الأفشين التركي، واسمه خيدر^(٢) بن كاوس، وكان من أجل قواد المعتصم ، وأبلى في أمر بابك الخرمي بلاءً حمده له ؛ فلما سخط المعتصم عليه لما نسب إليه من سوء السيرة ، وقبح السريرة ، وأنه يخطب درجة بابك ، ويريد التحصن بموضع يخلع فيه يده عن الطاعة ، وأظهر القاضي أحمد بن أبي دواد عليه أنه على غير الإسلام ، قال أبو تمام معتذراً للمعتصم من تقديمه واجتباؤه ، ولنفسه من مدحه وإطرائه :

أبو تمام يعتذر
للمعتصم عن
سابق مدحه
للأفشين

ما كان لولا فحشُ غدره خيدر
هذا الرسول وكان صفوة ربه
قد خص من أهل النفاق عصابة
واختار من سعد لعين بني أبي
حتى استضاء بشعلة الشور التي
ليكون في الإسلام عام فجار
من خير باد في الأنام وقار
وهم أشد أذى من الكفار
سريح لعمر الله غير خيار
رفعت له سترامن الأستار
ثم ذكر في هذه القصيدة أن قتل الأفشين لبابك لم يكن بصدق بصيرة ، ولا لصحة سريرة ، فقال :

(١) ابتلاه : اختبره . (٢) في بعض الأصول «خيدر» وفي بعضها «حيدر» (م)

رأهاشمون المستقلة طعنهم عن كره بلاءً بأثقل الأوزار
فشفاهم المختار منه ولم يكن في دينه المختار بالمختار
[المنافقون في عهد النبي صلى الله عليه وسلم]

أما من ذكر من أهل النفاق ، فقد كانوا يظهرون غير ما يُسرُّون ، حتى
أطلع الله نبيَّه عليه السلام على أخبارهم ، ونسَّرَ له مطوي أسرارهم .
وأما ابنُ أبي سرح فهو عبدُ الله بن سعد بن أبي سرح بن الحسام بن الحارث بن
حبيب بن خزيمة بن نصر بن مالك [بن حِسل] بن عامر بن لؤي ، أسلم قبل الفتح ،
واستكتبه النبيّ عليه السلام ؛ فكان يكتبُ موضعَ « الغفورِ الرحيم » العزيزِ
الحكيم ، وأشبه ذلك ؛ فأطلع الله عليه النبيّ عليه السلام ، فهرب إلى مكة
مرتداً ؛ وأنزل فيه : (ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) . فأهدر النبيّ صلى الله عليه
وسلم يوم الفتح دمه ، فهرب من مكة ، فاستأمن له عثمانُ رضي الله عنه ؛ فأمنه
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أخو عثمان من الرضاعة ، وأسلم فحَسُنَ
إسلامه ، وولّى مصر سنة أربع وعشرين ، فأقام عليها إلى أن حُصِرَ عثمان ، ومات
بقيسارية الشام ، ولم يدخل في شيء من الفتن الحجازية في ذلك الوقت .

عبد الله بن
أبي سرح

المختار بن أبي
عبيد الحارثي

وأما المختارُ الذي ذكره فهو المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير
ابن عوف بن عَفْدَةَ بن عروة بن عَوْف بن قَسِيٍّ وهو ثقيف ؛ وكانت لأبيه في
الإسلام آثارٌ جميلة ، وأختُ المختارِ صفية بنت أبي عبيد زوجُ ابن عمر ، والمختار
هو كذاب ثقيف الذي جاء فيه الحديث ، وكان يزعمُ أنه يُوحى إليه في قتلةِ
الحسين ؛ فقتلهم بكل موضع ، وقتل عبيد الله بن زياد ، وله أسجاعُ يصنعها ،
والفاظُ يتتدعها ، ويزعم أنها تنزل عليه ، وتوحى إليه .

وقيل للأحنف بن قيس : إن المختار يزعم أنه يُوحى إليه ! فقال : صدق ،
وتلا : (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ) . وأخباره كثيرة ليس هذا موضعها .

بين أمية بن
خالد وعبد الله
بن الأهم

لما هزم أمية بن خالد بن أسيدٍ لم يدرِ الناس كيف يقولون له ، فدخل
عبدُ الله بن الأهم عليه ، فقال : الحمد لله الذي نظر لنا أيها الأمير عليك ،

ولم ينظرُ لك علينا ، فقد تعرّضت للشهادة بجهديكَ ، إلا أن الله علم حاجة أهل الإسلام إليك ، فأبقاك لهم بخذلان من معك . فصدر الناس عن كلامه .

ويتعلق بهذه المقامة فصل في غرائب التنكبات

كتب حمدون بن نهران إلى عاملٍ عُزِلَ عن عمله :

من حمدون
بن نهران لعامل
عزل عن عمله

بلغني أعزك الله أنصرفك عن عملك ، ورجوعك إلى منزلك ؛ فسررت بذلك ، ولم أستفظعه وأجزع له ؛ لعلمي بأن قدرك أجل وأعلى من أن يرفقك عملٌ تتولاه ، أو يضعك عزلٌ عنه ؛ ووالله لو لم تحتر الانصراف وترد الاعتزال لكان في لطفٍ تديريك ، وثقوب رويتك ، وحسن تأتيتك ، ما تزيل به السبب الداعي إلى عزلك ، والباءة على صرْفِكَ ؛ ونحن إلى أن نهنتك بهذه الحال أولى بنامن أن نعزبك ؛ إذ أردت الانصراف فأوتيته ، وأحببت الاعتزال فأعطيته ، فبارك الله لك في منقلبك ، وهنالك النعم بدوامها ، ورزقك الشكر الموجب لها الزائد فيها .

وكتب ابن مكرم إلى نصراني أسلم :

من ابن مكرم
لنصراني أسلم

أما بعد فالحمد لله الذي وفقك لشكره ، وعرفك هدايته ، وطهر من الارتباب قلبك ، وما زالت تخابلك ممثلة لنا حتمية ما وهب الله فيك ، حتى كأنك لم تزل بالإسلام مؤسوماً ، وإن كنت على غيره مقياً ، وكنا مؤمليين لما صرت إليه ، مشفقين مما كنت عليه ، حتى إذا كاد إشفاقنا أن يستعلي رجاءنا أنت السعادة بما لم تزل الأنفس تعدد منك ؛ فأسأل الله الذي أضاء لك سبيل رشدك أن يوفقك لصالح العمل ، وأن يؤتيتك في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ، ويقيك عذاب النار .

قال بعض الكتاب : من الحق ما يستحسن تركه ، ويستحسن عمله ،

بعض ما

وقد يقع من ذلك فيما يحله الشرع ، ويكرهه الأدباء ؛ وكثير من يغلّب على طبعه هذا المعنى يراد سموّ نفس ، وعلوّهمة ، حتى رأينا من لا يحضر تزويج

يستحسن تركه
وإن كان حالاً

كريمته ، ويوتئى أمرها غير نفسه ، ورأينا من يُجاوز ذلك إلى الألبس مستنكحاً ، وزاد به العلو إلى ترك ما ذكره أولى ؛ وكنا عرفنا حال إنسان تزوجت أمه ؛ فعظم لذلك همّه ، وانفرد عن أودائه ، وتوارى عن أصفائه ؛ حياءً من لقائهم ، وكرهاً لتمنيئهم له أو عزائهم ، واضطرتته الوحشة إلى قصد من ظن به منهم المسكّة فى تجامى خطابه فيما اجتنب لأجله خلّانه ، وفارق بسببه إخوانه ، وتخيّل ذلك المتصوّد أنه إنما لجأ إليه ليسليه ؛ فأفاض معه فيما قدر أنه قصد له من المعنى الذى جعله وحيداً خوف المفاوضة .

ثم مضت الأيام واختلف الحال ، ورجع إلى العشرة وأبناء المودّة ؛ فكان عنده من لم يخاطبه أخطئ ، وفى نفسه أوفى ، وعلى قلبه أخفّ ، وفى نفسه أشفّ ، وتقم على ذلك الصديق وعتب ؛ إذ لكلّ من الناس - إلا من طاب محتدّه وطال سوّده - حال من الإلف والرغبة تحسّن المساوى ، ثم حال من اللئلى والزّهادة تقبّح المحاسن ؛ واعتذر المتكلّف من التسلية بما لم يلزمه ، ولم يُردّه صفيه ، فإنه فعل ما أوجبه الأخوة ، وحقوق الخلطة ، وأسباب العشرة ، وانبساط المفاوضة ؛ ودبت عقاربُ الظنون والشااية ، إلى أن خرجا بالملاحاة إلى المعاداة ؛ فلما وقع بعضُ الناس بينهما من معاودة الحسنى ، ومراجعة الأولى ؛ جاهر هذا الماقتُ بقرع سينّ الأسف على تحيّل النهى والوقار من المقوت ، وظاهر المقوت بتقريع الماقت ، بتزويج أمّه الذى تجسّم من كلامه فيه فضلاً ، وتكلّف من خطابه عليه ما من حسرة خلّاً ؛ فأفضى الأمرُ بينهما إلى الأوتار ، وطلب الثّار .

فإن اضطرت إلى القول فى هذا المعنى أحدٌ بأمر قاهرٍ من السلطان ، أو حوادث الأزمان ، أو تطارح الإخوان ، فليقل وليكتب ما مثلنا إن لم يجد منه بداً : أنت - بفضل الله عليك وإحسان تبصيره إياك - من أهل الدين ، وخلص اليقين ، فكما لا تتبع الشهوة فى محظور تبويحه ، فكذا لا تتبع الألفة فى مباح تحظره ؛ وقد اتصل بنا اختاره الله والقضاء لذات الحقّ عليك ، المنسوبة - بعد نسبك إليها - إليك ،

ما يقال لمن
تزوجت أمه

عما كرهه إياؤك الدنيوي لك ولها ، [ورَضِيهِه الحلالُ الديني له ولها] ، فجن
نغزيك عن فائت محبوبك ، ونهنتك في الخيرة في اختيارِ القدرِ لك ، ونسألُ
الله أن يجعلها أبداً معك فيما رضيت وكرهت ، وأبيت وأتيت .

فهذا ونحوه أصوبُ وأسلم ، إن اضطرت إليه ، وتركه أحسن وأحزم ،
إن ملكت رأيك فيه ؛ والتلطفُ للكتابة عما يُستَهْجَن ولا يستحسن التواجه به
من أحسن الأشياء وأسدها .

من أبي الفضل
بن العميد لمن
تزوجت أمه

وكتب أبو الفضل بن العميد في بابه: الحمد لله الذي كشف عنا سترَ الخيرة .
وهدانا لسترِ العورة ، وجدَعَ بما شرع من الحلال أنفَ العيرة ، ومنَعَ من عَضْلِ
الأمهات ، كما منَعَ من وأدِ البنات ، استنزالاً للنفوس الأبية ، عن حَمِيَّةِ الجاهلية .
ثم عرَّضَ للجزيل من الأجر من استسلم لمواقع قضائه ؛ وعوَّضَ جزيلَ الثواب
لمن صبر على نازلِ بلائه ؛ وهنأك الله ، الذي شرح للتقوى صدرك ، ووسَّعَ في
البؤسَى صبرك ، ما ألهمك من التسليم بمشيئته ، والرضا بقضيته ، ووفقك له من
قضاء الواجب في أحد أبويك ، ومن عظم حقه عليك ؛ وجعل الله تعالى
حدّه ^(١) ما تجرَّعته من أنفٍ ^(٢) ، وكظفتمه من أسفٍ ، معدوداً يعظّمُ الله عليه
أجرك ، ويمجزلُ به ذُخْرَكَ ؛ وقرَنَ بالحاضر من امتعاضك لفعلمها المنتظر من
ارتماضك لدَقَمِها ^(٣) ، وعوَّضَكَ من أسيرة فرشها أعوادَ نَعِشِها ؛ وجعل
ما يُنعمُ به عليك من بعدها من نعمة مُعرَّي من نعمة ، وما يوليكَ بعد قبضها
من منحة مبرأ من مِحْنَةٍ .

(١) الحد : البأس ، ومثله الجد .

(٢) الأنف والأنفة : الحمية .

(٣) الارتماض : الحزن .

ألفاظ لأهل العصر في التهامي بالبنات

هنا الله سيدى ورَدَ الكريمة عليه ، وتمر بها أعداد النسل الطيب لديه ؛
 وجعلها مؤذنةً بإخوة بررة ، يعمرون أنذية الفضل ، ويعبرون (١) بقية الدهر .
 اتصل بي خبر المولودة ، كرم الله غزتها وأنبتها نباتاً حسناً ، وما كان من
 تغيرك بعد اتصاح الخبر ، وإنكارك ما اختاره الله لك في سابق القدر ، وقد
 علمت أنهم أقرب من القلوب ، وأن الله تعالى بدأ بهم في الترتيب ، فقال جل
 من قائل : (يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ) . وما سماه
 هبة فهو بالشكر أولى ، وبحسن التقبل أخرى . أهلاً وسهلاً بعقيلة النساء ،
 وأمّ الأبناء ، وجالبة الأصهار ، وأولاد الأطهار ، والمبشرة بإخوة يتناسقون ،
 ونجباء يتلاحقون .

فَلَوْ كَانَ النِّسَاءُ كَمِثْلِ هَذِي لَفَضَّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ
 فَمَا التَّائِيثُ لاسْمِ الشَّمْسِ غَيْبٌ وَلَا التَّدْ كِبَرٌ فَخَرُّ لِلْهِلَالِ

والله يعرفك البركة في مظلما ، والسعادة في موقعها ، فادرع اغتباطا ،
 واستأنف نشاطا . الدنيا مؤنثة ، والرجال يخدمونها . النار مؤنثة ، والذكور
 يعبدونها . والأرض مؤنثة ، ومنها خلقت البرية ، وفيها كثرت الذرية . والسماء
 مؤنثة ، وقد خلقت بالكواكب ، وزينت بالنجوم الثواقب . والنفس مؤنثة ،
 وهى قوام الأبدان ، وملاك الحيوان . والحياة مؤنثة ، ولولاها لم تصرف الأجسام
 ولا عرف الأنام . والجنة مؤنثة ، وبها وعد المتقون ، وفيها ينعم المرسلون ؛ فهناك
 الله ما أوليت ، وأوزعك شكر ما أعطيت ، وأطال الله بقاءك ما عرف
 النسل والولد ، وما بقى العصر والأبد ؛ إنه فعال لما يشاء .

(١) يعبرون : ييقون (م) .

[بعض ما لا يُمدح النساء به]

والتصرف في النساء ضيق النطاق ، شديد الخناق ، وأكثر ما يُمدح به

الرجال ذم لهم ، ووَضِّمَ عليهم ، قال ابن الرومي :

ما لِلْحِصَانِ مَسِيئَاتٍ بِنَا ، وَلَنَا إِلَى الْمَسِيئَاتِ طَوْلَ الدَّهْرِ تَحَنُّانُ
فَإِنْ يَبِيحُنَ بَعْدَهُ قُلُنٌ : مَعْدِرَةٌ
لَا تُنْزَمُ الذِّكْرُ ، إِنَّا لَمْ نُسَمِّ بِهِ
فَضْلُ الرِّجَالِ عَلَيْنَا أَنْ شِيَمَتَهُمْ
وَأَنْ مِنْهُمْ وِفَاءٌ لَا نَقُومُ لَهُ
وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُنْتَجِبِيُّ :

بِنَفْسِي الْخِيَالُ الرَّائِي بِعَدَةِ هَجَعَةٍ
سَلَامٌ فَلَوْلَا الْبُخْلُ وَالْخَوْفُ عِنْدَهُ
وَقَوْلُهُ لِي : بَعْدَنَا الْعُمُصَ تَطْعَمُ
لَقَلْنَا أَبُو حَفْصٍ عَلَيْنَا الْمَسَلْمُ
الآتِي أَنْ الْجُودَ ، وَالْوَفَاءَ بِالْهَوْدِ ، وَالشَّجَاعَةَ وَالْفَطْنَ ، وَمَا جَرَى فِي
هَذَا السَّنَنِ ، مِنْ فَضَائِلِ الرِّجَالِ ، لَوْ مَدِحَ النِّسَاءُ بِهِ لَكَانَ تَقْصَاً عَلَيْهِمْ ،
وَذَمًّا لَهُمْ ؟

ولمدح النساء أبواب تفرقت في الكتاب :

أشد رجل زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور :

أزْبَيْدَةُ بِنْتُ جَعْفَرِ بَلَوْبِي لَزَائِرِكَ الْمَثَابِ

تُعْطِينَ مِنْ رِجْلَيْكَ مَا تُعْطِي الْأَكْفُ مِنَ الرَّغَابِ

فوثب إليه الخدم يضر بونه ، فنعتهم من ذلك ، وقالت : أراد خيراً وأخطأ ،
وهو أحب إلينا من أراد شراً فأصاب ، سمع قولهم « شمالك أُنْدَى مِنْ يَمِينِ غَيْرِكَ »
فظن أنه إذا قال هكذا كان أبلغ ، أعطوه ما أمَل ، وعرفوه ما جهل .

وقال كثير :

وَمَا قَضَيْنَا مِنْ مَنَى كُلِّ حَاجَةٍ
وَمَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَا سَحُ

رجل يمدح
زبيدة أم
الأمين

لكثير عزة

وشدّت على حُذْبِ الطَّيَّارِ حَالَنَا
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا
تَقَعْنَا قُلُوبَنَا بِالْأَحَادِيثِ وَاشْتَقَفْنَا
وَلَمْ نَحْشُرْ رَبِّبَ الدَّهْرِ فِي كُلِّ حَالَةٍ
وَلَا يَعْلَمُ الْغَادِي الَّذِي هُوَ وَارِئُحُ
وَسَأَلْتُ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ
بِذَلِكَ صَدُورُ مَنْضَجَاتٍ قَرَائِحُ (١)
وَلَا رَاعِنَا مِنْهُ سَنِيحُ وَبَارِحُ

وقال :

ولكثيراً أيضاً

تَفَرَّقَ الْأَفُّ الْحَجِيحُ عَلَى مَيِّ
فَرِيْقَانِ مِنْهُمْ سَالِكُ بَطْنِ تَخْلَةٍ
فَلَمْ أَرَ دَاراً مِثْلَهَا دَارَ غِبْطَةٍ
أَوْ لَمَّ مَقِيماً رَاضِياً بِمَكَانِهِ
فَأَصْبَحَ لِاتْلَقِي خَبَاءَ عَيْدَتِهِ
فَشَاقُوكَ لِمَا وَجَّهُوا كُلَّ وَجْهَةٍ
وَسْتَمَّتْهُمْ شَحْطُ النَّوَى مَشَى أَرْبَعُ
وَأَخْرَجُ مِنْهُمْ جَارِعَ ظَهْرُ تَضْرُعُ
وَلَهْوٍ إِذَا التَفَّ الْحَجِيحُ بِمَجْمَعِ
وَأَكْثَرَ جَارِراً ظَاعِناً لَمْ يُودَّعِ
بِمَضْرِبِهِ أَوْ تَادَهُ لَمْ تُنْزَعِ
فَبَانُوا وَخَسَلُوا عَنْ مَنَازِلِ يَلْقَعِ

عزة تفضل
الأحوص على
كثير

ودخل كثير على عزة يوماً ، فقالت : ما ينبغي أن تأذن لك في الجلوس ،
فقال : ولم ذلك ؟ قالت : لأنى رأيت الأحوص ألين جانباً عند الغواني منك في
شعره ، وأضرع خدّاً للنساء ، وأنه الذى يقول :

يَأْيِبِيهَا اللَّأْمَى فِيهَا لِأَصْرِمَهَا
أَكْثَرَ فَلَسْتُ مُطَاعاً إِذْ وَشِيَتْ بِهَا
وَيَعْجِبُنِي قَوْلُهُ :

أُدُورٌ وَلَوْ لَا أَنْ أَرَى أُمَّ جَعْفَرٍ
وَمَا كُنْتُ زَوْراً ، وَلَكِنْ ذَا الْهَوَى
لَقَدْ مَنَعَتْ مَعْرُوفَهَا أُمَّ جَعْفَرٍ
بِأَبْيَاتِكُمْ مَا دُرْتُ حَيْثُ أَدُورُ
إِذَا لَمْ يُرْزَ لَا بِلَدِّ أَنْ سَيُزُورُ
وَإِنِّي إِلَى مَعْرُوفِهَا لَفَقِيرُ

(١) تقع : روى ، ومنضجات قرائح : أنضجها الحزن وقرحها

ويعجبني قوله :

كَمِ مِنْ دَنِيٍّ لَهَا قَدْ كُنْتُ أَتْبَعُهُ
لَا أَسْتَطِيعُ نَزْوَعًا عَنْ مَحَبَّتَيْهَا
أَدْعُو إِلَى هَجْرِهَا قَلْبِي فَيَتَّبَعُنِي
وَزَادَنِي رَغْبَةً فِي الْحَبِّ أَنْ مَنَعْتُ ،
ولو صحَّ القَلْبُ عنها كان لي تبعًا
أو يصنع الحبُّ بي فوق الذي صنعا
حتى إذا قلتُ هذا صادقٌ نزعًا
أشهى إلى المرء من دُنياه ما مُنعًا
وقوله :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَتَشَقَّ وَلَمْ تَدْرَ مَا الْهَوَى
وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا مَا تَلَدُّ وَتَشْتَهِي
وَإِنِّي لِأَهْوَاهَا وَأَهْوَى لِقَاءِهَا
عِلَاقَةٌ حَبِّ لَحٍّ فِي سَنَنِ الصَّبَا
فَكُنْ حَجْرًا مِنْ يَابِسِ الصَّخْرِ جَلْمَدًا
وَإِنْ لَامَ فِيهِ ذُو الشَّنَانِ وَفَنَدًا
كَأَيُّ شَيْءٍ الصَّادِي الشَّرَابِ الْمَبْرَدَا
فَأَبْلَى ، وَمَا يَزْدَادُ إِلَّا تَجْدُدَا
هَذَانِ الْبَيْتَانِ أَلْحَقَهُمَا الْعُتْبَى وَغَيْرُهُ بِشَعْرِ الْأَحْوَصِ ، وَأَنْشَدَهَا أَبُو بَكْرٍ بِنِ
دَرِيدٍ لِأَعْرَابِي ، فَقَالَ كَثِيرٌ : قَدْ وَاللَّهِ أَجَادَ فَمَا اسْتَقْبَحْتَ مِنْ قَوْلِي ؟ قَالَتْ :
قولك :

وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ أَجْلَلْنَ مَجْلِسِي
يُحَادِرُونَ مِنِّي غَيْرَةً قَدْ عَرَفْنَاهَا
تَرَاهُنَّ إِلَّا أَنْ يَخَالِسَنَّ نَظْرَةً
كَوَاطِمٍ لَا يَنْطَلِقَنَّ إِلَّا مَخُورَةً
وَأَظْهَرْنَ مِنِّي هَيْبَةً لَا تَجْهَمُهَا
قَدِيمًا ، فَلَا يَضْحَكُنَّ إِلَّا تَبْشُمَا
بِمَوْخِرِ عَيْنٍ أَوْ يَقْلِبَنَّ مِعْصَمًا
رَجِيعَةً قَوْلٍ بَدَّ أَنْ يَتَفَهَمَا
أَسْرَ الرِّضَا فِي نَفْسِهِ وَتَحْرَمَا
وَقَوْلِكَ :

وَدِدْتُ وَبَيْتِ اللَّهِ أَنْكَ بَكْرَةٌ
هَجَانٌ ، وَأَنْبَى مُصْعَبٌ ثُمَّ نَهْرُبٌ (١)

(١) هجان : يضاء ، والمصعب : الفعل ، ورواية صاحب الموشح :-

ألا ليتنا بعز كنا لدى غنى هجرين نرعى في الخلاء ونهزب

كِلَانَا بِهِ عُرٌّ فَمَنْ يَرَنَا يَقُلْ عَلَى حُسْنِهَا جَرَبَاءُ تُعَدِّي وَأَجْرَبُ^(١)
 نَكُونُ لَدِي مَالٍ كَثِيرٍ مَغْفَلٍ فَلَا هُوَ يَرَعَانَا وَلَا نَحْنُ نَطْلُبُ
 إِذَا مَا وَرَدْنَا مِنْهَا صَاحَ أَهْلُهُ عَلَيْنَا فَمَا تَنفَكْ نُؤْذَى وَنُضْرَبُ^(٢)
 وَيَحْكُ ! لَقَدْ أُرِدْتَ بِنِ الشَّقَاءِ ، أَمَا وَجَدْتَ أَمْنِيَةً أَوْ طَأً مِنْ هَذِهِ ؟ فَخْرَجْ
 خَجَلًا .

[من الأمانى]

لأبي صخر
 الهذلي

وقد تمنى بمثل هذه الأمانة الفرزدق . وأغرب من هذا قول أبي صخر الهذلي :
 تَمَنَيْتُ مِنْ حُبِّي عَلَيْهِ أَنَّنَا عَلَى رَمَتْ فِي الْبَحْرِ لَيْسَ لَنَا وَفِرُّ^(٣)
 عَلَى دَائِمٍ لَا يَعْبرُ الْفَلَكَ مُوجُهُ وَمِنْ دُونِنَا الْأَهْوَالُ وَاللَّجَجُ الْخُضْرُ
 فَتَقْضَى هَمُّ النَّفْسِ فِي غَيْرِ رَقَبَةٍ وَيُغْرَقُ مَنْ نَحْشَى نَيْمَتَهُ الْبَحْرُ
 وقيل : الأمل رفيق مؤنس ؛ إن لم يبلغك فقد ألهاك .

وقال مسلم بن الوليد .

وَأَكْثَرُ أَفْعَالِ اللَّيَالِي إِسَاءَةٌ وَأَكْثَرُ مَا تَلَقَى الْأَمَانِي كَوَازِبًا
 وقال آخر :

مُنَى إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمُنَى وَإِلَّا فَقَدْ عَشِنَا بِهَا زَمَنًا رَضَدًا
 أَمَانِيٍّ مِنْ لَيْلِي حِسَانٍ كَأَمَّا سَقَتْنِي بِهَا لَيْلِي عَلَى ظَلَمٍ بَرْدًا
 وقال آخر

رَفَعْتُ عَنْ الدُّنْيَا الْمُنَى غَيْرَ حَبِهَا فَلَا أَسْأَلُ الدُّنْيَا وَلَا أُسْتزِيدُهَا
 وَقِيلَ لِأَعْرَابِي : مَا أَمْتَعْتَ لَدَاتِ الدُّنْيَا ؟ فَقَالَ : مِمَّا رَحِمَ الْحَبَّ ، وَمِحَادِثَةُ الصَّدِيقِ ،

(١) العر - بالفتح ويضم - الجرب

(٢) رواية صاحب الموشح :

إذا ما وردنا منها هاج أهله

(٣) الرمت بالتحريك خشب يضمه إلى بعض ويركب في البحر

وأمانى تقطع بها أيامك ، وأنشد :

عَلَّمْنِي بِوَعْدِ وَأَمَلِي مَا حَيَّتْ بِهِ
وَدَعَيْتِي أَفْزُؤُ مِنْكَ بِنَجْوَى تَطْلُبُهُ
فَسَى يَعْزُ الزَّمَانُ بِحُظِّي فَيَذَرُهُ
[بعض أخبار كثير وعزة]

وكان كثير بن عبد الرحمن بن أبي جُعة الخزاعي — ويعرف بعزة ، على حِدَّةِ
خاطره ، وجودة شعره — أحقَّ الناس .

حق كثير

دخل عليه فرث من قريش وهو عليل يهزءون به ، قال بعضهم : قلت له :
كيف تجدك ؟ قال : بخير ، هل سمعتم الناس يقولون شيئاً ؟ قلت : نعم ،
سمعتم يقولون : إنك الدجال . فقال : والله لئن قلت ذلك إني لأجد في عيني
اليني ضةً فما منذ أيام .

وكان رافضياً يدين بالرجعة ، ويقول بإمامة محمد بن الحنفية ، والرافض يزعمون
أنه دخل في شعب باليمن في أربعين من أصحابه ، ولا بد من ظهوره ، وفي
ذلك يقول :

كان رافضياً

أَلَا إِنَّ الْأُمَّةَ مِنْ قَرِيشٍ
عَلِيٍّ وَالثَّلَاثَةَ مِنْ بَنِيهِ
فَسَبَطُ سَبَطُ إِيمَانٍ وَبِرٍّ
وَسَبَطُ لَا يَذُوقُ الْمَوْتَ حَتَّى
وَأَلَا أَلْحَقَّ أَرْبَعَةٌ سِوَاهُ
هُمْ الْأَسْبَابُ لَيْسَ بِهِمْ خَفَاءُ
وَسَبَطُ غَيْبَتُهُ كَرَاهِيَةٌ
يَقُودُ الْخَيْلَ يَقْدُمُهَا اللِّوَاءُ
تَغِيَّبَ لَا يُرَى عَنْهُمْ زَمَانًا
بِرَضْوَى عِنْدَهُ عَسَلٌ وَمَاءُ
وكان خلفاء بني أمية يعلمون ذلك منه ، ويلبسونه عليه .

دخل يوماً على عبد الملك بن مروان فقال : نشدتك بحق علي بن أبي طالب ،
هل رأيت أعشق منك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ لو سألتني بحقك لأخبرتُك ،
نعم ، بينا أنا أسيرُ في بعض الفلوات إذا أنا برجل قد نصب حَبَائِلَهُ ، قلت له :

بين كثير
وعبد الملك
بن مروان

ما أَجْلَسَكَ هَا هُنَا؟ قَالَ: أَهْلَكَنِي وَأَهْلَى الْجُوعِ، فَنَصَبْتُ حَبَائِلِي لِأَصِيبَ لَمْ
وَلنَفْسِي مَا يَكْفِينَا سَحَابَةَ يَوْمِنَا، قُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ أَقَمْتُ مَعَكَ فَأَصْبُنَا صَيْدًا،
أَتَجْعَلُ لِي مِنْهُ جِزْءًا؟ قَالَ: نَعَمْ، فَيُنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ وَقَعَتْ ظُيُوبُهُ، فَخَرَجْنَا
مُبْتَدِرِينَ، فَاسْرِعْ إِلَيْهَا فَخَلِّهَا وَأَطْلِقْهَا؛ قُلْتُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ:
بَخَلْتَنِي لَهَا رَقَّةً لَشَبَّهَ بَلَيْلِي، وَأَنْشَأُ يَقُولُ:

أَيَا شِبْهَ لَيْلِي لَا تُرَاعِي فَإِنِّي لَكَ الْيَوْمَ مِنْ وَخْشِيَّةٍ لَصَدِيقُ
أَقُولُ وَقَدْ أَطْلَقْتُهَا مِنْ وَثَاقِهَا لَأَنْتَ - لِلَّيْلِ - مَا حَيَّتْ طَلِيقُ
وَرَوَى الْكَلْبِيُّ وَابْنُ دَأْبٍ أَنَّهُ لَمَّا حَلَّهَا قَالَ:

أَذْهَبِي فِي كِلَابَةِ الرَّحْمَنِ أَنْتِ مَنِي فِي ذِمَّةٍ وَأَمَانِ
لَا تَخَافِي بَأْسَ تَهَاجِي بِسُوءِ مَا تَعْنَى الْحَمَامِ فِي الْأَغْصَانِ
تَرْهَبِينِي وَالْجَيْدُ مِنْكَ لِلَّيْلِ وَالْحَشَا وَالْبُغَامِ وَالْعَيْنَانِ؟

وَقَالَ قَيْسُ بْنُ الْمَلُوحِ:

رَاحُوا يَصِيدُونَ الطَّبَاءَ وَإِنِّي لَأَرَى تَصَايُدَهَا عَلَى حَرَامَا
أَشْبَهَنَ مِنْكَ مَحَاجِرًا وَسَوَالِفًا فَأَرَى عَلَى لَهَا بِذَلِكَ ذِمَامَا
أَعَزُّ عَلَى بَأْسِ أَرْوَعِ شَيْبِهَا أَوْ أَنْ يَذُقَنَّ عَلَى يَدَيَّ حَمَامَا
وَمَنْ جِيدَ شَعْرٍ كَثِيرٍ:

وَكَانَتْ لِقَطْعِ الْخُبْلِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا كِنَازِرَةً نَذْرًا فَأَوْفَتْ وَحَلَّتْ
فَقُلْتُ لَهَا: يَا عَزُّ كُلِّ مُصِيبَةٍ إِذَا وَطَّئْتَ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتْ
وَلَمْ يَلْقَ إِنْسَانٌ مِنَ الْحَبِّ مَنِيَّةً نَعْمٌ وَلَا غَمَاءَ إِلَّا تَجَلَّتْ
أَبَاحَتْ حَمِي لَمْ يَرَعَهُ النَّاسُ قَبْلَهَا وَحَلَّتْ تِلَاعًا لَمْ تَكُنْ قَبْلُ حُلَّتْ
هَنِيئًا مَرِيئًا غَيْرَ دَاءِ مُخَامَرِ لِعِزَّةٍ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتْ
أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةَ لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّةَ إِنْ تَقَلَّتْ
وَوَاللَّهِ مَا قَارَبْتُ إِلَّا تَبَاعَدْتُ بِهِجْرٍ، وَلَا اسْتَكْرَثْتُ إِلَّا أَقَلْتُ

لقيس بن
الملوح

من جيد
شعر كثير

وما مرَّ من يومٍ علىَّ كيومها
 ومان عظمت أيامٍ أخرى وجَلَّتْ
 فيأعجبنا للقلبِ كيفَ اعترافُهُ
 وللنفسِ لما وطُنت كيفَ ذَلَّتْ
 وإني وتَهَيَّأى بعزَّةٍ بعدما
 تخلَّيتُ مما بيَدنا وتَخَلَّتْ
 لكالمترجِّي ظلَّ الغمامةِ ، كلَّنا
 تَبَوَّأُ منها للمَقِيلِ اصْطَحَلَّتْ
 وكان كثيرٌ قصيرا دميا ، ولذلك قال :

كان كثير
 قصير دميا

فَإِنَّ أَلْكَ مَعْرُوقَ الْعِظَامِ فَإِنِّي إِذَا مَا وَاوَزْتِ الْقَوْمَ بِالْقَوْمِ وَازِنُ^(١)

ودخل كثير على عبد الملك بن مروان في أول خلافته ، فقال : أنت كثير ؟
 فقال : نعم ، فاقنحه ، وقال : تَسْمَعُ بِالْمَعْيِدِيِّ لَا أَنْ تَرَاهُ^(٢) ! فقال :
 يا أمير المؤمنين ، كلُّ إنسانٍ عند محله رَحْبُ الْفِنَاءِ ، شَامِخُ الْبِنَاءِ ، عَالِي
 السَّاءِ ، وَأَنْشُدُ يَقُولُ :

تري الرجل النحيفَ فَتَزْدَرِيهِ
 وَتُعْجِبُكَ الطَّرِيرُ إِذَا تَرَاهُ
 وفي أنوابه أَسَدٌ هَصُورُ^(٣)
 فَيُخْلِفُ ظَنِّكَ الرَّجْلُ الطَّرِيرُ^(٤)
 ولم تَطُلِ البُزاةُ وَلَا الصَّقُورُ^(٥)
 وَأُمُّ الْبِازِ مِقْلَاةٌ زُرُورُ^(٥)
 بُغَاثُ الطَّيْرِ أَطْوَلُهَا رِقَابًا
 خَشَّاشُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاحًا

(١) قبل هذا البيت

رأت رجلا أودى السقام بحمسه فلم يبق إلا منطق وجناجن
 وبعده :

وإني لما استودعتني من أمانة إذا ضيع الأسرار يا عز دافن

(٢) رواية القالي : « أن تسمع بالمعدي خير من أن تراه »

(٣) رجل طرير : له هيئة حسنة

(٤) البغاث : شرار الطير

(٥) خشاش الطير : هي العصافير ونحوها ، والمقلاة : التي لا يحيا لها ولد ، والزور :

قليلة الأولاد

ضِعَافُ الْأَسَدِ أَكْثَرُهَا زَيْبًا وَأَضْرَمَهَا اللَّوَاتِي لَا تَزِيرُ
 وَقَدْ عَظِمَ الْبَعِيرُ بِغَيْرِ لُبٍّ فَلَمْ يَسْتَعْنِ بِالْعِظَمِ الْبَعِيرُ
 يُنَوِّخُ ثُمَّ يُضْرَبُ بِالْمِرَاوِي فَلَا عُرْفٌ لَدَيْهِ وَلَا نَكِيرُ
 يَقُودُهُ الصَّبِيُّ بِكُلِّ أَرْضٍ وَيَضْرَعُهُ عَلَى الْجَنْبِ الصَّغِيرِ (١)
 فَمَا عَظِمَ الرَّجَالُ لَهُمْ بَزِينٌ وَلَكِنْ زَيْنُهُمْ حَسَبٌ وَخَيْرٌ (٢)
 قَالَ : قَاتَلَهُ اللَّهُ ! مَا أَطْوَلَ لِسَانَهُ ، وَأَمَدَ عِنَانَهُ ، وَأَوْسَعَ جَنَانَهُ ؛ إِنِّي
 لِأَحْسِبُهُ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ (٣) .

[قولهم في الطول والقصر]

وَأَنشَدَ أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهُ لَشَاعِرٍ قَدِيمٍ :

وعاذلة هبت بليل تلومني ولم يفتنرني قبل ذلك سخدول (٤)
 تقول: اتدلا يدعك الناس مملقاً وتزري بمن يابن الكرام تقول
 فقلت: أبت نفس على كريمة وطارق ليل عند ذلك يقول
 ألم تعلمي يا عمرك الله أني كريم على حين الكرام قليل
 وأني لا أخزي إذا قيل مملق سخي، وأخزي أن يقال بخيل
 فلا تتبعني النفس الغوية وانظري إلى عنص الأ حساب كيف يتول
 ولا تذهبن عينك في كل شرمح له قصب جوف العظام أسيل (٥)
 عسى أن تمنى عرسه أني لها به ، حين يشتد الزمان ، بدليل

(١) رواية القالي : « وينحره على التراب الصغير »

(٢) رواية القالي « كرم وخير »

(٣) روايه القالي « فقال عبد الملك : لله دره ! ما أفصح لسانه ، وأضبط جنانه ،

وأطول عنانه ! والله اني لأظنه كما وصف نفسه » .

(٤) اغتمره يفتنره : عده غمرا - بالضم ويفتح - وهو من لم يجرب الأمور

(٥) الترمح : الرجل الطويل .

إذا كنت في القوم الطوال فطلتهم^(١) بعارفة حتى يقال طويل^(٢)
ولا خير في حسن الجسم وطولها إذا لم تزن حسن الجسم عقول
فكان رأينا من فروع طويلة تموت إذا لم تحين أصول
فإلا يكن جسماً طويلاً فإنني له بالفعال الصالحات وصول
ولم أر كالمعروف: أمّا مدافه فخلو، وأمّا وجهه فجميل
وقال ابن الرومي:

لابن الرومي

ونصيف من الرجال نحيف راجح الوزن عند وزن الرجال
في أناس أوتوا حُلوم العصافير فلم تغنيهم جُوم البغال
أخذه من قول حسان بن ثابت، وقال له بنو الديان الحارثيون: قد كنا
ونحن نطول بأحسامنا على العرب حتى قلت:

دعوا التّخاجؤً وامشوا مشيةً سُججاً إنَّ الرجال ذوو قسَدٍ وتذْ كبير^(٣)
لا بأس بالقوم من طولٍ ومن عظمٍ جسمُ البغالِ وأحلامُ العصافيرِ
فتركتنا لا نرى أجسامنا شيئاً

والعربُ تمدح الطول ، وثنتي عليه ، وقال عبدة بن شداد :

بطلٌ كانَ ثيابُه في سَرَحةٍ يُحذِي نَعَالَ السَّبْتِ لَيْسَ بَتَوَامٍ
قوله « ليس بتوأم » يريد ليس ممن زوحم في الرحم فضعف ، كما قال
الشعبي ، وقد دخل على عبد الملك بن مروان ، فجعل ينظرُ إليه ، وكان الشعبي
قد وُلد توأمًا مع أخيه ، فكان نحيفًا ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنِّي زوحت في
الرحم ، وقال :

لعنترة العبسي

(١) رواية القالي « فضلهم »

(٢) العارفة : المكreme ، وفسرها أبو بكر ابن الأنباري بالنفس السارة

(٣) التخاجؤ : فتح الصدر عند الشئ تها وكبرياء

ولما التقى الصفان واختلف القنا
تبين لي أن القهارة ذلة
وقال أبو نواس :

لأبي نواس

وكنا إذا ما الحائن الجدد غرة
تردّي له الفضل بن يحيى بن خالد
أمام خميس أرجسوان كأنه
ومن هذا البيت أخذ أبو الطيب المتنبي قوله :

وملؤمة زردت ثوبها ولكنته بالقنا مخمل

[عود إلى أخبار كثير عزة]

ودخل كثير على عبد العزيز بن مروان وهو عليل ، وأهله يتمنون أن
يتبسم ، فقال : لولا أن سرورك لايتم بأن تسلم وأسقم لدعوت الله أن يصرف
ما بك إلي ، ولكني أسأل الله أيها الأمير العافية لك ولي في كنفك ؛ فضحك
وأمر له بمال فخرح وهو يقول :

ونعود سيّدنا وسيّد غيرنا
لو كان يُقبل فدية لفديته

ليت التشكى كان بالعواد
بالمصطفى من طارفي وتلادي

قال محمد بن سلام الجمحي : قال أبي : ذا كرت مروان بن أبي حفصة شعر
جرير والفرزدق وكثير ، فذهب إلى تقديم كثير ، وجعل يطويه ويقول : هو
أمدحهم للخلفاء ، فقلت : أمن جودة مدحه للخلفاء قوله لعبد الملك بن مروان :
تري ابن أبي العاصي وقد صفت دونه
ثمانون ألفاً قد توافقت كموها
يقلب عيني حية بمفازة
إذا أمكنته شدة لا يقبلها
فقال هذا للخليفة ودونه ثمانون ألفاً ، وجمله يقلب عيني حية .

تقد سلام
الجمحي بعض
شعر كثير

(١) الخميس : الجيش لأنه خمس فرق : المقدمة ، والقلب ، والمينة ، والميسرة ، والساقة

وقوله:

وإن أمير المؤمنين هو الذي غزا كمانات الودّ مني فناها
زعم أن أمير المؤمنين استعطفه حتى غزا كمانات صدره .

وقوله لعبد العزيز بن مروان :

وما زالت رُفَاكَ تَسْتَلُّ ضِغْفِي وَتُخْرِجُ مِنْ مَكَامِنِهَا ضِجْبَانِي
ويزرّ قيني لك الخلاوون حتى أجابك حية تحت الحجاب
زعم أن عبد العزيز ترصّاه ، واحتال له ورقاه ، حتى أجابه ؛ أ كذأ تمّ مدح
للوك ؟ فأسكتته (١) .

فصول قصار

من كان له من نفسه واعظ ، كان من الله عليه حافظ . العبد حرٌّ إذا قنع ،
والحرُّ عبدٌ إذا طمع . الأمانى تمخّذك ، وعند الحقائق تدّعك . إذا كان
الطمعُ هلاكاً ، كان اليأسُ إدراكاً . ليس يُعدُّ حكياً ، من لم يكن لنفسه خصيماً . تعرّ
عن الشيء إذا مُنِعْتَهُ ، بقلة ما يصيبك إذا مُدِحْتَهُ . تجرّع مَضَضَ الصبر تطفئ
نار الضر . الحكمة حِفْظُ مَا كَلَفْتَ ، وتركُ مَا كَفَيْتَ . الصبرُ عن محارم الله ،
أيسر من الصبر على عذاب الله .

شذور لأهل الصر في معانٍ شتى

قطعة من كلام الأمير قابوس بن وشمكبير شمس المعالي في أثناء رسائله :
برّند الشفيع توري نار النجاح ، ومن كف المفيض يُنظر فوز القنداح ،

من كلام
قابوس بن
وشمكبير

(١) راجع ما أخذه الرواة على كثير في الصفحات ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ من
كتاب الموشح ؛ فإن ما هنا قد اقتبس من هناك

الوسائل أقدم ذوى الحاجات ، والشفاعات مفاتيحُ الطَّلِبَاتِ . العفو عن الجرم من
 مُوجِبَابِ الكرم ، وقَبُولُ العذرة من محاسن الشِّيم . وبالقوادم والخوافي قُوَّةُ
 النجاح ، وبالأسنة والعوَالِي عمل الرماح . الدنيا دار تغرير وخذاع ، وملتقى ساعة
 لوداع ، والناس مُتَصَرِّفُونَ بين كل وِردٍ وصدْرٍ ، وصائرون خَبِراً بعد أثر . غايَةُ
 كل متحرِّكٍ إلى سكون ، ونهاية كل متكونٍ ألاَّ يكون ، وآخر الأحياء
 فَنَاءٌ ، واجتزاع على الأموات عَنَاءٌ ، وإذا كان ذلك كذلك ، فَلِمَ التهاك على
 المهالك ؟ . حشُوُ الدهر أحزان وهموم ، وصفحُوهُ من غير كدر معدوم . إذا سمح
 الدهر بالحَبَاءِ ، فأبشر بوشك الاقتضاء ، وإذا أعار ، فأحسبه قد أعار . الدهر طمان
 حلومر ، والأيام ضربان عُسرٌ ويسر . لكل شيء غاية ومنتهى ، وانقطاع وإن
 بلغ المدى . تَرَكَ الجواب ، داعية الأرتياب ، والحاجة إلى الاقتضاء ، كسوف في
 وجه الرجاء . همَّ المنتظر للجواب ثقيل ، والمدى فيه وَإِنْ كان قصيراً طويلاً .
 التجيب إذا جرى لم يشقَّ غباره ، وإذا سرى لم تلحق آثاره . ومن أين للضباب
 صَوْبُ السحاب ، وللغرب هُوِيُّ العقاب ، وهيهات أن تكتسب الأرض طاقة
 الهواء ، ويصير البدر كالشمس في الضياء .

للشعالي يصف
 شمس المعالي

وقد ترجم عن شمس المعالي أبو منصور الشعالي في كتاب ألفه له ؛ قال في
 أوله : أمّا على أثر حمدِ الله الذي هو أولُ كتابه ، وآخرُ دعوى ساكني دار
 ثوابه ، والصلاة على خيرته من بريته ، وعلى الصفوة من ذريته ، فإنَّ خيرَ
 الكلام ما شغل بخدمة مَنْ جمع اللهُ له عِزَّةَ الملِكِ إلى بسْطَةِ العلم ، ونورَ الحكمة
 إلى نفوذِ الحكم ، وجعلَه ميمراً على ملوكِ العصر ، ومدبري الأرض وولاية الأمر ،
 بخصائص من العدل ، وجلال من الفضل ، ودقائق من الكرم المحض ،
 لا يدخلُ أيسرُها تحت العادات ، ولا يُدركُ أفلها بالعبارات ؛ ومحاسنُ [سيرِ]
 الأنام ^(١) ، تحرُّسها أسنة الأقاليم ، وتدرسها أسنة الليالي والأيام ، وهذه صفة تُعني

(١) في الأصول كلها « ومحاسن سير الأيام » تحريف، ما أثبتناه (م)

عن تشبيه الموصوف لاختصاصه بمعناها ، واستحقاقه إياها ، واستثنائه على جميع الملوك بها ، وإعلم سامعها بيديها السماع أنها للأمير ، شمس المعالي ، خالصة ، وعليه مقصورة ، وبه لاقفة ، وعن غيره نأفرة ؛ إذ هو - بمعاينة الآثار ، وشهادة الأخيار ، وإجماع الأولياء ، واتفاق الأعداء - كافل المجد ، وكافي الخلق ، ووحد الدهر ، وغرّة الدنيا ، ومفزع الوري ، وحسنه العالم ، ونكته الفلك الدائر ؛ فبلغه الله أقصى نهاية العمر ، كما بلغه أقصى غاية الفخر ؛ وسلكه أزيمة الأمر ، كلما ملكه أعنة الفضل ؛ وأدام حسن النظر للعباد والبلاد ، بإدامة أيامه التي هي أعياد الدهر ، ومواسم المين والأمن ، ومطالع الخير والسعد ، وزاد دولته شباباً ونمواً ، كما زاده في الشرف علواً ، حتى تكون السعادات وقد باه ، والبشائر قرى سمعو ، والمسار غداء نفسه ، ويتراعى به الإقبال إلى حيث لا يبلغه أمل ، ولا يقطعه أجل .

نحافى قوله « وهذه صفة تُفنى عن الموصوف » إلى قول أبي الطيب يرني
أخت سيف الدولة :

يا أخت خير أئح يا بنت خير أب كنايةً بهما عن أشرف النسب
أجل قدرك أن تسمى مؤنثة ومن دعاك فقد سماك للعرب

وفي شمس المعالي يقول الأمير أبو الفضل الميكالي :

لا تمصين شمس العلاء قابوسا فمن عصى قابوس لا قى بوسا
وله يقول بدیع الزمان في قصيدة نظمها في تضاعيف رسالة موشحة :
إن من كنت من مناه بمرأى وتعداك سيء الاقتراح
بين بشر يرُد غايب جاهی وقبول يعيد ريش جناحي

مدائح في شمس
المعالي ابن
وشمكير

وبساطٍ ووردتُ مشرعة الأنس بهِ وادّرعَتْ بُردَ النجّاحِ
 فاقصُ أوطاراً التقتُ والمعالي في نظامٍ من التّهي وتصحاحِ
 ملكِ دونه تقطعُ أبصارِ الليالي يوماً ندى وكفّاحِ
 ملكِ لو يشاء مدّ على النّجّاسمِ رواقاً وردّ وفدّ الرّياحِ
 تارة في خشونة الدهر تلقّاهُ وطوراً في حُسنِ ذاتِ الوشاحِ
 ملكِ كلما بدأ نقفُ الأفلاكِ عجباً بهِ وفردّ ارتياحِ
 هكذا هكذا تكونُ المعالي طرُقُ الجدِّ غيرُ طرُقِ المزاجِ
 وهي طويلةٌ، كتبتها على طريق الاختيار.

[من رسائل بديع الزمان]

رقعة لبديع الزمان إلى شمس المعالي ، وقد ورد حضرته :

لم تزل الآمالُ - أطال الله بقاء الأمير السيد شمس المعالي ، وأدام سلطانه - تعدّني
 هذا اليوم ، والأيامُ تمطلني بالسنة صروفها ، على اختلافِ صنوفها ، بين حُلوي
 أسترقني ، ومرّ استخفني ، وشر صار إليّ ، وخير صيرتُ إليه ، وأنا في خلال
 هذه الأحوال أذرعُ الآفاقَ فأكون طوراً مشرقاً للمشرق الأقصى ، وطوراً
 مغرباً للمغرب ، ولا مطمح إلا حضرته الرفيعة ، وسُدّته المريعة ، ولا وسيلة إلا
 المنزِع الشاسع ، والأمل الواسع ؛ وقد صرت - أطال الله بقاء الأمير مولانا - بين
 أنيابِ النوائبِ ، وتجمّعت هَوْلُ المواردِ ، وركبتُ أكتافَ الكارهِ ، ورضعتُ
 أخلافَ العوائقِ ، ومسحت أطراف المراحلِ ، حتى حضرت الحضرة البهية
 أوكدتُ ، وبلغت الأمنية أوزدت ، وللأمير السيد في الإصغاء إلى المجد ،
 والنسب من عنان الفضلِ ، بتمكين خادمه من المجلس يلقاه بقدمه ، والبساط
 يائمه بغمه ، تفضله : فله الرأى العالى إن شاء الله .

وله إلى بعض الرؤساء وقد وعد بحضور مجلسه بالغداة وأمره أن يزف إليه
 ما أنشأه ، فبعث به وكتب إليه :

مرحّباً بسلام الشيخ سيدي ومولاي أطال الله بقاءه ، ولا كالمزحّب

بَطْلَمَيْتِهِ ؛ وقد وصلت ثَمِيَّتُهُ فشكرتها ، وعدتُهُ الجميلة بالحضور غدا فانتظرتها ؛
 ودعوتُ الله أن يطوي ساعاتِ النهار ، ويرجع الشمس في المغَار ، ويُقرَّب مسافة
 الفلكِ الدُّوَار ، ويرفع البركة من سيره ، ويجهز الحركة إلى دوره ؛ وبُسرَّتي بوفدِ
 الظلام وقد نزل ، ثم لم يلبثُ إلا ريثما رحل ؛ وقد بعثتُ بما طلب سمعاً لأمره
 وطاعة ، والنسخة أسقمُ من أجفانِ الغَضبانِ ، والشيخ سيدي — أدام اللهُ
 عزه — يُرِ كضُ قلمه في إصلاحها ، وحبذا هو في غدٍ ، وقد طلع كالصبح إذا
 سطع ، والبرق إذا لمع :

يا مرحباً بقدي ويا أهلاً به إن كان إلامُ الأَحَبَّةِ في غدٍ

وله إلى أبي الطيب سهل بن محمد يسأله أن يصله بأبي إبراهيم إسماعيل بن أحمد :
 لو كان للكرم عن جناب الشيخ مُنصَرَفٌ لَانصَرَفْتُ ، وأولَّأمل مُنحَرَفٌ إلى
 سواء لَانحَرَفْتُ ، أو لالتُّجَّح بابٌ سواء لَوَلَّجْتُ ، أو للفضل خاطبٌ غيره لَزَوَّجْتُ ،
 ولكنَّ أباي الله أن يعقدَ إلا عليه الخنصر ، أو يتحلَّى إلا بفواضله الدهر ، ولا يزال
 كذا يتسمُّ المجدُ بِسَمْتِهِ ، ويجذبُ الغلاءَ بِهَمَّتِهِ ، ويُسعدُ الدينَ بِنظَرِهِ ، والدنيا
 بِجِلالِهِ ، وغلامُهُ أنالوا استعارَ الدهرَ لساناً ، واتَّخذَ الريحُ تَرْجُمَاناً ، ليشيعَ إنعامَهُ حق
 الإشاعة ، لقصُرَتْ به يدُ الاستطاعة ، فليس إلا أن يلبس مكارمه صافيةً سائفةً ،
 ويردَّ مشارعه صافيةً سائفةً ، ويحيلُ الجزاء على يدِ قصور ، والشكر على لسان
 قَصِيرٍ ؛ ثم إنَّ حاجاتي ، إذا لم يعرَّ من قلائدِ المجدِ نحرُها ، ولم يعطلَّ من حلِّي
 المجدِ صدرُها ، كبر مهزُّها ، وعزَّ كفوها ، ولم أجد لها إلا واحداً أخضرَ الجلدِ
 في بيت العرب ، أو ماجداً يملأُ الدُّلو إلى عقدِ الكُرب^(١) . وهذه حاجةُ أنا أرفها
 إلى الشيخ الإمام حرص الله مُهَجَّتِهِ ، وأسوقها منظومة من الصدرِ إلى العجزِ ،
 كما يساقُ الماءُ إلى الأرضِ الجُرُز^(٢) ؛ وأنا من مفتتحِ اليومِ إلى مختتمِهِ ، ومن

(١) الكُرب - بفتحين - الحبل يلى الماء .

(٢) الجُرز - بضمين - الأرض لا تلبث شيئاً .

قَرَنَ النهارَ إلى قَدَمِهِ ، قاعدٌ كالكَرْكِيِّ^(١) ، أو الدبِّكِ الهِنْدِيِّ ، في هذا الأَدْحِيِّ^(٢) ،
يَمْرُؤُ بِأولو الخِلي والحلِّل ، ويمتازُ ذُوو الخِليلِ والخَوَلِ^(٣) ، وما أنا والنَّظَرُ إلى مالا
يَكِلِنِي ، والسؤالُ عمالا يَعْينِنِي ، واليومُ ، لما افتَضُّنا عُدْرَةَ الصِّباحِ ، ملأتُ
جفونِي من مَنظَرٍ ما أَحوجَهُ إلى عَيْبٍ يَصْرِفُ عَيْنَ كَالِهِ ، عن جِمالِهِ ، فقلتُ لمن
حَضَرَ : مَنْ هذا ؟ فأجَدُوا يَجْرُ كَوْنُ الرَّهْمِوسِ اسْتَظْرَافًا خالِي ، ويتَنامِرُونَ تَعَجُّبًا
من سؤالي ، وقالوا : هذا الشَّيْخُ الفاضِلُ أبو إِبْرَاهِيمَ إِسْماعِيلُ بنِ أَحْمَدَ ، فقلتُ :
حَرَسَ اللهُ مُهْجَتَهُ ، وأدامَ غَيْبَتَهُ ؛ فكيفِ الوُصولُ إلى خِدْمَتِهِ ، وأنى ما تُني
مَعْرِفَتِهِ ؟ قالوا : إنَّ الشَّيْخَ الإمامَ - أدامَ اللهُ تَأْيِيدَهُ - يَضْرِبُ في مَوَدَّتِهِ بِالرِّدْجِ
المُعَلَّى ، وَيَأْخُذُ في مَعْرِفَتِهِ بِالْحِظِّ العُلِيِّ ، فإنَّ رَأْيَ الشَّيْخِ - أطالَ اللهُ بقاءَهُ - أن
تُجَلَّ عِنايَتُهُ حَرَفَ الصَّلَةِ ، وتَفْضَلَهُ لَأَمِّ المَعْرِفَةِ ، فَقَلَّ ، إن شاء اللهُ .

[من أخبار البرامكة]

قال الرشيد ليحيى بن خالد : يا أبت ، إني أردتُ أن أجعل الخاتم الذي في
يد الفضل إلى جعفر ، وقد احتشمت منه فاكفنيه .
فكتب إليه يحيى : قد أمر أمير المؤمنين - أعلى اللهُ أمرَهُ - أن يحول
الخاتم من يمينك إلى شمالك .

فأجاب الفضل : قد سمعتُ ما قاله أمير المؤمنين في أخي ، وقد اطّلت على
أمره ، وما انقلبتُ عنى نعمةٌ صارت إليه ، ولا عزَّبتُ^(٤) عنى رتبةٌ طلعتُ عليه .
فقال جعفر : لله أخي ! ما أنفَسَ نَفْسَهُ ، وأبَيَّنَ دلائِلَ الفضلِ عليه ،
وأقوى مُنَّةَ العَقْلِ فيه ، وأوسعَ في البلاغةِ ذَرْعَهُ ، وأرْحَبَ بها جناهُ . يُوجب
على نفسه ما يجب له ، ويَحْمِلُ بكَرْمِهِ فوق طاقته .

(١) الكركي : طائر يقرب من الوز ، أبيض الذنب ، رمادي اللون ، يأوي
إلى الماء أحياناً (م) (٢) الأدهي : المكان الذي تبيض النعام فيه من الرمل .
(٣) الخليل : أراد به الخلاء ، والخول - بالتحريك - الخدم والعبيد والإماء (م)
(٤) كذا ، وعزبت معناه بعدت ، وأحسبه « غربت » لمقابلته بطلعت (م)
(٦ - زهر الآداب ٢)

ثمامة بن أشروس
يصف جعفر
بن يحيى

ودكر جعفر بن يحيى في مجلس ثمامة بن أشروس فقال: ما رأيت أحداً من خلق الله كان أبسط لساناً، ولا ألحن بحجة، ولا أقدر على كلام، بنظم حسن، والفاظ عذبة، ومنطق فصيح، ومن جعفر بن يحيى، كان لا يتوقف، ولا يتحسس، ولا يصل كلامه بحشوي من الكلام، ولا يعيد لفظاً ولا معنى، ولا يخرج من فن إلى غيره، حتى يبلغ آخر ما فيه؛ وكان لا يرى شيئاً إلا حكامه، ولا يحكي شيئاً إلا كان أكثر منه، ولا يمر بذهنه شيء إلا حفظه، وكان إذا شاء أضحك الثكلى، وأذهل الزاهد، وخشن قلب العابد.

قلت: فكيف كانت معرفته؟ قال: كان من أعلم الناس بالخبر الباهر، والشعر النادر، والمثل السائر، والفصاحة التامة، واللسان البسيط.

سهل بن هارون
يصف يحيى
وابنه جعفر

قال سهل بن هارون، وذكر يحيى بن خالد وابنه جعفرًا، فقال: لو كان الكلام متصوراً دُرّاً، ويُلقيه المنطق جوهرًا، لكان كلامهما، والمنتقى من ألفاظهما. ولقد غبرت معهما، وأدركت طقة المتكلمين في أيامهما، وهم يرون البلاغة لم تستكمل إلا فيهما، ولم تكن مقصورة إلا عليهما، ولا انقادت إلا لهما. وإنيهما للباب الكرم، عتق منظر، وجودة مخبر، وسهولة لفظ، وجزالة منطلق، ونزاهة نفس، وكمال خصال؛ حتى لو فاخرت الدنيا بقليل أيامهما، والمأثور من خصائصها جميع أيام من سواهما من لدن آدم إلى أن ينفتح في الصور، ويُبعث أهل القبور - حاشا أنبياء الله الكرام، وسلف عباده الصالحين - لما باهت إلا بهما، ولا عوّلت في الفخر إلا عليهما، ولقد كانا - مع تهذيب أخلاقهما، ومَعسول مَذاقهما، وسنا إشراقهما، وكال الخير فيهما - في محاسن المأمون كالنقطة في البحر، والخردل في القفر.

توقيع جعفر
ابن يحيى

ووقع جعفر بن يحيى لرجل اعترده من ذنب: قد قدمت طاعتك، وظهرت نصيحتك، ولا تغلب سيئة حسنتين.

وَوَقَّعَ - وقد قرأ كتاباً فاستحسن خطه - : الخطُّ خَيْطُ الحِكْمَةِ ، يُنظَمُ فيه منشورُها ، ويفصَّلُ فيه شذوَرُها .

واختصم رجلان بحضرتِه ، فقال لأحدهما : أنت خِليّ ، وهذا شِجِيّ ؛ فكلامك يجرى على برِّدِ العافية ، وجوابه يجرى على حرِّ المصيبة .

بين جعفر بن يحيى و مروان ابن أبي حفصة

ودخل مروان بن أبي حفصة على جعفر بن يحيى فأنشده :
أَبْرَةً فَاتْرَجُوا الجِيَادَ لِحَاقِهِ أَبُو الفَضْلِ سَبَّاقُ الأَضَامِمِ جَعْفَرُ
وزيرٌ إِذَا ناب الخِلافةَ حَدِثٌ أَشارَ بِما عنهُ الخِلافةُ تَصَدَّرُ
فقال جعفر : أنشدني مرثيتك في معن بن زائدة ، فأنشده :

أَقَمْنَا بِالِإِمَامَةِ أَوْ نَسِينَا مَقامًا ما تُرِيدُ بِهِ زَوَالا
وقلنا : أين نذهبُ بعدَ مَعْنٍ وقد ذهبَ النَّوَالُ فَلَناوِ الأَ؟
وكان الناسُ كُلُّهُم لَمَعْنٍ إلى أن زار حُفْرَتَهُ - عِيالا

حتى فرغ من القصيدة ، وجعفر يرسل دموعه على خديه ، فقال : هل أمالك على هذه المرثية أحد من أهل بيته وولده ؟ قال : لا ، قال : فلو كان معن حياً ، ثم سمعاً منك ، كم كان يُثيبك عليها ؟ قال : أربعمائة دينار ، قال : فإناً كنتاً نظن أنه لا يرضى لك بذلك ، وقد أمرنا لك عن معن - رحمه الله - بالضعف مما ظننته ، وزدناك مثل ذلك ؛ فاقبض من الخازن ألفاً وستمائة دينار قبل أن تخرج ، فقال مروان - يذكر جعفرأ وما سمح به عن معن - :

نَفَخْتَ مُكَافِئاً عن جُودِ مَعْنٍ لِنَا فِيا تَجُودُ بِهِ سِجَالا
فَعَجَّلْتَ العَطيَّةَ يائِزٌ يَحِييَ لِنَا دِيبِهِ ولم تُرِدِ المِطالَا
فَكَافَأَ عن صَدَى مَعْنٍ جِوَادُ بِأَجُودِ راحَةٍ بَدَلتِ نِوَالا
بَنَى لَكَ خالداً وَأَبوكَ يَحِييَ بِناءَ في المِكارِمِ لَنْ يُنالَا
كَانَ البرمكى لِكُلِّ مالٍ تَجُودُ بِهِ يَداهُ يُفِيدُ مالاً (١)

(١) يفيد هنا : بمعنى يأخذ ، لا بمعنى يعطى (م)

أخذ هذا من قول زهير :

تراه إذا ما جئته مُتَمَلِّلاً كأنك تُعطيهِ الذي أنت سائلُهُ

وهذا البيت لزهير من قصيدة يقول فيها :

وذي نعمةٍ تَمَّتْهَا وشكرتها وخضم يكادُ يغلبُ الحقَّ باطلُهُ
دفعتُ معروفٍ من الحقِّ صائبٍ إذا ما أضلَّ القائلين مفاصلُهُ
وذي خطلٍ في القولِ بحسبِ أنه مُصيبٌ فما يُلمِّمُ به فهو قائلُهُ
عَبَّأتُ له حلماً ، وأكرمتُ غيرهُ وأعرضتُ عنه وهو بادٍ مقائلُهُ
وأبيضَ قباضٍ يدها عمامةٌ على مُتَفِيهِ ما تُغِبُّ نوافلهُ (١)
عَدَوْتُ عليه غدوةً فرأيتُهُ قعوداً لَدَيْهِ بالصَّرِيمِ عواذُهُ
يُفَدِّيَنهُ طَوْرًا ، وطَوْرًا يُلْمَنُهُ وأعياناً فما يَدْرِينِ أين حَاجَتُهُ
فأعرضتُ عنه عن كريمٍ مُرَرًا بِجُوحِ على الأمرِ الذي هو فاعلهُ
أخِي نِقَةَ لا يُذْهِبُ الخمرُ مالَهُ ولكنَّه قد يُذْهِبُ المالَ نائهُ

من قصيدة
لزهير بن أبي
سلي

قال أبو الفرج قدامة بن جعفر ، في معنى أبيات زهير الأولى : لما كانت

تعلق عليها
قدامة بن جعفر

فضائلُ الناسِ من حيث هم ناس ، لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر
الحيوان ، على ما عليه أهلُ الألبابِ من الاتفاقِ في ذلك ، إنما هي العقلُ والعفةُ
والعدلُ والشجاعةُ ، كان القاصدُ للمدحِ بهذه الأربعةِ مُصِيبًا ، وبما سواها مخطئًا ؛
وقد قال زهير :

أخِي نِقَةَ لا يُتَيْفُ الخمرُ مالَهُ ولكنَّه قد يُهْلِكُ المالَ نائهُ
فوصفه بالعفة لقلَّةِ إمعانه في اللذات ، وأنه لا يُنْفِدُ فيها مالَهُ ، وبالسَّخاءِ
لإهلاكِ مالِهِ في النوالِ ، وانحرافِهِ إلى ذلك عن اللذات ، وذلك هو العدلُ ،
ثم قال :

تراه إذا ما جئته مُتَمَلِّلاً كأنك تُعطيهِ الذي أنت سائلُهُ

(١) العتفون : طالبو عطاياه ، وما تُغِبُّ نوافله : ما تتأخر عطاياه (م)

فزاد في وصف السخاء بأنه يهش ولا يلحقه مضض ولا تكرر لفعله
ثم قال :

فمن مثل حِصْنٍ فِي الْحُرُوبِ وَمِثْلُهُ لِإِنْكَارِ ضَمِّ أَوْ لِأَمْرِ يُجَاوِلُهُ
فأني في هذا البيت بالوصف من جهة الشجاعة والعقل ؛ فاستوفى ضرور
المدح الأربعة ، التي هي فضائل الإنسان على الحقيقة ، وزاد الوفاء ، وإن كان
داخلا في الأربعة ؛ فكثير من الناس لا يعلم وجه دخوله فيها حيث قال « أخى
ثقة » فوصفه بالوفاء ؛ والوفاء داخل في هذه الفضائل التي قدّمناها .
وقد يتفنن الشعراء فيعدون أنواع الفضائل الأربع وأقسامها ، وكل ذلك
داخل في جملتها ؛ مثل أن يذكروا ثقابة المعرفة ، والحياء ، والبيان ، والسياسة ،
والصدع بالحجة ، والعلم ، والحلم عن سفاهة الجهلة ؛ وغير ذلك مما يجرى
هذا الجرى ، وهو من أقسام العقل . وكذا كرم القناعة ، وقلة الشره ،
وطهارة الإزار ؛ وغير ذلك أيضا من أقسام العفة . وكذا كرم الحماية ، والأخذ
بالتأثر ، والدفاع ، والتكايه ، والمهابة ، وقتل الأقران ، والسير في المهامه
والفقار ؛ وما يشاكل ذلك ، وهو من أقسام الشجاعة ؛ وكذا كرم السماحة ،
والتضامن ، والانظام ، والتبرع بالنائل ، وإجابة السائل ، وقري الأضياف ؛
وما جانس هذه الأشياء ، وهو من أقسام العدل .

فأما تركيب بعضها على بعض فتحدث منها ستة أقسام : يحدث من تركيب
العقل مع الشجاعة : الصبر على الملمات ، ونوازل الخطوب ، والوفاء بالوعد . وعن
تركيب العقل مع السخاء : إنجاز الوعد ، وما أشبه ذلك . وعن تركيب العقل مع
العفة : التزهو والرغبة عن المسألة ، والاقتصار على أدنى معيشة ، وما أشبه ذلك . وعن
تركيب الشجاعة مع السخاء : الإخلاف ، والإتلاف ، وما أشبه ذلك . وعن تركيب
الشجاعة مع العفة : إنكار الفواحش ، والغيرة على الحرم . ومن السخاء مع العفة :

الإسعاف بالقوث ، والإيثارُ على النفس ، وما شأ كل ذلك . وكل واحدة من هذه الفضائل الأربع وَسَطٌ بين طرفين مذمومين (١)

وقد قال أبو جعفر محمد بن منذر لما حجَّ الرشيد مع البرامكة :

لمحمد بن منذر
في البرامكة

أَتَانَا بَنُو الْأَمْلَاقِ مِنْ آلِ بَرَمَكٍ فَيَا طَيْبَ أَخْبَارٍ ، وَيَا حَسَنَ مَنَظَرٍ
لَهُمْ رِحْلَةٌ فِي كُلِّ عَامٍ إِلَى الْعِدَا وَأُخْرَى إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ الْمُشَهَّرِ
فَتُظَلِّمُ بَغْدَادُ ، وَيَجْلُوْنَا الدَّجَى بِمَكَّةَ مَا حَجَّجُوا ثَلَاثَةَ أَقْمَرٍ
إِذَا نَزَلُوا بِطَحَاءِ مَكَّةَ أَشْرَقَتْ بِيَحْيَى وَبِالْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى وَجَعْفَرٍ
فَمَا خُلِقَتْ إِلَّا لِجُودٍ أَكْفَهُمْ وَأَقْدَامُهُمْ إِلَّا لِأَعْوَادِ مَنَبَرٍ
إِذَا رَاضَ يَحْيَى الْأَمْرَ ذَلَّتْ صِعَابُهُ وَحَسَبْتُ مِنْ رَاعٍ لَهُ وَمَدْرٍ
تَرَى النَّاسَ إِجْلَالًا لَهُ وَكَأَنَّهُمْ غَرَائِقُ مَاءٍ تَحْتَ بَازٍ مُصْرَصِرٍ (٢)

[مُثَلٌّ مِنَ التَّجْنِيسِ]

قطعة من شعر الأمير أبي الفضل الميكالي في طَرْفٍ اخذ بطرف من التجنيس مستطرف في ضروب من الغزل ، قال :

لأبي الفضل
الميكالي

لَقَدْ رَاعَنِي بَدْرُ الدَّجَى بِصُدُودِهِ وَوَكَّلَ أَجْفَانِي بِرَعَى كَوَاكِبِهِ
فِيَا جَزَعِي ، مَهْلًا عَسَاهُ يَعُودُ لِي وَيَا كَبِدِي ، صَبْرًا عَلَيَّ مَا كَوَاكِبُهُ
وقال :

مَوَاعِيدُهُ فِي الْفَضْلِ أَحْلَامُ نَائِمٍ أَشْبَهَهَا بِالْقَفْرِ أَوْ بِسَرَايِهِ
فَمَنْ لِي بَوَجْهِهِ لَوْ تَحَيَّرَ فِي الدَّجَى أَحْوَسَفَرٍ فِي لَيْلِ غَيْمٍ سَرَى بِهِ

(١) راجع الباب السابع من كتاب « الأخلاق عند الغزالي » لتفهم هذا الحديث

(٢) الغرائق : جمع غرنوق ، وهو طير مائي أسود ، والبازي : الصقر

وقال :

صِلْ مَجْبَا أَعْيَاهُ وَضَفْ هَوَاهُ
كَلِمَا رَاقَهُ سِوَاكَ تَصَدَّتْ

وقال :

يَا ذَا الَّذِي أُرْسِلُ مِنْ طَرَفِهِ
شَفَاءَ نَفْسِي مِنْكَ تَحْمِيشَةً

وقال :

يَا مُبْتَلَى بَضْنَاهُ يَرْجُو رَحْمَةً
[أَوْصَاكَ سِحْرُ جَفُونِهِ بِتَسْهَدٍ
اضْبِرْ عَلَيَّ مَضَضَ الْهَوَى فَرَبَّمَا

وقال :

كَتَبْتُ إِلَيْهِ أَسْتَهْدِي وَصَالاً
أَلَا لَيْتَ الْجَوَابَ يَكُونُ خَيْراً

وقال :

إِنْ كُنْتَ تَأَنَسُ بِالْحَيِيبِ وَقُرْبِهِ
إِنَّ الرِّقِيبَ إِذَا صَبَرْتَ لِحِكْمِهِ

وقال :

شَكُوتُ إِلَيْهِ مَا الْإِي فِي فَقَالَ لِي :
فَلَوْ كَانَ حَقًّا مَا ادَّعَيْتَ مِنَ الْهَوَى

وقال :

نَوَى لِي بَعْدَ إِكْثَارِ السُّؤَالِ
فَلَمَّا رُمْتُ إِنْجَازاً لَوْعَدِي
وَكَانَ الْقُرْبُ مِنْهُ شَفَاءَ نَفْسِي

(١) أنت مؤتلى : مقصر (م)

وقال :

سقياً لدهرٍ مضى والوصلُ يجمَعنا
فصرتُ إذ عَلِمْتُ كَفَى حَبَائِلِكُمْ
وَمِنْ نَحْيِي عِنَاكَ شَكْلُ تَنْوِينِ
فَسَمَهُمْ هَجْرَكَ تَرَمِي ثُمَّ تَنْوِينِي

وقال :

صَدَفَ الحَيْبُ بَوَصْلِهِ
وَنَثَرَ لَوْلُو أَدْمَعِ
خَفَا رُقَادِي إِذْ صَدَفَ
أَضْحَى لَهَا جَفْنِي صَدَفَ

وقال :

يَا مَنْ يَقُولُ الشَّعْرَ غَيْرَ مَهْدَبِ
لَوْ أَنَّ كُلَّ النَّاسِ فِيكَ مُسَاعِدِي
وَيَسُومُنِي التَّعْذِيبَ فِي تَهْدِيهِ
لَعَجَزْتَ عَنِ تَهْدِيبِ مَا تَهْدِي بِهِ

وقال :

أَرَادَ أَنْ يُخْفِيَ هَوَاهُ وَقَدْ
وَكَيْفَ يُخْفِي دَاءَهُ مُدْنَفُ
نَمَّ بِمَا تُخْفِي أُسَارِيرُهُ
قَدْ ذَابَ مِنْ فَرْطِ الأَسَى رِيرُهُ (١)

وقال :

وَمَهْفَفٌ تَهْفُو بِلَبِّ الرِّءْ مِنْهُ شَمَائِلُ
فَالرِّدْفُ دِعْصٌ هَائِلُ وَالقَدُّ عَصْنٌ مَائِلُ
وَالخِدَّةُ نَوْرٌ شَقَائِقِ تَنْشَقُّ عَنْهُ خَائِلُ
وَالعَرَفُ نَشْرٌ حَدَائِقِ تَمَّتْ بِهِنَّ شَمَائِلُ
وَالطَّرْفُ سَيْفٌ مَالُهُ إِلَّا العِذَارُ حَمَائِلُ

ولأبي الفتح البستي في هذا المذهب :

إِن لِي فِي الهَوَى لِسَانًا كَتُومًا
غَيْرَ أَنِّي أَخَافُ دَمْعِي عَلَيْهِ
وَجَنَانًا يُخْفِي حَرِيقَ جَوَاهُ
سِتْرَاهُ يُفْشِي الَّذِي سَتْرَاهُ

لأبي الفتح
البستي

(١) الرير : الدم ، أو ذائب الخ

ولأبي الفتح البستي في مذهب هذا البيت الأخير :

نَاطِرَاهُ فِيمَا جَسَى نَاطِرَاهُ
أُودَعَانِي أُمَّتٌ بِمَا أُودَعَانِي

وله :

خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِعَرْفٍ كَمَا
وَلِنَ فِي الْكَلَامِ لِكُلِّ الْأَنَامِ
أُمرتَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ
فَسَتَحَسُنُ مِنْ ذَوِي الْجَاهِ لَيْنَ

وله :

إِلَى حَتْفِي سَعَى قَدَمِي
فَمَا أَنْفَكُ مِنْ نَدَمِي
أَرَى قَدَمِي أَرَاكَ دَمِي
وَلَيْسَ بِنَافِعِي نَدَمِي

وله :

إِنْ هَرَّ أَقْلَامُهُ يَوْمًا لِيُعْمِلَهَا
وَإِنْ أَقْرَأَ عَلَى رَقٍّ أَنْامِلُهُ
أَنْسَاكَ كُلَّ كَمِي هَرَّ عَامِلُهُ
أَقْرَأَ بِالرَّقِّ كِتَابُ الْأَنَامِ لَهُ
وقال لمن استدعاه إلى مودته :

فَدَيْتُكَ قَلَّ الصَّدِيقُ الصَّدُوقُ
وَلِي رَاغِبٌ فَيْكَ إِمَّا وَفَيْتُ
وَقَلَّ التَّلْمِيزُ الْخُفِيُّ الْوَفِيُّ
فَهَلْ رَاغِبٌ أَنْتَ فِي أَنْ تَنْفِي
وللأمير أبي الفضل :

أَهْلًا بَطْنِي حَوَاهُ قَصْرُ
طَرَقَتْهُ لَا أَهَابُ سَوْءًا
كَجَنَّةٍ قَدَحَوَتْ نَعِيمًا
تَنْفِي حَرِيقًا بِهِ قَدِيمًا
أَفْدَى حَرِيقًا أَبَاحَ رِيحًا
لَا بَلَّ حَرِيمًا أَبَاحَ رِيحًا

وله :

مَنْ لِي بِشَمْلِ الْمَنَى وَالْأَنْسِ أَجْمَعَهُ
بشادنٍ حَلَّ فِيهِ الْحَسَنِ أَجْمَعُهُ

ما زال يُعْرِضُ عَنْ وَصَلِي وَأَخَذَهُ وَقَالَ :

بِأَبِي غَزَلٍ نَامَ عَنْ وَصَلِي بِهِ
وَمُرَاقٍ دَمَعِي لِلنَّوَى وَصَبِيهِ
يَالَيْتِي هَ يَرْثِي عَلِيَّ وَلَهِي بِهِ
لَغْرَامٍ قَلْبِي فِي الْمَوَى وَلَهِيهِ
وَلَهُ فِي هَذَا الْبَابِ مِنْ غَيْرِ هَذَا النَّمْطِ
يُصِفُ غُلَامًا مَحْمُورًا خَمَشَ وَجْهَهُ :
هَبَّهُ تَعَبَّرَ حَائِلًا عَنْ عَهْدِهِ
وَرَمَى فُوَادِي بِالصَّدُودِ فَازُعْجَا
مَا بَالُ تَرْجِسِهِ تَحْوَلُ وَرْدَةً
وَالْوَرْدُ فِي خَدَيْهِ عَادَ بِنَفْسِجَا
وَلَهُ فِي هَذَا الْعَنَى :

وَرَمَى عَلَى الشُّكْرِ حَمَشْتُهُ
بِقَرَضٍ بَعَارِضِهِ أَثْرًا
فَأُصْحِحَ تَرْجِسُهُ وَرْدَةً
وَوَرْدَةُ خَدَيْهِ كَثِيلُوفَرَا

وقال في وصف العذار :

ظَلَمْتُ كَسَا رَأْسِ الشَّبَابِ بَعَارِضِ
تَمَّ الْعِدَارُ بِحَافَتَيْهِ فَلَاخَا
فَكَأَنَّمَا أَهْدَى لِعَارِضِ خَدَيْهِ
شَعْرِي ظَلَامًا وَاسْتِعَاضَ صَبَاحَا

وقال في غلام افتصد :

وَمُهْنَفِ غَرَسِ الْجَا لُ نَحْدَهُ رَوْضًا مَرِيعَا
فَصَدَّ الطَّيِّبُ ذِرَاعَهُ فُجْرِي لَهُ دَمْعِي ذَرِيعَا
وَأَمْسَنِي وَقَعُ الْحَدِيدِ بَعْرِقَهُ أَلْمَا وَجِيعَا
فَأَرَيْتَهُ مِنْ عَابِرِي مَا سَالَ مِنْ دَمِيهِ نَجِيعَا

فَقَرُّ فِي ذِكْرِ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ

العلماء ورثة الأنبياء . والعلماء أعلام الإسلام . العلماء في الأرض كالنجوم

في السماء .

(١) الأخدع : عرق ، وهو شعبة من الوريد

ابن المعتز - العلماء غريباء، لكثرة الجهل. وله: العلمُ جمالٌ لا يخفى، ونسب لا يخفى. وله: زلّة العالم كانبكسار سفينة تغرق ويفرق معها خلقٌ كثير.

غيره - إذا زلّ العالم، زلّ بزلتِه عالم. غيره: الملوك حكامٌ على الناس، والعلماء حكامٌ على الملوك. من لم يَحْتَمِلْ ذلَّ التعلم ساعة، بَقِيَ فِي ذلَّ الجهل أبداً. ماصين العلم بمثل بذله لأهله. من كتم علماً فكأنه جاهله.

العلم يمنع أهله * أن يمنعه أهله^(١)

ابو الفتح كشاجم:

لا تمنع العلم امرأً والعلم يمنع جانباً
أما العبي فليس يفهم لطفه وغرائبه
وتكون حاضرة القوا تُد عندك كالغائبه
وأخو الحصافة مستحق أن ينال مطالبه
فبحقه أعطيته من فضل علمك واجبه

ومن رَقَّ وجهه عند السؤال، رَقَّ علمه عند الرجال. علم بلا عمل، كشجرة بلا ثمر. كما لا يُنبت المطر الكثير الصخر، كذلك لا ينفع البليد كثرة التعلم. من ترقّع بعلمه وضعه الله بعمله. الجاهل صغير وإن كان كبيراً، والعالم كبير وإن كان صغيراً. من أكثر مذاكرة العلماء، لم ينس ما علم، واستفاد ما لم يعلم.

ابن المعتز: المتواضع في طلاب العلم أكثرهم علماً، كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماء. إذا علمت فلا تذكري من دونك من الجهال، وإذا كرت من فوقك من العلماء. النار لا يُنقِصها ما أخذ منها، ولكن يُنقِصها ألا تجد حطباً، كذلك العلم لا يُفنيهِ الاقتباس منه، وقد الحاملين له سببُ عدمه.

(١) هذا بيت من الشعر يروي أن الشافعي كتب به إلى محمد بن الحسن

الشياني، وكان قد استعار منه كتاباً فتأخر عن إعادته، وقيل قوله:

قل لمن لم تر عين من رآه مثله (م)

مات خزانة الأموال وهم أحياء ، وعاش خزان العلم وهم أموات . مثل علم لا ينفع
ككنز لا ينفق منه . أزهد الناس في عالم جبراته .

وقيل للصلت بن عطاء ، وكان مقدماً عند البرامكة : كيف غلبت عليهم وعندهم
من هو أدب منك؟ قال : ليس للقرباء طرافة الغرباء ، وكنت امرأ بعيد الدار ،
نأى المزار ، غريب الاسم ، قليل الجرم ، كثير الألتواء ، شحيحاً بالإملاء ؛
فرغبهم في رغبتي عنهم ، وزهدني فيهم رغبهم في .

علم لا يعبرُ معك الوادي ، لا يعمر بك النادي . لو سكت من لا يعلم لسقط
الاختلاف . إذا ازدحم الجوابُ خفي الصواب . الغلط تحت اللغط . خرق الإجماع
خرق . المحجوج بكل شيء ينطق

استمارات فتوية تليق بهذا المكان

بين أبي تمام
و ابن أبي دؤاد
دخل أبو تمام الطائي على أحمد بن أبي دؤاد في مجلس حكمه ، وأنشده أبياتاً
يستعظم نائله ، وينشر فضائله ، فقال : سيأتيك ثوابها يا أبا تمام ، ثم اشتغل
بتوقيعات في يده ؛ فأحفظ ذلك أبا تمام ، فقال : أحضر أيدك الله فإنك غائب ،
واجتمع فإنك مفترق ، ثم أنشده :

إن حراماً قبولٌ مدحتنا وترك ما نرتجى من الصدق
كما الدنانير والدرهم في الصرف حرام إلا يداً بيد
فأمر بتوفير حياته ، وتعجيل عطائه .

بين طاهر بن
عبد الله وابن
في تمام
ولما رلى طاهر بن عبد الله بن طاهر خراسان دخل الشعراء يهشونه ، وفيهم
تمام بن أبي تمام فأنشده :

هناك رب الناس هنا كما
قرت بما أعطيت إذا الحجي
فأمر بتوفير حياته ، وتعجيل عطائه .

فاستضعف الجماعة شعره ، وقالوا : يا بعد ما بينه وبين أبيه ! فقال طاهر

لبعض الشعراء : أجه ، فقال :

حيّاك ربُّ الناس حيّاكا إن الذي أمّلتَ لخطاكا
فقلتَ قولاً فيه ما زانهُ ولو رأى مَدحا لآساكا
فهاك إن شئتَ بها مدحةً مثل الذي أعطيتَ أعطاكَا

فقال تمام : أعز الله الأمير ، وإنَّ الشَّعْرَ بالشَّعْرِ رَبًّا ، فاجعل بينهما صنجا من الدرهم ، حتى يحل لي ولك ! فضحك وقال : إلا يكن معه شعْرُ أبيه ، فمعه ظُرف أبيه ؛ أعطوه ثلاثة آلاف درهم ! فقال عبد الله بن إسحاق : لو (١) لم يعط إلا لقول أبيه في الأمير أبي العباس - رحمه الله - يريد عبد الله بن طاهر : يقول في قَوْمِ صَحْبِي وقد أخذتُ منَّا السُّرِّيَّ وَحُطًّا للمُؤَرِّبَةِ القُودِ : أمطلع الشمس تبغى أن تؤمَّ بنا ؟ فقلتُ : كلا ، ولكن مطلع الجود فقال : ويعطى بهذا ثلاثة آلاف .

[ولاية طاهر بن عبد الله بن طاهر خراسان ، وسببها]

وكان سببُ ولاية طاهر خراسان بعد أبيه ما حدث به أبو العيناء قال : كنعند أحمد بن أبي دواد ، خجاء الخبر أن الكتب وردت على الواثق من خراسان بوفاة عبد الله بن طاهر ، وأن الواثق يُعزِّي عنه ، وأنه قد ولي مكانه خراسان إسحاق ابن إبراهيم ، وكان عدوا له لانحراظه في سبِّك ابن الزيات ؛ فلبس ثيابه ومضى ، وقال : لا تبرحوا حتى أعود إليكم ؛ فلبث قليلا ، ثم عاد إلينا فحدثنا أنه دخل على الواثق فغراه عن عبد الله وجلس ، قال : فقال لي الواثق : قد ولينا إسحاق خراسان ، فما عندك ؟ قلت : وفق الله أمير المؤمنين ولائذمه . قال : قل ما عندك في هذا . قلت : أمر قد أمضى ، فما عسيت أن أقول فيه . قال : لتفعلن . فقلت : يا أمير المؤمنين ، خراسان منذ ثلاثين سنة في يد طاهر وابنه ، وكلُّ من بها صنائعهم ، وقد خلفَ عبد الله عشرة بنين أكثرهم رجال ، وجميع جيش خراسان

(١) جواب لو هذه مخدوف ، وتقدير الكلام : لو لم يعط إلا لقول أبيه لكان ذلك سائعا (م)

لهم عبيدٌ أوموالٍ أو صنائع ، وسيقولون : أما كان فينا مُصْطَنَعٌ ؟ وكان يجب أن
يجرّبنا أمير المؤمنين ، فإن وَفِينَا بما كان ينبغي به أبونا وجدُّنا ، وإلا استبدل منا
بعد عُدْر فينا ؛ ويقدم خراسان إسحاق وهو رجل غريب فينا فنهه هؤلاء ،
ويتعصب أهلها لهم ؛ فينتفض ما أبرم ، وبفسد ما أصلح
قال : صدقت يا أبا عبد الله ، والرأي ما قلت ، اكتبوا بعهد طاهر بن عبد الله
على خراسان . فكتبت كتب طاهر ، وخرقت كتب إسحاق ، فخرجت الزنج
تطير بها ، ثم لقيت إسحاق داخلا ، فقلت : يا أبا الحسن ، لا عدمت عداوة رجل
أزال عنك ولاية خراسان بكلمة .

* * *

ومدح ابن الرومي أبا العباس بن ثوبان ، فعارضه أخوه أبو الحسن بقصيدة
بين ابن الرومي وابن ثوبان
يمدح أخاه بها ، فقال ابن الرومي :

أَلَيْسَ الْقَوَانِي بِنَاتِ الْفَتَى إِذَا صَوْرَةُ الْحَقِّ لَمْ تُنْسَخِ
فَلَا تَقْبَلَنَّ أَمَادِيحِي حَرَامٌ نِكَاحُ بَنَاتِ الْأَخْرِ

ولما أنشد أبو تمام قصيدته في المعتصم : * السيف أصدق أبناء من الكتب *
قال له : لقد جلوت عروسك يا أبا تمام فأحسنت جلاءها . قال : يا أمير المؤمنين ،
والله لو كانت من الحور العين لكان حُسنُ إصغانتك إليها من أوفى مهورها .

وقال الأمير أبو الفضل الميكالي :

لأبي الفضل
الميكالي

أَقُولُ لِشَادِنِ فِي الْحَسَنِ أَضْحَى يَصِيدُ بِلَحْظِهِ قَلْبَ الْكَمِيِّ
مَلَكَتِ الْحَسَنَ أَجْمَعَ فِي قِوَامِ فَأَدَّ زَكَاتَ مَنْظَرِكِ الْبَهِيِّ
وَذَلِكَ أَنْ تَجُودَ لِمُسْتَهَامِ بَرِيقٍ مِنْ مُقَبَّلِكَ الشَّهِيِّ
فَقَالَ : أَبُو حَنِيفَةَ لِي إِمَامٌ فَعَنْدِي لِزَكَاتَةِ عَلِيِّ الصَّبِيِّ

وربما أنشد هذه الأبيات على قافية أخرى فقال :

أَقُولُ لِشَادِنِ فِي الْحَسَنِ فَرْدٍ يَصِيدُ بِلَحْظِهِ قَلْبَ الْجَلِيدِ

ملكت الحسن أجمع في قوام
وذلك أن تجود لمستهام
فقال : أبو حنيفة لي إمام
وقال :

بنفسى غزال صار للحسن قبلة
دعاني الهوى فيه فلبيت طائعا
فطرق بالتسبيد والدمع قارن
وقال أبو الفتح كشاجم :

فديت زائرة في العيد واصلة
فلم يزل خدّها ركنًا أطوف به
والهجر في غفلة من ذلك الخبر
والخار في خدّها يغني عن الحجر

وينضاف إلى هذا النظم قطعة من رسالة طويلة كتبها بديع الزمان إلى أبي نصر بن المرزبان :

كتابي أطال الله بقاء الشيخ وأنا سالم ، والحمد لله رب العالمين ، كيف تقلب بديع الزمان
الهمداني
الشيخ في درع العافية ، وأحواله تلك الناحية ؛ فإني ببعده منغص شرعة العيش ،
مقصود أجنحة الأنس . ورد كتابه المشتمل من خبر سلامته ، على ما أرب إلى
الله في إدامته ، وسكنت إليه بعد انزعاجي لتأخره ؛ وقد كان رسم أن أعرفه
سبب خروجي من جرجان ، ووقوعي بخراسان ، وسبب غضب السلطان ؛ وقد
كانت القصة أني لما وردت من ذلك السلطان حضرته ، التي هي كعبة المحتاج ،
لا كعبة الحجاج ، ومستقر الكرم ، لامشعر الحرم ، وقبلة الصلوات ، لا قبلة
الصلاة ، ومنى الضيف ، لا منى الخيف ، وجدت بها ندما من نبات العام^(١) ، اجتمعوا

(١) من نبات العام : يريد أنهم حديثو العهد

قِيضَةَ كَلْبٍ^(١) عَلَى تَلْفِيْقِ خُطْبِ ، أُرْعَجْنِي عَنِ ذَلِكَ الْفِتَاءِ ، وَأَشْرَفَ بِي عَلَى الْفِتَاءِ ، لَوْلَا مَا تَدَارَكَ اللَّهُ بِجَمِيلِ صُنْعِهِ ، وَحَسَنِ دَفْعِهِ ؛ وَلَا أَعْلَمُ كَيْفَ احْتَالُوا ، وَلَا مَا الَّذِي قَالُوا ؛ وَبِالْجَمَلَةِ غَيْرَ وَرَأَى السُّلْطَانَ ، وَأَشَارَ عَلِيٌّ إِخْوَانِي ، بِمَفَارِقِهِ مَكَانِي ، وَبَقِيْتُ لَا أَعْلَمُ أَيْمَنَةً أُضْرِبُ أُمَّ شَامَةَ ، وَتَجِدُنَا أَقْصَادَ تِهَامَةَ !

وَلَوْ كُنْتُ فِي سَلْمَى أَجَاوِشَعَايَهَا لَكَانَ لِحَجَّاجٍ عَلِيٌّ دَلِيلُ

وَقَدْ عَلِمَ الشَّيْخُ أَنَّ ذَلِكَ السُّلْطَانَ سَمَاءٌ إِذَا تَعَيَّمَ لَمْ يُرْجَ صَحْوُهُ ، وَمَاءٌ إِذَا تَغَيَّرَ لَمْ يُشْرَبْ صَفْوُهُ ، وَمَلِكٌ إِذَا سَخِطَ لَمْ يُنْتَظَرِ عَفْوُهُ ، وَوَلِيٌّ بَيْنَ رِضَاةٍ وَالسُّخْطِ عَوَجَةٌ ، كَمَا لَيْسَ بَيْنَ غَضَبِهِ وَالسَّيْفِ قَرْجَةٌ ، وَوَلِيٌّ مِنْ وَرَاءِ سُخْطِهِ حِجَازٌ ، كَمَا لَيْسَ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ مَعَهُ حِجَازٌ ؛ فَهُوَ سَيِّدٌ يُغْضِبُهُ الْجُرْمُ الْخَلْقِي ، وَلَا يُرْضِيهِ الْعَذْرُ الْجَلِي ؛ وَتَكْفِيهِ الْجَنَايَةُ وَهِيَ إِرْجَافٌ ، ثُمَّ لَا تَسْفِيهِ الْعُقُوبَةُ وَهِيَ إِجْحَافٌ ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَرَى الذَّنْبَ وَهُوَ أَضْيَقُ مِنْ ظِلِّ الرَّمْحِ ، وَيَعْمَى عَنِ الْعَذْرِ وَهُوَ أَبْيَنُ مِنْ عَمُودِ الصُّبْحِ ؛ وَهُوَ ذُو أُذُنَيْنِ يَسْمَعُ بِهَذِهِ الْقَوْلِ وَهُوَ بَهْتَنٌ ، وَيُحْجَبُ عَنِ هَذِهِ الْعَذْرِ وَهُوَ بَرَهَانٌ ؛ وَذُو يَدَيْنِ يَبْسُطُ إِحْدَاهُمَا إِلَى السَّفْكِ وَالسَّفْحِ ، وَيَقْبِضُ الْأُخْرَى عَنِ الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ ؛ وَذُو عَيْنَيْنِ يَفْتَحُ إِحْدَاهُمَا إِلَى الْجُرْمِ ، وَيَغْمِضُ الْأُخْرَى عَنِ الْحَلْمِ ، فَمَرْحُهُ بَيْنَ الْقَدِّ وَالْقَطْعِ ، وَجَدُهُ بَيْنَ السَّيْفِ وَالنُّطْعِ ، وَمُرَادُهُ بَيْنَ الظُّهُورِ وَالْكُمُونَ ، وَأَمْرُهُ بَيْنَ الْكَافِ وَالنُّونِ ؛ ثُمَّ لَا يَعْرِفُ مِنَ الْعِقَابِ ، غَيْرَ ضَرْبِ الرِّقَابِ ، وَلَا يَهْتَدِي مِنَ التَّأْنِيبِ إِلَّا لِإِزَالَةِ النِّعَمِ ، وَلَا يَعْلَمُ مِنَ التَّأْدِيبِ غَيْرَ إِرْاقَةِ الدَّمِ ، وَلَا يَحْتَمِلُ الْمَهْنَةَ عَلَى حِجْمِ الذَّرَّةِ ، وَدَقَّةِ السَّعْرَةِ ، وَلَا يَحْمِلُ عَنِ الْمَهْوَةِ ، كَوْزَنَ الْمَهْبُوتَةِ ، وَلَا يُغْفِي عَنِ السَّقَطَةِ ، كَجُرْمِ النَّقَطَةِ ؛ ثُمَّ إِنْ التَّمَّ بَيْنَ لَفْظِهِ وَقَلَمِهِ ، وَالْأَرْضِ تَحْتَ يَدِهِ وَقَدَمِهِ ، لَا يَلْقَاهُ الْوَلِيَّ إِلَّا بِغَمِهِ ، وَلَا الْعَدُوَّ إِلَّا بِدَمِهِ ؛ وَالْأَرْوَاحَ بَيْنَ حَبْسِهِ وَإِطْلَاقِهِ ، كَمَا أَنَّ الْأَجْسَامَ بَيْنَ حَلِّهِ وَوَثَاقِهِ ؛ فَنَظَرْتُ فَإِذَا أَنَا بَيْنَ

(١) قِيضَةُ كَلْبٍ: الْقِيضَةُ بِالْكَسْرِ هِيَ الْعِظْمُ ، وَالْمُرَادُ تَحْقِيرُهُمْ بِوَضْعِهِمْ بِعِظَامِ الْكَلْبِ

جودين : إيمان أجودَ ببأسي ، وإيمان أجود برأسي ؛ وبين رُكوبين : إيمان
 للمفازة ، وإيمان لجنّازة ؛ وبين طريقين : إيمان الغربة ، وإيمان التربة ؛ وبين فراقين : إيمان
 أن أفرق أرضي ، أو أفرق عرضي ؛ وبين راحلتين : إيمان ظهور الجمال ، وإيمان
 أعناق الرجال ؛ فاخترتُ السباح بالوطن ، على السباح بالبدن ؛ وأنشدت :
 إذا لم يكن إلاّ المنية مرّ كَبٌ فلا رأى للمحمول إلا ركوبها
 ولّد ما ذكر من « كعبة [الاحتجاج] ، لا كعبة [الاحتجاج] » ، من قول أبي تمام :
 بيتان حجّهما الأنام ؛ فهذه حجّ الغني ، وتلكم للمعتمد
 [أبو عليّ البصير وشيء من أدبه]

وشتم بعض الطالبين أبا عليّ الفضل بن جعفر البصير ، فقال أبو عليّ : والله
 بين طالبي مانعياً عن جوابك ، ولا نعجزُ عن مسألك ؛ ولكننا نكون خيراً لنسبك منك ، وأبي عليّ البصير
 ونحفظ منه ما أضعت ؛ فاشكر توفيرنا ما وفرنا منك ، ولا يغرّك بالجهل علينا
 حلّمنا عنك .

وسأل أبو عليّ البصير بعض الرؤساء حاجةً ولقيه ؛ فاعتذر إليه سن تأخرها ؛
 فقال أبو عليّ : في شكرٍ ما تقدّم من إحسانك شاغلٌ من استبطاء ما تأخر منه .
 وأبو عليّ أحد من جمع له حظُّ البلاغة في الموزون والمنثور ، وهو القائلُ :
 ألمت بنا يوم الرحيل اختلاسه فاضرم نيران الهوى النظر الخلس
 تابت قلبي لا وهي ترعد خيفة كما تنأى حين تقتدل الشمس
 فخطبها صمّي بما أنا مضميرٌ وأنبت حتى ليس يُسمع لي حس
 وولت كما ولي الشباب لطيفة طوت دونها كشحاً على يأسها النفس
 وقال يصف بلاغة الفتح بن خاقان وشعره :

سمّنا بأشمار الملوك ؛ فكلمها إذا عَصَ مَتْنِيهِ النِّفَافُ تَأوَدًا
 سوى ما رأينا لا مريّ القيس ؛ إننا نراه - متى لم يشعُر الفتحُ - أوحدًا

أقام زماناً يسمعُ القولَ صامتاً ونحسبه إن رام أ كدَى وأصدأ
 [فلم المتطاه راكباً ذلَّ صعبه وسار فأضحى قد أغار وأجداً]

والفتح بن خاقان يقول :

من شعر
 الفتح بن خاقان
 كتاب إلى
 عبيد الله بن يحيى

وإني وإياها لكانتُ خمرٍ، والقـتى متى يستطع منها الزيادة يزدد
 إذا ازددتُ منها زاد وجدى بقرٍ بها فكيف احترا من هوى متجدد
 وكتب إلى أبي الحسن عبيد الله بن يحيى : وإن أمير المؤمنين لما استخلصك
 لنفسه ، وأتمنك على رعيتته ؛ فطلق بلسانك ، وأخذ وأعطى بيدك ، وأورد
 وأصدر عن رأيك ، وكان تفويضه إليك بعد امتحانه إياك ، وتسليطه الحق على
 الهوى فيك ، وبعد أن مثل بينك وبين الذين سموا المرء بتبتك ، وجروا إلى غايتك ،
 فأسقطهم مضاًؤك ، وخفوا في ميراثك ، ولم يزدك - أكرمك الله - رفعة وتشريفاً
 إلا أزددت له هيبَةً وتعظيماً ، ولا تسليطاً وتمكيناً ، إلا زدت نفسك عن الدنيا
 عزوفاً وتنزيهاً ، ولا تقريباً واختصاصاً ، إلا أزددت بالعامّة رافَةً وعليها حداباً ،
 لا يخرجك فرطُ النصح له عن النظر لرعيته ، ولا يشارُ حقه عن الأخذ بحقها
 عنده ، ولا القيام بما هو له عن تضمين ما هو عليه ، ولا يشغلك مُعانة كبار
 الأمور عن تفقد صغارها ، ولا الجدُّ في صلاح ما يصلح منها عن النظر في عواقبها ؛
 تمضي ما كان الرشدُ في إمضائه ، وترجيء ما كان الحرّمُ في إرجائه ، وتبدلُ
 ما كان الفضلُ في بذله ، وتمنع ما كانت المصلحةُ في منعه ، وتلين في غير
 تكبرٍ ، وتخص في خير ميل ، وتعم في غير تصنع ، لا يشقى بك الحقُّ وإن كان
 عدواً ، ولا يسهّد بك المبطلُ وإن كان ولياً ؛ فالسلطان يعتدّ لك من الغناء
 والكفاية ، والذّبّ والحياطة ، والنصح والأمانة ، والعفة والنزاهة ، والنصب فيما
 أدّى إلى الراحة ، بما يراك معه - حيث انتهى إحسانه إليك - مستوجبا للزيادة
 وكافّة الرعية - إلا من غمط منهم النعمة - مشنون عليك بحسن السيرة ، وبمن
 النقيية ، ويعدون من ما ترك أنك لم تدحض لأحد حجة ؛ ولم تدفع حقاً

لشبهة؛ وهذا يسير من كثير، لو قصدنا لتفصيله، لأنفذنا الزمان قبل تحصيله، ثم كان قصدنا الوقوف دون الغاية منه

وله إلى عبيد الله بن يحيى: يقطعني عن الأخذ بحظي من لقائك، وتعريفك كتاب آخر إلى ما أنا عليه عن شكر إنعامك، وإفرادي إياك بالتأمل دون غيرك، تخلفي عن منزلة الخاصة، ورغبتني عن الحول محل العامة، وأني لست معتاداً للخدمة ولا لللازمة، ولا قوياً على المعاداة والمراوحة؛ فلا يمتنع ارتفاع قدرك، وعلو أمرك؛ وما تمنانيه من جلائل الأحوال الشاغلة، من أن تتطول بتجديد ذكرى، والإصغاء إلى من يحضك على وصلتي وبري، ويزعجك في إسداء حُسن الصنعة عندي.

وله إليه آخر فصل من كتاب: وأنا أسأل الله أنذي رحمة العباد بك، على حين افتقار منهم إليك، أن يعيدهم من فقدك، ولا يعيدهم إلى المكابرة التي استبقدهم منها بيدك.

[بعض ما يبعث على الرحيل]

ولقي رجلاً رجلاً خارجاً من مضر يريد المغرب، فقال: يا أخي؛ أتتبع القطر، وتدع مجرى السيول؟ فقال: أخرجني من مصر حق مضاع، وشح مطاع، وإفتار الكريم، وحركة اللئيم، وتغير الصديق، بين السعة والضيق، والهرب إلى النزر بالعر، خير من طلب الوفر بذل العجز.

[من الوصايا لمن اعتزم السفر]

وأوصى بعض الحكماء صديقاً له، وقد أراد سفرًا، فقال: إنك تدخل بلدًا لا يعرفك أهلها؛ فتمسك بوصيتي تنفق بها فيه: عليك بحسن الشائل فإنها تدل على الحرية؛ ونقاء الأطراف فإنها تشهد بالملوكة؛ ونظافة البرة فإنها تنبئ عن النش في النعمة؛ وطيب الرائحة فإنها تظهر المروءة، والأدب الجميل فإنه يكسب المحبة، وليكن عقلك دون دينك، وقولك دون فعلك، ولباسك دون

قَدْرِكَ ، والزَمَ الحياءَ والأثَمَةَ ؛ فإنك إن استحييت من الغضاضة اجتنبت الحساسة ، وإن أنفت عن الغلبة ، لم يتقدمك نظيرٌ في مرتبة .

قال الأصمعي : سمعتُ أعرابياً يُوصي آخرَ أراد سفراً ؛ فقال : آثر بملك معادك ، ولا تدع لشهوَتِكَ رشادَكَ ، وليكن عقلُك وزيرُك الذي يدعوك إلى الهدى ، ويحببُكَ من الردى ، واحبس هواك عن الفواحش ، وأطلقه في المكارم ؛ فإنك تبرّ بذلك سلفك ، وتُشيد به شرفك .

وأوصت أعرابية ابنها في سفر ، فقالت : يا بني ؛ إنك تجاورُ الغرباء ، وترحلُ عن الأصدقاء ، ولعلك لا تلقى غيرَ الأعداء ؛ فخالطِ الناسَ بحمِلِ المِشر ، واتقِ اللهَ في العلانية والسرى .

وقال بعضُ الملوكِ الحكيمِ وقد أراد سفراً : قفنى على أشياء من حكمتك أعملُ بها في سفري ؛ فقال :

اجعل تأنيك أمامَ عَجَلَتِكَ ، وحلمك رسولَ شِدَّتِكَ ، وعفوك مالِكَ قدرتك ، وأنا ضامنٌ لك قلوبَ رعيتك ، مالم تُخرِجهم بالشدة عليهم ، أو تُبَطِّطهم بالإحسان إليهم .

وقال أبان بن تغلب : شهدت أعرابيةً تُوصي ولداً لها أراد سفراً وهي تقول : أى بنى ! اجلس أمنتك وصيتى ، وبالله توفيقك ، قال أبان : فوفقت مستمعاً لكلامها ، مستحسناً لوصيتها ، فإذا هي تقول : أى بنى ! إياك والنميمة ، فإنها تزرعُ الضغينة ، وتفرقُ بينَ المحبين ، وإياك والتعرض للعيوبِ فتتخذُ غرضاً ، وخليقٌ ألاَّ يُنبتَ الغرضُ على كثرة السهام ؛ ولما اعتورتِ السهامُ غرضاً إلاَّ كلمته ، حتى هبى ما اشتدَّ من قوته ؛ وإياك والجودَ بدينك ، والبخلَ بمالك ؛ وإذا هزرت فأهزركريماً يلينُ لمهزتك ؛ ولا تهزرك اللثيم فإنه صخرة لا يتفجرُ ماؤها ، ومثلُ بنفسك مثال ما استحسنْتَ من غيرك فاعمل به ، وما استبحت من غيرك فاجتنبه ؛ فإن المرءَ لا يرى غيبَ نفسه ؛ ومن كانت مودته بشره ، وخالفَ منه ذلك فعلمهُ ، كان صديقه منه على مثلِ الريح في تصرفها .

ثم أمسكت ، فدنوتُ منها ، فقلت لها : بالله يا أعرابية ، إلا ما زدته في الوصية ؛ قالت : أو قد أعجبتك كلامُ العرب يا حَضْرِي ؟ قلت : نعم ! قالت : الغدرُ أقيح ما تعامل به الناسُ بينهم ، ومن جمع الحِلْمَ والسخاءَ فقد أجادَ الحِلْمَةَ رِيظَتَهَا وَسِرْبَآهَا .

فقر في مدح السفر

أبو القاسم بن عباد صاحب : الخبر المنقول أن القبوضَ غريباً شهيداً .
وفي الحديث : سافروا تَعْنَمُوا . السفرُ أحدُ أسباب العيش التي بها قوامه ، وعليها نظامه . إن الله لم يجمع منافع الدنيا في الأرض ؛ بل فرقها وأحوج بعضها إلى بعض . المسافرُ يسمعُ العجائب ، ويكسبُ التجاربَ ، ويحبُّ المسكسب .
الأسفارُ مما تزيدك علماً بقدرة الله وحكمته ، وتدعوكُ إلى شكر نعمته . ليس بينك وبين بلدٍ نَسَبٌ ؛ فخيرُ البلاد ما حملك . السفرُ يُسْفِرُ عن أخلاق الرجال .
أوحشُ أهلك إذا كان في إيماشهم أنسك ، واهجرُ وطنك إذا نبت عنه نفسك .
ربما أسفر السفر عن الظفر ، وتعذر في الوطن قضاء الوطر ، وأنشد :

ليس ارتحالك تر تاد الغنى سفرأ بل المقام على حسف هو السفرُ
وهذا كقول الطائي :

وما القفرُ بالبيدِ الفضاء ، بل التي نبت بي وفيها سأكنوها هي القفرُ
أخذه المتنبي فقال :

إذا تر حلت عن قومٍ وقد قدرُوا ألا تُفاري قهم فالراحلون همُ

نقيض ذلك في ذم السفر والغربة

في الحديث إن المسافرَ وماله أمتى ، قلت : إلا ما وفق الله ، أي على هلاك .
شيئان لا يعرفهما إلا من ابتلى بهما : السفرُ الشاسع ، والبناءُ الواسع . السفرُ والسقمُ والقتالُ ثلاث متقاربة ؛ فالسفرُ سفينة الأذى ، والسقمُ حريقُ الجسد ،

والقتالُ مَنَعَتُ لِيَانَا . إِذَا كَفَتَ فِي غَيْرِ يَدِكَ فَلَا تَنْسَ نَصِيكَ مِنَ الذَّلِّ . الْغُرْبَةُ
كُرْبَةٌ . النَّقْلَةُ مَثَلَةٌ . الْغَرِيبُ كَالْفَرَسِ الَّذِي زَايَلُ أَرْضَهُ ، وَقَدْ شَرِبَهُ ؛ فَهُوَ
ذَاوٌ لَا يُشْعِرُ ، وَذَابِلٌ لَا يَنْضُرُ . الْغَرِيبُ كَالْوَحْشِ النَّائِي عَنِ وَطْنِهِ ؛ فَهُوَ لِكُلِّ
سَبْعِ قَرِيصَةٍ ، وَلِكُلِّ رَاِمٍ رَمِيَةٍ ؛ وَأَنْشُدُ :

لَقُرْبُ الدَّارِ فِي الْإِقْتَارِ خَيْرٌ مِنْ الْعَيْشِ الْمَوْسَعِ فِي اغْتِرَابِ
وَقَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيُّ :

لَا يِعْدَمُ الْمَرْءُ شَيْئًا يَسْتَعِينُ بِهِ وَمَنْعُهُ بَيْنَ أَهْلِيهِ وَأَصْحَابِهِ
وَمَنْ نَأَى عَنْهُمْ قَلَّتْ مَهَابَتُهُ كَاللَّيْثِ يَحْقِرُ لَمَّا غَابَ عَنْ غَايِهِ

[العزل والإبعاد والحجب بعد التقريب والمؤانسة]

كتب أبو عبيد الله إلى المهدي بعد عزله إياه عن الدواوين : لم يُنكر أميرُ
المؤمنين حالي في قُربِ المؤانسة وخصوصِ الخلطة ، وحالي عنده قبل ذلك في قيامي
بواجب خدمته ، التي أدتني من نعمته ، فلم أبدل - أعزَّ اللهُ أميرَ المؤمنين -
حال التباعد ، ويقرب في محل الإقضاء ، وما يعلم اللهُ مني فيما قلت إلا ما علمه أميرُ
المؤمنين ، فإن رأى أكرمهُ اللهُ أن يعارض قولي بعلمه بدءاً وطاقة فعل إن شاء اللهُ .
فما قرأ كتابه شهد بتصديقه قلبه ، فقال : ظلمنا أبا عبيد الله ، فيردَّ إلى
حاله ، ويُعلم ما تجدد له من حُسن رأبي فيه .

بين المهدي
وأبي عبيد الله

ولما أمر المأمون أن يُحجب عنه الفضل بن الربيع لسبب تألم قلبه منه كتب إليه :
يا أميرَ المؤمنين ! لم يُنسيني التقريبُ حالي أيامَ التباعد ، ولا أغفلتني
للمؤانسة عن شكر الابتداء ؛ فعلى أيِّ الحالين أبعده من أمير المؤمنين ، ويتحقني
ذمُّ التقصير في واجب خدمته ؟ وأميرُ المؤمنين أعدلُ شهودي على الصِّدِّقِ فيما
وصفت ؛ فإن رأى أميرُ المؤمنين ألا يكتم شهادتي فعل إن شاء اللهُ .

بين المأمون
والفضل بن
الربيع

وقال أبو جعفر المنصور لأبي مسلم حين أزمع قتله : هل كنت قبل قيامك
بدولتنا جائرَ الأمرِ على عبدين ؟ قال : لا ، يا أمير المؤمنين . قال : فلمَ لم تعرضْ

بين المنصور
وأبي مسلم
الخراساني

حَالِي عُسْرَتِكَ وَمَهَانَتِكَ عَلَى أَيَامِنَا ، وَتَعْرِفَ لَنَا مَا يَعْرِفُ غَيْرُكَ مِنْ إِجْلَانَا
وَإِعْظَامِنَا ، حَتَّى لَا يَنَازِعَكَ الْحَيْنَ عِنَانَ الطَّمَائِنَةَ ؟ قَالَ : قَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ : وَلَكِنَّ الزَّمَانَ وَإِسَاءَتَهُ قَلْبًا مَا كَانَ مِنْ حُسْنِ صَنِيعَتِي ، قَالَ : فَلَا
مَرْغُوبَ فِيكَ ، وَلَا مَأْسُوفَ عَلَيْكَ ، وَفِي اللَّهِ خَلْفٌ مِنْكَ ! وَأَمْرٌ بِقَتْلِهِ (١)

جملة من شعر أبي الفتح كشاجم في لأوصاف

- من قوله في
وصف أجزاء
من القرآن
الكريم

قال يصف أجزاء من القرآن :

مَنْ يَتَّبِ خَشِيَةَ الْعِقَابِ فَإِنِّي تَبْتُ أُنْسًا بِهِذِهِ الْأَجْزَاءِ
بَعَثْتَنِي عَلَى الْقِرَاءَةِ وَالنُّسُوكِ وَمَا خَلْتَنِي مِنَ الْقِرَاءِ
حِينَ جَاءَتْ تَرَوْفِي بِاعْتِدَالٍ مِنْ قَدُودٍ وَصِيْفَةٍ وَاسْتَوَاءِ
سَبْعَةٍ أَشْبَهَتْ لِي السَّبْعَةَ الْأَنْجُمَ ذَاتَ الْأَنْوَارِ وَالْأَضْوَاءِ (٢)
كَسَيْتُ مِنْ أَدِيمِهَا الْحَالِكَ اللَّوْ ن (٣) غِشَاءً أَحْبَبْتُ بِهِ مِنْ غِشَاءِ
مُشْبِهًا صِبْغَةَ الشَّبَابِ وَلَمَّا تِ الْعَذَارَى وَلِبْسَةَ الْخَطْبَاءِ
وَرَأَتْ أَنَّهَا تَحْسُنُ بِالضِدِّ فَتَاهَتْ بِجِلْيَةِ بِيضَاءِ
فَهِيَ مَسْوَدَةٌ الظُّهُورِ ، وَفِيهَا نَوْرٌ حَقٌّ يَجْلُودُ جِي الظَّلْمَاءِ
مَطْبِقَاتٍ عَلَى صَحَائِفِ كَالرَّيْطِ تُخَيِّرُنَّ مِنْ مُسُوكِ الظُّبَاءِ (٤)
وَكَأَنَّ الْخَطُوطَ فِيهَا رِيَاضٌ شَاكِرَاتٌ صَنِيعَةَ الْأَنْوَاءِ
وَكَأَنَّ الْبِيضَ وَالنَّقْطَ الشُّو دَ عَيْزٌ رَشَّشْتُهُ فِي مُلَاءِ
وَكَأَنَّ الْعُشُورَ وَالذَّهَبَ السَّا طِعَ فِيهَا كَوَاكِبٌ فِي سَمَاءِ

(١) انظر واجبات الملوك في كتاب « الأخلاق عند الغزالي »

(٢) رواية الديوان :

سبعة شبهت بها الأنجم السبعة ذات الأنوار والأضواء.

(٣) رواية الديوان « الجون »

(٤) المسوك : جمع مسك - بالفتح - وهو الجلد . ورواية الديوان « متون »

وهي مشكولةٌ بمدةٍ أشكا لٍ ومقروءةٌ على أنحاء
 فإذا شئتَ كان حمزةٌ فيها وإذا شئتَ كان فيها الكسائي
 خُضرةٌ في خلالِ حُمُرٍ وصُفَرٍ بين تلك الأضعافِ والأثناء
 مثل ما أثر الدَّيبُ من الدَّرِّ على جِلْدٍ بَضَّةٍ عَذْرَاءٍ^(١)
 ضُمَّتْ مُحْكَمُ الْكِتَابِ كِتَابِ اللَّهِ ذِي الْمَكْرُمَاتِ وَالْآلَاءِ
 فَحَقِيقٌ عَلَى أَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فِيهِنَّ مُصْبِحِي وَمَسَائِي
 وَقَالَ يَصِفُ النَّخْتُ الَّذِي يُضْرَبُ عَلَيْهِ حِسَابُ الْهِنْدِ :

وقلمٍ مِدَادُهُ تَرَابٌ فِي صُنْفٍ سَطُورٌ هَاجِسَابٌ
 يَكْتُرُ فِيهَا الْمَحْوُ وَالْإِضْرَابُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُسْوَدَ الْكِتَابُ
 حَتَّى يَبِينَ الْحَقُّ وَالصَّوَابُ وَلَيْسَ إِعْجَامٌ وَلَا إِعْرَابُ
 فِيهِ وَلَا شَكٌّ وَلَا اِرْتِيَابُ

من قوله
 في وصف
 نخت حساب

وقال يصف بركاراً استهداه :^(٢)

جُدْلِي بِيرَكَارِكِ الَّذِي صَنَعَتْ
 مَلْبَسُ الشُّعْبَتَيْنِ^(٤) مَعْتَدِلٌ فِيهِ يَدَا قَيْنِهِ^(٣) الْأَعَاجِيْبَا
 شَخْصَانِ فِي شَكْلِ وَاحِدٍ قَدْرَا
 وَرُكْبَا بِالْعَقْمُولِ تَرْكِيْبَا
 أَشْبَهَ شَيْئَيْنِ فِي اشْتِكَا لِهْمَا^(٥)
 بَصَاحِبِ لَا يَزَالُ مَصْحُوبَا
 أَوْثَقَ مَسَارُهُ وَعُيِّبَ عَنْ
 نَوَاطِرِ الَّذِينَ تَغْيِيْبَا
 فَعَيْنٌ مَنْ يَحْتَلِيهِ يَحْسَبُهُ
 فِي قَالِبِ الْإِعْتِدَالِ مَضْبُوبَا
 قَدْ ضَمَّ قَطْرِيَهُ^(٦) مُحْكِمَا لَهَا
 ضَمَّ مُحِبًّا إِلَيْهِ مَحْبُوبَا
 يَزْدَادُ حِرْصًا عَلَيْهِ مُبْصِرُهُ
 مَا زَادَهُ بِالْبَنَابِ تَقْلِيْبَا

من قوله
 يصف بركارا

(١) رواية الديوان « غضة غيداء » (٢) هو الرجل

(٣) رواية الديوان « القين » - والقين : الحداد ، أو كل صانع (م)

(٤) رواية الديوان « الشفرتين » (٥) رواية الديوان « اثتلافهما »

(٦) في الديوان « شطريه »

ذو مِلَّةٍ بَصْرَتَهُ مَذْهَبُهُ (١) لم تَأَلَهُ رِقَّةً وَتَهْمٌ ذَبِيهَا
 يَنْظُرُ فِيهَا إِلَى الصَّوَابِ فَمَا بِهَا يَزَالُ الصَّوَابُ مَطْلُوبًا
 لَوْلَا مَا صَبَحَ خَطُّ دَائِرَةٍ (٢) وَلَا وَجَدْنَا الْحِسَابَ مَحْسُوبًا
 [الْحَقُّ فِيهِ فَإِنْ عَدَلْتُ إِلَى سِوَاهُ كَانَ الْحِسَابُ تَقْرِيبًا]
 لَوْ عَيْنُ إِقْلِيدِسٍ بِهِ بَصُرَتْ خَرَّ لَهُ بِالسُّجُودِ مَكْبُوبًا
 فَابْتَعْتُهُ وَاجْتَنَبْتُهُ لِي بِسَطْرَةٍ تُلْفِ الْهَوَىٰ بِالثَّنَاءِ مَجْنُوبًا
 وَقَالَ يَصِفُ بِيكَانَا (٣):

من قوله
 يصف بيكانا

رُوحٌ مِنَ الْمَاءِ فِي جِسْمٍ مِنَ الصُّفْرِ مَوْلَدٌ بِلَطِيفِ الْحِسِّ وَالنَّظْرِ
 مُسْتَعْبِرٌ لَمْ يَغِبْ عَنْ طَرْفِهِ سَكَنٌ وَلَمْ يَبْتَ مِنْ ذَوَى ضِعْفٍ عَلَى حَدَرٍ
 لَهُ عَلَى الظَّهِيرِ أَجْفَانٌ مَحْجَرَةٌ وَمَقَالَةٌ ذَمْعُهَا جَارٍ عَلَى قَدَرٍ
 تُنْشَأُ لَهُ حَرَكَاتٌ مِنْ أَسَافِلِهِ كَأَنَّهَا حَرَكَاتُ الْمَاءِ فِي الشَّجَرِ
 وَفِي أَعَالِيهِ حِسَابٌ يُفَصِّلُهُ لِلنَّاطِرِينَ بِلَا ذَهْنٍ وَلَا فِكْرٍ
 إِذَا بَكَى دَارَ فِي أَحْشَائِهِ فَلَيْتَ خَافِي الْمَسِيرِ وَإِنْ لَمْ يَبْتَكَ لَمْ يَدْرِ
 مُتَرْجِمٌ عَنْ مَوَاقِيتٍ يَخْبُرُنَا بِهَا فَيُوجَدُ فِيهَا صَادِقُ الْخَبْرِ
 يُقْضَى بِهِ الْحِسَابُ فِي وَقْتِ الْوَجُوبِ وَإِنْ غَطَّى عَلَى الشَّمْسِ سِتْرَ الْعَيْمِ وَالْمَطَرِ
 وَإِنْ سَهَرَتْ لِأَوْقَاتٍ تُورِقُنِي عَرَفْتُ مَقْدَارَ مَا أَلْقَى مِنَ السَّهْرِ
 مُحَدِّدٌ كُلَّ مِيقَاتِ تَخْيَرِهِ ذَوْوُ التَّخْيِيرِ لِلْأَسْفَارِ وَالْحَضَرِ
 وَمُخْرِجٌ لَكَ بِالْأَجْزَاءِ أَلْفَهَا مِنْ النَّهَارِ وَقَوْسُ اللَّيْلِ وَالسَّحَرِ
 نَتِيجَةُ الْعِلْمِ وَالتَّفَكِيرِ صَوْرَتُهُ يَاحِبِّذَا أَبْدَعِ الْأَفْكَارَ فِي الصُّورِ

(١) في الأصل: « منسبة » ، والتصحيح عن الديوان .

(٢) في الديوان « شكل دائرة » .

(٣) روى صاحب نهاية الأرب هذه القطعة (١٥٥/١) وذكر أنه يصف فيها

طرجهارة ، وقال : هي من الآلات التي تعرف بها الساعات ، والآيات نفسها تدل على ما قاله النويري (م)

وقال يصف اسطرلابا :

ومستدير كجرم البدر مسطوح
ضُلب يَدَارُ على قُطبٍ يثبته
ملء البنان وقد أوفت صفائحهُ
تُلقى به السبعة الأفلاك مُحَدَّقةً
تُبيِّنُك عن طامح الأبراج هيئته
وإن مضت ساعة أو بعض ثانية
وإن تعرَّض في وقت يُقدِّره
عميز في قياسات الضلوع به
له على الظهر عَيْنًا حِكْمَةً بهما
وفي الدواوين من أشكاله حِكْمٌ
لا يستقلُّ لها فيه بمعرفةٍ
حتى ترى الغيب فيه وهو مُنْطَلِقُ
نتيجة الدهن والتفكير صورهُ
ذو العقول الصحيحة المرَّاجيح

عن كل رافعة الأشكال مصفوح
تمثال طرف بشكر الخندق مكبوح
على الأقاليم من أقطارها الفيح^(١)
بالماء والنيار والأرضين والريح
بالشمس طوراً ، وطوراً بالمصايح
عرفت ذلك بعلم فيه مشرُوح
لك التشكك جلاهُ بتصحيح
بين المشائم منها والمناجيح
يحمي الضياء وتنجيه من اللوح
تنفح العقل فيها أي تنفيح
إلا الحصيف اللطيف الحس والروح
أبوابٍ عن سواه جدّ مفتوح
ذو العقول الصحيحة المرَّاجيح

وكان أبو شجاع فناخسرو عضد الدولة قد نكب أبا إسحاق الصابي ،
على تقدمه في الكتابة ، ومكانته في البلاغة ، واستصفا أمواله من غير إيقاع
به في نفسه ، فأهدى إليه في يوم مهرجان اسطرلابا في دور الدرهم ،
وبيعت معه وكتب إليه :

أهدى إليك بنو الحاجات واحتشدوا
في مهرجانٍ عظيمٍ أنت تعلية

بشعر

(١) الفيح : الواسعة ، جمع أفيح أو فيحاء .

لكنَّ عبدك إبراهيم حين رأى سُموَّ قَدْرِكَ عن شيء يُساميه
لم يَرْضَ بالأرضِ يُهْدِيها إليك ، فقد أَهدَى لك الفلَكَ الأعلى بما فيه

[من أوصاف النساء]

وقولُ أبي الفتح : « ملء البنان . . . البيت » نظيرُ قولِ علي لابن الرومي
ابن العباس الرومي يصف هن امرأة (١) :

يَسَعُ السبعة الأقاليم طرّاً وهو في أصبعين من إقليم

كضميرِ النواذِرِ يَلْتَهُمُ الدنيا وتحويه دَفْتاً حَيْرُوم

لبعض الشعراء
يصف القلم

وإنما أخذهُ ابن الرومي من قول بعض الشعراء يذكُرُ كأنبياً

في كفهِ أحرَسَ ذُو منطِقٍ بقافه واللام والميم

شَبْرٌ إذا قيسَ ، ولكنهُ في فعله مِثْلُ الأقاليم

مَحْدَفُ الرَّأسِ ومُسَوِّدُهُ كإبرةِ الرَّوقِ من الرِّيم (٢)

وهذا البيت الأخير مقلوب من قول عدى بن الرقاع العاملي ، وقد وصف قلب المعنى ليس
قرن ريم ، وشبهه بقلم عليه مداد ، وذكر ظبية :

تُرْجِي أَغْنَى كأنَّ إبرةَ رَوْقٍ قلمٌ أصابَ من الدَّوَاةِ مِدَادَهَا

وقلبُ المعنى إذا تمكن الشاعرُ من إخفائه لا يَجْرِي مَجْرَى السَّرْقَةِ .

وقد ترى تكثيرَ الشعراءِ من تشبيه أوراك النسوانِ بالرَّمْلِ والكُثبانِ ،

لشاعر يصف
نساء بالعبالة
والسمن

قال الشاعر :

وَبِيضِ نَضِيرَاتِ الوجوهِ كأنما تَأَزَّرْنَ دُونَ الأزرِّ مَلَاتِ عالج

خِدَالِ الشَّوَى لا تحتشى غيرَ خَلْقِها إذا الرُّسْحُ لم يَصِرْ دُونَ المَنَافِجِ (٣)

(١) المن : الفرج . (٢) روق الريم : قرن الظبي .

(٣) خدال الشوى : ممتلئة الأطراف ، والرشح : جمع رشحاء ، وهى قليلة لحم

لعجز وانفخدين ، والمنافج : حشايا توضع فوق الأرداف .

يَذَرْنَ مُرُوطَ الْخَزِّ مَلَأَى كَانِهَا قِصَارٌ وَإِنْ طَالَتْ بِأَيْدِي النَّوَاسِحِ

وهذا المعنى متداول متناقل في الجاهلية والإسلام ، فأغرب ذو الرمة في قلبه وأحسن ، فقال يصف رملا :

ورمل كأوزالك العذارى قطعتهُ وقد جَلَلْتَهُ الْمُظْلَمَاتُ الْخُنَادِسُ
وكذلك مدحهم ضُمُورَ الْكَشْحِ ، وجولان الوُشْحِ ، وصُمُوتِ الْقَلْبِ
والخلخال ، وامتناع الخُدَامِ مِنَ الْمَجَالِ ؛ قال خالد بن يزيد بن معاوية ، وذَكَرَ
رملة بنت الزبير بن العوام :

لخالد بن يزيد
معاوية

تَجُولُ خَلَائِلُ النِّسَاءِ ، وَلَا أَرَى لِرَمَلَةٍ خَلَخَالَ يَجُولُ وَلَا قَلْبًا (١)
أَحِبُّ بَنِي الْعِوَامِ طَرًّا لِحَبِهَا
وَمِنْ أَجْلِهَا أُحِبُّتُ أَوْلَادَهَا كَلْبًا

للنابغة : وقال النابغة :

عَلَى أَنْ حَجَلَيْهَا وَإِنْ قَلْتُ أَوْسَعَا صُمُوتَانِ مِنْ مَلءِ وَقَلَّةِ مَنْطِقِ
وقال الطائي :

لأبي تمام الطائي

مَهَا الْوَحْشِ إِلَّا أَنْ هَاتَا أَوَانِسُ قَنَا لِحَطِّ إِلَّا أَنْ تَلَّكَ ذَوَابِلُ
مِنَ الْهَيْفِ لَوَأَنَّ الْخَلَائِلَ صَبَّرْتُ لَهَا وَشُحًّا جَالَتْ عَلَيْهَا الْخَلَائِلُ (٢)
وقال ابن أبي زُرْعَةَ الدمشقي :

لابن أبي زُرْعَةَ
الدمشقي

اسْتَسَكَمْتُ خَلَخَالَهَا وَمَشَّتْ تَحْتَ الظَّلَامِ بِهِ فَمَا نَطَقَا
حَتَّى إِذَا رِيحُ الصَّبَا نَسَمَتْ مَلَأُ الْعَيْرُ بِسَيْرِهَا الطَّرُقَا

وقال المتنبي :

وَخَصِرٌ تَثْبُتُ الْأَبْصَارُ فِيهِ كَانَ عَلَيْهِ مِنْ حَدَقٍ نَطَاقَا
قَابَ هَذَا كُلُّهُ أَبُو عَثْمَانَ النَّاجِمِ ، فَقَالَ يَهْجُو قَيْنَةَ :

(٢) الوشح - بضمين - جمع وشاح

(١) القلب - بالضم - السوار .

لأبي عثمان
الناجم

مسلوثة الكلِّ غَيْرَ بَطْنٍ
حُجْبُوها . الدَّهْرَ في اضْطِخَابِ
مُنْقَلٍ فِيهِ عَنكَبوتُ
وَوُشْحُها كَطَمِّ صَموتُ
وقال أبو عثمان يمدح قَيْنَةَ :

مَحْسنةٌ في كلِّ أَلْمانِها
ثم قلبه في هجاء ، فقال :

عَجِبْتُ مِنْها وَبِحِها كَيْفَ لا
وهذا مأخوذٌ من قول محمد بن مناذر يهجو خالد بن طليق ، وكان قد تقاد

لمحمد بن مناذر
يهجو خالد بن
طليق

قضاء البصرة :

يا عَجَباً من خالِدِ كَيْفَ لا
كان قِضاءُ النَّاسِ فيما مَضَى
مُحِطِيٌّ فينا مَرَّةً بالصوابِ
من رَحمةِ اللهِ ، وهذا عَدَابُ
وهذا أيضاً من قلب الهجاء مديحاً ، والمديح هجاء ؛ كما قال مسلم بن الوليد

لمسلم بن الوليد

يهجو قوما :

قَبِحتُ مَنَاطِرُهُمُ فَمِنْ خَبَرْتَهُمُ
قلبه أبو الطيب المتنبي فقال :

للمتنبي

وَأَمْتَكِرُ الأَخْبَارَ قَبْلَ لِقائِهِ
فَلَمَّا التَّفِينَا صَفَرَ الخَبِيرَ الخَبِيرُ
وقال أبو تمام :

لأبي تمام

عَباً الأَكْمِينَ لَهُ فَضْلٌ لِحِينِهِ
قلبه البحتري فقال :

للبحثري

لا يَبأسُ السُّرَّ أن يَنْجِيهِ
وقال أبو تمام :

لأبي تمام

وَحِشِيَّةٌ تَرْمِي القُاوبَ إِذا عَدَّتْ
قلبه البحتري فقال :

للبحثري

عَلَى أُنْتى أَعْشى عَلى دارِ أَمْنِها
فوارس يصطاد الفوارس صيدها

لأبي تمام

وقال أبو تمام :
بُشِنَاُ الْغَيْثُ وَهُوَ جَدُّ حَبِيبٍ رُبَّ حَزْمٍ فِي بَغْضَةِ الْمَوْمِقِ
قلبه البحتري فقال :

للبحترى

يَسْرُفِي الشَّيْءَ قَدْ يَسُوءُكُمْ نَوْهَ يَوْمًا يَخَامِلُ لِقَبَهُ
قال أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر : المعنى في المصراع الأول أْبِينُ مِنْهُ فِي
الثاني ؛ ألا ترى أنه لو قال : إنه ليسودك الشيء قد يسر ، كان مثل ذلك المعنى
مستويا ، إلا أنه قلبه لحاجته .

لابن الرومي

قال ابن الرومي يهجو مغنية :

قَيْنَةٌ مَلْعُونَةٌ مِنْ أَجْلِهَا رَفَضَ اللَّهُوْ مَعَا مِنْ رَفْضِهِ
فَإِذَا عَنَّتْ تَرَى فِي حَلْقِهَا كَلَّ عِرْقٍ مِثْلَ يَبْتِ الْأَرْضِ
قلبه ابن المعتز فقال يصف أرضه أكلت له كتابا .

لابن المعتز

تَدْنِي أَنْيَابَهَا فِيهَا سَبَلٌ مِثْلَ الْعُرُوقِ لَا تَرَى فِيهَا خَلَلٌ
وهذا كثير يُكْتَفَى مِنْهُ بِالْيَسِيرِ .

[من المعاني ما لا يتقلب]

ومن المعاني ما لا يتقلب : ألا ترى أنك تقول : نام القوم حتى كأنهم موسى ، ولا يحسن
أن تقول : ماتوا حتى كأنهم نيام ؛ وقد أخذ على أبي نواس قوله يصف داراً وقف بها :
كأنها إذ خرست جارمٌ بين يدي تفنيده مطرقٌ
قالوا : إنما يجب أن يشبه الجارم إذا عدلوه فسكت وانقطعت حجته بالدار
الخالية التي لا تحيب .

بعض ما أخذ
على أبي نواس

وأخذوا عليه قوله :

كَأَنَّ نِيرَانَنَا فِي جَنْبِ حَصْنِهِمْ مَعْصِرَاتٌ عَلَى أَرْسَانِ قَصَارٍ
وقد تبعه أبو تمام الطائي فقال في الأفسين لما أحرق :
مَا زَالَ سَرُّ الْكُفْرِ بَيْنَ ضُلُوعِهِ حَتَّى اضْطَلَى سَرَّ الزَّنَادِ الْوَارِي
نَارٌ يَسَاوُرُ جَسْمَهُ مِنْ حَرِّهَا لَهَبٌ كَمَا عَصَفَتْ شِقِّ لُزَازِ

طارت له شعلٌ يهدمُ لفتحها أركانهُ هدمًا بغيرِ غبارِ
فصلنَ منه كلَّ مجمعٍ مفصلِ وفعلنَ فاقرةً بكلِّ فقارِ
صلى لها حيًّا، وكان وقودها مبيتًا، ويدخلها مع الكفارِ
وكذاك أهلُ النارِ في الدنيا همُ يومَ القيامةِ جُلُّ أهلِ النارِ
أردت البيت الثاني، قالوا: وإنما تشبه الشيابُ المعصرة بالنار؛ فهذا وما أشبهه
لا يتوازن انعكاسه، وتضادُ قضاياه؛ وإنما يصح القلبُ فيما يتحقق تضاده أو يتقارب.

قطعة من شعر أهل العصر في ذكر النجوم

لأبي الفتح
البيهقي

قال أبو الفتح البيهقي :

قد غصَّ من أملى أنى أرى على أقوى من المشتري في أوَّلِ الحَدَلِ
وأنتى راحِلٌ عمَّا أحاولُهُ كأننى أَسْتَدِرُّ الحِطَّ من زُحَلِ
وقال :

إذا غدا ملكٌ باللَّهْوِ مشغلاً فاحكم على مُلِكِهِ بالوَيْلِ والحَرْبِ
ألم تر الشمسَ في الميزانِ هابطةً لما غدا برجَ نِجْمِ اللّهُوِ والطَّرَبِ
وقال :

وقد تُدَنِّي الملوِكُ لدى رِضاها وتُبْعِدُ حينَ تحقُّدٍ احتقادا
كما المرِّيخُ في التثليثِ يُعْطَى وفي التريبعِ يَسْلُبُ ما أَفَادا
وقال :

ألا ففعلوا بي فإني كما تمدَّحت فليم تحن من يُحِبُّ
فأكوكبي راجعاً في الوفاء ولا بُرُجُ قَلْبِي بالْمُنْقَلَبِ^(١)
وقال :

لئن كسفونا بلا علةٍ وفازت قِداحُهُمُ بالظفرِ
فقد يكسفُ المرءُ مَنْ دونه كما يكسفُ الشمسُ جِرمُ القمرِ

(١) في الأصول «ولا برج قبي» بالخاء المعجمة، وما أثبتناه موافق لما في يتيمة الدهر (م)

وقال .

شَرَفُ الوَعْدِ بوغد مثله
ودليل الصدق فيما قُلْتُهُ
مثل ما فيه بزيفٍ وحَلَلٍ
شرفُ المَرِيخِ في بيت زُحَلِ

وقال :

قل للذي غرته عِزَّةٌ مُلْكِهِ
شرفُ الملوِكِ بعلمهم وبرايمهم
حتى أَخَلَّ بطاعةِ النَّصحاءِ
وكذلك أوجُ الشمسِ في الجوزاءِ

وقال :

وقد يفسدُ المرءُ بعد الصلاحِ
كما السَّعدُ يقبل طبع النحوسِ
فساد الأما كن ، والشرُّ يُعْدِي
إذا كان في موضعٍ غَيْرِ سَعْدِ

وقال :

ما أنسُ ظمآنٍ بماءٍ باردٍ
إلا كأنسي بكتابٍ واردٍ
من بعدِ طولِ العهدِ بالمواردِ
من سيدِ محضِ النَّجارِ ماجِدِ

* كأنما استملاه من عطارِدِ *

وقال :

يا معشرَ الكتابِ لا تتعرضوا
إن الكواكبِ كُنَّ في أشرافها
لرياسةٍ ، وتصاغروا ، وتخاذموا
إلا عطارِدِ حينِ صُورِ آدَمُ

وقال :

دعاني إلى بيته سيِّدُ
فلازمت بيته ولاطفتهُ
له أنخلق الأشرافُ الأظرفُ
بعذر هو الأظرف الأظرفُ
عطارِدُ نجبي ، ولا شك أن
عطارِدَ في بيته أشرَفُ

وقال :

لئن تنقلتُ من دارٍ إلى دارٍ
فالحرُّ حرٌّ عزيزُ النفسِ حيثُ نوى
وصيرتُ بعد نواءِ رهنِ أسفارِ
والشمسُ في كلِّ بُرجٍ ذاتُ أنوارِ

وقال :

لئن صدع الدهر المشتت شملنا
فلننجم من بعد الرجوع استقامة
وقال لمحبوس :

حُبِسْتُ ومن بعد الكسوف تبلج
فلا تعتقد للحبس غمًا ووحشة
وقال أيضاً :

بامن تولى المشتري تديرة

وقال :

لا تفزعن من كل شيء مفزع
وقال يرثي أبا القاسم صاحب :

فقدناه لما تمم واعتم بالأملا
وقال أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد بن درست لأبي الفضل الميكالي :

لابن درست

إذا ما غاب وجه البدر عنا
فإن رجعت نجوم السعد يوماً
وقال مسكويه الخالدي :

لمسكويه

لا يعجبناك حسن القمر تنزله
لوزيدت الشمس في أبراجها مائة
وقال أبو بكر الخوارزمي :

للخوارزمي

رأيتك إن أيسرت خيمنت عندنا
فما أنت إلا البدر : إن قل ضوءه

للصولي

لهذا كقول إبراهيم بن العباس الصولي في محمد بن عبد الملك الزيات :
أشد ضار إذا مانعته
وأب بر إذا ما قدرا
يعرف الأبعد إن أترى، ولا
يعرف الأدنى إذا ما اقتفرا

وقال ابن المعتز :

إِذَا مَا أَرَادَ الْخَاسِدُونَ انْتِهَادَهُ بِنَاهُ إِلَهٍ غَالِبُ الْعِزِّ قَاهِرُهُ
وَمَاذَا يَرِيدُ الْخَاسِدُونَ مِنْ أَسْرَىءِ تَرْبِيهِمْ أَخْلَاقُهُ وَمَا ثَرُهُ
إِذَا مَا هُوَ اسْتَفَى اهْتَدَى لِفَتْقَارِهِمْ وَلَا تَهْتَدِي يَوْمًا إِلَيْهِمْ مَفَاقِرُهُ
وَكَانُوا كَرَامٍ كَوَكْبَا بِيضَاقِهِ فَرَدَّ عَلَيْهِمْ وَبَلَهُ وَمَوَاطِرُهُ

وهذا البيت كما قال بعض العرب في إحدى الروايات :

رَمَانِي بِأَمْرٍ كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدِي بَرِيًّا وَمِنْ جَالِ الطَّوِيِّ رَمَانِي
الجَوْلُ والجَالُ : الناحية ، والطوي : البئر ؛ يريد رماني بما عاد عليه ، والرواية المشهورة : ومن أجل الطوي ، فعلى هذا تسقط المناسبة بينه وبين قول ابن المعتز .

[الأصمعي وبعض الأعراب]

قال بعض الرواة : كنا مع أبي نصر راوية الأصمعي في رياض من المذاكرة نَجْتَنِي ثَمَارَهَا ، وَنَجْتَلِي أَنْوَارَهَا ، إِلَى أَنْ أَفْضَنَّا فِي ذِكْرِ أَبِي سَعِيدِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ قُرَيْبِ الْأَصْمَعِيِّ ؛ فقال : رَحِمَ اللَّهُ الْأَصْمَعِي ! إِنَّهُ لَمَعْدِنُ حِكْمٍ ، وَنَحْرُ عِلْمٍ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَرْقُطْ مِثْلَ أَعْرَابِي وَقَفَ بِنَا فِلسَمٍ ، فقال : أَيَكُمُ الْأَصْمَعِيُّ ؟ فقال : أَنَا ذَاكَ ، فقال : أَتَأْذِنُونَ بِالْجُلُوسِ ؟ فَأَذِنَّا لَهُ ، وَعَجِبْنَا مِنْ حَسَنِ أَدَبِهِ مَعَ جَفَاءِ أَدَبِ الْأَعْرَابِ .

قال : يَا أَصْمَعِي ، أَنْتَ الَّذِي يَزْعَمُ هَؤُلَاءِ النَّفَرُ أَنَّكَ أَتَقْبَهُمْ مَعْرِفَةً بِالشَّعْرِ وَالْعَرَبِيَّةِ ، وَحِكَايَاتِ الْأَعْرَابِ ؟ قال الأصمعي : فِيهِمْ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنِّي ، وَمَنْ هُوَ دُونِي ، قال : تَنْشُدُونَنِي مِنْ بَعْضِ شَعْرِ أَهْلِ الْخَضِرِ حَتَّى أَقْبِسَهُ عَلَى شَعْرِ أَصْحَابِنَا ؟ فَأَنْشُدْهُ شَعْرًا لِرَجُلٍ امْتَدَحَ بِهِ مَسْلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ :

أَمْسَلَمَ أَنْتَ الْبَحْرُ إِنْ جَاءَ وَارِدٌ وَلَيْثُ إِذَا مَا الْحَرْبُ طَارَ عُقَابُهَا
وَأَنْتَ كَسِيفُ الْهِنْدُ وَإِنْ غَدَّتْ حَوَادِثُ مِنْ حَرْبٍ يَعْجُبُهَا
وَمَا خَلَقْتَ أَكْرَمَةً فِي أَسْرَىءِ وَلَا غَايَةَ إِلَّا إِلَيْكَ تَمَّابُهَا

كَانَ نِكَ دِيَانٌ عَلَيْهَا مَوْكَلٌ بِهَا، وَعَلَى كَفَيْكَ يَجْرِي حِطَابُهَا
إِلَيْكَ رَحَلْنَا الْعَيْسَ إِذْ لَمْ نَجِدْهَا أَخَا ثِقَةَ يُرْجَى لَدَيْهِ ثَوَابُهَا

قال: فتبسم الأعرابي، وهز رأسه، فظننا أن ذلك لاستخسانه الشعر، ثم قال: يا أصمعي؛ هذا شعر مهلهل خلق النسيج، خطوه أكثر من صوابه، يغطي عيوبه حسن الروي، ورواية المنشد؛ يشبهون الملك إذا امتدح بالأسد، والأسد أبحر شتيم المنظر^(١)، ورمما طرده شردمة من إماننا، وتلاعب به صبياننا، ويشبهونه بالبحر، والبحر صعب على من ركب، مر على من شربه، وبالسيف وربما خان في الحقيقة، ونبا عند الضريبة! ألا أشدتنى كما قال صبي من حيننا! قال الأصمعي: وماذا قال صاحبكم؟ فأنشده:

إِذَا سَأَلْتَ الْوَرَى عَنْ كُلِّ مَكْرَمَةٍ لَمْ يُعْزَرَ إِكْرَامُهَا إِلَّا إِلَى الْهَوْلِ
فَقَى جَوَادٌ أَذَابَ الْمَالَ نَائِلُهُ فَالْتَيْلُ يُشْكُرُ مِنْهُ كَثْرَةَ التَّيْلِ
الْمَوْتُ يُكْرَهُ أَنْ يَلْقَى مَنِيَّتَهُ فِي كَرِهِ عِنْدَ لَفِّ الْخَيْلِ بِالْخَيْلِ
وَرِاحُ الشَّمْسِ أَيْقَى الشَّمْسِ كَاسِفَةً أَوْ رِاحُ الصُّمِّ أَلْجَاهَا إِلَى الْمَيْلِ
أَمْضَى مِنَ الْجَمِّ إِنْ نَابَتْهُ نَائِبَةٌ وَعِنْدَ أَعْدَائِهِ أَجْرَى مِنَ السَّيْلِ
لَا يَسْتَرِيحُ إِلَى الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا وَلَا تَرَاهُ إِلَيْهَا سَاحِبَ الذَّيْلِ
يَقْصُرُ الْمَجْدُ عَنْهُ فِي مَكَارِمِهِ كَمَا يَقْصُرُ عَنْ أَعْمَالِهِ قَوْلِي!

قال أبو نصر: فأبهتتنا والله ما سمعنا من قوله، قال: فتأني الأعرابي، ثم قال للأصمعي: ألا تنشدني شعراً ترتاح إليه النفس، ويسكن إليه القلب؟ فأنشده لابن الرِّقَاعِ العاملي:

وَنَاعِمَةٌ تَجْلُو بَعُودَ أَرَاكِيهِ مُؤَشِّرَةٌ يَسْبِي الْمَعَانِقَ طَيْبُهَا
كَأَنَّ بِهَا خَمْرًا بِمَاءِ غَمَامَةٍ إِذَا ارْتَشَقْتَ بَعْدَ الرِّقَادِ غُرُوبُهَا
أَرَاكَ إِلَى تَجْدِيدِ تَحْنٍ، وَإِنَّمَا مَنَى كُلِّ نَفْسٍ حَيْثُ كَانَ حَيْبُهَا

(١) شتيم المنظر: كرهه.

فتيسم الأعرابي وقال : يا أصمعي ، ما هذا بدون الأول ، ولا فوقه ،
 ألا أنشدتني كما قلت ؟ قال الأصمعي : وما قلت ؟ جعلت فداك ! فأنشده :

تَعَلَّقْتُهَا بِكَرًّا ، وَعُلِّقْتُ حَبًّا قَلْبِي عَنْ كُلِّ الْوَرَى فَارِغٌ بِكَرُّ
 إِذَا احْتَجَبَتْ لَمْ يَكْفِكَ الْبَدْرُ ضَوْءُهَا وَتَكْفِيكَ ضَوْءُ الْبَدْرِ إِنْ حُجِبَ الْبَدْرُ
 وَمَا الصَّبْرُ عِنَّا ، إِنْ صَبَرْتَ ، وَجَدْتَهُ جَمِيلاً ، وَهَلْ فِي مِثْلِهَا يَحْسُنُ الصَّبْرُ ؟
 [وَحَسْبُكَ مِنْ خَمْرِ يَفُوتُكَ رَيْقُهَا وَوَاللَّهِ مَا مِنْ رَيْقِهَا حَسْبُكَ الْخَمْرُ]
 وَلَوْ أَنَّ جِلْدَ الدَّرِّ لَامَسَ جِلْدَهَا لَكَانَ لِمَسِّ الدَّرِّ فِي جِلْدِهَا أَثْرُ
 وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْبَدْرِ ضِدًّا جَمَالُهَا وَتَفْضُلُهُ فِي حُسْنِهَا لَصَفَا الْبَدْرُ

قال أبو نصر : قال لنا الأصمعي : اكتبوا ما سمعتم ولو بأطراف المدى في
 رفاق الأكباد ! .

قال : وأقام عندنا شهراً ، فجمع له الأصمعي خمسمائة دينار ، وكان يتعاهدنا
 في الحين بعد الحين ، حتى مات الأصمعي وتفرق أصحابنا !

فقر من كلام الأعراب في ضروب مختلفة

قال الجاحظ : ليس في الأرض كلام هو أمتع ، ولا أنفع ، ولا آتق ،
 ولا ألد في الأسماع ، ولا أشد اتصالاً بالقول السليمة ، ولا أفنق للسان ،
 ولا أجود تقويماً للبيان ، من طول استماع حديث الأديب العقلاء الفصحاء .

قال ابن المقفع ، وقد جرى ذكر الشعر وفضيلته : أي حكمة تكون أبلغ ،
 أو أحسن ، أو أغرب ، أو أعجب ، من غلام بدوي لم ير رقيقاً ، ولم يشبع من
 طعام ؛ يستوحش من الكلام ، ويفزع من البشر ، ويأوي إلى القفر والبرابيع
 والظباء ، وقد خالط الغيلان ، وأنس بالجان ؛ فإذا قال الشعر وصف ما لم يره ،

ولم يقدِّ به^(١) ولم يعرفه ، ثم يذكر محاسن الأخلاق ومساوئها ، ويمدح ويهجو ، ويذم ويعاتب ، ويشبب ويقول ما يكسبُ عنه ، ويروي له ، ويبقى عليه .

وقال بعض الأعراب :

وإني لأهدى بالأوانس كالشمي وإني بأطراف القنا للعب^(٢)

وإني على ما كان من عنجُهيتي ولوثة أعرابيتي لأدري^(٣)

كأنَّ الأدبَ غريبٌ من الأعراب ، فافتخر بما عنده منه .

وقال الطائي في فطنتهم ، يستعطف مالك بن طوق على قومه بني تغلب :

لأرقه الحضر اللطيف غدتهم وتباعدوا عن فطنة الأعراب

فإذا كسفتهم وجدت لديهم كرم النفوس وقلة الآداب

ووصف أعرابي رجلاً فقال : هو أظهر من الماء ، وأرق طباعاً من الهواء ،

وأمضى من السيل ، واهدى من النجم .

ووصف أعرابي رجلاً فقال : ذاك والله من ينفع سنامه ، ويتواصف حمله ،

ولا يستمر أظلمه .

وقال أعرابي : جلستُ إلى قومٍ من أهل بغداد فما رأيتُ أرجح من

أحلامهم ، ولا أطيش من أقلامهم .

وذكر أعرابي من بني كلاب رجلاً فقال : كان والله التهم منه ذا أذنين ،

والجواب ذا لسانين ؛ ولم أرَ أحداً أرتقَ لخللِ رأى ، ولا ابعد مسافة روبة ،

ومراد طرف منه ؛ إنما كان يرمى بهمته حيث أشار إليه الكرم ، وما زال

يتحسنى مرارة أخلاق الإخوان ، ويسقيهم غدوبة أخلاقه .

وذكر أعرابي رجلاً فقال : والله لكان القلوب والألسن ريصت له ،

فما تعقد إلا على ودّه ، ولا تنطق إلا بحمده .

(١) في طبعة بولاق «ولم يعده» . (٢) لأهدى : لأعرف ، أى أشد معرفة (م)

(٣) العنجية واللوثة : الكبر والحق .

وقال أعرابي : أقيح أعمال المتقدرين الانتقام ، وما استنبط الصواب بمثل
المشاورة ، ولا كتسبت البغضاء بمثل الكبير .

قال الأصمعي : وخطبنا أعرابي بالبادية ، فقال : أيها الناس ! إن الدنيا دارُ
مفرّة ، والآخرة دار مقرّة ؛ فخذوا من مفرّكم لمقرّكم ، ولا تهتكوا أستاذكم عند
من لا تخفى عليه أسراركم .

قال المعافر بن نعيم : وقتتُ أنا ومعبد بن طوق العنبري على مجلس لبني
العنبري ، وأنا على ناقه وهو على حمار ، فقاموا فبدءوني فسئلوا على : ثم انكفئوا
على معبد ، فقبض يده عنهم ؛ وقال : لا ، ولا كرامة ! بدأهم بالصغير قبل
الكبير ، وبالمولّى قبل العربي ، وبالمفحّم قبل الشاعر ، فأسكت القوم ، فأنبرى
إليه غلام ، فقال : بدأنا بالكاتب قبل الأُمّي ، وبالماجر قبل الأعرابي ،
وبراكب الراحلة قبل راكب الحمار .

ووصف أعرابي قومه فقال : أيوثُ حرب ، وأيوثُ جدب ، إن قاتلوا
أبَلّوا ، وإن بذلوا أَعَنوا .

ووصف أعرابي قوماً فقال : إذا اصطَفُوا سَفَرَت بينهم السهام ، وإذا
تصافَحُوا بالسيف فَرَمَه الحِمَامُ .

وسئل أعرابيٌّ عن صديق له ، فقال : صَفِرَت عِيَابُ الوَدِيِّ بيني وبينه بعد
امتلائها^(١) ، واكفهرت وجوهٌ كانت بمائها .

وقال الأصمعي : وسمعت أعرابياً يقول : إنَّ الأَمَالَ قَطَعَتْ أعناقَ الرجال ،
كالسرابِ غَرَّ مَنْ رآه ، وأخلف من رَجَاه ، وَمَنْ كانَ اللَّيْلُ والنَّهَارُ مَطِيئَتَهُ
أسرعاً السَّيرِ والبلوغِ به .

والمرءُ يَفْرَحُ بالأَيامِ يَقْطَعُهَا وكلُّ يومٍ مَضَى يَدْنِي مِنَ الأَجَلِ

(١) صفرت : خلت .

وذكر أعرابي مصيبة نأثته ، فقال : إنما والله مضية جعلت سوداً للرؤوس
بيضا ، وبيض الوجوه سودا ، وهونت المصاب ، وشيبت الذوائب .

وهذا كقول عبدالله بن الزبير الأسدي :

رَمَى الْجِدَّانُ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ بِمَقْدَارِ سَمْدَنْ لَهُ سُمُوداً^(١)
فَرَدَّ شَعْرَهُنَّ الشُّودَ بِيضاً وَرَدَّ وَجُوهَهُنَّ الْبَيْضَ سُوداً
وَإِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ بَكَاءَ هِنْدٍ وَرَمَلَةَ إِذْ تَصُكَّانِ الْخُدُودَا
بَكَيْتَ بُكَاءَ مَعُولَةِ حَزِينٍ أَضَابَ الدَّهْرُ وَاحِدَهَا الْفَقِيدَا^(٢)

ونظير هذا التطابق بين السواد والبياض ، وإن لم يكن من هذا المعنى ، قول
ابن الرومي :

يَا بِيضَ الشَّيْبِ سَوَّدْتَ وَجْهِي عِنْدَ بَيْضِ الْوَجْهِ سُودِ الْقُرُونِ
فَلَعْمَرِي لِأَخْفِيكَ جَهْدِي عَنِ عِيَانِي وَعَنِ عِيَانِ الْعِيُونِ
وَلَعْمَرِي لِأَمْنَعِكَ أَنْ تَضْحَكَ فِي رَأْسِ آسَفٍ مَحْزُونِ
بِسَوَادٍ فِيهِ أَيْضَاضٌ لَوْجِي وَسَوَادٌ لَوْجِيكَ الْمَلْعُونِ

سأل أعرابيان رجلاً ، فخرهما ، فقال أحدهما لصاحبه : نزلت والله بوادي غير
م مطور ، وأنت رجلاً بك غير مسرور ، فلم تدرك ما سألت ، ولا نلت ما أملت ؛
فارتحل بندم ، أو أقم على عدم .

قال الأصمعي : وسمعت أعرابياً يقول : غفلنا ولم يَفْعَلِ الدهرُ عنا ، فلم نتعظ
بغيرنا حتى وعظ غيرنا بنا ، فقد أدركت السعادة من تنبه ، وأدركت الشقاوة
من غفل ، وكفى بالتجربة واعظاً

وقال أعرابي لرجل : أشكر للنعم عليك ، وأنعم على الشاكر لك ،
تستوجب من ربك زيادته ، ومن أخيك مناصحته .

(١) سمدن له : تلوت له رؤوسهن - وسمد : قام متحيراً (م) .

(٢) رواية الحماسة « رأيت بكاء معولة حزين » (م)

ومدح أعرابي رجلاً فقال: ذلك والله فسيح الأدب، مُسْتَحْكِمُ السَّبَبِ،
من أي أقطاره أتيته تُذَنِّي عَلَيْهِ بِكْرَمِ فِعَالٍ، وَحُسْنِ مَقَالٍ..

وذم أعرابي رجلاً فقال: أفسد آخرته بصلاح دُنْيَاهُ، ففارق ما أضحج غير
راجع إليه، وقدم على ما أفسد غير منتقل عنه، ولو صدق رجل نفسه ما كذبته،
ولو أتني زمامه أو طأه راحلته

وقال أعرابي: خرجت حين انهدرت أيدي النجوم، وشاللت أرجلها، فما
زلت أصدع الليل حتى انصدع الفجر.
وقال أعرابي:

وقد تعاللت ذمير العنس بالسوط في ديمومة كالترس^(١)
إذ عرج الليل بروج الشمس

ومن مליح الاستعارة في نحو هذا قول الحسن بن وهب: شربت البارحة
على وجه الجوزاء؛ فلما اتبته الفجر نمت، فاعقلت حتى خلفني قميص الشمس.
وقال أعرابي لصاحبه في شيء ذكره: قل إن شاء الله، فإنها ترضي الرب،
وتسخط الشيطان، وتذهب الخنث^(٢)، وتقضي الحاجة.

وروى العتيبي عن أبيه قال: سمعت أعرابياً يقول لأخيه في معاتبة جرت بينهما:
أما والله لرب يوم كنتنور الطاهي، رقاص بالحمامة، قد رميت نفسي في أجيج
سُموميه، أحتيل منه ما أكره لما أحب.

قال أبو العباس محمد بن يزيد: وأحسب العتيبي صنع هذا الكلام، وأخذه
من قول بشار:

ويوم كنتنور الإمام سجرته وأوقدن فيه الجزل حتى قصر ما
رميت بنفسي في أجيج سُموميه وبالغيس حتى بص منخرها دماً

(١) تعاللت: أعطيت أقصى ما عندك من السير، والديمومة: الصحراء الواسعة
البعيدة الأطراف (م).

(٢) يعني أنك إذا حلفت وقلت «إن شاء الله» ثم لم تفعل ما حلفت عليه لم تخنث (م)

أخذ هذا المعنى بعض أصحاب أبي العباس ثعلب فقال يهجو المبرد :
 ويوم كنتور الطهارة سَجَرْتُهُ على أنه منه أجرٌ وأوقدُ
 ظلمت به عند المبردِ جالساً فما زلت في ألفاظه أتبردُ

قال الأصمعي : حجّت أعرابيةٌ ومعهما ابنٌ لها ، فأصيبت به ، فلما دُفِنَ
 قامت على قبره ، وهي مَوْجِعَةٌ فقالت : والله يا بنى لقد غَدَوْتُكَ رضيعاً ، وقد تَكُّ
 سريعاً ، وكأنه لم يكن بين الحالين مدةً التذُّ بعيشك فيها ، فأصبحت بعد النَّصْرَةِ
 والغصَّارة وروثق الحياة والتشمُّ في طيب روائحها ، تحت أطباق الثَّرى جَسداً
 هامداً ، ورُفَاتنا سخيلاً ، وصعيداً جُرْزاً ؛ أى بنى ! لقد سَجَّبت الدنيا عليك
 أذْيال الفناء ، وأسكنتك دارَ البلى ، ورمتني بعدك نكبةً الرَّدَى ، أى بنى ! لقد
 أسفر لى وجه الدنيا عن صباح داجٍ ظلامه .

ثم قالت : أى ربِّ ومنك العدل ، ومن خَلَقِكَ الجور ، وهَبْتَهُ لى قُرَّةَ
 عين ، فلم تُمتِّتني به كثيراً ، بل سَابَتْنِيهِ وشيكا : ثم أمرتني بالصبر ، ووَعَدْتَنِي
 عليه الأجر ، فصدقت وَعْدَكَ ، ورضيت قضاءك ، فرحم الله من ترَحَّم على من
 استودعته الرَّدْمَ ، ووَسَّدْتُهُ الثَّرى ؛ اللهم ارحم غربته ، وآسِنْ وحشته ،
 واسترْ عَوْرَتَهُ ، يوم تُكشِفُ الهناتِ والسَّوآت .

فلما أرادت الرجوعَ إلى أهلها وقفت على قبره ، فقالت ! أى بنى ! إني قد
 تزوَدْتُ لسفري ، فليت شعري ما زادك لبُعدِ طريقك ، ويوم مَعَادِكَ ؟ اللهم
 إني أسألك له الرضا برضائى عنه . ثم قالت : استودعْتُكَ من استودعْتِكَ فى
 أحشائى جينياً ؛ وأنكَلِ الوالدات ! ما أمضَ حرارةَ قلوبهن ، وأقْلَقَ
 مصاجعهن ، وأطولَ ليالهن ، وأقصرَ نهارهن ، وأقلَّ أنسهن ، وأشدَّ وحشتهن ،
 وأبعدهن من السرور ، وأقربهن من الأحزان .

لم تزل تقول هذا ونحوه حتى أبكت كلَّ مَنْ سمعها . وحمدت الله
 عز وجل واسترجعتُ وصلت ركعات عند قبره وانطلقت .

وأشدُّ الأفضلُ الضبيُّ لامرأةٍ من العربِ ترثيٰ ابناً لها :

يا عمرو مالي عنك من صبرٍ يا عمرو يا أسنى على عمرو .
 لله يا عمرو ، وأى فـتـى كفت يوم وضعت في القبر ؟
 أحشو الترابَ على مفارقةٍ وعلى غصارةٍ وجهه النَّضْرُ (١)
 حين استوى وعلا الشبابُ بهِ وبدا منيرَ الوجهِ كالبدرِ
 ورجا أقاربه منافعهُ ورأوا شمائلَ سيِّدِ عمْرِ (٢)
 وأمه هـمى فساورةُ وغداً مع الغادين في السفرِ
 تغدو به شـقراءُ ساميةُ مرطى الجراءِ شديدةُ الأسرِ (٣)
 ثبت الجنانُ به ، ويقدمها فليحْ يقلبُ مُقدتى صقرِ (٤)
 ربَّيته دهرًا أفتقه في اليسرِ أغدوه وفي العسرِ
 حتى إذا التأميلُ أمكنى فيه قبيلَ تلاحقِ الثغرِ
 وجعلتُ من شغفى أثقلهُ في الأرض بين تناهبِ غبرِ (٥)
 أدع للزراعِ والحصونِ بهِ وأجلهُ في المهمةِ القفرِ
 ما زلت أضيعده وأحدرهُ من قترِ موماةٍ إلى قترِ (٦)
 هرباً به والموْتُ يطلبه حيث انتويتُ به ولا أدري (٧)
 حتى دفعتُ به لمصرعه سوقَ المعيزِ تساقُ للعترِ (٨)
 ما كان إلا أن هجعتُ لهُ وري فأغنى مطلعَ الفجرِ
 وري الكرى رأسي ومال بهِ رمسُ يساورِ منه كالشكرِ

(١) المفارق : مواضع فرق الشعر من الرأس . (٢) عمر : جزيل العطاء .

(٣) مرطى : سريعة ، والأسر : القوة . (٤) فليح : حليف النصر .

(٥) التناهب : جمع تنوفة ، وهى الصجراء - والغبر : جمع غبراء ، وأراد اللظلمة (م)

(٦) القتر ، بالضم : الجانب . (٧) انتويت : قصبت .

(٨) العتر : اسم نبات أو شجر صغير - لا ، بل العتر هنا الذبح (م)

إذ راعى صوت هيبته به
 وإذا منيته تباورُهُ
 وإذا له علق وحشرجة
 والموت يقبضه ويسطه
 فدعاً لأنصره وكنت له
 فمجزت عنه وهي زاهمة
 فضى وأى فتى فجمت به
 لو قيل تفديه بذلت له
 أو كنت مقتدراً على عمري
 قد كنت ذا فقر له ، فدعاً
 لو شاء ربى كان متعنى
 بنيت عليك بنى ، أحوج ما
 لا يبعدنك الله يا عمري
 هدى سبيل الناس كلهم
 أولاً ترام فى ديارهم
 والموت يوردهم مواردهم

وقال أعرابي يمدح رجلاً :

يمدُّ نجاد السيف حتى كأنه
 ويُدبُّ فى حاجات من هو نائم
 إذا اعتم بالبرد اليماني حسبه
 يزيد على فضل الرجال فضيلة

بأعلى سنامى فالج يتطوح
 ويورى كريمات الندى حين يقدح
 هلالاً بدأ فى جانب الأفق يلمح
 ويقصر عنه مدح من يتمدح

وأشده ابن أبي طاهر لأعرابي :

وقبلى أبكى كل من كان ذاهوى
وهن على الأطلال من كل جانب
مُزبِجَة الأعناق نمر ظهورها
ترى طرراً بين الخوافي كأنها
ومن قطع الياقوت صيغت عيونها
ومن جيد ما قيل في الحمام قول ابن الرومي :

وقفت بمطراب العشيات والضحى
فطلت أسح الدمع منى وأسجُم
حليفة شجور هاج مابي وما بها
تباريح شوق يشتكيها التميم
فباح به فوها وأخفته عنها
وباحت به عيني وكتمه الفم
ودخل أعرابي على الرشيد، فأنشده أرجوزة مدحه بها ، وإسماعيل بن صبيح
يكتب كتاباً بين يديه - وكان من أحسن الناس خطاً ، وأسرعهم يداً - فقال

الرشيد للأعرابي : صف الكاتب فقال :

رقيق حواشي العلم حين تبوره
يريك الهويننا والأمور تطير^(١)
له قلماً بؤسى ونقمتي كلاهما
سحابتة في الحالتين دُرور
يناجيك عما في ضميرك خطه
ويفتح باب النجح وهو عسير

فقال الرشيد : قد وجب لك يا أعرابي عليه حق ، كما وجب لك علينا

يا غلام ؛ ادفع له دية الحر ، فقال إسماعيل : وعلم عبدك دية العبد .

وقال أعرابي من بني عقيل :

أحن إلى أرض الحجاز، وحاجتي
خيام بنجد دونها الطرف يقصر
وما نظري نحو الحجاز بنافعي
فتيلا ، ولكني على ذلك أنظر

(١) البلاقع : جمع بلقع ، وهي الحالة التي لا أنيس بها (م)

(٢) تبوره ، تختبره وتبلوه (م) .

أفي كل يوم نظرة ثم عبرة
متى يستريح القلب إنا مجاور
ولعينيك بحرى ماؤها يتجدد
وقال أعرابي :

وإني لأغضى مقلتي على القدي
وإني لأدعو الله والأمر ضيق
وألنس ثوب الصبر أبيض أبلجا
وكم من فتى ضاقت عليه وجوهه
على ، فما ينفك أن يتفرجا
وقال آخر:

ذكرتك ذكري هائم بك تنتهي
ولست بذكري ساعة بعد ساعة
إليك أمانيه وإن لم يكن وصل
ولكنها موصولة مالهأ فصل
وقال آخر :

أريتك إن شطت بك العام نية
أترعين ما استودعت أم أنت كالذي
وعالك مضطاف الحتى ومرابمة
ألا إن حيا دونه قلة الحى
إذا ما نأى هانت عليك ودائمة
مضى النفس لو كانت تُنال شراثة (١)
أخذت أزد العتيك شاعرا من قيس بن ثعلبة اسمه اللعدل في ديم، فأتاه
البيس بن ربيعة فحمله ، وأمره أن ينجو بنفسه ، وأسلم نفسه مكانه ، فقال له
للعدل : أخيرك بين أن أمدحك أو أمدح قومك ؛ فاختار مدح قومه فقال :

جزى الله فتيان العتيك ، وإن نأت
هم خلطوني بالنفوس وأحسنوا الصاحب لما حم ما كان آتيا
بي الدار عنهم ، خير ما كان جازيا
متاعهم فوضى فضا في رحالهم
ولا محسنون الشر إلا تبادليا
كان دنائرا على قسماهم
إذا الموت في الأبطال كان تحاميا
وذكرت الرواة أن المهلب بن أبي صفرة عرض جنده بخراسان ، فعرض جيش

(١) الحى - بالفتح - السهل فيه ماء قليل ، والشرايع : جمع شريعة ، وهى

مكان ورود الماء (م)

بكر بن وائل، فربه المذلل فقال: هذا المذلل القيسى الذي يقول، وأنشد الأبيات،
 قالوا: أيها الأمير! احسبه علينا، فانطلق مائة منهم، فجاءوا بمائة وصيف ووصيفة،
 قالوا: أعظم هذا وليعذرنا.

قوله « كَأَنَّ ذُنَابِيرًا عَلَى قَسَاتِهِمْ » نظير قول أبي العباس الأعمى :

لَيْتَ شِعْرِي مِنْ أَيْنَ رَأَيْتُ رَأْمَةَ الْمَشْكِ وَمَا إِنْ إِخَالَ بِالْخَيْفِ إِنْ سَى؟
 حِينَ غَابَتْ بِهَوَامِيَةِ عَنِّي وَالْبَهَائِلُ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ
 خُطْبَاءَ عَلَى الْمَنَابِرِ، فُرْسًا نُنَّ عَلَيْهَا، وَقَالَ غَيْرُ خُرْمِ
 فِي ح. لَوْمْ إِذَا الْحُلُومُ اسْتَفْرَزَتْ: وَوَجُوهٌ مِثْلُ الدَّنَانِيرِ مُلْسِ

[بَعْضُ أَخْبَارِ أَبِي نَوَاسٍ]

المأمون يعير
 أخاه الأمين
 بصحة أبي
 نواس

ولما خلع المأمون أخاه محمد بن زبيدة ووجه بطاهر بن الحسين لمخاربه، كان
 يعمل كتباً بميؤوب أخيه تُقرأ على المنابر بخراسان؛ فكان مما عابه به أن قال: إنه
 استخلص رجلاً شاعراً ماجناً كافراً، يقال له الحسن بن هاني، واستخلصه ليُشرب
 معه الخمر، ويرتكب المآثم، ويهتِك الحرام، وهو الذي يقول:

أَلَا فَاسْتَقْنِي خَمْرًا وَقُلْ لِي هِيَ الْخَمْرُ وَلَا تَسْقِنِي سُرًّا إِذَا امْتَكَنَ الْجَهْرُ
 وَبُخِ بِاسْمِ مَنْ تَهَوَّى وَدَعْنِي عَنِ الْكُنَى فَلَا خَيْرَ فِي الذَّاتِ مِنْ دُونِهَا سِرًّا
 وَيَذْكَرُ أَهْلَ الْعِرَاقِ يَقُولُ: أَهْلُ فَسُوقِ وَخَمُورٍ، وَمَا خُورُ وَنُجُورٍ؛ وَيَقُومُ

رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ فَيُنشِدُ أَشْعَارَ أَبِي نَوَاسٍ فِي الْحُجُونِ؛ فَاتَّضَلَّ ذَلِكَ بَابَ زَبِيدَةَ؛
 فَفَهِيَ الْحَسَنَ عَنِ الْخَمْرِ، وَحَبِيبَةَ ابْنِ أَبِي الْفَضْلِ بْنِ الرَّيِّحِ؛ ثُمَّ كَلَّمَهُ فِيهِ الْفَضْلُ،
 فَأَخْرَجَهُ بَعْدَ أَنْ أَخَذَ عَلَيْهِ أَلَّا يَشْرَبَ خَمْرًا، وَلَا يَقُولَ فِيهَا شِعْرًا، فَقَالَ:

مَا مِنْ يَدٍ فِي النَّاسِ وَاحِدَةٍ كَيْدِ أَبِي الْعَبَّاسِ مَوْلَاهَا
 نَامَ التَّقَاتِ عَلَى مَضَاجِعِهِمْ وَسَرَى إِلَى نَفْسِي فَأَحْيَاهَا
 قَدْ كُنْتُ خَفْتُكَ، ثُمَّ آمَنْتِي مِنْ أَنْ أَخَافُكَ، حَوْفُكَ اللَّهُ
 فَفَعُوتَ عَنِّي عَفْوٌ مَقْتَدِرٌ وَجَبَّتْ لَهُ نَقْمٌ فَأَلْفَسَاهَا

ومن قوله في ترك الشراب :

أَيْهَى الرَّائِحَانِ بِاللَّوْنِ لَوْ مَا
نَالَنِي بِالسَّلَامِ فِيهَا إِمَامٌ
فَاضِرْفَاها إِلَى سِوَايَ ؛ فَإِنِّي
جُلُّ حَظِي مِنْهَا إِذَا هِيَ دَارَتْ
فَكَأَنِّي وَمَا أَزِينُ مِنْهَا
[كَلَّ عَنْ حَمَلِهِ السَّلَاحَ إِلَى الْحَرِّ]

التَّعَدِّيَّة : فرقة من الخوارج ، يأمرون بالخروج ولا يخرجون ؛ وزعم اللبرد أنه لم يسبق إلى هذا المعنى .

وقال :

عَيْنَ الْخَلِيفَةِ بِي مَوَكَّلَةٌ
صَحَّتْ عَلَانِيَتِي لَهُ ، وَأَرَى
وَلَثْنٌ وَعَدَّتْكَ تَرَكَهَا عِدَّةٌ
سَلَبُوا قِنَاعَ الدَّنِّ عَنْ رَمَقِي
فَتَنَفَّسَتْ فِي الْبَيْتِ إِذْ مُرِجَتْ

عَقَدَ الْحِذَارُ بَطْرَفَهَا طَرْفِي
دِينَ الضَّمِيرِ لَهُ عَلَى حَرْفِي
إِنِّي عَلَيْكَ لِنَافِ خُلْفِي
حَى الْحَيَاةِ مُشَارِفِ الْخُفِّ
كَتَنَفَسَ الرِّيحَانِ فِي الْأَنْفِ

أخذ قوله : « ولئن وعدتكَ تركها عدة » الحسن بن علي بن وكيع فقال :

مَتَى وَعَدَّتْكَ فِي تَرْكِ الصَّبَا عِدَّةٌ
أَمَّا تَرَى اللَّيْلَ قَدِ وَلَّتْ عَسَا كُرُهُ
وَجَدَّ فِي أُرِّ الْجَوْزَاءِ يَطْلُبُهَا
كَصَوِلِحَانَ لُجَيْنٍ فِي يَدَيِّ مَلِكِ
قَمُّ بِنَا نَضَطْبِيحِ صَفَرَاءِ صَافِيَّةٍ
عَرُوسُ كَرِيمِ أُمَّتِ تَحْتَالُ فِي حُلِّيِّ

فَاشْهَدْ عَلَيَّ عِدَّتِي بِالزُّورِ وَالْبَيْكُذِبِ
وَأَقْبِلِ الصَّبِيحُ فِي جِنْسٍ لَهُ لِحَبِ
فِي الْجَوِّ رَكْضًا هِلَالٌ دَائِمُ الطَّلَبِ
أَدْنَاهُ مِنْ كُرِّيَّةِ صِيغَتٍ مِنَ الذَّهَبِ
كَالنَّارِ لَكِنْهَا نَارٌ بِلَا لَهَبِ
صُفْرِ عَلَى رَأْسِهَا تَاجٌ مِنَ التَّحْبِيبِ

وقال أبو الفضل الميكالي في اقتران الهلال بالزهرة :

أَمَا تَرَى الزُّهْرَةَ قَدْ لَاحَتْ لَنَا تَحْتَ هِلَالٍ لَوْهُ يُحْكِي اللَّهَبَ
كَكَرَّةٍ مِنْ فِضَّةٍ مَجْلُودَةٍ وَاقِي عَلَيْهَا صَوْلَجَانٌ مِنْ ذَهَبٍ
وعلى قول أبي نواس :

صَحَّتْ غَلَانِيَّتِي لَهُ ، وَأَرَى دِينَ الضَّمِيرِ لَهُ عَلَى حَرْفِ
كَتَبَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنِ الْمُعْتَزِ إِلَى أَبِي الطَّيِّبِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ النَّبِيرِيِّ :
يَأْيَهَا الْجَافِي وَيَسْتَجْفِي لَيْسَ بِجَنِّيكَ مِنَ الظَّرْفِ
إِنَّكَ فِي الشُّوقِ إِلَيْنَا كَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ عَلَى حَرْفِ
سَحَوْتَ آثَارِكَ مِنْ وَدَّانَا غَيْرَ أَسَاطِيرِكَ فِي الصُّخْفِ
فَإِنْ تَحَامَلْتَ لَنَا زَوْرَةً يَوْمًا تَحَامَلْتَ عَلَى ضَعْفِ

وحدث أبو عمر الزاهد قال : ذلك بعض الزهاد المرائين جبهته بشووم وعصبا ، ونام ليصبح بها كآثر السجود ، فأحرفت العصابة إلى صدغه ، فأخذ الأثر هناك ، فقال له ابنه : ما هذا يا أبت ؟ فقال : أصبح أبوك بمن يقبذ الله على حرف !

ضرب من
الرواء

وقال أبو نواس في الباب الأول :

عَنَّنَا بِالطَّلُولِ كَيْفَ بَلِينَا وَاسْتَقْنَا نَعِطَكَ الشَّاءَ الثَّمِينَا
مِنْ سُلَافٍ كَأَنَّهَا كُلُّ شَيْءٍ يَتَمَنَّى مَخْزِيٌّ أَنْ يَكُونَا
أَكْرَمُ الدَّهْرِ مَا تَجَسَّمُ مِنْهَا وَتَبَقَّى لِبَاهِبِنَا الْكُنُونَا
فَإِذَا مَا اجْتَلَيْتَهُمَا فَهَبَلَا يَمْنَعُ الْكَفَّ مَا يُبِيحُ الْعِيُونَا
ثُمَّ سُجَّتْ فَاسْتَضْحَكَتْ عَنْ لَالٍ لَوْ تَجَمَّعْنَ فِي يَدِ لَاقْتِنِينَا
فِي كَثُوسٍ كَأَنَّهِنَّ نَجُومٌ دَائِرَاتٌ رُؤُوجُهُمَا أَيْدِينَا
ظَالَمَاتٌ مَعَ السَّقَاةِ عَلِينَا فَإِذَا مَا غَرَبْنَ بَعْرُوقِنَا فِينَا

من خمريات
أبي نواس

لو ترى الشرب حولها من بعيد
وغزال يدبرها بيتان
كلما شئت علي برضاب
ذاك عيش، لودام لي، غير أني
وقال :

أعاذل أعيتت الإمام وأعتبا
وقلت لساقيا: أجزها فلم أكن
فجوزها عنى سلافاً ترى لها
إذا عب فيها شارب القوم خلته
ترى حينما كانت من البيت مشرقاً
يدور بها رطب البنان ترى له
سقام ومناني بعينيه منية

قال الحسين بن الضحاك الخليلع : أنشدت أبا نواس قولي :
وشاطري اللسان مخنق التكريه شاب المجون بالنسك
فلما بلغت فيه :

كأنا نضب كآنيه قمر يكرع في بعض أنجم الفلك
نعر نكرة منكرا ، قلت : مالك ، فقد رعتني ؟ قال : هذا المعنى أنا
أحق به منك ؛ ولكن سترى لمن يروى ! ثم أنشد بعد أيام :
إذا عب فيها شارب القوم خلته
قلت : هذه مطالبة^(٢) يا أبا علي ! فقال : أتظن أنه يروى لك معنى مليح
وأننا في الحياة ؟

وقال ابن الرومي فكان أحسن منهما
ومفهم كملت محاسنه حتى تجاوز منية النفس

(١) القرة : البرد الشديد ، ويصلون ، يتدفنون بالنار (م) .

(٢) كذا ، ولعلها « مغالبة » (م) . (٩ - زهر الآداب ٢)

تَصْبُو الكؤوس إلى مَرَّاشِفِهِ وَتَصِجُ في يده من الحَبِيسِ
أَبْصَرْتُهَا والكأسُ بَيْنَ فَمِّ مِنْهُ وَبَيْنَ أَنَامِلِ خَمْسِ
فَكَأَنَّمَا وَكَانَ شَارِبِيهَا قَرُّ يَقْبَلُ عَارِضَ الشَّمْسِ

وقال أبو الفتح كشاجم :

وسحاب يجرُّ في الأرض ذَبِيلِي مُطْرَفِ زَرَّةٍ على الأرض زَرًّا^(١)
بَرَقَهُ لَمَحَةٌ ، وَلَكِنْ لَهُ رَعْدٌ بَطِيءٌ يَكْسُو المَسَامِعَ وَقَرًّا
كَخَلِيٍّ مَنَافِقٍ لِلَّذِي يَهْوَاهُ يَبْكِي جَهْرًا وَيَضْحَكُ سِرًّا
قَدْ سَقَتْنِي المُدَامَ فِيهَا فَتَاةٌ سَحَرْتَنِي وَلَيْسَ تُحْسِنُ سِحْرًا
فَإِذَا مَا رَأَيْتَهَا تَشْرَبُ الرَّاحَ أَرْتَنِي شَمْسًا تَقْبَلُ بَدْرًا

[من أخبار بشار]

وإنما احتذى أبو نواس في هذه الأشعار التي وصف فيها ترك الشراب وطاعته
لأمر الأمين مثال بشار بن برود ، وصب على قلبه ؛ وذلك أن بشاراً لما قال :
لَا يُؤَيِّسُنِيكَ مِنْ مَخْجَأَةٍ قَوْلُهُ تَقْلَظُهُ وَإِنْ جَرَّحًا
عُسْرُ النِّسَاءِ إِلَى مُيَاسِرَةٍ وَالصَّعْبُ يُمَكِّنُ بَعْدَ مَا جَمَعَ

احتذاء
أبي نواس
على مثاله

بلغ ذلك المهدي فضاظه ؛ وقال : يجرّض النساء على الفجور ، ويسهل
السييل إليه ! فقال له خاله يزيد بن منصور الحميري : يا أمير المؤمنين ؛ قد فتن
النساء بشعره ، وأى امرأة لا تصبوا إلى مثل قوله :

عَجِبْتُ فَطَمَةَ مِنْ نَعْتِي لَهَا هَلْ يُحِيدُ النِّعْتَ مَكْفُوفِ النَّظَرِ
بِنْتُ عَشْرِ وَثَلَاثٍ قَسِمَتْ بَيْنَ غَضْنٍ وَكُثِيبٍ وَقَمَرِ
دُرَّةٌ بَحْرِيَّةٌ مَكْنُونَةٌ مَازَاهَا التَّاجِرُ مِنْ بَيْنِ الدَّرَزِ
أَذْرَتِ الدَّمْعَ وَقَالَتْ : وَبِلَاتِي مِنْ وَلُوعِ الكِفِّ رِغَابِ الخَطَرِ
أُمِّي بَدَدَ هَذَا لَعْمِي وَوِشَاحِي حَالَهُ حَتَّى انْتَشَرَ

(١) الطرف - ضم الميم وفتح الراء مخففة - رداء من خزله أعلام (م)

فَدَعَيْنِي مَعَهُ يَا أُمَّتِي عَلَّنَا فِي خَلْوَةٍ تَقْضِي الْوَطْرَ
 أَقْبَلْتُ فِي خَلْوَةٍ تَضْرِبُهَا وَاعْتَرَاهَا كَجَنُونَ مُسْتَعِيرٍ
 بِأَبِي وَاللَّهِ مَا أَحْسَنَهُ دَمْعَ عَيْنِ غَسَلِ الْكُحْلِ قَطْرُ
 أَيُّهَا الثَّوَامُ هُبُوا وَيُحْكَمْ وَسَلَوْنِي الْيَوْمَ مَا طَعِمَ السَّهْرُ
 فَأَمْرُهُ الْمَهْدِيُّ الْأَبَّ يَتَغَزَلُ ، قَالَ أَشْعَارًا فِي ذَلِكَ ، مِنْهَا :

المهدي يأمر
بشارا بترك
الغزل

يَا مَنْظَرًا حَسَنًا رَأَيْتُهُ مِنْ وَجْهِ جَارِيَةٍ فَدَيْتُهُ
 لَمَعْتُ إِلَى تَسْوَمِي ثَوْبَ الشَّبَابِ وَقَدْ طَوَيْتُهُ
 وَاللَّهِ رَبِّ مُحَمَّدٍ مَا إِنْ غَدَرْتُ وَلَا نَوَيْتُهُ
 أَمْسَكْتُ عَنْكَ ، وَرَبِّمَا عَرَضَ الْبَلَاءُ وَمَا ابْتَغَيْتُهُ
 إِنْ الْخَلِيفَةُ قَدِ ابْتَدَأَتْ وَإِذَا أَبِي شَيْئًا أُبَيْتُهُ
 وَيَسُوقُنِي بَيْتُ الْحَيْبِ إِذَا غَدَوْتُ ، وَأَيْنَ بَيْتُهُ
 قَامَ الْخَلِيفَةُ دُونَهُ فَصَبْرْتُ عَنْهُ وَمَا قَلَيْتُهُ (١)
 وَنَهَانِي الْمَلِكُ الْمَهْمَا مِ عَنِ النَّسَاءِ فَمَا عَصَيْتُهُ
 بَلْ قَدْ وَفَيْتُ وَلَمْ أُضِعْ عَهْدًا ، وَلَا رَأْيًا رَأَيْتُهُ

وقال أيضاً :

وَاللَّهِ لَوْلَا رِضَا الْخَلِيفَةِ مَا أَعْطَيْتُ ضَيْمًا عَلَى فِي شَجَنِ
 قَدَعَشْتُ بَيْنَ النَّدْمَانِ وَالرَّاحِ وَالْأُفْئِمْ نَهَانِي الْمَهْدِيُّ فَانصَرَفْتُ
 مِزْهَرٍ فِي ظِلِّ مَجْلِسِ حَسَنِ نَفْسِي ، صُنْعُ الْوُفُوقِ اللَّقِينِ

وقال :

أَفْنَيْتُ عَمْرِي وَتَقَضَى الشَّبَابُ بَيْنَ الْحَمِيَّا وَالْجَوَارِي الْعِدَابُ
 فَالآن شَفَعْتُ إِمَامَ الْهُدَى وَرَبِّمَا طَبْتُ لِحَبِّ وَطَلَبُ
 لَهْوٍ حَتَّى رَاعَنِي دَاعِيَا صَوْتُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُجَابُ
 لَيْبِكَ لَيْبِكَ ! هَجَرْتُ الصَّبَا وَنَامَ عُدَالِي وَمَاتَ الْعِتَابُ

(١) قَلَيْتُهُ : كَرِهْتُهُ ، وَيُقَالُ « قَلَوْتَهُ » أَيضًا ؛ فَالْفِعْلُ يَأْتِي وَارِي (م) .

أبصرت رُشدِي وتركتُ المنَى وربما ذلتُ لهنَّ الرقابُ
في كلمة طويلة يقول فيها :

ياحمد القول ، ولم يبُلُهُ سبقت بالسَّيل مساك السحاب^(١)
الفعلُ أولى ببناء الفتى ما جاءه من خطأ أو صواب
دع قولَ واءٍ وانتظرُ ففعله يُنني على اللقحة ما في الحلاب^(٢)
إذا غدا المهديُّ في جُنده وراح في آلِ الرسولِ الغضابِ
بدا لك المعروفُ في وجهه كالظلمِ يجرى في الثنايا العذابِ^(٣)
ومن شعر بشار في الغزل :

من شعر بشار
في الغزل

أيها الساقيان صبأ شراي واسقياني من ريق بيضاء رُودِ^(٤)
إن دأى الصدى ، وإن شفاي شربة من رُصابِ نغرِ برُودِ
عندها الصبرُ عن لقائي ، وعندى زفراتُ يا كلن قلبَ الجليدِ
ولها مَبِيسٌ كُفرُ الأفاحي وحديثُ كالوشى وشي البرُودِ
نزلت في السواد من حبة القلب ونالت زيادةً للمستزيدِ
ثم قالت : تلقاك بعد ليالٍ والليالي يُبين كلَّ جديدِ
لا أبالي من ضنَّ غنى بوصلٍ إن قضى الله منك لي يومَ جودِ

وقال :

تُلقي بتسيحةٍ من حسن ما خلقت وتستفز حساً الرأى بإزعادِ
كأنما صورَّت من ماء لؤلؤةٍ فكلُّ جارحةٍ وجهٌ بمرصادِ
وقال :

وهبت له على المسواك ريقاً فطاب له بطيبِ ثنيتيك

(١) المساك - بزة السحاب - الموضع الذي يمساك فيه الماء (م)

(٢) واء ، من الوأى وهو الوعد - واللقحة ، بالكسر ، الناقة الحلوب ، والحلاب :

الوعاء الذي يجلب فيه اللبن ، يريد أن اللبن الذي يكون في الحلاب يدل على مقدار ما تحلبه

الناقة ؛ فيكون هو الذي يثنى عليها (م) (٣) الظلم - بالفتح - الريق (م)

(٤) الرود - بالضم - الناعمة الحسنة (م)

أقبله على الذكرى كأتى أقبل فيسه فاك ومقلتيك^(١)
وقال :

لا أستطيعُ الهوى وهجرتها قلبي ضعيفٌ وقلبها حَجَرٌ
كأنَّ وجردي بها وقد حجبت في الرأس والعين والحشأ سُكْرٌ
وأشده له أبو تمام ، وكان يقول : مارأيتُ شعراً أغزل منه :

زودنا يا عبدَ قَبْلِ الفراقِ بتلاق ، وكيف لي بالتلاقِ^(٢)
أنا والله أَشْتَهَى سِحْرَ عَيْنِكَ وَأَخْشَى مِصْرَاعَ العِشَاقِ
أمتي من بني عقيل بن كعب موضع السِّلَكِ في طَلَا الأعتاقِ
وقال :

لقد عَشَمْتُ أذني كَلاماً سمعتهُ رَحِيماً ، وقلبي للمليحةُ أَعْشَقُ
ولو عَابَتْهُا لم يَلُومُوا على البُكْيِ كَرِيماً سَقَاهُ الحمرَ بَدْرٌ مُحَلَّقُ
وكيف تناسي من كان حديثه بأذني وإن عَينَ قُرْطٌ مُعَلَّقُ
وقال :

وقد كنت في ذلك الشباب الذي مضى أزارُ وَيَدْعُونِ الهوى فَأزورُ
فإن فاتني إلفٌ ظَلِمْتُ كَأَمَّا يُدِيرُ حَيَاتِي فِي يَدَيْهِ مُدِيرُ
ومرَّجَّةُ الأردافِ مَهْضُومَةُ الحشأ تَمُورُ بِسِحْرِ عَيْنِهَا وَتَدُورُ
إذا نظرت صببت عليك صباةً كَادَتْ قلوبُ العالمين تطيرُ
خلوتُ بِهَا لا يَخْلُصُ المَاءُ بَيْنَنَا إلى الصُّبْحِ دوني حَاجِبٌ وَسُورُ
ومن هذا أخذ على بن الجهم قوله :

صَلِّينِي وَحَبْلُ الوصلِ لم يتشعب ولا تهجري أفديك بالأُمِّ والأبِ
رعى الله دَهراً ضَمَّناً بعد فُرْقَةٍ وَأذني فَوَاداً من فَوَادٍ مُعَدِّبِ
لعلى بن الجهم

(١) من هنا أخذ ابن زيدون وأبدع وأجاد :

يدني خيالك حين شط به النوى وهم أكاد به أقبل فاك
(٢) كذا ، وربما كان «مخلق» بالحاء معجمة : أى مضمخ بالخلوق .

عناقا وضماً والتزاماً كأنما يرى جسداً أنا جسم روح مركب
فَبِتْنَا وإنا لو تراق زجاجةٌ من الخمرِ فيما بيننا لم تسربِ
وشعره في هذا المعنى كثير .

من شعر بشار
ومقداره

وروي أنه قال : أنا أشعرُ الناسِ ؛ لأنَّ لي اثني عشر ألفَ قصيدة ، فلو اختير
من كل قصيدة بيتٌ لاستندز ، ومن نذرت له اثنا عشر ألف بيت فهو أشعرُ الناسِ (١) ؛
وقد نثرتُ نظمه في أضاف الكتاب استدعاءً لنشاط القارئ وكرامته في إملاله .
وكان بشارُ أرقَّ المحدثين ديباجةً كلام ، وسمى أبا المحدثين ؛ لأنه فتق بهم
أكلام الطائي ، ونهج لهم سبيل البديع ، فاتبعوه ؛ وكان ابن الرومي يُقدمه ،
ويزعمُ أنه أشعرُ من تقدم وتأخر .

ولاؤه

وهو يتعلق في شعره بولاء عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ،
 ويفتخرُ بالمضرية . قال له المهدي : فيمن تعزى ؟ قال : أمَّا اللسان فعزيتي ،
أما الأصل فكما قلت في شعري ! قال : وما قلت ؟ فأشده :

وَنَبْتُتُ قوماً لهم إحنةٌ يقولون من ذا وكنتُ العَلَمُ
ألا أيها السائلُ جاهلاً ليَعْرِفَنِي أنا إلفُ الكَرَمِ (٢)
نمت في المكارمِ بي عامرُ فرُوعِي وأصلي قرِيشُ العَجَمِ
وإني لأغني مقامَ الفتى وأصبي الفتاةَ فلا تَعْتَصِمِ

البيت الأول من هذه الأبيات ينظرُ إلى قول جميل :

إذا مارأوني طالعاً من ثنيةٍ يقولون من هذا وقد عرّفوني

(١) كان المسيو مرسيه أخبرني وأنا في باريس أنه توجد نسخة من ديوان بشار
عند أحد أدباء تونس ، فليت من يملك تلك النسخة يتفضل بنشرها لأننا في أشد الظمأ
إلى مجموعة كاملة من شعر بشار الذي عده القدماء إمام شعراء البديع - أقول : قد
بدأ ينشر هذه النسخة في مصر ، وقد ظهر منها الجزء الأول مطبوعاً طبعاً أنيقاً في
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (م)

(٢) حفظي «أنا أنف الكرم» ولها وجه وجهه (م)

وفي هذه القصيدة يقول بشار :

وبيضاء يضحكُ ماءَ الشبا ب في وجهها لك إذ تبتسم
دوار العذارى إذا زُرَّتها أظفنُ بحوزاءِ مثلِ الصَّمِّ
يَرُخْنَ فَيَمَسَحْنَ أركانها كما يَمَسُحُ الحَجَرَ المَسْتَلِمَ
أصفراءِ ليس الفتى صخرَةً ولكنه نُصِبَ هَمٌّ وغمٌّ
صَبَبَتْ هوائكِ على قلبه فضاقت وأعلن ما قد كتم

ويقال : إنه مولى لأم الأطباء السدوسية ، ولذلك قال أبو حذيفة واصل بن

عطاء الغزال رئيس المعتزلة لما هجاه بشار : أما لهذا الأعمى الملحد المشنف المسكتى
بأبي معاذ من يقتله ؟ والله لولا أن الفيلة من سجايا الغالية ، لبعثت إليه من
يبعج بطنه في جوف منزله ، ولا يكون إلا سدوسيا ، أو عقيليا .

شيء من خبر
واصل بن عطاء
المعتزلي

وكان واصل بن عطاء أحد أعاجيب الدنيا ؛ لأنه كان أثنع في الرأي ، فأسقطها
من جميع كلامه وخطبه ؛ إذ كان إمام مذهب ، وداعى نحلة ، وكان محتاجا إلى
جودة البيان ، وفضاحة اللسان . قال الجاحظ : فانظر كثرة ترداد الرأي في
هذا الكلام وكيف أسقطها ؟ قال : الأعمى ، ولم يقل الضيرين ، وقال : الملحد ، ولم يقل
الكافر ، وقال : المشنف ، ولم يقل المرعث ، وقال : المسكتى : بأبي معاذ ، ولم يقل
بشاراً ولا ابن برد ، وقال : الغالية ، ولم يقل الغيرية ، ولا المنصورية ، وهم الذين
أراد ، وقال : نبعت ، ولم يقل لأرسلت ، وقال : يبعج ، ولم يقل يبقر ، وقال : في جوف
منزله ، ولم يقل في داره ، وأراد بذلك عقيل وسدوس ما ذكر من اعتزائه إليهم .

وزعم الجاحظ أن بشاراً كان يدين بالرجعة ، ويكفر جميع الأمة ؛
وأشده أشعاراً صوب بهار رأى إبليس في تقديم النار على الطين ، منها قوله :

الأرض مُظلمة ، والنار مُشرقة والنارُ معبودة مُذْكَاتِ النارِ

وقال داود بن رزين : أتينا بشاراً ، فأذن لنا والمائدة بين يديه ، فلم يدعنا إلى

الطعام ، ثم جلسنا فحضر الظهر والعصر والمغرب فلم يصل ، ودعا بطست فبال

بحضرتنا ، قلنا له : أنت أستاذنا ، وقد رأينا منك أشياء أنكراها ، قال : ماهي ؟ قلنا : دخلنا والطعام بين يديك فلم تدعنا ، قال : إنما أذنتُ لئلا كلوا ، ولو لم نرُ ذلك لم نأذن لكم ، قلنا له : ودعوت بالطست ونحن حضور ، قال : أنا مكثوف ، وأنتم مأمورون بغض الأَبصار دوني ، قلنا : وحضرت الصلاة فلم تصل ! قال : الذي يقبلها تفاريق يقبلها جملة ! هذا وهو القائل :

كيف يبكي لمحبس في طولٍ من سيفضي لحبس يومٍ طويل
إن في البعث والحساب لشُقلاً عن وقوف برسم دارٍ محيل

وقال :

ذُكرتُ بها عيشاً فقلت لصاحبي : كأن لم يكن ما كان حين ينزل
وما حاجتي لوساعد الدهرُ بالمني كعاب عليها لؤلؤٌ وشكول
بدا لي أن الدهرَ يقذح في الصفا وأن بقائي إن حبيت قليل
فعيش خائفاً للموت أو غير خائفٍ على كل نفسٍ للحمام دليل
خليلك ما قدّمت من عمل الثقي وليس لأيام المنون خليل

وكان بشارٌ حاضر الجواب ، سجاعاً ، خطيباً ، صاحب منثور ومزدوج ورجز ورسائل مختارة على كثير من الكلام ، ودخل على عقبة بن مسلم بن قتيبة ، فأنشده مديحاً وعنده عقبة بن ربيعة ، فأنشده أرجوزة ، ثم أقبل على بشار فقال : هذا طرازٌ لا تحسنه يا أبا معاذ ! فقال : والله لأنا أرجز منك ومن أهلك ! ثم غدا على عقبة من الغد ، فأنشده أرجوزته :

باطلل الحى بذات الصمد بالله خبر كيف كنت بعدى
يقول فيها :

صدت بخدّ وجلت عن خدّ ثم انتنت كالنفس المرتد
وصاحب كالدمل الممد حملته في رقة من جلدى
حتى اعتدى غير فقيد القعد وما درى مارغبتي من زهدى

بين بشار
وعقبة بن ربيعة
ابن العجاج

وهذا كقول الآخر :

يودون لو خاطوا عليك جلودهم ولا يدفع الموت النفوس الشحاح
وفيها يقول :

الحرُّ يُدحَى والعصا للعبد وليس للملحف مثل الردِّ
أسلمٌ وحيتَ أبا الملدِّ مفتاح باب الحدِّ المنسدِّ
والبس طِرَازي غيرَ مُستردِّ لله أيامك في ممدِّ

وهي طويلة ، فأجزلَ صلته ، فلما سمع ابن روبة ما فيها من الغريب قال :
أنا وأبي وجدى فتحنا الغريب للناس ، وإني نخلق أن أسده عليهم ، فقال
بشار : ارحمهم رحمك الله ! قال : تستخف بي ، وأنا شاعر ابن شاعر ابن شاعر ؟
قال : إذا أنت من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً !
فضحك كل من حضر .

ودخل على المهدي وعنده خاله يزيد بن منصور الحميري ، فأنشده قصيدة ، فلما
أتمها قال له يزيد : ما صنعتك يا شيخ ؟ قال : أتقُبُ اللؤلؤ ، فقال له المهدي :
أتهزأ بحالي ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، فما يكون جوابي لمن يرى شيخاً أعمى
يُنشدُ شعراً فيسأله عن صناعته ؟

وقال جوارى المهدي للمهدي : لو أذنت لبشار يدخلُ إلينا يؤانسنا ويُشِدنا
فهو محبوب البصر ، لا غيره عليك منه ، وأمره فدخل إليهن واستظرفنه ،
وقلن له : وددنا والله يا أبا معاذ أنك أبونا حتى لا تفارقك ، قال : ونحن على دين
كسرى^(١) ! فأمر المهدي ألا يدخل عليهن .

وكان المتنبي نظر إلى هذا فقال :

يا أختَ معتنقِ الفوارسِ في الوغى لأخوكِ ثمَّ أرقُ منكِ وأزحمُ
يرنوُ إليكِ مع العفافِ وعندهُ أنَّ الجوسَ تصيبُ فيما تحكمُ

(١) كان كسرى مجوسياً يستبيح زواج البنات والأخوات (م) .

[كلمات مأثورة]

قال علي بن عبيدة الريحاني : المودَّةُ تعاطفُ القلوب ، واثتلافُ الأرواح ،
وحنين النفوس إلى مثابة السرائر ، والاسترواحُ بالمستكنَّات في الغرائز ، ووحشة
الأشخاص عند تباين اللقاء ، وظاهر السرور بكثرة التزوار ، وعلى حسب مشاكلة
الجواهر يكون انفاقُ الخصال .

وقال : العتابُ حدائقُ المتحابين ، وثمارُ الأوداء ، ودليل الظنِّ ، وحركات
الشوق ، وراحةُ الواجد ، ولسانُ المشفق .

قال بعض الكتاب : العتابُ علامةُ الوفاء ، وخاصةُ الجفَاء ، وسلاحُ الأَكْفَاء .

وقال علي بن عبيدة : التجبِّي رسولُ القطيعة ، وداعي القليِّ ، وسبب السلوِّ ،
وأولُّ التجافي ، ومنزل التهاجر .

وقال : الصدقُ ربيعُ القلب ، وزكاةُ الخلقِ ، وثمرَةُ المروءة ، وشُعاعُ الضمير
وعن جلاله القدر عبارته ، وإلى اعتدالِ وزنِ العقل يُنسبُ صاحبه ، وشهادتهُ
قاطمةٌ في الاختلاف ، وإليه ترجع الحكومات .

وقال : الكذبُ شعارُ الخيانة ، وتحريفُ العلم ، وخواطرُ الزور ، وتسويلُ
أضغاثِ النفس ، واعوجاجُ التركيب ، واختلافُ البنية ، وعن حمول الذكر
ما يكون صاحبه .

وعلى بن عبيدة كثيرُ الإغارة ، على ما كان غيْرُه قد استنارَه .

فقر في الكذب لغير واحد

بعض الفلاسفة : الكذَّاب والمبْتُ سواء ؛ لأن فضيلةَ الحىِّ النطقُ ، فإذا
لم يؤثِق بكلامه فقد بطلت حياته .

الحسن بن سهل : الكذَّاب لِيض ؛ لأن اللصَّ يسرقُ مالك ، والكذَّاب
يسرقُ عقلك ، ولاتأمن من كذب لك أن يكذب عليك ، ومن اغتاب غيرك عندك

فلا تأمن أن يغتابك عند غيرك .

قال إبراهيم بن العباس في هذا النحو .

إني متى أحقد بحقدك لا أضرب به سواك
ومتى أطعتك في أخيك أطعتُ فيك غداً أخاك
حتى أرى متقسماً يومئذ ، وغداً لذكاك

حسب الكاذب بقله سقماً وقلبه خصماً

ابن المعتز: علامة الكذاب جوده باليمين لغير مستحلف ، وقال :

وفي اليمين على ما أنت فاعله ما دلّ أنك في الميعاد منهم

وقال : اجتنب مصاحبة الكذاب ، فإن اضطرت إليه فلا تصدقه ، ولا تعلمه أنك تكذبه ، فينتقل عن وده ، ولا ينتقل عن طبعه . يعترى حديث الكذاب من الاختلاف ما لا يعترى الجبان من الارتعاد عند الحرب . لا تصح للكذاب رؤيا ؛ لأنه يُخبر عن نفسه في اليقظة بما لم ير ، فتريه في النوم ما لا يكون ، وأنشد : لا يكذب المرء إلا من مهانتِهِ أو عادة السوء ، أو من قلة الأدب ولأهل العصر : فلان منغمس في عيبه ، يكذب لذيله على جيبه ، يقول بهتاً ، وزوراً بحتاً ، قد ملأ قلبه ريناً ، وقوله مئناً ؛ يدين بالكذب مذهباً ، ويستثير الزور مركباً . أقاويل يتمشى الزور في منابكها ، ويبرز البهتان في مذاهبها .

وقال أعرابي لابنه وسمعه يكذب : يا بني ، عجبت من الكذاب المشيد بكذبه ، وإنما يدل على عيبه ، ويتعرض للعقاب من ربه ؛ فالأنام له عادة ، والأخبار عنه متضادة ، إن قال حقاً لم يُصدق ، وإن أراد خيراً لم يوفق ؛ فهو الجاني على نفسه بفعاله ، والدال على فضيحته بمقاله . فما صح من صدقه نسب إلى غيره ، وما صح من كذب غيره نسب إليه ، فهو كما قال الشاعر :

حسب الكذوب من المها نة بعض ما يهكي عليه

ما إن سمعت بكذبة من غيره نسبت إليه

[جزاء الشكر]

كتب الحسن بن سهل إلى المأمون ، بعد أن زُفَّت إليه بوران وتوهم القوادُ أن هذا التزويج قد أنسى الحسن حاله قبل ذلك : قد تولَّى أمير المؤمنين من تعظيم عبده في قبول أمته شيئاً لا يتسع له الشكرُ عنه إلا بمعونة أمير المؤمنين ، أدام الله عزّه ، في إخراج توقيعه بتزيين حالي في العامة والخاصة ، بما يراه فيه صواباً إن شاء الله .

بين الحسن
بن سهل
والمأمون

فخرج التوقيع : الحسن بن سهل زمام على ما جمع أمور الخاصة ، وكنت أسباب العامة ، وأحاط بالنفقات ، ونفذ بالولاية ، وإليه الخراج والبريد واختيار القضاة ، جزاء بمعرفته بالحال التي قرّبتّه منا ، وإثابة لشكره إيانا على ما أولينا .

[من خطب النكاح]

قال يحيى بن أكرم : أراد المأمون أن يزوّج ابنته من الرضا فقال : يا يحيى ؛ تكلم ، فأجلبته أن أقول : أنكحت ، ققلت : يا أمير المؤمنين ، أنت الحاكم الأكبر ، والإمام الأعظم ، وأنت أولى بالكلام ، فقال : الحمد لله الذي تصاغرت الأمور بمشيئته ، ولا إله إلا هو إقراراً برؤيته ، وصلى الله على محمد عند ذكره .

خطبة للمأمون

أما بعد ، فإن الله قد جعل النكاح ديناً ، ورضيته حُكماً ، وأنزله وحيّاً ؛ ليكون سبب المناسبة ؛ ألا وإني قد زوّجت ابنة المأمون من علي بن موسى ، وأمهرتها أربعمائة درهم ، اقتداءً بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانتهاءً إلى ما درج إليه السلف ، والحمد لله رب العالمين .

قال الأصمعي : كانوا يستحبون من الخاطب إلى الرجل حرمة الإطالة ؛ لتدل على الرغبة ، ومن الخطوب إليه الإيجاز ، ليدل على الإجابة .

وخطب رجل من بني أمية إلى عمر بن عبد العزيز أخته ، فأطال ؛ فقال عمر :

ما يستحب
من الخاطب
والمخطوب
إليه

الحمد لله ذى الكبرياء ، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء ؛ أما بعد فإن
الرجبة منك دعوتك إلينا ، والرجبة منا فيك أجابت ، وقد زوجناك على كتاب
الله : إمساك بمعروف ، أو تسريح بإحسان .

وخطب رجل إلى قوم فأتى بمن تخطب له ، فاستفتح بحمد الله وأطال ، وصلى
على النبي عليه السلام وأطال ، ثم ذكر البدء وخلق السموات والأرض ، واقتصر
ذِكْرَ القرون حتى ضجر من حضر ، والنفت إلى الخاطب ، فقال : ما اسمك
أعزك الله ؟ فقال : والله قد أنسيت اسمي من طول خطبتك ، وهى طالق إن
تزوجتها بهذه الخطبة ؛ فضحك القوم ، وعقدوا فى مجلس آخر .

[الكتب والأقلام والخط]

وقال ابن المعتز : الكتاب وَالْحُجُ الأَبواب ، جرى على الحجاب ، منهم
لا يفهم ، وناطق لا يتكلم ، به يشخص المشتاق ، إذا أقعده الفراق ، والقلم مجهر
لجيش الكلام ، يخدم الإرادة ، ولا يمل الاستزادة ، ويسكت واقفاً ، وينطق
سائراً ، على أرض بياضها مظلم ، وسوادها مضيء ، وكأنه يقبل بساط سلطان
أو يفتح نوار بستان .

وهذا كقوله فى القاسم بن عبيد الله ، قال الصولى : ما عرض القاسم بن عبيد
الله ليخلف أباه : قال ابن المعتز :

قلم ما أراه أم فلك يجرى بما شاء قاسم ويسير
خاشع فى يديه يلتم قرظاً سا كما قبل البساط شكور
ولطيف المعنى جليل تحيف وكبير الأفعال وهو صغير
كم منايا وكم عطايا وكم حشوف وعيش تضم تلك الشطور
نقشت بالذجا نهارا فما أدرى أخط فيهن أم تصوير
هكذا من أبوه مثل عبيد الله ينمى إلى العلاء ويصير
عظمت منه الإله عليه فهناك الوزير وهو الوزير

وله فى القاسم
بن عبيد الله

لبعض البلغاء

وقال بعض البلغاء : صورة الخلط في الأبصار سواد ، وفي البصائر بياض .

وقال أبو الطيب المتنبي :

لمتنبي

دَعَانِي إِلَيْكَ الْعِلْمُ وَالْحِلْمُ وَالْحِجْيُ وَهَذَا الْكَلَامُ النَّظْمُ وَالنَّائِلُ النَّثْرُ
وَمَا قُلْتُ مِنْ شِعْرٍ اتَّكَادُ بَيُوتَهُ إِذَا كَتَبْتَ يَبْيِضُ مِنْ نُورِهَا الْحَبْرُ

وقال ابن المعتز في عبيد الله بن سليمان بن وهب :

لابن المعتز

عِلْمٌ بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ ، كَأَنَّهُ بِمَخْتَلَسَاتِ الظَّنِّ يَسْمَعُ أَوْ يَرَى
إِذَا أَخَذَ الْقِرطَاسَ خِلَّتْ يَمِينُهُ يُفْتَحُ نَوْرًا أَوْ يُنْظَمُ جَوْهَرًا

فاخر صاحب سيف صاحب قلم ، فقال صاحب القلم : أنا أقتل بلا غرر ،
وأنت تقتل على خطر . فقال صاحب السيف : القلم خادم السيف ، إن تم مراده
وإلا فإلى السيف معاده ؛ أما سمعت قول أبي تمام :

مفاخرة بين
صاحب سيف
وصاحب قلم

السيفُ أَضدَقُ إِنْباءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ
يَبْيِضُ الصَّفَاحُ لَأَسْوَدِ الصَّخَّافِ فِي مُتُونِهِنَّ جِلاهُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ
وقال أبو الطيب :

لمتنبي

مَا زِلْتُ أَضْحِكُ ابْنِي كَمَا نَظَرْتُ إِلَى مَنْ احْتَضَنْتُ أَخْفَأُهَا بَدَمِ
أَسِيرُهَا بَيْنَ أَصْنَامٍ أَشَاهِدُهَا وَلَا أَشَاهِدُ فِيهَا عَفَّةَ الصَّمِّ
حَتَّى رَجَعْتُ وَأَقْلَامِي قَوَائِلُ لِي الْمَجْدُ لِلسَّيْفِ لَيْسَ الْمَجْدُ لِلْقَلَمِ
اكَتُبُ بِنَا أبدأَ بَعْدَ الْكِتَابِ بِهِ فَإِنَّمَا نَجُنُ لِلأَسْيَافِ كَالْخَدَمِ

هذا مقول من قول علي بن العباس النوبختي ، وقد رواه أبو القاسم الزجاجي

لابن الرومي ، وإنما وهم لاتفاق الأسمين :

لنوبختي

إِن يَخْدُمُ الْقَلَمُ السَّيْفَ الَّذِي خَضَعَتْ لَهُ الرِّقَابُ وَدَانَتْ خَوْفَهُ الأُمُّ
فالموت - والموت لا شيء ؛ يُغَالِبُهُ - ما زال يتبع ما يجري به القلم
بِذَا قَضَى اللهُ لِلأَقْلَامِ مَذْبُورِيَّتَ أَنْ السَّيْفِ لَهَا - مَذْ أَرَهَفَتْ - خَدَمُ

لابن الرومي

وقال ابن الرومي :

لَعَمْرُكَ مَا السَّيْفُ سَيْفُ الْكَمِيِّ
لَهُ شَاهِدٌ إِنْ تَأَمَّلْتَهُ
أَدَاةُ الْمَنِيَّةِ فِي جَانِبِهِ
سِنَانُ الْمَنِيَّةِ فِي جَانِبِ
أَلَمْ تَرَ فِي صَدْرِهِ كَالسِّنَانِ
وقال أبو الفتح البستي :

إِذَا أَقْسَمَ الْأَبْطَالُ يَوْمًا بِسَيْفِهِمْ
كَفَى قَلَمُ الْكِتَابِ مَجْدًا وَرَفْعَةً
وقد قيل : صريرُ الأقلام ، أشدُّ من صليلِ الحسام .

للبياتي

لطلحة بن
عبيد الله

قَالَ الصَّوْلِيُّ : أَنشَدَنِي طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ :
وَإِذَا أَمَرَ عَلَى الْمَهَارِقِ كَفَّهُ
بِأَنَامِلٍ يَحْمِلْنَ شَخْتًا مُرْهَفًا (١)
وَمَوْصِلًا وَمَشْتَتًا وَمُؤَلَّفًا
مُقَاصِرًا مُتَطَوِّلًا وَمَفْصَلًا
تَرَكَ الْعُدَاةَ رَوَاجِفًا أَحْشَاؤَهَا
كَالْحِيَةِ الرَّقَشَاءِ إِلَّا أَنَّهُ
يَرْمِي بِهِ قَلَمًا يَمِجُّ لَعَابَهُ
وقال محمود بن أحمد الأصبهاني :

لمحمود
الأصبهاني

أُخْرَسُ يُنْبِيكَ بِإِطْرَاقِهِ
يُبْذِرِي عَلَى قِرْطَاسِهِ دَمِيغَةً
عَنْ كُلِّ مَا شِئْتَ مِنَ الْأَمْرِ
كَمَا شِئْتَ أَخْفَى هَوَاهُ وَقَدْ
يُبْذِرِي بِهَا السَّرَّ وَمَا يَبْذِرِي
تُبْصِرُهُ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ
تَمَّتْ عَلَيْهِ عِبْرَةٌ تَجْرِي
يُرْمِي أُسِيرًا فِي دَوَاةٍ وَقَدْ
عُرْيَانٌ يَكْسُو النَّاسَ أَوْ يُعْرِي
أَطْلَقَ أَقْوَامًا مِنَ الْأَمْرِ

(١) المهاريق : الصحائف البيضاء ، واحدها مهريق - بزنة مكرم - والشخت :

الضامر الدقيق من غير هزال (م) .

أحرق لو لم تَبْرَه لم يَكُنْ
كالبحر إذ يجرى ، وكالليل إذ
يَرشُقُ أقواماً وما يَبْرِي
يَغشى ، وكالصارم إذ يَفْرِي

وقال أحمد بن جرار :

لأحمد بن جرار

أهيفُ ممشوقٌ بتجريكه
له لسانٌ مرهفٌ حدهُ
تَرى بسيطَ الفكرِ في نظمه
كأنما يَسْحَبُ في إثره
لولا ما قام منارُ المهدي

ومن أجود ما قيل في صفة القلم قول أبي تمام لمحمد بن عبد الملك الزيات :

لأبي تمام

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي يَشْبَاهُهُ
له رِيْقَةٌ طَلٌّ وَلَكِنْ وَقَعَهَا
لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ
له الخِلاواتِ اللّاءِ لولا تَجِيئُهَا

وقال الأمير تميم بن المعز :

تميم بن المعز
الفاطمي

وذى عَجَبٍ من طولِ صَبْرِي على البِئْسِ
يقولون: ما تشكو؟ قلت: متى شكاً
وإنّ امرأً يشكو إلى غير نافع
عذابي أنْ أشكو إلى الناس أنتي
ويعنى الشكوى إلى الله علمه
سأسكت صَبْرًا واحتساباً وفانئني

وقال :

يا دَهْرُ ما أقسك من متلون
أتروخ للتركس الجهول ممهدا
في حالتك ، وما أقلك مُنصِفاً
وعلى الليب الحرِّ سيفاً مرهفاً؟

وإذا صفوت كدرت، شيمة باخلي،
 لا أرضيكي، وإن بكرمت؛ لأنني
 زمن إذا أعطى استرد عطاءه
 وإذا استقام بداله فتحرفاً
 ما قام خيرك يا زمان بشره
 أولى بنا ما قل منك وما كفى

[الصدق في النصيحة]

وكان أحمد بن يوسف منصرفاً عن غسان بن عباد، وجرت بينهما هنات
 بمحضرة المأمون، فقال يوماً بمحضرة خاصة أصحابه: أخبروني عن غسان بن عباد؛
 فإني أريده لأمرٍ جسيم؛ وكان قد عزم على تقليده السنن مكان بشر بن داود؛
 فتكلم كل فريق بما عنده في مدحه؛ فقال أحمد بن يوسف: هو يا أمير المؤمنين
 رجل محاسنه أكثر من مساويه، لا يتطرف به أمر إلا تقدم فيه، ومهما
 تخوف عليه فإنه لن يأتي أمراً يعتذر منه؛ لأنه قسم أيامه بين أفعال الفضل؛
 فجعل لكل خلق نوبة، إذا نظرت في أمره لم تدر أي حالته أعجب؛ أما هذا
 إليه عقله أم ما اكتسبه بأدبه؟

فقال له المأمون: لقد مدحته على سوء رأيك فيه! قال: لأنني في أمير المؤمنين

كما قال الشاعر:

كفى ثمنا لِمَا أسديت أني نصحتك في الصديق وفي عدي
 وأنى حين تندبني لأمرٍ يكون هواك أغلب من هواي
 قال الصولي: وقد روي هذا لغير أحمد، ولعل أحمد استعاره؛ فأعجب المأمون
 ذلك منه، وشكره غسان بن عباد له، وتأكدت الحال بينهما.

وكان أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح مولى عجل بن لجيم عالي الطبقة من ترجمة أحمد
 في البلاغة، ولم يكن في زمانه أكتب منه، وله شعر جيد مرتفع عن أشعار
 الكتاب، ووزر للمأمون بعد أحمد بن أبي خالد، وكان أول ما ارتفع به أحمد أن
 البلاغة

المخلوع محمد بن الرشيد لما قتل أمر طاهر بن الحسين الكتاب أن يكتبوا إلى
 المأمون ؛ فأطالوا ، فقتل طاهر ؛ وأريد أخصر من هذا فوصف له أحمد بن يوسف
 وموضعه من الهلافة ، فأحضره لذلك ، فكتب : أما بعد فإن كان المخلوع
 قسيم أمير المؤمنين في النسب والرحمة ، فقد فرّق بينهما حكم الكتاب في الولاية
 والخدمة ، بمفارقه عصمة الدين ، وخروجه عن الأمر الجامع للمسلمين ؛ لقول الله
 عز وجل فيما اقتص [علينا] من نبي نوح وابنه : (إنه ليس من أهلك إنه عمل
 غير صالح) ، ولا طاعة لأحد في معصية الله ، ولا قطعة ما كانت القطعة في
 ذات الله ؛ وكتابي إلى أمير المؤمنين وقد أمجز الله له ما كان ينتظر من سابق
 وعده ، والحمد لله الراجح إلى أمير المؤمنين معلوم حقه ، الكائد له فيمن ختر
 عهده ، ونقض عهده ، حتى ردّ به الأئمة بعد فرقتها ، وجمع به الأمة بعد
 شتاتها ، وأضاء به أعلام الدين بعد دُرُوبه ؛ وقد بعث إليك بالديار وهي رأس
 المخلوع ، وبالآخرة وهي البردة والقضيب ؛ والحمد لله الآخذ لأمر المؤمنين حقه ،
 الراجح إليه تراث آبائه الراشدين .

وكان أحمد بن أبي خالد كثيراً ما يصف أحد للمأمون ويحتمه عليه ، فأمره
 المأمون بإحضاره ، فلما وقف بين يديه قال : الحمد لله يا أمير المؤمنين الذي
 استخصك فيما استخفظك من دينه ، ولقدك من خلافته ، بسوابغ نعمه ، وفضائل
 قسيمه ، وعرفك من تيسير كل عسير حاولك عليه متمرد ، حتى ذل لك ما جعله
 تكملة لما حبأك به من موارد أموره بنجح مصادرها ، حمداً نامياً زائداً لا ينقطع
 أولاه ، ولا ينقضي أخراه ، وأنا أسأل الله يا أمير المؤمنين من إتمام بلائه لديك ،
 ومننه عليك ، وكفايته ما ولاك واسترطاك ، وتحصين ما حاز لك ، والتمكين
 من بلاد عدوك ، ما يمنع به بئضة الإسلام ، ويعزبك أهله ، ويبيح بك
 حبي الشرك ، ويجمع لك متبئين الأئمة ، ويُنجز بك في أهل العناد والضلالة
 وعده ؛ إنه سميع الدعاء ، فعالم لما يشاء .

قال المأمون: أحسنته ، بورك عليك ناطقنا وساكتنا ! ثم قال بعد أن
 بلاه واختبره : يا عجبا لأحمد بن يوسف ! كيف استطاع أن يكتسب همة !
 وكتب إلى المأمون يستعجدي لوزار على بابي : إني داعي نذاك ، ومنادي
 جده واليك ، جعنا بياضك الوؤود ، يرجون نائلك العتيد ، ففهم من تحت بحرمة ،
 ومنهم من يذلي بسالف خدامته ، وقد أجهف بهم المصام ؛ فإن رأى أمير المؤمنين
 أن ينصهم بسببه ، ويحقق ظنهم بطوره ، فعلى .
 فوق المأمون في عرض كتابه :

الخير متبع ، وأموال الملوك مظان لطلاب الحاجات ؛ فلا كتب أسماءهم ،
 وبين مرتبة كل واحد منهم ، ليصير إليه على قدر استحقاقه ؛ ولا تكدرن
 معروفنا بالطل والحجاب ؛ فقد قال الشاعر :

فإنك لن ترى طرداً لحراً كالصاق به طرف الهوان
 ولم تجلب مودة ذي وفاء بمثل الوء أو بذل السلطان

قال أحمد بن يوسف : أمرني المأمون أن أكتب في زيادة تعداد شهر
 رمضان ؛ فأعيا على ، ولم أجد مثالا أحتدي عليه ؛ فبت مغموماً ، فأناني آت
 في النوم فقال : اكتب : فإن فيها إضاءة للمتهجدين ، ونفياً لمكان الريب ،
 وأنساً للسابلة ، وتنزيهاً لبيوت الله من وحشة الظلم ، أخبرت بذلك المأمون ،
 فاستظرفه ، وأمر أن تمضي السكتب عليه .
 وأهدى إلى المأمون في يوم نوروز طبق جزع عليه ميل من ذهب ، فيه اسمه
 منقوش ، وكتب إليه :

هذا يوم جرت فيه العادة ، بالظاف العبيد السادة ، وقد بشت إلى أمير

المؤمنين طبق جزع فيه ميل .

فلما قرأ المأمون الرقصة قال : أجات هدية أحمد بن يوسف ؟ قالوا : نعم .

قال : هي في داري أم داري فيها ؟ فلما رضع المنديل استظرف الهدية واسترجح مهبها .

وأهدى إلى إبراهيم بن المهدي هدية وكتب إليه : الثقة بك قد سهلت
السبيل إليك ، فأهديت هدية من لا يحشم إلى من لا يعتم .
وكتب إلى بني سعيد بن سلم : لولا أن الله عز وجل ختم نبوته بمحمد
صلى الله عليه وسلم ، وكتبه بالقرآن ، لنزل فيكم نبي نعمة ، وأنزل فيكم
قرآن غدر ؛ وما عسيت أن أقول في قوم محاسنهم مساوي الشغل ،
ومساويهم فضائح الأمم ، وألستهم معقولة بالعي ، وأيديهم معقودة بالبخل ، وهم
كما قال الشاعر :

لا يكبرون وإن طالت حياتهم ولا تبديد محاربيهم وإن بادوا
وغنى مغن محضرة أحمد بن يوسف ولم يكن محسنا ، فلم ينصتوا له ، وتحدثوا
مع غنائه ، فغضب المغنى ؛ فقال أحمد بن يوسف : أنت عافاك الله تحمل الأسماع
ثقلا ، والقلوب مللا ، والأعين قباحة ، والأنف نتانة ، ثم تقول : اسمعوا مني ،
وأنصتوا إلي ! هذا إذا كانت أفهامنا مقلعة ، وآذاننا صدئة ، فإما رضيت بالعفو
منا ، وإلا قت مذموماً عنا .

ألفاظ لأهل العصر في ذم المغنين

يترنم فيتميم ولا يطرب . إذا غنى غنى ، وإذا أدى أدى .
يميت الطرب ، ويحيي الكرب . ضربه يوجب ضربه . من عجائب
غنائه أنه يورد الشتاء في الصيف . ما روى قط في دار مرتين . وحضر
جحلة مجلساً فيه علي بن بسام ، ففرق القوم الحاد ، فقال جحلة : فما لي لم
تعطوني حدة ؟ فقال علي بن بسام : غن فالحاد كلها إليك تصير ! وفيه يقول
ابن بسام :

يا من هجوناه ففنانا أنت ، وبيت الله ، أهجانا
سيان إن غنى لنا جحلة أو مرر محنون فزاننا

وكان خالد يُستبرد ، فبعث بعضُ الظرفاء غلامه يشتري له خمسة أرطال
 تُلج ، فاتاه بخالد وقال : يا مولاي ، طلبت خمسة أرطال ، وهذا حبل !
 وتفتى بحضرة عموم ، فقال : ويحك ! دَعْنَا نَمُوتُ !
 وقال بعض المحدثين في قريس المغنى :

ألا فاستنى قدحاً وافراً يُعِينُ عَلَى الْبَلْعِ الْمَاهِجِ
 أَكَلْنَا قَرِيصاً وَعَفَى قَرِيْسٍ فَنَحْنُ عَلَى شَرَفِ الْفَالِجِ
 وتفتى أبو العباس المبرد برد الخيار المغنى في يوم تُلج بالجرس ، فقال : أنت
 للمبرد وأنا برد الخيار ، واليوم كما ترى ، اعْبُرْ بنا لا يهلك الناس بالفالج بسببنا
 وقال ابن عباد الصاحب في مغن يعرف بابن عذاب :

أقول قولاً بلا احتشام يعقله كلُّ مَنْ يَمِيهِ
 ابن عذاب إذا تفتى فإنتى منه في أيهـ

[عود إلى أحمد بن يوسف]

ومن شعر أحمد بن يوسف :

ضَمِيرٌ وَجَدِي بَقَلْبِ صَبٍّ تَرَجَمَ دَمِي بِهِ فَشَاعَا
 فصار دَمِي لِسَانِ وَجَدِي ضَمِيحٌ سِرِّي بِهِ فَدَاعَا
 لولا دموعي وفرط حبي ما كان سِرِّي كذا مُضَاعَا

وقال :

وعامل بالفجور يَأْمُرُ بِالسُّبْرِ كِهَادٍ يَخْوِضُ فِي الظُّلْمِ
 أو كطبيب قد شفّه سَمٌّ وَهُوَ يُدَاوِي مِنْ ذَلِكَ السَّمِّ
 يا واعظ الناس غير متعظٍ ثَوْبَكَ طَهَّرْ أَوْ لَا فَلَا تَلْمِ

وقال :

إذا ما التقينا والعيونُ نواظِرُ فَالْسُّنْحَرَبُ وَأَبْصَارُ ناسِمِ

وقال في الجزن :

كثير هوم القلب حتى كأنما عليه سرورُ العالمين حرامٌ
إذا قيل ما أضناك! أسبيل دَمَعُهُ فأخبر ما يلقى وليس كلام

وقال :

كريمٌ له نفسٌ تَلِينُ بِلِينِهَا لِيُودِعَ عَنِ سُلْطَانِهِ سُنَنَ الْكَبِيرِ
إذا ذُكِرَتْهُ نَفْسُهُ عَظُمَ قَدْرُهَا دَعَاهُ إِلَى تَسْكِينِهَا عَظَمَ الْقَدْرِ

ووقع في كتاب رجل يحثه على استتمام صنائعه عنده : مستمُّ الصنِيعَةِ مِنْ
عَدَلِ زَيْنِهَا ، وَأَقَامَ أَوْدَهَا ، صِيَانَةَ أَعْرُوفِهِ ، وَنَصْرَةَ لِرَأْيِهِ ؛ فإِنَّ أَوَّلَ الْمَعْرُوفِ
مُسْتَخْفٌ ، وَآخِرُهُ مُسْتَنْقَلٌ ، يَكَادُ أَوَّلَ الصَّنِيعَةِ يَكُونُ لِلْعَوَى ، وَآخِرُهَا لِلرَّأْيِ ،
وَلِلدَّلِكِ قِيلُ : رَبُّ الصَّنِيعَةِ أَشَدُّ مِنْ ابْتِدَائِهَا^(١) .

وكان أبو العتاهية له صديقاً^(٢) قبل ارتفاع حاله ، فأحس منه في حين وزارته

تغيراً ، فكتب إليه :

أمنت إذ استغنيت من سَوْرَةِ الْفَقْرِ فَصَرَّتْ تَرَى الْإِخْوَانَ بِالنَّظَرِ الشَّرِّيرِ
أبا جعفر إنَّ الشَّرِيفَ يَهِينُهُ تَتَأَيَّهُ دُونَ الْأَخْلَاءِ بِالْوَقْرِ
فإن نَهتَ يوماً بِالَّذِي نَلتَ مِنْ غَفَى فإِنَّ غَفَاً بِالتَّجْمُلِ وَالصَّبْرِ
ألم تر أن الْفَقْرَ يُرْحَى لَهُ الْغَفَى وَأَنَّ النِّقَى يُحْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْفَقْرِ

وروى أبو بكر يموت بن المزرع عن خاله الجاحظ قال : حجب أحمد بن

يوسف أبا العتاهية ، ثم عاد ، فقيل : هو نائم ، فكتب إليه :

لئن عدتُ بعد اليوم إنى لظالمٌ سَأَصْرِفُ وَجْهِي حَيْثُ تُبْغَى الْمَكَارِمُ
متى يظفر الغادى إليك بِحَاجَةٍ وَنِصْفُكَ مَحْبُوبٌ وَنِصْفُكَ نَائِمٌ

(١) الرب : التعهد بالإصلاح .

(٢) في المطبوعات كلها « له صديق » بالرفع ، وليس بشيء (م) .

وقال :

في عداد الموتى وفي ساكني الدنيا أبو جعفر أخي وخليتي
ميت مات وهو في ورق التين من بقيا في ظل هيش ظليل
لم يميت ميتة الوفاة ، ولكن مات عن كل صالح وجليل
وخاص أحمد بن يوسف رجلا بين يدي المأمون ، وكان صفا المأمون إليه ^(١)
على أحمد ، فظن لذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه يشتملي من عينك
ما يلقاني به ، ويستبين بحركته ما يحنه له ^(٢) ، وبلغ إرادتك أحب إلي من
بلوغ أملي ، ولذة إجابتك أمتع عندي من لذة ظفري ؛ وقد تركت له ما نازعي
فيه ، وسمت له ما طالبني به . فاستحسن ذلك المأمون .

ومن كلام أحمد بن يوسف : مجالسة البغضاء تُثيرُ الهوم ، وتجلبُ
الضوم ، وتؤلم القلب ، وتقدح في النشاط ، وتطوى الانبساط .

ألفاظ لأهل العصر في صفات الثقل

فلان ثقيل الطلقة ، بغيض التفصيل والجمل ، بارد السكون والحركة ؛
قد خرج عن حد الاعتدال ، وذهب من ذات اليمين إلى ذات الشمال . يحكى
ثقل الحديث المعاد ، ويمشي في القلوب والأكباد ، ولا أدري كيف لم تحمل
الأمانة أرض حملته ؟ وكيف احتاجت إلى الجبال بعد ما أقلته ؟ كأن وجهه
أيام المسائب ، وليالي النوائب ، وكأنما قر به فقد الحباب ، وسوء العواقب .
وكانما وصله عدم الحياة ، وموت الفجأة ، وكأنما هجره قوة اللثة ، وريح الجنة .
يا عجب من جسم كالخيال ، وروح كالجبال . كأنه ثقل الدين ، على وجم
العين . هو ثقيل السكون ، بغيض الحركة ، كثير الشؤم ، قليل البركة . هو
بين الجفن والعين قذاة ، وبين الأخص والنعل حصاة . ما هو إلا غداة
القراق ، وكتاب الطلاق ، وموت الحبيب ، وطلع الرقيب . ما هو إلا أرباع

(١) صفاه إليه : ميله (م) . (٢) تحنه لي : تكتمه وتخفيه (م) .

لا تَدُورُ فِي صَفَرٍ ، وَالكَابُوسُ فِي وَقْتِ السَّحَرِ ، وَأَثْقَلُ مِنْ خَرَّاجِ بِلَاغَلَةٍ ،
وَدَوَاءِ بِلَاغَلَةٍ ، وَأَبْفَضُ مِنْ مِثْلِ غَيْرِ سَائِرٍ ، وَأَجْمَعُ لِلْعَيُوبِ مِنْ بَغْلَةِ أَبِي
دَلَامَةَ ، وَحِمَارِ طَيَّارٍ ، وَطَيْلَسَانَ ابْنِ حَرْبٍ ، وَأَيْرَ أَبِي حَكِيمَةَ ، وَأَنْشُدُ :

مَشَى فِدَاعًا مِنْ ثِقَلِهِ الْحَوْتُ رَبَّهُ وَقَالَ : إِلَهِي زِيدَتْكَ الْأَرْضُ ثَمَانِيَةَ ^(١)
وَأَنْشُدُ :

تَحْمَلُ مِنْهُ الْأَرْضُ أضعافَ مَا يَحْمَلُهُ الْحَوْتُ مِنَ الْأَرْضِ ^(١)
وَأَنْشُدُ :

مَشْتَمِلٌ بِالْبُغْضِ لَا تَبْنَنِي إِلَيْهِ لِحَظًا مُقْبَلَةَ الرَّامِقِ
يَظَلُّ فِي مَجْلِسِنَا قَاعِدًا أَثْقَلُ مِنْ وَاشٍ عَلَى عَاشِقِ
وَقَالَ الْحَدُونِيُّ :

سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ إِلَّا صَدَقْتَ وَعَلَيْهِ بِأَنَّكَ لَا تَصَدُقُ
أَتَبْغِضُ نَفْسَكَ مِنْ ثِقَلِهَا وَإِلَّا فَأَنْتَ إِذَا أَحْبَبْتُ

وَكَتَبَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَطُويُّ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُرْسِلْ وَجِئْتَ فَلَمْ أَصِلْ مَلَأْتَ بَعْدَ مَنْكَ سَمْعَ لَيْبِ
أَتَيْتُكَ مُشْتَقًّا فَلَمْ أَرِ حَاجِبًا وَلَا صَاحِبًا إِلَّا بِوَجْهِ قَطُوبِ
كَأَنِّي غَرِيمٌ مُقْتَضٍ ، أَوْ كَأَنِّي ظُلُوعُ رَقِيبٍ أَوْ نَهْوِضُ حَيْبِ
وَكَانَ أَبُو عَيْبِدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى يَسْتَنْقِلُ جَلِيسًا اسْمُهُ زَنْبَاعٌ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ
يَوْمًا : مَا الزَنْبَعَةُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ ؟ قَالَ : التَّشَاؤُلُ ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ جَلِيسُنَا زَنْبَاعًا .
وَكَانَ كَثْرَ النَّاسِ فِي الثَّقَلَاءِ ، وَأَنَا أَسْتَحْسِنُ قَوْلَ جِحْظَةَ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرُهُ
قَدْ تَقَدَّمَ فِي مِثْلِهِ :

(١) إشارة إلى الحرافقة التي تزعم أن الأرض يحملها حوت .

يا لفظَةَ البَتْنَى بِمَوْتِ الخَلِيلِ
يا شربةَ الِيارِجِ يا أَجْرَةَ الـ
يا طلعَةَ النَّمشِ ويا مَنزلاً
يا نَهضةَ المَحبوبِ عَن غَضَبِي
يا كِتاباً جاءَ مِن مُخَلِّفِ
يا بُكرةَ الشَّكْلِى إلى حُفْرَةٍ
يا وِثبَةَ الحافِظِ مَسْتَجِلاً
ويا طيِّباً قَد أُنِيَ باكراً
يا شوكةَ في قَدَمِ رَحِصَةٍ
يا عِشْرَةَ المَجدومِ في رَحْلِهِ
يا رَدَّةَ الحاجبِ عَن قَسوَةِ

من ترجمة
جحظة البرمكي
ومن شعره

وجَحْظَةَ هذا هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن
برمك ، وقال أبو الحسن علي بن محمد بن مقلة الوزير : سألتُ جَحْظَةَ من لَقبَهُ بهذا
اللقب ؟ فقال : ابنُ المعتز ، لَقبني يوماً ، فقال لي : ما حيوان إن نَكسُوهُ أنا آله
للمراكب البحرية ، فقلت : علق ، إذا نَكس صارَ قِلماً ، قال : أحسنت يا جحظة ؛
فلزمني هذا اللقب ، وكان ناتي العيينين جدًّا ، قبيح الوجه ، ولذلك قال ابن الرومي :

نبت جَحْظَةَ يستعيرُ جُحوظَهُ
من فيلٍ شَطْرَ نَجٍ ومن سرطانِ
يا رحمتي لمنادميه تحمَّـوا
ألم العيوبِ للذَّةِ الأذانِ
وكان طيِّبَ الغناء ، ممتدِّ النفس ، حسنَ السموع ؛ إلا أنه كان قبيلاً اليدِ
في الضرب ؛ وكان حُلُوَ النادرة ، كثيرَ الحكاية ، صالحَ الشُّعْرِ ؛ ولا تزال تندرله
الآيات الجيدة ، وهو القائل :

جانبت أطيبَ لذتي وشرابي
وهجرت بعدك عامداً أصحابي

فإذا كسبتُ لسكى أنزه نظري
 إن كنت تنكر ذلتي وتغلي
 فانظر إلى بدلي الذي موته
 في حُسن لفظك لم تجد بجواب
 وتُحول جسي وامتداد عدابي
 للنظارين بكثرة الأتواب
 وقال :

وإذا جفاني صاحب
 وتركته مثل القُبو
 لم أستجز ما عشتُ فطمة
 وأزورها في كل جمعة
 وقال :

ضاقت على وجوه الرأى في نفر
 أقلب الطرف تصعيداً ومنه حدرأ
 يلقون بالجد والكفران إحسانى
 فما أقابل إنساناً بإنسانى
 وقال :

لقد مات إخوانى الصالحون
 إذا أقبل الصبح ولّى السرور
 فإلى صديقٍ ومالى عماد
 وإن أقبل الليل ولّى الرقاد
 وقال يهجورجلا :

لا تعدلوني إن هجرتُ طعامه
 فمتى أكلتُ قتلته من بخله
 خوفاً على نفسى من المأكول
 ومتى قتلتُ قتلتُ بالقتول

ومن حكاياته ما حدثني خالد الكاتبُ قال : جاءني يوماً رسولُ إبراهيم
 ابن المهدي، فصرت إليه، فرأيت رجلاً أسوداً على فرسٍ قد غاص فيها، فاستجسني
 وقال : أنشدني من شعرك، فأنشدته :

رأت منه عيني منظرين كما رأت
 عشية حيانى بورْد كأنه
 من الشمس والبدر المنير على الأرض
 خدودٌ أضيقتُ بعضهن إلى بعض
 دموعى لما صدَّ عن منقلى عُضى
 كغفل نسيم الريح بالفضن الغص
 ورازع وفعلُ الراح في حرّ كاته

فرحف حتى صار في ثلثي الفرش ، وقال : يا فتى ، شبهوا الخلود بالورد ،
وأنت شبهت الورد بالخلود ، زدني فأنشده :

عَاتِبْتُ نَفْسِي فِي هَوَاكَ فَلَمْ أَجِدْهَا تَقْبِلُ
وَأَطَعْتُ دَاعِيَهَا إِلَيْكَ فَلَمْ أَطِعْ مِنْ يَغْدُلُ
لَا وَالَّذِي جَعَلَ الْوُجُوهُ هَلْخَسَنَ وَجْهَكَ تَمَثَّلُ
لَا قَلْتُ إِنْ الصَّبْرَ غَنَىكَ مِنَ التَّصَابِي أَجْمَلُ

فرحف حتى انحدر عن الفرش ثم قال لي : زدني ، فأنشده :

عِشْ فَجِئِيكَ سَرِيحًا قَاتِلِي وَالضَّنَى إِنْ لَمْ تَصِلْنِي وَاصِلِي
ظَفِرَ الْحَبِّ بِقَلْبِ دَبْفٍ فِيكَ وَالشَّقْمُ بِجِسْمِ نَاحِلِ
فَمَا بَيْنَ الْكِتَابِ وَضَنِّي تَرَكَانِي كَالْقَضِيْبِ الدَّابِلِ
وَبِكِي الْعَاذِلِ لِي مِنْ رَحِيهِ فَبَكَانِي لِبِكَاءِ الْعَاذِلِ

فنعمر طرباً وقال : يَا بَلْبَقُ ؛ كم معك لفتقتنا ؟ قال : ثمانمائة وخمسون ديناراً .

قال : أقسمها بيني وبين خالد ، فذفع إلي نصفها

وأنشده لحظة أو غيره ولم يسم قائله :

لَا يَبْعِدُ اللَّهُ إِخْوَانًا لَنَا سَلَقُوا أَفْنَاهُمْ حَدَّانِ الدَّهْرِ وَالْأَبْدِ
نَمُدُّهُمْ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ بَقِيَّتِنَا وَلَا يُؤُوبُ إِلَيْنَا مِنْهُمْ أَحَدُ

[السكاكين]

وكان أحمد بن يوسف جالساً بين يدي المأمون ، فسأل المأمون عن السكين
بين المأمون وأحمد بن يوسف
فناوله أحمد السكين ، وقد أمسك بنصائبها ، وأشار إليه بالحد ، فنظر إليه المأمون
نظراً منكراً ؛ فقال : لعل أمير المؤمنين أنكر على أخذني النصاب ؛ وإشارتي إليه
بالحد ؛ وإنما تغاملت بذلك أن يكون له الحد على أعدائه ، فعجب المأمون من
سرعة فطنته ، ولطيف جوابه .

وقال بعضُ الكتاب : السكين مسُّ الأقلام يشحذها إذا كَلت ، ويصقلها إذا نَبَتْ ، ويُطْلَقُها إذا وقفت ، ويلتَمها إذا شَعِنَتْ ، وأحْسَنُها ما عَرَضَ صدرُهُ ، وأرْهَفَ حَدَّهُ ، ولم يفصل على القبضة نِصابَهُ .

وقال أبو الفتح كشاجم يثرى سكيناً سرقت له :

يا قاتل الله كتابَ الدواوين	ما يستحلون من أخذِ السكاكينِ
لقد دهانٍ لطيفٍ منهم ختلٌ	في ذات حدِّ كحدِّ السيفِ مسنونِ
فأفقرتْ بعد عُمرانٍ بموقعها	منها دواةٌ فتى بالكُتُبِ مَقْتُونِ
تبكى على مُدَيَّةٍ أودى الزمانُ بها	كانت على جأرِ الأَقلامِ تَعْدِينِ
كانت تقدمُ أقلامى وتنتحها	نحتاً وتسخطها برّياً فترضيني
وأضحك الطرس والقرطاس عن حليلٍ	ينوب للعين من نورِ البساتينِ
فإن قشرت بها سوداء من صُحُفِي	عادت كبعضِ خدودِ الخُرَدِ العِينِ
جزعُ النصابِ لطيفاتِ شعائرها	محسّات بأصنافِ التحاسينِ
هيفاء مرهفةٌ بيضاء مذهبَةٌ	قال الإلهُ لها سبحانه : كُونِي
لكن مقطى أُنسى شامتاً جَدِلاً	وكان في ذلَّةٍ منها وفي هُونِ
فصين حتى يُضاهي في هياتته.	جاهي لصونيه عمن لا يدانيني
ولستُ عنها بسالٍ ماحييتُ ، ولا	بواجِدٍ عِوضاً منها يُسَلِينِي
ولو يردُّ فداءً ما فحيتُ بهِ	منها فديناه بالدينِ والدينِ

ألفاظ لأهل المصر في صفات السكاكين

سكين كانَّ القدرَ ساقفها ، أو الأجلَ سابقها ، مرهفة الصدر ، مخططة الخصر ، يحولُ عليها فرند العتق ، ويموج فيها ماء الجواهر ؛ كأن النية تبرق من حدِّها ، والأجل يلمع من متنها ، ركبت في نِصابِ ابنوس ، كأن الخدق ففصت .

عليه صِنْفَهَا ، وَحَبَّ الْقُلُوبِ كَسْتَهُ لِبَاسِهَا . أَخَذَهَا حديدَهَا النَّاصِحَ بِحِطَّةٍ مِنْ
الرُّومِ ، وَضَرَبَ لَهَا نِصَابَهَا الْحَالِكِ بِسَهْمٍ مِنَ الزَّيْجِ ، فَكَانَتْهَا لَيْلٌ مِنْ تَحْتِ نَهَارٍ ،
أَوْ مَجْرَ أَبْدَى سَنًا نَارًا ، ذَاتَ غِرَارٍ مَاضٍ ، وَذُبَابٍ قَاضٍ . سَكِينِ ذَاتِ مَنَسَرٍ
بَارِئِي ، وَجَوْهَرِ هَوَائِي ، وَنِصَابِ زَيْجِي ، إِنْ أَرْضِيَتْ أَوْلَتْ مَتْنًا كَالدَّهَانِ ، وَإِنْ
أَسْخِطَتْ أَتَقَّتْ بِنَابِ الْأَفْعَوَانِ . سَكِينِ أَحْسَنُ مِنَ التَّلَاقِي ، وَأَقْطَعُ مِنَ الْفِرَاقِي ،
تَفْعَلُ فَعْلَ الْأَعْدَاءِ ، وَتَنْفَعُ نَفْعَ الْأَصْدِقَاءِ . هِيَ أَمْنَى مِنَ الْقَضَاءِ ، وَأَنْفَذُ مِنَ
الْقَدَرِ الْمُتَلَحِّحِ ، وَأَقْطَعُ مِنْ طَبَّةِ السَّيْفِ الْحُسَامِ ، وَالْمَعُ مِنَ الْبَرْقِ فِي الْغَامِ . جَعَمَتْ
حُسْنَ الْمَنْظَرِ ، وَكَرَّمَ الْمَخْبِرَ ، وَتَمَلَّكَتْ عِنَانَ الْقَلْبِ وَالْبَصِيرَ ، وَلَمْ يُخَوِّجْهَا عِنْتُ
الْجَوْهَرِ إِلَى إِهْمَاءِ الْحَجَرِ (١)

[السَّمَرُ وَالْمَنَادِمَةُ]

قال محمد بن أنس للقاسم بن صبيح : مَازَلْنَا فِي سَمَرٍ نَصِلُ فِصُولَهُ بِتَشْوِيقِكَ ،
فَيَذْهَبُ ذِكْرُكَ مَلَّالَ السَّامِرِ ، وَنَفْسَةُ السَّاهِرِ . فَقَالَ الْقَاسِمُ : مِثْلُكَ ذَكَرَ صَدِيقُهُ
فَاطِرَاهُ ، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَأَرْضَاهُ ، وَلَوْ كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي كُنْتُ أَحَدَكُمْ ، مَسْرُورًا بِمَا بِهِ
سُرُورَتِي ، مُقْبِضًا فِيمَا فِيهِ أَفْضَتِي .

قال بعضُ الظرفاء : شَرَطُ الْمَنَادِمَةِ قِلَّةُ الْخِلَافِ ، وَالْمَعَامِلَةُ بِالْإِنْصَافِ ،
وَالْمَسَاحَةُ فِي الشَّرَابِ ، وَالتَّغَافُلُ عَنْ رَدِّ الْجَوَابِ ، وَإِدْمَانُ الرِّضَا ، وَاطِّرَاحُ مَا مَضَى ،
وَإِسْقَاطُ التَّحِيَّاتِ ، وَاجْتِنَابُ اقْتِرَاحِ الْأَصْوَاتِ ، وَأَكْلُ مَا حَضَرَ ، وَإِحْضَارُ
مَا تَبَسَّرَ ، وَسَتْرُ الْعَيْبِ ، وَحِفْظُ النِّيبِ .

وقد أحسن أبو عبد الرحمن العطوي في قوله :

حَقُوقُ الْكَاسِ وَالنَّدْمَانُ خَمْسٌ فَأَوْلُهَا التَّزْيِينُ بِالْوَقَارِ
وَثَانِيهَا مَسَاحَةُ النَّدَامَى فِكْمُ حَمَتِ السَّمَاحَةِ مِنْ ذِمَارِ
وَثَالِثُهَا ، وَإِنْ كُنْتَ ابْنَ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ مَحْتَدًا ، تَرَكَ الْفَخَّارَ

(١) إهماء : مصدر «أمهى السلاح» أى أحده ، وإضافته إلى الحجر من إضافة
المصدر لفاعله ، والحجر : أزد به السنن : (م)

بين محمد بن
أنس والقاسم
ابن صبيح

شرط المنادمة

وراجعها وللذممان حقٌ سوى حق القراية والجرار
 إذا حدثته فذكر الحديث الذي حدثته توبً اختصار
 فما حثَّ التبيذُ بمثل حسن الأغانى والأحاديثِ القصارِ
 وخامسةٌ يدلُّ بها أنحوط على حكم الطبيعة والتجار
 حديث الأوس نساءً جميعاً فإنَّ الذنبَ فيه للعقارِ
 ومن حكمت كما سلك فيه فلحكم له بإقالة عند العتار
 وقال حسان بن ثابت :

نوليها الملامة إن أئمتنا إذا ما كان منته أو حلالاً^(١)
 وشرب اليزيدى عند المأمون فلما أخذت منه الكأس أقبل يعتز عليه
 بتعليمه إياه، وأساء مخاطبته ؛ فلما أفاق من سُكره عُرِف ماجرى ، فليس
 أ كفانه ، ووقف بين يدي المأمون فأنشده :

بين اليزيدى
 والمأمون

أنا المذنبُ الخطاءُ والغفوَ واسعٌ ولو لم يكن ذنبٌ لما عُرِفُ الغفوَ
 تَمَلَّتْ فَأَبْدَتْ مَنَى الكاسِ بعضَ ما كَرِهَتْ وَمَا لِي يَسْتَوِي السُّكْرُ وَالصَّخْوُ
 ولا سيما إن كنتُ عند خليفةٍ وفي مجلسٍ ما إن يجوز به العفوُ
 فإن تَغَفُّ عَنِّي أَلْفِ خَطْوِي واسعاً وإلا يكن عَفْوٌ قَد قَصُرَ الخَطْوُ
 فقال المأمون : لا تريبَ عليك ، فالتيذُ بساطٌ يطوى بما عليه .

وشرب كوران المغنى عند الشريف الرضى ، فافتقد رداءه ، وزعم أنه
 سُرق . فقال له الشريف : ويحك ! مَنْ تَتَّهَمُ منا ؟ أما علمت أن البيذَ بساطٌ
 يُطَوَّى بما عليه ؟ قال : انشروا هذا البساط حتى آخذَ رداي واطوؤوه إلى يوم القيامة !
 وكان أبو جعفر أحمد بن جدار كاتب العباس بن أحمد بن طولون ينقل أخباراً
 أبي حفص عمر بن أيوب كاتب أحمد بن طولون على الشراب إلى العباس ، فصار
 إليه أبو حفص فقال : يا أبا جعفر ؛ إنما مجلس المدام مجلس حُرمة ، وداعية أنس ،

بين كوران
 والشريف
 لرضى

بين أحمد بن
 جدار وعمر
 ابن أيوب

(١) المغث : الشر والقتال ، واللحاء : الملاحة ، وهو قول ما يلام عليه

ومسرح لبانة ، ومداد هم ، وموتع هو ، ومتهل سرور ، وإعلا توسطته عند من
لا يهتم غيبه ، ولا يخشى عتبه ، وقد اتصل بي ما تنهيه إلى أميرنا أبي الفضل
أمر الله أمره ، من أخبار مجالستي ، فلا تفعل ، وأنشده :

ولقد قلت للأخلاء يوماً قول سابع بالضح لو سمعته
إنما مجلس المدام بساط للمودات بينهم وضوءه
فإذا ما انتهوا إلى ما أرادوا من نعيم ولفقه رفضوه
وهم أخرياه ، إن كان منهم حافظ ما أتوه أن يمنعوه

فاعتذر ابن جدار وحلف ما فعل ، وقام من مجلسه .

وأشد أبو حفص :

كم من أخ أوجست منه سجية فأنست بعد وداده بفراقه
لم أحمد الأيام منه خليقة فتركته مستمتعا بخلافه

عول أبو حفص في أكثر كلامه على نقل كلام أبي العباس الناشيء في

الشراب ، والأبيات التي أشد أولاً له .

أبو القاسم صاحب : قدما حملت أوزار الشكر ، على ظهور الخمر ،
وطوى بساط الشراب ، على مافيه من خطأ أو صواب . متابعة المقار ، تعذر في
خلع العذار ، وتغنى عن الاعتذار . متابعة الأبطال ، تبطل سورة الأبطال ،
وتدعُ الشيوخ كالأطفال .

كتب إسحاق بن إبراهيم الموصلي إلى بعض الجلة يستدعيه :
يومنا يوم كين الحواشي ، وطوى النواحي ؛ وساطونا قد أقبلت ، ورعدت بالحير
وبرقت ، وأنت قطب السرور ، ونظام الأمور ؛ فلا تفردنا فنقل ، ولا تنفرد
عنا فنذل .

وكتب بعض أهل مصر - وهو السري الموصلي - إلى أخ له يستدعيه إلى

مؤانسته :

للسرى الموصلی

خِلَالُكَ، مَا خَلَّ الصَّدِيقُ، سَحَابٌ
وَأَنْتَ شَقِيقُ الرُّوحِ تُؤَثِّرُ وَصَلَهَا
وَنَحْنُ خِلَالُ الْقَصْفِ وَالْعَرْفِ نَجْتَنِي
وَعِنْدِي لَكَ الرِّيحَانُ زَيْنَ بَسَاطُهُ
وَجَيْشٌ كَمَا انْجَرَّتْ ذُيُولُ غَلَائِلِ
وَقَدْ أَطْلَقْتَ فِيهِ الشَّمَائِلَ، وَانْتَفَتْ
وَحَافِظَةُ مَاءِ الْحَيَاةِ لَفْتِيَّةِ
نُسْرَ بِلْهَا أَخْفَى اللَّبَاسِ، وَإِنَّمَا
عَلَى جَسَدِهِ مِثْلُ الزَّبَرَجَدِ لَمْ تَزَلْ
إِذَا اسْتَوْدَعْتَ حُرَّ اللَّجَيْنِ سَبَائِكَ
وَفَوْقَ رِءُوسِ الْقَوْمِ غَيْمٌ مَلَقٌ
بِوَارِقِهِ سَحَرُ الْكُتُوسِ وَرَعْدُهُ
وَلَاعَاتُكَ يَبْنِي عِنَانَكَ عَنْ هَوَى
فَبَادِرٍ؛ فَإِنَّ الْيَوْمَ صَافٍ مِنَ الْقَدَى،

وقال ابن المعتز

لابن المعتز

تَدَمَّى عَلَيْهِ أَوْ دَاخِ إِزْرِيْقِ
بَرَقَ ابْتِسَامٌ وَرَعْدٌ نَصْفِيْقِ

لَا شَيْءَ يُسَلِّي هَمِّي سِوَى قَدَاحِ
فِي غَيْمٍ نَدَى يُرْجِي سَحَابِيَهْ

وقال الحسن بن محمد الكاتب يصف طيلا :

للحسن بن محمد
الكاتب

يَاحِبِّدَا يَوْمَنَا نَلْهُو بِمَلْهِيَّةِ
قَدْ شُدَّ هَذَا إِلَى هَذَا كَأَنَّهُمَا
نَظْلًا نَلْطَمُ خَدَيْهِ إِذَا ضَرَبَتْ
فَتَسْمَعُ الصَّوْتَ مِنْهُ حِينَ تَضْرِبُهُ
تَلْهَى بِشَيْءٍ لَهُ رَأْسَانِ فِي جَسَدِ
مِنْ شِدَّةِ الشَّدِّ مَقْرُونَانِ فِي صَفْدِ (١)
بِكُلِّ طَاقَتِهَا لَطْمًا بِلَا حَرْدِ (٢)
كَأَنَّهُ خَارِجٌ مِنْ مَا ضَعْفَى أَسَدِ

(١) الصفد — بفتح الصاد والفاء جميعا — القيد والوثاق (م)

(٢) الحرد — بفتح الحاء والراء جميعا — الغضب (م)

ومن أفاضهم في الاستدعاء

نحن في مجلسٍ قد أبت راحه أن تصفو لنا أو تتناولها يَمْنَاكَ ، وأقسم غناؤه
لاطاب أو تعيه أذُنَاكَ ، فأما خدودُ نارنجيه فقد احمرَّتْ خَجَلًا لإبطانك ، وعيون
نرجسه قد حدقتْ تَأْمِيلاً للقائك ، فبِحياتي عليك إلا تعجَّلتْ ، وما تمهلتْ .
نحن بغيبتك كعقد تعيَّتْ واسِطتهُ ، وشبابٍ قد أخلقتْ حدتهُ ؛ وإذ قد
غابت شمسُ السماء عناً ، فلا بد أن تدنو الأرض منا . أنت من ينتظم به شمل
الطرب ، وبلقائه يُبلِّغُ كلُّ أرب . طرأ إلينا طيران السهم ، واطلع علينا
طلوع النجم . ثب إلينا وثوب الفزال ، واطلع علينا طلوع الهلال ، في غرة
شوال . كن إلينا أسرع من السهم إلى مجره ، والماء إلى مقره . جسم إلينا
قدمك ، واخلع علينا كرمك ، وإن رأيت أن تحضرنا لتتصل الواسطة بالعقد ،
وتحصل مقرُّ بك في جنَّة الخلد ، وتسهم لنا في قرُّ بك الذي هو قوت النفس ،
ومادة الأُنس .

ولهم في استدعاء الشراب

قد تألف لي شملُ إخوانٍ كاد يفترق لعوز المشروب ، واعتدنا فضلك
المعهود ، ووردنا بحرك المورود ، وأنا ومن ساحني الدهر بزيارته من إخواني
وأوليانك وقوفٌ بحيث يقفُ بنا اختيارك من النشاط والفتور ، ويرتضيه لنا
إيثارك من الهمم والسرور ، والأمرُ في ذلك إليك ، والاعتمادُ في جمع شمل
السررة عليك ؛ فإن رأيت أن تكلني إلى أولى الظنن بك فعلت . أطف
المن موقعا ، وأجلها في النفوس موضعا ، ماعمر أوطان السررة ، وطرده عوارض
الهمم والفكرة ، وجمع شمل المودة والألفة . قد انتظمت في رُققة لي في سبط
التريا ، فإن لم تحفظ علينا النظام بإهداء المدام عُدنا كينات نعش ، والسلام .
فرايك في إرواء غلتنا بما ينعمها ، والطول على جماعتنا بما يجمعها .

ولهـم في الكناية عن الشراب

قد نَشِطَ لتناول ما يستمد البِسر، ويشرح الصِّدر. قد استمطر سحابة
الأنس، واستدرَّ حلوبة السرور، وقدح زَنَدَ اللّهُو، فهو يَمْرَى دِمَاءَ العناقيد،
ويَقْصد عروقَ الدِّان، وَيُنْظَمُ عِقْدَ التَّدْمَان.

من الحسن
بن سهل إلى
الحسن بن
وهب
كتب الحسن بن سهل إلى الحسن بن وهب وقد اصطحب في يوم دَجْن لم
يمطر: أما ترى تكافؤ هذا الطمع واليأس في يومنا هذا بقرب المطر وبعده،
كأنه قول كثير:

وَإِنِّي وَتَهَيَّأِي بِعِزَّةٍ بَعْدَ مَا تَخَلَّيْتُ مِمَّا بَيْنَنَا وَتَخَلَّتِ
لِكَلْمِ تَجْمِي ظِلَّ النِّعَامَةِ، كَمَا تَبَوَّأُ مِنْهَا لِلْمَقِيلِ اضمحلَّتِ

وما أصبحت أمنيته إلا في لقائك، فليت حجاب النأي هتك بيني وبينك!
رُفِعَتِي هذه وقد دارت زجاجات أوقعت بعقلي ولم تتخفيفه، وبعثت نشاطا
حرّا كفى للكتاب؛ فرأيتك في إمطاري سرورا بسار خبيرك؛ إذ حُرمت السرور
بمطر هذا اليوم، موقفا إن شاء الله.

من الحسن
بن وهب إلى
الحسن بن
سهل.
وكتب الحسن بن وهب: وصل كتاب الأمير أيده الله وفي طاعم
ويدي عاملة؛ ولذلك تأخر الجواب قليلا، وقد رأيت تكافؤ إحسان هذا اليوم
وإساءته، وما استوجب ذنبا استحق به دما؛ لأنه إذا أشمس حكى حسناك
وضيائك، وإن أمطر حكى جودك وسخائك، وإن غام أشبه ظلك وفناءك،
وسؤال الأمير عن نعمة من نعم الله عز وجل أعنى بها آثار الزمان السيء عندي؛
وأنا كما يُحِبُّ الأمير صرف الله الحوادث عنه، وعن حظي منه.

وذم رجل رجلا فقال: دعواته ولأثم، وأقدأحه محاجم، وكثوسه
محاجر، ونوادره بوادر.

لکشاجم
وقال أبو الفتح كشاجم: كان عندي بعض المجان من النيذيين، فسعني

وأنا أحمدُ اللهَ جلَّ ذِكْرُهُ في وسطِ الطعامِ لشيءِ خطرِ يبالِ من يَنعمُ اللهُ التي لا تُحصى، فنهض وقال: أعطى اللهُ عهداً إن عاودتُ! وماعنى التحميد هنا؟ كأنك تُعلمنا أنا قد شبعنا. ثم مال إلى الدواء والقرطاس، وكتب ارتجالاً:

وَحَمْدُ اللهِ يَحْسُنُ كُلَّ وَقْتٍ وَلَكِنْ لَيْسَ فِي أَوْلَى الطَّعَامِ
لَأَنَّكَ تُحْسِمُ الْأَضْيَافَ فِيهِ وَتَأْمُرُهُمْ بِإِسْرَاعِ الْقِيَامِ
وَتُوذِّنُهُمْ، وَمَا شَبِعُوا، بِشَبْعٍ وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْ خُلُقِ الْكِرَامِ

وكتب المريعي إلى بعض إخوانه وقد ترك النبيذ:

إِنْ كُنْتَ تَبْتَ عَنِ الصَّهْبَاءِ تَشْرِبُهَا يُنْكَأُ فَمَا تَبْتَ عَنْ بَرٍّ وَإِحْسَانِ
تَبُّ رَاشِدًا، وَاسْقِنَا مِنْهَا، وَإِنْ عَدَلُوا فِيمَا فَعَلْتَ قَهْلُ مَا تَابَ إِخْوَانِي

وقال بعض النبيذيين، وقد ترك الشرب:

تَحَامُونِي لِتَرْكِي شُرْبِ رَاحٍ أَقَمْتُ مَكَانَهَا الْمَاءَ الْقَرَّاحَا
وَمَا انْفَرَدُوا بِهَا دُونِي لِفَضْلِ إِذَا مَا كُنْتُ أَكْثَرَهُمْ مِرَاحَا
وَأَرْفَعُهُمْ عَلَى وَجْهِ وَصْنَجٍ وَأَطْرَفُهُمْ وَأَطْرَفَهُمْ مِرَاحَا
إِذَا شَقُوا الْجُيُوبَ شَقَّتْ جَبِي وَإِنْ ضَاحُوا عَلَوْتُهُمْ صِيَاحَا

فقر للنبيذيين

ما حشيت الدنيا بأطرف من النبيذ، ما للعقار والوقار. إنما العيش مع الطيش، الراح ترياق سم الهَم. النبيذ ستر فانظر مع من تهتكه. اشرب النبيذ ما استبشعته، فإذا استطبته فدعه. لولا أن الخمر يعلم قصته لقدم وصيته. الصاحي بين السكارى كالحى بين الموتى: يضحك من عقلم، ويأكل من ثقلهم. أحق ما يكون السكران إذا تعاقل. التبذل على النبيذ ظرف، والوقار عليه سُخْف، حد السكران أن تغرب الموموم، ويظهر السر المكنوم.

وقال الحسن بن وهب لرجل رآه يعبس عند الشراب : ما أنصفتها ، تَنجحك
في وجهك ، وتعبس في وجهها .

وقال الطائي :

إذا ذاقها ، وهى الحياة ، رأيتها يُعبسُ تعيسَ المقدمِ للقتلِ

وقد أحسن الشيخ صدر الدين حيث قال :

وأن أقطبَ وجهي حينَ تديسُ لى فعند بسطِ الموالى يحفظ الأدبُ

وترك رجلٌ النبيذَ ، فقيل له : لم تركته ، وهو رسولُ السرورِ إلى القلبِ ؟

قال : ولكنه رسولُ بأسٍ يُبعثُ إلى الجوفِ فيذهب إلى الرأسِ .

وقيل لبعضهم : ما أصبتك بالخمرا ! فقال : إنها تُسرح في يدي بنورها ، وفي قلبي بسرورها

كأنَّ الناشئَ نظر إلى هذا الكلام فقال :

راحٌ إذا علتِ الأكَفَ كثوسُها فكأنها من دونها في الراح^(١)

وكأنما الكاساتُ مما حولها من نورها يسبحن في ضحضاح^(٢)

لوبثٌ في غسقِ الظلامِ ضياؤها طلع المساء بغرة الإصباح

نفضت على الأجسامِ ناصعَ لونها وسرت بلذتها إلى الأرواح

البيت الأول كقول البحترى :

يُخفى الزجاجة ضوءها ، فكأنها في الكف قائمةٌ بنيرِ إناء^(٣)

وللناشئ في هذا المعنى :

ومدامةٌ يخفى النهارُ لنورها وتدلُّ أكنافُ الدُّجا ضيائها

صُبت فأحرق نورها بزجاجها فكأنها جُمِلت إناء إنائها

وترى إذا صُبت بدت في كأسها متقاصر الأرجاء عن أرجائها

وتكاد إن مُرِجت لرقّة لونها تمتاز عند مزاجها من مائها

صفراء تُضحى الشمسُ ، إن قيست بها في ضوئها ، كالليل ، في أضوائها

(١) الراح ، هنا : الكف (م) . (٢) الضحضاح : الماء القليل (م) .

(٣) الذى فى الديوان « يخفى الزجاجة لونها » (م) .

وإذا تَصَفَّحْتَ الهِوَاءَ رَأَيْتَهُ كَدِرَ الأَدِيمَةَ عِنْدَ حُسْنِ صِفَائِهَا
تَزْدَادُ مِنْ كَرَمِ الطَّبَاعِ بَقْدَرِ مَا تُودِي بِهِ الأَيَّامُ مِنْ أَجْزَائِهَا
لَا شَيْءَ أُعْجَبُ مِنْ تَوَلَّدَ بُرُئُهَا مِنْ سُقْمِهَا، وَدَوَّأَتْهَا مِنْ دَائِهَا
وقال :

إِنْ رُمْتَ وَصَفَ الرَّاحِ قَاتِ بِمَا فِيهَا مِنَ الأَوْصَافِ مِنْ قُرْبِ
هِيَ مَا هِ يَاقُوتِ، وَإِنْ مُزِجْتَ فِي كَأْسِهَا بِالبَّارِدِ العَذْبِ
فَكَأْسُهَا وَحِبَابُهَا ذَهَبٌ كَلَّمْتَهُ بِاللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ
ولأهل العصر: الدنيا معشوقة ريقها الراح. أخذ هذا المعنى من قول ابن الرومي في صاعد بن مخلد :

فَتَى هَاجَرَ الدُّنْيَا وَحَرَّمَ رِيْقَهَا وَهَلْ رِيْقُهَا إِلَّا الرِّحِيقُ المَوْرَدُ
وَلَوْ طَمَعْتَ فِي عَطْفِهِ وَوَصَالِهِ أَبَاحَتْهُ مِنْهَا مَرَّ شَفَا لَا يُصْرَدُ
الخمر أشبه شيء بالدنيا؛ لاجتماع اللذات والمرارة فيها. الخمر مصباح السرور، ولكنها مفتاح السرور. لكل شيء سرٌّ، وسرُّ الراح السرور. لا يطيب المدام الصافي، إلا مع النديم المصافي.

ومن أفاظهم في صفات مجالس الأُنس وآلات اللهو وذَكَر الخمر
مَجْلِسُ رَاحِهِ يَاقُوتِ، وَنَوْرُهُ وَرْدٌ، وَنَارُ نَجْمِهِ ذَهَبٌ، وَنَرَجِسُهُ دِينَارٌ وَدَرَاهِمٌ،
يَحْمَلُهَا زَبْرَجْدٌ. عِنْدَنَا أُتْرُجٌ كَأَنَّهُ مِنْ خَلْقِكَ خُلِقَ، وَمِنْ شِمَائِلِكَ ^(١) سُرِقٌ،
وَإِنْ نَجَّ كَكُرَاتٍ مِنْ سَفَنٍ ذُهَبٌ ^(٢)، أَوْ نَدَى أَبْكَارٍ خُلِقَتْ. مَجْلِسٌ أَخَذَتْ
فِيهِ الأَوْتَارُ تَتَجَاوَبُ، والأَفْدَاحُ تَتَنَاوَبُ. أَعْلَامُ الأُنْسِ خَافِقَةٌ، وَالسُّنُّ المِلاهِ

(١) الشائيل: السجايا والطباع، واحدها شيمال (م).

(٢) سفن: جلد صمك خشن يسفن به الخشب حتى تذهب عنه آثار المبراة،

شبه ما يسمى اليوم « سفرة » (م).

ناطقة . ونحن بين بدور ، وكاسات تدور ، وبروق راح ، وشموس أقداح . قد
نشأت عمامة الندى ، على بساط الورد . مجلس قد تفتحت فيه عيون النرجس ،
وقاحت مجامير الأترج ، وفتقت فأرات النارج ، ونطقت ألسن العيدان ،
وقامت خطباء الأوتار ، وهبت رياح الأقداح ، وطلعت كواكب الندمان ،
وامتدت سماء الندى . مجلس من رآه حسب الجنان قد اضطفت عيونها ، فجعلت
في قدر من الأرض ، وتمحّرت فصوصها ، فنقلت إلى مجلس الأنس واللهو .
قد فضّ اللهو ختامه ، ونشر الأنس أعلامه . قد هبت للأنس ريح برقيها الراح ،
وسحبتها الأقداح ، وعودها الأوتار ، ورياضها الأقمار . قد فرغنا للهو والدهر
عنا في شغل .

جُلُّ هذا من قولِ بعض أهل العصر :

كَمْ جَوَى مِثْلَهُ رَسْمٌ مِثْلُ وَدِيمٍ قَدْ طَلَّ أَثْنَاءَ طَلَلٍ
وَلَا لِكَلِّ انْطَدَّ بِهَا لَعِبَ الْبَيْنِ بَرَبَاتِ الْكِلَلِ
حَبْدًا عَيْشُ اللَّيَالِي بِاللَّوِيِّ لَوْ تَجَافَى الدَّهْرُ عَنَّا وَغَفَلَ
إِذْ فَرَّغْنَا فِيهِ لِلَّهِ وَقَدْ بَاتَتْ الْأَقْدَارُ عَنَّا فِي شُغْلٍ
وَأَدْرَنَا ذَهَبًا فِي لَهَبٍ كَمَا أُخِيدَ بِالمَاءِ اشْتَعَلَ

قد اقتعدنا غارب الأنس ، وجربنا في ميدان اللهو . عمدنا إلى أقداح
اللهو فأجلناها ، ولمراكب السرور فامتطيناها . قد امتطينا غوارب
السرور بالأقداح . مُدَامَةَ تَوَرِدِ رِيحِ الْوَرْدِ ، وَتَحْكِي نَارَ إِبْرَاهِيمَ فِي
اللَّوْنِ وَالْبَرْدِ ، وَلَسْتُ أَدْرِي أَشَقِيقُ أَمْ عَقِيقُ ، أَمْ رَحِيقُ أَمْ حَرِيقُ . رَاحُ
كَأَنَّ الدُّيُوكَ صَبَّتْ أَحْدَاقَهَا فِيهَا . رَاحُ كَأَنَّمَا اشْتَقَّتْ مِنَ الرُّوحِ وَالرَّاحَةِ .

قال ابن الرومي :

وَاللَّهِ مَا تَدْرِي لِأَيِّ عِلَّةٍ يَدْعُونَهَا فِي الرَّاحِ بِأَنَّمِ الرَّاحُ
أَلْرِيحُهَا أَمْ رُوحَهَا تَحْتَ الْحَشَى أَمْ لِارْتِيَاكِ نَدِيمِهَا الْمُرْتَاكِ

راحٌ كالنارِ والثَّورِ والثَّورِ ، أَضْفَى من البَلُورِ ، ومن دَمَعِ المَهْجُورِ . روح
 نورِها من الكَأْسِ جِسمٌ ، كأنها شمسٌ في غِلاَّةِ سَرابٍ . شرابٌ أكادُ أقولُ :
 هو أَضْفَى من مودَّتِي لك ، ومن نِعمِ اللهِ عِنْدِي فيكَ ، وَأَطْيَبُ من إسعافِ
 الزمانِ بِلِقائِكَ . مُدَامَةَ قد سبِكِ البَهرُ تَبْرَها فَصَفًا . دَأَسٌ كأنها نورٌ ضَمِيرُهُ
 نارٌ . راحٌ كِياقوتَةٌ في دُرَّةٍ ، أَضْفَى من ماءِ السَّماءِ ، ودَمَعِ العاشِقَةِ المَرهَاءِ^(١) ،
 أَحْسَنُ من الدُّنيا المُقبِلَةِ ، والنِعمِ المَكْمَلَةِ . أَحْسَنُ من العافيةِ في البَدَنِ ، وَأَطْيَبُ
 من الحِياةِ في السُّرورِ . أرقٌ من نَسِيمِ الصَّبَا ، وَعَهْدِ الصَّبَا . أرقٌ من دَمَعِ
 حُبِّ ، وشَكْوَى صَبِّ . أرقٌ من دموعِ العِشاقِ ، مَرَّها لَوَعَةُ الفِراقِ .
 مُزجٌ نارُ الرِّيحِ بنورِ المِاءِ . راحٌ كأنها معصورةٌ من وَجَنَةِ الشَّمسِ ، في
 كَأْسِ كأنها مخروطةٌ من فِلَقَةِ البَدْرِ . كأسها مِلاءُ اليَدِ ، وريحها مِلاءُ البَلَدِ ،
 تَصبُّ على اللَيلِ تَوْبَ النِهارِ ، كأنها في الكَأْسِ معنَى دَقِيقِ في ذَهْنِ لَطِيفِ .
 كأنَّ الرِّيحَ من خَدِّه معصورةٌ ، ومِلاحةُ الصُورَةِ عليها مقصورةٌ . وهذا من
 قولِ الطائي * كأنها من خَدِّه تُفَضَّرُ * وقال عبد السلام بن رَغَبانِ الملقبِ
 بديكِ الجنِّ الشاعِرِ المشهورِ :

معتقةٌ من كَفِّ ظَنفِي كَأَنما تَناولُها من خَدِّه فَأَدَارُها
 تَمَثَّتِ الصَّيْباءُ في عِظامِهِم ، وَتَرَقتْ إلى هَامِيهِم ، وَماسَتْ في أَعْطافِهِم ،
 وَمالَتْ بأَطرافِهِم . سارتْ فيهِم الكِئُوسُ ، ونالَتْ مِنْهُم سَوْرَةُ الخِندِريسِ^(٢) .
 شربتْ عقولَهُم ، ومَلِكتْ قلوبَهُم .

وقال أبو نُوَاسٍ ، وهو أستاذُ الناسِ في هذا الشانِ :

صِفَةُ الطولِ بِلِاغَةِ القَدَمِ فاجعلِ صِفاتِكَ لا بِنَةِ الكَرَمِ
 تصفُ الطولَ على السَّماعِ بها أفذُو العِيانِ كِتابَتِ العِلمِ

(١) مرهء : بيضاء . (٢) الخندريس ، والصبياء : من أسماء الخمر .

وإذا وصفت الشيء متبعا
وقال :
لم تَخَلُّ من غَلَطٍ ومن وَهْمٍ

الكأس أهواها وإن رزأت
صفراء مجدها مرآزبها
ذخرت لآدم قبل خلقته
فاعذر أخاك فإنه رجلٌ

وقال :

فتسليمتُ بشربِ عُقَارٍ
فتناساها الجديدان حتى
وافترعنا مرة الطعم بها
واحسبنا من رحيق عتيق
لم يُخْفِها مِبْزَلُ القوم حتى
أو كعرقِ السام تنشق منه

وقال :

وخدين لذاتٍ معلل صاحب
قال : أبلغني المصباح ، قلت له : أتد
فسكبت منها في الزجاج شربة
وهذا كقوله :

وتخار أنحتُ عليه ليلا
فترجم والكررى في مُقَلَّتِيهِ
أين لي كيف صرت إلى حريمي
وجفن الليل مكتحل بقار

(١) بلغ العاش : مواد الرزق ، واحدها بلقة ، بالضم (م) .

(٢) القلائص : جمع قلوص ، وهي الناقة الفتية ، يريد ألقى عنده عصا السفر ،

وفي الديوان « حططت عليه » وفيه « قدونين » (م) .

تقلت له : ترفق بي ؛ فإني
فكان جوابه أن قال : كلاً
وقام إلى الدنان فسداً فأها
وقال بعض الحديثين :

ما زال يشربها وتشرب عقله
حتى أننى متوسداً بيمينه
وقال الصنوبرى وذكر شرباً^(١) :

نازعهم كأساً تخالُ نسيماً
شقت قناع الفجر لما غادرت
صبغت سواد دجاء حمره لونها
وقال أبو الشيص :

وكأس كسا الساق لنا بعد هجمة
كان أطراد الماء في جنباتها
سقاني بها ، واللئيل قد شاب رأسه ،
وقال أبو عدى الكاتب :

ليس لها حدٌ تحيط بوصفه
ولكنه كالبرق أو مض ماضياً
وقال ابن المعتز :

ألفاسقنيها قدمشى الصبح في الدجى
فناولنى كأساً أضاءت بنانه
ولما أريناها المزاج تسعرت

رأيت الصبح من خلل الديار
وما صبح سوى ضوء القمار
فعاد الليل مسدول الإزار

خيلاً ، وتؤذن روجه برواح
سكراً ، وأسلم روجه للراح

منكاً تضيوع في الإناء عتيقاً
كف النديم قناعها مشقوقاً
فكانه سبج أعيد عتيقاً

حواشيها ما ميج من ريقة العنب
تربع ماء الدر في سبك الذهب
غزال بحناء الزجاجه مختضب

لغات ، ولا جسم يباشرة لمس
فلم يبق منه غير ما تذكر النفس

عقاراً كمثل النار جراء قرعفا
تدقق يا قوتاً ودراً مجوفاً
وخت سنأها بارقا قد تكشفا

(١) الشرب - بالفتح - هم القوم يشربون .

يطوف بها ظنبي من الإنس شادن
 يقلب طرفاً فاسق اللحظ مدّفا
 عليم بأسرار المحبين حاذق
 بتسليم عينيه إذا ما تخوّفا
 فظل يُناجيني يُقلب طرفه
 بأطيب من نجوى الأمانى وألطفنا
 وقال :

الأعجج على دار السرور فسلم
 وقل : ما حلت بالعين بعدك لذة
 وصفراء من صبح المزاج برأسها ،
 قطعت بها عمر الدجى وشربتها
 وقل : أين لذاتي وأين تكلمي ؟
 سواك ، وإن لم تعلمي ذلك فاعلمي
 إذا مزجت ، إكليل دُرٍّ منظم
 ظلامية الأحشاء نورية الدم

[من رسائل بديع الزمان الهمداني]

كتب أبو الفضل بديع الزمان إلى أبي عدنان بن محمد الضبي (١) يعزيه عن بعض أقاربه :

تعزّي
 إلى أبي عدنان
 محمد الضبي

إذا ما الدهر جرّ على أناسٍ حوادثه
 فقل للشامتين بنا أفيقوا سياتي الشامتون كما لقينا

أحسن ما في الدهر عمومُه بالنوائب ، وخصوصه بالغايب ، فهو يدعو الجفلى (٢) إذساء ، ويخصّ بالنعمة إذشاء ، فليفكر الشامت ؛ فإن كان أفلت ، فله أن يشمت ، ولينظر الإنسان في الدهر وصرّوفه ، والموت وصنوفه ، من فاتحة أمره ، إلى خاتمة عمره ؛ هل يجد لنفسه ، أثراً في نفسه ؟ أم لتدييره ، عوناً على تصوّيره ، أم لعمله ، تقديماً لأمله ، أم لحيله ، تأخيراً لأجله ؛ كلا ، بل هو العبد لم يكن شيئاً مذكوراً ؛ خلق مقهوراً ، ورزق مقدوراً ، فهو يحمياً جبراً ، ويهلك صبراً ، وليتأمل المرء كيف كان قبلاً ؛ فإن كان العدم أصلاً ، والوجود فضلاً ، فليعلم

(١) الذي في الرسائل (ص ٢١٢ بيروت) « إلى أبي عامر عدنان بن عامر الضبي » وفي العبارات قليل من الاختلاف عما هنا (م) .

(٢) الجفلى - بفتح الجيم والفاء واللام - الدعوة العامة التي لا يخص بها واحد

دون آخر ، والدعوة الخاصة يقال لها « النقرى » بفتح التاء أيضاً (م) .

الموت عدلاً؛ فالعاقل من رقع من جوانب الدهر ماساء بما سره، ليذهب ما نفع
بما ضره؛ فإن أحب الأيحين فلينظر يمنه، هل يرى إلا محنة، ثم ليطف بسره،
هل يرى إلا حسرة؟ ومثل الشيخ الرئيس - أطل الله بقاءه! - من فطن لهذه
الأشرار، وعرف هذه الديار، فأعدّ لنعيمها صدرًا لا يملؤه فرحًا، ولبؤسها قلبًا
لا يطيره ترحًا؛ وصحب البرية برأى من يعلم أن للمتعة حدًا، وللعارية ردًا،
ولقد نعي إلى أبو قبيصة قدس الله روحه، وورد ضريحه، فعرضت على آمالي
قعودا، وأمانى سودا، وبكيت، والسخر جوده بما يملك، وضحكت، وشر
الشدائد ما يضحك، وعضضت الأصبع حتى أدميت، وذمت الموت حتى
تمتته؛ والموت أطل الله بقاء الشيخ الرئيس خطب قد عظم حتى هان، وأمر قد
خشن حتى لآن، ونكر قد عم حتى عاد عرفا؛ والدنيا قد تنكرت حتى
صار الموت أخف خطوبها، وقد خبت حتى صار أقل عيوبها، ولعل هذا السهم
قد صاب آخر ما في كنفاتها، وأنكأ ما في خزائنها، ونحن معاشر التبع نتعلم
الأدب من أخلاقه، والجليل من أفعاله، فلا نحته على الجليل وهو الصبر، ولا
ترغبه في الجزيل وهو الأجر؛ فليز فيهما رأيه إن شاء الله.

كتاب منه
بعض إخوانه

وله إلى بعض إخوانه جواباً عن كتاب كتبه يهنيه بمرض أبي بكر الخوارزمي
وكانت بينهما مقارعة، ومنازعة، ومناقرة، ومهارة؛ ولما مجالس مستظرفة قهره
البديع فيها وبهره، وبكته حتى أسكته، ليس هذا موضعها، لكنني أذكر بعد
هذه الرسالة بعض مكاتبات جرت بينهما؛ إذ كان ما لهما من الابتداء والجواب
أخذاً بوصل الحكمة وفضل الخطاب:

الحر أطل الله بقاءك - لا سيما إذا عرف الدهر معرفتي، ووصف أحواله
صفتي - إذا نظر علم أن نعم الدهر ما دامت معدومة فهي أمانى، وإن وجدت
في عواري، وأن محن الأيام وإن طالت فستنفد، وإن لم تُصب فكانت قد،
فكيف يشمت بالمحنة من لا يأمنها في نفسه، ولا يعدمها في جنبه، والشامت

إِن أَفَلَتَ فَلَيْسَ يُفُوتُ ، وَإِن لَمْ يَمُتْ فَسَيَمُوتُ ؛ وَمَا أَقْبَحَ الشَّمَاتَةَ ، بَيْنَ أَمِينِ
 الْإِمَامَةِ ، فَكَيْفَ بَيْنَ يَتَوَقَّعُهَا بَعْدَ كُلِّ لِحْظَةٍ ، وَعَقِبَ كُلِّ لَفْظَةٍ ، وَالذَّهْرُ
 غَرْنَانٌ طَعْمُهُ الْخِيَارُ^(١) ، وَظَمَانٌ شِرْبُهُ الْأَحْرَارُ ، فَهَلْ يَشْتَمُ الْمَرْءُ بِأَنْيَابِ آكِلِهِ ،
 أَمْ يُسَرُّ الْعَاقِلُ بِسِلَاحِ قَاتِلِهِ ؟ وَهَذَا الْفَاضِلُ شَفَاهُ اللَّهُ وَإِن ظَاهِرِنَاهُ بِالْعِدَاوَةِ قَلِيلًا ،
 فَقَدْ بَاطَنَاهُ وَدَا جَمِيلًا ، وَالْحَرْءُ عِنْدَ الْحَمِيَّةِ لَا يَصْطَادُ ، وَلَكِنَّهُ عِنْدَ الْكِرَمِ يَنْفَادُ ،
 وَعِنْدَ الشَّدَائِدِ تَذْهَبُ الْأَحْقَادُ ، فَلَا تَتَصَوَّرُ حَالَتِي إِلَّا بِصُورَتِهَا مِنْ التَّوَجُّعِ
 لِعَلَّتِي ، وَالتَّحْزِينِ لِمَرْضَتِي ، وَقَاهُ وَاللَّهُ الْمَكْرُوهُ ، وَوَقَانِي سَمَاعَ الْمَحْذُورِ فِيهِ ، بِمَنَّةٍ
 وَحَوْلَةٍ ، وَلُطْفِهِ وَطَوْلِهِ .

قال البديع في سياقة أخباره مع أبي بكر الخوارزمي :

أولها أنا وطئنا خرُاسانَ ، فما اخترنا إلا نيسابور داراً ، وإلا جوار السادة
 جواراً ، لا جرم أنا حططنا بها الرُّخْلَ ؛ ومددنا عليها الطُّنْبَ ، وقديما كنا
 نسمعُ بحديث هذا الفاضل فنتشوقه ، ونخبره على الغيبِ فنتعشقه ، وتقدر أنا
 إذا وطئنا أرضه ، ووردنا بلدَه ، يخرج لنا في العشرة عن القشرة ، وفي المودة
 عن الجلدة ، فقد كانت كلمة الغربة جمعتنا ، ولحمة الأدب نظمتنا ، وقد قال
 شاعر القوم غير مدافع^(٢) :

أَجَارَتَنَا إِنَّا غَرِيبانَ هَاهُنَا وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ

فأخلف ذلك الظن كلَّ الإخلاف ، واختلف ذلك التقدير كلَّ الاختلاف ،
 وكان قد اتفق علينا في الطريق من العرب اتفاق ، لم يوجهه استحقاق ، من بزة
 بزوها ، وفضة فضوها ، وذهب ذهبوا به ، ووردنا نيسابور براحة ، أنقى من

(١) غرنان : جوعان ، والطعم : المطعوم (م) .

(٢) هو امرؤ القيس بن حجر السكندی (م) .

الراحة ، وَكَيْسٍ أَخْلَى مِنْ جَوْفِ حِمَارٍ^(١) ، وَزَى أَوْحَشَ مِنْ طَلْعَةِ الْمَعْلَمِ ، بِلِ
اطَّلَاعَةِ الرَّقِيبِ ، فَمَا حَلَلْنَا إِلَّا قَصْبَةَ جَوَارِهِ ، وَلَا وَطِئْنَا إِلَّا عَتَبَةَ دَارِهِ ؛ وَهَذَا
بَعْدَ رُقْعَةٍ قَدَّمَ مَنَاهَا ، وَأَحْوَالَ أَنْسٍ نَظَمْنَاهَا -

ونسخة الرقعة : أَنَا بَقْرُبِ الْأَسْتَاذِ أَطَالَ اللَّهُ بِقَاةِ كَمَا طَرَبَ النَّشْوَانَ مَالَتْ
بِهِ الْحَمْرُ ، وَمِنَ الْارْتِيَاكِ لِلْقَائِهِ كَمَا اتَّفَضَ الْعُصْفُورُ بِلِلَّهِ الْقَطْرُ ، وَمِنَ الْاِمْتِزَاجِ بَوْلَانِهِ
كَمَا التَّقَّتِ الصَّهْبَاءُ وَالْبَارِدُ الْعَذْبُ ، وَمِنَ الْاِبْتِهَاجِ لِمَزَارِهِ كَمَا اهْتَزَّتْ تَحْتَ الْبَارِحِ
الْفُضْنُ الرَّطْبُ ، فَكَيْفَ نَشَاطُ الْأَسْتَاذِ سَيْدِي لِصَدِيقٍ طَرَأَ إِلَيْهِ مَمَّا بَيْنَ
قَصَبَتِي الْعِرَاقِ وَخَرَّاسَانَ ، بِلِ عَتَبَتِي نَيْسَابُورَ وَجِرْجَانَ ؟ وَكَيْفَ اهْتَزَّازَهُ لَضَيْفٍ :
رَثَ الشَّمَائِلِ مُخَلِّقِ الْأَنْوَابِ بَكَرَّتْ عَلَيْهِ مُغْيِرَةُ الْأَعْرَابِ
وَهُوَ - أَيْدَهُ اللَّهُ ! - وَلِيُّ إِنْعَامِهِ ، بِإِنْفَازِ بَعْلَامِهِ ، إِلَى مُسْتَقَرِّي ، لِأَفْضَى إِلَيْهِ
بِمَا عِنْدِي - إِنْ شَاءَ اللَّهُ -

فَلَمَّا أَخَذْتَنَا عَيْنَهُ سَفَانَا الدُّرْدِيَّ مِنْ أَوَّلِ دَنِّهِ ، وَأَجْنَانَا سُوءَ
الْعِشْرَةِ مِنْ بَا كُورَةِ فَنِّهِ ، مِنْ طَرَفِ نَظَرِ بَشْطَرِهِ ، وَقِيَامِ دَقْعِ فِي صَدْرِهِ ،
وَصَدِيقِ اسْتِهَانِ بِقَدْرِهِ ، وَضَيْفِ اسْتِخْفَ بَأْمَرِهِ ؛ لَكِنَّا أَقْطَعْنَاهُ جَانِبَ
أَحْلَاقِهِ ، وَوَلَّيْنَاهُ حُطَّةَ نِفَاقِهِ ؛ فَوَاصِلْنَاهُ إِذْ جَانَبَ ، وَقَارِبْنَاهُ إِذْ جَاذَبَ ،
وَشَرَبْنَاهُ عَلَى كُدُورَتِهِ ، وَلَبَسْنَاهُ عَلَى خُشُونَتِهِ ، وَرَدَدْنَا الْأَمْرَ فِي ذَلِكَ إِلَى زَيْي
اسْتِغْنَاهُ ، وَلِبَاسِ اسْتِرْتِهَاءِهِ ، وَكَاتِبْنَاهُ نَسْتِمِدُّ وَدَادَهُ ، وَنَسْتَلِينُ قِيَادَهُ ، وَنُقِيمُ مَنَادَاهُ ،
بِمَا هَذِهِ نَسَخْتُهُ :

الْأَسْتَاذُ أَبُو بَكْرٍ ، وَاللَّهُ يُطِيلُ بَقَاةَهُ ، أَرْزَى بَضِيفَهُ أَنْ وَجَدَهُ يَضْرِبُ إِلَيْهِ
أَبَاطَ الْقَلَّةِ ، فِي أَطَارِ الْغُرْبَةِ ، فَأَعْمَلَ فِي رُتْبَتِهِ أَعْمَالَ الْمَصَارِفَةِ ، وَفِي الْاِهْتِزَازِ
إِلَيْهِ أَصْنَافَ الْمَصَابِقَةِ ، مِنْ إِيمَاءِ بِنِصْفِ الطَّرْفِ ، وَإِشَارَةِ بَشْطَرِ الْكَفِّ ،

(١) الحمار هنا يقال : هو الحيوان المعروف ، وخلق جوفه كناية عن كونه لا
يتنفع منه بشيء ، وقيل : الحمار رجل من عاد ، وجوفه : واد كان يحمله وكان ذا ماء
وشجر ، فكفر بنعم الله عليه ، فأهلكه الله وأقفر واديه (م) .

وَدَفَعُ فِي صَدْرِ الْقِيَامِ عَنِ التَّمَامِ ، وَمَضَعُ لِلْكَلَامِ ، وَتَكَلَّفُ لِرَدِّ السَّلَامِ ؛ وَقَدْ قَبِلْتُ تَرْتِيْبَهُ صَعْرًا ، وَاحْتَمَلْتُهُ وَزْرًا ، وَاحْتَضَنْتُهُ نَكَرًا ، وَتَأَبَّطْتُهُ شَرًّا ، وَلَمْ آلَهُ عُدْرًا ؛ فَإِنَّ الْمَرْءَ بِالْمَالِ وَثِيَابِ الْجَمَالِ ، وَلَسْتُ مَعَ هَذِهِ الْحَالِ فِي الْأَسْمَالِ ، أَتَقَرَّرُ مِنْ صَفِّ النَّعَالِ ، فَلَوْ صَدَّقْتُهُ الْعَتَابَ ، وَنَاقَشْتُهُ الْحِسَابَ ، لَقُلْتُ : إِنَّ بَوَادِرِنَا ثَاغِيَةَ صَبَاحٍ ، وَرَاغِيَةَ رَوَاحٍ ، وَنَاسًا يَجْرُونَ الْمَطَارِفَ ، وَلَا يَمْنَعُونَ الْمَعَارِفَ :

وَفِيهِمْ مَقَامَاتٌ حَسَنٌ وَجُوهُهُمْ وَأَنْدِيَةٌ يَنْتَابُهَا الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ

فَلَوْ طَوَّحْتُ بِأَبِي بَكْرٍ - أَيَّدَهُ اللَّهُ - إِلَيْهِمْ مَطَارِحُ الْعُرْبَةِ ، لَوَجَدَ مَنْزِلَ الْبَشْرِ رَحِيًّا ، وَمَحَطَّ الرَّحْلِ قَرِيًّا ، وَوَجْهَ الْمُضِيْفِ خَصِيْبًا ؛ فَرَأَى الْأُسْتَاذَ أَبِي بَكْرٍ أَيَّدَهُ اللَّهُ فِي الْوَقُوفِ عَلَى هَذَا الْعَتَابِ الَّذِي مَعْنَاهُ وُدٌّ ، وَالْمُرُّ الَّذِي يَتَلَوُّهُ شَهْدٌ ، مَوْفِقٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

فَأَجَابَ بِمَا نَسَخْتُهُ : وَصَلْتُ رُقْعَةً سَيِّدِي وَرَيْسِي أَطْلَالَ اللَّهِ بَقَاهُ إِلَى آخِرِ السَّكْبَاجِ (١) ، وَعَرَفْتُ مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ خَشْنِ خَطَابِهِ ، وَمَوْءَلِمِ عِتَابِهِ ، وَصَرَفْتُ ذَلِكَ مِنْهُ إِلَى الضَّجْرَةِ الَّتِي لَا يَخْلُو مِنْهَا مَنْ مَسَّهُ عُسْرٌ أَوْ تَبَأَ بِهِ دَهْرٌ ؛ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنِي مَوْضِعَ أَنْسِهِ ، وَمُظَنَّةَ مَشْتَكِي مَا فِي نَفْسِهِ ، أَمَا مَا شَكَاهُ سَيِّدِي وَرَيْسِي مِنْ مَضَايِقِي إِيَابِهِ فِي الْقِيَامِ ، فَقَدْ وَفَيْتُهُ حَقَّهُ - أَيَّدَهُ اللَّهُ - سَلَامًا وَقِيَامًا ، عَلَى قَدْرِ مَا قَدَّرْتَ عَلَيَّ ، وَوَصَلْتَ إِلَيْهِ ، وَلَمْ أَرْفَعْ عَلَيْهِ إِلَّا السَّيِّدَ أَبَا الْبَرَكَاتِ [الْعَلَوِيَّ] أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ ، وَمَا كُنْتُ لِأَرْفَعُ أَحَدًا عَلَى مَنْ أَبَوْهُ الرَّسُولُ ، وَأُمُّهُ الْبَتُولُ ، وَشَاهِدَاهُ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ، وَنَاصِرَاهُ التَّأْوِيلَ وَالتَّنْزِيلَ ، وَالبَشِيرَ بِهِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ ؛ فَأَمَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ صَدَرَتْ عَنْهُمْ سَيِّدِي فَكَمَا وَصَفْتُ : حَسَنُ عَشْرَةٍ ، وَسَدَادُ طَرِيقَةٍ ، وَجَمَالُ تَفْصِيلٍ وَجَمَلَةٌ ، وَلَقَدْ جَاوَزْتُهُمْ فَأَحْمَدْتُ الْمَرَادَ ، وَنَلْتُ الْمَرَادَ :

(١) السكباج : طعام يتخذ من اللحم والخل والمرق . والمراد هنا ألوان العتاب

الذي قدمه (م) .

فإن كنت قد فارقت نجداً وأهلهُ فما عهد نجدٍ عندنا بنميمٍ
والله يعلم نيتي للأحرار^(١) كافة ، ولسيدي من بينهم خاصة ؛ فإن أعانتني الدهرُ
على ما في نفسي بلغت له ما في النية ، وجاوزت به مسافة القدر والأمنية ، وإن
قطع على طريق عزمي بالمعارضة ، وسوء المناقضة ، صرفت عنائي عن طريق
الاختيار ، بيد الاضطرار .

فما النفسُ إلا نطفة بقرارةٍ إذا لم تُكدرْ كان صفواً غديرها^(٢)
وبعد ، فخبدا عتابُ سيدي إذا استوحينا عتبا ، وأقترفنا ذنباً ؛ فأما أن
يسألنا العربدة فنحن نضونه عز ذلك ، ونضون أنفسنا عن احتماله ، واست
أسومه أن يقول : (استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين) ، ولكن أسأله أن
يقول : (لا تُثريبَ عليكم اليومَ يغفر الله لكم وهو أرحمُ الراحمين) .
فحين وردَ الجواب وعينُ العذر رَمِدَة تركناه بعزّه ، وطوينا على غره ،
وعمدنا إلى ذكره فسحوناه ، ومن صحيفتنا محوناه ، وصرنا إلى اسمه فأخذناه
ونبذناه ، وتنكبنا خطته ، وتجنبنا حطته^(٣) ، فلا طرنا إليه ، ولا صرنا به ، ومضى
على ذلك الأسبوع ، ودبت الأيام ، ودراجت الليالي ، وتناولت المدة ، وتصرم
الشهر ، وصرنا لانغير الأسماع ذكره ، ولا نودع الصدور حديثه ؛ وجعل
هذا الفاضل يستريد ، ويستعيد ، بألفاظ تقطعها الأسماع من لسانه ، وتؤديها إلى ،
وكلمات تحفظها الألسنة من فمه ، وتعيدها على ؛ فكاتبناه بما هذه نسخته :

أنا أريدُ من الأستاذ سيدي - أطال الله بقاءه - شريعةً ودّه وإن لم تصف ،
والبسُ خلعة برّه وإن لم تصف ، وقصاراى أن أكيه صاعاً عن مدّ ؛ فإني وإن
كنتُ في الأدب دعوى النسب ، ضيق المضطرب ، سيء النقلب ، أمت إلى
عشرة أهله بنية ، وأنزع إلى خدمة أصحابه بطريقة ، ولكن بقي أن يكون
الخليط مُنصفاً في الوداد ، إذا زرت راز ، وإن عدت عاد ، وسيدي - أبقاه الله -

(١) في الرسائل (ص ٣٤ بيروت) « للاخوان كافة » (م) .

(٢) في الرسائل « كان صفواً معينها » (م) . (٣) في الرسائل « وتجنبنا حطته » (م) .

ناقشني في القبول أولاً^(١)، وصارمني في الإقبال آخراً؛ فأما حديث الاستقبال، وأمرُ الإنزال والأُنزال^(٢)، فِنطاقُ الطمعِ ضيقُ عنه، غيرُ متسعٍ لتوقعه منه، وبعد فكلفة الفضلِ بيئته، وفروض الودِّ متعيّنة، وأرضُ العشرةِ ليّنة، وطرقها هيّنة، فلمَ اختارَ قعودَ التّعالى مركباً، وصعودَ التّغالي مذهباً؛ وهالاً زاد الطير عن شجر العِشيرة، وذاقَ الحلوَ من ثمرها؛ فقد علم الله أن شوقِي إليه قد قدَّ الفؤادَ برحاً إلى برح، ونكاهَ قرحاً إلى قرح، ولكنها مرةً مرةً، ونفسٌ حرةً، لم تقدِّ إلا بالإعظام، ولم تُلَقَّ إلا بالإجلالِ والإكرام، وإذا استعفاني من معاتبته، فأعقني نفسه من كلفِ الفضلِ يتجشّمها، فليس إلا غصص الشوقِ أنجرحُها، وحُلل الصبرِ أتدرّعها، ولم أعره من نفسي، وأنا لو أعزّت جناحِي طائر لما طرّت إلا إليه، ولا وقعت إلا عليه:

أحبك يا شمسَ النهارِ وبردَهُ وإن لامنِي فيك السها والفرأقدُ
وذاك لأنّ الفضلَ عندك باهرٌ وليس لأن العيشَ عندك باردُ
فلما وردت عليه الرُّقعة حشد تلاميذه وخدمه، وجشّم للإيجابِ قدمه^(٣)، وطلّع علينا مع الفجر طلوعه، ونظمتنا حاشيتنا دار الأمير أبي الطيب؛ فقلنا: الآن تُشرق الحشمةُ وتنورُ، ونُنجدُ في العشرةِ ونُغورُ، وقصدناه شاكرين لما أتاه، وانتظرنا عادةَ برّه، وتوقعنا مادّةَ فضله؛ فكان خلباً شمناه، وآلاً وردناه^(٤)، وصرفنا في تأخره وتأخرنا عنه إلى ما قاله ابن المعتز:

إنّا على البعادِ والتفرُّقِ لَنَلتَقِي بالذِّكرِ إن لم نَلتَقِي
وأُشدنا قول ابنِ عصرنا^(٥):

أحبك في البتولِ وفي أيها ولكني أحبّك من بعيدِ

(١) في الرسائل « ناقشني في الحساب القبول أولاً وصارمني في الإقبال ثانياً » (م).

(٢) الإنزال - بكسر الهمزة - مصدر أنزله، والأُنزال - بالفتح - جمع نزل، وهو ما يقدم للضيف (م).

(٣) في الرسائل « وجشّم الإيجاب قدمه » (م).

(٤) الحلب - بزنة سكر - البرق الذي لا يعقبه مطر، والآل: السراب (م).

(٥) في الرسائل ذكر بعد هذه العبارة البيتين السابقين اللذين أولهما « أحبك

ياشمس النهار وبردته » (م).

وبقينا نلتقي خيالا ، ونقع بالذكر وصلا ، حتى جعلت عواصفه تهب ،
وعقاربه تدب .

والجلس طويلٌ جداً .

قلت : إن كنتُ خرجتُ نطولِ هذا الكلام عن ضبط الشرط ، فلعل على
أسماع فيه لفضله ، وعدم مثله ، وهو وإن كان في باب الاتصال ، فهو بتقدير
الانفصال ، لقيام كل رسالة بذاتها ، وانفرادها بصفاتها .

وكتب إلى رئيس هرة عدنان بن محمد يصف ماجرى بينه وبين الخوارزمي :
ما ألوم هذا الفاضل على بساط شر طواه ، وموقد حرب اجتواه ، ولكني
ألومه على مانواه ؛ ثم لم يتبع هواه ، ورامه ، ثم لم يبلغ آثامه ، وأقول : قد ضرب
فأين الإيماح ؟ وأبذر فأين الإيقاع ؟ وهذه بوارقه ، فأين صواقفه ؟ وذلك وعيده ،
فأين عديده ؟ وتلك بنوده ، فأين جنوده ؟ وأنشد :

* هذى معاهده فأين عهوده ؟ *

وما أهول رعدَه ، لو أمطر بعده ! اللهم لأ كفران ، ولعن الله الشيطان ،
فإنه أشفق لغريب أن يظهر عوارَه ، وإن طار طواره (١) ، وإن كان قصد هذا
القصد فقد أساء إلى نفسه من حيث أحسن إلى ، وأجحف بفضله من حيث أتقى
على ، وأوهم الناس أنه هاب البحر أن يخوضه ، والأسد أن يرؤضه ، وشجعتني
على لقائه ، بعد ما برعني (٢) بإيماحه ، فبينما كنت أنشد :

* إن جنبي على الفراش لناب *

إذ أنشدت :

* طاب كئيلي وطاب فيه شرابي *

(١) العوار - بزنة سحاب - العيب ، والطوار - بزنة سحاب أيضاً - الحوم
حول الشيء . (٢) برعني : غلبني ، والإيماح : الإشارة .

وبينا أنا أقول :

* ما قلبي كأنه ليس مني *

إذ قلت :

* أين من كان مُوعداً لي بأني *

فلو أن هذا الفاضل قضى حقنا بالزيارة عند قدومنا أو الاستزارة ، لكان في الضرب أحسن ، وفي طريق المعاشرة أذهب . لا ، ولكنه وعد بالمباراة أولاً ، وهددنا بالمسائل ثانياً ، وأخلف بالتخلف ثالثاً ؛ فأبلغ ووجدى إليه ، وأعرض شوقي عليه ، وقل له إن كنت ندمت على النضال ، فلا تندم على الإفضال ، فإن طويتنا حيث الجهاد ، فانشرونا حيث الوداد ، وإن لم تلقنا في باب المكاشرة ، فأتنا من باب المعاشرة .

وله إلى الإمام أبي الطيب سهل بن محمد : قد كان الشيخ يعذني عن هذه الحضرة عداتٍ أشم لها الأنف ، لا ذهاباً بتلك الفواضل عنها ، لكن استحالة من هذا الزمان أن يجود بها ؛ فحين أسرفت على الحضرة ماجت إلى أمواج الشرف منها ، وخلص إلى نسيم الكرم عنها ، وأتحفني على رسم الإجلال بمركوب شامخ ، ومركب ذهب سايف ، وجنيب^(١) شرف زائد؛ وسرت بحمد الله محفوظاً بأعيان الكتاب ، وعيون الرجال ، حتى شافهت بساط العز ، مستقبلاً ملك الشرق أدام الله علوه ، فحذب بضبعي عن أرض الخدمة ، إلى جوار ولي النعمة ، حرس الله مكانه ، فاهترز اهتزازات سمة الإكرام ، وتجاوز اسم الإعظام إلى القيام ، فقبلت من يمينه مفتاح الأرزاق ، وفتح الآفاق ، ولحقت منه بقاب العقاب^(٢) ، وخاطبني بمخاطبات نشدت بها ضاللة الكرام ، وهلم جراً إلى ماتبعها من جميل الإنزال ، وسني الأجزاء^(٣) .

كتاب منه
للإمام سهل
ابن محمد

(١) أصل الجنيب : الفرس تحببه مع الذي تركبه لتركبه إذا تعب المركوب ، وفي الرسائل « وحين شرف زائد » (م) .

(٢) قاب العقاب : هو يعضه الذي يضرب به الثلث في عزة النال .

(٣) الأجزاء : النعم الجزيلة ، وسنها : شريفها ، وانظر ص ٤٨٠ هامشة ٢ .

وطرأت من الشيخ العميد على شخص يسعه الخاتم، ولا يسعه العالم، ويهتز
 عند المكارم كالقطن، ويثبت عند الشدائد كالرُكن، وسلطان يحلم حلم السيف
 مُعمداً، ويغضب مجرّداً، فهو عند الكرم لئيمٌ كصفحتيه، وعند السياسة خشنٌ
 كسفرته، وملك يأتي الكرم تيةً، والفضل سحّيةً، ويفعل الشرّ كلفّة
 أو خطيّة، فهو ضرورٌ بالآلته، نفوع بذاته، عطارد قلمه ودواته، والمريخ
 سيفه وفنائه؛ عيبه أن لا عيب فيه، فيصرف عين الكمال عن معاليه.

وصادفت من الشيخ الموفق أيده الله ملكاً يشاهد عياناً، وجبلاً قد سُمي
 إنساناً، وحسناً قد مُلي، إحساناً، وأسداً قد لُقّب سلطاناً، ومجرّاً قد أُسك
 عياناً، وحطّطت رَحلي بقاء الأمير الفاضل أبي جعفر أدام الله عزّه، فوجدت
 حكماً في ماله أنفذ من حكمه، وقسمي من غناه أوفر من قسمه، وانسبي في
 ذات يده مقدّماً على اسمه، وبدي إلى خزائنه أسرع من يده، وإن قصدت أن أفرد
 لكلّ مدحاً، وأعبر الجملة شرحاً، أطلت، فهِلمّ جراً إلى ما افتتحت الكتاب لأجله.

ورد للخوارزمي كتاب يتقلب فيه على جنب الحرد، ويتقلّى على بحر الصّجّر،
 ويتأوّه من خمار الخجل، ويتعثر في أذيال الكلال، ويذكر أن الخاصة قد
 علمت لأينا كان^(١) الفلج، فنلت: است البائن أعلم، والخوارزمي أعرف، والأخبار
 المتظاهرة [أعدل، والأثار الظاهرة] أضدق، وحلبة السباق أحكم، وما مضى
 بيننا أشهد، والعود إن نشط أحمد، ومتى استزاد زدنا، وإن عادت العقرب
 عدنا، وله عندي إذا ما شاء، كلُّ ما شاء!

وهي طويلة فيها هبات صنّت الكتاب عنها، وقد أعاد البديع معنى قوله في
 صدر حكايته مع الخوارزمي، فقال في رقعة كتبها إلى سعيد الإسماعيلي، وقد
 وقفت به الضرورة على تلك الصورة من سلب العرب ماله:

كتابي، بل رُقعتي، أطال الله بقاء الشيخ، وقد بكرت على مُغيرة
 كتاب منه للإسماعيلي

(١) الفلج: الظفر والغلبة على قرنه.

الأعراب، كهليل، وريعة بن مُسكَدَم، وعتيبة بن الحارث بن هشام، وأنا أحمد الله إلى الشيخ الفاضل، وأدُمُّ الدهر؛ فما ترك لي من فضّه إلا فضّها، ولا ذهب إلا ذهب به، ولا علق إلا علقه^(١)، ولا عقّار إلا عقّره، ولا ضيعة إلا أضاعها، ولا مال إلا مال إليه، ولا سبّد إلا استبدّد به، ولا لبد إلا لبد فيه، ولا بزّة إلا بزّها^(٢)، ولا عارية إلا ارتجعها، ولا ودّبعة إلا انتزعها، ولا خلعة إلا خلعها، وأنا داخل نيسابور ولا حلية إلا الجلدة، ولا بُرْد إلا القشرة، والله ولي الخلف يعجّله، والفرج يسهّله، وهو حسبي ونعم الوكيل.

.. وليس البديع بأبي عذرة هذا الخطاب، وسترى نظير هذا المعنى في

هذا الكتاب.

ومن إنشائه في مقامات أبي الفتح الإسكندري

قال: حدّثني عيسى بن هشام قال: كنت في بعض بلاد بني فزارة مرتحلاً نجبية، وقائداً جنّيبية، يسبحان سبّحاً، وأنا أهيم بالوطن، فلا الليل يئدني بوعيده، ولا البعد يئدني بيده، وظلمت أخبط ورق النهار، بعضا التسيار، وأخوض بطن الليل، بجوافر الخيل، فبينما أنا في ليلة يضلُّ بها الغطاط^(٤)، ولا يُبصر بها الوطواط، أسيح ولا سامح إلا السبع، ولا بارح إلا الضبع، إذ عن لي راكب تامّ الآلات، يطوى منشور القلوات، فأخذني منه ما يأخذ الأعزل من شاكي السلاح، لكنني تجلّدت فقلت: أرضك لا أم لك! فدونك شرط الجداد، وخرط القتاد، وخضم ضخم، وحمية أزدية، وأنا سلّم إن شئت، وحرّب إن أردت، من أنت؟ قال: سامياً أصبت، قلت: خيراً أجب، قلت: فمن أنت؟ قال: نصيح إن شاورت، فصيح إن حاورت، ودون اسمي

تقامة الفزارية
للبيدع

(١) العلق - بالكسر - الشيء النفيس الذي يرضن به، وعلقه: أي أخذه (م)

(٢) بزها: سلبها وغلب عليها (م) (٣) الذي في المقامات «ولا البعد يوليني بيده» (م)

(٤) الغطاط - بزنة سحاب - القطا، وهو مضرب المثل في الهداية.

لثام ، لا تُميطه الأعلام . قلت : فما الطئمة ؟ قال : أجوب جُيوبَ البلاد ،
 حتى أقع على جفنة جواد ، ولي فؤاد يخدمه لسان ، وبيان يرقه بنان ،
 وقصاراي كريم ينفذ إلى حقيته ، ويخفف لي جنينته ، كابن حرّة طلع إلى
 بالأمس ، طلوع الشمس^(١) ، وغرب عنى بغروبها ؛ لكنه غاب ولم يغب تذكاره ،
 وودّع وشيعتني آثاره ، ولا يبيتك عنها أقرب منها ، وأوماً إلى ما كان يلبسه ،
 فقلت : شحاذ ورب الكعبه أخاذ ، له في الصنعة نفاذ ، بل هو فيها أستاذ ،
 ولا بد أن ترشّح له وتسيح عليه ، وقلت له : يافتي ، قد أجليت عبارتك ، فأين
 شعرك من كلامك ؟ فقال : وأين كلامي من شعري ! ثم استمدّ غريزته ، ورفع
 عقيرته ، بصوت ملاً الوادي ، وأنشأ يقول :

وأروغ أهداه لي الليلُ والفلا
 وخرّصت على نارِ المكارمِ عوده
 وخادعته عن ماله فخدعته
 وساهلته في برّه فتسهلاً
 ولم تجالينا وأحمد منطقي
 بلاني في نظم القريض بما بالاً^(٢)
 فما هزّ إلا صارماً حين هزّني
 ولم يلقني إلا إلى السبقِ أولاً
 فلم أره إلا أغرّاً محجّباً
 وما تحتّه إلا أغرّاً محجّلاً

فقلت : على رسلك يافتي ، ولك مما يصحبنى حكك . فقال : الجنينة ،
 قلت : إن^(٣) وما عليها . ثم قبضت بجمعي عليه ، وقلت : لا والله الذي ألهمها
 أمسا ، وشقها من واحدة خمسا ، لا ترايلنا أو نعلم علمك ، فخذ ريثامه عن وجهه ،
 فإذا والله شيخنا أبو الفتح الإسكندري ، فما لبثت أن قلت :
 توشّحت أبا الفتح بهذا السيفِ مختلاً

(١) طلوع الشمس ، هنا : منتصب على الظرفية ، وليس مفعولاً مطلقاً ، ويدل
 له ما ذكره بعده (م) (٢) كلا ولا : يريد في غاية السرعة كسرعة النطق بلفظ لا (م)
 (٣) بلاني : اختبرني (م) (٤) أن ، هنا : بمعنى نعم .

وما تصنعُ بالسيف إذا لم تكُ قتلا ؟
[فصعُ ما أنت حليت به سيفك خلخالاً]

[من طرف الأدب]

وعلى ذكر قوله : « إنَّ وما عليها » ال أبو عبيدة : وقد عبدُ الله بن الزبير
الأسدي على عبد الله بن الزبير بن العوام فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ بيني وبينك
رَحِمًا من قبل فلانة الكاهلية ؛ هي أختنا ، وقد ولدتكم ، وأنا ابنُ فلان ؛
فلانة عمتي . فقال ابنُ الزبير : هذا كما ذكرت ، وإن فكُرت في هذا أصبت ،
الناسُ كلهم يرجعون إلى أبٍ واحد ، وأم واحدة .

فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ نفقتي قد ذهبت . قال : ما كنتِ ضمنت لأهلك
أنها تكفيك إلى أن ترجع إليهم ، قال : يا أمير المؤمنين ؛ إن ناقتي قد تقبت
ودبرت^(١) . فقال له : أنجد بها يبرُدُ خفها ، وارقعها بسنت ، واخصفها بهلب^(٢) ،
وسر عليها البريدين . قال : يا أمير المؤمنين ، إنما جئتك مستحجلاً ، ولم آتِك مستوصفاً^(٣)
لعن الله ناقةً حملتني إليك . قال ابنُ الزبير : إنَّ ورا كبتها ! فخرج وهو يقول :
أرى الحاجاتِ عند أبي خبيب نكدن ، ولأُميَّة في البلادِ
من الاعياصِ أو من آل حربٍ أغرَّ كغرةِ الفرسِ الجوادِ
ومالي حين أقطع ذات عرقٍ إلى ابن الكاهلية من معاد^(٤)
وقمت لصحبتى أدنوا ركابي أفارق بطن مكة في سوادِ
فيلغ شعره هذا عبد الله بن الزبير ، فقال : لو علم أن لي أمًا أحسن من^(٥) عمته
الكاهلية لنسبني إليها ، وكان ابنُ الزبير يكنى أبا بكر وأبا خبيب .

(١) تقبت : رق خفها ، ودبرت : أصابتها قرحة (م) .

(٢) السبت : الجلد اللدبوغ ، والهلب : الشعر ، أو شعر الخنزير خاصة (م) .

(٣) مستحجلاً : طالباً أن تحملني ، بأن تعطيني ركوبة ، ومستوصفاً : أي طالباً

منك أن تصف الدواء (م) . (٤) في كل المطبوعات « من مفاد » تطبيع (م) .

(٥) في كل المطبوعات « أحسن » تطبيع (م) .

قاله الصولي: أخذ المعتصم من محمد بن عبد الملك الزيات فرساً أشهب أحمر،
 كان عنده مكينا، وكان به سنينا، فقال يرثيه:

قالوا: جزعت، فقلت: إن مصيبةً جلت رزيتها، وضاق المذهب^(١)
 قال أبو بكر: هكذا أنشدني ابن المعتز على أن (إن) بمعنى نعم، وأنشد النحويون:
 قالوا: كبرت، فقلت: إن، وربما ذكّر الكبيرُ شبابه فتطرباً

كيف العزاه وقد مضى لسيله * * *
 دبت الوشاة فباعده، وربما
 لله يوم غدوت فيه ظاعناً
 نفسى مقسمة أقام فريتهها
 الآن إذ كملت أداتك كلها
 وغدوت طنان اللجام كأنما
 وكان سرجك، إذ علاك، غمامة
 أنساك؟ لا زالت إذاً منسية
 أضمرت منك اليأس حين رأيتنى
 يا صاحبي مثل ذا من أمره
 إن تسعدا فصنعة مشكورة
 عوجا فقولا: مرحبا، وتزودا
 منع الرقاد جوى تضمنه الحشى
 عنّا فودعنا الأحم الأشهب
 بعد الفتى وهو الحبيب الأقرب
 وسئبت قروبك، أى علقى أسلب؟
 ومضى لطيته فريق يحب
 ودعا العيون إليك حسن معجب
 فى كل عضو منك صنع يضرب
 وكأنما تحت الغمامة كوكب
 نفسى، ولا برحت بملك تنكب
 وقوى حبالى من حبالك تقضب
 صحب الفتى فى دهره من يصحب
 أو تحذلا فصنعة لا تذهب
 نظراً، وقل لمن تحب المرحب
 مما أكابده وهم منصب

[المزاح]

قال الحجاج بن يوسف لابن القرية: ما زالت الحكماء تكرر المزاح،
 وتنهى عنه، فقال: المزاح من أدنى منزلته إلى أقصاها عشرة أبواب: المزاح
 أوله فرح، وآخره ترح. المزاح نقائص السفهاء، كالشعر نقائص الشعراء. والمزاح

(١) تقدير الكلام « فقلت: نعم، هذه مصيبة عظمت رزيتها - إلخ » (م)

بين الحجاج
 وابن القرية

يُوغِرُ صَدْرَ الصَّدِيقِ ، وَيَنْفَرُ الرَّفِيقُ . وَالْمَزَاحُ يُبْدِي السَّرَّاءَ ؛ لِأَنَّهُ يَظْهَرُ الْمَعَايِرَ .
وَالْمَزَاحُ يُسْقِطُ الْمَرْوَةَ ، وَيُبْدِي الْخَنِي . لَمْ يَجْرُ الْمَزَاحُ خَيْرًا ، وَكَثِيرًا مَا جَرَّ شَرًّا .
الغالب بالمزاح وآثر ، والمغلوب به نأثر . والمزاح يجلب الشتم صغيره والحرب
كبيره ، وليس بعد الحرب إلا عفو بعد قدرة .

فقال الحجاج : حسبك ، الموت خير من عفو معه قدرة .

وَذُكِرَ الْمَزَاحُ بِحَضْرَةِ خَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ فَقَالَ : يُدَشِّقُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ مِثْلَ
الْحَرْدِ دَلْ ، وَيُفْرَغُ عَلَيْهِ مِثْلَ الْمِرْجَلِ ، وَيَرْمِيهِ بِمِثْلِ الْجَنْدَلِ . ثُمَّ يَقُولُ : إِنَّمَا
كُنْتُ أَمْزَحُ !

خالد

ابن صفوان
يبين مساويء
المزاح

أخذ هذا المعنى محمود بن الحسين الوراق فقال :

للوراق في هذا
المعنى

تَلَقَى الْفَتَى يَلْقَى أَخَاهُ وَحِدْنَهُ فِي لَحْنِ مَنْطِقِهِ بِمَا لَا يُغْفَرُ
وَيَقُولُ : كُنْتُ مَازِحًا وَمُلَاعِبًا هِيَمَاتٍ نَارُكَ فِي الْحَشَى تَنْسَعِرُ !
أَوْ مَا عَلِمْتُ وَكَانَ جَهْلًا غَالِبًا . أَنَّ الْمَزَاحَ هُوَ السَّبَابُ الْأَضْعَفُ

فقر في هذا النحو لأهل العصر وغيرهم

الْمَزَاحَةُ تَذْهَبُ بِالْمَهَابَةِ ، وَتُورِثُ الضَّعِيفَةَ . الْإِفْرَاطُ فِي الْمَزَاحِ مُجُونٌ ، وَالْاِقْتِصَادُ
فِيهِ ظَرْفٌ ، وَالتَّقْصِيرُ عَنْهُ نَدَامَةٌ . أَوْ كَمَا سَبَبَ الْقَطِيعَةَ الْمَرَاءَ وَالْمَزَاحَ .
ابن المعتز - من كثر مزاحه لم يتحل من استخفاف به أو حقد عليه .

لابن العز
لابن القرية

قال أيوب بن القريية : الناس ثلاثة : عاقل ، وأحمق ، وفاجر ؛ فالعاقل
الدين شريعته ، والحلم طبيعته ، والرأي الحسن سجيته ؛ إن سئل أجاب ، وإن
نطق أصاب ، وإن سمع العلم وعى ، وإن حدث روى . وأما الأحمق فإن تكلم
عجل ، وإن حدث وهل (١) ، وإن استنزل عن رأيه نزل ، فإن جهل على التبيح
جهل . وأما الفاجر فإن ائتمنته خانك ، وإن حدثته شأنك ، وإن وثقت به لم
يرعك ، وإن استكتم لم يكتم ، وإن علم لم يعلم ، وإن حدث لم يفهم ، وإن فقه لم يفقه .

(١) وهل : غلط ونسى (م) .

[الطيرة والزجر]

في التفاؤل
لأبي حية
النخري

قال أبو حية النخري :

جَرَى يَوْمَ رُحْنَا عَامِدِينَ لِأَرْضِنَا
فِيَابَ رِجَالٍ مِنْهُمْ فَتَعَيَّفُوا
عُقَابٌ بِأَعْقَابٍ مِنَ الدَّارِ بَعْدَمَا
وَقَالُوا : حَمَامَاتُ ، فَحُمَّ لِقَاؤُهَا
وَقَالَ صَحَابِي : هُدُودٌ فَوْقَ بَانِيَّةٍ ،
وَقَالُوا : دَمٌ ، دَامَتْ مَوَاتِيقُ بَيْنِنَا
لَعَيْنَاكَ يَوْمَ الْبَيْنِ أَسْرَعُ وَكَفَا
وَنَسُوهُ شَحْشَاحَ غَيُورٍ يَخْفَنُهُ
يَقْلَنُ ، وَمَا يَدْرِينِ أُنَى سَمْعَتُهُ
أَهَذَا الَّذِي غَنَى بِسَمَاءٍ مَوْهِنًا
إِذَا مَا تَعَنَّى أَنْ مِنْ بَعْدِ زَفْرَةٍ
وَقَائِلَةٌ : يَادَهُمْ وَيَحْكُ ! إِنَّهُ
فَلَوْ أَنَّ قَوْلًا يَجْرَحُ الْجِلْدَ قَدْ بَدَأَ
وَهَذَا مِنْ غَرِيبِ الزَّجْرِ مَلِيحُ التَّفَاؤُلِ .

قال أبو العباس محمد بن يزيد : أنشدني أعرابي في قصيدة ذى الرمة التي
مما ينسب
لدى الرمة
ولهما :

أَلَا يَا اسْمَى يَا دَارِمَى عَلَى الْبَلَى
يَلْتَمِينَ لَمْ يَرَوْهَا الرِّوَاةُ فِي دِيْوَانِهِ ، وَهِيَ :
رَأَيْتُ غَرَابًا سَاقِطًا فَوْقَ قَضْبِيَّةٍ
مِنَ الْقَضْبِ لَمْ يَنْبُتْ لَهَا وَرَقٌ خُضْرُ
قَلْتُ : غَرَابٌ لِأَغْتَرَابٍ ، وَقَضْبَةٌ
لِقَضْبِ النَّوَى هَذِي الْعِيَاةُ وَالزَّجْرُ

(١) لعله « على ما به من غنة » فقد وردت في الأمل ٦٩/١ « على غنة في صوته »

وقال آخر :

دعا صُرْدٌ يوماً على غُصْنٍ بانهٍ وصاح بذات البين منها غُرَابُهَا

فقلت: أنصريدُ وشحطُ وغُرْبَةٌ؟ فهذا لعمري نَأْيُهَا وأغْرَابُهَا

عادة الجاهلية
والنهي عنها

وقد أكرهت العرب من ذكر الطيرة ، والزجر ، وكانت تقتدى بذلك
وتجري على حكمه ، حتى ورد النهي في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

لا عَدْوِي ، ولا طَيْرَة ، وقد قال الأول :

لعمرك ما تدرى الضوَّارِبُ بالخصي وقال ضابيُّ بن الحارث البرجمي :

وما عاجلات الطير ، تُدْنِي مِنِ الْفَتَى نَجَاحاً ولا عن رَيْثِنٍ نَجِيبٍ^(١)

ولا خيرَ فيمن لا يوطنُ نفسهُ على نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حينَ تنوبُ

ورُبَّ أمورٍ لا تضيرُكَ ضَيْرَةٌ وللقلب من مَخْشَاتِهِنَّ وَجِيبُ

وقال الكميث بن زيد الأسدي :

للكميث
ابن زيد

ولا أنا ممن يزجرُ الطيرَ همهُ وأصاح غرابٍ أم تعرَّضَ ثعلبُ

ولا السانحات البارحات عشيةُ أمرٍ سليمُ القرنِ أم مرَّ أعصبُ

وقال شاعر قديم :

لا يمتنعك من بَغَاءِ الخيرِ تعقَادُ التَّمَامِ

ولا التَّشَاؤُمُ بِالْعَطَا س ولا التَّيَامُنُ بِالْمَقَا س

فلقد غَدَوْتُ وَكُنْتُ لَا أَغْدُو عَلَى وَاقٍ وَحَاتِمٍ^(٢)

فإذا الأشْأَمُ كَالْأَيَا من والأَيَامُنُ كَالْأَشْأَمِ

وكذاك لا خَيْرَ وَلَا شَرٌّ عَلَى أَحَدٍ بِدَأَمِ

قد حُطَّ ذَلِكَ فِي الزَّبُو ر الأوليَّاتِ القَدَامِ

(١) وقع في نسخة «تدرى من الفتى» و «ولا عن ريثين نجيب» تحريف (م)

(٢) الواقي : الصرد ، والحاتم : الغراب (م) .

ولقد أحسن ابن كناسة في رثاء ولده يحيى ، أنشده أبو العباس ثعلب : لابن كناسة
 تيممت فيه الفأل حتى رُزئتُه ولم أدْرِ أنْ الفأل فيه يَفيلُ
 فسميته يَحْيَى لِيَحْيَا ؛ فلم يكن إلى ردِّ أمرِ الله فيه سبيلُ
 وروى المدائني قال : خرج كثير من الحجاز يريد مصر ، فلما قَرُبَ منها نزل
 بمنزل ، فإذا هو بغراب على شجرة بَانٍ يَنْتِفِ ريشه وَيَنْعَبُ ؛ فأسرع الرحيل ،
 ومضى لوجهه ؛ فلقيه رجلٌ من بني نَهْدٍ ، فقال : يا أخا الحجاز ؛ مالي أراك
 كاسِفَ اللون ؟ قال : ما علمت إلا خيراً ، قال : فهل رأيت في طريقك شيئاً
 أنكرته ؟ قال : لا والله إلا في منزلي هذا ، فإني رأيتُ غراباً يَنْتِفِ ريشه على
 بانه وَيَنْعَبُ . قال : أما إنك تطلب حاجةً لا تدرِكها .

بين كثير
 ورجل نهدي

فقدم مصر والناسُ منصرفون من جنازة عزة ، فقال :

رأيتُ غراباً ساقطاً فوقَ بانهٍ يُنْتَفِ أعلى ريشه ويطيرُهُ
 فقلت - ولو أني أشاء زجرتهُ بنفسى - للنهدى : هل أنت زاجره ؟
 فقال : غراب لا غراب من النوى وفي البانِ بينُ من حبيب تجاوره
 فما أعيفَ النهدي ، لأدرَ دَرَهُ ! وأزجره للطير ، لا عزَّ ناصرهُ

ثم أتى قبر عزة فأناخ به ساعة ثم رحل ، وهو يقول :

أقولُ ونِضوى واقفٌ عند رأسها عَلَيكَ سلامُ الله والعينُ تَسْفَحُ
 فهذا فراق الحق لا أن تُزيرني بلادك فتلاه الذراعين صيدح^(١)
 وقد كنت أبكي من فراقكِ حيةً وأنتِ لعمري اليومَ أنأى وأنزحُ

وقال جرير :

بَانِ الخليلُ برامتين فودَّعوا أوكُلماً نعبوا لبين تجزَعُ
 إن السَّوامح بالضحى هيَجنتي في دارِ زَيْدَبَ والحمامُ الوَقْعُ
 لجرير

وقال عوف الراهب خلاف هذا :

لعوف الراهب

غلط الذين رأيتهم بجهالةٍ يَلْحَوْنَ كلهم غراباً يَنْعَقُ

(١) فتلاه الذراعين : قويتها ، وصيدح : فرس شديد الصوت (م) .

ما الذنبُ إلاّ للأباعر؛ إنها مما يُسْتَجَمَعُ جميعهم ويفترق
 إنَّ الغرابَ يئمنه تدنو النوى وتشتت الشملَ الجميع الأئنيق
 وقد تبعه في هذا المذهب أبو الشيص فقال :

لأبي الشيص

ما فرّق الأحيابَ بعد الله إلاّ الإبلُ
 والناس يَلْحَوْنَ غُرا بَ البينَ كما جهلوا
 وما على ظَهْر غُرا بَ البينِ تطوى الرّحل
 ولا إذا صاح غُرا بٌ في الديار احتملوا
 وما غرابُ البينِ إلّا ناقةٌ أو جملُ
 وما أملح ما قال القائل :

زعموا بأنّ مطيهم عونَ النوى والمؤذِناتُ بفرقة الأحيابِ
 ولو أنّها حتّني لما أبغضتها ولها بهم سببٌ من الأسبابِ

وكان علي بن العباس الرومي مُفَرِّطَ الطيّرة ، شديد الغلوّ فيها . قال علي بن
 عبد الله بن المسيب : وكان يحنج لها ، ويقول : إن النبي صلى الله عليه وسلم كان
 يُحِبُّ القائل ، ويكره الطيّرة ؛ أفتراه كان يتفائل بالشئ ، ولا يتطيّر من ضده ؟
 ويقول : إن النبي صلى الله عليه وسلم مرّ برجل وهو يرّحل ناقةً ويقول :
 يا ملعونة ، فقال . لا يصحبنا ملعون ، وإن علياً رضى الله عنه كان لا يَغزُو غزاة
 والقمرُ في العقر ، ويزعم أنّ الطيّرة موجودة في الطباع قائمة فيها ، وأن بعض
 الناس هي في طباعهم أظهر منها في بعض ، وأن الأَكثَرَ في الناس إذا لقي ما يكرهه
 قال : على وجه من أصبحت اليوم ؟ .

بن الرومي
 كان شديد
 الطيّرة

فدخل علينا يوم مهرجان سنة ثمان وسبعين وقد أهدى إلى عدة من جواري
 القيان ، وكانت فيهنّ صبيةٌ حوّلاء ، وعجوزٌ في إحدى عينيها نكتة ، فتطيّر من
 ذلك ، ولم يُظهِرْ لي أمره ، وأقام باقي يومه ؛ فلما كان بعد مدة يسيرة سقطت ابنة لي

من بعض السطوح ، وجفاه القاسم بن عبيد الله ، فجعل سبب ذلك المعنيين المغنيتين ،
وكتب إلى :

أيها المتخفي بحولٍ وعُورٍ أين كانت عنك الوجوه الحسنانُ
قد لعمري ركبتَ أمراً مهيناً ساءني فيك أيها الخُلصانُ
فتحك المهرجان بالحوّل والعوّر أرانا ما أعقب المهرجانُ
كان من ذلك فقدك ابنتك الخُربة مصبوغةً بها الأكَفانُ
وتجاني مؤملاً لي جليلٍ لِح فيه الجفاه والهجرانُ
وعزير عليّ تفرّيع خلٍّ لا يدانيه عندي الخلانُ
غير أني رأيت إذكاره الحزَم وإشعاره شِعاراً يُصانُ
لا تهاون بطيرة أيها النظار واعلم بأنّها عنوانُ
قف إذا طيرة تلقنتك وانظر واستمع ثمّ ما يقول الزمانُ
قلما غاب من أمورك عنوان مبین وللزمانِ لسانُ
لا تكن بالهوى تكذب بالأخبار حتى تهين مالا يُهانُ
لا يقدك الهوى إلى نصره الأخبار حتى يقدم البرهانُ
إن عُقبى الهوى هوىٌّ ، وعُقبى طول تلك المهونات هوانُ
لا تصدق عن النبيين إلاّ بحديث يلوح فيه البيانُ
خبر الله أنّ مشامةً كانت لقومٍ وخبر القرآنُ
أفزور الحديث تقبل أم ما قاله ذو الجلال والفرقانُ ؟
أرى من يرى البشيرُ بشيراً يمتري في النذير يا مؤسنانُ
فدع الهزل والتضحك بالطيرة والنصح مُثمنٌ مجّانُ

وقد فرّق خُذّاقُ أهل النظر في المقال ، بين الطيرة والقال ، فقالوا : الطيرة
كانت العرب ترجعُ إلى ما تمضيها ، وتجري على تقضيها ، وكان الذي يهتمُّ بهم
إذا ما رأى ما يتطير منه رجع عنه ؛ وفي ذلك ما يصرف عن الإحالة على المقادير

الجارية بيد مُمضئها ، النازلة على حكم قاضيها ، والفأل لا يرد المرید عما يريد إنما يقوى منته ، ويسر مهجته ؛ وليس هذا موضع تطويل ، في إيراد الدليل .

وفي جفاء القاسم بن عبید الله إياه يقول معاتباً :

من ابن الرومی
للقاسم بن
عبید الله

ألم ترني أفرضتكَ الودَّ طائعا ولم تر قبلي مُعسراً قطّ أقرضاً
لعمرى لقد صورت أبيض مشرقاً فلم لا تُريني وجهَ نَعاك أبيضاً
فيا ويح مولاك استغاث بمشربٍ فأشرق فاستشفى شفاءً فأقرضاً^(١)
ولولا اعتقادي أنك الخيرُ كله لأزمتُ توديعاً ، قضى الله ما قضى
وإني وإن دارتْ عليّ دوائرٌ لأعرض عن صدّ عني وأعرضاً
وما زلت عرّافاً إذا زاد رأبي بنحسٍ وعيافاً إذا الماء عرّماً^(٢)
وهذا البيت كقول الآخر :

وإني للماء الحسّاط للقدّي إذا كثرت وُرّادُهُ لعيوفُ

وفي ابنة المسيبي يقول ابن الزومي يعزّيه :

ابن الرومی
يرثي ابنة المسيبي

أخا تقى أعزّز عليّ بنكبة مناك بها صرفُ القضاء المقدّر
صبت ، وما للمرء من حكم ربه محيدٌ ، وأمر الله أعلى وأقمـر
وقد مات من لا يخلف الدهر مثله عليك من الأسلاف والحق يبهر
تعزيت عن أمرتك حياته ووَشك التعزّي عن ثمارك أجدر
لأن اختيال الدهر في ابن وفي ابنة يسيرٌ وكرُّ الدهر شيخيك أعسرُ
تعذر أن نعتاض من أمهاتنا وآبائنا ، والنسل لا يتعذر

(١) أفرض : شرب من المشرع ، والمشرع يسمى الفرضة (م) .

(٢) عرّض الماء : خبث وطعّب .

فلا تهليكن حزنًا على ابنة جنةٍ
 لعلّ الذي أعطاك ستر حياتها
 فكم من أخي حريّة قد رأيتُه
 فلا تهم لله فيها ولايةٌ
 وأنت وإن أبصرت رشك مرةً
 ومن مליح تعازيه عن ابنةٍ قوله لعلّ بن يحيى المنجم :

وله يعزى على
 بن يحيى في ابنته

لا تبعدنّ كريمةً أودعتها
 إني لأرجو أن يكون صداقها
 لا تياسنّ لها فقد زوجتها
 صهراً من الأصهار لا يخزيكا
 من جنة الفردوس ما يرضيكا
 كفوا وضمت الصداق مليكا

[الرغبة في موت البنات]

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

لعبيد الله بن
 عبد الله بن طاهر

لكل أبي بنت يرجي بقاؤها
 فبيت يغطيها، وبئبل يصبونها،
 ثلاثة أصهار إذا ذكر الصهر
 وقبر يوارئها، وخيرها القبر
 وقال عقيل بن (١) علفة وكان غير العرب .

لعقيل بن علفة

إني وإن سبق إلى المهر
 ألف وعبدان وذود عشر
 أحبُّ أصهاري إلى القبر

ومنه أخذ عبيد الله ، قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد : دخل علينا لابن خلف
 ابن خلف البهراني فأنشدنا :

لولا أتميمة لم أجزع من العدم
 وزادني رغبة في العيش معرفتي
 ولم أجب في الليالي حنّيس الظم
 أن اليتيمة يحقوها ذور الرّحم
 أحاذرُ الفقر يوماً أن يُلمّ بها
 فيهنك الستر عن لحم على وضم

(١) في المطبوعات «عقيل بن علفة» تحريف ، وعلفة بوزن سكرة (م) .

تهوى حياتي وأهوى موتها شفقاً والموت أكرم نزال على الحرم
 وكانت أميمة بنت أخته ، وكان قد تبناها ، ثم غابت غيبة ، فسألناه
 عنها ، فأنشد :

أمست أميمة مغموراً بها الرَّجَمُ لدى صعيدٍ عليه الثُّرْبُ مُرْتَكِمُ
 يا شِقَّةَ النفس ، إنَّ النفسَ والهةُ حرّى عليك ، ودَمَعُ العَيْنِ مُنْسَجِمُ
 قد كنت أخشى عليها أن يؤخرها عنى الحِمامِ فيبدي وجهها العدمُ
 فالآن نمت فلا همٌّ يُورِّقُنِي تَهْدَا العيونُ إذا ما أودت الحرمُ
 فالآن نمت ، فلا همٌّ يُورِّقُنِي بعد الهدوء ؛ ولا وَجْدٌ ولا جُلْمُ
 للموت عندي أيادٍ لست أنكرها أحيا سروراً وبى مما أتى ألمُ

[عَوْدٌ إِلَى تَطْيِيرِ ابْنِ الرُّومِيِّ]

بين ابن الرومي وأبي الحسن الأخفش،
 عاد ذكر ابن الرومي - وكان أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش غلام
 أبي العباس المبرد في عصر ابن الرومي شاباً مترفاً ، ومليحاً مستظرفاً ، وكان يعيب
 به ، فيأتيه بسحر ؛ فيقرع الباب ، فيقال له : مَنْ ؟ فيقول : قولوا لأبي الحسن
 مرة بن حنظلة ، فيتطير لقوله ، ويقم الأيام لا يخرج من داره ، وذلك كان سبب
 هيجائه إياه ، فمن أول ما عاتبه به :

قولوا لنحوينا أبي حسن إن حسامى متى ضربت مَضَى
 وإن نبلى إذا هممت بأن أرجمي نصلتها بجمر غضاً
 لا تحسبن الهجاء يحفل بالرفع ولا خفض خافض خفضاً
 ولا تخل عودتي كباديتي سأسمط السم من أبي الخفضاً
 أعرف في الأشقياء بى رجلا لا ينتهى أو يصير لى غرضاً
 يُلح لي صفحة السلامة والسلم ويخفى في قلبه مرضاً

أضحى مغيطاً على أن غضب الله له عليه ، ورنلت منه رضا
 وليس تجدي عليه موعظتي إن قدر الله حينه وقضى
 كأنني بالشقي معتذرا إن القوافي أدقنه المصفاً
 ينشدني العهد يوم ذلك والعهد خضاب إذا له قبضاً^(١)
 لا يأمنن السفية بأدرتي فإني عارض لمن عرّضا
 عندي له السوط إن تلوم في الـ ير وعندى اللجام إن ركضاً^(٢)
 أسمت إنباضتي أبا حسن والصفح لاشك نصح من محضاً^(٣)
 وهو معافي من السهاد فلا يحمل فيمسي فراشه قفضاً^(٤)
 أقسمت بالله لا غفرت له إن واحد من عروقه نبضاً
 فاعتذر إليه ، وتشفع عنده بجماعة من أهل بغداد - وكان الأخفش أكثر
 الناس إخواناً - فقبل عذره ، ومدحه بقصيدته التي يقول فيها :

ذَكَرَ الْأَخْفَشُ الْقَدِيمُ قَلْبَنَا : إن للأخفش الحديث لفضلاً
 وإذا ما حكمت - والروم قومي - في كلام مُعَرَّبٍ كنتُ عدلاً
 أنا بين الخصوم فيه غريبٌ لا أرى الزور للمُحَابَاةِ أَهْلاً
 ومتى قلت باطلا لم ألقب فيلسوفاً ولم أسم هرقلاً

الأخفش القديم هو أبو الخطاب ، وكان أستاذ سيبويه ، وهو من المتقدمين
 في النحو ، ويُعرف بالأخفش الكبير ، وكان في عصر سيبويه [أيضاً] أبو الحسن
 سعيد بن مسعدة ، وهو الأخفش الصغير ، وهو الذي قال : كان سيبويه يعرض
 ما وضع من النحو على ، ويرى أني أعلم منه ، وكان في وقته ذلك أعلم مني .

(١) في نسخة « وللعهد خضاب أذاله فضا » (م)

(٢) تلوم : تمهل وتمكث ، وركض : أسرع (م) (٣) إنباضتي : أراد صوتي (م)

(٤) القفض التراب أو صغار الحصى ، والمراد أنه لا يتمكن من النوم (م) .

ثم عاد علي بن سليمان إلى أذاه ، واتصل به أن رجلا عرض عليه قصيدة
من شعره فظعن عليها ، فقال قصيدته التي يقول فيها :

أعتقتُ عبديَّ في القريضِ معا عبدةَ والفحلِّ من بني عبدةَ
إن أنا لم أرمُ بالإساءةِ مَنْ زاعغَ عن القصدِ أو أبا سدةَ
قلت لمن قال لي عرضت على الـ أخفش ما قلته فاحدةَ
قصرت بالشعر حين تعرضه على مبین العمى إذا انتقدهَ
أنشدته منطقي ليشهده فغاب عنه عمى وما شهدهَ
ما بلغت بي الخطوب رتبة من تفهمُ عنه الكلابُ والقردةَ
ولا أنا المفهم البهائم والطيور سليمانُ قاهرُ المردهَ
فإن يقل إنني حفظت فكال فتر جهلاً بكل ما اعتقدهَ
سأسمع الناسَ ذمَّهُ أبداً ما سمع اللهُ حمدَ مَنْ حمده

عبدة بن الطيب ، وعلقمة بن عبدة الفحل ، وكانا شاعرين مجيدين ، وقال علقمة
ابن عبدة لرجل ورأى آخر يعتذر إليه وهو معبس في وجهه : إذا اعتذر إليك المعتذر
فتلقه بوجه مُشرق ، و بشر مطلق ؛ لينبسط المتذلل ، ويؤمن المتصل .
ولابن الرومي في الأخفش إغماش صُنْتُ الكتاب عنه :

من آثار تطير قال شعلي بن إبراهيم كاتب مسروق البلخي : كنت بداري جالساً فإذا حجارة
ابن الرومي سقطت بالقرب مني ، فبادرتُ هاربا ، وأمرتُ العلام بالصعود إلى السطح ، والنظر إلى
كل ناحية ؛ من أين تأتينا الحجارة ، فقال : امرأةٌ من دارِ ابن الرومي الشاعر !
قد تشوّقتُ وقالت : اتقوا الله فينا ، واستقونا جرّة من ماء ، وإلا هلكنا ، فقد
مات مَنْ عندنا عطشا .

فتقدمتُ إلى امرأةٍ عندنا ذات عقل ومعرفة أن تصعد إليها وتحاطبها ،
فعملتُ وبادرتُ بالجرّة ، وأتبعتهُ شيئاً من الماء كقول ؛ ثم عادت إلى فقالت :

ذَكَرَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ الْبَابَ عَلَيْهِمْ مُثَقَّلٌ مِنْ ثَلَاثِ بِسَبَبِ طَيْرَةِ ابْنِ الرَّومِيِّ ،
وَذَلِكَ أَنَّهُ يَلْبَسُ ثِيَابَهُ كُلَّ يَوْمٍ ، وَيَتَعَوَّذُ ثُمَّ يَصِيرُ إِلَى الْبَابِ ، وَالْمِفْتَاحُ مَعَهُ ،
فِيَضَعُ عَيْنَهُ عَلَى ثَقْبٍ فِي خَشَبِ الْبَابِ ، فَتَفْعُ عَيْنَهُ عَلَى جَارِهِ لَهُ . كَانَ نَارِلاً بِإِزَائِهِ ،
وَكَانَ أَحَدَبَ يَقْعُدُ كُلَّ يَوْمٍ عَلَى بَابِهِ ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ رَجَعَ وَخَلَعَ ثِيَابَهُ ، وَقَالَ :
لَا يَفْتَحُ أَحَدٌ الْبَابَ .

فَعَجِبْتُ لِحَدِيثِهَا ، وَبَعَثْتُ بِخَادِمٍ كَانَ يَعْرِفُهُ ، فَأَمَرْتَهُ بِأَنْ يَجْلِسَ بِإِزَائِهِ
- وَكَانَتْ الْعَيْنُ تُمِيلُ إِلَيْهِ - وَتَقَدَّمْتُ إِلَى بَعْضِ أَعْوَانِي أَنْ يَدْعُوَ الْجَارَ الْأَحَدَبَ ؛
فَلَمَّا حَضَرَ عِنْدِي أُرْسِلْتُ وَرَاءَ غَلَامِي ؛ لِيَنْهَضَ إِلَى ابْنِ الرَّومِيِّ ، وَيَسْتَدْعِيهِ الْحَاضِرُ ؛
فَأَنِي جَالِسٌ وَمَعِيَ الْأَحَدَبُ إِذْ وَافَى أَبُو حَذِيفَةَ الطَّرْسُوسِيَّ وَمَعَهُ بِرْدَعَةُ الْمَوْسُوسِ
صَاحِبُ الْمُعْتَصِدِ ، وَدَخَلَ ابْنُ الرَّومِيِّ ، فَلَمَّا تَخَطَى عَتَبَةَ بَابِ الصَّخْنِ عَتَّرَ فَاتَّقَطَعَ
شَيْعُ ثَعْلَاهُ ، فَدَخَلَ مَذْعُورًا ؛ وَكَانَ إِذَا فَاجَأَهُ النَّاطِرُ رَأَى مِنْهُ مَنْظَرًا يَدُلُّ عَلَى
تَغْيِيرِ حَالٍ ؛ فَدَخَلَ وَهُوَ لَا يَرَى جَارَهُ لِتَغْيِيرِ مَنْهُ ، قُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا الْحَسَنِ ،
أَيَكُونُ شَيْءٌ فِي خُرُوجِكَ أَحْسَنَ مِنْ مَخَاطَبَتِكَ لِلْخَادِمِ ، وَنَظْرِكَ إِلَى وَجْهِ الْجَمِيلِ ؟
فَقَالَ : وَقَدْ لَحَقَنِي مَا رَأَيْتُ مِنَ الْعَثْرَةِ ، لِأَنِّي فَكَّرْتُ أَنْ بَهَ عَاهَةٌ ! وَهِيَ قَطْعُ
انْتِيبِيهِ ، قَالَ بِرْدَعَةُ : وَشَيْخُنَا يَتَطَيَّرُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ وَيُقِرُّطُ ، قَالَ : وَمَنْ هُوَ ؟
قُلْتُ : عَلَى بْنِ الْعَبَّاسِ ، قَالَ : الشَّاعِرُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وَأَنْشَدَهُ :

وَمَا رَأَيْتُ الدَّهْرَ يُؤْذِنُ صَرْفَهُ بِتَفْرِيقِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْحَبَائِبِ
رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي فَوَطَّنْتُهَا عَلَى رُكُوبِ جَمِيلِ الصَّبْرِ عِنْدَ النَّوَائِبِ
وَمَنْ صَحِبَ الدُّنْيَا عَلَى جَوْرِ حُكْمِهَا فَأَيَّامُهُ مَحْفُوفَةٌ بِالْمَصَائِبِ
فَخُذْ خُلْسَةً مِنْ كُلِّ يَوْمٍ تَعِيشُهُ وَكُنْ حَذِرًا مِنْ كَامِنَاتِ الْعَوَاقِبِ
وَدَعْ عِنْدَكَ ذِكْرَ النَّالِ وَالزَّجْرَ وَاطَّرَحْ تَطَيَّرُ جَارٌ أَوْ تَقَاوُلُ صَاحِبِ

فَبَقِيَ ابْنُ الرَّومِيِّ بَاهِتًا يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَلَمْ أَذَرِ أَنَّهُ شَغَلَ قَلْبَهُ بِحِفْظِ مَا أَنْشَدَهُ ، ثُمَّ
قَامَ أَبُو حَذِيفَةَ وَبِرْدَعَةُ مَعَهُ ، فَخَلَفَ ابْنُ الرَّومِيِّ لِأَيُّ تَطَيَّرَ أَبَدًا مِنْ هَذَا وَلَا مِنْ

غيره ، وأوماً إلى جاره ، فقلت : وهذا الفكر أيضاً من النظير ، فأمسك ، وعجب من جودة الشعر ومعناه ، وحُسن مأتاهُ ، فقلت له : ليتنا كتبناه ؟ قال : اكتبه فقد حفظته ، وأملأه على .

من ابن الرومي
إلى ابن ثوبان
في التطير

ومن شدة حذره ، وعظيم تطيره ، قوله لأبي العباس بن ثوبان ، وقد ندبته إلى الخروج إليه وركوب دجلة :

لَكَ الْخَيْزُ ، تَحْذِيرِي سُرُورَ الْمَحَابِبِ
مَنْ الشُّوكُ يَزْهَدُ فِي النَّارِ الْأَطْيَابِ
إِلَى ، وَأَعْرَانِي بَرَفِضِ الْمَطَالِبِ
رَهْبَتِ اعْتِسَافِ الْأَرْضِ ذَاتِ الْمَنَاكِبِ
عَلَى مِنَ التَّغْيِيرِ بِعَدِ التَّجَارِبِ
لَقِيتُ مِنَ الْبَحْرِ ابْتِضَاضَ الذَّوَابِ
شَغِفْتُ لِبُغْضِهَا بِحُبِّ الْمَجَادِبِ
تَلَاعَبُ دَهْرٍ جَدِّي كَالْمَلَاعِبِ
بَرَحَلِي أَتَاهَا بِالغَيْوِثِ السَّوَاكِبِ
تَمَائِلَ صَاحِبِهَا تَمَائِلَ شَارِبِ
مَمِيلَ غَرِيقِ الثَّوْبِ لَهْفَانَ لَاغِبِ
وَفِي سَهْرٍ يَسْتَعْرِقُ اللَّيْلَ وَأَصِيبِ
مِنَ الْوَكْفِ تَحْتَ الْمُدْجِنَاتِ الْهَوَاصِبِ
تَصِرُ نَوَاحِيهِ صَرِيرَ الْجَنَادِبِ
كَأَنَّ قَضَّ صَقْرُ الدَّجْنِ فَوْقَ الْأَرَانِبِ
بِسَوْطِي عَذَابٍ جَامِدٍ بَعْدَ ذَائِبِ
رَهِينٍ بِسَافٍ تَارَةً وَبِحَاصِبِ

حَضَضْتُ عَلَى حَطْبِي لِنَارِي فَلَا تَدَعُ
وَمَنْ يَلْقَى مَا لَاقَيْتُ فِي كُلِّ مُجْتَنِي
أَذَاقْتَنِي الْأَسْفَارُ مَا كَرَّهَ الْغَنَى
وَمِنْ نَكْبَةٍ لَا قَيْتَهَا بَعْدَ نَكْبَةٍ
فَصَبْرِي عَلَى الْإِقْتَارِ أَيْسَرُ مَطْلَبًا
لَقِيتُ مِنَ الْبَرِّ التَّبَارِيحَ بَعْدَمَا
سَقِيتُ عَلَى رِيٍّ بِهِ أَلْفَ مَطْرَةٍ
وَلَمْ أَبْغِهَا ، بَلْ سَاقَهَا لِمَكِيدَتِي
أَبَى أَنْ يُبْعِثَ الْأَرْضَ حَتَّى إِذَا رَمَتْ
سَقَى الْأَرْضَ مِنْ أَجْلِ فَأَضَحَّتْ مَزَلَّةُ
فَمِلْتُ إِلَى خَانَ مُرْتٍّ بِنَاوُهُ
فَمَازَلْتُ فِي جَوْعٍ وَخَوْفٍ وَوَحْشَةٍ
يُورُّنِي سَقْفُ كَأَنِّي تَحْتَهُ
يَبْظُلُ إِذَا مَا الطَّيْنُ أَثْقَلَ مَتْنَهُ
وَكَمْ خَانَ سَفْرٍ خَانَ فَانْقَضَ فَوْقَهُمْ
وَمَا زَالَ ضَاحِي الْبَرِّ يَضْرِبُ أَهْلَهُ
فَإِنْ فَاتَهُ قَطْرٌ وَتَبَاجُ فَإِنَّهُ

فذاك بلاه البرّ عندى شائياً
 ألا ربّ نارٍ بالفضاء اضطلّيتها
 قدع عنك ذِكْرَ البرّ إني رأيتُهُ
 وما زال يبغي الخُوفَ موارِباً
 فطوراً يُعاديني بلبصٍّ مُصَلَّتِ
 وأمّا بلاه البحرِ عندى فإنه
 ولو تاب عفى لم أدعُ ذِكْرَ بعضِهِ
 ولم لا ولو ألقى فيه وصخرةً
 ولم أتعلّم قطُّ من ذى سباحةٍ
 وأيسرُ إشفاقٍ من الماء أنى
 وأخشى الردى منه على كل شاربٍ
 أخذه من قول أبي نُوَاسٍ وقد رأى التماسح بمصرَ أخذَ رجلاً :
 أضمّرتُ للنيل هجرانا ومقليةً
 مُدْقِلَ لى إنما التماسحُ فى النيلِ
 فن رأى النيل رأى العين عن كُتَيْبِ
 فما رأى النيل إلا فى البراقيل (٣)

رجع

أطلُّ إذا هزّته ریحٌ ولا لآتُ
 له الشمسُ أمواجاً طوالَ الغوارِبِ
 كأنى أرى فيهنّ فرسانَ بهمةٍ
 يُلِيحُونَ نحوى بالسيفِ القواضبِ (٤)
 فإن قلت لى قد يركبُ اليمُّ طامياً
 ودجلةٌ عند اليمِّ بعضُ المذانبِ (٥)

(٢) واقب : مستكن (م)

(٤) يليحون : يشيرون

(١) الضح - بكسر الضاد - الشمس

(٣) البراقيل : أواني الشرب

(٥) المذانب : القنوات

فَلَا عُدْرَ فِيهَا لِأَمْرِي بِهِ هَابَ مِثْلَهَا
 فِي اللَّجَّةِ الْخَضْرَاءِ عُدْرُهُ لَهَا نَابِ
 لِذِي جِلَّةٍ خَبٌ لَيْسَ لِلِيمِ؛ إِنَّهَا
 تَرَأَى بِجِلْمٍ تَحْتَهُ جَهْلٌ وَائِبِ
 تَطَامِنُ حَتَّى تَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا
 وَتَفْضُبُ مِنْ مَرْجِ الرِّيَّاحِ اللَّوَابِ
 وَلِلِيمِ إِذْأَرُ بَعْوَصِ مُتُونِهِ
 وَمَا فِيهِ مِنْ آذِيَةِ الْمُتْرَاكِبِ (١)

وهي طويلة، وفيها مرة كفاية تنبي عنه وتبدل عليه، ولو مدت أطناب الاختيار
 لتتبع هذا النحو من شعره لخرجت عن غرض الكتاب .

[من مليح العيافة والزجر]

ومن مليح العيافة والزجر ما رواه الصولي ، قال : كان لأبي نواس إخوانٌ
 وبعض أصحابه لا يفارقهم ، فاجتمعوا يوماً في موضع أخفوه عنه ، ووجهوا إليه برسولٍ معه ظهرٌ
 قرطاس أبيض ، لم يكتبوا فيه شيئاً ، فحزموه بزير (٢) ، وختموه بقار ، وتقدموا إلى
 رسولهم ليرمي بالكتاب من وراء الباب ؛ فلما رآه استعلم خبرهم ، وعلم أنه من
 قتلهم ، فتعرف موضعهم وأثارهم ، فاتاهم فأنشدهم :

وَجَدْتُ كِتَابَكُمْ لَنَا أَتَانِي
 يَمُرُّ بِسَاحِ الطَّيْرِ الْجَوَارِي
 نَظَرْتُ إِلَيْهِ مَخْزُومًا بَزِيرِ
 عَلَى ظَهْرِهِ ، وَخْتُومًا بِقَارِ
 قُلْتُ : الزَّيْرُ مُلْهِيَةٌ وَلَهْوٌ
 وَخَلْتُ الْقَارَ مِنْ دَنِّ الْعُقَارِ
 وَخَلْتُ الظَّهْرَ أَهْيَفَ قُرْطَقِيًّا
 يَحِيلُ الْعَقْلَ مِنْهُ بِأَخْوِرَارِ (٣)
 فَهَمَّتْ إِلَيْكُمْ طَرَبًا وَشَوْقًا
 فَمَا أَخْطَأْتُ دَارَكُمْ بَدَارِ
 فَكَيْفَ تَرُونَنِي وَتَرُونَ وَجْدِي
 أَلَسْتُ مِنَ الْفَلَّاسِفَةِ الْكِبَارِ؟
 وَقَالَ الطَّائِي :

أَتَضَعُضْتُ عِبْرَاتُ عَيْنِكَ أَنْ دَعَتْ
 وَرَقَاءُ حِينَ تَضَعُضُ الْإِظْلَامَ (٤)

لأبي تمام

(٢) الزير : الور

(١) الآذى : الموج

(٣) القرطقي : الذي يلبس القرطقي ، وهو ضرب من رقيق اللباس

(٤) في الديوان (٢٧٩) « أتحدت عبرات عينك »

لا تنسجن لها؛ فإن بكاءها ضحك، وإن بكاءك استغرام
 هن الحمائم وإن كسرت عيافة من حائهن فإنهن حمام

وروى يموت ابن الزرع قال: كان أحمد بن المدبر إذا مدحه شاعر فلم أحمد بن المدبر
 يرض شعرة قال لعلامه: أمض به إلى المسجد الجامع فلا تفارقه حتى يصلي والجلل الشاعر
 مائة ركعة، ثم خله؛ فتحاماه الشعراء، إلا الأفراد المجيدين؛ فجاءه أبو عبد الله
 الحسين بن عبد السلام المصري المعروف بالجلل، فاستأذنه في النشيد، فقال: قد
 عرفت الشرط؟ قال: نعم، وأنشده:

أردنا في أبي حسن مديحا كما بالمدح ينتجع الولاية
 فقلنا: أكرم الثقلين طرا ومن كفاه دجلة والفرات
 فقالوا: يقبل المدحات لكن جوائزهم عليهن الصلاة
 فقلت لهم: وما تغني صلاتي عيالي! إنما الشأن الزكاة
 [فأما إذ أبي إلا صلاتي وعاقنتي الهوم الشاغل] [صلى
 فيأمر لي بكسر الصاد منها فتصبح لي الصلاة هي الصلات

فضحك واستظرفه، وقال: من أين أخذت هذا؟ قال: من قول

أبي تمام الطائي:

هن الحمائم فإن كسرت عيافة من حائهن فإنهن حمام
 فأحسن صلته.

وقال الأمير أبو الفضل الميكالي لقوم من أهل مرو انخلعوا عن طاعته:
 يارا كبا أضحى يحب بعنسه ليوم مرو على الطريق المنيح
 أبلغ بها قوما أثاروا فتنة ظلت لها الأكبأد رهن تقطع
 إذ أقعدوا ظلما على سلطانهم بالعدر وانخلع الذميم المقطع
 وبحل عقد لوائه وإباحة لجنابه وحريمه المتمنع

لأبي الفضل
 الميكالي في أهل
 مرو

أبلغهم أنى اتخذت لفعالهم
 أما اللواء وحله فمخبر
 والخلع يخبر أن ستخلع عنهم
 والغدر يني أن تغادر في الوغى
 والفرقتان فشاهد معنهما
 فنسمعا لمقاتلي وتأهبوا
 فالله ليس بغافل عن أمركم
 فألاً ، له في القوم أسوأ موقع
 عن حل عقد بينهم مستجمع
 أرواح بالقتل الأشد الأشنع
 أشلاؤهم لنسوره والأضبع
 بتفرق لجميعهم وتصدع
 بدميم بغيركم لشراً المصرع
 حتى تحل بكم عقوبة موجع

قال أبو عثمان الجاحظ : سمعت النظام ، وذكر عبد الوهاب الثقفي ، قال :

هو أجلي من أمن بعد خوف ، وبرء بعد سقم ، ومن خصب بعد جذب ، وغنى
 بعد فقر ، ومن طاعة المحبوب ، وفرج المكروب ، ومن الوصال الدائم ،
 والشباب الناعم .

الثقفي يصف
 رجلاً يرتاح
 إليه

[ابن أبي دواد يعفو عن الجاحظ]

وكان الجاحظ مائلاً عن ابن أبي دواد إلى محمد بن عبد الملك الزيات ، فلما
 نكب محمد بن عبد الملك أدخل الجاحظ على ابن أبي دواد مقيداً ، فقال له أحد:
 والله ما أعلمك إلا متناشياً للنعمة ، كفوراً للصنعة ، معدداً للساوى ، وما فتى
 باستصلاحى لك ، ولكن الأيام لا تصلح منك ؛ لفساد طويتك ، ورداءة
 دخيلتك ، وسوء اختيارك ، وتغالب طباعك .

ابن أبي دواد
 والجاحظ

فقال الجاحظ : خفف عليك ، أصلحك الله ، فوالله لأن يكون لك الأمر
 على خير من أن يكون لي عليك ، ولأن أسىء وتحسن أحسن في الأحدثنة
 من أن أحسن قنسىء ، ولأن تعفو عنى على حال قدرتك على أن تجمل بك من
 الانتقام منى ، فعفا عنه (١) .

(١) انظر بقية هذا المجلس في إرشاد الأريب (٦ / ٥٩) .

[عتبة بن أبي سفيان وأعرابي]

قال سعد مولى عتبة بن أبي سفيان : خطب عتبة الناس في الموسم سنة إحدى وأربعين ، والناس إذ ذاك حديثو عهدٍ بالفتنة ؛ فقال : قد ولينا هذا المقام الذي يُضاعفُ فيه للمحسن الأجرُ ، وللمسيء الوزرُ ؛ ونحن على سبيل قصد ، فلا تمدُّوا الأعناقَ إلى غيرنا ؛ فإنها تقطع دوتنا ؛ فربَّ ستمنَّ أمراً حثفه في أمينته ؛ فاقبلوا منا العافية ما قبلناها منكم^(١) ؛ وأنا أسأل الله أن يُعين كلاً على كلِّ .

فناداه أعرابيٌّ من ناحية المسجد : أيها الخليفة ، فقال : لستُ به ولم تُبعد ، قال : يا أخاه ، قال : سمعتُ قتل ، فقال : والله لأن تحسنوا وقد أسأنا خيرٌ من أن تسيئوا وقد أحسننا ، فإن كان الإحسان منكم فما أولاًكم بإتمامه ، وإن كان منّا فما أولاًكم بمكافأتنا عليه ، وأنا رجلٌ من بني عامر بن صعصعة يمتُّ بالعمومة ويختصُّ بالخوالة ، كثرَ عياله ، ووطئه زماؤه ، [وبه فقر] وفيه أجر ، وعنده شكر .

فقال له عتبة : أستغفر الله منك ، وأستعين به عليك ، وقد أمرتُ لك بفنائك ، فليت إسراعي إليك يقوم بإبطائي عنك !

[بين الجاحظ وابن الزيات]

قال الجاحظ : تشاغلنا مع الحسن بن وهب أخى سليمان بن وهب بشرِّب النبيذ أياماً ، فطلبني محمد بن عبد الملك لمؤانسته ، فأخبر باتصال شغلي مع الحسن ابن وهب ، فتنكر لي ، وتلون عليّ ؛ فكتبتُ إليه رقعة نسختها : أعاذك الله من سوء الغضب ، وعصمك من سرف الهوى ، وصرف ما أعارك من القوة إلى حبِّ الإنصاف ، ورجح في قلبك إشار الاناة ، فقد خفتُ — أيديك الله ! —

(١) زاد في الأمالي (٢٣٦/١) « وأياكم ولوا ؛ فإنها أتعبت من كان قبلكم ، ولن ترجح من بعدكم » .

أن أكون عندك من المنسوين إلى نَزَقِ السفهاء ، ومُجَانِبَةِ سُبُلِ الحكماء ،
وبعدُ ، فقد قال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت :

وإن امرأً أُمسى وأصبحَ سألماً من الناس إلا ما جَنَى لَسَعِيدُ
وقال الآخر:

ومن دعا الناس إلى ذمِّه ذمُّوه بالحقِّ وبالباطلِ

فإن كنتُ اجترأتُ عليك - أصلحك الله! - فلم اجترئُ إلا لأنَّ دوامَ
تغافلِكَ عنى شبيهٌ بالإهمال ، الذى يُورِثُ الإغفال ، والعمو المتتابع يؤمنُ مِنَ
المكافأة ، ولذلك قال عُمَيَّيْنَةُ بن حِصْنِ بن حذيفة لعثمان رحمه الله : عمر كان خيراً لى
منك ، أرهبني فأتقاني ، وأعطاني فأغناني ، فإن كنت لا تهبُّ عقابي - أيدك الله! -
لخدمَةِ فهبه لأيديك عندى ؛ فإنَّ النعمة تشفع فى النِّقمة ، وإلا تفعل ذلك
لذلك فعدُّ إلى حُسْنِ العادة ، وإلا فافعلْ ذلك لحُسْنِ الأحدثة ؛ وإلا فات
ما أنتَ أهله من العفو دون ما أنا أهله من استحقاق العقوبة ، فسبحان مَنْ
جعلكَ تعفو عن المتعمد ، وتتجافى عن عقابِ المُصرِّ ، حتى إذا صرت الى مَنْ
هَفْوَتُهُ ذِكْرٌ ، وذنبه نسيان ، ومن لا يعرف الشكرَ إلا لك ، والإنعامَ إلا منك
هجمتَ عليه بالعقوبة . واعلم - أيدك الله! - أن شَيْنَ غَضَبِكَ على كَرِيْمِ
صَفْحِكَ عنى ، وأن موتَ ذِكْرِي مع انقطاع سببى منك كحياةِ ذكرك مع اتصال
سببى بك ، واعلم أن لك فطنة عليم ، وغفلة كَرِيم ، والسلام .

[من كلام على - رضى الله عنه! - فى أعجب ما فى الإنسان]

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : أعجَبُ ما فى الإنسان قلبُه ، وله
مواد من الحكمة ، وأضداد من خِلافها ؛ فإن سَنَحَ له الرجاء أذَّله الطمع ، وإن
هاجه الطمعُ أهلكه الحرص ، وإن ملكه اليأسُ قَتَله الأسف ، وإن عرض له
الغضب اشتدَّ به العَيْظ ، وإن أسعد بالرضا نسي التحفظ ، وإن أتاه الخوفُ

شغله الحذر ، وإن اتسع له الأيمن استلبته الغيرة ، وإن أصابته مصيبة فضحه
الجزع ، وإن استفاد مالا أطفاه الغنى ، وإن عضته فاقة بلغ به البلاء ، وإن
جهد به الجوع قعد به الضعف ، وإن أفرط في الشبع كظته البطنة ، فكل
تقصير مضر ، وكل إفراط له قاتل .

* * *

لعبد الرحمن
بن حسان

البيت الذي أنشده الجاحظ لعبد الرحمن بن حسان في أبيات يقول فيها :
متى ما يرى الناس الغنى وجاره فسير يقولوا : عاجزٌ وجليدٌ
وليس الغنى والفقير من حيلة الفتى ولكن أحاط قسمت وجدودٌ
وإن امرأ يمسي ويصبح سالماً من الناس إلا ما جنى لسعيد
والبيت الذي أنشده بعده لمحمد بن حازم الباهلي في أبيات يقول فيها :

لمحمد بن حازم
الباهلي

إن كنت لا ترهب دمي لما تعلم من صفحي عن الجاهل
فاخش سكوتي آذناً منصتاً فيك لمسمع حنى القاتل^(١)
فسامع الشر شريك له ومطعم المأكول كالأكل
مقالة سوء إلى أهلها أسرع من منحدر سائل
ومن دعا الناس إلى ذمه ذموه بالحق وبالباطل
فلا تهج ، إن كنت ذا إزبة ، حرب أخي التجربة العافل
فإن ذا العقل إذا هجته هجته به ذا خبل خابل
تبصر في عاجل شداته عليك غيب الضرر الآجل
وفي ابن الزيات يقول الجاحظ :

للجاحظ في
ابن الزيات

بدأ حين أترى لإخوانه فقلل منهم شبة العدم
وأبصر كيف انتقال الزمان فبادر بالعرف قبل الندم

[الجاحظ ورجل من البرامكة في مرضه]

قال بعض البرامكة : كنت أتقلد السند ، فاتصل بي أني صرقتُ عنها ،

(١) حفظي « فاخش سكوتي إذ أنا منصت » (م)

وكنت كسبت ثلاثين ألف دينار، فَخِفتُ أن يَفْجَأني الصارف ، وَيُسعى إليه بالمال، فَصُعْتُه عشرة آلاف إهليلجَة^(١) في كل إهليلجَة ثلاثة مثاقيل، وجعلتها في رَحلي، ولم أبعُد أن جاء الصارف ؛ فركبْتُ البحرَ ، وانحدرتُ إلى البصرة ؛ فخبِرتُ أن بها الجاحظ ، وأنه عليل ؛ فأحببت أن أراه قبل وفاته ، فصيرتُ إليه ، فأفضيتُ إلى بابِ دارِ لطيف ، فقرَعْتُه ، فخرجتُ إلى خادمٍ صفراء ، فقالت : مَنْ أنت ؟ فقلت : رجل غريب أحبُّ أن يدخل إلى الشيخ فيسرَّ بالنظر إليه ، فأدتْ ماقلتُ ، وكانت المسافة قريبة لصغر الدهليز والحجرة ، فسمعتُه يقول : قولي له : وما تصنع بشق مائل ، ولعاب سائل ، ولون حائل ؟ فأخبرتني ، فقلت : لا بدَّ من الوصول إليه ، فقال : هذا رجل قد اجتاز بالبصرة ، فسمع بي وبعلي ، فقال : أراه قبل موته ؛ لأقول : قد رأيت الجاحظ .

فدخلت فسلمت فردَّ رداً جميلاً واستدَّ نأني ، وقال : مَنْ تكون ؟ أعزك الله ! فانسَبْتُ له ، فقال : رحم الله أباك وقومك الأسخياء الأجواد ، الكرام الأجداد ، لقد كانت أيامهم رَوْضَ الأزمنة ، ولقد انجبر بهم خلق ، فسقياً لهم ورعياً ؛ فدعوت له ، وقلت : أنا أسألُ الشيخ أن يُنشدني شيئاً من الشعر أذكره به ، فأنشدني :

لئن قدَّمتُ قبلي رجالٌ فظالما مَشَيْتُ على رِسْلي فكنت المتمدِّما^(٢)
ولكنَّ هذا الدهرُ تأتي ضروفه فتُبرِّمُ منقوضاً ، وتنقضُ مُبرِّما

ثم نهضتُ ، فلما قاربتُ الدهليز صاحَ بي فقال : يا فتى ؛ أرايتَ مفلوجاً يَنْفَعُه الإهليلج ؟ فقلت : لا ، قال : فأنا يَنْفَعُ الإهليلج الذي معك ، فأنفذُ إلىَّ منه ، فقلت : السمع والطاعة ، وخرجت مُفْرِطَ التعجب من وقوعه على خَبْرِي ، حتى كأنَّ بعضَ أحبَّائي كاتبه بخَبْرِي حين صُعْتُه ، فأنفذتُ إليه مائة إهليلجَة .

(١) الإهليلج : عر قريب الشكل من البلج ، والواحدة بهاء ، يريد أنه صاغ

الذهب على شكل الإهليلج (م)

المقامة الجاحظية

مقامة من إنشاء البديع تتعلق بذكر الجاحظ [

قال : حدثنا عيسى بن هشام قال : جمعتني مع رُقعة وليمية ، وأجبتُ إليها للحديث المأثور فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لودُعيتُ إلى كُراع لأجبتُ ، ولو أهدى إلى ذراع لقبلت » ، فأفضى بنا السيرُ إلى دارٍ قد فرُش بساطُها ، وبُسِطت أنماطُها ، ومُدَّت سَمَاطُها ، وقومٌ قد أخذوا الوقت بين آسٍ مخضود ، ووَزِدٍ منضود ، ودَنٍّ مَقْصود ، ونأى وعود ؛ فصِرْنَا إليهم وصاروا إلينا ، ثم عكفنا على خِوانٍ قد مُلِئت حياضُه ، ونوَرَت رِياضُه ، واصطفت حِفائُه ، واختلفت ألوانُه ؛ فمن حالِكٍ بإزائه ناصع ، ومن قانٍ في تلقائه فاقع ، ومعنا عني الطعام رَجُلٌ تُسَافِرُ يَدُه على الخِوان ، وتَسْفِرُ بين الألوان ، وتأخذ وجوه الرُغفان ، وتَفْقَأُ عيونَ الجفان ، وترعى أرضَ الجيران ^(١) ؛ يَرَحَمُ اللقمة باللقمة ، ويهزِمُ المَضْغَةَ بالمضْغَةِ ، وهو مع ذلك ساكتٌ لا يَنبِسُ ، ونحن في الحديث نجري معه حتى وقف بنا على ذِكْرِ الجاحظ وخطابته ، ووصف ابن المقفع وذرايته ، ووافق أول الحديث آخرَ الخِوان ، وزُلنا عن ذلك المكان ، فقال الرجلُ : أين أنتم من الحديث الذي فيه كنتم ، فأخذنا في وصف الجاحظ ولِسِنِه ، وحُسنِ سننِه في الفصاحة وسُننِه فيما عرفناه ؛ فقال : يا قومُ ؛ لكلِّ عملٍ رجال ، ولكلِّ مقامٍ مقالٌ ، ولكلِّ دارٍ سُكَّانٌ ، ولكلِّ زمانٍ جاحظٌ ، ولو انتقدتم ، لبطلَ ما اعتقدتم ، فكلُّ كَشْرٍ له عن نابِ الإنكار ، وشمٌّ بأنفِ الإكبار ، وضِحْكٌ إليه ، لأجلبَ ما لديهِ ، وقلت : أفدنا وزدنا ، فقال : إنَّ الجاحظَ في أحدِ شقَيِ البلاغة يَقْطِفُ ؛ وفي الآخرِ يَقِفُ ، والبلغُ من لم يُقْصِرْ نظْمُه عن نثرِه ، ولم يُزِرْ كلامُه بشعرِه ، فهل ترؤون

(١) في المقامات « تجول في القصة ، كالرخ في الرقعة » - والرخ : قطعة في لعبة

الشطرنج تسير يمينا وشمالا وخلفا وأماما من أول الرقعة إلى آخرها (م)

للجاحظ شعرا رائعا؟ قلنا: لا، قال: فهلوا إلى كلامه؛ فهو بعيدُ الإشارات، قريبُ العبارات، قليلُ الاستعارات، منقادُ لعيان الكلام يستعمله، نفورٌ من مُعتاصه يُهمله، فهل سمعتم له بكلمة غير مسموعة، أو لفظة غير مصنوعة؟ قلت: لا، فقال: هل تحب أن تسمع من الكلام ما يخففُ عن منكبيك، ويقيمُ على ما في يديك؟ قلت: إي والله، قال: فأطلق لي عن خنصرِكَ ما يعين على شكرِكَ، فأنته ردائي، فقال:

لَعَمْرُ الَّذِي أَلْتَقَى إِلَيَّ ثِيَابَهُ لَقَدْ كَسَبْتَ تِلْكَ الثِّيَابُ بِهِ مَجْدًا
وَقَدْ قَمَرَتْهُ رَاحَةُ الْجُودِ بَرَّةً فَمَا ضَرَبْتَ قِدْحًا وَلَا نَصَبْتَ نَزْدًا
أَعِدْ نَظْرًا يَا مَنْ كَسَانِي ثِيَابَهُ وَلَا تَدْعِ الْأَيَّامَ تَهْدِمُنِي هَدَا
وَقُلْ لِلأُلَى إِنْ أَسْفَرُوا أَسْفَرُوا ضَحَى وَإِنْ ظَلَعُوا فِي غَمَّةٍ ظَلَعُوا وَرَدَا
صَلُّوا رَحِمَ الْعَلِيَّاءِ وَبَلُّوا لِهَاتِهِمَا فَخَسِرُ النَّدَى مَا سَحَّ وَابِلُهُ نَقْدًا

قال عيسى بن هشام: فارتاحت الجماعة إليه، واثالثت الصلواتُ عليه، وقلت لما تآانسنا: من أين مطلع هذا البدر؟ فقال:

إِسْكَندَرِيَّةٌ دَارِي لَوْ قَرَّ فِيهَا قَرَارِي
لَكِنَّ لَيْلِي بِنَجْدِي وَبِالْحِجَازِ نَهَارِي

[من كلام الملوك]

تظلمت رعيَّةُ أردشير بن بابك إليه في سنة مُجْدِبَةٍ لَعَجَزِهِمُ عَنِ الْخُرَاجِ، وسألته أن يخففه عنهم؛ فكتب لهم ما نسخته: من أردشير المزيد بالبهاء، ابن الملوك العطاء، إلى الفقهاء الذين هم حَفَظَةُ الْبَيْضَةِ، والكتَّاب الذين هم سَاسَةُ الْمَمْلُوكَةِ، وذوى الحِرْث الذين هم عِمْرَةُ الْبِلَادِ، أما بعدُ، فإنَّا نحمدُ الله تعالى حمدَ الصالحين، وقد وضعنا عن رعيئنا بفضل رأفتنا إناوتنا الموطَّفة عليهم سنتنا هذه، ونحن كاتبون مع ذلك مُعْلِمِهِمْ بِوَصِيَّةِ تَنْفَعُ الْكُلَّ: لا تستشعروا الحقدَ

من كلام
أردشير
ابن بابك

لثَلَا يَغْلِبَ عَلَيْكُمُ الْعِدُوَّةُ ، وَلَا تَحْبُوا الْاِحْتِكَارَ لِثَلَا يَشْمَلِكُمُ الْقَحْطُ ، وَكُونُوا
لِلْغُرَبَاءِ مُؤْتِينَ ، لِتَتَوَوَّأُوا فِي الْمَعَادِ ، وَتَرْوَجُوا فِي الْقَرَابَةِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ لِلرَّحِمِ ،
وَأُثْبِتُ لِلنَّسَبِ ، وَلَا تَعْدُوا هَذِهِ الدُّنْيَا شَيْئًا فَإِنَّهَا لَا تُبْقَى عَلَى أَحَدٍ ، وَلَا تَرْفُضُوهَا
مَعَ ذَلِكَ ؛ فَإِنَّ الْآخِرَةَ لَا تُنَالُ إِلَّا بِهَا .

من كلام
بزرجمهر

وقيل لبزرجمهر : أَيْ الْاِكْتِسَابَ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : الْعِلْمُ وَالْأَدَبُ كَنْزَانِ
لَا يَنْفَقَانِ ، وَسِرَّاجَانِ لَا يُظْفَنَانِ ، وَحُلَّتَانِ لَا تَبْلِيَانِ ؛ مَنْ نَاهَا نَالَ أَسْبَابَ
الرِّشَادِ وَعَرَفَ طَرِيقَ الْمَعَادِ ، وَعَاشَ رَفِيعًا بَيْنَ الْعِبَادِ .

من كلام
أنوشروان

وقال أنوشروان لبزرجمهر لما ظفر به : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَظْفَرَنِي بِكَ ، قَالَ لَهُ :
فَكَافَيْتَهُ بِمَا يَجِبُ كَمَا أَعْطَاكَ مَا تَحِبُّ . قَالَ : وَبِمِ أَكْفَيْتَهُ يَا فَاسِقُ ؟ قَالَ :
بِالْعَفْوِ عَمَّنْ أَظْفَرَكَ بِهِ الْيَوْمَ كَمَا تَحِبُّ أَنْ يَعْفُوَ عَنْكَ غَدًا .

ونظيرُ هذا الكلام قد تقدّم لعلّي رضى الله عنه .

وقيل لكسرى : أَيْ الْمُلُوكَ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : الَّذِي إِذَا جَاوَرْتَهُ وَجَدْتَهُ عَلِيمًا ،
وَإِذَا خَبَرْتَهُ وَجَدْتَهُ حَكِيمًا ، وَإِذَا أَغْضَبَكَ كَانَ حَلِيمًا ، وَإِذَا ظَفَرَكَ كَانَ كَرِيمًا ،
وَإِذَا اسْتَمْنَحَ مِنْكَ جَسِيمًا ، وَإِذَا وَعَدَكَ وَفَى ، وَإِنْ كَانَ الْوَعْدَ عَظِيمًا ، وَإِذَا شَكِيَ
إِلَيْهِ وَجَدَ رَحِيمًا .

[من رسائل الميكالى]

كتاب منه
للشعالي

كتب الأمير أبو الفضل الميكالى إلى أبي منصور عبد الملك بن محمد بن
إسماعيل الشعالي : كِتَابِي وَأَنَا أَشْكُو إِلَيْكَ شَوْقًا لَوْ عَالَجَهُ الْأَعْرَابِيُّ لِمَا صَبَّأَ إِلَى
رَمْلِ عَالِجٍ ، أَوْ كَابَدَهُ الْخَلِيءُ لَا نَنْتَقِي عَلَى كَبِيدِ ذَاتِ حُرْقٍ وَلَوْ أَعِجَ ؛ وَأَذَمُّ زَمَانًا
يَفْرُقُ فَلَا يَحْسُنُ جَمْعًا ، وَيَحْرَقُ فَلَا يَنْوِي رَقْعًا ، وَيُوجِعُ الْقَلْبَ بِتَفْرِيقِ شَمْلِ
ذَوِي الْوَدَادِ ، ثُمَّ يَبْخَلُ عَلَيْهِمْ بِمَا يَشْفِي الصَّدُورَ وَالْأَكْبَادَ ؛ قَاسَى الْقَلْبَ فَلَا

يلينُ لاستعطاف ، جائر الحكم فلا يميلُ إلى إنصاف ، وكم أستعدي على صرْفِه
وأستنجِد ، وأتَلَطَّى غيظا عليه وأنشد :

مق وعسى يئثني الزمانُ عِناهُ بعثرةِ حالِ والزمانُ عَثورُ
فتدركُ آمالُ وتُقضى مآربُ وتحدثُ من بعد الأمورُ أمورُ

وكلاً ، فما على الدهر عتب ، ولا له على أهله ذنب ؛ وإنما هي أقدار تجزى
كما شاء مُجرِئها ، وتنفذ كالمسهم إلى مرآمِها ؛ فهي تدورُ بالمكروه والمحجوب ،
على الحكم المقدر والمكتوب ، لا على شهوات النفوس وإرادات القلوب ؛
وإذا أراد الله تعالى أذن في تفریب البعيد النازح ، وتسهيل الصَّعب الجامح ،
فيعود الأُنسُ بقاءك الإخوان كأنهم ما لم يزل معهوداً ، ويجدد للمذاكرة والمؤانسة
رسوماً وعهوداً ؛ إنه الملتبى به ، والقادرُ عليه .

وله إلى أبيه : ولو مَلَكْتُ عِنانَ اختياري ، وأسعفتي ببعض ما أقترحه
القَدْرُ الجارى ، لما غِبتُ عن حضرته - آنسها الله ! - ساعةً من دهرى ، كما الأعدَّ
ساعاتِ بُعدي عنها وإخلاقى لبابها من أيامِ عمرى ؛ ولكنى أبدأً مانلاً بها
في زمرة الخدم والعبيد ، جامعاً بها بين حاشيتي العز المديد ، والشرف العتيد ؛
لا سيما في هذا الوقت وقد أشرقت البلاد بنور طلعتة التي هي في ظلمة الدَّهر صباح ،
وعز مطالعته التي فيها لصدور ذوى الشَّنأ شجاً ولزَنَدِ الآمال اقتداح ، ومعاودة
ظِلِّهِ التي أضحتِ الشمسُ من حساده ، والزمان من عدد ساكنيه وعتاده ،
إلا أن الحريص - كما علمه مولانا - مُخْلِ عن أعذب موارده ، وممنوع بالعوائق
عن أكرم مطالعه ومقاصده .

كتاب منه
إلى أبيه

وله يستفتح مكاتبة بعض إخوانه :

أنا وإن لم تتقدم بيني وبينه المكاتبة ، وعادة المساجلة والمفاوضة ، من فرط
حِرْصى على افتتاحها وتعاطيها ، واعتراض العوائق دون المراد والغرض فيها ، فإن

كتاب منه
يستفتح به
مكاتبة أخ

قلبي بودّه مغمُور، وضميرى على مُصافاته مقصور، فاعتداده لفضائله التي أصبح فيها أو حدى العنان، وزاحم فيها منكب العنان^(١)، واستأثر فيها بالفرير والواضح، ما أوفى بها على غرة الصباح، حتى تشاهدت بها ضمائر القلوب، وتهادت أنبائها السنّة البعيد والقريب، اعتداداً من يجمعُ بالاعتداد لها بين شهادة قلبه ولسانه، ومن ينظم في إجلال قدرها صفقة إسراره وإعلانه، فهو يتنسمُ الريح إذا هبت من ناحيته شوقاً وزاعاً، ويستمتلي الوارد والصادر خبر سلامة انصياعاً بالود إليه وانقطاعاً.

فقر
من كلامه

شذور من كلامه في أثناء رسائل شتى : أياديه التي غمرتنى سجالها، واتسع عندي مجالها، وأغيا شكرى عفوها وانثيالها، تناولت فيها المنى دانية القطوف، واجتليت أنوار العيش مأمونة الكسوف، ليس يكادُ يبرد غليل شوقى وحنينى، أو ترجع نافرة انسى وسكونى، أو تخلو من الاهتمام والفكرة فيه خواطرى وظنونى، إلا بالتقاء يدنو أمده، ويقرُب موعدُه، وتعلو على الفراق يده، فتعود العيش طلقاً غزيراً، ونجحتى ثمر المنى غصناً نضيراً، ونجحتلى وجه الزمان مشرقاً منيراً. فوائده لها عندي أثر الغمام أو أنفع، ومحل السمك أو أرفع. حالى فى مفارقة حضرته حال بنات الماء قد نصب عنها الغدير، ونبات الأرض^(٢) أخطأها النوء المطير. لحفى على دهر الحدائث إذ غصنُ شبابى غض وريق، ونقلُ شرابى عض وريق. كلام أحلى من ريق النحل، وأضفى من ريق الوبل. من تسود قبل وقته وآلته، فقد تعرض لَمَقْتِه وإذالته. نظمه له :

إن من يلتمس الصد ر بلا وقت وآله

لحقيق أن يلقى كل مقت وإذاله

الشكل للكتاب، كالحلى للكعاب. لو كان الشباب فِضة لكان الشيب له خبثاً. النعمة عروس مهرها السكر، وثوب صوته النسر. الخضاب تذكرة الشباب. لانتقاس المهاوى بالمرأى، ولا الأقدام بالتراقى، ولا البحور بالسوقى.

(١) العنان بكسر العين : أصله ما تقاد به الدابة. وفتح العين : السحاب (م).

(٢) فى المطبوعات كلها « ونبات الأرض » (م).

كم أبلاني من عُرْفٍ جَزِيلٍ لا يُبْلِي الدهرُ جِدَّةَ رِدَائِهِ ، وقضاني من دَيْنٍ
تَأْمِيلٍ لا يَقْضِي الشُّكْرُ حَقَّ نِعْمَانِهِ . الشُّكْرُ لِلنِّعْمَةِ تَنَاجٍ ، وَالكَفْرَانُ لِهَارِ تَنَاجٍ ،
وكلما زدت النعمة شُكْرًا ، زادت طيبًا ونَشْرًا .

قطعة من شعره في تجنيس القوافي

قال في أبيه :

مبدعاً في شمائل المجدِ خِيماً ما اهتدينا لأخذه واقتباسه^(١)
فهو فظٌّ بالمالِ وقتِ نداءهِ وجوادٌ بالعفوِ في وقتِ بئسه
وقال فيه :

إذا ما جادَ بالأموالِ نثي ولم تُدرِكهُ في الجودِ الندامةُ
وإن هَجَسَتْ خواطرُهُ بجمعِ لربِّ حوادثٍ قال الندي مَه^(٢)
وقال فيه :

ولما تنازعَ صَرفُ الزمانِ فزغنا إلى سيدِ نابه
إذا كَثَرَ الدهرُ عن نابه كَشَفْنَا الحوادثَ عَنَّا به
وقال فيه :

إن نَابنا حَظْبُ فآراؤهُ تقنى عن الجيسِ وتسريره
وإن دَجَا ليلٌ بدأ نورهُ للركبِ نجماً فهو يسرى به
وقال يفتخر :

وكم حاسدٍ لي أنبى فأنثني لِقْضَةَ نَفْسٍ شَجَّاهَا شَجَّاهَا
ومن أينَ يَسْمُو لَنَيْلِ العِلاّ وما بثَّ مالاّ ولا رَاشَ جَاهَا
ومها قوله :

وسائلُهُ تَسْأَلُ عنِ عَمالي وَعَمَّا حازَ في الدنْيا جَمالي

(١) الحيم - بكسر الحاء - السجية والطبع (م).

(٢) الندي : الجود والبر ، ومه : اسم فعل معناه اكفف (م).

قلت : إلى المعالي حنَّ قلبي
وللعلياء نهجٌ مستقيمٌ
إذا أسرجتُ في فخرٍ سَمَائي
وقال في نوع من هذا الجنس :

ومن يسرِّ فوق الأرض يطلبُ غايَةً
ومن يختلفُ في العالمين نجارهُ
ومن يتجرُّ في المال يكسِبُ ربحهُ
من المجد يسرى فوق جُمُجُمَةِ النَّسرِ
فإنَّا من العلياء نجري على نَجْرِ (١)
فباللَّ نَسرى رايحَ الحَمْدِ والنَّشْرِ

وعلى نحو هذا الخذوي يقول أبو الفتح البستي :

لأبي الفتح
البستي

أبا العباس لا تحسب بأني
ولي طنبع كستسأل المجاري
إذا ما أكتب الأذوار زندا
وقال أبو الفتح البستي أيضاً :

بسيِّفِ الدولة أنسقتُ أمورهُ
سما وحي بنى سامٍ وحامٍ
رأيناها مُبَدَّدةَ النَّظامِ
فليس كمنه سامٍ وحامٍ

[أدب الحاجب]

بين ملك
وحاجبه

قال بعضُ الملوكِ لحاجبه : إنك عيني التي أنظرُ بها ، وجنتي التي أستنم
إليها ؛ وقد وليتكَ أبى ، فما ثراك صانعاً برعيتي ؟
قال : أنظر إليهم بعينك ، وأحملهم على قدرِ منازلهم عندك ، وأضعهم لك
في إبطائهم عن بايك ولزومهم خدمتك مواضع استحقاقهم ، وأرتبهم حيث
جعلهم ترتيبك ، وأحسنُ إبلاغك عنهم ، وإبلاغهم عنك .

(١) النجر : الأصل ، ومثله النجار . بزنة الكتاب .

قال: قد وَفَيْتَ بما عليك قولاً، إن وَفَيْتَ به فعلاً؛ والله وليّ كفايتك

ومعونتك .

وصية المهدي
للفضل
ابن الربيع

قال المهدي للفضل بن الربيع: إني قد وُلِّيتُكَ سِتْرَ وجهي وكَشَفَهُ، فلا تجعل الستر بيني وبين خواصِّي سبباً لضغفهم بِقُبْحِ رَدِّكَ، وعُيُوسِ وَجْهِكَ؟ وقدّم أبناء الدعوة؛ فإنهم أَوْلَى بالتقديم، وتَنَّ بالاولياء، واجعل للعامة وقتاً إذا دَخَلُوا أَعْجَلَهُمْ ضَيْقُهُ عن التلبيث، وصَرَفَهُمْ عَنِ التمسُّكِ .

للحسن بن سهل

وقال الحسن بن سهل: إذا كان الملك محتجباً عن الرعية، ولم ينزل الوزير نفسه منزلةً تكون وسائلُ الناس إليه أنفسهم واستحقاقهم دون الشفاعات والحرمات، حتى يختصَّ الفاضل دون المفضول، ويرتب الناس على أقدارهم وأوزانهم ومعرفةهم، امتزج التدبير، واختلَّت الأمور، ولم يميز بين الصدور والاعجاز، والنواصي والأذنان، وكان الناس فَوْضَى، وَوَهَتْ أسبابُ الملك، وانتقضت مَرَاثِرُهُ، وشاعت سرايره، وإنَّ أَقْرَبَ ما أرجو به صلاح ما أتولاه استماعي من المنتسبين بأنفسهم، المتوسلين بأفهامهم، المتوصلين بكفائتهم، وإبتدالُ نفسى لهم، وصبري عليهم، وتصفحي ماتوسلوا به وانتحلوه: من العقول والآداب، والحماية والكفاية . فمن ثبتت له دَعْوَاهُ أَنْزَلْتَهُ تلك المنزلة، ولم أَتَحَيَّفْهُ حَقَّهُ، ولا تَقْصُتْهُ حَظَّهُ، ومن قَصُرَ عما ادَّعى كانت منزلته منزلة المقصرين، ولم أَخَيِّبْ أَمَلَهُ من مقدار ما يستحقُّه .

لبعض البغاة

وقال بعضُ البغاة: إذا أسدَل الِوَالِي على نفسه سِتْرَ الحِجَابِ، وَهَى عُمُودُ تَدْبِيرِهِ؛ وَاسْتَرَحَّتْ عليه حمائلُ الحَزْمِ، وازدَلَقَتْ إليه وفودُ الدَمِّ، وتولَّى عنه رشدُ الرَّاجِحِ، ونال أمورَه خَلَلُ الإلتِشارِ، وآفةُ الإِهْمَالِ، وتَسَرَّعَ إليه العائيون بلواذعِ ألسنتهم ودَبِيبِ قوارضهم .

بين سعيد بن
عبد الملك وعبيد
الله بن سليمان

وحُجِبَ سعيد بن عبد الملك عن عبيد الله بن سليمان فكتب إليه: بَرِرتُ إلى بابك - أعزك الله - عند ما حدث من أمرك، فلم يُقْضَ لِقَاؤُكَ، وعلمت أن

تَقْتَكِ بِمَا عِنْدِي، قَدْ مَمَّلَتْ لَكَ حَالِي مِنَ السَّرُورِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عِنْدَكَ ، وَأَزَّتْكَ
 موضعي من الاعتداد بكل ما خَصَّكَ ووصل إليك ، فوكلت العذر إلى ذلك .
 ثم إِنَّا نَأْتِيكَ مَتِيْمِيْنَ بِطَلْعَتِكَ ، مشتاقين إلى رؤيتك ، فيحجبنا عنك مُلَاحِظ .
 وهو كما علمت زَنِيم الصنِيعَةِ ، لئيم الطبيعة ، يُحْجِبُ عَنْكَ الْكِرَامَ ، وَيَأْذَنُ
 عَلَيْكَ لِلْإِمَامِ ، كُلَّمَا نَجَمَتْ لَهُ يَدٌ بِيَضَاءٍ ، أَتْبَعَهَا يَدَا سُودَاءٍ ؛ فَإِنْ رَأَيْتَ - أَعَزَّكَ
 اللَّهُ - أَنْ تَصْرِفَهُ عَنْ بَابِ مَكَارِمِكَ فَعَلْتَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

لأبي السمط
 بن أبي حفصة

وقال أبو السمط بن أبي حفصة :
 فَنِّي لَا يَبَالِي الْمُدْلِجُونَ بِنُورِهِ
 إِلَى بَابِهِ إِلَّا تُضِيءَ الْكَوَاكِبُ
 لَهُ حَاجِبٌ فِي كُلِّ خَيْرٍ يُعِينُهُ
 وَلَيْسَ لَهُ عَنِ طَالِبِ الْعُرْفِ حَاجِبٌ (١)
 أخذ البيت الأول من قول جده مروان بن أبي حفصة الأكبر :

لمروان بن
 أبي حفصة

إِلَى الْمُصْطَفَى الْمَهْدِيِّ خَاضَتْ رَكَبُنَا
 دُجَى اللَّيْلِ يَحْمِيظُنَ السَّرِيحَ الْمُخْدَمَا (٢)
 يَكُونُ لَهَا نُورُ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ
 دَلِيلًا بِهِ تَسْرِي إِذَا اللَّيْلُ أَظْلَمَا
 وقال إدريس بن أبي حفصة ، وذكر إبلا :

لإدريس بن
 أبي حفصة

لَهَا أَمَامُكَ نُورٌ تَسْتَضِيءُ بِهِ
 وَمِنْ رَجَائِكَ فِي أَعْنَاقِهَا حَادِي
 لَهَا أَحَادِيثٌ مِنْ ذِكْرِكَ تَشْغَلُهَا
 عَنِ الرُّتُوعِ وَتُلْهِمُهَا عَنِ الزَّادِ
 وأصله قول عمرو بن شأس الأسدي :

لعمر بن
 شأس الأسدي

إِذَا نَحْنُ أَدْجَلْنَا وَأَنْتَ أَمَامُنَا
 كُنِي لِمَطَايِبِنَا بَوَّجَهُكَ هَادِيَا
 أَلَيْسَ يَرِيدُ الْعَيْسَ خِفَةَ أَذْرُعِ ،
 وَإِنْ كُنَّ حَسْرَى ، أَنْ تَكُونَ أَمَامِيَا (٣)
 وقال بعض أهل العصر :

وَلَيْلٌ وَصَلْنَا بَيْنَ قُطْرَيْهِ بِالسَّرِيِّ
 وَقَدْ جَدَّ شَوْقٌ مُطْمَعٌ فِي وَصَالِكَ

(١) حفظي * له حاجب عن كل أمر يعينه * وهو كذلك في كتب البلاغة (م)
 (٢) الخدم : ذا الخدمة ، وهو سير يشد في رسغ البعير (م)
 (٣) حسرى : متعبات .

أَعَدَّنَ الطَّرِيقَ التَّهَجَّ وَغَرَّ الْمَسَالِكِ (١)
وَأَسْفَرَ مِنْهَا كُلُّ أَسْوَدٍ حَالِكِ
وَقَدْ نَشِبَتْ فِينَا أَكْفُفُ الْمِهَالِكِ
وَإِنْ كُنْتَ لَمَّا تُحْطِرُنِي بِبَالِكِ

أَرَبَّتْ عَلَيْنَا مِنْ دُجَاهُ حَنَادِسِ
فَنَادَيْتُ يَا أَسْمَاءُ ، بِاسْمِكَ ، فَانْجَلَّتِ
بِنَاؤُتِ مِنْ هَادِي نَجْوَانَا بِذِكْرِهِ
مَتَحْتِكَ إِخْلَاصِي وَأَصْفِيَتِكَ الْهُوِي
وَقَالَ الْقَطَامِي :

للقطامي

دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى انْجَابَ عَنْهُ دِيَا جِرُهُ
لِذِكْرَاكُمْ أَمْ يَسْجُرُ اللَّيْلَ سَاجِرُهُ

ذَكَرْتُكُمْ لَيْلًا فَنَوَّرَ ذِكْرُكُمْ
فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي أَضْوَاءَ مُسْجَرٍ
وَقَالَ الْقَيْنِي :

للقينى

إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ
بِدَا كَوَكَبٌ تَأْوِي إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ
دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجُرْعَ تَاقِبُهُ

وَإِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمُ هُمُ
نَجُومُ سَمَاءٍ كُلَّمَا انْقَضَ كَوَكَبٌ
أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوَجُوهُهُمْ
وَقَالَ الْحَطِيبَةُ :

للحطيبة

كَمَا أَضَاءَتْ نَجُومُ اللَّيْلِ لِلْسَّارِي
مِنَ الْأَيَّامِ مُظْلِمَةً أَضَاءُوا

نَمَشَى عَلَى ضَوْءِ أَحْسَابِ أَضْآنِ لَنَا
وَقَدْ رَدَّدَهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فَقَالَ :
هَمُّ الْقَوْمِ الَّذِينَ إِذَا أَلَمْتُ

وَكَلَامِ الْقَاسِمِ بْنِ حَنْبَلِ الْمَدَنِيِّ مِنْ هَذَا ، حَيْثُ يَقُولُ :

لَوْ أَنَّكَ تَسْتَضِيءُ بِهِمْ أَضَاءُوا
وَمَكْرُمَةٌ دَنَتْ لَهُمُ السَّمَاءُ
وَمَنْ كَرَّمَ الْعَشِيرَةَ حَيْثُ شَاءُوا

مِنَ الْبَيْضِ الْوَجُوهِ بَنِي سِنَانٍ
فَلَوْ أَنَّ السَّمَاءَ دَنَتْ لِمَجْدٍ
هُمْ حَازُوا مِنَ الشَّرَفِ الْمَعْلَى
وَقَالَ بَعْضُ الْمُتَقَدِّمِينَ :

للقاسم بن حنبل
المدني

كَفَّوْا خَاطِبَ الظَّلْمَاءِ فَقَدَّ الْمَصَابِحَ
فَكَمْ تَمَّ مِنْ أَسَى جِرَاحٍ وَجَارِحِ
وَقَالَ أَبُو بَدِيلِ الْوَضَّاحِ بْنِ مُحَمَّدِ التَّنِيْمِيِّ فِي الْمُسْتَعِينِ :

إِذَا أَشْرَقَتْ فِي جُنْحِ لَيْلٍ وَجُوهُهُمْ
وَإِنْ نَابَ خَطْبٌ أَوْ أَلَمَتْ مُلَمَّةٌ
وَقَالَ أَبُو بَدِيلِ الْوَضَّاحِ بْنِ مُحَمَّدِ التَّنِيْمِيِّ فِي الْمُسْتَعِينِ :

(١) أربت : زادت ولزمت ، والدجى : جمع دجية ، وهى الظلام ، والحنادس :

الظلمات ، واحدها حندس (م) .

وقائلة والليل قد نشر الدجى
أرى بارقاً يبدؤ من الجوسق الذي
أضاءت له الآفاق حتى كأنما
فضل عذارى الحى ينظمن تحتة
فقلت : هو البدر الذى تعرفونه
فغطى بها ما بين سهلٍ وقرَدٍ (١)
به حلّ ميراثُ النبيِّ محمدٍ
زأيناً بنصفِ الليلِ نورَ ضحى غدٍ
سلوكاً من الجزعِ الذى لم يسرد
وإلا يكن فالنورُ من وجهِ أحمد

[حث الاشتياق]

وقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة في معنى قول عمرو بن شأس في حث
الاشتياق :

خلى ما بال المطايا كأنما
فقد أتعب الحادى سراهن ، وانحنى
وقد قطعت أعناقهن صباية
يزدن بنا قرباً فيزداد شوقنا
تراها على الأعقاب بالقوم تنكص
بهن - فما بالوا - ، تجول مقلص
فأعنيها مما تكلف تشخص
إذا ازداد قرب الدار والبعد ينقص
وقال بعض الرجاز ، وذكر إبلا :

إن لها لسائفاً خديجاً (٢)

يريد امرأة يحبها فيحتمه ما يجده من الشوق على إجهاد مطايا بالسوق . كما
أنشد إسحاق الموصلى :

صعب يحث مطايا بذكركم
لو يستطيع طوى الأيام نحوكم
يرجو النجاة من البلوى بقر بكم
هذا البيت يناسب أبيات ابن أبي ربيعة . يقول : كلما دنا ازداد حرصاً
على اللقاء .

لعمر بن
أبي ربيعة

كما أنشده
إسحاق الموصلى

(١) القردد : ما ارتفع من الأرض ، والجمع قراديد .

(٢) خديج : ممتلىء الذراعين والساقين .

إسحاق
الموصلی

وشخص إسحاق الموصلي إلى الواثق بسر من رأى ، وأهمله ببغداد ، فتصيد
الواثق وهو معه إلى نواحي كُبراء ، فلما قرب من بغداد قال :

طربت إلى الأصبينية الصغار وهاجك منهم قرب المزار
وكل مسافر يزاد شوقاً إذا دنت الديار من الديار

ولحنه وغناه الواثق ، فاستحسنه وأطربه ، فصرفه إلى بغداد على ما أحب
وكان إسحاق قال أولاً :

وكل مسافر يشتاق يوماً إذا دنت الديار من الديار

فعاثوا قوله «يوماً» ، وقالوا : هي لفظة قنقة في هذا الموضع ، لم تحل
بمركزها ، ولا لها هنا موقع . قال : فضعوا مكانها مثلها لا خيراً منها . فما استطاعوا
ذلك ، فغيرها إلى ما أنشدت أولاً .

وقال أبو نواس :

لأبي نواس

أما الديار فقلما لبثوا بها
وضعوا سياط الشوق فوق رقابها
وقال مخلد بن بكار الموصلي :

لمخلد بن بكار
الموصلی

ولم يبق منها غير عظم مجلد
وشأقك تخمان الحمام المعرد^(٢)
تشق بي المومة في كل فدفد^(٣)
فكانت لها سوطاً إلى ضحوة القدر
أقول لِنِضْوِ أَنْفَدِ السَّيْرِ نَيْهَا^(١)
خدي بي ابتلاك الله بالشوق والهوى
فمرت سريعاً خوف دعوة عاشق
فلما وئت في السير ثنيت دعوتي

وكان مخلد حلو الطبع ، وهو القائل يمدح رجلاً :

بطلع النجم على صعده
مغشراً إن ظميت أرماحهم
فإذا واجه نحرأ أفلا
أوردوهن مجاجات الطلي

(١) النى : الشحم - والنضو ، بكسر النون وسكون الصاد ، الذى نال منه الهزال
من الإبل (م) .
(٢) خدي : فعل أمر من الوخذ ، وهو السير السريع . (٣) الفدفد : الصحراء .

تَحْسُنُ الْأَلْوَانَ مِنْهُمْ فِي الْوَعْيِ حِينَ تَسْتَنْكِرُ لِلرُّعْبِ الْحَلِيَّ
 سُخِّطَ عَبْدُ اللَّهِ يَدَنِي الْأَجْلَا وَرِضَاهُ يَتَعَدَّى الْأَمَلَا
 يُعْشِبُ الصَّلْدُ إِذَا سَأَلَهُ وَإِذَا حَارَبَ رَوْضًا أَمْحَلَا
 [مَلِكٌ لَوْ نُشِرَتْ آوَاهُ وَأَيَادِيهِ عَلَى اللَّيْلِ الْمَجْلَى]
 حَلَّ بِالْبَأْسِ ابْنُ عَمْرٍو مِنْزَلًا طَالَ حَتَّى قَصُرَتْ فِيهِ الْعَلَا
 حَطَّ رَحْلِي فِي ذَرَاهُ جُودُهُ وَتَمَشَّى فِي نَدَاهُ الْخَيْزَلَى (١)

[جَوْدَةٌ الْخَط]

صفة الخط
الجيد

سُئِلَ بَعْضُ الْكُتَّابِ عَنِ الْخَطِّ : مَتَى يَسْتَحِقُّ أَنْ يُوصَفَ بِالْجُودَةِ ؟ فَقَالَ :
 إِذَا اعْتَدَلَتْ أَقْسَامُهُ ، وَطَالَتْ أَلْفُهُ وَلَا مُمُهُ ، وَاسْتَقَامَتْ سَطُورُهُ ، وَضَاهَى صَعُودُهُ
 حُدُورُهُ ، وَتَفَتَّحَتْ عَيُونُهُ ، وَلَمْ تَشْتَبِهْ رَأْوُهُ وَنُونُهُ ، وَأَشْرَقَ قَرِطَاسُهُ ، وَأَظْلَمَتْ
 أَنْقَاسُهُ ، وَلَمْ تَخْتَلِفْ أَجْنَاسُهُ ، وَأَسْرَعَ إِلَى الْعَيُونِ تَصَوُّرُهُ ، وَإِلَى الْعُقُولِ تَشْمُورُهُ ،
 وَقُدِّرَتْ فَصُولُهُ ، وَانْدَدَجَتْ وَصُولُهُ ، وَتَنَاسَبَ دَقِيقُهُ وَجَلِيلُهُ ، وَخَرَجَ مِنْ كَمَطِ
 الْوَرَّاقِينَ ، وَبُدِعَ عَنِ تَصْنَعِ الْحَرِيرِينَ (٢) ، وَقَامَ لِصَاحِبِهِ مَقَامُ النَّسْبَةِ وَالْحَلِيَّةِ ، كَانَ
 حِينَئِذٍ كَمَا قَالَ صَاحِبُ هَذَا الْوَصْفِ فِي صِفَةِ خَطِّ :

إِذَا مَا تَجَلَّلَ قَرِطَاسُهُ وَسَاوَرَهُ الْقَلَمُ الْأَرْقَشُ
 تَضَمَّنَ مِنْ خَطِّهِ حُلَّةً كَنَقَشِ الدَّنَانِيرِ ، بَلْ أَنْقَشُ
 حُرُوفٌ تُعِيدُ لَعِينِ الْكَلِيلِ نَشَاطًا وَيَقْرُوهَا الْأَخْفَشُ

وراق يصف
عيشه

قَالَ أَبُو هَفَّانَ : سَأَلْتُ وَرَّاقًا عَنْ حَالِهِ فَقَالَ : عَيْشِي أَضْيِيقُ مِنْ مِحْبَرَةٍ ،
 وَجِسْمِي أَدَقُّ مِنْ مِسْطَرَةٍ ، وَجَاهِي أَرْقُ مِنَ الزَّجَاجِ ، وَوَجْهِي عِنْدَ النَّاسِ أَشَدُّ
 سُوَادًا مِنَ الْخَبْرِ بِالزَّاجِ ، وَحِطِّي أَخْفَى مِنْ شِقِّ الْقَلَمِ ، وَيَدَايَ أَضْعَفُ مِنْ قَصْبَةِ
 وَطْعَامِي أَمْرٌ مِنَ الْعَفْصِ ؛ وَشَرَّائِي أَحَرُّ مِنَ الْخَبْرِ (٣) ، وَسَوْءُ الْحَالِ أَلْزَمُ لِي مِنَ
 الصَّمْعِ ؛ فَقُلْتُ لَهُ : عَبَّرْتَ عَنِ بِلَاءِ بِلَاءِ !

(١) الخيزلي : مشية فيها تشاقل . (٢) في نسخة «المحدرين» (م) .

(٣) كذا ، وفي ديوان المعاني (ص ٨٢) «أسود من الخبر» وهي أحسن (م) .

وقال الحدوني :

تَبْتَانِ مِنْ أَدْوَاتِ الْعِلْمِ قَدْ تَبْتَانَا
عِنَانَ شَأْوِي عَمَارُمْتُ مِنْ هِمَمِي
أَمَّا الدَّوَاةُ فَأَدَمِي جَرْمُهَا جَسَدِي
وَقَلَمُ الْحِظِّ تَحْرِيفٌ مِنَ الْقَلَمِ
وَحَبَّرَتْ لِي صُحُفَ الْحَرْفِ مِخْبَرَةً
تَدُودٌ عَنِّي سَوَامَ الْمَالِ وَالنَّعَمِ
وَالْعِلْمُ يَعْلَمُ أَنِي حِينَ آخِذُهُ
لِعَصْمِي نَافِرٌ خَلَوُ مِنْ الْعِصَمِ
وللحدوني في الحرفة أشعار مستظرفة ، وكان مليح الافتنان ، حلوا التصرف ؛
وهو إسماعيل بن إبراهيم بن حمدويه ، وحمدويه جدّه ، وهو صاحب الزنادقة في
أيام الرشيد ، والحدوني القائل :

مَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا لَهُ شَارَةٌ
فَنَحْنُ مِنْ نَظَارَةِ الدُّنْيَا
زَرْمُهَا مِنْ كَشَبِ حَصْرَةٍ
كَأَنَّهَا لَفْظٌ بِلَا مَعْنَى

وقال :

قَدْ قُلْتُ إِذْ خَرَجُوا لِكَيْ يَسْتَمْطَرُوا:
لَا تَقْنَطُوا وَاسْتَمْطَرُوا بَنِي أَبِي
لَوْ فِي حَزِيرَانٍ هَمَمْتُ بِعَسَلِهَا
غَطَى ضِيَاءَ الشَّمْسِ جَوْهُ سَحَابِ
فَكَأَنَّهَا الْعَبَّاسُ يُسْتَسْقَى بِهِ
عُمَرُ فَيُرِيهِمْ ——— دُعَاءَ مُجَابِ (١)

[حرفة الأدب]

وقال آخر في المعنى الأول :

لَمَّا أَجَدْتُ حُرُوفَ الْخَطِّ حَرَفِي
عَنْ كُلِّ حِظٍّ وَجَاءَتْ حِرْفَةُ الْأَدَبِ
أَقْوَتُ مَنَازِلُ مَالِي حِينَ وَطَنَهَا
نَحْيًا سَقَطُ الْأَقْلَامِ وَالْكُتُبِ
وقال يعقوب الخريزي :

لبعض الشعراء

للخريزي

مَا أَرَدَدْتُ فِي أَدَبِي حَرْفًا أُسْرُهُ بِهِ
إِلَّا تَزِيدْتُ حَرْفًا تَحْتَهُ شُومُ
كَذَلِكَ مَنْ يَدْعَى حِدْقًا بَصْنَعْتَهُ
أَنِّي تَوَجَّهَ فِيهَا فَهَوَّ مَجْرُومُ

(١) احتبس المطر بعد انتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى ، فاستسقى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بالعباس بن عبدالمطلب ، فسقاهم الله تعالى .

ولما قتل المقتدر أبا العباس بن المعتز، وزعم أنه مات خنفاً أنفه، قال علي بن لعلى بن بسام محمد بن بسام :

للهِ دركٌ مِنْ مَيْتٍ بِمَضِيْعَةٍ نَاهِيكَ فِي الْعِلْمِ وَالْآدَابِ وَالْحَسَبِ
مَا فِيهِ لَوْ وَلَا لَيْتُ فَيَنْقُصُهُ وَإِنَّمَا أَدْرَكْتَهُ حِرْفَةُ الْأَدَبِ

[رزق الحمقى والعقلاء]

قال ابن الرومي :

يَا لَيْتَ أَهْلَ الْبَيْتِ إِذْ حُرِّمُوا عَصَمُوا مِنَ الشَّهَوَاتِ وَالْفَيْسِ
لَكِنَّهُمْ حُرِّمُوا وَمَا عَصَمُوا قُلُوبَهُمْ مَرَضَى مِنَ الْحَزَنِ
وَهُمْ أَطْبَقُوا عَلَى بَلِيَّتِهِمْ مِنْ غَيْرِهِمْ بِمَضَاضَةِ الشَّجَنِ (١)

وقال جعفر بن محمد : إن الله وسع أرزاق الحمقى ليعتبر العقلاء ، ويعلموا أن الدنيا لا يُنالُ ما فيها بعقلٍ ولا حيلة ؛ ألا إن كسب المسال بالخط ، وحفظه بالعقل .

قال إبراهيم بن سيار النظام : الذهب لثيم ؛ لأنَّ الشَّكْلَ يَصِيرُ إِلَى شَكْلِهِ ، وهو عند اللثام أكثرُ منه عند الكرام . قال المتنبي - وأخذ هذا المعنى :
وَشِبْهُ الشَّيْءِ مُنْجَذِبٌ إِلَيْهِ وَأَشْبَهْنَا بِدُنْيَانَا الطَّغَامُ

وكان النظام له نظرٌ بوجوه التصرف ، وكان السلطان يصله بالكثير ، وكان محظوظاً ؛ فإذا اجتمع له مالٌ حبسَ لنفسه بلغة ، وفرَّقَ الباقي في أبواب المعروف ؛ فقميل له في ذلك ، فقال : مِنْ حَقِّ الْمَالِ عَلَى أَنْ أُطْلَبَهُ مِنْ مَعْدِنِهِ ، وَأُصِيبَ بِهِ الْفُرْصَةَ عِنْدَ أَهْلِهِ ؛ وَمَنْ حَقَّى عَلَيْهِ أَنْ يَقِينِي السُّوءَ بِنَفْسِهِ ، وَيَصُونَ عِرْضِي

(١) المضاضة : وجع المصيبة ، والشجن - بالتحريك - الحزن (م)

بابتذاله ، ولا يفعل ذلك إلا بأن أسمح به ؛ ألا ترى ذا الغنى ؛ ما أدومَ نصَّبه ^(١) ، وأقلِّ راحتته ، وأخسَّ من ماله حَظَّهُ ، وأشدَّ من الأيام حذرَه ، وأغرى الدهرَ بثلبه ونقصه ، ثم هو بين سلطان يرعاه ، وذوى حقوق يسبونه ، وأكفاء ينافسونه ، وولد يريدون فرآقه ، قد بعث عليه الغنى من سلطانه العناء ، ومن أكفائه الحسد ، ومن أعدائه البغى ، ومن ذوى الحقوق الذم ، ومن الولد لللال ، وذو البلغة قنع فدام له السرور ، ورفض الدنيا فسلم من المحذور ، ورضى بالكفاف فتنكبته الحقوق .

[أفكار الوراقين]

وصف الوراق

قال الصولى أنشدنى محمد بن أحمد بن إسحاق :

أدمنى البكا جفنى والمآقى	فظلتُ ذاهمٌ وذا احتراقِ
ما إن أرى فى الأرض والآفاقِ	أذنى ولا أشقى من الوراقِ
إذا أتى فى القمصِ الأخلاقِ	رأيتَه مطيرة العُشَّاقِ ^(٢)
يفرح بالأقلام والأوراقِ	كفرحة الجندى بالأرزاقِ

وقال بعض الوراقين :

إذا كنتُ بالليل لا أكتبُ	وطول النهار أنا أعبُ
فعلوراً يبطنى ما كَلُّ	وطوراً يبطنى مشربُ
فإن دامَ هذا على ما أرى	فبئى أول ما يخربُ

وقيل لوراق : ما تشهى؟ فقال : قلماً مشافاً ، وحبراً برافاً ، وجلوداً رفاقاً . وكل امرئ فأمينته على ما يطابقُ غريزته ، ويوافقُ تحيزته ^(٣) .

(١) النصب : التعب ، وزنا ومعنى (م) .

(٢) القمص : جمع قميص ، والأخلاق : جمع خلق - بالتحريك - وهو البالى (م) .

(٣) الغريزة والنجزة : الطبيعة والسجية .

[أطيب اللذات عند الشعراء]

قال علي بن جبلة العكوك : قال الأصمعي : سُئِلَ امرؤ القيس : ما أطيب لذات الدنيا ؟ قال : بيضاء رُعبوبة^(١) ، بالحسن مكبوبة ، بالشَّحْمِ مكروبة^(٢) ، بالمِسْكِ مشبوبة .

وسئِلَ الأعشى عن ذلك ، فقال : صهباء صافية^(٣) ، تمزجها ساقية ، من لذات الأعشى صوب غادية^(٤) .

وسئِلَ طرفة عن ذلك ، فقال : مركب وطي ، وثوب بهبي ، ومطم شهى . لذات طرفه قال العكوك : فحدثت بهذا أبادلف ، فقال :

أطيبُ الطيبات قتلُ الأعادي واختيالٌ على مُتونِ الجيادِ
ورسولٌ يأتي بوعدِ حبيبٍ وحبيبٌ يأتي بلا ميعادِ

وحدثت بذلك حميدا الطوسي ، فقال :

فلولا ثلاثُ هنَّ من لذةِ الفتى ، وجدك ، لم أخفلُ متى قام عودِي
فمن سبقُ العاذلاتِ بشربةٍ كُميت ، متى ما تُعل بالماء تزبد^(٥)
وكرى إذا نادى المضافُ مُحَبَّباً كسيد الغضا ذى السورةِ المتورد^(٦)
وتصيرُ يومِ الدجنِ ، والدجنُ مُعجِبٌ بيهكنةٍ تحت الخبَاءِ المعمد^(٧)
الشعر لطفة بن العبد .

(١) رعبوبة : حلوة ناعمة حسنة ، وفي نسخة « بالحسين مكتوبة » (م) .

(٢) مكروبة : ممتلئة (م) (٣) الصهباء : الحمر (م)

(٤) الغادية : السحابة (م) (٥) الكميت - بالتصغير - الحمر ، وتزبد :

تعلوها الرغوة (م) .

(٦) المضاف : البأس الذي أحيط به ، والمحب : أراد به الفرس الشديد .

(٧) الدجن : النعم ، والبهكنة : الخفيفة الروح الطيبة الرائحة من النساء ، والخباء :

أراد الخيمة ، والمعمد : ذى الأعمدة (م) .

لذات يزيد
ابن عبد الله

وحدثت بذلك يزيد بن عبد الله ، فقال : ما أدري ما قالوا ، ولكني أقول :
فَأَقْبَلُ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ مِنْ قَرَّةٍ عَيْنًا بِعَيْشِهِ نَفْعَهُ
فكان أسدّهم .

والبيت للأضبط بن قريع ، أنشده أبو العباس ثعلب ، قال : وبلغني أن هذه
الآيات قيلت قبل الإسلام بدهرٍ طويل :

من شعر
الأضبط بن
قريع

لكل ضيقٍ من الأمورِ سَعَةٍ والصبحُ والمُسَيُّ لا فلاحَ مَعَهُ (١)
ما بانُ مِنْ سرِّهِ مصابِكُ لا يملكُ شيئاً منْ أُخْرِهِ وَرَزَعَهُ
أذودُ عن حَوْضِهِ ويدْفَعُنِي يا قومِ ، مَنْ عاذِرِي مِنَ الخُدَعَةِ؟
حتى إذا ما انجَلتِ عَمائتُهُ أَقْبَلُ يَلْحَى وَغِيْهُ فَجَمَعَهُ (٢)
قد يجمعُ المَالَ غيرُ آكلِهِ ويأْكُلُ المَالَ غيرُ منْ جَمَعِهِ
ويقطعُ الثوبَ غيرُ لابسِهِ ويلبسُ الثوبَ غيرُ منْ قَطَعَهُ
فَأَقْبَلُ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ مَنْ قَرَّةٍ عَيْنًا بِعَيْشِهِ نَفْعَهُ
وَصِلْ حِبَالَ البعيدِ إِنْ وَصَلَ الحَبْلُ ، وَأَقْصِ القريبِ إِنْ قَطَعَهُ
ولا تُعَادِ الفقيرَ عَلكَ أَنْ تَرَكَ يوماً والدَّهْرُ قد رَفَعَهُ (٣)
هذا البيت شبيه بما روى عن عائشة رضی الله عنها ، قالت : كان رسول الله

صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يستنشدني قول اليهودي :

ارفع ضعيفك لا يحزرك ضعفه يوماً فتُدركه العواقبُ قد نما (٤)
يحزرك ، أو يُثني عليك ، وإنَّ مَنْ أثنى عليك بما فعلتَ كمنْ جَزَى
فأنشده ، فيقول : إني فطِنٌ لها :

(١) في الأمالي (١/١٠٧) « لكل هم من الهموم سعة » (م)

(٢) عمايته : ضلالتة ، ويلحى : يلوم أشد اللوم (م) .

(٣) رويہ النحاة « لا تهين الفقير علك أن - إلخ » (م) .

(٤) لا يحزرك ضعفه : يريد أنه قد يرجع الضعف إليك ويتعشى هو (م)

وكان الأضبط سيد بنى سعد، وكانوا يشتمونه ويؤذونه، فانتقل إلى حبي
من العرب فوجدهم يؤذون سادتهم، فقال: حينما أوجه ألق سعداً! فذهبت مثلاً
قال الطائي:

فلا تحسبن هندا لما القدر وحدها سحجة نفس، كل غانية هند
[وصف الحابر والأفلام]

لبعض الكتاب
يصف محبرة

وإذا محضرتَه طيباء رتّع
يُملي، وتحفظ ما يقول وتسمع
بيضاء تحمليها علائق أربع^(١)
فكأنها سمج يلوخ ويلمع^(٢)
فيا حوته عاجلا، لا يطمع
أداه فوها وهي لا تمنع
أبدأ، ويكتم كل ما يستودع
يجرى بميدان الطروس فيسرع^(٣)
يلقاه برد حفاة ساعة يقطع
شيخ لوصل خريدة يتصنع
وبه إلى الله الصائف ترفع

لأبي الفتح
كشاجم

مستحسن الخلق مر تضى الخلق
ناطت له المكرمات في عنق
أسود كالمسك جده منفتق
مسود ما شابهه من الخلق

قال بعض الكتاب يصف محبرة:

ولقد مضيت إلى الحدّث آفقا
وإذا طيباه الإنس تكتب كل ما
يتجادبون الخبر من ملهومة
من خالص البلور غير لونها
إن نكسوها لم تسيل، ومليكما
ومتى أمالوها لرشف رضاياها
وكانها قلبي يظن بسرّه
يمتأحها ماضي الشبابة مذلق
رجلاه رأس عنده آكته
وكانه والحبر يخضب رأسه
لم لا الأخطه بعين جلاله
وقال أبو الفتح كشاجم:

محبرة جاد لي بها قمر
جوهره خصني بجوهره
بيضاء والحبر في قراراتها
مثل نياض العيون زينة

(١) ملهومة: مستديرة (م) (٢) السبج: الحرز الأسود (م)

(٣) أصل المتع نزع الماء من البئر، والشبابة: حد كل شيء، والمذلق: الحدد،

أوراد القلم (م)

كأنا جبرها إذا نثرت أقلامنا ظله على الورق
كحل مرته العيون من مقل نجل فأوقت به على يقق^(١)
خرساء لکنها تكون لنا عوناً على علم أفصح النطق

وقال عبد الله بن أحمد : القلم أمره ، ما لم يكن جلي يأميد الدواة^(٢) .

وكتب إبراهيم بن العباس كتاباً فأراد نحو حرف فلم يجد مندبلاً ، فحاه بكلمة ،
فقبل له في ذلك ، فقال : المال فرغ ، والعلم أصل ؛ وإنما بلغنا هذه الحال ، واعتقدنا
هذه الأموال^(٣) بهذا القلم والمداد ، ثم قال :

إذا ما الفكر أضمر حسن لفظي وأداه الضمير إلى العيان
ووشاه وتمنمه مسدد فصيح بالمقال وباللسان
رأيت حلى البيان منورات تصاحك بينها صور المعاني
ألفاظ لأهل العصر في أوصاف آلات الكتابة والدوي والأقلام

الدواة من أنفع الأدوات ، وهي للكتابة عتاد ، وللخاطر زناد ، غدير لا يردّه
غير الأفهام ، ولا يمتح بغير أرشية الأقلام^(٤) ، دواة أنيقة الصنعة ، رشيقة
الصبغة ، مسكية الجلد ، كأفورية الحليمة . غدير تفيض ينابيع الحكمة من أقطاره ،
وتنشأ سحُب البلاغة من قراره . دواة تداوي مرض عقانتك ، وتدوى قلوب
عداتك ، على مرفع يؤذن بدوام رفعتك ، وارتفاع النوائب عن ساحتك ،
ومداد كسواد العين ، وسويداء القلب ، وجناح الغراب ، ولعاب الليل ، وألوان
دُهم الخليل . وهذا من قول ابن الرومي :

جبر أبي حفص لعاب الليل كأنه ألوان دُهم الخليل

(١) مرته العيون : استخرجته ، والمقل : جمع مقلة ، وهي العين ، والنجل :

جمع نجلاء ، وهي الواحعة ، واليقيق - بالتحريك - الأبيض (م)

(٢) الأمره : وصف من المره - بالتحريك - وهو خلو العين من الكحل (م)

(٣) اعتقدنا بهذه الأموال : تأملناها وجمعناها (م)

(٤) الأرشية : جمع رشاء ، وأصله جبل الدلو (م)

قال العاصر: مبدأُ ناسب خافية الغراب، واستعار لونه من شَرخ الشباب،
وأقلام جمة المحسن، بعيدة من المطاعن، تعاصى الكاسى، وتمايع الغامز
القباسى. أنابيب ناسبت رِماح الخطِّ فى أجناسها، وشاكلت الذهب فى ألوانها،
وضاهت الحديد فى لمعانها؛ كأنها الأميالُ استواءً، والأجالُ مضاءً، بطيئة الحفى،
قوية القوى، لا يشظيها^(١) القَطُّ، ولا يتشعبُ بها الخطُّ. أقلام بحرية موشية
الليط^(٢)، راتقة التخطيط. قلم معتدل الكعوب، طويل الأنوب، باسِق
المفروع، روىّ الينبوع، هو أولى باليد من البنان، وأخفى للسر من اللسان.
هو للأنامل مطية، وعلى الكتابة معونة مرضية. نعم العدة القلم: يقلم أطافر
الدهر، ويملك الأقاليم بالنهى والأمر، إن أرذت كان مسجوناً لا يملّ الإسار،
وإن شئت كان جواداً جارياً لا يعرف العثار، لا ينبو إذا نبت الصفاح^(٣)،
ولا يُنجم إذا أحجمت الرماح.

لأبى النتح
كشاجم

قال أبو الفتح كشاجم، يصف محبرة ومقلمة وأقلاماً وسكيناً:

جِسْمِي مِنَ النَّهْوِ وَالْأَلَاتِ الطَّرَبِ	وَمِنْ عَتَادِ وَثَرَاءِ وَنَشَبِ
وَمِنْ مُدَامِ وَمَثَانِ تَصْطَحِبِ	وَهَمَّةِ طَمَاحَةٍ إِلَى الرَّثَبِ
مَجَالِسُ مَصُونَةٌ مِنَ الرَّيْبِ	مَعْمُورَةٌ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ وَأَدَبِ
تَكَادُ مِنْ حَرِّ الْحَدِيثِ تَلْتَهَبِ	شِعْرًا وَأَخْبَارًا وَنَحْوًا يِقْتَضِبِ
وَلَفَّةٌ تَجْمَعُ أَلْفَاظَ الْعَرَبِ	وَقَرًّا كَالْوَعْدِ فِي قَلْبِ الْمُحِبِ
أَوْ كَتَاتِي الرِّزْقِ مِنْ غَيْرِ طَلَبِ	أَجَلٌ، وَحَسْبِي مِنْ دُورِي تَنْتَخِبِ
مَحَلِّاتٍ بِلُجَيْنٍ وَذَهَبِ	مَجْبَرَةٌ يُرْهِى بِهَا الْحَبْرُ الْأَلْبِ ^(٤)
مَنْقُوبَةٌ آذَانُهَا، وَفِي الثُّقْبِ	مِثْلَ شُوفِ الْخُرْدِ الْبَيْضِ الْعُرْبِ ^(٥)

(١) لا يشظيها: لا يقطعها شظايا (م) (٢) الليط، بالكسر: القشر.

(٣) الصفاح: السيوف (م) (٤) الخبر، بالكسر: العالم (م).

(٥) العرب، بضم العين والراء: جمع عروب. وهى المرأة المتحجبة إلى زوجها.

تضمن قطراً فيه للكتب غُشِبَ
لا تَنْصُبُ الحِكْمَةَ إِلَّا إِنْ نَصَبُ
كأَلْفُرْطِ فِي الجِيدِ تَدَلَّى فاضْطَرَبُ
كأنه يودع تَبِلاً من قَصَبُ
لا تَضْحَكِ الأُورَاقُ حَتَّى يَنْتَحِبُ
رَمِيًّا مَتَى أَقْصَدُ بِهِ السَّمْتُ أَصِْبُ
عَضْبِي عَلَى الأَقْلَامِ من غير سَبَبُ
وَإِنَّمَا تَرْضِيكَ فِي ذَاكِ العَضْبُ
وَالظَّرْفُ فِي الآلَاتِ مِمَّا يَسْتَحِبُ
أَسْوَدَ يَجْرِي بِمَعَانِ كَالشَّهْبُ
نَيْطَتْ إِلَى يُسْرَى يَدَيَّ سَبَبُ
تَصْحَبُهَا ، وَالأَخْوَاتُ تُضْطَحِبُ
لَمْ يَعْلُمَا رِيشٌ وَلَمْ تَحْمِلْ عَقْبُ^(١)
تَرْمِي بِهَا بِمَنَى أَعْرَاضِ الكُتُبِ
وَمُدِيَةٌ كَالعَضْبِ مَا مَسَّ القَصَبُ
تَسْطُو بِهَا فِي كُلِّ حِينٍ وَتَلْبُ
فَتَلِكِ الآلَاتِي ، وَآلَاتِي تُحَبُّ
لَا سِيَّيَا مَا كَانَ مِنْهَا لِلادَّبِ
[عمال المأمون]

تظلم رجلٌ إلى المأمون من عامل له ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما ترك لي
فِضَّةً إِلَّا فِضَّهَا ، وَلا ذَهَبًا إِلَّا ذَهَبَ بِهِ ، وَلا غَلَّةً إِلَّا غَلَّمَا ، وَلا ضَيْعَةً إِلَّا
أَضَاعَهَا ، وَلا عَلَقًا^(٢) إِلَّا عَلَقَهُ ، وَلا عَرَضًا إِلَّا عَرَضَ لَهُ ، وَلا مَاشِيَةً إِلَّا امْتَشَاهَا^(٣) ،
وَلا جَلِيلًا إِلَّا أَجْلَاهُ ، وَلا دَقِيقًا إِلَّا أَدَقَّهُ . فعجب من فصاحته وقضى حاجته .
قال عمرو بن سعد بن سلم : كُناَتِ عَلِيٌّ نُوْبَةً أَنْوَبُهَا فِي حَرَسِ المَأْمُونِ ،
فَكُنْتُ فِي نُوْبَتِي لَيْلَةً فَخَرَجَ مُتَفَقِّدًا مِنْ حَضْرٍ ، فَعَرَفْتَهُ وَلَمْ يَعْرِفْنِي ، فَقَالَ : مَنْ
أَنْتِ ؟ قُلْتُ : نَعْرُو ، عَمْرُكَ اللهُ ، ابْنُ سَعِيدٍ ، أَسْعَدُكَ اللهُ ، ابْنُ سَلْمٍ ، سَأَمَكَ اللهُ .
فَقَالَ : تَكَلُّوْنَا مِنْذُ اللَّيْلَةِ . قُلْتُ : اللهُ يَكَلُّوكُ قَبْلِي ، وَهُوَ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ
أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ .

فقال المأمون :

إِنَّ أَحَاكَ الحَقِّ مِنْ يَسَعِي مَعَكَ وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ
وَمَنْ إِذَا صَرَفَ زَمَانَ صَدَعَكَ بَدَّدَ شَمْلَ نَفْسِهِ لِيَجْمَعَكَ

(١) العقب : العصب الذي تعمل منه الأوتار (م) .

(٢) العلق ، بالكسر ، النفيس من كل شيء . (٣) امتشها : ذهب بها كلها .

[الورد والنرجس]

لابن الرومي

وقال علي بن العباس الرومي :

خَجَلْتُ خُدُودَ الْوَرْدِ مِنْ تَفْضِيلِهِ خَجَلًا تَوَرَّدَهَا عَلَيْهِ شَاهِدُ
 لَمْ يَجْعَلِ الْوَرْدُ الْمُرْدُ لَوْنَهُ إِلَّا وَنَاحِلَهُ الْفَضِيلَةَ عَانِدُ
 لِلنَّجَسِ الْفَضْلُ الْمَبِينُ إِذَا بَدَأَ بَيْنَ الرِّيَاضِ طَرِيفِهِ وَالتَّالِدُ
 وَكَانَ ابْنُ الرُّومِيِّ مَتَعَصِبًا لِلنَّجَسِ ، كَثِيرَ الدَّمِّ لِلوَرْدِ ، وَكَتَبَ إِلَى أَبِي

الحسن ابن المسيب :

أَدْرَكَ ثِقَاتِكَ لِإِنِّهِمْ وَقَعُوا فِي نَرْجِسٍ مَعَهُ ابْنَةُ الْعَنْبِ
 فَهَمُّ بِحَالٍ لَوْ بَصُرْتُ بِهَا سَبَّحْتَ مَنْ عَجِبَ وَمَنْ عَجِبَ
 رِيحَانُهُمْ ذَهَبٌ عَلَى دُرِّ وَشَرَابُهُمْ دُرٌّ عَلَى ذَهَبِ
 فِي رَوْضَةٍ شَتْوِيَّةٍ رَضَعَتْ دِرَّ الْحَيَا حَلْبًا عَلَى حَلَبِ
 وَالْيَوْمُ مَدْجُونٌ مُفْرَتُهُ فِيهِ بِمُطَّلَعٍ وَمُحْتَجِبِ (١)
 ظَلَّتْ تَسَامِرُنَا وَقَدْ بَعَثَتْ ضَوْءًا يُبْلِغُنَا بِبَلَا لَهَبِ
 وَكَانَ كِسْرَى أَنْوَشِرَوَانَ مُسْتَهْتَرًا بِالنَّجَسِ (٢) ، وَكَانَ يَقُولُ : هُوَ يَأْقُوتُ

لبعض المحدثين

أصفر ، بين درّ أبيض ، على زمرد أخضر . نقله بعض المحدثين فقال :

وَيَأْقُوتُهُ صَفْرَاءُ فِي رَأْسِ دُرَّةٍ مَرْكَبَةٌ فِي قَائِمٍ مِنْ زَبَرَجَدِ
 كَمَثَلِ بَهْيِ الدَّرِّ عَقْدِ نَقْلَامِهَا نَثِيرُ فِرْنَدِ قَدْ أَطَافَ بِعَسَجَدِ
 كَانَ بَقَايَا الطَّلِّ فِي جَنَابَاتِهَا بَقِيَّةُ دَمْعٍ فَوْقَ خَدِّ مُورَدِ

رجع ابن الرومي :

رجع
لابن الرومي

فَصَلُّ التَّقْضِيَةَ أَنَّ هَذَا قَائِدٌ زَهَرَ الرَّبِيعَ وَأَنَّ هَذَا طَارِدٌ
 شَتَّانَ بَيْنَ اثْنَيْنِ : هَذَا مُوعِدٌ بَتَّصْرَمِ الدُّنْيَا ، وَهَذَا وَاعِدٌ

(١) يَدْجُونُ : قَدِغَطَى سَمَاءِ الْعَيْمِ ، وَحَرَّتُهُ : شَمْسُهُ ، وَمُطَّلَعٌ : اسْمُ لِمَكَانِ

الطَّلُوعِ ، وَمُحْتَجِبٌ : اسْمُ لِمَكَانِ الْاِحْتِجَابِ (م) .

(٢) مُسْتَهْتَرًا : مَوْلَعًا (م) .

فإذا احتفظت به فأمتع صاحب
ينهى النديم عن القبيح بلحظه
اطلب بعقلك في الملاح سميه
والورد إن فئتت فرد في اسمه
هذى النجوم هى التى ربينها
فانظر إلى الولدين ، من أدناها
أين الخدود من العيون نفاسة
وقد ناقضه جماعة من البغداديين وغيرهم فى هذا المذهب ، وذهبوا إلى تفضيل
الورد ؛ فما دانوه وما استطاعوه .

لأحمد بن يونس
الكاتب رد على
ابن الرومى

قال أحمد بن يونس الكاتب راداً عليه :
يا من يشبه نرجساً بنواظر
إن القياس لمن يصح قياسه ،
والورد أصدق للخدود حكاية
ملك قصير عمره مستأهل
إن قلت إن الورد فرد في اسمه
فالشمس تفرّد باسمها والمنشترى
أو قلت إن كواكب ربينها
قلنا أحقهما بطبع أبيه فى
زهر النجوم ترؤفنا بضيائها
وكذلك الورد الأنيق يرؤفنا
وخليفه إن غاب ناب بنفحه
دعج ، تنبه إن فهمك راقد
بين العيون وبينه متباعدا
فعلام تجحد فضله يا جاحدا
تخليده ، لو أن حيا خالد
ما فى الملاح له سمى واحد
والبدر يشرك فى اسمه وعطارد
بحيا السحاب كما يرربى الوالد
جدوى هو الزاكي النجيب الراشد
وله منافع جمّة وعوائد
وله فضائل جمّة وفوائد
وبنفحه أبدا مقيم راكد

(٢) حيا السحاب : ماؤه .

(١) فى نسخة « مساعد » .

إِنْ كُنْتَ تُنْكِرُ مَا ذَكَرْنَا بَعْدَهَا وَضَحَّتْ عَلَيْهِ دَلَائِلُ وَشَوَاهِدُ
فَانظُرْ إِلَى الْمُصَفَّرِ لَوْنًا مِنْهَا وَاظُنْ فَمَا يَصْفَرُ إِلَّا الْحَاسِدُ

نبت من النظم والنثر

في صفات الثور والزهر

لعلي بن الجهم

قال علي بن الجهم :

لَمْ يَضْحَكِ الْوَرْدُ إِلَّا حِينَ أَعْجَبَهُ حُسْنَ الرِّيَاضِ وَصَوْتِ الطَّائِرِ الْغَرْدِ
بَدَا فَأَبَدَتْ لَنَا الدُّنْيَا مَحَاسِنَهَا وَرَاحَتِ الرَّاحُ فِي أَثْوَابِهَا الْجُدِّ
وَقَابَلَتْهُ يَدُ الْمُشْتَاقِ تُسَنِّدُهُ إِلَى التَّرَائِبِ وَالْأَحْشَاءِ وَالْكَبِدِ
كَأَنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ صَبَابَتِهِ أَوْ مَانِعًا جَفَنَ عَيْنِيهِ مِنَ الشُّهْدِ
بَيْنَ النَّدِيمِينَ وَالنَّالِينَ مَضْرَعُهُ وَسَيْرُهُ مِنْ يَدِ مَوْصُولَةٍ بِيَدِ
مَا قَابَلَتْ طَلْعَةَ الرِّيحَانِ طَلَعَتْهُ إِلَّا تَبَيَّنَتْ فِيهِ ذَلَّةُ الْحَسِدِ
قَامَتْ بِحُجَّتِهِ رِيحٌ مَعْطَرَةٌ تَشْفِي الْقُلُوبَ مِنَ الْأَوْصَابِ وَالْكَبِدِ
لَا عَذَابَ اللَّهُ إِلَّا مِنْ يُعَذِّبُهُ بِمُسْمِعٍ بَارِدٍ أَوْ صَاحِبِ نَكِدِ^(١)

وكان أردشير بن بابك يصف الورد ويقول : هو درُّ أبيض ، وياقوتٌ أحمر ،
على كراسي زبرجد أخضر ، توسطه شذورٌ من ذهبٍ أصفر ، له رقة الخمر ،
ونفحات العطر^(٢) أخذه محمد بن عبد الله بن طاهر فقال :

لمحمد بن عبد الله
بن طاهر

كَأَنَّهِنَّ يَوَاقِيتٌ يُطِيفُ بِهَا زُمُرُودٌ وَسَطَهُ شَدْرٌ مِنَ الذَّهَبِ
فَأَشْرَبَ عَلَى مَنْظَرٍ مُسْتَظَرَفٍ حَسَنٍ مِنْ خَمْرٍ مَزَّةٍ كَالْجَمْرِ فِي اللَّهَبِ^(٣)

وقال يزيد المهلبي : أحبُّ المتوكل أن ينادمه الحسين بن الضحاك ، الخليفة المتوكل وابن الضحاك

(١) المسمع - على زنة اسم الفاعل - المعنى (م) .

(٢) مزة : لذينة الطعم (م) .

البصرى ، وأن يرى ما بقى من ظرفه وشهوته لما كان عليه ؛ فأخضره وقد كبر
وضعف ، فسقاه حتى سكر ، وقال لخادمه شفيع : اسقيه ؛ فسقاه وحياه بوردة ،
وكانت على شفيع أثواب ، فمدّ الحسين يده إلى درع شفيع ، فقال المتوكل :
أشمس غلامى بحضرتى ؟ كيف لو خلوت به ! ما أحوجك يا حسين إلى أدب !
وكان المتوكل غمز شفيعا على العبت به ، فقال حسين : سيدى ، أريد دواة وقرطاسا ؛
فأمر له بهما ، فكتب :

وكالوردة البيضاء حياءً بأحمر
من الوردِ يسعى فى قراطق كالوردِ (١)
له عبثاتٌ عنـد كل تحية
بكفيه يستدعى الخلى إلى الوجد
تمنيتُ أن أسقى بكفيه شربة
تذكرنى ما قد نسيتُ من العهد
سقى الله عيشالم أتم فيه ليلة
من الدهر إلا من حبيب على وعد

ثم دفع الرقعة إلى شفيع ، وقال : ادفعها إلى مولاك ؛ فلما قرأها استملحها ،
وقال : لو كان شفيع ممن تجوز هيبته لو هيبته لك ، ولكن بحياتى يا شفيع إلا كنت
ساقية بقیة يومه ! وأمر له بمال كثير حمل معه لما انصرف .

قال يزيد المهلبى : فصرتُ إلى الحسين بعد انصرافه من سند المتوكل بأيام ،
فقلت : ويحك ! أتدرى ما صنعت ؟ قال : لا أدعُ عادتى بشيء ، وقد
قلت بعدك :

لا رأى عطفة الأجابة من لا يصرح
أضعف الساقين أشكل عندى وأملح
لو تراه كالظبي يشنع طورا ويبرح
خلت غصنا على كئيب بنور يوشح

(١) القراطق : جمع قرطق ، وهو ضرب من اللباس .

قال الصولي : وكان الأول من أبيات الحسين من قول العباس بن الأحنف :

بيضاء في حُمر الثيابِ كورْدَةٍ بيضاء بين شقائق النعمانِ

تهتزُّ في غيدِ الشبابِ إذا مَسَّتْ مثل اهتزازِ نواعِمِ الأغصانِ

ظبي يأكل
نيلوفر

قال أبو بكر الصولي : كان عند الخصى الوزير ظبي داجن ربيب في داره ،
فعمد إلى نيلوفر فأكله ، فاستلمح الغزال وأنسه ، وقال : لو عمل في أنس هذا
الغزال وفعله بالنيلوفر لاشتمل العمل على معني مليمح ! فبلغ الخبر أبا عبد الله إبراهيم
ابن محمد بن عرفة فظفويه ، فبادر لثلاثا يسبق ، وعمل أبياتا أولها :

جرت ظبيمة غناء ترعى بروضة تنوشُ لدى أفنانها ورقاً خضراً^(١)

في أبيات غير طائفة ، فاستبرد ما أتى به ، قال الصولي : قفلت :

ونيلوفر يحكي لنا المسك طيبه تراه على اللذات أفضل مسعد

قد اجتنى خوف الحاديات بحنة تروق كثوب الراهب المتعبد

تركب كالكاسات في ذهبية على قصب مخضرة كالزبرجد

وألبس ثوباً بفضل اللحظ حسنه كما عيبت عين بخد مؤرد

غذته أهاضيب السماء بدرها تروح عليه كل يوم وتفتدي

تلبس للانوار ثوب سمائه ففضل عنه الحسن في كل مشهد

وفي وسطه منه اصفرار يزينه كياقوتة زرقاء في رأس عسجد

أطاف به أحوى المدامع شادين حكى طرف من أهوى وحسن المقلد^(٢)

كما أخذ الظمان بالقم كاسه ولم يستعين في أخذه الكاس باليد

[وصف أيام الربيع]

وقال أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع^(٣) :

لابن وكيع

يوم أتاك بوجهه التهلل ناهيك من يوم أغر محجل

(١) تنوش : تتناول (م) .

(٢) أحوى : وصف من الحوة وهي السمرة ، والمقلد : الموضع الذي تلبس

فيه القلادة ، يريد أن الظبية حكمت من الملاح عينها وجيدها (م) .

(٣) في نسخة « أبو الحسن محمد بن علي » .

خَلَعَا قَبَيْنَ مُتَمَسِكٍ وَمُصَنَدَلٍ
 بِمُورِدٍ وَمُعْضَفٍ وَمُكَحَّلٍ
 مِنْ شُرْبِ كَاسَاتِ الْعَيُونِ الْمُطَّلِ
 فَهَدَتْ لَعَيْنِ النَّاسِظِ الْمُتَأَمِّلِ
 بِمَنْظَمٍ مِنْ لَوْلُوٍّ وَمُفَصَّلِ
 يَرْنُو إِلَيْكَ بَعِينَ أُنْحَلِ أَقْبَلِ (١)
 وَتَرَاهُ مُنْتَقِبًا بِحُمْرَةِ مُجْجَلِ
 وَجْهَ الْخَرِيدَةِ فِي الْخِمَارِ الصَّنْدَلِ
 فِي كُلِّ أَنْوَاعِ الْمَلَابِسِ تَجَسَّلِ
 مِنْ صِنْعَةِ الْبَرْدَانِ أَوْ قَطْرُبُلِ
 خَلَعَ الْعِمَامُ عَلَى اخْضِرَارِ سَمَائِهِ
 وَكَسَا الرُّبِّيَّ حُلَلًا تَخَالَفَ شَكْلَهَا
 وَتَمَائِلَتْ فِيهِ قَدُودُ غُصُونِهِ
 وَعَلَا عَلَى الْأَشْجَارِ قَطْرُ سَمَائِهَا
 يَحْكِي قَبَابَ زُمُرِدٍ قَدْ كَلَّتْ
 وَأَتَاكَ نَوْرُ الْبَاقِلَاءِ كَأَنَّمَا
 الْوَرْدُ يُجْجِلُ كُلَّ نَوْرِ طَالِعِ
 وَحَكِي بِيَاضِ الطَّلَعِ فِي كَافُورِهِ
 فَكَأَنَّمَا الدُّنْيَا عَرُوسٌ أَقْبَلَتْ
 فَاشْرَبِ مُعْضَفَةَ الْقَمِيصِ سُلَاقَةَ
 وَقَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبَسْتِيُّ :

لأبي الفتح
البيستى

يَوْمٌ لَهُ فَضْلٌ عَلَى الْأَيَّامِ
 فَالْبَرْقُ يُخَفِّقُ مِثْلَ قَلْبِ هَائِمِ
 وَكَانَ وَجْهَ الْأَرْضِ خَدًّا مَتِيمِ
 فَاطْلُبْ لِيَوْمِكَ أَرْبَعًا : هِنَ اللَّئِي
 وَجْهَ الْحَبِيبِ ، وَمَنْظَرَ امْتَشْرِقَاءِ ،
 وَقَالَ الْأَمِيرُ أَبُو الْفَضْلِ الْمِيكَالِيُّ :

لأبي الفضل
الميكالى

تَرَكَتْهُ بَجْرُوحًا بِلَا إِغْمَادِ
 صَحَّكَتْ لِسَاجِمِهَا رَبِّي الْأَنْجَادِ
 تَزْهَى بِشَوْبِي حُمْرَةً وَسَوَادِ
 سَلَّ الرَّبِيعُ عَلَى الشِّتَاءِ صَوَارِمًا
 وَبَكَتْ لَهُ عَيْنُ السَّمَاءِ بِأَدْمَعِ
 وَبَدَتْ شَقَائِقُهَا خِلَالَ رِيَاضِهَا

(١) أقبل: ووصف من القبل - بالتحريك - وهو إقبال سواد العين على جهة الأنف.

فكأنها بنتُ الشتاءِ توجَّعتُ لمصَّابه كَشْفِيقةِ الأولادِ
فَقَمُوهُ هَمْرَها خِضابُ نَجِيعِهِ وسوادُ كُسوتِها لِبَاسُ حَدادِ

وقال :

تصوغُ لنا كَفُ الرِّبيعِ حَدائِقا كعقدِ عَقِيقِ بَينِ سَمَطِ لَالي
وفيهن أنوارُ الشقائقِ قد حَكَتُ خُدودَ عِذارى تُقَطُّتُ بِغِوالِي

وقال :

كَانَ الشقائقِ إِذِ أَبْرَزَتْ غِلالَةَ دَادٍ وَثَوْباً أَحْمَـم^(١)
قِطاعٌ مِنَ الجَمْرِ مِشبوِبَةٌ فَأَطرافِها لَمَعَتْ مِنَ حَمَمِ

وقال في حديقة ريجان :

أَعَدَدْتُ مُحْتَفِلاً لِيَوْمِ فَرَاعِي رَوْضِ يَرِوضُ هُمومِ قَلْبِي حُسْنُهُ
فَإِذا بَدَتْ قُضبانُ رِيجانِ بِهِ فِيهِ لِكأْسِ الأُنسِ أَى مَساغِ
وقال في النرجس :

أَهلاً بِنِرجسِ رَوْضِ يَزْهَى بِحَسَنِ وَطِيبِ
يَرَنوُ بِعَفْئِي غِزالِ عَلى قَضِيبِ رَطِيبِ
وَفِيهِ مَعْنَى خَفِيٌّ يَرِينُهُ لِقَلوبِ
تَصْخِيفُهُ إِذْ نَسَقَتِ الأَحْروفُ بِرُ حَبِيبِ

وقال :

وما نغمَّ شَمَلُ الأُنسِ يَوماً كَنِرجسِ يَقومُ بِعُذْرِ اللّهُوَ عَنِ خالِجِ العُذْرِ^(٢)
فَأَحْداقُهُ أَحْداقُ تَبْرِ ، وَساقُهُ كَقامَةِ ساقِ فِي غِلالِئِهِ الحُضْرِ

(١) داد : مولع باللهو واللعب ، واللعب يقال له : دد ، والأحم : الأسود (م) .
(٢) الباغى : قيم البستان . (٣) العذر : جمع عذار .

وقال البحري :

سَقَى الْغَيْثُ أَكْنَافَ اللَّوِيِّ مِنْ مَحَلَّةٍ إِلَى الْخِطْفِ مِنْ رَمْلِ اللَّوِيِّ الْمُتَقَاوِدِ
 وَلَا زَالَ مَخْضَرًّا مِنَ الرَّوْضِ يَانِعٌ عَلَيْهِ بِحَمَرٍ مِنَ النُّورِ جَاسِدِ
 شَقَائِقِ يَحْمِلُنَ النَّدَى فَكَأَنَّهُ دَمْعُ التَّصَابِي فِي خُدُودِ الْخِرَائِدِ
 وَمِنْ لَوْلَوْ فِي الْأَقْحُوَانِ مَنْظَمٍ وَمِنْ نُكْتِ مِصْفَرَّةٍ كَالْفَرَائِدِ
 كَأَنَّ جَنَى الْحُوذَانِ فِي رَوْثِ الضَّحَى دَانِيرٌ تَبْرٌ مِنْ تُوَامِ وَفَارِدِ
 إِذَا رَاوَحْتَهَا مُرْنَةً بَكَرَتْ لَهَا شَايِبٌ مَجْتَازٍ عَلَيْهَا وَقَاصِدِ
 رِبَاعٌ تَرَدَّتْ بِالرِّيَاضِ بِجُودَةٍ بِكُلِّ جَدِيدِ الْمَاءِ عَذْبِ الْمَوَارِدِ^(١)
 كَأَنَّ يَدَ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ أَقْبَلَتْ تَلِيهَا بَتْلُكَ الْبَارِقَاتِ الرَّوَاعِدِ

[في مجلس المبرد]

قال أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه : قال لي البحري وقد اجتمعنا على خلوة عند المبرد وسلكنا مسلكا من المذاكرة : أشعرت أني سبقت الناس كلهم إلى قولي :

شَقَائِقِ يَحْمِلُنَ النَّدَى فَكَأَنَّهُ دَمْعُ التَّصَابِي فِي خُدُودِ الْخِرَائِدِ
 كَأَنَّ يَدَ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ أَقْبَلَتْ تَلِيهَا بَتْلُكَ الْبَارِقَاتِ الرَّوَاعِدِ
 هكذا أنشد ، فاستحسن ذلك المبرد استحساناً أسرف فيه ، وقال : ما سمعت مثل هذه الألفاظ الرطبة ، والعبارة العذبة ، لأحدٍ تقدّمك ولا تأخر عنك . فاعتزته أريحية جربها رداء العجب ؛ فكأنه أعجبني ما يعجب الناس من مراجعة القول ؛ قلت : يا أبا عبادة ، لم تسبق إلى هذا ، بل سبقك سعيد بن حميد الكاتب إلى البيت الأول بقوله :

عَذْبَ الْفَرَاقِ لَنَا قَبِيلٌ وَدَاعِنَا ثُمَّ اجْتَرَعْنَاهُ كَسْمٍ نَاقِعِ

(١) تردت بالرياض : اتخذتها رداء .

وكأنما أترُّ الدموع بخدِّها ظلُّ تساقط فوق وِزْدٍ يانع
وشركك فيه صديقنا أبو العباس الناشئ بما أنشدنيه آنفا :

بَكَتَ للفراق وقد راعَى بكاه الحبيب لبُعْدِ الديارِ
كأنَّ الدموعَ على خدِّها بقية ظلِّ على جُلنارِ^(١)

وما أساء على بن جريج ، بل أحسن في زيادته عليك بقوله :

لو كنتَ يومَ الوداعِ شاهِدَنا وهنَّ يُطْفِئْنَ غُلةَ الوجودِ
لم ترَّا إلاَّ دموعَ باكيةٍ تَبْفِجُ من مُقلَّةٍ على خدِّ
كأنَّ تلكَ الدموعَ قَطْرُ نَدَى يَقَطُرُ من ترَجِسٍ على وِزْدِ

وسبقك أبو تمام إلى معنى البيتين معاً بقوله :

من كل زاهرة تفرقُ بالنَدَى فكأنها عينٌ إليه تَحَدَّرُ
تبدو ويحجبها الجيمُ كأنها عَذْرَاهُ تبدو تارةً وتَحْفَرُ^(٢)
خلقُ أطلَّ من الربيعِ كأنه خلقُ الإمامِ وهُدْيُه المنتشرُ
في الأرضِ من عدلِ الإمامِ وجودِهِ ومن الربيعِ الغضُّ سرحُ يزهر^(٣)
يُنسى الربيعُ وما يروضُ جوده أبداً على مرِّ الليالي يذُكَّرُ

قال : فسق ذلك عليه ، وحلَّ حَبَوْتَه ونهض ، فكان آخر عهدى بمؤانسته
وغلظ ذلك على محمد بن يزيد ، وقدح ذلك في حالي عنده .

للبحترى في
المدخ

وقال البحترى يمدح المهيم بن عثمان الصنوى :

ألست ترى مدَّةَ الفراتِ كأنه جبالَ شَرَوَزَى جِبْنَ في البحرِ عُوَمَا
وما داك من عاداته غير أنه رأى شِيمَةً من جاره فتعلماً

(١) الجلنار : زهر الرمان ، وهو فارسي معرب . (٢) الجيم : النبات الغزير .

(٣) السرح : كل شجر طال .

وقدبته التوزوزُ في غبشِ الدُجى
يُفتَحها بردُ الندى فكأنهُ
ومن شجرٍ ردَّ الربيعُ لِبأسه
أحلَّ فأبدى للعيونِ بَشاشَةً
فما يمنعُ الراحِ التي أنتِ خَلُّها
ومازلتِ خِلالاً للندامى إذا اغتَدوا
تكرمت من قبل الكئوسِ عليهم

حيثك عنا شمالٌ طافَ طائفها
هبتُ سحيراً فناجى الغُصنُ صاحبه
ورقٌ تفتى على خضِرٍ مُهدلةٍ
تخالُ طائرَها نَشوانَ من طربٍ

ولابن المعتز في أرجوزته البستانية التي

ذم فيها الصبوح صفة جامعة ، إذ قال :
أما ترى البُستنانَ كيف نوراً
وضحكُ الوردِ إلى الشقائقِ
في روضةٍ كحلية العروسِ
وياسمين في ذرى الأغصانِ
والسمرُ ومثل قصبِ الزبرجدِ
على رياضٍ وثرى ندى
وفرَج الحشخاشِ جيباً وفتق
أو مثل أقداحِ من البلورِ
وبعضه عُرَيانُ من أثوابه
ونشرُ المنثورِ بُرداً أصفراً
واعتمقُ الوردِ اعتناقِ الوامقِ
وخُدِّم كِهامةِ الطاوسِ
منظم كقطعِ العقيانِ
قد استمدَّ الماءُ من تِربِ ندى
وجدولٍ كالبردِ الحلى
كأنه مصاحفُ بيضُ الورقِ
تخالها تجسَّمت من نورِ
قد خجل اليابس من أصحابه

لابن المعتز
بدم الصبوح

(١) نسها في نهاية الأرب (٢٦٣/١١) لابن الرومي ، وهي به أشبه .

مثل الدبايس بأيدي الجنيد
 كقطن قد مسه بعض بلبل
 ودخل الميدان في ضمائه
 كأنها جاجم من عنبر
 ججمة كهامة الشمس
 وجوهر من زهر مختلف
 أو مثل أعراف ديوك الهند
 قد صقلت أنواره بالقطر

لأبي الفتح
 كشاجم

كارضي الصديق عن الصديق
 أتم له الصنعة في الغبوق
 كأن ثراه من منك فتيق
 بقايا الدمع في خد مشوق
 فالت مثل شراب الرجيق
 مخصرة شقائق من عقيق
 صنيع اللطم في الخلد الرقيق

متصل الويل سريع الرخص
 متصلاً بطوله والعرض
 ثم سما كاللؤلؤ المرخص
 في حليها المحمر والمبيض
 مثل الخلدود نقشت بالعص

تبصره عند انتشار الورد
 والسوسن الأزار منشور الخلل
 نور في حاشيتي بستانه
 وقد بدت فيه ثمار الكنكر
 وحلق البهار بين الأس
 خلال شيخ مثل شيب النصف
 وجلنار كأنه رار الورد
 والأقحوان كالثنايا الغر
 وقال أبو الفتح كشاجم :

وروض عن صنيع النيث راض
 إذا ما القطر أسعدته صبوحاً
 يُعير الریح بالنفحات ريحاً
 كأنّ الطلّ منتشراً عليه
 كأنّ غصونه سقيت رحيقاً
 كأنّ شقائق النمان فيه
 يدكرني بنفسه بقاءيا
 وقال :

غيث أماناً مؤذناً بالخلف
 دنأ فيلناه دوين الأرض
 إلهاً إلى ألف بسير يفضي
 فالأرض تجلي بالنبات الغض
 من سوسن أحوى وورد غض

وأقحوان كاللججين المحض مثل العيون رقت للغمض
وترجس ذاكي النسيم بض ترنو فيغشاها الكرى فتغضي

جملة من هذا النوع لأهل العصر

قال أبو فراس الحمداني :

لأبي فراس
الحمداني

وجلنارٍ مُشرقٍ على أعالي شجرة
كأن في رؤوسه أحمره وأصفره
قراضة من ذهب في خرقه معصرة

وقال :

ويوم جلافيه الربيع رياضه
كان ذبول الجلتار مطلة
بأنواع حلي فوق أثوابه الخضر
فضول ذبول الغائيات من الأزر

لابن هاني
يصف زهرة
رمان

وقال أبو القاسم بن هاني ، يصف زهرة رمان قطفت قبل عقدها :
وبنت أليك كالشباب النضر
جنان باز أو جنان صقر
كأما سحت دماً من نحر
[أو سقيت بجدول من حمر]
جاءت كمثل النهدي فوق الصدر
يصف زهرة رمان
كانها بين العصون الخضر
قد خفتمته لقوة بوكر^(١)
أو نبتت في تربة من جمر
لوكف عنها الدهر صرف الدهر
تفتت عن مثل اللات الحمر

في مثل طعم الوصل بعد الهجر

ولهم في هذا المعنى

روضة رقت حواشيها ، وتأنق واشيها . روضة كالعقود المنظمة ، على البرود
المنمنمة . روضة قدر اضتها كف المطر ، ودبجتها أيدي الندى . أخرجت الأرض

أسرارها ، وأظهرت يدُ الغيثِ آثارها ، وأبدت الرياضُ أزهارها . الرياض كالعراس في حليها وزخارفها ، والقيان في وشيها ومطارفها ، باسطة زرايتها وأعماطها ، ناشرة حبراتها ورباطها ، زاهية بجمراتها وصفرائها ، نائمة بميدانها وغدرانها ، كأنما احتفلت لوفد ، أو هي من حبيب على وعد . روضة قد تَضَوَّعت بالأرج الطيب أرجاؤها ، وتبرجت في ظلل الغمام صحراؤها ، وتنافجت بنوافج المسك أنوارها ، وتعارضت بفرائب التلطيح أطيافها . بستان رق نوره النضيد ، وراق عوده النضير . بستان عوده خضر ، ونوره نضير ، ويُنعمه خضيل ، وماؤه خصر . بستان أرضه للبقل والريحان ، وسماؤه للنخل والرمان . بستان أنهاره مفروزة بالأزهار ، وأشجاره موقرة بالثمار . أشجاره كأن الحور أعارتها قدودها ، وكستها برودها ، وحامتها عقودها . الربيع شباب الزمان ، ومقدمة الورد والريحان . زمن الورد مر موق ، كأنه من الجنة مسروق . قد ورد كتاب الورد ، بإقباله إلى أهل الود . إذا ورد الورد ، صدر البرد : مرحباً بإشراف الزهر ، في أطراف الدهر ، وأنشد :

سقى الله ورداً صار خدّاً ربيعنا فقد كان قبل اليوم ليس له خد
 كأن عين الترجس عين ، وورقه ورق^(١) الترجس نزهة الطرف ،
 وظرف الطرف ، وغذاء الروح : شقائق كتيجان العقيق على رؤس الزوج ،
 كأنها أضداع المسك على الوجنات الموردة . شقائق كالزئوج تجارحت وسالت
 دماؤها ، وضعت فسال دماؤها . كأن الشقيق جام من عقيق أحمر ، ملئت
 قرارته بمسك أذقر . الأرض زمردة ، والأشجار وشى ، والماء سيوف ، والطيور
 قيان . قد غررت خطابه الأطياف على منابر الأنوار والأزهار . إذا صدح الحمام ،
 صدح الحمام قلب المستهام انظر إلى طرب الأشجار لغناء الأطياف . ليس
 للبلابل كغناء البلابل^(٢) ، وحر بابل .

(١) العين المشبه بها : الذهب ، والورق - بكسر الراء - الفضة (م) .
 (٢) البلابل الأول : الأشجان ، والثانية الطيور الغردة واحدها بلبل (م) .

ولهم فيما يتعلق بهذا النحو في وصف أيام الربيع

يوم سماءه فأختية ، وأرضه طاوسية . يوم جلابيب غيومه رواق ، وأردية
نسيمه رفاق . يوم تمسك السماء ، ممصفراً الهواء ، ممتنبر الرّوض ، مُصنّداً
الماء . يوم زرّ عليه جيب الضباب ، وانسحب فيه ذيل السحاب . يوم سماءه
كالخزّ الأذكن ، وأرضه كالديباج الأخضر

شادن يرّعى القلوب ببغدا د ولا يرّعى السكلا بالنّجاج
أقبلت والربيعُ يختالُ في الرّوضِ وفي المزن ذى الحيا الثّجاج^(١)
ذو سماء كاذكن انخزّ قد غيّمت وأرض كالأخضر الديباج
فتجلّى عن كل ما يئتمنى موعد الكدخداة والهياج
فظلانا في نزهتين وفي حُسنين بين الأرمال والأهزاج
بفتاة تسرنا في المثاني وعجوز تسرنا في الرّجاج
أخذت من رهوس قوم كرام ثارها عند أرجل الأعلاج
يوم حَسَنُ الشّائل ، مُتَمِّعُ الخليل ، سَجَسَجَ الهواء ، مُؤَنِّقُ الأرجاء .
يوم تَبَسَّمُ عنه الربيعُ ، وتبرّج عنه الرّوضُ الربيع . يوم كان سماءه ماتمّ تباكي ،
وأرضه عروس تتجلّى . يوم مشهّر الأوصاف ، أغرّ الأطراف . يوم يُفنى فيه
النور وينتبه ، وتُسفر فيه الشمس وتنتقب ، وتمتنق الغصون وتفترق ، ويوشى
النيم وينسكب . يوم غاب نجسه وهوى ، وطلع سعده واعتلى ، والزمان ساقطة
جماره ، مُفَعِّمةُ أنهاره ، مُؤَنِّقةُ أشجاره ، مفرّدة أطيّاره . نحن في غبّ سماء ،
قد أقلمت بعد الارتواء ، وأفشعت عند الاستغناء ، فالنبتُ حَصيلٌ ممطور ،
والنقعُ ساكن محصور . يوم جوّه طاروني ، وأرضه طاوسية . يوم دَجَّنه عاكف ،
وقطره وارّكف . يوم من أعياد العُمُر ، وأعيانِ الدَّهْرِ .

(١) الحيا : الطر ، والثجاج : كثير السيلان (م) .

[الربيع والرفاق]

ولهم في تشبيه محاسن الربيع بمحاسن الإخوان والسادة :
 عَيْثُ مُشَبَّهٍ بِكَفِّكَ ، واعتداله مُضَاهٍ لَخُلُقِكَ ، وزَهْرُهُ مُوَازٍ لِلشَّرِكِ (١) ،
 كأنما استعار حُلْمَهُ من شَيْئِكَ ، وحَلْيِهِ من سَجِيَّتِكَ ، واقتبس أنواره من محاسن
 أيامك ، وأمطاره من جُودِكَ وإِنْعَامِكَ . قدم الربيع مُنْتَسِباً إلى خلقك ،
 مُكْتَسِباً محاسنَه من طَبْعِكَ ، متوشحاً بأنوار لَفْظِكَ ، متوضحاً بأنوار لسانِكَ
 ويَدِكَ . أنا في بستانٍ أذْ كَرْنِي وَرُدَّهُ المَفْتَحِ بِخُلُقِكَ ، وجَدْوَلُهُ السَّابِحِ بِطَبْعِكَ ،
 وزَهْرُهُ الجَنِيِّ بِقَرْبِكَ . أنا في بستانٍ كأنه من شمائلك سُرِقَ ، ومن خُلُقِكَ خَلِقَ ،
 وقد قابلتني أشجارٌ تَتَمَّائِلُ فتذكرني تَبْرِيحِ الأَحْبَابِ ، إذا تداوتهم أَيْدِي
 الشرابِ ، وأنهار كأنها من يدِكَ تَسِيلُ ، ومن راحتِكَ تَفِيضُ . أنا على حَافَةِ
 حَوْضٍ أزرَقِ كصفاء مودَّتِي لك ، وِرْقَةٍ قولي في عَتَبِكَ .

[الصوم في الربيع]

وقال ابن عون الكاتب :

جاءنا الصومُ في الربيعِ فَهَلَّا أَخْتَارُ رُبْعاً من سائرِ الأرباعِ (٢)
 وكانَ الربيعُ في الصومِ عِقْدٌ فوق نَحْرِ غَطَاءِ فَضْلِ قِنَاعِ

[يوم الشك]

وكتب أبو الفتح كشاجم إلى بعض إخوانه يستدعيه إلى زيارته في يوم شك :
 هو يوم شَكِّ يا عا ئي وبِشْرُهُ مُذْ كان يُحْدَرُ
 والجوُّ حُلْمُهُ مَسَّكَةٌ ومُطْرَفُهُ مُعْنَبِرُ
 والماءُ فَضْيُ الفَمِيسِ وطَيْلسانُ الأرضِ أخضرُ
 نَبْتُ يَصْمَدِ زَهْرُهُ في الرَوْضِ قَطْرٌ نَدَى تَحْدَرُ
 ولنا فَضَيْلاتٌ تَكُونُ لِيومنا قوتاً مُقَدَّرُ

(١) النسر - بالفتح - الرائحة الطيبة (٢) كل فصل ربيع من السنة

ومُدَامَةٌ صَفْرَاهُ أَذْ رَكَ عُمْرَهَا كَثْرَى وَقَيْصَرُ
فَانْشَطَ لَنَا لِنَحْتُ مِنْ كَاسَاتِنَا مَا كَانَ أَكْبَرَ
أَوْ لَا فَإِنَّكَ جَاهِلٌ إِنْ قُلْتَ إِنَّكَ سَوْفَ تُعَذَّرُ
وكتب بديع الزمان إلى بعض أهل همدان :

من بديع
الزمان لبعض
أهل همدان

كتابي - أطال الله بقاءك - عن شهر رمضان ، عرفنا الله بركة مَقْدَمِهِ ،
وَمِنْ مُخْتَمِهِ ، وَخَصَّكَ بِتَقْصِيرِ أَيَّامِهِ ، وَإِتْمَامِ صِيَامِهِ وَقِيَامِهِ ؛ فَهُوَ -
وَإِنْ عَظُمَتْ بَرَكَتُهُ - ثَقِيلٌ حَرَكَتُهُ ، وَإِنْ جَلَّ قَدْرُهُ بَعِيدَ قَفَرِهِ ، [وَإِنْ
عَمَّتْ رَأْفَتُهُ ، طَوِيلَ مَسَافَتِهِ ، وَإِنْ حَسُنَتْ قَرْبَتُهُ ، شَدِيدَ صَحْبَتِهِ ، وَإِنْ
كَبُرَتْ حَرَمَتُهُ كَثِيرَ حَشْمَتِهِ ، وَإِنْ سَرَّنا مُبْتَدَاهُ فَلَنْ يَسُوءَنَا مَنْتَهَاهُ] فَإِنْ حَسُنَ
وَجْهُهُ فَلَيْسَ يَقْبُحَ قَفَاهُ ، وَمَا أَحْسَنَهُ فِي الْقَدَالِ ، وَأَشْبَهَهُ إِدْبَارَهُ بِالْإِقْبَالِ ،
جَعَلَ اللَّهُ قَدُومَهُ سَبَبَ تَرَحُّالِهِ ، وَبَدْرَهُ فِدَاءَ هِلَالِهِ ، وَأَمَدًا فَلَكَ
تَحْرِيكَ ، بِتَقْضَى مُدَّتِهِ وَشِيكَ ، وَأَظْهَرَ هِلَالَهُ نَحِيفًا ، لِيَزِفَ إِلَى اللِّذَاتِ
زَفِيْفًا ، وَعَفَا اللَّهُ عَن مَزِيحِ يَكْرِهِ ، وَوَجُونَ يُسْخِطُهُ .

عول البديع في هذا الكلام على قول أبي الفضل بن العميد في رسالة له في
لابن العميد
مثل ذلك :

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعَرِّفَنِي بَرَكَتَهُ ، وَيُلَقِّنِي الْخَيْرَ فِي بَاقِي أَيَّامِهِ وَخَاتَمَتِهِ ؛ وَأَرْغَبُ
إِلَيْهِ فِي أَنْ يَقْرَبَ عَلَيَّ الْقَلَمُ دَوْرَهُ ، وَيَقْصُرَهُ سَيْرَهُ ، وَيُخَفِّفَ حَرَكَتَهُ ،
وَيَجْعَلَ نَهْضَتَهُ ، وَيَنْتَصِرَ مَسَافَةَ فَلَكِهِ وَدَائِرَتِهِ ، وَيَزِيلَ بَرَكَاتِ الطَّوْلِ عَن
سَاعَاتِهِ ، وَيُرَدِّدَ عَلَيَّ غُرَّةَ شَوَالٍ ، فَهِيَ أَسْنَى الْغُرَرِ عِنْدِي ، وَأَقْرَبُهَا لِعَيْنِي ؛
وَيُطْلِعَ بَدْرَهُ ، وَيُرِيَنِي الْأَيْدِيَّ مُتَطَلِبَةَ هِلَالِهِ بِيَشْرٍ ، وَيَسْمَعُنِي النَّعْمَى لَشَهْرِ
رَمَضَانَ ، وَيَعْرِضَ عَلَيَّ هِلَالَهُ أَخْفَى مِنَ السَّحْرِ ، وَأَظْلَمَ مِنَ الْكُفْرِ ، وَأُنْحَفَ
مِنَ مَجْنُونِ بَنِي عَامِرٍ ، وَأَبْلَى مِنَ أَسِيرِ الْمَجْرٍ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ جَلَّ وَجْهُهُ مِمَّا قُلْتُ
إِنْ كَرِهَهُ ، وَأَسْتَغْفِرِيهِ مِنْ تَوْفِيقِي لِمَا يَذْمُهُ ، وَأَسْأَلُهُ صَفْحًا يُفِيضُهُ ، وَعَفْوًا
بُوسِعَهُ ، إِنَّهُ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ .

[عَوَاقِبُ الطَّيِّبِ]

ظاهر
ابن الحسين
يصف الأمين

قال المأمون لظاهر بن الحسين : صِفْ لِي أَخْلَاقَ الْمُخْلُوعِ . قال : كان واسعَ الصَّدْرِ ، ضَيِّقَ الأَدَبِ ، يُبِيحُ مِنْ نَفْسِهِ مَا تَأْتَفُهُ هِمَمُ الأَحْرَارِ ، وَلَا يُضْعِفِي إِلَى نَصِيحَةٍ ، وَلَا يَقْبَلُ مَشُورَةَ ، يَسْتَبْدُ بِرَأْيِهِ ، وَيُبَيِّصُ سُوءَ عَاقِبَتِهِ ؛ فَلَا يَرُدُّعُهُ ذَلِكَ عَمَّا يَهْمُهُ بِهِ . قال : فَكَيْفَ كَانَتْ حُرُوبُهُ ؟ قال : كان يجمعُ الكُتَّابَ بِالتَّبْذِيرِ ، وَيَفْرُقُهَا بِسُوءِ التَّدْبِيرِ . فقال المأمون : لذلك حلَّ ما حلَّ به ؛ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ ذَاقَ لَذَاتِ النَّصَاحِ ، وَاخْتَارَ مَشُورَاتِ الرِّجَالِ ، وَمَلَكَ نَفْسَهُ عَنْ شَهَوَاتِهَا ، لَمَا ظَفَرَ بِهِ .

[الأَمِينُ وَالْمَأْمُونُ]

ولما عقد الرشيدُ البيعةَ للأَمِينِ وهو أصغرُ من المأمون لأجل أمِّه زُبَيْدَةَ ، وكلامِ أخيها عيسى بن جعفر ، وقدمه على المأمون ، جعل يرى فَضْلَ عقله فيندم على ذلك ، فقال :

لقد بان وجهُ الرَّأْيِ لِي غَيْرَ أَنْتِي غُلِبْتُ عَلَى الأَثَرِ الَّذِي كَانَ أَحْزَمًا
فكيف يُرَدُّ الدَّرُّ فِي الضَّرْعِ بَعْدَمَا تَوَزَّعَ حَتَّى صَارَ نَهْبًا مَقْسَمًا
أخافُ التَّوَاءِ الأَمْرِ بَعْدَ أُسْتَوَائِهِ وَأَنْ يُنْقَضَ الحَبْلُ الَّذِي كَانَ أُبْرَمًا

قال أسد بن يزيد بن يزيد : بعث إلى الفضل بن الربيع بعد مقتل عبد الرحمن الأنباري ، قال : فأثبته وهو في صحنِ داره ، وفي يده رُقْعَةٌ قد غضبَ لِمَا نَظَرَ فِيهَا ، وهو يقول : ينامُ نَوْمَ الظَّرْبَانِ ، وَيَنْدِبُهُ أَتْبَابَةُ الذَّنْبِ ، هَمَّتْهُ بَطْنُهُ ، وَلَذَّتْهُ فَرْجُهُ ، لَا يَفْكَرُ فِي زَوَالِ نِعْمَةٍ ، وَلَا يَتَرَوَّى فِي إِمْضَاءِ رَأْيٍ وَلَا مَكِيدَةٍ ، قد شمر له عبدُ الله عن ساقِهِ ، وَفَوْقَ لَهُ أُسْدٌ سَهَامِهِ ، يرميه على بُعْدِ الدَّارِ بِالحَتْفِ النَافِذِ والموتِ القاصِدِ ، قد عَجَبِي لَهُ المَنَايَا عَلَى مُتُونِ الحَلِيلِ ، وَنَاطَ لَهُ البَلَاءُ فِي أَسِنَّةِ الرِمَاحِ وَشِفَارِ السِيُوفِ ، ثُمَّ تَمَثَّلَ بِشعرِ البَيْتِ :

مُيقَارِعُ أنْزَارِكِ ابْنِ خَاقَانَ لَيْلَهُ إِلَى أَنْ يَرَى الإصْبَاحَ لَا يَتَلصَّمُ
فِيصْبِحُ فِي طُولِ الطَّرَادِ وَجِسْمُهُ نَحِيلٌ ، وَأُضْحِي فِي النِّعَمِ أَصَمُّ

فستان ما بيني وبين ابن خالدٍ أمية في الرزق الذي الله يقسم
 ثم قال : يا أبا الحارث ، أنا وأنت تجزى إلى غاية إن قصرنا عنها ذمناً ،
 وإن اجتهدنا في بلوغها انقطعنا ؛ وإنما نحن شعبة من أصل ، إن قوى قويتنا ،
 وإن ضعف ضعفنا ؛ إن هذا الرجل قد ألقى بيده إلقاء الأمة الوكفاء : يشاور النساء ،
 ويعتمد على الرؤيا ، وقد أمكن أهل اللهو والخسارة من سمعه ؛ فهم يمتنون به
 الظفر ، ويعدونه عواقب الأيام ؛ والهلاك إليه أسرع من السيل إلى قيعان
 الرمل ؛ وقد خشيت أن نهلك بهلاكه ، ونعطب بعبطه ، وأنت فارس العرب
 وابن فارسها ، وقد فزع إليك في لقاء طاهر لأمرين : أحدهما صدق طاعتك ،
 وفضل نصيحتك ؛ والثاني يمن نقيبتك ، وشدة بأسك ؛ وقد أمرني أن أبسط يدك ،
 غير أن الاقتصاد رأس النصحية ، ومفتاح البركة ؛ فبادر ما تريد ، وعجل النهضة ،
 فإني أرجو أن يوليكَ اللهُ شرفَ هذا الفتح ، ويلم بك شعث الخلافة . .
 قلت له : أنا لطاعتك وطاعة أمير المؤمنين مُقدّم ، ولما وهن عدوّ كما مؤثر ؛
 غير أن الحارب لا يفتتح أمره بتقصير ؛ وإنما مِلاكُ أمره الجنود ، والجنود
 لا تكون بلا مال ، وقد رفع أمير المؤمنين الرغائب إلى قوم لم يجدوا عليه ،
 ومتى سمت من أقدرك به الانتفاع له الرضا بدون ما أخذه غيره ممن لم يكن عنده
 غناء ولا معونة ، لم ينتظم بذلك التدبير ، وأحتاج لأصحابي رزق سنة قبضاً ،
 وحملًا إلى ألف فرس لحمل من لا أرخص فرسه ، وإلى مال أستظهر به ، لا إلى
 على وضعه حيث رأيت . فقال : شاوَرُ أمير المؤمنين ؛ فأدخلني عليه ، فلم تندر
 بيني وبينه كلمتان حتى أمر بحجبي .

ويروى أن الأمين لما أعيته مكاييد طاهر قال :

بليت بأشجع الثقلين نفساً تزول الراسيات وما يزول
 له مع كل ذي بدن رقيب يشاهده ويعلم ما يقول
 فليس بمفلسٍ أمراً عناءه إذا ما الأمر ضيعة الجهول

الأمين
 يصف طاهر
 ابن الحسين

الفضل
بن الربيع
وابنه وأبوه

وفي الفضل بن الربيع يقول بعض الشعراء :

كم من مقيمٍ بهخدادٍ على طَمَعٍ لولا رجاء أبي العباس لم يُقيم
البدْرُ إن نظروا، والبحرُ إن رَغِبُوا والحِصْنُ إن زهبوا، والسيفُ ذو النِّقَمِ
وقال عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع : ما مدحنا شاعرٌ بشعر أحب

إلينا من قوا، أبي نواس :

ساد الملوك ثلاثة ما منهمُ إن حُصِّلوا إلا أعز قريع
ساد الربيعُ وسادَ فضلٌ بعدهُ وعلتْ بعباس الكريمِ فروعُ
عباس عباسٌ إذا احتدم الوغى والفضلُ فضلٌ والربيعُ ربيعُ
وقيل للعتابي : أمدحت أحداً ؟ قال : لا ، وليس لي على ذاك قدرة ، فقيل له :

فقد مدحت الربيع ، فقل : ذلك ليومٍ يستحق فيه المدح ، فقلت :

ومعضلة قام الربيع إزاءها ليُعَمِدَ ركن الدين لما تَهَدَّمَا
بمكة والمنصور رهن كما أتى أخا الوحي داعي رَبِّهِ فَتَقَدَّمَا
غداة عداة الدين شاحذة المدى إليه وغولُ الحربِ فَاغْرَا فَمَا

[بيعة المهدي]

وكان المنصور قد توفى بمكة وهو حاجٌ في ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة، فأخذ الربيع للمهدي البيعة على الناس ، وأخذ بتجديدها عن المنصور على أنه حي ، وأدخل إليه قوماً فرأوه من بعيد وقد جلهُ ثوب ، وأقعد إلى جنبه من يحرك يده وكأنه يوميُّ بها إليهم ، فلم يشكوا في حياته ؛ فما خالف أحد ؛ فشكره المهدي لذلك ، وفي ذلك يقول أبو نواس في مدحه الفضل بن الربيع :

أبوك جلي عن مُضَرٍ يوم الرواقِ المحتضِرِ
والحرب تفرى وتذر لما رأى الأمر اقمطرَ
قام كريمة فانتصرَ كهزة العضبِ الذِّكْرِ

ما من من شيء هب وأنت تفتأ الأثر
من ذى حُجول وغُرز

وقال أيضاً :

آلَ الرِّيحِ فَضَلْتُمْ فَضْلَ الخَمِيسِ عَلَى العَشِيرِ^(١)
مَنْ قَاسَ غَيْرَكُمْ بِكُمْ قَاسَ الثَّمَادِ إِلَى البُحُورِ
أَيْنَ القَلِيلِ بِنِو القَلِيلِ مِنَ الكَثِيرِ بِنِو الكَثِيرِ
أَيْنَ النُّجُومِ التَّالِيَا ت مِنَ الأَهْلَةِ وَالبَدُورِ
قَوْمٌ كَفُوا أَيَّامَ مَكَّةَ نَازِلِ الخَطْبِ الكَثِيرِ
وَتَدَارَكُوا نَصَرَ الخِلَا فةِ وَهِيَ شَاسِعَةُ النَّصِيرِ
لَوْلَا مَقَامُهُمْ بِهَذَا هَوَتْ الرِّوَا سِي مِنَ النَّبِيرِ

ومن قول أبي نواس : « من قاس غيركم بكم ... » البيت ، أخذ

أبو الطيب المتنبي :

قَوَاعِدَ كَافُورٍ تَوَارِكَ غَيْرِهِ . وَمَنْ قَصَدَ البَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَا قِيَا
فَتَى مَا سَرَيْنَا فِي ظُهُورِ جُدُودِنَا إِلَى عَصْرِهِ إِلَّا نُرَجَى التَّلَاقِيَا
[وقت كلام الملوك]

من كلام الفضل
ابن الربيع

وقال الفضل بن الربيع : من كلم الملوك في الحاجات في غير وقت الكلام
لم يظفر بحاجته ، وضاع كلامه ، وما أشبههم في ذلك إلا بأوقات الصلوات لا تقبل
الصلاة إلا فيها ، ومن أراد خطاب الملوك في شيء فليزُدد الوقت الذي يصلح
في مثله ذكر ما أراد ، ويسبب له شيئاً من الأحاديث يحسن ذكره بعبه .

بين المأمون
والفضل بن
الربيع

وقال المأمون للفضل بن الربيع لما ظفر به : يا فضل ؛ أكان في حقك عليك ،
وحق آباءى ونعمهم عندأبيك وعندك ، أن تثلبنى^(٢) وتسببى ، ومحرص على دمي ؟
أحب أن أفعل بك ما فعلته بى ؟

فقال : يا أمير المؤمنين ، إن عذرى يُحَدِّدُكَ إِذَا كَانَ وَاضِحًا جَمِيلًا ، فكيف

(١) الخميس : الخمس ، العشير : العشر . (٢) تثلبنى : تنتقصنى وتعيبنى (م) .

إذا حَفَّتْهُ العيوب ، وَبَخَّتْهُ الذنوب ؛ فلا يَصِيقُ عني من عَفْوِكَ ما وسعَ غيري منك ، فأنت كما قال الشاعر فيك :

صَفْوَحٌ عَنِ الأَجْرَامِ حَتَّى كَأَنَّهُ مِنْ العَفْوِ لَمْ يَعْرِفْ مِنَ النَّاسِ مُجْرِمًا
وَلَيْسَ يُبَالَى أَنْ يَكُونَ بِهِ الأَذَى إِذَا مَا الأَذَى لَمْ يَفْشَ بِالكُرْهِ مُسْلِمًا
والشعر للحسن بن رجا بن أبي الضحاك .

[بين المنصور والربيع]

وقال سعيد بن مسلم بن قتيبة : دعا المنصور بالربيع ، فقال : سألني ما تريد ، فمد سكتاً حتى نطقت ، وخففت حتى ثقلت ، وأقللت حتى أكررت .
فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أرهبُ مُجْلِكَ ، ولا أَسْتَقْصِرُ عُسْرَكَ ، ولا أَسْتَضْعِرُ فَضْلَكَ ، ولا أَعْتَمِمْ مالَكَ ؛ وإن يومي بفضلِكَ عَلَيَّ أَحْسَنُ مِنْ أَمْسِي ، وَعَدْلِكَ فِي تَأْمِيلِي أَحْسَنُ مِنْ يَوْمِي ؛ ولو جاز أن يَشْكُرَكَ مثلي بغير الخِدْمَةِ وَالْمُنَاصِحَةِ لما سَبَقَنِي لذلك أَحَدٌ .

قال : صدقت ، عَلِمِي بهذا منك أَحَلَّكَ هذا الحِلَّ ؛ فَسألني ما سَأَلْتِ
قال : أسألك أن تَقَرِّبَ عَبْدَكَ الفَضْلَ ، وتُوَثِّرَهُ وتَحَبِّه .
قال : ياربيع إنَّ الحُبَّ لَيْسَ بِمالِ يُوَهَّبُ ، ولا رُتْبَةٌ تُبَدَّلُ ؛ وإِنَّمَا تَوَكَّدُهُ الأَسبابُ .
قال : فأجعل لي طريقاً إليه ، بالفضل علمه
قال : صدقت ، وقد وَصَلْتُهُ بِألفِ ألفِ درهم ، ولم أصل بها أَحَدًا غير عمومتِي ؛ لتعلم ما له عندي ، فيكون منه ما يَسْتَعِدُّ عني به محبَّتِي ، ثم قال : وكيف سألت له المحبة ياربيع ؟
قال : لأنَّها مُفْتاحُ كُلِّ خَيْرٍ ، ومِفْلاقُ كُلِّ شَرٍّ ، تُسْتَرَبُّها عندكَ عيوبُهُ ، وتَصِيرُ حَسَنَاتِ ذُنُوبِهِ .

قال : صدقت وأتيت بما أردت في بابه .

* * *

لأبي تمام يمدح
ابن الزيات

أخذ قوله : « خففت حتى ثقلت » أبو تمام فقال لمحمد بن عبد الملك الزيات :
على أن إفراط الحياء استتالي إليك ، ولم أعدل بعرضي معدلاً
فثقلت بالتخفيف عنك ، وبعضهم يخفف في الحاجات حتى يُثَقَّلَا

[سهل بن هارون والرشيدي]

ودخل سهل بن هارون على الرشيدي ، وهو يُضاحكُ المأمون ، فقال : اللهم
زِدْهُ من الخيرات ، وابْسُطْ له من البركات ، حتى يكونَ في كلِّ يومٍ من أيامه
مُرِّيًّا^(١) على أمسيه ، مُقَصِّراً عن غداه .

فقال له الرشيدي : يا سهلُ ، من روى من الشعر أحسنه وأرصنه ، ومن
الحديث أفصحه وأوضحه ، إذا رام أن يقولَ لم يُعجزه القول .

فقال سهل بن هارون : يا أمير المؤمنين ؛ ما ظننت أن أحدًا تقدمني إلى هذا المعنى .
قال : بل أعشى همدان حيث يقول :

رأيتك أمسٍ خَيْرَ بني لؤيٍّ وأنتَ اليومَ خيرٌ منك أمسٍ
وأنتَ غداً تزيد الخَيْرَ ضِعْفًا كذاكَ تزيد سادةَ عبدِ شمسٍ

[من شعر الفضل بن الربيع]

ومن شعر الفضل بن الربيع ما أنشده الصولي :

إني امرؤٌ من هاشمٍ بِنَاءٍ مَعْمُورِ النَّوَاحِي
أهل الهدى وذوي التُّقى وأولى البَسَالَةِ والسَّمَاحِ
أهل العالم والمكَا رِمِ فِي الْمَسَاءِ وَفِي الصَّبَاحِ

(١) مرياً : اسم الفاعل من «أربى» إذا زاد (م) .

أهل النبوة والخلافة والكامل برغم لاجي
يتالمون من الضدود ويضربون على الجراح

[بين ابن خاقان وأبي العيناء]

وصف دابة

حمل محمد بن عبيد الله بن خاقان أبا العيناء على دابة زاعم أنها غير فاره^(١) ، فكتب إليه : أعلم الوزير ، أعزه الله ، أن أبا علي محمدا أراد أن يبرئني فعفني ، وأن يرؤ كبنى فأرجلني ، أمر لي بدابة تقف للنبوة^(٢) ، وتغتر بالبعرة ، كالتضيب اليابس عجفا^(٣) ؛ وكالعاشق المهجورد نفا ، قد أذكرت الرواة عذرة العذرى ، والمجنون العامرى ، مساعد أعلاه لأسفله ، حباقه مقرون بسعاله ، فلو أمسك لترجيت ، ولو أفرد لتعزيت ، ولكنه يجمعهما فى الطريق المعمور ، والمجلس المشهور ، كأنه خطيب مرشد ، أو شاعر منشد ، تضحك من فعله النسوان ، وتتناغى من أجله الصبيان ؛ فمن صامح يصيح : داوه بالطباشير ، ومن قائل يقول : نوله الشعر ، قد حفظ الأشعار ، وروى الأخبار ، ولحق العلماء فى الأمصار ، فلو أعين بنطق ؛ لروى بحق وصدق ، عن جابر الجعفى ، وعامر الشعبي ؛ وإنما أتيت من كاتبه الأعور ، الذى إذا اختار لنفسه أطاب وأكثر ، وإن اختار لغيره أخبث وأنزر ؛ فإن رأى الوزير أن يبدلنى به ، ويرى منى منه بركوب يضجكنى كما ضجك منى ، يمحو بحسنه وقراءته ، ماسطره العيب بقبحه ودمايته ؛ ولست أذكر أمر سرجه ولجامه ؛ فإن الوزير أكرم من أن يسلب ما يهديه ، أو ينقض ما يمضيه .

فوجه عبيد الله إليه برذونا من براذينه بسرجه ولجامه ، ثم اجتمع مع محمد ابن عبيد الله عند أبيه ، فقال عبيد الله : شكوت دابة محمد ، وقد أخبرنى الآن أنه يشتريه منك بمائة دينار ، وما هذا ثمنه لا يشتكى .

(١) فاره : أى جيدة قادرة على السير (م)

(٢) النبوة : الصيحة (م)

(٣) العجف : الهزال (م)

فقال : أجز الله الوزير ، لو لم أ كذب مستزيداً ، لم انصرف مستفيداً ، وإني وإياه لكما قالت امرأة العزيز : « الآن حَصَّصَ الحقَّ ، أنا راوَدْتُهُ عن نفسه وإياه لمن الصادقين » . فضحك عبيدُ الله ، وقال : حجَّتكَ الداخضة بملاحتك وظرفك أبلغُ من حجَّة غيرك البالغة .

قطعة من رسالة أجاب بها أبو الخطاب الصابي

عن أبي العباس بن سابور إلى الحسين بن صبرة

عن رقعة وردت منه في صفة حَمَلِ أَهْدَاهُ

وصلت رُقعتك ، ففَضَضْتُهَا عن خَطِّ مُشْرِفٍ ، ولفظ مُونِقٍ ، وعبارة مُصيبة ، ومعانٍ غريبة ، واتساع في البلاغة يَعَجِزُ عنه عبدُ الحميد في كتابته ، وقُسِّ وسَحَبَانٌ في خطابته ؛ وتصرف بين جدِّ أَمْضَى من القَدَرِ ، وهَزَلِ أَرْقَ من نَسِيمِ السَّحَرِ ، وتقلَّب في وجوه الخِطَابِ ، الجامع للصَوَابِ ؛ إلا أنَّ الفِعْلَ قَصَرَ عن القول ، لأنك ذكرت حَمَلًا ، جعلته بصفتك جَمَلًا ، فكان المَعْيَدِيُّ الذي تسمعُ به ولا أن تراه . وحضر فرأيت كَبْشًا مُتَقَادِمَ المِيلَادِ ، من نتاج قَوْمِ عَادَ ، قد أَفْنَتْهُ الدَّهْورُ ، وتَمَاقَبَتْ عليه العصورُ ، فظننته أحدَ الزَّوْجِينِ اللَّذِينَ جعلهما نوحٌ في سفينته ، وحَفِظَ بهما جنسَ الغنمِ لذريته ؛ صَعُرَ عن الكبرِ ، ولَطَفَ عن القدمِ ، فبانَتْ دَمَامَتُهُ ، وتقاصرت قامَتُهُ ، وعاد ناحلا ضئيلا ، بالياً هزِيلا ، بادِيَ السَّقَامِ ، عارى العِظَامِ ، جامعاً للمعائبِ ، مشتملاً على المثالبِ ، يَعَجَبُ العاقلُ من حلولِ الحياةِ به ، وتأتى الحركةِ فيه ، لأنه عَظُمَ مجلده ، وصوف مُلْتَبِدٍ ، لا تجدد فوق عظامه سَلْبًا ، ولا تَلْقَى يدك منه إلا خَشْبًا ، لو أُلْتِجَ إلى السَّبْعِ لَأَبَاهُ ، ولو طرح للذئبِ لَمَاقَهَ وقلاه ، قد طال للكَلِّاءِ فَقْدُهُ ، وبعدُ بالمرعى عَهْدُهُ ، لم يرِ القَتَّ إلا نَأْمًا ، ولا عرف الشعيرَ إلا حَالِمًا ، وقد خَيْرْتَنِي بين أن أَقْتِنِي فيكون فيه غَنِيٌّ

الدهر ، أو أذبحه فيكون فيه خِصْبُ الرَّحْلِ ؛ فَمِلْتُ إلى استبقائه لما تعرف من محبتي في التوفير ، ورغبتي للتشمير ، وجمعي للولد ، وادِّخاري للغد ، فلم أجد فيه مستمتعاً للبقاء ، ولا مدافعاً للفناء ؛ لأنه ليس بأثني فتَحِيل ، ولا بفتي قَيْسُل ، ولا بصحيح قَيْرَعِي ، ولا بسليم قَيْبِي ؛ فَمِلْتُ إلى الثاني من رأيك ، وعولت على الآخر من قولك ، وقلت : أذبحه فيكون وظيفة للعيال ، وأقيمه رطباً مقام قديد الغزال ، فأنشُدني وقد أضرمت النار ، وحُدَّت الشِّفَار ، وشمَّ الجزار :

أُعِيذُهَا نَظَرَاتِ مِثْلِكَ صَادِقَةً أَنْ تُحْسِبَ الشَّحْمَ فِيهِمْ شَحْمَهُ وَرَمَ
وقال : ما الفائدة لك في ذبحي ؟ وأنا لم يبق مني إلا نفس خافت ، ومقللة إنسانها باهت : لَسْتُ بُذِي لِحْمٍ ، فأصلح للأكل ؛ لأن الدهر قد أكل لحمي ، ولا جلدي يصلح للدباغ ؛ لأن الأيام قد مزقت أديمي ، ولا لي صوف يصلح للغزل ؛ لأن الحوادث قد حصت وبري ؛ فإن أردتني للوقود فكف بغير أبي من ناري ، ولن تبقى حرارة جمرى بريح قنارى ، فلم يبق إلا أن تطلبني بذحل^(١) أو بيني وبينك دم . فوجدته صادقاً في مقالته ، ناصحاً في مشورته ، ولم أعلم من أى أمره أعجب ؛ أم من مآطنته للدهر بالبقاء ، أم من صبره على الضر والأواء^(٢) ، أم من قدرتك عليه مع إعواز مثله ، أم من تأهيلك الصديق به مع خساسة قدره؟ وياليت شعري إذ كنت — وإليك سوق الغم ، وأمرك ينقذ في الضأن والمعز ، وكل كيش سمين وحمل بطين محبوب إليك ، مقصور عليك — تقول فيه قولاً فلا ترد ، وتريده فلا تصد ، وكانت هديتك هذا الذي كأنه نأشر من القبور ، أو قائم عند النفخ في الصور ، فما كنت مهدياً لو أنك رجل من عرض الكتاب ، كأبي عليّ وأبي الخطّاب ، ما كنت تهدي إلا كتاباً أجرب ، أو قرناً أهدب .

(٢) اللاءاء : الشدة (م)

(١) الذحل : الثأر (م)

[الحمدوني وشاة سعيد بن أحمد]

وقال الحمدوني في شاة سعيد بن أحمد بن خونسنداذ :

أسعيد قد أعطيتني أضحيةً مكنتَ زماناً عندكم ما تطعمُ
نضواً تعافت الكلابُ بها وقد شدوا عليها كي تموت فيولوا
فإذا للملاضحكوا بها قالت لهم: لا تهزءوا بي وارحموني ترحموا
مرت على علف فقامت لم تريم عنه، وغنت والمدامع تسجم
وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم^(١)
وقال أيضاً :

أبا سعيد لنا في شاتك العبرُ جاءت وما إن لها بول ولا بَرُ
وكيف تبغرُ شاةً عندكم مكنتُ طعامها الأبيضان الشمس والقمرُ
لو أنها أبصرت في نومها علفاً غنت له ودموع العين تتجدد
يا ماني لذة الدنيا بأجمعها إني ليفتنني من وجهك النظرُ
وقال أيضاً :

شاة سعيد في أمرها عبرُ لما أتتنا قد مسها الضرُ
وهي تغني من سوء حالتها. حسبي بما قد لقيت يا عمرُ
مرت بقطف خضر ينشرها قوم فظنت بأنها خضرُ
فأقبلت نحوها لتأكلها حتى إذا ما تبين الخبرُ
وأبدلتها الظنون من طمعٍ يأسا تغنت والدمع منحدِرُ
كانوا بعيداً وكنتم أملمهم حتى إذا ما تقر بوا هجروا

قال :

لسعيد شويةً سلها الضر والعجف
قد تغنت وأبصرت رجلاً حاملاً علفُ

(١) هذا البيت من شعر دعبل الخزاعي

بَأبَى مَنْ بِكَفِّهِ بُرْءُ مَا بِي مِنَ الدَّانِفِ
فَأَتَاهَا مَطْمَعًا وَأَتَتْهُ لَتَعْتَلِفِ
فَسَوَّلِي فَأَقْبَلْتُ تَتَغَيَّي مِنَ الْأَسْفِ
لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ وَقَفَ عَذَّبَ الْقَلْبَ وَأَنْصَرَفَ

[الحمدوني وطيلسان ابن حرب]

[قال]: وإذ قد جرت بعض تضمينات الحمدوني في هذا الموضع فأنا أذكر هنا قطعة من شعره في الطيلسان ، وأنعطف في غير هذا الموضع إياها وأكر عليها؛ وكان أحمد بن حرب المهلبي من المنعمين عليه ، والمحسنين إليه ، وله فيه مدائح كثيرة ، فوهب له طيلساناً أخضر لم ير ضه ، قال أبو العباس البرد : فأنشدنا فيه عشر مقطعات ، فاستحلينا مذهبها فيها ، فجعلها فوق الخمسين ؛ فطارت كل مطار ، وسارت كل مسار ، فمنها :

يَا بِنَّ حَرْبِ كَسَوْتَنِي طَيْلَسَانًا مَلَّ مِنْ صُحْبَةِ الزَّمَانِ وَصَدَا
نَحْسَبُنَا نَسِجَ الْعَنَاكِ قَدْ حَا لَ إِلَى ضَعْفِ طَيْلَسَانِكَ سَدَا
طَالَ تَرْدَادُهُ إِلَى الرَّفْرِ حَتَّى لَوْ بَعَثْنَا وَحْدَهُ لَتَهْدَى
وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا :

يَا طَيْلَسَانَ ابْنَ حَرْبٍ قَدْ هَمَمْتُ بِأَنْ تُودِي بِحِسِّي كَمَا أُودِي بِكَ الزَّمَانُ
مَا فِيكَ مِنْ مِلبَسٍ يَغْنَى وَلَا ثَمَنٍ قَدْ أَوْهَمَّتْ حَيْلَتِي أُرْكَانَكَ الْوَهْمَانُ
فَلَوْ تَرَانِي لَدَى الرَّفَاءِ مُرْتَبَطًا كَأَنْتِي فِي يَدَيْهِ الدَّهْرَ مُرْتَهِنَ
أَقُولُ حِينَ رَأَى النَّاسُ الزَّمَةَ كَأَنَّكَ إِلَى فِي حَانُوتِهِ وَطَنُ
مَنْ كَانَ يَسْأَلُ عَنَّا أَيْنَ مَنْزِلُنَا فَالْأَقْحَوَانَةَ مِنَّا مَنْزِلُ قَمِينُ
وَقَالَ :

قَالَ لِابْنِ حَرْبٍ طَيْلَسَا نَكَ قَوْمُ نُوْحٍ مِنْهُ أَحَدَاتُ

أَفْتَى الْقُرُونِ وَلَمْ يَزَلْ عَمَّنْ مَضَى مِنْ قَبْلِ يُورَثُ
وَإِذَا الْعُيُونُ لِحَظْنِهِ فَكَأَنَّهُ بِاللَّحْظِ يُخْرَثُ
يُودِي إِذَا لَمْ أَرُفْهُ فَإِذَا رَفَوْتُ فَلَيْسَ يَلْبَثُ
كَالْكَلْبِ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ الدَّهْرَ أَوْ تَرَكَهُ يَلْبَثُ

وقال :

قُلْ لِبَنِ حَرْبِ طَيْلَسَانَكَ قَدْ أَوْهَى قَوَايَ بَكْثَةَ الْعُرْمِ
مُتَبِينٌ فِيهِ لِمُبْصِرِهِ آثَارُ رَفْوِ أَوَائِلِ الْأُمِّ
وَكَأَنَّهُ الْحَمْرُ الَّتِي وَصَفْتُ فِي «يَاشْتَبِقُ الرُّوحَ مِنْ حَكْمِ»
فَإِذَا رَمَّمَاهُ فَقِيلَ لَنَا : قَدْ صَحَّ، قَالَ لَهُ الْبَلِي : أَنْهَيْدِمِ
مِثْلَ السَّقِيمِ بَرًّا فِرَاجَهُ نُكْسٌ فَأَسْلَمَهُ إِلَى سَقَمِ
أَنْشَدْتُ حِينَ طَعَى فَأَعْجَزَنِي «وَمِنَ الْعَنَاءِ رِيَاضَةُ الْمَرْمِ»

« الحمرة التي وُصِفَتْ » من قول أبي نواس :

يَاشْتَبِقُ النَّفْسِ مِنْ حَكْمِ نِمَتْ عَنِ لَيْلِي وَلَمْ أَمْ
فَإِنِّي الْبَكْرَ الَّتِي اعْتَجَرْتُ بِخِمَارِ الشَّيْبِ فِي الرَّحِمِ
نَمَّتْ أَنْصَاتِ الشَّبَابِ لَهَا بَعْدَ أَنْ جَازَتْ مَا مَيَّ الْمَرْمِ
فَهِيَ لِلْيَوْمِ الَّذِي بُرِلَتْ وَهِيَ تَلُو الدَّهْرَ فِي الْقَدَمِ
عُتِقَتْ حَتَّى لَوْ اتَّصَلَتْ بِلِسَانِ نَاطِقٍ وَقَمِ
لَاخْتَبَّتْ فِي الْقَوْمِ مَائِلَةً ثُمَّ قَصَّتْ قِصَّةَ الْأُمِّ
فَرَعَّتْهَا بِالْمَرْجِ يَدٌ خَلَقَتْ لِلْكَاسِ وَالْقَلَمِ

وقال المحدثون :

طَيْلَسَانُ لِبَنِ حَرْبٍ جَاءَنِي خِلْعَةً فِي يَوْمِ نَخْسٍ مُسْتَمِرِّ
فَإِذَا مَا صِحَّتْ فِيهِ صِيحَةٌ تَرَكَهُ كَهَشِيمِ الْمُحْتَظَرِّ

وَإِذَا مَا الرِّيحُ هَبَّتْ نَحْوَهُ
مُهْطِعِ الدَّاعِي إِلَى الرَّافِي إِذَا
وَإِذَا رَفَاؤُهُ حَاوَلَ أَنْ
وَقَالَ :

أَيَا طَيْلَسَانِي أُعْمِيتُ طَبِّي
وَيَارِيحُ صَيَّرْتَنِي أَتَقِيكَ
وَمَسْتَخْبِرُ خَبَرَ الطَّيْلَسَانِ
وَقَالَ فِيهِ :

طَيْلَسَانُ ابْنُ حَرْبٍ جَاءَنِي
أَنَا مِنْ خَوْفٍ عَلَيْهِ أَبَدًا
يَا بَنَ حَرْبٍ خُذْهُ أَوْ فَا بَعَثْ بَمَا
فَلَعَلَّ اللَّهُ يُحْيِيهِ لَنَا
فَهُوَ قَدْ أَدْرَكَ نَوْحًا ، فَمَسَى
أَبَدًا يَقْرَأُ مَنْ أَبْصَرَهُ
وَقَالَ فِيهِ :

يَا بَنَ حَرْبٍ أَطَلْتَ فَقْرِي بِرَفْوِي
فَهَوِي الرِّفْوَى آلُ فُرْعُونَ فِي الْعَرِّ
زُرْتُ فِيهِ مَعَانِرًا فَازْدَرَوْنِي
جِئْتُ فِي زِيٍّ سَائِلٌ كِي أُرَاكُمْ
وَقَالَ فِيهِ :

وَهَبْتَ لَنَا ابْنَ حَرْبٍ طَيْلَسَانَا
يَسْلُمُ صَاحِبِي فَيُعِيدُ شَتْمِي
أَجِيلَ الطَّرْفِ فِي طَرَفَيْهِ طَوْلًا
يَزِيدُ الْمَرْءَ ذَا الضَّعْفِ انْتِصَاعًا
لَأَنَّ الرُّوحَ يَكْسِبُهُ انْتِصَاعًا
وَعَرَضًا مَا أَرَى إِلَّا رِقَاعًا

فَلَسْتَ أَشْكَ أَنْ قَدْ كَانَ قَدِيمًا أَنْوِجَ فِي سَمِّهِ شَرَاغَا
 قَدْ غَنَيْتُ إِذْ أَبْصَرْتُ مِنْهُ جِوَانِبَهُ عَلَى بَدَنِ تَدَاغِي
 قَفِي قَبْلَ التَّفَرُّقِ يَا ضَبَاعًا وَلَا يَكُ مَوْقِفٌ مِنْكَ الْوَدَاعَا

[المأمون والحسن بن رجاء]

دخل المأمون بعض الدواوين ، فرأى غلاماً جميلاً على أذنه قلم ، فقال : من أنت يا غلام ؟ فقال : أنا يا أمير المؤمنين الناشئ في دولتك ، المتقلب في نعمتك ، المؤمل لخدمتك ، خادمك وابن خادمك الحسن بن رجاء . فقال : أحسنت يا غلام ، وبالإحسان في البديهة تفاضلت العقول . فأمر أن يرفع عن مرتبة الديوان .

قال أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج : قال لي أبو العباس المبرد : ما رأيت في أصحاب السلطان مثل إسماعيل والحسن ؛ كنت إذا رأيته رأيت رجلاً كأنما خلق للذروة منبراً ، أو صدر مجلس ، يتكلم وكأنه يتنفس ، يسهب ويطنب ، ويعرب ويعرب ، ولا يعجب ويعجب .

أراد القاضي إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد ، والحسن ابن رجاء بن أبي الضحاك .

[بديهة المبرد]

وكان أبو العباس يُعَدُّ في البلغاء ، وقال : لما دخلت على المتوكل اختار لي الفتح ابن خاقان وقت نُزْبِهِ ، وكان الشراب قد أخذ منه ، فسألني وقال : يا بصرى ، رأيت أحسن وجهاً مني ، فقلت : لا والله ولا أسمع راحة ، ثم تجاسرت فقلت :

المبرد عند
 المتوكل

جَهَرْتُ بِحَلْفَةٍ لَا أَتَّقِيهَا بِشْكَ فِي الْيَمِينِ وَلَا ارْتِيَابِ
 بِأَنَّكَ أَحْسَنُ الْخُلَفَاءِ وَجْهًا وَأَسْمَحُ رَاحَتَيْنِ ، وَلَا أَحَابِي
 وَأَنَّ مَطِيْعَكَ الْأَعْلَى مَحَلًّا وَمَنْ عَابَاكَ يَهْوَى فِي تَبَابِ^(١)

(١) التباب - بوزن سحاب - الهلاك والحمران

فقال : أحسنت وأجملت في حُسن طبعك وبديهتك ، ققلت : ما ظننتني أبلغُ هذا الشرف ، ولا أنال هذه الرتبة ؛ فلا زال أميرُ المؤمنين يسمو بخدمته إلى أعلى المراتب ، ويصرفهم في المذاهب .

[من أدب المبرد]

بين ابن المعتز والمبرد
 وكان ابنُ المعتز قد غضبَ على بعض وكلائه ، فصار إلى أبي العباس المبرّد يسأله أن يكلمه له ؛ فكتب إليه المبرّد : أنتَ والله كما قال مسلم بن الوليد في جدك الرشيد :

بابي وأمي أنتَ ما أندى يدًا وأبرّ ميثاقًا ، وما أزرَ كما
 يغدو عدوك خائفًا ، فإذا رأى أن قد قدرت على العقاب رجًا كما
 وهذا معنى كثير .

[في المدح]

لأعرابي
 أنشد أحمد بن يحيى ثعلب الأعرابي :
 كريم يفيض الطرفَ فضلَ حياته وَيَدْنُو وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ دَوَانِي (١)
 وكالسيفِ إن لا يفتنه لأنَ منتهى وحدّاه إن خاشنته خَشِنَانِ
 وهذا يناسب قول ابن المعتز في بعض جهاته :

لابن المعتز
 وَيَجْرَحُ أَحْشَائِي بِعَيْنِ مَرِيضَةٍ كَالآنِ مَتْنُ السِّيفِ وَالْحَدُّ قَاطِعُ
 وقال الأخطل في بني مروان :

للاخطل
 صُمُّ عَنْ الْجَهْلِ ، عَنْ قَبْلِ الْخَلَا أَنْفُ إِذَا أَلَمَّتْ بِهِمْ مَكْرُوهَةٌ صَبَرُوا
 شُمْسُ الْعِدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا (٢)
 وقال إبراهيم بن علي بن هرمة يمدح أبا جعفر المنصور :

لابن هرمة
 كَرِيمٌ لَهُ وَجْهَانُ : وَجْهُ لِدَى الرِّضَا طَلِيقٌ ، وَوَجْهُ فِي الكَرِيهَةِ بَاسِطٌ
 وَلَيْسَ بِمُحْطَى الْحَقِّ حَذَرٌ فَخْلٌ قَدْرَةٌ وَيَعْفُو إِذَا مَا أَمَكْنَتْهُ الْقَاتِلُ
 لَهُ لِحْظَاتٌ مِنْ حِفَائِقِ سَهْمِهِ إِذَا كَرَّهَا فِيهَا عِقَابٌ وَتَأْتِلُ

(١) فضل حياته : منصوب على أنه مفعول لأجله ، (م)

(٢) شمس العداوة : يعني أنهم لا يرجعون إلى الرضا إلا بعد أن يؤخذهم بحقم (م)

(١٧ - زهر آداب ٢)

فَأَمَّ الَّذِي أَمَّنْتَ أَمْنَةَ الرَّدِيِّ وَأُمَّ الَّذِي حَاوَلَتْ بِالشَّكْلِ تَأْكُلُ

وقال الطائي في أبي سعيد محمد بن يوسف :

لأبي تمام

هو السيلُ إن واجهته انقذت طَوْعَهُ وتقتادهُ من جَانِبَيْهِ فَيَتِمُّ

وكان عصابة الجرجاني ، واسمه إسماعيل بن محمد ، منقطعا إلى الحسن بن رجاء

لعصابة

الجرجاني في

متصلا به ، وهو القائل فيه :

الحسن بن رجاء

وَمَحَجَّبَ بِالنُّورِ لَيْسَ بِمَدْرَكٍ إِلَّا بِمَا تَأْتِي بِهِ الْأَنْبَاءُ

مَلِكٌ يُحِبُّ اللَّهَ فَهُوَ يُحِبُّهُ وَيُطِيعُهُ فَتَطِيعُهُ الْأَشْيَاءُ

يَمْشِي الْمَوْئِنَا لِلصَّلَاةِ يُقِيمُهَا وَإِذَا مَشَى لِلْحَرْبِ فَالْحِيلَاءُ

لِللَّهِ دَرَكٌ أَيْمَانُ ابْنِ عَزِيمَةَ يَشْوَى الزَّمَانَ وَمَالَهُ إِشْوَاهُ

ثم عتب عليه في بعض الأمر ، فهجاه هجاء قبيحا ؛ فهرب إلى عمان ، ثم اعتذر إليه بقصيدته التي أولها :

لَا تَحْضِنَنَّ عَوَالِي الْمَرَانِ إِلَّا مِنَ الْعَلَقِ النَّجِيعِ الْآنَ (١)

وهي أجود شعر قيل في معناه ، وهي التي يقول فيها :

أَقْرَ السَّلَامِ عَلَى الْأَمِيرِ ، وَقَالَ لَهُ : إِنَّ الْمُنَادِمَةَ الرِّضَاعُ الثَّانِي

مَا إِنْ أَنَّى حَشَمِي بِأَنَّكَ سَاخِطٌ حَتَّى اسْتَخَفَّ بِمَوْضِعِي غِلْمَانِي

وَعَدَّتْ عَلَيَّ مَطَاعِمِي وَمَشَارِبِي وَمَلَابِسِي مِنْ أَعْوَانِ الْأَعْوَانِ

فكُتِبَ إِلَيْهِ الْحَسَنُ :

أَبْلَغُ أَبَا إِسْحَاقَ أَنَّ مَحَلَّهُ مَنِ بَحِثَ الرَّأْسُ وَالْعَيْنَانِ

لَا تَبْعِدَنَّ بِكَ الدِّيَارُ لِتَرْغَةِ وَكَلْتُمِدَنَّ نَوَازِعَ الشَّيْطَانِ

فَلْيُفْرِخِ الرَّوْعُ الَّذِي رُوِّعَتْهُ إِنَّ الْحِلَّ مَحَلُّ كُلِّ أَمَانِ

[بين جميل وعمر بن أبي ربيعة]

اجتمع جميل بن معمر العذري بعمر بن أبي ربيعة الخزومي ، فأنشده جميل

وصيدته التي أولها :

(١) عوالي المران : أطراف الرماح ، والعلق : الدم ، والنجيع : الضارب إلى

السواد ، والآن : الحار (م)

لَقَدْ فَرِحَ الرَّاشُونَ أَنْ صَرَمَتْ حَبِيلِي .
 يَقُولُونَ : مَهَلًا يَا جَمِيلُ ، وَإِنِّي
 خَلِيلِي فِيمَا عَشْنَا هَلْ رَأَيْتَا
 ثقله أبو العتاهية ، فقال :

يَا مَنْ رَأَى قَبْلِي قَتِيلًا بَكِي
 من شِدَّةِ الْوَجْدِ عَلَى الْقَاتِلِ
 فلما أتمها قال لعمر : يَا أَبَا الْخَطَّابِ ، هل قلت في هذا الروي شيئًا ؟ قال :
 نعم ، ثم أنشده :

جَرِي ناصِح بالود بيني وبينها
 فبِأَنْسَمِ الْأَشْيَاءِ لَا أَنْسَ قَوْلَهَا
 فلما توافقتا عرفتُ الذي بها
 فسأمتُ واستأنستُ خيفةً أَنْ يَرَى
 وأقبلَ أمثالُ الدُّمَى يكتنِفُنَهَا
 فقالت وأرخت جانب السُّرِّ : إيما
 فقلت لها : ما بي لهم من تَرْقُبِ
 فاستخذى جميل وصاح : هذا والله الذي طلبتِ الشعراء فأخطأته ، فعملوا
 بوصف الديار ، ونعت الأطلال .

ولما مات عمر بن أبي ربيعة نعى لامرأة من مولدات مكة ، وكانت بالشام ،
 فبكت وقالت : مَنْ لَأُباطِحُ مَكَّةَ ؟ ومن يمدحُ نساءها ، ويصفُ محاسنهن ،
 ويبكى طاعنهن؟! فقيل لها : قد نشأ فتى من ولد عثمان بن عفان ^(١) على طريقته ،
 فقالت : أنشدوني له ، فأنشدوها :

وقد أرسلت في السر أئيلي بأن أقم
 لعل العيون الرامقات لوصلنا
 أناس أمناهم فبشوا حديننا
 ولا تقربنا فالتجئب أجمل
 تكذب عنا أو تنام فتغفل
 فلما كتمنا السر عنهم تقولوا

(١) هو العرجي ، وسيأتي بعد هذا نسبه وبعض خبره (م)

فما حفظوا العهد الذي كان بيننا ولا حين هموا بالطبيعة أجمعوا
فتسلت وقالت : هذا أجلّ عوضٍ ، وأفضل خلف ، فالحمد لله الذي خلف
على حرمه وأمه مثل هذا .

من شعر
العرجي
وقال عمرو بن أذينة : أنشدت ابن أبي عتيق للعرجي :
فما ليلةٌ عندي وإن قيل ليلةٌ ولا ليلة الأضحى ولا ليلة الفطر
بعادلة الإثنين ، عندي وبالجرى يكون سواء مثلها ليلة القدر
وما أنسَم الأشياء لأنس قولها لجارتها : قومي سلي لي عن الوتر
فجاءت تقول الناس في ست عشرة ولا تعجلي عنه فإنك في أجر
فقال ابن أبي عتيق : هذه أفتة من ابن أبي شهاب ؛ أشهدكم أنها حرّة
من مالي إن أجاز أهلها ذلك .

تسب العرجي
ويعض أخباره الطائف فنسب إليه ، وهو القائل :

هل في ادكاري الحبيب من حرج أم هل لهم الفؤاد من فريج
أم كيف أنسى مسيرنا حرما يوم حللنا بالنخل من أمج^(١)
يوم يقول الرسول قد أذنت فات على غير رقبة فليج^(٢)
أقبلت أهوى إلى رحالهم أهدى إليها بريحها الأريج
وكان محمد بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم واليا على مكة - وهو
خال هشام بن عبد الملك - بلغه أن العرجي هجاه ، فضر به ضربا ، برحاً ، وأقامه
على أعين الناس ، فجعل يقول :

سيغضب لي الخليفة بعد رتي ويسأل أهل مكة عن مساق
على عباءة برقاء ليست من البلوى تجاوز نصف ساق
وتغضب لي بأسرتها قصي ولأه الشعب والطرف العاق

(١) أمج : قرية كثيرة النخل والزرع يسكنها قوم من قضاة (م)
(٢) رقبة - بكسر الراء - ترقب وحذر ، ولج - بوزن صف وعد - أمر من الولوج (م)

خلف محمد بن هشام ألا يخرجها مادامت له ولاية ؛ فأقام في السجن سبع سنين

حتى مات ، وهو القائل في سجنه :

ليوم كريمة وسداد تغر	أضاعوني وأنى فتى أضاعوا
وقد شرعت أسنتهم لنحري	وخلوني ومعترك المنايا
ولم تك نسبتى في آل عمرو	كأنى لم أكن فيهم وسيطاً
ألا لله مظلمتى وهضرى	أجرر في الجوامع كل يوم
سئنجيني فيعلم كيف شكري	عسى الملك الجيب لمن دعاه
وأجزى بالضعائن أهل ضررى	فأجزى بالكرامة أهل ودى

جملة من الفصول القصار لابن المعتز

البشر دال على السخاء كما يدل النور على الثمر . إذا اضطرت إلى الكذاب فلا تصدقه ، ولا تعلمه أنك تكذبه ، فينتقل عن وده ، ولا ينتقل عن طبعه . كما أن الشمس لا تخفى ضوءها وإن كانت تحت السحاب كذلك الصبي لا تخفى غريزة عقله وإن كان مغموراً بأخلاق الحداثة . كرم الله عز وجل لا ينقض حكمته ، ولذلك لا يحصل الإجابة في كل دعوة . كما أن جلاء السيف أهون من صنعه ، كذلك استصلاح الصديق أهون من اكتساب غيره . إذا استرجع الله مواهب الدنيا كانت مواهب الآخرة . لولا ظلمة الخطأ ما أشرق نور الصواب . الحوادث المصنفة لمكبسة لفظ جزيلة : من صواب مدخر ، وتطهير من ذنب ، وتنبية من غفلة ، وتعريف بقدر النعمة ، ومروءة على مقارعة الدهر .

ومثل هذا الفصل محفوظ عن ذى الرياستين ، قاله بعقب علة فأغار عليه

ابن المعتز .

وكتب إلى أحمد بن محمد جواباً عن كتاب استزاده فيه : قيّد نفعتي عندك

بما كنت استدعيتها به ، وذُبت عنها أسباب سوء الظن ، وأُستدِمْ ما تحبُّ مني
بما أحبُّ منك .

وكتب إليه : والله لا قابِلَ إحسانك مني كفرًا ، ولا تَبِيعَ إحسانِي إليك
مَنْ ، ولك عندِي يدٌ لا أُقبِضُها عن نفعك ، وأُخرى لا أُبسطُها إلى ظلمك ،
فتجنَّب ما يبُخِطُنِي ؛ فإني أصون وجهك عن ذلِّ الاعتذار .

وكان أحمد بن سعيد يؤدِّبه فتحمل البلاذري على قبيحة أم ابن المعتز بقوم
سألوا أن تَأذنَ له أن يدخلَ إلى ابن المعتز وقتًا من النهار ، فأجابت أو كادت
تجيب ، قال ابن سعيد : فلما اتصل الخبرُ بي جلستُ في منزلي غضبانًا لما بلغني
عنها ، فكتب إلى ابن المعتز وله ثلاث عشرة سنة .

أصبحتُ يا بن سعيد خِدَنَ مَكْرُمَةٍ	عنها يقصرُ مَنْ يَحْفَى وَيَنْتَعِلُ
سَرَّ بِلْتِي حِكْمَةً قَدْ هَدَبْتُ شَيْمِي	وَأَجَّجْتُ نَارَ ذَهْنِي فِيهِ تَشْتَعِلُ
أَكُونُ إِنْ شِئْتُ قَسًا فِي خَطَابَتِهِ	أَوْ حَارثًا وَهُوَ يَوْمَ الْخُفْلِ مُرْتَجِلُ
وَإِنْ أَشَأْ فِكْرَ زَيْدٍ فِي فِرَائِضِهِ	أَوْ مِثْلَ نَعْمَانَ لَمَّا ضَاقَتِ الْحَيْلُ
أَوْ الْخَلِيلَ عَرُوضِيَا أَخَا فِطْنِ	أَوْ الْكِسَائِيَّ نَحْوِيًّا لَهُ عِلْلُ
تَقَالُ بِدَاهَةَ ذَهْنِي فِي مِرَاكِبِهَا	كَمِثْلِ مَا عَرَفَتْ أَبَائِي الْأَوْلُ
وَفِي فِي صَارِمٍ مَسْأَلُهُ أَحَدٌ	مِنْ غَمِّهِ فَدْرِي مَا الْعَيْشُ وَالْجَدَلُ
عَقْبَاكَ شُكْرٌ طَوِيلٌ لَا نَقَادَ لَهُ	يَبْتَقِي بِجِدَّتِهِ مَا أَطَّتِ الْإِبِلُ

وقسّ الذي ذكر : هو قسّ بن ساعدة الإيادي ، وقد سمع النبي صلى الله
عليه وسلم شِعْرَهُ ، وعجب منه .

وحارث : هو الحارث بن حلزة الإشكري ، وصف ارتجاله يوم فخره بقصيدته
التي أنشدها بحضرة عمرو بن هند التي أولها :

أَذْنَتْنَا بَيْنِنَا أَسْمَاءُ رَبِّ تَائِبٍ يُمَلُّ مِنْهُ التَّوَاهُ

وزيد : هو زيد بن ثابت الأنصاري ، وإليه انتهى علم الفرائض . ونعمان : هو

أبو حنيفة النعمان - رضى الله عنه - بن ثابت، سبق أهل العراق في الفقه. والخليل بن أحمد القره‌هودى، ويقال: الفرأهيدى، منسوب إلى حى من الأزدي، اليعمرى. والكسائى: على بن حمزة الكوفى.

[من ابن العميد إلى بعض إخوانه]

وكتب أبو الفضل محمد بن العميد إلى بعض إخوانه :
 أنا أشكو إليك - جعلني الله فداك - دهرًا أخوًا وناغدورًا مؤزمًا ناخذوًا وعأغرورًا،
 لا يمنح ما يمنح إلا ريث ما ينتزع، ولا يبقى لها يهب إلا ريث ما يرتجع، يبدو
 خيره لمعًا ثم ينقطع، ويحلوا ماؤه جرعًا ثم يمتنع. وكانت منه شيمة مؤوفة،
 وسجية معروفة، أن يشفع ما يبره بقراب انتقاض، ويهدي لما يسطه وشك انتقاض،
 وكنا نلبسه على ما شرط، وإن خان وقسط؛ وترضى على الرغم بحكمه، ونسقم
 بقضده وظلمه، ونعتد من أسباب المسرة الأبيجي، محذوره مصمتا بلا انفرج، ولا يأتي
 مكروهه صرًا بلا مزاج، وتعلل بما نختلسه من غفلاته، ونسرقه من ساعاته.
 وقد استحدث غير ما عرفناه سنة مبتدعة، وشريعة متبعة، وأعد لكل صالحة
 من الفساد حالًا، وقرن بكل خلة من المكروه خلالًا. وبيان ذلك - جعلني
 الله فداك - أنه كان يقنع من معارضته الإلفين، بتفريق ذات البين، فقد
 أنثى ممنواً فيك بجميع ما أوغره، وما أطويه من البلوى منك أكثر ما أنشره،
 وأحسبني قد ظلمت الدهر بسوء الثناء عليه، وألزمته جرماً لم يكن قدره بما يحيط
 به، وقدرته ترقي إليه، ولو أنك أعنته وظاهرته، وقصدت صرفه وآزرته،
 وبعثني بيع الخلق وليس فيمن زاد ولكن فيمن نقص، ثم عرضت عنى إعراض
 غير مراجع، واطرحتنى اطراح غير مجامل؛ فهلاً وجدت نفسك أهلاً للجميل
 حين لم تجدني هناك، وأنفدت من جل ما عقدت من غير جريمة، ونكثت
 ما عهدت من غير جريمة، فأجبتني عن واحدة منهما؛ ما هذا التعالى بنفسك،

والتعالى على صديقتك؟ ولم تَبْذَنِي تَبْذَنِي التَّوَاتُ، وطرحتني طرح القذاة؟ ولم تَلْفِظِي من فيك، وتَجْنِي من حَلَقِكِ؟ وأنا الحلال الخلو، والبارد العذب، كيف لا تُخَطِرُنِي ببالك خَطْرَةَ، وتُصَيِّرُنِي من أشغالك مرة؛ فترسل سلاما إن لم تتجشم مكاتبه، وتذكري فيمن تَذْكُرُ إن لم تكن مخاطبة؟ وأحسب كتابي سِيرِدُ عَلَيْكَ فتنكره حتى تثبتت، ولا تجمع بين اسم كاتبه وتصور شخصه حتى تذكرك؛ فقد صرت عندك من محامى النسيان صورة من صدرك، واسمه من صحيفة حفظك، ولعلك أيضاً تتعجب من طمعي فيك وقد توليت، واسمالي لك وقد أبيت، ولا عجب فقد يتفجر الصخر بالماء الزلال، ويلين من هو أقسى منك قلبا فيعود إلى الوصال، وآخر ما أقوله أن ودي وقف عليك، وحسن في سبيلك، ومتى عدت إليه وجدته غضاً طرياً، فجزبه في المعادة فإنه في العود أحمد.

اجتليت هذا الكلام على اختيار الاختصار.

حلّ قوله «قد يتفجر الصخر بالماء الزلال» من قول ابن الرومي:

يا شبيه البدر في الحسن وفي بُعد المنال

جد فقد تنفجر الصخرة بالماء الزلال

وفي هذه الرسالة في ذكر فتح وإن لم يستبق منه المعنى:

وقد خصنا الله تعالى معاشر عبد الأمير عضد الدولة بنعمة يعاوم مراتب النعم موقعا، ويفوت مقدار المواهب موضعها، فباسمه أبقاه الله - فتح الفتح، وبشعاره استنزل النجح، ويؤمن بقيدته فرج الكرب، وبسعادة جده كسف الخطب، وبها ترازه للدولة وحايته عاد إليها ماؤها، وراجعها بهاؤها، فعز الملك ونصر، وذل العدو وقهر، وحيت أطراف الدولة، وحفظت أكناف الملّة، واستجد نظام النعمة، وسدلت ستور الصيانة دون الحرمة؛ ولو جعل المولى - تقدس اسمه - لنعمته إذا تناهت على عبيده جزاء غير الإخلاص في شكره، وقيل ما في مقابلة المؤهبة التي يستجدها عند خلقه غير

الإغراق في حَمْدِهِ ، لرأيتُ ألاَّ أقتصر في قضاء حقِّه على بعض الملك دون بعض ،
ولجلت في صَدْرٍ ما أبدل عن هذه النعمة الأعزَّين : الأهل والولد ، والأنصريين :
الساعد والعصُد ، بل العميدين : القلب والكبد ؛ بل النفس كلها ، والمُهْجَة
بأسرها .

[من بديع ما قيل في العتاب]

لسعيد بن حميد

وقال سعيد بن حميد يعاتبُ بعض إخوانه :

أقلُّ عتابك فالبقاء قليلُ والدَّهرُ يعدلُ تارةً ويميلُ
لمُأبِك من زمنٍ ذمَّتْ صُروفهُ إلاَّ بكيتُ عليه حين يزولُ
ولِكُلِّ نائبةٍ أمتُ مُدَّةُ ولكلِّ حالٍ أقبلتُ تحوِيلُ
والمتنمون إلى الإخاء جماعةُ إن حُصِّلوا أفنَّهم التحصيلُ
ولعل أحداثَ المنيةِ والرَّدى يوماً ستصدعُ بيننا وتحولُ
فلئن سبقتُ لتبكين بحسرةٍ وليكثرنَّ علىَّ منك عويلُ
ولتفجعنَّ بمخلصٍ لك وامقي حبيلُ الوفاء بحبيلِهِ موصلُ
ولئن سبقتُ - ولا سبقتُ - ليضينُ من لا يشاكلهُ لدى خليلُ
وليذهبنَّ بها كلَّ مروءةٍ وليُفقدنَّ جمالها المأهولُ
وأراك تكلفُ بالعتابِ ووُدُّنا ضافٍ عليه من الوفاء دليلُ
وَدُّ بدا لذوى الإخاء جمالهُ وبدت عليه بهجةٌ وقبولُ
ولعل أيامَ الحياة قليلةُ فسلامٌ يكثرُ عتبنا ويطولُ
وقال أيضاً :

لقد ساءنى أن ليس لى عنك مذهبُ ولا لك عن سوء الخليفة مرَّعبُ
أفكر فى ودِّ تقادم بيننا وفى دونه قرْبى لمن يتقربُ
وأنت سقيمُ الودِّ رثَّ حبالهُ وخيرُ من الودِّ السقيمِ التجنُّبُ

(١) فى نسخة «جمالها المأمول» (م) .

نُسيُّ وتأتى أن تعقب بعدهُ بحسنى، وتلقانى كأتى مُذنب
وأحذرُ إن جازيت بالسوء والقيلِ مقالة أقوامٍ همُ منك أنجبُ
أساء اختياراً أو عرته ملالةُ فعاد يُسيء الظنَّ أو يتعَبُّ
فخبتُ من الودِّ الذى كان بيننا كخاب راجي البرق والبرقُ خلبُ

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

لعبيد الله بن عبد
الله بن طاهر

إلى كم يكونُ الصَّدُّ في كل ساعةٍ ولم لا تملنَّ القطيعةَ والمهجراً؟
رويدك! إنَّ الدهرَ فيه بقيةٌ لتفريقِ ذاتِ البينِ فانتظرِ الدهرَ أ
آخر :

ولقد علمت فلا تكن متجنّباً أنَّ الصّدودَ هو الفِراقُ الأوَّلُ
حَسبِ الأحيّةِ أن يفرّقَ بينهم صرْفُ الزمانِ، فالنا نَسْتَعِجِلُ؟
آخر :

ذَرِ النفسَ تأخذُ وسعها قبلَ بَيْنِها ففترق جارانِ دارها العمرُ
ويقرب من المعنى قول المتنبي أيضاً :

للمتنبي

زودِ ينامن حُسنَ وجهك ما دأ مَ فحسُنُ الوجوهِ حالٌ يَحْمُولُ
وَصَلِيناً نَصَلِكُ في هذهِ الدُّنيا فَإِنَّ المَقَامَ فيها قَلِيلُ

[من كلام الأعراب]

وقف أعرابيٌّ يسألُ، فعَبِثَ به فتى، فقال : بمن أنت؟ فقال : من بنى عامر
ابن صعصعة، فقال : من أيّهم؟ فقال : إن كنت أردت عاطفة القرابة فليكنك
هذا المقدر من المعرفة، فليس مقامُ مُجادلةٍ ولا مفاخرة، وأنا أقولُ :
فإن لم أكن من هاماتهم فإست من أعجازهم. فقال الفتى : ما رويت عن فضيلتك إلا النقص
في حسبك. فامتعض الأعرابي لذلك؛ فجعل الفتى يعْتَدِرُ، ويحاطط الهزل والدعاية باعتذاره،

وأطال الكلام ، فقال له الأعرابي : يا هذا ، إنك منذ اليوم آذيتني بمزحك ، وقطعتني عن مسألتى بكلامك واعتذارك ، وإنك لتكشف عن جهلك بكلامك ما كان السكوت يستتره من أمرك ، ويحك ! إن الجاهل إن مزح أسخط ، وإن اعتذر أفرط ، وإن حدث أسقط ، وإن قدر تسلط ، وإن عزم على أمر تورط ، وإن جلس مجلس الوقار تبسط ؛ أعودُ منك ومن حالٍ اضطرتني إلى احتمالٍ مثلك !

وقال إسحاق الموصلي : قال أعرابي لرجل كان يعتمده بالعطية : أسأل الذي رحمني بك أن يرحمك بي .

وسأل أعرابي رجلاً ، فأعطاه ، فقال : الحمد لله الذي ساقني إلى الرزق وسأقك إلى الأجر :

[المقامة البلخيّة]

ومن انشاء البديع من مقامات الإسكندري :

قال : حدثنا عيسى بن هشام قال : أفضت بي إلى بلخ تجارة البرّ ، فوردتها وأنا بفرّوة الشباب^(١) وبأل القراخ ، وحلية الثروة ، لايهمّني إلا نزهة فكر أستقيدها^(٢) وشريفة من الكلام أصيدها ؛ فما استأذن على سمعي مسافة مقامي ، أفصح من كلامي . ولمّا حنى التفرقُ بنا قوسه أو كاد ، دخل إلى شاب في زى ملء العين ، وحلية تشوك الأخدعين^(٣) ، وطرفٍ قد شرب بماء الرافدين^(٤) ، ولقيني من البرّ في السناء ، بما زدتُه من الشكر والثناء ؛ ثم قال : أظعننا تُريد ؟ قلت :

(١) الفروة : الشعر ، وفي إحدى روايات المقامات « وأنا بعذرة الشباب »

والعذرة : الناصية ، وهي الحصلة من الشعر في مقدم الرأس

(٢) في إحدى روايات المقامات « مهرة فكرة أستقيدها »

(٣) الأجدعان : عرقان في صفحة العنق

(٤) الرافدان : دجلة والفرات . والكلام هنا كناية عن وفرة الشباب

إي والله ، فقال : أخصبَ الله رائدك ، ولا أضلَّ قائدك ، فمتى عزمتَ ؟ فقلت :
غداً غد ، فقال :

صباحُ الله لا صُبْحُ انْطلاقٍ وطَيْرُ الوصلِ لا طَيْرُ الفِراقِ
قال : أين تريد ؟ قلت : الوطن ، قال : بُلِّغْتَ الوطن ، وقصيتَ الوطر ،
فمتى العود ؟ قلت : القابل ، قال : طَوَيْتَ الرِّيطَ^(١) ، وثنيتَ الخيط ، فأين أنت
من الكرم ؟ قلت : بحيث أردت ، قال : إذا رجعت الله من هذه الطريق ،
فاستصحب لي عدواً في بُرْدَةِ صديق ، من نجار الصُّفْر ، يدعو إلى الكفر ،
ويرقص على الظفر ، كدأرة العين ، يحطُّ ثِقَلَ الدين ، وينافقُ بوجهين !
فعلت أنه يلتبس ديناراً ، قلت : لك ذلك نقداً ، ومثله وعداً ، فأنشأ يقول :

رَأَيْكَ مِمَّا خَطَبْتُ أَعْلَى لا زلت للمكرّمات أهلاً
صَلَبْتَ عوداً وَقَعْتَ جوداً وطبنت فرعاً وطبنت أصلاً
لا أستطيع العطاء حملاً ولا أطبق السؤال تَبلاً
قَصُرْتُ عَنْ مُنْتَهَاكَ ظَنّاً وطلت عمّا ظننت فعلاً
يا رَحْمَةَ اللهِ وَالْمَعَالَى لا لَقِيَ الدَّهْرُ مِنْكَ مُكَلَّلاً^(٢)

قال عيسى بن هشام : فُنِّلْتُهُ الدينار ، وقلت : من أين نبتَ هذا الفضل ؟
قال : بتمتني قريش ، ومهد لي الشرفُ في بطحائها . فقال بعض من حضر :
أَلَسْتُ أبا الفتح السكندري ؟ ألم أرك بالعراق ، تطوف بالأسواق ، مُكَدِّياً
بالأوراق^(٣) ؟ فأنشأ يقول :

(١) الريط : جمع ريطه ، وهي الملاة - وهذه العبارة كناية ، يدعوله
بأن يطوى أيام البعد عن أهله (م)

(٢) في إحدى روايات المقامات « يارحمة الدهر والمعالي » والرجمة - بضم
الراء وسكون الجيم - ما يبني تحت النخلة السكرية لتعتمد عليه إذا ثقل حملها أو
ضعف احتمالها (م)

(٣) كدى الرجل تكديبه : أي سأل

إِنَّ اللَّهَ عَيْدًا أَخَذُوا الْعُمَرَ خَلِيطًا
فَهُمْ يُسْمُونَ أَعْرَا بَا وَيُضْجُونَ نَيْطًا^(١)
[من البديع إلى الميكالي]

وله إلى أبي نصر الميكالي يشكو إليه خليفته بهرارة :

كتابي أطل الله بقاء الشيخ الجليل ، والماء إذا طال مكنه ، ظهر خُبنه ، وإذا
سكن مئنته ، تحرك تننه ، كذلك الضيفُ يسمعُ لقاءه ، إذا طال ثواؤه ، وينقل
ظله ، إذا انتهى محله ، وقد حلبت أشطر خمسة أشهر بهرارة وإن لم تكن دار
مثل لولا مقامه ، وما كانت تسعني لولا ذمأمه ، ولي في بيتي قيس مثل صدق ،
وإن صدرًا مصدرًا عشق :

وَأَدْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا سَبَيْتَنِي بِقَوْلِ يُحِلُّ الْعَصْمَ سَهْلَ الْأَبَاطِحِ
تَجَافَيْتَ عَنِّي حَيْثُ لَا لِي حِيلَةٌ وَخَلَفْتَ مَا خَلَفْتَ بَيْنَ الْجَوَارِحِ

نعم . قصصني نعم الشيخ الجليل ، فلما علق الجناح ، وقلق البراح ، طرت
مطارَ الرياح ، بل مطارَ الروح . وتركتني بين قوم ينقض مسهم الطهارة ،
وتوهن أكتفهم الحجارة . وحدثت عن هذا الخليفة ، بل الخيفة ، أنه قال :
قضيت لفلان خمسين حاجة منذ ورد هذا البلد ، وليس يقنع ، فما أصنع ؟ فقلت :
يا أحمق ، إن استطعت أن تراني محتاجاً ، فاستطع أن أراك محتاجاً إليك . أف
لقولك ولفعلك ، ولدهر أخوج إلى مثلك ! وأنا أسأل الشيخ الجليل أن يبيض
وجهي بكتاب يسود وجهه ، ويعرفه قدره ، ويلا رعباً صدره ، إلى أن تبين
على صفحات جنّبه ، آثارُ ذنبه .

وله إليه يعاتبه :

قد عرف الشيخ الجليل أسامي بعبوديته ، ولو عرفت وراء العبودية مكاناً
ليبلغته معه ، وأراني كلما قدمت ضحبة ، رجعت رتبة ، وكلما طالت خدمة ، قصرت

(١) النيط : جماعة من العجم يسكنون سوادا لعراق (م).

حِشْمَةٌ ، ولسْتَ ممن يذهب عليه أن للسلطان أن يرفع عبداً حبشياً ، ويضع قرشيّاً ، ولكن أحب أن أقف من مكاني على رُتْبَةٍ كوكبها لا يغور ، ومنزلة لو لبها لا يدور ؛ فإذا عرفت ، قدّري وخطه ، لم أتخطّه ، ثم إن رأيت محسلي وحده ، لم أتعدّه ، إن قدّمني يوماً عليها علمت أن عنايةً قدمتنى ، وإن أخرني عنها علمت أن جنابية أخرتني . رفع عليّ اليوم فلانٌ ولسْتُ أنكر سنّه وفضله ، ولا أجد بيته وأصله ، ولكن لم تجرِ العادة بتقدمه ، لافي الأيام الخالية ، ولا في هذه الأيام العالية ؛ وشديدٌ على الإنسان ما لم يُعوّد ؛ فإن كان حاسدٌ قد همّ ، أو كاشحٌ قد نمّ ، أو خطبٌ قد ألمّ ، أو أمرٌ قد وقع وتمّ ، فالشيخُ الجليلُ أولى من يعرفه ويعرفنيّه ، وإلا فما الرأي الذي أوجب اصطناعي ، ثم ضياعي ، والسبب الذي اقتضى تبئعي بعد ابتياعي ؟

[بين المأمون وإبراهيم بن المهدي]

ولما رضى المأمون عن إبراهيم بن المهدي أمر به فأدخل عليه ، فلما وقف بين يديه قال : ولّى الثأر محكمٌ في القصاص ، ومن تناوله الاغترار بما مدّله من أسباب الرجاء أمّن عادية الدهر من نفسه ، وقد جعلك الله تعالى فوق كل ذي ذنب ، كما جعل كلّ ذي ذنب دونك ، فإن أخذتَ فبحقك ، وإن عفوت فبفضلك . ثم قال :

ذنبِي إليك عظيمٌ وأنت أعظم منه
فخذُ بحقِّك ، أو لا فاضفحْ بفضلِك عنه
إن لم أكن في فعالي من الكرام فكُنّه

فقال لي : إني شاورتُ أبا إسحاق والعباس في قتلك ، فأشارا به ، قال : فما قلتَ لها يا أمير المؤمنين ؟ قال : قلتَ لها : بدأناه بإحسان ، ونحن نستأمره فيه ، فإن غيرَ فالله يغير ما به ، قال : أما أن يكونا قد نصحنا في عظيم ما جرّت عليه السياسة

فقد فعلا وبلغا ما يبلغك ، وهو الرأيُ السديد ، ولكنك أبيت ألا تستجلب النصر إلا من حيث عودك الله . ثم استعبر با كياً ، فقال له المأمون : ما يبكيك؟ قال : جدلاً ! إذ كان ذنبي إلى من هذه صفته في الإنعام ، ثم قال : إنه وإن كان قد بلغ جرؤي استحلال دمي ، فعلم أمير المؤمنين وفضله بلغاني عفوه ، ولى بعدها شفاعة الإقرار بالذنب ، وحق الأبوة بعد الأب . فقال : يا إبراهيم ، لقد حُببَ إلى العفو حتى خفتُ ألا أوجر عليه ، أما لو علم الناسُ مالنا في العفو من اللذة لتقرَّبوا إلينا بالجنايات ، لا تشريبَ عليك ، يغفر الله لك ، ولو لم يكن في حق نسبك ما يبلغ الصفع عن جرمك لبلغك ما أملت حسنُ تنصلك ولطف توصلك ثم أمر بردَّ ضياعه وأمواله ، فقال :

رددت مالي ولم تبخل عليَّ به وقبل ردِّك مالي قد حققت دمي
وقام علمك بي فاحتجَّ عندك لي مقام شاهدٍ عدلٍ غيرِ متهمٍ
فلو بذلتُ دمي أبقى رضاك به والمال حتى أسأل النَّعل من قدَّمي
ما كان ذلك سوى عارية سلفت لو لم تهبها لكنت اليوم لم تُنل
أخذ معنى قول المأمون : « لقد حُببَ إلى العفو حتى خفتُ ألا أوجر عليه »
أبو تمام الطائي فقال :

لو يعلم العافون كم لك في الندي من لذة وقرية لم تخمدي
فكان أبو تمام في هذا كما قال أبو العباس المعتز في القاسم بن عبيد الله :
إذا ما مدحناه استعنا بفعله فنأخذ معنى قولنا من فعاله
وكان تصويبُ إبراهيم رأياً أبي إسحاق المعتصم والعباس بن المأمون أطفء في طلب الرضا ودفع المسكروه واستألتهما إلى العاطفة عليه من الإزراء عليهما في رأيهما ، وكان إبراهيم يقول : والله ما عفا عنى لرحم ولا لحبة ؛ ولكن قامت له سوق في العفو كره أن يفسدها [بنى] .
وكان المأمون شاور في قتل إبراهيم أحمد بن أبي خالد الأحول ، فقال :

إن قتلته فلك نظير؛ وإن عفوت عنه فلا نظير لك؛ فأختر لك العفو.

[بين المأمون وإسحاق بن العباس]

وقال المأمون لإسحاق بن العباس: لا تحسبني أغفلت أمر ابن المهدي وتأيدك له، وإيقادك لِناره.

قال: والله يا أمير المؤمنين لا جرمٌ قرش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم من جرمي إليك؛ ولزحمتي أمس بك من أرحامهم؛ وقد قال لهم كما قال يوسف؛ علي نبينا وعليه الصلاة والسلام لإخوته: «لا تثرِب عليكم اليومَ يَغْفِرُ اللهُ لكم وهو أرحم الراحمين». وأنت يا أمير المؤمنين أحق وارث لهذه الأمة في الطَّوْلِ، وممثل لخلال العفو والفضل.

قال: هيهات! تلك أجرامٌ جاهلية عفا عنها الإسلام، وجُرْمُك جُرْمٌ في إسلامك، وفي دارِ خلافتك.

قال: يا أمير المؤمنين؛ فوالله للمسلم أحق بإقالة العترة وغفران الذنب من الكافر. وهذا كتاب الله بيني وبينك إذ يقول: «وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، الذين ينفقون في السراء والضراء والكاذمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين». والناس يا أمير المؤمنين نسبة دخل فيها المسلم والكافر، والشريف والمشروف.

قال: صدقت، ورَيْتُ بك زنادي، ولا برحتُ أرى من أهلك أمثالك.

[رجل يستعطف بعض الملوك.]

وقال رجل لبعض الملوك وقد وقف بين يديه: أسألك بالذي أنت بين يديه غداً أدل مني بين يديك اليوم، وهو على عقابك أقدر منك على عقابي، إلا ما نظرت في أمرى نظرت من برئي أحب إليه من سُقْمِي، وبراءتي أحب إليه من بليتي.

[بين معاوية وروح بن زبناح]

وأراد معاوية عقوبة روح بن زبناح فقال: يا أمير المؤمنين: أنشدك الله تعالى

ألا تضع مني خسيصة أنت رفعتها، أو تنقض مني مريرة^(١) أنت أبرمتها، أو تشمت بي عدواً أنت كبتته، وحاسداً بك وقمته^(٢)؛ وأسألك بالله إلا أربي^(٣) حيلك على خطئي وصفحك على جهلي.

فقال معاوية رضى الله عنه : إذا الله تني عقد شيء تيسرا :

أشار إلى هذا أبو الطيب المنبجي إذ قال :

أرل حسداً الحساد عني بكتبتهم فانت الذي صيرتهم لي حسداً
إذا شد زندي حُسن رأيك في يدي ضربت بسيف يقطع الهام مُعمداً

[عفو الملوك]

وعتب المأمون على بعض خاصته ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن قديم الحرمة المأمون وبعض
وحديث التوبة يمجوان ما بينهما من الإساءة . قال : صدقت ، وعفا عنه .
خاصته

وكان في ملوك فارس ملك عظيم المملسكة ، شديد النعمة ، فقرّب له صاحب
المطبخ طعامه ، فنقطت نقطة من الطعام على المائدة ، فزوى له الملك وجهه ، وعلم
فارس
صاحب المطبخ أنه قاتله ، فعمد إلى الصّحفة فكفأها على المائدة ثم ولى ، فقال له
الملك : ما حملك على ما فعلت ، وقد علمت أن سقوط النقطة أخطأت بها يدك
ولم يجر بها تعمّدك ، فما عندك في الثانية ؟ قال : استحييت للملك أن يوجب قتلي ،
ويبيع دم منلي ، في سني وحرمتي ، وقديم اختصاصي وخدمتي ، في نقطة أخطأت
بها يدي ، فأردت أن يعظم ذنبي ليحسن بالملك قتلي .

قال : لئن كان اعتذارك يُنجيك من القتل ، فليس يُنجيك من التأديب ؛
اجلدوه مائة جلدة ، واخلعوا عليه خلع الرضا .

وخرج بهرام جور متصيداً فعن له حمار وحش ، فاتبه حتى صرعه ، وقد
بهرام جور
انقطع عن أصحابه ، فنزل عن فرسه يريد ذبحه ، وبصر براع فقال : أمسك
على فرسي ، وتشاغل بدبح الحمار ، وحانت منه التفاتة ، فنظر إلى الراعي يقطع
جوهر عذار فرسه ، فحوّل بهرام جور وجهه وقال : تأمل الصيب عيب ، وعقوبة

(١) أصل المريرة الحبل للحكم القتل (م)

(٢) وقته : قهرته وأذلتته (م) (٣) أربي : زاد (م)

من لا يستطيع الدفاع عن نفسه سَفَه ، والعموُّ من أفعال الملوك ، وسُرْعَة العقوبة من أفعال العامة .

ثم قال : يا غلام ، ما بال شِرياً نك يضطربُ لعلك آذاك تكسيرُنا أرضك بحوافر حَيْلنا ، فقال : نعم ، وقد عزمتُ على أن أقتلع مائة فرسخ ، فقال بهرام : لا تُرْع ؛ فهذا الموضع وما فيه لك ، وكان الراعي خبيثاً ، فقال : إن الملوك إذ قالت قولاً آتتْ على قولها ، فرجع بهرام إلى عسكره وقال : اتبعني لأوثق لك من هذه الأرض ، فاتبعه ، فلما بَصُر به الوزير قال : أيها الملك السعيد ، إني لأرى جَوْهرَ عذار فرسك مُقلِّماً ، فتبسّم وقال : أخذه من لا يردّه ، ورآه من لا ينمّ به ، فمن أخذه صاحبنا ولا نطالبه به .

نقل ابن الرومي قول بهرام : « تأمل العيب عَيْبٌ » كما اتفق موزوناً فقال :

تَأْمَلُ الْعَيْبُ عَيْبٌ	مَا فِي الذِي قُلْتُ رَيْبٌ
وَكُلُّ خَيْرٍ وَشَرٍّ	دُونِ الْعَوَاقِبِ عَيْبٌ
وَرَبِّ جِلْبَابٍ هَمٌّ	فِيهِ مِنَ الصَّنْعِ جَيْبٌ
لَا تَحْتَقِرَنَّ سَيْبِيًّا	كَمْ قَادٍ خَيْرًا سَيْبٍ (١)

أخذ البيت الأخير من قول الطائي :

رُبَّ قَلِيلٍ غَدًا كَثِيرًا	كَمْ مَطَرٍ بَدُوهُ مَطِيرٌ
------------------------------	-----------------------------

وقوله :

لَا تَزِيلُنَّ صَغِيرَ هَمِّكَ وَانظُرِي	كَمْ بَدَى الْأَثَلِ دَوْحَةً مِنْ قَضِيبِ
--	--

وقد أعاد ابن الرومي قوله :

وَكُلُّ خَيْرٍ وَشَرٍّ	دُونِ الْعَوَاقِبِ عَيْبٌ
------------------------	---------------------------

(١) سيب : تصغير سيب ، والسيب - بالفتح - العطاء .

في قصيدته التي مدح بها أحمد بن محمد بن ثوابة حين ساوره ، وقال : لو أتى لبيد
لتعجب منه ، فاستجزله وقال :

وَمَا دَعَانِي لِلْمَثُوبَةِ سَيِّدٌ يَرَى الْمَدْحَ عَارًا قَبْلَ بَدْلِ الْمَنَابِ
تَنَازَعَنِي رَغْبٌ وَرَهْبٌ كِلَاهُمَا قَوِيٌّ ، وَأَعْيَانِي طُلُوعُ الْمَعَابِ
قَدَّمْتُ رَجُلًا رَغْبَةً فِي رَغِيْبَةٍ وَأَخَّرْتُ رَجُلًا رَهْبَةً لِمَعَابِ
أَخَافُ عَلَى نَفْسِي وَأَرْجُو مَفَازَهَا وَأَسْتَارُ غَيْبَ اللَّهِ دُونَ الْعَوَاقِبِ
أَلَا مَنْ يُرِينِي غَايَتِي قَبْلَ مَذْهَبِي وَمِنْ أَيْنَ وَالْغَايَاتُ بَعْدَ الْمَذَاهِبِ

[من اعتذاراتِ البديع]

نسخة رقعة كتبها بديع الزمان إلى أبي علي إسماعيل يعتذرُ إليه :
سوء الأدب من سكر النَّدْبِ ، وسكر الغضب من الكبائر التي تنالها المغفرة ،
وتسعمها المَعْدِرَة ، وقد جرى بِحَضْرَةِ الشَّيْخِ مَا جَرَى ، وقد أَفْنَيْتَ يَدِي عَضًا ،
وأَسْنَانِي رَضًا ، وإن لم أوف ماجرى فالعذرُ أمدُّ خطا ، فإن كان بساطًا يطوى ،
وحديثًا لا يروى ، فأولى من عذرِ البلاعب ، وأخرى من غفرِ الصاحب ؛ وإن
كان ميتًا يُنَشَّرُ ، وسببًا يُدْكَرُ ، فليكن العقابُ ما كان ، إن لم يكن الهجران ،
على أني قد أخذت قِسْطِي مِنَ الْعِقَابِ ، واستفدت من ردِّ الجواب ، ما كفى وأوجعَ
الْقَفَا ؛ فكان من موجب أدب الخدِّمة ، إبقاء الحِشْمَةِ لَوَلِيِّ النِّعْمَةِ ، باحتمال الشتم ،
والإغضاء عن الخضم ، لكي أخذت بي ثلاثة أحوال لا يسلم صاحبها : اللعب
وسكره ، والخضم وهجره ، والإدلال والنقمة ، وهن اللواتي حملني على ماء الوجهِ
فَهَرَّقْتُهُ ، وحجاب الحِشْمَةِ فَخَرَّقْتُهُ ، وقد منعتني الآن فرطُ الحياء من وشكِ
اللقاء ، وعهدِي بوجهي وهو أَصْفَقُ مِنَ الْعُدْمِ الَّذِي حَمَلَنِي عَلَى جَهْلِهِ ، وأوقع
من الدهر الذي أحوجني إلى أهله ؛ لكن النعم إذا توالَّتْ عَلَى وَجْهِهِ رَقَّتْ
قِسْرَتُهُ ، وألأت بَشْرَتُهُ ؛ وأنا منتظرٌ من الجواب ما يرش جناحي إلى خِدْمَتِهِ ،
فإن رأى أن يكتب فعل ، إن شاء الله .

وله رقعة إلى أبي علي بن مشكويه أولها :

ويا عزّ إن واشٍ وشي بيَ عندكم فلا تمهليه أن تقولى له : مهلاً
كما لو وشى واشٍ بعزّة عندنا لقلنا : تزحّج لاقريباً ولا أهلاً

بلغنى أطال الله بقاء الشيخ أن قيضة كلب^(١) وافته بأحاديث لم يعرّها
الحق نورّه ، ولا الصدق ظهورّه ، وأنه — أدام الله عزّه — أذن لها على مجال
أذنه ، وفسح لها فناء ظنّه ، ومعاذ الله أن أقولها ، وأستجيز معقولها ؛ بل قد كان بيني
وبين الشيخ عتاب لا ينزل كنفه ولا يجذف ، وحديث لا يتعدى النفس وضميرها ،
ولا يعرف الشفة وسميرها ، وعزّ بدة كعزّ بدة أهل الفضل ، لا تتجاوز الدلال
والإدلال ، ووحشة لا يكشفها عتاب لحظة ، ككتاب جحظة ، فسبحان من ربّي
هذا الأمر حتى صار أمراً ، وتأبط شراً ، وأوجب عذراً ، وأوحش حرّاً .
وسبحان من جعلني في حيز العدو أشيم بارقته ، وأنخوف صاعقته ، وأنا المساء
إليه ، والمجنّى عليه ، ولكن من بلى من الأعداء بمثل ما بليت ، ورُمى من الحسد
بما رُميت ، ووقف من التوحد والوحدة حيث وقفت ، واجتمع عليه من المكارّه
ما وصفت ، اعتذر مظلوماً ، وضحك مشتوماً ، ولو علم الشيخ عدد أولاد الجدد ،
وأبناء العدد ، بهذا البلد ، ممن ليس له هم إلا في سعاية أو شكاية أو حكاية أو
نكاية ، لضن بعشرة غريب إذا بدر ، وبعيد إذا حضر ، ولصان مجلسه عن
لا يصونه عمارق إليه ، وهبني قدقلت ما حكي ، أليس الشائم من أسمع ، والجاني
من أبلغ ؟ فقد بلغ من كيد هؤلاء القوم أنهم حين صادفوا من الأستاذ نفساً
لا تستفز ، وجبالاً يهزّ ، وشوا إلى خدمه بما أرثوا نارهم^(٢) ، وورد على ما قالوه فما
لبنت أن قلت :

فإن تك حربٌ بين قومي وقومها فإني لها في كل نائبة سلمٌ

(١) القيضة ، بالكسر : قطعة صغيرة من العظم ، والكلام على التشبيه (م)

(٢) أرثوا نارهم : أججوها وأشعلوها (م)

وليعلم الأستاذ أن في كبد الأعداء منى جفرة، وأن في أولاد الزنا عندنا كثرة،
 وقصاراهم نارٌ يشبونها، وعقرب يذبونها، ومكيدة يطلبونها، ولولا أن العذر
 إقرار بما قيل، وأكره أن أستقبل، لبسطت في الاعتذار شاذراً وانا، ودخلت في
 الاستقالة ميداناً، لكنه أمر لم أضغ أوله، فلم أتدارك آخره.

وقد أبى الشيخ أبو محمد — أيده الله — إلا أن يوصل هذا النثر القاتر

بنظم مثله فيها كه يلعن بعضه بعضا :

مولاي إن عدت ولم ترض لي	أن أشرب البارد لم أشرب
أمتط خدي وانتعل ناظري	وصد بكفى حمة العقرب
تالله ما أنطق عن كاذب	فيك، ولا أبرق عن خلب
فالصفو بعد الكذب المفترى	كالصحو عقب المطر الصيب ^(١)
إن أجتن الغلظة من سيدي	فالشوك عند الثمر الطيب
أو يفسد الزور على ناقد	فالخر قد يعصب بالثيب

ولعل الشيخ أبا محمد — أيده الله — يقوم من الاعتذار بما قعد عنه القلم

واللسان؛ فنعلم رائد الفضل هو، والسلام.

فقر من كلام سهل بن هرون للمأمون

كان المأمون استنقل سهل بن هرون، فدخل عليه يوماً، والناس على
 مراتبهم، فتكلم المأمون بكلام ذهب فيه كل مذهب؛ فلما فرغ من كلامه
 أقبل سهل بن هرون على الجُمع فقال: مالكم تسمعون ولا تعون، وتشاهدون
 ولا تفقهون، وتفهمون ولا تتعجبون، وتتعجبون ولا تنصفون؟ والله إنه ليقول
 ويفعل في اليوم القصير ما فعل بنو صرمان في الدهر الطويل، عربكم كهجمكم،
 وعجمكم كهبيدكم، ولكن كيف يعرف الدواء من لا يشعر بالداء؟ فرجع
 المأمون فيه إلى الرأي الأول.

(١) في الرسائل (١٦٠ بيروت) « فالصفو بعد الكذب المفترى »

[من ترجمة سهل بن هرون ، وأخباره]

وكان أبو عمرو سهل بن هرون من أهل ميسان^(١) نزل البصرة فنسب إليها ،

وهو القائل :

يأهل ميسان السلام عليكم الطيبون الفرعُ والجذمُ
أما الوجوهُ ففضةٌ مزجت ذهباً وأيدٍ سحّةٌ هضم^(٢)
أتريدُ كلبٌ أن أناسها قد قلّ من كلبِ بني العلمِ
أجعلت بيتاً فوق رابية فرعُ النجومِ كأنه نجمُ
كبيبتِ شعرٍ وسطِ مجهلة بفنائه الجملانُ والبهنمُ

وكان سهل شعوبياً ، والشعبية : فرقةٌ تتعصب على العرب وتنتقصها ، وكان

أبو عبيدة يُرْمَى بذلك .

وسهل ظريفٌ عالمٌ حسنُ البيان ، وله كتبٌ ظريفةٌ صنّفها معارضاً للأوائل

في كتبهم بما لا يستصوبه منهم ، حتى قيل له « بزرجهم الإسلام » وقال يمدح رجلاً :

عدوُّ تِلَادِ الْمَالِ فِيمَا يَنْوِبُهُ مَنُوعٌ إِذَا مَا مَنَعَهُ كَانَ أَحْزَمًا
مذلل نفس قد آبت غير أن ترى مكاره ما تأتي من العيش مغمماً

وهذا نظير قوله في كتاب « ثعلّة وعفرة » الذي عارض به كليله ودمنة : اجملوا

أداء ما يجب عليكم من الحقوق مقدماً قبل الذي تجودون به من تفضلكم ؛ فإن

تقديم النافلة مع الإبطاء عن الفريضة مظاهر على وهن العقيدة ، وتقصير

الروية ، ومُضِرٌّ بالتدبير ، محلٌّ بالاختيار ، وليس في نفع محمدته عوض من

فساد المروءة ولزوم النقيصة . وكتابه هذا مملوء حكاماً وعلماء . وسهل القائل :

تقسمني همّان قد كسفاً بالي وقد تركا قلبي محمّلةً بنابالِ
ها أذرياً دمعِي ، ولم تذر عبّرتي رهينة خدر ذات سمنطٍ وخلخالِ
ولا قهوة لم يبق منها على المدى سوى أن تحاكي النور في رأس ذيالِ
ثحلل منها جرمها وتماسكت لها نفسٌ معدوم على الزمن الخالي

(١) ميسان - بفتح فيكون - بين واسط والبصرة (م)

(٢) هضم : جمع هضوم ، واليد الهضوم : التي تجود بما لديها (م)

ولكنما أبكى بعين سخينة على حدث تبكى له عين أمثالي
فراق خليل لا يقوم به الأسي وخلة حر لا يقوم لها مالي
فوا حسرتي حتى متى القلب موجه لفقْد خليل أو تعذر إفضال
وما الفضل إلا أن تجود بنائل وإلا لقاء الخلد ذي الخلق العالی
وهو القائل :

إذا امرؤ ضاق عني لم يضق خلقي من أن يراني غنياً عنه بالياس
لا أطلب المال كي أغنى بفضلته ما كان مطلبه فقراً إلى الناس
وأشد له الجاحظ يهجو رجلا :

من كان يعمر ما شادت أوائله فأنت تعمر ما شادوا وما سمكوا
ما كان في الحق أن تحوى فعالهم وأنت تحوى من الميراث ما تركوا

وقال محمد بن زياد الزبدي : وجدت^(١) على سهل بن هرون في بعض الأمر،
فهجوته ، فكتب إلى : أما بعد فالسلام على عهدك وداع ذي صن بك ، في غير
مقلية لك^(٢) ، ولا سلوة عنك ، بل استسلام للبلوى في أمرك ، وإقرار بالمعجزة
في استعطافك ، إلى أوان فيئتك^(٣) ، أو يجعل الله لنا دالة من رجعتك ، والسلام.
وكتب في أسفل الكتاب :

إن تغف عن عبدك المسء ففي عفوك مأوى للفضل والمين
أئت ما أستحق من خطيأ فجذ بمباستحق من حسن

[من عظات الحسن البصري]

وقال الحسن البصري رحمه الله في يوم [فطر] وقد رأى الناس وهياتهم :
إن الله تبارك وتعالى جعل رمضان مضاراً تخلقه ، يستبقون فيه بطاعته إلى
مرضاته ، فسبق قوم فجازوا ، وتخلف آخرون فخابوا ، فالعجب من الضاحك اللاعب

(١) وجدت عليه : حقدت أو غضبت (م)

(٢) المقلية : الكراهية (م)

(٣) فيئتك : رجوعك (م)

في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون ، ويخسر فيه المبتلون ، أما والله لو كشف
الغطاء لشغل محسن بإحسانه ومُسيء بإساءته .

ونظر إلى قوم منصرفين من صلاة الفطر يتدافعون ويتضاحكون ، فقال :
الله المستعان ! إن كان هؤلاء قد تقرر عندهم أن صومهم قد تُقبل فما هذا محل
الشاكرين ، وإن علموا أنه لم يتقبل فما هذا محل الخائبين .

وكان الحسن من الخطباء النساك الفقهاء الأجواد ، ويقال : إنه لم يكن تابعي
أفضل منه .

هذا قول أهل العراق جميعاً ، وأهل الحجاز يقدمون سعيد بن المسيب
عليه ، وكان سعيد أحسن من الحسن ورعا ، وأشد الناس حذرا ، وأقلهم
كلاما . وكان الحسن لا بدع أن يتكلم بما هجس في نفسه ، وجأش في صدره .
وعلى ذكر الحسن شهر رمضان نقول :

ألفاظ لأهل العصر ، في التهنئة بإقبال شهر رمضان

مع ما يتصل بها من الأدعية

ساق الله تعالى إليك سعادة إلهاله ، وعرفك بركة كماله . قسم الله لك من
فضله ، ووفقت لقرضه ونفله . لفاك الله ماترجوه ، ورفاك إلى ما تحبه فيما
تتلوه . جعل الله ما أظلك من هذا الصوم مقرونا بأفضل القبول ، مؤذنا
بدرك البغية ونجح المأمول ، ولا أخلاك من برّ مرفوع ، ودعاء مسموع . قابل
الله تعالى بالقبول صيامك ، وبعظيم المثوبة تهجدك وقيامك . عرفك الله من
بركاته ما يرني على عدد الصائمين والقائمين ، ووفقت الله تعالى لتحصيل أجر
التهجدين . أسأل الله تعالى أن يضاعفه بمنه لك ، ويحمله وسيلة بقبوله إلى مرضاته
عنك . أعاد الله إلى مولاي أمثاله ، وتقبل فيه أعماله ، وأصلح في الدين والدنيا
أحواله ، وبلغه منها آماله . أسعده الله بهذا الشهر ، ووفاه فيه أجرل المثوبة
والأجر ، ووفر حظّه من كل ما يرتفع من دعاء الداعين ، وينزل من ثواب العاملين ،

وقبل مساعيه وزكاه ، ورفع درجاته وأعلاها ، وبلغه من الآمال مُنتهاها ، وظفر بأبعدها وأقصاها .

وقال الحسن : من أخلاق المؤمن قوة في دين ، وحزم في لين ، وحِرص أخلاق المؤمن على العلم ، وقناعة في فقر ، ورحمة للمتجهود ، وإعطاء في حق ، وبر في استقامة ، وقفة في يقين ، وكسب في حلال .

وقال محمد بن سليمان لأبي السماك : بلغني عنك شيء ، قال : لأباليه ، قال : **صفة** ولم ؟ قال : لأنه إن كان حقاً غفرت له ، وإن كان باطلاً كذبت له . **الأخ الصادق**

وقال محمد بن صُبَيْح المعروف بابن السماك : خيرُ الإخوان أفْلَهُم مِصَانَعَةَ فِي النَّصِيحَةِ ، وَخَيْرُ الْأَعْمَالِ أَحْلَاهَا عَاقِبَةً ، وَخَيْرُ الثَّنَاءِ مَا كَانَ عَلَى أَفْوَاهِ الْأَخْيَارِ ، وَأَشْرَفُ السُّلْطَانِ مَا لَمْ يَخَالِطْهُ الْبَطَرُ ، وَأَغْنَى الْأَغْنِيَاءِ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِلْحِرْصِ أَسِيرًا ، وَخَيْرُ الْإِخْوَانِ مَنْ لَمْ يَخَاصِمْ ، وَخَيْرُ الْأَخْلَاقِ أَعْوَنَهَا عَلَى الْوَرَعِ ، وَإِنَّمَا يَخْتَبِرُ وَدَّ الرِّجَالِ عِنْدَ الْفَاقَةِ وَالْحَاجَةِ .

ووصف بعضُ البلغاء رجلاً فقال : إِنَّهُ بَسِيطُ الْكُفِّ ، رَحْبُ الصَّدْرِ ، مَوْطَأُ الْأَكْنَافِ ، سَهْلُ الْخَلْقِ ، كَرِيمُ الطَّبَاعِ ، غَيْثٌ مُغِيثٌ ، وَبَحْرٌ زُخُورٌ ، ضَحُوكُ السِّنِّ ، بَشِيرُ الْوَجْهِ ، بَادِي الْقَبُولِ ، غَيْرُ عَبُوسٍ ، يَسْتَقْبَلُكَ بِطَلَاقَةٍ ، وَيَحْيِيكَ بِبِشْرٍ ، وَيَسْتَدِيرُكَ بِكَرِيمِ غَيْبٍ ، وَجَمِيلِ سِرٍّ ، تَبْهَجُكَ طَلَاقَتُهُ ، وَيَرْضِيكَ بِشْرُهُ ، ضَحَّاكَ عَلَى مَائِدَتِهِ ، عَبْدٌ لَضِيْفَانِهِ ، غَيْرُ مَلَاظِمٍ لِأَكْيَلِهِ ، بَاطِنٌ مِنَ الْعَقْلِ ، خَمِيصٌ مِنَ الْجَهْلِ ، رَاجِحُ الْحِلْمِ ، ثَاقِبُ الرَّأْيِ ، طَيِّبُ الْخَلْقِ ، مُحَضَّنُ الضَّرْبِيَّةِ ، مِعْطَاءُ غَيْرِ سَائِلٍ ، كَاسٍ مِنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ ، عَارٍ مِنْ كُلِّ مَلَامَةٍ ، إِنْ سُئِلَ بِذَلِكَ ، وَإِنْ قَالَ فَعَلَّ .

قال أبو الفتح كشاجم :

مِزَاجُكَ لِامْتِنَانِ مِنَ الْعَوْدِ وَالصَّبَا
مِنَ الرَّيْحِ وَالصَّافِي الرِّقِيقِ مِنَ الْخُمْرِ
فَلَوْ كُنْتَ وَرْدًا كُنْتَ وَرْدًا مُضَا عَفَا
وَلَوْ كُنْتَ طَيْبًا كُنْتَ مِنْ عَنَبِ الشَّحْرِ

ولو كنت لحنًا كنت تأليف معبدٍ . ولو كنت عوداً ما افتقرت إلى زمرٍ
وقال أعرابي :

ألا حَبَّذا البُرْدُ الذي تَلَدَّبِيسِينُهُ ويا حَبَّذا مَنْ باعكَ البُرْدَ من تَجْرِ (١)
فلو كنت ماءً كنت ماء غمامةٍ ولو كنت دراً كنت من دُرَّةٍ بِكْرٍ
ولو كنت لهواً كنت تَعْلِيلَ سَاعَةٍ ولو كنت نوماً كنت إغفاءة الفَجْرِ
ولو كنت ليلاً كنت قَمَرَاءَ جُنُبَتِ نحوس لِيَالِي الشَّهْرِ أو لَيْسَلَةَ القَدْرِ

(١) التجر - بالفتح - اسم جمع ، واحده تاجر ، ومثله شرب وسفر

تم - بحمد الله تعالى ومعونته - تحقيق الجزء الثاني من « زهر الآداب » ،
وتمر الأبواب « لأبي إسحاق الحصرى ، ويليهِ - إن شاء واهب التوفيق
والسداد ، ورازق القدرة والعون - الجزء الثالث مفتتحاً بـ « نبذ من ألفاظ بلغاء
العصر تجرى في المدح مجرى الأمثال ؛ لحسن استعاراتها ، وبراءة تشبيهاتها » .
نسأله - سبحانه - أن يعين على إكماله بمنه وفضله ، آمين .

فهرس الجزء الثاني من كتاب

« زهر الآداب ، وثمر الألباب »

لأبي إسحاق الحصرى

الموضوع	ص	الموضوع	ص
للتعميمى يمدح الفضل بن سهل	—	ألفاظ لأهل العصر في وصف الطعام ،	٣٤١
لإبراهيم بن العباس فيه	—	ومقدماته ، وموائده ، وآلاته	—
لابن الرومى يمدح إبراهيم بن المدبر	٣٥٤	من شعر ابن الرومى في وصف طعام	٣٤٢
لابن الرومى يمدح ابن طاهر	—	مقامة لبديع الزمان في وصف الطعام	٣٤٣
من ترجمة الفضل بن سهل	—	لعلى ابن يحيى المنجم	٣٤٥
مختارات من كلام الفضل بن سهل	٣٥٥	لابن الرومى يصف اللوزينج	—
من محمد بن على إلى محمد بن يحيى	—	نهم ابن الرومى وحبه للسمك	٣٤٧
جواب محمد يحيى بن خالد	—	من الناجم إلى ابن الرومى	٣٤٨
رجل يريد أن ينصح المهدي	٣٥٦	لابن الرومى يصف العنب الرازق	—
توقعات للفضل بن سهل	—	ألفاظ لأهل العصر في وصف	٣٤٩
بعض أوصاف الخيل	٣٥٧	القواكه والثمار	—
ابن القرية يصف فرسا	—	بعض ماجاء في وصف الليل	٣٥٠
لعبد الله بن طاهر	—	لأعرابى يصف ليل لقاء	—
رجل يريد شراء فرس	—	لأعرابى يصف وفاء الصعبة	—
لمحمد بن الحسن بن الحرون	—	لجريد يصف يوم صيد	—
أبيات لتأبط شراً	٣٥٨	لإبراهيم بن العباس يصف قصر الليل	٣٥١
لعقبة بن سنان يصف خيلاً أهداها	—	للأصبهاني يصف يوم لهُو	—
عمرو بن العاص إلى معاوية بن أبي سفيان	—	لابن المعتز يصف ليل سرور	—
للنابغة الجعدي	٣٥٩	بين الرشيد وعبد الملك بن صالح	—
لبعض العرب	—	لأبي تمام	٣٥٢
لأعرابى	—	للحائى	—
لأعرابى آخر	—	لأهل العصر	—
أعرابى يصف خيل بنى يربوع	٣٦٠	سعيد بن هريم وصلاته بالفضل بن سهل	٣٥٣

الموضوع	ص	الموضوع	س
لأبي تمام يصف فرساً		من عرف قدر النعمة استدامها	٢٧٥
للبحرئى يصف فرساً	٢٧٦	بين سليمان بن عبد الملك وحاجبه	—
لإسحاق بن خلف يصف فرس	٢٧٧	بين يونس بن المختار وحاجب المأمون	—
أبي دلف	—	بين رجل والمعلئ بن أيوب	—
لأبي الفتح كشاجم	—	بين المنصور والحارث بن حسان	—
لابن المعتز	—	بين المأمون وعبد الله بن طاهر	٢٧٩
لأبي الفتح	٢٧٩	لأبي نواس في هذا المعنى	—
لابن المعتز	—	للناشئ يعارض أبا نواس	—
لأعرابي مولد	—	لابن الرومى	—
لابن المعتز أيضاً	—	ألفاظ لأهل العصر في العجز عن الشكر	٢٧٧
لعلى بن محمد الإيادى	٢٨٠	لأبي الفتح البستي	٢٧٨
لأبي العباس الناشئ	—	بين أبي العتاهية وعمر بن العلاء	—
لأبي منصور الثعالبي	٢٨٠	من أخبار أبي العتاهية	٢٨٠
لابن هاني يصف خيل المعتز	—	ولوعه بعقبة	—
وله يصف فرساً لجعفر بن علي بن حمدون	—	المهدي يضرب أبا العتاهية مائة سوط	٢٨١
وله يصف فرس إبراهيم بن جعفر	٢٨١	من شعر أبي العتاهية في عتبة	٢٨١
ابن علي	—	بين المهدي وأبي العتاهية	—
لعلى بن محمد الإيادى يصف فرس	٢٨٢	الرشيد يحبس أبا العتاهية لترك الشعر	٢٨٢
جعفر بن القائم	—	بشار يمدح عمر بن العلاء	٢٨٤
لأبي الطيب المتنبي	٢٨٨	لأبي سعيد الخزومي في معنى بشار	٢٨٥
مقامة لبديع الزمان فيها وصف فرس	٢٨٩	لأبي الطيب المتنبي	—
قولهم في الوعد ومنزلة إنجازه	٢٧٧	لابن هاني	٢٨٦
بين أبي القاسم المسعودى وعيسى	—	رجع إلى عمر بن العلاء	٢٨٧
ابن موسى	—	بينه وبين أبي العتاهية	—
بين منصور بن زياد ويحيى بن خالد	—	للمعتبي في أبي العشائر الحمداني	٢٨٩
بين المهدي وابن دأب	—	لأبي العتاهية في الزهد	—
لأبي قابوس يمدح يحيى بن خالد	٢٧٤	لأبي نواس	—
لأبي الطيب المتنبي	—	ألفاظ لأهل العصر في الشكر بدلالة	٢٨٨
لأبي علي البصير في الفضل بن يحيى	—	الحال	—
لابن الرومى	—		

الموضوع	ص	الموضوع	ص
من ابن العميد لمن تزوجت أمه	٤٠٢	لأبي الفضل الميكالي	٣٥٥
ألفاظ لأهل العصر في التهاني بالبنات	٤٠٣	لأبي الفتح البستي	٣٥٥
بعض ما لا يمدح به النساء	٤٠٤	بين نصيب والفرزدق	٣٩٠
— لابن الرومي	—	لسحيم عبد بن الحساس	٣٩١
— للعتبي	—	— للمتبي	—
— رجل يمدح زبيدة أم الأمين	—	— بين أبي تمام وابن الزيات	—
— لكثير عزة	—	لابن الزيات يمدح الحسن بن سهل	٣٩٣
عزة تفضل الأحوص على كثير	٤٠٥	— لأبي تمام يمدح ابن أبي دؤاد	—
من الأمانى	٤٠٧	من أخبار ابن أبي دؤاد	٣٩٥
— لأبي صخر الهذلي	—	— غلوه في التعصب لإياد	—
— لمسلم بن الوليد	—	— علمه ، وعداوته لابن الزيات	—
— لآخر	—	— أصله	—
بعض أخبار كثير عزة	٤٠٨	غضبه على أبي تمام ، ثم رضاه عنه	٣٩٦
— حمقه	—	بين ابن أبي دؤاد والحاجب أبي منصور	٣٩٧
— كان رافضياً	—	— من براءة خالد بن عبد الله القسري	—
— بين كثير وعبد الملك بن مروان	—	اعتذار أبي تمام للمعتصم عن سابق	٣٩٨
لقيس بن الملوح	٤٠٩	مدحه للأفشين	—
— من جيد شعر كثير	—	المنافقون في عهد النبي صلى الله عليه وسلم	٣٩٩
قول العرب في الطول أو القصر	٤١١	— عبد الله بن أبي سرح	—
— لشاعر قديم ، وأنشده أحمد بن	—	— المختار بن أبي عبيد الخارجي	—
عبيد الله	—	— بين أمية بن خالد بن أسيد وعبد الله	—
لابن الرومي	٤١٢	بن الأهمم	—
— لعنترة العيسى	—	فصل في غرائب التكتاب	٤٠٠
— لأبي نواس	٤١٣	— من حمدون ابن نهران لعامل عزل	—
— عود إلى أخبار كثيرة عزة	—	— عن عمله	—
— كثير عند عبد العزيز بن مروان	—	— من ابن مكرم لنصراني أسلم	—
— وهو مريض	—	— بعض ما يحسن تركه وإن كان حلالاً	—
— نقد سلام الجمحي لشعر كثير	—	— ما يقال لمن تزوجت أمه	٤٠١

الموضوع	ص	الموضوع	ص
من شعره	٤٢٥	فصول قصار	٤١٤
من شعر الفتح بن خاقان	٤٢٦	من كلام قابوس بن وشمكير	—
— كتاب منه إلى عبيد الله بن يحيى	—	للثعالبي يصف شمس المعالي قابوساً	٤١٥
مما بيعت على الرحيل	٤٢٧	للميكالي مدح قابوساً	٤١٦
من الوصايا لمن اعتزم السفر	—	من رسائل بديع الزمان إلى قابوس	٤١٧
قفر في مدح السفر	٤٢٧	من أخبار البرامكة	٤١٩
— في ذم السفر والغربة	—	تمامة بن أشرس يصف جعفر بن يحيى	٤٢٠
بين المهدي وأبي عبيد الله	٤٢٨	سهل بن هرون يصف يحيى وابنه جعفرأ	—
— بين المأمون والفضل بن الربيع	—	توقيع لجعفر بن يحيى	—
— بين النصور وأبي مسلم الخراساني	—	بين جعفر بن يحيى ومروان بن	٤٢١
جملة في الأوصاف من شعر كشاجم	٤٤١	أبي حفصة	—
الصابي يهذي اسطرلاباً لعضد الدولة	٤٤٤	من قصيدة لزهير بن أبي سلمى	٤٢٢
ويبعث معه بشعر	—	— تعليق على هذه القصيدة لقدماء بن جعفر	—
من أوصاف النساء	٤٤٥	لمحمد بن منذر في البرامكة	٤٢٣
— لابن الرومي	—	— مثله من التجنيس لأبي الفضل الميكالي	—
— لبعض الشعراء يصف العلم	—	للأبي الفتح البستي في هذا اللذهب	٤٢٤
— قلب المعنى ليس بسرقة	—	قفر في ذكر العلم والعلماء	٤٢٨
— لشاعر يصف نساء بالعبالة	—	استعارات فقهية تليق بهذا المكان	٤٣٠
من المعاني ما لا ينقلب	٤٤٨	— بين أبي تمام وابن أبي دواد	—
— بعض ما أخذ على أبي نواس	—	— بين طاهر بن عبد الله وابن أبي تمام	—
قطعة من شعر أهل العصر في ذكر	٤٤٩	ولاية طاهر بن عبد الله بن طاهر	٤٣١
النجوم	—	خراسان وسببها	—
— لأبي الفتح البستي	—	بين ابن ثوبان وابن الرومي	٤٣٢
— لابن درست	٤٥١	— بين المعتصم وأبي تمام	—
— لمسكويه	—	— لأبي الفضل الميكالي	—
— للاخوارزمي	—	للأبي الفتح كشاجم	٤٣٣
— للصولي	—	— لبديع الزمان الهمذاني	—
— لابن المعتز	٤٥٢	أبو علي البصير، وشيء من أدبه	٤٣٥
— الأصمعي وبعض الأعراب	٤١٨	— بينه وبين بعض الطالبين	—
		— بينه وبين بعض الرؤساء	—

الموضوع	ص	الموضوع	ص
لابن المعتز	٤٤٥	قعر من كلام الأعراب في ضروب مختلفة	٤٥٤
وله في القاسم بن عبيد الله	—	لامرأة من العرب ترثي ابنها	٤٦٠
لبعض البلغاء	٤٨٠	لأعرابي يمدح رجلاً	٤٦١
للمتنبى	—	بعض أخبار أبي نواس	٤٦٤
لابن المعتز	—	للحسن بن وكيع ، وقد أخذه من أبي نواس	٤٦٥
مفاخرة بين صاحب سيف وصاحب قلم	—	ضرب من الرياء	٤٦٦
للمتنبى	—	من حمريات أبي نواس	٤٦٨
للتوبخى	—	من أخبار بشار بن برد	٤٦٩
لابن الرومي	٤٨١	احتذاء أبي نواس على مثال بشار المهدي يأمر بشاراً بترك الغزل	٤٢٥
للبسقي	—	من شعر بشار في الغزل	٤٧٠
لطلحة بن عبيد الله	—	لعلي بن الجهم ، وأخذه من بشار	٤٧١
لمحمود الأصهباني	—	منزلة شعر بشار ومقداره	٤٧٢
لأحمد بن جدار	٤٨٢	ولاء بشار	—
لأبي تمام	—	من أخبار أبي حذيفة واصل بن عطاء	٤٧٣
لتميم بن المعز القاطمي	—	عود إلى أخبار بشار	—
الصدق في النصيحة	٤٨٣	كلمات مأثورة	٤٧٦
بين أحمد بن يوسف وغسان بن عباد	—	قعر في مساوي الكذب لغير واحد	—
من ترجمة أحمد بن يوسف العجلي	—	جزاء الشكر	٤٧٨
ألفاظ لأهل العصر في ذم المغنين	٤٨٦	بين الحسن بن سهل والمأمون	—
عود إلى أحمد بن يوسف العجلي	٤٥٢	من خطب النكاح :	—
ألفاظ لأهل العصر ، في صفات الثقلاء	٤٨٦	خطبة للمأمون	—
من ترجمة جحظة البرمكي ومن شعره	٤٩١	ما يستحب من الخاطب والمخطوب إليه	—
السكاكين	٤٩٢	الكتب والأقلام والخط	٤٧٩
بين أحمد بن يوسف والمأمون	—		
لأبي الفتح كشاجم يصف سكيناً سرقته منه	٣٦٤		

الموضوع	ص	الموضوع	ص
مما كتبه في سياقة أخباره مع أبي بكر الخوارزمي	٥١٠	ألفاظ لأهل العصر في صفات السكاكين	٤٧٤
كتاب منه لرئيس هراة	٥١٥	السمر والنادمة	٤٩٥
كتاب منه للإمام سهل بن محمد	٥١٦	بين محمد بن أنس والقاسم بن صبيح	—
كتاب منه للإسماعيلي	٥١٧	شرط النادمة	—
المقامة الفزارية للبديع	٥١٨	بين اليزيدي والمأمون	٤٩٦
بين شاعر وعبدالله بن الزبير	٥٢٠	بين كوران الغني والشريف الرضي	—
فرس ابن الزيات	٥٢١	بين أحمد بن جدار وعمر بن أيوب	—
المزاح	—	من إسحاق الموصلي إلى بعض الجلة	٤٩٧
بين الحجاج وابن القرية	—	من السري الموصلي إلى أخيه يستدعيه	—
خالد بن صفوان يذكر مساوي المزاح	٥٢٢	لابن المعتز	٤٩٨
للوراق في مساوي المزاح	—	للحسن بن محمد الكاتب	—
فقر في هذا النحو لأهل العصر	—	من ألفاظ أهل العصر، في الاستدعاء	٤٩٩
الطيرة والزجر	٥٢٣	ولهم في استدعاء الشراب	—
لأبي حية النخري في التفاؤل	—	ولهم في الكناية عن الشراب	٥٠٠
مما ينسب لذي الرمة	—	من الحسن بن سهل إلى الحسن بن وهب	—
عادة الجاهلية والنهي عنها	٥٢٤	من الحسن بن وهب إلى الحسن بن سهل	—
للكميت بن زيد الأسدي	—	لشاعر قديم	—
لشاعر قديم	—	لابن كناسة	٥٢٥
لابن كناسة	٥٢٥	بين كثير عزة ورجل نهدي	—
بين كثير عزة ورجل نهدي	—	لجرير	—
لعراف الراهب	—	لعوف الراهب	—
لأبي الشيص	٥٢٦	لأبي الشيص	٥٢٦
ابن الرومي كان شديد الطيرة، وبعض أخباره في ذلك	—	الفرق بين الطيرة والفأل	٥٢٧
الفرق بين الطيرة والفأل	٥٢٧	من ابن الرومي للقاسم بن عبيدالله	٥٢٨
من ابن الرومي للقاسم بن عبيدالله	٥٢٨	ابن الرومي يرثي ابنة المسيبي	—
ابن الرومي يرثي ابنة المسيبي	—	وله يعزى على بن يحيى في ابنته	٥٢٩
وله يعزى على بن يحيى في ابنته	٥٢٩	من رسائل بديع الزمان الهمداني	٥٠٨
		تعزية منه إلى أبي عامر عدنان بن عامر الضبي	—
		منه لبعض إخوانه جوابا عن كتاب	٥٠٩

الموضوع	ص	الموضوع	ص
كتاب منه للتعالي	٥١١	الرجبة في موت النبات	٥٣٩
كتاب منه إلى أبيه	٥٤٦	لعبد الله بن عبد الله بن طاهر	—
كتاب منه يستفتح به مكاتبة أخ	—	لعقيل بن علفة	—
قعر من كلامه في أثناء رسائل شق	٥٤٧	لابن خلف الهرازي	—
قطعة من شعره في تجنيس القوافي	٥٤٩	عود إلى تطير ابن الرومي	٥٣٠
لأبي الفتح البسقي	٥١٥	بينه وبين أبي الحسن الأخفش	—
أدب الحاجب	—	من آثار تطير ابن الرومي	٥٣٢
بين مالك وحاجبه	—	من ابن الرومي إلى ابن ثوبان في التطير	٥٣٤
وصية المهدي للفضل بن الربيع	٥٥٠	من مليح العيافة والزجر	٥٣٦
للحسن بن سهل	—	أبو نواس وبعض أصحابه	—
لبعض البلغاء	—	لأبي تمام	—
بين سعيد بن عبد الملك وعبيد الله بن سليمان	—	أحمد بن المدبر والجمال الشاعر المصري	٥٣٧
لأبي السمط بن أبي حفصة	٥٥١	لأبي الفضل الميكالي في أهل مرو	—
لمروان بن أبي حفصة	—	عبد الوهاب الثقفي يصف رجلا يرتاح إليه	٥٣٨
لإدريس بن أبي حفصة	—	ابن أبي دواد والجاحظ	—
لعمر بن شاس الأسدي	—	بين الجاحظ وابن الزيات	٥٣٩
للقطامي في ضياء الوجوه والأحساب	٥٥٢	من كلام علي رضي الله عنه في أعجب ما في الإنسان	٥٤٠
للقيني	—	لعبد الرحمن بن حسان	٥٤١
للحطيثة	—	لمحمد بن حازم الباهلي	—
للقاسم بن حنبل المدني	—	للجاحظ في ابن الزيات	—
للموضح التيمي	٥٥٣	الجاحظ ورجل من البرامكة	—
حث الاشتياق	—	المقامة الجاحظية للبديع	٥٤٣
لعمر بن أبي ربيعة	—	من كلام الملوك :	٥٤٤
كما أنشده إسحاق الموصلي	—	من كلام أردشير بن بابك	—
لإسحاق الموصلي	٥٥٤	من كلام بزرجهر	٥٤٥
لأبي نواس	—	من كلام أنو شروان	—
لمخلد بن بكار الموصلي	—	من رسائل الميكالي :	—
جودة الخط	٥٥٥	كتاب منه للتعالي	—
صفة الخط الجيد لبعض الكتاب	—		

الموضوع	ص	الموضوع	ص
لابن الرومي	٥٦٨	وراق يصف عيشه	٥٦١
لبعض المحدثين	—	لإسماعيل الحمدوني	٥٥٦
عود لابن الرومي	—	حرفة الأدب	—
أحمد بن يونس الكاتب يرد على	٥٦٦	لبعض الشعراء	—
ابن ابروي	—	للخريمي	—
نبد من النظم والمثر في صفات النور	٥٦٧	لعلي بن محمد بن محمد بن بسام	٥٥٧
والزهر	—	رزق الحقي والعقلاء	—
لعلي بن الجهم	—	لابن الرومي	—
لمحمد بن عبد الله بن طاهر	—	لجعفر بن محمد	—
التوكل وابن الضحاك	—	للنظام	—
ظي يأكل نيولوفراً	٥٦٩	بعض أخبار النظام وكلامه	—
وصف أيام الربيع :	—	أفكار الوراقين	٥٥٨
لابن وكيع	—	أطيب اللذات عند الشعراء	٥٥٩
لأبي الفتح البستي	٥٧٠	امرئ القيس	—
لأبي الفضل الميكالي	—	الأعشى	—
للبحترى	٥٧٢	طرفة	—
في مجلس البرد	—	أبي دلف	—
للبحترى في المدح	٥٧٣	حميد الطوسي والشعر لطرفة	—
لابن المعتز ومن الصبوح	٥٧٤	يزيد بن عبيد الله	٥٦٠
لأبي الفتح كشاجم	٥٧٥	من شعر الأصبط بن قريع	—
جملة من هذا النوع لأهل العصر	٥٧٦	من أخبار الأصبط بن قريع	٥٦١
لأبي فراس الحمداني	—	وصف الحبار والأقلام :	—
لابن هاني يصف زهرة رمان	—	لبعض الكتاب يصف محبرة	—
قطع ثرية لهم في هذا المعنى	٥٧٧	لأبي الفتح كشاجم	—
ولهم أيضاً في وصف الربيع	٥٧٨	ألفاظ لأهل العصر، في أوصاف	٥٦٢
الربيع والرفاق	٥٧٩	آلات الكتابة والدوى	—
الصوم في الربيع	—	أبو الفتح كشاجم يصف آلات	٥٦٣
يوم الشك	—	الكتابة	—
من بديع الزمان الحمداني لبعض	٥٨٠	عمال المأمون	٥٦٤
أهل همدان	—	وصف الورد والترجس :	٥٦٥

الموضوع	ص	الموضوع	ص
لأبي تمام	٥٩٦	لابن العميد	٥٤٦
لعصابة الجرجاني في الحسن بن	—	عواقب الطيش	٥٨١
رجاء	—	طاهر بن الحسين يصف الأمين	—
بين جميل بن مَعمر وعمر بن	—	الأمين والمأمون	—
أبي ربيعة	—	الأمين يصف طاهر بن الحسين	٥٨٢
من شعر العرجي	٥٩٨	الفضل بن الربيع وابنه وأبوه	٥٨٣
نسب العرجي، وبعض أخباره	—	بيعة المهدي	—
جملة من الفصول القصار	٥٩٩	وقت كلام الملوك	٥٨٤
لابن المعتز	—	من كلام الفضل بن الربيع	—
من ابن العميد إلى بعض إخوانه	٦٠١	بين المأمون والفضل بن الربيع	—
من بديع ما قيل في العتاب:	٦٠٣	بين المنصور والربيع	٥٨٥
لسعيد بن حميد	—	لأبي تمام يمدح ابن الزيات	٥٨٦
لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر	٦٠٤	سهل بن هارون والرشيد	—
من كلام الأعراب	—	من شعر الفضل بن الربيع	—
المقامة البلخية لبديع الزمان	٦٠٥	بين ابن خاقان وأبي العيلاء	٥٨٧
كتاب من بديع الزمان لأبي نصر	٦٠٦	وصف دابة	—
الميكالي يشكو إليه خليفته بهراة	—	قطعة من رسالة من إنشَاء	٥٨٨
من البديع للميكالي يعاتبه	٦٠٧	أبي الخطاب الصابي	—
بين المأمون وإبراهيم بن المهدي	٦٠٨	الحمدوني وشاة سعيد بن أحمد	٥٩٠
بين المأمون وإسحاق بن العباس	٦١٠	الحمدوني وطيلسان ابن حرب	٥٩١
رجل يستعطف بعض الملوك	—	المأمون والحسن بن رجاء	٥٩٤
بين معاوية وروح بن زناد	—	بديهة المبرد	—
عفو الملوك:	٦١١	المبرد عند المتوكل	—
المأمون وبعض خاصته	—	أدب أبي العباس المبرد	٥٩٥
بعض ملوك فارس وطباخه	—	بين المبرد وابن المعتز	—
بهرام جور وراع	—	في المدح:	—
من شعر ابن الرومي	٦١٢	لأعرابي	—
من اعتذارات بديع الزمان	٦١٣	لابن المعتز	—
قفر من كلام سهل بن هارون	٦١٥	للاخطل	—
للمأمون	—	لابن هرمة	—

الموضوع	ص	الموضوع	ص
أخلاق المؤمن	٦١٩	من ترجمة سهل بن هارون	٦١٦
خير الإخوان	-	وأخباره	
وصف رجل	-	من عظات الحسن البصري	٦١٧
لأبي الفتح كشاجم	-	ألفاظ لأهل العصر في التهئة بإقبال	٦١٨
لأعرابي	٦٢٠	شهر رمضان	

تمت فهرس الجزء الثاني من زهر الآداب للحصري ، والحمد لله أولاً وآخراً
وصلاته وسلامه على سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه

زَهْرُ الْأَنْبَاءِ

وغير الألباب

لأبي إسحاق إبراهيم بن علي ، الحصري ، القيرواني
المتوفى في عام ٤٥٣ من الهجرة

مفصل ومضبوط ومشروح بقلم المرحوم

الركنور زكي مبارك

الجزء الثالث

دار الجيد

بيروت

جَمْعُ الْحَقُوقِ مَحْفُوظَةٌ لِذَارِ الْجَيْلِ

الطبعة الخامسة

١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

نبد من ألفاظ بلغاء أهل العصر

تجمرى فى المدح مجرى الأمثال ؛ لحسن استعارتها ، وبراعة تشبيهاها
 فلان مسترضعٌ تُدَى الجدى ، مُفترشٌ حَجَرِ الفضل ، له صدرٌ تصيق به
 الدهناء ، وتَفزع إليه الدهماء ، له فى كل مكرمة غُرَّة الإصباح^(١) ، وفى كل فضيلة
 قادمةُ الجَنَاح^(٢) ، له صورة تستنطق الأفواة بالتسبيح ، ويترقق فيهامه الكرم ،
 وتقرأ فيها صحيفة حُسن البشر ، تحيا القلوب بلقائه ، قبل أن يُيمت الفقر ببطائه ،
 له خلقٌ لومزج به البحرُ لنفى مُلوحتَه ، وكفى كدورته . هو غذاه الحياة ،
 ونسيم العشق ، ومادةُ الفضل ، آراؤه سكاكين فى مفاصل الخطوب ، له همةٌ
 تعزل السماءَ الأعزل ، وتجرّ ذيلها على الحجرِ ، هو راجحٌ فى موازين العقل ،
 سابقٌ فى ميادين الفضل ، يُفترع أبكار المكارم ، ويرفع منار الحاسن . ينابيع الجود
 تتفجر من أنامله ، وربيعُ السماء يضحك من قواضيله . هو بيتُ القصيدة ، وأول
 الجريدة ، وعين الكتيبة ، وواسطة القلادة ، وإنسانُ الحدقة ، ودُرّة التاج ،
 ونقش الفصّ ! وهو ملح الأرض ، ودرع اللثة ، ولسان الشريعة ، وحِصنُ الأمة .
 هو غُرّة الدهر والزمان ، وناظر الإيمان . له أخلاقٌ خلقت من الفضل ، وشيمٌ
 تشام منها يوارقُ المجد^(٣) ، أرج الزمان بفضله ، وعيم النساء عن الإتيان بمثله .
 الجليلُ لديه مُعتاد ، والفضلُ منه مبدوء ومُعاد ، ماله للعفاة^(٤) مباح ، وفعاله فى ظلمة
 الدهر مصباح ، كأن قلبه عين ، وكأن جسمه سمع ، يرى بأوّل رأيه آخر الأمر ،
 جوهراً من جواهر الشرف لا من جواهر الصدّف ، وياقوتة من يواقيت الأحرار

(١) فى نسخة « غرة الأوضح » (م)

(٢) القادمة : واحدة القوادم : وهى ريشات فى مقدم جناح الطائر ويقابلها الحوافى (م)

(٣) الشيم : جمع شيمة ، وهى الخصلة . وتشام : تنظر ، والبوارق : جمع بارق ،

والمراد به البرق (م) (٤) العفاة : جمع عاف ، وهو طالب الحاجة (م)

لا يواقيت الأحجار ، طلعتُه للبشاشة عليها ديباجة خُسْرَ وَائِيَّة ، وفيها للطلاقة روضة رَيْعِيَّة . وَجْهٌ كَانَ بَشَّرْتَهُ نَشْرَ الْبَشْرِ ، ومواجهته أمانٌ من الدَّهْرِ . يصل ببشره ، قبل أن يَصِلَ بِرَّه ، قد لحظت من وجهه الأنوار ، ومن بَهَانِهِ النُّوَار . أنا من كرم عشرته ، وطلاقة أَسْرَتِهِ ، في روضةٍ وغدير ، وجنَّةٍ وحرير ، وهو بَحْرٌ من العلم ممدود بسبعة أبحر ، ويومُه من يوم الأدب كعمر سبعة أنسُر . العلم حَشْوُ ثِيَابِهِ ، والأدب مِلءُ إِهَابِهِ . هو شَخْصُ الأَدْبِ مَائِلاً ، ولسانُ العلم قَائِلاً . شَجَرَةٌ فَضِّلَ عَوْدُهَا أَدْبٌ ، وأغصانها عِلْمٌ ، وثمرتها عَقْلٌ ، وعروقها سِرْوٌ ، تسقيها سماه الحرِّيَّة ، وتغذيها أرضُ المروءة . هم ملح الأرض إذا فسدت ، وعمارة الأرض إذا خربت ، ومعرض الأيام إذا احتشدت ؛ وهم جمالُ الأيام ، وخواصُّ الأنام ، وفرسان الكلام ، وفلاسفة الإسلام . فلان عُضُنُ طَبِيعِهِ نَضِيرٌ ، ليس له في بَحْدِهِ نظير ، قد جمع الحُفْظَ الغزير ، والفهمَ الصحيح ، والأدبَ القويِّ القويم ، وما يُؤَنِّسُهُ مِنَ الوَحْشَةِ إِلَّا الدَّفَاتِر ، ولا يَصْحَبُهُ فِي الوَحْدَةِ إِلَّا الحَابِر . فلان يَحِلُّ دَقَائِقَ الأشْكَالِ ، وَيُزِيلُ مَعْتَرِضَ الإِشْكَالِ . له خلق كنسِمِ الأَسْحَارِ ، على صفحات الأنوار . كالماء صَفَاءً ، والمسك ذكَاءً . أخلاق قد جمعت المروءة أطرافها ، وحرست الحرية أكنافها . أخلاق تجمع الأهواء المتفرقة على محبته ، وتؤلف الآراء المتشتمة على مودته . أخلاق أعذب من ماء الغمام ، وأحلى من ريق النحل ، وأطيب من زمان الورد . أخلاق أحسن من الدرِّ والعقيقان ، في نحور الحِسان ، وأذكى من حركات الروح والريحان . فلان يَسْتَحِطُّ القَمَرَ ^(١) بِطَرَفِهِ ، وَيَسْتَنْزِلُ النَّجْمَ بِلُطْفِهِ ^(٢) . هو خَلُوُ المَذَاقِ ، سَهْلُ المَسَاغِ . أجمل الناس في جدِّ ، وأحلام في هزَل . يتصَرَّفُ مع القلوب ، كتصَرَّفِ السحاب مع الجنُوب . ذو جِدِّ كَعَلُوُ الجِدِّ ^(٣) ، وهزَل كحديقة الورد . له عِشْرَةٌ ماؤها يقطر ، وصَحْوٌها من

(١) في نسخة « يستحط العصم » وهي أفضل مما في الأصل (م)

(٢) في نسخة « بلفظه » (م)

(٣) الجدد ، بالسكسر : الاجتهاد ، والجدد ، بالفتح : الحظ والبهت (م)

الغضارة يطر^(١). هو رِيحانة على القَدَح ، وذريعة إلى القَرَح . عشرته أَلَطَفٌ من نسيم الشمال ، على أديم الزلال ، وألصقُ بالقلب ، من علائق الحب . إذا أردت فهو سُبْحَةٌ ناسك ، أو أحييت فهو تَفَاحَةٌ فاتك ، أو اقترحت فهو مدرعة راهب ، أو آثرت فهو نخبة شارب . أخباره زكّية ، وآثاره ذكّية . أخباره تأتينا كما وشى بالمسك ريّاه ، ونمّ على الصباحُ محيّا . قد انتشر من طيب أخباره ما زاد على المسك الفتيق ، وأوفى على الزّهر الأنيق . مناقب تُشَدِّخُ في جبينها غرّة الصباح ، وتمهادى أبناءها وفودُ الرياح . فلان أخباره آثاره ، وعينه فراره^(٢) ، قد حصل له من حميد الذكر ، وجميل النّشر ، مالا تزال الرواة تُدرسه ، والتواريخ تحرسه . سألت عن أخباره فكأنى حرّكت المسك فتيقاً ، أو صبّحت الروض أنيقاً . أخباره متضوعة كتضوع المسك الأذفر ، ومُشرقة إشراق الفجر الأنور . أحببته بالخبر ، قبل الأثر ، وبالوصف قبل الكشف . هو بمن يثقل ميزانُ وده ، ويُخْصِفُ ميثاق عهده . هو كريم العهد ، صحيح العقد ، سليم الصدر في الودّ ، حميد الورد فيه والصدر . هو لإخوانه عدّة تُشدّم وتقوِّمهم ، ونورٌ يسعى بين أيديهم . هو ركن الإخاء ، صافي شرب الوفاء ، حافظٌ على الغيب ما يحفظه على اللقاء . هو بمن لا تدومُ المداهنة في عرصات قلبه ، ولا تحوم المواربة على جنبات صدره . هو يسرى إلى كرم العهد ، في ضياء من الرشد . عهده نقشٌ في صخر ، ووده نسبٌ ملآن من فخر . يقبلُ من إخوانه العفو ، كما يوليهم من إحسانه الصّفو . في وده غنى للطالب ، وكفاية للراغب ، ومرآة للصّخب ، وزاد للركب . هو في حبل الوفاء حاطب ، وعلى فرض الإخاء مواظب . التّججُّعُ معقودٌ في نواصي آرائه ، واليؤمنُ معتاد في ذاهب أبحاثه . له الرأى . الثاقب الذي تخفى مكايده ، وتظهر عوائده ، والتندييرُ الذافذ الذي تنججُ مبادئه ، وتبهج تواليه . رأى

(١) الغضارة : النعمة (م) (٢) هذا من الثل «إن الجواد عينه فراره» (م)

كالتَّيْمِمْ أَصَابَ غِرَّةَ الْمَدْفِي ، ودهاء كالبجر في بُعْدِ النُّورِ وَقُرْبِ الْمَغْتَرَفِ ،
لا يَضَعُ رَأْيَهُ إِلَّا مَوَاضِعَ الْأَصَالَةِ ، ولا يَصْرِفُ تَدْبِيرَهُ إِلَّا عَلَى مَوَاقِعِ السَّدَادِ
وَالْإِصَابَةِ . يَعْرِفُ مِنْ مَبَادِيءِ الْأَقْوَالِ خَوَاتِيمَ الْأَفْعَالِ ، وَمِنْ صُدُورِ الْأُمُورِ أَعْجَازَ
مَا فِي الصُّدُورِ . رُؤْيَتُهُ رَأْيَ صَلِيَّةٍ ، وَبَدِيهَتُهُ قَدْرُ مُصِيبٍ . يَسَافِرُ رَأْيَهُ وَهُودَانَ
لَمْ يَبْرَحْ ، وَيَسِيرُ تَدْبِيرَهُ وَهُوثًا لَمْ يَنْزَحْ . لَهُ رَأْيٌ لَا يَخْطِئُ شَاكِلَةَ الصَّوَابِ ،
[وَلَا يَخْشَى بَادِرَةَ الْعَثَارِ . فَلَانِ يَحْتَمِرُ الرَّأْيَ وَيُجِيلُهُ ، وَيَجِيدُ الْفِكْرَ وَيُجِيلُهُ ، حَتَّى
يَحْصُلَ عَلَى لَبِّ الصَّوَابِ] ^(١) ، وَمُحْضُ الرَّأْيِ . إِذَا أَذْكَى سِرَاجَ الْفِكْرِ ، أَضَاءَ
ظِلَامَ الْأَمْرِ ، هُوَ قُطْبُ صَوَابٍ تَدَوَّرُ بِهِ الْأُمُورُ ، وَمُسْتَنْبَطُ صِلَاحٍ يَرُدُّ إِلَيْهِ
التَّدْبِيرُ . يَرَى الْعَوَاقِبَ فِي مِرْآةِ عَقْلِهِ ، وَبَصِيرَةَ ذِكَاثِهِ وَفَضْلَهُ . وَلَهُ رَأْيٌ يَرُدُّ
الْخَطْبُ مَصْلَمًا ، وَالرَّمْحُ مُقَلَّمًا . [آرَاؤُهُ سَجَاكِينٌ فِي مَفَاصِلِ الْخَطُوبِ] ، كَأَنَّهُ
يَنْظُرُ إِلَى الْغَيْبِ مِنْ وَرَاءِ سِتْرِ رَقِيقٍ ، وَيَطَالِعُهُ بَعْثِينَ السَّدَادِ وَالتَّوْفِيقِ . يَسْتَنْبِطُ
حَقَائِقَ الْقُلُوبِ ، وَيَسْتَخْرِجُ وَدَائِعَ الْغُيُوبِ . فَدَسَّرَيْنَا مِنْ مَشُورَتِهِ فِي ضِيَاءِ سَاطِعٍ ،
وَمِنْ رَأْيِهِ الصَّائِبِ فِي حُكْمِ قَاطِعٍ .

نبذ من مفردات الآيات في فرائد المدح

أبو نواس :

وَكَلَّتْ بِالذَّهْرِ عَيْنًا غَيْرَ نَائِمَةٍ مِنْ جُودِ كَفِيكَ تَأْسُوكَ مَا جَرَّحَا

الطائي :

فَلَوْ صَوَّرْتَ نَفْسَكَ لَمْ تَزِدْهَا عَلَى مَا فِيكَ مِنْ كَرِيمِ الطَّبَاعِ

البيهقي :

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ نَفْسِهِ لَجَادَ بِهِمَا فَلَيتَّقِ اللَّهَ سَائِلُهُ

وله :

وَلَمْ أَرِ أَمْثَالَ الرِّجَالِ تَفَاوَتُوا لَدَى الْمَجْدِ حَتَّى عَدَّ أَلْفَ بَواحِدِ

كشاجم :

عرف الفاضلون فضلك بالعلم وقال الجهال بالتقليد

المثلبي :-

شخص الأنام إلى كالك فاستعدت من شر أعينهم بعين واحد

وله :

ولما رأيت الناس دون محلهم تيقنت أن الدهر للناس ناقد

وله أيضاً :

لأن خوطبوا أو تقوا أو كوتبوا وجدوا في اللفظ والخط والهيجاء فرسانا

وله أيضاً :

ذكر الأنام لنا فكان قصيدة كنت البديع الفرد في آياتها

أبو العباس الناشيء :

خلفت كما أردتكم للمعالي فانت لمن رجالك كما يريد

المأموني :

وخلائق كالحمر دون فعاليه حبب لهن وما لهن خمار

[في مجالس الخلفاء والملوك والحكام والأمرء]

وقال إبراهيم الموصلي لموسى الهادي ، وهو نديمه ، وقد غناه صوتاً فأعجبه : إن من كان محله من أمير المؤمنين محلى في الانبساط وتقدم الندام جراه البسط على الطلب ، وبعثته المنادمة على الرجاء ، وقد نصب لي أمير المؤمنين بقربي منه مشارع الرغبة إليه ، وحسنى محلى عنده على الكروع في المنهل بين يديه .
قال : سل شفاها ؛ فإني جاعل ففلي عن إجابتك إليه حاضراً ؛ فسأله ما قيمته خمسون ألف درهم ؛ فأمر له بمائة ألف درهم .

بين الموصلي
والهادي

بين الإسكندر ودارا بن دارا
ولما ظفر الإسكندر بدارا بن دارا قال له : بم أجترأ عليك صاحب شُرطتك ؟
قال : بتزكى ترهيبه وقت إساءته وتفريطه ، وإعطائه وقت الإحسان اليسير من فعله نهاية رغبته . فقال الإسكندر : نعم العون على استصلاح القلوب الموعرة الترغيب بالأموال ، وأصلح منه عاجلا الترهيب وقت الحاجة إليه .

حكيم يصف أحزم الملوك
وقال الحسن بن سهل : خرج بعض ملوك الفرس متنزها ، فلقى بعض الحكماء ، فسأله عن أحزم الملوك ، فقال : من ملك جده هزله ، وقهر لثبه هواه ، وأعرب لسانه عن ضميره ، ولم يتخذعه رضاه عن سخطه ، ولا غضبه عن صدقه . فقال الملك : لا ، بل أحزم الملوك من إذا جاع أكل ، وإذا عطش شرب ، وإذا تعب استراح . فقال الحكيم : أيها الملك ، قد أجدت الفطنة . هذا العلم مستفاد أم غريزي ؟ قال : كان عندنا معلم من حكماء الهند ، وكان هذا نقش خاتمة . قال : فهل علمك غير هذا ؟ قال : ومن أين يوجب مثل هذا عند رجل واحد ؟ ثم قال له الملك : علمني من حكمتك أيها الحكيم قال : نعم ، احفظ عني ثلاث كلمات . قال : ما هن ؟ قال : صقلك السيف ليس له جوهر من سنخه ^(١) خطأ ، وصبتك الحب في الأرض السبخة ترجو نباته جهل ، وحمك المسن على الرياضة عناء .

قال أبو تمام الطائي :

والسيف ما لم يلف فيه صقل من سنخه لم ينتفع بصقال

وقيل لبعض الحكماء : ما الدليل الناصح ؟ قال : غريزة الطبع . قيل : ما القائد المشفق ؟ قال : حسن المنطق . قيل : فما العناء المعنى ؟ قال : تطيعك مالا طبع له .

أوشروان بين سياسة لدولة
وكان أوشروان يقول : الناس ثلاث طبقات تسوسهم ثلاث سياسات : [طبقة من خاصة الأحرار تسوسهم بالعطف واللين والإحسان ، و] طبقة من خاصة الأشرار تسوسهم بالغلظة والعنف والشدّة ، وطبقة من العامة تسوسهم باللين والشدّة ، لثلا تحرجهم الشدّة ، ولا يبظّرهم ^(٢) اللين .

(٢) يبظّرهم : يطعمهم (م)

(١) السنخ ، بالكسر : الأصل

وقال واصل بن عطاء : ألا قاتل الله هذه السفلة ! توأدُّ مَنْ حَدَّ الله واصل بن عطاء
ونبيّه ، وتحادُّ من وادَّ الله ونبيّه ، وتدمّم من مدحه الله ، وتمدح من ذمه الله ؛ يصف أخلاق
على أنه بهم علم الفضل لأهل الطبقة العالية ، وبهم أعطيت الأوساط حظاً السفلة
من النبيل .

وقيل لبعض الملوك ، [وقد بلغ في القدر ما لم يبلغه أحد من ملوك ما يبلغ أقصى
درجات الفضل زمانه] : ما الذي بلغ بك هذه المنزلة ؟ قال : عَفَوِي عند قدرتي ، وليني
عند شدّتي ، وبذلي الإنصاف ولو من نفسي ، وإبقائي في الحب والبغض مكاناً
لموضع الاستبدال .

وقال الإسكندر لأحد الحكماء ، وأراد سفيراً : أُرشدني لأحزم أمرى . أحزم الرأي
قال : لا تملأن قلبك من محبة الشيء ، ولا يستولين عليك بغضه ، واجعلهما
قصداً^(١) ؛ فإن القلب كاسمه ينزع ويرجع ، واجعل وزيرك الثابت ، وسميرك
التيقظ ، ولا تقدّم إلا بعد المشورة ؛ فإنها نعم الدليل ، فإذا فعلت ذلك ملكت
قلوب رعيتك .

وقيل لبعض الحكماء : ما الحزم ؟ قال : سوء الظن . قيل : فما الصواب ؟ قال : حكيم يصف
المشورة . قيل : فما الرأي الذي يجمع القلوب على المودة ؟ قال : كفُّ بدؤل ،
وبشر جميل . قيل : فما الاحتياط ؟ قال : الاقتصاد في الحب والبغض .

وسئل بزرجمهر : ما المروءة ؟ قال : ترك ما لا يعني . قيل : فما الحزم ؟ قال :
اتهماز الفرصة . قيل : فما الحلم ؟ قال : العفو عند المقدرة . قيل : فما الشدة ؟ قال :
ملك الغضب . قيل : فما الخرق ؟ قال : حب مُفْرِق ؛ وبغض مُفْرِط .

قال معاوية رضي الله عنه لزيد حين ولّاه العراق : يا زيد ؛ ليكن حبك
وبغضك^(١) قصداً ؛ فإن العثرة فيهما كامنة ، واجعل للنزوع والرجوع بقية من
قلبك ، واحذر صولة الانهماك ، فإنها تؤدي إلى الهلاك .

(١) قصداً : أي بغير إفراط ولا تفريط

ومن كلام بلغاء أهل العصر في ذكر السلطان

للصاحب
أبو القاسم صاحب : مرّضة السلطان ، لا تغلّو بشيء من الأمان ، ولا يتبدّل
الروح والجنان . تهيب السلطان قرصه وركيد ، وحتم على من ألقى السمع
وهو شهيد .

للصابي
أبو إسحاق الصابي : الملكُ أحقُّ باصطفاء رجاله منه باصطفاء أمواله ؛ لأنه
مع اتساع الأمر وجلالة القدر لا يكتفي بالوحدّة ، ولا يستغني عن الكثرة ؛
ومثله في ذلك مثلُ المسافر في الطريق البعيد الذي يجب أن تكون عناية بفرسه
المجنوب ، كعطيته بفرسه المركوب .

فصل للصابي : الملك بمن غلط من أتباعه فاتعظ أشدّ انتفاعاً منه بمن لم
يغلط ولم يتعظ ؛ فالأول كالقارح^(١) الذي أدبته الغرّة ، وأصلحته الفدامة ،
والثاني كالجدع المتهوك^(٢) الذي هوراكب للغرّة وراكن إلى السلامة .

وقيل : إن العظم إذا جبر من كسره عاد صاحبه أشدّ بطشاً وأقوى أيداً .
للخوارزمي
أبو بكر الخوارزمي : لا صغير مع الولاية والعيلة ، كما لا كبير مع العطفه
والبطالة ؛ وإنما الولاية أنثى تصفر وتسكر بواليتها ، ومطيّة تحسن وتقبح
بممتطيها ، والصدر لمن يليه ، والدست لمن جلس فيه ، والأعمال بالعمال ، كما
أن النساء بالرجال .

فصل له : إن ولاية المرء ثوبه ؛ فإن قصر عرى منه ، وإن طال عثر فيه .
قليل السلطان كثير ، ومداراته حزمٌ وتديير ، ومكاشفته غرور وتغرير .

للبيسقي
أبو الفتح البيسقي : أجهلُ الناس من كان على السلطان مدلاً ، وللأخوان مدلاً .
لابن العميد
أبو الفضل ابن العميد : الإبقاء على حشم السلطان وعماله عدلُ الإبقاء^(٣)
على ماله ، والإشفاق [على حاشيته وحشمه مثل الإشفاق على ديناره ودرهمه] .

(١) القارح : الذي تمت قوته واستحكمت شدته ، وأصله في الإبل (م)

(٢) الجدع - بالتحريك - الحدث ، وأصله أيضاً في الحيوان (م)

(٣) هذا عدل هذا : أي مساويه ومكافئه (م)

وله من رسالة طويلة ، جواب لأبي شجاع عضد الدولة عن كتاب اقتضاه فيه صدرَ كتاب ألفه أبو الحسن الصوفي في نوع من علوم الهيئة .

أنا أقدم الإجابة بحمد الله تعالى جدّه ، على ما وهب لنا معاشر عبيده وخدمه خاصة ، بل لرعاياه عامة ، بل لأهل الأرض كافة ، من عظيم النعمة بمكانه ، وجسيم الموهبة بإنفاق أعمارنا في زمانه ، حتى شاركناه في أسباب السعادة التي لم تزل مذكورة عليه ، حتى صارت إليه ، وساهمناه في موادّ الفضيلة التي لم تزل محفوظّة له حتى انصلمت به ؛ فإن المرء أشبه شيء بزمانه ، وصفات كل زمان منتسخة من سجايا سُلطانة ؛ فإن فضلَ شاعِ الفضل في الزمان وأهله ، وتحلّى الدهرُ بأفضل حليته ، وتحلّى للعيون والقلوب بأحسن زينته ، وكسا بينه والناشئين فيه بشرفِ جوهره ، وأورثهم نيلَ فضله ، وعزّ العلم وأهله ، وعرف لمتبسه قدره ، وتوجّهت الأذهان نحوه ، وتعلقت الخواطرُ به ، وصرفت الفكر فيه ، ونشدت ضوآله ، ونظم أشناتة ، وجمعت أفرادُه ، ووثقت نفوسُ الساعين في استفادته بحسن عائدته ، فحرصت عليه ، وصرفت نظرها إليه ، وأيقنت في بضاعتها بالتفائق ، وفي تجارتها بالإتفاق ؛ فصار ذلك إلى تمام العلوم وزيادتها داعية ، ولتكثير قليلها وإيضاح مجهرها سببا وعلّة ، وإلى انخراط جواهرها للترفة في سلوك التصنيف سبيلا ، وإلى تقييد شواردها بعقل^(١) التأليف طريقا . وإن رذل السلطان أتبعته الرذيلة اتباعاً ، وذهبت الفضائل ضياعاً ، وبطلت الأقدارُ والقيم ، وسلبت الأخطارُ والهيم ، وزال العلم والتعلم ، ودرّس الفهمُ والتفهم ، وضربَ الجهلُ بجراحه ، ووطىء بمنسمة ، واستغلى الخمولُ على النباهة ، واستولى الباطلُ على الحق ، وصارُ الأدبُ وبالاً على صاحبه ، والعلمُ نكالاً على حامله . وبحسب عظيم الحنة بمن هذه صفتُه ، والبلوى معَ مَنْ هذه صورته ، تعظُمُ النعمةُ بمُلكِ سلطانِ عالم ، كالأمير الجليل عضد الدولة ، أطال الله تعالى بقاءه ، وأدام قدرته ، الذي أحله الله عزّ وجل من الفضائل بملئى طرقها ومجتمع فرقها ، فهي نواذٍ من لاقت

(١) العقل : جمع عقال - بزنة كتاب وكتب - وهو في الأصل ما تربط به الداية (م)

حتى تصير إليه ، وشوارِدُ نوازِعُ حيث حلت حتى تقع عليه ، تلتفت تلتفت
الرائق ، وتتسوّفُ إليه تشوفَ الصبِّ العاشقِ ، قد ملكها أنى توجهت وحشة
المضاع وخيرة المرتاع .

فإن تغشَ قوماً غيرة أو تزُرهم فكالوحش يدنّ منها من الأتسِ المحل^(١)
حتى إذا قابلته أسرعت إليه إسراع السيل ينصبُّ في الحدور ، والطير ينقضُّ
إلى الوكور .

وقال أبو الطيب المتنبي :

أَحَقُّ عَافٍ بِدَمْعِكَ المِمْمُ أَخَذْتُ شَيْءَ عَهْدٍ بِهَا القِدْمُ^(٢)
وَإِنَّمَا النَّاسُ بِالمُلُوكِ ، وَمَا تُفْلِحُ عُرْبٌ مُلُوكَهَا عَجْمُ
لَا أَدبٌ عِنْدَهُمْ وَلَا حَسَبٌ وَلَا عُهُودٌ لَهُمْ وَلَا ذِمَمُ
بِكُلِّ أَرْضٍ وَطِئْتَهَا أُمَّمٌ تَرْغَى بَعِيدٍ كَأَنَّهَا غَمَمُ
يَسْتَخْشِنُ الخُرَّ حِينَ يَلْسَهُ وَكَانَ يُبْرَى بِظُفْرِهِ القَلَمُ

لأبي الطيب
المتنبي

وقال الزبير بن بكار : قَدِمَ ابْنُ مِيَادَةَ ، واسمه الرَّمَّاحُ بنُ أبرد ، زائراً
عبد الواحد بن سليمان ، وهو أمير المدينة ، فكان عنده ليلةً في سُمَّارِهِ ؛ فقال عبد الواحد
لأصحابه : إني لأهم أن أتزوج فابغوني أيما ، قال ابن ميادة : أنا - أصلحك الله -
أدلك ، قال : على من يا أبا بشر أميل ؟ قال : قدمتُ عليك أيها الأمير ، فلما
قدمتُ ألقىتُ المسجد وإذا أشبه شيء به وبمن فيه الجنة ومن فيها ، فبينما أنا أمشي
إذ قادتني راحمةٌ رجلٍ عطر حتى وقفت عليه ، فلما وقع بصرى عليه استلهمي حُسْنُهُ
ناظري ، فما أفلعت ناظري حتى تكلم فما زال يتكلم كأنما يثُرُ دُرّاً ، ويتلو
زبوراً ، ويدرس إنجيلاً ، ويقرأ فُرْقَاناً ، حتى سكت ، فلولا معرفتي بالأمر
ما شككت أنه هو ، ثم خرج من مُصَلَّاهُ إلى داره ، فسألت عنه ، فأخبرت أنه

بين ابن ميادة
وعبد الواحد
ابن سليمان

(١) هذا البيت من قصيدة جيدة لاسم بن الوليد (٢) العاقب : المنزل الدارس

من الحسن بمكانة ، وأنه للخليفتين ، وأنه قد نالته ولادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ساطع من غرته ؛ فإن اجتمعت أنت وهو على ولد ساد العباد ، وجاب ذكره البلاد .

فلما قضى ابن ميادة كلامه قال عبد الواحد ومن حضر : ذلك محمد بن عبد الله ابن عمرو بن عثمان رضی الله تعالى عنه لفاطمة بنت الحسين بن علي رضی الله عنهم ، وقال ابن ميادة :

لهم سيرة لم يُعطها الله غيرهم وكل قضاء الله فهو مُقسَّم

هذا في تقابيل نسبه ، وكال منصبه ، كقول عوف القوافي في طلحة بن لعوف القوافي يمدح طلحة عبد الله الزهري :

يُصمُّ رجال حين يدعون للندي ويدعون ابن عوف للندي فيجيب
وذاك امرؤ من أي عطفية يلتفت إلى المجد يحوي المجد وهو قريب

وعبد الواحد بن سليمان هذا هو الذي يقول فيه القطامي :

أقول للحرف لما أن شكت أصلا طول السفار وأفنى نيهما الرحل (١)
إن ترجى من أبي عثمان منجحة فقد يهون على المستنجح العمل
أهل المدينة لا يحزنك شأنهم إذا تخطأ عبد الواحد الأجل

ومن قول القطامي : « إن ترجى من أبي عثمان منجحة » أخذ الآخر قوله :

إذا ما تفتى المرء في إثر حاجة فأصبح لم يتقل عليه عناؤه

وهو عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان ، قال الكلبي : هو عبد الواحد ابن الحارث بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، والأول قول ابن السكيت .

(١) الحرف : الناقة ، ونبيها : شحمها (م)

والقصيدة التي منها هذه الأبيات من أجودِ قوله ، وفيها يقول مما يتمثل به :
 والعيشُ لا عيشَ إلا ما تقرُّ به عَيْنٌ ولا حالٌ إلا سوف يَنْتَمِلُ
 والناسُ مَنْ يَلْقَى خيراً قائلون له ما يَشْتَهِي ولأُمِ المَخطِئِ الهَبْلُ^(١)
 قد يُدْرِكُ المتَأَنِّي بعضَ حاجتِه وقد يكونُ مع المستعجلِ الزَّلَلُ
 قوله : « والناسُ مَنْ يَلْقَى خيراً قائلون له » مأخوذٌ من قول المرقس :
 وَمَنْ يَلْقَى خيراً محمدَ الناسُ أمرُهُ وَمَنْ يَغْوُ لا يَعدَمُ على الغيِّ لأَمَّا

وقال عمرو بن سعيد للأخطل : أيسرك أن لك بشعرك شعراً ؟ قال : لا ،
 ما يسرني أن لي بقولي مقولاً من مقاويل العرب ، غير أن رجلاً من قومي قال
 أبياتاً حسدته عليها ، وإيم الله ، إنه لمُعَدِّفِ القناع ، ضيق الذراع ، قليل السماع ،
 قال : ومن هو ؟ قال : القطامي ، قال : وما هذه الأبيات ؟ فأنشد له يَصِفُ إبلا
 من هذه القصيدة :

يمشِين رَهْواً فلا الأعْجَازُ خاذِلَةٌ ولا الصدورُ على الأعْجَازِ تتَكَلُّ^(٢)
 فهن معترضات وألحاصاً رَمِضُ^(٣) والريحُ ساكِنَةٌ وَالظَلُّ ممتدِّلُ^(٤)
 يتبعن سامةَ العَيْنَيْنِ تحسبها مجنونة أو ترى ما لا ترى الإبلُ

[نغم الألفاظ ونغم الألحان]

قال أبو العتاهية لمخارق : أنت بنغم ألفاظك دون نغم ألحانك ، تُطْرِبُ
 إذا تكلمت ، فكيف إذا ترنمت !
 وقال له يوماً : يا حكيم هذه الأقاليم ؛ أصبب في هذه الأذان من جيد
 تلك الألحان ، فأقسم لو كان الكلام طعاماً ، لكان غناؤك له إداماً .

(١) المخطئ : الذي أخطأه الغنى ونحوه ، والهبل - بالتحريك : الشكل (م)

(٢) الرهو : السير السهل (٣) رمض : حار - من الرمضاء (م)

منزلة
شعر
القطامي

بن مخارق
وأبي العتاهية

قال إسحاقُ بن إبراهيم الموصلي : دخلتُ على المعتصم يوماً وقد خلا ، وعنده إسحاق الموصلي
جارية تُعَنِّيهِ ، وكان معجباً بها ، فلما جلست قال لي : يا أبا إسحاق ، كيف تراها ؟
قلت : يا أمير المؤمنين ، أراها تفههه بجِدْقٍ ، وتختله برفقٍ ، ولا تخرج من حَسَنٍ
إلا إلى أحسن منه ، وفي خلقها شذورٌ نَعَمُ أحسنُ من دوام النعم ، قال : يا إسحاق ؛
هن غاياتُ الأمل ، ومُنَسِّيَاتُ الأجل ، والنقم الداخل ، والشغل الشاغل ، وإن
صِفَتِكَ هذه لو سمعها مَنْ لم يَرَهَا لفقد لبُّهُ ، وقَضَى نَحْبَهُ .

ويصف المجيد
من الغنين

وسئِلَ إسحاق عن المُجِيدِ من المُنِينِ ، فقال : مَنْ لَطَفَ في اختلاسه ، وتمكَّنَ
من أنفاسه ، وتفرَّعَ في أجناسه ، يكادُ يَعْرِفُ ضَمَائِرَ مُجَالِسِيهِ ، وشهواتِ مُعَاشِرِيهِ ،
يَقْرَعُ مَسْمَعُ كُلِّ واحدٍ منهم بالتحو الذي يُوافِقُ هَوَاهُ ، وَيُطَاقِبُ معناه .

من ترجمة
إسحاق الموصلي

وكان إسحاقُ بن إبراهيم قد جمع إلى حدِّ قُوَّةِ بصناعته حُسْنَ التصرف في العلوم ،
وجوْدَةَ الصنعة للشعر ، وحَدَّثَ عن نفسه فقال : كتبت أيام الرشيد أبكر إلى هشيم
ووكيع فأسمعُ منهما ، ثم أنصرف إلى عاتكة بنت شهيد ؛ فَخَطَّرَ حُنَى صَوْتِي ،
ثم أُصِيبَ إلى زلزل الضارب فأخذُ منه طريقين ، ثم أسير إلى منزلي فأبعث إلى أبي عبيدة
والأصمعي ، فلا يزالان عندي إلى الظهر ، ثم أذهبُ إلى التلييفة .

ونزل أبوه بالموصل وليس من أهلها فنسب إليها ، وهو مولى خزيمه بن حازم^(١)

التميمي ، وفي ذلك يقول إسحاق :

إذا مضى الجراء كانت أرومتي وقام بنصري حازم وابن حازم

عظنتُ بأنني شاعراً وتناولتُ بناهي الثريا قاعداً غير قائم

وفيه يقول محمد بن عامر الجرجاني يرثيه :

على الجدثِ الشرفي عوجاً فسلما ببغداد لما صد عنه عسوائده

إسحاق لا تبعده ، وإن كان قد رمتي بك الموتُ مرعى ليس يصدر وارده

متى تأتي يوماً تحاولُ منفساً من الدين والدنيا فإنك واجده

(١) في نسخة « خزيمه بن أبي حازم التميمي »

إذا هزل اخضرت فروعُ حديثه
ورقت حواشيه وطابت مشاهدُه
وإن جدَّ كان القولُ جدًّا وأقسمت
مخارجه ألا تلين شداًئدهُ
ومن جيد شعر إسحاق قصيدته
في إسحاق بن إبراهيم المصعبي بعد
إيقاعه بالخرمية :

تَقَصَّصَتْ لِبَانَاتٌ وَجَدَّ رَحِيلُ
وَمُدَّتْ أَكْفٌ لِلوَدَاعِ فَصَافَحَتْ
وَلَا بَدَّ لِلآلَافِ مِنْ فَيْضِ عَيْبَرَةٍ
فَكَمْ مِنْ دَمٍ قَدْ طَلَّ يَوْمَ تَحَمَّلَتْ
غَدَاةً جَعَلَتْ الصَّبْرَ شَيْئًا نَسِيَتْهُ
وَلَمْ أُنْسْ مِنْهَا نَظْرَةً هَاجَ لِي بِهَا
كَمَا نَظَرْتُ حَوْرَاهُ فِي ظِلِّ سِدْرَةٍ
فَلَا وَضَلَّ إِلَّا أَنْ تَلَا فَا هُ أَيُنُقُ
إِذَا قَلْبِي أَجْفَانَهَا بِنْتَوَفَةٍ
تَفَرَّدَ إِسْحَاقُ بِنُصْحِ أَمِيرِهِ
يَفْرَجُ عَنْهُ الشُّكَّ صِدْقُ عَزِيمَةٍ
أَغْرَى حَبِيبُ الْوَالِدِينَ كَأَنَّهُ
بَنِي مُضَعَبٍ لِلْمَجْدِ فَيْكَمْ إِذَا بَدَتْ
كُرْمَتُمْ فَمَا فَيْكَمْ جَبَانٌ لَدَى الْوَعْيِ
غَلَبْتُمْ عَلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ فَرَأَقَكُمْ

وَلَمْ يُشَفَّ مِنْ أَهْلِ الصَّفَاءِ غَلِيلُ
وَقَاضَتْ عَيْونُ لِلْفِرَاقِ نَسِيلُ
إِذَا مَا خَلِيلٌ بَانَ عَنْهُ خَلِيلٌ^(١)
أَوْ أُنْسٌ لَا يُودِي لَهْنٍ قَتِيلُ^(٢)
وَأَعُولْتُ لَوْ أَجْدَى عَلَى عَوِيلُ^(٣)
هُوَئِي مِنْهُ بَادٍ ظَاهِرٌ وَدَخِيلُ
دَعَاهَا إِلَى ظِلِّ الْكِنَاسِ مَقِيلُ
عِتَاقٌ مَمَاهَا شَدَقَمٌ وَجَدِيلُ^(٤)
طَوَى الْبَعْدَ مِنْهَا هَزَّةً وَذَمِيلُ^(٥)
فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ الْإِمَامِ عَدِيلُ
وَأَلْبُ بِهِ يَمْلُؤُ الرِّجَالَ أَضِيلُ
حَسَامٌ جَلَّتْ عَنْهُ الْعَيْونُ صَقِيلُ
وَجَوْهَكُمْ لِلنَّاطِرِينَ دَلِيلُ
وَلَا مِنْكُمْ عِنْدَ الْعَطَاءِ تَحِيلُ
ثَنَاءٌ بِأَفْوَاهِ الرِّجَالِ جَمِيلُ

(١) الألاف : جمع آلف ، وبان عنه : فارقه ، والخليل : الصديق (م)

(٢) ظل - بالبناء للمجهول - أهدر ، والأوانس : جمع آنسة ، وهى التى

يؤنس إليها ، ولا يودى قتيلىن : لا يعطى ديتيه (م) (٣) أعولت : يكيث (م)

(٤) شدقم وجديل : خلان من خفولة الإبل المعروفة ، كانا للثمان بن المنذر (م)

(٥) التنوفة : الصحراء المترامية الأطراف ، والذميل : ضرب من السير السريع (م)

إذا استكثر الأعداء ماقلتُ فيكمُ فإن الذي يستكثرون قليلُ

وهذا نمط الخذاق الفحول ، وقال :

ومدْرَجَةٌ للريح غَبْرَاءُ لم يكن ليَجْشَمَهَا زُمَيْلَةٌ غيرَ صَارِمٍ (١)
يَضِلُّ بِهَا السَّارِي وَإِنْ كَانَ هَادِيًا وتَقَطَّعَ أنفاسَ الرِّيحِ النَّوَاسِمِ
تَعَسَّفَتْ أُبْرَى جَوَزَهَا بِشِمْلَةٍ بعيدة ما بين العري والمجازم (٢)
كَأَنَّ شَرَارَ المَرُوِّ من نَبَذَهَا بِهِ نجومٌ هَوَتْ إحدى الليالي العواتم (٣)
إِذَا ضَمَّتْهَا والسَّفَرُ لَيْلٌ ففقيمتُ دياجيرهم رموس المعالم
تَنَادَوْا فاصاروا تحت أكنافِ رَحْلِهَا ليهديهم قدحُ الحصى بالمناسم
وقال :

ولما رأينَ البينَ قد جدَّ جدُّهُ ولم يبقَ إلَّا أن تَبينَ الركائبُ
دَنَوْنَا فأسلمنا سلامًا مُخَالِسًا فردَّتْ علينا أعينٌ وحواجبُ
تَصُدُّ بلا بُغْضٍ ونخلس لِحَّةً إذا غفلت عنا العيونُ الرواقبُ
نُذَادُ إِذَا هَمْنَا لنسْفِي غَلَّةً كما ذيدعن وردِ الحياضِ الغرائبُ

وما أحسن ما قال أبو العباس الناشيء في هذا المعنى :

ولما رأينَ البينَ زُمْتُ رِكَابُهُ وَأَيُّقِنَنَّ منَّا باقِطاعِ المطلبِ
طلبين على الرِّكَبِ المجدينِ عِلَّةً فَعُجِنَ عَلَيْنَا من صدور الركائبِ
فلما تلاقينا كَتَبْنَا بِأَعْيُنِ لَنَا كُتْبًا أعجمتها بالحواجبِ
فلما قرأناهنَّ سِرًّا طَوَيْنَهُنَّ حِذَارِ الأعدى بازورارِ المناكبِ

وقال إسحاق :

أَلَا مَنْ لِقَلْبٍ لَا يَزَالُ رَمِيَّةً لِلْمَحَّةِ طَرْفٍ أَوْ لِكِسْرَةِ حَاجِبِ

(١) مدرجة للريح : مكان هبوبها ، وأراد الصحراء ، والزميلة : الجبان (م)

(٢) تعسفت : قطعت ، وجوزها : وسطها ، والشملة : الناقة السريعة (م).

(٣) المرو : حجارة بيض براقه توري النار إذا قدحت (م)

وللخمر اللاتي تساقط لوثها فتور الخطا عن واردة الذوائب

[استطراد في ذكر جمال الذوائب]

وعلى ذكر الذوائب قال ابن المعتز :

لابن المعتز
سَقَنِي فِي لَيْلٍ شَبِيهَ بِشَعْرَهَا شَبِيهَةً خَدَيْهَا بِغَيْرِ رَقِيبِ
فَأَمْسَيْتَ فِي لَيْلَيْنِ بِالشَّعْرِ وَالذُّجَى وَخَمْرَيْنِ مِنْ رَاحٍ وَخَدِّ حَبِيبِ

وقال بكر بن النطاح لابن النطاح :

بيضاء تسحب من قيام شعرها وتغيبُ فيه وهو جئلُ أسحَمِ^(١)
فكانها فيه نهار مبصر وكأنه ليلٌ عليها مظلمٌ

وقال المتنبي للمتنبي :

نَشَرَتْ ثَلَاثَ ذَوَائِبٍ مِنْ شَعْرَهَا فِي لَيْلَةٍ فَأَرَتْ لَيْسَالِي أَرْبَعَا
وَأَسْتَقْبَلْتُ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا فَأَرْتَنِي الْقَمَرَيْنِ فِي وَقْتِ مَعَا

وقال ابن الرومي لابن الرومي :

وقاحم واردٌ يُقْبَلُ تَمَمٌ شَاهَ إِذَا اخْتَالَ مُسْبِلًا غَدْرَةَ^(٢)
أَقْبَلَ كَاللَّيْلِ فِي مَفَارِقِهِ مِنْحَدِرًا لَا يُرَامُ مُنْحَدِرَةَ
حَتَّى تَنَاهَى إِلَى مَوَاطِنِهِ يَلْتَمُ مِنْ كُلِّ مَوْطِيءٍ عَفْرَةَ
كَأَنَّهُ عَاشِقٌ دَنَا شَعْفًا حَتَّى قَضَى مِنْ حَبِيبِهِ وَطْرَةَ
يُغْشَى غَوَاشِي قَرُونِهِ قَدَمًا بِيضَاءَ لِلنَّاطِرِينَ مُقْتَدِرَةَ
مِثْلَ الثَّرْيَا إِذَا بَدَتْ سَجْرًا بَعْدَ غَمَامٍ وَحَاسِرٍ حَصْرَةَ

أخذه بعض أهل العصر - وهو محمد بن مطران - فقال :

لمحمد

(١) الشعر الجئل - بالفتح - الكثير اللين، ويروى «وهو وحف» وهو الأسود

الكثيف (م).

(٢) غدرة - بضم الغين والدال جميعاً : جمع غديرة ، والغديرة : الذؤابة ،

وتجمع على غدائر (م)

ابن مطران

ظِيَاءُ أَعَارَتْهَا الظَّبَا حُسْنَ مَشِيهَا كما قد أَعَارَتْهَا العيونَ الجَاذِرُ
فَإِنْ حُسْنَ ذَاكَ المَشَى قَامَتْ فَتَقَبَّلَتْ مواطِيءُ من أقدامهنَّ الغدائرُ
وقال مسلم بن الوليد :

أَجْدَكَ هَلْ تَدْرِينِ أَنْ رَبَّ لَيْلَةٍ كَأَنَّ دُجَاهَا من قرونِكَ يُنْشَرُ
نَصَبَتْ لَهَا حتَّى تَجَلَّتْ بِغُرَّةٍ كَغُرَّةِ يَمْحِي حِينَ يُذْكَرُ جَفْعَرُ

[وَخُذَةُ القصيدَةِ وَاتساقِهَا]

قال الحاتمي : مثلُ القصيدَةِ مثلُ الإنسانِ في اتِّصَالِ بعضِ أعضائه ببعضٍ ؛
فمَتى انفصلَ واحدٌ عن الآخرِ وَبَينَهُ في صِحَّةِ التركيبِ ، غادرَ الجسمَ ذَا عَاهَةٍ تَتَخَوَّنُ^(١) ؛
محاسنَهُ ، وَتَعَقَّى مَعَالِمَهُ ؛ وقد وَجَدتْ حُدَّاقَ المَتَقَدِّمِينَ وَأرَبَابَ الصنَاعَةِ مِنَ المُحَدِّثِينَ
يُحْتَرِسُونَ في مثلِ هذا الحَالِ احتِراساً يَجْتَنِبُهُم شَوَائِبَ النقصانِ ، وَيَقِفُ بِهِم على
مَحَجَّةِ الإحسانِ ، حتَّى يَقَعَ الاتِّصَالُ ، وَيُؤَمِّنُ الانفصالَ ، وَتَأْتِي القصيدَةُ في تَنَاسُبِ
صدورها وَأعجازها وانتظامِ نسيبها بِمدىحِها كالمِرساةِ البليغةِ ، وَالخُطْبَةِ المَوْجِزَةِ ،
لا ينفصلُ جُزءٌ مِنْهَا عن جُزءٍ ، وهذا مذهبُ اِختصاصِ بهِ المُحَدِّثُونَ ؛ لتوقُّدِ خَواطِرِهِم ،
وَلُطْفِ أَفكارِهِم ، واعتمادِهم البديعِ وَأفانينَهُ في أشعارِهِم ، وَكَأنَهُ مذهبُ سَهْتِ لُؤا
جَزَنُهُ^(٢) ، وَنَهْجِ جِوَارِئِهِم ؛ فَأَمَّا الفحولُ الأوائِلُ ، وَمَنْ تَلَاهُمُ مِنَ الخُضْرَمِينَ
وَالإسلامِيِّينَ فَذهبُهمُ المَتَعالمُ « عَدَّ عن كِذا إلى كِذا »^(٣) وَقَصَّارَى كُلِّ واحدٍ مِنْهُمْ
وَصَفُ نَاقَتِهِ بِالْعَتَقِ ، وَالنَّجَابَةِ وَالنَّجَاءِ ، وَأَنَّهُ امْتَطَّأَهَا ؛ فَادَّرَعَ عَلَيْهَا جِلْبَابَ
اللَّيْلِ ؛ وَرَبَّمَا اتَّفَقَ لِأَحَدِهِم مَعْنَى لَطِيفٍ يَتَخَلَّصُ بِهِ إلى غَرَضٍ لَمْ يَتَعَمَّده إِلا أَنْ
طَبَعَهُ السَّليْمِ ، وَصِرَاطِهِ في الشَّعْرِ المَسْتَقِيمِ ، نَصَبًا مَنَارَهُ^(٤) وَأوقدًا بِاليفاعِ نارَهُ ؛
فَإِنْ أَحْسَنَ تَخَلَّصَ شاعِرٌ إلى مَعْتَمَدِهِ قولُ النابغةِ الذبيانيِّ :

(١) تتخول محاسنه : تنقصها (م) (٢) الحزن : ضد السهل (م)

(٣) من ذلك قول زهير بن أبي سلمى عند التخلص بعد النسيب :

دع ذا ، وعد القول في هرم خير البداة وسيد الخضر (م)

(٤) في نسخة « نضى تياره ، وأوقد باليفاع نارَه » (م)

فكفكفتُ مَنَى عِبْرَةً فَرَدَّدْتُهَا على النَّحْرِ مِنْهَا مَسْتَهْلٌ وَدَامِعٌ
 على حين عاتبتُ المشيبَ على الصَّبَا وقلتُ: أَلَمَّا أَضْحُ وَالشَّيْبُ وَازِعٌ
 وقد حالَ همٌّ دونَ ذلكَ شاغِلٌ مكانَ الشَّغافِ تَبْتَغِيهِ الْأَصَابِعُ
 وعيدُ أبي قابوسَ في غيرِ كُنْهِهِ أتاني ودوني رَاكِسٌ فَالضَّوْاجِعُ

وهذا كلام متناسخ^(١) تقتضى أوائله أوآخره ، ولا يتميز منه شيء عن شيء :

أتاني ، أبيت اللعن ، أنك لمتني وتلك التي تستك منها المسامعُ
 مقالة أن قد قلت سوف أناله وذلك من تلقاء مثلك رائحُ

ولو توصل إلى ذلك بعض الشعراء الحداث الذين واصلوا تفتيش المعاني ، وفتحوا
 أبواب البديع ، واجتنوا ثمر الآداب ، وفتحوا زهر الكلام لكان معجزا عجبا ،
 فكيف بجاهل بدوي إنما يعترف من قليب قلبه ، ويستمد عفو هاحسه .

وقال علي بن هارون المنجم عن أبيه : لم يتوصل أحد إلى مدح بمنزل قول

[ابن] وهيب :

ما زال يُلثِمُهِنِي مَرَاشِفُهُ وَيُعَيْثُنِي الْإِبْرِيْقُ وَالْقَدَحُ
 حتى استردَّ اللَّيْلُ خُلْعَتَهُ وَبَدَأَ خِلَالَ سَوَادِهِ وَضَحُ^(٢)
 وَبَدَأَ الصَّبَاحُ كَأَن غُرَّتَهُ وَجْهَ الْخَلِيْفَةِ حِينَ يُمْتَدِّحُ

وقال علي بن الجهم :

وليلةٍ كحلتُ بالنفسِ مُقْلَتَهَا أَلْتِ قِنَاعَ الدُّجَى فِي كُلِّ أَخْدُودِ^(٣)
 قد كاد يُغْرِقُنِي أَمْوَاجُ ظُلْمَتِهَا لَوْلَا اقْتِبَاسِي سَنَاءَ وَجْهِ ابْنِ دَاوُدِ
 قوله : « كحلتُ بالنفسِ مقلتها » مأخوذ من قول أعرابي : « والليل قد

صَبَغَ الحَصَى بِمِدَادٍ » .

(١) لعله « متناسق » (م) (٢) الوضع : البياض (م)

(٣) النفس ، بالكسر : المداد

وقد أخذ هذا أبو نواس فقال :
 أَيْنَ لِي كَيْفَ صِرْتِ إِلَى حَرِيْمِي وَجَفَنُ اللَّيْلِ مُكْتَحِلٌ بِقَارِ
 وقد أخذ هذا أبو تمام فقال :

إِلَيْكَ هَتَكْنَا جُنْحَ لَيْلٍ كَأَنَّهُ قَدْ اكَتَحَلَّتْ مِنْهُ الْبِلَادُ بِأَيْمِدِ
 وقد أخذ لفظ الأعرابي المتقدم أبو نواس فقال :
 قَدْ أَغْتَدَى وَاللَّيْلِ كَالْمِدَادِ وَالضَّبْحُ يَنْفِيهِ عَنِ الْبِلَادِ
 طرد المشيبِ حالِكِ السَّوَادِ

وإنما نظَرَ في هذا إلى قول الأعرابي (١) :

أَقُولُ وَاللَّيْلُ قَدْ مَالَتْ أَوَاخِرُهُ إِلَى الْغُرُوبِ : تَأَمَّلْ نَظْرَةَ حَارِ
 أَلْحَةِ مِنْ سَنَا بَرَقَ رَأَى بَصْرِي أَمْ وَجْهَ نُعْمٍ بَدَا لِي أَمْ سَنَا نَارِ
 بِلِوَجْهِ نُعْمٍ بَدَا وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرُهُ فَلَاحَ مَا بَيْنَ حُجَابٍ وَأَسْتَارِ
 ومن بديع الخروج قول علي بن الجهم وذكر سحابة :

وسارية تَزْدَارُ أَرْضًا بِجُودِهَا شَفَلَتْ بِهَا عَيْنَا طَوِيلَا هَجُودِهَا (٢)
 أَتَنَّا بِهَا رِيحُ الصَّبَا فَكَأَنَّمَا فَتَاةٌ تَرْجِيهَا عَجُوزٌ تَقُودُهَا
 [فَمَا بَرَحَتْ بَغْدَادَ حَتَّى تَفْجَرَتْ بِأُودِيَةِ مَا تَسْتَفِيقُ مُدُودَهَا]
 فَلَمَّا قَضَتْ حَقَّ الْعِرَاقِ وَأَهْلَهُ أَتَاهَا مِنَ الرِّيحِ الشَّمَالِ بَرِيدُهَا
 فَمَرَّتْ تَفُوتُ الطَّيْرَ سَبَقًا كَأَنَّهَا جُنُودُ عَيْبِدِ اللَّهِ وَوَلَّتْ بَنُودُهَا

يريد انصراف أصحاب عبيد الله بن خاقان عن الجعفرى إلى سر من رأى
 عند قتل المتوكل . وقد أخذ هذا التشبيه معكوساً من قول أبي العتاهية :

ورايات يَحُلُّ النَصْرُ فِيهَا تَمْرٌ كَأَنَّهَا قَطَعُ السَّحَابِ

(١) الأبيات للناطقة ، وقد رواها له صاحب الجهمرة ، وهى فى ديوانه (م)

(٢) السارية : السحابة ، وتزدار : تطلب الزيارة ، والجود : المطر (م)

وقال ديك الجنّ :

وغرير يقضى بحكمين : في الراح بجور ، وفي الهوى بمحال
للنقار ذفه ، وللخوط ما حُمِّلَ لينا ، وجيده للغزالي^(١)
فعلتْ مُقلّته بالصَّبِّ ما تفعل جدوى يدّيك بالأموال

ومن بارع الخروج قول المتنبي :

مرّت بنا بين ترّيبها فقلتُ لها : من أين جانسَ هذا الشاذنُ العرّاباً
فاستضحكت ثم قالت كالغيث يُرى لَيْثَ الشّرى وهو من عَجَلٍ إذا اتسبا
واشتهار شعره ، ينعنى من ذكره .

[السر في الابتداء بالنسيب]

قال ابن قتيبة^(١) : سمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيدة إنما
ابتدأ بوصف الديار والدّمن والآثار ؛ فبكى وشكا ، وخاطبَ الربع ، واستوقف
الرفيق ؛ ليجعل ذلك سبباً لذكر أهله الظاعنين ؛ إذ كانت نازلة العمد في الحلول
والظّن على خلاف ما عليه نازلة المدر ؛ لاتتعلم من ماء إلى ماء ، واتجاعهم
الكلاً ، وتنبّعهم مساقط الغيث حيث كان ؛ ثم وصل ذلك بالنسيب ، فبكى
شدة الوجد ، وأم الصباية والشوق ؛ ليُميل نحوه القلوب ، ويصرف إليه الوجوه ،
ويستدعي إصغاء الأسماع ؛ لأن النسيب قريب من النفوس ، لائط بالقلوب^(٢) ،
لما جعل الله تعالى في تركيب العباد من محبّة الغزل ، وإلف النساء ، فليس أحد
يخلو من أن يكون متعلقاً منه بسبب ، وضاراً بآ فيه بسهم ، جلال أو حرام . فإذا
استوثق من الإصغاء إليه ، والاستماع له ؛ عقب بإيجاب الحقوق ؛ فرحل في شعره ،
وشكا النصب والسهر ، وسرى الليل [وحر الهجير ، وإنضاء الراحلة والبعير ،

(١) النقا : كتيب الرمل ، والخوط - بالضم - العنص الناعم الرقيق (م)

(٢) اختصر المؤلف هذا الفصل من مقدمة كتاب «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (م)

(٣) لائط بالقلوب : لاصق بها (م)

فإذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء وذمام التأميل] ، وقرّر عنده ما ناله من المكاره في المسير ، بدأ في المدح فبعثه على المكافأة ، وفضّله على الأشباه ، وصفر في قدره الجزيل ، وهزه لفعال الجميل ؛ فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب ، وعدل بين هذه الأقسام ، فلم يجعل واحداً أغلب على الشعر ، ولم يطل فِيمِلَ السامعين ، ولم يقطع وفي النفوس ظمأ إلى المزيد .

[موازنة بين أبي تمام والبحترى]

ويتعلق بهذه القطعة ما حدثت به الحاتمي عن نفسه ، وإن كانت الحكاية طويلة فهي غير مملولة ؛ لما لبسته من حُلل الآداب ، وتزينت به من حُلل الألباب ، قال : جمعي ورجلا من مشايخ البصرة ممن يؤمأ إليه في علم الشعر مجلسُ بعض الرؤساء ، وكان خبره قد سبق إليّ في عصبية البحترى ، وتفضيله إياه على أبي تمام ، ووجدت صاحب المجلس مؤثراً لاستماع كلامنا في هذا المعنى ، فأنشأت قولاً أنحيت فيه على البحترى إنحاءً أسرفت فيه ، واقتدحت زناد الرجل ، فتكلمت وتكلمت ، وخضناً في أفانين من التفضيل والمماثلة ، غلوت في جميعها غلواً شهده جميع من حضر المجلس ، وكانوا جلة الوقت ، وأعيان الفضل ، فاضطر إلى أن قال : ما يحسن أبو تمام يبتدىء ، ولا يخرج ، ولا يحتّم ، ولو لم يكن للبحترى عليه من الفضل إلا حسن ابتداءاته ، ولطف خروجها ، وسرعة انتهائها ، لوجب أن يقع التسليم له ، فكيف بأوابده التي تزداد على التكرار غصارة وجدة ثم أقبل علىّ ، فقال : أين يذهب بك عن ابتداءه :

عارضننا أصلاً فقلنا الرّبربُ حتى أضاء الأفحوان الأشنب^(١)
واخضر موشى البرودِ وقد بدأ منهن ديباجُ الخدودِ المذهبُ

(١) الأصل : جمع أصيل ، وهو الوقت ما بين العصر إلى الغروب ، والربرب : جماعة البقر الوحشية ، والأفحوان : نبت له زهر أحمر يشبه به اللثا ، والأشنب : وصف من الشنب — بفتح الشين والنون — وهي رقة وعدوبة وبرد في الأسنان (م)

وأنى لأبى تمام مثل خروجه حيث يقول :

أدارهمُ الأولى بدارة جُلجل سقاكِ الحيارِ وَوَحَاثَه وبوا كرهه^(١)
وجاءكِ يحكى يوسف بن محمد فروتِك رِيَاهُ وجادكِ ماطرُه
وقد كرر هذا وزاد فيه فقال :

تنصّب البرقُ نختالا فقلت له : لوجدتِ جودَ بنى يزُدان لم تَزِدِ

ومن ذا الذى لَطَفَ لأن يخرج من وصف روض إلى مدح ، فقال أحسن
من قوله :

كأنَّ سناها بالصبيِّ لصحبها تبلى عيسى حين يلفظُ بالوعْدِ^(٢)
وأنى لأبى تمام مثلُ حسن انتهائه حيث يقول :

إليك القوافى نازعات شواردا يسير ضاحي وشيها ويمنمُ
ومشرفة في النظم غراً يزيدُها بهاءً وحسناً أنها لك تنظمُ
وقوله في هذا المعنى :

ألست الموالى فيك نَظْمَ قضايدِ هي الأنجم اقتادت مع الليل أنجمًا
ثناء تخالُ الروضَ فيه منورا ضحى ، وتخالُ الوشى فيه مُتَمَنِّمًا
ولقد تقدم البحترى الناس كلهم في قوله :

لو أن مشتاقاً تكلف فوق ما فى وسعهِ لسمى إليك المنبرُ

قال أبو على : وكنت ساكنًا إلى أن استم كلامه ، فكان الجماعة أعجبهم
ذلك ، عصبية على لا على أبى تمام ؛ لأنى كنت كالشجى معترضاً فى هواهم ،
وأسرَّ كل واحد منهم إلى صاحبه سرًّا يومئذ به إلى استيلاء الرجل على ؛ فلما
استم كلامه وبرقت له بارقة طمع فى تسليمى له ابتدأت فقلت : لست ممن

(١) الحيا : النظر (م).

(٢) سناها : ضوءها ، وتبليجها : إشراق وجهه (م).

يُفَقِّعُ له بالشَّانِ ، ولا يُقَرِّعُ له بالعصا ، لا إلهَ إلا اللهُ ! استنَّتَ الفصالُ حتى
القرعَى ! هل هذه المعاني إلاعونٌ مُفْتَرَعَةٌ^(١) ، قد تقدم أبو تمام إلى سبك نضارها ،
وافتضاض أبقارها ، وجرى البحترى على وتيزته في انتزاع أمثالها واتباعها ، فأما
قوله : « عارضذنا أصلا فقلنا الربرب » ، فمن قول أبي جُوَيْرِيَةَ العبدى :

علم
بن الوليد

سلمن نحوى للوداع بمقلة فكأما نظرت إلينا الربرب
وقرآن بالحدق المرأض تحية كادت تكلمنا وإن لم تُعرب
وأما قوله في صفة الغيث مخاطبا للدار : « وجاءك يحكى يوسف بن محمد »
وقوله في هذا المعنى : « لوجات جود بنى يزدان لم تزد » فمن قول أبي تمام :

ولنوئيا في القلب نُؤى شفه وآه بظاعنها وبالمتخلف
وكأما استسقى لمن محمد من سومن من الحيا في زُخرف
ومن قوله الذى تقدم فيه كل أحد لفظاً رشيقاً ومعنى رقيقاً^(٢) :

ديمة سَمحة القيادة سَكوبُ مستغيثُ بها الترى للكروب
لوسعت بقعة لإعظام نعى لسعى نحوها المكان الجديبُ
ومن هنا أخذ البحترى : « لسعى إليك المنبر » :

[أيها الغيث حتى أهلا بمفداك وعند السرى وحين تثوبُ
لأى جعفر خلائق تحكيهن قد يشبه النجيب النجيبُ
أنت فينا في ذا الأوان غريبُ وهو فينا في كل وقت غريبُ]^(٣)
وأما قوله :

كأن سناها بالعشى لصحبها تبلى عيسى حين يلفظ بالوعد
فإنما نظر فيه إلى قول دِعْبِلِ بنِ علي :

وميثاء خضراء زربية بها النور يلمع في كل فن^(٤)

(١) العون من النساء : غير السكر (م) (٢) هذه الأبيات من قصيدة أبي تمام
وليست بثابتة في أكثر نسخ زهر الآداب (م)
(٣) الميثاء من الأرض : السهلة اللينة ، وزرية : قد اخضر نبتها واصفر واحمر (م)

ضحوكا إذا لاعبته الرياح
تأوّد كالشارب المرجح
فشبهه صحبي سنا نورها
بديباج كسرى وعصب اليمين
فقلت: بهدتم، ولكنني
أشبهه بجناب الحسن
فتى لا يرى المال إلا العطاء
ولا الكنز إلا اعتقاد المسن

وأما قوله في صفة الغواني « يسير ضاحي وشيها وينعم » وقوله في وصفها:
« وتخال الوشى فيه منمنا » فمن قول أبي تمام:

حلوا بها عقد النسيب، وتمنّوا
من وشيها نثرأ لها وقصيذا
ومن قوله الذي أبدع فيه:

ووالله لا أنفك أهدي شوارداً
إليك تحمّن الثناء المنخلاً^(١)
تخال به برّداً عليك محبّراً
وتحسبه عقداً عليك مفضلاً
أذ من السلوى وأطيب نفحة
من المسك مفتوقاً وأيسر محملاً
أخف على قلبي وأثقل قيمة
وأقصر في قلب الجليس وأطولاً

وقول البحتری * هي الأجم اقتادت مع الليل أنجما * مأخوذ من قول أبي
تمام مقصراً عنه كلّ تقصير عن استيفاء إحسانه حيث يقول:

أصيح تستمع حرّ القوافي؛ فإنها
كواكب إلا أنهنّ سعود
ولا تمكن الإخلاق منها فإنما
يلذّ لباس البرد وهو جديد

فهذه خصال صاحبك فيما عدده من محاسنه التي هتكت بها ستور عواره ،
ونشرت مطوى أسرارهِ ، حتى استوضحت الجماعة أن إحسانه فيها عارية مرتجعة ،
ووديمة منزعة ، فاسمع ما قال أبو تمام في نحو أبياتك التي أوجبت الفضل لصاحبك
حين قال مبتدئاً :

(١) الشوارد : جمع شاردة ، وأراد قصائد المدح ، والثناء المنخل : أراد به الذي
نقى عنه كل غريب عنه (م)

لأنت أنت ، ولا الديارُ ديارُ خفَّ الهوى ، وتقصَّتْ الأوطارُ^(١)
كانت مجاورةً للطلولِ وأهلها زمناً عذابَ الورْدِ فهي بحارُ
وقوله :

رقت حواشي الدهر فهي تمرُّ وغدا الثرى في حليمه يتكسرُ
وقوله :

أرأيتَ أيَّ سوافٍ وخُدودِ عنَّتْ لنا بين اللوى وزرودِ
وهل يستطيعُ أحدٌ أن يبتدىءَ بمثل ابتدائه :

طللَ الجميعَ لقد عَفَوْتَ حميدا وكفى على رُزئي بذاك شهيدا
دَمِنُ كَانَ البين أصبحَ طالباً دمناً لدى آرامِها وحقودا^(٢)
أو مثل قوله مبتدئاً :

يادارُ درَّ عليك إرهامُ الندى واهتزَّ روضك للثرى فترأدا^(٣)
وكسيتَ من خلع الحيا مستاسداً أنفاً يغادرُ وحشهُ مستاسداً
أو مثل قوله متبدئاً :

غدَّتْ تستجبرُ الدمعَ خوفَ نوى غَدِ وعادَ قتاداً عندها كل مرقدِ
فاذرى لها الإشفاقُ دمعاً مورداً من الدم يجرى فوق خدِّ مورِدِ
ولقد أحسن حين ابتداء فقال :

نوارٌ في صواحبها نوارُ كما فاجك سربٌ أو صوارُ
تسكذب حاسدٌ فنأتُ قلوبُ أطاعتُ وأشياً ونأتُ ديارُ
وحيث يقول :

ما في وقوفك ساعةٍ من بأسِ تقضى ذمام الأربعم الأدراسِ

- (١) الأوطار : جمع وطر - بفتح الواو والطاء جميعاً - والوטר : الحاجة (م)
(٢) دمن الأول : جمع دمنة ، وهي آثار الديار د ، ومن الثاني : الذحول (م)
(٣) إرهام الندى : أراد نزول المطر ، وتراد : اهتز من النعمة (م)

فلعلَّ عينك أن تجودَ بدَمِها والدمعُ منه خاذلٌ ومواسي^(١)
وحيث يقول :

ما عهدنا كذا تحيبَ المشوق كيف والدمعُ آيةُ المشوقِ
وحيث يقول :

دَمَنَ أَلَمَّ بها فقال : سلامٌ، كم حلَّ عقدةَ صَبْرِهِ الإلمام ؟
نحرت ركابَ الركبِ حتى يعبرُوا رجلا ، وقد عنفوا على ولاموا
وحيث يقول :

أما الرسوم فقد أذْكرنَ ما سلفا فلا تكفنَ عن شانيكِ أو يكفأ
لا عذرَ للصب أن يقنَى السَلَوَ ولا للدمع بعد مضى الحى أن يقفأ
ومن اقتضاباته البعيدة قوله :

هَآنَ عَلَيْنَا أن نَقُولَ وتَفَعَلَا ونذ كر بعضَ الفضلِ منك فَتَفَضَلَا
وقوله أيضاً مقتضبا :

الحقُّ أبلجُ والسيوفُ عواري فخذارٍ من أسدِ العرينِ حذارٍ
ومما تقدم فيه كلٌّ واحدٍ في حَسَنِ التخلصِ إلى المدحِ قوله :
إِسَاءَةَ الحَادِثَاتِ اسْتَنْبَطِي نَفَقًا فقد أَظْلَكَ إِحْسَانُ ابنِ حَسَّانِ
وقوله :

إذا العيسُ لَاقَتْني أَبَا دُلْفٍ فقد تَقَطَّعَ ما بيني وبينِ النوائبِ
وقوله :

لم يجتمع قطُّ في مصر ولا طرف محمد بن أبي مروان والثوب^(٢)
وقوله المنقطع دونه كلُّ قول في هذا المعنى :

(١) الذي في ديوان أبي تمام « فلعل عينك أن تعين بعمائها » (م)

(٢) في نسخة « لم يجتمع قط في مصر ولا بلد » (م)

إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْخَلَائِقَ قَاتَهَا
فَالْأَرْضُ مَعْرُوفُ السَّمَاءِ قَرَىٰ لَهَا
الْقَوْمَ ظَلَّ اللَّهُ أَسْكَنَ دِينَهُ
وقوله :

عَامِي وَعَامُ الْعَيْسِ بَيْنَ وَدَيْقَةَ
حَتَّىٰ أَغَادِرَ كُلَّ يَوْمٍ بِالْقَلَا
هِيَهَاتَ مِنْهَا رَوْضَةٌ مَحْمُودَةٌ
بِعَرَسِ الْعَرَبِ الَّذِي وَجَدَتْ بِهِ
ومن أبدع ابتدائه قوله :

سَقَىٰ دِيَارَهُمْ أَجْشُ هَزِيمٍ
جَادَتْ مَعَاهِدَهُمْ عِيَادُ سَحَابَةٍ
وَعَدَتْ عَلَيْهِمْ نَضْرَةَ وَنَعِيمٍ
مَا عَهْدُهَا عِنْدَ الدِّيَارِ ذَمِيمٍ
ثم تخلص إلى المدح فقال وأحسن كل الإحسان :

لَا وَالَّذِي هُوَ عَالِمٌ أَنَّ النَّوَى
مَازَلْتُ عَنْ سَنَنِ الْوَدَادِ وَلَا عَدْتُ
نَفْسِي عَلَىٰ إِلْفِ سِوَاكَ تَحْوِمُ
ثم عاد إلى المدح ، فقال :

لِ مُحَمَّدِ بْنِ الْهَيْمِ بْنِ شَبَابَةَ
مَلِكٍ إِذَا نَسِبَ النَّدَىٰ مِنْ مَلْتَقَىٰ
مَجْدٌ إِلَىٰ حَيْثُ السَّمَاكِ مَقِيمٍ
طَرْفِيهِ فَهُوَ أَخٌ لَهُ وَحَمِيمٍ

وأبو تمام الذي وصف القوافي بما لم يستطع وصفها به أحد فقال :

فَإِنْ أَنَا لَمْ يَحْمَدِكْ عَنَىٰ صَاغِرًا
بَسِيحًا تَسَاقُ مِنْ غَيْرِ سَائِقٍ
عَدُوُّكَ فَاعْلَمْ أَنِّي غَيْرُ حَامِدٍ
وَتَنْقَادُ فِي الْآفَاقِ مِنْ غَيْرِ قَائِدٍ

(١) في نسخة «أسكن ظله فيهم» (م) (٢) العيس : الإبل ، والوديقة : شدة الحر ، والتنوفة : الصحراء المترامية الأطراف ، والمسجورة : الموقدة ، والصيهود : الفلاة التي لا ينال ماؤها (م) (٣) يرويه علماء البلاغة « أن النوى صبر » (م)

محبية ما إن تزال تترى لها
مخلقة لما تزد أذن سَامِع
والذي قال أيضاً في صفتها

جاءتكَ من نَظْمِ اللسان قِلَادَةٌ
إنسيّة وحشية كَثَرَتْ بها
حذيت حذاء الحَضْرَمِيَّةِ أرهفت
ينبوعها خَصِيلٌ، وَحَلَى قريضا
أخذاً كما صَنَعُ الضمير يمدّه
أما المعاني فهي أباكراً إذا
وقد أبدع في وصفها فقال :

لم أبق حلية منطقي إلا وقد
أبقين في أعناق جودك جوهراً

هل يستطيع أحد أن ينسب هذا أو شيئاً منه إلى السرّاق والاحتذاء؟ وهل
يستطيع ماثلته بشيء من شعر البحتری ، أو أشعار المحدثين في عصره ومن قبله ؟
فَقِيَ عن الجواب قصوراً ، وأحجم عن المساجلة تقصيراً ، وحكمت الجماعة لي
بالقهر ، وعليه بالنصر ، ولم ينصرف عن المجلس حتى اعترف بتقديم أبي تمام في
صنعة البديع واختراع المعاني على جميع المحدثين . وكان يوماً مشهوداً .

[أَمْرُ الفناء والجمال]

وقال ثُمَامَةُ بن أشرس : كنتُ عند المأمون يوماً ، فاستأذن الغلام لعمير المأموني
فسكرهت ذلك ، ورأى المأمون الكراهية في وجهي ، فقال : يا ثُمَامَةُ ، ما بك ؟

(١) موزون : قد تبي بعضه فوق بعض (م)

(٢) صنع الضمير : أراد أنه ماهر ، وفي الديوان « يمدّه جفر » والجفر : البثر (م)

فقلت : يا أمير المؤمنين ، إذا غنَّانا عمير ذكرت مواطن الإبل ، وكشَّبان الرمل ،
وإذا غنَّبتنا فلانة انبسط أملى ، وقوى جدلى ، وانشرح صدرى ، وذكرت الجنان
والولدان ، كم بين أن تغنيك جارية غادة كأنها غصن بآن ، ترنو بمقلة وسنان ؛
كأنما خلقت من ياقوتة ، أو خرطت من فضة ، بشعر عكاشة العمى حيث يقول :
من كفَّ جارية كأن بناتها من فضة قد طرقت عنابا
وكانَ يمتاها إذا ضربت بها تلقى على الكف الشمال حسابا
وبين أن يغنيك رجل كثر اللحية ، غليظ الأصابع ، خشن الكف ، بشعر
ورقاء بن زهير حيث يقول :

رأيت زهيرا تحت كل كل خالد فأقبلت أسعى كالعجول أبادره^(١)
وكم بين أن يحضرك من تشهى النظر إليه ، وبين من لا يقف طرفك
عليه ؟ فتيسم المأمون ، وقال : الفرق بينهما واضح ، والمنهج فسيح ؛ يا غلام ،
لا تأذن له ، وأحضر أطيب قيناته ، فظلمنا في أمتع يوم .

وعكاشة هذا هو عكاشة بن عبد الصمد البصرى ، نقى الديباجة ، ظريف
الشعر ، وكان شاعرا مجيدا . وقد أخذ معنى قوله أبو العباس الناشئ ، وزاد
فيه ، فقال :

وإذا بصرت بكفها اليسرى حكمت يد حاسب تلقى عليك صنوقا
فكأنما المضرب في أوتاره قلم يمجج في الكتاب حروفا
ويجسه إبهامها فكأنما في النقر تنفى بهرجا وزبوقا
أخذ هذا البيت من قول أبي شجرة السلمي وذكر ناقته :

تطير عنها حصى الظران من بلد كما تنوقد عند الجهيد الورق^(٢)

(١) العجول : الشكى والواله من الإبل والنساء

(٢) الظران ، بضم الظاء وكسرها ، جمع ظرر ، بزة صرد ، وهو الحجر ،

وقيل : الدور المحدد منه ، والجهيد : الحبير ، والورق : الفضة (م)

وأصله قول امرئ القيس :

كَأَنَّ صَلِيلَ الْمَرْوِحِينَ تَشْدُهُ
صَلِيلُ زَيْوْفٍ يَنْتَقِدُنَ بَعْبِقْرًا^(١)

وقال أبو الفتح كشاجم :

لَوْلَمْ تَحْرِكْهُ أَنْامِلُهَا
كَانَ الْهَوَاهُ يُعِيدُهُ نَطْقًا
جَسَّتْهُ عَالِمَةٌ بِجَالْتِهِ
جَسَّ الطَّيِّبُ لِمَدْنَفِ عِرْقًا
غَنَّتْ فِخَاتُ أَظْفُنِي طَرْبًا
أَسْمُو إِلَى الْأَفْلَاكِ أَوْ أَرْقَى
وَحَسِبْتُ يَمْنَاهَا تَحْرَكُهُ
رَعْدًا وَحَلَّتْ بِسَارَهَا بَرْقًا

وأُشْدُ الْحَاتِمَى لِأَبِي بَكْرِ الصَّوْلَى :

وِغْنَاءِ أَرْقٍ مِنْ دَمْعَةِ الصَّبِّ وَشَكْوَى التَّيْمِ الْمَهْجُورِ
يَسْغَلُ الْمَرْءَ مِنْظَرٌ ثُمَّ نَطْقٌ فَهَوَ يُضْفِي بِظَاهِرِ وَضْمِيرِ
صَافِحَ السَّمْعِ بِالَّذِي يَشْتَبِيهِ وَأَذَاقَ النَّفْسِ طَعْمَ السَّرُورِ
لَيْسَ بِالْقَائِلِ الضَّعِيفِ إِذَا مَا رَاضَ نَغْمًا وَلَا الشَّنِيعِ الْجَهِيرِ

وقال أبو نُوَّاس :

وَأَهْيَفٌ مِثْلُ طَاقَةِ يَاسْمِينٍ لَهُ حِطَّانٌ مِنْ دُنْيَا وَدِينِ
يَحْرَاكُ حِينَ يَشْدُو سَاكِنَاتٍ فَتَنْبَعَثُ الطَّبَائِعُ لِلسَّكُونِ
وهذا مليح ، يزيد حركة الجوامح للغناء ، وسكون الجوارح للاستماع

وقال الحمدوني يصف عوداً :

وَنَاطِقٍ بِلِسَانٍ لَا ضَمِيرَ لَهُ كَأَنَّهُ لَخِذٌ نَيْطَتْ إِلَى قَدَمِ
يَبْدِي ضَمِيرَ سِوَاهُ لِلْقُلُوبِ كَمَا يَبْدِي ضَمِيرَ سِوَاهُ مِنْطِقَ الْقَلَمِ

(١) الصليل : الصوت ، والمرء : حجارة بيض براقه ، وعبقر : بلد ينسب العرب

إليها كل ما يتعاضمون صنعته ، وزعموا أنها مقر الجن (م)

[من وصف القيان]

لابن الرومي

ومن أحسن ما قيل في صفة القيان قول ابن الرومي :

وقيان كأنها أمهات عاطفات على بيدها حواني
 مطلقلات وما حملن جنينا مرضعات ولسن ذات لبان
 ملقّمات أطفالهن تديبا ناهدات كأحسن الرمان
 مفعبات كأنها حافلات وهى صفر من درة الألبان
 كل طفل يدعى بأسماء شتى بين عود ومزهر وكران^(١)
 أمه دهرها تترجم عنه وهو بادي الغنى عن الترجمان

لكشاجم

وقال أبو الفتح كشاجم :

جاءت بعود كأن نغمته صوت فتاة تشكو فراق فتى
 محفّف حفت العيون به كأنما الزهر حوله بنتا
 دارت ملاويه فيه فاختلفت مثل اختلاف العيون مذبتا
 لو حركته وراء منم-رم على بريد لعاج والتفتا

وقال :

يقولون تب والكأس في كفة أغيد وصوت المشاي والمثالك على
 فقلت لهم لو كنت أزمعت توبة وشاهدت هذا في المنام بدا لي^(٢)

وقال :

أفدى التي كلف الفؤاد من أجلها بالعود حتى شغني إطرابا
 تاهت بجمع صناعتين ، وأظهرت كبرا بذلك ، وأعجبت إعجابا
 قالت : فضلتك بالفناء وأنت لا تشدو ، وكنا مثلكم كتابا

(١) الكران - بوزن كتاب - آلة من آلات اللهو تشبه العود أو الصنج (م) .

(٢) أزمعت : اعترمت ، وفي ديوانه «أضمرت» (م) .

فَعْنَيْتِ بِالْأوتارِ حَتَّى لَمْ أَدْعِ
وَأَلْفَتَهَا فَأَغَارَ ذَاكَ عَلَى يَدِي
وَجَعَلْتَ الْقِرطاسَ جَانِبَ صَدْرِهِ
وَجَعَلْتَ جَانِبَ عَجْزِهِ مِضْرَابًا

وقال :

جاءتْ بَعُودٍ كَأَنَّ الحَبَّ أُنْحَلَهُ
فَحَرَكَتَهُ وَغَنَتْ بِالثَقِيلِ لَنَا
بِيبِضَاءٍ يَحْضُرُ طِيبُ اللّهِوِ مَا حَضَرَتْ
كُلَّ اللباسِ عَلَيْهَا مَعْرِضٌ حَسَنٌ
هَذَا مِنْ قَوْلِ ابْنِ المَعْتَزِ :

وَنَغَنَتْ فَأَغْنَتْ عَنِ المِسمِيعِ
مَحاسِنُهَا نُزْهَةٌ لِلعيونِ
وقال أيضاً: (٢)

أَشْتَهَى فِي الغناءِ بُحَّةَ حَلْقِي
كَأَنَّيْنِ الحَبِّ أضعفَهُ الشَّوْ
لَا أَحِبُّ الأوتارَ تَعْلُو كما لَا
وَأَحِبُّ المِجَنَّبَاتِ كحِجِي
كِهِبُوبِ الصِّبا تَوْسُطَ حَالاً
وقال :

أَهْ مِنْ بُحَّةٍ بغيرِ انقطاعِ
أَتَعَبْتُ صَوْتِهَا وَقَدْ يُجْتَنَى مِنْ
اِفتاقِ مَوْصُولَةِ الإيقاعِ
تَعَبِ الصَّوْتِ راحَةَ الأَسْماعِ

(١) «ما» في قوله «ماحضرت» هي المصدرية الظرفية : أي مدة حضورها ،

وفي الديوان « يحضر طيب العيش إن حضرت (م) »

(٢) هذا القائل هو أبو الفتح كشاجم (م) .

فَفَدَّتْ تَكَثَّرَ الشَّجَاجَ وَحَطَّتْ طَبَقَاتِ الأوتارِ بعد ارتفاع^(١)
كَأَنَّ الحَبَّ خَفِضَ مِنْهُ صوتَ شكواه شِدَّةُ الأوجاعِ

لأبي الحسن
ابن يونس

وقال بعض أهل العصر، وهو أبو الحسن بن يونس :

غَنَّتْ فَأَخَفَتْ صوتها في عودها فكأنما الصوتان صوتُ العودِ
غَيِّدَاءَ تَأْمُرُ عودها فيطيعها أبدأً، ويتبعها أتباعٌ ودُودُ
أُنْدَى من الثَّوَارِ صُبحاً صوتها وأرقَ من نَشْرِ الثَّنَا المعهودِ
فكأنما الصوتان حين تَمَازَجَا ماء الغمامةِ وابنة العنقودِ

من ترجمة
أبي الحسن
ابن يوسف

وأبو الحسن هذا هو : علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى
صاحب عبد الله بن وهب الفقيه ، وكان لأبي الحسن في الشعر مذهب حسن ،
وطبعٌ صحيح ، وحوكٌ مليح ، وكان عالماً بالنجوم وما يتعلق بها من علوم الأوائل
وهو القائل :

سَقَى اللهُ أكنافَ اللّوى كلما سقى بَضْرِبٍ من المِزَنِ الكَنهُورِ هَامِلِ^(٢)
إِذَا نَشَرَتْ رِيحُ جُجانَ سحابةٍ غَدَاً وَهُوَ حَلِيٌّ لِلرِّياضِ العَواطِلِ
بِهِ وَجَدُ رَعْدٌ لَيْسَ بَيْنَ جِوانِحِ ووسواسٌ وَدَقٌّ لَيْسَ بَيْنَ مِفاصلِ
إِذَا كانَ خَدَّ البَرِقِ يامِسُ نَبْتَهُ تَلقاهُ دُرُّ الثَّوَرِ فِوقَ الخِمالِ
وقال ، وذكر غلاماً :

يَجري النسيمُ على غلائلِ خَدِهِ وَأَرَقَ مِنْهُ ما يَمُرُّ عَلَيْهِ
ناولتهُ المِراةُ يَنْظُرُ وَجْهَهُ فَكسَتْهُ فَتنةٌ ناظِرِيهِ إِلَيْهِ
وقال ابن المعتز - وذكر المِراةَ :

لابن المعتز
في المِراةِ

تَبَيَّنِي لِي كِما رُمَتْ نِظرةً وَناصِحِي مِنْ دُونَ كُلِّ صَدِيقِ

(١) في الديوان « تكثرت الشجاج » (م)

(٢) الكهور - بزنة السفرجل - التراكم من السحاب (م)

يقابلني منك الذي لا عدتهُ بلحّة ماء وهو غير غريب
وقال أبو الفتح كشاجم يصفُ امرأة أهداها :

لكشاجم
يصفُ امرأة

أخت شمس الصفاء في الحسن والإشراق غير الإعشاء للأجفان
ذات طوق مشرف من لُجين أُجريت فيه صُفرةُ العقيان
فهو كالماله المحيطة بالبد ر لست مزين بعد ثمان
وعلى ظهرها فوارسُ تلهو ببزاةٍ تعدو على غزلان
[لك فيها إذا تأملت قال حسنٌ نُحِبُّ بنيل الأمان]
لم يكن قبلها من الماء جرم حاصرٌ نفسه بغير أوان
عدت عكسها الشعاع فمبدا ه إليها ورجعه سِيان
وهي شمسٌ وإن مثالك يوماً لاح فيها فإنها شمسان
أينما قابلت مثالك من أر ض فيها تقابل النيران
فالقها منك بالذي ما رآه خائف فاشئ بغير أمان

ومن أفاظ أهل العصر في مدح الغناء

غناؤه كالغنى بعد الفقر ، وهو جَبْرٌ للسكر^(١) . [غناؤه] يبسط أسيرة
الوجه ، ويرفع حجاب الإذن ، يأخذُ بمجاميع القلب ، ويمجرك النفوس ،
ويرقص الرؤوس . فلان طيب القلوب والأسماع ، ومحى مَوَات الخواطر والطباع ،
يُطْعِمُ الآذانَ سروراً ، ويقدم في القلوب نوراً . القلوبُ من غنائه على خطر ؛
فكيف الجيوب ؟! السكر على صوته شهادة . كل ما يغنيه مقترح . لغنائه في
القلب ، موقع القطر في الجذب . نعمة نعمته تطرب ، وضروب ضربته لاتضطرب .
وقيل : السماع مُتعة الأسماع ، وإدام المدام .

(١) في نسخة « وهو عذر للسكر » (م) .

[الألقاب]

أهدى بعضُ الكتابِ إلى أخٍ له أقلاماً وكتب إليه : إنه — أطال الله بقاءك ! — لما كانت الكتابة قوامَ الخلافة ، وقرينة الرياسة ، وعمود المملَكة ، وأعظم الأمور الجليلة قدراً ، وأعلاها خطراً ، أحببتُ أن أتخفك من آلتها بما يحفُّ عليك محمله ، وتنقل قيمته ، ويكثر نفعه ؛ فبعثتُ إليك أقلاماً من القصب النَّابت في الأعذاء ^(١) ، المغدوة بماء السماء ، كاللآلي المكنونة في الصَّدَف ، والأنوار المحجوبة بالسَّدَف ، تنبؤ عن تأثير الأسنان ، ولا يثنيها غمُّ البنان ، قد كسَّتها طباعها جوهرأ كالوشى الحخير ، وفرند الديقاج المنير ، فهي كما قال الكميّ :

وبيضِ رفاقِ صحاحِ التنوِّينِ تسمعُ للبيضِ فيها صريراً
مُهَنَّدَةً من عتادِ الملوكِ يكاد سناهن يُعشى البصيراً

وكفحِ النبلِ في ثقلِ أوزانها ، وقُضْبِ الخيزرانِ في اعتدالها ، ووشيحِ الخطِّ في اطرادها ، تمرُّ في القراطيس كالبرقِ اللامح ، وتجرى في الصحف كالماء السائح ، أحسن من العقيان ، في محورِ القيان .

من عيد الله
ابن طاهر إلى
إسحاق بن
إبراهيم

وكتب عبيد الله بن طاهر إلى إسحاق بن إبراهيم من خراسان إلى بغداد يسأله أن يوجهَ إليه بأقلام قصبية : أما بعد ، فإننا على طول الممارسة لهذه الصناعة التي غلبت على الاسم ، ولزمت لزوم الوشم ، فحلت محل الأنساب ، وجرت مجرى الألقاب — وجدنا الأقلام القصبية أسرع في السكواغِدِ ، وأمر في الجلود ، كما أن البحرية منها أسلس في القراطيس ، وألين في المعاطف ، وأكل عن مزيقها ، والتعلق بما ينبو من شطاياها . ونحن في بلاد قليلة القصب ، ردى ما يوجد

(١) الأعذاء : جمع عذى ، وهو الزرع الذي لا يسقى بخير ماء المطر (م) .

بها منه ؛ فأجبت أن تتقدّم في اختيار أقلام قصبية ، وتتأق في انتقائها قبلك ،
 وطلبها في منابتها ، من شُطوط الأنهار ، وأرجاء الكروم ، وأن تتيّم باختيارك
 منها الشديدة المحسّ ، الصلبة المعضّ ، الغليظة الشحوم ، المكتنزة الجوانب ،
 الضيقة الأجواف ، الرزينة الوزن ، فإنها أبقى على الكتاب ، وأبعد من الخفاء ،
 وأن تقصد بانتقائك منها للرفاق القضبان ، اللطاف المنظر ، المقومات الأود ، المُلس
 العقد ، ولا يكون فيها التواء عوج ولا أمت ؛ وضمّ الصافية القشور ، الخفية
 الأبن^(١) ، الحسنة الاستدارة ، الطويلة الأنايب ، البعيدة ما بين الكعوب ، الكريمة
 الجواهر ، المعتدلة القوام ، تكادُ أسافلها تهزُّ من أعلاها ، لاستواء أصولها
 برءوسها ، المستكلمة يبسا ، القائمة على سوقها ، قد تشربت الماء في لِحائها ، وانتهت
 في التضحج منتهاها ، لم تعجل عن تمام مصلحتها ، وإبان يُنعها ، ولم تؤخر في
 الأيام الخوفة عاهاتها ؛ من خَصِر الشتاء ، وعَفِن الأنداء ، فإذا استجمعت عندك
 أمرت بقطعها ذراعا ذراعا ، قطعاً رقيقاً تتحرّز معه أن تتشعب رءوسها ،
 أو تنشق أطرافها ، ثم عبأت منها حزماً فيما يصونها من الأوعية ، وعليها
 الخيوط الوثيقة ، ووجهتها مع من يحتاط في حراستها وحفظها وإيصالها ؛ إذ
 كان مثلها يتوانى فيه ، لقلة خطرها عند من لا يعرف فضل جوهرها ؛
 واكتب معه بعدتها وأصنافها وأجناسها وصفاتها ، على الاستقصاء ، من غير
 تأخير ولا إبطاء .

جواب إسحاق
ابن إبراهيم

فأجابه ووجه إليه مع الأنايب : أتاني كتاب الأمير - أعزه الله ! - بما أمر
 به ونلخصه ، من البعث بما شا كل نعتة ، وضاهى صفته ، من أجناس الأقلام ،
 فتيممت بعيتته قاصداً لها ، وانتهجت معالم سبيله آخذاً بها ، فأنفذت إليه حزماً
 أنشئت بلطيف السقيا ، وحسن العهد والبُقيا ، لم تعجل بإخراجها ، ولا بوردت

(١) الأبن : جمع أبنة ، وهي العقدة في العود (م) .

قبل إدراكها؛ فهي مستوية الأنابيب معتدلتها ، مثقفة الكعوب مقومتها؛
لا يُرمى فيها أمت زور، ولا وسم صفر ولا عوج ، وقد رجوت أن يجدها الأمير
عند إرادته وحسب بُغْيَتِهِ .

لمنصور بن عمار
يصف القلم

ومن كلام منصور بن عمار في صفة القلم ، ويقال إنه لسليمان بن الوليد
الكتاب: أليس من عجائب الله في خلقه ، وإنعامه على عباده ، تعليمه إياهم
الكتاب المفيد للباقيين حكم الماضين ، والمخاطب للعيون بسرائر القلوب ، على
لغات مختلفة ، بعمان مفترقة معقودة ، وأحرف مقلوبة ، من ألف وتاء ، وجيم
وباء ، متباينات الصور ، مختلفات الجهات ، لقاحها التفكير ، وتاجها
التأليف ، تحرس مفردة ، وتنطق مزدوجة ، بلا أصوات مسموعة ، ولا ألسن
محدودة ، ولا حركات ظاهرة ، بل قلم حرق باربه قطته ، ليلق المداد به ،
وأزهف جانبه ليرد ما انتشر عنه إليه ، وشق في رأسه ليحتبس الاستعداد عليه ،
ورفع من شعبتيه لتجتمع حواشي تصويره ؛ فهنالك روى القلم في شقه ، وقذف
المادة إلى صدره ، فإذا علقتها العيون حكمتها الألسن ، فالقلوب حينئذ راعية ،
والآذان واعية ، لكلام سدها القفل ، وألمح اللسان ، وأدته اللهوات ،
ولفظته الشفاه ، ووعته الأسماع ، على اختلاف أنحاء ، من صفات وأسماء ؛
فتبارك الله أحسن الخالقين .

للنجيرمي
في وصف القلم

حل من رسالة كتبها بعض أهل العصر ، وهو أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله
النجيرمي ، في القلم إلى أبي عمران بن رباح :

إنه لما كان القلم مطية الفكر والبيان ، ومخرج الضمير إلى العيان ، ومستنبط
ماتواريه ظلم الجفان إلى نور البيان ، ومريح الفطن العواذب ، وجالب الفكر
الغرائب [ولسان الغائب ، وبرز الكاتب ، ومكتب الكتاب] ، ومفرق الجلائب ،
وعمد السلم ، وزناد الحرب ، ويد الحدثنان ، وخليفة اللسان ، ورأس الأدوات التي

خصَّ اللهُ بها الإنسان ، وشرَّفه بها على سائر أصناف الحيوان ، ومركباً لآلة قد تقدَّمت كل آلة ، وحِكْمَة سبقت في الإنسان كل حكمة ، وقواماً لهندسة عقلية ، ومصدراً لعقل العاقل ، وجهل الجاهل . الناقل إلينا حكم الأولين ، وخاملها عنا إلى الآخرين ، الحافظ علينا أمر الدنيا والدين ، أول شيء خلقه اللهُ بأمره وسَمَّحَه ، ومَجَّدَه ومَجَّدَه وسجَّد له ، فكان له فرسانٌ خلق لهم ، وكُنْت عَمِيدَهُمْ ، وأقرانٌ قَصِرَ عليهم ، وأنت صُنْدِيدُهُمْ ، وميدان كنت زِينَهُ ، ومضمار كنت عَيْنَهُ ، وخَلِيَّةٌ كنت سابقها ومعجزها ، وغاية كنت مَالِكِهَا ومُحَرِّزَهَا ، وورمت بي الأيام إلى معدنه الذي كلفت به وعنيت بطلبه ، فانفردت منه يتدح قدَّ أُوْحِدَ ، فزُد في منبته ، قد ساعدت عليه السعود في فلك البروج حولاً كاملاً ، مُخْتَلِفٌ يُؤَلِّقُهُ أركانها وطباعها ، ومتباين أنوائها وأحجامها ، وتؤيده بقواها وجواهرها ، حتى غَذَّتْهُ عِرْقاً في الثرى معرقاً ، وأرضعته ناجماً ، وسقته مكعباً ، وأروته مقصباً ، وأظلماته مكتهلاً ، ولوحته مستحصداً ، وجلته بهاءها ، وألقت عليه عنوانها ، وأودعته أعراقها وأوراقها وأخلاقها ، حتى إذا شق بازله ، ورقت شمائله ، وابتسم من غشائه ، ونادى من لِحَائِهِ ، وتغرى^(١) عن خز المصيف ، بانقضاء الخريف ، وانكشف عن لون البيض المكنون ، والصف المخبزون ، ودر البحار ، وفتات الجمار ، دعا منه نَفَقَ العَاج بنقبة الديباج ، وقيص الدرر بطراز النساج ، فاجتمعت له زينة الأيدي البشرية ، إلى الأيدي العلوية ، والأنساب الأرضية ، إلى الأنساب السماوية ، فلما قادت السعادة إلى ، ورأيت نسيج وَخْدِهِ في الأقلام ، رأيت أولى الناس به نسيج وَخْدِهِ في الأنام ، فأترتك به مؤثراً للصنعة ؛ عالماً أن زين الجياد فرسانها ، وزين السيوف أقرانها ، وزين بزة لابسها ، وزين أداة ممارسها ،

(١) في نسخة « وتغرى عنه » .

فَالآنَ أُعْطِيَتِ الْقَوْسَ بَارِيهَا ، وَزَنَادَ الْمَكَارِمَ مُؤَرِّيَهَا ، وَالضَّمَامَةَ مُصَلِّتَهَا ،
وَالْقَنَاةَ مُعَلِّمَهَا ، وَحَلَّةَ الْمَجْدِ لِأَيِّسَهَا .

من أخبار
النجيري

وكان النجيري جَيِّدَ الرُّوْيَةِ والبديهة في نظمه ونثره ، حلوا التصريف ، مليح
التأليف ، وكان يوماً عند أبي المسك كافور الإخشيدي ، فدخل عليه أبو الفضل
ابن عياش فقال : أدام الله أيام سيدنا الأستاذ — بالخفض — فتبسم كافور إلى
أبي إسحاق ، فقال ارتجالاً :

لَا غَرَوَ إِنْ لَحِنَ الدَّاعِيَ لِسِيدِنَا وَغُصَّ مِنْ هَيْبَةٍ بِالرِّيقِ وَالْبَهْرِ
فَقَتَلَ سَيِّدَنَا حَالَتِ مَهَابَتُهُ بَيْنَ الْبَلِيغِ وَبَيْنَ الْقَوْلِ بِالْخَصْرِ
فَإِنْ يَكُنْ خَفَضَ الْأَيَّامَ مِنْ دَهَشٍ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ لِأَمِنْ قَلَّةِ الْبَصْرِ
فَقَدْ تَفَاءَلَتْ فِي هَذَا لِسَيِّدِنَا وَالْقَالَ مَائِرَةً عَنْ سَيِّدِ الْبَشْرِ
بَأَنَّ أَيَّامَهُ خَفَضَ بِلا نَصَبٍ وَأَنَّ دَوْلَتَهُ صَفَوُ بِلا كَدَرٍ

فأمر له بثلاثمائة دينار ، ولابن عياش بمائتين .

لحمدان الدمشقي
يصف قلماً

وقال حمدان الدمشقي يصف قلماً :

لِلْأَيْمِ بَعَثْتَهُ وَشَقَّ لِسَانَهُ وَلَهُ إِذَا لَمْ تَجْرِهِ إِطْرَاقُهُ
كَالْحَيَّةِ النَّضَّاضِ إِلَّا أَنَّهُ مِنْ حَيْثُ يَجْرِي سَمُّهُ تَرِياقُهُ

وصف القلم
الصالح للكتابة

قال العتابي : سألت الأضمرى فقال لي : أي الأنايب أصلح للكتابة وعليها
أصبر ؟ قلت : ما شيف بالهجير ماؤه ، وستره عن تلويحه غشاؤه ، من التبرية القشور
الدرية الظهور ، الفضية الكسور ، قال : فأى نوع من التبري أكتب وأصوب ؟
قلت : البرية المستوية القط ، عن يمين سنّها ، برية تأمن معها الحجة عند المط (١) .

(١) في نسخة « عند الخط » (م) .

الهواء في مشقتها فتيق ، والريح في جوفها خريق ، والمداد في خرطومها رقيق ، قال : فبقي الأصمعي شاخصاً إلى ضاحكا لا يُحيرُ مسألة ولا جوابا .

[من ترجمة العتابي وأدبه وأخباره]

والعتابي : هو كلثوم بن عمرو بن الحارث التغلبي ، يُكنى أبا عمرو ، قال أبو عثمان الجاحظ : كان للعتابي ممن اجتمع له الخطابة ، والبيان ، والشعر الجيد ، والرسائل الفاخرة ، وعلى ألفاظه وحذوه يقول في البديع جميع من يتكلف ذلك من شعراء المولدين كنجو منصور النمرى ، ومسلم بن الوليد الأنصاري ، وأشباههما ، وكان العتابي يمتدحى حذو بشار في البديع ، ولم يكن في المولدين أجودُ بديعاً من بشار وابن هرمة .
والعتابي من ولد عمرو بن كلثوم ابن مالك بن عتاب بن سعد ، ولذلك قال :

إني امرؤٌ هدم الإقنار ما ترقى واجتاح ما أبدت الأيام من خطرى
أنا ابنُ عمرو بن كلثوم يسوده حيا ربيعة والأحياء من مضري
أرومة عطلتني من مكارمها كالقوس عطلها الراعي من الوتر

وكان صاحب بديهة في المنظوم والمنثور ، حسن العقل والتمييز ، والعرب تقول : من تمني رجلا حسن العقل ، حسن البيان ، حسن العلم ، تمني شيئا عسيرا . وقد اجتمع ذلك كله للعتابي .

وعاتيه يحيى بن خالد على لباسه ، وكان لا يبالي أي ثوبيه ابتذل ؛ فقال : أبعث الله رجلا مهمته أن يكون جماله في لباسه وعطره . إنما ذلك حظ النساء ، وأهل الأهواء ، حتى يرفعه أكبراه : همته ، ولبه ، ويعلو به معظاه : نسائه ، وقلبه .

ودخل على الرشيد فقال : تكلم يا عتّابي ! فقال : الإبناس قبل الإبناس ،
لا يمدح المرء بأول صوابه ، ولا يُذم بأول خطئه ؛ لأنه بين كلام زورّه ،
أوعى حصّره .

وذكر أبو هفان أنّ الرشيد لقيه بعد قتل جعفر بن يحيى وزوال نعمته ،
فقال : ما أخذت بعدُ يا عتّابي ؟ فأنشده ارتجالاً :

تَومُ على تَرَكَ الفِئى باهليّة	طَوَى الدهرُ عنها كلَّ طِرْفٍ وتألّد
رأتُ حولها النسوان يرفلن في الكُسا	منظمةً أجياؤها بالقلائِد
أسرّك أنى نلتُ ما نال جعفرُ	من الملك أو ما نال يحيى بن خالد
وأن أمير المؤمنين أغصّني	مغصّهما بالمرهفاتِ البوارِد
فإنّ رفيعاتِ المعالي مشوبةٌ	بمستودعاتٍ في بطونِ الأسود

وكان متحرّفاً عن البرامكة ، وفيهم يقول :

إنّ البرامِك لا تنفكُ أنجِيّةٌ	بصفحة الدّين من نجواهم ندب ^(١)
تجرّمت حججٌ منهم ومُنصلهم	مضرج بدم الإسلام مختصّب ^(٢)

واجتاز عبد الله بن طاهر بالرقّة بمنزل العتّابي ، فقال : أليس هذا منزل كلثوم
ابن عمرو ؟ قيل : نعم ، فثنى رجله ، ودخل إليه ، فألقاه جالسا في بيت كتبه ،
فحدّثه وذاكره ، ثم انصرف ، فتحدّث الناسُ في ذلك ، وقالوا : إن الأمير
لم يقصده ، وإنما اجتاز به فأخطر ذلك الزيارة ، فكتب إليه :

يا مَنْ أفادتنى زيارتهُ	بعدَ الخمول نباهةَ الذّكرِ
قالوا الزيارةُ خطرةٌ خطرت	ومجازَ خطركَ ليس بالخطرِ
فادفَعْ مقاتلهم بثالثة	تستنفدِ المجهودَ من شكركِ

(١) أنجية : متناجين متسارين . والندب : الجروح (م)

(٢) تجرّمت : مضت وانقضت ، وفي نسخة «تصرمت» والمنصل : السيف (م) .

لا تجعلن الوترَ واحدةً إن الثلاث تنمةُ الوترِ
فبعثته الأبياتُ إلى أن زارةً ثلاثاً .

وكان يميل إلى المأمون ، فلما خرج المأمون إلى خراسان شيعة حتى وصل معه إلى سندان^(١) كسرى ، فقال له المأمون : سألتك بالله يا عتّابي إلا عملت على زيارتنا إن صار لنا من هذا الأمر شيء ، فلما ولي المأمون الخلافة ، ودخل بغداد سنة أربع ومائتين توصل إليه العتّابي ، فلم يمكنه الوصول ، فقال للتأضي يحيى بن أكرم : إن رأيت أن تعلم أمير المؤمنين بمكاني ! فقال : لست بحاجب ! قال : قد علمت ، ولكنك ذو فضل ، وذو الفضل معون ! فقال : سلكت بي غير طريق ! قال : إن الله تعالى ألحقك بحامٍ ونعمة ، وها يقمان عليك بالزيادة إن شكرت ، والتعير إن كفرت ، وأنا اليوم لك خيرٌ منك لنفسك ؛ أدموك لما فيه زيادة نعمتك ، وأنت تأبى ذلك ؛ ولكل شيء زكاة ، وزكاة الجاه بذله للمستعين ، فدخل يحيى على المأمون فقال : أجرني من لسان العتّابي ، فلها عنه ، ولم يأذن له ، فلما طال عليه كتب إليه :

ما على ذلك افترقنا بسندا ن ولا هكذا عهدنا الإخاء
لم أكن أحسب الخلافة يزدا د بها ذو الصفاء إلا صفاء
تضرب الناس بالمتففة السُّر على غدّهم وتنسى الوفاء

يعرض بقتله لأخيه على غدّره ، ونسكته لما عقد الرشيد ؛ فلما قرأ المأمون والأبيات أمر أن يدخل عليه . فلما سلم قال : يا عتّابي ، بلغتنى وفادتك فسرّتنى ، وقد كانت بلغتنى وفاتك فساءتنى ، وإني لخرى بالغم لبعدك ، والسرور بقربك ! فقال : يا أمير المؤمنين ؛ لو قسم هذا الكلام على أهل الأرض لوسعهم عدلا

(١) هكذا ، وربما كانت « سندان كسرى » (م) .

وأعجزهم شكراً ، وإن رضاك لغاية المنى ؛ لأنه لا دين إلا بك ، ولا دنيا إلا معك ، قال : سئلتني ، قال : يدك بالمعطية أطلق من لساني بالمسألة ، فأمر له بخمسين ألفاً .

وقال العنابي وودع جارية له :

ما غناه الحذار والإشفاقِ وشأيب دمعك المهرراقِ
 ليس يقوى الفؤادُ منك على الله دُءٌ ولا مقلتاً طليح المآقي
 غدرات الأيامِ منتزعاتُ ما غنمنا من طول هذا العناقِ
 إن قضى الله أن يكون تلاقٍ بعد ما قد ترين كان تلاقٍ
 هوئي ما عليك وأفتى حياءِ لست تبقين لي ولست بيباقِ
 أينا قدّمتْ صروفُ المنايا فالذي أخرجتْ سريعُ اللحاقِ
 ويدُ الحادثاتِ رهْنٌ بمرأ ت من العيشِ مضبراتِ المذاقِ
 عرٌّ من ظن أن يفوت المنايا وعراها قلائدُ الأعناقِ
 كم صفيينِ متعاً بانفاقِ ثم صاراً لغربةٍ وافتراقِ
 قلت للفرقدين والليل ملقٍ سؤد أكنافه على الآفاقِ
 ابقياً ما بقيتا سوف يرمى بين شخصيكما بسهمِ الفراقِ
 بينما المرء في غصارة عيش وصلاح من أمره واتفاقِ
 عطفتْ شدةُ الزمان فأدتْهُ إلى فاقةٍ وضيقِ خناقِ
 لا يدومُ البقاءُ للخلقِ لكنَّ دوامَ البقاءِ للخلاقِ

وقال في الرشيد :

إمامٌ له كفّ تضمّ بنائها عصا الدين ممنوعاً من البرى عودها

وعينٌ محيطٌ بالبرية طَرْفُهَا سواءٌ عليها قُربُها وبعِيدُهَا
وقال فيه :

رعى أمة الإسلام فهو إمامها وأدى إليها الحق فهو أَمِيَّتُهَا
مقيمٌ بمستن الفلاحيثُ تلتقى طَوَارِقُ أُبْكَارِ الْخَطُوبِ وَعُؤُنُهَا

وكان منصور النمرى سعى به إلى الرشيد فخافه ، فهرب إلى بلد الروم . وله
قصائد يعتذر فيها جيدة مختارة ، وهو مشبهٌ في حسن الاعتذار بالنابغة الذبياني ،
ومن جيد اعتذاره قوله للرشيد ، ويقال : بل قالها على لسان عيسى بن موسى
الهاشمي يخاطب الرشيد :

جعلت رجاء العفو عذراً وشبتهُ بهيبةِ إمامٍ غافرٍ أو مُعَاتِبِ
وكنتُ إذا ما خفتُ حادثَ نبوةٍ جعلتك حِصْناً من حِذَارِ النَوَائِبِ
فأنزل بي هجرانك اليأس بعدما حلت بوادٍ منك رَحْبِ المِشَارِبِ
أطل ومرّ عاى الجديب مكانه وآوى إلى حافاتٍ أ كدرَ ناصِبِ
ولم يئن عن نفسى الردى غير أنها تنوء بياق من رجائك نائب (١)
هى النفسُ محبوبسُ عليك رجاؤها مقيدة الآمالِ دون المطالبِ
وتحت ثياب الصبر منى ابن لوعةٍ بطلٌ ويمسى مستلين الجوانبِ
فتى ظفرت منه الليالى بزلةٍ فأقلعن عنه دَامِيَاتِ الخَالِبِ
حنانيكِ إلى لم أكن بعثُ عزّةٍ بذلٍ ، وأحرزتُ المنى بالمواهبِ
فقد بُمْتَتِي الهجران حتى أدقنتى عقوبة زلاتي وسوءِ مَنَائِبِ
فها أنا مقصى فى رِضَاكِ ، وقابضٌ على حدِّ مصقولِ الذمايين قاصِبِ
ومنتزعٌ عما كرهتَ وجاعلٌ هواك مثالا بين عيني وحاجبى

(١) تنوء به : يثقل عليها ، وفي نسخة « تشوب » ونائب : راجع (م)

وفي هذه القصيدة مما يختار أهل الصناعة :

وأشعثَ مشتاقَ رميَ في جفونه
سَحَبَتْ لَهُ ذَيْلَ الشَّرَى وَهُوَ لَا يَسُ
ومن فوقِ أكوارِ المَهَارِي لبانةُ
وكلُّ فَنِي عَادَاتِهِ قَصُرَ شَوْفِهِ
يُسِرَّ المَوَى لَمْ يُبْدِهِ نَعْتِ فِرْقَةٍ
إِذَا أَدْرَعَ اللَيْلُ انْجَلَى وَكَانَتْ
بَرَكَبِ تَرَى كَسْرَ الكَرَى فِي جَفُونِهِمْ
وقال أيضاً :

لورأتني بذي المَحَارَةِ فَرَدًّا
أُظْفَىءَ الحَزْنَ بِالمَوْعِ إِذَا مَا
خَاشِعَ الطَّرْفِ قَدْ تَوَشَّحَنِي الضَّرَّ
تَرَبَّ بُؤْسِ أَخَاهُمومِ كَأَنَّ أَلَّ
وَكَأَنِّي اسْتَشَعَرْتُ مَا لَفَظَ النَّا
أَتَصَدَّى الرَّدَى وَأَدْرِعُ اللَيْلِ
حَظُّ عَيْنِي مِنَ الكَرَى خَفَقَاتُ
أَوْحَشَ النَّاسُ جَانِبِيَّ فَمَا آ
قَدْ رَدَدْتُ الَّذِي بِهِ أَتَقَى النَّا
فَاسْتَهَلَّتْ عَلَيَّ تَمَطَّرَنِي الشَّو
وقال :

أَمَا رَاعَ قَلْبَ العَاصِمِيَّةِ أَنِّي
غَدَوْتُ وَمَرَجُوعُ السَّقَامِ قَرِينِي

(١) في نسخة «بذي المجازة» وفي أخرى «بذي المجادة» وأبنة الفلاة : الناقة (م)

وقال :

أُكَاتِمُ لَوْعَاتِ الْهَوَىٰ وَبَيْنَهَا تَحَلَّلَ مَاءَ الشُّوقِ بَيْنَ جُفُونِي
ومطروفة الإنسان في كل لوعة لها نظرة موصولة بجنين

[من آداب آل وهب]

وقال الحسن بن وهب بن سعيد :

أَبُكَ فَمِنْ أَحْسَنِ مَا فِي الْبِكْيِ أَنْ الْبِكْيِ الْوَجْدُ تَحْلِيلُ
وهو إذا أنت تأملتَهُ حزن على الخدين محلول

وقد أعرق بنو وهب في الكتابة وأنجبوا ، ولهم في هذا الكتاب ما يشهد

لهم بما نسب إليهم ، وفيهم يقول الطائي :

كُلُّ شَعْبٍ كُنْتُمْ بِهِ آلَ وَهَبٍ فهو شعبي وشعبي كلُّ أديبٍ ^(١)
إن قلبي لكم كالكبد الحارِّى وقأبي لغيركم كالقلوبِ

وفي هذه القصيدة يقول في مدح سليمان بن وهب :

مَا عَلَى الْوُسْجِ الرَّوَاتِكِ مِنْ عَيْبٍ إِذَا مَا أَنْتَ أَبَا أَيُّوبِ
حَوْلٌ لَأَفْنَاهُ مَرْتَعُ الدَّمِّ وَلَا عِرْضُهُ مَنَاخُ الْعُيُوبِ
واجد بالصديق من برحاء الشِّوقِ وجدانَ غَيْرِهِ بِالْحَبِيبِ

أخذ سليمان منه معنى هذا البيت الأخير ، فقال في رسالة لبعض إخوانه :

ظرفُ الصداقة ، أرقُّ من ظرف العلاقة ، والنفس بالصديق ، آنس منها

بالعشيق . فقال له أبو تمام : كلامك هذا أرق من شعري .

والحسن بن وهب حسنُ الشعر والبلاغة ، جيدُ اللسان ، حلوُ البيان ، وكان

يحب بنان جارية محمد بن حماد ، وله فيها شعر جيد ، ولها تقول :

(١) أصل هذا هو قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « لوسلك الناس

شعبا وسلك الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار » (م)

(٢) الوسج : جمع واسجة ، وهى الناقة السريعة السير ، والرواتك : جمع

رواتك وهى متفاربة الخطو (م)

أقول وقد حاولتُ تقبيلَ كفِّها وبى رِعدةً أهتزُّ منها وأسكن
 ليهنئك أنى أشجعُ الناسِ كأنهم لدى الحربِ إلا أنتى عنك أجنُّن
 وحضرتُ مجلسه وبين يديه نارفامرتُ بإزالتها ، فقال :

بأبى كرهتُ النارَ حتى أبعدتُ فعلتُ ما بمعناكِ فى إبعادها
 هى ضرةٌ لكِ فى التِّماعِ ضيائها وهبوبِ نَفْحَتِها لدى إيقادها
 وأرى ضيمك فى القلوبِ صنيعها بسيلها وأراكها وعِزَّادها^(١)
 شركتكِ فى كلِّ الأمورِ بفعلها وضيائها وصلاحيها وفسادها
 وإلى هذا ينظر قول الأمير تميم بن المعز :

ما هجرتُ المدامَ والوردَ والبد رَ بطَوْعِ ، لكن برغمٍ وكرهٍ
 منعنى من الثلاثة من لؤى قتلتنى لم أحكِ اللهُ من هـى
 قالت الوردُ واندامةُ والبد رُ ضيائى ولونُ خدى ووجهى
 قلت بخلاً بكلِّ شىءٍ فقالت لا ولكن بخلتِ بى وبشبهى
 قلت يا ليتنى شبيهكِ قالت إنما يقتلُ الحبَّ التَّشهى
 ولما مات الحسينُ بن وهب - وكان موته بالشام - عَزَى عنه أخوه سليمان

فجاء أبو العيناء ، فقال : أنشدنى أبو سعيد الأصمعى :

لعمري لنعم امرء من آل جعفر بجوران أمسى أعلقته الجبالُ
 لقد فقدوا عزماً وحزماً وسودداً وعِلما أصيلاً خالفته الجاهلُ
 فإن عشتَ لم أملل حياتى وإن تمت فما فى حياتى بعد موتك طائلُ

فقال سليمان : أحسن الله جزاءك ، ووصل إخاءك ، إن هذا لمن أحسن

الشعر ، وقد تمثل به قتيبة حين بلغه موت الحجاج ، ولكنى أقول كما قال كعب

ابن سعد الفنوى يرنى أخاه أبا انغوار :

(١) السيل - بزنة السحاب - شجر سبط الأغصان ، والأراك : الشجر الذى

تصعد من أغصانه المساويك ، والعراد : شجر صلب ، واحدته عرادة .

أخي ما أخى لا فاحشٌ عند بَيْتِهِ ولا وَرَعَ عند اللقاء هَيُوبُ
 حلِيمٌ إذا ما سَوْرَةَ الجَهْلِ أَطْلَقَتْ حُبِّي الشيب ، للنفس الأَجْوَجِ غُلُوبُ
 حبيبٌ إلى الزَّوَارِ غَشِيَانُ بَيْتِهِ جميل الحيا شَبَّ وهو أَرِيبُ
 إذا ما تَرَاآه الرجالُ تحَفَّظُوا فلم تُنْطَقِ العَوْرَاهُ وهو قَرِيبُ

فانصرف الناس يعجبون من علم سليمان ، وحسن جوابه ، وصحة تمثله .

والأبيات التي أنشدها الأصمعي للحطيئة ، واسمه جَرُولُ بن أَوْس بن جُوَيْيَّة
 ابن محزوم بن مالك بن غالب بن قطيفة بن عَيس بن بَغِيض ، يقولها في علقمة
 ابن عُلَاثَةَ وفيها يقول :

فما كان بيني لو لَقَيْتِكَ سَالِمًا وبين الغنى إلا ليالٍ قَلَالٌ

قال سليمان بن وهب : لما جار علينا بالنكبة السلطان ، وخبفنا من أجلها
 الإخوان ، أنصفنا ابن أبي دُوَادٍ بتطوُّله ، وكفانا الحاجة إليهم بتفضله ، فكنا
 وإياه كما قال الحطيئة :

جاورتُ آلَ مَقَلِّدٍ فَحَمِدْتُهُمْ إذ لا يكادُ أخو جوارٍ يُحَمِّدُ
 أيامَ مَنْ يُرِدُ الصَّنِيعَةَ يَصْطَنِعُ فينا ، وَمَنْ يُرِدُ الزَّهَادَةَ يَزْهَدُ
 وله فصل إلى بعض إخوانه :

لك أن تعتب ، وشبهك أن يعذر ؛ فهَبْ أقل الأمرين لأكثرهما ، وقدم
 فضلك على حَقِّكَ ، وبقينك على شَكِّكَ .

ووصف رجلا بليغا فقال : كان والله واسع المنطق ، جَزَلَ الألفاظ ، ليس
 بالهذِر في لفظه ، [ولا المظلم في مقصده ؛ معناه إلى القلم أسرع من لفظه إلى السَّمْعِ] .
 وهذا ضد قول محمد بن عبد الملك الزيات في عبيد الله بن يحيى بن خاقان :
 هو مهزول الألفاظ ، غليظ المعاني ، سخيْفُ العقل ، ضعيف العقدة ، واهي
 العزم ، مأفونُ الرأي .

ألفاظ لأهل العصر في ذم الكتاب والكتاب والذم والشعر

أخرسُ أحسنُ من كلامه ، والمعنى أبلغُ من بيانه ، حاطره يغبو ، وقلمه يكبو ، ويسهو ويغلط ، ويخطئ ويؤقظ . هو قصير باع الكتابة ، قصير سعى الخطابة ، وكتبه مضطربة الألفاظ ، متفاوتة الأبعاض ، منتشرة الأوضاع ، متباينة الأغراض . الجلمُ أولى بكفه من القلم ، والطَّاسُ أليقُ بها من القرطاس . كلامٌ تنبو عن قبوله الطباع ، وتتجافى عن استماعه الأسماع . ألفاظٌ تنبو عنها الأذان فتمجها ، وتنكرها الطباع فتزجها . كلام لا يرفعُ الطبعُ له حجبايا ، ولا يفتحُ السمعُ له بابا . كلام يُصدى^(١) الرزيان ، ويصدى الأفهام والأذهان . كلام قد تعمل فيه حتى تبدل ، وتكلف حتى تعسف . طبع جاس ، ولفظ فاس ، لامساع له في سَمع ، ولا ووصول له مع خلو ذرع . كلام لا الروية ضربت فيه بسنهم ، ولا الفكرة جالت فيه بقدح . كلام تتعثرُ في حزوته ، وتتغيرُ الأفهامُ من وعورته . كلمات ضعيفة الإلتقان ، قليلة الأعيان ، مضمحلة على الامتحان . ألفاظٌ تستعارُ من الدياجي ، ومعانٍ تقدرُ من الأنافي . كلامٌ بمنتهى بسلى الأخرس عن كلمه ، ويفرح الأصم بصممه ، أثقل من الجندل ، وأمر من الحنظل ، هو هذيان المحموم ، وسوداء الموموم . كلام رث ، ومعنى غث ، لا طائل فيهما ، ولا طلاوة علمما . أبيات ليست من محكم الشعر وحكمه ، ولا من أحجال الكلام وغرره . شعر ضعيف الصنعة ردى الصيغة بغيض الصفة [وقد جمع بين إقواء^(٢) وإبطاء ، وإبطاء وإقواء . ما قطع في شعره شعرة] ولا سقى قطرة . لو شعر بالنقص ما شعر .

(١) الصدى : العطش ، وأصداء : أعطشه ، ولزيان : المعتلى . ربا (م) .

(٢) الإقواء والإبطاء : ضربان من عيوب القافية ، فالإقواء : هو تغير حركات

الروى ، والإبطاء : إعادة كلمة الروى لفظاً ومعنى (م)

لا يميز بين خبيث القول وطيبه ، ولا يفرق بين بكره وثيبه . هو باردُ العبارة ، ثقيل الاستعارة . هو من بين الشعراء منبوذ بالعراء . لم يلبس شعره حلّة الطلاوة . له شعر لا يطيب ذرّسه ، ولا يخف سرّده ، وخطّ مضطرب الحروف ، متضاعف التضعيف والتحريف . خطّ يُقذّي العين ويُشجّي الصدر . خط منحنط ، كأنه أرجل البطّ ، وأنامل السرطان ، على الحيطان . قلمه لا يستجيب بريّه ، ومداده لا يساعد جريّه . قلمه كالولد العاقّ ، والأخ المشاق ، إذا أدزّته استطال ، وإذا قوّمته مال ، وإذا بعثته وقف ، وإذا وقفته انحرف . قلم مائل الشق ، مضطرب المشق ، متفاوت [البرّي ، معدوم الجريّ ، محرف القط . قلم لم يُقلّم ظفّره فهو] يخدش القرطاس ، وينقش الأنفاس^(١) ، يأخذ بالأنفاس . قلم لا يُبعث إذا بعثته ، ولا يقف إذا وقفته . قد وقف اضطراب [بريّه ، دون استمرار] جريّه ، واقتطع تفاوت قطّه ، عن تجويد خطّه .

[وصف الكلام]

وصف كلام
العرب لعتبة
ابن أبي سفيان

ذكر عتبة بن أبي سفيان كلام العرب فقال : إن للعرب كلاماً هو أرق من الهواء ، وأعذب من الماء ، مرق من أفواههم مروق السمام من قسيها ، بكلمات مؤتلفات ، إن فسّرت بغيرها عطّلت ، وإن بدلت بسواها من الكلام استصعبت ؛ فسهولة ألفاظهم توهّمك أنها ممكنة إذا سمعت ، وصعوبتها تعلّمك أنها مفقودة إذا طلبت . هم اللطيف فهمهم ، النافع عليهم ، بلفظهم نزل القرآن ، وبها يدرك البيان ، وكلّ نوع من معناه مُمّابن لما سواه ، والناس إلى قولهم يصيرون ، ويهداهم يأتّمون ، أكثر الناس أحلاماً ، وأكثرهم أخلاقاً .

وكان يقال : خير الكلام المُطامع الممتنع .

(١) الأناض : جمع نفس - بكسر النون وسكون القاف - وهو اللداد (الجر) (م) .

وأشدد إبراهيم بن العباس الصولي نخاله العباس بن الأحنف :

إليك أشكوب ما حل بي من صد هذا العاتب المذنب
 إن قال لم يفعل ، وإن سئل لم يبذل ، وإن عوتب لم يعتب
 صب بمصيانى ، ولو قال لى لا تشرب البارد لا أشرب

ثم قال : هذا والله الشعر الحسن المعنى ، السهل اللفظ ، العذب المستمع ،
 الصعب الممتع ، العزيز النظير ، القليل الشبيه ، البعيد مع قرّبه ، الحزن مع
 سهولته ، فجعل الناس يقولون : هذا الكلام أحسن من الشعر .

وقال أبو العباس الناشيء يصف شعره :

الناشئ
 يصف شعره

يتحير الشعراء إن سمعوا به في حُسن صنعته وفي تأليفه
 فكأنه في قرّبه من فهمهم ونكولهم في العجز عن ترصيفه
 شجره بدا للعَيْنِ حُسنُ نباته ونأى عن الأيدي جنى مقطوفه
 فإذا قرنت أبيه بمطيمه وقرنته بغيريه وطريفه
 ألفت معناه يطابق لفظه والنظم منه جليّه بلطيفه
 فأتاه متيسراً على إحسانه قد نيط منه رزينه بخفيفه
 هذبته فجملته لك باقيا ومنعت صرف الدهر عن نصريفه

وقال الناشيء في فصل من كتابه في الشعر : الشعر قيد الكلام ،
 وعقل الآداب ، وسور البلاغة ، ومعدن البراعة ، ومجال الجنان ، ومسرّح البيان ،
 وذريعة المتوصل ، ووسيلة المتوصل ، وذمام التريب ، وحرمة الأديب ، وعظمة
 الهارب ، وعدة الراهب ، ورحاة الداني ، ودوحة الممثل ، وروحة المتحمل ،
 وحاكم الإعراب ، وشاهد الصواب .

وقال في هذا الكتاب : الشعر ما كان سهلاً المطالع ، فصل المقاطع ، فحل

للدمح ، جَزَلُ الافتخار ، شَجِيَّةُ النسب ، فَكِّهِ الغزل ، سَأَرَ المثل ، سليم الزلل ،
 عديم الخلل ، رائع الهجاء ، موجب العذرة ، مُحَبِّبُ المعيبة ، مُطْمِئِنُّ المسالك ،
 قَائِمُ المدارك ، قريب البيان ، بعيد المعاني ، نَأَى الأغوار ، ضاحي القرار ، نقي
 المستشف ، قد هُرِيقَ فيه ماء الفصاحة ، وأضاء له نور الزجاجاة ، فانهل في صادي
 الفهم ، وأضاء في بهيم الرأي . لتأمله تفرق ، ولستشفه تألق ، يروق المتوسم ،
 ويسر المترسم ؛ قد أبدت صدوره مُتُونَهُ ، وزهت في وجوهه عيونه ، وانقادت
 كواوله لهوآديه ، وطابقت [ألفاظه معانيه ، وخالفت أجناسه مبانيه ، فاطرد
 لتصفحه ، وأنار] لمستوضحه ، وأشبه الروض في وشى أوانه ، وتعمم أفنانه ،
 وإشراق نواره ، وابتهاج أنجاده بأغواره ؛ وأشبه الوشى في اتفاق رُقُومِهِ ، واتباق
 رُسُومِهِ ، وتسطير كفوفه ، وتجبير فُوفِهِ ؛ وحكى العقد في التثام فُصولِهِ ، وانتظام
 وُصولِهِ ، وازديان ياقوته بدره ، وفريده بشدِّهِ ، فلوا كتف الإيجاز موارده ،
 وصقلت مداوِسُ الدرِّبة مناصله ، وشحذت مدارس الأدب فياصِلَهُ ، جاء سليما
 من المعايب ، مهذباً من الأدناس ، تتحاشاه الأبن ، وتتحاماه الهجن ، مُهْدِيَا إلى
 الأسماع بهجته ، وإلى العقول حكيمته .

المؤلف في
الشعر

وقد قلت في الشعر قولاً جعلته مثلاً لقائله ، وأسلوباً لسالكه ، وهو :
 الشعرُ ما قومت زئج صدوره وشددت بالتهذيب أمرَ مُتُونِهِ
 ورأبت بالإطناب شُعْبَ صدوعه وفتحت بالإيجاز غور عيونه
 وجمعت بين قريبه وبعيده . ووصلت بين حجه ومعينه
 وعقدت منه لكل أمر يقتضى شهاً به فقرنته بقرينه
 فإذا بكيت به الديار وأهلها أجزيت للمحزون ماء شئونه
 ووكلته بهوموه وغمومه دهرأ فلم يسر الكرى بجفونه

وإذا مدحت به جواداً ماجداً
أصفيته بنفسه ورصينه
فيكون جزلاً في اتفاق صنوفه
وإذا أردت كناية عن ريبه
جملت سامعه يشوب شكوكه
وإذا عتبت على أخ في زلة
فركته مستأنساً لدمايته
وإذا نبذت إلى التي علقها
تيمتبا بلطفه ورقيقه
وإذا اعتذرت إلى أخ في زلة
فيحور ذنبك عند من يعتده
والقول يحسن منه في منشوره
ماليس يحسن منه في مؤزونه

وقال الخليل بن أحمد : الشعراء أمراء الكلام ، بضر فونه أنى شاءوا ؛ للخليل بن أحمد
في الشعراء
وجأز لهم مالا يجوز لغيرهم : من إطلاق المعنى وتقييده ، ومن تصريف اللفظ
وتقييده ، ومد مقصوره ، وقصر ممدوده ، والجمع بين لغاته ، والتفريق
بين صفاته

وقال : الشعر حلية اللسان ، ومدرجة البيان ، ونظام الكلام ، مقسوم
غير محذور ، ومشارك غير محصور ، إلا أنه في العرب جوهرى ، وفي
المعجم صناعى .

بين أعرابى
وفارسى

قال أعرابى لشاعر من أبناء الفرس : الشعر للعرب ، فكل من يقول
للشعر منكم فإنما نزا على أمه رجل منا ! فقال الفارسي : وكذلك من لا يقول
للشعر منكم ، فإنما نزا على أمه رجل منا !

وقال عمارة بن عقيل : أجود الشعر ما كان أمّلس المتون ، كثيرَ العيون ، لا يمجّهُ السمع ، ولا يستأذِنُ على القلب . وأنشد الجاحظ شعرَ أبي العتاهية فلم يرَضَهُ ، وقال : هو أمّلسُ المتون ، ليس له عيونٌ . كأنه وعمارة تجاذبا كلاماً واحداً .

لعمارة بن عقيل
وللجاحظ

وقال ابن عقيل : الشعرُ بضاعةٌ من بضائع العرب ، ودليل من أدلّة الأدب ، وأثارة من أثارات الحسب . ولن يهزّ الشعرُ إلا الكريمَ المَخْتَدِ ، الكثيرَ السؤدد ، الكلفِ بذِكْرِ اليومِ والنَدِ .

ومدح بشار المهديّ فلم يُعطِه شيئاً ، فقيل له : لم تُجِدْ في مدحه . فقال : لا والله ، لقد مدّحتُه بشعرٍ لو قلت مثله في الدهر لما خيفَ صرفُه على حرٍّ ، ولكني أكَذِبُ في العمل ، فأكَذِبُ في الأمل .

لبشار وقد
مدح المهدي
فلم يجزه

نظمه الناجم فقال :

ولى في أحمدٍ أملٌ بعيدٌ ومدحٌ حين أنشده طريفُ
مدائحٍ لو مدّحتُ بها الليالي لما دارتُ على لها صروفُ

قال هشام بن عبد الملك لخالد بن صفوان : صِف لي جريراً والفرزدق والأخطل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أما أعظمهم فخراً ، وأبعدهم ذكراً ، وأحسنهم عُذراً ، وأسيرهم مثلاً ، وأقلهم غزلاً ، وأحلامهم عيلاً ، البحر الطامى إذا زخر ، والهامى إذا ذعر ، والسامى إذا خطر ، [الذى إذا هدر جال ، وإذا خطر صال ، الفصيح اللسان ، الطويل العنان ، فالفرزدق . وأما أحسنهم نعتاً ، وأمدحهم بيتاً ، وأقلهم قوتاً ، الذى إن هجا وضع ، وإن مدح رَفِعَ ، فالأخطل . وأما أغزرهم بحراً ، وأرقهم شعراً ، وأكثرهم ذكراً ، الأغرّ الأبلق ، الذى إن طلب لم يُسبَق ، وإن طلب لم يُلحَق ، فجرير . وكلّهم ذكئُ الفؤادِ ، رفيع العياد ، وارى الزناد .

خالد بن صفوان
يصف جريراً
والفرزدق
والأخطل

قال مسلمة بن عبد الملك ، وكان حاضراً : ما سمعتُ بمثلك يا بن صفوان في الأولين ولا في الآخرين ، أشهدُ أنك أحسنهم وصفاً ، وأليهم عطفاً ، وأخفهم مقالا ،

وأكرمهم فعلا . فقال خالد : أتم الله عليك نعمة ، وأجزل لك قسمة . أنت والله أيها الأمير - ما علمت - كريمُ الفِراس ، عالمٌ بالناس ، جوادٌ في المخل ، بسام عند البذل ، حلِيمٌ عند الطيش ، في الدرّوة من قریش ، من أشرف عبد شمس ، وبومك خيرٌ من الأمس .

فضحك هشام وقال : ما رأيت مثلك يا ابن صفوان لتخلصك في مدح هؤلاء ، ووصفهم ، حتى أرضيتهم جميعاً وسأمت منهم .

بين العجاج
وعبد الملك
بن مروان

ودخل العجاجُ على عبد الملك بن مروان فقال له : بلغني أنك لا تحسن الهجاء ، فقال : يا أمير المؤمنين ، من قدر على تشييد الأبنية ، أمسكته خرابُ الأخبية ، قال : ما يمنعك من ذلك ؟ قال : إن لنا عزاً يمنعنا من أن نُظلم ، وحِمماً يمنعنا من أن نَظلم ، قال : لكلماتك أحسنُ من شعرك ! فما العزُّ الذي يمنعك أن تظلم ؟ قال : الأدب [البارع ، والفهم الناصع . قال : فما الحِمُّ الذي يمنعك من أن تظلم ؟ قال : الأدب] المستطرف ، والطبع التآد ، قال : لقد أصبحت حكماً . قال : وما يمنعني من ذلك وأنا نَجِيٌّ أمير المؤمنين ؟

قال أبو إسحاق : وليس كما قال العجاج ، بل لكثير من الشعراء طباع تذبُّو عن الهجاء كالطائى وأضرابه ، وأحبابُ المطبوع أقدروا عليه من أهل المصنوع ، إذ كان الهجو كالنادرة التي إذا جرت على سجيّة قائلها ، وقربت من يدٍ متناولها ، وكان واسع العطن ، كثير الفطن ، قريب القلب من اللسان ، التهبّت بنارِ الإحسان .

القائمة القريرية
من مقامات
البديع يصف
الشعراء

ومما ينجو هذا النحو من مقامات أبي الفتح الإسكندري إنشاء بديع الزمان قال : حدثنا عيسى بن هشام قال : طرحتنى النوى مطارحها ، حتى إذا وطئتُ جُرْجان الأقصى ، فاستظهرتُ على الأيام بضياعِ أجَلتُ فيها يدِ العمارة ، وأموالٍ وقفها على التجارة ، وحانوت جعلته مَثابة^(١) ، ورُقفة اتخذتهم صحابة ، وجعلتُ للدار حاشيتي النهار ، والحانوت ما بينهما ؛ فجلسنا يوماً تنذا كُر الشعر والشعراء ،

(١) الحانوت : دكان الحمار ، ومثابة : مكان يرجع إليه كلما أراد .

وتلقاءنا شاب قد جلس غير بعيد ، يُنصت وكأنه يفهم ، ويسكت وكأنه لا يعلم ، حتى إذا مال الكلامُ بنا مثله ، وجَرَ الجدالُ فينا ذيله ، قال : أصبتم عذيقه^(١) ، ووافيتم جذيله ، ولو شئتُ للفظت [فأفضت] ، وو أردت لسردت ، ولجلت الحقُّ في معرض بيان يُسمعُ الصم ، ويُنزِلُ العُصم . فقلت : يا فاضل ، أذنُ فقد منيت ، وهات فقد أنيت ، فدنا وقال : سلوني أجيبكم ، واستمعوا أعجبكم .

قلنا : فما تقول في امرئ القيس ؟ قال : هو أول من وقف بالديار وعرصاتها ، واعتدى والطيرُ في وكناتها ، ووصف الخيلَ بصفاتِها ، ولم يقل الشعرَ كاسبا ، ولم يُجدِ القولَ راغبا ، ففضل من تفتقَ للجميلة لسانه ، وانتجعَ للرغبة بنائه قلنا : وما تقول في النابغة ؟ قال : ينسب إذا عشق ، ويثلبُ إذا حنق ، ويمدح إذا رغب ، ويعتذر إذا رهب ، فلا يرمى إلا صائبا .

قلنا : فما تقول في طرفة ؟ قال : هو ماء الأشعار وطينتها ، وكنز القوافي ومديتها ، مات ولم تظهر أسرارُ دقائه ، ولم تطلق عتاق خزائنه . قلنا : فما تقول [في زهير ؟ قال : يُذيب الشعرَ والشعرُ يذيه ، ويدعو القولَ والسحرُ يُجيبه .

قلنا : فما تقول [في جرير والفرزدق ؟ وأيهما أسبق ؟ قال : جرير أرق شعرا ، وأغزر غزرا ، والفرزدق أمتنُ صحرا ، وأكثرُ فخرا ، وجرير أوجع هجوا ، وأشرف يوما ، والفرزدق أكثرُ روما ، وأكثرُ قوما ، وجرير إذا نسب أشجى ، وإذا ثلب أزدى ، وإذا مدح أسنى ، والفرزدق إذا افتخر أجزى ، وإذا وصف أوفى ، وإذا احتقر أزرى .

قلنا : فما تقول في المحدثين من الشعراء والمتقدمين منهم ؟ قال : المتقدمون اشرفُ لفظا ، وأكثرُ في المعاني حظا ، والمتأخرون أطفُ صنعا ، وأرقُ نسجا .

(١) عذيقه : مصغر عذق - بالكسر - وأصله النخلة بحملا

قلنا: فلو أريت من أشعورك، ورويت من أخبارك، قال: خذها في معرض واحد، وأنشد:

أَمَا تَرَوْنِي أَتَغَشَى طِمْرًا مُلْتَحِفًا فِي الصُّرِّ أَمْرًا إِمْرًا
مُنْطَوِيَا عَلَيَّ اللَّيْلَى إِلَى غَمْرًا مَلَاقِيَا مِنْهَا صُرُوفًا حُمْرًا
أَقْصَى أَمَانِي طُلُوعُ الشَّعْرَى قَدِّدُ عُنَيْنًا بِالْأَمَانِي دَهْرًا
وَكَانَ هَذَا الْحُرُّ أَعْلَى قَدْرًا وَمَاءُ هَذَا الْوَحْدِ أَعْلَى سِعْرًا
ضَرَبْتُ لِلشَّرِّ قِبَابًا خُضْرًا فِي دَارِ دَارًا وَإِيَّانِ كِسْرَى
فَانْقَلَبَ الدَّهْرُ لِبَطْنِ ظَهْرًا وَعَادَ عُرْفُ الْعَيْشِ عِنْدِي نُكْرًا
لَمْ يُبْقِ مِنْ وَفْرِي إِلَّا ذِكْرًا ثُمَّ إِلَى الْيَوْمِ هَلُمَّ جَرًا
لَوْلَا عَجُوزٌ لِي بَسْرٌ مِنْ رَا وَأَفْرَحُ دُونَ جِبَالِ بَصْرَى
قَدْ جَلَبَ الدَّهْرُ إِلَيْهِمْ شَرًّا قَتَلْتُ يَا سَادَةَ نَفْسِي صَبْرًا!

قال عيسى بن هشام: فنلتته ما تاح^(١)، وأعرض عنا فراح، وجملت أنفيمه وأنبته، وأنكره وكأني أعرفه، ثم دللتني عليه ثناياه، قلت: الإسكندري والله! فلقد كان فارقنا خشفًا، وواقانا جلفًا^(٢)، ونهضت على إثره، ثم قبضت على خصمه، وقات: ألسنت أبا الفتح؟ ألم تسكن فينا وليدا، ولبت فينا من عمرك سنين؟ فأى مجوز لك بسر من رأى؟ فضحك وقال:

ويحك هذا الزمان زورُ فلا يفررتك الغرورُ
غرقي وبرقي وكل وطرق وأسرق وطلبق لمن تزورُ
لا تلزم حالة ولكن دُرَّ ليلي كما تدورُ

(١) نلتته: أعطيته، وماتاح: ما تهيأ وكان حاضرًا عندى (م).

(٢) الخشف - بالكسر - ولد الظبية، والجلف: الغليظ الجلفي (م).

ومن إنشائه مقامة ولدها على لسان عصمة وذى الرمة قال : حدثنا عيسى بن هشام قال : بينا نحن في مجتمع لنا ومعنا يومئذ رجلُ العرب حِفْظًا ورِوَايةً عِصْمَةَ ابنِ بَدْرِ الفَزَارِي ، فَأَفْضَى الكَلَامُ إلى ذِكْرِ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ خَصْمِهِ حِلْمًا ، أو أَعْرَضَ عَنْهُ خَصْمُهُ احتقارًا ، حتى ذَكَرَ الصَّلْتَانِ العَبْدِيُّ واللَّعِينُ المنفَرِي ، وما كان من احتقار جرير والفرزدق لهما . فقال عصمة : سأحدثكم بما شاهدته عيني ، ولا أحدثكم عن غيري : بينا أنا أسيرُ في بلاد تميم مرتحلًا بحبيبة ، وقائداً بحبيبة ، عن لي راكبٍ على أوزقٍ جَعَدَ اللُّغَامُ ^(١) ، فاجتاز بي رافعا صَوْتَهُ بالسَّلام . فقلت : مَنْ الرَّاكَبُ الجَهِيرُ الكَلَامِ ، الحَيِّيُّ بِتَحِيَّةِ الإِسْلَامِ ؟ فقال : أَنَا غَيْلَانُ ابنُ عُقْبَةَ . فقلت : مرحبا بالكريم حَسْبُهُ ، الشهرِ نَسَبُهُ ، السَّائِرُ مَنْطِقُهُ . فقال : رَحْبَ وَادِيكَ ، وَعَزَّ نَادِيكَ ، فَمَنْ أَنْتِ ؟ قلت : عِصْمَةُ بنِ بَدْرِ الفَزَارِي . فقال : حياك الله ، نعم الصديقُ ، والصاحبُ والرقيقُ . وسِرْنَا فلما هَجَرْنَا قال : أَلَا نَعُورٌ ^(٢) يا عِصْمَةُ فقد صهرتْنَا الشَّمْسُ ؟ فقلت : أَنْتِ وَذَاكَ ، فَمَلْنَا إلى شَجَرَاتِ الأَلَاءِ ^(٣) كأنهن عذارى متبرجات ، قد نَشَرْنَ العِدَائِرَ ، وسرحن الضفائر ؛ لِأَنَلَاتٍ متناوحات ؛ فحطَطْنَا رِحَالَنَا ، وَنَلْنَا مِنَ الطَّعَامِ ، وَكَانَ ذُو الرِّمَةِ زَهِيدَ الأَكْلِ . وَزَالَ كُلُّ مَنْسَا إلى ظِلِّ أُنْثَى يَرِيدُ القَائِلَةَ ، واضطجع ذو الرِّمَةِ . وَأَرَدْتُ أَنْ أَصْنَعَ صَنِيعَهُ ، فَوَلَّيْتُ ظَهْرِي الأَرْضَ ، وَعَيْنَايَ لا يَمْلِكُهَا غَمُضٌ ، فَنظَرْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ إلى نَاقَةٍ كَوُمَاءَ ، ضَحِيَّتْ وَغَيَّبَتْهَا مُلْقَى ^(٤) ، وَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ يَكُلُوهَا كَأَنَّهُ عَسِيفٌ أَوْ أَسِيفٌ ^(٥) ، فَلَمَّيْتُ عَنْهُمَا ، وَمَا أَنَا وَالسُّؤَالَ عَمَّا

(١) أراد أنه يمتطي جملا ، والأورق : الذي لونه الورقة وهي بياض وسواد ، وجعد اللغام : كثير الزبد (م) .

(٢) نعور : تقيل (م) . (٣) الألاء - كسحاب - شجر عظيم الظل (م) .

(٤) الكوماء : العظم سنامها ، وضحييت : أصابها الشمس بجرها (م) .

(٥) العسيف . الأجير ، والأسيف : العبد المملوك (م)

لا يَفِينِي ! ونام ذو الرِّمَّةِ غِرَّارًا ، ثم انتبه ، وكان ذلك في أيام مُهَاجَاتِهِ لذلك المرثي . فرفع عقيرته ينشد فيه :

أَمِنْ مَيَّةَ الظَّلَالِ الدَّارِسُ	أَلْظَّابَهُ العَاصِفِ الرَّامِسُ
فَلَمْ يَبْقَ إِلا شَجِيحَ القَدَّالِ	وَمُسْتَوَقَّدَ مَالَهُ قَاسِسُ
وَحَوْضُ تَلَمَّ مِنْ جَانِبَيْهِ	وَمَحْتَفَلِ دَائِرِ طَامِسُ
وَعَهْدِي بِهِ وَبِهِ سَكْنُهُ	وَمَيَّةُ وَالْإِنْسِ وَالْآنِسُ
سَتَانِي امْرَأَ القَيْسِ مَأْتُورَةٌ	يَغْنَى بِهَا العَابِرِ الْجَالِسُ
أَلَمْ تَرِ أَنَّ امْرَأَ القَيْسِ قَدْ	أَلْظَّابَهُ دَاوَةَ النَّجَاسُ
هَمُّ القَوْمِ لَا يَأْلَمُونَ المَهْجَاءُ	وَهَلْ يَأْلَمُ الحَجَرُ اليَاسِسُ ؟
فَمَا لَهُمْ فِي القَلَا رَاكِبُ	وَلَا لَهُمْ فِي الوَغَى فَارِسُ
إِذَا طَمَعَ النَّاسُ لِلْمَكْرَمَاتِ	فَطَرَفَهُمُ المَطْرِقُ النَّعَاسُ
تَعَافُ الأَكْرَامُ إِصْهَارَهُمْ	فَكُلُّ نَسَائِمِهِمْ عَانِسُ

فلما باع هذا البيت جعل ذلك النائم يمسح عينيه ويقول : أذو الرِّمِّيَّةِ يمنعني النوم بشعر غير منقف ولا سائر . فقلت : يا غيلان ، من هذا ؟ فقال : الفرزدق ، يعني الفرزدق ، وحي ذو الرمة :

وَأَمَّا مُجَاشِعُ الأَرْدَلُونَ	فَلَمْ يَسْقِ مَيَّتَهُم رَاجِسُ
سَيَعْقِلُهُمْ عَنِ مَسَاعِي الكِرَامِ	عِقَالٌ ، وَيَحْبِسُهُم حَابِسُ

فقلت : الآن [يشرق فيثور ، و] يعمُّ الفرزدقُ هذا وقبيله بالهجاء . فوالله ما زاد علي أن قال : قبحاً لك يا ذا الرِّمِّيَّةِ ! أتعرضُ لمثل بمنال منتحل ! ثم عاد في نومه كأن لم يسمع شيئاً ، وسار ذو الرمة وسرت ، وإني لأرى فيه انكساراً حتى افرقنا .

قوله فيما ولد على الفرزدق « بمقال مُنتحل » ، يريد أن البيت الأخير منقول
من قول جرير :

ألم تر أن الله أخزى مجاشعاً إذا ما أفاضت في الحديث المجالسُ
وما زال معقولاً عقالٌ عن الندى وما زال محبوساً عن المجد حابسُ

عقال: ابن محمد بن [سعيد بن] مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك
ابن زيد مائة بن تميم ، وهو جد الفرزدق . وحابس: ابن عقال بن محمد بن سفيان
ابن مجاشع بن دارم ، وهو أبو الأقرع بن حابس أحد المؤلفة قلوبهم .

فقر في الشعر

قيل لابن الزبيري : لم تقصر أشعارك ؟ فقال : لأنها أعلت بالمسامع ، وأجول
في الحافل .

وقيل ذلك لعقيل بن عُلفة في أهاجيه ، فقال : يكفيك من القلادة
ما أحاط بالعنق .

غيره : لسان الشاعر أرض لا تُخرج الزهر حتى تستسلف النظر ، وما ظنك
بهوم الاقتصار محمود إلا فيهم . والكذب مذموم إلا منهم . إياكم والشاعر فإنه
يطلب على الكذب متوبة ، ويقرع جليسه بأدنى زلة .

أبو القاسم صاحب بن عباد : النثر يتطيرُ كتنطيرُ الشرر ، والظم يبقى
بقاء النقش في الحجر .

أبو عبيدة : الزحاف في الشعر كالرخصة في الدين ، لا يُقدم عليها إلا فقيه .
وقال أبو فراس الحمداني :

تناهض الناسُ للمعانى لَمَّا رَأَوْا نَحْوَهَا نَهْوِي
تكلّفوا المكرمات كدّاً تكلّف الشعر بالعروضِ

وقد مدح الجاحظ العروض وذمها ، فقال في مدحها : العروض ميزان ،
ومعارض بها يعرفُ الصحيح من السقيم ، والعليل من السليم ، وعينها مدار الشعر ،
وبها يسلم من الأود والكسر . وقال في ذمها : هو علم مؤلّد ، وأدب مستبّرّد ،
ومذهب مرفوض ، وكلام مجهول ، يستنكر^(١) العقل بمستفعلن وفعول ، من غير
فائدة ولا محصول .

ومن مفردات الآيات في هذا المعنى قول دعبل :

يموتُ رديءُ الشعرِ من قبلِ أهلهِ وجيّدُهُ يَبْقَى وإن مات قائلُهُ
البحترى :

أعيا على ؛ فلا هيّابةُ فرِقْ يَحْشَى الهِجَاءَ ، ولا هَشْ فِيمَتَدَحْ
آخر :

[و] مما يَقْتُلُ الشعراءَ غمّاً عداوةٌ من يُقَالُ عن الهِجَاءِ
أحمد بن أبي فَنان :

وإنَّ أحقَّ الناسِ باللُّومِ شاعرٌ يَلومُ على البخلِ اللثامَ ، ويَبْخُلُ
وهذا كقول علي بن العباس الرومي في أبي الفياض سوار بن أبي شراعة ،
وكان سوار شاعراً مجيداً :

يا مَنْ صناعته الدعاءُ إلى العَمَلِ ناقضتَ في فِعْلِكَ أَى نِقَاضِ
عجباً لِحِصَّانِ الكِرَامِ على الذي هو فيه محتاجٌ إلى حِصَّانِ
وصفَ للمكارمِ وهو فيها زاهدٌ ورأى الجميلَ وفيه عنه تَغَاضِ
لم ألقَ كالشعراءِ أكثرَ حارِضاً وأشدَّ مَعْتَبَةً على الحَرِاضِ^(٢)

(١) في نسخة « يستنكر العنل بمستفعلن » وهي خير مما أُنبتناه .

(٢) الحارِض : الكثير المموم .

كم فيهم من أمرٍ برشيدةٍ لم يأتها ، ومرغبٍ رفاضٍ
يا حسرتي لمودّةٍ أديبةٍ لم نفترق عنها افتراقَ تراضٍ
ليس العتابُ بِنافعٍ في قاطعٍ أغنيا المشيبُ تتابعِ المقرّاضِ

ثم قال بعد هذا التبكيت والعتاب ما منعه أن يتوهّم أنه هجاه :

ولمّا هجوتك ، بل وعظمتك إنّي لا أجملُ الأعراس كالأغراضِ^(١)
فاكفُفِ سَهَامَكَ عَنْ أَخِيكَ فَإِنَّمَا آسَفْتَهُ ، فَرَمَاكَ بِالْمَعْرَاضِ
فمتى حلتُ ووجدتُ أَحْنَفَ دَهْرِهِ ومتى جهلتُ مُنِيَّتَ بِالْبِرَاضِ
فَاعْذِرْ أَخَاكَ عَلَى الْوَعِيدِ ؛ فَإِنَّمَا أَنْذَرْتُ قَبْلَ الرَّمِيِّ بِالْإِنْبِاضِ
[واعلم وقيت الجهل أن خسارةً بطرُ الغنى ومذلةُ الإبعاض]
ثم هجاه بقوله :

وما تكلمت إلا قلت فاحشةً كأن فكّيك للأغراضِ مقرّاضُ
مهما تقل فيسهامُ منك مرّسلةٌ وفؤوك قوسك والأعراسُ أغراضُ^(١)
وابن الرومي هذا كما قال مسلم بن الوليد الأنصاري في الحكم بن قنبر المازني :
عابني من معائبٍ هنّ فيه حكم فاشتفتني بها من هجاني
وكما قال الآخر :
ويأخذ عيبَ الناسِ من عيبِ نفسه مرادٌ لعسرى ما أرادَ قريبُ

[الأحنف بن قيس]

وروى عيسى بن دأب قال : أوّل ما عرف الأحنف بن قيس وقُدّم أنه وفد على
عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان أحدثَ القوم سناً ، وأفبحهم منظراً ، فتكلم كل

(١) الأغراض : جمع غرض ، وهو — بالتحريك — ما يجعله الرامي هدفاً

يقصد برميّه إليه .

رجل من الوفدِ بحاجته في خاصته ، والأحنف ساكتٌ ، فقال له عمر : قل يا فتى !
 فقام فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنَّ العربَ نزلتْ بمساكن طيبة ، ذات ثمار وأنهار
 عذَّاب ، وأكثَّة ظليلة^(١) ، ومواضع فسيحة ، وإنا نزلنا بسبخةٍ نشَّاشة ، ماؤها
 مِلح ، وأفنيها ضيقة ، وإنما يأتينا الماء في مثل حلق النعامةِ فإلَّا تدرُكنا يا أميرَ
 المؤمنين بحفرِ نهرٍ يغزر ماؤه ، حتى تأتي الأمة فتعرف بحرثها وإناها أوشك أن
 نهلك ، قال : ثم ماذا ؟ قال : تزيد في صاعنا ومدنا ، وتثبت من تلاحق في العطاء من
 ذريتنا . قال : ثم ماذا ؟ قال : تخفف عن ضعيفنا ، وتنصف قويننا ، وتتعاهد ثغورنا ،
 وتجهز بعشنا ، قال : ثم ماذا ؟ قال : إلى ها هنا انتهت المطالب ، ووقف الكلام .
 قال : أنت رئيس وفدك ، وخطيب مصرك ، قم عن موضعك الذي أنت فيه .
 فأدناه حتى أقعده إلى جانبه ، ثم سأله عن نسبه ، فانتسب له ، فقال : أنت سيدُ
 تميم ، فبقيت له السيادة إلى أن مات .

وهو الأحنف ، واسمُه الضحَّاک بن قيس بن معاوية بن حصين بن حصن نسب الأحنف
 ابن عباد بن النزال بن مرة بن عبيد بن مقاس بن عمرو بن كعب بن [سعد بن]
 زيد مناة بن تميم

وقال بعض بني تميم : حضرتُ مجلس الأحنف وعنده قومٌ مجتمعون له في
 أمرٍ لهم ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إنَّ الكرمَ منَعُ الحرمِ ، ما أقربُ النعمةَ
 من أهلِ التبغى ، لا خيرَ في لذةٍ تُعقِبُ ندماً ، لم يهلك من اقتصد ، ولم يفتقر
 من زهد ، رب هزل قد عاد جِداً ، من أمين الزمان خانة ، ومن تعظَّم عليه
 أهانه ، دَعُوا المِزَاحَ فَإِنَّهُ يُورِثُ^(٢) الضغائن ، وخيرُ القولِ ما صدَّقه الفِعل ، احتملوا
 لِمَنْ أدلَّ عليكم ، واقبلوا عُذْرَ مَنْ اعتذر إليكم ، أطعْ أخاك وإن عَصَاكَ .
 وصله وإن جفَّاكَ ، أنصفِ من نفسك قبل أن يُنتصفَ منك ، إياكم ومشاورَةَ

(١) الأكثنة: جمع كن، وهو الستر الواقع من الحر والبرد، والظليلة: ذات الظل (م).

(٢) يورث الضغائن: يوقدها، ويشعلها، ويؤجج نارها، والمراد أنه ينشأها

ويزيدها (م).

النساء ، واعلم أن كُفْر النَّعْمِ لُؤْمٌ ، وَصُحْبَةُ الْجَاهِلِ شُؤْمٌ ، وَمِنَ الْكِرَامِ الْوَفَاءُ ،
بِالذَّمِّ ، مَا أَقْبَحُ الْقَطِيعَةَ بَعْدَ الصَّلَةِ ، وَالْجَفَاءَ بَعْدَ اللَّطْفِ ، وَالْعِدَاوَةَ بَعْدَ الْوُدِّ ،
لَا تَكُونَنَّ عَلَى الْإِسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى الْإِحْسَانِ ، وَلَا إِلَى الْبُخْلِ أَسْرَعَ مِنْكَ إِلَى
التَّبَدُّلِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ مَا أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاكَ ، فَانْفِقْ فِي حَقِّ ،
وَلَا تَكُنْ خَازِنًا لِنَعْرِكَ ، وَإِذَا كَانَ الْعَدْرُ موجوداً فِي النَّاسِ فَالثَّمَّةُ بِكُلِّ أَحَدٍ
عَجْزٌ ؛ اعْرِفِ الْحَقَّ لِمَنْ عَرَفَهُ لَكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ قَطِيعَةَ الْجَاهِلِ تَعْدِلُ صَلَةَ الْعَاقِلِ .
قال : فَمَا سَمِعْتُ كَلَامًا أَبْلَغَ مِنْهُ . فَقَمْتُ وَقَدْ حَفِظْتُهُ .

كلام للأحنف
في مجلس معاوية

ودخل الأحنف على معاوية ، ويزيدُ بين يديه ، وهو ينظرُ إليه إعجاباً ، فقال :
يا أبا بَجْر ، مَا تَقُولُ فِي الْوَلَدِ ؟ فَعَلِمَ مَا أَرَادَ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هُمُ عَمَادُ
ظَهْرِنَا ، وَثَمَرُ قُلُوبِنَا ، وَقِرَّةُ أَعْيُنِنَا ، بِهِمْ نَصُولُ عَلَى أَعْدَائِنَا ، وَهُمْ الْخَلْفُ مِنَّا
بَعْدَنَا ، فَكُنْ لَهُمْ أَرْضًا ذَلِيلَةً ، وَسَمَاءَ ظَلِيلَةً ، إِنْ سَأَلُوكَ فَأَعْطِهِمْ ، وَإِنْ اسْتَعْتَبُوكَ
وَأَعْتَبَهُمْ ^(١) . وَلَا تَمْتَنِعْهُمْ رِفْدِكَ فَيَمْلُؤُوا قُرْبَكَ ، وَيَسْتَنْقِلُوا حَيَاتَكَ ، وَيَتَمَنَّوْا وِوَاثَكَ .
وقال : اللَّهُ دَرَكٌ يَا أبا بَجْر ، هُمُ كَمَا قُلْتَ !

وزعمت الرواة أنها لم تسمع للأحنف إلا هذين البيتين :

فَلَوْ مَدَّ سَرَّوِي بِمَالٍ كَثِيرٍ لَجِدْتُ وَكُنْتُ لَهُ بِأَذَلَا
فَإِنَّ الْمَرْوَةَ لَا تَسْتَطَاعُ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَالُهَا فَاضِلًا

صفة الأحنف

وَكَانَ يُبْخَلُّ . وَقَالَ لِبَنِي تَيْمِ : أَنْزِعْمُونِ أُنَى بِخَيْلٍ ! وَاللَّهِ إِنِّي لِأَشِيرُ بِالرَّأْيِ
قِيَمَتُهُ عَشْرَةُ آلَافِ دَرْهَمٍ ! فَقَالُوا : تَقْوِيْمُكَ لِرَأْيِكَ يُبْخَلُّ . وَكَانَ الْأَحْنَفُ مِنْ
الْفَضَلَاءِ الْخُلَطَبَاءِ النَّسَاكِ ، وَبِهِ يُضْرَبُ الْمَثَلُ فِي الْحَيْمِ

ذكر للنبي
فاستغفر له

وَقَدْ ذُكِرَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَغْفَرَ لَهُ ؛ فَقَدْ بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ رَجُلًا إِلَى قَوْمِهِ بَنِي سَعْدٍ يَعْزِضُ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ ، فَقَالَ الْأَحْنَفُ : إِنَّهُ يَدْعُوكُمْ

(١) استعتبوك : طلبوا رضاك ، وأعتبهم : أعطهم الرضا (م)

كلامه معاوية
وقد أراد البيعة
ليزيد

ولما عزم معاوية على البيعة لي زيد كتب إلى زياد أن يوجه إليه بو فد أهل العراق ،
فبعث إليه بو فد البصرة والكوفة ، فتكلمت الخطباء في يزيد ، والأحنف ساكت ،
فلما فرغوا قال : قل يا أبا بحر ، فإن العيون إليك أشرع منها إلى غيرك . فقام
الأحنف فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : يا أمير
المؤمنين ؛ إنك أعلمنا يزيد في ليله ونهاره ، وإعلانه وإسراره ، فإن كنت
تعلمه الله رضا فلا تشاور فيه أحداً ، ولا تقم له الخطباء والشعراء ، وإن كنت
تعلم بعده من الله فلا تزوده من الدنيا وترحل أنت إلى الآخرة ؛ فإنك تصير
إلى يوم يفر [فيه] المرة من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبه وبنيه . قال : فكانه أفرغ
على معاوية ذنوب ماء بارد . فقال له : اقم يا أبا بحر ؛ فإن خيرة الله تجري ،
وقضاء الله يمضي ، وأحكام الله تنفذ ، لا معقب لحكمه ، ولا راد لقضائه ؛ وإن
يزيد فتى قد بلوناه^(١) ، ولم نجد في قريش فتى هو أجدر بأن يجتمع عليه منه .
فقال : يا أمير المؤمنين ، أنت تخشك عن شاهد ، ونحن نتكلم على غائب ، وإذا
أراد الله شيئاً كان .

قال ابن الرومي :

ابن الرومي
يذكر حق
الشاعر على
السكرام

إن امرأ رقص المكاسب واغتدى
يتعلم الآداب حتى أحكا
فكسا وحلى كل أروع ماجد
من حراً ما حالك القريض ونظماً
ثقة برغى الأكرمين حقوقه
لأحق ملتس بالآ مجزماً

قال أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن عمار : ومن نادر شعر أبي الحسن في هذا
المعنى قوله ، ووصف إتعاب الشعراء أنفسهم بدؤوبهم في صناعتهم ، وما يتصرم
من أعمارهم ، وأن إلحاحهم في طلب ما في أيدي من أسلفوه مديحهم لو كان
رغبة منهم إلى ربهم كان أجدي عليهم ، وأقرب من درك بُغيتهم ، ونجح طلبتهم ،
ثم انحرف إلى توبيخ من مدحه فخرمه بأحسن عبارة ، وأرضى استعارة ، فقال :

(١) بلوناه : اختبرناه (م)

للفاس فيما يكلفون مَعَارِمِ
ومغارم الشعراء في أشعارهم
وجفاء لذاتٍ ورفضُ مكاسب
وتشَاغُلُ عن ذكر ربِّ لم يَزَلْ
من لو بخدمته تشاغل معشرٌ
أفما لذلك حرمة مرعيّةٌ
لم أحسب فيك الثوابَ بمدحى
لو كان شعري حِسْبَةً لم أكسُهُ
لا تقبلنَّ المدحَ ثم تعافه
واحذرْ مَعْرَتَهُمْ إذا ذَنَّبْتَهُمْ
واعلمْ بأنَّهُمْ إذا لم يُنصَفُوا
وجناية العادي عليهم تنقِضِ
أبو الطيب المتنبي :

ومكايده السفهاء واقعةٌ بهم
وعداوةُ الشعراءِ بئسَ المقتى

مات الأحنف بن قيس بالكوفة ، فمشى مصعب بن الزبير في جنازته بغير
رداء ، وقال : اليوم مات سرُّ العرب ؛ فلما دُفِنَ قامت امرأةٌ على قبره فقالت :
لله درك من يُجَنِّ في جنِّ (٢) ، ومُدْرَج في كفن ، نَسألُ الذي لجعنا بموتك ، وابتلانا
بفقدك ، أن يجعلَ سبيلَ الخيرِ سبيلَكَ ، ودليلَ الرشدِ دليلَكَ ، وأن يوسِّعَ لك في
قبرك ، ويفقرَ لك يومَ حَشْرِكَ ؛ فَرَأَى اللهُ لَمَدَكَ كُنْتَ في المحافلِ شريفاً ، وعلى الأرامِلِ

(١) سانخ الإنعام : من إضافة الصنعة للموصوف ، والإنعام السابغ : الكثير
الوافي (م) . (٢) مجن : مستور ، والجنين - بالتحريك - القبر ، وجمعه أجنان (م)

وفاة الأحنف
ورثاء امرأة له

عَطُوفًا ، ولقد كنت في الحَيِّ مُسَوِّدًا ، وإلى الخليفة مُوفِّدًا ، ولقد كانوا لقولك مستمعين ، ولرأيك متبعين ؛ ثم أقبلت على الناس فقالت : ألا إن أولياء الله في بلاده ، شهود على عباده ، وإني لقائلةٌ حقًا ، ومثنيةٌ صدقًا ، وهو أهلُ الحُسْنِ الثناء ، وطيب النِّثاء^(١) ، أما والذي كنت من أجله في عُدَّةٍ ، ومن الحياةِ إلى مدَّةٍ ، ومن المقدار إلى غايةٍ ، ومن الإياب إلى نهايةٍ ، الذي رفع عملك ، لما قَصَى أجالك ،

لقد عشت حميداً مودوداً ، ومُتَّ سعيداً مفقوداً ، ثم انصرفت وهي تقول :

للهِ دركُ يا أبا بجرٍ ما ذا تغيبَ منك في القبرِ ؟
للهِ دركُ أيّ حشوٍ ترى أصبحت من عرفٍ ومن نُكْرِ
إن كان دهرٌ فيك جرّاً لنا حدثاً به وهنت قوَى الصِّبرِ^(٢)
فلكم بيدِ أسديتها ويدٍ كانت تَرُدُّ جرائرَ الدهرِ^(٣)

ثم انصرفت فسئِل عنها ، فإذا هي امرأته وابنة عمه . فقال الناس : ما سمعنا كلامَ امرأةٍ قطّ أبلغ ولا أصدق منه .

قال : وكان الأحنفُ قدم الكوفة في أيام مصعب بن الزبير ، فرآه رجلٌ أعورَ دميًا قصيراً أحنفَ الرجلين ، فقال له : يا أبا بجرٍ ؛ بأي شيء ناخت في الناس ما أرى ؛ فوالله ما أنت بأشرف قومك ، ولا أجودهم ؛ فقال : يا ابن أخي ، بخلاف ما أنت فيه ! قال : وما هو ؟ قال : ترَكِي من أمرِك ما لا يعنيني ، كما عمَّاك من أمرِي ما لا تتركه .

[منصور النمرى]

اجتمع الشعراء بباب المعتصم فبعث إليهم : مَنْ كان منكم يُحْسِنُ أن يقول
مثل قول منصور النمرى في أمير المؤمنين الرشيد :

المعتصم
ومحمد بن وهيب
الشاعر

(١) في رواية « وطيب الدعاء » (م) (٢) وهنت : ضعفت (م)

(٣) أسديتها : أعطيتها ومنحتها ، والجرائر : جمع جريرة ، وهي الجريمة ،

والخطيئة ، والذنب (م)

إِنَّ الْمَكَارِمَ وَالْمَعْرُوفَ أودية أحلكَ اللهُ منها حيثُ تجتمعُ
إذا رفعتُ أمراً فاللهُ رافعُهُ ومن وضعتُ من الأقسامِ متّضعُ
من لم يكن بأمينِ اللهِ معتصماً فليس بالصلواتِ الخمسِ ينتفعُ
إن أخلف الغيثُ لم تخلفِ أناملُهُ أو ضاقُ أمرٌ ذكرناه فيتسعُ

فليدخل ، فقال محمد بن وهيب : فينا من يقولُ خيراً منه ، وأنشد :

ثلاثةٌ تشرقُ الدنيا بهيجتهم شمسُ الضحى وأبو إسحاق والقمرُ
يحكي أفاعيله في كل نائبةٍ الغيثُ والليلُ والصمصامةُ الذِّكرُ

فأمر بإدخاله وأحسن صلته .

أخذ معنى البيت الأول من بيتي محمد بن وهيب أبو القاسم محمد بن هانيء

الأندلسي :

للمدنفان من البرية كلها قلبي وطرفُ بابليٍّ أخورٌ (١)
والمشرقات البيراتُ ثلاثةٌ الشمسُ والقمرُ المنيرُ وجعفرُ

وبيت أبي القاسم [الأول] مأخوذ من قول ابن الرومي :

يا عليلاً جعل العيلة مفتاحاً لسقمي

ليس في الأرض عليلٌ غير جفنيك وجسيمي

ومر النمرى بالعتابي مغموماً فقال : مالك ، أعزك الله ؟ فقال : امرأتى بطلقي (٢) منصور النمرى
والعتابي

منذ ثلاث ونحن على يأسٍ منها . فقال له العتابي : وإنّ دواءها منك أقربُ من

وجهها ، قل : هارون الرشيد ، فإن الولدَ يخرج ! فقال : شكوت إليك ما بي ،

فأجبتني بهذا ؟ فقال : ما أخذت هذا إلا من قولك :

إن أخلف الغيثُ لم تخلفِ أناملُهُ أو ضاقُ أمرٌ ذكرناه فيتسعُ

(١) المدنفان : مثني مدنف ، وهو اسم مفعول من «أذنه المرض» أي أضعفه

والطرف بـ بالفتح - أراد به العين ، والبابلي : للنسب إلى بابل ، وهي بلد

السحر ، وهم يصفون عيون الغواني بالفتور . كما يصفونها بأنهن تفعل بالأبواب ما لا يفعل

السحر (م) (٢) كذا ، وأحسب أن أصلها « امرأتى تطلق » أي يأتها الخاض

وهو وجع الولادة ، ولما في الأصول وجه (م)

وأبيات منصور بن سلمة بن الزبرقان النمرى التى ذكرها المعتصم من قصيدة له وهى أحسن ما قيل فى الشيب أولها :

ما تنقضى حَسْرَةٌ منى ولا جَزَعُ إذا ذكرتُ شباباً ليس يُرْتَجَعُ
 بانَ الشبابِ وفاتتني بغرَّتِه خطوبُ دَهْرٍ وأيامٌ لها خُدَعُ^(١)
 ما كنتُ أو فى شبابي كُنه غِرَّتِه حتى انقضى فإذا الدنيا له تبعُ
 تعجبتُ أن رأيتُ أسرابَ دمعتِه فى حلبة الخدِّ أجراها حشَى وجِعُ
 أصبحتُ لم تطعمي شُكْلَ الشبابِ ولم تَشجِيْ بَعْصَتِه فالعُذْرُ لا يَبْعُ
 لا ألحينَ فساتي غيرَ كاذبِه عين الكذوبِ فى وُدِّ كم طمَعُ
 ما واجه الشيبَ من عَيْبٍ وإن ومِقتُ إلا لها نَبْوَةٌ عنه ومُرْتَدَعُ^(٢)
 إني لم اعترف ما فى من أربِ عند الحسانِ فما للنفسِ تَنخَدَعُ
 قد كذبتُ تقضى على فَوْتِ الشبابِ أَسَى لولا تعزيبك أن الأمرَ منقطعُ

وذُكر أن الرشيد لما سمع هذا بكى ، وقال : ما خير دنيا لا تحظر فيها ببرد

الشباب ! وأنشد متمثلاً :

أَتأملُ رَجْعَةَ الدنيا سَفَاهًا وقد صار الشبابُ إلى ذهابِ
 فليت الباكياتِ بكلِّ أرضٍ مُجمَعِنَ لنا فنُحْنِ على الشبابِ

وكان الرشيد يقدم منصوراً النمرى بجمود شعره ، ولما يمت إليه من النسب من العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه ، وكانت نثيلة أم العباس من النمر بن قاسط ؛ ولما كان يُظهر من الميل إلى إمامة العباس وأهله ، والمنافرة لآل على رضى الله عنه يقول :

بني حسن وقل لبني حُسينِ عليكم بالسدادِ من الأمورِ
 أميطوا عنكم كذبَ الأمانى وأحلاماً يعيدنَ عِداةَ زورِ^(٣)

(١) غرة الشباب : غفلته وسهوه ، والخدع : جمع خدعة : وهى ما تنخدع به (م)

(٢) ومقت : ودت وأحبت ، والمرتدع : الارتداع والانتزاج (م)

(٣) أميطوها عنكم : أبعدوها عنكم (م)

تقديم الرشيد
 للنمرى
 وأسبابه

تَسْمَوْنَ النَّسَبِيَّ أَبَا وَيَّابِي مِنْ الْأَحْزَابِ سَطْرٌ فِي سَطُورٍ
 يَرِيدُ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ). وهذا إنما نزل في
 شأن زيد بن حارثة ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تبنَّاه ، فقال له الرشيد :
 ما عدوتَ ما في نفسي ، وأمره أن يدخلَ بيتَ المالِ فيأخذَ ما أحبَّ .

وكان يضمير غير ما يظهر ، ويصدق الرِّفْضُ ، وله في ذلك شعر كثير لم يَظْهَرَ النُّمْرِيُّ رَافِضِيًّا
 إِلَّا بَعْدَ مَوْتِهِ ، وَبَلَغَ الرَّشِيدُ قَوْلَهُ :

آلُ النَّبِيِّ وَمَنْ يُحِبُّهُمْ يَتَطَامَنُونَ مَخَافَةَ الْقَتْلِ
 مِنْ أُمَّةِ التَّوْحِيدِ فِي أَزْلِ (١)
 إِلَّا مَصَّالَتْ يَنْصُرُونَهُمْ بَطْبًا الصَّوَارِمَ وَالْقَنَا الذُّبْلَ (٢)

فأمر الرشيد بقتله [وكان حينئذ برأس العين] ، فمضى الرسولُ فوجده قدمات
 فقال الرشيد : لقد هممت أن أنبش عظامه فأحرقها . وكان يُبْلِغُ في مدحه لهرون ،
 وإنما يريد قول النبي صلى الله عليه وسلم لعليٍّ رضوان الله عليه : أنت مني بمنزلة
 هرون من موسى . وقال الجاحظ : وكان يذهب أولاً مذهب الشُّرَاة (٣) ، فدخل
 الكوفة وجلس إلى هشام بن الحكم الرافضي وسمع كلامه ، فانتقل إلى الرِّفْضِ ،
 وأخبرني مَنْ رآه على قبر الحسين بن علي رضي الله عنهما يمشد قصيدته التي يقول فيها :

فَمَا وَجَدْتَ عَلَى الْأَكْتافِ مِنْهُمْ وَلَا الْأَقْفَسَاءَ آثَارُ النَّصُولِ (٤)
 وَلَكِنَّ الْوَجُوهَ بِهَا كَلُومٌ وَفَوْقَ حُجُورِهِمْ مَجْرَى السَّيُولِ
 أَرِيْقُ دَمَ الْحُسَيْنِ وَلَمْ يَرَأَوْا وَفِي الْأَحْيَاءِ أَمْوَاتُ الْعُقُولِ
 فَذَتْ نَفْسِي جَيْبِنَكَ مِنْ جَيْبَيْنِ جَرَى دَمُهُ عَلَى خَدِّ أَسِيلِ
 أَيْخَلُو قَلْبُ ذِي وَرَعٍ وَدِينِ مِنْ الْأَحْزَانِ وَالْأَلَمِ الطَّوِيلِ

(١) الأزل : الشدة والضيق (م) (٢) المصالت : جمع مصلت ، وهو المقدم
 الشجاع ، والظبا : جمع ظبة ، وهي حد السيف ، والصوارم : السيوف واحدها
 صارم (م) (٣) الشُرَاة : الخوارج ، سموا أنفسهم بذلك لأنهم زعموا أنهم شروا
 أنفسهم بأن لهم الجنة ، والروافض : فرقة من الشيعة (م)
 (٤) يريد أنهم لا يفرون فيقع الطعن في ظهورهم (م)

وقد شَرِقت رِمَاحُ بنى زيادٍ برىٍّ من دماءِ بنى الرسولِ^(١)
 بتريةِ كَرٍّ بلاءٍ لهم ديارٌ نيامُ الأهلِ دارِسةِ الطُّلولِ
 فأوصالِ الحسينِ ببطُنِ قاعٍ ملاعبُ للدَّبُورِ وللقبولِ
 تحياتٌ ومغفرةٌ وروحٌ على تلكِ المحلةِ والحلولِ^(٢)
 برننا يارسولَ اللهِ من أصابك بالأذيةِ والدُّحُولِ^(٣)

[ابنا المعذل]

وقال أحمد بن المعذل :

أحمد

بن المعذل

أخو دَافٍ رَمته فأفصدتهُ سِهَامٌ من جفونِكَ لا تَطِيشُ
 كئيبٌ إن ترخَّلَ عنه جيشٌ من البَلوى أَمٌّ به جِيوشُ

وكان أحمد بن المعذل بن غيلان العبدى فى اللغة والبيان والأدب والحلاوة غايةً .

قال : دخلتُ المدينة فتحملت على عبد الملك بن الماحشون برجل ليخصني

ويعنى بى ، فلما فاتحنى قال : ما تحتاجُ أنت إلى شفيع ، معك من الخداء والسقاء
 ما تأكلُ به لبَّ الشجر ، وتشرب صقو الماء .

وكان أخوه عبد الصمد يؤذيه ويهجوّه ، فكتب إليه احمد : أما بعدُ

فإنَّ أعظمَ المكروه ما جاء من حيث يُرجى المحبوب ، وقد كنت مؤملاً

مرجواً ، حتى شمل شرك ، وعمَّ أذاك ، فصرت فيك كأبى العاق : إن عاش

نقصه ، وإن مات نقصه ، واعلم لقد خسنت صدرَ أئح جيبه لك ناصح ، والسلام .

وكان يقول له : أنت كالأصبع الزائدة : إن تركت شانت ، وإن

قطعت آلمت !

ومثلُ هذا قولُ النعمان بن شمر الغساني :

(١) شرقت الرماح بدمائهم : كناية عن كثرة ما أسالته منها (م)

(٢) المحلة : الموضع الذى يحلون به ، والحلول : جمع حال (م)

(٣) الدحول : جمع ذحل ، وهو الوتر (م)

بين أحمد

وأخيه

وصَالَ أبا بريدٍ عَنَاءً ، وتركه
 إذا زُرته يومين ملَّ زيارتي
 وقول الضحاك بن همام الرقاشي :
 وأنتَ امرؤٌ منا خلقتَ لغيرنا
 وأنتَ على ما كان منك - ابنُ حريرة
 وفيك خصالٌ صالحاتٌ يَشِينُهَا
 وقال بعضُ المحدثين :

إذا ساءنى في القولِ والفعلِ جاهداً
 فيأليتَ شِعْرِي ما يعاملنى به
 وفي كلِّ حالٍ مَنْ أحبُّ وأمحصُ^(١)
 على كلِّ ذنبٍ مَنْ أعادى وأبغضُ

أخذ أحمد بن
 المذلل للصلاة

وقال أبو العباس المبرِّد : وكان أحمد بن المذلل من الأبهة ، والتمسك بالمنهاج ،
 والتجنبُ للعبث ، والتعرضُ للإشفاقِ لما في^(٢) أيدي الناس ، وإظهار الرُّهْدِ فيه ،
 والتباعد عنه ، على غاية ، حتى حُمِلَ في فقهائه وأدبائه من أهل البصرة ؛ فأخذَ
 الصلاةَ غيرَ مُتَمَتِّعٍ ولا مُنْكَرٍ . ووصله إسحاق بن إبراهيم قبيل ، واستدعى اجْتِباؤه
 إياه ، وتحمَّلَ له جهده ، فقال عبد الصمد :

عذيري من أخٍ قد كان يُبْدي
 وكان يذمهم في كلِّ يوم
 فلمَّا أن أتته دُرِيهَمَاتُ
 وقال فيه :

لي أخٌ لا تَرَى له
 أجمعُ الناسِ كلِّهم
 سبائلاً غيرَ عاتِبٍ
 للثيمِ المذاهِبِ

(١) من أحب : هو فاعل «ساءنى» (م) (٢) للإشفاق : هو مفعول لأجله
 وأصل الكلام : والتعرض لما في أيدي الناس لأجل الإشفاق (م)

دون معرروفِ كَفِّهِ لَمَسُ بَعْضِ الْكُؤَاكِبِ
 لَيْتَ لِي مِنْكَ يَا أُخِي جَارَةً مِنْ مُحَارِبِ
 نَارَهَا كُلَّ شَتْوَةٍ مِثْلُ نَارِ الْحُبَّاحِبِ

* * *

القطامي يهجو
 امرأة من
 محارب
 ذهب إلى قول القطامي ، وقول القطامي من خبيث الهجاء ، وكان نزل
 بامرأة من محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ، فذم مشواه
 عندها ، فقال :

وَإِنِّي وَإِنْ كَانَ الْمَسَافِرُ نَازِلًا
 فَلَا بَدَّ أَنْ الضَّيْفُ يُخْبِرُ مَا رَأَى
 لِمَخْبَرِكِ الْأَنْبَاءِ عَنْ أُمَّ مَنْزِلِ
 تَلَفَعْتَ فِي طَلِّ وَرِيحِ تَلْفُئِي
 إِلَى حَيْزَبُونَ تُوْقِدُ النَّارَ بَعْدَمَا
 تَصَلِّي بِهَا بَرْدَ الْعِشَاءِ وَلَمْ تَكُنْ
 [فَمَا رَاعِيهَا إِلَّا بَغَامَ مَطِيطِي
 فَجُنَّتْ فَنَوْنًا مِنْ دِلَاثِ مُنَاخَةٍ
 سَرَى فِي حَلِيكِ اللَّيْلِ حَتَّى كَأَنَّهَا
 تَقُولُ وَقَدْ قَرَّبْتُ كُؤْرِي وَنَاقِي
 فَسَلَّمْتُ وَالتَّسْلِيمُ لَيْسَ بِسَرُّهَا
 فَرَدَّتْ سَلَامًا كَارِهًا ثُمَّ أَعْرَضَتْ
 فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْحَدِيثَ سَأَلْتُهَا
 وَإِنْ كَانَ ذَا حَقٍّ عَلَى النَّاسِ وَاجِبِ
 مُخَبَّرِ أَهْلِ أَوْ مُخَبَّرِ صَاحِبِ
 تَضَيَّقَتْهَا بَيْنَ الْعُذِيبِ فِرَاسِبِ
 إِلَى طَرْمَسَاءِ غَيْرِ ذَاتِ كُؤَاكِبِ (١)
 تَلَفَعَتْ الظَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ جَانِبِ (٢)
 تَحَالُّ وَمِيضِ النَّارِ يَبْدُو لِلرَّكَّابِ
 تَرِيحٍ بِمَحْسُودٍ مِنَ الصَّوْتِ لِأَغْبِ (٣)
 وَمِنْ رَجُلٍ عَارِي الْأَشَاجِعِ شَاحِبِ (٤)
 تَحْزَمُ بِالْأَطْرَافِ شَوْكُ الْعُقَارِبِ
 إِلَيْكَ ، فَلَا تَدْعُرْ عَلَيَّ رَكَائِبِي
 وَلَكِنَّهُ حَقٌّ عَلَيَّ كُلِّ جَانِبِ
 كَمَا انْحَاشَتْ الْأَفْعَى مَخَافَةَ ضَارِبِ
 مَنِ الْحَيِّ؟ قَالَتْ : مَعْشَرٌ مِنْ مُحَارِبِ

(١) الطرمساء : الظلمة الشديدة (م) (٢) الحيزبون : العجوز .

(٣) بغام مطيطي : صوتها (م) (٤) الدلاث : السريع من النوق والجمال وغيرها (م)

من المشتون القدّ مما ترأهم جيا عاوريف الناس ايس بناضيب
 فلما بدا حرمانها الضيف لم يكن على مبيت سوء ضربة لأزب
 وقمت إلى مهريّة قد تعودت يداهاور جلاها حيث المرآكب
 إلا إنما نيران قيس إذا شتوا لطارق ليل مثل نار الحباحب
 ومحارب : قبيلة منسوبة إلى الضعف ، وقد ضربت العرب بها المثل . قال

الفرزدق لجرير :

وما استمهد الأقوام من زوج حرق
 من الناس إلا منك أو من محارب
 أى يأخذون العهد عليه أنه ليس من كليب ولا من محارب .
 وقال أبو نواس فى قصيدته التى فخر فيها باليمانية وهجا قبائل معدّ :
 وقيس عيلان لا أريد لها من الخازى سوى محاربها

وكانت أم عبد الصمد بن المعتز طباحةً ، فكان أحمد يقول إذا بلغه هجاؤه : أم عبد الصمد
 ما عسيت أن أقول فيمن أُلحح بين قدر وتنور ، ونشأ بين زق وطنبور^(١) ؟ وعبد الصمد ابن المعتز
 شاعر أهل البصرة فى وقته ، وهو القائل :

تكلّفنى إذلالَ نفسى لعزّها وهان عليها أن أهانَ لتكرما
 تقول : سل المعروف يحيى بن أكرم فقلت : سليه ربّ يحيى بن أكرم

قال أبو شعراة القيسى : كنت فى مجلس العتبي مع عبد الصمد بن المعتز ، لأبى حكيم
 فتذاكرنا أشعار المولدين فى الرقيق ، فقال عبد الصمد : أنا أشعر الناس فيه وفى فى الرقيق
 غيره ، فقلت : أحذق منك والله بالرقيق الذى يقول ، وهو راشد بن إسحاق
 أبو حكيم الكوفى :

(١) الزق : أراد به الحجر ، والطنبور : من آلات اللهو ، يعنى أنه ردىء

اللقحة سىء التنشئة ، فلن يخرج إلا نكداً (م)

ومستوحش لم يُمس في دار غربة
طواه الهوى واستشعر الوصل غيره
سلام على الدار التي لا أزورها
وإن حجت عن ناظري ستورها
هوى تصحك اللذات عند حضوره
تثني به الأعطاف حتى كأنه
لم ترصمتي حين يجري حديثه
رضيت بسعى الدهر بيني وبينه
أحاذر إن واصلمته أن ينالني
أرى دون من أهوى عيوناً تريني
أداري جليسي بالتجلد في الهوى
وأخبر عنه بالذي لأحبه
مخافة أن تغري بنا ألسن العدا
كأن مجال الطرف في كل ناظر
أرى خطرات الشوق يبكين ذا الهوى
وكم قد أذل الحب من متمتع
وإن خضوع النفس في طلب الهوى
فلم ينطق بحرف .

ولأبي شراعة يمدح بني رياح :

لأبي شراعة

بني رياح أعاد الله نعمتكم
خير المعاد وأسقى ربكم ديماً^(٢)

(١) شطت : بعدت . ونواه : بنته ، أو بعده ، وهم يستنون الفعل إلى مصدره
فيقول : جد جده ، وشعر شعره (م) (٢) الديم : جمع ديمة ، وهو المطر الدائم (م)

فكم به من قتي حوشمائله^١ يكادُ ينهلُ من أعطافه كرمًا
لم يلبسوا نعمةً لله مُدُّ خلقوا إلاَّ تلبسها إخوانهم - نعمًا

لابن المعدل
في إبراهيم
بن رباح

وفي إبراهيم بن رباح يقول عبد الصمد بن المعدل :

قد تركت الرياح يابن رباح وهي حَسْرَى إن هبَّ منها نسيم
نهكت مالكَ الحقوق فأضحى لك مالٌ نِضْوٌ وفعلٌ جَسِيمٌ^(١)

وكان عبد الصمد [بن المعدل] متصلًا بإبراهيم وبنيه ، وأفاد منهم أموالًا
جليلة ، واعتقد عقدا نفيسة ، فما شكر ذلك ولا أصحبه بما يجب عليه من الثناء
عند نكبتته ، وكان الواثق عزَّ له عن ديوان الضياع ، ودفعه إلى عمر بن فرج
الرخجى ، فخبسه فهجاه عبد الصمد .

صفات
عبد الصمد
بن المعدل

قال أبو العباس محمد بن يزيد^(٢) : وكان عبد الصمد شديد الإقدام على
ردىء السرية فيما بينه وبين الناس ، خبيث النية ، يرصد صديقه بالمكروه ،
تقديرًا أن يعاديه فيسوءه بأمرٍ يعرفه ؛ ولا يكاد يسلم لأحد ، وكان مشهورًا في
ذلك الأمر ، يُلبس عليه^(٣) ، ويحمل على معرفة ، عجبًا بظرف لسانه ، وطيب
مجلسه ، وأيضًا لقبُح مسبته ، وشائن معرفته .

قال أبو العيناء : ولما حبس الواثق إبراهيم بن رباح ، وكان لى صديقًا ، صنعتُ
له هذا الخبر رجاء أن ينتهى إلى أمير المؤمنين فينتفع به ، فأخبرنى زيد بن على
ابن الحسين أنه كان عند الواثق حين قِيء عليه فضحك واستظرفه . وقال : ما صنع
هذا كله أبو العيناء إلا في سبب إبراهيم بن رباح ، وأمر بتخليته ، والخبر : قال
لقيتُ أغرابيا من بنى كلاب فقلت له : ما عندك من خبر هذا الصكر ؟ فقال :
قتل أرضا عالمها ، قال : فقلت : فما عندك من خبر الخليفة ؟ قال : بئح بعزه ، وضرب

(١) نهكته : اتت عليه واجتاحته ، والنضو - بالكسر - الضعيف السقيم (م)

(٢) هو المراد (م) (٣) يلبس عليه . أى يخالطه الناس مع علمهم به (م)

بجرائنه، وأخذ الدرهم من مصره، وأرھف قلم كل كاتب بجبايته . قلت : فما عندك في أحد بن أبي ذؤاد؟ قال : عضلة^(١) لا تطاق، وجندلة لا ترام، ينتحى بالمدي لتحره فيجور، وتنصب له الجبال حتى تقول : الآن، ثم يضبر^(٢) ضبرة الذئب، ويخرج خروج الضب، والخليفة يحنو عليه، والقرآن آخذ بضبعيه . قلت : فما عندك في عمر بن فرج؟ قال : ضخم حضجر^(٣)، غضوب هزبر . قد أهدفه القوم لبغيم، وانتضوا له عن قسيهم، وأخر له بمثل مصرع من مصرع . قلت : فما عندك في خير ابن الزيات؟ قال : ذلك رجل وسع الورى شره، وبطن بالأمور خيره . فله في كل يوم صريع، لا يظهر فيه أثر ناب ولا مخلب، إلا بتسديد الرأي . قلت : فما عندك في خير إبراهيم بن رياح؟ قال : ذاك رجل أوقفه كرمه، وإن يفز للسكرام قدح، فأحر بمنجاته، ومعه دعاء لا يخذله، ورب لا يسلمه، وفوقه خليفة لا يظلمه . قلت : فما عندك في خير نجاح بن سلمة؟ قال : لله دره من ناقض أوتار، يتوقد كأنه شعله نار، له في الفينة بعد الفينة، عند الخليفة خلصة كخلصة السارق، أو لحسوة الطائر، يقوم عنها وقد أفاد نعمًا، وأوقع تهما . قلت : فما عندك في خير ابن الوزير؟ قال : إخاله كبش الزنادقة، ألا ترى أن الخليفة إذا أهمله خضم وررع، وإذا أمر بتقصيه أمطر فأمرع . قلت : فما عندك من خير الخصيب أحمد؟ قال : ذاك أحق، أكل أكلة نهم، فاختلف اختلاف بشم . قلت : فما عندك في خير المعلبي بن أيوب؟ قال : ذاك رجل قد من صخرة، فصنبره صبرها، ومسه مسها، وكل ما فيه بعد فمنها ولها . قلت : فما عندك من خير أحمد بن إسرائيل؟ قال : كتوم غرور^(٤)، وجلد صبور، رجل جلد جلد نمر، كلما خرقوا له إهابا، أنشأ الله له إهابا . قلت : فما عندك من خير الحسن بن وهب؟ قال : ذاك رجل اتخذ السلطان أخًا،

(١) العضلة - بالضم - الداهية (م)

(١) يضبر ضبرة : يثبت وثبة . وفي نسخة « يظفر ظفرة » (م)

(٣) الحضجر : عظيم البطن، والهزبر : الأسد، ووزنهما واحد (م)

(٤) في نسخة « غدور » (م)

فاتخذهُ السلطانُ عبداً ، قال : قلت : فما عندك من خبر أخيه سليمان بن وهب ؟
قال : شدَّ ما استوفيتَ مسألتك أيها الرجل ! ذاك حرمة حبست مع صواحباتها
في جريرة محرمة ، ليس من القوم في وِردٍ ولا صدَرٍ ، هيهات :

كَتَبَ القتلُ والقتالُ علينا وعلى الغانيات جرُّ الذبول

قال : قلت : فما عندك من خبر عبد الله بن يعقوب ؟ قال : أمواتٌ غير
أحياء ، وما يشعرون أَيَّانَ يبعثون .

قلت : فأين نزلت فأوَمَّك ؟ قال : مالى نزل تأمُّه . أنا أستترُ في الليل إذا
عَسَسَ^(١) ، وأتشرُ في الصبح إذا تنفَّس .

ومن مליح شعر راشد بن إسحاق بن راشد، وهو أبو حُكَيْمَة، وكان قَوِيًّا
من شعر راشد
ابن إسحاق
ابن راشد
أشْر الشعر :

تَحِيْرْتُ في أَمْرِي وإني لواقف
أَعْزَمُ عَزْمَ اليأسِ فالموتُ راحةٌ
وإني وإن أعرضت عنك لَمُنْطَوِّ
إذا هاج شوقى مثلتك لى المني
فديتك لم أصبر ولى فيك حيلةٌ
تصَبَّرْتُ مغلوباً وإني لموجعٌ
وقال :

عَتَبْتُ عَلَيْكَ في قطع العتابِ فما عَطَفْتِكَ أَسْفَةَ العتابِ

(١) أخذه من قوله تعالى : (والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس) في سورة
التكوير وعسعس الليل : أقبل ظلامه ، أو أدبر ، ضد (م)
(٢) أجيل وجوه الرأى : أديرها ليظهر لى الصواب (م)

وفيا صرت تظهر لي دليل
وما خطرت دواعي الشوق إلا
على عتب الضمير المستراب
هزرت إليك أجنحة التصابي
وقال أيضاً :

ضحكت ولو تذرني ما بي من الهوى
لمن لم ترح عيناه من فيض عبرة
بكيت لحزون الفؤاد كئيب
ولا قلبه من زفرة ونحيب
غريب الهوى باك لكل غريب
وما كان من حُسن هناك وطيب
وإلى يدعونا الصبا فنحيه
نزدد مستور الأحاديث بيننا
فبدل منها مشهد بمغيب
إلى أن جرى صرف الحوادث في الهوى

وله مذهب استفرخ فيه أكثر شعره، صُنّت الكتاب عن ذكره .

[عبد الملك بن صالح]

دعا الرشيد بعبد الملك بن صالح - وكان معتقلاً في حبسه - فلما مثل بين يديه
التفت إليه ، وكان يحدث يحيى بن خالد بن برمك وزيره ، فقال متمثلاً :
أريد حياته ويريد قتيلى عذيرك من خليلك من مراد^(١)
ثم قال : يا عبد الملك ، كأنى أنظر إلى شؤبوبها^(٢) قد همع ، وإلى عارِضها قد
أمع ، وكأنى بالوعيد قد أورى^(٣) ، بل أذى ، فأبرز عن راجم بلا معاصم^(٤) ، ورءوس
بلا غلاصم ، فهلاً بنى هاشم ، فبي والله سهل لكم الوعر ، وصفا لكم الكدر ،
وأقت إليكم الأمور أثناء أزمتها ، فنذار لكم نذرا قبل حلول داهية خبوط باليد
والرجل ، فقال عبد الملك : أفذاً أتكلم أم توأماً ؟ قال : بل فذاً ، قال : أتق

(١) عذيرك : أى اطلب من يعذرك (م)

(٢) الشؤبوب : الدفعة من المطر (م)

(٣) من قولهم «أورى الزند» إذا قدحته فأخرج ناراً (م)

(٤) البراجم : الأصابع (م)

الله يا أمير المؤمنين فيما ولّاك ، واحفظه في رعاياك الذي استرعاك ، ولا تجعل الكفر بموضع الشكر ، والعقاب بموضع الثواب ، فقد والله سَهَمْتَ لك الوعور ، وجمعت على خوفك ورجائك الصدور ، وشددت أواخِي ملسك بأوثق من رُكْنِي يَلْمَمَ ، وكنتُ لك كما قال أخو بني جعفر بن كلاب - يعني لييدا :

ومقامٍ ضَيِّقٍ فَرَجْتُهُ بلسانٍ وبيّانٍ وجَدَلُ

لويقومُ الفيلُ أو فيأله زَلَّ عن مثلٍ مقامِي وزَحَلُ

فأعاده إلى مجلسه^(١) ، وقال : لقد نظرتُ إلى موضع السيف من عاتقه مراراً ،

فيمنعني عن قتله إقبائي على مثله .

[مدح الحقد وذمه]

عبد الملك
يتمدح الحقد

وأراد يحيى بن خالد أن يضع من عبد الملك ليرضى الرشيد ، فقال له : يا عبد الملك ، بلغني أنك حَقُود ! فقال عبد الملك : أيها الوزير ، إن كان الحقد هو بقاء الشر والخير ، إنهما لباقيان في قلبي ! فقال الرشيد : تالله ما رأيتُ أحداً احتجَّ للحقد بأحسن مما احتجَّ به عبد الملك .

وقد مدح ابن الرومي الحقد ، وأخذ هذا المعنى من قول عبد الملك ، وزاد فيه ؛ لابن الرومي

فقال لعاب عابه بذلك :

لئن كُنْتُ في حَفْظِي لما أنا مُودَعٌ من الخير والشر انتحيت على عرضي
لَمَّا عِبْتَنِي إلا بفضل إبانة وربّ امرئ يزري على خلقي محض^(٢)
ولا عيب أن تُجْزَى القروضُ بمثلها بل العيب أن تدان دينا ولا تقضى
وخيرُ سحيات الرجال سجية توفيك ما سدى من القرص بالقرض
إذا الأرض أدت ربيع ما أنت زارعٌ من البذر فيها فهي ناهيك من أرض

(١) قد يكون الصواب «فأعاده إلى محبسه» (م)

(٢) في ديوانه «لما عبتني بما ليس عائي *وكم جاهل يزري...» وأزري عليه :

عابه (م)

ولولا الحقودُ المستكنات لم يكن
وما الحقْدُ إلاتوأم الشكر في الفتى
لينةقض وترأ آخر الدهر ذو نقض
فم تری حقدًا على ذی إساءة
وقال یردّ علی نفسه، ویدم ما مدح، توسعًا واقتدارًا :

يا مادحِ الحقْدِ محتالا له شهبًا
إنّ القبيح وإن صنعت ظاهره
لقد سلكت إليه مسلكا وعنا
يعودُ ما لم منه مرة شعنا^(١)
كم زخرَف القول ذو زور ولبسه
قد أبرم الله أسباب الأمور معاً
يادافنِ الحقْدِ في ضغنى جوانبه
الحقد داءٌ دويٌّ لا دواء له
فاستشف منه بصفحٍ أو معاتبه
واجمل طلابك بالأوتار ما عظمت
فالعفو أقربٌ للتقوى وإن جُرْمُ
يكفيك في العفو أن الله قرظه
شهدت أنك لو أذنبت ساءك أن
إذا وسرّك أن تلقى الذنوب معاً
إني إذا خلط الأرقام صالحهم
جعلت قلبي كظرف السبك حينئذ
ولستُ أجعله كالحوض أمدحه
لقد سلكت إليه مسلكا وعنا
يعودُ ما لم منه مرة شعنا^(١)
على القلوب ولكن قل ما لبنا
فلن ترى سبباً منهن متسكنا^(٢)
ساء الدفين الذي أضحت له جدنا
يرى الصدور إذا ما جمره حرثا
فإنما يبرىء المصدور ما نفثا
ولا تكن بصغير القول مكثرتا
من مجرم جرح الأكياد أو فرثا
وخياً إلى خير من صلى ومن عبثا
تلقى أخاك حقوداً صدره شرثا
وأن تصادف منه حانبا دميثا
بسيء الفعل جدًا كان أو عبثا
يستخلص الفضة البيضاء لا الخبيثا
بحفظ ما طاب من ماء وما خبيثا

والبيت الذي تمثل به الرشيد هو لعمر بن معد يكرب يقوله لقيس بن

(١) صنعت ظاهره : زينته وحسنه ، من قولهم « صنع الجارية » إذا أحسن

إليها حتى سميت (م) (٢) متسكنا : منقوضا (م)

المكشوح المرادى ، وقد تمثل به على بن أبي طالب رضى الله عنه لما رأى عبدالرحمن ابن مُلجَم المرادى فقال له : أنت تخضب هذه من هذه، وأشار إلى لحيته ونُقِرته (١).
ف قيل له : يا أمير المؤمنين ، ألا تقتله ! فقال : كيف يقتلُ المرءُ قاتله ؟

بين مسلمة
ابن عبدالملك
والعباس
ابن الوليد

وكان بين مسلمة بن عبد الملك وبين العباس بن الوليد تباعد، فبلغ العباس أن مسلمة ينتقصه ، فكتب إليه يقول :

ألا تَتَقَى الحياءَ أبا سعيدٍ وتَقصِرُ عن مُلاحاتى وَعَدَلِي
فلولا أنَّ فرَّعتك حين تُنمى وأصلك منتهى فرعى وأصلى
وأى إن رميتك هِضت عَظْمِي ونالتنى إذا نالتك نَبلى
لقد أنكرتني إنكارَ خوفٍ يَضُمُّ حشاك عن شمتى وأسْلى
فكم من سَورةٍ أبطأتَ عنها بنى لك مجدَها طابى وحَفلى
ومُهمة عييتَ بها فأبدى عوىلى عن مخارجها وفَضلى
كقول المرءِ عمرو في القوافى لِقيسٍ حين خالف كلَّ عَدلى
عذيرى من خليلى من مرادٍ أريدُ حياتَه ويريدُ قَتلى

لم يتفق له في القافية كما قال عمرو ، فغيره .

[رَجِعْ إلى عبد الملك بن صالح]

من أخبار
عبد الملك
ابن صالح

وعبد الملك هذا هو ابن صالح بن على ، وكان بليغاً جهوريماً فاضلاً عاقلاً .
وقال الجاحظ : قال لى عبدالرحمن مؤدب عبدالملك بن صالح : قال لى عبدالملك ،
بعد أن خصنى وصيرنى وزيراً بدلاً من قُمامة : يا عبد الرحمن ، انظر فى وجهى ؛
فأنا أعرفُ منك بنفسك ولا تُسعدن على ما يقبح ؛ دع [عنك كيف الأمير؟] ،
وكيف أصبح الأمير؟ وكيف أمسى؟ واجعل مكان التقريظ حُسن الاستماع

(١) فى نسخة «ونهرته» وهى فترة النحر بين الترقوتين ، والنقرة - بالضم أيضاً -

منقطع القمحدوة فى القما (م)

منى ، واعلم أن صواب الاستماع أحسن من صواب القول ، وإذا حدثتكَ حديثاً فلا يفوتتكَ شيء منه ؛ وأراني فهمتكَ في طرفك ؛ إني اتخذتكَ وزيراً بعد أن كنت معلماً ، وجعلتكَ جليساً مقرباً بعد أن كنت مع الضيَّبان مُبَعِّداً ، ومتى لم تعرف نقصان ما خرجت منه لم تعرف رُجْحَان ما صرت إليه .

بين الرشيد

وعبد الملك

وكانا يتساوران

وساير الرشيدُ عبدَ الملك ، فقال له قائل : طأطىء من إشرافه ، واشدُّد من شكائمه ، وإلّا فسَدَ عليك ، فقال له الرشيد : ما يقولُ هذا ؟ قال : حاسدُ نعمة ، ونافس رُتبة ، أغضبه رِضَاكَ عني ، وباعده قُرْبُكَ مني ، وأساءه إحسانُكَ إليّ . فقال له الرشيدُ : انخفض القومُ وعلوتهم ؛ فتوقَّدت في قلوبهم جَمْرَةُ التأنف . فقال عبد الملك : أضرَمَهَا اللهُ بالزَيْدِ عندك ! فقال الرشيدُ : هذا لك وذاك لهم .

اعتذار

عبد الملك

وقد أرتج عليه

وصعد المنبر ، فأرتج عليه فقال : أيها الناس ، إن اللسان بضعة من الإنسان تكلُّ بكلامه إذا كل ، وتنفسح [بانفساحه] إذا ارتجُل ، إن الكلامَ بعد الإخام كالإشراق بعد الإظلام ، وإنا لانسكتُ حصراً ، ولا ننطقُ هذراً ؛ بل نسكتُ مفيدين ، وننطقُ مُرشدين ، وبعد مقامنا مقام ، ووراء أيامنا أيام ، بها فضل الخِطاب ، ومواقع الصواب ، وسأعودُ فأقول ، إن شاء الله تعالى

بين يدي

الرشيد

بعد حبسه

وقال الأصمعي : كنتُ عند الرشيد فدعا بعبد الملك بن صالح من حبسه ، فقال : يا عبد الملك ، أكَفراً بالنعمة^(١) ، وغدراً بالسلطان ، ووثوباً على الإمام ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، بُوتُ بأعباء الندم ، واستحلال النِّمَم ، وما ذاك إلا من قول حاسدٍ ، ناشدتك الله والولاية ، ومودة القرابة . فقال الرشيد : يا عبد الملك ، نَضَعُ لِي لسانك ، وترفعُ لِي جَنَانك ، بحيث يحفظُ اللهُ لِي عليك ، ويأخذ لِي منك ، هذا كتابك قمامة ينيء عن غلِّك^(٢) ، فالتفت عبد الملك إلى قمامة وكان قائماً ، فقال :

(١) كفرا بالنعمة : ججوداً لها وإنكاراً (م)

(٢) غلِّك : حقدك وفساد قلبك (م)

أحَقًّا يَا قَامَةَ ؟ قَالَ : حَقًّا ، لَقَدْرُمْتَ حَتْرٌ^(١) أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ :
وَكَيْفَ لَا يَكْذِبُ عَلَيَّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي غَيْبَتِي مِنْ يَبْهَتَنِي فِي حَضْرَتِي ؟
فَقَالَ الرَّشِيدُ : دَعْ قَامَةَ ، هَذَا ابْنُكَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَنْبِيءُ عَنْكَ بِمَثَلِ خَبَرِ
قَامَةَ ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : إِنْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مَأْمُورٌ أَوْ عَاقٍ ؛ فَإِنْ كَانَ مَأْمُورًا فَهُوَ
مَعْدُورٌ ، وَإِنْ كَانَ عَاقًا فَهُوَ أَتَوْعُّعٌ مِنْ عَقُوقِهِ أَكْثَرَ .

[فِي مَقَامِ الْخُوفِ]

وقال الرشيد للحسن بن عمران وقد أُدْخِلَ عَلَيْهِ يَرْسُفُ فِي قِيُودِهِ : وَلَيْتَكَ
دَمَشَقٌ وَهِيَ جَنَّةٌ مَوْثِقَةٌ ، تَحِيْطُ بِهَا غُدْرٌ كَاللَّجِينِ^(٢) ، فَتَكْفِي عَلَى رِيَاضِ كَالزَّرَابِيِّ ،
وَكَانَتْ بِيُوتَ أَمْوَالٍ فَمَا يَرْجُحُ بِهَا التَّعْدِي ، حَتَّى تَرْكَبَهَا أُجْرَدٌ مِنَ الصَّخْرِ ،
وَأَوْحَشَ مِنَ الْقَفْرِ ! فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا قَصَدْتَ لغيرِ التَّوْفِيقِ مِنْ جِهَتِهِ ،
وَلَكِنِّي وَلَيْتَ أَقْوَامًا تَقَلُّ عَلَى أَعْنَاقِهِمُ الْحَقُّ ، فَتَفْرَعُوا فِي مِيدَانِ التَّعْدِي ،
وَرَأَوْا أَنَّ الْمَرَاغِمَةَ بَتْرَكُ الْعِمَارَةِ أَوْقَعُ بِإِضْرَارِ السُّلْطَانِ ، وَأَنُوهَ بِالشُّعْمَةِ ؛ فَلَا جَرَمَ
أَنَّ مَوْجِدَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَخَذَتْ لَهُمْ بِالْحِطِّ الْأَوْفَرِ مِنْ مَسَاءَتِي ! فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ
ابْنُ مَالِكٍ : هَذَا أُجْرَلُ كَلَامٍ سَمِعَ نَحْنُافَ ، وَهَذَا مَا كُنَّا نَسْمَعُهُ عَنِ الْحِكْمَاءِ
« أَفْضَلُ الْأَشْيَاءِ بِدِيهَةٍ أَمْنٌ وَرَدَّتْ فِي مَقَامِ خَوْفٍ » .

ولما رَضِيَ الرَّشِيدُ عَنْ يَزِيدَ بْنِ مَزِيدٍ دَخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَهَّلَ
لِي سُبُلَ الْكِرَامَةِ بِلِقَائِكَ ، وَرَدَّ عَلَيَّ النِّعْمَةَ بِوَجْهِ الرِّضَا مِنْكَ ، وَجَزَاكَ اللَّهُ فِي
حَالِ سُخْطِكَ حَقَّ الْمُتَثَبِّتِينَ الْمُرَاقِبِينَ ، وَفِي حَالِ رِضَاكَ حَقَّ الْمُنْعَمِينَ الْمُتَعَطِّلِينَ ؛
فَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ - وَهِيَ الْحَمْدُ - تَتَثَبَّتْ [تَحْرَجًا] عِنْدَ الْغَضَبِ ، وَتَتَطَوَّلُ [مَمْتَنًا]
بِالنِّعْمِ ، وَتَسْتَبْقِي الْمَعْرُوفَ عِنْدَ الصَّنَائِعِ تَفْضِيلًا بِالْعَفْوِ .

(١) رمت : أردت ، والحتر : الغدر والخيانة (م)

(٢) اللجين - بضمين - جمع غدیر ، وهو ما احتجته السيل من الماء ، واللجين ،

الفضة (م)

[من الرثاء]

مسلم بن الوليد
في يزيد بن يزيد أحمد السلمي :

قَبْرٌ بِرِزْدَةَ اسْتَسْرَّ ضَرْبُهُ خَطراً تَقَاصَرُ دُونَهُ الْأَخْطَارُ^(١)
نُفِضْتَ بِكَ الْأَحْلَاسُ نَفْضَ إِقَامَةٍ وَاسْتَرْجَعْتَ نَزْاعَهَا الْأَمْصَارُ
فَاذْهَبْ كَمَا ذَهَبَتْ غَوَادِي مُزْنَةٍ أَثْنَى عَلَيْهَا السَّهْلُ وَالْأَوْعَارُ
سَلَكْتَ بِكَ الْعَرَبُ السَّبِيلَ إِلَى الْمَلَا حَتَّى إِذَا سَبَقَ الرَّدَى بِكَ حَارُوا
وَقَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَطِيَّةٍ يَرَى أَخَاهُ :

لمحمد بن
أبي عطية
يرى أخاه

حَنَطْتَهُ يَانْصُرُ بِالْكَافُورِ وَزَقَفْتَهُ لِلْمَنْزِلِ الْمَهْجُورِ
هَلَّا بِيَعُضُ خِصَالِهِ حَنَطْتَهُ فَيَضُوعُ أَفْقُ مَنَازِلِ وَقُبُورِ
وَاللَّهِ لَوْ بَنَسِيمٍ أَخْلَاقَ لَهُ تُعْزَى إِلَى التَّقْدِيسِ وَالتَّطْهِيرِ
حَنَطْتُ مِنْ وَطِيءِ الْحَمَى وَعَلَا الرَّبِي لَتَزُودَ بِلِ عُدَّةً لِلشُّرُورِ
فَاذْهَبْ كَمَا ذَهَبَ الشَّبَابُ فَإِنَّهُ [قَدْ كَانَ خَيْرَ مُجَاوِرٍ وَمُجِيرِ]
[وَاذْهَبْ كَمَا ذَهَبَ الْوَفَاءُ فَإِنَّهُ] عَصَفَتْ بِهِ رِيحًا صَبَاً وَدُبُورِ
وَاللَّهِ مَا أَتْبَذْتَهُ لِأَزِيدِهِ شَرْقاً وَلَكِنْ نَفْثَةً لِلْمَصْدُورِ

ومات رجل من العرب كان يعول اثنى عشر ألفاً، فلما حمل على سريره
صراً، فقال بعض من حضر:

لأعرابي
يرى أعرابيا

وَلَيْسَ صَرِيرُ النِّعَشِ مَا تَسْمَعُونَهُ وَلَكِنَّهُ أَصْلَابُ قَوْمٍ تَقْصَفُ^(٢)
وَلَيْسَ فَتِيقُ الْمَسْكِ مَا تَجِدُونَهُ وَلَكِنَّهُ ذَلِكَ الثَّنَاءُ الْخَلْفُ

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَزِ فِي عَمِيدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ وَهْبٍ يَرِيهِ :

لابن المعتز

يَابْنَ وَهْبٍ بِالْكَرْهِ مَنِّي بَقِيْتُ عَجْبِي يَوْمَ مَتَّ كَيْفَ حَيِّتُ

(١) في الأماالي (٢٧٦/١) «قبر بلحوان استسر» واستسر: أخفى وستر (م)

(٢) الصرير: الصوت، وصر: صوت، وتقصف: أصله تقصف، ومعناه

تسكس وتتحطم (م)

إِنَّمَا طَيِّبُ النَّوَاءِ الَّذِي خَلَفَتْ لَامِسْكَ نَفْتِكَ الْمَفْتُوتُ
وَأَخْتَصَرْتَ الطَّرِيقَ بَعْدَكَ لِلْمَوْتِ فَلَا قَيْتَهُ وَلَسْتُ أَفُوتُ
كَيْفَ يَبْقَى عَلَى الْحَوَادِثِ حَتَّى يَبْدُ الدَّهْرُ عُوْدَهُ مَنَحُوتُ
وَقَالَ أَيْضًا :

ذَكَرْتُ ابْنَ وَهْبٍ فَلَهُ مَا ذَكَرْتُ وَمَا غَيَّبُوا فِي الْكَفَنِ
تَقَطَّرَ أَقْلَامُهُ مِنْ دَمٍ وَيَعْلَمُ بِالظَّنِّ مَا لَمْ يَكُنْ
وَوَظَاهِرُ أَطْرَافِهِ سَاكِنٌ وَمَا تَحْتَهُ حَرَكَاتُ الْقَطَنِ
وَقَالَ :

ذَكَرْتُ عُبَيْدَ اللَّهِ وَالتُّرْبُ دُونَهُ فَلَمْ تَحْبِسِ الْعَيْنَانِ مَنِّي بِكَاهُمَا^(١)
وَحَاشَاهُ مِنْ قَوْلِ «سَقَى الْعَيْثُ قَبْرَهُ» يَدَاهُ تَرَوَى قَبْرَهُ مِنْ نَدَاهُمَا
وَهَذَا مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ الطَّائِي : سَقَى الْعَيْثُ غَيْثًا وَارْتِ الْأَرْضُ شَخْصَهُ
وَكَيْفَ اخْتَالِي لِلسَّحَابِ صَنِيعَةً وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ سَحَابٌ وَلَا قَطَرٌ^(٢)
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

لَمْ تَمْتِ أَنْتَ ، إِنَّمَا مَاتَ مَنْ لَمْ يُبْقِ فِي الْمَجْدِ وَالْمَكَارِمِ ذِكْرًا
لَسْتُ مُسْتَسْقِيًا لِقَبْرِكَ غَيْثًا كَيْفَ يَظْلَمُ وَقَدْ تَضَمَّنَ بَحْرًا
وَالْبَيْتَ الثَّانِي مِنْ هَذَيْنِ مِنْ بَيْتِ الطَّائِي .

وَقَالَ :

مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ أَخْلَقَتْ رِمْمُهُ أُرْيُوقُ مَاءِ الْمَعَالِي إِذْ أُرْيُوقَ دَمُهُ
رَأَيْتَهُ يَنْجَادِ السِّيفِ مُخْتَبِيًا كَالْبَدْرِ حِينَ انْجَلَّتْ عَنْ وَجْهِ ظُلْمُهُ
فِي رَوْضَةٍ حَفَهَا مِنْ حَوْلِهَا زَهْرُهُ أَيْقَنْتُ عِنْدَ انْتِبَاهِي أَنَّهَا نَعْمُهُ

(١) فِي الدِّيْوَانِ «فَلَمْ تَمْلِكِ الْعَيْنَانِ إِلَّا بِكَاهُمَا» (م)

(٢) الْعَيْثُ الْأَوَّلُ : الْمَطَرُ ، وَالْعَيْثُ الثَّانِي : الْجَوَادِ الْكَرِيمُ ، أَرَادَ بِهِ الرَّمْيَ (م)

فقلتُ والدمعُ من وَجْدٍ ومن حُرْقٍ يَجْزِي وقد خدَدَ الخدين منسجُمُهُ :
 ألم تمت ياسليلَ المجد من زمنٍ ؟ فقال لي : لم يمت من لم يمت كرمُهُ
 وقال بعض أهل العصر :

عمرُ الفتى ذِكْرُهُ ، لا طولُ مدَّتِهِ وموتُهُ موتُهُ لا موته الداني
 فأخى ذِكْرَكَ بالإحسان تزرعهُ تُجمَعُ به لك في الدنيا حَيَاتَانِ
 وقال عبد السلام بن رَغَبَانَ الحِمَاصِي (١) :

سقى الغيثُ أرضاً ضُمَّنتك وساحَةً لَقَبْرُكَ فِيهِ الغيثُ والليثُ والبَدْرُ
 وما هي أهلٌ إذ أصابتك بالبلي لسقميا ، ولكن من حَوَى ذلك القبرُ
 أخذ هذا البيت [الأول] الراضى فقال يرى أباهُ المقتدر :

بنفسى تَرَى ضُمَّنت في ساحةِ البلي لقد ضمَّ منك الغيثُ والليثُ والبَدْرَا
 فلو أن عمري كان طوعَ مشيئتي وأسعدنى المقدورُ قاسمَتك العمرا
 ولو أن حياً كان قَبْرًا لَمِيت لصيَّرتُ أحشائي لأَعْظَمِهِ قَبْرَا
 هذا البيت ينظر إلى قول المتنبي :

حتى أتوا جدًّا كأن ضريحهُ في قلبِ كلِّ موحِّدٍ محفورُ

قطر الندى
والخليفة المعتضد

لما حُملت قطرُ الندى بنت خُمَارَوَيْه بن [أحمد بن] طولون إلى المعتضد كتب
 معها أبوها إليه يذكره بجرِّمة سلفها [بسلفه] ، ويذكر ما تردُّ عليه من أهبة
 الخلافة ، وجمالة الخليفة ، ويسأل إناسها وبسَطَها ، فبَلَّغَتْ من قلبِ المعتضد
 لما زُفَّت إليه مبلغًا عظيمًا ، وسُرَّ بها غاية السرور ، وأمر الوزير أبا القاسم عبيد الله
 ابن سليمان بن وهب بالجواب عن الكتاب ، فأراد أن يكتبه بخطه ، فسأله أبو
 الحسين بن ثَوَابَةِ أن يُؤثِّره بذلك ففعل ؛ وغاب أياما وأتى بنسخة يقول في فصل

(١) هو المعروف بديك الجن (م)

منها : وأما الودِيعَةُ فهي بمنزلةِ شيءٍ انتقل من يمينك إلى شمالك ، عنايةً بها ،
وحيَاطةً عليها ، ورعايةً لمودتك فيها . ثم أُقبلَ عبيد الله يُعجب من حُسْنِ
ما وقع له من هذا ، وقال : تسميتي لها بالودِيعَةِ نصفُ البلاغة ، فقال عبيد الله :
ما أقبِحَ هذا ! تفاءلتَ لامرأةٍ زُفَّتْ إلى صاحبها بالودِيعَةِ ، والودِيعَةُ مستردة .
وقولك « من يمينك إلى شمالك أقبِح » لأنك جعلت أباها اليمين وأمير المؤمنين
الشمال ، ولو قلت : « وأما الهديةُ فقد حسن موقعها منا ، وجلَّ خطرُها عندنا ؛
وهي وإن بعدت عنك ، بمنزلة من قربت منك ؛ لتفقدنا لها ، وأنسابها ، ولسرورها
بما وردت عليه ، واغتباطها بما صارت إليه » لكان أحسن ، فنفذ الكتاب .
وكانتَ قَطْرُ الندى مع جمالها موصوفةً بفضل العقل ، خلاها المعتضد يوماً
للأنس بها في مجلسٍ أفرده لم يحضره غيرها ، فأخذت منه الكأس ، فنام على
فخذها ، فلما استنقل^(١) وضعتُ رأسه على وسادة ، وخرجت فجلست في ساحة القصر
على باب المجلس ، فاستيقظ فلم يجدْها ، فاستشاط غضباً^(٢) ، ونادى بها فأجابته على
قرب ، فقال : ما هذا ؟ أخليتك إكراماً لك ، ودفعتُ إليك مهجتي دون سائر
حظاياي ، فتصعبن رأسي على وسادة ! فقالت : يا أمير المؤمنين ، ما جهلتُ قدرَ
ما أنعمت به عليّ ، وأحسنْتَ فيه إليّ ، ولكن فيما أدبني به أبي أن قال لي :
لا تنام مع الجلوس ، ولا تجلسي بين النيام .

[رجع إلى الرثاء .]

لابن المعتزيرثي
ابن ثوابة

وفي أبي الحسين بن ثوابة يقول ابن المعتزيرثي :

ليس شيءٌ لصحَّةٍ ودوامٍ علبَ الدهرُ حيلةَ الأقوامِ
وتولَّى أبو الحسين حيداً فعلى رُوحه سلام السلامِ

(١) استنقل : كناية عن تمكن النوم منه (م) .

(٢) استشاط غضباً : غضب غضباً شديداً ، وأصل معنى « استشاط » احترق (م)

حين عاقدته على الحفظ للعهد وصافته يكفّ الذمام^(١)
 واصطفته على الأخلاء نفسي كاصطفاء الأرواح للأجسام
 كان ربحانة الذمى وميزان القوافي شعراً وبجر كلام
 ومكان السهم الذي لا يرى الشك ولا يستغيث بالأوهام
 ساحر الوحي في القراطيس لا تحبس عنه أعتة الأقلام
 فإذا ما رأيت به خلته في خديته صبحاً منقّباً بظلام
 نفس صبراً لا تجزعي إن هذا خلق من خلائق الأيام

[أيام الشباب]

لرجل من
 بني كلاب

وأشد أبو العباس أحمد بن يحيى نعلب لرجل من بني كلاب :
 سقى الله دهرًا قد تولت غياطيله^(٢) وفارقنا إلا الحشاشة باطيله^(٣)
 ليالى خدنى كل أبيض ماجد^(٤) يطيع هوى الصابي وتقصى عواذله
 وفي دهرنا والعيش في ذاك غيرة^(٥) ألا ليت ذاك الدهر تثنى أوائله
 بما قد غمينا والصبا جل همنا^(٦) يمايلنا ريعانه ونمايله
 وجبر لنا أذياله الدهر حتمه^(٧) يطاولنا في غيه ونطاوله
 فسقيًا له من صاحب خذلت بنا^(٨) مطيننا فيه وولت رواحله
 أصد عن البيت الذي فيه قاتلي^(٩) وأهجره حتى كاني قاتله

هذا البيت يناسب قول ذى الرمة ، وإن لم يكن في هذا المعنى ، يصف ظبية

وولدها :

إذا استودعته صفتاً أو صريمة^(١٠) تنحت ونصت جيدها بالمنظر^(١١)
 خذ أراعلي وسنان بصره السكري^(١٢) بكل مقيل عن ضفاف فواتر

(١) الذمام - بكسر الهمزة - العهد (م)

(٢) غياطله : ظلماته ، وأحدها غياطل (م)

(٣) الصفصف : المستوى من الأرض ، والصريمة : الرملة المنقطعة من الرمال

وتهجره إلا اختلاسا نهارها
وقال أبو حية النيرى :

لأني حية
النيرى

أما وأبي الشباب لقد أراه
إذ الأيام مقبلة علينا
جميلا ما يرادُ به بديلُ
وظلُّ أراكِة الدنيا ظليلُ

لابن بسام

وقال علي بن بسام :

بشاطي نهر قبرك فالمصلّى
معاهدهُمونا والعيشُ غَضٌّ
فما والآها فالقرريتين
وصرف الدهر مقبوض اليدين

وكان ابن بسام هذا - وهو علي بن [محمد بن] منصور بن بسام - مليح
المقطعات ، كثير الهجاء خبيثه ، و [ليس] له حظ التطويل ، وهو القائل :

من ترجمة
ابن بسام
وأخباره

كم قد قطعت إليك من ديمومة
في ليلة فيها السماء مُرْدَّةُ
نطفُ المياهِ بها سوادُ الناظرِ^(١)
سوداه مظلمة كقلب الكافر^(٢)
والبرقُ يخفقُ من خلال سخابه
والقَطْرُ منهملٌ يسبح كأنه
خفقَ الفؤاد لموعده من زائر
دمع المودع إثر ألف سائر

وقال في العباس [بن الحسين] لما وُزِّرَ للمكتفى :

وزارة العباس من تحسبها
شبهته لما بدأ مقبلا
ستقلع الدولة من أسبها
في خلع ينجل من لبسها
جارية رعناء قد قدرت
ثياب مولاها على نفسها

وقال في علي بن يحيى المنجم يرثيه :

(١) النطف : جمع نطفة ، وهي الماء الصافي (م)

(٢) مرذة : اسم الفاعل من قولهم «أرذ المطر» إذا هطل ، وفي نسخة « فيها

السماء مزادة » (م)

قد زرتُ قبرك يا عليّ مسلماً
ولو استطعت حملتُ عنك تُرابهُ
ولك الزيارة من أقلّ الواجبِ
فلطالما عنى حملتَ نوائبي
وكان مولعاً بهجاء أبيه ، وفيه يقول وقد ابنتى داراً :

شِدَّتْ داراً خِلْتها مَكْرُمَةً سَلَطَ اللهُ عَلَيْها الفِرَقَا
وأرانيك صريعاً وسطها وأرانيها صعيداً زَلَقَا
وقال أبو العباس بن المعتز يهجوهُ :
من شاء يَهْجُو عَلِيًّا فشعرهُ قد كَفاهُ (١)
لو أنه لأَيُّهُ ما كان يَهْجُو أباهُ

[مع الخلفاء]

بين المأمون وأحمد .
ابن أبي خالد
وقال المأمون لأحمد بن أبي خالد ، وهو يخلف الحسن بن سهل ، وقد أشار
إليه برأى استرجحهُ : قد اعتلَّ الحسنُ ولزم بيته ، ووكلَ الأمرَ إليك ، فأنا إلى
راحته وبقائه ، أحوجُ [مى] إلى إتعا به وفنائه ، وقد رأيتُ أن أستوزرك ؛ فإن الأمر له
مادُمتُ أنت تقوم به ، وقد طالعتُ رأيه في هذا الأمر ، فاعدَاك . فقال :
يا أمير المؤمنين ، أعفني من التسمي بالوزارة ، وطالبتني بالواجب فيها ، واجعل
بيني وبين الغاية ما يرجو لي ولبي ، ويخافني له عدوِّي ، فما بعد الغايات إلا
الآفات . فاستحسن كلامه ، وقال : لا بد من ذلك ، واستوزره .

المأمون ومحمد
ابن داود في
حسن الخط
ورأى المأمونُ خطَّ محمد بن داود فقال : يا محمد ، إن شاركتنا في اللفظ ،
فقد فأرقناك في الخط ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن من أعظم آياتِ النبي صلى الله
عليه وسلم أنه أدَّى عن الله سبحانه وتعالى رسالاته ، وحفظ عنه وحيه ، وهو

(١) في الديوان « فشعره قد هجاه »

أمتي لا يعرف من فنون الخط فنناً ، ولا يقرأ من سائر حرفاً ، فبقى عمود ذلك في أهله ، فهم يشرفون بالشبه الكريم في نقص الخط ، كما يشرف غيرهم بزادته ؛ وإن أمير المؤمنين أخص الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ، والوارث لموضعه ، والمتقلد لأمره ونهيه ؛ فعلقته به المشابهة الجليلة ، وتناهت إليه الفضيلة فقال المأمون : يا محمد ، لقد تركتني لا آسي على الكتابة ، ولو كنت أمياً .

وهذا شبيهه بقول سعيد بن المسيب ، وقد قيل له : ما بال قریش أضعف العرب شعراً ، وهي أشرف العرب بيتاً ؟ قال : لأن كَوْن رسول الله صلى الله عليه وسلم منها قطع متن الشعر عنها .

من رافة
المأمون بجأله

وقال إبراهيم بن الحسن بن سهل : كنا في مجلس المأمون وعمر بن مسعدة يقرأ عليه الرقاع ، فجاءته عطسة ، فلوى عنقه فردّها ، فرآه المأمون فقال : يا عمرو ، لا تفعل فإن ردّ العطسة وتحويل الوجه بها يُورثان انقطاعاً في العنق . فقال بعض ولد المهدي : ما أحسنها من مولى لعبد ، وإمام لرعيته ! فقال المأمون : وما في ذلك ؟ هذا هشام أضطربت عمامته فأهوى الأبرش الكلبي إلى إصلاحها ، فقال هشام : إنا لا نتخذ الإخوان خوفاً^(١) ! فالذي قال هشام أحسن مما قلته . فقال عمرو : يا أمير المؤمنين : إن هشاماً يتكلف ما طبعت عليه ، [ويظلم] فيما تعدل فيه ، ليس له قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا قيامك بحق الله ، وإنك والملوك لكما قال النابغة الذبياني :

ألم تر أن الله أعطاك سورةً ترى كل ملكٍ دونها يتذبذبُ
لأنك شمسٌ والملوك كواكبٌ إذا طلعت لم يبدُ منهم كوكبٌ
أخذ النابغة هذا من قول شاعرٍ قديمٍ من كندة :

(١) الخول - بالتحريك - الخدم والعبيد (م)

تَكَادُ تَمِيدُ الْأَرْضُ بِالنَّاسِ إِنْ رَأَوْا لِعَمْرُو بْنِ هِنْدٍ غَضَبَهُ وَهُوَ عَاتِبٌ
هُوَ الشَّمْسُ وَافَتْ يَوْمَ دَجْنٍ فَأَفْضَلْتُ عَلَى كُلِّ ضَوْءٍ وَالْمَلُوكُ كَوَاكِبٌ (١)

بين يزيد بن معاوية وجميل بن أوس
قال يزيد بن معاوية لجميل بن أوس ، وكان أكرمه واجتباها : لم كرهت الإفراط في تقديمي ، وتظامنت عن الدرجة التي سما بك إليها مكانك مني ؟ فقال : [أيد الله سلطانك ، وأعلى مكانك] ، إن الذين كانوا قبلنا من أهل العلوم والآداب ، والعقول والألباب ، كانوا أطول أعماراً منا ، وأكثر للزمان صحبة ، وأكثر للأيام تجربة ، وقد قال الحكيم : بقدر الثواب عند الرضا يكون العقاب عند السخط ، وبقدر السموة في الرفعة تكون وجبة الرفعة ، ولا خير فيمن لا يسمع للوعظة ، ولا يقبل النصيحة ، وأنا يا أمير المؤمنين وإن كنت آمناً من التعرض لسخطك والدنو مما يقرب منه ، فلست بأين من طعن المساوي في الدرجة عندك ، وحقر المشارك لي في المنزلة منك ، وليس من تقديمك قليل ، ولا من تمظيمك يسير ، فإن أقل ذلك فيه النباهة ، والفخر ، [والثناء] والذكر ، وحسبي مما بذلته من أموالك استحقاق عندك لإكرامك ، وحسبي من تقديمك خالص رضاك ، وصفاء ضميرك

مختار من أقوال الحكماء عند وفاة الإسكندر

لما جعل الإسكندر في تابوت من ذهب تقدم إليه أحدهم فقال : كان الملك يحب الذهب ، وقد صار الآن الذهب محبوباً ، وتقدم إليه آخر ، والناس يكونون ويجزعون ، فقال : حررنا بسكونه ، أخذه أبو العتاهية فقال :
يا علي بن ثابت بن مني صاحب جمل فقدده يوم بنتنا

(١) الدجن : الظلمة ، ووقع في نسخة « وافت يوم سعد » وأفضلت : زادت (م)

قد لعمرى حكيت لى غصص الموت وحرر كتنى لها وسكنتنا
وتقدم إليه آخر فقال : كان الملك يعظنا فى حياته ، وهو اليوم أو عظ من
أمس . أخذه أبو العتاهية فقال :

وكانت فى حياتك لى عطات وأنت اليوم أو عظ منك حيا
وتقدم إليه آخر فقال : قد طاف الأرضين وتملكها ، ثم جعل منها فى
أربعة أذرع . ووقف عليه آخر فقال : مالك لا تُقلّ عضواً من أعضائك ، وقد
كنت تستقلّ ملك العباد . ووقف عليه آخر فقال : انظر إلى حلم النائم كيف
انقضى ، وإلى ظلّ النعام كيف انجلى . وقال آخر : مالك لا ترغب بنفسك عن
ضيق المكان ، وقد كنت ترغب بها عن ربح^(١) البلاد . وقال آخر : [كان
الملك غالباً فصار مغلوباً ، وآكلاً فصار مأكولاً . وقال آخر] : أمات هذا الميت
كثيراً من النيس لئلا يموت ، وقد مات الآن . وقال آخر : ما كان أقبیح
إفراطك فى التجبر أمس ، مع شدة خضوعك اليوم . وقالت بنت دارا : ما علمت
أن غالب أبى يغلب . وقال رئيس الطباخين : قد نضدت النضائد ، وألقيت
الوسائد ، ونصبت الموائد ، ولست أرى عميد المجلس !

جملة من كلام ابن المعتز فى الفصول القصار فى ذكر السلطان

أشقى الناس بالسلطان صاحبه ، كما أن أقرب الأشياء إلى النار أسرعها
احتراقاً . لا يدرك الغنى بالسلطان إلا نفس خائفة ، وجسم تعب ، ودين متعلم .
إن كان البحر كثير الماء فإنه بعيد المهوى ، ومن شارك السلطان فى عز الدنيا
شاركه فى ذل الآخرة . فساد الرعية بلا ملك كفساد الجسم بلا روح . إذا
زادك السلطان تأنيساً فزده إجلالاً . من صحب السلطان صبر على قسوته كصبر

(١) الرحب : الواسع (م)

العواصم على ملوحة بحره . الملك بالدين يبقى ، والدين بالملك يقوى . من نصح
لخدمة نصحته المجازاة . لا تلتبس بالسلطان في وقت اضطراب الأمور عليه ؛ فإن
البحر لا يكادُ يسلم صاحبه في حال سكونه ، فكيف عند اختلاف رياحه ،
واضطراب أمواجه ؟

ومن كلام أهل العصر وغيرهم في هذا النحو

الأوطانُ حيثُ يعدلُ السلطان . إذا نطق لسان العدل في دار الإمارة ، فلها
البُشرى بالعزّ والإمارة . آخرُ بالملك العادل أن يستقلَّ سريره في سُرة الأرض .
ريحُ السلطان على قومٍ سُموم^(١) ، وعلى قومٍ نسيم . أخلقُ بدم المستخف بالجبايرة أن
يكون جباراً^(٢) . من غمس يده في مال السلطان فقد مشى بقدمه على دمه . الملك
خليفةُ الله في عباده وبلاده ، ولن يستقيم أمرُ خلافته مع مخالفته . الملك من
ينشرُ أثواب الفضل ، ويبسطُ أنواع العدل . السلطانُ كالنار : إن باعدتها بطل
نفعها ، وإن قاربها عظم ضررها . إقبالُ السلطان تعَب وفتنةٌ ، وإعراضه حسرة
ومذلة . صاحبُ السلطان كراكب الأسد يهابه الناسُ وهو لمركبه أهيبُ .
السلطانُ إذا قال لعماله : هاتوا ، فقد قال لهم : خذوا . ثلاثة لا أمان لهم : السلطانُ ،
والبحر ، والزمان . ليكن السلطان عندك كالنار : لا تدنو منها إلا عند الحاجة
إليها ، وإن اقتبست منها فعلى حذر . مثل أصحاب السلطان كقومٍ رَقُوا جبالهم
وقعوا منه ، فكان أقربهم إلى التلف أبعدهم في المرقى . مثل السلطان كالجبل
الصَّعب الذي فيه كلُّ ثمرة طيبة ، وكل سبغ حطوم ، فالارتقاء إليه شديد ،
والمقام فيه أشدُّ . لئن عزَّ الملوك في الدنيا بالجور ليدلَّن في الآخرة [بالعدل] .

لابن عبَّاد الصاحب :

إذا ولاك سلطانُ فزده من التعظيم واخذره وراقب

(١) سموم — بفتح السين — حارة محرقة (م)

(٢) جبار — بضم الجيم وفتح الباء مخففة — هدر ، ليس له من يأخذه (م)

فما السلطانُ إلا البحرُ عظماً وقربُ البحرِ مَحْدُورُ العَوَاقِبِ

[وصف كاتبة]

ووصف أحمد بن صالح بن شيران^(١) جاريةً كاتبةً فقال: كأنَّ خطَّها أشكالُ صورتها، وكانَّ مِدَادَها سوادُ شعرها، وكانَّ قرطاسها أديمٌ وجَّهها، [وكانَّ قلمها بعضُ أناملها، وكانَّ بناها سِحْرٌ مُقلتها، وكانَّ سِكِّينها غنْجٍ لخطها] وكانَّ مِقطها قلبُ عاشقها .

[وصف غلام كاتب]

وقال بعضُ الكتابِ يصفُ غلاماً كاتباً :

انظر إلى أثر المِدادِ بِمِخْدِهِ كبنفسج الرِّوضِ المَشُوبِ بِبِوزِدِهِ
ما أخطأتُ نُونانتهُ من صُدْغِهِ شيئاً، ولا أَلِفانتهُ من قَدِهِ
أَلَقْتُ أنامله على أقلامِهِ شَبهاً أراكَ فِرْنْدَها كَفِرْنْدِهِ^(٢)
وكانما أنقاسه من شَعْرِهِ وكانما قِرْطاسه من خَدِهِ^(٣)

وقال أحمد بن أبي سمرة الدارمي فيما ينظر إلى هذا من طَرْفِ خَفِي :

[سَرابُ الفياضِ صادقٌ عندِ وعدِها وسمُّ الأفاعي مُبرئٌ عندِ صدِّها]
رمتني ولم أَسْعُدْ بِأَيامِ وصلِها بعيني مَهابةً أَنَحْسُنِي بِبُعْدِها
فعلقتُ قلبي كما قد تعلقت صوالجِ صدغِها بِتَفْاحِ خَدِها
فقلبي لَمَّا أضعفته كخضرها ودمعي أَمَّا بَظْمَتِهِ كعَقْدِها
ونيل الثُّرَيَّا مِمَّنْ عندِ وصلِها وأسرع من برقِ تناقضِ وعدِها

[من بديع الزمان إلى ابن العميد]

رقعة كتبها بديع الزمان إلى ابن العميد يستنجزها: أين تكرم الشيخ العميد أيده الله على مولاه؟ وكيف معذله إلى سواه؟ أيقصر في النعمة، لأني قصرت

(١) في نسخة « بن بشير » (م) (٢) فرند السيف — بكسر الفاء والراء —

حده (م) (٣) الأنقاس: جمع نقس — بكسر فسكون — وهو الحبر (م)

في الخدمة؟ إذنٌ فقد أساء المعاملة، ولم يحسن المقابلة، وعثر في أذيال السهو، ولم ينعش بيدِ العفو، أم يقول: إن الدهر بيننا خُدع، وفيما بعد مُتسع، فقد أرف رَحِيلِي^(١)، ولا ماء بعد الشطّ، ولا سطح وراء الخط؛ أم ينتظر سؤالِي؟ وإنما سألته، يوم أملتُه، واستمنحتُه^(٢)، يوم مدحته، واقتضيته، يوم أتيتُه، وانتجعت سحابه، لما قرعت بابه، وليس كل السؤال أعطني، ولا كل الرد أعفني؛ أم يظن- أيده الله تعالى- أني أردت صِلتَه، ولا ألبس خلعتَه؟ وهذه فراسة المؤمن إلا أنها باطلة، ومَحِيلَة العارف إلا أنها فاسدة؛ أم ليس يجد في مكاناً للنعمة يضعها، وأرضاً للمنة يزرعها؟ فلا أقل من تجربة دفعة، والحظارة بإنفاذ خلعة، ليخرج من ظلمة التخمين، إلى نور اليقين، وينظر أشكر أم أ كفر؛ أم يتوقع-أيده الله- صاعقة تملكني، أو بائقة تهلكني^(٣)، فلهذا أملٌ موفّر، لأن شيخ السوء باقى مَعَمَّر؛ أم يقدر-أيده الله- أني أشكره إذا اصطنع، وأعذره إذا منع، وتالله لو كنت ينبوع المآذير ما حظي منها بجرعة، فليرحني بسُرعة.

[بين البديع وأبي القاسم الهمداني]

وكتب أبو القاسم الهمداني إلى البديع: قد كتبت لسيدى حاجة إن قضاها وأمضاها، ذاق حلاوة العطاء، وإن أباهما وفلّ شباها^(٤) لقي مرارة الاستبطاء، فأى الجودين أخف عليه؟ أجود بالملق^(٥)، أم جود بالعرض؟ وتزول عن الطريف، أم عن الخلق الشريف؟

فأجابه: جعلت فداك هذا طبيخ، كله توبيخ، وثريد، كله وعيد، ولقم، إلا أنها نغم، ولم أرقِ درأً أكثر منها عظماً، ولا آكلأ أكثر مني كظماً، ولم أرَ شربة أمرّ منها طعماً، ولا شارباً أتمّ مني حلماً، ما هذه الحاجة؟ ولناكن حاجتك من بعد ألبين جوانب، وألطف مطالب، توافقي قضاءها وترانق ارتضاءها، إن شاء الله تعالى.

(١) أرف رحيلي: قرب (م) (٢) استمنحته: طلبت منحة، أي عطاءه؛ وفي نسخة «استمنحه» بدون نون (م) (٣) البائقة: المهلكة (م) (٤) فل: كسر وخطم، وشباها - بفتح الشين - حدها (م) (٥) الملوق - بالكسر - النفس الذي يتعالى فيه (م)

وفي مقامات أبي الفتح^(١) الإسكندري من إنشائه ، قال :

حدثنا عيسى بن هشام قال : أحلتني جامع بخارى يوم ، وقد انتظمت مع رفقة^(٢) في سبط الثريا ، وحين احتفل الجامع بأهله طلع علينا ذو طمرين^(٣) ، قد أرسل صوانا ، واستتلى [طفلا] عريانا ، يضيق بالصر وسعته ، ويأخذهُ القر ويدعه ، لا يملك غير القشرة^(٤) برودة ، ولا يلتقي لحياه رعدة ، ووقف الرجل وقال : لا ينظر لهذا الطفل إلا من رحم طفله ، ولا يرق لهذا الصر إلا من لا يأمن مثله ، يا أصحاب الجدود المفروزة ، والأزديّة المطروزة ، والدور المنجدة ، والقصور المشيدة ، إنكم لن تأمنوا حادثا ، ولن تعدموا وارثا ، فبادرُوا الخير ما أمكن ، وأحسنوا مع الدهر ما أحسن ، فقد والله طعمنا السكباج^(٥) ، وركبنا الهملاج^(٥) ، ولبسنا الديباج ، وافترشنا الحشايا بالعشايا ، فما راعنا إلا هبوب الدهر بغدّره ، وانقلاب الحجن لظهره ، فعاد الهملاج قطوفا^(٦) ، وانقلب الديباج صوفا ، وهلم جرا ، إلى ما شاهدون من حالي وزبي ؛ فيها نحن نرضع من الدهر تدى عقيم ، وزكّب من الفقر ظهر بهيم ، ولا نرتو إلا بعين اليتيم ، ولا نمد إلا يد العديم ، فهل من كريم يجلو عفا غياهب هذه البؤوس ، ويفل شبا هذه النحوس ؟ . ثم قعد مرتفقا ، وقال للطفل : أنت وشأنك . فقال : وما عسى أن أقول ، وهذا الكلام لو لقي الشعر لخلقه ، أو الصخر لقلقه ، وإن قلبا لم ينضجْه ما قلت لني ؛ ! قد سمعتم يا قوم ، ما لم تسمعوا قبل اليوم ، فليشغل كل منكم بالجود يده ، وليذكر غده ، وأقيا بولده ، واذكروني أذكركم ، وأعطوني أشكركم !

قال عيسى بن هشام : فما آتسني في وخذني إلا خام ختمت به خنصره ، فلما تناوله أنشأ يقول :

وَمُنْطَقٍ مِنْ نَفْسِهِ بِقِلَادَةِ الْجُوزَاءِ حُسْنًا

- (١) المراد المقامات التي وضعها البديع على لسان أبي الفتح الإسكندري (م)
 (٢) طمرين : مثنى طمر - بالكسر - وهو الثوب الخلق البالي الرث (م)
 (٣) القشرة : الجلدة (م) (٤) السكباج : ضرب من الطعام ، لحم بخل (م)
 (٥) الهملاج : الفرس البربع (م) (٦) الفطرف : البطيء السير (م)

كَتَيْمٌ لَقِيَ الحَيْبَ فِضْمَهُ شَفَعًا وَحِزْنًا
مَتَأَلَّفٌ مِنْ غَيْرِ أُسْرَتِهِ عَلَى الأَيَامِ خِدْنًا
عَلِقَ سَنِيَّ قَدْرُهُ لَكِنْ مَنْ أَهْدَاهُ أُسْنِيَّ
أَقْسَمْتُ لَوْ كَانَ الوَرَى فِي المَجْدِ لَفَطًّا كُنْتُ مَعْنِي

قال عيسى بن هشام : فتبعته حتى سَفَرَتِ الخَلْوَةَ عن وجهه ، فإذا والله شيخنا
الإسكندري ، وإذا الصبي غلامٌ له ، فقلت :

أَبَا الفَتْحِ شَبَبْتُ وَشَبَّ الغَلامُ فَأَيْنَ السِّكِّامُ ، وَأَيْنَ السَّلَامُ؟^(١)
فقال :

غَرِيبًا إِذَا جَمَعْتُمَا الطَّرِيقَ أَلِيفًا إِذَا نَظَّمْتُمَا الخِيَامَ
فَعَلِمْتُ أَنَّهُ كَرِهَ لِقَائِي ، فَتَرَكْتُهُ وَانصَرَفْتُ.

[وصف فص وخاتم]

وقال أبو الفتح كشاجم يصف فصاً :

لأبي الفتح
كشاجم

سَاجِلٌ بِفِصِّكَ مَنْ أَرَدْتُ وَبَاهِهِ
مَتَأَلَّفٌ فِيهِ الفِرْدُ كَأَنَّهُ
لَوْ أَنَّ ظَمَأَى مِنْهُ عَلَّتْ لَأَرْتَوَتْ
بَهْرَ العَيونِ إِضَاءَةً فِي رِقَّةٍ
فَكَانِي مَتَخَنَمٌ بَعْطَارِدٍ
وقال بعضُ المحدثين يصف خاتماً :

ليعض المحدثين

وَوَحِيدُ الكِيانِ صَبِغٌ بَدِيعًا
خَلَعَتْ خَبْلَةَ الخُدودِ عَلَيْهِ
فَإِذَا تَمَّ صَبِغٌ مِنْ جَوْهَرَيْنِ
خَلَعًا قَدْ لَبَسَ فَوْقَ اللَّجِينِ

(١) في نسخة «شبت وشاب الغلام» (م)

(٢) علت : أصله شربت بعد شرب ، والمراد هنا شربت مطلقاً (م)

فإذا مارأيتَه في بَنانٍ قد كساها من حُسْنِه حُلَّتَيْنِ
قلت نجمٌ هَوَى من الجوّ حتى صار حَجْرِي بُرُوجِه في اليَدَيْنِ

للبحترى

وقال البحترى يستهدى المعترضا :

فهل أنت يابن الراشدين مَحْتَمِي بياقوتَه تبهى على وتُشْرِقُ
يفار احمرار الورْد من حُسْنِ صبغها ويحكىه جادِي الرحيقِ المَعْتَقُ
إذا برزتْ والشمس قلت تجاريا إلى أمدٍ أو كادت الشمسُ تُسِقُ
إذا التهبْت في اللَّحْظِ ضاهى ضياؤها جبينك عند الجودِ إذ يتألقُ (١)
أَسْرَبُلٌ منها ثوبٌ فخرٍ معجَلٍ فيبقى بها ذِكْرٌ على الدهر مخلُقُ

لأبي الفتح
كشاجم

وعلى ذكر اختتام قال أبو الفتح كشاجم :

عَرَضَنْ فَعَرَضَنْ القلوبَ مِنَ الهوى لِأَسْرَعِ من كَتَى القلوبِ على الجَمْرِ
كَأَنَّ الشِّفاءَ اللُّعْسَ منها خَوَاتِمٌ من التَّبْرِ مَخْتومٌ بهنَّ على اللُّدْرِ (٢)
وقال الناظم :

يَرُوعُ مَنَاجِيه بهاروتِ لِحْظِه وَيُؤْنِسُه مِنْه بصُورَةِ آدَمِ
تَرى فيه لَأمًا فَرْدَةً فوق وَرْدَةٍ وَفَصًّا من الياقوتِ من فوق خَاتِمِ

[مفاضلة بين الكلام والصمت]

وقال أبو تمام الطائي : تذاكرنا في مجلس سعيد بن عبد العزيز الكلامَ
وفضله ، والصمتَ ونُبله ، فقال : ليس النَّجْمُ كالقمر ؛ إنك إمام تمدحُ السكوتَ
بالكلام ، ولا تمدحُ الكلامَ بالسكوت ، وما أنبأ عن شيء فهو أكبرُ منه .
قال الجاحظ : كيف يكونُ الصمتُ أنفعَ من الكلام ، ونفعه لا يكادُ يجاوزُ

(١) ضاهى : أشبه ، ويتألق : يضيء ، (م) .

(٢) اللعس : جمع لعساء ، وهى التى فيها خيط أسمر ، وهو مما يتمدح به (م) .

صاحبه ، ونفعُ الكلامِ يعمّ وينخصّ ، والرواةُ لم ترَ وسكوتَ الصامتين ، كما روت كلامَ الناطقين ؛ فبالكلامِ أرسل اللهُ تعالى أنبياءه لا بالصمتِ ، ومواضعُ الصمتِ المحمودةُ قليلة ، ومواطنُ الكلامِ المحمودةُ كثيرةٌ ، وبطولِ الصمتِ يفسدُ البيان . وكان يقال : محادثةُ الرجالِ تلقيحٌ لألبابها .

وذُكر الصمتُ في مجلسِ سليمان بن عبد الملك فقال : إنَّ مَنْ تكلمَ فأحسنَ قدرَ أنْ يسكتَ فيُحسِنَ ، وليسَ مَنْ سكتَ فأحسنَ يتكلمُ فيُحسِنَ .
قال بعضُ النساك : أسكتني كلمةُ ابن مسعود عشرين سنةً ؛ وهي : من كان كلامه لا يوافق فعله فأبما يوتج نفسه .

[الحنين إلى الأوطان]

قال أبو عمرو بن العلاء : مما يدلُّ على حرية الرجل وكرم غريزته حينئذٍ إلى أوطانه ، وتشوقه إلى متقدم إخوانه ، وبكاؤه على ماضى من زمانه .
وقالوا : الكريّم يمنُّ إلى جنابه ، كما يمنُّ الأسدُّ إلى غابه .
وقالوا : يشناق اللبيبُ إلى وطنه ، كما يشناق النجيبُ إلى عطنه ^(١) .

ألفاظ لأهل العصر في ذكر الوطن

بلد لا تؤثّر عليه بلداً ، ولا تصبر عنه أدياً . هو عشه الذي فيه درج ، ومنه خرج . مجمع أسرته ، ومقطع سرّته . بلد أنشأته تربته ، وغذاءه هواؤه ، ورباه نسيمه ، وحلّت عنه التمامُ فيه .

قالوا : وكان الناسُ يتشوقون إلى أوطانهم ، ولا يفهمون العلةَ في ذلك ، حتى أوضحها على بن العباس الرّومى في قصيده لسليمان بن عبد الله بن طاهر يستعديه على رجل من التجّار ، يعرف بابن أبي كامل ، أجبره على بيّتم داره واغتصبه بعض جُدرها ، بقوله :

(١) النجيب ، هناد الجمل الأصيل ، والعطن - بفتح العين والطاء جميعاً - مبرك الإبل . أى مكان بروكها (م)

لابن الرومي
في تعليل الحنين
إلى الوطن

ولي وطنٌ آليتُ ألاَّ أبيعهُ
عهدتُ به شَرَّخَ الشبابِ ونعمةً
وحبَّ أوطانِ الرجالِ إليهمُ
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهمُ
فقد ألفتَه النفسُ حتى كأنهُ
يقول له فيها :

وقد عزتني فيها لثيمٌ وسامني
وما هو إلا نسجك الشعر ضلّة
بصيرٍ بتسأل الملوك ، ولم يكن
وإني وإن أضحي مدلاً بماله
فإن لم تُصبني من يمينك نعمةً
فكم لقي العافون بدءاً وعودةً
فقال لي أجهدي جهداً حثيماً (١)
وما الشعرُ إلا ضلة من ضلالِكَ
بعار على الأحرار مثل سوءِكَ
لأملٍ أن أضحي مدلاً بمالكِ
فلا نُخطئنه نعمةً من شمالِكَ
نوالك والعادون من نكالِكَ

وقال علي بن عبد الكريم النصيبي : أتاني أبو الحسن بن الرومي بقصيدته
هذه ، وقال : أنصفني ، وقل الحق : أيهما أحسن قولي في الوطن أو قول الأعرابي :
أحبُّ بلادِ الله ما بين منعيجِ
إلى وسلمي أن يصوبَ سحابها
بلادُها نيطتْ عليّ تمامي
وأول أرضٍ مسَّ جلدِي ترأبها (٢)
فقلت : بل قولك ؛ لأنه ذكر الوطنَ ومحبتَه ، وأنت ذكرت العلة التي
أوجبت ذلك .

وقال ابن الرومي أيضاً يتشوق إلى بغداد ، وقد طال مقامه بسر من رأى :
بلدٌ صحبتُ به الشيبية والصبا
ولبتُ ثوبَ العيش وهو جديدُ
فإذا تمثل في الضمير رأيتَه
وعليه أغصانُ الشبابِ تميدُ (٣)

(١) عزني : غلبني (م) نيطت : علقته ، والتعائم : جمع تيمة ، وهي المعادة
تعلق على الصبي تمنع عنه العين في زعمهم (م) (٣) تميد : تتحرك وتمايل .

وقال أبو العباس : ولما احتفل القائل في هذا المعنى السابق إليه قال :

* بلادُها حلَّ الشبابُ تماثي *
 * بلادُها حلَّ الشبابُ تماثي *

وقد تقدّم . وإذا كانت تماثمه قطعت بأبرق العزّاف ، وكان الترابُ
 الذي مسَّ جلده ترابَ جزيرة سيراف ، وجب أن يحنّ إليه حنين المتأسفين على
 غُوطَةِ دمشق ، وقصور مدينة السلام ، ونجف الجزيرة ، ومستشرفِ الخورنق ،
 وجوسق سرّ من رأى ، لَمَّا بعد عنها ، وطال مقامه بغيرها ، كلاً ، ولكن هذا
 الرجل علم أن الحنين إلى الأوطانِ لما تَدَكَّر من معاهد اللّهُ فيها ، بجدّة الشباب
 الذي ذكر أن غول سكرته ، يعطى على مقدار فضيلته ، في قوله :

لا تلحّ من يبكي شيبته إلا إذا لم يبكيها بدم
 عيبُ الشيبية غول سكرتها ومقدار ما فيها من النعم
 لسنا نراها حقّ رؤيتها إلا أوان الشيب والهرم
 كالشمس لا تبدو فضيلتها حتى تُغشى الأرض بالظلم
 ولربّ شيء لا يبيّنه وجدانه إلاّ مع العدم

أخذها هذا من قول الطائي :

راحت وفود الأرض عن قبره فارغة الأيدي ملاء القلوب
 قد علمت مارزنت ، إنما يعرفُ فقدُ الشمس بعد الغروب

وأخذ ابن الرومي قوله في صفة الوطن من قول بشّار :

متى تعرف الدار التي بان أهلها بسعدى فإن العهد منك قريب
 تذكرك الأهواء إذ أنت يافع^(١) لديها فمغناهاً لديك حبيب^(٢)
 أو من قول بعض الأعراب :

ذكرت بلادى فاستهلت مداعى بشوقى إلى عهد الصبا المتقادم^(٣)

لبشار بن برد
 في حب الوطن

لبعض
 الأعراب

(١) يافع : أُرَادَ صَغِيرَ السِّنِّ ، وَمَعْنَاهَا : مَوْطِنَ الْإِقَامَةِ مِنْهَا (م)

(٢) استهلت مدامعى : انهمرت ، وهطلت ، وسالت (م)

حَتَّنتُ إِلَى أَرْضِهَا اخْضَرَ شَارِبِي وَقَطَّعَ عَنِّي قَبِيلَ عَقْدِ التَّمَامِ

لرجاء
ابن هارون
العكي

وَأَنشَدَ ثَعْلَبُ لِرَجَاءِ بْنِ هَرُونَ التَّعْكِي :

أَحِنُّ إِلَى وَادِي الأَرَاكِ صِبَابَةً لِعَهْدِ الصَّبَا فِيهِ وَنَذَكَرَ أَوَّلَ
كَأَنَّ نَسِيمَ الرِّيحِ فِي جَنَابَاتِهِ نَسِيمُ حَبِيبٍ أَوْ لِقَاءِ مَوْءَلٍ
قال أبو بكر الصولي : ولست أشك أنه من قول رجاء أخذ ، وبه ألم ،
وعليه عول ؛ لأنه في تناوله المعنى غريب الأخذ ، عاثر السهم^(١) ، لا يعارض
معنى معروفا إذا أنشد علم الناس أنه ممدنه الذي انتخته منه .

وقد اختلس معنى قول ابن الرومي :

فَقَدَّ أَلْفَهُ النَّفْسُ حَتَّى كَأَنَّهُ لَهَا جَسَدٌ إِنْ بَانَ غُودِرَ هَالِكَا

للإيادي

أخذه علي بن محمد الإيادي وقال فأحسن الأخذَ ولطف في السرقة :

بِالْجَزَعِ فَالْخَبْتَيْنِ أَشْلَاءَ دَارِ ذَاتِ لَيْالٍ قَدْ تَوَلَّتْ قِصَارُ
بَانُوا فَنَاتِ أَسْفَا بَعْدَهُمْ وَإِنَّمَا النَّاسُ نَفُوسُ الدَّيَارِ

لأعرابي

وقال أعرابي :

أَيَا حَمْدًا مَحْدُوطِيبِ تَرَابِهِ تَصَافِحُهُ أَيْدِي الرِّيحِ الغَرَابِ

وعهدُ صَبَا فِيهِ يَنَازِعُكَ الهَوَى بِدَلَاكِ أَرَابِ . عَذَابُ المِشَارِبِ

تَنَالُ المَتَى مِنْهُنَّ فِي كُلِّ مَطْلَبِ عَذَابُ الثَّنَايَا وَارِدَاتِ الذَّوَابِ^(٢)

لابن ميادة

وقال ابن ميادة يخاطبُ الوليدَ بنَ يزيد .

أَلَا لَيْتَ شَعْرَى هَلْ أَيْتَنَ لَيْلَةً بِحِجْرَةِ لَيْلِي حَيْثُ رَبَّنِي أَهْلِي

بِلَادُهَا بِهَا نَيْطَتْ عَلَيَّ تَمَامِي وَقُطِعْنَ عَنِّي حِينَ أَدْرَكَنِي عَقْلِي

فَإِنْ كُنْتَ عَن تَلِكِ المِوَاطِنِ مَانِعِي فَأَفْشِ عَلَيَّ الرِّزْقَ وَاجْمَعْ إِذْ أَشْمَلِي

وقال سوار بن الصرير^(٣) ، ورويت للملك بن الريب :

(١) السهم العائر : الذي لا يعرف راميه (م) .

(٢) الذوائب : جمع ذؤابة ، وأراد الشعر ، ووروده : استرساله (م) .

(٣) في نسخة «-وار بن الضرب» (م) .

سقى الله اليمامة من بلاد
وجوا زاهراً للريح فيه
به سقتُ الشباب إلى زمانٍ
وقال أعرابي :

لأعرابي

أقول لصاحبي والعيسُ تحدى
تمتع من سميمٍ عرارٍ نجدٍ
ألا يا حبيذاً نفحات نجدٍ
[وأهلك إذ يحلّ القوم نجداً]
شهور ينقضين وما شعرنا
وهذا البيت كقول الآخر :

سقى الله أياماً لنا قد تتابعت
ليالي أعطيت البطالة مقودى
وسقياً لعصرٍ العامرية من عصرٍ
تمرّ الليالي والشهور ولا أذرى

وتخلف سليمان عن نصره ابن الرومي ؛ فذاك الذى هاجه على هجائه ، فمن ذلك قوله ، وقد خرج فى بعض الوجوه فرجع مهزوماً :

ابن الرومي
يهجو سليمان
ابن عبد الله
ابن طاهر

جاء سليمان بنى طاهر
كأن بغداد وقد أبصرت
فاجتاح معتز بنى المعتصم
طلعت نائمة تلتدم^(٤)
مستقبل منه ومستدبر
وجه بجيلى وفقاً منهزم

وقال :

قرن سليمان قد أضرب به
شوق إلى وجهه سيتلفه

- (١) فى نسخة «نوافجها كأرواح الغواني» والأرواح : جمع ربح (م)
(٢) العيس : الإبل ، وتحدى : تسرع فى سيرها ، والمنيفة : ماء لثيم (م)
(٣) غب القطار : بعد المطر (م) (٤) تلتدم : تلطم وجهها (م)

كَمْ يَعِدُّ الْقِرْنَ بِاللِقَاءِ وَكَمْ يَكْذِبُ فِي وَعْدِهِ وَيَخْلِفُهُ

لا يعرف القرن وجهه ويرى قفاه من فرسخ، فيعرفه

وقد أخذ هذا المعنى من قول بعض الخوارج ، وقد قال له أبو جعفر المنصور :

أخبرني أي أصحابي كان أشد إقداماً في مبارزتك ، فقال : ما أعرف

وجوههم ، ولكنني أعرف أقفاهم ، فقل لهم يدبروا أعرفك .

وفي هذه المنازعة يقول ابن الرومي لمواليه بنى هاشم وكان ولاؤه لعبيد الله بن

عيسى بن جعفر بن المنصور :

تَخَذْتُمْ دِرْعًا عَلَيَّ لَتَسَدَّ قَعْوَا نِبَالِ الْعِدَى عَنِّي فَكُنْتُمْ نِصَالِيَا

وقد سنت أرجومنكم خير ناصر علي حين خذلان اليمين شمالها

فإن أنتم لم تحفظوا لمودتي ذماماً فكونوا لا عليها ولا لها

قعووا موقف المذور عنى بمعزل واخلوا نبالي والعدا ونبالها

ألفاظ لأهل العصر ، في وصف الأمكنة والأزمنة

بلدة كأنها صورة جنة الخلد ، منقوشة في عرض الأرض . بلدة كأن

محاسن الدنيا مجموعة فيها ، ومحصورة في نواحيها . بلدة كأن ترابها عنبر ،

وحصباؤها عقيق^(١) ، وهواها نسيم ، وماءها رحيق . بلدة معشوقة السكني ،

رحبة المشوى^(٢) ، كوكبها يقظان ، وجوها عريان ، وحصاها جوهر ، ونسبها

مطر ، وترابها مسك أذفر ، ويومها غداة ، وليلها سحر ، وطعامها هني ،

وشرابها مري . بلدة واسعة الرقة ، طيبة البقعة ، كأن محاسن الدنيا عليها

مفروشة ، وصورة الجنة فيها منقوشة ، واسطة البلاد وسرتها ، ووجهها وغرتها .

(١) الحصياء : صغار الحصى (م)

(٢) المشوى : مكان الإقامة ، ورجبته : أي واسعته (م)

ولهم في ضد ذلك

بلد مُتَضَائِقُ الحدود والأفنية ، متراكب المنازل والأبنية . بلد حرّها مؤذٍ ، وماؤها غير مغذ . بلدة وَسِخَةُ السماء ، رَمِدَةُ الهواء ، جوّها غبار ، [وأرضها خَبَارَةٌ^(١)] ، وماؤها طِينٌ ، وترابها سِرْجِينٌ^(٢) . وحيطانها تَرُوزٌ ، وتشرينها تَمُوزٌ^(٣) ، فكم في شمسها من محترق ، وفي ظلها من غرق . بلدة ضيقة الديار ، سيئة الجوار ، حيطانها أخصاص ، وبيوتها أفاص ، وحشوشها مسايل ، وطرقها مزابل .

ولهم في صفات الحصون والقلاع

حصن كأنه على مَرَقَبِ النجم ، يحسدونه الناظر ، ويقصر عنه المُقَابُ الكاسِرُ ، يكادُ مَنْ علاه يغرق في حوض النعام . حصن انتطق بالجوزاء ، وناجَتْ أبراجه بَرُوجِ السماء . قلعة حلقت بالجو تناجي السماء بأسرارها . قلعة بعدد في السماء مُرْتَقَاهَا ، حتى تساوى ترابها مع ترابها . قلعة تنوشح بالغيوم ، وتتحلّى بالنجوم . قلعة عالية على المرتقى ، صماء عن الرقى ، قد جاوزت الجوزاء سَمْتًا ، وعزات السماء الأعزل سَمَكًا ، هي متناهية في الحصانة ، موثوقة بالوثاق ، ممتعة على الطلب والطالب ، منصوبة على أضيّق المسالك وأعر المناصب ، لم تزدّها الأيام إلا نُبُوَ أعطاف ، واستصعب جوانب وأطراف ، قد ملّ الوُلاة حصارها ، فقارقوها عن طموح منها وشمس ، وسُمّت الجيوش ظلّها ، فغادرتّها بعد قنوطٍ وياسٍ ، فهي حَمَى لا يُرَاغ^(٤) ، ومَعْقِلٌ لا يُسْتَطَاع ، كأنّ الأيام صالحتها على الإغفاء من الحوادث والليالي عاهدتها على التسليم من القوارع . قلعة تحوى من الرِّفْعَةِ قَدْرًا لا تستهان مواقعه ، وتلوى في المنعة جيدًا لا تستلان أخادعه ، ليس للوهم قبل القدوم إليها مَسْرَى ، ولا للفكر قبل الخطو نحوها مجرى .

(١) الجبار - بفتح الحاء المعجمة، بزنة السحاب - اللين المسترخى من الأرضين (م)

(٢) أراد أن ترابها نجس ؛ لأن السرجين عذرة البهائم (م)

(٣) تشرين وتموز : من أسماء الشهور الرومية ، وتشرين في الشتاء ، وتموز في

الصيف ، يريدانها شديدة الحر (م) (٤) لا براغ : لا يطلب لأنه لا سبيل إليه (م)

ولهم في صفات القصور والدور

قصر كأن شُرْفَاتِهِ بَيْنَ النَّسْرِ وَالْعَيْوُقِ^(١)، كأنه يُسَامِي الْفَرْقَدَ، وقد اکتست له الشَّعْرَى الْعَبُورَ ثَوْبَ الْعَيُورِ . قصر طال مَبْنَاهُ ، وطاب مَعْنَاهُ ، كأنه في الْحَصَانَةِ جَبَلٌ مَنِيْعٌ ، وفي الْحَسَنِ رَبِيعٌ مَرَبِيعٌ . شُرْفَاتٌ كَالْعَذَارَى شَدَدْنَ مَنَاطِقَهَا ، وَتَوَجَّنَ بِالْأَكَالِيلِ مَفَارِقَهَا . قَصْرٌ أَقْرَبُ لَهُ الْقُصُورُ بِالْقُصُورِ^(٢) ، كأنه سَحَابٌ فِي بَحْرِ السَّمَاءِ . دَارٌ قَوْرَاءٌ تُوسِعُ الْعَيْنَ قُرَّةً ، وَالنَّفْسَ مَسْرَةً . كَأَنَّ بَانِيهَا اسْتَسَلَفَ الْجَنَّةَ فَعَجَّلَتْ لَهُ . دَارٌ تَحْجُلُ مِنْهَا الدُّورُ ، وَتَقَاصِرُ عَنْهَا الْقُصُورُ ؛ إِنْ مَاتَ صَاحِبُهَا مَغْفُورًا لَهُ فَقَدْ انْتَقَلَ مِنْ جَنَّةٍ إِلَى جَنَّةٍ . دَارٌ قَدْ اقْتَرَنَ الْيُمْنُ بِيَمْنَاهَا ، وَالنَّسْرُ بِئُسْرَاهَا ، الْحُسُومُ مِنْهَا فِي حَضْرٍ ، وَالْعَيُونَ عَلَى سَفَرٍ . دَارٌ هِيَ [دَائِرَةُ الْمِيَامِنِ ، وَ] دَائِرَةُ الْحَاسِنِ . دَارٌ دَارٌ بِالسَّعْدِ نَجْمُهَا ، وَفَازَ بِالْحَسَنِ سَهْمُهَا . دَارٌ يَخْدُمُهَا الدَّهْرُ ، وَيَأْوِيهَا التَّيْدَرُ ، وَيَكْفِيهَا النَّصْرُ ، هِيَ مَرْتَعُ النَّوَاطِرِ ، وَمَتْنَفَسُ الْخَوَاطِرِ . دَارٌ قَدْ أَخَذَتْ أَدْوَاتِ الْجِنَانِ ، وَضَحَكَتْ عَنِ الْعَبْقَرِيِّ الْحَسَانِ .

[من رسائل الميكالى وشعره]

فصل لأبي الفضل الميكالى إلى بعض إخوانه :

مَا ابْتَدَأْتُ بِمَخَاطَبَةِ سَيِّدِي حَتَّى سَرَّتِ الْمَسْرَةَ فِي نَفْسِي ، وَقَوِيَّتْ أَرْكَانُ بَهْجَتِي وَأُنْسِي ، وَحَتَّى أَقْبَلْتُ وَجْهَهُ الْمِيَامِنَ تَهَلَّلَ إِلَيَّ ، وَبَدَرَ الْمَسَاعِدِ تَنَالُ عَلَيَّ^(٣) ، وَكَيْفَ [لَا يَمْلِكُنِي الْجَذَلُ وَالْفَرَحُ ، وَكَيْفَ] لَا يَهْزُنِي النَّشَاطُ وَالْمَرَحُ ، وَقَدْ زَفَقْتُ وَدَّيَّ إِلَى كَفِّءِ كَرِيمٍ ، وَعَرَضْتَهُ لِحِظٍّ مِنَ الْجَمَالِ جَسِيمٍ ، وَأَرْجُو أَنْ يَرِدَ مِنْهُ عَلَى حُسْنِ قَبُولٍ وَإِقْبَالٍ ، وَيَحْظَى مِنْ ارْتِيَاخِهِ لَهُ بِبُرْدٍ

(١) النسْر والعيون والشعري : أسماء نجوم في السماء (م)

(٢) القصور الأول : جمع قصر ، والثاني بمعنى التقصير (م)

(٣) تنال علي : تتوالى وتكثر (م)

أَشْتَمَالٌ ، وَيُصَادَفُ مِنْ اهْتِزَازِهِ وَإِنْشَائِهِ ، وَعِمَارَتِهِ وَإِنْمَائِهِ ، وَتَحْصِينِ أَطْرَافِهِ مِنْ شَوَائِبِ الْخَلَلِ ، وَشَوَائِبِ الْوَهْنِ وَالْمِيلِ ، وَمَاتَسْتَحْكَمُ بِهِ مَرَّأْتُ الْوِصَالِ ، وَتَوْمَنُ عَلَى قَوَاهَا عَوَادِي الْإِنْتِقَاضِ وَالْإِنْخِلَالِ .

وله : إِذَا لَمْ يُؤْتِ الْمَرْءُ فِي شُكْرِ الْمَنَعِ إِلَّا مِنْ عَظِيمِ قَدْرِ الْإِنْعَامِ وَالْإِصْطِنَاعِ ، وَاسْتِغْرَاقِهِ مِنْهُ قُوَى الْإِسْتِقْلَالِ وَالْإِصْطِلَاحِ ، فَلَيْسَ عَلَيْهِ فِي الْقُصُورِ عَنْ كُنْهِ وَاجِبِهِ عَتَبٌ ، وَلَا يَلْحَقُهُ فِيهِ تَقْيِصَةٌ وَلَا عَيْبٌ . وَإِثْنُ ظَهْرِ عَجْزِي عَنْ حَقِّ هَذِهِ النِّعْمَةِ فَإِنِّي أَحْيِلُ بِحَسَنِ الثَّنَاءِ عَلَى مَنْ لَا يُعْجِزُهُ حَمَلُهُ ، وَلَا يُؤْوِدُهُ ثِقَلُهُ ، وَلَا يَزُكُو الشُّكْرُ إِلَّا لَدَيْهِ ، وَلَا تُضْرَفُ الرِّغْبَةُ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَاللَّهُ يُبْقِيهِ لِمَجْدٍ يُقِيمُ أَعْلَامَهُ ، وَفَضْلٍ يَقْضِي ذِمَامَهُ ، وَعُرْفٍ يَبِثُّ أَقْسَامَهُ ، وَوَلِيَّ يُوَالِي إِكْرَامَهُ ، وَعَدْوٍ يُدِيمُ قَمْعَهُ وَإِرْغَامَهُ

وله : وَلَوْ وَفِيَتْ هَذِهِ النِّعْمَةُ الْجَسِيمَةَ حَقَّهَا لَمَشِيَتْ إِلَى حَضْرَتِهِ - آتَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى - حَبِيوًا [لَا] ^(١) عَلَى الْقَدَمِ ، وَلَا تَزَتْ فِيهِ خِدْمَةُ اللِّسَانِ عَلَى خِدْمَةِ الْقَلَمِ ، وَمَا رَضِيَتْ لَهُ بِيَاعَى الْقَصِيرِ ، وَعِبَارَتِي الْمَوْسُومَةُ بِالْعَجْزِ وَالْقُصُورِ ، حَتَّى أُسْتَعِيرَ فِيهِ أَسِنَّةٌ تَحْمَلُ شُكْرًا وَثَنَاءً ، وَتُوسِّعُ نَشْرًا ^(٢) وَدَعَاءً ، ثُمَّ لَا أَكُونُ بَلِغْتُ مُبْلَغًا كَافِيًا ، وَلَا أَبْلِيْتُ عُدْرًا شَافِيًا ؛ إِلَّا أَنْ عَدِمَ الْإِذْنَ تَبَطَّنِي ^(٣) عَنْ مَقْصُودِ الْغَرَضِ ، وَعَاقَنِي عَنِ الْوَاجِبِ الْمَقْتَرَضِ ؛ فَاقْتَمْتُ عَاكِفًا عَلَى دَعَاءِ أَرْفَعُهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَبْتَهَلًا ، وَأُوَاصِلُهُ مَجْتَمِدًا فِي لَيْلِي وَنَهَارِي مُحْتَفَلًا .

وله : أَحَقَّ النِّعْمَةُ بِالزِّيَادَةِ نِعْمَةٌ لَمْ تَنْزَلِ الْعِيُونَ إِلَيْهَا مُسْتَشْرِفَةً ^(٤) ، وَالْقُلُوبُ إِلَيْهَا مُتَشَوِّفَةً ، وَالْأَيَّامُ بِهَا وَاعِدَةٌ ، وَالْأَقْدَارُ فِيهَا مُسَاعِدَةٌ ، حَتَّى اسْتَقَرَّتْ فِي نِصَابِهَا ، وَأَلْقَتْ عَصِيَّ اغْتِرَابِهَا ، فَهِيَ لِلنَّمَاءِ وَالزِّيَادَةِ مَتْرَشْحَةٌ ، وَبِالْعَزِّ وَالسَّعَادَةِ مَتَوْشِحَةٌ ، وَبِالْأَدْعِيَةِ الصَّالِحَةِ مُسْتَدَامَةٌ مَرْتَهَنَةٌ ، وَبِاتِّفَاقِ الْكَلِمَةِ وَالْأَهْوَاءِ عَلَيْهَا مَرْتَبِطَةٌ مُحَصَّنَةٌ .

(١) « لا » هذه ليست في الأصول ، ولكن المعنى يتطلبها ألبتة (م) .

(٢) النشر ، هنا : الإداعة بين الناس (م) .

(٣) تبطنى : أقعدنى (م) . (٤) مستشرفة ، وكذلك متشوفة : متطلعة (م) .

وله فصل من كتاب تعزية بالأمر ناصر الدين :

أقدارُ الله تعالى في خلقه لم تزل تختلفُ بين مكروه ومحبوب ، وتتصرفُ بين موهوب ومساوب ، غاديةً أحكامها مرّةً بالمصائب والنوائب ، رائحة أقسامها تارةً بالعطايا والרגائب ، ولكن أحسنها في العيون أثراً ، وأطيها في الأسماع خيراً ، وأحرأها بأن تكسب القلوب عزاءً وتصسبها ، ما إذا انطوى نُسر ، وإذا انكسر جُبر ، وإذا أخذ بيد ردةً بأخرى ، وإذا وهب يميني سلب يسرى ، كالمصيبة بفلان التي قرّحت الأكبَاد ، وأوهنت الأعضاء^(١) ، وسودت وجوه المكارم والمعالى ، وصورت الأيام في صور الليالى ، وغادرت الحدّ وهو يلبس حدّآده ، والعدل وهو يبكي عمّآده ، والدين وهو يندب جهاده ، حتى إذا كاد اليأس يغلب الرجاء ، ويردُّ الظنون مظلمة النواحي والأرجاء ، قيض الله تعالى من الأمير الجليل من اجتمعت عليه الأهواء ، ورضيت به الدهماء ، فأسى به حادث الكلم ، وسدّ بمكانه عظيم الثلم ، وردّ الآمال والنفوس قد استبدلت بالخيبة قوة وانتصارا ، وصارت للدولة المباركة أعواناً وأنصاراً

ومن شعره في تجنيس القوافي ، في معان مختلفة :

إذا لم تكن لمقالِ النصيح سميعاً ولا عاملاً أنت به
يذهبك الدهر من رقة الملامى وإن قلت لأنثبه

وقال :

تفرّق الناس في أرزاقهم فرقاً فلا يس من ثراء المال أو عارى
كذا المعاش في الدنيا وساكنها مقسومة بين أوعاث وأوعار

وقال :

حوى القدح عمرأ فقلت اعتقد رضا بالقضاء ولا تحتقد

(١) أوهنت : أضعفت ، والأعضاء : جمع عضد ، وهو من اليد ما بين الكتف والذراع ، ويرمز به إلى القوة ، ومنه قولهم « فت في عضده » ، ويطلق العضد على الناصر والمعين ، مجازاً مأخوذاً من ذلك (م) .

فإِنَّمَا احتقدت قضاءَ الإلهِ فأقبحُ بمحتقد تحت قد
وقال :

تمت محاسنه فما يُزري بها مع فضله ونمائه وكأله
إلا قصورُ وجوده عن جوده لآ عَوْنَ للرجل الكريم كماله
انصرُ أخاك إذا اجتدك فوأسه وإن استغفرك وانقأ بك ماله^(١)
وقال أيضاً :

إذا تغدّيتُ صدرَ يومى ثم تأذيتُ بالغداءِ
فقلت إذ مسنى أذاهُ أرى غدائى أراغ دأى
وله فى هذا [الصوغ] :

لنا صديقٌ يُجيدُ لِقَاءَ راحتنا فى أذى قفاهُ
ماذاق من كسبه ، ولـكن أذى قفاهُ أذاق فاه
وقال يهجو رجلا :

يربد يوسّع فى بَيْتِهِ وَيَأْتِي له الضيقُ فى صدره
فتى سَخِطَ النُّصْبَ فى قَدْرِهِ كما رَضِيَ الخُفْضَ فى قدره
يخدر أوصالَ أضيفه ولا يُبرزُ الخبزَ من خِدره

وقال فى غير هذا المذهب يصفُ كتابا ورَدَ عليه :

قد أتانا من صديقٍ كلامٌ كلالٍ زانِهٍ نظامُ
فسرى فى القلب منى سرورُ مطربٍ يعجز عنه المدامُ
مثل ما يرتاح ربُّ بناتٍ حوله من جمعهن زحامُ

له فى وصف
كتاب ورده

(١) اجتدك : طلب جدواك ، والجدوى : العطاء ، و « ماله » أصله « ماله »

فحذف الهمزة بقلبها ياء ثم حذفها كما تحذف لام المنقوص (م) .

فرعى الله طويلاً يُرَجَى
وأناه بعد ياسٍ بشير
خلفا من نَسَلِه لا يُذَامُ
قال يا بشرى هذا غلامٌ

له في وصف
الشمع

وقال يصف الشمع :
وليلٍ كلَّونِ الهَجْرِ أو ظلمةِ الحُبْرِ
يشقُّ جلايبَ الدُّجَى فكأنما
يُحاكى رُوءاءَ العاشقين بلونه
خَلَا أن جارىِ الدمعِ ينحله قوى
تهدى لنا كالغصنِ قدًّا وفوقه
تحمّل نورا حتفه فيه كامنٌ
إذا ما علتهُ علةٌ جرَّ رأسه
وقال :

ياربِّ غُصْنِ نورهُ
يظلُّ طولَ عمره
نارُ الحبِّ فى الحشا
لاح لنا فى مغربِ
يزرى بنور الشفقِ
يبكى بحفنِ أرقِ
وناره فى المفرقِ
فردنا فى مشرقِ

وقال :

وقضيبٍ من بنات النحل فى قدِّ الكعابِ^(٢)
يُشبه العاشقَ فى لو نِ ودمعِ ذى أنسكابِ
كسى الباطنِ منه وهو عريانُ الإهابِ^(٣)

- (١) فى نسخة « كأنما منه فى ليلة القدر » وليلة البدر : هى الليلة الرابعة عشر من ليالى الشهر العربى ، وفيها يكتمل البدر نوره (م) .
(٢) من بنات النحل : يريد أنه من الشمع الذى يؤخذ من النحل (م) .
(٣) وقع البيت فى بعض الأصول « قد كسى - إلخ » وكلمة « قد » فى أوله زائدة عن الوزن ، وتقرأ كلمة « كسى » بالبناء للمجهول فتم البيت وزنا ومعنى (م) .

فَإِذَا مَا أَنْعَمَ الْأَبُ دَانَ مَلْبُوسِ الثِّيَابِ
فَهُوَ لِلشَّقْوَةِ مِنْهَا فِي بَلَاءٍ وَعَذَابِ

وقال كشاجم يصف شعماً أهداها [إلى بعض الملوك] :

لكشاجم في
وصف الشمع

[و] ^(١) صُفْرٍ مِنْ بَنَاتِ النَّخْلِ تُكْسَى
بِوَاطِنِهَا وَأُظْهَرُهَا عَوَارِي
عِذَارِي يُفْتَضِّضْنَ مِنَ الْأَعَالِي
وَإِذَا افْتَضَّتْ مِنَ الشُّفْلِ الْقِدَارِي
وَأَمْسَتْ تَنْتِجُ الْأَضْوَاءَ حَتَّى
تَلْقَحُ فِي ذَوَائِبِهَا بِنَارِ
كَوَاكِبِ لِسْنِ عِنَاكَ بِأَفْلَاتِ
إِذَا مَا أَشْرَقَتْ شَمْسُ الْفَقَارِ
بَعَثَتْ بِهَا إِلَى مَلِكٍ كَرِيمٍ
شَرِيفِ الْأَصْلِ مُحَمَّدِ النَّجَّارِ
فَاهْدَيْتِ الضِّيَاءَ بِهَا إِلَى مَنْ
مُحَاسِنُهُ تَضِيءُ لِكُلِّ سَارِي

وقال :

يَشْتَمِي الْفَتَى بِخِلَافِ كُلِّ مَعَانِدِ
يُؤْذِيهِ حَتَّى بِالْقَدَى فِي مَائِهِ
يَقْدِي إِذَا أَصْفَى الْإِنَاءَ لِشُرْبِهِ
وَيُرْوِغُ عَنْهُ عِنْدَ سَكْبِ إِنَائِهِ ^(٢)

وقال :

أُطَالِبُ أَيَّامِي بِإِنجَازِ مَوْعِدِي
وَهِيَ تَلْوِي بِالْوَفَاءِ وَتَجْمَعُ
أَقُولُ عَسَاهَا أَنْ تَلِينِ لِمَطْلِي
قَلِيلًا فَبِعِضِ الشُّوكِ بِالْمَنْ يَسْمَعُ

وقال :

أَرَى وَصَلَكَ لَا يَصْفُو لَأَمَلِهِ
وَالهَجْرُ يُتَبِعُهُ رَكْضًا عَلَى الْأَثْرِ
كَالْقَوْسِ أَقْرَبُ سَهْمِهَا إِذَا عَطَفَتْ
عَلَيْهِ أَبْعَدُهَا مِنْ مَنْزِعِ الْوَتْرِ

أخذ هذا من قول ابن الرومي وذکر رجلاً متلوياً :

رَأَيْتَكَ بَيْنَنَا أَنْتَ خِلٌّ وَصَاحِبٌ
إِذَا بَكَ قَدْ وَلَّيْنَا ثَانِيَا عِطْفًا

لابن الرومي
يذكر متلوياً

(١) لا بد من هذه الواو ليم وزن البيت ، وهي ساقطة من بعض النسخ (م) .

(٢) أصفى الإناء : أماله ، وفي نسخة « يهودى إذا - إلخ » (م) .

وأنت إذ أخنى حنوك مُوجِبٌ بعداً لمن بادتهُ الودَّ واللفظاً
لكالقوس أخنى ما تكونُ إذا انحنتُ على السهم أنأى ما تكونُ له قذفاً
وله في نحو ذلك :

توددت حتى لم أجد متودداً وأتعبت أقلامي عتباها مُرددا
كأنى أَسْتَدعى لك ابن حنيفةٍ إذا النزاع أذناه من الصدر أبعداً

[في وصف أبي الفضل الميكالي]

وذكر عمر بن علي بن محمد المطوعي أبا الفضل الميكالي في كتاب ألّفه في منظومه ومنشوره فقال : قد أصبحتُ حضرته - لازالت أُرِجَّة الأرجاء بطيب شمائله ، راضية الرضا عن صوباً أنامله - مؤسِّم الآمال ، ومحط الرحال ؛ وعبدّه أحرار الكلام ، كما خدمته أحرار الأيام ، وأطاعته المعاني والمعالى ، كما أطاعه صرْفُ الأيام والليالي ، فهو - أدام اللهُ تمكينه - شهابُ الجبَدِ الذي لا يخبو واقده ، وروَض الكرم الذي لا يجذب رائدُه ؛ إن أردتَ ألباغه فهو مالكُ عنانها ، وفارسُ ميدانها ، وناظم دُرّها ومرجانها ، وصانع لُجَيْنِيَّةٍ وعَمِيَّانِيَّةٍ ؛ وإن أردتَ الساحة فهو محلُّها ومكانها ، وتاريخُها وعنوانها ، ويدها ولسانها ، وحدقُها وإنسانها ، وحديقتها ونبتانها ؛ وإن أردتَ شرف الأصل والنسب ، والجمع بين الموروث [من المجد] والمكتسب ، فناهيك بأوائله شرقاً سابقاً ، وفضلاً باسقاءً ، ومجداً في فلك الفخر سامقاً^(١) ؛ فهم الجحاحجةُ القُرّ ، والكواكبُ الزُّهر ، ومن بهم يفتخِرُ الفخر ، ويتشرفُ الدهر ، زحوا مناكب الكواكب من بُعد أقدارهم ، وصكّوا فرق الفرقد وصدّرَ البدرِ بشرف أخطارهم ، فما فيهم إلا قرفضل دار في فلك علم ، وهلال مجدٍ لاح في سماء فهم ، توارثوا المجد كابرأ عن كابر ، وبقياً عن غابر ، وسافرت أخبارهم في البعد والقرب . وطارت في أقاصي

(١) سامقا : عالياً شديداً العلو (م) .

الشرق والغرب ، وسارت مسير الشمس في كل بلد ، وهبت هبوب الرياح في البر والبحر ، فهم كما قال أبو عبادة البحرى في الشاه بن ميكال وأهله فأحسن وأجاد وبلغ ما أراد :

بني أخوذى يغمر الطرف موفياً يبسطه والسيفُ وافي الحائل^(١)
تضيقُ الدروعُ التبعيات منهمُ على كل رخبِ الباعِ سبطُ الأناملِ
عراعر قوم يسكنُ الثغران مشوا على أرضه والثغرُ جمَّ الزلازل^(٢)
فكم فيهمُ من مُنعِمٍ متطولٍ بالآله أو مُشرفٍ متطاولٍ
إذا سئلوا جادتُ سيوفُ أكَفهمُ [نظائر جماتِ التلاع السوائلِ
خليقون سرَّو وأن تلبين أكَفهمُ] عرائك أحداثِ الزمانِ الجلائلِ
وما زال لحظُ الراغبين معلقاً إلى قريرٍ فيهم رفيع المنازلِ
وفيه ، أو في أبيه ، يقول أبو سعيد أحمد بن شبيب :

وإلى الأمير ابن الأمير تواهقتُ رزحى الركابِ برازحى الركابِ^(٣)
شيمُ أرقُ من الهواءِ بل الهوى وألذُّ من ظفرٍ بعقبِ ضرابِ
وعزائم لو كنَّ يوماً أسهماً لنفذن في الأيام غير نوابِ^(٤)
مائة الجريان إلا أنها نارية الإقدام والإلهابِ
يخطرُ بين سياسةٍ ورياسةٍ ويتهن بين مشويةٍ وعقابِ

[ابن أبي دواد بين يدي الواثق]

قال أبو عبد الله بن حمدون النديم : لقد رأيت الملوك في مقاصيرها ، ومجامع

- (١) الأخوذى : الحاذق الخفيف المشعر للأمور الجاد فيها (م) .
(٢) العراعر - بضم أوله - الشرف ، وجمعه عراعر بفتح أوله (م) .
(٣) تواهقت : تبارت ومدت أعناقها في سيرها ، والرزحى : الساقطة تعبا
وهزالا (م) .
(٤) نواب : جمع ناب ، وهو اسم الفاعل من « بنا السيف والرمح » إذا حاد
عن ضربيته (م) .

حفليها ، فما رأيت أغزرَ أدبا من الواصل ؛ خرج علينا ذات يوم وهو يقول : لقد
عرض عرضة من عرضه لقول الخزاعي ، يريد دُعِيلاً :

خَلِيلِيَّ مَاذَا أُرْتَجِي مِنْ غَدَامَرِي طَوَى الْكَشْحَ عَنِ الْيَوْمِ وَهُوَ مَكِينُ
وَإِنَّ امْرَأً قَدْ صَنَّ عَنِي بِمَنْطِقِ يَسْدُ ، مِنْ خَلْتِي لَصْنِينُ
فانبرى احمد بن أبي دُوَاد يسأله كأنما نَشِطَ من عِقَالِ في رجل من أهل
البيامة فأظنّب وأسهب ، وذهب في القول كل مذهب ؛ فقال الواصل : يا أبا عبد الله
لقد أكرت في غير كبير ، ولا طيب ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه صديقي :
وأهونُ ما يعطى الصديقُ صديقهُ من الهينِ الموجودِ أن يتكلماً
فقال : وما قدر اليايى أن يكون صديقك ، وإنما أحسبه أن يكون من
عرض معارفك ؟ . قال : يا أمير المؤمنين ، إنه شهرني بالاستشفاع إليك ، وجعلني
بمرأى ومسمعٍ من الردِّ والإسعاف ، فإذا لم أقم له هذا المقام أكون كما قال أميرُ
المؤمنين آنفا :

خَلِيلِيَّ مَاذَا أُرْتَجِي مِنْ غَنِي امْرِي طَوَى الْكَشْحَ عَنِ الْيَوْمِ وَهُوَ مَكِينُ
فقال الواصل : بالله يا محمد بن عبد الملك إلا عجّلت لأبي عبد الله حاجتهُ ،
ليسلم من هُجْنَةِ المَطَل ، كما سلم من هُجْنَةِ الرد .

[من صفة ابن أبي دُوَاد ، وأخباره]

وكان ابن أبي دُوَاد من أحسن الناس تأتياً ، وكان يقول : ربما أردت أن
أسألَ أميرَ المؤمنين الحاجةَ بِحَضْرَةِ ابن الزيات فأؤخر ذلك إلى وقتٍ مغيبه ؛ لثلاث
يتعلّم حسنَ التلطّف مني ! وكان بينه وبين محمد بن عبد الملك عداوة عظيمة
وأمر الواصل أصحابه أن يهنّضوا قياماً لأبي جعفر إذا دخل ، ولم يرخص في ذلك
لأحد ، فاشتد الأمرُ على ابن أبي دُوَاد ، ولم يجد خلافاً للواصل سبيلاً .
فوكّلَ بعض غلمانِه بمراقبة موافاته ، فإذا أقبل أخبره فنهض يركع ، فقال
ابن الزيات :

صَلَّى الضَّمَى لِمَا اسْتَفَادَ عِدَاوَتِي وَأَرَاهُ يَنْسُكُ بَعْدَهَا وَيَصُومُ
لَا تَعْدَمُنَّ عِدَاوَةٌ مَوْسُومَةٌ تَرَكَتْكَ تَقَعُدُ بَعْدَهَا وَتَقُومُ
وَقَالَ الْوَاتِقُ يَوْمَا لَابْنِ أَبِي دُوَادٍ تَضَجَّرًا بكَثْرَةِ حَوَائِجِهِ : قَدْ أَخَلَيْتَ بِيَوْمَ
الْأَمْوَالِ بَطْلِبَاتِكَ لِلْأَنْذِينَ بِكَ ، وَالْمَتَوَسِّلِينَ إِلَيْكَ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، تَنَاجَى
شَكَرَهَا مَتَّصِلَةٌ بِكَ ، وَذَخَائِرُهَا مَوْصُولَةٌ لَكَ ، وَمَالِي مِنْ ذَلِكَ إِلَّا عَشَقُ اتِّصَالِ
الْأَلْسَنِ بِخَلْوَةِ الْمَدْحِ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا مَبْنَعْنَاكَ مَا يَزِيدُ فِي عَشَقِكَ ، وَيَقْوَى فِي
هَمَّتِكَ فِينَا وَلَنَا ؛ وَأَمْرٌ فَأَخْرَجَ لَهُ خَمْسَةَ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ .

[بين أبي العيناء وابن أبي دواد]

قال أبو العيناء : [قلت] لابن أبي دواد : إن قوماً من أهل البصرة قدموا
إلى سرّ من رأى يداً على ، فقال : يدُ الله فوق أيديهم . فقلت : إن لهم مكرراً ،
فقال : ولا يحيقُ المسكرُ السّيءُ إلا بأهله ، فقلت : إنهم كثير . قال : كم من
فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ، فقلت : لله درُّ القاضي
فهو كما قالت الضموت الكلابية :

لله درك أي جنة خائف ومتاع دنياً أنت لاجدنان
متخبط يظأ الرجال شهامة وطاء الفتيق مدارج القردان^(١)
ويكتبهم حتى تظلل رؤوسهم مأمومة تنحط للعربان
ويفرج الباب الشديد رتاجه حتى يصير كأنه بابان

وكانت هذه المجاوبة بين أبي العيناء وبين أبي العلاء المنقري ، وكان قد
استجاش عليه قوماً من أهل البصرة .

(١) المتخبط : المتكبر ، والفتيق : الفحل من الإبل المسكرم عند أهله ،
والقردان : جمع قراد ، مثل غراب وغربان ، يريد أنه يذل الرجال ويقهرهم ولا
يأبه لهم (م) .

قطعة من شعر الأعراب في الغزل

ابن ميادة :

ألا ليت شِعري هل يَحُلِّنَ أهلنا وأهلك روضاتِ بطنِ اللوى خُضرا
وهل تأتِينَّ الریحُ تدرجُ مَوْهِنًا برِيَاكُ تعرورى بنا بلدًا قَفْرًا
بریحِ خُزامى الرنملِ باتِ مُعَاتِقَا فروعِ الأفاحي تنضبِ الطلّ والقَطْرَا
ألا لَيْتَنِي أَلْقَاكِ يَا أُمَّ جَعْدَرِ قَرِيبًا ، فَأَمَّا الصبرُ عنك فلا صَبْرَا

وقال :

ومارَوْضَةٌ باتَ الرِيعُ يَجُودُهَا على ما بها من حَنُوقٍ وعرَارِ^(١)
بأطيبَ من ریحِ القرنفلِ مَوْهِنًا بما التفتَّ من دِرْعٍ لها ورخارِ

وقال آخر :

تجالسِنَا بنتُ الدلالِ تعلقتُ عراه بحبَّاتِ القلوبِ الهوامِ
وبينَ ما تخفى من الوجدِ ردّها غريقُ الأناسِ في الدموعِ السَّوامِ
جرى الدمعُ مَجْرَى مائه فكفّفنهُ بُمَنَابِ أطرافِ الأكَفِّ النوامِ
وردّ التحياتِ الهوى من عيونها بيَقْظَانِ طَرْفٍ في مَخِيلَةِ نائمِ
وقال العلاء بن موسى الجهني :

ولما رأته مَظْطَرًّا شَوْكَةَ العِدَى ردى النفسِ مُجْتَابَا إلى غيرِ مَوْعِدِ
جلتُ داجِيَ الظلماءِ منها بسُنَّتِي ونحْرِ مَشُوبِ لونهُ بالزبرجدِ^(٢)

(١) يجودها : يطرها ، والحنوة : الريحانة ، والعرار - بفتح العين - وزد أصفر ذو راحة طيبة .

(٢) داجى الظلماء : أراد سواد الليل ، والسنة - بضم السين - الجبين ، جعلها بضاء الجبين مشرقته حتى أنارت له فى الظلام (م) .

وبالشَّذْرِ مَسْبُوكَا كَأَنَّ التَّهَابَهُ
 وجاءت كسَلَّ السيفِ لومرَ مشيها
 فبتنَّا ولم نكذبك لو أنَّا ليلنَّا
 نذودُ النفوسَ الصاديَاتِ عن الهوى
 فلما بدا ضوءه الصباحِ وراعنَّا
 نهضنَّا بشخصٍ واحدٍ في عيونهم
 إلى جَنَّةٍ منهم وسَلَّمْت غاديا
 وولت وأغباش الدُّجى مرججَةً
 وقال أعرابي من طييء :

وأحور يصطادُ القلوبَ وما لهُ
 وما كنتُ أخشى الفتكَ مَن سِلاحهُ
 وأشبُّ بزاقِ الثنايا غروبهُ
 خليلي بالله أقمدا فتبتينا
 يكشفُ أعراضَ السحابِ كأنهُ
 فبت على الأجيالِ ليلاً أشيمهُ
 من الريشِ إلَّا زَعْفَرانٌ وإمْدُ
 سِوارٌ وخَلخالٌ وطوقٌ منضدُ
 من البردِ الوَسْمِيّ أصنفي وأبردُ
 وميضاً نرى الظلماءَ منه تقددُ
 صفيحةٌ هِنْدِيّ تَسَلُّ وتُعمدُ
 أقومُ له حتى الصباحِ وأقعدُ
 هذا في البرقِ كقول الطرماح في النور :

يَبْدُو وتضمرة البلادُ كأنهُ
 سَيْفٌ على شَرَفٍ يُسَلُّ ويُعمدُ

[زيارة طيف الخيال]

وقال بشار :

أعددت لي عتباً بحبِّكم
 يا عبد طال بحبِّكم عتي

- (١) الشدر : حبات صغار من الذهب أو اللؤلؤ ، وأراد عقدها (م)
 (٢) الهاتف للتعهد : المؤذن ، لأنه يأتي في أذانه بالشهادتين (م) .
 (٣) نظا : أصله نظاً — مهموز الآخر ، فسهل الهمزة بقلها ألفا (م) .

ولقد تعرض لي خيالكم
فشربت غير مباشر حرجاً
في القرطِ والخلخالِ والقلْبِ
برضابِ أشنبٍ باردٍ عذبٍ

وقال المتنبي :

بِتَنَا يُنَاوِلُنَا الْمَدَامَ بِكَفِّهِ
نَجْحِي الْكُؤُوبَ مِنْ قَلَانِدِ جِيدِهِ
مَنْ لَيْسَ يَخْطُرُ أَنْ نَرَاهُ بِبَالِهِ
وَنَنَالُ عَيْنَ الشَّمْسِ مِنْ خَلْخَالِهِ

وأول شعر أبي الطيب :

لَا الْحُلْمُ جَادَ بِهِ وَلَا بَمَثَالِهِ
إِنِ الْمَيْدَ لَنَا لِلنَّامِ خَيَالِهِ
لَوْلَا أَدَّ كَارُ وَدَاعِهِ وَزِيَالِهِ
كَانَتْ إِعَادَتُهُ خِيَالَ خَيَالِهِ
إِنِّي لَا بِيضُ طَيْفٍ مِنْ أَحْبَبْتُهُ
إِذَا كَانَ يَهْجُرُ نَارِ مَانَ وَصَالِهِ

يقول : التمثيل والتخييل له في اليقظة أعاد خياله في المنام ، فكان الخيال الذي في النوم تصور في اليقظة . وأظهر من هذا قول الطائي :

زار الخيال لها لا بل أزاركه
ظبي تفتنصته لما تصبت له
فكر إذا نام فكر الخلق لم يتم
في آخر الليل أشراكاً من الحلم

أما بيته الأول فمن قول جميل :

حيث طينك من طيف ألم به
حدثت نفسك عنه وهو مشغول

وقال ذو الرمة :

نأت دارمي أن تزار ، وزورها
إذا مادجا الإظلام منا وساوس^(١)
إذا نحن عرسنا بأرض سرى لنا
هوى لبسته بالقلوب اللوايس^(٢)

وبيته الثاني ألم فيه بقول قيس بن الملوّح :

(١) في ديوانه (ص ٤٦) جاء عجز البيت « إلى صحبتي بالليل هادموا عس » (م) .

(٢) عرسنا : نزلنا ليلاً ، وسرى : سار ، ولبسته : خلطته (م) .

وإني لأستغشى وما بي نعمة
وأخرج من بين الجلوس لعني
تقطع أنفاسي لذكرك أنفاساً
وقد قال فيه قيس بن ذريح :

وإني لأهوى النوم في غير نعمة
تحببني الأحلام أنى أراكم
لعل لقاء في المنام يكون
فياليت أحلام المنام يقين

وكان البحتری أكثر الناس إبداعاً في الخيال ، حتى صار لاشتهاره مثلاً
يقال له « خيال البحتری » ، وفي بعض ذلك يقول :

ألمت بنا بعد الهدوء ، فساحت
فما برحت حتى مضى الليل وانقضى
فولت كأن البين يخلج شخصها
وقال :

سقى الغيث أجزاءً عهدت بجوها
إذا ما الكرى أهدى إلى خياله
فلم نر مثلينا ولا مثل شأننا
وقال :

بلى وخيال من أثيلة كلما
يرى مقلتي مالا ترى من لقائه
[ويكيفيك من حق تخيل باطل
تأوهت من وجدى تعرّض يطعم
وتسمع أذني رجع ما ليس تسمع
تردّ به نفس الليف فترجع]

قوله في البيت الأخير من قول الحسين بن الضحاك :

(١) يخلج شخصها : يجذبه وينزعه (م)

(٢) تقع الصدى : أروى العطش (م)

وماذا يفيدك طيفُ الخيالي
لِوالمجرُّ حطَّكَ من تُحِبِّ
غَناءُ قليلٌ ، ولكنِّي تَمَلَّيْتُهُ بِقَنوعِ الحَبِّ

وللحسين في هذا المعنى وإن لم يكن في ذِكْرِ الخيال :

وصفَ البَدْرُ حُسْنَ وجهِكَ حَتَّى خَلَّتْ أُنَى ، وما أراك ، أراكَ
وإذا ما تَنَفَّسَ النرجسُ الغَضُّسُ توهَّمَتْهُ نَسِيمَ جناكَ
خُدَعُ لِلْمَعْنَى تُعَلِّمُنِي فِيكَ يَأشراقِ ذَا ونكبة ذاك^(١)
وأول من طرد الخيالَ طَرَفَةَ بن العبد ، فقال :

فقل لخيال الخنظلية ينقلبُ إليها فإني واصلُ حَبْلٍ مَنْ وَصَلُ
فتبعه جرير في قوله فقال :

طَرَفَتِكَ صائِدَةُ القلوبِ وليس ذَا حِينَ الزيارَةِ فارِجِي بِسَلامِ
قال البحترى ، ونفي هذا المعنى بقوله :

قد كان مني الوجودُ غِبِّ تَذَكَّرُ إذ كان منك الصدُّ غِبِّ تَنَاسَى
تجرى دموعي حين دَمْعِكَ جامدٌ وَيَلِينُ قَلْبِي حِينَ قَلْبِكَ قاسِي
ما قلت للطفيف المسالم لا تُعَدُّ تَغشَى ، ولا نَهَيْتُ حَامِلَ كاسِي
وقال ابن هاني الأندلسي :

ألا طرقتنا والنجومُ رُكودُ وفي الحى أيقاظٌ ونحن هُجُودُ^(٢)
وقد أعجل الفجرُ الملمعُ خطوها وفي أخريات الليل منه عَمُودُ
سرت عاطلا غَضَبِي على الدرِّ وُحْدَهُ فلم يدرِ نَحْرَهُ ما دَهاهُ وَجيدُ^(٣)
فأبرحت إلا ومن سَلِكِ أَدْمَعِي قلائدُ في لَباتِها وَعُقُودُ
ألم يأتها أنا كبرنا عن الصَّبَا وأنا بلينا والزمانُ جَدِيدُ

(١) النكبة : أصلها ربح الفم (م) .

(٢) هجود : نيام (م) .

(٣) عطلت المرأة فهي عاطل : أى أنها ليست بذات حلى (م) .

وقال علي بن محمد الإيادي :

أما إته لولا الخيالُ المراجعُ
لأشفق واستخياً من النوم وَاللهُ
وقال أيضاً :

طيفُ يزورك من حبيبِ هاجر
شمة الدجى وسرى فأمعن في السرى
حندو به هيف القوام المنثى
لله درك من خيالِ واصلِ
علت علة قلب صبَّ هائمُ

وقال عبد الكريم بن إبراهيم

لم أذِرْ مَعْنَاكَ لَوْلَا الْمَسْكُ وَالْقَطْرُ
سرى يعارضُ أنفاسَ الرياحِ بما
يخفي ثوب الدجى مستتراهُ مُستتراً
كَأَنَّ أَعْيْنَ وَاشِيَه تَرَاقِبُهُ
وقال :

أهلاً به من زائرٍ متدارٍ
يتجاوزُ الراياتِ يحفوقُ ظلها
أنى اهتدى في ظل أخضر مُقدِّفٍ
بأرق من كبد المتيمِّ مقدماً
معتادة أُمِنَتْ نَمَامٌ حليها
والليلُ يرقلُ في ثيابِ حدادٍ^(١)
وينشقُّ ملتفَّ القنأ المنَادِ
حتى تيممَ بالعرَاءِ وسأدى
في حيث ينبو الحارث بن عبَادٍ^(٢)
والحليُّ نَمَامٌ على العوَادِ

(١) في نسخة « للم عنده خضر » (م)

(٢) يرقل في ثياب حداد : أراد أنه أسود شديد السواد (م)

(٣) الحارث بن عباد — بزنة غراب — هو فارس النعمانة الذي اعتزل حرب

البسوس حتى قتل المهلهل بن ربيعة ابنه (م)

وكانما يَأْتِيهَا فِي نَحْرِهَا مَتَوَقِّدٌ مِمَّا يُجِنُّ نُفُوءًا دِي

[عقاب بن شبة بين يدي المنصور]

خطب صالح بن أبي جعفر المنصور في بعض الأمر فأحسن ، فأراد المنصور أن يقرظه ويثني عليه ، فلم يجسر أحد على ذلك لمسكان المهدي ، وكان مرشحا للخلافة ، وخافوا ألا يقع الثناء على أخيه بموافقتة ، فقام عقاب بن شبة ، فقال : ما رأيت أبين بيانا ، ولا أفصح لسانا ، ولا أحسن طريقا ، ولا أغمض^(١) عروقا ، من خطيب قام بحضرتك يا أمير المؤمنين ، وحُقَّ لمن كان أمير المؤمنين أباه ، والمهدي أخاه ، أن يكون كما قال زهير :

يَطْلُبُ شَأْوَ امْرَأَيْنِ قَدَّمَا حَسَنًا بَرَّ الْمُلُوكَ وَبَرَّاهِذَةَ السُّوْقَا^(٢)
هُوَ الْجَوَادُ فَإِنْ يَلْحَقُ بِشَأْوِهِمَا عَلَى تَكَالَيْفِهِ فَمِثْلُهُ لِحِقَا
أَوْ سَبَقَاهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَهْلٍ فَبِالذِي قَدَّمَا مِنْ صَالِحٍ سَبَقَا

فمجب الناس من حسن تخلصه ، فقال أبو جعفر : لا ينصرف التيمى إلا بثلاثين ألفاً .

قال أبو عبد الله كاتب المهدي : ما رأيت مثل عقاب قط في بلاغته ؛ [مدح الغلام ، و] أرضى المنصور ، وسلم من المهدي .

[زهير وهرم بن سنان]

وفي قصيدة زهير هذه يمدح هرم بن سنان بن أبي حارثة المري :

فَدَجَّلَ الْمُتَبَعُونَ الْخَيْرَ فِي هَرَمٍ وَالسَّائِلُونَ إِلَى أَبْوَابِهِ طُرُقَا
مَنْ يَأْتِي يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرَمًا يَلْقَى السَّاحَةَ مِنْهُ وَالزَّيْدَى خُلُقَا

(١) في نسخة « ولا أعيص عروقا » (م) .

(٢) بز الملوك : فاقها ، وفي نسخة الديوان « نالا الملوك » (م) .

وليس مانع ذى قُرْبى وذى رَحِمٍ
ليثٌ بَعَثَ يَصْطَادُ الرِّجَالَ ، إذا
يَطْعَنُهُمْ ما ارْتَمَوْا حتَّى إذا اطَّعَنُوا
فَصَلُّ الجِوَادِ على الخيلِ البِطَاءِ فلا
هَذَا وليس كمن بَعِيَا مَجْحُوتِهِ
لو نال حتَّى من الدنيا بمكرمةٍ

يوماً ولا مُقَدِّماً من خَابِطٍ وَرَقاً^(١)
مالليثُ كَذَبَ عن أقرانه صَدَقاً^(٢)
ضاربٍ حتَّى إذا ماضَ أربوا اعتنقا
يُعْطَى بذلك ممنونا ولا تَرَفاً
وَسَطَ الندى إذا ما ناطقٌ نطقاً
أفقَ السماءَ لنالتُ كفه الأبقا

وكان زهيرٌ كثير المدح لهم ، ويروى أن بنتا لسان بن أبي حارثة رأَت
بنتا زهير بن أبي سلمى فى بعض الحافل ، وإذالها شارَةٌ وحالٌ حسنة ، فقالت :
قد سرنى ما أرى من هذه الشارة والنعمة عليك [فقالت : إنها منكم] . فقالت :
بلى والله لك الفضل ، أعطيناكم ما يَفْنَى ، وأعطيتونا ما يبقى !

وقد قيل : إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لابنة هرم بن سنان :
ما وهب أبوك زهير؟ قالت : أعطيتناه مالا وأنانا أفناه الدهر . قال : ليكن
ما أعطاكموه لا تُفنيه الدهور . وقد صدق عمر رضى الله عنه ، لقد أبقى زهير
لهم ما لا تفنيه الدهور ، ولا تُخْلِقُه العصور ، ولا يزال به ذكر المدوح سامياً ،
وشرفه باقياً ، فقد صار ذكراً عملاً منصوباً ، ومثلاً مصروباً ، قال الطائى ،
وذكراً فى شعره :

مالى ومالك شبهٌ حين أذكرهُ إلا زهير وقد أصغى له هرم

وقال يوسف الجوهري يمدح الحسن بن سهل :

لو أن عَيْنِي زهيراً بصرتُ حسناً وكيف يصنعُ فى أمواله الكرمُ

إذن لقال زهيرٌ حين يُبصرُهُ هذا الجوادُ على الجلاتِ لا هَرَمُ

(١) المراد بالخابط ، هنا : طالب المعروف ، وأصله الذى يخبط الشجر لينزل ورقه

فياخذه لعاف ماشيته ، كنى بذلك زهير عن كرمه (م) . (٢) عثر : مكان بعينه (م) .

وقال آخر ، ويدخل في باب تفضيل الشعر :
الشعرُ يحفظُ ما أودَى الزمان به والشعرُ أفضل ما يجنى من الكرم
لولا مقالُ زهير في قصائده ما كان يعرف جودُ كان من هرم

وقيل : أعطى هرم [العطاء الجزيل] عوض قول زهير فيه :

تالله قد علمت سرّاة بني دُبَيَّانَ عامَ الحَبْسِ والأَصْرِ
أَنْ نِعَمَ حَشْوُ الدَّرْعِ أَنْتِ إِذَا دُعِيَتْ نَزَالَ وَلُجَّ فِي الدُّعْرِ (١)
حامِي الدَّمَارِ عَلَى مُحَافِظَةِ الأَجَلِي أَمِينُ مَغِيْبِ الصَّدْرِ (٢)
حَدِبٌ عَلَى المَوَلَى الضَّرْبِكِ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِ نَوَائِبُ الدَّهْرِ (٣)
ومرهُقُ النِّيرانِ يُحْمَدُ فِي الأَوَاءِ غَيْرُ مَلْعَنِ القَدْرِ (٤)
والستر دونَ الفاحشاتِ ، وما يلقاك دونَ الخيرِ من سِتر

وقال :

إن البخيلَ ملومٌ حيثُ كان وَلَكِنَّ الجَوَادَ عَلَى عِلَاتِهِ هَرَمٌ
هو الكَرِيمُ الَّذِي يُعْطِيكَ نَائِلُهُ عَفْوًا ، وَيُظْلِمُ أَحْيَانًا قِيْظَلِمُ
وإن أَنَاهِ خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْأَلَةٍ يَقُولُ : لا غَائِبٌ مَالِي وَلا حَرِمٌ
الخليل : الذي أخلَّ به الفقرُ ؛ إلى غير ذلك من مُختارِ مدحه فيه .

[فضل الشعر]

ولما امتدح نَصِيبُ عبد الله بن جعفر رضي الله عنه أمرله بإبل وخيل ، وثياب ودنانير
ودراهم ، قال له رجل : أتعطى لمثل هذا العبد الأسود هذا العطاء ؟ فقال : إن كان أسود فإن
شعره أبيض ، وإن كان عبدًا فإن ثنائه حُرٌّ ، وقد استحق بما قال أكثر مما أعطى وهل
أعطيناها إلا ثيابًا تبلى ، وما لا يبقى ، ومطايا تنضى ، وأعطانا مديحًا يُرْوَى ، وثناءً يبقى .

- (١) نزال : اسم فعل أمر بمعنى انزل ، وهي كلمة تقال عند القتال يدعو بها القرن قرنه .
(٢) الجلى : النائبة الشديدة - وأمين مغيب الصدر : أراد أنه مأمون في غيبه كما
هو مأمون في حضوره لا ينال من صديق في حال غيبته عنه (م) .
(٣) الضربك : المحتاج (م) . (٤) مرهق النيران : تعشى الضيفان نيرانه ،
والأواء : الشدة ، وغير ملعن القدر : لا تسب قدره لأنه يطعم ما يشتهي الناس (م) .
(٩ - زهر الآداب ٣)

وقال الأخطل يعتدُّ على بنى أمية بِمدحِهِ لهم :

أبى أمية إن أخذت نوالكم فلما أخذتم من مديحي أ كثرُ

أبى أمية لي مدائحُ فيكم تُنسون إن طال الزمانُ وتُدكرُ

ولما مدح أبو تمام الطائي محمد بن حسان الضبي بقصيدته التي أولها :

أسقى طلولهم أجش هزيمُ وغدت عليهم نضرةٌ ونعيمُ^(١)

وصله بمال كثير، وخلع عليه خلعة نفيسة، فقال يصفها :

قد كسانا من كسوة الصيف خرقُ^(٢) مُكنسٍ من مكاريم ومسارع^(٣)

حُلةٌ ساء بريةً وكساء كسحا القيص أورداء الشجاع^(٤)

كالسراب الرقاق في الحُسن، إلا أنه ليس مثله في الخدايع

قصياً تسترجف الريح متئينه بأمرٍ من الهبوب مطاع

رُخفانا كأنه الدهر منه كبدُ الصب أو حصى المُرثاع^(٤)

لازما ما يليه تحسبه جزءاً من التنين والأضلاع

كسوة من أغرَّ أروع رُخب الصبدر رُخب الفواد رُخب الذراع

سوف أ كسوك ما يعنى عليها من ثناء كالبرد برد الصنّاع

حسن هاتيك في العيون، وهذا حسنه في القلوب والأسماع

فقال : لعنةُ الله على إن بقي عندي ثوب أو يصل إلى أبى تمام ؛ وأمر

بجمل ما فى خزائنه إليه .

بعض الأخبار قال إبراهيم بن العباس الصولى لأبى تمام : [أمراه] الكلام يا أبا تمام رعية

عن أبى تمام لإحسانك ، قال : [ذاك] لأنى أستضىء بنورك ، وأرد شريعتك .

(١) أراد بأجش هزيم : المطر، وأصل الأجش الحشن الصوت، والهزيم : الذى له

صوت شديد (م) . (٢) الخرق - بكسر الخاء - الفقى الحشن الكريم الطبايع (م) .

(٣) السحا : كل ما انتشر عن شئ، والقيص القشرة العليا اليابسة على البيضة،

والشجاع هنا : الحية ، يريد أن الثوب الذى كساه إياه رقيق (م) .

(٤) انتصاب « الدهر » ها على الظرفية الزمانية، والمشبه به هو « كبد الصب - الخ - (م) .

وكان الطائي مع جَوْدَةِ شعره بليغَ الخطاب، حاضرَ الجواب، وكان يقال :
ثنتان قَلَمًا يجتهدان : اللسانُ البليغُ ، والشعرُ الجيد .

وقال الحسن بن جُنَادَةَ الوشاء : انصرف أبو تمام من عند بعض أصحاب
السلطان ، فوقف على ، فقلت : من أين؟ فقال : كنت عند بعض الملوك فأكلنا
طعاماً طيباً ، وفاكهة فاضلة ، وُبُحْرْنَا وُعَلَفْنَا ؛ فخرجتُ هارباً من المجلس ، نافرأ
إلى التسلي ، ومافى منزلي نبئذ [فإن كان عندك منه شيء فامنحني ، فقلت : ما عندي
نبئذ] ، ولكن عندي حَمْرٌ أريده لبعض الأدوية ، فقال : دع اسمه ، وأعطنا
جِسْمَهُ ، فليس يثيننا عن اللدام ، ما هَجَّئْتَهُ ^(١) به من اسم الحرام . .

[استنجاز أعرابي مَوْعِدَةً]

قال عبيدالله ^(٢) بن محمد بن صدقة : كنا عند أبي عبيدالله ^(٣) ، فدخل عليه أعرابي
قد كان له عليه وعد ، فقال له : أيها الشيخ السيد ، إني والله أتسحبُ على كرمك ،
وأستوطينُ فراشَ مجدك ، وأستعين على نعمك بقدرك ؛ وقد مضى لي موعدان ،
فاجعل النُجُوحَ ثالثاً ، أقد لك الشُّكرَ في العرب شادخَ العُرَّة ، بادي الأوضح .
فقال أبو عبيدالله ^(٢) : ما وعدتكَ تفريراً ، ولا أخرتكَ تقصيراً ، ولكن الأشغال
تقطعني ، وتأخذ بأوفَرِ الحظِّ مني ، وأنا أبلغ لك جهد الكفاية ، ومنتهى الوُسْعِ
بأوفر مأمول ، وأحمد عاقبة ، وأقرب أمدٍ ، إن شاء الله تعالى

فقال الأعرابي : يا جالساً الصَّدق ، قد أحصرني التطول ، فهل من معين
مُنْجِدٍ ومساعدٍ منشدٍ ؟ فقال بعضُ أحداث الكتاب لأبي عبيدالله ^(٢) : والله
- أصلحك الله - لقد قصدك ، وما قصدك حتى أمَّلك ، وما أمَّلك إلا بعد أن
أجال النظر . فأمن الخطر ، وأيقن بالظفر ، فحقق له أمله بتهيئة القليل ، وتهنئة
التعجيل . قال الشاعر :

إذا ما اجتلاء المجد عن وَعْدِ آمِلٍ تبلِّج عن بشرٍ ليستكمل البشرى
ولم يَتَّئِبُوا مَطْلَ العادة عَنِ التي تصونُ له الحمدَ الموقرَ والأجرا

(١) هجنته : قبجته (م) . (٢) في نسخة «عبدالله» في المواضع كلها (م) .

فأحضر أبو عبيد الله^(١) للأعرابي عشرة آلاف درهم، وقال الأعرابي للفتى :
خُذْهَا فَأَنْتَ سَبِيهَا . فقال : شَكَرْتُكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهَا ، فقال له أبو عبيد الله^(١) : خُذْهَا
فَقَدْ أَمَرَ نَالَه بِمِثْلِهَا . فقال الأعرابي : الآن كَمَلْتُ النِّعْمَةَ ، وَتَمَّتِ الْمَنَّةُ .

[معاوية بن يسار]

وكان أبو عبيد^(١) الله واسع الذرع، سابغ الدرع في الكرم والبلاغة ، واسمه
معاوية بن يسار^(٢) .

وكان يقول : إِنْ مَخْوَةَ الشَّرَفِ تَنَاسَبُ بَطْرَ الْغَنَى ، وَالصَّبْرُ عَلَى حَقُوقِ التَّزْوَةِ
أَشَدُّ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى أَلَمِ الْحَاجَةِ ، وَذَلِكَ الْفَقْرُ يَسْعَى عَلَى عِزِّ الصَّبْرِ ، وَجُورُ الْوَالِيَةِ مَانِعٌ
مِنَ عَدْلِ الْإِنصَافِ ، إِلا مَن نَاسَبَ بَعْدَ الْهَمَةِ ، وَكَانَ لِسُلْطَانِ عِزْمِهِ قُوَّةٌ عَلَى شَهْوَتِهِ .
وَكَانَ يَقُولُ : لا يَكْسِرُ رَأْسُ صِنَاعَةٍ إِلا فِي أَحْسَنِّ رُتْبَانٍ ، وَأَرْدَلِ سُلْطَانٍ ،
وَلا يَعْيبُ الْعِلْمَ إِلا مَن انسَلَخَ عَنْهُ ، وَخَرَجَ مِنْهُ .

وَكَانَ يَقُولُ : حُسْنُ الْبِشْرِ عِلْمٌ مِنْ أَعْلَامِ [النِّجَاحِ] وَرَأْيٌ مِنْ [رِوَادِ
الْفَلَاحِ] ، وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ زَهْرِيرُ :

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مَتَهَلِّلاً كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ
وَقال له المهديُّ بعد أن قَتَلَ ابْنَهُ عَلَى الزَّنَدَقَةِ : لا يَمْنَعُكَ مَا سَبَقَ [به] الْقِضَاءُ فِي وِلْدَانِكَ ،
مِنَ [ثَلَجِ صَدْرِكَ] وَتَقْدِيمِ نَصِيحَتِكَ ؛ فَإِنِّي لا أَعْرِضُ لَكَ رَأْيًا عَلَى شُهْمَةٍ ، وَلا أُوخِرُ لَكَ قَدَمًا
عَنِ رَتْبَةٍ ، فَقال : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّمَا كانَ [وِلْدِي حَسَنَةً] مِنْ نَبْتِ إِحْسَانِكَ أَرْضُهُ ،
وَمِنْ تَفَقُّدِكَ سَمَاوُهُ ، وَأَنَا طَاعَةُ أَمْرِكَ ، وَعَبْدُ نَهْيِكَ ، وَبَقِيَّةُ رَأْيِكَ لِي أَحْسَنُ اتِّخَافٍ عِنْدِي .
وَكَانَ يَقُولُ : الْعَالِمُ يَمْشِي الْبَرَّازَ آمِنًا ، وَالْجَاهِلُ يَهْبِطُ الْغَيْطَانَ كَأَمْنًا ،
وَللهُ دَرَّ زَهْرِيرٍ حَيْثُ يَقُولُ :

الستر دون الفاحشات وما يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِتْرِ

وَقال أبو عبيد الله^(١) : ذَا كَرْنِي الْمَنْصُورُ فِي أَمْرِ الْحَسَنِ^(٣) بِنِ حَقِطَّةً ، فَقال : كانَ

(١) فِي نَسْخَةِ « أَبُو عَبْدِ اللَّهِ » (م) . (٢) فِي نَسْخَةِ « معاوية بن بشار » (م) .

(٣) فِي نَسْخَةِ « الْحَسَنِ » .

أوثق الناس عندي ، وأقربهم من قلبي ، فلما لقي أبا حنيفة انتكث ، فقلت : إن فسدت نيته فسيضعه الباطل كما رفعه الحق ، وتشهد بخايله عليه كما شهدت له ، فتعدل في أمره من شك إلى يقين . ثم قال لي : اكتبم علي ما ألقيت عليك .

قال عمران بن شهاب : استعنت على أبي عبيد الله في أمر ببعض إخوانه وكان قد تقدم سؤالي إياه فيه ، فقال لي : لولا أن حقت لا يجحد ولا يضاع ، لحجبت عنك حسن نظري ؛ أظننتني أجهل الإحسان حتى أعلمه ، ولا أعرف موضع المعروف حتى أعرفه ؛ لو كان ينال ما عندي إلا بغيري لكنت مثل البعير الدلول ؛ يحمل عليه الحمل الثقيل ، إن قيد انقاد ، وإن أتيخ برك ، ما يملك من نفسه شيئا ، فقلت : معرفتك بموضع الصنائع أثبت معرفة ، ولم أجعل فلانا شفيعا إنما جعلته مذكرا . قال : وأي إذكاراً بلغ عندي في رعي حقتك من سيرك إليه وتسليمك عليه ^(١) ، إنه متى لم يتصفح المأمول أسماء مؤتمليه غدوة ورواحا لم يكن للأمل محلا ، وجرى عليه المقدار لمؤتمليه على يديه بما قدر ، وهو غير محمود على ذلك ولا مشكور ، ومالي إمام بعدوردي من القرآن إلا أسماء رجال أهل التأمل ، حتى أعرضهم على قلبي ، فلا تستعن على شريف إلا بشرفه ؛ فإنه يرى ذلك عيبا لعرفه ؛ وأنشد :

وذاك امرؤ إن تأتته في عزيمة إلى بابه لا تأتته بشفيح
ومن توقيعاته : الحق يُعقب فلجا أو ظفرا ، والباطل يُورث كذبا وندما .

وكتب إليه رجل : والنفس مولعة بحب العاجل . فكتب إليه : لكن العقل الذي جعله الله للشهوة زماما وللهوى رباطا موكل بحب الآجل ، ومستصفر لكل كثير رائل .

قال مصعب بن عبد الله الزبيري : وقد زياد الحارثي على المهدي وهو بالري ولي عهد ، فأقام سنتين لا يصل إليه شيء من برّه ، وهو ملازم كاتبه أبا عبيد الله ، فلما طال أمره دخل إلى كاتبه فأنشده :

(١) في نسخة « من سيرك إلى ، وتسليمك على » وهي أدق من جهة المعنى (م) .

ما بعد حولين مرًا من مطالبةٍ ولا مُقَامَ لذي دينٍ وذى حَسَبٍ
 لئن رحلتُ ولم أظفر بفائدةٍ من الأمير لقد أعذرت في الطَّلَبِ
 فوق أبو عبيد الله : يصنعُ الله لك ! فكتب إليه :
 ما أردت الدعاء منك لأنى قد تيقنت أنه لا يُجَابُ
 أيجاب الدعاء من مستطيلٍ جُلُّ تسيبِهِ الخَنَا والسَّبَابُ

ألفاظ لأهل العصر ، في ذكر الاستطالة والكبر

مع ما يشاكل ذلك من معانيها ، ويطرق نواحيها من المساوى والقماح
 فلان لسانه مِقْرَاضٌ للأعراض ، لا يأكل خبزَه إلا بلحوم الناس . هو
 غرضٌ يَرشِقُ بسهام الغيبة ، وعلم يقصد بالوقية ، قد تناولته الألسن العاذلة ،
 رتناقلت حديثه الأندية الحافلة . قد لزمه عار لا يُمَجِّى رَسْمُه ، ولزمه شئار لا يزولُ
 وَسْمُه ، فأصبح [نَقَلَ كلَّ لسان ، وضْحَكَة كل إنسان ^(١)] ، وصار دولة الألسن ،
 ومُثَلَّة الأعين . وقد عَرَضَ عرضه [غرضاً لسهام الغائبين ، وألسنة القاذفين ، وقلد
 نفسه عظيم العار والشئار ، والسببة الخالدة على الليل والنهار . قد أسكرته خمره
 الكبر ، واستغرقته عرَّة التيه ، كأن كسرى حامل غاشيته ، وقارون وكيل
 نفقته ، وبلقيس إحدى داياته ، وكأنَّ يوسف لم ينظر إلا بطلعته ، [وداود
 لم ينطق إلا بنغمته] ، ولقمان لم يتكلم إلا بحكمته ، والشمس لم تطلع إلا من جبينه ،
 والغمام لم يند إلا من يمينه ، وكأنه امتطى السماكين ، وانتعل الفرقدين ، وتناول
 النَّيِّرِينَ بيدين ، وملك الخاققين ، واستعبد الثقلين ، وكان الخضر له عرشت ،
 والغبراء باسمه فرشت .

(١) النقل - بفتح النون وسكون القاف - ما يتنقل به على الشراب ، والضحكة :

الذى يضحك منه الناس (م) .

فلان له من الطلوس رِجْلُهُ ، ومن الوردِ شَوْكُهُ ، ومن الماءِ زَبْدُهُ ، ومن النارِ دخانها ، ومن الخمرِ خمارها ، قد هَبَّتْ سَمَائُهَا تَمَامَهُ ، ودَبَّتْ مَكَايِدَ عَقَارِيهِ ، والنَّامُ يَضْرِبُ بِسَيْفٍ كَلِيلٍ إِلَّا أَنَّهُ يَقْطَعُ ، وَيَضْرِبُ بَعْضُ وَاهِنٍ إِلَّا أَنَّهُ يُوَجِّعُ .
هو تَمَثُّلُ الجَبَنِ ، وصورة الخوف ، ومقرَّرُ الرعب ؛ فلو سَمِّيتْ له الشجاعة لَخَافَ لَفْظَهَا قَبْلَ مَعْنَاهَا ، وَذِكْرَهَا قَبْلَ خَوَاهَا ، وَفَزَعُ مِنْ اسْمِهَا دُونَ مَسْمَاها ، فَهوَ يَهْلِكُ مِنْ تَخَوُّفِهِ أَضْعَافَ أَحْلَامِهِ ، فَكَيْفَ بِمَسْمُوعِ الكَلَامِ ؟ إِذَا ذَكَرْتَ السَّيُوفَ لِمَسِّ رَأْسِهِ هَلْ ذَهَبَ ، وَمَسَّ جَبِينَهُ هَلْ نُقِبَ ؟ كَأَنَّهُ أَسْلِمُ فِي كِتَابِ الجُبْنِ صَنِيبًا ، وَلَقَدْ بَنَى كِتَابَ الفِشْلِ أَعْجَمِيَا . وَعَدُّهُ بَرَقٌ لِنُخْلَبِ ، وَرَوْغَانٌ لِعَلْبِ . غِيْمٌ وَعَدُهُ جِهَامٌ ، وَحَدُّ سَيْفِهِ كِهَامٌ . حَصَلَتْ مِنْهُ عَلَى مَوَاعِيدِ عَرْقُوبِيَّةٍ ^(١) ، وَأَحْزَانِ يَعْقُوبِيَّةٍ ^(٢) ، قَدْ حَرَسَنِي ثَمَرَ الوَعْدِ ، وَجَرَّعَنِي عَلَى شَوْكِ المَطْلِ . فَتَى لَهُ وَعْدٌ أَخَذَ ^(٣) مِنَ البَرَقِ انْخَلَبَ خَلْقًا ، وَقَدْ تَنَاوَلَ مِنَ العَارِضِ الجِهَامِ طَبْعًا ، وَتَرَكَنِي أَرْعَى رِيَاضَ رَجَاءِ لَا يَنْبِتُ ، وَأَخْبَنِي ثَمَارَ أَمَلٍ لَا يُوْرِقُ ؛ فَأَنَا فِي ضِمَانِ الِاتِّظَارِ ، وَإِسَارِ عِدَّةِ ضَمَارٍ ^(٤) .
هو يَرْسِلُ بَرَقَهُ ، وَلَا يَسِيلُ مَوْذِقَهُ ، وَيَقْدَمُ رَعْدُهُ ، فَلَا يَطْرُقُ بَعْدَهُ . وَعَدُّهُ الرُّقْمُ عَلَى بَسَاطِ المِهْوَاءِ ، وَأَنْخَطُ فِي بَسِيطِ المَاءِ .

حلّ هذا من قول أبي الفضل بن العميد :

لا أستفيقُ من الغرام ، ولا أرى	خَلَوْا مِنَ الأشْجَانِ وَالبُرْحَاءِ
وصروفُ أيامٍ أقمن قِيَامَتِي	بَنَوِي الخَلِيطِ وَفُرْقَةِ القُرْنَاءِ
وجفاء خِلِّ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّهُ	عَوْنِي عَلَى السَّرَاءِ وَالضَّرَاءِ
قُبْتُ العَزِيمَةَ فِي العَمُوقِ ، وَوَدَّه	مَتَنَقَّلُ كَتَنَقَّلِ الأَحْيَاءِ
ذِي خَلَّةٍ يَأْتِيكَ أَثْبَتُ عَهْدِهِ	كَانْخَطُ يُرَسِّمُ فِي بَسِيطِ المَاءِ

(١) عرقوبية : نسبة إلى عرقوب ، وهو مضرب المثل في الخلف والمطل (م) .

(٢) يعقوبية : نسبة إلى يعقوب نبي الله تعالى الذي حزن على ابنه يوسف وبكاه

حتى أبيضت عيناه من الحزن (م) .

(٣) في المطبوعات « له وعد أخذ من البرق الخلب خلقا » وما أثبتناه أشد

توافقا والثامًا بما بعده (م) . (٤) الضمار : الغائب الذي لا يرجى (م) .

أردت هذا البيت .

هو صخرة خلقت^(١) ، لا يستجيب للمرتقى ، وحيّة صماء لا تسمع للرتقى ،
 كأنى أستنفر بالجو رعداً ، وأهزّ منه بالدعاء طوداً ، هو ثابت العطف [نأبى
 العطف] ، عاجز القوة ، قاصر المنّة ، يتعلّق بأذنان المعاذير ، ويحيل على ذنوب
 المقادير . هو كالنعامة تكونُ جملاً إذا قيل لها طيري ، وطائراً إذا قيل لها سيري .
 يقاض له بذل ، ولا يفوض إليه شغل ، ويملاً له وطب ، ولا يدفّع به خطب ،
 قد وفرّهم على مطعم يجودّه ، وملبّس بجودّه ، ومرّقد يمهده ، وبنيان يشيده ،
 هذا كقول الخطيئة :

دَعِ الْكَارِمَ لَا تَرَحَّلْ لُبُغِيَّتَيْهَا واقعدُ فإك أنتَ الطاعمُ الكاسي
 قَلْبَ نَعْلٍ ، وَصَدْرُ دَغِلٍ ، وَطَوِيَّةٌ مَعْلُولَةٌ ، وَعَقِيدَةٌ مَذْخُولَةٌ ، صَفْوُهُ
 رَنْقٌ^(٢) ، وَرَوْدٌ مَلَقٌ ، قَدْ مَلَى قَلْبُهُ رَيْنًا ، وَشَجِنَ صَدْرُهُ مَيْنًا^(٣) ، يَدْعَى الْفَضْلَ
 وَهُوَ فِيهِ دَعَى ، دَأْبُهُ بَثُّ الْخُدَائِعِ ، وَالنَّفْثُ فِي عُقْدِ الْمَكَايِدِ ، ضَمِيرُهُ حُبْثٌ ،
 وَيَمِينُهُ حِثٌّ ، وَعَهْدُهُ نَكْثٌ . هُوَ سَحَابَةٌ صَيْفٌ ، وَطَارِقٌ صَيْفٌ ، قَوْتُهُ
 غَنِيمَةٌ ، وَالظَّفَرُ بِهِ هَزِيمَةٌ . هُوَ الْعَوْدُ الْمُرْكُوبُ ، وَالْوَتْرُ الْمَضْرُوبُ ، يَطْوُهُ الْخَلْفُ
 وَالْحَافِرُ ، وَيَسْتَضِيئُهُ الْوَارِدُ وَالصَّادِرُ . [يغمض عن الذكر] ، وَيَضْعُرُ عَنِ
 الْفِكْرِ . ذَاتُهُ لَا يَوْسَمُ أَغْفَالَهَا ، وَصَفْتُهُ لَا تَنْفَرُجُ أَقْفَالَهَا . هُوَ أَقْلٌ مِنْ تَبْنَةٍ فِي
 لَبْنَةٍ ، وَمِنْ قَلَامَةٍ فِي قَمَامَةٍ . وَهُوَ بِيذِ الشُّطْرَانِجِ فِي الْقِيَمَةِ وَالْقَامَةِ ، جَهْلُهُ
 كَثِيفٌ ، وَعَقْلُهُ سَخِيفٌ ، لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْعَقْلِ بِسِجْفٍ ، وَلَا يَشْتَمِلُ إِلَّا عَلَى
 سَخْفٍ . يَمْدُ يَدَ الْجُنُونِ فِيْفِرُكُ بِهَا أُذُنَ الْحَزْمِ ، وَيَفْتَحُ جِرَابَ السَّخْفِ
 فَيَصْفَعُ بِهِ قَفَا الْعَقْلِ . لَا تَزَالُ الْأَخْبَارُ توردُ سَفَاحَ جَهْلِهِ وَخَرْقَهُ ، وَالْأَنْبَاءُ
 تَنْقَلُ نَتَائِجَ سُخْفِهِ وَحُجْمِهِ . قَدْ ظَلَّ يَتَعَسَّرُ فِي فَضُولِ جَهْلِهِ ، وَيَتَسَاقَطُ فِي
 ذِيُولِ عَقْلِهِ . هُوَ سَمِينُ الْمَالِ مَهْزُولِ النَّوَالِ . تَرْوَةٌ فِي الثَّرْيَا وَهَمَّةٌ فِي السَّرْيِ .

(١) خلقت : ملأ (م) . (٢) رنق : كدر (م)

(٣) الرين : الدنس ، وأراد الحقد والضغن ، والمين : الكذب (م) .

وجْهَهُ كَهَوْلِ الْمَطْلَعِ ، وَزَوَالِ النَّعْمَةِ ، وَقَضَاءِ السَّوَاءِ ، وَمَوْتِ الْفُجَاءَةِ . هُوَ قَدَى الْعَيْنِ ، وَشَجَى الصَّدْرِ ، وَأَذَى الْقَلْبِ ، وَحَمَى الرُّوحِ ، وَجْهَهُ كَأَخْرِ الصِّكِّ ، وَظِلْمِ الشُّكِّ ، كَأَنَّ النَّحْسَ يَطْلَعُ مِنْ جَبِينِهِ ، وَانْخَلَّ يَقْطُرُ مِنْ وَجْتِهِ . وَجْهَهُ طَلْعَةُ الْمَجْرَى ، وَلَفْظُهُ قِطْعُ الصَّخْرِ . وَجْهَهُ كَحُضُورِ الْغَرِيمِ ، وَوَصُولِ الرَّقِيبِ ، وَكِتَابِ الْعَزْلِ ، وَفِرَاقِ الْحَبِيبِ . لَهُ مِنَ الدِّينَارِ نَضْرَتُهُ ، وَمِنَ الْوَرْدِ صُفْرَتُهُ ، وَمِنَ السَّحَابِ ظُلْمَتُهُ ، وَمِنَ الْأَسَدِ نَكْمَتُهُ ^(١) . هُوَ عَصَارَةُ لَوْثٍ فِي قَرَارَةِ خُبْثِ الْأُمِّ مَهْجَةٌ فِي أَسْقَطِ جَنَّةٍ . حَدِيثُ النَّعْمَةِ ، خَبِيثُ الطَّعْمَةِ ، خَبِيثُ الْمَرْكَبِ ، لَيْثٌ الْمُنْتَسَبِ ، يَكَادُ مِنْ لَوْثِهِ يُعْدِي مِنْ جَلْسِ إِلَى جَنْبِهِ ، أَوْ تَسَمَّى بِاسْمِهِ . قَدْ أُرْضِعَ بِلْبَانِ الْلَوْثِ ، وَرُبِّي فِي حِجْرِ الشُّومِ ، وَفُطِمَ عَنْ نَدَى الْخَلِيرِ ، وَنَشَأَ فِي عَرَصَةِ الْخُبْثِ ، وَطَلَّقَ الْكِرْمَ ثَلَاثًا لَمْ يَنْطِقْ فِيهِ اسْتِثْنَاءً ، وَأَعْتَقَ الْمَجْدَ بِنَاتًا لَمْ يَسْتَوْجِبْ عَلَيْهِ وِلَاءً . هُوَ حَمَازٌ مَبْطُنٌ بِشُورٍ مَفْرُوزٌ بِتَيْسٍ ، مَطْرَزٌ بِطُرٍّ ، [أُنِي مِنَ الْلَوْثِ بِنَادِرٍ] ، لَمْ تَهْتَدِ لَهُ قِصَّةٌ مَادِرٍ ^(٢) . هُوَ قَصِيرُ الشَّيْبِ ، صَغِيرُ الْقَدْرِ ، قَاصِرُ الْقَدْرِ ، ضَيْقُ الصَّدْرِ ، رَدٌّ إِلَى قِيَمَةِ مِثْلِهِ فِي خُبْثِ أَصْلِهِ ، وَفِرْطُ جِهْلِهِ ، لَا أَمْسَ لِيَوْمِهِ ، وَلَا قَدِيمَ لِقَوْمِهِ ، سَائِلُهُ مَجْرُومٌ ، وَمَالُهُ مَسْكُونٌ ؛ لَا يَحِينُ إِفْئَاقُهُ ، وَلَا يَحِلُّ خِنَاقُهُ . خَيْرُهُ كَالْعِنَقَاءِ تَسْمَعُ بِهَا وَلَا تَرَى . خُبْرُهُ فِي حَالِقٍ ، وَإِدَامُهُ فِي شَاهِقٍ . غِنَاهُ قَفْرٌ ، وَمَطْبَخُهُ قَفْرٌ ، يَمْلَأُ بَطْنَهُ وَالْجَارِ جَائِعٌ ، وَيَحْفَظُ مَالَهُ وَالْعَرِضُ ضَائِعٌ ، قَدْ أَطَاعَ سُلْطَانَ الْبُخْلِ وَانْخَرَطَ كَيْفَ شَاءَ فِي سَلِكِهِ . هُوَ مِنْ لَا يَبِيضُ حَجْرَهُ ، وَلَا يَشْمُرُ شَجْرَهُ ، سُكَّيْتُ الْحَلْبَةَ ^(٣) ، وَسَاقَةُ الْكَنْبِيَّةِ ، وَأَخْرُ الْجَرِيدَةِ . لُعْنَةُ الْعَائِبِ ، وَعَرَضَةُ الشَّاهِدِ وَالْعَائِبِ . هُوَ عَيْبَةُ الْعَيُوبِ ، وَذَنُوبِ الذُّنُوبِ . وَقَالَ أَبُو الْفَضْلِ الْمِيكَالِيُّ :

(١) النكبة: ربح الفم ، والأسد معروف بالبحر ، وهو تنن الفم (م) .

(٢) مَادِرٌ : مَضْرَبُ الْمِثْلِ فِي الْبُخْلِ ، كَانَ لَهُ حَوْضٌ يَمْلَأُهُ مَاءٌ لِيَسْقَى دَوَابَّهُ ،

فَإِذَا فَرِغَ قَدَفٌ فِيهِ الْحَصَى الْكَثِيرَ لَثَلَا يَسْتَقِي غَيْرَهُ (م) . (٣) الْحَلْبَةُ : مَوْضِعٌ

جَرَى الْحَيْلُ الْمَتَسَابِقَةُ . وَسَكَّيْتُهَا : أَرَادَ أَنَّهُ يَأْتِي فِي آخِرِ الْمَتَسَابِقِينَ (م) .

وظلعةٍ بقبحها قد سُهِرَتْ تحكى زوالَ نعمة ما شكرت
 كأنها عن لهما قد قشرت أقْبِخَ بها صحيفةٌ قد نشرت
 عنوانها إذا الوحوش حُشِرَتْ يلغنها ما قدّمت وأخرت
 صاحبها ذو عورة لو سترت إن سار يوماً فالجبال سُيرت
 أوراَمَ أكلا فالجحيم سُعرت

ويختص بهذه الأنواع رسالة بديع الزمان إلى القاضي علي بن أحمد يشكو
 أبا بكر الحيرى القاضي ويذمه - وقد أطلت عنان الاختيار فيها لصحة مبانها ،
 وارتباط ألفاظها بمعانيها :

من
 بديع الزمان
 يشكو الحيرى
 القاضي

الظلامه - أطل الله بقاء القاضي - إذا أتت من مجلس القضاء ، لم ترق
 إلا إلى سيد القضاء . وما كنت لأقصر سيادته على الحكم ، دون سائر الأنام ،
 لولا اتصاؤهم بسببه ، واتسامهم بلقبه ، وهبهم مطلقين على قسمه ، مغيرين على
 اسمه ، ألم في الصحة أديم كأديمه^(١) ، أو قديم في الشرف كقديمه ، أو حديث
 في الكرم كطريفه ؛ فهيناً لهم الأسماء ، وله المعاني ، ولا زالت لهم الظواهر ،
 وله الجواهر . ولا غرو أن يسموا قضاءً ، فما كلُّ مائع ماء ، ولا كلُّ سقف
 سماء ، ولا كلُّ سيرة عدل العمرين^(٢) ، ولا كلُّ قاضٍ قاضى الحرمين ، وبالثارات
 القضاء ! ما أرخص ما يبيع ، وأسرع ما أضيع ! والسنة الإنذار ، قبل خلو الديار ،
 وموت الخيار ، ألا يفار حللى الحسناء ، على السوداء ، ومركب أولى السياسة ،
 تحت الساسة ، ومجلس الأنبياء ، من تصدّر الأغبياء ، ورحمى البزاة من صيد البغاث ،
 ومرتع الذكور^(٣) من تسلط الإناث ؟ ويا للرجال ، وأين الرجال ! ولى القضاء من
 لا يملك من آلاته غير السبال^(٤) ، ولا يعرف من أدواته غير الاعتزال ، ولا يتوجه

(١) الأديم : الجلد (م) .

(٢) العمرين : أبو بكر وعمر بن الخطاب ، رضى الله عنهما (م) .

(٣) في نسخة «ومربع الذكور» (م) . (٤) السبال - بكسر السين - جمع

سبلة - بالتحريك - وهو الشارب ، ويقال : مقدم اللحية وما أسبل منها على الصدر (م) .

في أحكامه إلا إلى الاستحلال ، [ولا يرى التفرقة إلا في العيال] ولا يُحسِنُ من
 الفقه غير جمع المال ، [ولا يتقن من الفرائض إلا قلة الاحتفال ، وكثرة الافتعال]
 ولا يدرس من أبواب الجدال إلا قبيح الفعّال ، وزُورَ المقالِ ، ذلك أبو بكر
 القاضي ، أضاءه الله كما أضاء أمانته ، وخانَ خزائنه ، ولا حاطه من قاضي في
 صَوْلَة جندي ، وسبلة كردى ... إلى أن قال : أيكفي أن يُصيح المره بين الرزق
 والعود ، ويسى بين موجبات الحدود ، حتى يكمل شبابه ، وتشيب أترابه . ثم
 يلبس دَنِيته ^(١) ، ليخلع دينيته ، ويسوى طليسانه ، ليحرف يده ولسانه ، ويقصر
 سِبَاله ، ليطيل حباله ، ويُظهِر شفاشقه ، ليستر تحارقه ، وبييض لحيته ، ليسود
 صحيفته ، ويبدى ورعه ، ليخفي طمعه ، ويفشى محرّابه ، ليملا جرّابه ، ويكثر
 دُعاه ، ليحشوا وعاءه ، ثم يخدم بالنهار أمعاءه ، ويعالج بالليل وجعآه ، ويرجو
 أن يخرج من بين هذه الأحوال عالماً ، ويقعد حاكماً ؟ هذا إذا المجد كآله بقفزان ^(٢)
 وباعوه في سوق الخسران ! هيهات حتى ينسى الشهوات ، ويحبب الفلوات ،
 ويعتضد الحبار ، ويحتضن الدفاتر ، وينتج الخواطر ، ويخالف الأسفار ، ويعتاد
 القفّار ، ويصل الليلة باليوم ، ويعتاض السهر من النوم ، ويحمل على الروح ،
 ويحني على العين ، وينفق من العيش ، ويخزن في القلب ، ولا يستريح من النظر
 إلا إلى التحديق ، ولا من التحقيق إلا إلى التعليق ؛ وحامل هذه السكف إن
 أخطأه رائدُ التوفيق ، فقد ضلّ سواء الطريق ، وهذا الحيرى رجل قد شغله طلبُ
 الرياسة عن تحصيل آلاتها ، وأعجبه حصولُ الأمانة عن تحمل أدواتها ^(٣) :

والكلبُ أحسن حالةً وهو النهاية في الخساسة
 ممن تصدّى للرياسة قبل إبان الرياسة

(١) الدنية - بفتح الدال وتشديد النون مكسورة - قلنسوة كان القضاة يلبسونها ،
 وقد جاء في مقامات الحريري « فضحك القاضي حتى هوت دينته » (م) .
 (٢) قفزان : جمع قفيز ، وهو مكيال . (٣) في نسخة « عن تنخل أدواتها » (م) .

فولى المظالم وهو لا يعرف أسرارها ، وحمل الأمانة وهو لا يدري مقدارها ؛ والأمانة عند الفاسق خفيفة الحمل على العاتق ، تشفق منها الجبال ، ويحملها الجهال ، وقعد مقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بين حديثه يروى ، وكتاب الله يُنتلى ، وبين البينة والدعوى ، فقبحه الله تعالى من حاكم لا شاهد عنده أعدل من السلة والجام^(١) ، يُدلى بهما إلى الحكام ، ولا مزكى أصدق لديه من الصفر^(٢) ، ترقص على الظفر ، ولا وثيقة أحب إليه من غمزات الخصوم ، على الكيس المحتوم ، ولا كفيل أوقع بوفائه من خبيثة الذليل ، وحمال الليل ، ولا وكيل أعز عليه من المنديل والطبق ، في وقت الفسق والفلق ، ولا حكومة أبغض إليه من حكومة المجلس ، ولا خصومة أوحش لديه من خصومة المفلس ، ثم الويل للفقير إذا ظلم ، فما يغنيه موقف الحكم إلا بالقتل من الظلم ، ولا يجيره مجلس القضاء إلا بالنار من الرمضاء . وأقسم لو أن اليتيم وقف بين أنياب الأسود ، بل الحيات السود ، لكانت سلامته منهما أرجى من سلامته إذا وقع من هذا القاضي بين عقابه وأقاربه ؛ وما ظنُّ القاضي بقومٍ يحملون الأمانة على متونهم ، ويأكلون النار في بطونهم ، حتى تغلظ قصراتهم^(٣) من مال اليتامى ، وتسدن أكفالم من مال الأيتامى ، وما رأيه في دار عمارتها خراب الدور ، وعطلة القدور ، وخلاء البيوت ، من الكسوة والقوت ، وما قوله في رجل يُعادي الله في الفئس ، ويبيع الدين بالثمن البخس ، وفي حاكم يبرز في ظاهر أهل السمّ ، وباطن أصحاب السبت ، ففعله الظلم البحت ، وأكله الحرام السحت . وما قوله في سوس لا يقع إلا على صوف الأيتام ؛ وجراد لا يقع إلا على الزرع الحرام ، ولص لا ينقب إلا خزانة الأوقاف ، وكردى لا يُغير إلا على الضعاف ، وليث لا يفترس عباد الله إلا بين الركوع والسجود ، وخارب^(٤) لا ينهب مال الله إلا بين العهود والشهود .

(١) السلة - بفتح السين - السرقة ، والجام : الوعاء الذى تشرب به الخمر (م) .

(٢) الصفر : جمع أصفر ، وهو الدينار (م) . (٣) القصرات : جمع

قصرة - بالتجريك - وهى أصل العنق . (٤) الخارب : السارق (م) .

وذكر في هذه الرسالة فصلاً في ذكر العلم - وهو مستطرف البلاغة ،
مستعذب البراعة - قال :

والعلم - أطال الله بقاءه المقاضى - شيء كما تعرفه ، بعيد المراد ، لا يصادُ
بالتهم ، ولا يُقسَمُ بالأزلام^(١) ؛ ولا يُرَى في المنام [ولا يُضَبِّطُ بالأجسام ، ولا يُورَثُ
عن الأعمام ، ولا يكتب للثام] ، وزرع لا يزكو^(٢) حتى يصادف من الحزم -
ثرمي طيباً ، ومن التوفيق مطرا صيبياً ؛ ومن الطبع جوا صافياً ، ومن الجهد روحاً
دائماً ، ومن الصبر سقياً نافعا ، والعلم علق^(٣) لا يباع ممن زاد ، وصيْدٌ لا يألف
الأوغاد ، وشيء لا يدرك إلا بنزع الروح ، وعون اللانسكة والروح ، وغرض
لا يصاب إلا بافتراش المدر^(٤) ، واتساد الحجر ، وردة الضجر ، وركوب الخطر ،
وإذمان السمهر ، واصطحاب السفر ، وكثرة النظر ، وإعمال الفكر ، ثم هو
معتاص إلا على من زكا زرعهُ ، وخلا ذرعهُ ، [وكرم أصله وفرعه ، ووعى
بصره وسمعه] ، وصفا ذهنه وطبعهُ ، فكيف يناله من أنفق صباه على النخشاء ؛
وشبابه على الأحشاء ، وشغل نهاره بالجمع ، وليله بالجماع ، وقطع سلوته بانغى ،
وخلوته بالفناء ، وأفرغ جده على الكيس ، وهزله في الكأس ؛ والعلم ثمراً لا
يصلح إلا للغرس ، ولا يغرس إلا في النفس ، وصيد لا يقع إلا في الندر ، ولا
ينشب إلا في الصدر ، وطائر لا يحدده إلا قنص اللفظ ، ولا يعلقه إلا شرك
الحفظ [ولا ينشب إلا في الصدر] ، وبحر لا يخوضه إلا الملاح ، ولا تطيقه إلا الألواح ،
ولا تهيجه الرياح ، وجبل لا يتسنى إلا بحط الفكر ، وسما لا يصعد إلا بمغراج
الفهم ، ونجم لا يلمس إلا بيد المجد .

(١) الأزلام ، هنا : قدام الميسر (م) .

(٢) لا يزكو : لا ينمو (م)

(٣) العلق - بالكسر - النفس الذي يتعالى فيه (م)

(٤) المدر - بالتجريك - صغار الحصى (م) .

ومن مفردات الآيات في المعاييب والمقايح

قول أبي تمام :

مَسَاوٍ لَوْ قُسِمْنَ عَلَى النَّوَانِي لَمَا أُشِيرْنَ إِلَّا بِالطَّلَاقِ

آخر :

قَوْمٌ إِذَا جَرَّ جَانٍ مِنْهُمْ أَمِنُوا مِنْ لَوْثٍ أَحْسَابِهِمْ أَنْ يَقْتُلُوا قَوْدًا^(١)

البحترى :

نَبَا فِي يَدِي ، وَابْنُ اللَّيْمَةِ وَاجِدٌ وَيَنْبُو الْخَبِيثُ الطَّعْبُ وَهُوَ صَقِيلٌ

ابن الرومي في رجل يعرف بابن رمضان :

رَأَيْتَكَ تَدْعِي رَمْضَانَ دَعْوَى وَأَنْتَ نَظِيرُ يَوْمِ الشُّكِّ فِيهِ

وله في أعمى :

كَيْفَ يَرْجُو الْحَيَاءَ مِنْهُ صَدِيقٌ وَمَكَانُ الْحَيَاءِ مِنْهُ خَرَابٌ

غيره :

هُوَ الْكَلْبُ ، إِلَّا أَنْ فِيهِ مَلَالَةٌ وَسُوءُ مَرَاعَاةٍ وَمَا ذَاكَ فِي الْكَلْبِ

آخر :

أَبَاذَلْفِ يَا أَكْذَبَ النَّاسِ كُلَّهُمْ سِوَايَ فَإِنِّي فِي مَدِيحِكَ أَكْذَبُ

أبو الفضل الميسكالي :

هُوَ الشُّوكُ لَا يُعْطِيكَ وَإِفْرَ مَنَّةً يَدَ الدَّهْرِ إِلَّا حِينَ تَضُرُّ بِهِ جَمَادًا

(١) جر : اكتسب جريرة ، يريد أنهم لا يساوون أحدا من الناس ،
ومن شرط القود — وهو الاقتصاص من القائل بقتله — التكافؤ ، فليسوا يقتلون
أصلا (م) .

[قولهم في اللحن وتعلم العربية]

قال المأمون لبعض ولده وسمع منه لحنًا : ما على أحدكم أن يتعلم العربية ،
فيقيم بها أودّه^(١) ، ويزين بها مشهده ، ويفل^(٢) حُجَجَ خَضَمه ، بمس كتاب
حكاه^(٣) ، ويملك مجلس سلطانه ، بظاهر بيانه ؛ ليس لأحدكم أن يكون
لسانه كلسان عبده أو أمته ، فلا يزال الدهر أسيرَ كلمته .

وقال رجلٌ للحسن البصرى يا أبو سعيد ، قال : كَسِبُ الدرهم شغلك
أن تقول يا أبا سعيد ، ثم قال : تعلموا العلم للأديان ، والنحو للسان ، والطلب
للأبدان .

وكان الحسن كما قال الأعرابي وسمع كلامه : والله إنه لفصيحٌ إذا لفظ ، نصيحٌ
إذا وعظ . وقيل له : يا أبا سعيد ، ما نراك تلحن ، قال : سَبَقْتُ اللحن . أخذه
أبو العتاهية ، وقيل له : إنك تخرج في شعرك عن العَرُوض ، فقال : سبقت العروض ،
وقال إسحاق بن خلف البهراني :

المحو يصلح من لسان الألسنِ والمرءُ تُعْظِمُه إذا لم يلحنِ
فإذا طلبت من العالوم أجابها فأجابها منها مقيم الألسنِ
وقال علي بن بسام :

رأيتُ لسانَ المرءِ رائدَ عامِه وعنوانه فَأَنْظَرُ بماذا تُعَنَّونُ
ولا تُعدُّ إصلاحَ اللسانِ فإنه يُخَبِّرُ عما عنده ويبين
على أن للإعراب حدًّا ، وربما سمعت من الإعراب ما ليس يحسنُ
ولا خيرَ في اللفظ الكريه استماعه ولا في قبيح اللحن والصدأ زين

(١) أوده : اعوجاجه (م) .

(٢) يفل : يكسر ويضعف (م) . (٣) في نسخة « بمسكتات حكاه » (م) .

وقال بعضُ أهل العصر ، وهو أبو سعيد الرستمي :

أَفِي الْحَقِّ أَنْ يُعْطَى ثَلَاثُونَ شَاعِرًا وَيُحْرَمَ مَادُونَ الرَّضَا شَاعِرٌ مِثْلِي
كَمَا سَاحَوا عَمْرًا بَواوِ زِيَادَةٍ وَضُوبِقَ بِسْمِ اللَّهِ فِي أَلْفِ الْوَصْلِ

أبو الفتح البستي :

حَذِفْتُ وَغَيْرِي مَثَبٌ فِي مَكَانِهِ كَأَنِّي نَوْنُ الْجَمْعِ حِينَ يُضَافُ
وقال :

أَفْدَى الْغُرَالِ الَّذِي فِي النَّحْوِ كَلَّمَنِي مِنْ أَطْرَافِ اجْتَنَيْتِ الشَّهْدَانَ مِنْ شَفْتِهِ
فَأَوْزَدَ الْحَجِجَ الْمَقْبُولَ شَاهِدُهَا مُحَقِّقًا لِيرِينِي فَضَّلَ مَعْرِفَتِهِ
ثُمَّ اتَّفَقْتُ عَلَى رَأْيِي رَضِيْتُ بِهِ وَالرَّفْعَ مِنْ صِفَتِي وَالنَّصْبَ مِنْ صِفْتِهِ
الحسن اللحام (١) :

أَنَا مِنْ وَجْهِ النَّحْوِ فِيكُمْ أَفْعَلُ وَمِنَ اللُّغَاتِ إِذَا تُعَدُّ الْمَهْمَلُ (٢)

[لَوْعَةُ الشُّوقِ] .

وقال أحمد بن يوسف :

كُتِبَ غِلامٌ مِنْ وَلَدِ أَنْوِ شُرُوانٍ مِمَّنْ كانَ أَحَدُ غُلَمانِ الدِّيوانِ ، إلى آخِرِ مَنَهم
وَكانَ قَدِ عَلقَ بِهِ ، وَكانَ شَدِيدَ الْكَلْفِ بِهِ وَالْحَبَّةَ لَهُ : لَيْسَ مِنْ قَدَرِي - أَدَامَ
اللَّهُ سَعادَتَكَ - أَنْ أَقُولَ لِمِثْلِكَ جُعِلْتُ فِدَاكَ ؛ لِأَنِّي أُرَاكَ فَوْقَ كُلِّ قِيمةِ خَطيِرةِ
وَمِنَ مُعْجِزِ ، وَلِأَنَّ نَفْسِي لا تُساوِي نَفْسَكَ ، فَتُقبِلُ في فِدائِكَ ، وَعَلى كُلِّ
حَالٍ ؛ لِجَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَ ساعَةٍ مِنْ أَيامِكَ ، اعْلَمْ أَيُّها السَّيِّدُ العَليُّ المُنزَلَةُ ، أَنَّهُ لو
كانَ لَعَبْدِكَ مِنْ شَدَةِ الخُطْبِ أمرٌ يَقِفُ عَلى حَدِّه النِّعَتُ (٣) ، لِاجْتِهَادِنا أَنْ يُضَعِفَ (٤)

(١) في نسخة « أبو الحسن اللحام » (م)

(٢) أفعل : يريد أنه غير منصرف، وسقطت هذه الكلمة من بعض النسخ (م) .

(٣) النعت : الوصف ، نعته ينعته : وصفه يصفه (م) .

(٤) في نسخة « لاجتهد أن يصف » (م) .

من ذلك ما عسى أن يعطف به زمام قلبك ، وتحنو له على الرقة به والتحفى أنفء جوانحك ، ولكن الذى أمسيت وأصبحت ممتحنًا به فيه شمع^(١) على كل بيان ، ونزع عن كل لسان ؛ والحب أيها المالك لم يشبه قذى ريبة ، ولم يختلط به قلب معاب ، فلا ينبغي لمن كرمت أخلاقه أن يعاف مقاربة صاحبه المدلل بحرمة نيته ، والذى أئمنه أيها المولى اللطيف مجلس أقف فيه أمامك ، ثم أبوح بما أضنى جسدى ، وفيت كبدى . فإن خفت ذلك عليك ورأيت نشاطا من نفسك إليه كنت كمن فك أسيراً وأبرأ عليلاً ، ومن الخير سلك سبيلاً ، يتوعر سلوكها على من كان قبله ، ومن يكون بعده ؛ ثم أضف إلى ذلك منة لا يطيقها جبل راس ، ولا فلك دائر ، فرأيك أيها السيد المعتمد فى الإسعاف ، قبل أن يئدرنى الموت ؛ فيحول بينى وبين مانزعت إليه النفس مواصلاً برآ إن شاء الله تعالى .

فأجابه : تولى الله تعالى ما جرى به لسانك بالمزيد ، ولا أوحش ما بيننا بطائر فرقة ، ولا صافر تشتت ، وضمننا وإياك فى أوثق حبال الأوس ، وأؤكد أسباب الألفة ؛ وفتت على ما خلصته من العجز عن بلوغ ما حامر قلبك^(٢) ، وانطوى فى ضميرك ، من الشغف الملقى ، والهوى المضرع ، ولعمري لو كشفت لك عن معشار ما اشتتمل عليه مضمهر صدرى لأيقنت أن الذى عندك إذا قستته إلى ما عندى كالنتلاشى البائد ، ولكنك بفضل الإنعام سبقتنا إلى كشف ما فى الضمير . وأما طاعتى لك ، وذمامى إليك ؛ فطاعة العبد المفتنى ، الطائع لما يحكم له وعليه مولاه وما لكه ، وأنا صائر إليك وقت كذا ؛ فتأهب لذلك بأحد عافية ، وأتم عقد^(٣) ، وأسعد نجم جرى بالألفة ، إن شاء الله تعالى .

وكتب بعض الكتّاب : إني لأكره أن أفديك بنفسى استحياءً من التقصير

(١) شمع : بعد ، وفى نسخة « منع من كل بيان » (م) .

(٢) حامر قلبك : خانطه (م) فى نسخة « وأتم عافية » (م) .

(١٠ — زهر الآداب ٣)

في المعاوضة ، ومن التخلّف في الموازنة ، وعلى الأحوال كلّها ، فقدّم الله رُوحِي
عنك ، وصانتي عن رُؤية المكروه فيك .

وقال المتنبي :

فَدَى لَكَ مِنْ يُقَصِّرُ عَنْ مَدَاكَ فَلَا مَلَكَ إِذَنْ إِلَّا فِدَاكَ
وَلَوْ قَلْنَا فِدَى لَكَ مِنْ يُسَاوِي دَعَوْنَا بِالْبَقَاءِ لَمَنْ قَلَاكَ
وَأَمَّنَّا فِدَاءَكَ كَلَّ نَفْسِي وَإِنْ كَانَتْ لِمَمْلُوكَةٍ مِثْلًا كَا

[وقال عبيد الله بن شبيب : كتب إلى بعض إخواني من أهل البصرة
كتابا ملح فيه وأوجز ، وهو : أطال الله بقاءك ، كما أطال خباءك ، وجعلني
فذاك إن كان في فداؤك .

كُتِبْتُ وَلَوْ قَدَرْتُ هَوَىٰ وَشَوْقًا إِلَيْكَ لَكُنْتُ سَطْرًا فِي كِتَابِي [
وكتب آخر إلى إبراهيم وأحد ابني المدبر ، وقد أصابتهما محنة ثم أردفتها
نعمة : لو قبّلت فيكما ، ودانيتُ قدريكما ، اقلت : جعلني الله فداكما ، ولكني
لا أجزى عنكما ، فلا أقبل بكما ، وقد بلغتني المحنة التي لومات إنسان غمًا بها
لكنته [ثم اتصلت النعمة التي لو طار امرؤ برحابها لكنته] وكتب تحته :
وَلَيْسَ بِتَرْوِيقِ اللِّسَانِ وَصَوْغِهِ وَلِكُنْتُهُ قَدْ خَالَطَ الْأَخْصَمَ وَاللَّعْمَا

وكتب ابن ثوابة إلى عبيد الله بن سليمان يعتذر في ترك مكاتبته بالتفدية
[الله يعلم ، وكفى به عليما ، لقد وددت مكاتبتك بالتفدية] فرأيت عيبا أن
أفديك بنفس لا بدّ لها من فناء ، ولا سبيل لها إلى بقاء ، ومَنْ أظهر لك شيئاً
وأضمر لك خِلافه فقد غشّ ؛ والأمر إذا كانت الضرورة تُوجبُ أنه مَلَقٌ^(١)
لا يحقق ، وإعطاء لا يتحصّل ، لم يجب أن يخاطب به مثلك ، وإن كان عند قوم
نهاية من نهايات التعظيم ، ودليلا من دلالات الاجتهاد ، وطريقاً من طرق التقرب .
قال الزبير بن أبي بكر : قال لي مسامة بن عبد الله بن جندب الهدلي : خرجت أريد العقيق
ومعِي زَبَانُ السَّوَّاقِ ؛ فلقينا نسوة فيهن امرأة لم أر أجمل منها فأشدت بيتين لزبان :

(١) في المطبوعات « توجب أنه مالك لا يحقق » تحريف ما أثبتناه (م) .

ألا يا عبادَ الله هَذَا أَخُوكُمْ قَتِيلٌ ، فهل فيكم له اليوم ثأرٌ؟
 خذُوا بدمي ، إن متُّ ، كلَّ خريذةٍ مريضَةٍ جَفَنِ العَيْنِ والطَّرْفِ سَاحِرُ
 ثم قال : شأنك بها يا بنَ الكرام فالطلاقُ له لازمٌ إن لم يكن دَمُ أهلك في
 نقابها . فأقبلت عليَّ وقالت : أنت ابن جندب ؟ فقلت : نعم . قالت : إن قتلنا
 لا يُؤدى ، وأسيرنا لا يفدى ، فأغتنمَ لنفسك ، واحتسب أباك .

قال أبو عبيدة : قال رجل من فزارة لرجل من بني عذرة : تعدُّون موتكم
 من الحبِّ مزية ، وإنما ذاك من ضَعْفِ المنة ، وعجزِ الروية . فقال العذري :

أما إنكم لو رأيتمَ المهاجرَ البُلج^(١) ، ترشق بالأعين الدُّعج^(٢) ، فوقها الحواجبُ
 الزُّج^(٣) ، [وتحتها المباسم الفُلج] ، والشَّفَاهُ السُّمُرُ ، تفتَر عن الثنايا العُرُ ، كأنها
 بَرَدُ الدُّر ، لجعلتموها اللات والعزى ، ورفضتم الإسلام وراء ظهوركم :

وقال أعرابي : دخلتُ بغداد فرأيتُ فيها عيوناً دُعجاً^(٢) ، وحواجبَ وصف الحسان
 زُجاً^(٣) ، يسحبنَ الثياب ، ويسلبنَ الألباب .

وذكر أعرابي نساءً فقال : ظعائن في سوافهن طول ، غير قبيحا العُطول^(٤) ،
 إذا مشين أسبلنَ الذبول ، وإن ركبنَ أثقلنَ الجمول .

ووصف آخر نساء فقال : يقلن على السبائك ، وينشحن على النيازك^(٥) ،
 ويتزرن على العواتك ، ويرتفن على الأرائك ، ويتهادين على الدرانك ،
 ابتسامهن وميض ، عن ثغر كالإغريض ، وهن إلى الصبأ صور ، وعن الخناحور^(٧) .

(١) المهاجر : جمع محجر . وهو بزنة مجلس : الموضع يكون عليه النقاب ، وهو
 أيضا مادار بالعين ، والبُلج : جمع أبلج أو بلجاء ، والأبلج : الأبيض المشرق (م)
 (٢) الدعج : جمع دعجاء ، وهي العين الشديدة البياض مع السواد (م) .
 (٣) الزج : جمع أزعج ، وهو الدقيق من الحواجب (م) . (٤) العطول : أراد
 التجرد من الخلى (م) . (٥) النيازك : الرماح ، واحدها نيزك (م) . (٦) الدرانك :
 البسط ، واحدها درنك (م) . (٧) صور : ما لات ، وخور : راجعات (م) .

(وصف الهوى ، وأمره)

سئل بعض الحكماء عن الهوى ، فقال : هو جليسٌ مُمتنعٌ ، وأليفٌ مؤنسٌ ، أحكامه جائزة^(١) ، ملك الأبدان وأرواحها ، والقلوب وخواطرها ، والعيون ونواظرها ، والنفوس وآراءها ، وأعطى زمام طاعتها ، وقياد مملكتها ، توأرى عن الأبصار مدخله ، وغض عن القلوب مسلكه .

وسئلت أعرابية عن الهوى فقالت : لا تمتع الهوى بملكه ، ولا ملئ بسلطانه ، وقبض الله يده . وأوهن عضده ؛ فإنه جائر لا ينصف في حكم ، أعمى ما ينطقُ بعدل ، ولا يقصر في ظلم ، ولا يرعوى للوم ، ولا يتقاد لحق ، ولا يبقى على عقل ولا فهم ، لو ملك الهوى وأطيع لرد الأمور على أدبارها ، والدنيا على أعقابها .

ووصف أعرابي الهوى فقال : هودا لا تدوى به النفوس الصّحاح ، وتسيل منه الأرواح ، وهو سقم مكتم ، وجحر مضطرم ؛ فالقلوب له منضجة ، والعيون ساكنة^(٢)

قال [أبو] عبيد الله بن محمد بن عمران المرزباني : أخبرني المظفر بن يحيى ، قال : أحب رجل امرأةً دونه في القدر ، فعذله عمه ، فقال : يا عم ، لا تلم مجبراً على سقمه ؛ فإن المقر على نفسه مستغن عن منازعة خصمه ، وإنما يلام من اقترف ما يقدر على تركه ، وليس أمر الهوى إلى الرأي فيملكه ، ولا إلى العقل فيدبره ؛ بل قدرته أغلب ، وجاربه أعز من أن تنفذ فيه حيلة حازم ، أو لطف محتال . وقال بعضهم : رأيت امرأتين من أهل المدينة تعاتب إحداهما الأخرى على هوى لها ، فقالت : إنه يقال في الحكمة الغابرة ، والأمثان السائرة : لا تلومن من أساء بك الظن إذا جعلت نفسك هدفاً للهمة ، ومن لم يكن عوناً على نفسه مع خصمه لم يكن معه شيء من عقدة الرأي ، ومن أقدم على هوى وهو يعلم

(١) في نسخة وفي تزوين الأسواق « جائزة » (م) .

(٢) في نسخة « ساكنة » أي تسيل للسمع (م) .

مافيه من سوء الغيبة سلط على نفسه لسان العذل ، وضيع الحزم . فقالت للذولة :
ليس أمرُ الهوى إلى الرأي فيملكه ، ولا إلى العقل فيدبره ، وهو أغلب قدرةً ،
وأمنع جانباً من أن تنفذ فيه حيلة الحازم ، أو ماسمت قول الشاعر :

ليس خطبُ الهوى بخطبِ يسير لا ينتيك عنه مثلُ خبير
ليس أمرُ الهوى يدبُّ بالراءِ ي ولا بالقياس والتفكير
إنما الأمرُ في الهوى خطراتٌ محدثاتُ الأمورِ بعدَ الأمورِ

قال المرزباني : أخبرني الصولي أن هذه الأبيات لعلية بنت المهدي ، ولها
فيها لحنٌ .

وقيل لعبد الله بن المقفع : مابالُ العاقل للميز الذهن ، واللييب الفطن ، يتعرض
للحب وقد رأى منه مواضع الهلكة ، ومصارع التلّف ، وعلم ما يؤول ^(١) إليه عقباه ،
وترجع به أخراه على أولاه ؟ فقال : زُخْرِفَ ^(٢) ظاهرُ العشق بجمال زينة يستدعي
القلوب إلى ملامسته ، ومُلى بعاجل حلاوة يطغى ^(٣) النفوس إلى ملامسته ، كظاهر
زخرف الدنيا ، وبهاء رونقها ، ولذيد جنى ثمرها ، وقد سكرت أبصارُ قلوب أبنائها
عن النظر إلى قبائح عيوب أفعالها ، فهم في بلائها منغمسون ، وفي هلكة فتنها
متورطون ، مع علمهم بسوء عواقب خطبها ، وتجرح مرارة شربها ، وسرعة
استرجاعها ماوهبت ، وإخراجها مما ملكت ، فليس يتجومنها إلا من حذرها ،
ولا يهلك فيها إلا من أمنها ، وكذلك صورةُ الهوى ؛ هما في الفتنة سواء .

[بعض ماجاء في العفاف]

وقال ابن دريد : قال بعض الحكماء : أُغلق أبواب الشبهات بأفعال
الزهادة ، [وافتح أبواب البر بمفاتيح العبادة] فإن ذلك يُدنيك من السعادة ،

(١) يؤول : يرجع (م) .

(٢) زخرف : زين (م) .

(٣) يطغى النفوس : يدعوها (م) .

وتستوجب من الله الزيادة .

وقال غيره : إنَّ اللذة مشوبةٌ بالقبح ؛ فكفروا في انقطاع اللذة وبقاء

ذكر القبح

قال أبو عبد الله بن إبراهيم بن عرفة [نفظويه] :

ليس الظريفُ بكاملٍ في ظرفه حتى يكونَ عن الحرامِ عفيفاً
فإذا تعفّف عن محارمِ رَبِّهِ فهناك يُدعى في الأنامِ ظريفاً

وقال :

كم قد ظفرتُ بمن أهوى فيمنعني منه الحياة وخوفُ اللهِ والحذرُ
وكم خلوتُ بمن أهوى فيقنعني منه الفكاهةُ والتقبيلُ والنظرُ
أهوى للملاحِ وأهوى أن أجالسهم وليس لي في حرامِ منهم وطْرُ
كذلك الحبُّ لا إتيانُ معصيةِ لا خيرَ في لذةٍ من بعدها سقرُ

وقال العباس بن الأحنف :

أتأذنونَ لصبِّ في زيارتكم فعندكم شهواتُ السَّمعِ والبَصْرِ
[لا يبصر السوء إن طالَّت إقامته] عفت الضمير ولكن فاسق النظر^(١)

وقال بعضُ الطالبين :

رموتى وإياهم بشنعاءٍ هم بها أحقُّ ، أدالَ اللهُ منهم وعجلاً
بأمرٍ تركناه وربُّ محمدٍ جميعاً فإما عفةٌ أو تجمُّ لا

وقال سعيد بن حميد :

زائرُ زارتنا على غَيْرِ وعدٍ مخطَفَ الكَشْحِ مُنْقَلِ الأردافِ
غالبَ الخوفِ حينَ غالبه الشوقُ وأخفى الهوى وليس بخافي
غضِّ طرفٍ في عنه تُقى اللهُ فاخترتُ على بَدَلِهِ بقاءَ التَّصافِي
ثم ولّى والخوفُ قد هزَّ عطفِيه ولم يخلُ من لباسِ العفافِ

(١) سقط هذا البيت من بعض النسخ ، وحفظى فيه « لا يضر السوء إن طال

وفي الحديث الشريف : « مَنْ أَحَبَّ فَعَفَّ فَمَاتَ فَهُوَ شَهِيدٌ » .
والعفافُ مع البَذَلِ ، كالأستطاعة مع الفعل ، كما قال صريع الغواني :
وما ذمى الأيامُ أنْ لَسْتُ مَادِحًا لِعَهْدِ لِيَالِيهَا الَّتِي سَلَفَتْ قَبْلُ
الْأَرْبِ يَوْمِ صَادِقِ الْعَيْشِ نِلْتَهُ بِهَا وَنَدَامَايَ الْعِفَافَةَ وَالْبَذْلَ (١)
وأشدُّ الصولى لأبى حاتم السجستاني فى المبرد ، وكان يلزم حلقته ،
وكان من الملاح وهو غلام :

ماذا لقيتُ اليومَ من مَتَمَجِّنِ خَنِثِ الْكَلَامِ (٢)
وقَفَ الْجَمَالُ بوجْهِهِ فَسَمَتْ لَهُ حَدَقُ الْأَنَامِ
حَرَكَاتُهُ وَسُكُونُهُ يُجْنَى بِهَا ثَمَرُ الْأَثَامِ
فَإِذَا خَلَوْتُ بِمِثْلِهِ وَعَزَمْتُ فِيهِ عَلَى اعْتِرَامِ
لَمْ أَعُدْ أَخْلَاقَ الْعَفَا فِوِذَاكَ أَوْ كَدُّ الْعَرَامِ
نَفْسِي فِدَاؤُكَ يَا أَبَا الْعَبَّاسِ جَلَّ بِكَ اعْتِصَامِ
فَارْحَمْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ نَزْرُ الْكَرَى بِأَدَى السَّقَامِ
وَأَنْزَلُهُ مَا دُونَ الْحَرَامِ فَمَ فليس يَرُغَبُ فِي الْحَرَامِ

وكان أبو حاتم يتصدق كل يوم بدرهم ، ويحتم القرآن فى كل أسبوع .
وذكر أنه اجتمع أبو العباس بن سريج الشافى ، وأبو بكر بن داود العباسى
فى مجلس على بن عيسى بن الجراح الوزير ، فتناظرا فى الإيلاء ، فقال ابن سريج :
أنت بقولك : « من كثرت لحظاته دامت حسراته » أبصر منك بالكلام فى
الإيلاء ، فقال أبو بكر : لئن قلت ذلك فإنى أقول :

أَنْزَهُ فِى رَوْضِ الْحَاسِنِ مُقْلَتِي . وَأَمْنَعُ نَفْسِي أَنْ تَنَالَ مُحَرَّمًا

(١) الندامى : جمع نديم ، وأصله الذى يجالسك على الشراب (م) .
(٢) التمجن : الكثير المجون ، وخنث الكلام : أى لينه متكسره (م) .

وأجملُ من ثقل الهوى ما لو أنه يُصَبُّ على الصخر الأصمُّ تهديماً
وينطق طرْفِي عن مترجم خاطري فلولا اختلاسي رَدَّهُ لتكلماً
رأيتُ الهوى دَعْوَى من الناسِ كلِّهم فلست أرى حياً صحيحاً مسلماً
فقال أبو العباس : بم تفتخرُ عليّ ؟ وأنا لو شئت لقلت :

ومطاعِمٍ للشهدِ مِنْ نَعْمَاتِهِ قد بَتُّ أَمْنَعُهُ لذيذِ سِنَاتِهِ
صبّاً بحُسنِ حديثه وكلامه وأُكْرِرُ اللحظاتِ في وجناتِهِ
حتى إذا ما الصبحُ لاحَ عودُهُ ولِي بِخَاتَمِ رَبِّهِ وَبِرَاتِهِ
فقال أبو بكر : أصلح الله الوزير ، تحفظ عليه ما قال حتى يقم شاهدان
عَدلين أنه ولي بخاتم ربه ! فقال أبو العباس : يلزمني في هذا ما يلزمك في قولك :
أنزه في رَوْضِ الحاسنِ مُقَلَّتِي ... البيت . فضحك الوزير ، وقال : لقد جَمَعْتُمَا
ظرفاً ولطفاً وفهماً وعلماً .

ألفاظ لأهل العصر، في محاسن النساء

هي روضة الحسن ، وضرة الشمس ، وبذر الأرض . هي من وجهها في
صباح شامس ، ومن شعرها في ليل دامس^(١) ، كأنها فلقة قمر على بُرج فضة .
بذر التم يضيء تحت نقابها ، وغصن البان يهتز تحت ثيابها ، ثمرها يجمع الضريب
والضرب^(٢) ، كأنه نثر الدر ، كما قال البحترى :

إذا نَضَوْنَ شُفُوفَ الرِّيطِ آوِنَةً قَشَرْنَ عَن لَوْلُؤِ البَحْرَيْنِ أَصْدَافاً
قد أنبت صدرها ثمر الشباب ، خرطت لها يد الشباب حقين^(٣) من عاج ،
كأنها البدر قُرط بالثرية ، ونيط بها عقد من الجوزاء ، أعلاها كالغصن مئال ،

-
- (١) شامس : ذى شمس ، على النسب . ودامس : مظلم (م) .
(٢) الضريب : اللب ، والضرب : غسل النحل (م) .
(٣) حقين : ثنية حق ، وهو العلبة ، وأراد ثديها (م) .

وأَسْفَلُهَا كَالدَّعْسِ^(١) مُنْهَالٌ ، لَهَا عُنُقٌ كِبَارِيْقُ الْجَبَيْنِ ، وَسُرَّةٌ كَذَهْنِ الْعَاجِ ،
نِطَاقًا قَبْهَا مُجْدِبٌ ، وَإِزَارُهَا مُخْصِبٌ . مَطْلَعُ الشَّمْسِ مِنْ وَجْهِهَا ، وَنَبْتُ الدَّرِّ
مِنْ فِيهَا ، وَمَلْقَطُ الْوَرْدِ مِنْ خَدَّهَا ، وَمَنْبَعُ السَّحْرِ مِنْ طَرْفِهَا ، وَمِبَادِيءُ اللَّيْلِ
مِنْ شَعْرِهَا ، وَمَغْرَسُ الْفَصْنِ مِنْ قَدِّهَا ، وَمِهْيَلُ الرَّمْلِ مِنْ رِذْفِهَا

وَلَهُمْ فِي مَحَاسِنِ الْعُلَمَاءِ وَالْمَعْدِرِينَ

زَادَ جَمَالَهٖ ، وَأَقْرَبَ هِلَالَهٗ . تَرَفَّقَ فِي وَجْهِهِ مَا هِ الْحُسْنِ ، شَادِنٌ فَاتِرٌ
طَرْفَهٗ ، سَاحِرٌ لَفْظَهٗ . غَلَامٌ تَأْخُذُهٗ الْعَيْنُ ، وَيَقْبَلُهٗ الْقَلْبُ ، وَيَأْخُذُهٗ الطَّرْفُ ،
وَتَرْتَاحُ إِلَيْهِ الرُّوحُ . تَكَادُ الْقَلْبُ تَأْكُلُهٗ ، وَالْعَيُونَ تَشْرَبُهٗ . جَرَى مَا هِ الشَّبَابِ
فِي عَوْدِهٖ فَتَمَائِلَ كَالْفُصْنِ ، وَاسْتَوْفَى أَقْسَامَ الْحُسْنِ ، وَلَبِسَ دِيْبَاجَةَ الْمَلَّاحَةِ ،
كَأَنَّ الْبَدْرَ قَدِ رَكِبَ أَزْرَارَهٗ ، لَا يَشْبَعُ مِنْهُ النَّظَرُ ، وَلَا يَرْوَى مِنْهُ الْخَاطِرُ ،
كَأَنَّ الْبَدْرَ يَحْكِيهٗ ، وَالشَّمْسُ تُشَبِّهُهٗ وَتُضَاهِيهٗ ، صُورَةٌ تَجَلُّو الْأَبْصَارَ ، وَتُنْجِلُ
الْأَقْمَارَ ، شَادِنٌ مُنْتَقِبٌ بِالْبَدْرِ ، وَمُكْتَحِلٌ بِالسَّحْرِ . مَا هُوَ إِلَّا تَرْهَةَ الْأَبْصَارِ ،
وَتُنْجِلُ الْأَقْمَارَ ، وَبِدْعَةُ الْأَمْصَارِ ، غَمَزَاتُ طَرْفِهٖ تُخَيِّرُ عَنْ طَرْفِهٖ ، وَمَنْطِقُهٗ
يَنْطِقُ عَنْ وَصْفِهٖ . تَخَالُ الشَّمْسُ تَبْرِقَمَتُ غُرَّتَهٗ ، وَاللَّيْلُ نَاسِبُ أَصْدَاغِهٖ وَطَرْفَتِهٖ
الْحُسْنُ مَافَوْقَ أَزْرَارِهٖ ، وَالطَّيِّبُ مَا تَحْتَ إِزَارِهٖ ، شَادِنٌ يَضْحَكُ عَنِ الْأَقْحَوَانِ ،
وَيَنْتَفِسُ عَنِ الرِّيحَانِ ، كَأَنَّ خَدَّهٖ سَكْرَانٌ مِنْ خَمْرِ طَرْفِهٖ^(٢) ، وَبَعْدَادٌ مَسْرُوقَةٌ
مِنْ حُسْنِهٖ وَطَرْفِهٖ ، أَعْجَمَتْ يَدُ الْجَمَالِ نُونََ صَدُغِهٖ بِخَالِ ، هَذَا مَحْلُولٌ مِنْ قَوْلِ
ابْنِ الْمُعْتَزِ :

غِلَالَةَ خَدِّهٖ صُبِغَتْ بَوْرْدِ وَنُونُ الصُّدُغِ مُعْجَمَةٌ بِخَالِ

(١) الدعص - بالكسر - الكتيب من الرمل (م) .

(٢) في نسخة « من خمرة فيه » وهي - وإن كانت أشهر في كلامهم - أبعد

من انسجام أسلوب المؤلف (م) .

له عينان حَشَوُا أَجْفَانَهُمَا السَّحْرُ ، كأنه قد أعار الظَّبْيَ جِدَّه ، والغصنَ قَدَّه ، والراح رِيحَه ، والورْدَ خَدَّه ، الشَّكْلُ ^(١) من حَرَكَته ، وجميعُ الحُسْنِ بعض صفاته . قد ملكَ أزمَّةَ القلوب ، وأظهرَ حَجَّةَ الذنوب ، كأنما وَسَمَهُ الجِمالُ بنهائته ، ولحظه الفلكُ بعنایتِه ، فصاغَه من لَيْلِهِ ونهاره ، وحلاه بنجومه وأقماره ، وتَقَبَّه ببدايعِ آثاره ، ورَمَقَه بنواظرِ سُعودِه ، وجعله بالجمالِ أحدَ حدوده . وقد صَبَغَ الحياهِ غِلاَلَه وَجْهَه ، ونشِرَ لَوَائِزُ العرقِ عن وَرْدِ خَدَّه . تكادُ الأَخطأُ تسفكُ من خَدَّه دمَ الخَجَلِ . له طَرَّةٌ كالنَسَقِ ، على غِرَّةٍ كالفَلَقِ . جانا في غِلاَله تَمَّ على ما يستره ، وتجنفوا مع رِقَّتِها عما يظهروه ^(٢) . وجهٌ بماءِ الحُسْنِ مغسولٌ ، وطَرَفٌ بمزودِ السَّحْرِ مكحولٌ نَعْرُحِيَّ حَمايَةَ الثغورِ ، وجُعِلَ ضِرَّةً لقلائدِ النحورِ . السَّحْرُ في الأَخطاهِ ، والشهدُ في أَلْفاظِه . اختلسَ قامَةَ الغُصْنِ ، وتوشَّحَ بمطارفِ الحُسْنِ ، وحكى الروضَ غِبَّ المَزْنِ ^(٣) . الأرضُ مشرقةٌ بنورِ وجهِه ، وليلُ السَّرارِ في مثلِ شَعْرِه ^(٤) . الجنَّةُ مجتناةٌ من قُرْبِه ، وماءُ الجِمالِ يترقُّ في خَدَّه ، ومحاسنُ الربيعِ بين سَحْرِهِ ونَحْرِهِ ، والقمرُ فضالَةٌ من حُسْنِه . ماهو إلا خالٌ في خَدِّ الظَّرْفِ ، وطِرَازٌ على عِلْمِ الحُسْنِ ، ووَرْدَةٌ في غُصْنِ الدهرِ ، ونَقَشٌ على خاتمِ الملكِ ، وشمسٌ في فَلَكِ اللطفِ . هو قَمَرٌ في التَّصوِيرِ ، شمسٌ في التَّأثيرِ . منظرٌ يملأُ العيونَ ، ويملكُ النفوسَ ، زَرافينُ أَصداعِه ^(٥) معاليقُ القلوبِ . كأنَّ صُدْغَه قرطٌ من المسكِ على عارضِ البَدْرِ . وجهُه عرسٌ ، وصدغُه مأتمٌ ، ووصله جنَّةٌ ، وهجره جهنمٌ . أَصداعُه قد اتخذتْ شَكْلَ العقاربِ ، وظلمتْ ظِلْمَ الأَقاربِ . إن كان عقربٌ صُدْغَه تلسعُ ، فترياقُ ريقه يَنْفَعُ . كأنَّ شاربه زَيْبَرُ الخَزِّ الأَخْضِرِ ، وعِدَارُه طرازُ المِسْكِ والعَنْبَرِ [الأذفرُ] ، على الوَرْدِ الأَحْمَرِ . إذا تكلمتْ تكشَّفَ حِجَابُ الزمردِ والعقيقِ ،

(١) الشكل : الدلال (م) . (٢) في نسخة « وتجنفوا مع رِقَّتِها على ما يظهروه » (م) .

(٣) المزن : المطر (م) . (٤) ليل السرار : آخر ليالي الشهر العربي (م) .

(٥) الزرافين : جمع زرفين ، وهو الحلقة ، أو خاص بحلقة الباب ، ويقولون

« زرفن صدغيه » أي جعلهما على شكل الزرفين (م) .

عن سَمَطِ الدَّرِّ الأَنِيقِ . قَدِ هَمَّ أَرْقَمُ الشَّعْرُ عَلَى شَارِبِهِ ، وَكَادَ فَمُ الحُسْنِ يَقْبَلُهُ .
كَأَنَّ العِدَارَ يَنْقَشُ فَصَّ وَجْهَهُ ، وَيَحْرِقُ فِضَّةَ خَدِّهِ . طَرَزَ الجَمَالَ دِيْبَاجَ وَجْهِهِ ،
وَأَبَانَ عِدَارُهُ العَذْرَةَ فِي حُبِّهِ . [لَبَّ الرِّبْعُ بِخَدِّهِ ، فَأَنْبَتَ البِنْفَسَجَ فِي وَرْدِهِ .
لَمَّا احْتَرَقَتْ فِضَّةُ خَدِّهِ ، احْتَرَقَ سَوَادُ القَلْبِ مِنْ حُبِّهِ] .

كيف لا يخضرُّ شاربهُ ومياهُ الحُسنِ تسقيه

ولهم في تقيض ذلك ، في ذم خروج اللحية

قد انتقب بالديجورِ ، بعد النوز ؛ فدَوَّلَهُ حُسْنُهُ قَدِ اعْرَضَتْ أَيامُهُ ، وانْقَرَضَتْ
دَوَّلَتُهُ وَأَحْكَامُهُ . اسْتَحَالَ خَدُّهُ دُجَا ، وَزَمْرَدُ خَدِّهِ سُبُجَا^(١) ؛ وَأَخَذَتْ نَارُ حُسْنِهِ
بعد الإيقاد ، وَلَبَسَ عَارِضُهُ ثَوْبَ الحِدَادِ . ذَبُلَ وَرْدُ خَدِّهِ ، وَتَشَوَّكَ زَعْفَرَانُ
خطه . فَارَقْنَا خَشْفًا ، وَوَأَفَانَا جِلْفًا ، وَفَارَقْنَا هَلَالًا وَغَزَّآلًا ، وَعَادَ وَبَالًا وَنَكَالًا .
مَالِي أَرَى الآبَاطَ جَائِشَةً ؛ وَالْأَنَافَ مُعْشِبَةً ، وَالعِيُونَ مَنْوَرَةً ، وَالأَزْرَارَ مَرْعَى ،
وَالْأظْفَارَ حَمَى ، وَاللحَى لِبُودًا ، وَالأَسْنَانَ خُضْرًا وَسُودًا .

من رسائل البديع ومقاماته

من رسالة
لمن طلب
وداده

وكتب إلى بديع الزمان بعض من عُزِّلَ عن ولاية حسنة يستمدُّ وداده ويستميل
فؤاده ؛ فَأَجَابَهُ بِمَا نَسَخْتَهُ : وَرَدَّتْ رَقْعَتُكَ أَطَالَ اللهُ بَقَاؤَكَ فَأَعْرُتْهَا طَرْفَ التَعَزُّزِ
وَمَدَدَتْ إِلَيْهَا يَدَ التَقَرُّزِ ، وَجَمَعَتْ عَلَيْهَا ذَيْلَ التَحَرُّزِ ، فَلَمْ تَنْدِ عَلَى كَبْدِي ، وَلَمْ
تَحْطَ بِنَاطِرِي وَيَدِي ؛ وَلَقَدْ خَطَبْتَ مِنْ مَوَدَّتِي مَا لَمْ أُجِدْكَ لَهَا كَفِيًّا ، وَطَلَبْتَ
مِنْ عِشْرَتِي مَا لَمْ أَرُكَ لَهَا رِضِيًّا ؛ وَقُلْتُ : هَذَا الَّذِي رَفَعَ عَنَّا أَجْفَانَ

(١) في نسخة «وزمرد خطه سبجا» والخط من قولهم «خط الغلام» إذا نبت
عذاره ، والسبج : جمع سبجة أو سبيجة ، وهي كساء أسود ، والمراد أن شعر
عارضيه قد نبت (م) .

طَرَفَه ، وشال بشعرات أنفه ، وتَاهَ بِحُسْنِ قَدِّه ، وزهأَ بوزْدِ خَدِّه ، ولم يَسْتَقِمَنَّ مِنْ نَوْتِهِ ، ولم نَسِرْ بِضَوْنِهِ ؛ فالآنَ إِذْ نَسَخَ الدَّهْرُ آيَةَ حُسْنِهِ ، وَأَطَامَ مَائِلَ غُصْنِهِ ، وفلَّلَ غَرْبَ عُجْبِهِ ^(١) ، وكفَّ شَأْوَ زَهْوِهِ ، وانتصر لنا منه بشعرات قد كسفت هِلَالَه ، وأكسفتْ بِالَه ، ومسختْ جَمَالَه ، وغيرتْ جَالَه ، وكدرتْ شِرْعَتَه ^(٢) ، ونسكرتْ طَلْعَتَه ، جاء يستقى من جرفنا جَرَفَا ، ويفرف من طينتنا غَرَفَا ، فهلا يا أبا الفضل مهلا :

أَرِغِبْتَ فِينَا إِذْ عَلَا كَ الشَّعْرِ فِي خَدِّ قَعْلٍ
وخرجتَ من حدِّ الظبا ء وصيرتَ في حدِّ الإبل
أنشأتَ تطلبُ عِشْرَتِي عُدَّ للعداوةِ يا خجل

أنسيت أيامك ؛ إِذْ تَكَلَّمْنَا نَزْرًا ^(٣) ، وتنظرنا شَزْرًا ^(٤) ، وتجالسُ مَنْ حَضَرَ ، ونسرقُ إِلَيْكَ النَظَرَ ، ونهتَزُّ لِكَلَامِكَ ، ونهشُ لِسَلَامِكَ :

فَمَنْ لَكَ بِالْعَيْنِ الَّتِي كُنْتُ مَرَّةً إِلَيْكَ بِهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ أَنْظُرُ
أيام كنت تمايل ، والأعضاء تترابيل ، وتتغابج ، والأجسادُ تتفالج ، وتتفلت ،
والأكباد تتفتت ، وتخطر وترفل ، والوجدُ بنا يعلو ويسفل ، وتُدْبِرُ وتُقْبِلُ ،
فتمنى وتخيّل ، [وتصد] وتعرض ، فتعنى وتمرض :

وتبسم عن ألمي كأنَّ منورا تخلل حرَّ الرملِ دعص له ند
فأَقْصِرُ الآنَ فَإِنَّهُ سَوْقٌ كَسَدٌ ، ومتماعٌ قَسَدٌ ، ودولةٌ أَعْرَضَتْ ، وأيامٌ

انقضت :

وعهد نفاقٍ مَصَى وسوق كسادٍ نَزَلْ
وخذَّ كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ وَخَطَّ كَأَنَّ لَمْ يَزَلْ

- (١) فلل: كسر، والغرب: الحد ، وفي نسخة «وفشأ غرب عجبته» وفشأ: سكن (م).
(٢) الشرعة بالكسر - موضع ورود الماء ، وتكديرها: تصير مائها كدرا (م).
(٣) النز: القليل (م) . (٤) الشزر: النظر من ناحية شأن المتكبرين (م).

ويوم صارأس ، وحسرة بقيت في النفس ، ونغر غاض ماؤه فلا يرشف ،
وريق خدع فلا ينشف ، وتمایل لا يعجب ، وتثن لا يطرب ، [ووجه زال
مهاؤه] ، ومقلة لا تجرح الحاظها ، وشفة لا تفتن أفاظها ، لختام تدل ، وإلام
نحمل وعلام ؟ وأن أن تذعن الآن ، وقد بلغني ما أنت متعاطيه من تمويه
يجوز بعد العشاء في العسق ، وتشبيه يفتضح عند ذوى البصر والصدق ؛ من
إفنائك لتلك الشعرات جفاً وحصاً ، وإمحاءك عليها نقصاً وقصاً . وسيكفينا الدهر
مؤونة الإنكار عليك ، بمايزف من بنات الشعر وأمهاته إليك ؛ فأما ما استأذنت فيه
رأى من الاختلاف إلى مجلسي فما أقل إليك نشاطي ، وأضيق عنك بساطي ،
وأشنع قلتي منك ، وأشد استغنائى عن حضورك ، فإن حضرت فأنت داء
فروض عليه الحلم ، وتعلم به الصبر ، وتتكلف فيه الاحتمال ، ونقضى منه الجفن
على قذى ، ونطوى منه الصدر على أذى ، ونجعله للقلوب تأنيبا ، وللعيون تأديبا .
ومالك إلا أن تعترض من الرغبة عنا رغبة فينا . ومن ذلك التبدل علينا تذلا
لنا ، ومن ذلك التعالى تبصبا ، ومن ذلك التعالى ترخصا ، وما بال الدهر
أعقبك من التزايد تنقصا^(١) ، ومن التسحب على الإخوان تقمضا ، ولئن اعتضت
من الذهب رجوعا ، لقد اعتضنا من النزاع نزوعا^(٢) ، فأنأ برحلك وجانبك ،
ملقى حبلك على غاربك ، لا أوثر قربك ، ولا أندبه سربك ، والسلام .

المقامة الأسيدي
من إنشاء
البدیع

ومن إنشاء بدیع الزمان في مقامات الإسكندري ولعل ما فيها من الطول
غير مملول . قال : حدثنا عيسى بن هشام قال : كان يبلغني من مقامات الإسكندري
ما يُصغى له النفور ، ويذتفض له العصفور ، ويروى لي من شعره ما يمتزج
بأجزاء الهواء رقة ، ويغمض عن أوهام الكهنة دقة ، وأنا أسأل الله بقاءه ،

(١) يقولون « بصص الكلب بذنيه » إذا حركه يتعلق به صاحبه (م) .

(٢) نزع النفس إلى كذا نزاعا : اشتاقته ، ونزعت عنه زوعا :

حتى أَرْزَقَ لقاءه، وَأَتَعَجَّبَ من قعودِ هِمَّتِهِ بِمَحَالَتِهِ ، مع حُسْنِ آلتِهِ ، وقد ضربَ الدهرُ شؤونه أسدَاداً^(١) وهلمَّ جراً . إلى أنِ انْفَقَتْ لى حاجةٌ بِمِحْنِصٍ ، فَشَحَذَتْ إليها الحِرْصَ ، فى صُحْبَةِ أَفْرَادٍ كَنَجْمِ اللَّيْلِ ، أَخْلَاسَ^(٢) لظهورِ الخليلِ ، فأخذنا الطريقَ نَذْتَهَبُ مسافنته ، ونستأصِلُ شَأْفَتَهُ ، ولم نَزَلْ نَقْرِي أُسْمَةَ النَّجَادِ^(٣) بتلك الجِيَادِ ، حتى صِرْنَا كَالْمِصْبِيِّ ، وَرَجَعْنَا كَالْقَيْسِيِّ ، وتاحَ لنا وادٍ فى سَفْحِ جَبَلٍ ، ذى آلاءٍ وَأَثَلٍ ، كَالْعَذَارَى يُسَرِّحُنَ الضَّفَائِرَ ، وَيُنْشِرُنَ الغدائرَ ، فمالتِ المَاجِرَةُ بنا إليها ، فنزلنا نُغُورَ وَنُغُورَ ، وَرَبَطْنَا الأفراسَ بالأُمْرَاسِ ، وَمِئْنَا مع النُّعَاسِ : فمَارَعْنَا إلا صَهِيلَ الخيولِ ، ونظرتُ إلى فَرَسِي وقد أُرْهَفَ أُذُنِيهِ ، وَطَمَحَ بَيْنِيهِ ، يَحْدُ قُوَى الجَبَلِ بِمَشَافِرِهِ ، وَيَحْدُ خَدَّ الأَرْضِ بِجَوَافِرِهِ ، ثم اضطربت الخليلُ ، فأرسلت الأَبْوَالُ ، وَقَطَعَتِ الجِبَالُ ، وصار كلُّ منَّا إلى سَلاحِهِ ، فإذا الأَسَدُ فى فِرْوَةِ المَوْتِ ، قد طلع من غابهِ ، منتفجاً فى إهابهِ ، كاشراً عن أنيابه ، بطَرْفٍ قد ملأه صَلْفًا ، وَأَنفٌ قد حشى أنفًا . وصدر لا يبرحه القلبُ ، ولا يسكنه الرَّعْبُ ، فقلنا: خُطِبَ وَاللَّهِ مَلَمٌ ، وَحَادِثٌ مَهْمٌ ، وَتَبَادَرْنَا إليه من سَرْعَانِ الرُّفْقَةِ فتى :

أخضر الجِلْدَةَ من بيتِ العَرَبِ يَمَلُّ الدَّلْوُ إلى عَقْدِ الكَرْبِ

بقلبٍ ساقه قدر ، وسيفٍ كله أثرٌ ، فلكنته سورة الأسد ، فخاتته أرضُ قدمه ، حتى سقط ليده وفه ، وتجاوز الأسدُ مَصْرَعَهُ ، إلى مَنْ كان معه ، ودعا الحينُ أخاه ، إلى مثلِ مادعاه ، فسار إليه ، وعقل الرَّعْبُ يديه ، فأخذ أرضه وافترس الليثُ صدره ، ولكن شغلتُ بعمامتى فه ، حتى حقنتُ دمه ، وقام الفئى فوجاً بطنه حتى هلك من خوفه ، والأسدُ بالوجأةِ فى جوفه ، ونهضنا

(١) فى المقامات «ضرب الدهم شؤونه ، بأسدادِ دونه » (م)

(٢) أخلاس لظهور الخليل : يريد أنهم يلازمون ظهورها ، كناية عن شجاعتهم

وفروسيهم (م) (٣) النجاد : جمع نجد ، وهو ما ارتفع من الأرض ، ضد السهل (م)

على أثر الخيل ، فتألفنا منها ما ثبت ، وتركنا ما أفلت ، وعدنا إلى الرفيق
لنجهزه .

فلما حَمَوْنَا التُّرْبَ فوقَ رَفِيقِنَا جَزَعْنَا وَلَكِنْ أَيْ سَاعَةَ سَجَزَعِ
وعدنا إلى الفلاة ، فهبطنا أرضها ، وسرنا حتى إذا ضمرت المزاد ، ونفدَ
الزادُ ، أو كاد يدركه النفاذ ، ولم تملك الذهب ولا الرجوع ، وخفنا القاتلين
الظمأ والجوع ، عن لنا فارسٌ فصمَدْنَا صَمَدَهُ ، وقصدنا قصده ، ولما بلغنا نزلَ
عن حاذ فرسه ينشُ الأَرْضَ بشفتيه ، ويلقى الترابَ بيديه ، وعمدني من بين
الجماعة ، فقبل ركابي ، وتحرمَ بئياي ، ونظرتُ فإذا وجه يبرق برق العارض
المتهلل ، وفرس متى ما ترقَّ الدينُ فيه تسهل ، وعارضٌ قد اخضرَّ ، وشاربٌ قد
طر ، وساعدٌ ملآن ، وقضيبُ رِيَّان ، ونجارُ تركي ، وزى ملكي ، فقلت :
ما جاء بك ؟ لا أبالك ! فقال : أنا عبد بعض الملوك ، هم من قتلى جهنم ، فهمت
على وجهي إلى حيث تراني ، وشهدت شواهدُ حاله ، على صدق مقالته ،
ثم قال : أنا اليوم عبدك ، ومالي مالك ، فقلت : بشرى لك وبك ، أدأك
سيرك إلى فناء رَحْب ، وعيش رَطْب ، وهنأتني الجماعة ، بحسب الاستطاعة ،
وجعل ينظرُ فتفتلنا ألحاظه ، وينطقُ فتفتلنا ألفاظه ، والنفس تناجيني فيه بالخطور ،
والشيطان من وراء الغرور ، فقال : ياسادة ، إن في سفح هذا الجبل عيناً ، وقد
ركبتم فلاة عوراء^(١) ، فخذوا من هنالك الماء ، فلوينا الأعمنة إلى حيث أشار ، وبلغناه
وقد صهرت الهاجرة الأبدان ، وركبت الجنادبُ الميدان^(٢) ، فقال : ألا تقيلون
في هذا الظل الرَّحْب ، على هذا الماء العذب ؟ فقلنا : أنت وذاك ، فنزل عن فرسه ،
ونحى منطقتَه ، وحلَّ قرطقتَه^(٣) ، فما استترعنا إلا بغلالةٍ [تمَّ] على بدنه ،

(١) فلاة عوراء : صحراء ليس بها ماء (م)

(٢) ركبت الجنادب الميدان : كناية عن اشتداد الحر (م)

(٣) القرطق : ضرب من الكساء (م)

فما شككنا أنه خاصم الوليدان ، ففارق الجنان ، وهرب من رضوان ،
وعمد إلى السروج فخطها ، وإلى الأفراس فحشها^(١) ، وإلى الأمكنة ففرشها ، وقد
حارت البصائر فيه ، ووقعت الأبصار عليه ، ووتد كل منا شبقاً ، وخنث اللفظ
ملقاً . وقلت : يا فتى ، ما أطفك في الخدمة ! وأحسنك في الجملة ! فالويل لمن
فارقته ، وطوبى لمن رافقته ، فكيف نشكر الله على النعمة بك ؟ ! فقال :
ما سترونه أكثر ، أتعجبكم خفتي في الخدمة ، فكيف لو رأيتوني في الرقعة ؟
أريكم من حدق طرفاً ، لتزدادوا بي شغفاً ؟ فقلنا : هات ، فعمد إلى قوس
[أحدنا] فأوتره ؛ وفوق سهماً فرماه في السماء ، وأتبعه بأخر فشقه في الهواء ،
وقال : سأريكم نوعاً آخر ، ثم عمد إلى كنانتي فأخذها ، وإلى فرسي فعملاه ،
ورمى أحدنا بسهم أثبتته في صدره ، وآخر طيره من ظهره ، فقلت : ويحك !
ما تصنع ؟ قال : اسكت يالأسع ، والله ليشدن كل منكم يد رفيقه ، أو لأغصنه
بريقه ، فلم نذر ما نصنع ، وأفراسنا مربوطة ، وسرؤجنا محطوطة ،
وأسلحتنا بعيدة ، وهو راكب ونحن رجالة ، والقوس في يده يرشق بها
الظهور ، ويمشق بها^(٢) البطون والصدور ، وحين رأينا منه الجِدَّ ، أخذنا^(٣) القِدَّ ،
فشد بعضنا بعضاً ، وبقيت وحدي لأجد من يشدني ، فقال : اخرج بإهابك^(٤) ،
عن ثيابك ، ثم نزل عن فرسه ، وجعل يصفع الواحد منا بعد الآخر ، ويقول :
أقت قضيبك ، فخذ نصيبك ، [ونزع ثيابه] وصار إلى وعلى خفان جديدان
وقال : اخامهما لا أم لك ، فقلت : هذا خف لبسته رطباً ، فليس يمكنني خامه
فقال : على نزع ، ثم دنا لينزع الخف ، ومددت يدي إلى سكين فيه

(١) حشها : قدم لها الحشيش (م) . (٢) يمشق : يضرب في سرعة (م) .
(٣) القد - بكسر القاف - السير من جلد يربط به الأسير (م) .
(٤) الإهاب : الجلد (م) .

وهو مشغول ، فأثبته في بطنه ، وأبنته من مئته^(١) . فإزاد على قم ففره^(٢) ، وألقمه حجره ، وقمت إلى أصحابي فخلت أيديهم ، وتوزعنا سب المقتولين ، وأدر كنباً الرقيق ، وقد جاد بنفسه ، وصار إلى رمسه^(٣) ، وصيرنا إلى الطريق فوردنا حص بد ليال ، فلما انتهينا إلى فرضة من سوقها رأينا رجلاً قد قام على رأس ابن وبنتيه ، بجراب وعصية ، وهو يقول :

رَحِمَ اللهُ مِنْ حَشَا فِي جِرَابِي مَسْكَرِمَهُ
رَحِمَ اللهُ مِنْ رَنِّي لَسَعِيدٍ وَقَاطِمَهُ
إِنَّهُ خَادِمٌ لَكُمْ وَهِيَ لَا شَكَّ خَادِمَهُ

قال عيسى بن هشام : فقلت : إن هذا الرجل هو الإنسان كندري لذي سمعت به وسألت عنه فإذا هو هو ، فدأفت إليه ، فقامت له : أحكك حكك ، فقال : درهم ، فقلت :

لَكَ دِرْهَمٌ فِي مِثْلِهِ مَادَامَ يُسْعِدُنِي النَّفْسُ
فَاخْسِبْ حِسَابَكَ وَالنَّسْ كَمَا تَنَالُ الْمَلْتَمَسُ

لك درهم في اثنين ، وفي ثلاثة ، وفي أربعة ، في خمسة حتى بلغت العشرين ، ثم قلت : كم مملك ؟ قال : عشرون رقيقاً ، فأمرت له بها ، وقلت : لا نصره مع الخذلان ، ولا حيلة مع الحرمان .
وقال أبو فراس الحمداني .

سَكَرْتُ مِنْ لُحْظِهِ لَا مِنْ مُدَامَتِهِ وَمَالَ بِالنُّوْمِ عَنِ عَيْنِي تَمَائِلُهُ
وَمَا الشَّلَافُ دَهْتَنِي بِلِ سَوَالِفِهِ وَلَا الشَّمُولُ دَهْتَنِي بِلِ شَمَائِلِهِ
أَلْوَى بَصْبَرِي أَضْدَاعُ لُؤِينِ لَهُ وَغَالٌ عَقْلِي^(٤) مِمَّا تَحْوِي غَلَائِلُهُ

(١) أبنته : أظهرته ، وأراد أنفذه ، ومئته : ظهره (م) .

(٢) ففره : فتحه (م) . (٣) رمسه : قبره (م) .

(٤) ألوى به : ذهب به ، وغال عقلي : أضاعه وأهلكه (م) .

لابن المعتز
في الغزل

وقال ابن المعتز ، وقد تقدّم عنه في هذه الألفاظ :

ويوم فاختي الدّجن مُرّخ
عزّاليه بهطلٍ وانهمال^(١)
أبختُ سروره وظلّت فيه
برغم العاذلات رخيّ بال
وساقٍ يجعلُ المنديل منه
مكان حائلِ السيفِ الطوالِ
غلالة خده صبغتُ بوردي
ونون الصّدغ مُعجّمة بخالِ
بدا والصبحُ تحت الليل بادٍ
كطرفِ أبلقٍ مرخيّ الجلالِ
بكأسٍ من زجاجٍ فيه أسدٌ
فرائسهن ألبابُ الرجالِ
أقولُ وقد أخذت الكاس منه
وقتك السوء ربّاتُ الحجالِ

وقد أحسن ما شاء في قوله : * فرائسهن ألبابُ الرجالِ * وإن كان أصل

المعنى لأبي نواس في ذكر تصاوير الكاس .

لأبي نواس
في وصف يوم
شرب

قال الصولي : مرّ أبو نواس بالمدائن فعدل إلى ساباط^(٢) ، فقال بعض أصحابه :
ندخل إبان كسرى ؛ فرأينا آثاراً في مكان حسن تدلّ على اجتماع كان لقوم
قبلنا ، فأقمنا خمسة أيام نشربُ هناك ، وسألنا أبا نواس صفةَ الحال ، فقال :
ودارِ ندامي عَطَّوْها وأدْلجُوا بها أثرٌ منهم جديدهُ ودارِسُ
مَساحِبٌ من جرّ الزقاقِ على الثرى وأضغاثُ ريمانٍ جنّيّ ويايسُ
ولم أرَ منهم غيرَ ما شهدتُ به بشرقى ساباطِ الديارِ البساسِ
حبستُ بها صحبي فجمعتُ شملهم وإني على أمثال تلك الحابِسُ
أقمنا بها يوماً ويوماً وثالثاً ويومٌ له يوم الترحلِ خامِسُ
تدارُ علينا الراحُ في عسجدية حَبَّتها بأنواعِ التصاويرِ فارسُ

(١) فاختي : منسوب إلى الفاخنة ، واحدة الفواخت ، وهي من ذوات الأطواق من الحمام يشبه لونها ضوء القمر ، والدجن - بالفتح - الغيم ، وهو المطر الكثير ، وفي نسخة « فاحمي الدجن » والعزالي : جمع عزلاء ، وأصلها مصب الماء من الراوية ، ويقال : « أرخت السماء عزاليها » إذا أريد الكفاية عن اشتداد المطر (م) .

(٢) ساباط : موضع بمدائن كسرى (م) .

قَرَارَتُهَا كَسْرَى وَفِي جَنَّبَاتِهَا مَهَى تَدْرِيهَا بِالْقَيْسِيِّ الْفَوَارِسِ^(١)
 فَلرَّاحٍ مَا زُرَّتْ عَلَيْهِ جِيُوبُهَا وَلِلْمَاءِ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْقَلَانِسُ
 وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ النَّوْبَخْتِيُّ : قَالَ لِي الْبَحْتَرِيُّ : أَنْتَدِرِي مِنْ أَيْنَ أَخَذَ
 الْحَسَنُ قَوْلَهُ : * وَلَمْ أَرَ مِنْهُمْ غَيْرَ مَا شَهِدْتُ بِهِ * ؟ . . الْبَيْتَ - فَقُلْتُ : لَا ،
 قَالَ : مِنْ قَوْلِ أَبِي خِرَاشٍ :

وَلَمْ أَدْرِمَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ سِوَى أَنَّهُ قَدْ سُلِّعَ عَنْ مَا جَدَّيْ مُحَمَّدٍ
 فَقُلْتُ : الْمَعْنَى مُخْتَلَفٌ ، فَقَالَ : أَمَا تَرَى حَدْوَ الْكَلَامِ وَاحِدًا ، وَإِنْ
 اخْتَلَفَ الْمَعْنَى ؟ !

قَالَ الْجَاهِظُ : نَظَرْنَا فِي الشَّعْرِ الْقَدِيمِ وَالْمُحَدَّثِ فَوَجَدْنَا الْمَعَانِيَ تُقَلَّبُ وَيُؤْخَذُ
 بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ، غَيْرَ قَوْلِ عَنْتَرَةَ فِي الْأَوَائِلِ :

وَخَلَا الذَّبَابُ بِهَا يُفَعِّي وَحَدَهُ غَرْدًا كِفْعَلِ الشَّارِبِ الْمَتَرَّمِ
 هَزَجًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ قَدَحَ الْمَكْبِ عَلَى الزِّنَادِ الْأَجْذَمِ
 وَقَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ فِي الْمَحْدَثِينَ :

قَرَارَتُهَا كَسْرَى وَفِي جَنَّبَاتِهَا مَهَى تَدْرِيهَا بِالْقَيْسِيِّ الْفَوَارِسُ
 فَلرَّاحٍ مَا زُرَّتْ عَلَيْهِ جِيُوبُهَا وَلِلْمَاءِ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْقَلَانِسُ
 أَخَذَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ النَّاشِيءُ فَقَالَ وَوُلِدَ مَعْنَى زَائِدًا :

وَمُدَامَةٍ لَا يَبْتَغِي مِنْ رَبِّهِ أَحَدٌ حَبَاهُ بِهَا لَدَيْهِ مَزِيدًا
 فِي كَأْسِهَا صُورَ تَنْظَنَ لِحُسْنِهَا عُرْبًا بَرَزْنَ مِنَ الْخِيَامِ وَغَيْدًا^(٢)
 وَإِذَا الْمَرْجُ أَثَارَهَا فَتَقَسَّمَتْ ذَهَبًا وَدُرًّا تَوَآمَى وَفَرِيدًا
 فَكَأَنَّهِنَّ لِبَسْنِ ذَلِكَ مَجَاسِدًا وَجَعَلَنَّ ذَا لِنُحُورِهِنَّ عَقُودًا
 وَأَبْيَاتُ أَبِي خِرَاشٍ ، وَكَانَ خِرَاشٌ وَعَرُودَةٌ غَزَاؤًا ثَمَالَةً فَأَسْرَوْهُمَا ، وَأَخَذُوهُمَا لِأَبِي خِرَاشٍ

(١) قَرَارَتُهَا كَسْرَى : يَرِيدَانِ فِي قَرَارَةِ الْكَأْسِ صُورَةَ كَسْرَى ، وَفِي جَوَانِبِهَا
 صُورَةَ مَهَى ، وَتَدْرِيهَا : تَخْتَلِيهَا ، وَالْقَيْسِيُّ : جَمْعُ قَوْسٍ ، وَالْفَوَارِسُ : جَمْعُ فَارِسٍ (م) .
 (٢) عُرْبٌ : جَمْعُ عَرُوبٍ - بَفَتْحِ أَوَّلِهِ كَصَبُورٍ - وَهِيَ الْمَرْأَةُ الْمُتَّجِبَةُ إِلَى زَوْجِهَا (م) .

وهموا بقتلها ، فهام بنو رزام ، وأبى بنو هلال إلا قتلها ، وأقبل رجل
من بنى رزام فألقى على حراش رداءه ، وشغل القوم بقتل عروة ، وقال الرجل
لحراش : أنجى ، فنجى إلى أبيه ، فأخبره الخبر ، ولا تعرف العرب رجلا مدح
من لا يعرفه غيره :

حَدَّثُ إِلَهِي بَعْدَ عُرْوَةَ إِذْ نَجَا خِرَاشٌ وَبَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ
فَوَاللَّهِ لَا أُنْسِي قَتِيلًا رُزِنْتُهُ بِجَابِ قَوْسِي مَا مَشَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ
بَلِي إِنَّهَا تَعْفُو الْكَلُومُ ، وَإِنَّمَا نُوَكِّلُ بِالْأَدْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمِضِي ^(١)
وَلَمْ أَدْرِ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ سِوَى أَنَّهُ قَدْ سُلِّ عَنْ مَا جَدِّ مَحْضِ
وَلَمْ يَكْ مِثْلُوجِ الْفَوَادِ مَهَبِّجًا أَضَاعَ الشَّبَابَ فِي الرَّيْبَةِ وَالْحَفْضِ ^(٢)
وَلَكِنَّهُ قَدْ لَوَّحَتْهُ نَحَامِصُ عَلَى أَنَّهُ ذُو مِرَّةٍ صَادِقُ النَّهْضِ
كَأَنَّهُمْ يُشَبِّهُونَ بِطَائِرٍ خَفِيفِ الْمَشَاسِ عَظْمُهُ غَيْرُ ذِي نَحْضِ
يُبَادِرُ قَوْتَ اللَّيْلِ نَهْوً مُهَابِدًا يَمُتُّ الْجَنَاحَ بِالتَّبَسُّطِ وَالْقَبْضِ
الرَّيْبَةُ : الْخَفْضُ وَالِدَعَةُ ، وَالْمُهَابِدُ : الْمَجْتَهِدُ فِي الْعَدُوِّ وَالطَّيْرَانُ .

أبو خراش
يرثى أخاه
عروة

وقال أبو خراش يرثى أخاه عروة :
تَقُولُ أَرَاهُ بَعْدَ عُرْوَةَ لَا هِيَا وَذَلِكَ رُزِي لَوْ عَلِمْتَ جَلِيلُ
فَلَا تَحْسَبِي أَنِّي تَنَاسَيْتُ عَهْدَهُ وَلَكِنَّ صَبْرِي يَا أَمِيمَ جَمِيلُ
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ قَدْ تَفَرَّقَ قَبْلُنَا خَلِيلًا صَفَاءَ مَالِكٍ وَعَقِيلُ
وَأَنَّ إِذَا مَا الصَّبِيحُ أُنْسِيَتْ ضَوْءَهُ يِعَاوِدُنِي قِطْعٌ عَلَى ثَقِيلُ
[أبَى الصَّبْرَ أَنِّي لَا أُرَازِلُ يَهْبِجِي مَيِّتٌ لَنَا فِيمَا مَضَى وَمَقِيلُ]
مَالِكٌ وَعَقِيلُ اللَّذَانِ ذَكَرَهُمَا نَدِيمَا جَذِيمَةِ الْأَبْرَشِ ، وَكَانَا أَتْيَاهُ بَابُنِ أُخْتِهِ عَمْرُو ،

(١) حفظى « على أنها تعفو الكلوم » (م)

(٢) مهبجاً : ثقيلاً ، والرَيْبَةُ : كثرة اللحم ، يريد لم يكن متشاقلاً إذا دعى

ولم يضيع أيامه في اكتساب اللحم والشحم (م)

وكان قد استهوته الجنّ، ففناها فتمنيا مُنادمته ، وهما اللذان عنى متمم
ابن نويرة في مرثية أخيه مالك :

وكنّا كندمائي جَذِيمةَ حِقْبَةٍ من الدهرِ حتى قيل لن يتصدّعا
فلما تفرّقنا كآني ومالكا لطولِ اجتماع لم نَبِتْ ليلَةً معا
وقول عنّرة في وصفِ الذبابِ أوحد فرد ، ويقيم فذّ ، وقد تعلق ابن الرومي
بذيله وزاد معني آخر في قوله :

إذا رنقت شمسُ الأصيلِ ونفّضتْ على الأفقِ الغربيّ ورَساً مُزَعْرَعاً^(١) لابن الرومي
ولاحظتِ النّوّارَ وهي مريضةٌ وقد وضعتْ خدّاً على الأرضِ أضرّعا
كما لاحظتِ عوادها عينُ مدّنفٍ توجّع من أوصابه ماتوجّجاً^(٢)
وبين إغضاء الفراقِ عليهما كأنهما خِلاً صَفاه تودّعا
وقد ضربتْ في خُضرةِ الرّوضِ صُفرةٌ من الشمسِ فأخضرَ أخضراراً مشغشعاً
وظلّتْ عيونُ النّورِ تخضّلُ بالندى كما اغرورقتْ عينُ الشّجِيّ لتدّمعا
وأذكى سيم الرّوضِ ريعانُ ظلّه وغنى معني الطيرِ فيه مرّجعا
وغرّد ربي الذبابِ خِلاله كما حنّحتِ النّشوان صنجاً مشرعاً
فكانت أرائين الذبابِ هنا كم على شدواتِ الطيرِ ضرباً موقعا

وذكر أبو نواس معني قوله في تصاوير الكئوس في مواضع من شعره فمن ذلك : لأبي نواس

بنينا على كسرى سماء مُدّامةٍ مكّلةٌ حافاتُها بنجوم
فلو رُدّ في كسرى بن ساسان رُوحه إذا لا صظفاني دون كلّ نديم

[وصفِ الدمن والأطلال]

وأول هذا الشعر :

لِمَنْ دَمَنٌ تَزْدَادُ طيبَ نسيمٍ على طولِ ما أقوت وحسنِ رسومٍ^(٣)

(١) الورس - بالفتح - نبت ذو نور أصفر يصبغ به (م) .

(٢) المدنف : المريض (م) .

(٣) الدمن : جمع دمنة ، وهي آثار الديار ، وأقوت : أفقرت (م) .

تجافى البلى عنهن حتى كأنما . لبسن على الإقواء ثوب نعيم .
وهذا معنى ملبح وإن أخذه من قول أعرابي :

شطت بهم عنك نية قذف^(١) غادرت الشعب غير ملتئم^(١)
واستودعت سيرها الديار فما تزداد طيباً إلا على القدم
وهذا ضد قول محمد بن وهيب :

لابن وهيب

طللان طال عليهما الأمد دَرَسَا فلا علم ولا قصد
لدسا البلى فكأنما وجدَا بعد الأحيّة مثل ما وجدوا
وقال الأخطل :

للأخطل

لأسماء محتل بناظرة البشر قديم ولما يعفه سالف الدهر
يكاد من العرفان يضحك رسمه^(٢) وك من ليال للديار ومن شهر
هذا أيضاً كقول أنى صخر الهذلي :

لأنى صخر

للأبلى بذات الجيش دار عرفتُها وأخرى بذات البين آياتها سطر^(٢)
كانهما م الآن لم يتغيرا وقد مرّ للدارين من بعدنا عصر^(٢)
وقد قال مزاحم القيلي :

لمزاحم القيلي

تراها على طول القواء جديدة وعهد المغاني بالحلول قديم^(٢)
وقرأ الزبير بن بكار أخبار أبي السائب [الخزومي] فلما بلغ إلى قول
مالك بن أسماء الفزاري :

بعكت الديار لفقدي ساكنها أفعدت قلبي أبتغي الصبرا؟
هذا البيت نظير قول ابن وهيب :

لابن وهيب

بيناهم سكن بجيرتهم ذكروا الفراق فأصبحوا سقرا
فظالت ذا وله يعارتني من لا يرى أمري له أمرا

(١) نية قذف : بعيدة .

(٢) م الآن : أصله « من الآن » خذف النون للتخفيف ، ومثله قول المتنبي :

نحن قوم ماجن في زى ناس فوق طير لها شخوص الجمال (م) .

وإن أبا السائب قال عند سماع البيت الأوسط: ما أسرع هذا! أما اهتدوا! أما قدّموا ركابا! أما ودّعوا صديقاً! فقال الزبير: رحم الله أبا السائب! فكيف لو سمع قول العباس بن الأحنف:

سألونا عن حالنا كيف أنتم فقرّنا وداعنا بالسؤال
 ما أنحنّا حتى ارتحلنا فما فرقن بين النزول والإرتحال^(١)
 هكذا رواه الزبير بن بكار لمالك بن أسماء، ورواها غيره لأيوب بن شبيب الباهلي.

ومن الفاظ أهل العصر، في صفة الديار الخالية

دارٌ لبست البلى، وتعطلت من الخلى. دار قد صارت من أهلها خالية، بعد ما كانت بهم حالية. دار قد أنفد البين سكانها، وأقعد حيطانها، شاهد اليأس منها ينطق، وحبل الرجاء فيها يقصر. كأن عمرانها يطوى وخرابها ينشر، أركانها قيام وقعود، وحيطانها رجع وهجود.

يشبه الأول من قول مالك بن أسماء قول مزاحم العقيلي:

بكت دارهم من قديم قهلت دموعي، فأى الجازعين ألوم^(٢)؟
 أمستعبر ينيكي على الهون والبلى أم آخر ينيكي شجوه فيهم

للمتنبي

أبو الطيب المتنبي:

لك يا منازل في القلوب منازل أقفرت أنت وهن منك أو أهل
 يعلمن ذلك، وما علمت، وإنما أولاً كما ينيكي عليه العاقل

لعلى بن جبلة

وقال على بن جبلة، في معنى قول العباس بن الأحنف:

زائر تمّ عليه حسنه كيف ينحني الليل بدراً طلعا
 بأبي من زارني مكتما خائفاً من كل أمرٍ جزعا

(١) هكذا بقطع همزة «الإرتحال» - وهي همزة وصل - لضرورة إقامة

(٢) تهلت دموعي: انهلت وانصبت (م).

الوزن (م).

رَصَدَ الْفَلَاحَ حَتَّى أَمَكَّنَتْ وَرَعَى الْحَارِسَ حَتَّى هَجَعَا
رَكِبَ الْأَهْوَالَ فِي زَوْرَتِهِ ثُمَّ مَا سَلَّمَ حَتَّى وَدَّعَا

وقال الحسين بن الضحاك :

[بأبي زورٍ تلفت له فتنفتُ عليه الصُّمَّعِدَا (١)
بينما أضحكُ مسروراً به إذ تقطعتُ عليه كدَا (٢)]

للحسن
ابن الضحاك

أبو الطيب المتنبي [:

بأبي منٍ ودِدتهُ فافترقنا وقضى اللهُ بعد ذلك اجتماعا
فافترقنا حولا ، فلما اجتمعنا كان تسليمه على الوداعا

للمتنبي

وقال أبو الحسن جحظة : قال لي خالد الكاتب : دخلت يوماً بعض الديارات
فإذا أنا بشابٍ موثقٍ في صِفَادِ حَسَنِ الْوَجْهِ ؛ فسَلَّمْتُ عليه ، فردَّ عليّ ، وقال :
مَنْ أَنْتَ ؟ قلت : خالد بن يزيد ، فقال : صاحب المقطعات الرقيقة ؟ قلت : نعم ! فقال :
إن رأيت أن تفرِّجَ عني ببعض ما تشدني من شعرك فافعل ، فأشدته :

ترشفتُ من شفتَيْهَا عقاراً وقبَلْتُ من خَدَّهَا جُلنَّاراً (٣)
وعانقتُ منها كثيراً مهيبلاً وغصناً رطيباً وبدراً أناراً
وأبصرتُ من نورها في الظلام لكلِّ مكانٍ بليلاً نهاراً

فقال : أحسنت ! لا يفضضُ اللهُ فاك ، ثم قال : أجز لي هذين البيتين :
ربِّ ليلٍ أمدٌ من نفسِ العَا شقُّ طُولاً قطعته بانتحابِ
وحديثِ ألدٍّ من نظَرِ الوا مقى بدلتُه بسوءِ العتابِ
فوالله لقد أعملتُ فكري فما قدرتُ أن أجيزها . [ويمكن أن يجازا بهذا البيت :
ووصالٍ أقلَّ منْ لَمحةِ البَا رِقِ عَوْضتُ عنه طولَ اجتنابِ]

(١) الزور - بالفتح - الزائر ، وأصله مصدر فوصف به ، والصعدا - بضم

الصاد وفتح العين - أصله الصعداء ممدودا فقصره ضرورة (م) .

(٢) الكد - بالتحريك - الحزن (م) .

(٣) العقار - بوزن غراب - الحجر (م) .

[طول الليل]

لابن الرومي

وقال ابن الرومي في طول الليل :

رُبَّ لَيْلٍ كَأَنَّهُ الدَّهْرُ طَوَّالًا قَدْ تَنَامَى فَلَيسَ فِيهِ مَزِيدُ
ذِي نَجُومٍ كَأَنَّهُنَّ نَجُومُ الشَّيْبِ لَيْسَتْ تَغِيبُ لَكِن تَزِيدُ

لبشار

وهذا من أجود ما جاء في هذا المعنى ، وقد قال بشار :

لَخَدَّيْكَ مِنْ كَفَيْكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى أَنْ تَرَى وَجْهَ الصَّبَاحِ وَسَادُ
تَبَيْتُ تُرَاعَى اللَّيْلَ تَرْجُو نَفَادَهُ وَلَيْسَ لِلَّيْلِ العَاشِقِينَ نَفَادُ^(١)

وقال :

خَلِيلِي مَا بَالُ الدُّجَى لَا تَرْحُحُ وَمَا بَالُ ضَوْءِ الصَّبَاحِ لَا يَتَوَضَّحُ
أَضَلَّ النَّهَارُ الْمُسْتَنْبِرُ سَبِيلَهُ أَمْ الدَّهْرُ لَيْلٌ كُلُّهُ لَيْسَ يَبْرَحُ
كَأَنَّ الدُّجَى زَادَتْ وَمَا زَادَتْ الدُّجَى وَلَكِنْ أَطَالَ اللَّيْلَ هُمْ مَبْرَحُ

وقال [أيضاً] :

طَالَ هَذَا اللَّيْلُ ، بَلْ طَالَ السَّهْرُ وَلَقَدْ أَعْرَفُ لَيْلِي بِالْقَصْرِ
لَمْ يَطْلُنْ حَتَّى جَفَانِي شَادِنٌ نَاعِمٌ الْأَطْرَافُ فَتَانَ النَّظْرُ^(٢)
لِي فِي لَيْلِي مِنْهُ لَوْعَةٌ مَلَكَتْ قَلْبِي وَسَمِعِي وَالبَصْرُ
فَكَانَ الهِمَّةُ شَخْصٌ مَائِلٌ كَمَا أَبْصَرَهُ النَّوْمُ نَفْرُ^(٣)

وقال أيضاً :

كَأَنَّ فَوَادَهُ كَرَّةٌ تَنْزِي حَذَارَ البَيْنِ إِنْ نَفَعَ الحَذَارُ^(٤)
يَرُوعُهُ السَّرَارُ بِكُلِّ شَيْءٍ مَخَافَةً أَنْ يَكُونَ بِهِ السَّرَارُ
[كَأَنَّ جَفُونَهُ سَمِلَتْ بِشَوْكٍ] فَلَيسَ لِنَوْمِهِ فِيهَا قَرَارُ
أَقُولُ وَلَيْلَتِي تَزْدَادُ طَوَّالًا : أَمَا لِلَّيْلِ بَعْدَهُمْ نَهَارُ

(١) تَرْجُو نَفَادَهُ : تَحْنِي زَوَالَهُ ، أَوْ انْتِهَاءَهُ (م)

(٢) الشَادِنُ : الظَّبْيُ إِذَا قَوِيَ وَتَرَعَرَعَ (م)

(٣) شَخْصٌ مَائِلٌ : قَاسِمٌ (م) (٤) تَنْزِي : تَنَبُّ ، وَأَصْلُهُ تَنْزِي (م)

جفت عيني عن التغميض حتى كأن جفونها فيها قصار
 قيل لبشار: من أين سرقت قولك: * يروعه السرارُ بكل شيء *
 فقال: من قول أشعب الطمع، وقد قيل له: ما بلغ من طمعك؟ قال: ما رأيت
 اثنين يتساران إلا ظننتهما يُريدان أن يأمرألى بشيء. وأخذه أبو نواس فقال:
 لا تبيحن حرمة الكتاب راحة المستهام في الإعلان
 قد تسترت بالسكوت وبالإطراق جهدي فنمت العينان
 تركتني الوشاة نصب المشيرين وأحدوتة بكل مكان
 ما نرى خاليتين في الناس إلا قلت ما يخلوان إلا إساني
 ومثل قول بشار: * جفت عيني عن التغميض * ... البيت، قول الآخر:
 كأن الحب بطول الشهاد قصير الجفون ولم تقصر
 وقد تناول هذا المعنى العتابي [فأفسده وقال]:

وفي المآقي انقباض عن جفونهما وفي الجفون عن الآماق تقصير
 وقال المتنبي:

أعيدوا صباحي فهو عند الكواكب وردوا رقادى فهو لخط الحباب
 كأن نهاري ليلة مدلهمة على مقلة من فقدكم في غياهب
 بعيدة ما بين الجفون كأنما عقدتم أعالي كل هذب بحاجب

أيهما أوصف؟ والنابغة في طول الليل، أيهما أشعر؟ فقال الوليد: النابغة أشعر، وقال مسلمة:
 بل امرؤ القيس، فرضيا بالشعبي، فأحضراه، فأنشد الوليد:

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب (١)
 تناول حتى قلت ليس بمنقص وليس الذي يرعى النجوم بآيب (٢)

(١) كليني: اتركيني، وناصب: صاحب نصب، على النسب، والناصب
 - بالتحريك - التعب (م).

(٢) آيب: راجع، والقياس أن يقال «آيب». بالهمز، ولكنهم قد يخففون
 الهمزة قبلها ياء لان الياء بحانس الكسرة (م).

وَصَدْرٍ أَرَا حَ الْبَلِيلِ عَازِبَ هَمَّةٍ تَضَاعَفَ فِيهِ الْحَزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (١)
 وَأَنْشَدَهُ مَسْأَلَةَ قَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ :
 وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُوكَهُ عَلَى بَأْنَوعِ الْهَمُومِ لَيْبَتَلِي
 قَلَّتْ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِجَوْزِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكَلِّ كَلِّ
 أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الْعُلُوبِلُ أَلَا انْجَلِي بَصُوحٍ ، وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ
 فَيَالِكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نَجْمَهُ بِكُلِّ مُغَارٍ الْفَتْلُ شَدَّتْ نَيْدُ بَلِ
 فَطَرِبَ الْوَالِيدُ طَرَبًا ، فَقَالَ الشَّعْبِيُّ : بَانَتِ الْقَضِيَّةُ .

معنى قول النابغة : * وصدور أراح الليل عازب هممة *

أنه جعل صدره مأوى للهموم ، وجعل الهموم كالنعم السارحة العادية ،
 تسرحُ نهاراً ثم تأتي إلى مكانها ليلاً . وهو أول من استثار هذا المعنى ،
 ووصف أن الهموم مترادفة بالليل لتقييد الألفاظ عما هي مطلقة فيه بالنهار ،
 واشتغالها بتصرف اللحظ عن استعمال الفكر ، وامرؤ القيس كره أن يقول : إن الهم
 يخف عليه في وقت من الأوقات فقال : وما الإصباح منك بأمثل .

للطرماح

وقال الطرماح بن حكيم الطائي :

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الَّذِي طَالَ أَصْبَحُ بِيَوْمٍ ، وَمَا الْإِصْبَاحُ فَيْكَ بِأَرْوَحِ
 عَلَى أَنْ لِلْعَيْنَيْنِ فِي الصُّبْحِ رَاحَةٌ لَطْرَحَهُمَا طَرَفَيْهِمَا كُلَّ مَطْرَحِ
 فنقل لفظ امرئ القيس ومعناه ، وزاد فيه زيادةً اغتفر له معها فحش السرقة
 وإنما تنبه عليه من قول النابغة ، إلا أن النابغة لوتح ، وهذا صرح .

لابن بسام

وقال ابن بسام :

لَا أَظْلَمُ اللَّيْلَ وَلَا أَدْعَى أَنْ نَجْمَ اللَّيْلِ لَيْسَتْ تَعُورُ (٢)
 لَيْلِي كَمَا شَاءَتْ ، فَإِنْ لَمْ تَزُرْ طَالَ ، وَإِنْ زَارَتْ فَلَيْلِي قَصِيرُ
 وإنما أثار ابن بسام على قول علي بن الخليل فلم يغير إلا القافية :

(١) أراح : رد ، والعازب : البعيد (م) .

(٢) ليست تعور : لا تغرب (م) .

لا أظلم الليلَ ولا أدعى أن نجومَ الليل ليست تزولُ
ليلي كما شاءت ، قصيرٌ إذا جادتْ ، وإن ضنتْ فلئيلي طویلُ

وهذه السرقة كما قال البديع في التنبية على أبي بكر الخوارزمي في بيت
أخذ رويّه وبعض لفظه: « وإن كانت قضية القطع تجب في الربيع ، فما أشد شفقتي
على جوارحه [أجمع] ؛ ولعمري إن هذه ليست سرقة ، وإنما هي مكابرة محضة ،
وأحسب أن قائله لو سمع هذا لقال : هذه بضاعتنا ردت إلينا ، فحسبت أن ربيعة
ابن مكدم وعتيبة بن الحارث بن شهاب كانا لا يستحلان من البيت ما استحله ،
فإنهما كانا يأخذان جُلّه^(١) ، وهذا الفاضل قد أخذ كله ، وقد أخذ على بن الخليل
من قول الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان :

لأَسألُ اللهَ تغييراً لما صنعتُ نأمتُ وإن أسهرتْ عينيَ عيناها

فالليلُ أطولُ شيءٍ حينَ أقدّها والليلُ أقصرُ شيءٍ حينَ ألقاها

وإن بسام في هذا [الشعر] كما قال الشاعر :

وفتي يقول الشعر إلا أنه في كل حال يسرقُ المسروقا

ألفاظ لأهل المصر في طول الليل والسهر

وما يعرض فيه من الموموم والفكر

ليلة من غصص الصّدرِ ، ونقم الدهرِ . ليلة هموم وغموم ، كما شاء الحسود ،
وساء الودود . ليلة قصّ جناحها ، وضلّ صباحها . ليل ثابت الأطناب ، طامى
الفوارب ، طامح الأمواج^(٢) ، وافى الذوائب . ليال ليست لها أسحار ، وظلمات
لا تتخللها أنوار . بات بليّة نابغية ، يراد قوله :

(١) جله - بضم الجيم وتشديد اللام - معظمه (م) .

(٢) في نسخة « طامغى الأمواج » (م) .

فبت كأنني ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها السَّمُّ نَأَقِعُ^(١)
 [يُسَهِّدُ من ليل التمام سليمها لِحَلِي النساء في يديه قعاقعُ]
 بات في الصيف بليلة شتوية . سامرته الهموم ، وعانقته الغيوم ، واكتحل
 المهاد ، وافترش الفتاد^(٢) ، فاكتحل^(٣) بمُمول السهر ، وتململ على فراش الفِكر .
 قد أفضَّ مهاده ، وقَلِقَ وساده . هموم تفرَّقُ بين الجنب والمهاد ، وتجمعُ بين
 العين والسهاد . طَرَفَ برعي النجوم مطروف ، وفراش بشعار الهم محفوف .
 كأنه على النجوم رقيب ، وللظلام تعيب .

ولهم فيما يتصل بضد ذلك من ذكر [إقبال] الليل
 وانتشار الظلمة، وطلوع الكواكب

أقبلت عساكر الليل ، وخفقت رايات الظلام . وقد أرخى الليل علينا
 سدوله ، وسحب الظلام فينا ذيوه . توقد الشفق في ثوب الغسق . أقبلت وفود
 النجوم [وجاءت مواكب الكواكب . تفتحت أزاهير النجوم] ، وتوردت
 حدائق الجو ، وأذكى الفلك مصايجه . قد طفت النجوم في بحر الدجى ،
 ولبس الظلام جلبابا من القار . ليلة كغراب الشباب ، وحدق الحسان ، وذوئب
 العذاري . ليلة كأنها في لباس بنى العباس^(٣) ليلة كأنها في لباس النكالي ، وكأنها
 من العيش في مواكب الحبش . ليلة قد حلك إهابها ، فكان البحر يهابها .

ولهم في ذكر النوم والنعاس

شرب كأس النعاس ، وانتشى من سحر الكرى^(٤) ، قد عسكر النعاسُ
 بطرفه ، وخيم بين عينيه . غرق في لجة الكرى ، وتمائل في سكرة النوم .
 قد كحل الليل الورى بالرقاد ، وشامت الأعين أجفانها في الأعماد .

(١) الرقش : جمع رقشاء، وهي الحية (م)

(٢) الفتاد - بزنة السحاب - الشوك (م) .

(٣) كان العباسيون قد اتخذوا السواد شعارا في لباسهم وفي راياتهم وبنودهم (م) .

(٤) الكرى : النوم (م) .

وفي انتصاف الليل وتناهيه ، وانتشار النور ، وأقول النجوم

قد اكتمل الظلام . قد انتصفنا عُمُرَ الليل ، واستغرقنا شبابه . قد شاب رأسُ الليل ، كاد ينمُّ النسيمُ بالسَّحَرِ . قد انكشف غطاء الليل . انهمتكَ^(١) سترُ الدجى ، وشمطت ذوائبه ، وتقوسَ ظهره ، وتهدمَ عمره . قومت خيامُ الليل ، وخلع الأفق ثوبَ الدجى . أعرض الظلامُ وتولى ، [وتدلى] عنقودُ الثريا طرزَ قيصُ الليل بغرة الصبح ، وباح الصبح بسره . خلع الليل ثيابه ، وحدر الصبح نفايه . لاحت تباشيرُ الصبح ، وافترق الفجرُ عن نواجذه ، وضرب النورُ في الدجى بعموده . بثَّ الصبح طلائمه . تبرقع الليلُ بغرة الصبح . أطار بأزى الصبح غرابَ الليل^(٢) ، وعزلت نوافج الليل^(٣) بحامات الكافور ، وانهمز جندُ الظلام عن عسكر النور . خلعتنا خلعة الظلام ، ولبسنا رداء الصبح ، وملأ الأذان برقُ الصبح ، وسطع الضوه ، وطلع النور ، وأشرقت الدنيا ، وأضاءت الآفاق . مالت الجوزاء للغروب ، وولت مواكب الكواكب ، وتناثرت عقود النجوم ، وفترت أسرابُ النجوم من حدق الأنام ، وهى نطاقُ الجوزاء ، وانطلقاً قنديلُ الثريا . قال بعضُ الأعراب : خرجنا في ليلة حنيس قد ألتت على الأرض أكارعها ، فمحت صورة الأبدان ، فما كنا نتعارف إلا بالأذان .

قال ابن محكان السعدى :

وليل يقول الناسُ في ظلماته سواء صحىحات العيون وغورها
كان لنا منه بيوتاً حصينةً مسوحاً أعاليها وساجاً ستورها^(٤)

وهذا بارع جداً . أراد أن أعلاه أشدُّ ظلاماً من جوانبه .

وقال أعرابي في صفته : خرجتُ حين انحدرت النجومُ ، وشالت أَرْجُلُهَا ،

(١) في إحدى المطبوعات « ستر الدجى هرم الليل » وليس بشيء (م) .

(٢) في نسخة « أطار منادى الصبح غراب الليل » وليست بذلك (م) .

(٣) في نسخة « نوافج المسك » (م) .

(٤) المسوح : جمع مسح - بالكسر - وهو ثوب من شعر أسود يشبه ثوب الرهبان ،

والساج : خشب شجري ينبت بالهند ، ولونه أسود ، وفي نسخة « وساجا كسورها » (م) .

فَا زِلْتُ أَصْدَعَ اللَّيْلَ حَتَّى انْصَدَعَ الْفَجْرُ .

ومن بدع الشعر في صفة الليل قول الأعرابي :

والليلُ يَطْرُدُهُ النَّهَارُ وَلَا تَرَى كالليلِ يَطْرُدُهُ النَّهَارُ طَرِيداً
فَقَرَأَ مِثْلَ الْبَيْتِ مَالٍ رَوَّاقُهُ هَتَكَ الْمَقْوُضُ سِنَّةَ الْمُدْوَدَا
ومن الديدع :

عَلَى حِينِ أَتَى الْقَوْمُ خَيْرًا عَلَى السَّرَى وَطَارَتْ بِأُخْرَى اللَّيْلِ أَجْنِحَةُ الْفَجْرِ
آخر :

وَلَيْلٌ ذِي غَيَاطِلَ مُدْلِهِمْ رَمِيَتْ بِفَجْمِهِ عَرْضَ الْأَفْوَلِ
يَرُدُّ الْغَرْفَ مُنْقَبِصًا كَلِيلًا وَيَمْلَأُ هَوْلَهُ صَدْرَ الدَّلِيلِ
ابن المصز :

هَامَتْ رَكَابُنَا إِلَيْكَ بِنَا بِظَلِيلِ أَهْلِ النَّارِ وَالْمَنَعِ
فَكَانَ أَيْدِيَهُنَّ دَائِبَةً يَفْحَصْنَ لَيْلَتَهُنَّ عَنْ صُبْحِ
وقال كشاجم :

سَيَّأَ لِلَّيْلِ قَصْرَتْ مُدَّتُهُ يَدِيرُ مَرَّانَ مَرٍّ مَشْكُورَا
وَبَاتَ بَدْرُ الدَّجَى إِشْعَشَعَا نُورِيَّةٌ تَمْلَأُ الدَّجَى نُورَا^(١)
غَارَتْ عَلَى نَفْسِهَا وَقَدِ سَفَرَتْ فَعَادَ جَيْبُ الْحَبَابِ مَزْرُورَا
حَتَّى رَأَيْتُ الظَّلَامَ يَدْرُجُهُ السُّغْرُ وَدَرَجَ الصَّبَاحُ مَنْشُورَا^(٢)
فَاخْتَلَطَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ كَمَا تَخْلُطُ كَفٌّ مَكَا وَكَافُورَا

وقال علي بن محمد الكوفي :

مَتَى أُرْتَجَى يَوْمًا شِفَاءً مِنَ الضَّنَا إِذَا كَانَ جَانِيهِ عَلَى طَيْبِي
وَلَى عَائِدَاتٍ صِفْتُهُنَّ جُنُنَ فِي لِباسِ سَوَادٍ فِي الظَّلَامِ قَشِيبِ^(٣)
نَجُومٌ أُرَاعِي طَوْلَ لَيْلِي بُرُوجَهَا وَهِنَّ لِبُئْدِ السَّيْرِ ذَاتُ لُغُوبِ

(١) يشعشعا : يمزجها ، وأراد الحمر (م) .

(٢) في نسخة « وبرد الصباح منشورا » (م) . (٣) قشيب : جديد (م)

خوافقُ في جُنحِ الظلامِ كأنها
 ترى حوتها في الشرقِ ذاتِ سباحةٍ
 إذا ماهوى الإكليلُ منها حسبته
 كأن التي حولَ الحجرِ أوردتْ
 كأن رسولَ الصُّبحِ يخلطُ في الدُّجى
 كأن أخضرَ الرِّبْعِ صرَّحَ "مرد"
 كأن سوادَ الليلِ في ضوءِ صُبْحِهِ
 كأن نذيرَ الشمسِ يحكى بيشره
 ولولا اتقائى عتبه قلت سدى
 جوادُ بما تحوى يدهُ مهذب
 نسيبِ إخاءٍ وهو غيرُ مناسبِ
 ونسبةُ ما بينَ الأقاربِ وحشةُ
 قلوبٌ معنّاةٌ بطولِ وجيبِ^(١)
 وعقرَ بها في الغربِ ذاتِ ديبِ^(٢)
 تهذلُ عُصنِ في الرياضِ رطيبِ
 لتكرع في ماءٍ هناك صيبِ
 شجاعةً مقدامِ بجُبنِ هيوبِ
 وفيه لالٍ لم تُشنْ بثقوبِ^(٣)
 سوادُ شبابٍ في بياضِ مشيبِ
 على بنِ داودِ أخى ونسبِ
 ولكن يراها من أجلِّ ذنوبِ
 أديبٌ عداً خلاً لكلِّ أديبِ
 قريبٌ صفاءٍ وهو غيرُ قريبِ
 إذا لم يؤنسها انتسابُ قلوبِ

[أخو الصفاء قريب]

وهذا البيت كقول الطائي :

وقلتُ أخى قالوا أخٌ من قرابةٍ
 [نسبي في رأيي وعزى ومذهبي]
 وقال عبد السلام بن رغبان^(٤) ، وسلك طريق الطائي [فاضلٌ عنها] :
 أخ كنتُ أبسكيه دماً وهو حاضرٌ
 بكاءً أخ لم تحوهِ بقرابةٍ
 فمات فمأشوقى إلى الأجرِ واقفٌ
 وأظلمت الدنيا التي أنت نورها
 فقلت لهم إن الشكولَ أقاربُ
 وإن باعدتْنَا في الأصولِ المناسبِ
 وحذاراً ، وتعمى مُقلتي وهو غائبُ
 بلى إن إخوانَ الصفاءِ أقاربُ
 ولا أنا في عُمرى إلى اللهِ راغبُ
 كأنك للدنيا التي أنت نورها

(١) الوجيب : خفقان القلب واضطرابه (م) .

(٢) الحوت والعقرب والإكليل والحجرة : نجوم في السماء (م) .

(٣) صرَّح : قصر عال ، ومرد : مطول أى عال ، ولم تُشنْ : لم تعب (م) .

(٤) هو ديك الجن (م) .

يُبرِّدُ نيرانَ المصائبِ أنى أرى زماناً لم تبق فيه مصائبُ
وفي هذه القصيدة :

ترشفتُ أيامي وهنَّ كوالحِ
ودافعتُ في كيدِ الزمانِ ونحرِهِ
وقلتُ له : خلَّ ابنُ أمتي لعصبةِ
فوائدهِ إخلاصاً من القولِ صادقاً
لو أن يدي كانت شفاءك أودمي
لسلمتُ تسليماً الرضا واتخذتها
فتى كان مثل السيف من حيث جنته
فتى همهُ سخدٌ على الدهر راح
شمال إن تشهدَ فهنَّ مشاهد
وقال الطائي لعلى بن الجهم :

إن يُكَدِّ مُطَرَّفُ الإخاءِ فإننا
أو يفترقُ نَسَبٌ يولِّفُ بيننا
أو يختلفُ ماء الوصالِ فماؤنا
عَذْبٌ تحدرُ من غمامٍ واحدٍ^(٢)

وقال محمد بن موسى بن حماد : سمعتُ على بن الجهم ، وذ كر دِعْبا
فلعنه ، وكفره ، وقال : وكان يطعنُ على أبي تمام ، وهو خيرٌ منه ديناً
وشعراً ، فقال رجلٌ : لو كان أبو تمام أخاك ما زدت على مدحك له .
فقال : إلا يكن أخا نَسَبٍ فهو أخو أدب ، أما سمعت ما خاطبني به ؟
وأنشد الأبيات :

(١) اللطيف والطارف والطريف : الجديد الحديث ، ويقابله التالف والتلبد (م)
(٢) لأبي تمام في استعارة الماء عبارات غريبة كماء الوصال هنا ، وماء اللام ،
ونحو ذلك (م)

وقال رجل لابن المقفع : إذا لم يكن أخى صديقى لم أحبيبه ، قال :
نعم صدقت ، الأخ نسيبُ الجسم ، والصديق نسيب الروح .

وقال أبو تمام يخاطب محمد بن عبد الملك الزيات :

أبا جعفرَ إن الجهالةَ أمُّنا _____ ولودٌ ، وأمُّ العلمِ جداءُ حائلٌ ^(١)
أرى الحشوةَ والدهماءَ أضحوا كأنهم شعوبٌ تلاقَتْ دوننا وقبائلٌ
غدواً وكانَ الجهلُ يجمعهم أباً _____ وحظ ذوى الآدابِ فيهم قوافلٌ
فكن هضبةً تأوى إليها وحرّةً _____ يُعردُ عنها الأعوجى المنقل ^(٢)
فإن القى في كل حال مناسبٌ _____ مناسبَ روحانيةً من يشاكل

وقال البحرى لأبي القاسم بن خرداذبه :

إن كنت من فارس في بيتِ سُوددها _____ وكنت من بحترى البيت والنسب ^(٣)
فلم يضرنا تنانى النصيبين وقد رُحنا نسيبين في علمٍ وفي أدبٍ
إذا تقاربت الآدابُ والتأمت _____ دنت مسافة بين العُجمِ والعُربِ

[وصف النجوم]

وقد احتذى طريقةَ أبو القاسم محمد بن هانىء ، فقال يمدحُ جعفر بن على ،
وذكر النجوم ، فقال :

لابن هانى
الأندلسى

جعلنا حشايانا ثيابَ مُدامينا _____ وقدت لنا الظلماء من جلدِها لحفا
فمن كبد تُدنى إلى كبدِ هوى _____ ومن شفةٍ تُوحى إلى شفةٍ رَشفا
بعيشك نبيه كأنه جفونهُ _____ فقد نبه الإبريقُ من بعد ما أغنى
وقد فسكت الظلماء بعضَ قيودِها _____ وقد قام جيشُ الليل للفجرِ فاصطفا

(١) جداء : صغيرة الثدي قليلة الدر ، وفي نسخة « جيداء » تطبيع (م)

(٢) يعرد عنها : يميل عنها وينفر منها ويهرب ، والأعوجى : الفرس المنسوب

إلى أعوج وهو فرس مشهور (م)

(٣) فى ديوانه « وكنت من طيء فى البيت - إلخ » وفى نسخة « وكنت من

محتدى فى البيت - إلخ » ولعل أصل ما فى الأصل « وكنت من بحترى - إلخ » (م)

وولت نجوم للثريا كأنها
 ومسر على آثارها دبراتها
 وأقبلت الشعرى العبور ملبسة
 وقد بادرت بها أختها من ورائها
 تخاف زئير الليث يقدم نثره
 كأن السما كين اللذين تظاهرا
 فذا رامح يهوى إليه سنانه
 كأن رقيب النجم أجدل مرقب
 كأن سهيلا في مطالع أفعو
 كأن بني نفس ونعشا مطافل
 كأن سهاها عاشق بين عود
 كأن معلى قطبها فارس له
 كأن قدامى النسروالنسر واقع
 كأن أخاه حين دوّم طارأ
 كأن الهزيع الأبنوسى مؤهنا
 كأن ظلام الليل إذ مال ميلة
 كأن عمود الفجر خافان عسكر
 كأن لواء الشمس غرة جعفر
 وقال ابن طباطبا [العلوى] :

كأن اكتتام المشتري في صحابه
 كأن سهيلا والنجوم أمامة

(١) الدبران : منزل القمر ، والشعرى العبور : نجم (م)
 (٢) الهزيع : الجزء من الليل ، والأبنوسى : أراد الأسود (م) .

لابن طباطبا
 العلوى

وديعة سرى في ضمير مديع
 يعارضها رابع وراء قطيع

وقد لاحَتِ الشَّعْرَى العَبُورَ كأنها تَقَلَّبَ طَرْفٍ بِالدُّمُوعِ هُمُوعِ
وأضحمت الجوزاء في أفقِ غَرْبِها فباتت كَنَشْوَانِ هناك صَرِيحِ
إلى أن أجاب الليلُ دَاعيَ صُبحِه وكان يُنادى منه غيرَ سَمِيعِ
وقال :

وكانَ أهلالُ ما تَبَدَّى شَطْرَ طُوقِ المِراةِ ذى التذهيبِ
أو كَقَوْسٍ قد انحنَتِ طَرْفاهُ أو كَكُؤُنٍ في مُهزَّقِ مَكْتُوبِ
وقال علي بن محمد العلوى يصف القمرَ ، وقد طرح جِرمه على دِجَلِه :

علي بن محمد
العلوى

لم أنسَ دِجَلَةَ والدَّجَى مُتَصِرِمٌ والبَدْرُ في أفقِ السماءِ مغرَبُ
فكانها فيه رداً أزرقٌ وكأنه فيها طرازٌ مُذهَّبُ

وقال [الأمير] تميم بن العمز ، وكان يحتذى مثل ابن المعتز ، ويقف في
التشبيهات بجانبه ، ويفرغ فيها على قلبه ، ويتبعه [في] سلوك ألقاظ الملوك :

تميم بن العمز

اسقِيائِي فلست أضغى لعدلٍ ليس إلا تملَّةَ النفسِ شُعْلي
أطيع العذول في تركِ ما أهـوى كأنى اتهمت رأيتي وعقلي
علاني بها فقد أقبل الليلُ كأون الصدود من بعد وصلي
وأنجلى الغيمُ بعدما أضحك الرّؤُ ض بكاء السحابِ جادَ بوبلِ
عن هلال كصوِّجان نُضارٍ في سماء كأنها جامٌ ذبَلِ
وقال :

ربَّ صَفراءَ عَلَّمتني بصفرا ووجنحُ الظَّلامِ مُرَخى الإزارِ
بين ماء وروضةٍ وكروم وروابٍ منيفَةٍ وصحارِ (١)
تنتنى به العصوفُ علينا وتجيّب القِيانُ فيها القَمارى (٢)

(١) في نسخته « بين ماء وبركة » والروابي : جمع رابية ، وهو ما ارتفع من الأرض (م)

(٢) تنتنى : تمايل ، والقِيان : جمع قينة ، وهى الأمة الغنية ، والقمارى : جمع

قمرى ، وهو ضرب من الحمام (م)

وكان الدجى غداً ترُ شِعْرِي وكان النجوم فيها مداري^(١)
وانجلى الغيمُ عن هلالِ تبدى في يدِ الأفقِ مثل نصفِ سوارِ
وقال :

عبتُ فانشى عليها العتابُ ودعا دمعَ مقلتيها انسابُ
وضعت نحو خدّها يديها فالتقى الياسمينُ والعنابُ^(٢)
رُبَّ مبدىٍ تعتبِ جعل العتبَ رياءً وهمه الإعتابُ
فاستقنيتها مُدامةً تصبغُ الكأ س كما يصبغُ الخلودَ الشبابُ
ما ترى الليل كيف رَقَّ دُجَاهُ وبدأ طيلسانُه ينجابُ ؟
وكان الصباحُ في الأفقِ بازٍ والدجى بين مخلبَيْهِ غرابُ
وكان السماءُ بِلجةٍ بجرٍ وكان النجومَ فيها حبابُ
وكان الجوزاءُ سيفَ صقيل وكان الدجى عليها قرابُ
من وصف الشراب والكؤوس والسقاة في الليل

وقال :

وزنجية الآباء كرخية الجلب عبيرية الأنفاس كرمية النسب^(٣)
كميت برلنا ذنها فتججرت بأحمر قانٍ مثل ما قطر الذهبُ
فلما شرر بناها صبونا كأننا شررنا السرور والخض واللهم والطربُ
ولم نأت شيئاً يسخط المجدَ فعله سوى أننا بعنا الوقار من اللعِبُ
كان كؤوس الشربِ وهي دوائر قطائعُ ماء جامدٍ تحمل اللهبُ
يمدّ بها كفا خضيباً مُدبرهاً وليس بشيء غيرها هو مختضبُ
فبتنا نسقى الشمسَ والليلُ راكداً وتقرب من بذر السماء وما قربُ

(١) المدارى : جمع مدرى ، وهى خشبة يمشط بها الشعر [المشط] (م)

(٢) فى نسخة « وسعت نحو خدّها يديها » وهى أليق بما هنا (م)

(٣) فى نسخة « عناية الأذعاس » (م)

وقد حجب القيمُ الهلالَ كأنه
[كأن الثريا تحت حُلُكَة لونها
ستارة شَرِبَ خلفها وَجْهٌ من أحب
مداهن بلور على الأرض تَضَطْرِبُ]
وقال :

كأنَّ السحابَ الغرَّ أضبحن أكوُسا
إلى أن رأيتُ النجمَ وهو مغربٌ
لنا، وكأنَّ الرّاحَ فيها سَنَا البرقِ
وأقبلَ راياتُ الصّباحِ من الشرقِ
بقايا مجال الكُجَلِ في الأعينِ الرُّزقِ
كأن سوادَ الليلِ والصّبحُ طالعٌ
وقال :

وكأنَّ يُعيدُ المُسرُّسراً، ويحتنى
يولّد فيها المزجُ دُرّاً منضداً
ثمّارَ الفِئى للشربِ من شجرِ الفَقْرِ
كما فقتت فوق الثرى نَقَطُ القَطْرِ^(١)
على الرّاحِ واواتٌ تجتمعن في سَطْرِ
صغار وكبرى في الكؤوس كأنها
نجومُ الثريا لُحْنٌ في راحَةِ البَدْرِ
إذا حنَّ الساقِ الأغرَّ حسبتُها
صبحت بها صخبي وقد رندج الدُّجى
بفضة لألاء الصّباحِ سَنَا الفَجْرِ^(٢)
على الأفقِ الأعلى قلائدٌ من دُرٍّ
وقد أزهرت بيضُ النجومِ كأنها
وقال :

ألا فاسقياني قهوةً ذهبيةً
كأنَّ الثريا والظلامُ يحفُّها
فقد ألبسَ الأفاقَ جنحَ الدجى دَعَجِ
فصوصُ بلُجَيْنٍ قد أحاطَ بها سَبَجِ^(٣)
إذا جنَّ زنجيٌّ تَبَسَّمَ عن فليج
كأنَّ نجومَ الليلِ تحت سوادهِ
وقال :

أيا دَيْرَ مرحنا سقتك رعودُ
فكم واصلتنا في رَبّاك أوانسُ
من القيمِ يهيمى مزُنها ويجودُ
يُظفنَ علينا بالمدامةِ غِيدُ

(١) في نسخة « نقطة القطر » والقطر - بالفتح - المطر (م)

(٢) رندج : سود ، مأخوذ من البرندج ، وهو ما يسود به الخف (م)

(٣) السبج - بالتحريك - خرز أسود (م)

[وكم نأب عن نور الضحى فيك مبسّم
 وماست على الكئيبان قضبان فضة
 وإذا لمتي لم يوقظ الشيب ليلها
 ليالى أغدو بين نوبتي صباية
 ونابت عن الورد الجنى خدود] وقال :

سألته قبله منه على عجل
 واعتل ما بين إسعاف برقه فأحمر من خجل واصفر من وجل
 وقال: وجهي بذر لا خفاء به وبين منح تماذى فيه بالليل (١)
 وهذا ينظر إلى قوله :

أباح لفتى السهرا
 غزال لوجرى نفسى
 ولكن عينه حشدت
 ومن أودى به قر
 وجار على واقندرا
 عليه لذاب وانفطرا
 على الغنج والخورا
 فكيف ياتب القمر

كانه ذهب إلى قول أبي نواس :

كان ثيابه أطلعن من أزراره قمر
 يزيدك وجهه حسنا إذا ما زدته نظرا
 بعين خالط التفتير من أحنانها الخورا
 ووجه سابري لو تصوب ماؤه قطرا (٢)

قيل للجاحظ: من أنشد الناس وأشعرهم؟ قال: الذى يقول: وأنشد هذه
 الأبيات.

ونظير قوله :

(١) فى نسخة « إسعاف برقه » (م)
 (٢) السابري أصله الثوب الرقيق الجيد ، شبه به الوجه فى ملامسته ونعومته (م)

كَأَنَّ ثِيَابَهُ أَطْلَقْنَ مِنْ أَرْزَارِهِ قَمْرًا

قولُ الحكم^(١) بن قنبر المازني :

وَيَلِي عَلَى مَنْ أَطَارَ النَّوْمَ فَاْمْتَعَا وَزَادَ قَلْبِي إِلَى أَوْجَاعِهِ وَجَعَا
وقال تميم :

تَقَبَّتْ وَجْهَهَا بِحَزَنٍ وَجَاءَتْ بِمُدَائِمِ مُنْقَبِ بَرْجَاجِ
فَتَأَمَّلَتْ فِي النَّقَائِبِ مِنْهَا قَرَأَ طَالِعًا وَضَوْءَ سِرَاجِ
فَاسْتَقْيَانِي بِلَا مِرَاجِ فَإِنِّي فِي الْمَطَالِ صِرْفٌ بغيرِ مِرَاجِ
وَانظُرَا الْأَفْقَ كَيْفَ بَدَّلَهُ الْإِصْبَاحُ مِنْ بَمْدِ آبَنُوسِ بِجَاجِ

وقال :

إِذَا حَذِرْتَ زَمَانًا لَا تَسْرُ بِهِ كَمْ قَدَأْتِي سَهْلُ دَهْرٍ بَعْدَ أَضْعَيْهِ^(١)
فَاقْبَلْ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَعْطَاكَ مَخْتَلَطًا لِمَلِّ مُرْكٍ يَحْمَلُو فِي تَقْلِبِهِ
خُذْهَا إِلَيْكَ، وَدَعْ لَوْمِي، مَشْفُوعَةً مِنْ كَفِّ أَقْنَى أُسَيْلِ الْخَدِّ مُذْهَبِهِ^(٢)
فِي كُلِّ مَعْقِدٍ حَسَنٍ فِيهِ مَعْتَرِضٌ عَلَيْهِ يَحْمِيهِ مِنْ أَنْ تَسْتَبَدَّ بِهِ
فَكُجِّلْ عَيْنِيهِ مَمْنُوعٌ بِخَنْجَرِهِ وَوَرْدُ خَدَيْهِ يَحْمِي بِمَقْرَبِهِ
لَا تَتْرِكِ الْقَدَحَ الْمَلَانَ فِي يَدِهِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْهِ مِنْ تَلْهَبِهِ
فَصُنَّهُ عَنِ سَقِينَا؛ إِنِّي أَغَارُ بِهِ وَسَقَهُ وَاسْتَفْنِي مِنْ فَضْلِ مَشْرَبِهِ
وَانظُرْ إِلَى اللَّيْلِ كَالزُّنْجِيِّ مَنْهَرِمَا وَالصَّبْحُ فِي إِثْرِهِ يَعْذُو بِأَشْهَبِهِ
وَالْبَدْرُ مَمْتَصِبٌ مَا بَيْنَ أَنْجُمِهِ كَأَنَّهُ مَلِكٌ مَا بَيْنَ مَوَازِبِهِ

من المختار من شعر تميم بن المعز

وإذ أفضيت إلى ذكره ، فهاك من مختار شعره ، [قال] :

(١) في نسخة « الحكيم بن قنبر » (م)

(٢) في نسخة « وكم أي سهل دهر - إلخ » (م)

(٣) في نسخة « من كف ظبي أسيل الخد - إلخ » والأقنى : الوصف من القنا

وهو ارتفاع قصبه الأنف ، وأسيل الخد : مستطيله في رقة (م)

مُسْتَقْبَلٌ بِالذِي يَهْوَى وَإِنْ كَثُرَتْ
 فِي وَجْهِهِ شَافِعٌ يَمْحُو إِسَاءَتَهُ
 كَأَنَّمَا الشَّمْسُ مِنْ أَثْوَابِهِ بَرَزَتْ
 مِنْهُ الذَّنُوبُ وَمَقْبُولٌ بِمَا صَنَعَا
 مِنَ الْقُلُوبِ وَجْهَهُ حَيْثَمَا شَفَعَا
 حَسَنًا، أَوِ الْبَدْرُ مِنْ أَزْرَارِهِ طَلَعَا
 استعارة [مأخوذة] من قول الآخر ، وهو ابن زُرَيْقٍ :

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ فِي بَغْدَادٍ لِي قَمْرًا
 وَمِنْ قَوْلِ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى الْقُرَانِ :

بَدَا فَكَأَنَّمَا قَمْرٌ عَلَى أَزْرَارِهِ طَلَعَا
 يَحْتَ الْمَسْكَ مِنْ عَرَقِ السَّجْبِينِ بِنَانُهُ وَأَعَا

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ أَسْتَازُ سَيْفٍ ^(١) الدَّوْلَةَ :

نَفْسِي الْفِدَاءَ لِمَنْ عَصَيْتُ عَوَازِلِي
 فِي حُبِّهِ لَمْ أُخْشَ مِنْ رُقْبَانِيهِ
 الشَّمْسُ تَظْهَرُ فِي أَسْرَةٍ وَجْهِهِ
 وَالْبَدْرُ يَطْلُعُ مِنْ خِلَالِ قُبَابِيهِ ^(٢)
 وَقَالَ تَمِيمٌ :

أَعْدَلُ قَلْبِي وَهَوَى لِي غَيْرُ عَاذِلِ
 وَأَعْصَى غَرَامِي وَهُوَ مَا بَيْنَ أَعْضَلِي
 وَمَنْ لِي بِصَنْبَرٍ أَسْتَزِيلُ بِهِ الْجَوَى
 وَلَا جَلْدِي طَوْعِي وَلَا كَبْدِي مَبِي
 فَأَوَّلُ شَوْقِي كَانَ آخِرَ مَلَوْتِي
 وَآخِرُ صَنْبَرِي كَانَ أَوَّلَ أَدْمَعِي
 وَقَالَ :

وَرَدُّ الْخُدُودِ أَرْقٌ مِنْ وَرْدِ الرِّيَاضِ وَأَنْعَمُ
 هَذَا تَنْشَقُّهُ الْأَنْوُفُ وَذَا يَقْبَلُهُ الْقَمُّ
 وَإِذَا عَدَلْتُ فَأَفْضَلُ الْوَرْدَيْنِ وَرَدُّ يُلْتَمُ
 لَا وَرْدَ إِلَّا مَا تَوَلَّى صَبَغَ حُمْرَتِهِ الدَّمُّ
 هَذَا يُشْمُ وَلَا يُضَمُّ وَذَا يُضَمُّ وَيُشْمُ ^(٣)

(١) في نسخة « وقال سيف الدولة » وفي أخرى « وقال أبو دارسان »

تحريف (م) (٢) في نسخة « والبدر يطلع من خلال قفائه » (م)

(٣) كان من حق العربية عليه أن يقول « ويشم » بالإدغام ، لكنه فك

الإدغام إقامة لوزن البيت (م)

سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْخُدُودَ دَ شَقَائِقًا تُنْتَسَمُ
 وَأَعَارَهَا الْأَصْدَاغَ فَهِيَ بِهَا شَقِيقٌ يُعْلَمُ
 وَاسْتَنْطَقَ الْأَجْفَانَ فَهِيَ بِلَحْظِهَا تَتَكَلَّمُ
 وَتَبِينُ لِلْمَحْبُوبِ عَن مَرَّ الْحَبِيبِ فِيهِمْ
 وَتَشِيرُ إِنْ رَأَتْ الرِّقِيبَ بِلَحْظِهَا فَتُسَلِّمُ
 وَأَعَارَهَا مَرَضًا تَصِحُّ بِهِ الْقُلُوبُ وَتَسْقَمُ
 فَتَنْ الْعَيُونَ أَجَلٌ مِّنْ فِتْنِ الْخُدُودِ وَأَعْظَمُ

وقال :

إِنْ كَانَتْ الْأَلْحَاطُ رُسُلَ الْقُلُوبِ
 قَبْلَتْ مَنْ أَهْوَى بَعِينِي وَلَمْ
 لَكِنَّهُ قَدْ فَطَنَتْ عَيْنُهُ
 بِلَحْظِ عَيْنِي فِطْنَةَ الْمُسْتَرِيبِ
 إِنْ كَانَ عِلْمُ الْغَيْبِ مُسْتَخْفِيًا
 عِنَّا فَعِنْدَ اللَّحْظِ عِلْمُ الْغَيْبِ

وقال :

قَالُوا الرِّجِيلُ لِحْمَةٍ
 فَأَجَبْتَهُمْ إِنْى اتَّخَذَ
 سُبْحَانَ مَنْ قَسَمَ الْأَسَى
 وَأَعَارَ لِلْأَجْفَانِ حُسْنًا تَسْتَرِيقُ بِهِ الْعِبَادَا

وقال :

عَقْرَبُ الصُّدُغِ فَوْقَ تَفَاحَةِ الْخَيْدِ نَعِيمٌ مُّطَرَّرٌ بِعَذَابِ
 وَسَيْوْفِ اللَّحَاطِ فِي كُلِّ حِينٍ بَانَسَاتٍ جَنَى الثَّنَائِيَا الْعَذَابِ (٢)
 وَعَيُونَُ الْوَشَاةِ يُفْسِدُنَ بِالرُّقْبَةِ وَالْمَنْعِ رُؤْيَا الْأَحْبَابِ (٣)

(١) الأسى : الحزن الشديد (م)

(٢) جنى الثنايا : أراد به الريبق (م)

(٣) الرقبة - بالكسر - المراقبة (م)

فَتِي بِشْتَفِي الْحِبُّ وَتُطْفِي
 بالتداني حرارة الإكثاب
 وقال :

تري عذارية قد قاما بمعدرتي
 عند العذول فيغدو وهو يعذرتي
 ريم كان له في كل جارحة
 عقدا من الحسن أو نوعاً من القين
 كان جوهره من لطفه عرض
 فليس تحويه إلا عين القطن
 والله ما فتنت عيني محاسنه
 إلا وقد سحرت أفاظه أذني
 ما تصدر العين عنه لحظها مللاً
 لأنه كل شخص مرتضى حسن
 يا منتهى أملي لا تدن لي أجلى
 ولا تعذب ظنوني فيك بالظن
 إن كان وجهك وجهاً صيف من قمر
 فإن قدك قد قد من غصن
 وقال :

ألا يا نسيم الريح عرج مسلماً
 على ذلك الشخص البعيد المودع
 وهب على من شفت جسمي بعاده
 سمو ما بما استملت من نار أضلعي^(١)
 فإن قال: ما هذا الحرور؟ فقل له :
 تنفس مشتاق بجمك موجه
 ومختار شعره كثير، وقد تفرق منه قطعة كافية في أعراض الكتاب .

[عود إلى وصف النجوم]

رجع ما انقطع

قال صاحب أبو القاسم إسماعيل بن عباد :

لقد رحلت سعدى فهل لك مسعد؟
 وقد أجدت داراً فهل أنت منجد؟
 رعت بطرفي النجم لما رأيتها
 تباعد بعد النجم بل هي أبعد
 تنير الثريا وهي قرط مسلسل
 ويشغل منها الطرف دُرُّ مبدد^(٢)
 وتعرض الجوزاء وهي ككعب
 تميل من سكر بهاء وتميد^(٣)

للصاحب
 ابن عباد

(١) السموم - بفتح السين - الريح الحارة تهب في النهار، غالباً، ومراده الريح الحارة مطلقاً؛ بدليل أنها حاروراً في البيت التالي، وأصل الحرور الريح الحارة تهب بالليل، غالباً (م) (٢) في نسخة « ويطرف عنها الطرف در منضد » وفي أخرى « ويطرده عنها الطرف در منضد » (م) (٣) في نسخة « وهي كواكب - إلخ » (م)

وتحسبها طَوْرًا أَسِيرَ جِنَابَةٍ
ولاحَ سُهَيْلٌ وهو للصبحِ رَاقِبٌ
أَرَدَّدُ طَرْفِي فِي النُّجُومِ كَأَنَّهَا
رَأَيْتُ بِهَا، وَالصَّبِيحُ مَا حَانَ وَرَدُّهُ،
وفيه لنا من مر ببط الشمسِ أشقرٌ
وقال أبو علي الخاتمي :

لأبي علي الخاتمي

إلى أن بدأ للصبحِ في الليلِ عَسْكَرٌ
على حُلَّةٍ رَزَقَاءَ جَيْبٍ مَدْرٌ (٣)
ولليلِ أقمنا فيه نُعْمِلُ كَأَسْنَا
وَنَجْمُ الثَّرِيَا فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهُ
البحترى :

للبحترى

أعجازها بعزيمة كالكوكِبِ
هو في حُلُوكَتِهِ وَإِنْ لَمْ يَنْعَبِ
صَبغُ الخِضَابِ عَنِ القَدَالِ الأَشْيَبِ
كَلِمَاءَ يَلْمَعُ مِنْ خِلَالِ الطُّحْلِبِ
وقال الأمير أبو الفضل الميكالي :

للميكالي

أَهْلًا بِفَجْرِ قَدْ نَضَى ثُوبَ الدُّجَى
أَوْغَادَةَ شَقَّتْ صِدَارًا أَرْزَقَا
كالسيفِ جُرْدٍ مِنْ سَوَادِ قِرَابِ (٤)
مَا بَيْنَ ثُغْرَتَيْهَا إِلَى الأَتْرَابِ (٥)
وقال رجلٌ من بني الحارث بن كعب يصف الشمس :

لرجل من بني
الحارث
ابن كعب

مُخَابَةٌ أَمَّا إِذَا اللَّيْلُ جَنَّتْهَا
إِذَا انشَقَّ عَنْهَا سَاطِعُ الفَجْرِ وَانجَلَى
فَتَخَفَى وَأَمَّا بِالنَّهَارِ فَتَظْهَرُ
دُجَى اللَّيْلِ وَانجَابَ الحِجَابُ المُسْتَرُ
عَلَى الأَفْقِ الشَّرْقِيِّ ثُوبٌ مُعَصْفَرٌ
وَلَمْ يَمَلُ لِلعَيْنِ القَصِيرَةِ مَنظَرٌ (٦)

(١) الجراز - بالضم بزنة غراب - السيف القاطع ، والمهند : المصنوع في الهند (م)

(٢) الخضراء : السماء ، والصرح الممرد : القصر الرفيع

(٣) في نسخة « جيب مدر » تطبيع (م) (٤) قراب السيف : غنمه

(٥) في نسخة « صداراً أوقا » تطبيع (م) (٦) في نسخة « ولم يحل العين - إلخ »

عليها كَرَدْعُ الزعفرانِ بِشَبِّهِ
 شعاعٌ تَلالَافَهُو أبيضُ أَصْفَرُ^(١)
 فلما عَلَتْ وَابيضٌ مَنها اصْفِرارُها
 وجالَتْ كما جالَ اللَّيْخُ المَشْهُرُ^(٢)
 وجلَّتِ الآفاقُ ضَوْءاً يَبْرِها
 بَحْرٌ لها وَجْهَ الصُّحَى: تَنْسَعِرُ^(٣)
 ترى الظلُّ يَطوِي حِينَ تَبْدُو نارا
 تراه إذا زالت عن الأرض يُدْشِرُ
 كما بدأتُ إِذْ أَشْرَقَتْ في مَغِيبِها
 تعود كما عادَ السَّكْبِرُ المَعْمَرُ
 وتَدَنَفُ حَتَّى ما يَكادُ شعاها
 يَبِينُ إذا ولَّتْ لِمَنْ يَتْبَصَّرُ
 فَأَفْنَتْ قرونا وهى في ذاك لَمْ تَرَكَ
 تَموتُ وتَحْيَا كلَّ يَوْمٍ وتُنْشِرُ

[أجل ماقال العرب]

وقال عبد الملك بن مروان لبعض جلسائه يوما : ما أحكم أربعة أبياتٍ قالتها
 العرب في الجاهلية ؟ فأنشده :

منع البقاءَ تَقَلُّبُ الشمسِ وطلوعُها من حيث لا تَمسى
 وطلوعُها بِيضاءَ صافيةً وغيوبُها صفراءَ كاللوزِ
 تجرى على كَيْدِ السماءِ كما يَجْرِي حَمَامُ الموتِ في النَّفْسِ
 اليومَ تَعَلَّمْ ما يَحْيِيهِ بِهِ ومضى بِفَضْلِ قضاةِ أُمسِ

قال : أحسنت ، فأخبرني بأمدح بيتٍ قالتها العرب في الشجاعة ، قال : قول
 كعب بن مالك الأنصاري :

نَصِلُ السُّيُوفَ إِذا قَصُرْنَ بِمُحْطُونِنا قَدُماً ، ونلحقها إذا لم تلحق
 قال : فأخبرني بأفضل بيتٍ قيل في الجود ، فأنشده لحاتم طيء :

- (١) في نسخة « كدرع الزعفران » تطبيع ؛ وردع الزعفران : أظره (م)
 (٢) المنيح : أحد ثلاثة أقداح من أقداح الميسر لا نصيب لواحد منها ، والآخران :
 السفيح ، والوغد (م) (٣) وجه الضحى : أوله ، وانتصابه على الظرفية (م)

أماوى ما يُغنى الثراءُ عن القىِّ إذا حشرت يوماً وضاق بها الصدر
 ترى أن ما أقيمتُ لم أك ربُّهُ وأن يدي مما بخلتُ به صفرُ
 ألم تر أن المالَ غادٍ ورائحُ ويبقى من المالِ الأحاديثُ والذكرُ
 غنينا زمانا بالتصمكِ والغنى فكلأ سقانا بكأسيهما الدهرُ
 فما زادنا بغياً على ذى قرابةٍ غناناً، ولا أزرى بأحسابنا الفقرُ
 قال : فأخبرني عن أحسن الناس وصفاً ، قال : الذى ^(١) يقول :

كانَّ قلوبَ الطيرِ رطباً وياساً لدى وكورها العنابُ والحشفُ البالى
 والذى يقول :

كانَّ عبونَ الوحشِ حولَ خبائنا وأرحلنا الجزعُ الذى لم يُقْبِ
 والذى يقول :

وتعرفُ فيه من أبيه شمائلًا ومن خاله ومن يزيد ومن حُجْرُ
 سماحة ذَا، مع برِّ ذَا، ووفاء ذَا ونائل ذَا إذا صحَّ وإذا سكرُ
 يريد امرأة القيس .

ومن أفاظ أهل المصر في طلوع الشمس وغروبها

ومتوع النهار ^(٢) وانتصافه ، وابتدائه ، وانتهائه

بدا حاجبُ الشمسِ ، وبلغتْ فى أجنحةِ الطيرِ ، وكشفتْ قناعها ، ونثرتْ
 شعاعها ، وارتفع سُرادقُها ، وأضاءتْ مشارِقُها ، وانتشر جناحُ الضوءِ فى أفقِ
 الجو . طنب شعاعُ الشمسِ فى الآفاقِ ، وذهبتْ أطرافُ الجدرانِ . أبيض النهار ^(٣)
 وارتفع . استوى شبابُ النهارِ ، وعلا رونقُ الضحى ، وبلغتْ الشمسُ كبد السماء

(١) الأبيات الآتية فى الوصف كلها لامرئ القيس بن حجر السكندى (م)

(٢) تقول « متع النهار » من باب فتح - إذا ارتفع وبلغ غاية ارتفاعه قبل

الزوال (م)

(٣) كذا ، وفى نسخة « أبيض النهار » وما أراها شيئاً (م)

اتعل كل شيء ظله ، وقام قائمُ الهاجرة ، ورمّت الشمسُ بجمراتِ الظهر . اصفرّت غلالةُ الشمسِ ، وصارت كأنها الدينارُ يلمعُ في قرارِ الماء ، ونفضت تبرا على الأصيل ، وشدّت رَحَلها للرحيل ، وتصوّبت الشمسُ للمغيب ، وتضيقّت للغروب ^(١) فأذن جنبها للوجوب ^(٢) . شاب النهارُ ، وأقبل شبابُ الليل ، ووقفت الشمسُ للبيان ، وشافه الليلُ لسانَ النهارِ . الشمسُ قد أشرقت بروحها ، وجنحت للغروب ، وشاققت درجَ الوجوبِ . الجوؤُ في أطارٍ منهجة من أصائله ^(٣) ، وشفوف مورسة من غلاله . استتر وجهُ الشمسِ بالتقَاب ، وتوارت بالحجاب . كان هذا الأمرُ من مطلعِ الفلق ، إلى مجتمعِ الفسق . فلانُ يركبُ في مقدمة الصبّح ، ويرجع في ساقية الشفق ، ومن حين تفتحُ الشمسُ جفنها ، إلى أن تغمص طرفها ، ومن حين تسكنُ الطيرُ أوكارها ، إلى حين ينزلُ السّراةُ من أكواريها

* * *

مقامة لأبي الفتح الإسكندري من إنشاء البديع ، اتصّلت بذكري الليل والنهار المقامة الكوفية قال عيسى بن هشام : كنت وأنا فتى السنّ أشدُّ رَحلي لكلِّ عماية ، وأركضُ طرفي لكلِّ غواية ، حتى شربتُ من العُمُرِ سائفه ، ولبستُ من الدهرِ سابغه ، فلما صاح النهارُ بجانب ليلى ، وجمعتُ للمعادِ ذبلي ، وطئتُ ظهرَ المرؤضةِ ، لأداءِ المفروضة ، وصحّيتني في الطريقُ رجُلٌ لم أنكره من سوء ، فلما تخالينا ، وحين تجالينا ، سقرتِ القصةُ عن أصلِ كوفي ، ومدّ هب صوفي ، وسرنا فلما حللنا الكوفةَ ملنا إلى داره [ودخلناها] وقد بقل وجهُ النهار ، واخضرَّ جانبُه ، ولما اغتمض جفنُ الليلِ وطرّ شاربه قرعَ علينا البابُ ، فقلنا : من القارعُ المنتابُ ؟ فقال : وفدُّ الليلِ وبريده ، وفلُّ الجوعِ وطريده ، وأسير

(١) تضيفت للغروب : مات نحو للعرب (م)

(٢) أذن جنبها : استمع ، وأراد أطاق ، والوجوب : السقوط (م)

(٣) الأطار : جمع طمر - بالكسر - وهو الثوب البالي ، ومنهجة : مخزقة

بالية ، والأصائل : جمع أصيل ، وهو الوقت الذي قبل غروب الشمس ، وفي نسخة

« الجو في أطيّار بهجة - إلخ » (م)

القر، والزمن المر، وضيع وطوه خفيف، وضالته رغيغ، وجار يستمدى على الجوع، والجيب المرقوع، وغريب أوقدت النار على سفره، ونبح العواء في أثره^(١)، ونيدت خلفه الحصييات، وكُنست بعده العرصات، فنضوه طليح، وعيشه تبريح^(٢)، ومن دون أفراخه مهامه فيح^(٣).

قال عيسى بن هشام: فقَبضتُ من كينسى قَبْضَةَ اللَّيْثِ وبعثتها إليه، وقلتُ زِدْ نَاسُوا لَا تَزِدْكَ نَوَالًا، فقال: ما عَرِضَ عَرَفُ العودِ، على أَحْرَمِ نارِ الجُودِ، وَلَا لُقَيْ وَفَدِ البرِّ، بأحسن من يريد الشكر، ومن ملك الفضل فليواس، فلا يذْهَبُ العَرَفُ بين الله والناس، وأما أنتَ فحقَّق اللهُ أَمْلَكَ، وجعل اليدَ العُلْيَا لك. قال عيسى بن هشام: ففتحنا الباب، فإذا شيخنا أبو الفتح الإسكندري، فقلنا: يا أبا الفتح، شدَّ ما بلغت بك الخصاصَةَ، وهذا الزىُّ خاصة! فتبسم وأنشأ يقول:

لَا يَفْرَنَكَ الَّذِي أَنَا فِيهِ مِنَ الطَّلَبِ
أَنَا فِي بُرْدَةِ تُشَقُّ لَهَا بُرْدَةُ الطَّرَبِ
أَنَا لَوْ شِئْتُ لَاتَّخَذْتُ شِقَاقًا مِنَ الذَّهَبِ

[من رسائل البديع]

وكتب البديعُ إلى بعض إخوانه: غضبُ العاشقِ أقصرُ عمرًا من أن ينتظرَ عُدْرًا، وإن كان في الظاهر مهابة سيف، إنه في الباطن سحابة صيف، وقد رأبني إعراضه صفحا، أجددًا قصدًا أم مزحًا، ولو التبس القلبان حق التباسهما ما وجد الشيطانُ بينهما مساغًا، ولا والله لا أريك ردًا، أجدُّ منه بدءًا، وإن محبة تحتل شكًا لأجدُّ محبة، ألا تُشترى محبة، وإن كان

من البديع
إلى بعض
إخوانه

(١) نبح الكلب نباحًا: صاح، والعواء: الكلب الكثير العواء (م)

(٢) نضوه — بالكسر — أراد به مطيته، وطيح: هزبل مريض؛ وتبريح

من قولهم «برح به المرض ونحوه» إذا شق عليه وأجهده (م)

(٣) المهامة: جمع مهمه، وهي الصحراء؛ والفيح: جمع فيح، وهي الواصلة (م)

قَصَدَ مَرْحَا فَمَا أَغْنَانَا عَنْ مَرْحٍ يَجْلُ عُقَدَ الْفُوَادِ [حتى تقف على المراد ، ولا تسعنا إلا العافية] والسلام .

رسالة أخرى
من البديع
إلى صديق له

وله إليه : المودة - أعزك الله - غيب ، وهو في مكان من الصدور ، لا ينفذه بصر ، ولا يدرّكه نظر ، ولكنها تُعرَفُ ضرورة ، وإن لم تظهر صورة ، ويدركها الناس ، وإن لم تدركها الحواس ، ويستملي المرء صحتها من صدره ، ويعلم حال غيره من نفسه ، ويعلم أنها حب وراء القلب ، وقلب وراء الخلب^(١) ، وخب وراء العظم ، وعظم وراء اللحم ، ولحم وراء الجلد ، وجلد وراء البرد ، وبرد [وراء البعد] . ولو كانت هذه الحجب قوارير لم ينفذها نظر ، فيستدل عليها بغير هذه الحاسة بدليل إلا أن أزوره ، والله لو التبست به التباساً ، يجعل رأسنا رأساً ، ما زدته ودّاً ، ولو حال بيني وبينه سورُ الأعراف ، ورملُ الأحقاف ، ما نقصته حقاً .

لأبي الفضل
الميكالي

وقال الأمير أبو الفضل الميكالي :

وعزّالٍ منخته ظاهر الودِّ فجازى بالصدِّ والإنتحاب
لم ألمه إن ردني لحجابٍ ردني والله الفؤاد لما بي^(٢)
هو روحٌ وليس يُنكر للروحِ ح تواري عن الواري بحجابٍ

وللبديع إلى أخيه :

من البديع
إلى أخيه

كتابي أطال الله بقاءك ، ونحن وإن بعدت الدار فرعاً تبتعة ، فلا يجنين بعدي على قربك ، ولا تمحون ذكري من قلبك ، فالأخوان ، وإن كان أحدهما بجراسان والآخر بالحجاز ، مجتمعان على الحقيقة مفترقان على الحجاز ، والاثنان ، في

(١) الخلب - بكسر الخاء وسكون اللام - لحمه رقيقة تصل بين الأضلاع .

(٢) في نسخة :

« لم ألمه إذ أزوى في حجاب * ردني والله الحشاذا التهاب » (م)

(١٣ - زهر الآداب ٣)

المعنى واحد وفي اللفظ اثنتان ، وما بيني وبينك إلا ستر، طوله فترٌ ، وإن صاحبي رَفِيقٌ ، اسمه نوبيق ، لثقتين سريعاً ولنسعدتَ جميعاً ، والله وليُّ المأمول .

من ابن العميد
لبعض إخوانه

وكتب أبو الفضل بن العميد إلى بعض إخوانه :

قد قُرِبَ - أيدك الله - محمّلك على تراخيه ، وتَصَاقَفَ مستقرُّك على تنأثيه ؛ لأنَّ الشوقَ يمثلك ، والذِّكرُ يحثُّك ؛ فنحنُ في الظاهر على افتراق ، وفي الباطن على تلاقٍ ، وفي التسمية مُتباينون ، وفي المعنى متواصلون ، وإن تفرقت الأشباحُ ، لقد تعانقت الأرواح .

جملة من كلام ابن المعتز في الفصول القصار

الدهرُ سريعُ الوتية ، شنيعُ العثرة . أهلُ الدنيا كركبٍ يُسارُهم وهم نيام . والناسُ وفدُ البلي ، وسكانُ الترمي ، وأقرانُ الردى . المرءُ نَصَبُ الحوادثِ وأسيرُ الاغترار . الأمانُ حصائدُ^(١) الرجالِ . الحرصُ يُنقصُ المرءَ من قدره ، ولا يزيدُ في رزقه . الكذبُ والحسدُ والنفاقُ أُنافيةُ الذلِّ . التمامُ جسرُ الشرِّ . الحاسدُ اسمه صديقٌ ومعناه عدوٌّ الحاسدُ ساخطٌ على القدرِ ، مغتاضٌ على من لا ذنبَ له ، بخيلٌ بما لا يملكه ، يشفيك [منه] أنه يغمُّ في وقتِ سروركِ . الفرصةُ سريعةُ الفوتِ بطيئةُ العودِ . الصبرُ من ذى المصيبةِ مصيبةٌ على ذوى الشَّمتِ . التواضعُ سلمُ الشرفِ ، والجُودُ صوانُ العرضِ من الدمِّ . العَدْرُ قاطعُ [الأسرارِ] إذا كثُر^(٢) خُزَّانها ازدادت ضياعا السوءُ كشجرة النارِ تحرقُ بعضها بعضاً . عبْدُ الشهوةِ أذلُّ من عبد الرقِّ . وعاءُ الخطأِ بالصَّمْتِ يحتمُّ ، والخرقُ بالرفقِ يلحمُ . الوعدُ مرضُ المعروفِ ، والإِنْجَازُ برؤه ، والمَطْلُ تلفه . إذا حَصَرَ الأجلُ ، افتضح

(١) في نسخة « الآمال مصائر الرجال » ولا تصح لفظاً ولا معنى (م)

(٢) في نسخة « كنوز السر إذا كثرت خزائنها - إلخ » (م)

الأمل . لا تَشِينُ وَجْهَ العَفْوِ بالتقريع . لا تَتَكَبَّرُ خَاطِبَ مِيرْكَ . ومن زَادَ أَدَبُهُ على عقله كان كالراعى الضعيف مع شاء كثيرة .

قال أبو العباس الناشء لأبى سهل بن نوبخت :

زَعَمْتَ أبا سهل بَأَنِكَ جامعٌ ضُرُوباً من الآدابِ يجمعُها الكَهْلُ
وَهَبَكَ تقولُ الحقِّ أى فضيلتهُ تكونُ لذي عِلْمٍ وليس له عَقْلُ
والمُهْمُ حَبْسُ الروحِ . قلوبُ العقلاءِ حصونُ الأسرارِ . مَنْ كَرَمَتْ عليه نفسه
هان عليه ماله . مَنْ جرى في عنانِ أمه ، عثر بأجله . ما كلُّ من [يُحْسِنُ] وعده
يحسنُ إنجازَه . ربما أوردَ الطمعُ ولم يُصْدِرْ ، وضمن ولم يُوفِ . وربما شربُ
الماءِ قبل رِيته . من تجاوزَ الكفافَ لم يُفْنِعْهُ إكثارُ . كلما عَظُمَ قَدْرُ المُنَافِسِ
فيه عظمتِ الفجيرةُ بفقده ، ومن أَرْحَلَهُ الحِرْصُ أنضاهُ الطلبِ . الأمانى تُعْمَى
أعينُ البصائرِ ، والحظُّ يأتى من لم يؤمه . وربما كان الطمعُ وعاءَ حَشْوَةِ المتالفِ ،
وسائماً يَدْعُو إلى الندامةِ . ما أخلى تلقى البغيةِ ، وأمرٌ عاقبةُ الفراقِ . من لم
يتأملِ الأمرَ بعينِ عقله ، لم تَفْعَ حيلتهُ إلا على مَقَاتِلِهِ .

[رثاء المعتضد ، وتعزيتة]

وقال أبو العباس يَرْتَضِي المعتضد :

قَضُوا ما قَضُوا من أمرِهِم ثم قَدَّمُوا إماماً إماماً انْخَلَقَ بين يَدَيْهِ (١)
وصلوا عليه خاشعين كأنهم صفوفٌ قيامٌ للسلامِ عليه
وقال يَرْتَضِيه :

قالت شريفة ما لَجُفْنِكَ ساهراً قَلِقاً ، وقد هدأتُ عيونُ النُّومِ (٢)
ما قد رأيتُ من الزمانِ أحلَّ بى . هذا ، وتحت الصِّدْرِ ما لم تَعْلَمِ

(١) في نسخة « ثم قدموا * إماماً إماماً الحق - إلخ » (م)

(٢) في نسخة « قالت شريفة » بالسین المهملة (م)

يأنفس صبراً للزمانِ ورَيْبِهِ
 إنَّ الذي حازَ الفضائلَ كُلِّهَا
 أما السيوفُ فمن صنائعِ بآسِهِ
 وكانَ أحداثَ الزمانِ عبيدُهُ
 يَقظانَ من سِنَّةِ المضيِّعِ قلبُهُ
 يرعى الضغائنَ قبل ساعةِ فرصةٍ
 كم فرصةٍ تُركتُ فصارَتُ غصَّةً
 ولربَّ كَيْدٍ ظلَّ يَسْجُدُ بعِداها
 وهى المنايا إن رمينَ بنبيلِها
 للهِ دَرَكُ أى ليثِ كَتيبَةٍ
 ولقدِ عمرتُ ولا حريمِ معاندِ

وقال للمعتضد يعزّيه بآبته هرون :

ياناصرَ الدينِ إذ هُدَّتْ قواعِدُهُ
 وقائدَ الخيلِ مذ شدَّتْ مآزرُهُ
 كأنهنَّ قنّاً ليستَ لها عُقدُ
 قُبَّ كطلى ثيابِ العصبِ مضمرة
 وسائسَ الملكِ يرعاه ويكلؤُهُ
 تمرى أنامله الدنيا لصاحبها
 كالسهمِ يبعثه الرأى فصفحتُهُ
 لا يشتكى الدهرَ إن خطبَ ألمَ بهِ
 صبراً، فدينناك إن الصبرَ عادتنا

وأصدقَ الناسِ فى بُؤسى وإنعامِ
 مذللّاتِ بآسراجِ وإلجامِ
 يهزها الزجرُ فى كَرٍّ وإقدامِ
 تقربُ النارِ بينَ البيضِ والهلامِ^(١)
 إذا حلا الغمضُ فى أجهانِ نُوامِ
 ونصه من عداه قاطرٌ دايمِ^(٢)
 تلقى الردى دونه، والفوق للراى^(٣)
 إلا إلى صعدةٍ أو حدِّ صمصامِ^(٤)
 وإن طويلاً على حُزنٍ وتهيامِ

(١) فى نسخة « قب كطى ثياب القصر » تطبيع ، والعصب - بالفتح - برد

يعنى يجمع غزله ويشد ثم يصبغ وينسج ، وقبل : هى برود مخططة (م)

(٢) تمرى : أصله قولهم « مرى فلان الضرع يمرىه » إذا استخرج لبنه (م)

(٣) فوق السهم : موضع الوتر منه (م) (٤) الصمصام : السيف (م)

فبادِرِ الاجْرَ نحو الصَّبْرِ مَحْتَسِبًا إِنَّ الْجَزْوَاعَ صَبُورٌ بَعْدَ أَيَّامٍ
ولما ماتت دُرَيْدَةُ^(١)، وهي جاريةٌ [المتعضد، و] كانت مَكِينَةً عِنْدَهُ، جَزِعَ جَارِيَتَهُ دُرَيْدَةَ
عَلَيْهَا جَزَعًا شَدِيدًا، فَقَالَ لَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ سَلِيمَانَ: مَثَلُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَهْوُونَ عَلَيْهِ
الْمَصَائِبُ؛ لِأَنَّكَ تَجِدُ مِنْ كُلِّ قَعِيدٍ خَلْفًا، وَتَنَالُ جَمِيعَ مَا تَرِيدُ مِنَ الْعَوَاضِ،
وَالْعَوَاضُ لَا يُوْجَدُ مِنْكَ، فَلَا ابْتَلَى اللَّهُ الْإِسْلَامَ بِمَقْدِكَ، وَعَمْرَهُ بَطُولُ بَقَاءِ عُمَرَكَ،
وَكَانَ الشَّاعِرُ عَنَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ:

يُبْسِكِي عَلَيْنَا وَلَا نُبْسِكِي عَلَى أَحَدٍ لَنَحْنُ أَغْلَظُ أَكْبَادًا مِنَ الْإِبْلِ
فَضَحِكَ الْمُتَعَضِدُ وَتَسَلَّى وَعَادَ إِلَى عَادَتِهِ .

قال محمد بن داود الجراح: فلقيني عبيدُ الله فأخبرني بذلك، وقال: أردت
شعرًا في معنى البيت الذي أنشدته فما وجدته؛ فقلت له قد قال البطين البجلي:
طوى الموت ما بيني وبين أحبةٍ بهم كنتُ أُعْطِي مَنْ أَسَاءَ وَأَمْنَعُ
فلا يحسب الوأشون أن قناتنا تليين، ولا أنا من الموت نَجْزَعُ
ولكن للآلاف لا بدَّ - لَوْعَةً إذا جعلت أقرانها تتطلع^(٢)
فكتبه، وقال: ثم حفظته لما عدلتُ عنه .

[من شعر ابن المعتز]

وقال ابن المعتز، وذَكَرَ المَوْتِي:
وَسُكَّانِ دَارٍ لَا تَزَاوَرُ بَيْنَهُمْ
كَأَنَّ خَوَاتِمًا مِنَ الطَّيْنِ فَوْقَهُمْ
وقال يمدح عبيد الله بن سليمان:

(١) في نسخة « دويرة » (م)

(٢) في نسخة « إذا جعلت أقرانها تتقطع » (م)

أَيَا مُوَصِّلِ التُّعْمَى عَلَى كُلِّ حَالَةٍ
 كَمَا يَلْحَقُ الْغَيْثُ الْبِلَادَ بِسَيْلِهِ
 وَيَا مُقْبِلًا وَالذَّهْرُ عَنِّي مُعْرَضٌ
 وَيَا مَنْ يَرَانِي حَيْثُ كُنْتُ بِقَلْبِهِ
 لَقَدْ رُمْتُ فِي آمَالِ نَفْسِي كُلِّهَا
 ذَكَرْتُ مَنَى سَمْعِ الْإِمَامِ وَعَيْنِهِ
 وَكَمْ نِعْمَةٌ لِلَّهِ فِي صَرْفِ نِقْمَةٍ
 وَمَا كُلُّ مَا تَهْوَى النُّفُوسُ بِنَافِعٍ
 إِلَى قَرِيبًا كُنْتُ أَوْ نَازِحَ الدَّارِ
 وَإِنْ جَادَ فِي أَرْضٍ سِوَاهَا بِإِمطَارِ
 يَقْسَمُ لِحَيِّ بَيْنَ نَابٍ وَأُظْفَارِ
 وَكَمْ مِنْ أَنَاسٍ لَا يَرَوْنَ بِأَبْصَارِ
 فَيَا لَهْفَ نَفْسِي لَوْ أُعْذَتْ بِمَقْدَارِ
 وَرَفَعَتْ نَارِي كِي يَرَى ضَوْءَهَا السَّارِ
 تَرْجَى وَمَكْرُوهٍ حَلَا بَعْدَ إِمْرَارِ
 وَلَا كُلَّ مَا تَخْشَى النُّفُوسُ بِضَرَّارِ

قوله : * كَمَا يَلْحَقُ الْغَيْثُ الْبِلَادَ بِسَيْلِهِ * مأخوذ من قول مهشل بن حري
 وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الصَّلَاتِ كُسُوةً وَمَلَا مِنَ الْمَدِينَةِ :

جَزَى اللَّهُ خَيْرًا وَالْجِرَاهُ بِكَفِّهِ
 أَنَانِي وَأَهْلِي بِالْعِرَاقِ نَدَاهُمُ
 وَقَالَ ابْنُ الْمُؤَلَّى :

سُرِّرْتُ بِجَعْفَرٍ إِذْ حَلَّ أَرْضِي
 كَمَا سُرَّ الْمَسَافِرُ بِالْإِيَابِ
 كَمْ طَوَّرَ بِلَدَّتِهِ فَأَضْحَى
 غَنِيًّا عَنِ مَطَالَعَةِ السَّحَابِ

وَبَعَثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ إِلَى أَبِي الْجَنُوبِ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ وَهُوَ بِيَعْدَادَ عَشْرِينَ
 أَلْفَ دِرْهَمٍ فَقَالَ :

لَعَمْرِي لَنَعْمَ الْغَيْثُ غَيْثُ أَصَابِنَا
 وَنِعْمَ الْفَتَى وَالْبَيْدُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
 بِيَعْدَادَ مِنْ أَرْضِ الْجَزِيرَةِ وَإِيْلَهُ (١)
 بَعَشْرِينَ أَلْفًا صَبَّحْتَنِي رَسَائِلُهُ (٢)

(١) الوابل : المطر الغزير (م)

(٢) البيد : الصحارى ، واحدها بيداء (م)

فكنا كحى صبح النيث أهله ولم تنتجع أظعانه وحمائله
أنى جود عبد الله حتى كفت به رواحلنا سير الفلاة رواحله

[أبو شجاع]

وكانت بنو كلاب ومن والآها من العرب بنواحي الكوفة تجمعوا وعزموا
على أخذ الكوفة سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة، فبعث أبو شجاع عضد الدولة دينار^(١)
ابن لشكروز فأصلحهما، وكان أبو الطيب المتتبي بها فوصله وبعث إليه خلعاً وقاد
إليه فرساً بمرج ثقيل، فقال في قصيدة:

فلمو لم يسر سيرنا إليه بأنفس غرائب يؤثرن الجياد على الأهل
وما أنا ممن يدعى الشوق قلبه ويعتدل في ترك الزيارة بالشغل
ولكن رأيت الفضل في القصد شريكة فكان لك الفضلان في القصد والفضل
وليس الذى يتبع الوبل رائداً كمن جاءه في داره رائد الوبل

[الموفق العباسى]

وكان ابن المعتز يمدح أبا أحمد بن المتوكل، ويلقب بالناصر والموفق،
وكانت حاله ترامت في أيام المعتضد إلى غاية لم يبلغها الخليفة، وقد ذكرها
الصولى في قصيدة [لصاحب المغرب]، فقال وقد اقتصر خلفاء بنى العباس من أولهم:

ومعتضد من بعده وموفق يردد من إرث الخلافة ما ذهب
موازي لهم في كل فضل وسودد وإن لم يكن في العدم منهم لمن حسب^(٢)
وقال المعتضد، أو قيل على لسانه، لما غلب الموفق على أمره:

أليس من العجائب أن مثلى يرى ما هان ممتنعاً عليه
وتؤخذ بأسمه الدنيا جميعاً وما من ذلك شيء في يديه

وشعر ابن المعتز فيه:

(١) في شرح ديوان المتنبى « دلير » باللام مكان النون (م)

(٢) في نسخة « ينازلهم في كل فضل - إلخ » (م)

إليك امتطينا العيس تنفخ في البرى
 صدين من التهجير حتى كأنها
 فبتنا ضيوفاً للفلاة قراهم
 يهز برود العصب فوق متونها
 ولما طغى أمر الدعى رميته
 وجرد من أعماه كل مرهف
 جرى فوق متنيه الفرند كأنما
 وأعلمته كيف التصافح بالقنا
 سريع إلى الأعداء، أما جنباه
 ويقرى السؤال العذر من بعد ماله
 وأخذ معنى قوله: « نسيم كنفث الراقيات عليل » عبد الكريم بن إبراهيم،

فقال:

سلام على طيب روائحنا
 إلى مزبد الموج طامى العبا
 تخال به قطماً مفرماً
 ويسجوا فيسحب في ذائل
 كأن الشمال على وجهه
 ضعيفة رش كنفث الرقى
 إذا درجت فوقه درجته في حبك الزرد المحكم
 وقد جللتها بأوراقها فروع غدتها نطاف السم
 علتها الحمام بتغريدها كما سجع النوح في ماتم

(١) العنيق، والنص، والذميل: ضروب من السير السريع (م)

(٢) العصب: السيف القاطع، وفليل: مكسور (م)

(٣) الحضم: العظيم (م) (٤) الساسم: شجر أسود، ويقال: هو الآبنوس (م)

كَأَنَّ شِعَاعَ الضَّحَى بَيْنَهَا عَلَى السُّوسَنِ الْفَضِّ وَأُخْرِمَ
 وَشَائِعٍ مِنْ ذَهَبٍ سَائِلٍ عَلَى خَسْرَوَانِيَّةٍ نَعَمَ
 رُبًّا تَتَفَقَّأُ مِنْ فَوْقِهَا عَزَى إِلَى الرَّبِيعِ لَهَا الرِّهْمُ (١)
 عَلَى كُلِّ مَحْبِيَّةٍ خَلَّةٌ تَسَدَّى عَلَى جَدْوَلٍ مَقَمَ
 كَأَنَّ قَتْلَ الْوَقْفِ صَوَّأَهُ وَكَأَنَّ الرِّقْمَ انْسَابَ لِلْأَرْقَمِ

[صاحب الزنج]

وقول ابن المعتز «ولما طفا أمرُ الدعى» يريد صاحب الزنج بالبصرة، وكانت شوكته قد اشتدت وظفر به بعد واقعة كثيرة، وفي ذلك يقول ابن الرومي في قصيدة طويلة جدا يمدح فيها أبا أحمد [الموفق بن المتوكل، وصاعد بن خالد، والعلاء بن صاعد ابنه، وهي من أجود شعره، فقال]:

أَبَا أَحْمَدٍ أَبْلِيَّةَ أُمِّهِ أَحْمَدِ بِلَاءِ سِيرِضَاهُ ابْنِ عَمِّكَ أَحْمَدِ
 حَصْرَتْ عَمِيدَ الزَّيْجِ حَتَّى تَخَاذَلَتْ قُوَاهُ ، وَأَوْدَى زَادَهُ اللَّزْوُدُ (٢)
 فَظَلَّ ، وَلَمْ تَقْتَلْهُ ، يَلْفِظُ نَفْسَهُ وَظَلَّ ، وَلَمْ تَأْسِرْهُ ، وَهُوَ مَقِيدُ
 وَكَانَتْ نَوَاحِيهِ كِنَافًا فَلَمْ تَزَلْ تَحْتِفِيهَا شَحْدًا كَأَنَّكَ مَبْرَدُ (٣)
 تَفَرَّقَ عَنْهُ بِالْمَكَايِدِ جُنْدُهُ وَيَزَادَاهُمْ جِنْدًا وَجِنْدُكَ مَحْصَدُ (٤)
 وَلَا بَسْ سَيْفِ الْقَرْنِ بَعْدَ اسْتِلَابِهِ أَضْرُّ لَهُ مِنْ كَاسِدِيهِ وَأَكِيدُ
 فَمَا رُمْتَهُ حَتَّى اسْتَقْلَّ بِرَأْسِهِ مَكَانَ قَنَاةِ الظُّهْرِ أَسْمَرُ أَجْرَدُ

[هذا مأخوذ من قول مسلم بن الوليد :

وَرَأْسُ مَهْرَاقٍ قَدْ رَكِبْتَ قَلَّتَهُ لَدَنَا يَقُومُ مَقَامَ اللَّيْمِ وَالْجَيْدِ
 وَلَمْ تَأَلْ إِذَا رَأَى لَهُ غَيْرَ أَنَّهُ رَأَى أَنْ مَتَّنَ الْبَحْرَ صَرِيحَ مَمْرَدُ
 سَكَنْتَ سَكُونًا كَانَ رَهْنًا بَوَثْمَةً عَمَّاسٌ ، كَذَاكَ اللَّيْثُ لِلْوَثْبِ يَلْبُدُ (٥)
 هَذَا مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِ النَّابِغَةِ :

(١) في نسخة « عزالى الربيع لدى المرهم » (م)

(٢) أودى : هلك (م) (٣) في نسخة « وكانت نواحيه كفافا » تطبيع (م)

(٤) في نسخة « وجندك محصد » (م) (٥) عماس : شديدة (م)

وقلت يا قوم إن الليثَ منقبضٌ على برائتهِ للوثبةِ الضاريِ
ويقول في مدح صاعد :

يقرّظ إلا أن ما قيلَ دونهُ . ويوصفُ إلا أنه لا يحدّدُ^(١)
أرقّ من الماء الذي في حُسامِهِ طباعاً ، وأمضى من شبّاهُ وأنجدُ
له سورَةٌ مكتنّةٌ في سَكينةِ كما اكننَ في الغمِّ الجُرّازُ المهندُ
كأنَّ أباه حينَ سَمّاهُ صاعداً رأى كيف يرقي في المعالي ويصعدُ

[لما سمع البحترى هذا البيت قال : منى أخذه ، في قوله في العلاء بن

صاعد] :

سَمّاهُ أسرتهِ العلاءُ وإنما قصدوا بذلك أن يتمَّ علاهُ
وهذا في قوله ، كما قال [ابن] المرزبان وقد أنشد لابن المعتز في مناقضة

الطالبين :

دَعُوا الأَسَدَ تَسْكُنُ في غابِها ولا تدخلوا بين أنيابِها
فنجن ورثناً ثيابَ النسي فليم تجذبون بهدأبها

[قال :] قد أخذه من [قول] بعض العباسيين :

دَعُوا الأَسَدَ تَسْكُنُ أغيالها ولا تقر بوها وأشبالها
ولكنه سرق ساجاً ، وردّ عاجاً ، وغلّ قطيفة ، وردّ ديباجاً .

ومن قصيدة ابن الرومي :

تراه على الحَرْبِ العَوانِ بمنزل وآثاره فيها ، وإن غاب ، شهّدُ
كما احتجب القدارُ والحكم حكمةُ على الخلق طرّاً ليس عنه معرّدُ^(٢)

البحترى :

ولى الأمور بنفسه ، ومحلّها متقاربٌ ، ومرأمتها متباعدُ^(٣)

(١) في نسخة « ويوصفُ إلا أنه يتجدد »

(٢) ليس عنه معرّد : ليس عنه مهرب (م)

(٣) في نسخة « ربي الأمور بنفسه » وليست بشيء (م)

يتكفل الأذنَى، ويُدركُ رأيه أَلْ أقصَى، ويتبعُه الأبيّ العائِدُ
 إن غار فهو من النباهة منجد أو غاب فهو من المهابة شاهد
 وقال أعرابي يصف رجلا : كان إذا ولى لم يطابق بين جفونه ، ويرسل
 العيونَ على عيونه ؛ فهو غائبٌ عنهم ، شاهد معهم ، والمحسنُ آمنٌ، والمسيءُ خائفٌ.
 فتى رُوحة روحٌ بسيطٌ كيانه ومسكن ذلك الروح نورٌ مجسّدٌ
 صفًا ونفَى عنه القذى فكأنه إذا ما استشفته العقولُ مصعدٌ
 كرمتم فحاش الفحمون بمدحكم إذا رجزوا فيكم أثبتتم فمصدوا
 أرى من تعاطى ما بلعتم كرائمٍ منالَ الثريا وهو أكمه مقعدٌ
 كمازهرت جناتُ عدنٍ وأثمرتْ فأضحت وعُجمُ الطيرِ فيها غرّدٌ
 وفي هذه القصيدة يقول :

لِمَا تُؤذِنُ الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفلِ ساعةً يُولدُ
 وإلا فما يُبيكه منها وإنها لأفسحُ مما كان فيه وأرغدُ
 إذا أبصر الدنيا استهلَّ كأنه بما سوف يلقى من رداها يهددُ

قال الصولي : افتتح ابنُ الرومي هذه القصيدة على ما لا يلزمه^(١) من فتح ما قبل

حرفِ الروي اقتدارا، فعمله ذلك على أن قال :

متاحٌ له مقداره فكأنما تقوَّضَ شهْلانٌ عليه وصنَدُ^(٢)

شهْلان : اسم جبل ، وهذا لا يصح ، إنما هو صنَدٌ بكسر الدال ؛ لأن
 فعلا لم يحيى ، إلا في أربعة أحرف : درهم ، وهجرع [للأحق] ، وهبَلعُ الذي
 يبلعُ كثيرا ، وقلمم الذي يقلع الأشياء .

وقول ابن المعتز في وصف السيف^(٣) : * كأنما تنفس فيه القينُ وهو صَمِيلُ*

معنى بديع في وصف الفرند ، وقد قال :

(١) في نسخة « على ما يلزمه » والكلام بعده يؤيد أن الأصل ما أثبتناه (م)

(٣) أنظر ص ٧٩٦

(٢) متاح : مهياً ومقدر (م)

ولى صارمٌ فيه المنايا كوامنٌ
ترى فوق متنبيهِ الفرندِ كأنه
وقال أيضاً إسحاق بن خلف :

ألقى بجانبِ خصمه
وكأنما ذرَّ الهبَا
أمضى من الأجل المتأخ
عليه أنفاسُ الرياحِ

ولما صار سيفُ عمرو بن معد يكرب الذى كان يسمَّى الصمصامة إلى الهادى ،
— وكان عمروُ وهبه لسعيد بن العاص ، فتوارثه ولده إلى أن مات المهدي ،
فاشتراه موسى الهادى منهم بمال جليل ، وكان أوسع بنى العباس كفاً ، وأكثرم
عطاءً — ودعا بالشعراء ، وبين يديه مكتلٌ فيه بدرّة ، فقال : قولوا في هذا السيف ؛
فبدر ابن يامين البصرى فقال :

حاز صمصامةَ الزبيدي من يمين جميع الأنام موسى الأمينُ
سيف عمرو وكان فيما سمعنا خيرَ ما أُعْهِدَتْ عليه الجفونُ
أخضر اللون بين خديه بردٌ من ذُءافٍ يَمِيسُ فيه المنونُ (١)
أوقدت فوقه الصواعقُ ناراً ثم شابت فيه الذعافُ القيونُ (٢)
فإذا ما سلتهُ بهر الشمس ضياء فلم تكد تستبينُ
ما يبالي من انتضاهُ ل حرب أشمالٌ سَطَتْ بهِ أو يمينُ
يستطيرُ الأبصارَ كالقَبْسِ المشعل ما تستقرُّ فيه العيونُ
وكانَ الفرندُ والجوهرُ والجَا رى على صفحتيه ماءً معين
نعمَ مخراق ذى الحفيظة فى الهيب جاء يعصى به ونعمَ القرينُ

قال موسى : أصبت ما فى نفسى ، واستخفّه [الفرخ] فأمر له بالمكتل
والسيف ؛ فلما خرج قال للشعراء : إنما حرّمتم من أجلى ، فشأنكم المكتل

(١) الذعاف — بضم الدال بزنة غراب — السم ، ويميس : يتبختر ، والمنون :

الموت (م)

(٢) شابت : خلطت ، والقيون : جمع قين ، وهو الحداد (م)

وفي السيف غنای [ققام موسى] فاشترى منه السيف بمالٍ جليل .

البحترى :

قد جُدَّتْ بِالطَّرْفِ الْجَوَادِ فَتَنَّهُ
 يتناول الرِّوحَ البَعِيدَ مَنَالَهُ
 بِإِنَارَةٍ فِي كُلِّ حَتْفٍ مَظْلَمٍ
 يَغْشَى الْوَعْيَ فَالْتَرَسَ لَيْسَ بِجَنَّةٍ
 مَاضٍ وَإِنْ لَمْ تُنْمِضْهُ يَدُ فَارَسٍ
 مُضْغَعٌ إِلَى حُكْمِ الرَّدَى إِذَا مَضَى
 مَتَوَقَّدٌ يَفْرِي بِأَوَّلِ ضَرْبَةٍ
 فَكَأَنَّ فَارِسَهُ إِذَا اسْتَعَصَى بِهِ الزَّ
 فَإِذَا أَصَابَ فَكُلِّ شَيْءٍ مَقْتَلٌ
 حَمَلَتْ حِمَالَهُ الْقَدِيمَةَ بَقْلَةً
 وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنِ هَانِيٍّ لِلْمَعَزِ :
 عَجِبًا لِمُنْصَلِّكَ الْمَقْلَدُ كَيْفَ لَمْ
 لَمْ يَخْلُ جِبَارُ الْمُلُوكِ بِذِكْرِهِ
 فَإِذَا رَأَيْتَهُ رَأَيْتَ عِلَّةَ
 بِكَ حَسَنَهُ مَتَقْلِدًا وَبِهَآؤُهُ
 فَإِذَا غَضِبْتَ عِلَّتَهُ دُونَكَ رُبْدَةٌ
 وَإِذَا طَرَبْتَ إِلَى الرَّضَا أَهْدَى إِلَى
 كَتَبَ الْفَرِّ نَدَّ عَلَيْهِ بَعْضُ صَفَاتِكُمْ

لَأَخِيكَ مِنْ جَدْوَى يَدَيْكَ بِمُنْصَلٍ (١)
 عَفْوًا ، وَيَفْتَحُ فِي الْفَضَاءِ الْمَقْفَلِ
 وَهَدَايَةٍ فِي كُلِّ نَفْسٍ مَجْهَلِ
 مِنْ حُدَّةٍ ، وَالذَّرْعُ لَيْسَ بِمَعْقِلِ
 بَطْلٍ ، وَمَصْقُولٌ وَإِنْ لَمْ يُصْقَلِ
 لَمْ يَلْتَفِتْ ، وَإِذَا قَضَى لَمْ يَعْدِلِ
 مَا أَدْرَكَتْ وَلَوْ أَنَّهَا فِي يَدَيْهِ (٢)
 حَفَانٍ يَعِصِي بِالسَّمَائِكِ الْأَعْزَلِ (٣)
 وَإِذَا أُصِيبَ فَإِلَهُ مِنْ مَقْتَلِ
 مِنْ عَهْدٍ عَادٍ غَضَّةٌ لَمْ تَدْبِلِ
 تَسِيلُ النُّفُوسُ عَلَيْكَ مِنْهُ مَسِيلًا
 إِلَّا تَشْحَطَ فِي الدَّمَاءِ قَتِيلًا
 لِلنَّيْرَاتِ وَنِيرًا مَعْلُولًا
 مَتَنَكَّبًا وَمَضَاؤُهُ مَسْلُولًا
 يَغْدُو بِهَا طَرْفُ الزَّمَانِ كَحِيلًا
 شَمْسِ الظُّهَيْرَةِ عَارِضًا مَصْقُولًا
 فَعَرَفْتُ فِيهِ التَّسَاجُ وَالْإِكْلِيلًا

(١) الطرف - بلا كسر - الفرس ، والجدوى : العطاء ، والمنصل : السيف

(٢) يفرى : يقطع ، وفي نسخة « يبرى بأول ضربة » ولها وجه (م)

(٣) في اللبوان « فكأن شاهره » وهي خير مما هنا ، وفي نسخة « استعصى

به في الزحف » (م)

وقال :

هل يدنيني من فنائك سابعٍ مَرَحٍ وجائلة النسوعِ أمونُ
ومهندٍ فيه الفيرندُ كأنهُ درّ له خلفَ الفراتِ كمينُ
غضب المضاربِ مقفرا من أعينٍ لكتنه من أنفسِ مسكونِ

وأهدى الكندي إلى بعض إخوانه سيفاً، فكتب إليه : « الحمد لله الذي خصك بمنافع كمنافع ما أهديت ، وجمالك تتهزأ للمكارم اهتزاز الصارم ، وتمضي في الأمور مضاء حده المأثور ، وتصون عرضك بالإفراد^(١) ، كما تصان السيوف بالأغمار ، ويترد ماء الحياء في صفحات خدك المشوف ، كما يشف الرونق في صفائح السيوف ، وتصل شرفك بالعطيات ، كما تصل متون المشرفيات .

[وفد الشام بين يدى المنصور]

قدم على أبي جعفر المنصور وفد من الشام بعد انهزام عبد الله بن علي ، وفيهم الحارث بن عبد الرحمن الغفاري ، فتكلم جماعة منهم ، ثم قام الحارث فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنا لسنا وفد مباهاة ، ولكننا وفد توبة استخففت حليمنا ؛ فنحن بما قدمنا معترفون ، وبما سلف منا معتذرون ، فإن تعاقبنا فيما أجرمنا ، وإن تعف عنا فطلما أحسنت إلى من أساء ، فقال المنصور : أنت خطيب القوم ، ورد عليه ضياعه بالخطبة .

وقال رجل من أهل الشام للمنصور : يا أمير المؤمنين ، من انتقم فقد شفى غيظه وانتصف ، ومن عفا تفضل ، ومن أخذ حقه لم يجب شكره ولم يذكر فضله ، وكظم الغيظ حلم ، والتشفي طرف من الجزع ، ولم يمدح أهل التقى والنهي من كان حليماً بشدة العقاب ، ولكن بحسن الصفر والاعتذار وشدة التغافل ،

(١) الإفراد : الإعطاء (م)

وبعدُ فالمعاقب مستدرج لعداوة أولياء المذنب ، والعاقي مستدرج لشكرهم آمين من مكافأهم ، ولأن يُثني عليك بانساع الصدر خيرٌ من أن توصف بضيقه ، على أن إفاقتك عثرات عباد الله موجب لإفالة عثرتك من ربهم ، وموصول بعفوه ، وعقابك إياهم موصول بعقابه ، قال الله عز وجل : « خذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ » .

[بعض ما قيل في العفو]

وقال بعض الكتاب لرئيسه وقد عتب عليه : « إذا كنت لم ترخص مني بالإساءة فلم رضيت من نفسك بالمكافأة » .

وأذنب رجلٌ من بني هاشم قبضه المأمون ، فقال : يا أمير المؤمنين ، من حمل مثل دالتي ، وليس ثوب حرمتي ، غفر له مثل زلتي ، قال : صدقت وعفا عنه . ولما دخل بعض الكتاب على أمير بعد نكبة نالته فرأى من الأمير بعض الأزدراء ، فقال له : لا يصعني عندك خول النبوة ، وزوال الثروة ؛ فإن السيف العتيق إذا مسه كثير الصدأ استغنى بقليل الجلاء حتى يعود حده ، ويظهر فرنده ؛ ولم أصف نفسي عجباً ، لكن شكراً . وقال صلى الله عليه وسلم : « أنا أشرفُ ولد آدم ولا فخر » ؛ فخير بالشكر ، وترك الاستطالة بالكبر .

[تميم بن جميل والمعتصم]

وكان تميم بن جميل السدوسي [قد أقام] بشاطئ الفرات ، واجتمع إليه كثيرٌ من الأعراب ، فعظم أمره ، وبعد ذكره ؛ فكتب المعتصم إلى مالك بن طوق في النهوض إليه ، فتبدد جمعه ، وظفر به فحمله مؤثماً^(٣) إلى باب المعتصم ، فقال أحمد بن أبي داود : مارأيت رجلا عاين الموت ، فهاهنا ولا شخلة عما كان يجب عليه أن يفعله إلا تميم بن جميل ؛ فإنه لما مثل بين يدي المعتصم وأحضر

(١) في نسخة « من حمل مثل جمالي » (م)

(٢) تبدد جمعه : تفرق المجتمعون إليه (م)

(٣) في نسخة « حمله مستوثقاً » وليس بذلك (م)

السيفَ والنَّطْعَ ، ووقف بينهما ، تأمله المعتصم — وكان جميلاً وسيماً — فأحبَّ أن يعلمَ أين لسانُه من منظره ، فقال : تكلم بآتميم ، فقال :
 أمّا إذ أذنتَ يا أمير المؤمنين فأنا أقولُ : الحمدُ لله الذي أحسنَ كلَّ شيء خلقه
 وبدأ خلقَ الإنسان من طين ، ثم جعل نَسْلَه من سُلالةٍ من ماء مَهين ، [يا أمير
 المؤمنين :] جبر [الله] بك صدعَ الدِّين ، ولمَّ بك شعثَ المسلمين ، وأوضحَ
 بك سبيلَ الحقِّ ، وأخذَ بك شهبابَ الباطل ؛ إن الذنوبَ تحرس الألسنَ
 الفصيحة ، وتُفسي الأفتدةَ الصحيحة ، ولقد عظمتَ الجريرة ، وانقطعتَ الحجَّة
 وساء الظنُّ ، فلم يبق إلا عفوك وانتقامك ، وأرجو أن يكونَ أقربهما مني
 وأسرعهما إلى أشبههما بك ، وأولاهما بكرمك ، ثم قال :

أرى الموتَ بين السيفِ والنَّطْعِ كما نأى
 وأكبرُ ظنِّي أنكَ اليومَ قاتلي
 وأي امرئٍ يأتي بعدُ رُحْبَةً
 وما جزعي من أن أموتَ وإنِّي
 ولكنَّ خافي صبيَّةٍ قد تركتهم
 فإن عشتُ عاشوا سالمين يغبطة
 وكم قاتلٍ لا يبعثُ الله داره
 فتبسّم المعتصم وقال : يا جميل ، قد وهبتك للصبيَّة ، وغفرت لك الصبوة ،
 ثم أمر بك قيوده ، وخلع عليه ، وعقد له على شاطئ الفرات .

[من المعتصم إلى عبد الله بن طاهر]

وكتب المعتصم — حين صارت إليه الخلافة — إلى عبد الله بن طاهر : عافانا الله
 وإياك ، قد كانت في قلبي منك هَنَاتٌ غفرتها الاقتدار^(٣) ، وبقيت حزازات أخافُ
 منها عليك عند نظري إليك ؛ فإن أتاك ألفُ كتابٍ أستقدمك فيه فلا تقدم ،

(١) أصلت السيف : أخرجه من غمده (م)

(٢) موقت : له وقت محدود لا يتقدم عنه ولا يتأخر (م)

(٣) في نسخة « هفوات غفرتها الاقتدار » (م)

وَحَسْبُكَ مَعْرِفَةٌ بِمَا أَنَا مُنْظَوٍ لَكَ عَلَيْهِ إِطْلَاعِي إِيَّاكَ عَلَى مَا فِي ضَمِيرِي مِنْكَ ،
والسلام .

[الخليفة المعتصم]

قال العباسُ بن المأمون : ولما أَفْضَتِ الْخِلاَفَةُ إِلَى الْمُعْتَصِمِ دَخَلْتُ ، فَقَالَ :
هَذَا مَجْلِسٌ كُنْتُ أَكْرَهُ النَّاسَ الْجُلُوسِي فِيهِ ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْتَ
تَعْفُو عَمَّا تَبَيَّنَتْهُ ، فَكَيْفَ تَعَاقِبُ عَلَى مَا تُوهِمْتَهُ ؟ فَقَالَ : لَوْ أَرَدْتُ عِقَابَكَ
إِتْرَكَتُ عِتَابَكَ .

وكان المعتصم شهماً، شجاعاً، عاقلاً، مفوّهاً، ولم يكن في [خلفاء] بنى العباس
أمى غيره؛ وقيل: [بل كان يكتب خطاً ضعيفاً، و] كان سبب ذلك أنه رأى
جنازة لبعض الخدم، فقال: ليتنى مثله لأتخلص من الكتّاب! فقال الرشيد:
والله لا عذبتك بشيء تختارُ عليه الموت .

قال أبو القاسم الزجاجي: وهذا شيء يُحْسِنُكَ مِنْ غَيْرِ رِوَايَةٍ صَحِيحَةٍ ،
إِلَّا أَنْ جَلَّتْهُ أَنَّهُ كَانَ ضَعِيفَ الْبَصَرِ بِالْعَرَبِيَّةِ .

وقرأ أحمد بن عمار المذري^(١) - وكان يتقلد العرّض عليه في الحضرة - كتاباً فيه:
«ومطرنا مطراً أكثر عنه الكلاً» فقال له المعتصم: ما الكلاً؟ فقال: لا أدري .
فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون! خليفة أمى وكاتب أمى! ثم قال: مَنْ يَقْرُبُ
مَنَا مِنْ كِتَابِ الدَّارِ لَا يَعْرِفُ مَكَانَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَاتِ، وَكَانَ يَتَوَلَّى قَهْرَمَةَ
الدَّارِ، وَيُشْرِفُ عَلَى الْمَطْبِخِ، فَأَحْضَرَهُ، فَقَالَ: مَا الْكَلَاءُ؟ فَقَالَ: النَّبَاتُ كُلُّهُ
رَطْبُهُ وَيَاسَهُ؛ فَالرَّطْبُ مِنْهُ خَاصَّةٌ يُقَالُ لَهُ خَلَاءٌ، وَمِنْهُ سَمِيَتِ الْخَلَاءَةُ، وَالْيَاسُ
يُقَالُ لَهُ حَشِيشٌ؛ ثُمَّ انْدَفَعُ فِي صِفَاتِ الْبِنَاتِ مِنْ ابْتِدَائِهِ إِلَى اكْتِمَالِهِ إِلَى هَيْبَتِهِ،
فَاسْتَحْسَنَ ذَلِكَ الْمُعْتَصِمُ، وَوَلَاةُ الْعَرَضِ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَلَمْ يَزَلْ وَزيراً مُدَّةَ خِلاَفَتِهِ
[وَخِلاَفَةِ الْوَاتِقِ] ، حَتَّى نَسَبَهُ الْمُتَوَكِّلُ بِمَقْوَدٍ حَقَّقَهَا عَلَيْهِ أَيَّامَ أَخِيهِ الْوَاتِقِ .

(١) في نسخة « أحمد بن عمار الشيدري » (م)

المعتصم يكتب
لملك الروم

وقال الرياشي : كتب ملك الروم إلى المعتصم كتاباً يتهدده فيه ، فأمر بجوابه ، فلما قرئ عليه لم يرضَ ما فيه ، وقال لبعض الكتاب : اكتب « أما بعد فقد قرأت كتابك ، وفهمت خطابك ، والجواب ما ترى ، لا ما تسمع ، وسيعلم الكافر لمن عُقبى الدار » .

بين الحجاج
وقطري
بن الفجاءة

وهذا نظير قول قطري للحجاج ، وقد كتب إليه كتاباً يتهدده ، فأجابه قطري : أما بعد ، فالحمد لله الذي لو شاء لجمع شخصيناً ؛ فعلت أن مُتآففة الرجال [أقوم] من تَسْطِيرِ المَقَالِ ، والسلام ^(١) .

[كتب بن معدان الأشعري عند الحجاج]

[ووصفه بنى المهلب بن أبي صُفرة]

ولما افتتح المهلبُ خراسان ، ونَقَى الخوارج عنها ، وتفرقت الأزارقة كتب الحجاجُ إليه أن اكتب لي بخبر الوقعة ، واشرح لي القصة حتى كأني شاهدها ؛ فبعث إليه المهلبُ كتب بن معدان الأشعري ، فأنشده قصيدة فيها ستون بيتاً تقتصُّ خبرهم لا يخرم منه شيئاً : فقال له الحجاج : أخطيب أم شاعر؟ قال له : كلاهما ، أعزَّ الله الأمير ! قال : أخبرني عن بنى المهلب ، فقال له : المعيرة سيدهم ، وكفالك يزيد فارسا ، وما لقي الأبطال مثل حبيب ، وما يستحي شجاع أن يفرَّ من مُدْرِك ، وعبد الملك موت [ذُعا ف وسم] نافع ، وحسبك بالمفضل في التَّجْدَةِ ، واستعْجِهْ قبيصة ، ومحمد ليث غاب ، فقال الحجاج : ما أراك فضلت عليهم واحدا منهم ؛ فأخبرني عن جلتهم ومن أفضلهم ؟ فقال : هم - أعزَّ الله الأمير! - كالحلقة المفرَّغة لا يدري أين طرفها ، قال : إن خبرَ حرِّ بكم كان يبلغني عظيماً ، أفكذلك كان ؟ قال : نعم أيها الأمير ، والسماع دون العيان . قال : أخبرني كيف رَضَا المهلبُ عن جنده ورَضَا جنده عنه ؟ قال : أعزَّ الله الأمير ،

(١) في نسخة « من تَسْطِيرِ المَقَالِ والقلم » وفي أخرى « من تَسْطِيرِ المَقَالِ والسلام » وكلاهما تحريف ما أثبتناه (م)

له عليهم شفقة الوالد ، ولهم به برّ الولد . قال : أخبرني كيف فاتكم قطري ؟ قال : كدناؤه في منزله فتحول عنه ، وتوهم أنه كادنا بذلك ، قال : فهلا اتبعتموه ، قال : الكلب إذا أبحر عقر ، قال : المهلب كان أعلم بك حيث أرسلك .

[بشر بن مالك عند الحجاج]

[يصف أبناء المهلب أيضاً]

وقد روي أن المهلب لما فرغ من قتل عبد ربه الخجوري دعا بشر بن مالك فأنفذه بالبشارة إلى الحجاج ، فلما دخل على الحجاج قال : ما اسمك ؟ قال : بشر بن مالك ، فقال الحجاج : بشارة وملك ! وكيف خلقت المهلب ؟ قال : خلفته وقد أمن ما خاف ، وأدرك ما طلب ، قال : كيف كانت حالكم مع عدوكم ؟ قال : كانت البداء لهم ، والعاقة لنا ، قال الحجاج : العاقبة للمتقين ، ثم قال : فما حال الجندي ؟ قال : وسعهم الحق ، وأغناهم النفل ، وإنهم لمع رجل يسوسهم سياسة الملوك ، ويقاتل بهم قتال الصلوك ، فلهم منه برّ الوالد ، وله منهم طاعة الولد ، قال : فما حال ولد المهلب ؟ قال : رعاة البيات حتى يؤمنوه ، وحمأة السريح حتى يردوه ، قال : فأيهم أفضل ؟ قال : ذلك إلى أيهم ، قال : وأنت أيضاً ، فإني أرى لك لساناً وعبارة ، قال : هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفها ، قال : ويحك ! أكنت أعددت لهذا المقام هذا المقال ؟ قال : لا يعلم الغيب إلا الله .

[أبو الصقر وصاعد بن مخلد]

ودخل أبو الصقر قبل وزارته على صاعد بن مخلد ، وهو الوزير حينئذ ، وفي المجلس أبو العباس بن ثوابة ، فسأل الوزير عن رجل ، فقال : أنفي ، يريد نفي ، فقال ابن ثوابة : في الخراء ، فتضاحك به أهل المجلس ، فقام أبو الصقر مضطرباً^(١) .

(١) هذه القصة قد وردت بعبارات مختلفة في نسخ هذا الكتاب ، وقد اخترنا

أقرب هذه العبارات إلى الاستقامة (م)

[أبو العيناء وابن ثوابة]

وكان أبو العيناء يُعَادِي ابن ثوابة لمعاداته لأبي صقر ؛ فاجتمعا في مجلس صاعد في غد ذلك اليوم ، فتلاحياً ، فقال ابن ثوابة : أما تعرفني ؟ فقال : بلى أعرفك صَيِّقَ الطعن ، كثيرَ الوَسَن ، خَاراً على الذَّقَن ، وقد بلغني تعديك على أبي الصقر ، وإنما حَلَمَ عنك ؛ لأنه لم يجد لك عزاً فيذله ، ولا علواً فيضعه ، ولا مجداً فيهدمه ؛ فعافَ لِحَمَك أن يأكله ، ودمك أن يسفكته ، فقال ابن ثوابة : ما تناسب إنسانان إلا غلب الأَمَها ، فقال أبو العيناء : فلهذا غلبت بالأمس أبا الصقر !

[من مكارم أبي الصقر]

ومما يُعَدُّ من مكارم أبي الصقر أن ابن ثوابة دخل عليه في وزارته ، فقال : تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين ، فقال أبو الصقر : لا تثرِبَ عليك يغفر الله لك [وهو أرحم الراحمين] ، فما قَصَرَ في الإحسانِ إليه ، والإِنعامِ عليه ، مدة وزارته .

[أبو الصقر وأبو العيناء]

ولما ولي أبو الصقر الوزارة خيّر أبو العيناء فيما يحبّه حتى يفعلهُ ، فقال : أريد أن يكتبَ [لي الوزير] إلى أحمد بن محمد الطائي يعرفهُ مكاني ، ويلزمهُ قضاء حق مثلي .

فكتب إليه كتاباً بخطه ، فوصله إلى الطائي ، فسبب له في مدة شهر مقدار ألف دينار ، وعاشره أجل عشرة ، فانصرف بجميع ما يحبّه

وكتب إلى أبي الصقر كتاباً مضمونه : أنا - أعزك الله - طليقتك من الفقر ، وقيظك من البؤس ، أخذت بيدي عند عترة الدهر ، وكنوة الكبر ، وعلى أية حال حين فقدت الأولياء والأشكال والإخوان والأمثال ، الذين يفهمون في غير تعب ، وهم الناس الذين كانوا غيباً للناس ، فحلت عقدة الخلة ، ورَدَدَت إلى بعد النفور النعمة ، وكتبت لي كتاباً إلى الطائي ، فكأنما كان منه إليك ، أتيتهُ وقد استصعبت على الأمور ، وأحاطت بي النوائب ؛ فكثرت من بشره ، وبذل من يسره ، وأعطى من ماله أكرمه ، ومن برّه أحكمه ، مُكرماً لي

كتاب من
أبي العيناء
إلى أبي الصقر

مدة ما أنفت ، ومثقلالى من فوائده لما ودعت ، حكمتى فى ماله فتحكمت ،
وأنت تعرف جورى إذا تمكمت ، وزادنى من طوله فشكرت ؛ فأحسن الله
جزاءك ، وأعظم حياءك ، وقدمنى أمامك ، وأعاذنى من قعدك وحميك ؛ فقد
أنفت على مما مملكك الله ، وأنفت من الشكر ما بسره الله لى ، والله
عز وجل يقول : (لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ .) فالحمد لله الذى جعل لك اليد
الغالبه ، والرتبه الشريفه ، لا أزال الله عن هذه الأمة ما بسط فيها من عدلك ،
وبث فيها من رفدك .

[أبو العيناء يذم ابن الخصيب]

قطعة مختارة من نسخة الكتاب الذى عمله أبو العيناء فى ذم أحمد بن الخصيب
لما نكب على أسمة الكتّاب والقواد وأرباب الدولة [فى ذلك الوقت] .
قال : ذكره محمد بن عبد الله بن طاهر فقال : ما زال يحرق ولا يرقع . ومازلت
أتوقع له الذى وقع فيه . [وذكره أنا مش ، فقال : غدر بمن آثره ، وتخطى إلى
مالا يقدره ، فل به ما يحذره . وذكره بغاء فقال : أبطرته النعمة ، ففجأتها النعمة]
وذكره وصيف فقال : ترك العقلاء على يأس مرتبته ، والحمقى على رجاء درجته !
وذكره موسى بن بغاء فقال : لولا أن القدر يعشى البصر ، لما نهى فينا ولا أمر . وذكره
فارس بن بغاء فقال : لم تتم له نعمة ؛ لأنه لم تكن له فى الخير همة . وذكره الفضل
ابن العباس فقال : إن لم يكن تاريخ البلاء فما أعظم البلوى . وذكره هرون بن عيسى
فقال : كانت دولة من دُول المجانين ، خرجت من الدنيا والدين . وذكره الملقى بن
أيوب ، فقيل له : ما أعجب ما نكب ، فقال : نعمته أعجب من نكبته ! وذكره
ميمون بن إبراهيم ، فقال : لو تأمل فماله فاجتنبها ، لاستغنى عن الآداب أن يطلبها !
وذكره محمد بن نجاح فقال : لئن كانت النعمة عظمت على قوم خرج عنهم لقد عظمت
المصيبة على قوم نزل فيهم ! وذكره على بن [يحيى بن] المنجم ، فقال : لم يكن له أوّل

يَرْجِعُ إِلَيْهِ ، وَلَا آخِرَ يَمُودُ عَلَيْهِ ، وَلَا عَقْلَ فَيَزُكُو لَدَيْهِ ! وَذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ شَاكِرِ الْمَنْجَمِ فَقَالَ : [قَبَّحَهُ اللَّهُ] إِنْ ذَكَرْتَ ذَا فَضْلٍ تَقْصُّهُ لِمَا فِيهِ مِنْ ضِدِّهِ ، أَوْ ذَكَرْتَ ذَا نَقْصٍ تَوْلَاهُ لِمَا فِيهِ مِنْ شَكْلِهِ . وَذَكَرَهُ ابْنُ ثَوَابَةَ فَقَالَ : أَمْرٌ أَسَاءَ عِشْرَةَ الْأَحْرَارِ ، فَأَصْبَحَ مُقْفِرَ الدِّيَارِ . وَذَكَرَهُ حُجَّاجُ بْنُ هُرُونَ فَقَالَ : مَا كَانَ لَهُ فِي الشَّرَفِ أَسْبَابٌ مِثْلَانِ ، وَلَا فِي الْخَيْرِ عَادَاتٌ حَسَنَانِ . وَذَكَرَهُ [أَحْمَدُ بْنُ حَمْدُونَ] فَقَالَ : إِنْ مَنَحْتَهُ الْقُدْرَةَ لَقَدْ حَمَلْتَهُ النِّكْبَةَ . وَذَكَرَهُ [مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ] فَقَالَ : مَا زَالَ يَسْتَوْحِشُ بِالنِّعْمَةِ حَتَّى أَنْسَ بِالنِّقْمَةِ وَذَكَرَهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ فَرَّاسٍ فَقَالَ : كُنْتُ إِذَا نَصَحْتُهُ زَنَانِي ، وَإِذَا غَشَّشْتُهُ مَنَانِي . وَذَكَرَهُ أَبُو صَالِحِ بْنِ عِمَارٍ فَقَالَ : لَئِنْ عَلَا بِحِظِّ لَقَدْ انْحَطَّ بِحَقِّي . وَذَكَرَهُ سَعِيدُ بْنُ حَمِيدٍ فَقَالَ : إِذَا أَصَابَ أَحْجَمٌ ، وَإِذَا أَخْطَأَ صَمِيمٌ .

[أَبُو بَكْرٍ سَيُوبِيهِ وَأَهْلُ مِصْرَ]

وَكَانَ فِي هَذَا الْعَصْرِ بِمِصْرَ أَبُو بَكْرٍ الْمَرْوُوفُ بِسَيُوبِيهِ نَاقِلَةَ الْبَصْرَةَ يُشَبِّهُهُ فِي حُضُورِ جَوَابِهِ وَخَطَابِهِ ، وَحُسْنِ عِبَارَتِهِ ، وَكَثْرَةِ رِوَايَتِهِ ، وَكَانَ قَدْ تَنَاوَلَ الْبِلَادَ ذُرًّا^(١) ؛ فَعَرَضَتْ لَهُ مِنْهُ لُؤْتَةٌ^(٢) ، وَكَانَ أَكْثَرُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ وَيَكْتُبُونَ عَنْهُ مَا يَقُولُ .

قَالَ يَوْمًا لِلْمِصْرِيِّينَ : يَا أَهْلَ مِصْرَ ، أَصْحَابُنَا الْبَغْدَادِيُّونَ أَحْزَمُ مِنْكُمْ ، لَا يَقُولُونَ بِالْوَلَدِ ، حَتَّى يَنْخَذُوا لَهُ الْمَقْدَ وَالْعُدْدَ ؛ فَهَمُّ أَيْدِيهِمْ يَعْتَزِلُونَ . وَلَا يَقُولُونَ بِاتِّخَاذِ الْعَمَّارِ خَوْفًا أَنْ يَمْلِكَهُمْ سِوَهُ الْجَوَارِ ؛ فَهَمُّ أَيْدِيهِمْ يَكْتَزُونَ . وَلَا يَقُولُونَ بِاتِّخَاذِ الْحَرَائِرِ خَوْفًا أَنْ تَتَوَقَّعَ نَفْسُهُمْ إِلَى السَّرَّارِيِّ ؛ فَهَمُّ أَيْدِيهِمْ يَتَسَرَّرُونَ . وَلَا يَقُولُونَ أَيْدِيَهُمْ يَأْظْهَرُ النَّحْيَ [فِي مَكَانٍ] عَرَفُوا فِيهِ بِالْفَقْرِ ؛ فَهَمُّ أَيْدِيهِمْ يَسَافِرُونَ .

وَوَقَفَ يَوْمًا بِالْجَامِعِ وَقَدْ أَخَذَتْ الْخَلْقَ مَأْخَذَهَا ، فَقَالَ : يَا أَهْلَ مِصْرَ ، حَيْطَانُ

(١) الْبِلَادُ : شَجَرٌ هِنْدِيٌّ يَعْلُو كَالْجُوزِ ، وَرَقُهُ عَرِيضٌ أَغْبَرُ سَبْطٌ حَادٍ الرَّائِحَةُ إِذَا نَامَ تَحْتَهُ شَخْصٌ سَكَّرَ ، وَرَبَّمَا عَرَضَ لَهُ السَّبَاتُ ، وَهُوَ يَضُرُّ الْمَحْرُورِينَ . وَيُتْرَقُّ الْقَمُّ وَالْبَدَنُ ، وَيَقْرَحُ ، وَيَبُورُ الْبَرَسَامُ وَالْمَالِيخُولِيَا (م)
(٢) الْلُؤْتَةُ - بَضْمُ اللَّامِ - الْحَقُّ ، وَالْهِجِجُ ، وَمَسُّ الْجُنُونِ (م)

المقابر أنفعُ منكم ، يُسْتَنْزَرُ بِهَا مِنَ التَّعَبِ ، وَيُسْتَنْدَفُ بِهَا مِنَ الرِّيحِ ، وَيُسْتَنْظَلُ بِهَا مِنَ الشَّمْسِ . وَالبَهَائِمُ خَيْرٌ مِنْكُمْ مِمَّنْ طَلَى ظَهْرُهَا ، وَتُحْتَذَى جُلُودُهَا ، وَتُؤَكَلُ لِحُومُهَا .
 وَكَانَ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ خَنْزَابَةَ الْوَزِيرُ ، رَبَّمَا رَفَعَ أَنْفَهُ تَيْهًا ، فَقَالَ لَهُ سَيَّبُوِيهِ ،
 وَقَدْ رَأَى فِعْلَ ذَلِكَ : أَشَمَّ مِنْ الْوَزِيرِ رَائِحَةَ كَرِيهَةٍ فَشَمَّرَ أَنْفَهُ ، فَأَطْرَقَ وَاسْتَعْمَلَ
 الْمَهْوُوسُ ، فَخَرَجَ سَيَّبُوِيهِ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ فَقَالَ : مِنْ عِنْدِ الزَّاهِي
 بِنَفْسِهِ ، الْمَدَلَّ بِفَرْسِهِ ^(١) ، الْمُسْتَطِيلَ عَلَى أَبْنَاءِ حِنْسِهِ .

وَاسْتَأْذَنَ عَلَى مُسْلِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ الْعَلَوِيِّ ، وَمُسْلِمٌ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ نَزَلَ مِصْرَ ،
 فَحَجَّبَ عَنْهُ ، فَقَالَ : قَوْلُوا لَهُ : يَرْجِعُ إِلَى لِبْسِ الْعِبَاءِ ، وَمَصَّ النَّوَى ، وَوَسَّكِنِي
 الْفَلَا ، فَهُوَ أَشْبَهُهُ بِهِ مِنْ نَعِيمِ الدُّنْيَا .

وَكَانَ عَلَى شَرْطِ كَافُورِ الْإِخْشِيدِيِّ أَحَدُ الْخَاصَّةِ ، فَوَجَدَ عَلَيْهِ سَيَّبُوِيهِ فِي
 بَعْضِ الْأَمْرِ ، فَعَزَلَ عَنِ الشَّرْطَةِ ، فَوَلِيَهَا رَكِي ^(٢) صَاحِبَ الرَّاضِي ، فَلَمَّ بِحَمْدِهِ أَيْضًا ،
 فَوَقَفَ لِكَافُورٍ وَهُوَ مَارٌّ إِلَى الصَّلَاةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَسْتَاذُ ، وَلَيْتَ
 ظَلَمًا ، وَعَزَلْتَ ظَلَمًا ، قَلِيلَ الْوَفَاءِ ، كَثِيرَ الْجَفَاءِ ، غَلِيظَ الْقَفَا . فَتَبَسَّمَ ابْنُ بُرْكَ
 الْبَغْدَادِيُّ ، وَكَانَ يَسَابِرُ كَافُورًا ، فَقَالَ : وَهَذَا ابْنُ بُرْكَ مِنْ يَغْرُوكَ ، لَنْ يَنْفَعَكَ
 وَلَنْ يَضُرَّكَ .

وَأَخْلَى الْحَمَامُ لِمَفْلَحِ الْحَسِينِيِّ ، فَأَتَى سَيَّبُوِيهِ لِيَدْخُلَ ، فَمُنِعَ ، وَقِيلَ : الْأَمِيرُ
 مَفْلَحٌ بِهِ ، فَقَالَ : لَا أَنْقِي اللَّهَ مَغْسُولَهُ ، وَلَا بَلِّغَهُ سُؤْلَهُ ، وَلَا وَقَاهُ مِنَ الْعَذَابِ
 مَهْوُولَهُ ، وَجَلَسَ حَتَّى خَرَجَ ، فَقَالَ : إِنْ الْحَمَامُ [لَا يُخْلِي إِلَّا] لِأَحَدٍ ثَلَاثَةٌ : مَبْتَلَى فِي
 قُبْلِهِ ، أَوْ مَبْتَلَى فِي دُبُرِهِ ، أَوْ سُلْطَانٌ يَخَافُ مِنْ شَرِّهِ ، فَأَيُّ الثَّلَاثَةِ أَنْتَ ؟ قَالَ :
 أَنَا الْمَقْدَمُ .

وَأَحْضَرَهُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْخَازِنُ فَقَالَ : قَدْ بَلَغْنِي بَدَاؤُكَ لِسَانِكَ ، وَقَبِيحُ

(١) فِي نَسْخَةِ « الْمَدَلَّ بِفَرْسِهِ » (م) (٢) فِي نَسْخَةِ « زَكِي » (م)

معاملتك للأشراف؛ فاحذَرُ أن تعودَ فينالِكَ منى أشدَّ العقوبة؛ فخرج [متحرزنا فكان] الولدان يتولعون به ويذكرون له الخازنَ، فيشتدُّ عليه ذلك، فينصرف ولا يكلمهم؛ فمرَّ به رجل يكنى أبا بكر من ولد عقبة بن أبي معيطٍ، وغلّامٌ قد ألحَّ عليه^(١) بذلك، فضحك المعيطى، فقال للغلّام: ضرب الله عنق الخازن كما ضرب النبي صلى الله عليه وسلم عنق عقبة بن أبي معيط على الكفر، وضرب ظهراً أبيك بالسوط كما ضرب على بن أبي طالب بأمر عثمان رضى الله عنهما ظهر الوليد بن عقبة على شرب الخمر، وأحلقك يا صبي بالصَّبيّة، يريد قول النبي صلى الله عليه وسلم، وقد قال له عقبة لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم علياً رضى الله عنه بقتله: «فمن للصَّبيّة يا رسول الله»؟ قال: النارُ لك ولهم. فانصرف المعيطى وبطن الأرض أحبَّ إليه من ظهرها.

[رَجِعْ إِلَى أَبِي الْعِيَاءِ]

وقال أبو العيَاء: أنا أوَّلُ من أظهر العقوقَ لوالديه بالبصرة، قال لى أبي: إِنَّ اللَّهَ قَدْ قَرَنَ طَاعَتَهُ بِطَاعَتِي، فَقَالَ تَعَالَى: (أَنْ أَشْكُرُ لِي وَلِوَالِدَيْكَ) فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ، إِنْ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَمِنَنِي عَلَيْكَ، وَلَمْ يَأْمَنْكَ عَلَى، فَقَالَ تَعَالَى: ((وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ)).
وقال أعرابي لأبيه: يَا أَبَتِ، إِنْ كَبِيرَ حَقِّكَ لَا يَبْطُلُ صَغِيرَ حَقِّي عَلَيْكَ، وَالَّذِي تَمَّتْ بِهِ إِلَى أُمَّتٍ مِثْلَهُ إِلَيْكَ، وَلَسْتُ أَرْعَمُ أَنَا سِوَاهُ، وَلَكِنْ لَا يَحِلُّ لَكَ الْإِعْتِدَاءُ.

ودخل على عبيد الله بن سليمان فضمَّه إليه، فقال: أنا إلى ضمِّ الكفاية أحوجُّ منى إلى ضمِّ اليدين.

وقال له مرة: أنا معك مقبوض الظاهر، مرحوم الباطن^(٢).

(١) في نسخة « وغلّام قد ألح عليه بذلك » (م)

(٢) في نسخة « أنا معك مغبوط الظاهر موجود الباطن » (م)

قال أبو الطيب المنبهي :

ماذا لقيت من الدنيا وأعجبتُها أني بما أنا بالك منه محسودُ
وقال له رجل : يا مخنثُ ، فقال : وضربَ لنا مثلاً ونسيَ خلقه !

[كلمات لأبي العيناء]

وذكر أبو العيناء محمد بن يحيى بن خالد بن برمك ، فقال : بأبي وأمي دَامَ
الوَجْهُ الطَّلَقُ ، والقول الحقّ ، والوعد الصدق ، نيته أفضلُ من علانيته ، وفعله
أفضل من قوله . وقال له المتوكل : ما أشدّ ما مرّ عليك من فقدِ بصرِك ؟ فقال :
ما حرمتُ منه من النظر إليك أيها الأمير ! وقال لعبيد الله بن يحيى : مسنا وأهلنا
الضرّ ، وبضاعتنا الحمد والشكر ، وأنت الذي لا يخيب عنده حرّ . وقال له يوماً :
قد اشتدّ الحجاب ، وفحش الحرمان ، فقال : ارفق يا أبا عبد الله ، فقال : لورفقي
فعلك لرفق بك قولي ! وقال له : أيها الوزير ، إذا تعافل أهلُ التفضل هلك أهل
التجمل . وذم رجلاً فقال : لا يعرف الحقّ فينصره ، ولا الباطل فينكره .
وقيل له : ما أبلغ الكلام ؟ فقال : ما أسكت المبيطل ، وحتر الحق . وقيل له :
مات الحسن بن سهل ، فقال : والله لئن أتعب المادحين ، لقد أطل بكاء الباكين
والله لقد أصيب بموته الأنام ، وخرت بفقده الأقاليم .

[مما قيل في الرثاء]

لأشجع بن
عمر والسلي

قال أشجع بن عمرو السلمي :

مضى ابن سعيد حين لم يبقَ مَشْرِقٌ ولا مغربٌ إلا له فيه مادِحٌ
وما كنتُ أدري ما فواضلُ كَفِّهِ على الناسِ حتى غيَّبته الصفايحُ
فأصبح في حُدَيْهِ من الأرضِ مَيْتاً وكانت به حياً تضيقُ الصحايحُ^(١)
كأن لم يميت ميثَ سواك ولم تقم على أحدي إلا عليك النوايحُ

(١) الصحايح : ما استوى من الأرض ، واحدها صحصح بوزن جعفر (م)

فما أنا من رُزءٍ وإنَّ جَلَّ جازعٌ ولا بسرورٍ بعد موتك فأرح
 لئن حسنتُ فيك المراني وذكرها لقد حسنتُ من قبلُ فيك اللدائحُ
 سأبكيك ما فأصتدموعى، فإن تفيضُ فحسبك منى ما تكينُ الجوايحُ
 قوله : * وكانت به حياً تضيقُ الصحاحُ * يتعلق بقول الحسين بن مطير

للحسين بن مطير في معن بن زائدة :

مطير في معن
ابن زائدة

أَلَمَّا عَلَى مَعْنٍ وَقُولَا لَقَبْرِهِ : سَقَمْتَكَ الْغَوَادِي مَرَبَعًا ثُمَّ مَرَبَعًا
 فَيَا قَبْرَ مَعْنٍ أَنْتِ أَوْلُ حَفْرَةٍ مِنْ الْأَرْضِ خُطَّتِ لِلسَّاحَةِ مَضْجَعًا
 وَيَا قَبْرَ مَعْنٍ كَيْفَ وَارَيْتِ جُودَهُ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبَرَّ وَالْبَحْرَ مُتْرَعًا
 بَلَى قَدْ وَسَعَتْ الْجُودَ وَالْجُودُ مَيِّتٌ وَلَوْ كَانَ حَيًّا ضِقَّتْ حَتَّى تَصْدَعَا
 فَتَى عَيْشٍ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ كَمَا كَانَ بَعْدَ السَّيْلِ تَجْرَاهُ مَرْتَعَا
 وَلَمَا مَضَى مَعْنٌ مَضَى الْجُودُ وَانْقَضَى وَأَصْبَحَ عِرْنِينَ لِلْمَكَارِمِ أَجْدَعَا

وهذا كقول عبد الصمد بن العذل في عمرو بن سعيد بن سلم الباهلي :

لعبد الصمد
ابن العذل في
عمرو بن سعيد

أَقْبِرْ أَبِي أُمِيَّةَ لَوْ عَالَاهُ حَمَلَتْ إِذَا لَضَقْتَ بِهِ ذِرَاعَا
 حَوَيْتِ الْجُودَ وَالتَّقْوَى وَعَمْرًا فَكَيْفَ أَطَقْتَ يَا قَبْرُ اضْطِلَاعَا
 لَمَوْتِهِمْ أَمْ أَطَقْتَ لَهُمْ ضَمَانَا وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ تُطِقِ اتِّسَاعَا

وقول أشجع : * لئن حسنت فيك المراني وذكرها * من قول الخنساء :

للخنساء في
أخيها صخر

يَا صَخْرُ بَعْدَكَ هَاجَنِي اسْتِعْبَارِي شَانِيكَ بَاتَ بَدَلْتِي وَصَفَارِي
 كُنَّا نَعِدُكَ لَكَ الْمَدَائِحَ مَدَّةً فَالْيَوْمَ صَرْتَ تَنْحَا بِالْأَشْعَارِ

وقالت جنوبُ أخت عمرو [ذى الكلب] :

للجنوب في
أخيها عمرو

سَأَلْتُ بَعْمُرًا أَخِي صَحْبَهُ فَأَفْطَعَنِي حِينَ رَدُّوا السُّوَالَا

وقالوا : أتيح له ^(١) نأتما
 أتيح له ^(٢) نَمْرًا أَجْبَلِ
 فَأَقْسِمُ بِأَعْمُرُو لَوْ نَبَّأَكَ
 [إِذَا نَبَّأَ لَيْثَ عَرَبِيَّةٍ
 إِذَا نَبَّأَ غَيْرَ رَعِيدَةٍ
 هَا مَعَ تَصْرِفِ رَبِّ الْمُنُونِ
 وَقَالُوا : قَتَلْنَاهُ فِي غَارٍ
 فَهَلَا إِذَا قَبَلَ رَبِّ الْمُنُونِ
 وَقَدْ عَلِمْتَ قَهْمَ عِنْدَ الْإِقَاءِ
 كَأَنَّهُمْ لَمْ يَحْسُوا بِهِ
 وَلَمْ يَنْزِلُوا بِمَحْوِلِ السَّنِينِ
 وَقَدْ عَلِمَ الضَّيْفُ وَالْمُرْمُلُونَ
 وَخَلَّتْ عَنْ أَوْلَادِهَا الْبِرْضَعَاتُ
 بِأَنَّكَ كُنْتَ الرَّبِيعَ الْمُقَيْثَ
 وَخَرَقَ تَجَاوَزَتْ مَجْهَوْلَهُ
] فَكُنْتَ النَّهَارَ بِهِ شَمْسَهُ
 وَحَى صَبَحَتْ وَحَى أَبْحَتْ
 وَكَمْ مِنْ قَبِيلٍ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ

قال عمرو بن شبة : وكان عمرو بن عاصم هذا يَغزُو قَهْمًا فيصيب منهم ،
 فوضعو له رصدا على الماء ، فأخذوه فقتلوه ، ثم مرؤوا بأخته جَنُوبَ ، فقالوا : أَخَاكَ !
 فقالت : لئن طلبتموه لتجدنّه [منيعا ، ولئن ضفتتموه لتجدنّه مريعا ، ولئن وعدتموه

(١) يروي « أعز السباع عليه أحلا » (م)

(٢) يفتيك : يطلب حاجته منك (م)

(٣) الحرق : الصحراء الواسعة الأطراف ، والوجناء : الناقة ، والسكلال : التعب (م)

لتجدنه [سريعا ! فقالوا : قد أخذناه فقتلناه ، وهذا نبه . فقالت : والله إن
سلبتموه لا تجدون ثنته وافية ، ولا حجرته جافية ، ولرب ندى منكم قد افترشه ،
وسهب قد احتوشه ؛ ثم قالت الأبيات المتقدمة الذ كر .

وأشده أبو حاتم ولم يقل قائله :

ألا في سبيل الله ماذا تضممت بطون الثرى واستودع البلد القفر
بدور إذا الدنيا دجت أشرفت بهم وإن أجذبت يوما فأيديهم القطر
فيا شامتاً بالموت لا تسمتن بهم حياتهم فخر وموتهم ذكر
أقاموا بظهر الأرض فاخضر عودها وصاروا ببطن الأرض فاستوحش الظهر
وقال أبو عبد الله العتيبي ، وتوفى له بنون فجمع بهم ومات في آخرهم ابن

لأبي عبيد الله العتيبي يرضى ابنه له يكتى أبا عمرو كان يقول الشعر ؛ فقال يرثيه :

لقد شمت الواشون بي وتغيرت وجوه أراها بعد موت أبي عمرو
تجرى على الدهر لما فقدته ولو كان حيا لاجترأت على الدهر^(١)
أسكان بطن الأرض لو يقبل الفدى فدينا ، وأعطيناكم ساكني الظهر
فيا ليت من فيها عليها ، وليت من عليها توى فيها مقيا إلى الحشر
وقاسمني دهرى بنى مشاطرا فلما توفى شطره مال في شطرى^(٢)
فصاروا كأن لم يعرف الموت غيرهم فشكل على نكل وقبر على قبر
وقال في ابن توفى صغيرا .

إن يكن مات صغيراً فالأسى غير صغير
كان ریحاني فأمسى وهو ریحان القبور
عرسته في بساتين البلى أيدي الدهر

(١) تجرى : أصله تجراً فسهل الهمز بقلبها ألفا (م)

(٢) توفى : استوفى (م)

ومن هنا أخذ أبو الطيب المتنبي قوله :

فإن تك في قبر فإنك في الحشا
وقال خلف بن خليفة الأقطع :

خلف بن خليفة
الأقطع

وقد يضحك الموتور وهو حزين
وأعاب نفسي إن تبسمت خاليا
وبالبد أشجاني وكم من شج له
وربي حولها أمثالها إن أتيتها
كفي الهجر أنا لم يضح لك أمرنا
وقال أبو عطاء السندی في ابن هبيرة :

أبي عطاء
السندی

الآن إن عينا لم تجد يوم واسط
عشية قام النامحات وشققت
فإن تمس مهجور الفنا فر بما
فإنك لم تمعد على متعهد
عليك بياقي دمعها لجمود
جيوب بأبدى ماتم و حدود (١)
أقام به بعد الوفود وفود
بلى كل ما تحت التراب بعيد
أعرابي :

لأعرابي

ومن عجب أن بت مستودع الثرى
فلو أنني أنصفتك الود لم أبت
سأحي الكرى عيني وأقرش الثرى
وبعدك لا آسى لعظم رزية
وبت بما زودتني متمما
خلافك حتى ننتوي في الثرى معا
يعني إذا صار الثرى لك مضجعا
قضيت فتوت المصاب أجمعا

ومعنى هذا البيت الأخير تداوله الناس نظما ونثرا .

[قال أبو نواس في الأمين]

طوى الموت ما بيني وبين محمد
وليس لما تطوى النية ناشر

(١) الماتم : النساء يحضرن الجنازة (م)

لئن عمّرت دوراً بمن لا أحبه لقد عمّرت من أحبّ للقابر
 وكنّ عليه أخذ رُلوتٍ وحده فلم يبق لي شيء عليه أحاذر
 وقيل لأمّ الهيثم السدوسية : ما أسرع ماسلوت عن ابنك الهيثم ! قالت :
 أما والله لقد رزّته كالهدر في بهائه ، والرمح في استوائه ، والسيف في مضائه ؛
 ولقد فتّنت مصيبتُه كبدى ، وأفنى فقدّه جدى ، وما اعتضتُ من بعده إلا
 أمنّ المصائب لفقده .

أم الهيثم
السدوسية

وعزّى أبو العيناء أحمد بن أبي دُواد عن ولدٍ له ، فقال : ما أصيب من أئيب
 والله لقد هان لفقده ، جليل المصائب من بعده .

أبو العيناء
يعزى

وأدخِل أعرابي من بادية البصرة إلى الشام ومعه بنون ، فلما كان يقشّرين
 بنوه بالطاعون مات بنوه بالطاعون فقال :

لأعرابي مات

أبعد نبيّ الدهر أرجو غصارة
 غطّارفة زهر مضمواً السيليم
 سقى الله أجساداً ورأى تركتها
 يحاضر قنسرين من صيب القطر
 يذكّرنيهم كلّ خير رأيتُهُ
 وشريّ ، فما أفكّ منهم على ذكر
 هذا البيت كقول الآخر :

رعاكِ ضمانُ الله يا أمّ مالك
 يذكّرنيك الخير والشرّ والذي
 وقال مسلم بن الوليد :

مسلم
ابن الوليد

وإني وإسماعيل يوم وداعه
 أما والحبالات الممرات بيننا
 لكالفمديوم الرّوع فارقه أنصّل
 رسائل أدتها المودة والوحد^(١)
 بما خنت عهداً من إخاء ولا نأى
 بذكراك نأى عن ضميري ولا شغل

(١) في نسخة « وسائل أدتها المودة والأهل » (٢)

وإِنِّي فِي مَالِي وَأَهْلِي كَأَنِّي لَفَقَدْتُ لِمَالِي لَدَى وَلَا أَهْلِي
يَذْكُرُنِيكَ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ وَالْحِجَابُ وَقِيلَ الْخَيْرُ وَالْحِلْمُ وَالْعِلْمُ وَالْجَهْلُ
فَأَلْقَاكَ عَنْ مَذْمُومِهَا مَتْرَهًا وَأَلْقَاكَ فِي مَحْمُودِهَا وَلَكَ الْفَضْلُ
وَأَحَدٌ مِنْ إِخْلَافِكَ الْبِخْلَ إِنَّهُ بَعْرُضُكَ لَا بِالْمَالِ حَاشَى لَكَ الْبِخْلُ
أَمْتَجِعًا مَرَوًّا بِأَمْقَالِ هَمَّةٍ دَعِ الثَّقَلَ وَاحْمِلْ حَاجَةَ مَا لَهَا ثَقُلُ
ثَنَاءً كَعُرْفِ الطَّيِّبِ يَهْدِي لِأَهْلِهِ وَليْسَ لَهُ إِلَّا بَنِي بَرَمِكِ أَهْلُ
فَإِنْ أَغْشَى قَوْمًا بَعْدَهُمْ أَوْ أُرْوَرَهُمْ فَكَالْوَحْشِ يَذِيهِمَا مِنَ الْقَنْصِ الْمَحْلُ
وَمَنْ أَلْفَاظَ أَهْلَ الْمَصْرِ فِي التَّمَازِي وَمَا يَتَعَاقَبُ بِمَعَانِيهَا

من ذكر البكاء والجزع وعظم المصائب

خَيْرٌ عَزَى عَلَى النَّفْسِ مَسْمَعُهُ، وَأُثْرٌ فِي الْقُلُوبِ مَوْقَعُهُ . خَيْرٌ تَصَطَّقُ
لَهُ السَّمْعُ ، وَتَرْتِجُ بِهِ الْأَضَالِعَ ، وَتَسْقُطُ لَهُ الْحَبَالُ ، وَتَضْحُو مِنْهُ السَّكَارَى
خَيْرٌ كَادَتْ لَهُ الْقُلُوبُ تَطِيرُ ، وَالْعُقُولُ تَطِيْشُ ، وَالنَّفُوسُ تَطِيحُ . خَيْرٌ يَخْفِضُ
الْبَصَرَ وَيَقْذِيهِ ، وَيَقْبِضُ الْأَمَلَ وَيَقْدَحُ فِيهِ . الْخَيْرُ فِي أَثْنَاءِ الرَّجَاءِ قَدْ انْقَطَعَ ،
وَأَضْمٌ بِهِ النَّاعَى وَقَدْ أَسْمَعَ . نَاعَى الْفَضَائِلِ قَائِمٌ ، وَأَنْفُ الْحَاسِنِ رَانِمٌ . خَيْرٌ
أُحْرَجَ الصَّدْرُ ، وَأَحْلَى الْبَسْكَاءُ ، وَحَرَّمَ الصَّبْرُ ، وَأَطَارَ وَانْعَمَ السَّكُونُ ، وَأَنَارَ
كَامِنَ الْوُجُوهِ ، وَثَقَلَتْ وَطْأَتُهُ عَلَى أَجْزَاءِ النَّفْسِ ، وَتَادَتْ مَعْرِتَهُ إِلَى سِرِّ
الْقَلْبِ . كَتَبَتْ وَالْأَرْضُ وَاجِفَةً ، وَالشَّمْسُ كَاسِفَةً ، لِلرِّزْقِ الْعَظِيمِ ، وَالْمُحْصَابِ
الْجَسِيمِ ، فِي فَلَكَ الْمَلِكِ ، وَرُكْنِ الْمَجْدِ ، وَقَرِيحِ الشَّرْقِ وَالغَرْبِ ، وَمَا عَسَى
أَنْ يُقَالَ فِي الْفَلَكَ الْأَعْلَى إِذَا انْهَارَ مِنْ جَوَانِبِهِ ، وَتَهَافَتَ عَلَى مَنَابِكِهِ .
أَتَى النَّاعَى ^(١) ، فَندب المساعي ، وقامت بواكي المجد ، وكسفت شمس الفضل ،

(١) الناعى : الذى يخبر بموت الميت (م)

وعاد النهارُ أسودَ ، والعيشُ أنكد . غربَ لموته نجمُ الفضلِ ، وكسدت سوقُ
الأدبِ ، وقامت نواذب السباحة ، ووقف فلكُ الكرمِ ، ولطمت عليه المحاسن
خودها ، وشقت له المناقب جيوها [وبرودها] ، قد كانت الرزيةُ بحيث مارت
السماءُ مورا ، وسارت الجبالُ سيرا ، حتى شوهدت الكواكبُ ظهرا ، ثم تهافت
شغفاً ووترا ، فارتاعت الأمة ، وانبسطن الظلمة ، وارتفعت الرخمة ، واضطربت
الملة ، وقامت نواذبُ المجد ، وأصبح الناسُ من القيامةِ على وعد . إن المجدَ بعده
لجاري الدمع ، وإن الفضلَ لمزجج النفس ، وإن الكرمَ لخرجُ الصدر ، وإن
الملوكَ لواهِنُ الظهور^(١) . كتابي وأنا من الحياة متذتم ، وبالعيش متبرم ، بعدما ماد الطود
الشامخ ، وزال الجبل الباذخ ، ونطقت نواذبُ المجد ، وأقيمت ما تم الفضل .
نمي فلان فتذكر وجهُ الدهر ، وقبضت مُهجةُ الفخر ، فلا قلبَ إلا قد تباين
صدعه ، ولا عينَ إلا وهى ترشحُ بالدمِ بعده . كتبتُ والأحشاء محترقة ، والأجنانُ
بماها غرقة ، والدمعُ واكيفُ ، والحزنُ عاكف . مصابُ أطلقُ أشربَ الدموع
وفرَقها ، وأقلقُ أعشارَ القلوب وأحرقها ، مصابُ فضَّ عقودَ الدموع ، وشبَّ
النارَ بين الضلوع . مصابُ أذاب دموعَ الأحرار ، فتحلبت^(٢) سحائبُ الدموع
الغزار ، وانسدت مسالكُ السكون والاستقرار . كتبتُ عن عين تدمع ، وقابِ
يجزع ، ونفس تهلع^(٣) ، وقد أدلَّتْ مَصُونُ القبرة ، وحجبتُ وافِدَ الحيرة ، ومدَّ
الهمُّ إلى جسمي يدَ السقم ، وجرَّ الدمعُ على خدي ذبولَ الدم . لولا أن العينَ
بالدمع أنطقُ من كل لسان وقلم ، لأخبرتُ عن بعض ما أوْهَنَ ظَهْرِي ، وأوْهَى
أزْرِي . إنَّ الفجیعة إذا لم تحاربْ بجيشٍ من البكاء ، ولم يخففَّ من أتفائها بالاشتكاء ،
تضاعفَ دأؤها ، وازدادتْ أعباؤها ، وعزَّ دأؤها . قد شفيتُ غليلي بما استذرتُّه

(١) واهن : ضعيف ، وواهِنُ الظهور : كناية عن ضعف احتمالهِ الأعباء (م)

(٢) تحلبت : سالت وانهمرت (م) (٣) تهلع : تحزن (م)

من أسراب الدموع المتحيرة ، وخففتُ عنى بعض البرحاء بما امتريته من أخلافها المتحدرة . إن في إسئال العبرة ، وإطلاق الزفرة ، والإجهاش بالكاء والنشيج ، وإعلان الصياح والضجيج ، تنفيساً عن برحاء القلوب ، وتخفيفاً من أفعال الكروب . قد أتى الدهرُ بماهد الأصلاب ، وأطار الأبواب ، من النازلة الهائلة ، والجميعمة الفظيمة . زُرُّه أضعف العزائم القوية ، وأبكى العيون البكية . مصيبة زلزلت الأرض ، وهدمت الكرم المخفض ، وسلبت الأجان كراها ، والأبدان قواها . نجعة لا يداوى كلمها أس^(١) ، ولا يسد ثلمها تناس . مصيبة تركت العقول مدلهة ، والنفوس مؤالهة . زُرُّه هض وهاض^(٢) ، وأطال الانحزال والانخفاض ، ولم ترص بأن فص الأعضاء ، حتى أفاض الدماء . زُرُّه ملا الصدور ارتياعا ، وقسم الأبواب شعاعا ، وترك الجفون مقروحة ، والدموع مسفوحة ، والقوى مهدودة ، وطرق العزاء مسدودة . زُرُّه نكا القلوب وجرحها ، وأحر الأكبأ وقرحها ، مالى يد تخط إلا بكلفة ، ولا نفس تردد إلا في غصة ، ولا عين تنظر إلى من وراء قذى ، ولا صدر ينطوى إلا على أذى ؛ فالدموع واكفة ، والقلوب واجفة ، والهَمَّ وارد ، والانسُ شارد .

والناسُ ماتمهم عليه واحدٌ في كل دار زنة وزفير
 كاني كندة وهي تلتف على حجر^(٣) ، والنساء تبكي على صخر . أنا بين
 عبرة وزفرة ، وأنه وحسرة ، وتلمل واضطراب ، واشتعال والتهاب . مصيبة
 أصبحت لغمها وقيدا ، ولكرهتها أخيدا . كتبت وقد ملك الجزع عزائي ،
 وحصل ناظري في إسار بكائي ، فالقلب دهش ، والبنان يرتعش ، وأنا من البقاء
 متوحش . قد انتهى بي الهلع إلى حيث لا التأمي مصحب ، ولا التناهي مصاحب ،
 بي انزعاج يحل عقد الحزوم ، واكتئاب ينقض شروط العزم . قد بلغ الحزن ميلاً

(١) الكلم : الجرح ، والآسى : المعالج (م)

(٢) هض : كسر وددق ، وهاض العظم : كسره (م)

(٣) حجر : كان ملك كندة ، وقتله بنوأسد ، وهو أبوإصرى القيس الشاعر (م)

لم أبتدله للنواب ، وإن جلت وقفاً ، ونالت منى منالا لم يعتد طرق المصائب ،
وإن عظمت فجما . كتبتُ عن اضطرابِ نفسٍ ، واضطرابِ صدرٍ ، والتهابِ
قلبٍ ، وانتهابِ صبرٍ ؛ فما أعظمه مفقوداً ! وما أكرمه ملحوداً ! إني لأنوح عليه
نوح^(١) المناقب ، وأزئبه مع النجوم الثواقب ، وأبكيه مع المعالي والحاسن ، وأثني
[عليه] ببناء المساعي والمآثر : ليت يمين الزمانِ شلتُ قبل أن فتكتُ بمُجبه
الفضل ، وعين الزمانِ كفتُ قبل أن رأت مَصْرَعِ الفخر . لقد رُزينا من فلان
علماً في شخص ، وأمةً في نفس . مضى والحاسنُ تَبْكِيهِ ، والمذاقبُ تعزّي فيه .
العيونُ لما قرّت به أسخنها فيه ريبُ المنون ، ولما شرّحت به الصدور قبضها
بفقدته المقدور . قد ركب على الأعناق ، بعد العتاق ، وعلى الأجياد بعد الجياد ،
وفاح فنتت المسك من مآثره ، كما يفوح العنبر من مجامره . كان منزله مألف
الأضياف ، ومأنس الأشراف ، ومُنْتَجِعِ الركب ، ومَقْصِدِ الوَفْد ، فاستبدل
بالأنس وحشة ، وبالفضارة غُبرة ، وبالبياض ظُلمة ، واعتاض من ترأحم المراكب
تلادّم المآثم ، ومن ضجيج النداء والصهيل ، عجيج البكاء والعويل . هذى المبكارم
تُبْدِي شجوها لِفَقْدِهِ ، وتلبس حِدادها من بعده ، وهذى الحاسنُ قد قامت
نوادبها مع نوابه ، واقترنت مصائبها بمصائبه . لو قُبِلتِ الفِدَاية لوقيتُهُ بنفسى
وأيامِ عمرى ، علماً بأنّ العيشَ بمثله من إخوان الصفا يصفو ، وبظلمته عن الدنيا
يكدرُ ويَعْفُو . لو وُقِيَ من الموت عزيزُ قومٍ لعزّته ، أو كبيرُ بأولاده وأسرته ،
أو ذو سلطان باستطالته وقدرته ، أو زعيم دولةٍ بحشده وعُدته ، لكان الماضى
أحقّ من وقى وأولى من فدى ، وكُنّا أقدر على دفع ما حدث ، وذَبَّ ما كرت
وأزهدق ؛ لكنه الأمرُ المسوّى فيه بين من عزّ جانبه وذللّ ، وكثر ماله وقلّ ،
حتى لحق المفضولُ بالفاضل ، والناقصُ بالكامل .

(١) في نسخة « بنوح المناقب » والمناقب : جمع منقبة ، وهي الخصلة من خصال

الشرف (م)

ولهم فيما يطابق هذا النحو من وصف الدهر وذم الدنيا

هو الدهرُ لا يُعْجَبُ من طوارقه ، ولا ينكر هجوم بوائقه . عطاؤه في ضمان
الارتجاع ، وحيأؤه في قرآن الاتزاع . من عرف الزمان لم يستشعر منه الأمان ،
وتصرف الحوادث ، بين الموروث والوارث . الدهرُ مشحون بطوارق الغير ،
مَشُوبٌ صَفْوُ إِيامِهِ بالكَدَرِ ، ممزوج صَابُهُ بالعسل ، موصولةٌ حبالُ الأمانِ فيه
بأسباب الأجل . قد جعل الله الدنيا دارَ قلعة ، ومحلَّ نُقْلَةٍ^(١) ، فمن راحل ليومه ، ومن
مؤخر لغده ، وكلُّ متشوفٍ لأجله ، وجارٍ لأمده . ما الدنيا إلا دار النقلة ،
ولا المقام فيها إلا للرحلة ، إن المرءَ حقيق إذا طرقه بما يتحيف صبره [ويتطرق
صدره] ، أن يعودَ إلى علمه بالدنيا كيف نُصِبَتْ على الثقلَةِ ، وجنبت طويل
المهلة ، وابتدنت بالفناء ، وشفع كونها بالفساد ، وأن الناوى فيها راحل ، والأيام
فيها مرآحل . موهوب الدنيا مسلوب وإن أُرْجِيَءَ إلى مهل ، وممنوحها مجذوب
وإن أُخِّرَ إلى أجل . لو خلد من سبق ، لما وسعت الأرضُ مَنْ لَحِقَ ؛ ولذلك
جعلت الدنيا دارَ قلعة^(١) ، ومحلَّ نجمة .

سُبِقْنَا إلى الدنيا فلو عاش أهلها . مُنِعْنَا بها من جَيِّئَةٍ وذُهِبَ
تَمَلَّكُهَا الآتِي تَمَلَّكَ سَالِبٍ . وفارقها الماسي فراق سليب
وقال عتبة بن هارون : كنتُ مع فضل الرقاشي ، فمرَّ بمقبرة ، فقال : يا أهل
الديار الموحشة ، والحال المفقرة ، التي نطق بالخرابِ فناؤها ، وشيَّد بالترابِ بناؤها ،
سأكنها مُعْتَرِبٌ ، ومحلها مُعْتَرِبٌ ، أهلُ هذه المنازلِ متشاغلون ، لا يتواصلون
تواصل الإخوان ، ولا يتزاورون تزاور الجيران ، قد طحنهم بكلِّ كليله البلي ،
وأكلهم الجندل والثرى .

(١) دار قلعة - بضم القاف وسكون اللام ، وعلى الإضافة - أي دار تحول
وانتقال ، وقد وردت هذه العبارة في كلام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (م)

وقال خافان بن صُبَيْح : لَوْخِشَةَ الشُّكِّ التَّمَسْنَا أَنَسَ اليَقِينِ ، وَمَنْ ذَلَّ
الْجَهْلُ هَرَبْنَا إِلَى عِزِّ الْمَعْرِفَةِ ، وَلِخَوْفِ الضَّلَالَةِ لَزِمْنَا الْجَادَّةَ .

وقال بعضُ الحكماء: كَمَوْنِ الْمَصَائِبِ وَسَكُونِ النُّوَابِ وَبَعَثَاتِ الْمُنَابَا مَطْوِيَّاتِ
فِي السَّاعَاتِ ، مَتَحْرَكَاتِ فِي الْأَوْقَاتِ ، وَرَبِّ مَغْتَبِطِ بِسَاعَةِ فِيهَا انْقِضَاهُ أَجَلِهِ ،
وَمَتَمَعِ بَوَقْتِ صَارَ فِيهِ إِلَى قَبْرِهِ ، وَمُنْتَظَرِ وَرُودِ يَوْمِ فِيهِ مَنِيَّتُهُ .

ووعظ أعرابيٌّ ابنا له أفسد ماله في الشراب ، فقال : لا الدهر يعظك ،
ولا الأيامُ تنذرك ، والساعاتُ تمدُّ عليك ، والأنفاسُ تمدُّ منك ، وأحبُّ أمرٍ إليك
إليك ، أردُّهما للمضرة لديك .

[من مقامات بديع الزمان الهمذاني]

ومن إنشاء بديع الزمان في المقامات : حدثنا عيسى بن هشام قال : كنتُ في
الأهواز في رُفْقَةٍ مَتَى مَا تَرَقَّ الْعَيْنُ فِيهِمْ تَسْهَلُ ، لَيْسَ مَنَّا إِلَّا أَمْرُدُ بَكْرِ الْأَمَالِ ،
بِضِّ الْجَمَالِ ، أَوْ مَخْتَطِّ حَسَنِ الْإِقْبَالِ ، مَرْجُوِّ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِ ؛ فَأَفْضُنَا فِي الْعِشْرَةِ
كَيْفَ [نَضَعُ قَوَاعِدَهَا ، وَالْأَخْوَةَ كَيْفَ] نَحْكُمُ مَعَاقِدَهَا ، وَالسَّرُورَ فِي أَيِّ وَقْتِ
تَتَعَاطَاهُ ، وَالْأُنْسَ كَيْفَ تَتَهَادَاهُ ، وَقَائِمَاتِ الْحِظِّ كَيْفَ تَتَلَفَاهُ ، وَالشَّرَابَ [مِنْ
أَيْنِ نَخْلُصُهُ ، وَالْجُلُوسَ كَيْفَ نَرْتَبُهُ ؟] فَقَالَ أَحَدُنَا : عَلَى الْبَيْتِ وَالْمَنْزَلِ ، وَقَالَ آخَرُ :
عَلَى الشَّرَابِ وَالنَّقْلِ] ، وَقَالَ بَعْضُنَا : إِلَى السَّمَاعِ وَالْجَمَاعِ ، وَقَمْنَا نَجْرُ أَذْيَالِ الْفُسُوقِ ،
حَتَّى انْسَلَخْنَا مِنَ السُّوقِ ، وَاسْتَقْبَلْنَا رَجُلًا فِي طِمْرَيْنِ ، فِي يُمَيْنَاهُ عُكَّازَةٌ ، وَعَلَى
كَتْفِهِ حِنَازَةٌ ^(١) ؛ فَتَطَيَّرْنَا لِمَا رَأَيْنَا الْجِنَازَةَ ، وَأَعْرَضْنَا عَنْهَا صَفْحًا ، وَطَوَيْنَا دُونَهَا
كَشْحًا ، فَصَاحَ بِنَاصِيحَةٍ كَادَتْ الْأَرْضُ لَهَا تَنْفَطِرُ ، وَالنَّجُومُ تَتَنَكَّرُ ، وَقَالَ :
لَتَرَوْنَهَا صُغْرًا ، وَلَتَرَكِبْنَهَا قَسْرًا . مَا لَكُمْ تَكْرَهُونَ مَطِيَّةَ رِكْبَانِ أَسْلَافِكُمْ ، وَسِيرِكَيْهَا
أَخْلَافِكُمْ ، وَتَتَقَدَّرُونَ سِرِيرَ أَوْطَانِ آبَائِكُمْ ، وَسَيَطُوهُ أَبْنَاؤُكُمْ ؟ أَمَا وَاللَّهِ لَتُخْمَلَنَّ عَلَى

تقامة
الأهوازية

(١) الجنازة - بكسر الجيم - سرير الميت (النعش) ما دام فيه (م)

هذه العيْدان ، إلى تلكم الدِيْدان ، ولتنتقلنَّ بهذه الجياد ، إلى تلكم الوهاد .
وَيَحْكُمُ تَطْيَرُونَ^(١) ، كأنكم محيرون ، وتتكهون ، كأنكم منزّهون ، هل تنفع
هذه الطيرة ، يا حجره ؟

قال عيسى بن هشام : فقد نقضَ علينا ما كُنَّا عقْدناه ، وأبطلنا ما
كُنَّا أَرَدْنَاهُ ؛ فَمَلْنَا إِلَيْهِ ، وَقَلْنَا : مَا أَحْوَجُنَا إِلَى وَعْظِكَ ، وَأَعْشَقْنَا لَلْفُظِّكَ !
ولو شئتَ لَزِدْتَ ، قال : إن وراءكم مواردَ أتم واردةِها ، وقد سرَّتم إليها
عشرين حجة :

وإن امرأً قد سارَ عشرينَ حجةً إلى مهملٍ من وِردِهِ لَقَرِيبٌ
وفوقكم من يعلم أسراكم ، ولو شاء لَهتك أستاركم ، يعاملكم في الدنيا بحلم ،
ويقضي عليكم في الآخرة بعلم ، فليكن الموتُ منكم على ذكر ، لثلاثاً تأتوا بنكر ؛
فإنكم متى استشعرتموه لم تجمحوها ، ومتى ذكرتموه لم تمزحوا ، وإن نسيتموه فهو
ذائرُكم ، [وإن نمتم عنه فهو نائركم ، وإن كرهتموه فهو زائرُكم] قلنا : فما
حاجتُك ؟ قال : هي أطولُ من أن تُحدِّدَ ، وأكثر من أن تُعدَّ ، قلنا : فسأخُ
الوقت ؟ قال : ردُّ قائمتِ العُمُرِ ، ودفعُ نازلِ الأمرِ ، قلنا : ما إلى ذلك سبيل ،
ولسكن لك ما شئت من متاع الدنيا وزخرفها ، قال : لا حاجة لي فيها .
قوله * وإن امرأً قد سارَ عشرينَ حجةً * محرف عن قول قائله :

* وإن امرأً قد سارَ خمسينَ حجةً * والبيت لأبي محمد التيمي ،

أنشده دِعْبِل :

إذا ماضى القَرْنُ الذي أنتَ فيهِمُ وخُلِّفَتْ في قَرْنٍ فأنتَ غَرِيبٌ
والبيت بعده . قال دِعْبِل : وتزعم الرواة أنه لأعرابي من بني أسد . وقال
خلاد الأرقط : كُفِّتَ على بابِ أبي عمرو بن العلاء ومعنا التيمي ، فذكرنا كتاب

(١) تطيرون - بتشديد الطاء ، والياء ، جميعاً - أصله تطيرون ، قلب التاء الثانية

طاء ثم أدغمها (م)

الحجاج بن يوسف إلى قتيبة بن مسلم: إني وإياك لِدَتَانُ^(١)، وإن أمرأ قد سار
خمين حجة لَمِين أن يردّه. فأصلحناه بيتاً، فاجتلبه التيمي في شعره.

[من رسائل بديع الزمان الهمذاني]

وكتب البديع إلى أبي القاسم الكرخي: أنا وإن لم ألق تطاول الإخوان إلا
بالتطاول، ونجمل الأحرار إلا بالتجمل، أحاسب الشيخ على أخلاقه ضناً
بما عقدت يدي عليه من الظن به، والتقدير في مذهبه، ولولا ذلك لقلت: في
الأرض مجال إن ضاقت ظلاله، وفي الناس واصل إن رمت حباله، وأواخذه
بأفاله؛ فإن أعارني أذنًا واعيةً، ونفساً مرآعيةً، وقلبا متعظاً، ورجوعاً عن
الذهاب، ونزوعاً يعرّعه من هذا الباب، فرشت لمودته صدرى^(٢)، وعقدت
غليه جوامع خصري، ومجامع عمرى؛ وإن ركب من التعالى غير مركب،
وذهب من التعالى في غير مذهب، أقطعته خطة أخلاقه، ووليته جانب إعراضه،
فكنت امرأ:

من البديع
لأبي القاسم
الكرخي

لا أذود الطير عن شجرٍ قد بلوت المرّ من ثمره

فإني — أطل الله بقاء الشيخ مولاي — وإن كنت في مقبل السن والعمر،
فقد حلبت شطري الدهر^(٣)، وركبت ظهري البرّ والبحر، ولقيت وفدى الخير
والشر، وصاغت يدي النقع والضر، وضربت إبطي العسر والبسر، وبلوت
طعمي الحلو والمر، ورضمت ثدي العرف والنكر؛ فإتكاد الأيام تربي من
أفعالها غريباً، وتسممني من أقوالها مجيباً، ولقيت الأفراد، وطارحت الأحاد؛
فأرأيت أحداً إلا ملأت حافتي سمه وبصره، وشغلت حيزي فكره
ونظره، وأثقلت كفه في الحزن، وكفّته في الوزن؛ وودّ لو بارز القرن

(١) لدة الإنسان - بكسر اللام وفتح الدال مخففة - المساوي له في السن (م)

(٢) في نسخه « فرشت لمودته خوان صدرى » (م)

(٣) حلبت شطري الدهر: كناية عن التجربة والاختبار (م)

بصفحتي ، أو لقي الفضل بصحيفتي ، فإلى صغرته في عينه ؟ وما الذي أزرى بي عنده ؟ حتى احتجب وقد قصدته ، ولزم أرضه وقد حضرته ، وأنا أحاشيه أن يجهل قدر الفضل ، أو يجحد فضل العلم ، أو يمتطي ظهر التيه ، على أهليه ، وأسأله أن يختصني من بينهم بفضل إنعام إن زلت بي مرة قدم رأي في قصده ، وكأني به وقد غضب لهذه الخطابية الجحيفة ، والرتبة المتحيقة ، وهو في جنب جفائه يسير ، وإن أقلع عن عادته إلى الوفاء ، ونزع عن شيمته في الجفاء ؛ فأطال الله بقاء الأستاذ وأدام عزه وتأييده

وله إليه رقعة :

كتاب آخر
من الديق
إلى أبي القاسم

يعزُّ عليّ — أطال الله بقاء الشيخ الرئيس — أن ينوب في خدمته قلبي ، عن قدمي ، ويسعد برويته رسولي ، دون وصولي ، ويرد شرعة الأنس به كثنائي ، قبل ركابي ، ولكن ما الحيلة والعوائق جمة :

وعليّ أن أسمى وليس عليّ إدراك النجاح

وقد حضرت داره ، وقبّلت جداره ، وما بي حبُّ الجُدْران ، ولكن شغفاً بالقُطان ، ولا عشق الحيطان ، ولكن شوقاً إلى السكان ، وحين عدت العوادي عنه ، أملت ضمير الشوق على لسان القلم ، معتذراً إلى الشيخ على الحقيقة ، عن تقصير وقع ، وفتور في الخدمة عرض ، ولكنني أقول :

إن يكن تره كي لقصدك ذنباً فكفي ألا أراك عفاً أباً

كتاب منه
إلى رئيس
هراة

وله جواب إلى رئيس هراة عدنان بن محمد : ورد كتابُ الشيخ الرئيس سيدي ، فظلت وفودُ النعم تترى عليّ ، ومثلت لدى وبين يدي ، وقد أخذ مكارم نفسه ، لجعلها قلادة غرسه ، وتبع المحاسن من عنده ، فخلّى بها نحر عبده^(١) ، وما أشبه رائع حليه ، في نحر واثيه ، إلا بالفرّة اللائحة^(٢) ، على [الدّهمة] الكالحة

(١) في نسخة « فكساها لبعده » (م)

(٢) أصل الفرّة البياض في وجه الفرس ، وأراد البياض مطلقاً ، واللائحة :

الظاهرة ؛ والكالحة : العابسة (م)

لا آخذَ اللهَ الشيخَ بوصفٍ نَزَعَهُ عن عَرْضِهِ ، وَزَرَعَهُ في غيرِ أرضِهِ ، وَنَعَتِ
سَلَخَهُ من خَلْقِهِ وَخَلُقَهُ ، وَأَهْدَاهُ إلى غيرِ مَسْتَحَقِّهِ ، وَفَضَّلَ اسْتِفَادَهُ من فَرَعِهِ
وَأَصْلِهِ ، وَأَوْصَلَهُ إلى غيرِ أَهْلِهِ . ذَكَرَ حَدِيثَ الشُّوفِيِّ وَلَوْ كَانَ الأَمْرُ بِالزِّيَارَةِ حَتْمًا ،
أَوْ الإِذْنِ [جَزْمًا] أَطْلَقَ عِزْمًا ، لَكَانَ آخِرُ نَظَرِي في الكِتَابِ ، أَوَّلُ نَظَرِي
إِلَى الرِّكَابِ ، وَلا سَتَعْنَتْ عَلَيَّ كَلْفُ السَّيْرِ ، بِأَجْنَحَةِ الطَّيْرِ^(١) ، لَكِنَّهُ - أَدَامَ اللهُ
عِزَّةً - صَرَعَنِي بَيْنَ يَدَيْ سَرِيعَةِ النَّبْذِ ، وَرَجُلٍ وَشِيكَةِ الأَخْذِ ، وَأَرَانِي زَهْدًا في
ابْتِغَاءِ ، كَسْوٍ في ارتِفَاءِ ، وَزَاعًا في نَزْوِعِ ، كَذْهَابِ في رُجُوعِ ، وَرَغْبَةً في
كَرْبَةٍ عَنِي ، وَكَلَامًا في الدِّلافِ ، كَالضَّرْبِ تَحْتَ اللِّحَافِ ، فَلَمْ أَصْرِّحْ بِالإِجَابَةِ
وَقَدْ عَرَّضَ بالدَّعَاءِ ، وَلَمْ أُعْلِنِ بِالزِّيَارَةِ وَقَدْ أَسْرَرَ بِالدَّعَاءِ ، وَلَوْ لَمْ يَدْعُنِي بِلِسَانِ
المُحَاجَاةِ ، وَلَمْ يَجَاهِرُنِي بِسَمِ المُنَاجَاةِ ، لَكُنْتُ أَسْرَعُ إِلَيْهِ ، مِنَ الكَرَمِ إِلَى عَظْفِيهِ ،
وَفَسَكْرَتُ في مُرَادِ الشَّيْخِ ، فَوَجَدْتُهُ لا يَتَعَدَّى الكَرَمِ يَشِبُّ نَارَهُ ، وَالْفَضْلِ
يُدْرِكُ نَارَهُ ، وَإِذَا كَانَ الأَمْرُ كَذَلِكَ فَمَا أَوْلَاهُ بِتَرْفِيهِ مَوْلَاهُ ، عَن زَقْفَرَةٍ صَاعِدَةٍ ،
بِسَفَرَةٍ بَاعِدَةٍ^(٢) ، وَتَكْبَاءَ جَاهِدَةٍ وَقَدْ زَادَ سَيْدِي في أَمْرِ المُخَاطَبَةِ ، وَمَا أَحْسَنَ
الاعتِدَالَ ، وَقَدْ كَفَانَا مِنْهُ الأَسْتَاذُ ، وَأَسْأَلُهُ أَلَّا يَزِيدَ ، وَقَدْ بَدَأَ وَيَجِبُ أَلَّا يَبْعِدَ ،
فَلَا تَنْفَعُ كَثْرَةُ العَدِّ مَعَ قَلَّةِ المَعْدُودِ ، وَالزِّيَادَةُ في الحَدِّ مَعَ نَقْصَانِ المَحْدُودِ نَقْصٌ
مِنَ الحَدُودِ ، وَرَبِّ رَجَحَ أَدَى إِلَى خُسْرَانٍ ، وَزِيَادَةُ أَفْضَتْ إِلَى نَقْصَانٍ ، وَرَأَى
الشَّيْخُ في تَشْرِيفِهِ بِجَوَابِهِ مَوْفُوقٌ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

اجتلب قوله في أول هذه الرسالة من قول أبي إسحاق الصابني في جواب

كتاب لبعض إخوانه :

كتاب

من الصابني
لبعض إخوانه

وصل كتابك مشحوناً بلطيف برك ، موشحاً بغامر فضلك ، ناطقاً بصحة

(١) في نسخة « استعنت على السير ، أجنحة » (م)

(٢) في نسخة « بزفرة قاصدة » (م)

عهدك ، صادقاً عن خلوص ودِّك ، وفهمته وشكرتُ الله تعالى على سلامتك
شكراً المخصوص بها ، ووقفتُ على ما وصفته من الاعتدال بي ، وتناهيتُ إليه
من التقرُّب لي ، فإزدتُ على أن أعزَّتني خِلالك ، ونحلتني خِصالك ، لأنَّك
بالفضائل أَوْلَى ، وهي بكَ أحرى ، ولو كنت في نفسي ممن يشتملُ على وصفه
حدِّي إذا حدثت ، أو يحيط بكِاله وصفي إذا وصفت ، أشرعتُ في بلوغها والقرب
منها ، لكن المادح لك مستنقِد لك وسُعه وقد بحسبك ، ومستغرق طوقه وقد
تفصَّك ، فأبلغ ما يأتي به المُثنى عليك ، ويتوصل إليه المطرِي لك ، الوقوف في
ذلك دون منتهاه ، والإقرار بالعجز دون غايته ومداه .

وتقول البديعُ ما ذكره من ترك السفر والبغية بما حضر من قول لابن الرومي
ابن الرومي :

أما حقُّ حاجي عرض مثلك أن ترى له الرِّفْدَ والتَّرفِيهَ أوجبَ وأجبِ
أنت لكي تزدادَ نِعْمَاكَ نعمةً وتعني بوجهِ ناضرٍ غيرِ شاحبِ
وكي لا يقولَ القائلونُ أنا بهُ وعاقبه والقولُ جَمُّ المسائبِ
وليس عجبياً أن ينوبَ تَكَرُّمٌ عُدِيَّتْ به من آمَلِ لك عائبِ
ذِمَامِي تَرعى لا ذِمَامَ سَفِينَةٍ وحقُّ لاحقِّ القِلاصِ النجائبِ^(١)

ودخل على أبي العتاهية ابنه ، وقد تصوف ، فقال : ألم أكن قد نهيتك عن
هذا ؟ فقال : وما عليك أن أتعوّد الخيرَ ، وأنشأ عليه ا فقال : يا بني ، يحتاجُ
المتصوف إلى رقة حال ، وحلاوة شمائل ، ولطافة معنى ، وأنت ثقيلُ الظل ، مظلم
الهواء ، راكِدُ النسيم ، جامدُ العينين ، فأقبل على سوقك ؛ فإنها أعوذُ عليك .
وكان بزّازا .

(١) الذمام - بكسر الذال - العهد ، والقلاص : الإبل الفرية : واحدها قلوص .

والجائب : السريعة السير ، والمفرد محبب ونجبية (م)

فقر من كلام المتصوفة والزهاد والقصاص

نور الحقيقة ، أحسن من نور الحديقة . الزهد قطع العلائق ، وهجر الخلائق .
الدنيا ساعة ، فاجعلها طاعة . التصوف ترك التكلف . قيل لمتصوف : أتبيع
مُرَقَّتَكَ ؟ قال : أرايتم صياداً يبيع شبكته ! وقيل لبعضهم : لو تزوجت ! قال :
لو قدرت أن أطلق نفسي لطلقتها ، وأنشد :

تجرّد من الدنيا فإنك إنما سقطت إلى الدنيا وأنت مجرد
الدنيا نَوْمٌ والآخرة يقظة ، والمتوسط بينهما الموت ، ونحن في أضغاث أحلام .
ذو النون : العبد بين نعمة وذنوب ، لا يصلحهما إلا الشكر والاستغفار .
غيره : ينبغي للعبد أن يكون في الدنيا كالمريض لا بد له من قوت ، ولا يوافق
كل طعام . ليس في الجنة نعيم أعظم من علم أهلها أنها لا تزول .

ابن المبارك : الزهد إخفاء الزهد . إذا هرب الزاهد من الناس فاطلبه ، وإذا طلبهم
فاهرب عنه . من أطلق طرفه كثراً سقته . من سوء القدر فضل النظر . من طواع طرفه ،
تابع حثفه ، ومن نظربعين الهوى جار ، ومن حكم على الهوى جار ، ومن أطال
النظر لم يدرك الغاية ، وليس لناظرٍ نهاية . ربما أبصر الأعمى رُشده ، وأصل
البصير قَصده . وقيل : ربّ حربٍ جُنيت من لفظه ، وربّ حبّ غرس من
لحظة ، وأنشد :

نظرت إليها نظرة لو كسوتها سراويل أبدان الحديد المسرود
لرقت حواشيها وقض حديدها ولأنت كما لأنت لداود في اليد^(١)
وقال سعيد بن حميد :

نظرت فقادتني إلى الختف نظرة . إلى بمضمون الضمير تشير^(٢)

(١) في نسخة « لرق حواشيها » والحواشي : جمع حاشية . وحاشية الثوب :

جانبه (م)

(٢) الختف : اللوت (م)

فلا تصرفن الطرفَ في كل منظرٍ
ولم أر مثلَ الحبِّ أسقمَ ذا هوى
فإنَّ معارِضَ البلاءِ كثيرٌ
لقد صُنْتُ ما بي في الضميرِ لو أنه
ولا مثل حُكْمِ الحبِّ كيف يجورُ
يُصان لدى الطرفِ التومُّ ضميرُ
غيره :

اليوم أيقنت أن الحبَّ متلفَةٌ
كيف الحياة لمن أمسى على شرفٍ
وأن صاحبه منه على خطرٍ
يلوم عينيه أحياناً بذنبيهما
من المنية بين الخوفِ والحذرِ
إذا نأى أو دنا فالقلبُ عندكم
ويحملُ الذنبَ أحياناً على القدرِ
وقلبه أبداً منه على سفرٍ
ونظر محمد بن أسباط الصوفي إلى أبي المثنى الشيباني وقد نظر في وجه غلام
مليح ، فقال : [إياك و] إدامان النظر [فإنه] يكشف الخبر ، ويفضح البشر ،
ويطول به المكثُ في سفر .

وقال المعلى الصوفي : شكوتُ إلى بعض الزهاد فسأداً أجدُهُ في قلبي ، فقال : هل
نظرتَ إلى شيء فتأقتَ إليه نفسك ؟ قلت : نعم ، قال : احفظْ عينيك ؛ فإنك إن
أطلقتهما أوقعتك في مكروه ، وإن ملكتهما ملكتَ سائرَ جوارحك .
وقال مسلم الخواص لمحمد بن علي الصوفي : أوصني ، فقال : أوصيك بتقوى
الله في أمرِك كله ، وإيثار ما يحبُّ على محبتك ، وإياك والنظر إلى كل ما دعاك إليه
طرفك ، وشوقك إليه قلبك ؛ فإنهما إن ملكاك لم تملك شيئاً من جوارحك ، حتى
تبلغ لهما ما يطالغانك به^(١) ، وإن ملكتهما كنت الداعي إلى ما أردت ، فلم يعصيا لك
أمراً ولم يرداً لك قولاً .

قال بعض الحكماء : إن الله عزَّ وجل جعل القلبَ أميرَ الجسدِ ، ومَلِكَ
الأعضاء ؛ فجميعُ الجوارح تنقادُ له ، وكُلُّ الحواسِّ تُطيعه ، وهو مديرُها^(٢)

(١) في نسخة « حتى يطلب بهما ما يطالبانك به » (م)

(٢) وتقرأ « مديرها » بالباء الواحدة (م)

ومصرّتها ، وقائدتها وسائقها ، وبياراته تنبعثُ ، وفي طاعته تتقلبُ ؛ ووزيره العقل ، وعاضدهُ الفهمُ ، ورائده العينان ، وطييعته الأذنان . [وهما في النقل سواء ، لا يكفانه أمراً ، ولا يطويانِ دونه سرّاً ، يريد العين والأذن] .
وقيل لأفلاطون : أيهما أشدّ ضرراً بالقلب السمع أم البصر ؟ فقال : هما للقلب كالجنّاحين للطائر ، لا يستقلّ إلا بهما ، ولا ينهض إلا بقوتهما ، وربما قصّ أحدهما فنهض بالآخر على تعب ومشقة . قيل : فما بال الأعمى يعشق ولا يرى ، والأصم يعشق ولا يسمع ؟ قال : لذلك قلت : إن الطائر قد ينهضُ بأحد جناحيه ولا يستقلّ بهما طيراناً ، فإذا اجتمعا كان ذهابه أمضى ، و [طيرانه] أَوْحَى (١) .

وقال الأسود بن طالوت الجارودي : نظر إلى أبو الغمر الصوفي وقد أطلت النظرَ إلى غلامٍ جميل ، فقال : ويحك ! إنَّ طرفك لعظيم ما اجتنى من البلاء قد عرّضك للمكروه وطول العناء ، لقد نظرت إلى حتمف قاتل للقلوب ، وبلاء مُظهِر للعيوب ، وعارٍ فاضح للنفوس ، ومكروه مُذهِل للعقول ، أكل هذا الاغترار بالله جرأك عليه حتى أمنت مكْرَهه ، ولم تحفّ كيدَه ؛ أعلم أنك لم تكن في وقت من أوقاتك ، ولا حالةٍ من حالاتك ، أقرب إلى عقوبة الله منك في حالتك هذه ، ولو أخذك لم يتخلصك الثقلان ، ولم يقبلُ فيك شفاعَةَ إنس ولا جان .

ونظر محمد بن ضوء الصوفي إلى رجل ينظرُ إلى غلامٍ مليح ، فقال : كفى بالبعد نقصاً عند الله ، وضعةً عند ذوى العقول ، أن ينظرَ إلى كل ما سَنَحَ له من البلاء .

ونظر [أبو] مسلم الخشوعي فأطال النظر ، فقال : إنَّ في خلقِ السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآياتٍ لأولى الألباب . ثم قال : سبحان الله ! ما أهجمَ طرفي على مكروه نفسه ، وأدمنه على تسخط سيده ،

(١) أوحى : أسرع

وأغراه بما نهي عنه ، وألهجه بما حذر منه ! لقد نظرت إلى هذا نظراً شديداً خشيتُ أنه سيفضحني عند جميع من يعرفني في عَرَصَةِ القيامة ؛ ولقد تركني نظري هذا وأنا أستحى من الله تعالى إن غفر لي ! ثم صعق .

ونظر غالب المضرور^(١) إلى غلام جميل على فرس رائع ، فقال : لا أدري بم آداوي طرفي ، ولا بم أعالج قلبي ؟ ما أتوبُ إلى الله من ذنبٍ إلا رجعت فيه ، ولا أستغفرُهُ من أمرٍ إلا أتيت أعظم منه ، حتى لقد استحييتُ أن أسأله المغفرة لما يلحق قلبي من القنوط من عفوه ، لعظيم حالي بالمنكر الذي أصنعه . فقال له قائل : وأي منكر أتيت ؟ فقال : أتريدُ مني أكثر من نظري هذا ! والله لقد خشيتُ أن يبطل كلُّ عمل قدمته ، وخير أسلفته ، ثم بكى حتى ألصق خده بالأرض .

ورأى بعضُ الزهاد صوفياً يضحكُ إلى غلام جميل ، فقال له : يا خارب القلب ، ويا مفتضح الطرف ؛ أما تستحي من كرامِ كاتبين ، وملائكة حافظين ، يحفظون الأفعال ، ويكتبون الأعمال ، وينظرون إليك ، ويشهدون عليك ، بالبلاء الظاهر ، والغِلِّ الدخيل الخامر ، الذي أقت نفسك فيه مقام من لا يبالي من وقف عليه ، ونظر من الخلق إليه .

وقال أبو حمزة بن إبراهيم : قلت لمحمد بن العلاء الدمشقي - وكان سيد المتصوفة ، وقد رأيتُه يمشي غلاماً وضيئاً مدة ثم فارقه - : لم هجرتَ ذلك الفتى بعد أن كنتَ له مواصلاً ، وإليه مائلاً ؟ فقال : والله لقد فارقتُه من غير قلبي ولا مَلَلٍ ؛ ولقد رأيتُ قلبي يدعوني إذا خلوت به ، وقربت منه ، إلى أمر لو أتيتُه لسقطت من عين الله عز وجل ؛ فهجرتُه تنزيهاً لله ولنفسى عن مصارع الفتن ، وإني لأرجو أن يعقبني سيدي من

(١) في نسخة « غالب المضرور » (م)

مفارقة ما أعقب الصابرين عن بحارمه عند صدق الوفاء بأحسن الجزاء؛ ثم
بكي حتى رحمته .

قال أبو حمزة : ورأيتُ مع أحمد بن علي الصوفي بيت المقدس غلاماً جميلاً ،
قلتُ : منذ كم صحبتك هذا الغلام ؟ فقال : منذ سنين ، قلت : لو سرتما إلى
بعض المنازه فكنتما فيه كان أحمد لكما من الجلوس في المسجد بحيثُ يراكما
الناس ؟ فقال : أخافُ احتيالَ الشيطان عليّ به وقت خلوتي ، وإني لأكره أن
يراني الله فيه على معصية فيفترق بيني وبينه يوم يظفر الحبون بأحبابهم
قال أبو الفتح البستي :

تنازع الناسُ في الصوفيّ ، واختلفوا فيه وظنّوه مشتقاً من الصوفِ
ولست أمحل هذا الاسمَ غيرَ فتى صافي فصوفي حتى لقب الصوفي
ورأى بقرات رجلاً من تلامذته يتفرّس في وَجْه أوحياً ، وكانت فائقة
الجمال ، فقال : ما هذا الشغل الذي منعك الروية والفكرة ؟ فقال : التعجبُ
من آثار حكمة الطبيعة في صورة أوحياً ، فقال : لا تجعلنَ نظرك لشهوتك مركباً ،
فيجمع لك في الوحول الأذية ^(١) ؛ ولتكنْ نفسك منه على بال ، إن آثار
الطبيعة في وَجْه أوحياً الظاهرة تمحق بصرك ، وإن فكرت في صورتها الباطنة
تحد نظرك .

وقال بعضهم : رأيتُ جاريةً حسناء الساعدِ ؛ قلت : يا جارية ،
ما أحسن ساعدك ! فقالت : [أجل ، لكنه] لم تختص به ، فغضَّ بصرَ جسمك
عما ليس لك ؛ لينفتح بصرُ عقلك فتري مالك .

(١) في نسخة « ليجمع لك ذحول الأذية » (م)

الرأى والهوى

وقال بعضُ الفلاسفة اليونانيين : فضلُ ما بين الرأى والهوى أنَّ الهوى يُحْصَى والرأى يعمُّ ، وأنَّ الهوى فى حيز العاجل ، والرأى فى حيز الآجل ، والرأى يبق على طول الزمان ، والهوى سريع الدثور^(١) والاضمحلال ، والهوى فى حيز الحس ، والرأى فى حيز العقل .

وقال بعضُ الحكماء : من انقاد لهواه عرضته الشهوات .

وقال آخر : من جرى مع هواه طلقاً^(٢) ، جعل عليه للذل طرفاً .

وقال ابن دُرَيْد : أوصى بعضُ الحكماء رجلاً فقال : أمرك بمجاهدة هواك؛ فإنه يقال : إنَّ الهوى مفتاحُ السيئات، وخصمُ الحسنات، وكلُّ أهوائك لك عدو، وأعداها هوى يكتمك نفسه ، وأعدى منه هوى يمثل لك الإثم فى صورة التقوى ، ولن تفصل بين هذه الخصوم إذا تناظرت لديك إلا بجزم لا يشوبه وهن^(٣) ، وصدق لا يطعم فيه تكذيب ، ومضاء لا يقاربه التثبيط ، وصبر لا يغتاله الجزع ، وهمة لا يتقسمها التضييع

وقال أبو العتاهية :

لا تأمن الموتَ فى طرفِ وفى نفسٍ	ولو تمنعت بالحجاب والحرس
فما تزالُ سهامُ الموتِ نافذةً	فى جنبِ مُدْرِعٍ منا ومُسْتَرَسٍ ^(٤)
ما بالُ دِينِكَ ترضى أنْ تدنسهُ	وثوبك الدهرِ مغسولٍ من الدنسِ
ترجو النجاةَ ولم تسلكِ مسالكها	إنَّ السفينةَ لا تجرى على بئس

[من البد بدائه فى مجالس الخلفاء]

خرج شبيب بن شيبه من دار المهدي، فقيل له : كيف رأيتَ الناس؟ قال :

(١) الدثور : الهلاك (م)

(٢) طلقاً - بفتح الطاء واللام ساكنة أو مفتوحة - شوطاً (م)

(٣) الوهن - بالتحريك - الضعف (م)

(٤) المدرع : لابس المدرع ، وأصله متدرع ، والمترس : لابس الترس (م)

رأيتُ الداخلَ راجياً والخارجَ راضياً . نحا إلى هذا المعنى ربيعةُ الرقي فقال :

قد بسطَ المهديَّ كفَّ الندى للناس والعفو عن الظالم
فالراجلُ الصادرِ عن بابه مبشراً للواردِ القادم

وقال مسلم بن الوليد في نحو هذا المعنى :

جزيت ابن منصورٍ على نأى داره جزاءً مقسراً بالصنيعة شاكر
فتى راغماً الأموالَ واصطنع الملاماً وأرثت نيرانَ الندى للعشائر^(١)
[ترى الناسَ أرسلوا على باب داره] [على آمنٍ يحدو به حملُ صادرٍ^(٢)]

وقال المتنبي :

وألقى الغمَّ الضحكاً أعلم أنه قريبٌ بذي الكفِّ المَفدأةِ عهدُهُ

دخل خالد بن صفوان على أبي العباس السفاح ، وعنده أخواله من نبي
الحارث بن كعب ، فقال : ما تقولُ في أخوالي ؟ فقال : هم هامة الشرف ، وعزَّز نين
الكرم ، وغرسُ الجود ، إن فيهم تلصلاً ما اجتمعت في غيرهم من قومهم ؛
إنهم لأطولهم أمماً ، وأكرمهم شياً ، وأطيبهم طعماً ، وأوفاهم ذمماً ، وأبعدهم همماً ،
الجرة في الحرب ، والرَّفد في الجذب ، والرأس في كل خطب ، وغيرهم بمنزلة
العجب^(٣) . فقال : وصفت أبا صفوان فأحسنت ، فزاد أخواله في الفخر ؛ فغضب
أبو العباس لأعمامه ، فقال : أفرُّ يا خالدُ ؟ قال : أعلى أخوال المؤمنين ! قال : وأنت
من أعمامه ؟ قال : كيف أفاخر قوماً هم بين ناسج برد ، وسانسِ قرد ، ودابغ جلد^(٤) ،
دلَّ عليهم هدهد ، وغرقهم جرد ، وملكتهم أم ولد ! فأشرق وجهُ أبي العباس .
قال يوت ابن المزرع : سمعتُ خالي الجاحظ ، وذكر كلام خالد
هذا ، فقال : والله لو فكر في جمع معانيهم ، واختصار اللفظ في متآلبهم ،

أخوال
السفاح

(١) أرت النار : أوقدها ، وفي كافة النسخ « وأثبت نيران - إلخ » (م)

(٢) صدر هذا البيت مذكور في نسخة ، وعجزه عن ديوان مسلم بن الوليد (م)

(٣) العجب - بالفتح - أصل الذنب ومؤخر كل شيء .

(٤) في نسخة زيادة « وراكب عرد » والعزد - بفتح العين وسكون الراء - الحمار (م)

بعد ذلك المدح للمذهب سنةً لكان قليلاً ، فكيف على بديهته لم يرَضْ له فكرياً .
هكذا أورد هذه الحكاية الصولى ، وقد جاءت بأطول من هذا ،
وليس من شَرَطْنَا .

لمعن بن أوس

قال معن بن أوس الهذلى :

لعمرك ما أدري وإني لأوجَلُ على أيّنا تَأْتَى المنيّةُ أولُ
وإني أخوك الدائمُ الودُّ لم أحُلْ إذا ناب خطبُ أو نبأ بك منزلُ ^(١)
كأنك تشفى منك داءٌ مساءً وسُخِطِى ، وما فى ربيتى ما تمَجَلُ
وإن سوءتنى يوماً صبرتُ إلى غدٍ ليعقبَ يوماً آخرُ منك مُقبِلُ
ستقطع فى الدنيا إذا ما قطعنى يمينك فانظُرْ أى كفتَ تبدَلُ
وفى الناس إن رثتُ حبالك واصلُ وفى الأرض عن دارِ القلى مُتحوّلُ
إذا أنت لم تنصفِ أخاك وجدتهُ على طرف الهجران إن كان يعقلُ
ويركب حدَّ السيفِ من أن تضيّمهُ إذا لم يكن عن شفرةِ السيفِ مزحلُ
وكنْتُ إذا ما صاحبُ رامٍ ظنتى وبدلٌ سوءاً بالذى كان يفعلُ
قلبتُ له ظَهَرَ المِجَنِّ ولم أدمُ عليه العهد إلا ريثما أتحوّلُ
إذا انصرفتِ نفسى عن الشيء لم تكد على بوجهٍ آخرِ الدهر تُقبَلُ

ودخل عبد الله بن الزبير على معاوية بن أبي سفيان وأنشد شعر معن ، فقال :
لمن هذا ؟ فقال : لى يا أمير المؤمنين ، قال : لقد شعرتَ بعدى يا أبا بكر ! ثم
دخل عليه معن فأنشد الشعر بعينه ، فقال : يا أبا بكر ، ألم تقل إنه شعرك ؟ فقال :
يا أمير المؤمنين ، إنه ظنرى ^(٢) فما كان له فهولى . أراد معاوية معاوية فعاتبه بشعر
معن ؛ ليبلغ ما فى نفسه ، وليس ادّعاؤه له على حقيقة منه .

(١) حفظى «الدائم العهد لم أحن * إن ابراك خصم - إلخ » (م)

(٢) ظنر الرجل - بكسر الظاء وسكون الهمزة - ابنه من الرضاع (م)

(١٦ - زهر الآداب ٣)

وقال خالد بن صفوان : دخلتُ على هشام بن عبد الملك ، فاستدّ نائي حتى كنت أقرب الناس إليه ، ثم تنفّس الصعداء ، وقال : يا خالد ، ربّ خالدٍ جلس مجلسك هو أشهى إلى حديثنا منك ! فعلت أنه أراد خالداً القسريّ ، فقلت : أفلا تعيده يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هيهات ؟ إن خالداً أدلّ فأملّ ، وأوجف فأعجب ، ولم يدع لراجع مرجعاً . وتمثل بهذا البيت :

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكّد عليه بوجهٍ آخرَ الدهر تُقبِلُ
وروى أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : كان عبد الملك بن مروان في سمرّه مع أهل بيته وولده وخاصته ، فقال لهم : لِيَقُلْ كلُّ واحدٍ منكم أحسن ما قيل من الشعر ، وليفصل [مَنْ] رأى تفضيله ، فأنشدوا وفضّلوا ، فقال بعضهم : [امرؤ القيس ، وقال بعضهم :] النابغة ، وقال بعضهم : الأعشى ، فلما فرغوا قال : أشعرُ الناس والله من هؤلاء الذي يقول ، وأنشد بعض هذه الآيات التي أنشد ، وهي لمن بن أوس :

وذي رحيمٍ قلمتُ أظفارَ ضِغْنِهِ	بجلوى عنه وهو ليس له حِلْمٌ
يحاول رغي لا يحاولُ غَيْرُهُ	وكلّوتٍ عندي أن يحلّ به الرغْمُ
فإن أعفُ عنه أغضُ عيناً على قَدِي	وليس له بالصّبح عن ذنبه عِلْمُ
وإن أتصرّ منه أكنّ مثل رأسٍ	سهامٍ عدوٍ يُستهاض بها العظمُ
صبرتُ على ما كان بيني وبينه	وما يستوي حَرَبُ الأقاربِ والسلمُ
وبادرتُ منه النائِمَ والمرءُ قادرٌ	على سهمه ما كان في كفه السهم
ويشتم عرشي في المغيّبِ جاهداً	وليس له عندي هَوَانٌ ولا شتمٌ ^(١)
إذا سُمّته وصلّ القرايةَ سامي	قطيبتها ، تلك السفاهةُ والإثمُ
فإن أدعُه للنصفِ يَأبُ إجابتى	ويدعُو لحكم جائرٍ غيرُهُ الحكمُ ^(٢)

(١) في الغيب : أي حين أكون غائباً عنه (م)

(٢) للنصف : أي للعدل والنصفه ، ويأب إجابتى : يرفضها ويمتنع عنها (م)

فولا اتقاه الله والرحيم التي
 إذا لعل آلاه بارق وخطمته
 ويسعى إذا أبى ليهدم صالحى
 يود لو أبى معدم ذو خصاصة
 ويعتد غنماً فى الحوادث نكبتى
 فما زلت فى لىنى له وتعطفى
 وحفضى له منى الجناح نالفا
 وضبرى على أشياء منه ترينى
 لا شتان منه الضمن حتى استلته
 رأيت انشلاماً بيننا فرقتة
 وأبرأت غل الصدر منه توسعا
 فأطقات نار الحرب بينى وبينه

رعابتها حق وتعطيها ظم
 بوسم شنار لا يشابهه وسم^(١)
 وليس الذى بينى كمن شأنه الهدم
 وأكره جهدى أن يخالطه الهدم
 وما إن له فيها سناء ولا غم
 عليه كما تحنو على الولد الأم
 لتدنيه منى القرابة والرحم
 وكظمتى عن غيظى وقد ينفع الكظم
 وقد كان ذا ضغن يصوبه الحزم^(٢)
 برفق أحيانا وقد يرفع الثلم
 بحلى كإشفى بالأدوية الكلم
 فأصبح بعد الحرب وهو لنا سلم

[من رسائل أبى الفضل بن العميد]

وكتب أبو الفضل بن العميد إلى أبى عبد الله الطبرى :

من ابن العميد
 إلى أبى عبد الله
 الطبرى

وصل كتابك فصادفنى قريب عهد بانطلاق ، من عنت الفراق ،
 وأوقفنى مستريح الأعضاء والجوارح من حر الاشتياق ، فإن الدهر جرى
 على حكمه المسألوف فى تحويل الأحوال ، ومضى على رسمه المعروف فى
 تبديل الأبدال ، وأعطفنى من مخاللتك عتقا لاستحق به ولاء ، وأبرأتى من
 عهدتك براءة لا تستوجب معاهدركا ولا استثناء ، ونزع من عنق ربة
 الذل فى إخوانك بيدى جفائك ، ورش على ما كان يحتدم فى ضميرى
 من نيران الشوق ماء السلوى ، وشن على ما كان يلهب فى صدرى من الوجد

(١) يروى « بوسم شنار لا يشابهه وسم » والمعنى واحد (م)

(٢) يروى « وقد كان ذا ضغن يضيق به الحزم » وهى أظهر (م)

ماء اليأس، ومسح أعشار قلبي فلأَمْ فُطُورَهَا بِجَمِيلِ الصَّبْرِ^(١)، وشعبَ أفلاذَ كبدي
فلاحم صدوعها بحسن العزاء، وتغلغل في مسالك أنفاسي فعوض نفسي من النزاع
إليك نُزُوعاً عنك^(٢)، ومن الذهاب فيك رجوعاً دونك، وكشفَ عن عيني ضبابات
مألقاه الهوى على بصرى، ورفع عنها غيابات ماسد له الشك دون نظري، حتى
حدَر النقاب عن صفحات شيمك، وسفر عن وجوه خليقتك؛ فلم أجد إلا
منكراً، ولم ألق إلا مستكبراً، فوليتُ منها فراراً، ومليتُ رُعباً، فاذهب فقد
ألقيت حَبْلَكَ على غاربك، ورددتُ إليك ذمياً عهدك .

وفي فصل من هذه الرسالة : وأما عذرك الذي رُمْتُ بسَطَه فانقبض، وحاولت
تمهيدَه وتقريره فاستوفز وأعرض، ورفعت بضبعه فانخفض، فقد ورد ولقيته
بوجه يؤثر قبوله على رده، وتركته على جرحه، فلم يف بما بذلته لك من نفسه،
ولم يقم عند ظنك به، أنى وقد غطى التذمُّم وجهه، ولف الحياء رأسه، وغضَّ
الجلجُل طرفه؛ فلم تتمكن من استكشافه، وولَّى فلم تقدر على إيقافه، ومضى يعترُ
في فضول ما يغشاه من كرب حتى سقط، فقلنا : للبدِّ والقم : ثم أمر بمطالعة
ما صحبه فلم أجده إلا تآبط شراً، أو تحمّل وزراً .

وقوله هذا محلول من عقد نظمه إذ يقول :

أقر السلام على الأمير وقل له قَدْ كَ اتَّئِبَ أَرَيْتَ فِي الْغُلُوءِ
أنت الذي شئتَ شملَ مسرتي وَقَدَحْتَ نَارَ الشُّوقِ فِي أَحْشَائِي
ورضيت بالثمن اليسير معوضةً مَنِي ، فَهَلَا بَعْتَنِي بِفُلَاهِ
وسألتك المُتَعَبِي فلم ترني لها أَهْلًا ، فَجُدْتُ بِعِذْرَةِ شَوْهَاءِ^(٣)
وردت مموهةً فلم يرفع لها طَرْفَ ، وَلَمْ تَرْزُقْ مِنَ الْإِسْفَاءِ

(١) لأم : ضم وجمع ولحم ، والفظور : جمع فطر ، وهو الشق (م)
(٢) النزاع إليك : أى الشوق إليك ، والنزوع عنك : الانصراف عنك (م)
(٣) العبي : الاسترضاء ، والعذرة - بالكسر - الاعتذار (م)

وأغار منطقها التذم سكتة فتراجعت تمشي على استحياء
لم تشف من كمدٍ ، ولم تبرد على كبدٍ ، ولم تمشح رجوانب داء
داوت جوى بجوى وليس بحازم من يستكف النار بالخلفاء
من يشف من كمدٍ بأخر مثله أثرت جوارحه على الأدواء

وله إليه رسالة : أخطب الشيخ سيدي - أطال الله بقاءه - مخاطبة مخرج
يروم الترويح عن قلبه ، ويريق التفریح^(١) من كربه ؛ فأكتبه مكاتبة مصدر ،
يريد أن ينفث بعض ما به ، ويخفف الشكوى من أوصابه ، ولو بقيت في
التصبر بقية لسكت ، ولو وجدت في أثناء جدي نخرجة يتحللها تجلد لأمسكت ؛
فقدما لبست الصديق على علته ، وصفحت له عن هناته ، ولسكني مغلوب
على العزاء ، مأخوذ عن عادي في الإغضاء ، فقد سل من جفائك ماترك احتمالي
جفاءً ، وذهب في نفسي من ظلمك ما أنزف حلبي فجعله هباءً ، وتوالى على
من قبح فعلك في هجر يستمر على نسق ، وصد مطرد متسق ، ما لوفض
على الوري ، وأفيض على البشر لا متلات منه صدورهم ، فهل أقدر على ألا أقول ،
وهل نكلك إلى مراعاتك ، وهل نشكوك إلى الدهر حليفك على الإضرار ،
وعقيدك على الإفساد^(٢) ، وأشكوه إليك ، فإنكما وإن كنما في قطعة الصديق
رضيعي لبان ، وفي استيطاء مركب العقوق شريكي عنان ، فإنه فاصر عنك في
دقائق مخترعة ، أنت فيها نسيج وخذك ، وقاعد عما تقوم به من لطائف مبتدعة ،
أنت فيها وحيدٌ عصرك ، أننا متفقان في ظاهر يسر الناظر ، وباطن يسوء الخابر ،
وفي تبديل الأبدال ، والتحول من حال إلى حال ، وفي بث حبال الزور ،
ونصب أشراك الغرور ، وفي خلف الموعود ، والرجوع في الموهوب ، وفي فظاعة
اهتضام ما يعير ، وشناعة ارتجاع ما يمنح ، وقصد مشاركة الأحرار^(٣) ، والتحامل

(١) بروم ، ويريق ، كلاهما بمعنى يطاب ، ووقع في نسخة « يريد » في مكان
« يريق » والمعنى واحد (م) (٢) عقيدك : معاهدك ومعاهدك ، يريدانهما متفقان (م)
(٣) للشارة : الخاصة (م)

عند ذوى الأخطار ، وفي تكذيب الظنون ، والميل عن النباهة للخمول ، إلى كثير من شيمكا التي أسندت ما إليها ، وستككا التي تعاقدت ما عليها ، فأين هو ممن لا يجارى فيه نقض عُرى اليهود ، ونسكث قوى العقود ؟ وأنى هو عن النيمة والغيبة ، ومشى الضراء^(١) في الغيلة ، والتنفق بالنفاق في الحيلة ، وأين هو ممن ادعى ضروب الباطل ، والتحلّى بما هو منه عاطل ، وتنقص العلماء والأفاضل ؛ هذا إلى كثير من مساوٍ منتورة أنت ناظمها ، ومخازٍ متفرقة أنت جامِعها . أنت أيديك الله إن سويتته بنفسك ، ووزنته بوزنك ، أظلمُ منه لذويه ، وأعق منه لذنيه ؛ وهَبِك على الجلمة قد زعمت - مفترياً عليه - أنه أشدُّ منك قدرة ، وأعظمُ بسطة ، وأتمّ نصرة ، وأطلق يدا في الإساءة ، وأمضى في كل نكابة شباة^(٢) ، وأحدت في كل عاملة شداة^(٣) ، وأعظم في كل مكروه مُتَمَلِّلاً ، وآلت إلى كل مهذور متوصلاً ، إن الدهر الذي ليس مُعْتَب من يجرعُ ، وإن العتبي منك مأمولة ، ومن جهتك مرقوبة ، وهيبات ! فهل توهم أنه لو كان ذا روح وجثمان ، مصوراً في صورة إنسان ، ثم كاتبته أستعطفه على الصلة ، وأستغفیه من الهجر ، وأذكره من المودة ، وأستميل به إلى رعاية المقة ، وأستمد على ما أشاعه الفراق في نفس من اللوعة ، وأضرمه بالبعاد في صدرى من الحرقة ، كان يستحسن ما استحسنته من الاضطراب عند جوائى ، ويستجيز ما استعجزته من الاستخفاف بكتابى .

وله فصل في هذه الرسالة ، وقد ذكر دعواه في السلم :

وهبك أفلاطون نفسه فأين ما سننته من السياسة ، فقد قرأناه ، أنجد فيه إرشادا إلى قطيعة صديق ، وأحسبك أرسطاطاليس بعينه ، أين ما رسمته من الأخلاق ؟ فقد رأينا فلم ترفيه هداية إلى شيء من العقوق ، وأما الهندسة فإنها باحثة عن المقادير ، ولن يعرفها إلا من جهل مقدار نفسه ، وقدر الحق عليه وله ؛ بل لك في رؤساء الآداب العربية [من أريج ومضطرب ، ولنا : نشاكتك ، لكن أنتحب أن تتحقق

(١) مشى فلان الضراء - بزنة السحاب - أى مشى مستخفياً فيما يواربه من

من شجر ومحوه ، ويقال ذلك لمن يوصف بأنه يختل ويخدع (م)

(٢) شباة السنان : حده (م) (٣) الشداة : بقية القوة ، وحد كل شيء (م)

بالغريب من القول ، دون الغريب [من الفعل ؟ وقد أغربت في الذهب بنفسك إلى حيث لا تهتدى للرجوع عنه . وأما الفحو فلن تدفع عن حذق فيسه ، وبصر به ، وقد اختصرته أوجز اختصار ، وسهلت سبيل تعليمه على من يحملك قدوة ، ويرضى بك أسوة ، قلت : الندر والباطل وما جرى مجراها مرفوع ، والصدق والحق وما صاحبهما مخفوض ، وقد نصب الصديق عندك ، ولكن غرضاً يرشق بسهام الغيبة ، وعلماً يقصد بالوقية ، ولست بالعروضى ذى اللهجة فأعرف قدر حذقك فيه ، إلا أنى لا أراك تتعرض لكامل فيه ، ولا وافر ، وليتك سبحت في بحر الجحش حتى تخرج منه إلى شط المتقارب .

وفي فصل منها أيضا :

وهبنى سكت لدعواك سكوت متعجب ، ورضيت رضاء متسخط ،
أيرضى الفضل اجتذابك بأهداه ، من يدي أهليه وأصحابه ، وأحسبك لم تراحم
خطابه ، حتى عرفت ذلة نفره وقلة بصره ، فاصدقنى هل أشدك :

لو بأبائين جاء يخطبها ضرج ما أنف خاطب بدم^(١)

وليت شعرى بأى حلى تصدّيت له ، وأنت لو تفوجت بالثريا ، وقلدت
قلادة الفلك ، وتمنطقت بمنطقة الجوزاء ، وتوشحت بالهجرة لم تكن إلا عطلا ،
ولو توشحت بأنوار الربيع الزاهر ، وسرّجت جبينك غرة البدر الباهر ،
ما كنت إلا عطلا ، سيما مع قلة وفانك ، وضغف إخالك ، وظلمة ماتتصرف
فيه من خصالك ، وتراكم الدجى على ضلالك ، وقد ندمت على ما أعترتك من
ودى ، ولكن أى ساعة مندّم ، بعد إفناء الزمان فى ابتلائك ، وتصفحى
حالات الدهر فى اختيارك ، وبعد تضييع ما غرسته ، ونقض ما أسسته ، فإن
الوداد غرس إذا لم يوافق ترى ثريا ، وجوا عذتيا^(٢) ، وما رويّا ، لم يروج
زكاؤه ، ولم يجر نماؤه ، ولم تفتح أزهاره ، ولم نجم ثماره ، ولبت شعرى ، كيف

(١) هذا بيت لمهلل بن ربيعة أخى كليب بن ربيعة ، وقبل هذا البيت قوله :

أنكحها فمدها الأرقم فى جنب ، وكان الجباء من أدم

يقول ذلك فى ابنته وقد زوجها ممن لم يره كفتا (م) (٢) جوا عذتيا : طيب الهواء (م)

ملك الضلال قيادى حتى أشكل على ما يحتاج إليه المزوجان ، ولا يستغنى عنه المتآلفان ، وهما مازجة طبع ، وموافقة شكل وخلق ، ومطابقة خيم^(١) وخلق ، وما وصلتنا حال تجمعنا على ائتلاف ، وحثنا من اختلاف ، ونحن فى طرفى ضدّين ، وبين أمرين متباعدين ، وإذا حصلت الأمر وجدت أقل ما بيننا من البعاد ، أكثر مما بين الوهاد والنجد^(٢) ، وأبعد ما بين البياض والسواد ، وأيسر ما بيننا من النفار أقل ما بيننا من النصار ، وأكثر ما [بين الليل والنهار ، والإعلان والإسرار

[حسن التأتى للأمر

قال أسد بن عبد الله لأبى جعفر المنصور : يا أمير المؤمنين ، فرط الخيلاء ، وهيبة العزة ، وظل الخلافة ، يكف عن الطلب من أمير المؤمنين إلا عن إذنه ، فقال له : قل ، فقد والله أصبت مملك الطلب ؛ فسأل حوامج كثيرة قضيت له .

وقال عمرو بن نهيك لأبى جعفر المنصور : يا أمير المؤمنين ، قد حضر خدمك الإعظام والهيبة عن ابتدائك بطلياتهم ، وما عاقبة هذين لهم عندك ؟ قال : عطاء يزيدم حياء ، وإكرام يكسوم هيبة الأبد

قال عيسى بن على : ما زال المنصور يشاورنا فى أمره حتى قال إبراهيم بن هرمة فيه : إذا ما أراد الأمر ناجى ضميره فناجى ضميراً غير مختلف العقل ولم يشرك الأذنين فى جل أمره إذا اختلفت بالأضعفين قوى الخبل

فقر فى ذكر المشورة

المشورة لقاح العقل ، ورائد الصواب ، وحزم التدبير . المشاورة قبل المساورة . والمشورة عين الهداية .

(١) الخيم - كسر الحاء - الطبع والسجية (م)

(٢) الوهاد : جمع وهدة ، وهى ما انخفض من الأرض ، والنجد : جمع مجد ،

وهو ما ارتفع من الأرض (م)

ابن المعتز : من رضى بحاله استراح ، والمستشيرُ على طرف النجاح .
وله : من أكثر المشورة لم يعدم في الصواب مادحاً ، وفي الخطأ عاذراً .
بشار بن برد : المشاور بين إحدى الحسينين : صواب يفوزُ بشمرته

أو خطأ يُشارك في مكروهه ، وقال :

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعين	بعزم نصيح أو مشورة حازم
ولا تحسب الشورى عليك غضاصة	فإن الخوافي قوة للقوادم (١)
وما خير كف أسك الثل أختها	وما خير سيف لم يؤيد بقائم
وخل الهوينى للضعيف ولا تكن	نؤوما فإن الحر ليس بنائم
وأذن إلى القرب المقرب نفسه	ولا تشهد التجوى امرأ غير كاتم
فإنك لا تستطرد الغم بالمنى	ولا تبلغ العليا بغير المكارم

دخل الهذيل بن زفر على يزيد بن المهلب في حمالات لزمته فقال : أيها
الأمير ، قد عظم شأنك أن يستعان بك أو يستعان عليك ، ولست تفعل شيئاً
من المعروف إلا وأنت أكبر منه ، وليس العجب من أن تفعل ، بل العجب
من ألا تفعل ؛ فقضاها .

[تأريخ الكتب والرسائل]

استخلص القاضي أبو خليفة الفضل بن حباب الجمحي رجلاً للأنس به ، فقال :
أعبر ثيابي وأعود ، قال : ما أفعل ، إبتاسك وعد ، وإباحك نقد ، وكان أبو خليفة
من جلة محدثين ، وله حلاوة معنى ، وحسن عبارة ، وبلاغة لفظ . قال الصولي : كتبتُ
أبا خليفة في أمور أرادها فأغفلتُ التاريخ منها في كتابين ، فكتب إلي بعد نفوذ
الثاني : وصل كتابك - أعزك الله - منهم الأوان ، مُظلم المكان ، فأدّى خيراً ما القرب

(١) الخوافي : ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت ، والقوادم : عشر ريشات

في مقدم الجناح ، وهي كبار الريش ، تغطي الخوافي (م)

فيه بأولى من البُعد؛ فإذا كتبت - أكرمك الله تعالى! - فلتكن كتبك مرسومةً بتاريخ؛ لأعرف أدنى آثارك، وأقرب أخبارك، إن شاء الله تعالى؛ وقال بعض الكتاب: التاريخ عمودُ اليقين، ونافى الشك، به تُعرَف الحقوق، وتُحفظُ العهود.

وقال رجل لأبي خليفة سلم عليه: ما أحسبك تعرف نسبي، فقال: وجهك يدلُّ على نسبك، والإكرامُ يمنع من مسألتك، فأوجدني السبيل إلى معرفتك.

وسأل أبو جعفر المنصور قبل أن تُفضى إليه الخلافةُ شبيب بن شيبة، فانتسب له فعرفه أبو جعفر، فأثنى عليه وعلى قومه، فقال له شبيب: بأبي أنت وأمي! أنا أحبُّ للمعرفةِ واجِبِك عن المسألة، فتبسَّم أبو جعفر وقال: لطف أهل العراق! أنا عبد الله بن محمد [بن علي] بن عبد الله بن العباس، فقال: بأبي أنت وأمي: ما أشبهك بنسبك؛ وأدلك على منصبك.

فقر وأمثال، يتداولها الجمال

الولاية حلوة الرضاع مرّة الفطام. غبارُ العمل خيرٌ من زعفران العطلة.

ابن الزيات: الإرجاف مقدمة السكون.

عبد الله بن يحيى: الإرجاف رائد الفتنة.

حامد بن العباس: غرسُ البلوى، يثمر الشكوى.

أبو محمد المهلبى: التصرف أعلى وأثنى، والتعطل أصنى وأعنى.

أبو القاسم صاحب: وَعَدُّ السكريم، أَلْزَمُ من دَيْنِ الغريم.

ابن المعتز: ذلُّ العزَلِ يضحك من تيه الولاية. وقال:

كَمْ تائهٍ بِـولايةٍ ويَمزله رَكضَ البَريدِ
نُكْرُ الولايةِ طيبٌ ومُخارها صَمْبٌ شديدٌ

وقال : من ولي ولاية فتاه فيها فأخبره أن قدره دونها . العزل طلاق الرجال
وحيض العمال . وأنشدوا :

وقالوا العزل للعمال حَيْضٌ لحاه الله من حَيْضٍ بَفَيْضِ
فإن يك هكذا فأبو عليٍّ من اللأئي يئسُن من المحيضِ
منصور الفقيه :

يا مَنْ تولى فأبدى لنا الجفا وتبـدّل
أليس منك سمِعنا من لم يمت فسُيُزَلْ
وقال أيضاً :

إذا عَزَلِ المرءُ واصـلتهُ وعند الولاية استكبرُ
لأن المولى له نخوة ونفسى على الذل لا تضبرُ

[من ترجمة منصور الفقيه ، وأخباره]

ومنصور هذا هو منصور بن إسماعيل بن عيسى بن عمر التيمي^(١) ، وكان يتفقه
على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه ، وهو حلو للقطعات ، لا تزال تندر له
الآبيات مما يستظرف معناه ، ويستحلى مغزاه ، [ويبقى ثنائه] ، وهو القائل لما
كفَّ بصره :

مَنْ قال ماتَ ولم يستوفِ مدتهُ لعظم نازلةٍ نالتهُ معذور
وليس في الحكم أن يحيا فتى بلفت به نهاية ما يحشى القاديرُ
فقل له غيرَ مُرتابٍ بفعلته أو سوءِ مذهبه : قد عاش منصورُ
وعتّبَ على بعض الأشراف ، وكانت أمه أمة قيمتها ثمانية عشر ديناراً ، فقال :
من فاتني بأبيه ولم يفتني بأمة

(١) في نسخة « التيمي » (م)

ورام شتّى ظلماً سكتُ عن نصفِ شتَمِهِ
وقال :

لو قيل لي خذُ أماناً من حادثِ الأزمانِ
لما أخذتُ أماناً إلاّ من الإخوانِ
وقال :

رضيت بما قسمَ اللهُ لي وفوّضتُ أمري إلى خالقي
كما أحسن اللهُ فيما مضى كذلك يُحسن فيما بقي
وقال :

لو كنت منتفعاً بعلْمِك مع مواصلة الكبائرِ
ماضراً شربَ السمِّ واءلمَ أن شربَ السمِّ ضائرُ
وقال :

إذا القوتُ تأتي لـك والصحةُ والأمنُ
وأصبحتَ أخا حُزنٍ فلا فارقك الحُزنُ

ورأيت له في أكثر النسخ - على أن أكثر الناس يرويه لإبراهيم بن
الهدى ، وهو الصحيح - :

لولا الحياءُ وأنتى مشهورُ والعيبُ يَعْلَمُ بالكبيرِ كبيرُ
لحللتُ منزلنا الذي نحتلهُ ولكن منزلنا هو المهجور^(١)

وهذا كقول صاحب أبي القاسم :

[دعيتي عينك نحو الصبا دعاء يكرر في كل ساعة
فلولا وحقتُ عذراً المشيب لقلت لعينيك سمعاً وطاعة]

(١) هذا وجه ضعيف في العربية ، وهو أن تجعل « هو المهجور » جملة من مبتدأ وخبر في محل نصب خبر كان ، والفصحح أن تجعل « هو » ضمير فصل و« المهجور » بالنصب على أنه خبر كان ، نحو قوله تعالى : (كنت أنت الرقيب عليهم) .

وقال ابن دريد في معنى البيت الأول فأحسن : [

إذا رأيت امرأ في حال عُسْرَتِهِ مُصَافِيًا لَكَ مَا فِي وُدِّهِ خَلَلٌ
فَلَا تَمَنَّ لَهُ أَنْ يَسْتَفِيدَ غِنَى فَإِنَّهُ بِانْتِقَالِ الْحَالِ يَنْتَقِلُ

[تغير الحال ، بكثرة الأموال]

وكان لمحمد بن الحسن بن سهل صديق قد نالته عُسْرَةٌ ، ثم ولَّى عملاً ، فأتاه
محمد قاضياً حقاً ومسلماً عليه ، فرأى منه [نبوةً و] تغيراً ، فكتب إليه :

لَمَّا كَانَتْ الدُّنْيَا أَنَا لَتَكَ ثُرُوءًا وَأَصْبَحْتَ ذَا يُسْرٍ ، وَقَدْ كُنْتَ ذَا عُسْرٍ
لَقَدْ كَشَفَ الْإِنْرَاءُ مِنْكَ خِلَاقًا مِنْ اللُّؤْمِ كَانَتْ تَحْتَ ثَوْبٍ مِنَ الْفَقْرِ

وقال أبو العتاهية في عمرو بن مَسْعُودَةَ ، وكان له خِلافاً قبل ارتفاع حاله ، فلما
عَلَتْ رُتْبَتُهُ مَعَ الْمُتَأَمِّنِينَ تَغَيَّرَ عَلَيْهِ :

غَنَيْتَ عَنِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ غَنِينَا وَضَيِّعْتَ عَهْدًا كَانَ لِي وَنَسِينَا
وَقَدْ كُنْتُ لِي أَيَّامَ ضَعْفٍ مِنَ الْقَوَى أَبْرَ وَأَوْفَى مِنْكَ حِينَ قَوِينَا
تَجَاهَلْتِ عَمَّا كُنْتَ تُحْسِنُ وَصَفَّهُ وَمَتَّعْتِ عَنِ الْإِحْسَانِ حِينَ حَيِينَا

وكتب بديع الزمان إلى أبي نصر بن المرزبان فيما ينخرط في هذا السلك :

من
بديع الزمان
لابن المرزبان

كنتُ أطال الله بقاء الشيخ سيدي وأدام عزَّه في قديم الزمان أمتي الخير للاخوان ،
وأسألُ الله تعالى أن يُدِرَّ عليهم أخلافَ الرزقِ ^(١) ، ويمدِّهم أكنافَ العيش ، ويؤتيتهم
أصنافَ الفضل ، ويوطئهم أكنافَ العز ، وينيلهم أعرافَ المجد ، وقصارى الآن
أن أُرْغِبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الْأَلَّ يُنِيلُهُمْ فَوْقَ الْكِفَايَةِ ، فَشَدَّ مَا يَطْعُونَ عِنْدَ النِّعْمَةِ
يَنَالُونَهَا ، وَالدرَجَةَ يعلونها ، وَسَرَّعَ مَا يَنْظُرُونَ مِنْ عَالٍ ، وَيَجْمَعُونَ مِنْ مَالٍ ، وَيَنْسُونَ
فِي سَاعَةِ الدُّوْنَةِ . وَأَوْقَاتِ الْحَشُونَةِ ^(٢) ، وَفِي أَرْزَامِ الْعَذُوبَةِ أَيَّامِ الْعَمُوبَةِ ، وَلِلْكِتَابِ مَرْيَّةٌ

(١) الأخلاف : جمع خلف - بالكسر - وهي حلة ضرع الناقة (م)

(٢) اللدونة : اللين ، لدن الشيء - من باب كرم - لدانة ولدونة : لان .

وضده الحشونة (م)

في هذا الباب ؛ فيبذلهم في الغربة أعوان كما انفرج المشط ، وفي المُطَلَّة إخوان كما
انتظم السَّمَطُ ، حتى إذا لحظهم الجدُّ لحظةً تخمَّاءً بمنشور عمالة ، أو صكَّ جمالة ؛
عاد عامر مودتهم خراباً ، وانقلب شرابُ عهدهم سَرَّاباً ، فما اتسعت دورُهم إلا ضاقت
صدورُهم ، ولا علتْ قدورُهم إلا خبتْ بدورهم ، ولا علتْ أمورُهم إلا أسبَلتْ ستورُهم ،
ولا أوقدتْ نارُهم إلا انطفأ نورهم . ولا هَمَلجتْ عتاقهم إلا فظعتْ أخلاقهم ، ولا
صلحتْ أحوالهم ، إلا فسدتْ أفعالهم ، ولا كثرتْ مآلهم ، إلا قلَّ جمالهم ، وعزَّ
معروفهم ، وورمتْ أنوفهم ^(١) ، حتى إنهم ليصيرون على الإخوان مع الخطوب خطباً ،
وعلى الأحرار مع الزمان ألبناً . قُصَّارِي أَحَدَم من المجد أن ينصب تحتة تختة ،
وأن يوطئ استه دسته ، وحسبته من الشرف دار يصهرج أرضها ، ويخرق بعضها ،
ويزوق سقوفها ، ويعلق شفوفها ^(٢) ، وناهيه من الشرف أن تغدو الحاشية أمامه ،
وتحمل الغاشية قدَّامه ، وكفاه من الكرم ألفاظ فقاعية ^(٣) ، وثيابُ فداعية ، يلبسها
ملوماً ، ويحشوها لوماً ، وهذه صفة أفاضلهم . ومنهم من يمنحك الودَّ أيام خشكاره
حتى إذا أخصب جعل ميزانه وكييله ، وأسنانه أكييله ، وأنيسه كييسه ، وألبنه رغيقه ،
وأمينه يمينه ، ودنانيره سميره ، وصندوقه صديقه ، ومفتاحه ضجيجته ، وخاتمه خادمه ،
وجمع الدرَّة إلى الدرَّة ، ووضع البدرَّة على البدرَّة ، فلم تقع القطرَّة من طرفه ،
ولا الدرَّة من كفه ؛ ولا يخرج ماله عن عهدة خاتمه ، إلى يوم ماتمه ، وهو يجمعُ
لحادث حياته ، أو وارث وفاته ؛ يسلكُ في العذر كلَّ طريق ، ويبيعُ بالدرهم ألف
صديق ؛ وقد كان الظنُّ بصديقنا أبي سعيد - أيده الله تعالى - أنه إذا أخصب آوانا
كنفا من ظله ، وحباناً من فضله ، فمن لنا الآن بعدله ؟ إنه - أطلال الله بقاءه -
حين طارت إلى أذنه عُقاب المحاطبة بالوزير ، وجلس من الديوان في صدر الإيوان

(١) ورم أنف فلان : كناية عن إظهاره الكبر (م)

(٢) الشفوف : جمع شف - بالكسر - وهو رقيق الثياب (م)

(٣) فقاعية : ذات تشدق

أفضّ عُدْرَه السِيّامَةَ لَدِيّ ، بتعرض بعض المَختلِفَة إلى ، وجعل يعرضه
 للهلاك ، ويتسبب إليه بمال الأتراك ، وجعلت أكاثيه مرة واقصدهُ أخرى ،
 وأذكره أن الراكب ربما استنزل ، والوالى ربما عُرِزِل ، ثم يحف ريق الخجل
 على لسان العذر ، فتبقى الحزازة فى الصدر ، وما يجمعنى والشيخ إن كان زَادَهُ
 قولى إلاً علواً فى تحكّه ، [وغلوياً فى تهكّه] وجعل يمشى الجَمْزَى فى ظله ؛
 [ويبرأ إلى من علمه] ، فأقولُ - إذا رأيت ذلّة السؤال منى وعزّة الرد
 منه لى - :

قل لى متى فرزنت سرُ عة ما أرى يا بيّدق^(١)

وما أضيع وقتاً فيه أضفته ، وزماناً بذكره قطعته ، هنلم إلى الشيخ
 وشرعته ، قد نكأ القلب بقرحة ، وكيف أصيفُ حالاً لا يفرع الدهر
 مرّوة حاله ، ولا ينتقض عروة إجلاله ؛ فما أولانى بأن أذكره مجملًا ، وأتركه
 مفصّلاً ، والسلام .

رسالة أخرى
 من البديع
 لبعض إخوانه

وكتب إلى بعض إخوانه فى أمر رجل ولى الأشراف :

فهمت ما ذكرت - أطال الله بقاءك - من أمر فلان أنه ولى الأشراف ،
 فإن يصدق الطير يكن إشرافاً على الملاك ، بأيدى الأتراك ، فلا تحزنك ولا يته
 فالجبل لا يبرم إلا للقتل ، ولا تعجبك خلعتة فالثور لا يزين إلا للقتل ، ولا يبرعك
 نفاقه فأرخص ما يكون النّفط إذا غلا [وأسفل ما يكون الأرنب إذا علا] ،
 وكأنى به وقد شنّ عليه جران العود ، شن المطر الجود ، وقيدله مركب الفجار ،
 من مربط النجار ، وإنما جرّ له الحبل ، ليضعف كما ضعف من قبل ، وستعود تلك
 الخالة إحانة ، وينقلب ذلك الحبل حباله ، فلا يحسد الذئب على الإنية يعطأها
 طعمة ، ولا يحسب الحب ينثر للمصفور نعمة ، [وهبه ولى إمارة البحرين أليس

(١) الفرزان : قطعة فى لعبة الشطرنج (الوزير) لها أهمية عظيمة ، ويقال له
 «الفرز» وفرزن : صار فرزاناً ، والبيدق : قطعة أخرى هيئة الشان ، واللفظان
 أمجيمان (م)

مرجه ذلك العقل ، ومصيره ذلك الفضل ، ومنصبه ذلك الأصل . وعصارته ذلك النسل ، وقعيدته تلك الأهل] ، وقوله ذلك القول ، وفعله ذلك الفعل ، فكان ماذا ؟ أليس [ما] قد سلب أكثر مما أوتي ، وما عدم أوفر مما غنم ! مالك تنظرُ إلى ظاهره ، وتعنى عن باطنه ؟ أكان يعجبك أن تكون قعيدته في بيتك ، وبغلته من تحتك ، أم كان يسرك أن تكون أخلاقه في إهابك ، وبوابه على بابك ، أم كنت تود أن تكون وجعاؤه في إزارك ، وغلمانه في دارك ، أم كنت ترضى أن تكون في مرطك أفراسه ، وعليك لباسه ، ورأسك رأسه ؟ جعلت فداك ! ما عندك خير مما عنده ، فاشكر الله وحده على ما آتاك ، واحمده على ما أعطاك ، ثم أنشد :

إن الغنى هو الرضى بعيشته لا من يظل على الأقدار مكتئبا

[في البخل]

ألف سهل بن هارون كتاباً^(١) يمدح فيه البخل ويذم الجود ؛ ليظهر قدرته على البلاغة ، وأهداه للحسن بن سهل في وزارته للمأءون ، فوقع عليه : لقد مدحت ما ذمّه الله ، وحسنت ما قبح الله ، وما يقوم صلاح لفظك بفساد معنك ، وقد جعلنا نوالك عليه قبول قولك فيه .

بين سهل
ابن هارون
والحسن بن
سهل

وكان الحسن من كرماء الناس وعقلائهم . سئل أبو العيناء عنه ، فقال : كأنما خلف آدم في ولده ، فهو ينفع عيلتهم ، ويسد خاتمتهم ، ولقد رفع الله للدينا من شأنها ، إذ جعله من سكاينها أخذ هذا المعنى أبو العيناء من قول الشاعر :

وكان آدم كان قبل وفاته أوصاك وهو يجود بالخواتم
بينه أن ترعاهم فرعيتهم وكفيت آدم عيلة الأبناء

(١) في كتاب البخله لاجاحظ رسالة سهل بن هارون في البخل ، وقد طبع كتاب البخله في ليدن ، وطبع في مصر أربع مرات .

وأخذ أبو الطيب المتنبي آخر كلام أبي العيناء فقال :
 قد شرف الله دُنِيًّا أَنْتَ سَاكِئِنَهَا وشرفَ النَّاسِ إِذْ سَوَّاكَ إِنْسَانَا
 وقيل للحسن بن سهل : لم قيل : قال الأول ، وقال الحكيم ؟ قال : لأنه
 كلام قد مرَّ على الأسماع قَبْلَنَا ، فلو كان زِلَالًا لَمَا نُقِلَ إِلَيْنَا مُسْتَحْسِنًا .

ومن أمثال البخلاء ، واحتجاجهم ، وحكمهم

أبو الأسود الدؤلي : لا تُجَاوِدِ اللَّهَ ؛ فَإِنَّهُ أَجْوَدُ وَأَجْدُ ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُوَسِّعَ عَلَي خَلْقِهِ
 حَتَّى لَا يَكُونَ فِيهِمْ مَحْتَاجُ فِعْلٍ . وَقَالَ : لَوْ أَطْعَمْنَا الْمَسَاكِينَ فِي إِعْطَائِنَا إِيَّاهُمْ كُنَّا سُوءَ أَحْوَالٍ مِنْهُمْ .
 وقال السكندی : قولُ « لا » يدفعُ البلاءَ ، وقولُ « نعم » يزيلُ النعمَ . وقال :
 سَمِعَ الْغَنَاءَ بِرِسامٍ حَدَاثٌ ؛ لِأَنَّ الْمَرْءَ يَسْمَعُ فَيَطْرِبُ ، فَيَسْمَعُ فَيَفْتَقِرُ ، فَيَقْتَمُ فَيَمْرُضُ
 فَيَمُوتُ . وَقَالَ لِابْنِهِ : يَا بَنِي ، كُنْ مَعَ النَّاسِ كَالْإِعْبَابِ بِالْقَهَارِ ، إِنَّمَا غَرَضُهُ أَخْذُ
 مَتَاعِهِمْ ، وَحِفْظُ مَتَاعِهِ .

وقال [غيره :] مَنَعُ الْجَمِيعِ أَرْضَى لِلْجَمِيعِ . إِذَا قَبِحَ السُّؤَالُ حَسَنَ النَّمْعِ .
 وقال عليُّ بن الجهم : مَنْ وَهَبَ فِي عَمَلِهِ فَهُوَ مُخْذَعٌ ، وَمَنْ وَهَبَ بَعْدَ الْعَزْلِ
 فَهُوَ أَحَقُّ ، وَمَنْ وَهَبَ مِنْ جَوَائِزِ سُلْطَانِهِ أَوْ مِيرَاثِهِ لَمْ يَتَعَبْ فِيهِ فَهُوَ مُخْذَعٌ ، وَمَنْ وَهَبَ
 مِنْ كَيْسِهِ وَمَا اسْتَفَادَ بِحَيْلَتِهِ فَهُوَ الْمَطْبُوعُ عَلَى قَلْبِهِ ، الْمُخْتَمومُ عَلَى سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ .

ومن إنشاداتهم :

لَا تَجُدُ بِالْعَطَاءِ فِي غَيْرِ حَقٍّ لَيْسَ فِي مَنَعِ غَيْرِ ذِي الْحَقِّ مُخْلٌ

وقال كثير :

إِذَا الْمَالُ لَمْ يُوَجِّبْ عَلَيْكَ عَطَاءَهُ حَقِيقَةُ تَقْوَى أَوْ صَدِيقِ تَرَافِقِهِ
 مَنَعَتْ ، وَبَعْضُ الْمَنَعِ حَزْمٌ وَقُوَّةٌ وَلَمْ يَفْتَلِكِ الْمَالُ إِلَّا حَقَائِقَهُ ^(١)

(١) لم يفتلك المال : لم يأخذه منك بسرعة ، والحقائق : جمع حقيقة ، والمراد
 بها هنا مصارف المال التي يحق صرفه فيها ، مثل الإعانة على مكرمة ، أو دفع ضائقة ،
 وفي نسخة « ولم يملك المال إلا حقائقه » (م)

ابن المعتز:

ياربَّ جُودٍ جَرَّ قَفْرَ امرئٍ فقام للناس مقامَ الدليل
فأشددُ عُرَا مَالِكٍ واستَبَقَهُ فالبُخْلُ خَيْرٌ من سؤالِ البخيلِ

وكتب بعضُ البخلاء يصفُ بخيلاً: حضرت - أعزَّكَ اللهُ - مائدةً فلانٍ
للقدَّرِ المجلوبِ، والحَيْنِ المتَّاحِ^(١)، والشقاءِ الغالبِ، فرأيت أواني تروقُ العيونَ
محاسنُها، ويونقُ النفوسَ ظاهرها وباطنها، وتزهى اللحظات بيدائع غرائبها،
وتستوفى الشهوات بلطائف عجائبها، مُكَلَّلَةً بأحسن من حلى الحسان ووجوهها
وزَهْرَ الرياض ونورها؛ كأنَّ الشمسَ حلت بساحتها، والبدر يغرف من جوانبها
فهددت يداً عنتها الشراهة، وغلبها القدر الغالب، وجرَّها الطمع الكاذب، وإذا
له مع كسْرِ كلِّ رغيِّف لحظة نُسكر، ومع كلِّ لقمةٍ نظرةٍ شزر، وفيما بين ذلك
حُرْقٌ قائمةٌ، بصلى بها من حضره من الغلمان والحشم، [وقام بين يديه من
الولدان] والخدم، ومع ذلك فترة الغشى عليه من الموت؛ فلما وضعت الحربُ
أوزارها برفع الخِوان، وتحلت عنه سماديرُ الغشيان^(٢)، بسط لسان جهله، ونصر
ما كان من بخله، ونظر إلى مؤاكلة، نظر المسترقِّ له بأكلته، المالكِ لخَيْطِ
رقيبته! يظنُّ أنه أولى من والديه بنسبته، وأحقُّ بماله، من ولده وعياله، يرى
ذلك [فضلاً، وحقاً لازماً، وأمرًا واجباً] نزل به الكتابُ والسنة، واتفق عليه
قضاةُ الأمة، فإن دفعه رد حكم القضاة عليه، وإن سمح به فغير محمود عليه.

فقر لاين المعتز وغيره في الصديق والصدق

إنما سُمِّيَ الصديقُ صديقاً لصدوقه فيما يدَّعيه لك، وسُمِّيَ العدو عدواً لعدوه

(١) أصل الحين - بالفتح - الهلاك، والمتاح: المقدَّر المهيأ (م)

(٢) السمادير: شيء يترأى للسكران بسبب ضعف بصره الناشئ عن السكر،

وهو أيضاً ما يغشاك من دوار أو نعاس (م)

عليك إذا ظفر بك . علامة الصديق إذا أراد القطيعة أن يؤخر الجواب ، ولا يتدبّر بالكتاب ، لا يفسدك الظنُّ على صديق قد أصلحك اليقين له . إذا كثرت ذنوبُ الصديق أتمحَق السرورُ به ، وتسلمت التهم عليه . من لم يقدم الامتحانَ قبل الثقة والثقة قبل الأُنس أثمرت مودتهُ ندما . نصَح الصديق تأديبُ ، ونصحُ العدو تأنيب . ظاهرُ العتاب خيرٌ من باطن الحقد ، ما جُتس الوَدَّ بمثل العتاب .

ترَكُ العتاب - إذا استحقَّ أخُ منك العتاب - ذريعةُ المهجَرِ

وكتب أبو إسحاق الصابي إلى صديق له من الحبسِ : نحن في الصحبة كالنَّسرينِ^(١) ، لسكنى واقع ، وعلى الطائر أن يفشى أخاه ويراجع من قل صدقه قل صديقه . من صدقت لهجته ظهرت حُجَّته . الصادق بين المهابة والمحبة . من عرِف بالصدق جاز كذبه ، ومن عرف بالكذب لم يجزُ صدقه ، ومن تمام الصدق الإخبار بما تحتمل العمول .

[كتاب الحسن بن وهب إلى أبي تمام يصف بلاغته]

وكتب الحسن بن وهب إلى أبي تمام الطائي : أنت حفظك الله تحتدي من البيان في النظام ، مثل ما نقصد نحن في النثر من الإفهام ، والفضلُ لك - أعرك الله - إذ كنت تأتأ به في غاية الاقتدار ، على غاية الاقتصار ، في منظوم الأشعار ، فتحل متعقده ، وتربط متشرده ، وتضم أقطاره ، وتجلو أنواره ، وتفصله في حدوده ، وتخرجه في قيوده ، مم لا تأتي به مهملاً فيستبهم ، ولا مشتر كما فيلتبس ، ولا متعقدا فيطول ، ولا متكلفا فيحول ؛ فهو منك كالمجزة تضرب فيه الأمثال ، وتشرح فيه المقال ؛ فلا أعدمنا الله هداياك وارده ، وفوائدك وافدة ، وهي طويلة

(١) النسران : نجران في السماء ، يقال لأحدهما : النسر الواقع ، ويقال للآخر :

النسر الطائر (م)

وفي هذه الرسالة يقول أبو تمام ، وقد أرى أنه قال ذلك في غيرها :
 [لقد جَلَى كِتَابُكَ كُلَّ بَثٍّ جَوٍّ ، وَأَصَابَ شَاكِلَةَ الرَّمِيِّ
 فَضَضْتُ خِتَامَهُ فَتَبَلَّجَتْ لِي غَرَائِبُهُ عَنِ الْخَبِيرِ الْجَلِيِّ
 وَكَانَ أَعْضَى فِي غَيْبِي وَأَنْدَى عَلَى كَيْدِي مِنَ الزَّهْرِ الْجَلِيِّ
 وَأَحْسَنَ مَوْقِعًا مِنِّي وَعَنْسَدِي مِنَ الْبُشْرَى أَتَتْ بَعْدَ النِّعَى
 كَتَبْتُ بِهِ بِلَا لَفْظٍ كَرِيهِ عَلَى أُذُنٍ ، وَلَا لَفْظٍ قِيٍّ
 وَصُمِّنَ صَدْرُهُ مَا لَمْ تَصَمِّنْ صَدُورُ الْغَانِيَاتِ مِنَ الْجَلِيِّ
 فَإِنَّ تَكُّ مِنْ هَدَايَاكَ الصَّفَايَا فَرَبَّ هَدِيَّةٍ لَكَ كَالْهَدْيِ
 لَنْ غَرَّبَتْهَا فِي الْأَرْضِ بَكْرًا لَقَدْ زُفَّتْ إِلَى سَمْعِ كَرِيٍّ
 وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ فِي الْحَسَنِ بْنِ وَهَبٍ :

وإِذَا تَأَلَّقَ فِي النَّدَى كَلَامَهُ الْمَصْقُولُ خَلَّتْ لِسَانَهُ مِنْ عَضِيهِ (١)
 وَإِذَا دَجَّتْ أَقْلَامُهُ نَمَّ اتَّحَتَ بِرَقَّتْ مَصَابِيحُ الدَّجَا فِي كَتَبِهِ
 بِاللَّفْظِ يَقْرُبُ فَهْمُهُ فِي بَعْدِهِ مَنَّا ، وَيُبْعَدُ نَيْلُهُ فِي قُرْبِهِ
 حَكْمٌ فَسَاحُهَا خِلَالَ بِنَانِهِ مَتَدَقَّقٌ وَقَلْبِيهَاً مِنْ قَلْبِهِ
 كَالرُّوْضِ مُؤْتَلِقٍ بِحِمْرَةٍ وَرَدَهُ وَأَنْيَقُ زَهْرَتِهِ وَخَضْرَاءُ عُشْبِهِ
 أَوْ كَالْبُرُودِ تَخْرِيرٌ لِمَتَوَجِّجٍ مِنْ خَالِهِ أَوْ وَشِيهِ أَوْ عَضِيهِ (٢)
 مَكَانَهَا وَالسَّمْعُ مَعْقُودٌ بِهَا وَجْهُ الْحَبِّ بَدَا لِعَيْنِ مَحَبِّهِ
 أَنْشَدَ بَعْضُ الْكُتَّابِ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبًا ، فَاسْتَعَادَهَا حَتَّى فَهَمَّهَا ،
 ثُمَّ قَالَ : لَوْ سَمِعَ الْأَوَائِلُ هَذَا مَا فَضَّلُوا عَلَيْهِ شِعْرًا .
 وَقَالَ بَعْضُ الْكُتَّابِ :

(١) خلت : ظننت ، والعضب : السيف القاطع ، ومن عادتهم تشبيه اللسان
 بالسيف ، وانظر إلى قول حسان * لساني وسيفي صارمان كلاهما * (م)
 (٢) الخال ، هنا : ضرب من البرود ، والوشى : أصله نقش الثوب ، وسمى
 به نوع من الثياب ، والعصب - بالفتح - برد يصنع غزله ثم ينسج (م) .

ورسالة ألفاظها في النظم كالذرة للنشيز
 جاءت إليك كأنها السوفيق في كل الأمور
 بأرق من شكوى وأخ سن من حياة في سرور
 لو واجهت أعمى لأصبح وهو ذو طرف بصير
 فكأنها أمل سرى من بعد يأس في السرور
 أو كالقמיד إذا أتت لقدمه بشرى البشير
 أو كالنعام لساهر أو كالأمان لمستجير
 كتبت بحبر كالتوى أو كقرنعي من كفور
 فكأنما هو باطل ما بين حق مستجير

وقال أحمد بن أبي العباس بن ثوبة [:

في كل يوم صدور الكتب صادرة
 من رأيه وندى كفيه عن مثل
 عن خط أعلامه يجرى القضاء على
 كل الخلاق بين البيض والأسل^(١)
 كأن أسطره في بطن مهره
 نور بضاحك دمع الوا كيف الخضل^(٢)
 لعبه على الصدر ينفثها
 وربما كان فيه النفع للعلل
 كالنار تعطيك من نور ومن حرق
 والدهر يعطيك من غم ومن جدل^(٣)
 وقال آخر :

مداد مثل خافية الغراب ورق مثل رقائق السراب
 وأقلام كأرواح الجوارى وألفاظ كأيام الشباب

[مثل من بلاغة عمرو بن مسعدة]

قال أحمد بن يوسف : دخلت على المأمون ، وفي يده كتاب ، وهو يعاود
 قراءته مرة بعد مرة ، ويصعد فيه بصره ويصوبه ؛ فالتفت إلى وقد لحظني في

(١) البيض : السيوف ، والأسل : الرماح (م)

(٢) المهرق : الصحيفة يكتب فيها ، والوا : كف : المطر الغزير ، والخضل : بفتح

فكسر - الندى (م) (٣) الجذل : السرور (م)

أثناء قراءته الكتاب، فقال: أراك مُفكراً فيما تراه مني! فقلت: نعم، وفي الله أمير المؤمنين المخوف! قال: لا مكروه إن شاء الله، ولكنني قرأت كتاباً وجدته نظيراً بما سمعت الرشيد يقوله عن البلاغة، فإني سمعته يقول: البلاغة التباعد من الإطالة، والتقرب من البغية، والدلالة بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى، وما كنت أتوهم أن أحداً يقدر على هذه البلاغة حتى قرأت هذا الكتاب من عمرو بن مسعدة إلينا فإذا فيه:

كتابي إلى أمير المؤمنين ومن قبلي من الأجناد والقواد والطاعة والانتقاد
على أحسن ما تكون عليه طاعة جندٍ تأخرت أعطياتهم، واختلت أحوالهم!
ألا ترى يا أحمد إلى إدماجه [المسألة في الإخبار]، وإعفائه سلطانه من الإكثار.
ثم أمر لهم برزق ثمانية أشهر.

وفي عمرو بن مسعدة يقول أبو محمد عبد الله بن أيوب التيمي^(١):

أعني على بلوق ناصب	خفي كوخيك بالحاجب
كان تألقه في السماء	يدا كاتب أويداً حاسب
فروى منازل تذكأرها	يهيج من شوقك الغالب
غريب يحسن لأوطانه	ويبكي على عصره الذاهب
كفأك أبو الفضل عمروالندى	مطالعة الأمل الكاذب
وصدق الرجاء وحسن الوفاء	لعمر بن مسعدة الكاتب
عريض الفناء طويل البناء	في العز والشرف الثاقب
بني الملك طود له بيته	وأهمل الخلافة من غالب
هو المرتجى لصروف الزمان	ومعتصم الراغب الراهب
جواد بما ملكت كفه	على الضيف والجار والصاب

(١) روى أبو علي القالي (الأمالي ١/١٨٠) الدار) البيتين الأول والثاني مع بعض تغيير في أولها ولم ينسبهما، ونسبهما البكري في اللآلي (٤٤٠) لعبد الله بن العباس ابن الفضل بن الربيع بن بونس.

بِأَذْمِ الرِّكَابِ وَوَشَى الثِّمَامِ
 تَوَمَّلْهُ لِحَسَامِ الْأُمُورِ
 خَصِيبَ الْجَنَابِ مَطِيرِ السَّحَابِ
 يَرَوَى الْقَنَا مِنْ نَحْوِ الْعَدَا
 إِلَيْكَ تَبَدَّتْ بِأَكْوَارِهَا
 كَأَنَّ نَعَامًا تَمَادَى بِنَا
 يَرْدُنْ نَدَى كَفَّكَ الْمُرْتَجَى
 وَلِلَّهِ مَا أَنْتَ مِنْ جَابِرِ
 يُسَاقِي الْعَدَا بِكَثُوسِ الرَّدَى
 وَكَمْ رَاغِبٌ نَلْتَهُ بِالْعَطَا
 وَتِلْكَ الْخَلَائِقُ أَعْطَيْتَهَا
 كَسَبْتَ الثَّنَاءَ، وَكَسَبْتَ الثَّنَا
 يَقِينُكَ يَجْلُو مِنْ تَمُورِ الدَّجَى
 وَهَذَا الشَّعْرُ يَتَدَفَّقُ طَبَعًا وَسَلَاةً .

[الكلام الجيد الطبع ، والكلام المصنوع]

قلت : والكلامُ الجيد الطبع مقبول في السمع ، قريبُ المثال ، بعيدُ المثال ،
 أنيقُ الديباجة ، [رقيقُ الزجاجة] ، يدنو من فهم سامعِهِ ، كدنوهِ من وهم
 صانعه ، والمصنوع متفكِّ الكعوب ، معتدلُ الأنبوب ، يطرِّد ماء البديع على
 جَنَابَاتِهِ ، ويجول رَوْنَقُ الحسن في صفحاته ، كما يجول السَّحَرُ في الطَّرْفِ الكحيل ،

(١) في نسخة « ويعرق في الجود كاللاعب » وما أثبتناه أوضح (م)

(٢) حراجيج : جمع حرجوج ، وهي السمينة الطويلة من النوق أو الشديدة

الضامرة ، واللاحب : الواضح (م)

(٣) في نسخة « والله ما أنت من خابر » وفي أخرى « والله ما أنت من جابر » وما أثبتناه

خير منهما جميعاً (م)

والأثرُ في السيف الصقيل وجل الصانع شعره على الإكراه في التعمل وتنقيح
المباني دون إصلاح المعاني يعني آثار صنعته ، ويطفيء أنوار صيغته ، ويخرجه إلى
فساد التعسف ، وقبح التكلف ؛ وإلقاء المطبوع بيده إلى قبول ما يبعثه هاجسه ،
وتنفثه وساوسه ، من غير إعمال النظر ، وتدقيق الفكر ، يخرجه إلى حدّ المشتهر
الرث ، وحيّز الغث ؛ وأحسن ما أجرى إليه ، وأعوّل عليه ، التوسط بين
الحالين ، والمنزلة بين المنزلتين ، من الطبع والصنعة .

وقد قال أعرابي للحسن البصرى : علمنى ديننا وسيطاً ، لا ساقطاً سقوطاً ،
ولا ذاهباً فروطاً ، قال الحسن : أحسنت ، خير الأمور أوساطها . والبحترى عن
هذا القوس يزرع ، وإلى هذا النحو يرجع .

قد تم - بعون الله تعالى وتوفيقه - الجزء الثالث من كتاب « زهر الآداب ،
وثمر الأبواب » لأبى إسحاق الحصرى ، ويليّه - إن شاء الله تعالى - الجزء الرابع
مفتتحاً بقول المؤلف « ومن الشعر الذى يجرى مع النفس قول ابن المعتز بمدح
المكتفى » نسأله سبحانه أن يوفق إلى إكماله .

فهرس الجزء الثالث من كتاب
« زهر الآداب ، وثمر الألباب »
لأبي إسحاق الحصرى

فهرس الجزء الثالث من كتاب
« زهر الآداب، وثمر الألباب » لأبى إسحاق الحصرى

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٥٩٩	بند لأهل العصر تجرى في المدح	٦٤١٧	إسحاق يصف المعنى المجيد
	مجرى الأمثال	—	من ترجمة إسحاق الموصلى . وشعره
٦٣٨	نبد من مفردات الأبيات في فرائد	٦٥٠	استطراد فيما قيل من الشعر في جمال
	للمدح		الدوايب
٦٣٩	بين إبراهيم الموصلى وموسى الهادى	٦٥١	وحدة القصيدة واتساقها
٦٤٠	بين الإسكندر ودارا بن دارا	٦٥٤	السرى في الابتداء بالنسب
—	حكيم يصف أحزم الملوك	٦٥٥	موازنة بين أبى تمام والبحترى عن
—	أنوشروان يصف سياسة الدولة		الحاتمى
٦٤١	واصل بن عطاء يصف أخلاق السفلة	٦٦٢	أثر الغناء والجمال
	ما يبلغ بالإنسان أقصى درجات الفضل	٦٦٣	عكاشة بن عبد الصمد البصرى
—	أحزم رأى	٦٦٥	بعض ما قيل فى وصف القيان من
—	حكيم يصف خلال الفضل		الشعر
—	بزرجمهر يصف الروءة ونحوها	٦٦٧	من ترجمة على بن عبد الرحمن (أبى
—	وصية معاوية لزيد بن ولاء العراق		الحسن بن يونس)
٦٤٢	من كلام البلغاء فى ذكر السلطان	—	لابن المعتز فى المرأة
—	للصاحب بن عباد	٦٦٨	لكشاجم يصف المرأة
—	لأبى إسحاق الصابى	٦٦٩	الأقلام
—	للخوارزمى	—	كتاب من عبيد الله بن طاهر إلى
—	لأبى الفتح البسى		إسحاق بن إبراهيم يستهديه أقلاما
—	لأبى الفضل بن العميد	٦٧٠	جواب إسحاق على كتاب عبيد الله
٦٤٤	لأبى الطيب المتنبي	٦٧١	لمنصور بن عمار يصف القلم
—	بين ابن ميادة وعبد الواحد بن سليمان	—	للتنجيرى فى وصف القلم
٦٤٥	لعوف القوافى بمدح طلحة بن عبيد الله	٦٧٣	من أخبار النجيرى
	لقطامى بمدح عبد الواحد بن سليمان	—	لمحمدان الدمشقى يصف قلما
	نسب عبد الواحد بن سليمان	—	وصف القلم الصالح للكتابة للعتابى
٦٤٦	منزلة شعر القطامى	٦٧٤	من ترجمة العتابى وأخباره وشعره
٦٤٦	نغم الألفاظ ونغم الألحان	٦٨٠	من آداب آل وهب : الحسن بن
—	يحيى عمارق وأبى العتاهية		وهب ، وسليمان بن وهب
٦٤٧	إسحاق الموصلى يصف جارية للمعتصم	٦٨٣	من كلام أهل العصر فى ذم الكتابة

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٦٨٤	وصف الكلام لعنبة بن أبي سفيان	٢٠٦	بين أحمد بن المعتدل وأخيه
٦٨٥	الناشيء يصف شعره	٢٠٧	أخذ أحمد بن المعتدل للصلة
—	من فصل للناشيء في الشعر	٢٠٨	القطامي يهجو امرأة من محارب
٦٨٦	لمؤلف الكتاب في الشعر	٢٠٩	أم عبد الصمد بن المعتدل
٦٨٧	للخليل بن أحمد يصف الشعراء	—	لأبي حكيمة في الرقيق
—	بين أعرابي وشاعر من أبناء الفرس	٢١٠	لأبي شراة يمدح بني رياح
٦٨٨	لعامة بن بتميل ، وللجاحظ	٢١١	لابن المعتدل في إبراهيم بن رياح
—	لبشار وقد مدح المهدي فلم يجزه	—	صفات عبد الصمد بن المعتدل
—	خالد بن صفوان يصف جريرا	٢١٢	من شعر أبي حكيمة راشد بن إسحاق
٦٨٩	بين العجاج وعبد الملك بن مروان	٢١٤	بين الرشيد وعبد الملك بن صالح
—	المقامة القرظية للبيديع	٢١٥	عبد الملك بن صالح
٦٩٢	المقامة الفيلانية للبيديع	—	لابن الرومي يمدح الحقد
٦٩٤	قمر في الشعر	٢١٧	بين مسلمة بن عبد الملك والعباس ابن الوليد
٦٩٥	من مفردات الأبيات في الشعر	—	رجع إلى أخبار عبد الملك بن صالح
٦٩٦	الأحنف بن قيس	٢١٩	بين الرشيد والحسن بن عمران
٦٩٧	سب الأحنف بن قيس	—	بين الرشيد ويزيد بن يزيد
٦٩٨	كلام للأحنف في مجلس معاوية	٢٢٠	مختار مما قيل من الشعر في الرثاء
—	صفة الأحنف	٢٢٢	قطر الندى والحليفة المعتضد
—	ذكر الأحنف للثبي فاستغفر له	٢٢٣	لابن المعتز يرى ابن ثوابة
٦٩٩	مما وصف به الأحنف	٢٢٤	أيام الشباب ، وما قيل فيها من الشعر
—	جارية لآل المهلب والأحنف	٢٢٥	من ترجمة علي بن بسام ، وأخباره
—	وفود الأحنف على معاوية	٢٢٦	بين المأمون وأحمد بن خالد
٧٠٠	ابن الرومي يذكر حق الشاعر عبيد الكرام	—	بين المأمون ومحمد بن داود في حسن الخط
٧٠١	وفاة الأحنف ورثاء امرأة إياه	—	رأفة المأمون بعاله
٧٠٢	المعتصم ومحمد بن وهيب	٢٢٨	بين يزيد بن معاوية وجميل بن أوس
٧٠٣	منصور النمرى والعتابي	—	من أقوال الحكماء عند وفاة الاسكندر
٧٠٤	تقديم الرشيد للنمرى		
٧٠٥	النمرى رافضى		
٧٠٦	أبناء المعتدل ، أحمد بن المعتدل		

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٧٢١	جملة من كلام ابن المعتز في ذكر السلطان	٧٦٦	ألفاظ لأهل العصر في وصف الاستطالة والكبر
٧٢٠	من كلام أهل العصر في هذا النحو	٧٧٠	من بديع الزمان يشكو القاضي الحيرى
٧٢١	وصف جارية كاتبة	٧٧٣	للبيديع في ذكر العلم
—	وصف غلام كاتب	٧٧٤	من مفردات الأبيات في المعايير
—	من بديع الزمان لابن العميد	٧٧٥	قولهم في اللحن وتعلم العربية
٧٢٢	بين البيديع وأبي القاسم الهمداني	٧٧٦	لوعة الشوق
٧٢٣	من مقامات بديع الزمان	٧٧٩	بنو عذرة
٧٢٤	مما قيل في وصف فص وخاتم	٧٧٩	وصف الحسن
٧٢٥	مفاضلة بين الكلام والصمت	٧٨٠	وصف الهوى ، وأمره
٧٢٦	الحنين إلى الأوطان وبعض ما قيل فيه	٧٨١	بعض ما جاء في العفاف
٧٤١	ألفاظ لأهل العصر في وصف الأمكنة	٧٨٤	ألفاظ لأهل العصر في وصف النساء
٧٤٢	ولهم في ضد ذلك	٧٨٥	ولهم في وصف العلمان والمعذرين
—	ولهم في وصف الفلاع والحصون	٧٨٧	ولهم في تقيض ذلك في ذم خروج اللحية
٧٤٣	ولهم في صفات الدور والقصور	—	من رسائل بديع الزمان
—	من رسائل الميسكالي وشعره	٧٨٩	المقامة الأسديّة ، لبديع الزمان
٧٤٨	لكشاجم يصف شعما	٧٩٣	لأبي فراس الحمداني يتغزل
—	لابن الرومي يذكر رجلا متلونا	٧٩٤	لابن المعتز في الغزل
٧٤٩	وصف أبي الفضل الميسكالي للمطوعى	—	لأبي نواس في وصف يوم شرب
٧٥٠	ابن أبي دواد بين يدي الواثق	٧٩٥	لأبي العباس الناشيء
٧٥١	من صفة ابن أبي دواد وأخباره	—	لأبي خراش الهذلي
٧٥٢	بن أبي العيّناء وابن أبي دواد	٧٩٦	رثاء أبي خراش لأخيه
٧٥٢	قطعة من شعر الأعراب في الغزل	٧٩٧	لابن الرومي
٧٥٤	زيارة طيف الخيال	—	لأبي نواس
٧٥٩	عقال بن شبة بين يدي المنصور	—	وصف الدمن والأطلال
—	زهير وهرم بن أبي سنان	٧٩٩	لأهل العصر في وصف الديار الحالية
٧٦١	فضل الشعر	٨٠١	بعض ما قيل في طول الليل
٧٦٢	من أخبار أبي تمام	٨٠٤	لأهل العصر في طول الليل
٧٦٣	استنجاز أعرابي موعدة	٨٠٥	ولهم في ضد ذلك
٧٦٤	معاوية بن يسار وبعض أخباره		

الموضوع	ص	الموضوع	ص
أبو الصقر وصاعد بن مخلد	٨٤٣	٨٠٥ ولهم في ذكر النوم والنعاس	
أبو العيناء وابن أبي ثوبة	٨٤٤	٨٠٧ من بديع الشعر في وصف الليل	
من مكارم أبي الصقر	—	٨٠٨ أخو الصفاء قريب	
أبو الصقر وأبو العيناء	—	٨١٠ بعض ما قيل في وصف النجوم	
أبو العيناء يدم ابن الخصب	٨٤٥	٨١٣ من وصف الشراب في الليل	
أبو بكر سيديو به المصري وأهل مصر	٨٤٦	٨١٦ المختار من شعر تميم بن المعز	
رجع إلى أبي العيناء	٨٤٨	٨١٩ عود إلى وصف النجوم	
كلمات لأبي العيناء	٨٤٩	٨٢١ أجمل ما قال العرب من الشعر	
المختار مما قيل في الرثاء	—	٨٢٢ لأهل العصر في طلوع الشمس وغروبها	
لأهل العصر في التعازي	٨٥٥	٨٢٣ المقامة الكوفية ، لبديع الزمان	
المقامة الأهوازية ، لبديع الزمان	٨٦٥	٨٢٤ من رسائل بديع الزمان	
من رسائل بديع الزمان	٨٦٢	٨٢٦ جملة من كلام ابن المعتز في الفصول القصار	
من رسائل الصابي	٨٦٤	٨٢٧ رثاء المعتضد وتعزيتة	
لابن الرومي	٨٦٥	٨٢٩ من شعر ابن المعتز	
بين أبي العتاهية وابنه	—	٨٣١ أبو شجاع عضد الدولة	
قفر من كلام المتصرفة	٨٦٦	— الموفق العباسي	
الرأي والهوى	٨٧١	٨٣٣ صاحب الزنج	
من البدائث في مجالس الخلفاء	—	٨٣٦ لابن يامين في سيف عمرو بن	
أحوال السفاح	٨٧٢	معد يكره الزيدي	
لمعن بن أوس	٨٧٤	٨٣٧ للبحترى يصف سيفا	
من رسائل ابن العميد	٨٧٦	— لابن هاني يصف سيف المعز	
حسن التأتى للأموه	٨٨٠	٨٣٨ وفد الشام بين يدي المنصور	
قفر في ذكر المشورة	٨٨٠	— بعض ما قيل في العفو	
تأريخ الكتب والرسائل	٨٨١	— تميم بن جميل السدوسي والمعتصم	
قفر وأمثال يتداولها العمال	٨٨٢	٨٤٠ من المعتصم إلى عبد الله بن طاهر	
من ترجمة منصور الفقيه	٨٨٣	٨٤١ الخليفة المعتصم	
من بديع الزمان لابن المرزيان	٨٨٥	٨٤٤ كعب بن معدان يصف للحجاج	
من البديع لبعض إخوانه	٨٨٧	بني المهلب	
بين سهل بن هارون والحسن بن سهل	٨٨٨	٨٤٣ بشر بن مالك يصف للحجاج بني المهلب أيضا	

الموضوع	ص	الموضوع	ص
مثل من بلاغة عمرو بن مسعدة	٨٩٣	من أمثال البخلاء واحتجاجهم	٨٨٩
للتيمى فى عمرو بن مسعدة	٨٩٤	فقر لابن المعتز فى الصداقة	٨٩٥
الكلام الجيد الطبع ، والكلام الضئوع	٨٩٥	كتاب الحسن بن وهب إلى أبى تمام يصف بلاغته	٨٩١
		للبحترى فى الحسن بن وهب	٨٩٢

والحمد لله واسع الفضل ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد
نبيه المصطفى ، وعلى آله وصحبه وعترته .

زَهْرُ الْأَلْبَابِ

وثمر الألباب

لأبي إسحاق إبراهيم بن علي ، الحصري ، القيرواني
المتوفى في عام ٤٥٣ من الهجرة

مفصل ومضبوط ومشروح بقلم المرحوم
الدكتور زكي مبارك

الجزء الرابع

حققه وزاد في تفصيله وضبطه وشرحه

محمد بن عبد المنعم

دار الحديث

بيروت

جميع الحقوق محفوظة لدار الجليل

الطبعة الخامسة

١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

الحمد لله كِفَاءَ نَعْمَائِهِ ، والشكر له على آلائِهِ ، وصلواتُه وسلامُه
على الصَّفْوَةِ من أنبيائه ، وعلى آله وصحبه وأوليائه

[نماذج من الشعر الجيد]

لابن المعتز

ومن الشعر الذي يجري مع النفس قول ابن المعتز يمدح المكنفي ؛ إذ قدم
من الرقة بعد القبض على القرمطي فقال :

لا ورمّان النهود فوق أغصانِ القدود^(١)
وعناقيدٍ مِنَ أصدا غ وورْد من حُدودِ
وبدور من وُجوه طالعَات بالسعود
ورسول جاء بلمية ماد من بعدِ الوعيد
ونعيم من وصال في قفَا طولِ الصدود^(٢)
ما رأت عيني كظبي زارني في يوم عيد
في قباء فاختي السلون من لبس الجديد^(٣)
كلما قاتل جندي بسيف وعمود
قاتل الناسَ بعينين وخذّين وجيد^(٤)
قد سقاني الخمر من فيه على رغم الحسود

(١) « زمان النهود » و « أغصان القدود » كلاهما من إضافة المشبه به إلى المشبه : أي النهود التي كالرمان ، والقدود التي كالأغصان ، مثل « ذهب الأصيل » و « لجين الماء » (م)

(٢) « في قفا طول الصدود » أي بعده (م)

(٣) القباء - بفتح القاف ، بزنة السحاب - ثوب يلبس فوق الثياب ، وقيل : ثوب يلبس فوق القميص ويتمنطق عليه ، ويجمع على أقبية ، وفاختي : منسوب إلى الفاختة واحدة الفواخت ، وهي من ذوات الأطواق من الحمام ، قيل لها ذلك لونها ، فإن لونها يشبه الفخت ، الذي هو ضوء القمر (م)

(٤) الجيد - بكسر الجيم - العنق (م)

وتعانقنا كَأَنَا وَهُوَ فِي عَقْدٍ شَدِيدٍ
 نَقْرَعُ الثَّغْرَ بِثَغْرِ طَيِّبٍ عِنْدَ الْوُرُودِ
 [مثل ما عاجل بردٌ قَطْرٌ مُرْزَنٌ بِجَمُودِ
 سَحْرًا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَرْجِعَ أَرْوَاحُ الْوُفُودِ
 وَمَضَى بِخَطَرٍ فِي الشَّمْسِ كَجِبَارٍ عَنِيدِ]
 مَرْحَبًا بِالْمَلِكِ الْقَا دَمَ بِالْجَدِّ السَّعِيدِ
 يَا مَذَلَّ الْبَغْيِ يَا قَا تَلَّ حَيَّاتِ الْخُقُودِ
 عَشَّ وَدُمٌ فِي ظِلِّ عَيْشٍ خَالِدٌ بَاقٍ جَدِيدِ
 فَلَقَدْ أَصْبَحَ أَعْدَاؤُكَ كَالزَّرْعِ الْحَصِيدِ
 ثُمَّ قَدْ صَارُوا حَدِيثًا مِثْلَ عَادٍ وَثَمُودِ
 جَاءَهُمْ بِحَرِّ حَدِيدٍ تَحْتَ أَجْبَالِ بُنُودِ
 فِيهِ عَقْبَانُ خَيْوَلٍ فَوْقَهَا أُسْدُ جُنُودِ
 وَرَدُّوا الْحَرْبَ فَدَّوْا كُلَّ خَطِيئَةٍ مَدِيدِ^(١)
 وَحَسَامِ شَرِّهِ الْحَدَّ إِلَى قَطْعِ الْوَرِيدِ^(٢)
 مَا لِهَذَا الْفَتْحِ يَا خَيْرَ إِمَامٍ مَنْ نَدِيدِ^(٣)
 فَاحْمَدِ اللَّهَ فَإِنَّ الْحَمْدَ مِفْتَاحُ الْمَزِيدِ

وقول علي بن الخليل مولى يزيد بن يزيد الشيباني وكان يُرمى بالزندقة ، قال لعلي بن الخليل
 الفضل بن الربيع : جلس الرشيد يوماً للمظالم ، فجعلت أتصفحُ الناسَ ، وأسمعُ
 كلامهم ، فرميت بطرفي ، فرأيتُ في آخرهم شيخاً حسنَ الهيئةِ والوجهِ ما رأيتُ
 أحسنَ منه ؛ فوقف حتى تقوَّضَ المجلسُ^(٤) ثم قال : يا أمير المؤمنين ، رقتي ؛ فأمر

(١) الخطي : الريح ، نسبة إلى الخط ، وهو مرفأ للسفن تجلب إليه الرياح ،

ومديد : طويل (م)

(٢) الوريد : عرق في العنق (م) (٣) نديد : مثل وشبيه (م)

(٤) تقوَّضَ المجلس : انقضَّ أهله ، وأصله « تقوَّضَ البناء » بمعنى تهشم (م)

بأخذها ، فقال : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي بقراءتها ؛ فأنا أحسنُ تعبيراً
 نلغى من غيري - فقال له : اقرأ ، فقال : شيخ ضعيف ، ومقامٌ صعب ، ولا آمنُ
 الاضطراب ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يصلَ عنايته بأمرى في الإذن بالجلوس
 فعل ، فقال : اجلس ، فجلس وأنشأ يقول :

يا خَيْرَ من وُجِدتْ بأرْحِلِهِ	نُجِبُ الرِكَابِ بِمَهْمِهِ جَلِسِ (١)
تَطْوَى السِّبَاسِ فِي أَرْمَتِهَا	طَى التَّجَارِ عِثَامَ الْبِرْسِ (٢)
لَمَّا رَأَتْكَ الشَّمْسُ طَالِعَةً	سَجَدتْ لَوَجْهِكَ طَلْعَةَ الشَّمْسِ
خَيْرُ الْبَرِيَةِ أَنْتَ كُلِّهِمْ	فِي يَوْمِكَ الْغَادِي فِي الْأَمْسِ
وَكَذَاكَ لَنْ تَنْفِكَ خَيْرَهُمْ	تَمْسِي وَتَصْبِحُ فَوْقَ مَا تُمْسِي
لِلَّهِ مَا هَرُونَ مِنْ مَلِكٍ	عَفَّ السَّرِيرَةَ طَاهِرِ النَّفْسِ
تَمَّتْ عَلَيْهِ لِرَبِّهِ نَعَمٌ	تَزْدَادُ جِدَّتِهَا مَعَ اللَّبْسِ
مِنْ عِتْرَةِ طَابَتْ أَرْوَمَتِهَا	أَهْلُ الْعَفَافِ وَمُنْتَهَى الْقُدْسِ
مَهْلَكِينَ عَلَى أَيْسَرَتِهِمْ	وَلَدَى الْهِيَاجِ مَصَاعِبُ شَمْسِ (٣)
إِنِّي لَجَأْتُ إِلَيْكَ مِنْ فَرْعٍ	قَدْ كَانَ شَرِّدَنِي وَمِنْ لَبْسِ
لَمَّا اسْتَخَرْتُ اللَّهَ مَجْتَهَداً	يَمَّتْ نُحُوكَ رِخْلَةَ الْعَنْسِ (٤)
وَاخْتَرْتُ حِلْمَكَ لَا أَجَاوِزُهُ	حَتَّى أَغْيِبَ فِي ثُرَى رَمْسِي
كَمْ قَدْ سَرَيْتَ إِلَيْكَ مُدَّرَعَا	لِيَلَا يَمُوجُ كَعَالِكَ النَّقْسِ (٥)
إِنْ رَاعَنِي مِنْ هَاجِسٍ فَرْعٌ	كَانَ التَّوَكُّلُ عِنْدَهُ تَرْسِي
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنِّي رَجُلٌ	أَصْبُو إِلَى تَفَرٍّ مِنَ الْإِنْسِ

(١) وُجِدتْ : من الوُجْد ، وهو ضرب من السير السريع ، والنَّجِب : جمع
 نجيب ، واللمهه : الصحراء ، وجليس : غليظ ، يريد أن السير فيه يشق على سالكيه (م)
 (٢) تطوى : تقطع ، والسباسب : جمع سبب ، وهي الأرض المستوية البعيدة ،
 والبرس - بالكسر - القطن (م) (٣) مصعب : جمع مصعب ، وهو من الإبل
 الذي تصعب مقادته ، وشمير : جمع أشمس ، وهو الآبي النافر اللطيف (م)
 (٤) العنس : الطاقة الصلبة (م) (٥) النقس - بالكسر - الحبر (م)

بيض أو انسر لا قرون لها يمتنان بالتطويل والخنس
وأجاذب الفتيان بينهم صفراء مثل مجاجة الورس
للماء في حافاتها حبيب^١ نظم كرقم صحائف القوس
والله يعلم في بنيته ما إن أضعت إقامة الخنس^(١)

قال : ومن تكون ؟ قال : علي بن الخليل ، الذي يقال إنه زنديق ، فقال له : أنت آمن ، وأمر له بخمسة آلاف درهم .

وأشدد أبو العباس المبرد لرجل يصف دعوة دعا بها الله عز وجل ، وقد رأيتها في شعر محمد بن حازم الباهلي :

وصف دعوة
محمد بن حازم

وسارية لم تسر في الأرض تفتني محلاً ، ولم يقطع بها اليد قاطع
سرت حيث لم تحدد الركاب ولم تنخج لورد ، ولم يقصر لها القيد مانع
تمر وراء الليل والليل ضارب بجثمانه فيه سمير وهاجع
إذا وردت لم يرؤد الله وفدها على أهلها ، والله راء وسامع
تفتح أبواب السموات دونها إذا قرع الأبواب منهن قارع
وإني لأرجو الله حتى كأتني أرى بجميل الظن ما الله صانع

[من مستحسن الأجوبة]

ودخل رجل [من شيان] على معن بن زائدة ، فقال : ما هذه الغيبة ؟ بين معن بن زائدة ورجل من شيان
الأمير شديداً ، وهو دون ما يجب له ، وذكرى له كثيرا ، وهو دون قدره ، ولكن جفوة الحجاب ، وقلة بشر العلمان ، منعاني من الإتيان ! فأمر بتسهيل إذنه ، وأجزل صلته .

وقال أبو جعفر المنصور لمعن بن زائدة : كبرت يا معن ! قال : في طاعتك بين المنصور
يا أمير المؤمنين ، قال : إنك مجلد^(٢) ، قال : على أعدائك ، قال : وإن فيك لبقية ، قال : ومعن بن زائدة

(١) الخنس : أراد الصلوات الحسن المفروضة (م)

(٢) جلد : قوى شديد الاحتمال (م)

هي لك يا أمير المؤمنين ، قال : فأى الدولتين أحب إليك ؛ هذه أم دولة بني أمية ؟
قال : ذلك إليك يا أمير المؤمنين ، إن زاد برك على برهم كانت دولتك أحب إلى .
[من ترجمة معن بن زائدة ، وأخباره]

ومعن هذا هو معن بن زائدة بن عبد الله [بن زائدة بن مطر بن شريك بن عمرو أخي الحوفزان بن شريك بن عمرو بن قيس] بن شرحبيل بن منبه بن مرة ابن ذهل بن شيبان ، وبنو مطر بيت شيبان ، وشيبان بيت ربيعة .

وكان معن أجود الناس ، وفيه يقول حرّوان بن أبي حفصة ويعم بن مطر :

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم أسودٌ لها في غيلٍ خفان أشبل^(١)
همُ يمنعون الجارَ حتى كأنما لجارهم بين السما كين منزلُ
ولا يستطيعُ القاعلون فعالمهم وإن أحسنوا في النائبات وأجلوا
بهاليل في الإسلام سادوا ولم يكن كأولهم في الجاهلية أولُ
هم القومُ إن قالوا أصابوا وإن دُعوا جابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا
أخذ البيت الأول ابن الرومي ، وزاد فيه ، فقال :

تلقاهم ورمح الخط بينهم كالأسد البسها الآجام خفانُ

[الرأي والشجاعة]

أتى قوم من العرب شيخاً لهم قد أُرئي على الثمانين ، وأهدف على التسعين^(٢) ،
فقالوا : إن عدونا استاق سرحنا ، فأشّر علينا بما ندرِك به الثمار ، وننفي به العار ،
فقال : الضعف فسح همتي ، ونكت إبرام عزيمتي ، ولكن شاوروا الشجعان من
ذوى العزم ، والجبناء من ذوى الحزم ؛ فإن الجبان لا يألو برأيه ما يبق مهجكم ،
والشجاع لا يألو برأيه ما يشيد ذكركم ، ثم اخلصوا من الرأي بنتيجة تبعد عنكم
معرفة نقصي الجبان ، وتهوّر الشجعان ، فإذا نجم الرأي على هذا كان أنفذ على
عدوكم من السهم الصائب ، والحسام القاضب .

(١) القيل - بكسر العين - موضع الأسد ، وخفان : مكان مشهور بالأسود ،

والأشبل : جمع شبل - بالكسر - وهو ولد السبع (م)

(٢) أهدف على التسعين : قاربها وأشرف عليها (م)

لابن أبي حفصة
في بني مطر
قوم معن

[قضاء الله وعدله]

قال الأصمعي : سمعت أعرابية تقول لرجل تخصمته : والله لو صور الجمل لأظلم معه النهار ، ولو صور العقل لأضاء معه الليل ، وإنك من أفضلهما لمعدم ؛ فحَفَّ الله ، واعلم أن من ورائك حَسَكًا لا يحتاجُ المدعى عنده إلى إحضار البينة .

[بنو كليب]

قال الفرزدق يهجو كليبيا :

ولو يرُمى بلوم بني كليب نجوم الليل ما وضحت لساري
ولو ليس النهار بنو كليب لدنس لؤمهم وضح النهار

[من جيد كلام الأعراب]

دعاء أعرابي
بعرقة

وقال سفيان بن عيينة : سمعت أعرابيا يقول عشية عرفة : اللهم لا تحرمني خيرا ما عندك إشرًا ما عندي ، وإن لم تتقبل تعبي ونصبي فلا تحرمني أجر المصاب على مصيبيته .

عتاب بين
صديقين

وقال آخر منهم لصديق استبطأه فلامه : كانت لي إليك زلةٌ يمنعني من ذكرها ما أملتُ من تجاوزك عنها ، ولست أعتذرُ إليك منها إلا بالإقلاع عنها .
وقال آخر لابن عم له : والله ما أعرف تقصيرا فأقلع ، ولا ذنبا فأعتب ، ولست أقول : إنك كذبت ، ولا إنني أذنبت .

وقال آخر لابن عم له : سأخطي ذنبك إلى عذرك ، وإن كنت من أحدهما على يقين ، ومن الآخر على شك ، لتتمَّ النعمة مني إليك ، وتقومَ الحجةُ لي عليك .
وأصيب أعرابيُّ بابن له فقال - وقد قيل له : اصبر - أعلى الله أتجلد ، أم في مصيبي أتبدل ؟ والله للجزع من أمره أحبُّ إليَّ الآن من الصبر ! لأن الجزع استكانة ، والصبر قساوة ، ولئن لم أجزع من النقص لا أفرح بالمزيد .

ودعا أعرابي فقال : اللهم إني أعوذُ بك أن افتقرَ في غناك ، أو أضلَّ في هداك ، أو أذلَّ في عزك ، أو أضام في سلطانك ، أو أضظهد والأمر إليك .

قال الأصمعي : سمعتُ أعرابياً يَعْظُ رجلاً وهو يقول : وَنَحْكُ ! إن فلانا وإن ضحك إليك ، فإنه يضحك منك ، ولئن أظمِ الشفقة عليك ، إن عقاربه لتسرى إليك ؛ فإن لم تتخذْه عدواً في علانيتك ، فلا تجعله صديقاً في سريرتك .
سمع أعرابيٌ رجلاً يقعُ في السلطان ، فقال : إنك عُقْلٌ لم تَسِمِكَ التجارب ، وفي النصيح لَسَعُ العقارب ، كأنى بالضاحك إليك ، وهو بالكِ عليك .

وحذرَ بعضُ الحكماءِ صديقاً له صحبه رجل ، فقال : احذرْ فلانا فإنه كثيرُ المسألةِ ، حسنُ البحثِ ، لطيفُ الاستدراجِ ، يحفظُ أولَ كلامك على آخره ، ويعتبرُ ما أخرتَ بما قدّمتَ ، فلا تظهرنَّ له الخفاة فيرى أن قد تَحَرَّزْتَ ؛ واعلم أنَّ من يقظة الفطنة إظهارَ الغفلة مع شدة الحذر ، فبائتُه مائةَ الآمين ، وتحفظُ منه تحفظُ الخائف ؛ فإنَّ البحثَ يظهر الخفيَ الباطن ، ويُبدي المستكنَّ الكامن .

أتى أعرابيٌ رجلاً لم يكن بينه وبينه حرمة في حاجة له ، فقال : إني امتطيتُ إليك الرجاء ، وسرَّيتُ على الأمل ، ورافقتُ الشكر ، وتوسَّلتُ بحسنِ الظن ، فحقق الأمل ، وأحسنِ المثوبة ، وأكرمِ الصَّفد^(١) ، وأقمِ الأود^(٢) ، وعجلِ السراح^(٣) .
قال الأصمعي : وسمعتُ أعرابياً يقول : إذا ثبتت الأصول في القلوب ، نطقت الألسنة . لفروع ! والله يعلم أن قلبي لك شاكر ، ولساني ذاكِر ، ومحال أن يظهرَ الودَّ المستقيم ، من الفؤاد السقيم .

ومدح أعرابي رجلاً ، فقال : إنه ليغسل من العار وجوهاً مسودَّة ، ويفتح من الرأي أبواباً منسدَّة .
وقال أعرابي :

كم قد ولدتم من رئيسٍ قسورٍ دامي الأظافرِ في الخميسِ الممطرِ
سدَّكتُ أنامله بقائمٍ مرهفٍ [وبنشرِ فائدةٍ وجدوةٍ منبرٍ

(١) الصَّفد : العطاء ، وهو يفتح الصاد والفاء جميعاً (م)

(٢) الأود - بالتحريك - الاعوجاج (م) (٣) السراح : الفكاك (م)

ما إن يريد إذا الرماحُ تشاجرت
يلقى السيوفَ بوجهه وبنحره [
ويقول للطرفِ اصطبرِ لشباً القنأ
وإذا تأمل شخصاً ضيفِ مقبل
أومئ إلى الكوماء هذا طارق
وقال :

قامت تصدَّى له عمداً لغفلته
جيداء ربّداء لم تعقد فلائدها
فراح كالحائم الصديان ليس له
وقال آخر :

ومكتتاتٍ بعد وهن طرفني
دسسن رسولاً ناصحاً وتلونهُ
فبتُ أعاطين صرفاً صباية
فيا وجد قلبي يوم أتبعته ناظري

وقال الأحنف بن قيس : من لم يستوحش من ذلّ المسألة لم يأنف من الرد .
وقال سفيان الثوري لأخ له : هل بلغك شيء مما تكرهه عن لا تعرف ؟
قال : لا ، قال : فأقلل ممن تعرف .

أخذه ابن الرومي ، فقال :

عدوئك من صديقك مُستفاد
فإنّ الداء أكثر ما تراه
فدع عنك الكثير فكم كثير
فأقلل ما استطعت من الصحاب
يكون من الطعام أو الشراب
يُعاف ، وكم قليل مستطاب ؟

(١) في نسخة « سربال ليل أغبر » وهو الندى أحفظه (م)

(٢) الكوماء : الناقة العظيمة السنام (م)

وما اللّججُ الملاحُ مَرَوِيَّاتٍ وَيُنْفِي الرّسْيُ فِي النُّظْفِ العِذابِ

[جُمَلٌ مِنْ أَلْوَانِ المَدِيحِ]

وقال رجل لخالد القسري: والله إنك لتتبدّل ماجلّ، وتجبر ما انفلّ، وتكثر ما قلّ؛ ففضلك بديع، ورأيتك جميع، تحفظ ما شدّ، وتؤلف ما ندّ. وسئل أعرابي عن قومه، فقال: يقتلون الفقّر، عند شدّة القرّ، وأرواح الشتاء، وهبوب الجريبياء^(١)، بأسنمة الجزور، ومترعكات القدور، تهش وجوههم عند طلب المعروف، وتعبس عند لمعان السيوف.

ووصف أعرابي قوما فقال: لهم جودٌ كرام اتّسعت أحوالها، وبأسٌ ليوث تنبها أشبالها، وهممٌ ملوك انفسحت آمالها، وفجرٌ آباء شرفت أحوالها.

وقال خالد بن صفوان، وقد دخل على بعض الولاة: قدمت فأعطيت كلاً بقسطه من نظرك [ومجلسك]، وصوتك، وعدلك، حتى كأنك من كل أحد، وحتى كأنك لست من أحد.

وذكر خالد رجلاً فقال: كان والله بديع المنطق، ذلق البراة، جزل الألفاظ، عربيّ اللسان، ثابت العقدة، رقيق الحواشي، خفيف الشفتين، بلبل الريق، رحب الشرف، قليل الحركات، خفيّ الإشارات، حلو الشائل، حسن الطلاوة، حبيباً جريباً، قوولا صموتا، يفل الحزّ، ويصيب المفاصل، لم يكن بالهذر في منطقه، ولا بالزمر في مروءته، ولا بالخرق في خليقته، متبوعاً غير تابع، كأنه علم في رأسه نار.

وقال بعض البلغاء لرئيسه: إن من النعمة على المثنى عليك أنه لا يأمن بالتقصير، ولا يخاف الإفراط، ولا يحذر أن تلحقه نقيصة الكذب، ولا ينتهي به المدح إلى غاية إلاّ وجد في فضلك عوناً على تجاوزها. ومن سمادة جدك أن الداعي لا يعدم كثرة المشايخين، ومساعدة النية على ظاهر القول.

(١) الجريبياء: ريح الشمال، أو بردها، أو هي ريح بين الشمال والجنوب (م)

ألفاظ لأهل العصر ، في ضروب المأدح

قد وضعت كثرة التجارب، في يدهِ مرآةِ العواقب. قد نجدته صروفُ الدهور،
 وحسنته مصائرُ الأمور. قد أرضعتهُ الحنكة بلبانها، وأدبته الدرّبة في إبانها.
 فلان نازلُ التجارب حنكته، وفوادحُ الأيام عركته. هو عارف بتصاريف
 [الأيام، أخذُ برهان التجارب، نافذ في مجال التحصيل والتميز. قد صحب الأيام،
 وتولّى] النقص والإبرام. هو ابنُ الدهر حنكةً وتجرباً، وعوداً على الدهر صليباً،
 قد أدبه الليلُ والنهار، ودارت على رأسه الأدوار، واختلفت به الأطوار. له همة
 علا جناحها إلى عنان النجم. وامتدّ صباحها من شرق إلى غرب، لا يتعاطمه إشراف
 الأمر إذا أخطره بفكره، وانتساف الصخر إذا ألقاه في وهمه، همتة أبعاد من مناطِ
 الفرقد، وأعلى من منكب الجوزاء. أوسع من الأرض ذات العرض. هو حى القلب،
 منشرح الصدر، ذكيُّ الذهن، شجاعُ الطبع، ليس بالنووم ولا السووم، فذ فرزد،
 وأسدوزد، وكان له في كل جارحة قلباً. كأن قلبه عين، وكان جسّمه سمع.
 شهابٌ مقدّم، وقذحٌ مقوم. [وهو شهيمٌ] مشدود النطاق، قائم على ساق، قد
 جد واجتهد، وحشر وحشد، شمر عن ساق الجدما أطاق، قد ركب الصعب والذلول،
 وتجشم الحزن والسهول، وقطع البر والبحر، وأعمل السيفَ والرمحَ، وأسرجَ
 الدّم والشهب^(١). هو مولود في طالع الكمال، وهو جملة الجمال. قد أصبح عينَ
 المكارم، وزين المحافل. هو فرزدُ دهره، وشمسُ عصره، وزينُ مضره، وهو علم
 الفضل، وواسطة عقدِ الدهر، ونادرة الفلك، ونكتة الدنيا، وغرة العصر. قد
 بايعته يدُ الجد، ومالت به الشورى إلى النصر. فلان يزيدُ عليهم زيادة الشمس
 على البدر، والبحر على القطر. هورائسُ نبلهم، ونبعة فضلهم، وجمّة وزدهم،

(١) أسرج: وضع السرج، والدم: جمع أدم، والشهب: جمع أشهب،

والدهمة والشبهة من ألوان الخيل (م)

وواسطة عقدهم . هو صدْرُهُم وِبدْرُهُم ، ومن عليه يدورُ أمرُهُم ، يُنِيفُ عليهم إنافةً صفحة الشمسِ على كُرَّةِ الأرضِ ، كأنهم فلكٌ هو قُطْبُهُ ، وجَسَدُهُ هو قَلْبُهُ ، ومملوكٌ هو رُثْبُهُ . هو مشهورٌ بسيادتهم ، وواسطةٌ قِلادتهم . موضعه من أهل الفضل موضع الواسطة من العقد ، وليلة التَّمِّ من الشهر ، بل ليلة القَدْرِ إلى مطلع الفجر . أَفْضَلُ وَأَنْعَمُ ، وأسدى في الإحسان وألحم ، وأُسْرَجُ في الإكرام وألجم ، قسم من إنعامه ما يَبْسُغُ أُمَمًا ، وتلقى السعادة أُمَمًا^(١) ، أعطاه عنانَ الأهتمام ، حتى استولى على قَصَبِ المرام . رُدَّ عنه الدهرُ أَحْصَى الجِناحَ^(٢) ، ومَلَكَه مَقَادَةُ النجاح . أولاه من معهود البرِّ ومألوفه ، وقَصَّرت الأعداء عن مِثَالِهِ وألوفه . أولاه إسعافًا سَمِحًا . وعطاءً سَحًا ، ومنناصفواً وعفواً . أفاض عليه شِعَابُ البرِّ وَمَسَائِلُهُ ، وجمع له شعوبَ الجليل وقبائله ، وهطَلَتْ عليه سحائبُ عُنَايَتِهِ ، ورفرفت حوله أجنحةُ رعايته . قد فكاه بكرمه من قَيْدِ السُّؤالِ ، ومعرفة الاختلال . رَاشَهُ بعد ما حصَّه الفقر ، وأرضاه وقد أسخطه الدهر . ملأ العيونَ ، وسهر دوننا لتحقيق الظنون . قد شِمْتُ من كرمِهِ أَكْرَمِ سحاب ، وحصلت من إنعامه في أَحْصَى جَنَابِ . قد سدَّ ثَمَّةً حَالِي ، وأدرَّ حَلُوبَةَ آمَالِي . ما أخلو من طَلِّ إِحْسَانِهِ ووابله ، وغابِرِ إنعامه وقابله . قد استمطرتُ منه بِنَوءِ غزير . وسرِبتُ في ضوءِ قمر منير . قد كَرَعْتُ من برِّهِ في مَسَارِعِ تَغْزُرُ وَلَا تَنْزُرُ ، ورفَلْتُ من طَوْلِهِ في ملابس تطول ولا تقصر . إقامته في ظلِّ ظليل ، وفضل جزيل ، وريحٍ بليلى ، ونسيمٍ عليل ، وماء زَوِيٍّ ، ومهادٍ وطِيٍّ ، وكنٍّ كَنِينٍ ، ومكان مَكِينٍ . أنا آوِي إلى ظِلِّهِ كما يَأْوِي الطيرُ المذعور إلى الحرم ، وأُوجِه منه وَجْهَ المجد وصورة الكرم . أنا من إنعامه بين خير مستفيض ، وجاهٍ عريض ، ونعم بيض . قد استظهرت على جَوْرِ الأيَّامِ بَعْدَهُ ، واستترتُ من دهرى بظِلِّهِ . ما أَرَدْتُ فِيهِ طَرَفِي

(١) أمما - بفتح الهمزة والميم - قريباً (م)

(٢) « أَحْصَى الجِناح » كناية عن الضعف (م)

وأعدت من خالص ملكي منسب إلى عطائه، أو مكسب بحميل آرائه . مسافة بصرى
تبعدين سافرت في مواهبه، وركائب فكري تطلع^(١) إن أنصيتها في استقراء صنائعه .
نعمة: نعمة عمّت الأمم، وسبقت النعم، وكشفت الهوم ورفعت الهمم، نعمة قد سطع
صباحها مستنيراً، وطلب شعاعها مستطيراً، قد عرفتنى نعمة حتى استنفدت شكر
لساني ويدي وأتعبت ظهري، وملاّت صدري. نعمة عندى مشرقة الجوّ، مغرقة
النوء، موقنة الضوء. تتابعت نعمة تتابع القطر على القفر، وترادفت مننه ترادف
الغنى إلى ذوى القفر. نعمة أشرفت بها أرضي، ومطر بهار ووضي، وورى لها زندي،
وعلا معها جدّي، وأتاني الزمان يعتذر من إساءته، وجاءني الدهر ينتظر أمري .
نعمة أنعمت البال، ومررت النفس والحال . نعم نعم عوم المطر، وتزيد عليه
بإفراد النفع عن الضرر . نعم تضعف الخواطر عن التماسها، وتضعر القرائح عن
اقتراحها. له أيادٍ قد عمّت الآفاق، ووسمت الأعناق، وأيادٍ قد حبست عليك الشكر،
واستعبدت لك الحر . من توالّت توالى القطر، واتسعت سمعة البرّ والبحر، وأثقلت
كاهل الحرّ . عندى قلادة منتظمة من مننه قد جعلتها وقفاً على نحور الأيام، وجلوتها
على أبصار الأنام . أيادٍ يقصر عن حتوقها جهد القول، وتزهو فيها سواطع الإنعام
والطول . أياديه أطواق في أحياد الأحرار، وأفلاك تدور على ذوى الأخطار . له من
تضعف عن تحملها عواتق الأطواد، ويتضاعف حملها على السمع الشداد، لو تحمل
الثقلان ثقل هذا الامتنان لأثقل كواهلهم وأضعف عواتقهم. أيادٍ يفرض لها الشكر
ويحتم، ومن يبتدأ بها الذكر ويحتم. أيادٍ تثقل الكاهل، ومن تثعب الأنايل .
من تضعف من الشكر^(٢)، وينشر معها قوى النشر، من هي أحسن أثر أمن الغيث
في أزهير الربيع، وأحلى موقعاً من الأمن عند الخائف المروع . إن أتعبت نفسي في

(١) تطلع: تعي وتضعف وتبكل (م)

(٢) من الأولى جمع منة بمعنى العطية وهي بكسر الميم، ومن الثانية جمع منة

بمعنى القوة وهي بضم الميم (م)

تعداد منته وحصرها فسأطعم في إحصاء السحاب وقطرها . أياد لا تحصى أو تحصى
 بحاسن النجوم ، ومنن لا تحصر أو تحصر أقطار الغيوم . أياد كمدد الرمل والنمل ،
 أعيت على العدة ، ولم تقف عند حد . زادت أياديه حتى كادت تجهد الأعداد ،
 وتسبق الإعداد . أياديه عندي أغزر من قطر المطر ، وعوارفه لدى أسرع من رجع
 البصر . رفعتني من قعر التراب ، إلى سماء السحاب . استنبطه من الخضيض الأوهده ،
 إلى السماء الأجد ، وقد نبهه عن حمول ، وأجرى الماء في عوده بعد ذبول ، ورقاه
 إلى ذروة من المجد بعد نزول . فضائل تزل أقدام النجوم لو وطئتها ، وتقصر همم
 الأفلاك لو طلبتها ، ثبت قدمه في المحل اللينف ، ومكّنه من جوامع التشريف .
 جذب بصبعه من المسقط المنحط ، إلى المرفع المشتط .

ولهم في أدعية من صدور الكتب تليق بهذه الأثنية والمادح

أطال الله له البقاء ، كطول يده بالعطاء ، ومدّ له في العمر ، كما تمداد ظله على الحرّ ،
 وأدام له المواهب ، كما أفاض به الرغائب ، وحرّس لديه الفضائل ، كما عوّذ به الشمائل ^(١) .
 تولى الله عنى مكافأته ، وأعان على الخير نيته وقطله ، وأصحاب بقاءه عزاً يبسط يديه
 لأوليائه على أعدائه ، وكلاءة تذب عن ودائع منته عنده ^(٢) ، وزاد في نعمه وإن عظمت ،
 وبلغه أماله وإن انفسحت ، ولا زال الفضل يأوى منه إلى ركن منيع ، وجناب
 مريع . لازالت الألسن عليه بالثناء ناطقة ، والقلوب على مودته متطابقة ، والشهادات
 له بالفضل متناسقة . لا زال يعطف على الصادر والوارد ، عطف الأم والوالد . أبقاه
 الله للجميل يُبلي معالمة ، ويحمي مكارمه ، ويعمر مدارجه ، ويشمر نتائجه . أدام
 الله أيامه التي هي أيام الفضائل ومواقيتها ، وأزمان المآثر وتواريحها . أدامه الله

(١) الشمائل : جمع شمال ، وهي هنا الخصلة والحلة والطبيعة ، وقال الشاعر

* وما لوى أخى من شماليا * (م)

(٢) الكلاءة : الرعاية والحفظ ، وتذب : تدفع (م)

للمواهب ، سامية الذنائب ، موفية على منية الراجي و بغية الطالب . أبقاه الله
 للعتاء يفضّه بين خدمه ، والجمال يُفِيضُهُ على إنشاء نعمه ، والله يتابع له أيام العلاء
 والغبطة ، والتماء والبسطة ، ليرتفع أنواع الخدم في رياض فواضله ، وَيَكْرَعُ
 أصنافُ الحشم في حياض مواهبه ، والله يبقيه طويل الذراع ، مديد الباع ،
 ملياً بالاتصال^(١) والاصطناع . جزاه الله عن نعمة هيأها بعد أن أسبغها ،
 وعارفة مآلها^(٢) بعد أن سوّغها . أفضل ما جازى به مبتدئ إحسان ، ومجبر
 إنسان ، لا زال مكانه مصاناً^(٣) للكرم ، معانا للنعم ، لا تريمه المواهب ،
 ولا ترومه النوائب ، بسطت بالاعلا يده ، وقرن بالسعادة جده ، وجعل خير يوميه
 غده ، ولا زالت الأيام والليالي مطاياها ، في أمانيه وآماله [وأيامه] ، وصرّف
 صروف النير عن إصابة إقباله وكاله .

وقال ابن المعتز في القاسم بن عبيد الله :

أيا حاسداً يكوى التلّيف قلبه إذا ما رآه غازياً وضطّ عسكر
 تصفح بنى الدنيا فهل فيهم له نظير ترى ثم اجتهد وتفكر
 فإن حدثتكَ النفسُ أنك مثله بنجوى ضلال بين جنبيك مُضمر
 فجد ، وأجد رأياً ، وأقدم على العدا وشدّ عن الإنم المآزر وأضبر
 وعاص شياطين الشباب وقارع النوائب وارفع سرعة الضر واجبر
 فإن لم تطق ذافاً عذر الدهر واعترف لأحكامه واستغفر الله يغفر

[منزلة صناعة الكلام]

قال الجاحظ : صناعة الكلام علق نفيس ، وجوهر ثمين ، هو الكنز
 الذي لا يفتنى ولا يبلى ، والصاحب الذي لا يمل ولا يقلى ، وهو العيار على كل

(١) في نسخة « ملياً بالإفضال » .

(٢) في نسخة « وعارفة حلاها » .

(٣) مصانا : موضعاً للصون ، ومعانا : موضعاً للعون ، ولا تريمه : لا تبرجه .

صناعة ، والزمام لسكل عبارة ، والقسطاس الذي به يستبين نقص كل شيء
ورُجحانه ، والراووق الذي يُعرف به صفاه كل شيء وكدره ، والذي كل علم
عليه عيال ، وهو لسكل تحصيل آلة ومثال .

وقال ابن الرومي :

ما عُذِرُ معتزليٌ مُوسرٍ منعتُ كَقَمَاهُ مُعْتَزَلِيَا مِثْلَهُ صَقَدَا^(١)
أَزْعُمُ القَدْرَ المحتومِ مُبْطَئَهُ إِنْ قَالَ ذَاكَ فَقَدْ حَلَّ الَّذِي عَقَدَا

وقال [ابن الرومي] :

لذوى الجدال إذا غَدُوا لجداهم حُجَجٌ تَضِلُّ عن الهدى وتَجُورُ
وَهُنَّ كَأَنِيَةِ الزُّجَاجِ تَصَادَمَتْ فَهَوَتْ ، وَكُلُّ كَاسِرٍ مَكْسُورُ
فَالْقَاتِلُ المَقْتُولُ ثُمَّ لِيَضْعِفِهِ وَلَوْ هَيَّيْهِ ، وَالْأَسْرُ الْمَأْسُورُ

وقال أبو العباس الناشيء يفتخرُ بالكلام :

ونحن أناس يُعرفُ الناسُ فَضْلَنَا بِالسُّنَيْنَا زِينَتِ صُدُورِ الحِافِلِ
تَنْبِيرِ وَجْهِ الحَقِّ عِنْدَ جَوَابِنَا إِذَا أَظْلَمَتْ يَوْمًا وَجُوهُ المَسَائِلِ
صَمْتَنَا فَلَمْ نَتْرُكْ مَقَالًا لَصَامَتِ وَقُلْنَا فَلَمْ نَتْرُكْ مَقَالًا لِقَائِلِ
وقال يصفُ أصحابه :

فلو شَهِدْتِ مَقَامَاتِي وَأُنْدِيَّتِي يَوْمَ الخِصَامِ وَمَاءِ المَوْتِ يَطْرُدُ
فِي فِتْيَةٍ لَمْ يَلِاقِ النَّاسُ مَذًى وَجِدُوا لَهُمْ شَيْهًا وَلَا يُلْفَوْنَ إِنْ فَقَدُوا^(٢)
مَجَاوِرِو الفِضْلِ أَفْلاكِ العَلَّاسِ التَّقْوَى مَحَلِّ الهُدَى عُمْدُ التَّنْهِى الوُطْدُ
كَأَنَّهُمْ فِي صُدُورِ النَّاسِ أَفْنِدَةٌ تَحْسِبُ مَا أَخْطَأُوا فِيهَا وَمَا عَمَدُوا
يُبْدُونَ لِلنَّاسِ مَا تَخْفَى ضَمَائِرُهُمْ كَأَنَّهُمْ وَجَدُوا مِنْهَا الَّذِي وَجَدُوا
دَلَّوْا عَلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا بِظَاهِرِهَا وَعِلْمٌ مَا غَابَ عَنْهُمْ بِالَّذِي شَهِدُوا
مَطَالَعِ الحَقِّ مَا مِنْ شُبْهَةٍ غَسَقَتْ إِلَّا وَمِنْهُمْ لَدَيْنَا كَوَكَبٌ يَقْدُ^(٣)

(١) الصغد - بالتحريك - العطاء .

(٢) يلفون : يوجدون .

(٣) غسقت : أظلمت .

وقال سعيد بن حميد :

قالت : اكرم هوى واكن عن اسمي بالعزير المهيمن الجبار
قلت : لا أستطيع ذلك ، قالت : صرت بعدى تقول بالإجبار
وتخلت عن مقالة بشر بن غياث لمذهب النجبار

وقال أبو القاسم بن عباد الصاحب :

كنت دهرأ أقول بالاستطاعة وأرى الجبر ضلةً وشناعة
ففقدت استطاعتي في هوى ظني ؛ فسمعا للمجبرين وطاعة

وقال أيضا :

ولما تئأت بالحبيب دياره وصرنا جميعا من عيان إلى وهم^(١)
تمكن منى الشوق غير نخالس كعترلى قد تمكن من خصم

[بعض ما قيل في النسيب]

وأشدد محمد بن سلام بعض هذه الأبيات التي أشدها ، وزعم أنها لأبي كبير
المذلى ، ورؤيت ليزيد بن الطمريّة وغيره ، والرواة يدخلون بعض الشعر في
بعض ، وهى :

عقيلية ، أمّا ملاثُ إزارها فوعث ، وأمّا خصرُها فبتيل^(٢)
تقيظُ أكناف الحمى ، ويُظلمها بنعان من وادى الأراك مقيل
فياخلة النفس التي ليس دونها لنا من أخلاء الصفاء خليل
ويا من كتمناحبه ، لم يطع له عدو ، ولم يؤمن عليه دخييل
أما من مقام أشتكى غربّة النوى وخوف العدا فيه إليك سبيل
أليس قليلاً نظرة إن نظرتها إليك ؟ وكلا ليس منك قليل

(١) عيان - بكر العين - معاينة ومشاهدة .

(٢) عقيلية : منسوبة إلى عقيل ، وملاث إزارها : الموضع الذى يدار عليه

الإزار ، وبتيل : دقيق هضم كأنه منقطع عما تحته وما فوقه ، وفي نسخة « قد عص »

وإن عناء النفس - مادمت هكذا
أراجعه قلبي على فراخ
فلا تحملي وزري وأنت ضعيفة
فياجنة الدنيا، ويا منتهى المنى
فديتك، أعدائي كثير، وشقتي
وكنت إذا ماجئت جئت بعلّة
فما كل يوم لي بأرضك حاجة
وأشدد ابن سلام لأبي كبير الهدلى :

وإني لمستقي لها الله كما
سحائب لا من صيب ذي ضواغق
ولا مخلقات حين هجن بنسمة
إذا ماهبطن القاع قد مات نبتة
لوى الدين مُعتلّ وشحّ غريم
ولا مُحرقات ماؤهن حميم
إلين هوجاء المهبّ عقيم
بكين به حتى يعيش هشيم

[عمران بن حطان والحجاج]

ولما ظفر الحجاج بعمران بن حطان الشاري^(١) قال : اضربوا عنق ابن الفاجرة ،
فقال عمران : لبئسما أدبك أهلك يا حجاج ! كيف أمنت أن أجيئك بمثل ما لقيتني
به ؟ أبعده الموت منزله أصانعتك عليها ؟ فأطرق الحجاج استحياء ، وقال : خلوا
عنه ؛ فخرج إلى أصحابه ، فقالوا : والله ما أطلقك إلا الله ، فارجع إلى حرّبه
معنا ، فقال : هيئات ! غلّ يداً مطمئتها ، واسترقّ رقبةً مُعتقها ! وأنشد :
أأقاتل الحجاج عن سلطانه . بيدٍ تُقرّ بأنها مولاته ؟
إني إذا لأخو الدّانة ، والذي عفت على عرفانه جهلاته

(١) الشاري : واحد الشراة ، وهم الخوارج ، زعموا أنهم شروا أنفسهم
وأموالهم من الله - أي باعوها - بأن لهم الجنة .

ماذا أقول إذا وقفت موازياً في الصف وأحتجت له فعلاًته؟
 وتحدث الأكتفاء أن صناعنا
 أقول جار على؟ إني فيكم
 تالله ما كدت الأمير بآله
 وأخذ أبو تمام هذا فقال معتذراً إلى أبي المغيث موسى بن إبراهيم الراجعي :
 أليس هُجَرَ القول من لوهجوته
 إذا لهجاني عنه معروفه عندي
 كريم متى أمدحه أمدحه والورى
 معي ، وإذا ملته لمته وحدي
 وعمران بن حطان هو القائل :

لم يعجز الموت شيء دون خالقه
 وكل كرب أمام الموت منقطع
 وكان الفرزدقُ عمل بيتنا ، وحلف بالطلاق أن جريراً لا يتقضه ، وهو :
 فإني أنا الموت الذي هو نازل
 بنفسك فانظر كيف أنت محاوله
 فاتصل ذلك بجرير ، فقال : أنا أبو حزرّة ، طلقت امرأة الخبيث ،
 وقال :

أنا الدهرُ يُفني الموت والدهرُ خالدٌ
 فخشي بمثل الدهر شيئاً يطاوله
 وإنما أشار جرير إلى قول عمران .

وهو عمران بن حطان بن ظبيان بن سهل بن معاوية بن الحارث بن سدوس
 ابن سنان بن ذهل بن ثعلبة ، ويكنى أباشهاب ، وكان من الشراة ، وكان من
 أخطب الناس وأفصحهم ، وكان إذا خطب ثارت الخوارج إلى سلاحها ،
 وكان من أقبح الناس وجهاً ، قالت له امرأته وكانت في الجمال مثله في القبح :
 إني لأرجو أن أكون وإياك في الجنة ؛ لأن الله رزقك مثلي فشكرت ، وابتلاني
 بمثلك فصبرت !

(١) جلال ، هنا : معناه يسير هين .

[بين أعرابي وبعض الولاة]

ودخل أعرابي على بعض الولاة فقال: أضحك الله الأمير، اجعلني زماماً من أزممتك، فإني مسعر حرب^(١)، ورَكَّاب نُجُب، شديدٌ على الأعداء، لَيْبٌ على الأصدقاء، منطوى الحصيلة، قليلُ الثَّميلة^(٢)، [قليل] غرار النوم، قد غذتني الحروبُ أفأويقها، وحلَّبتُ الدهرَ أشطره، فلا يَمْنَعَكَ مني الدَّامة، فإنَّ تحتها لشهامة.

[الدنيا، وأهلها]

قال المسيح عليه السلام: الدُّنياً لإبليس مزرعة، وأهلها له حُرَّاث. وقال إبليس لعنه الله: العجب لبني آدم يحبون الله ويعصونه، ويُبغضونني ويُطيعونني.

[أربع كلمات طيبات]

خرج الزهري يوماً من عند هشام بن عبد الملك فقال: مارأيتُ كالْيَوْمِ، ولا سمعتُ كأربع كلمات تكلم بهن رجلٌ عند هشام؛ دخل عليه فقال: يا أمير المؤمنين؛ احفظ عني أربع كلمات، فهن صلاحُ مُلكك، واستقامة رعيَّتِكَ. قال: هاتهن؟ قال: لا تَعِدَنَّ عِدَّةً لا تَتَّقِي من نفسك بإيجازها، ولا يغرركَ المرءُ تَقَى وإن كان سهلاً إذا كان المنحدرَ وعراً، واعلم أن للأعمالِ جزءاً فاتقِ العواقبَ، وأن للأُمورِ بَقَعَاتٍ فكنْ على حذر.

قال عيسى بن دأب: خُذْتُ بهذا الحديث الهادي وفي يده لُقْمَةٌ قد رفعها إلى فيه فأمسكها، وقال: ويحك أعدِ عليّ! فقلت: يا أمير المؤمنين، أسِغْ لعمتك، فقال: حديثك أحبُّ إليّ.

(١) مسعر حرب: موقدها ومشعلها.

(٢) الثَّميلة: ما يبقى في البطن من الطعام والشراب.

[بين معاوية وعمرو بن سعيد]

ولما عقد معاوية البيعة ليزيد قام الناس يخطبون ؛ فقال لعمر بن سعيد :
 قُمْ يَا أَبَا أُمِيَّةَ ، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإن يزيد بن معاوية
 أجلُّ تؤمونه ، وأملُّ تؤملونه ، إن استضعفتم إلى حِلْمِهِ وَسِعْكُمْ ^(١) ، وإن
 احتججتم إلى رأيه أرشدكم ، وإن افتقرتم إلى ذات يده أعانكم ، جَدَعَ
 قَارِحَ ^(٢) ، سُوْبِقَ فَسَبَقَ ، وَمُوجِدَ فَمَجَدَ ، وَقُورِعَ فَفَرَعَ ، وَهُوَ خَلْفُ
 أمير المؤمنين ، ولا خلف عنه ، فقال له معاوية : اجلس ، فقد أبلغت .

وعمر بن سعيد هذا هو الأشدق ؛ [وإنما سُمي الأشدق] لتشادقه في
 الكلام ، وقيل : بل كان أقوم ماثل الشدق ، وهذا قول عوانة بن الحكم
 الكلبي ؛ وهو خلاف قول الشاعر :

تشادق حتى مال في القول شدقه وكلُّ خطيب لا أبالك أشدق

وكان أبوه سعيد بن العاص أحد خطباء بني أمية وبنائهم .

ولما مات سعيد دخل عمرو على معاوية فاستنطقه فقال : إن أول كل
 مركب صعّب ، وإن مع اليوم غذا ، فقال معاوية : وفي هذه العلة إلى
 من أوصى بك أبوك ؟ قال : أوصى إلي ولم يوص لي ، فقال معاوية : إن ابن
 سعيد هذا لأشدق !

[من تواضع الرشيد]

قال ابن السماك للرشيد : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، تَوَاضَعْتُكَ فِي شَرَفِكَ أَفْضَلَ مِنْ
 شَرَفِكَ ؛ إِنَّ رَجُلًا آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَجَمَالًا وَحَسَبًا ، فَوَاسَى فِي مَالِهِ ، وَعَفَى فِي
 جَمَالِهِ ، وَتَوَاضَعَ فِي شَرَفِهِ ، كُتِبَ فِي دِيْوَانِ اللَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ .

(١) إن استضعفتم : إن ملتم ، وفي نسخة « إن استضعفتم إلى حكمه » .

(٢) الجنع : الشاب الحدث ، والقارح : الشديد المحرب ، يريد أنا جامع

لهذين الوصفين .

[للمتنبى في حى أصابته بمصر]

نالت أبا الطيب المتنبى علة بمصر ، فكان بعض إخوانه من المصريين
يُكثر الإلمام^(١) به ؛ فلما أبل قطعته ، فكتب إليه : وَصَلَّتْني أَعْرَكَ اللهُ
مُعْتَلًا ، وَقَطَعْتَنِي مِبْلًا ، فَإِنْ رَأَيْتِ الْأَتْسَكَدِرَ الصَّحَّةَ عَلَيَّ ، وَتَحَبَّبَ الْعَلَّةَ
إِلَيَّ ، فَعَلَّتْ .

وفي هذه العلة يقول :

أَقَمْتُ بِأَرْضِ مِصْرَ ؛ فَلَا وَرَأَيْ	تَحَبُّ بِي الرِّكَابَ ، وَلَا أَمَامِي
عَلِيلُ الْجَنَمِ مُنْتَمِعُ الْقِيَامِ	شَدِيدُ الشُّكْرِ مِنْ غَيْرِ الْمُدَامِ
وَزَائِرَتِي كَانَتْ بِهَا حَيَاءٌ	فَلَيْسَ تَزُورُ إِلَّا فِي الظَّلَامِ
بَدَلْتُ لَهَا الطَّارِفَ وَالْحَشَايَا	فَعَاقَتَهَا ، وَبَاتَتْ فِي عِظَامِي
يَضِيقُ الْجِلْدُ عَنْ نَفْسِي وَعِنَهَا	فَتَوَسَّعَتْهُ بِأَنْوَاعِ السَّهَامِ
إِذَا مَا فَارَقْتَنِي غَسَلْتَنِي	كَأَنَّ عَاكِفَانِ عَلَى حَرَامِ
كَأَنَّ الصَّبْحَ يَطْرُدُهَا فَتَجْرِي	مَدَامِعُهَا بِأَرْبَعَةِ سِجَامِ
أُرَاقِبُ وَقْتَهَا مِنْ غَيْرِ شَوْقٍ	مُرَاقِبَةَ الْمَشُوقِ الْمُسْتَهَامِ
وَيَصْدُقُ وَعَدُّهَا وَالصَّدْقُ شَرٌّ	إِذَا أَلْقَاكَ فِي الْكَرْبِ الْعِظَامِ

ألفاظ لأهل العصر في العيادة وما جانسها من ذكر التشكى والمرض

وتلونه ، وسوء أثره ، والانزعاج لعوارضه

عرض لى مرض أساء بالنجاة ظنى ، وكاد يصرف وجه الإفاقة عنى .

هو شورى بين أمراض أربعة : صداع لا يحف ، وحى لا تنب^(٢) ، وزكام
لا يحف ، وسعال لا يكف . علة هو فى أسرها مُعْتَمِلٌ ، وبقيدها مُكْتَبِلٌ .

(١) الإلمام به : الزيارة له وعيادته ، وأبل : برىء من مرضه .

(٢) الإغياب : أن تزور يوماً وترك الزيارة يوماً .

أمراض تلونت على ، وأساءت بي وإلى ، فأنا أشسكركم الله تعالى إذ جعلها
 عِظَةً وتذكيراً ، ولم يُبَيِّنْ منها الآن إلا يسيراً ، أحسب أن الأمراض قد أقسمت
 على أن تجعل أعضاء مَرَاتِعِهَا ، [وآلت على أن تُصَيِّرَ جوارحي مَرَابِعَهَا] .
 عِلَلٌ لا يبصُرُ منها [آتٍ إِلَّا التَّكْدِيرُ وَرَدٌ] ولا يعزُلُ منها والٍ إِلَّا بوليَّ عَهْدٍ .
 قد كَرَّتْ تلك العلة فَعَادَتْ عِلَلًا ، [وسقتني بعد نَهَلٍ عِلَلًا]^(١) . عِلَلُ بَرَّتِهِ
 بَرَى الْأَخْلَةَ ، ونقصته نَقَصَ الْأَهْلَةَ ، وتركته حَرَضًا ، وأوسعته مَرَضًا ،
 وغادرتُه وإخِيالُ أكَثَفُ مِنْهُ جُنَّةٌ ، والطيفُ أوفَرُ مِنْهُ قُوَّةٌ . عرض له من
 المرض ما صار معه القنوطُ يُعَادِيهِ وَيُرَاوِحُهُ ، واليأسُ يُخَاطِبُهُ وَيُصَافِحُهُ .
 قد وَرَدَ من سوء الظنِّ أَوْ حَمَّ المَنَاهِلُ ، وبات من حَسَنِ الرِّجَاءِ على مَرَاحِلِ .
 طالمتُ السَّكْرَمَ يَتَرَجَّحُ نَجْمُهُ بَيْنَ الْإِضَاءَةِ وَالْأَفْوَلِ ، وتمثلُ شمسُه بَيْنَ الْإِشْرَاقِ
 وَالْفُرُوبِ . أصبح فلانٌ لَا يُقِلُّ رَأْسَهُ^(٢) ، ولا يَجُورِظِلُهُ ، ويدُ الْمُنِيَةِ تَقْرَعُ بَابَهُ .
 ما هو للعلة إِلَّا عَرَضٌ ، ولِسَهَامِ الْمُنِيَةِ إِلَّا غَرَضٌ . شَاهَدْتُ . نَفْسِي وَهِيَ تَخْرُجُ ،
 وَلَقِيْتُ رُوحِي وَهِيَ تَعْرُجُ ، وَعَرَفْتُ كَيْفَ تَكُونُ السَّكْرَةُ ، وَكَيْفَ تَقَعُ
 الْغَمْرَةُ ، وَكَيْفَ طَعَمُ الْبَعْدِ وَالْفِرَاقِ ، وَكَيْفَ تَلْتَفُ السَّاقُ بِالسَّاقِ . مَرَضٌ لِحَقْتِي
 رَوَعْتُهُ ، وَمَلَكَتِي لَوَعْتُهُ . وَجَدْتُ فِي نَفْسِي الْمَا أَوْحَشُهُ أَنَسُهُ وَأَنَسُهُ أَوْحَشَهُ .
 بَلَفَنِي مِنْ شِكَايَتِهِ مَا أَوْحَشَ جَنَابَ الْأَنْسِ ، وَأَرَانِي الظُّلْمَةَ فِي مَظْلَعِ الشَّمْسِ .
 قَدْ بَلَفَنِي مَا عَرَضَ لَكَ مِنَ الْمَرَضِ ، وَالْمَ بَكَ مِنَ الْأَلْمِ ؛ فَتَحَامَلَ عَلَى سُودَاءِ
 صَدْرِي ، وَأَفْذَى سُودَاءِ طَرْفِي ، وَفَدَّ اسْتَنْفَدَ الْقَلْقَ لِعِلَّتِكَ مَا أَعَدَّهُ الصَّبْرُ مِنْ
 ذَخِيرَةٍ ، وَأَضْعَفَ مَا قَوَّاهُ الْعَزْمُ مِنْ بَصِيرَةٍ . قَلْبِي يَتَقَلَّبُ عَلَى حَدِّ السَّيْفِ إِلَى
 أَنْ أَعْرِفَ انْكَشَافَ الْعَارِضِ وَزِيَالَهُ ، وَأَتَحَقَّقَ انْحِسَارَهُ وَانْتِقَالَهُ . أَنْهَى إِلَى مِنَ الْخَبْرِ
 الْعَارِضِ ، حَسَمَ اللَّهُ مَادَّتَهُ ، وَقَصَّرَ مُدَّتَهُ ، مَا أَرَانِي الْأَفْقَ مُظْلَمًا ، وَالْعَيْشَ مُبْهِمًا .

(١) النهل : الشرب الأول ، والعلل : الشرب ثانيا ، وكلاهما بالتحريك .

(٢) لا يقل رأسه : لا يرفعه ، أو لا يحمله .

فقر في تهوين العلة بحسن الرجاء ، وذكر المشاركة والاهتمام بمحلوها

والاستبشار بزوالها

إن الذي بلغني من ضعفه قد أضعف الثقة ، وإن لم يُضعف الظن بالله
والثقة . قد استشف العافية من ثوب رقيق . ما أكثر ما رأينا هذه العلة حلت
ثم تجلت وتوالت ثم تولت . خبّرني فلان بعلمتك فأشركني فيها ألما وقلقا ، فلا أعل
الله لك جسما ولا حالا ، فليست نكأية الشغل في قلبى بأقل من نكأية الشكأية
في جسمك ، ولا استيلاء القلق على نفسى بأيسر من أعراض السقم ليدنك ، ومن
ذا الذي يصعج جسمه إذا تألمت إحدى يديه ، ومن يحل محلها في القرب إليه ؟ أنا
منزعج لشكأتك ، مبتهج بمعافاتك ، إن كانت علمتك قد قرحت وجرحت ،
فإن صحتك قد آست وآنت^(١) . بلغتنى شكأتك فارتعت ، ثم عرفت خفتها
فارتحت . الحمد لله على قرب المدة بين الميخنة والمنحة ، والقيمة والنعمة ، وعلى
أنا لم تهالك بأيدى الخفاة حتى تدارك بحسن الرأفة ، ولم نستلم لحظة الحذر حتى
سلم من ورطة القدر .

وله في شكاة أهل الفضل والسؤود

شكاته التي تتألم منها المروءة والفضل . ويسقم منها الكرم المحض .
شكاته التي غصت بها حلق المجد ، وخرجت لها صدور أهل الأدب والعلم^(٢) ،
وبدا الشحوب معها على وجه الحرية ، وحرم معها البشرى على غرة المروءة . قد
اعتل بعلمته الكرم ، وشكا بشكايته السيف والقلم . شكاة عرضت منه لشخص
الكرم الغض ، والشرف المحض . لو قبلت مهجتي فدية ، دون وعكة تجدها ،

(١) آست : عاجت وداوت وطبت ، وآنت : جلبت الأنس .

(٢) خرجت لها الصدور : ضاقت .

جُدَّتْ بِهَا، وساعة أنس تفقدها لبذلها، علماً بأنى أفدى الكرم لاغير، والفضل ولا صَيْر .

ولهم في تشم الإقبال، وذكر الإبلال

قد شمت بآرة العافية، وشمت راحة الصحة . أقبل صنع الله من حيث لم أحتسب، وجاءني لطفه من حيث لا أرتقب، وتدرجت إلى الإبلال وقد حسبته حُلماً، ورضيت به دون الاستقلال عُنماً، وقد تخلصت إلى شط العافية لما تداركني الله تعالى بلطفه من لطائفه، وجعل هبة الروح عارفة من عوارفه، وتنسبت رُوح الحياة، بعد أن أشقيت على الوفاة^(١)، وقديت وجهي إلى الدنيا بعد مواجعتي للدار الأخرى . قد صافح الإقبال والإبلال، وقارب النهوض والاستقلال . سيريك الله من العافية التي أذاقك ويسخف ثوبها، ولا يعيد عليك مكروهاها . قد استقل استقلال السيف حُودثَ عهدُه وأعيد فرندُه^(٢)، والقمر انكشف سراره، وذاعت أسراره^(٣) . حين استقلت يدي بالقلم، بشرتك بانحسار الألم . قد أتاك الله بالسلامة الفائضة، وعافاك من الشكاة العارضة . أبل فانشرح الصدر، وشمل السرور . الحمد لله الذي حرس جسمك وعافه، ومحاه أثر النقم وعفاه . الحمد لله الذي جعل العافية عني ما تشكيت، والسلامة عوضاً عما عاينت . الحمد لله الذي أعفاك من معاناة الألم، وعافاك للفضل والكرم، ونظمي معك في سلك النعمة، وضمني إليك في منبج الصحة . الحمد لله الذي جعل السلامة ثوبك الذي لا تنضوه^(٤)، وسيفك فيما تأمله وترجوه . الله يجعل السلامة أطول بُرديك، وأشدّها سُبوغاً عليك، ويدفع

(١) أشفى على الشيء : قاربه ودنا منه .

(٢) حودث عهدُه : أراد جدد صقاله، وفرند السيف : جوهره .

(٣) السرار - بزنة الكتاب - الليلة التي يختفي فيها القمر .

(٤) لا تنضوه : لا تخلعه .

في صدور المكاره دون ربك ، وفي محور المحاذير قبل الانتهاء إلى ظلك . لازالت
المعافية شعارك ، ماواصل ليلاك نهارك .

فقر في أدعية العيادة ، والاستشفاء بكتيبها

أغناك الله عن الطبِّ والأطباء، بالسلامة والشفاء ، وجعله عليك تمحيصاً (١)
لاتنغيصاً ، وتذكيراً لانكيرا ، وأدبا لا غضباً . الله يدرك لك صوبَ المعافية ،
ويُضفي عليك ثوبَ الكفاية الوافية . أوصل الله تعالى إليك من برِّ الشفاء
ما يكفيك حرَّ الأدوية . كتابك قد أدّى رَوْحَ السلامة في أعضائي ، وأوصل
برِّدَ المعافية إلى أحشائي . تركني كتابك والنعم تنبُّ إلى صحتي ، والخطوب
تتجافى عن مُهجتي ، بعد أمراضٍ اكتنفت ، وأسقامٍ اختلفت . قد استبق كتابك
والمعافية إلى جسمى كأنهما فرساً رهانَ تباريا ، ورسيلاً مضمار تجاريا . أبدلني
كتابك من حُزون الشكاية سُهولَ المعافاة ، ومن شدَّة التألم ، رخاءَ التمتع .

قطعة من كلام الأطباء والفلاسفة

العاقل يترك ما يحبُّ ليستغنى عن العلاج بما يكره .

جالينوس : المرض هَرَمَ عارض ، والمهَرَمَ مرضٌ طبيعي .

وله : مجالسة الثقلِ تحمي الروح .

بختيشوع : أكلُ القليل مما يَصُرُّ أصلح من أكل الكثير مما ينفع .

يوحنا بن ما سويه : عليك من الطعام بما حَددت ، ومن الشراب بما قدَّم .

وقال له المأمون : ما أحسنُ ما يُنقل به على النبيذ ؟ قال : قول أبي نواس ،

يريد قوله :

الحمد لله ليس لي مَثَلُ خمرى شرابى وَنَقَلِي القُبُلُ

(١) التمهتص : الاختبار والامتحان .

ثابت بن قرة : ليس شيء أصغر بالشيخ من أن تكون له جاريتة حسنة ،
وطباخ خاذق ؛ لأنه يُكثّر من الطعام فيسقم ، ومن الجماع فيهرم .
غيره : ليس لثلاث حيلة : فقرٌ يخالطه كسل ، وخصومة يخامرها حسد ،
ومرض يمازجه هرم .

ثلاثة يجب مداراتهم : السلطان ، والمريض ، والمرأة .
ثلاثة يُعدّرون على سوء الخلق : المريض ، والمسافر ، والصائم .
فقر في ذكر المرض والصحة والموت والحياة لغير واحد
شيئان لا يُعرفان إلاّ بعد ذهابهما : الصحة والشباب . نمرارة السقم توجد
حلاوة الصحة . هذا كقول أبي تمام :
إساءة دهرٍ أذكرت حسنَ فعله إلى ، ولولا البئر لم يُعرف الشهد^(١)
وقوله أيضا :

والحادثات وإن أصابك بُؤسها فهو الذي أدراك كيف نعيمها
ما سلامة بدن معرض للآفات ، وبقاء عمر معرض للساعات ؟
قال أبو النجم :

إنّ الفتي يصبح للسقام كالغرض المنصوب للسهام

أخطأ رام وأصاب رام

وقيل لبعض الأطباء وقد نهكته العلة : ألا تتعالج ؟ فقال : إذا كان [الداء
من] السماء بطل الدواء ، وإذا قدر الرب بطل حذرُ المربوب ، ونعم الدواء
الأمّل ، وبئس الداء الأجل .

بزرجمهر : إن كان شيء فوق الحياة فالصحة ، وإن كان شيء فوق
الموت فالمرض ، وإن كان شيء مثل الحياة فالعنى ، وإن كان شيء مثل
الموت فالفقر .

(١) الثرى - بالفتح - الخنظل ، والشهد : العسل .

غيره: خيرٌ من الحياة ما لا تطيبُ الحياةُ إلا به، وشرٌّ من الموت ما يتمنى الموت له .
قال المتنبي في مرثية أم سيف الدولة :

أطابَ النفسَ أنكِ مُتِّ مَوْتًا تَمَنَّتَهُ البَوَاقِي وَأَخْوَالِي
وَزَلَّتْ ولم تَرَى يوماً كَرِيهَا تُسَرُّ النفسُ فِيهِ بِالزَوَالِ
رِوَاقُ العِزِّ فَوْقَكَ مُسَبِّطٌ وَمُلْكُ عَلِيٍّ ابْنِكَ فِي كَمَالِ
الموت باب الآخرة

الحسن : ما رأيتُ يقيناً لاشكَّ فيه أشبه بشكِّ لا يقين فيه . من الموت .
ابن المعتز : الموت سَهْمٌ مُرْسَلٌ إِلَيْكَ ، وعمرُكَ بقدر سفره نحوكَ
أخذه بعض أهل العصر فقال :

لَا تَأْمَنِ الدَّهْرَ الخَوْرُ ن وَخَفَ بَوَادِرَ آفَتِهِ
فالموت سَهْمٌ مُرْسَلٌ والعمرُ قَدْرُ مَسَافَتِهِ

البيسي :

لَا يَغْرُنْكَ أَنِّي لَيْنُ المَسِّ فَعِزِّي إِذَا انْتَضَيْتُ حُسَامُ
أَنَا كَالوَرْدِ فِيهِ رَاحَةُ قَوْمٍ ثُمَّ فِيهِ لِآخِرِينَ زُكَامُ
وقال آخر :

إِن الجَهْوَلُ تَضَرَّنِي أَخْلَاقُهُ ضَرَّرَ الشُّعَالِ لِمَنْ بِهِ اسْتِسْقَاهُ
ولآخر ، وهو البيسي :

فَلَا تَسْكُنِ عَجَلًا فِي الأَمْرِ تَطْلِبُهُ فليس يَحْمَدُ قَبْلَ النَّضْحِ بُحْرَانُ
وقال آخر :

لَا تَعْتَمِدْ إِلا رَئِيسًا فَاضِلًا إِنَّ الكِبَارَ أَطْبُؤُ لِلأَوْجَاعِ
وقال آخر :

وَإِنِّي لِأَخْتَصُّ بِعِضِ الرِّجَالِ وَإِنْ كَانَ قَدَمًا ثَقِيلًا عِبَامًا^(١)

(١) الفهم - بالفتح - العبي عن الكلام ، والعبام - كسحاب - الثقل .

فإنَّ الجُبْنَ على أنه ثقيل وخيمٌ يُشْهِى الطَّعَامَا
وقال المتنبي :

لعلَّ عَتَبَكَ محمودٌ عواقبه وربما صحتِ الأجسامُ بالعلل
وقال أيضاً :

أعيذُها نظراتٍ منك صادقةً أن تحسبَ الشحمَ فيمن شحمه ورمُ
[من الأجوبة المفجعة]

قال أبو المنذر هشام بن محمد السائب الكلبي : كان بلالُ بن أبي بردة جلدًا حين ابتلى ، أحضره يوسف بن عمر في قيوده لبعض الأمر ، وهم بالخير ؛ فقام خالد بن صفوان فقال ليوسف : أيها الأميرُ ، إن عدوّ الله بلالاً ضربني وحبسني ولم أفارق جماعة ، ولا خلعتُ يداً من طاعة ، ثم التفت إلى بلالٍ فقال : الحمد لله الذي أزال سلطانك ، وهدأ أركانك ، وأزال جمالك ، وغير جمالك ، فوالله لقد كنت شديدَ الحجاب ، مستخفاً بالشريف ، مظهرًا للعصبية ! فقال بلال : يا خالد ؛ إنما استطلت عليّ بثلاث ممالك هن عليّ : الأميرُ مُقبِل عليك ، وهو عني مُعرض . وأنت مُطلق ، وأنا مأسور . وأنت في طينتك ، وأنا غريب ! فأخمه ، [ويقال : إن آل الأهم زعنفة دخلت في بني منقر فانسبت إليهم]^(١) وكان سبب ضرب بلال خالدًا في ولايته أن بلالاً مرَّ بخالد في موكب عظيم ، فقال خالد : * سحابة صيفٍ عن قليل تقشعُ * فسمعه بلال ، فقال : والله لا تقشع أو يصيبك منها شؤبوب^(٢) برد ، وأمر بصر به وحبسه .

[رثاء قدح]

وقال أبو الفتح كشاجم يرثي قدحًا له انكسر :

(١) ما بين العقوفين ساقط من أكثر الأصول ، وهو كلام مقحم .
(٢) الشؤبوب - بضم فسكون - الدفعة العظيمة من المطر .

عَرَائِي الزَّمَانُ بِأَحْدَانِهِ فَبَعْضًا أَطَقْتُ ، وَبَعْضٌ فَدَحٌ ^(١)
وَعِنْدِي فَجَائِعٌ لِلْحَادِثَاتِ وَلَيْسَ كَفَجَعَتِنَا بِالْقَدَحِ
وِعَاءُ الْمُدَامِ ، وَتَاجُ الْبِنَانِ وَمُذْنِي السَّرُورُ ، وَمُفْصِي التَّرْحِ ^(٢)
وَمَعْرُضُ رَاحٍ مَتَى تَسْكُوهُ وَيُسْتَوْدِعُ السَّرَّ مِنْهَا يَبْحُ
وَجِسْمُ هَوَاءٍ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ يَرَى لِلْهَوَاءِ بِكَفِّ شَبْحُ
يَرُدُّ عَلَى الشَّخْصِ تَمَثَالُهُ وَإِنْ تَتَّخِذُهُ مِرَاةً صَلَحُ
وَيَعْبُقُ مِنْ نَكَمَاتِ الْمُدَامِ فَتَحْسِبُ مِنْهُ عَيْبًا نَفَخُ
وَرَقٌّ ؛ فَلَوْحَلٌ فِي كِفَّةِ وَلَا شَيْءَ فِي أُخْتِهَا مَارَجِحُ
يَكَادُ مَعَ الْمَاءِ إِنْ مَسَّهُ لَمَا فِيهِ مِنْ شَكْلِهِ يَنْفَسِحُ
هُوَ مِنْ أَنْامِلٍ مَجْدُولَةٍ فَيَا عَجَبًا مِنْ لَطِيفِ رَزْحِ
فَأَقْدَنِيهِ عَلَى ضِيئَةٍ بِهِ لِلزَّمَانِ غَرِيمٌ مَلْسِحُ
كَأَنَّ لَهُ نَاطِرًا يَنْتَقِي فَتَمَى يَتَعَمَّدُ غَيْرَ الْمُنْحِ
أَقْلَبُ مَا أَبْقَتِ الْحَادِثَا تَمَنَّهُ وَفِي الْعَيْنِ دَمْعٌ يُسْحُ
وَقَدْ قَدَحَ الْوَجْدَ مِنْهُ بِهِ عَلَى الْقَلْبِ مِنْ نَارِهِ مَا قَدَحُ
وَأَعْجَبُ مِنْ زَمَنِ مَبَاحِ وَآخَرَ يَسْلُبُ تِلْكَ الْمُنْحِ
فَلَا تَبْعِدُنَّ فَكُمِنْ حَشَى عَلَيْكَ كَلِيمٌ وَقَلْبٌ قَرِحُ
سَيُفْقِرُ بَعْدَكَ رَسْمُ الْعُبُوقِ وَتُوحِشُ مِنْكَ مَغَانِي الصَّبْحِ

[من طرائف الوصف]

ومن أحسن ما قيل في وصف قدح ، قول ابن الرومي يصف قدحا أهدها
إلى علي بن يحيى المنجم :

(١) عرائي : نزل بي ، وفدح : نقل وعسر حملة

(٢) الترح : الحزن ، وفي نسخة « وتاج السكرام »

لابن الرومي
في وصف
قدح

وبديع من البـدائع يَسْبِي
رَقِّ في الحسنِ والملاحِ حتى
كفم الحَبِّ في الملاحِ بل أشهى وإن كان لا ينجي بحرفِ
تنفذ العينُ فيه حتى تراها
كهواء بلا هباء مُشوب
صبيغ من جوهر مصفى طباعا
وسط القَدْرِ، لم يكبر لجرعِ
لا عجول على العقول جهول
فيه نون معقرب عطفته
مثل عطف الأصداع في وجناتِ
مارأى الناظرون قذاً وشكلاً
وقال أبو القاسم التنوخي :

للتنوخي
في وصف
قدح أيضاً

بدت لك في قدح من نهار
وراح من الشمس مخلوقة
وماء ولكنه غير جار
هواء ولكنه جامد
تأملت نوراً محيطاً بنار
إذا ما تأملتها وهي فيه
وهذا النهاية في الاحمرار
فهذا النهاية في الايضاض
لقرط التَّنَاقِي وبعد النَّفَارِ
وما كان في الحق أن يُقرنا
ولكن تجاور شكلاهما السبسيطان فاتفقا في الجوار
كأن المديرة لها باليمين
إذا قام للسقي أو باليسار
تدرع ثوباً من الياسين
له فردكم من الجلنار

(١) يطى كل طرف : يستهوى كل نظر ، يريد أنه يأخذ بمجامع العقول والأبصار (م) .

(٢) في نسخة « لا صؤل على العقول » (م)

(٣ - زهر الآداب؛)

لكشاجم
في رثاء
منديل

وقال أبو الفتح كشاجم برني منديل كم :

من يَبِكِ من وَجْدِ على هالك
فإنما أُبَكِّي على دَسْتَجَه^(١)
جاذبنيها رَشًا أَعْيَدُ
بديعةٌ في نَسِجِها، مثلها
فخادت النفسُ بها مُحْرَجِه
كأنما رِقَّةٌ أَشْكَاهَا
يفقد من يُحْسِنُ أنْ يَنْسُجِه
كأنما مفتولٌ أَهْدَاهَا
من رِقَّةِ العِشاقِ مُسْتَخْرَجِه
كأنما تَفْرِيقُ أعلامها
أيدى دَبَا في نَسَقِ مَرْوَجِه^(٢)
لَيْسَةَ جَدِّدَها حَسَنها
طَاوُسَةَ تَخْتالُ أو دُرَجِه
كَم رِقْمَةٍ من عِنْد مَعْشُوقَةٍ
لأَرَمَةَ السِّلْكِ ولا مُنْهَجِه^(٣)
أو مَسْحَةٍ من شَفَقَةٍ عَذْبَةٍ
تُرْمَلُ في أَثْنائِها مُدْرَجِه
إلى تَحِياتِ لِطافِ بِها
تُبْرِدُ حَرَّ الكَيْدِ المُنْضَجِه
كَانَتْ لَسَنَحِ الكاسِ حَتى تَرى
نُسْكِنُ منى مُهْجَةً مَرْعَجِه
وَخاتِمى يُعَقِّدُ فِيها إِذا
مِنها لَأَنارِ القَدَى مُحْرَجِه
وَأَتَقَى الجامِ بِها كَلِما
آثَرَتْ مِن كَفَى أنْ أُخْرِجِه
فاسْتَأَثَرَ الدَّهْرُ بِها؛ إِنَّهُ
كَلِله المَلازِجِ أو تَوَجَّه
فأَصْبَحَتْ في كَم مُخْتالَةٍ
ذو هَمَّةٍ مُجَلِّيةٍ مُرْهَجِه^(٤)
وَقال أيضاً يَصِفُ سَقوطِ التَّلَجِ :
مُلجَمَةٌ في هَجْرِنَا مُسْرَجِه
التَّلَجُ يَسْقُطُ أم جَلِينُ يَسْبِكُ
أَمَ ذَا حَصَى الكافورِ ظِلَّ يَفْرَكُ
راحتِ به الأَرْضُ الفِضاءُ كَأَنَّها
في كُلِّ نَاحِيَةٍ بِشَعْرِ تَصْحَكُ

وله يصف
سقوط الثلج

- (١) في نسخة « أبكى على مسبجة » وفي أخرى « على مسبجة » والدستجة :
الحرمة (م)
(٢) الدبا : صغار الجراد والنمل (م) (٣) اللبيس : الذى أكثر لبسه ، والمنهجة :
الحلقة البالية (م)
(٤) في نسخة « ذونوب مجلبة مرهجة » (م)

شابت مفارقها فبين ضحكها
 أن بن علي خضر العصون فأصبحت
 وتردت الأشجار منه ملاءة
 كانت كعوز الهند طرى فأنكفى
 والجو من أريج الهواء كأنه
 فخذى من الأوتار حظك إنما
 فاليوم يؤذن بالملاحه، إنه
 وقال أيضاً :

يا كرم فهدى صبيحة قره
 تلمج وشمس وصبو غادية
 باتت وقيعائها زبرجدة
 كأنها والشلوج تضحكها
 كأن في الجو أيدياً نبرت
 شابت فسرت بذل الشوابهجت
 قد جليت بالبياض بلدتنا
 وقال الصنوبري :

دهب كؤوسك يا غلا
 الجوئى مجلى في البيا
 أزعت ذا تلمج وذا
 ورد الربيع مورد
 م فإن ذا يوم مفضض
 ض وفي حلى الكافور يعرض
 ورد على الأغصان بنفض
 والورد في تشرين أبيض

(١) في نسخة « من داجى الهواء » وما أثبتناه موافق لما فى الديوان، والأرج:

طيب الراححة (م)

(٢) في نسخة « فالיום يؤذن بالملاحم » وهى تناسب آخر الكلام (م)

ولكشاجم
 أيضا

للصنوبري
 فى المعنى

وقال البستي :

البستي

كم نَظَمْنَا عَفُودَ لهُو وَأَنْسِي وَجَعَلْنَا الزَّمَانَ لِلْهُو سِلْكََا
 وَفَتَقْنَا الدَّانَ فِي يَوْمِ ثَلْجٍ عَزَلِ الْكَأْسُ فِيهِ رُشْدًا وَنُسْكََا
 فَكَأَنَّ السَّمَاءَ تَنْحَلَّ كَافُو رَأً عَلَيْنَا ، وَنَحْنُ نَفْتِقُ مِسْكََا
 وقال الأمير أبو الفضل الميكالي يصف الجمد :

الميكالي
يصف الجمد

رَبِّ جَنَيْنٍ مِنْ حَيَا النَّمِيرِ مَهْتِكِ الْأَسْتَارِ وَالضَّمِيرِ
 سَلْتَهُ مِنْ رَحِمِ الْغَدِيرِ كَأَنَّهَا صَحَائِفُ الْبَلُورِ
 أَوْ أَكْرَدَ تَجَسَّمَتْ مِنْ نُورِ أَوْ قَطَعَتْ مِنْ خَالِصِ الْكَافُورِ
 لَوْ بَقِيَتْ سِلْكََا عَلَى الدَّهْورِ لَمَطَلَتْ قَلَائِدَ الذُّجُورِ^(١)
 وَأَخْجَلَتْ جِوَاهِرَ الْبَحُورِ [وَسَمِيَتْ ضَرَائِرُ الْفُغُورِ]
 يَاحْسُنُهُ فِي زَمَنِ الْخَرُورِ إِذْ قَيْظُهُ مِثْلَ حَشَى الْمَهْجُورِ^(٢)
 يُهْدِي إِلَى الْأَكْبَادِ وَالصَّدُورِ رَوْحًا يُجَلِّي نَفْثَةَ الْمَصْدُورِ
 وَيَجْلِبُ السَّرُورَ لِلْمَقْرُورِ

ألفاظ لأهل مصر في وصف الثلج والبرد والأيام الشتوية

ألقى الشتاء كدسكله ، وأحلّ بنا أنقاله . مد الشتاء رواقه ، وألقى أوراقه ،
 وحلّ نطقه . ضرب الشتاء بجرانه ، واستقل بأركانه ، وأناخ بنوازله ، وأرسي
 بكلا كله ، وكلح بوجهه ، وكشّر عن أنيابه . قد عادت [هامت] الجبال
 شيباً ، ولبست من الثلج برداً قشيباً . شابت مفارق البروج ، لتراكم الثلوج ،
 ألمّ الشيب بها وبيضت لمها^(٣) . قد صار البرد حجاباً ، والثلج حجازاً . برّد
 يغير الألوان ، وينشف الأبدان . برد يقضّض الأعضاء ، وينفض الأحشاء . برد
 يجمد الريق في الأشداق ، والدمع في الآماق . برّد حال بين الكلب وهريره ،

(١) في نسخة « تعطلت قلائد النحور » (م)

(٢) في نسخة « يا حسنه في زمن الحدور » تحريف (م)

(٣) في نسخة « ألم الشتاء بهامات ابيضت لمها » (م)

والأسدوزئيره ، والطير وصفيره ، والماء وخيريره . نحن بين لفق ، ورتق ، وزلق^(١) يوم كأن الأرض شابت لهوله . يوم فضى الجلباب ، مسكى النقاب ، عبوس قمطير ، كشر عن ناب الزمهير ، وفرش الأرض بالقوارير . يوم أخذت الشمال زمامه ، وكسا الصر^(٢) ثيابه . يوم كأن الدنيا فيه كافورة ، والسماء بلورة . يوم أرضه كلقوارير اللامعة ، وهوأوه كالزنايزر اللاسعة . يوم أرضه كالزجاج ، وسأوه كأطراف الزجاج^(٣) . يوم يثقل فيه الخفيف إذا هجم ، ويخف الثقيل إذا هجر ، نحن فيه بين أطباق البرد فمانستغيث إلا بحرّ الراح ، وسورة الأقداح . ليس للبرد كالبرد ، والخمر ، والجمر . إذا كلب الشتاء ، فترياق سموه الصلاء ، ودرق سيوفه الطلاء^(٤) .

تقيض ذلك من كلامهم في وصف القيظ وشدة الحر

قوى سلطان الحرّ ، وبسط بساط الجمر . حرّ الصيف ، كحدّ السيف . أوقدت الشمس نارها ، وأذكت أوارها . حرّ يلفح حرّ الوجه . حرّ يشبه قلب الصبّ ، ويذيب دماغ الضبّ . هاجرة كأنها من قلوب العشاق ، إذا اشتعلت فيها نار الفراق . هاجرة تحكي نار الهجر ، وتذيب قلب الصخر . كأن البسيطة من وقدة الحر ، بساط من الجمر . حرّ تهرب له الحرّباء من الشمس ، قد صهرت الهاجرة الأبدان ، وركبت الجنادب العيدان . حرّ ينضج الجلود ، ويذيب الجمود أيام كأيام الفرقة امتدادا ، وحرّ كجر الوجد اشتدادا . حرّ لا يطيب معه عيش ، ولا ينع مع ثلج ولاخيش . حمارة القيظ ، تغلي كدم ذى الفيظ . آب آب يجيش^(٥) مرّجله ، ويثور قسطله . هاجرة كقلب المهجور ، أو التنور المسجور . هاجرة كالجحيم الجاحم ، تجر أذيال السماءم .

(١) اللثق : ركود الريح وكثرة الندی (م)

(٢) الصر - بكسر الصاد - شدة البرد (م) (٣) الزجاج - بكسر الزاي - جمع زج (م)

(٤) كلب الشتاء : اشتد وقسا ، والترياق : دواء السموم ، والصلاء : الدفء

بالتار ، والطلاء : الحمر (م) (٥) آب آب : رجيع ، وآب : اسم شهر من شهور الصيف ،

وفي نسخه « آب آب يجيش مرّجلة وتنور قسطله » تحريف (م)

[العجلة أم الندامة]

قال بعض الحكماء : إياك والعجلة فإنَّ العرب كانت تَكْنِيها أمَّ الندامة ؛ لأنَّ صاحبها يقول قبل أن يعلم ، ويحب قبل أن يفهم ، ويعزم قبل أن يفكر ، ويقطع قبل أن يُقدِّر ، ويحمِّدُ قبل أن يجرب ، ويذمُّ قبل أن يخبر ، ولن يصحب هذه الصفة أحدٌ إلاَّ صحب الندامة ، واعتزل السلامة .

[تأميل ورجاء]

ولما ولى المهدي^(١) سليمان بن وهب وزارته قام إليه رجلٌ من ذوى حُرْمَتِهِ ، فقال : أعزَّ الله الوزير ؛ أنا خادمك المؤمِّل لدولتك ، السعيدُ بأيامك ، المنطوى القلب على ودك ، المنشورُ اللسان بمدحك ، المرتهن بشكر نعمتك ، وقد قال الشاعر :

وفيت كل صديق ودِّي ثمناً إلا المؤمل دولاتي وأيامي
فإني ضامنٌ إلاَّ أكافئه إلا بتسويغه فضلي وإنعامي

وإني لكما قال القيسي : ما زلتُ أمتطى النهارَ إليك ، وأستدكُ بفضلك عليك ، حق إذا جنتي الليلُ فغضَّ البصرَ ، ومحا الأثرَ ، أقام بدني ، وسافر أُملي ، والاحتمادُ عُذْرٌ ، فإذا بلغتكَ قَدَدِ^(٢) . قال سليمان : لا عليك ؛ إني عارفٌ بوسيلتك ، محتاجٌ إلى كفايتك واصطناعك ، واست أُوخر عن يومى هذا توأمتك ما يحسنُ عليك أثره ، ويطيب لك حَبْرَهُ ، إن شاء الله .

وكتب محمد بن عباد إلى أبي الفضل جعفر بن محمود الإسكافي وزير المعتز بالله وكان المعتز يختص به ، ويتقرَّب إليه قبل الوزارة : ما زلت - أيدك الله تعالى - أذم الدهر بذمتك إياه ، وأنتظر لنفسى ولك عُقباه ، وأتمنى زوال حال من لا ذنب له

(١) في نسخة « لما ولى المهدي محمد بن الواثق بن المعتصم سليمان بن وهب » (م)

(٢) قد : فكفاني ذلك (م)

إلا عاقبة محمودة تكون لك بزوال حاله ، وأترك الإعذار^(١) في الطلب على الاختلال الشديد ؛ ضناً بالمعروف عندي إلا عن أهله ، وحبساً لشغري إلا عن مستحقه .

فوقع في كتابه : لم أوخر ذكرك ناسياً لحقك ، ولا مُهملاً لواجبك ، ولا مرجياً^(٢) لهم أمرك ، ولكني ترقبت اتساع الحال ، وانفساح الآمال ؛ لأخصك بأشنانها خطراً ، وبأجلها قدراً ، وأعودها بنفع عليك ، وأوفرها رزقاً لك ، وأقربها مسافةً منك ؛ فإذا كنت ممن يحفز به الإجمال ، ولا يتسع له الإسهال ، فسأختار لك خير ما يشير إليه الوقت ، وأنعم النظر فيه ، وأجعله أول ما أمضيه ، إن شاء الله .

ولما ولي سليمان بن وهب الوزارة كتب إليه عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

أبي دهرنا إسعافنا في نفوسنا وأسعفنا فيمن نحب ونكرم
فقلت له : نعماك فيهم أتمها ودع أمرنا ؛ إن المهم المقدم

فمجب من لطيف شكواه في تهنيته ، وقضى حوائجه .

[ووقع عبيد الله في كتاب رجل اعتدَّ عنده بأثر جميل : وقعت على ما ذكرته من شكائتك ، فوقع ذلك عندنا الموقع الذي أردته ، وصدر جوابنا إليك بما شكرته ، ولم تعدُّ ظننا ، وما قدرنا فيك ، ثم اعتدت الاعتداد حتى كأنك لم تكاتبنا ؛ فلا تفسدن نالده إحسانك بطارف امتنانك ، واقتصر من وصف سالفك على ذكر مستأنفك] .

[من حسن التقسيم]

ووقع عبيد الله في أمر رجل خرج عن الطاعة : أنا قادرٌ على إخراج هذه النعرة^(٣) من رأسه ، والوحرة من نفسه^(٤) .

(١) في نسخة « وأترك الاعتذار » (م) (٢) مرجياً : مؤخراً ، وأصله المهمز (م)

(٣) النعرة - كهزمة - الحياء والتعاضم ، والوحرة : الحقد (م)

(٤) في نسخة « والوحرة من صدره ، والنجرة من نفسه » (م)

ونحو هذا التقسيم قولُ قتيبة بن مسلم بخراسان : من كان في يده شيء من مال عبد الله فليبيذه ، أو في فمه فليلقِظهُ ، أو في صدره فليينثته .

وقال عبد الله بن علي ، بعد قتله مَنْ قتل من بني أمية ، لإسماعيل بن عمرو : أساءك ما فعلتُ بأصحابك ؟ قال : كانوا يداً ففقطعتها ، [وعضداً ففتتها ، ومرّة فنقضتها] ، ورؤُكناً فهدمته ، [وجبلاً فهضتُهُ] ، وجناحاً فقَصَصته ، قال : إني لخليق بأن أخلقك بهم ، قال : إني إذا لسعيد .

وقال المنصورُ لجرير بن عبد الله : إني لأعِدُّكَ لأمر كبير ! قال : يا أمير المؤمنين قد أعدَّ الله لك مني قلباً معموداً بنصيحتك ، ويداً مبسوطةً بطاعتك ، وسيفاً مسلولا على أعدائك .

وكتب الحسن بن وهب إلى القاسم بن الحسن بن سهل يعزيه : مدَّ الله في عمرك موفوراً غير منتقص ، وممنوحاً غير ممتحن ، ومُعطى غير مُستَلَب .

ومن جيد التقسيم مع المطابقة قولُ بعض الكتاب : إنَّ أهل النصح والرأي لا يساويهم أهلُ الأفنِّ والغشِّ ، وليس مَنْ جمع إلى الكفاية الأمانةَ كُنَّ أضافَ إلى العَجْزِ الخيانةَ .

وقالت هند بنت النعمان بن المنذر لرجل دَعَتْ له وقد أولاهها يداً : شكرتُك يداً نالها خصاصة بعد ثروة ، وأغناك الله عن يد نالها ثروة بعد فاقة .

ومن بديع التقسيم في هذا النوع قولُ البحتری :
 كأنك السيفُ حذاءهُ ورؤُفُهُ والغيثُ وإيلُهُ الداني ورَيْقُهُ
 هل انكارم إلا ما تجتمعهُ أو المواهب إلا ما تنقرقهُ
 وقال الحسن بن سهل يوماً للمأمون : الحمد لله يا أمير المؤمنين على جزيل ما آتاك ؛

(١) في نسخة « كانوا يداً فقطعتها ، وعقدة فنقضتها ، ورؤكناً فهدمته ، وجناحاً

فقصصته » (م)

وَسَيِّ ما أعطاك ؛ إذ قسم لك الخلافة ، ووهب لك معها الحجبة ، ومكّنك بالسلطان ، وحلّاه لك بالعدل ، وأيدك بالظفر ، وشفّعه لك بالعفو ، وأوجب لك السعادة ، وقرّنها بالسياسة ، فمن فُسِحَ له في مثل عطية الله لك؟ أم من ألبسه الله تعالى من زينة المواهب ما ألبسك؟ أم من ترادفت نعم الله تعالى عليه ترادفها عليك؟ أم من حاولها وارتبطها بمثل محاولتك؟ أم أى حاجة بقيت لرعيّتك لم يجدوها عندك؟ أم أى قيّم للاسلام انتهى إلى غايتك ودرجتك؟ تعالى الله ! ما أعظم ما خصّ القرن الذى أنت ناصره ! وسبحان الله ! أية نعمة طبّقت الأرض بك إن أدّى شكرها إلى بارئها ، والمنعم على العباد بها؟ إن الله تعالى خلق الشمس في فللكها ضياء يستنير بها جميع الخلائق ؛ فكلّ جوهر زها حسنه ونوره فهي ألبسته زينته لما اتصل به من نورها؟ وكذلك كل وليّ من أوليائك سعد بأفعاله في دولتك ، وحسنت صنائعه عند رعيّتك ، فأبما نالها بما أيدته من رأيك وتدبيرك ، وأسعدته من حسنك وتقويمك .

[بين قينة وأربعة من عشاقها]

قال بعضُ الظرفاء : اجتمع لقينّة أربعة من عشاقها ، وكلّهم يُورّى عن صاحبه أمره ، ويُخفي عنه خبره ، ويومى^(١) إليها بحاجبه ، ويناجيها بلحظه ؛ وكان أحدهم غائباً فقدم ، والآخر مقيماً قد عزّم على الشخوص ، والثالث قد سلفت^(٢) أيامه ، والرابع مستأنفة مودّته ؛ فضحكت إلى واحد ، وبكت إلى آخر ، وأقصت^(٣) آخر ، وأطمعت آخر ؛ واقترح كل واحد منهم ما يشاكلُ به شأنه ؛ فأجابته فقال القادم : جعلت فداك ، أنحسّنين :

ومن ينأ عن دار الهوى يُكثير البكا وقول كعلى أو عسى سيكون

(١) يومى : يشير (م) (٢) سلفت : مضت (م) (٣) أقصت : أبعدت (م)

وما اخترتُ نَأْيَ الدارِ عنكَ لِسَلْوَةٍ ولكنَّ مَقَادِيرَهُ لَهْنٌ شَرُّونُ
 فقالت : أَحْسِنُهُ ، وَلَا أَقِيمُ لَحْنَهُ ، وَلَكِنْ مَطَارِحُهُ لَتَسْتَعْفِي بِهِ عَنْهُ ، لَقَرُّ بِهِ
 مِنْهُ ، وَأَنَا بِهِ أَحْذَقُ ، ثُمَّ غَنَتْ :

وما زلتُ مُدَشِّطَةٌ بِكَ الدَّارُ بِأَكْيَا أَوْ مَلُّ مِنْكَ العَطْفَ حِينَ تَوْبُ
 فَأَضَعَفْتَ مَا بِي حِينَ أَبْتِ وَزِدْتَنِي عَذَابًا وَإِعْرَاضًا وَأَنْتَ قَرِيبُ
 وَقَالَ الطَّاعِنُ : جُعِلَتْ فِدَاكَ ، أَتَحْسِنِينَ :

أَرْفَ الفِرَاقُ فَأَعْلِنِي جَزَعًا وَدَعَى العِتَابَ فَإِنَّا سَافِرُ
 إِنَّ الحُبَّ يَصُدُّ مَقْتَرِبًا فَإِذَا تَبَاعَدَ شَفَهُ الذِّكْرُ

قالت : نَعَمْ ، وَأَحْسَنُ مِنْهُ وَمَنْ إِيقَاعُهُ ، ثُمَّ غَنَتْ :

لَأَقِيمَنَّ مَا تَمَنَّأَ عَن قَرِيبٍ لَيْسَ بَعْدَ الفِرَاقِ غَيْرُ النَّحِيبِ
 رُبَّمَا أَوْجَعَ النُّوْيَ لِلْقَلُوبِ ثُمَّ لَأَسِيًّا فِرَاقُ الحَيْبِ (١)
 ثُمَّ قَالَ السَّالِفُ : جُعِلَتْ فِدَاكَ ، أَتَحْسِنِينَ :

كُنَّا نَعَاتِبُكُمْ لِيَالِي عُدُوكُمْ حُلُوُ المَذَاقِ وَفِيكُمْ مَسْتَعْتَبُ
 فَإِلَّآنَ حِينَ بَدَأَ التَّنَكُّرُ مِنْكُمْ ذَهَبَ العِتَابُ فُلَيْسَ عَنْكُمْ مَذْهَبُ

قالت : لَا ، وَلَكِنْ أَحْسَنُ مِنْهُ فِي مَعْنَاهُ ، ثُمَّ غَنَتْ :

وَصَلَّتْكَ لِمَا كَانَ وَدُّكَ خَالِصًا وَأَعْرَضْتُ لِمَا صَارَ نَهْبًا مَقْسَمًا
 وَلَنْ يَلِيثَ الحَوْضَ الجَدِيدُ بِنَاوِهِ إِذَا كَثَرَ الوَرَادُ أَنْ يَتَهَدَمَا

فَقَالَ المَسْتَأْنَفُ : أَتَحْسِنِينَ ، جُعِلَتْ فِدَاكَ :

إِنِّي لِأَعْظِمُ أَنْ أَبُوحَ بِحَاجَتِي وَإِذَا قَرَأْتَ صَحِيفَتِي فَتَفَهَّمِي
 وَعَلَيْكَ عَهْدُ اللَّهِ إِنْ أَبَيْتَنِي أَحَدًا وَلَا آذَنَتَهُ بِتَكَلُّمِي (٢)

(١) فِي نَسْخِهِ « رُبَّمَا أَوْجَعَ النُّوْيَ القَلْبَ حَزْنًا » وَفِي أُخْرَى « رُبَّمَا أَوْجَعَ

الهُوْيَ لِلْقَلُوبِ » (م) فِي نَسْخَةٍ « وَلَا أَبْيَدِيَّتَهُ بِتَكَلُّمِي » (م)

فقلت : نعم ، ومن غناء صاحبه ^(١) ؛ ثم غنت :

لعمرك ما استودعتُ سرِّي وسرَّها سوانا ، حذاراً أن تَدْبِيعَ السرائرِ
ولا خالطتهمْ مُقلَّنايَ بِنظرةٍ فتعلمُ نَجْوَانَا العيونُ النواظرُ
ولكن جعلت الوهمَ بيني وبينها رسولا فأدَّى ما تُجِنُّ الضمائرُ
أَكاتم ما في النفس خوفاً من الهوى مخافةً أن يُغري بذكرك ذاكِرُ

فتفرقوا وكلهم قد أوماً بحاجته ، وأجابته بجوابه .

[بين ابن المعتز وقينه]

قال أبو العباس بن المعتز : كان لنا مجلس حظاً أرسلت بسببه خادمة إلى قينه فأجابت ، فلما مررت في الطريق وجدت فيه حارساً فرجعت ، فأرسلت أعاتبها فكتبت إلى : لم أنخلف عن المسير إلى سيدي في عشيتي أمس لأرى وجه المبارك وأجيب دعاءه ، إلا لعله قد عرفتها فلانة ، ثم خفت أن يسبق إلى قلبه الطاهر أني قد تخلفت بغير عذر ؛ فأحببت أن تقرأ عذري بخطي ، ووالله ما أقدر على الحركة ، ولا شيء أسر إلى من رؤيتك ، والجلوس بين يديك ، وأنت يا مولاي جاهي وسندي ، لا فقدت قربك ، ولك رأيك في بسط العذر موقفاً .

وكتبت في أسفل الكتاب :

أليس من الحرمان حظٌ سلبتهُ وأخوَجني فيه البلاءُ إلى العذرِ
فصبراً فما هذا بأوَّلِ حادثٍ رَمَتني به الأقدارُ من حيث لا أدري
فأجبتها: كيف أردت عذر من لا تتسلط التهمة عليه ، ولا تهتدي الموجدة إليه !
وكيف أعلمه قبول المعاذير ، ولست آمنُ بمضِ خواطره ^(٢) أن تشير إلى انتهاز
فرصة فيما دعا إلى الفرقة ؛ وإن سلمت من ذلك فمن يُجبرني من توكله

(١) في نسخة « أحسن من غناء صاحبه » (م)

(٢) في نسخة « بعض جواهره إلى يسير إلى انتهاز فرصة فيما عاد إلى الفرطة »

على تقديم المُذْر ، ووقوعه مواقع التصديق في كل وقت ، فتتصل أيامُ الشغل
والصِلة ، وتنقضي أيامُ الفراغ والصحة ، فتطولُ مدةُ الغيبة ، وتدرُس آثارُ
المؤدّة ، وكتبتُ في آخر الرقعة :

إذا غيّبت لم تعرف مكاني لذة ولم يلق نفسي لهوها وسرورها
وحدثتُ سمعاً واهناً غير مُمسِك لقولى ، وعيناً لا يرانى ضميرها

[بين ابن المعتز وبعض الوزراء]

وكتب إلى بعض الوزراء : ما زال الحاسدُ لنا عليك أيها الوزير ينصبُ
الخبائِلَ ، ويطلب العوائل ، حتى انتهز فرصته ، وأبلغك تشنيعاً زخرفه ^(١) ، وكذبا
زوّره ، وكيف الاحتراس من يحضر وأغيبُ ، ويقول وأمسِكُ أمرتصدا لا يفعل
وما كراً لا يفتر ؛ وربما استنصح الغاش ، وصدق الكاذب ؛ والحظوة لا تدركُ
بالحيلة ، ولا يجرى أكثرها على حسب السبب والوسيلة .

فأجابه : حصول الثقة بك - أعزك الله ! - تُغني عن محضورك ، وصدق
حالتك يحتجُّ عنك ، وما تقرّر عندنا من نيتك وطويتك يُغني عن اعتذارك .

[من شعر ابن المعتز]

وقد قال ابن المعتز :

أخفى عليك الدهر مقتدراً والدهرُ أأمّ غالب ظفراً
ما زات تلتقى كلَّ حادثةٍ حتى حنّك وبيّض الشعرَا
فالآن هل لك في مقاربةٍ فلقد باغت الشيب والكبرا
لله إخوان فقدتهمُ سكنوا بطون الأرض والخفرا
أين السبيلُ إلى لقائهمُ أم من يحدث عنهمُ خيرا
كم مورق باليشر مُبتسم لا أجتني من غضنه تمرَا

(١) في نسخة « وأبلغك شيئاً زخرفه » (م)

ما زال يُولينى خنـ لاتفه
 وصدت أرقبـه وما صبرا
 وعودو غيب طالب لدى
 لو يستطيع لجاوز القدرا
 يُورى زنادى كى يُخادعنى
 ويُطير فى أثوابى الشررا
 وقال أيضا:

وإنى على إشفاق عيني من القذى
 لتجمع منى نظرة ثم أطرق^(١)
 كما حلثت من برد ماء طريده
 تمد إليه جيدها وهى تفرق^(٢)
 وقال:

ومازلت مُدشدت يدي عقدمِ نَزرى
 غنایَ لغيرى وافتقارى على نفسى
 ودلّ على الحمدِ مجدى وعفتى
 كما دلّ إشراقُ الصّباح على الشمس
 وقال:

سعى إلى الدنّ بالمبزال ينقره
 ساقٍ توشح بالمنديل حين وثب
 لما وجاهاً بدت صفراء صافية
 كأنما قدّ سيرا من أديم ذهب
 وقال:

لبست صفرة فكم فتنت من
 أعينٍ قد رأيتهمَا وعقول
 مثل شمس الغروب تسحب ذبلا
 صبغته بزعفران الأصـيل
 والشمس عند طلوعها ، وعند غروبها ، تمكّن الناظر إليها فيمكن التشبيه
 بها ؛ قال قيس بن الخطيم :
 فرأيت مثل الشمس عند طلوعها فى الحسن أو كدونها لغروب

(١) فى نسخة « لتسبح منى نظرة ثم أطرف » (م)

(٢) وفيها « حلثت عن برد ماء ... وهى تعزف » وحلثت: منعت وطردت (م)

[جرير في المدينة يُقرى بشعر قيس بن الخطيم]

ولما قدم جرير بن الخطمي المدينة اجتمع إليه أهلها ، وقالوا : يا أبا حَزْرَةَ !
أشدنا من شعرك ، قال : ما تصنعون به ؟ وفيكم من يقول :

أنى سربت وكنت غير سرور	وتقربُ الأحلامُ غير قريب
ما تمنى يقظي فقد نولته	في النوم غير مُصرّد محسوب ^(١)
كان المنى يُلقيني بها فلقميتها	فلهوت عن لهو امرئ مكذوب ^(٢)
فرأيتُ مثل الشمس عند طلوعها	في الحسن أو كدونها لغروب
تخطو على برد يتين غداهما	غدق بساحة حائر يعقوب ^(٣)

[يعقوب بن داود]

وقع يزيد بن خالد الكوفي رقعة إلى يعقوب بن داود ضمنها :

قل لابن داود والأنبياء سائرة : لا يُحزرن الأجر إلا من له عمل
يا ذا الذي لم تزل يُمنّاه منذ خلقت فيها لباغى نداء العلى والنهل
إن كنت مسدى معروف إلى رجلٍ لفضل شكري فإني ذلك الرجل
فأمنن على بير منك ينعشني فإني شاكرُ المعروف محتمل
قال يعقوب : قد جربنا شكرك فوجدناه قد سبق برنا ، وقد أمرتُ
لك بعشرة آلاف درهم [تصلح حالك] ، وليست آخر ما عندنا لك ،
فاستوفأها حتى مات .

(١) مصرد - بزنة المعظم - القطم . وفي نسخة « مسرد » تحريف (م)

(٢) في نسخة « عن لهو - أرى - مكذوب » وما أثبتناه يوافق الأما

٢٧٢/٢ وحماة ابن الشجري ١٨٩ (م)

(٣) وقع هذا البيت في نسخة ، على هذا الوجه :

تخطو على برد بين خطاها غدق بحافة حابر لغيوب

وهذا البيت ليس في الأماي ولا في حماة ابن الشجري ، وهو في ديوان قيس

ص ٦ سادس أبيات قطعة عدتها ثلاثة عشر بيتا (م)

ولما سخط المهدي على يعقوب أحضره ، فقال : يا يعقوب ! قال : لبنيك
يا أمير المؤمنين تلبية مكروبٍ لِمَوْجِدَتِكَ ، شَرِقَ بِغُصَّتِكَ ، قال : ألم أرفع قَدْرَكَ
وأنتَ خامل ، وأسير ذكرك وأنتَ هامل ، وألبسك من نِعَمِ الله تعالى ونِعَمِي
مالم أجد عندك طاقةً لِحلمه ، ولا قياماً بشكره ؟ فكيف رأيت الله تعالى أظهر
عليك ، وردَّ كَيْدَكَ إليك ؟

قال : يا أمير المؤمنين ؛ إن كنت قلت هذا بتيقن وعم فإني معترف ،
وإن كان بسعاية الباغين ، ونمائم المعاندين ، فأنت أعلم بأكثرها ؛ وأنا عائد
بكرمك ، وعميم شرفك .

قال : لولا الحنث^(١) في دمك لألبستك قميصاً لا تشد عليه زراً^(٢) ؛ ثم أمر به
إلى الحبس ، فتولى وهو يقول : الوفاء يا أمير المؤمنين كرم ، والمودة رحيم ،
وما على العفو ندم ، وأنت بالعفو جدير ، وبالחסن خَلِيق . فأقام في السجن
إلى أن أخرجه الرشيد .

أخذ معنى قول المهدي : « لألبسك قميصاً لا تشد عليه زرا »
أبو تمام فقال :

طوّفته بالحسام طوّت ردّي أغناه عن مسّ طوّقه بيده
رقال ابن عمر في معنى قول الطائي :

طوّفته بحسام طوّق داهية لا يستطيع عليه شدّ أزرار

(١) في نسخة « لولا الحسب في دمك » (م)

(٢) في نسخة « لا تشد عليه أزرارا » (م)

ولما قبض المهدي على يعقوب ورأى أبو الحسن النخري مَيَّلَ الناس عليه ،
وكان مختلطاً به قال :

يعقوبُ لا تَبْعَدْ وَجُنَّبْتَ الردى فلا بكيينَ كما بكي الغصنُ الندى^(١)
لو أنَّ خيرك كان شرًّا كاهُ عند الذين عدوا عليك لما عدا
أخذ هذا المعنى بعض المحدثين [في الغزل] فقال :

لو أن هجرك كان وصيلاً كاهُ مما أقامى منك كان قليلاً

[بين أحمد بن أبي دواد والوائق]

قال أبو العيناء : قال لي أحمد بن أبي دواد : دخلت على الوائق فقال لي :
ما زال اليوم قومٌ في ثلبك ونقصك ! فقال : يا أمير المؤمنين ، لكل امرئ
منهم ما اكتسب من الإثم ، والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ، والله
وليُّ جزائه ؛ وعقابُ أمير المؤمنين من ورائه ، وما ذلَّ - يا أمير المؤمنين -
من كنت ناصره ، وما ضاق من كنت جاراً له ، فما قلت لهم يا أمير المؤمنين ؟
قال : قلت يا أبا عبد الله :

وسعى إلى بصرم عزة معشرٍ جعل الإلهُ خدودهن نعالها^(٢)

قال الفتح بن خاقان : ما رأيت أظرف من ابن أبي دواد ؛ كنت يوماً
ألاعب المتوكل بالترد ، فاستؤذن له عليه ، فلما قرَّب مناهمتم برفعه ، فنحنى
المتوكل وقال : أجاهرُ الله وأستره من عباده ؟ فقال له المتوكل : لما دخلت
أراد الفتح أن يرفع الترد ! قال : خاف يا أمير المؤمنين أن أعلم عليه !
فاستحليناه ، وقد كنا تجهمناه .

(١) في نسخة « فلا بكيينك ما بكي الغصن الندى » (م)

(٢) في نسخة « وسعى إلى بعبب عزة معشر » (م)

[من خطباء العرب شيب بن شيبه وخالد بن صفوان]

قيل لبعض الأمراء: إن شيب بن شيبه^(١) يتعمّل الكلام ويستدعيه ،
فلو أمرته أن يصعد المنبر فجأة لافتضح ؛ فأمر رسولا فأخذ بيده فصعد به المنبر ،
فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : إنّ لأمر
للمؤمنين أشبهها أربعة : الأسد الخادِر ، والبحر الزاخر ، والقمر الباهر ، والربيع
الناضر ، فأما الأسد الخادر فأشبهه صولته ومضائه ، وأما البحر الزاخر فأشبهه
جوده وعطاءه ، وأما القمر الباهر فأشبهه نوره وضيائه ، وأما الربيع الناظر
فأشبهه حسنه وبهائه ، ثم نزل .

وهذا الكلام يُنسبُ إلى ابن عباس بقوله في علي بن أبي طالب رضي الله عنهما .
وكان شيب بن شيبه من أفصح الناس وأخطبهم ، ويشبهه بخالد بن صفوان ؛
غير أن خالداً كان أعلى منه قدراً في الخاصة والعامة . وذكر خالد شيبياً فقال :
ليس له صديقٌ في السرِّ ولا عدوٌّ في العلانية . وكانت بينهما معارضة^(٢) للنسب
والجوار والصناعة ، ولما قال الشاعر :

فَنَحَّ شَيْبِيًّا عَن قِرَاعِ كَتِيْبَةٍ وَأَذَنَ شَيْبِيًّا مِّنْ كَلَامِ مُلَقِّقٍ

وكان لا ينظر إليه أحد وهو يخطب إلا تبين فيه الخجل .

وقال أبو تمام لملي بن الجمهم :

لَوْ كُنْتُ يَوْمًا بِالنَّجْمِ مُصَدِّقًا لَزَعَمْتُ أَنَّكَ نَلْتِ شَكْلَ عَطَّارِدٍ

أَوْ قَدَّمْتُكَ السَّنَّ خِلْتُ بِأَنَّهُ مِّنْ لَفِظِكَ اشْتَقَّتْ بِلَاغَةُ خَالِدٍ

وقالت له امرأة : إنك لجميل يا أبا صفوان . قال : كيف تقولين هذا وما

في عمود الجمال ولا ردأوه ، ولا بُرأسه . عموده الطول ، ولست بطويل ، و ردأوه

(١) تختلف الأصول في هذا الاسم ؛ فبعضها يقع فيه « شيب بن شيبه » بياء
موحدة مشددة بعد الشين ، وبعضها يقع فيه « شيب بن شيبه » بياء مشناة تحتية
ساكنة ثم باء واحدة مفتوحة ، ويتعمّل الكلام : يتكلفه (م) (٢) في نسخة
« مفاوضة » (م)

البياض ، ولست بأبيض ، وبُرُنْسِه سواد الشَّعْرِ ، وأنا أَسْمَطُ ! ولكن قولي :
إنك للمليح .

وكان خالد حافظاً لأخبار الإسلام ، وأيام الفتن ، وأحاديث الخلفاء ،
ونوادر الرواة ، وكل ما تصرف فيه أهل الأدب ، وله يقول مكي بن سواده :

عَلِمَ بِتَنْزِيلِ الْكِتَابِ مَلَقَنَّ ذَكَورٌ لِمَا سَدَّاهُ أَوْلَ أَوْلَا
يُبْدُ قَرِيبَ الْقَوْمِ فِي كُلِّ مَحْفَلٍ وَلَوْ كَانَ سَحْبَانَ الْخَطِيبِ وَدَغْفَلَا
تَرَى خُطْبَاءَ النَّاسِ يَوْمَ أَرْجَاهُ كَأَنَّهُمُ الْكُرُونُ صَادِفٌ أَجْدَلَا^(١)

أما سَحْبَانَ الذي ذكره فهو خطيبُ العربِ بأسرها غير منازع ولا مدافع ،
وكان إذا خطب لم يُعِدَّ حرفاً ، ولم يتوقف ، ولم يتحسَّن ، ولم يفكر في استنباط ،
وكان يسيل غرُبا ، كأنه آذَى بَحْرٍ^(٢) .

ويقال : إن معاوية قدم عليه وفد من خراسان وجههم سعيد بن عثمان ،
وطلب سَحْبَانَ فلم يوجد عامة النهار ، ثم اقتضِبَ من ناحية كان فيها اقتضاباً ،
فدخل عليه فقال : تكلم ، فقال : انظروا لي عصاً تُقيم من أودي ، فقال له
معاوية : ما تصنعُ بها ؟ فقال : ما كان يصنع موسى عليه الصلاة والسلام وهو
يخطبُ ربَّه وعصاه بيده ، فجاءوه بعصا فلم يرضها . فقال : جيئوني بعصا ،
فأخذها ، ثم قام فتكلم منذ صلاة الظهر إلى [أن فاتت] صلاة العصر ، ماتتحنح ،
ولا سَمَل ، ولا توقف ، ولا تحسَّن ، ولا ابتدأ في معنى فخرج منه إلى غيره حتى
أتمه ولم يبق منه شيء ، ولا سأل عن أي جنس من الكلام يخطب فيه ، فما
زالت تلك حاله وكلَّ عين في السماطين شاخصةً إلى أن أشار له معاوية بيده
أن اسكت ، فأشار سحبان بيده أن دَعَى لا تَقَطِّعْ عَلَيَّ كلامي ، فقال له معاوية :
[الصلاة ، فقال : هي أمامك ونحن في صلاة يتبعها تحميد وتمجيد ، وعظة وتنبية

(١) الأجدل : الصقر ، وهو من كواسر الطير (م)

(٢) الآذَى : الموج (م)

وتذكير ووعد ووعيد ، فقال معاوية : [إنك أخطبُ العرب ، فقال سبحانه :
والعجم ، والجن ، والإنس .

[عجلان بن سبحانه]

وكان ابنه عجلان حلوَ اللسان ، جيّدَ الكلام ، مليحَ الإشارة ، يجمعُ مع
خطابته شعراً جيداً ، ويضرب الأمثال إذا خطب ، وينزع النادرَ من الشعر ،
والسائرَ من المثل ، فتتخوُ خطبته ، وكان يزنُ كلامه وزناً .

[دغفل بن حنظلة النسابة]

وأما دغفل الذي ذكره مكى بن سواده فهو دغفل بن حنظلة بن يزيد أحد
بنى ذهل بن ثعلبة النسابة ، وكان أعلمَ الناس بأنساب العرب ، والآباء والأمهات ،
وأحفظهم لمثالبها ، وأشدّهم تنقيراً وبخماً عن معائب العرب ، ومثالب النسب .

قال له معاوية يوماً : والله لئن قلت في هذا البيت ^(١) من قريش ماتجد في آل
حربٍ مقالا ؛ فتبسّم دغفل ؛ فقال له معاوية : والله لتخبرني بتبسمك ، وما انضمتُ
عليه جوانحك ، أو لأضربنّ عنقك ، وما آمنُ أن تكذب أو تزيد .

فقال : يا أمير المؤمنين ، أنتم من بني عبد مناف كسنام كوماً فتية ^(٢) ، ذاتِ
مرعى خصيب ، وماء عذب ، وأكمة بارزة ، فهل يوجد في سنام هذه مدبّ
قُرّاد من عاهة ؟ فقال له معاوية : أولى لك ! لو قلت غير هذا ؛ أما على ذلك
لو رأيت هنداً وأباها ، وزوجها ، وأخاها ، وعمّها ، وخالها ، لرأيت رجالاً تحارُ أبصارُ
مَن رآهم فيهم ، فلا تجاوزهم إلى غيرهم ، جلالاً وبهاء .

[وصف العصا لأعرابي بين يدي الحجاج]

وعلى ذكر العصا لقي الحجاج أعرابياً فقال : من أين أقبلت ؟ قال : من

(١) في نسخة « في هذا النسب من قريش » (م)

(٢) الكوما : الناقة العظيمة السنام (م)

البادية . قال : ما بيدك ؟ قال : عصا أركزُها لصلاتي ، وأعدُّها لعداتي ، وأسوقُ بها دابَّتِي ، وأقوى بها على سفري ، وأعتَمِدُ بها في مشيتي ، لِيَتَسَّعَ بها خطوِي ، وأَعْبُرُ بها^(١) النهر فتؤمنني ؛ وألقى عليها كسائي فتستُرني من الحرِّ ، وتقيني من القُرِّ ، وتُدِّني ما بعد مني ، وهي يَحْمَلُ سُفرتي ، وعِلاَقَةُ إِداوتِي ، ومِشْجَبِ ثيابِي ، أعتَمِدُ بها عند الضَّرَبِ ، وأَقْرَعُ بها الأبوابَ ، وأَتَمِّي بها عَقُورَ الكِلَابِ ، تنوبُ عن الرُّمَحِ في الطَّعَانِ ، وعن الحِرْزِ^(٢) عند منازلة الأقرانِ ، وورثتها عن أبي ، وأورثها بعدى ابني ، وأهشُّ بها على غمِّي ، ولي فيها مآربَ أخرى ، كثيرة لا تُحصى .

[عِرْزَةُ الخليل بن أحمد]

قال النضر بن شميل : كتب سليمان بن علي إلى الخليل بن أحمد يستدعيه الخروج إليه ، وبعث إليه بمال كثير ، فردّه وكتب إليه :

أبلغُ سليمانَ أُنَى عنهُ في سَعَةِ وفي غنَى غيرَ أُنَى لَسْتُ ذَا مالِ
يسخُو بنفسِي أُنَى لا أرى أحداً يموت هُزْلاً ولا يَبْقَى على حَالِ
والفقرُ في النفسِ لافي المالِ تَعْرِفُهُ ومِثْلُ ذاكِ الغنى في النفسِ لا المَالِ
والمالُ يَفْشَى أناساً لا خَلَقَ لَهُم كالسَّيْلِ يَفْشَى أُصولُ الدَّنِ البَالِ^(٣)
كلُّ امرئٍ بسبيلِ الموتِ مرتَهَنٌ فاعْمَلْ لِنَفْسِكَ ، إني شاغِلٌ بِألي
أخذ هذا الطائي فقال :

لا تُنْكِرِي عطلَ الكَرِيمِ مِنَ الفِئَةِ فالسَّيْلُ حربٌ للمكانِ العَالِيِ
وقال أيضاً يصف قوماً حُضِنُوا بِابنِ أبي دُوادٍ :
نزلوا مركزَ النَّدى وَذَرَّاهُ وَعَدَّتْنَا من دونِ ذاكِ العَوَادِيِ

(١) في نسخة « وأبث بها النهر » ولا وجه له (م)

(٢) في نسخة « وعن الحرب » (م)

(٣) الدندن - بكسر الدالين - كل ما اسود من نبات أو شجر (م)

غير أن الرثبا إلى سُبُل الأنواء أَدَتِي، والحظُّ حظ الوهَادِ^(١)
وهذا الشعر من أصلح شعر الخليل ، وكان شعره قليلا ضعيفا ، بالإضافة
إليه وهو أستاذ النحو والغريب ، وقد اخترع علم العروض من غير مثال تقدمه ،
وعنه أخذ سيبويه ، وسعيد بن مسعدة ، وأئمة البصريين ، وكان أوسع الناس
فِطْنَةً ، وأطفهم ذهنًا . قال الطائي :

فلو نُشِر الخليل إذا لَعَفْت رَزَاياه على فِطْنِ الخليلِ

للصابي يعزى
عن طغف

[من رسائل الصابي]

وكتب أبو إسحاق الصابي إلى محمد بن عباس يعزیه عن طفل :
الدينا ، أطال الله بقاء الرئيس ، أقدارُ تَرَدُّ في أوقاتها ، وقضايا تَجْرِي إلى
غاياتها ، ولا يُرَدُّ منها شيءٌ عن مَدَاه ، ولا يصدُّ عن مطلبه ومَنْجَاه ؛ فهي كالسهام
التي تثبت في الأغراض ، ولا ترجعُ بالاعتراض ؛ ومن عرف ذلك معرفة
الرئيس لم يفض من الزيادة ، ولم يَقْتَط من النقيصة^(٢) ، وأمن أن يستخف أحدُ
الطرفين حله ، ويستنزل أحدُ الأمرين حزمه ، ولم يدع أن يوطن نفسه على
النازلة قبل نزولها ، ويأخذ الأهبة للحادثة قبل حلولها ، وأن يجاور الخير
بالشكر ، ويساور المحنة بالصبر ؛ فيتخير فائدة الأولى عاجلا ، ويستمرى عائدة
الأخرى آجلا .

وقد نقد من قضاء الله تعالى في المولى الجليل قدراً ، الحديث سنًا ، مَا أَرْمَضُ ،
وَأَوْمَضُ ، وَأَقْلَقُ وَأَقْضُ ؛ ومسنى من التألم له ما يحقُّ على من توافقت
أيادي الرئيس إليه ، ووجبت مشاركته في المزم عليه ، فإننا لله وإنا إليه راجعون
وعند الله نحتسبه غصناً ذوى ، وشهاباً خبياً ، وفرعاً دلَّ على أصله ، وخطياً أنبتَه

(١) الأنواء ، : الأمطار . واحدها نوء ، وفي نسخة « والحظ عند الوهاد » (م)

(٢) في نسخة « ولم يقط عند المصيبة ولم يحزع عند النقيصة » (م)

رَشِيحُهُ ؛ وإياه أسألُ أن يجعله للرئيس فرطاً صالحاً ، وذُخْراً عتيداً ، وأن ينفعه يوم الدين ، حيث لا ينفعُ إلا مثله بين البنين ، بجوده ومجده .

ولئن كان المصابُ عظيماً ، والحادثُ فيه جسيماً ، لقد أحسن اللهُ إليه ، وإلى الرئيس فيه ؛ أمّا إليه فإن الله نزهه بالاخترام^(١) ، عن اقترافِ الآثام ، وصانه بالاحتضار ، عن ملابسة الأوزار ، فورد دنياه رشيداً ، وصدر عنها سعيداً ، نقي الصحيفة من سوادِ الذنوب ، برى الساحة من دَرَنِ العيوب ، لم تدنسه الجرائرُ ، ولم تعلقْ به الصغائرُ والكبائرُ ، قد رفع اللهُ عنه دقيقَ الحساب ، وأنسَمَ له الثواب مع أهلِ الصواب ، وألحقه بالصدّيقين الفاضلين في المعاد ، وبوأه حيث أفضلهم من غير سعيٍ ولا اجتهاد .

وأما الرئيس فإن الله عز وجل لما اختار ذلك له قبضه قبل رؤيته إياه على الحالة^(٢) التي تكون معها الرقة ، ومعاينته التي تتضاعفُ معها الحرقة ، وحمّاه من فتنة المرافقة ، ليرفعه عن جزع المرافقة ، [وكان هو المبقى] في دنياه ، وهو الواحد الماضى الذخيرة لأخراه ، وقد قيل : إن تسلّم الجلّةُ فالسُخْلُ هدر^(٣) ؛ وعز يزعلُ أن أقول قول المهون للأمر من بعده ، وألاً أوفى التوجع عليه واجبَ قَدِّه ، فهو له سُلالة ، ومنه بضعة ، ولكن ذلك طريقُ التسلية ، و-بيلُ التعزية ، والمنهَجُ السلوك في مخاطبة مثله ، ممن يقبل منقعة الذكرى وإن أغناه الاستبصار ، ولا يأبى ورود الموعظة وإن كفاه الاعتبار ، والله تعالى يقى الرئيس المصائب ، ويعيذه من النوائب ، ويرعاه بعينه التي لاتنامُ ، ويجعله في حمّاه الذي لا يُرام ، ويُبقيه موفوراً غير منتقص ، ويقدمنا إلى سوء أمامه ، وإلى الحذور قدّامه ، ويبدأ بي من بينهم في هذه الدعوة ، إذ كنت أراها من أسعد أحوالى ، وأعدّها من أبلغ أمانيّ وآمالي .

(١) الاحترام : الموت (م)

(٢) في نسخة « على الحالة التي تصعب معها الفرقة ، وتتضاعف عندها الحرقة » (م)

(٣) الجلّة - بكسر الجيم - اللسان من الإبل ، والسُخْل - بفتح فسكون - ولد

الشاة ، واحدة سخلة (م)

من الصافي
إلى بعض
الرؤساء

وكتب إلى بعض الرؤساء :

قد جرت العادة — أطال الله بقاء الأمير! — بالتمهيد للحاجة قبل موردها، وإسلاف الظنون الداعية إلى نجاحها، وسالك هذه السبيل يسمى الظن بالمستول؛ فهو لا يلتبس فضله إلا جزاء، ولا يستدعي طوله إلا قضاء؛ والأمير بكرمه الغريب، ومذهبه البديع، يؤثر أن يكون السلف له، والابتداء منه، ويوجب للمهاجم برغبته عليه حق الثقة به منه، والحمد لله الذي أفرد بالطرائق الشريفة، وتوحد^(١) بالخلائق المنيفة، وجعله عين زمانه البصيرة، ولصغته الثاقبة المنيرة^(٢).

[من رسائل البديع]

كتاب منه
إلى بعض
أصحابه

وكتب البديع في بابيه إلى بعض أصحابه :

لك أعزك الله عادة فضل، في كل فصل، ولنا شبه ممتت، في كل وقت؛ ولعمري إن ذا الحاجة مقيت الطلعة، ثقيل الوطأة، ولكن ليسوا سواء [؛ وأولو^(٣) حاجة محتاج إليهم الأموال، وأولو حاجة توجبهم الآمن.

والأمير أبو تمام عبد السلام بن الفضل^(٤) اللطيع لله أمير المؤمنين — أيده الله — إن أحوجه الزمان فظالما خدمه، وإن أهانه فكثيراً ما أكرمه وتممه. وقد يما أقله السرير، وعرفه الخورنق والسدير. وإن نقصه للمال فالعرض وافر، وإن جفاه الملك فالفضل ظاهر، وإن ابتلاه الله فليبتليكم به فينظر كيف تفعلون. وأنت تقابل مورده عليك من الإعظام، بما يستحق من الإكرام، فلا تنظرن إلى ثوب بال، فتحتته شرف عال، ولا تقس على البؤرد، ما وراءه من الحمد، ولكن إن نظرت في شامخ أصله، وراسخ عقله، وشهادة الفراسة له. ثم ليأت بعد هذه الآيات ما هو قضية المروءة معه، والأخوة معي، بالغا في ذلك غاية جهده، والسيف لا يرى في غمده، والحمد لله حق حمده.

(١) في نسخة «ووحده» وهما بمعنى أفرده (م) (٢) في نسخة «الباقية المنيرة» (م)

(٣) من هنا إلى العنوان الذي وضعناه في ص ٩١٩ ساقط من جميع المطبوعات (م)

(٤) في الرسائل (ص ١٦٠) «بن جعفر» (م)

كتاب منه
إلى إبراهيم
بن أحمد
بن حمزة

وله إلى أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن حمزة :
لو كانت الدنيا أطال الله بقاء الشيخ ! — على مرادى تجرى ، لاخترت
أن أضرب بهذه الحضرة أطناب عمرى ، وأتفق على هذه الخدمة أيام دهري ،
ولكن فى أولاد الزنا كثرة . ولعين الزمان نظرة ، وقد كنت حَظِيتُ من خدمة
الشيخ المحسن بشرعة أنس نَفصها بعضُ الوشاة على ، وذكر أنى أقت بطوس بعد
استئذانى إلى مزو ، وفى هذا ما يعلمه الشيخ ، فإن رأى أن يحسن جَبْرِى بكتاب
يطرز به مقدمى فقل إن شاء الله تعالى .

كتاب آخر
إلى أبى نصر
الميكالى

وله فى هذا الباب إلى أبى نصر الميكالى :
الشيخ — أعزّه الله — مَلَك من قلبى مكانا فارغا^(١) ، فبزله غير منزل قلعة ،
ومن مودتى ثوبا سابغا ، فلبسه غير لبسة خلعة ، ومن نصب تلك الشائل
شبكا ، وأرسل تلك الأخلاق شركا ، قَمَصَ الأحرار فاستحثمهم ، وصاد
الإخوان واسترقهم .

وتالله ما يُغِبُّن إلا من اشترى عبداً وهو يجد حراً بأرخص من العبدئنا ، وأقل
فى البيع غبنا ، ثم لا يهتبل^(٢) غرة وجوده ، وينتهز فرصة امتلاكه بجموده ، وأنا أتم
للشيخ على مكرمة يتيمة ، ونعمة وسيمة . فليعتزل من الرأى ما كان بهما ، وليطلق
من النشاط ما كان عقيما ، وليحلل حَبوة التقصير ، وليتجنب جانب التأخير ،
وليفتض عُدْرَتها ، وينقض حجَّتْها وعُمُرَتها ، برأى يجذبُ المجد باعه ، ويعمر النشاط
رباعه ؛ وتلك حاجة سیدی أبى فلان وقد ورد من الشيخ بحراً ، وعقد به جسراً ،
وما عَسُرَ وَعَدُّهُ هو مستنجزه ، ولا بعد أمرٌ هو منتهزه ، ولا ضاعت نعمة أنا بریدُ
شكرها ، وعزيم نشرها ، وولى أمرها ؛ وهذا الفاضل قزارة ماأها ، وعماد بنأها ؛
وقد شاهدت من ظرفه ، ما أعجز عن وصفه ، وعرفت من باطنه ما لم يُدَرِّ بظاهره ،
ورأيت من أوله ما تمَّ على آخره ، ثم له البيت المرموق ، والنسب الموموق ، والأولية

(١) يشير بهذا إلى قول الشاعر :

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى وحلت مكاناً لم يكن حل من قبل
ومنزل قلعة : يعنى لا يطول المقام به (م) (٢) لا يهتبل : لا ينتهز (م)

القديمة ، والشيمة الكريمة ؛ وقد جَعَمْتَنَا في الود حلقة ، ونظَمْتَنَا في السفر رقة ،
وعرفني بما أنهض له وفيه ، فضمنت له عن الشيخ كرمًا لا يغلَقُ بابَه ، وغَدَقًا^(١)
لا يُخْلَفُ صحابُه ؛ فليخرجني الشيخ من عهدة هذه الثقة ، زادها إليه تأ كدًا ،
وإن رأى أن أسأل الشيخ في معناه عرفني كيف المأني له، وإنما أَطَلْتُ ليعلم صِدْقَ
اهتمامي ، وفرَّطَ تقليدي للمنة والتزامي .

جواب منه
عن صنعة

وله جواب عن صنعة بصاحب هذه العناية :

ورد فلان سيدي وهو عينُ بلدتنا وإنسانها ، ومقلتها ولسانها ؛ فأظهر آيات
فضله ، لاجرم أنه وصل إلى الصميم ، من الإيجاب الكريم ، وهو الآن مقيمٌ بين
رَوْحِ ورِيحانِ وجنة نعيم ، تحيَّته فيها سلام ، وآخر دعواه ذكرك وحسن الثناء
عليك بما أنت أهله ، وأنا أصدقُ دعواه ، وأفتخر به افتخار الخصى بمتاع مولاه ،
وقد عرفته ولسنته ، وكيف يُجرُّ^(٢) في البلاغة رَسَنَه ، فما ظنك به ؟ وقد ملكتها
المجالس ولحظتها العيون ، وسلَّ صارمًا من فيه ، يُعيدُ شكرك ويُبيدُه ، وينشر
ذكرك ويطويه ؛ والجماعة تمدحُ لمدحه ، وتجرحُ بجرحه ، نرايك في تحفظ أخلاقك
التي أثمرت هذا الشكر ، وأنتجت هذه المآثر الغر ، موقفاً إن شاء الله تعالى .

ومن إنشائه في مقامات الاسكندري ، قال :

المقامة
الأفريجابية

حدثنا عيسى بن هشام ، قال : لما نَطَقَنِي الغني بفاضل ذَيْلِه ، أتهمت ببال
سلبته ، أو كنز أصبته ، ففخَرَنِي الليلُ ، وسرَّتْ بي الخليلُ . وسلكتُ في
هسبي مسالكٍ لم يَرُضْها السيرُ ، ولا اهتدتُ إليها الطيرُ ، حتى طويتُ أرضَ
الرَّغْبِ وتجاوزتُ حدَّه ، وصيرتُ إلى حَيِّ الأَمْنِ ووجدتُ برَدَه ، وبلغتُ
أذربيجان وقد حَفِيَتِ الرواحلُ ، وأكَلَّتْهَا المراحلُ ، ولما بلغتُها :

(١) الغدق - بالتحريك - الماء الكثير (م)

(٢) في نسخة « يجرى » وليس بذلك (م)

نزلنا على أن المقام ثلاثة فطابت لنا حتى أقنابها شهرا
 فيينا أنا يوما في بعض أسواقها إذ ظلم رجل رُكوة قد اعتضدها^(١)، وعصا
 قد اعتمدها، ودنية قد تقلَّسها، وفوطة قد تطيلَّسها؛ فرفع عقيرته وقال: اللهم
 يا مبدئ الأشياء ومعيدها، ومحبي العظام ومبيدِها، وخالق المصباح ومديره،
 وقالق الإصباح ومديره، وموصل الآلاء سابقة إلينا، ومُملك السماء أن تقع علينا،
 وبارئ النَّسم أزواجا، وجاعل الشمس سراجا، والسماء سقفا، والأرض فراشا،
 وجاعل الليل سكنا والنهار معاشا، ومنشىء السحاب تقالا، ومرسل الصواعق
 نكالا، وعالم ما فوق النجوم، وما تحت التخوم. أسألك الصلاة على سيد المرسلين
 محمد وآله الطاهرين، وأن تعينني على الغربة أثني حبَّها، وعلى العُسرة أعدو
 ظلها، وأن تُسهِّل لي على يدي مَنْ فطَرْتَهُ الفِطْرَةَ، وأطلعتَهُ الطُّهْرَةَ، وسعد
 بالدين المتين، ولم يعنم عن الحق المبين، راجلة تطوى هذا الطريق، وزادا
 يسقى والرفيق.

قال عيسى بن هشام: فجاجيتُ نفسي بأن هذا الرجل أفصح من إسكندرينا
 أبي الفتح، والنفتُ لفتة، فإذا هو أبو الفتح. فقلت: يا أبا الفتح، بآغ هذه
 الأرض كيدك، وانتهى إلى هذا الشعب صيدك؟ فأنشأ يقول:

أنا جَوَّالَةُ البِلا دِ وَجَوَّابَةُ الأُفُقِ
 أنا خُذْرُوفَةُ الزِمانِ وَعِمَّارَةُ الطُّرُقِ
 لا تَلْسَنِي لَكَ الرِشا دُ عَلَي كُدَيْتِي وَذُقْ

وقال الطرماح بن حكيم:
 وما أنسِم الأشياء لأنس بيعة من الدهر إذ أهل الصفاء جميع

(١) ركوة: وعاء يجمع فيه ما يحصله، واعتضدها: جعلها في عضده (م)

وإذ دهرنا فيه اعتزاز، وطَيْرُنَا سَوَاكِنُ فِي أَوْكَارِهِنَّ وَقَوَعُ
 فهل لليالينا بنعم مليحة وأيامهنّ الصالحات رُجوعُ؟
 كأن لم يرُ عك الظاعنون إلى بلى ومثل فراق الظاعنين يرُوعُ^(١)

[أيام الشباب وأيام المشيب]

لعلى العلوى

وقال على بن محمد [بن الحسن] العلوى :

وأهّا لأيام الشبا وب وما لبسن من الزخارف
 وذهابن بما عرفن من المناكر والمعارف
 أيام ذكرك في دوا وين الصبا صدر الصحائف
 وأهّا لأيامي وأيام الشهيات المرآشف
 الغارسات البان قضا باناً على كئيب الروادف
 والجماعات البدر ما بين الحواجب والسوائف
 أيام يُظهرون الخلا ف بغير نيات الخالف
 وقف النعيم على الصبا وزلات من تلك المواقف

لابن المعتز

وقال ابن المعتز :

دَعَتْنِي إِلَى عَهْدِ الصُّبَارَةِ الْخَدِرِ وَأَلَقْتُ قِنَاعَ الْخَزِّ عَنْ وَاضِحِ الثَّغْرِ
 وَقَالَتْ وَمَاءُ الْعَيْنِ يَخْلَطُ كُحْلَهَا بِصُفْرَةِ مَاءِ الزَّعْفَرَانِ عَلَى النَّخْرِ
 لِمَنْ تَطْلُبُ الدُّنْيَا إِذَا كُنْتَ قَابِضاً عَنَّانِكَ عَنْ ذَاتِ الْوِشَاحِينَ وَالشُّذْرِ
 أَرَاكَ جَعَلْتَ الشَّيْبَ لِلْهَجْرِ عِلَّةً كَأَنْ هَلَالَ الشَّهْرِ لَيْسَ مِنَ الشَّهْرِ
 وَقَالَ [أَحْمَدُ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ] :

(١) من أول موضع إشارتنا في ص ٩١٥ إلى هنا ساقط من جميع المطبوعات (م)

لأحمد بن
أبي طاهر

يا من كلفت بحبه كلفي بكاسات العُقار
وحياة ما في وجنتيك من الشقائق والبهار
وولوع رذلك بالترجرج تحت خصرك في الإزار
ما إن رأيت لحسن وجهك في البرية من نيجار
لما رأيت الشيب من وجهي بما يحكي الحمار
[قالت غبار قد علا ك فقلت ذا غير الغبار
هذا الذي تقل الملو ك إلي القبور من الديار]
قالت ذهبت بحجتي عنى بحسن الاعتذار
يا هذه أرأيت ليلاً منذ خفت بلا نهار
وقال خالد الكاتب :

لخالد الكاتب

نظرتُ إلى بعين من لم يعدل
لما رأته شيئاً ألم بفرقي
وطلتُ أطلب وصلها بتملق
والشيبُ يغمزها بالأ تفعلني
وقال ابن الرومي :

لابن الرومي

كفي حزناً أن الشباب معجل
وعزاً لك عن ليل الشباب معاشر
فقلت : نهار المرء أهدى لسعيه
مخار الفتى شيخوخة أو منية
وقال :

كان الشباب وقلبي فيه منغمس
في لذة لست أدري ما دواعيها

(١) الحار : المرجع ، حار مجور : رجح ، والمنية : الموت ، والمرجوع : المرجع

أيضا ، ورمدد : الرماد (م)

رَوْحَ عَلَى النَّفْسِ مِنْهُ كَادَ يُبْرِدُهَا
 كَأَنَّ نَفْسِي كَانَتْ مِنْهُ سَارِحَةً
 يَمْضِي الشَّبَابُ وَيَبْقَى مِنْ لُبَابَتِهِ
 مَا كَانَ أَعْظَمَ عِنْدِي قَدْرَ نِعْمَتِهِ
 مَا كَانَ يُوزَنُ إِعْجَابَ النِّسَاءِ بِهِ
 وَقَالَ :

إِذَا مَا رَأَيْتُكَ الْبَيْضُ صَدَّتْ ، وَرَبَّمَا
 وَمَا ظَلَمْتِكِ الْغَائِيَاتُ بَصَدَّهَا
 أَعْرَ طَرْفُكَ الْمَرَاةَ وَانْظُرْ ؛ فَإِنَّ نَبَأَ
 إِذَا شِئْتِ عَيْنَ الْفَتَى شَيْبَ نَفْسِهِ
 وَقَالَ كِشَاجِمُ :

وَقَفَّتَنِي مَا بَيْنَ حُزْنٍ وَبُؤْسٍ
 إِذْ رَأَيْتُنِي مَشْطُتٌ عَاجًا بِعَاجٍ
 وَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ :

بَكَرْتَ تَبَصَّرَنِي الرَّشَادُ كَأَنِّي
 وَتَقُولُ : وَنَحْكَ قَدْ كَبُرْتَ عَنِ الصَّبَا
 فَإِلَى مَتَى تَصُوبُوا وَأَنْتِ مَتَّيْمٌ
 فَأَجَبْتَهَا إِلَى عَرَفْتُ مَذَاهِبِي
 لَا أَهْتَدِي لِمَذَاهِبِ الْأَبْرَارِ
 وَرَمَى الزَّمَانَ إِلَيْكَ بِالْأَعْدَارِ
 مَتَقَلَّبْتُ فِي رَاحَةِ الْإِقْتَارِ
 فَصَرَفْتُ مَعْرِفَتِي إِلَى الْإِنْفَارِ

(١) يشجها : يحزنها (م)

(٢) أصور : مائل (م)

(٣) يجور : ينسب إلى الجور ، وهو ضد العدل (م)

(٤) الشناءة : البغض والكرهية ، وشئنت : أبغضت (م)

لكشاجم

لأبي نواس

لأحمد بن زياد

وقال أحمد بن زياد الكاتب :

ولما رأيتُ الشيبَ حلَّ بياضه
بمفرّق رأسي قلت : أهلا ومرحبا
ولو خلتُ أنى إن تركت تحيتي
تنسكب عنى رُمتُ أن يتسكبا
ولكن إذا ما حلَّ كرة فساحت
به النفسُ يوما كان لا لكرهه أذهبا
كأن هذا البيت ينظر إلى قول الأول :

وجاشت إلى النفس أول مرة
فرُدّت إلى معروفها فاستقرت
أبو الطيب :

المتنبي

أنكرت طارقة الحوادث مرة
ثم اعترفتُ بها فصارت ديدنا
ابن الرومي :

لابن الرومي

لاح شَيْبِي فصرتُ أمزحُ فيه
مَرَّحَ الطَّرْفِ فِي العِدَارِ المَحَلِّي
وتولّى الشباب فازددت غَيًّا
فِي مِيَادِينِ بَاطِلِي إِذ تَوَلَّى
إنَّ من ساءه الزمانُ بشيء
لأحقّ الوريّ بأن يتسلى
[المتنبي :

أترأى أسوءَ نفسى لما
ساءنى الدهر ؟ لا ، لعمرى ، كلاً
المتنبي :

المتنبي

تَصْهَوُ الحَيَاةُ لِجَاهِلٍ أَوْ غَافِلٍ
عَمَّا مَضَى فِيهَا وَمَا يَتَوَقَّعُ
ولمن يُغَالطُ فِي الحَقَائِقِ نَفْسَهُ
وَيَسُومَهَا طَلَبَ المَحْصَالِ فَيَطْمَعُ
[البحترى^(١) :

للبحترى

يكفيك من حَقِّ تَخِيلٍ بَاطِلٍ
تردى به نفسُ اللّهيْفِ فترجعُ

(١) سقطت هذه الكلمة من جميع المطبوعات ، والبيت الآتي ليس من قصيد المتنبي التي منها البيتان السابقان على هذه الكلمة ، وهو ثابت في شعر البحترى لا جرم كانت هذه الكلمة من أئرم الالزامات (م)

وقلنا تصحُّ مغالطات أهل العقول، عند أهل التحصيل، وما أحسن

ما قال الطائي:

لأبي تمام
الطائي

لَعِبَ الشَّيْبُ بِالْفَارِقِ ، بَلْ جَدَّ فَأَبْكِي تَمَاضِرًا وَلَعُوبًا^(١)
يا نسيبَ الثَّغَامِ ذُنُوبُكَ أَقْبَى حَسَنَاتِي عِنْدَ الْحَسَانِ ذُنُوبًا^(٢)
لَوْ رَأَى اللَّهُ أَنَّ فِي الشَّيْبِ فَضْلًا جَاوَرَتْهُ الْأَبْرَارُ فِي الْخُلْدِ شَيْبًا
وقد جاء في التشاغل عن الدهر وأحداثه، ونكباته، ومصائبه، ونجعاته،
والتسلي عن الموم، بماء الكروم، شعره كثير؛ فما يتعلق منه بذكر الشيب
قول ابن الرومي:

لابن الرومي

سَأَعْرِضُ مَعْنَى أَعْرَضَ الدَّهْرُ دُونَهُ وَأَشْرَبَهَا صِرْفًا وَإِنْ لَمْ لَوْمْ
فإني رأيت الكأس أكرم حلةً وَفَتُّ لِي وَرَأْسِي بِالْمَشِيبِ مُمَمَّمٌ
وَصَلْتُ فَلَمْ تَبْخَلْ عَلَيَّ بَوْصَلِيهَا وَقَدْ بَخَلْتِ بِالْوَصْلِ عَنِّي تَكْتُمُ^(٣)
وَمَنْ صَارَ مِنَ اللَّذَاتِ إِنْ خَانَ بَعْضُهَا لِيُرْغِمَ دَهْرًا سَاءَهُ فَهُوَ أَرْغَمُ
أَمِنْ بَعْدَ مَثْوَى الْمَرْءِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ إِلَى ضَيْقِ مَثْوَاهُ مِنَ الْقَبْرِ يَسْلَمُ
وَلَمْ يَبْقَ بَيْنَ الضَّيْقِ وَالضَّيْقِ فَرْجَةٌ أَبِي اللَّهِ! إِنَّ اللَّهَ بِالْعَبْدِ أَرْحَمُ!

للعطوي

وقال العطوي:

أَعْجِبْتَنِي إِنْ أَنَاخَ بِي الدَّهْرُ فَمَا كُنْتُ إِلَى الْأَقْدَاحِ
لَا تَرَدَّ الْمُمُومُ بُنْشِينَ أَظْفًا رَأَى حِدَادًا بِشُرْبِ مَاءِ قِرَاحِ
أَحْدَا اللَّهُ، صَارَتِ الْكَأْسُ تَأْسُو دُونَ إِخْوَانِي الثَّقَاتِ جِرَاحِي
وقال ابن الرومي [ونحله بشارا]:

لابن الرومي

وقد كنت ذا حال أطيلُ أدُّ كارها وإرعاءها قلبي لأهتز معجبا^(٤)

(١) تماضر ولعوب: من أسماء نساء العرب (م)

(٢) الثغام - بزنة السحاب - نبت أبيض الزهر والتمر (م)

(٣) تكتم: من أسماء النساء أيضا (م)

(٤) في نسخة « وإرعاءها قلبا ثوى الدهر معجبا » (م)

فَبَدَّلْتُ حَالاً غَيْرَ هَاتِيكَ ، غَابِي
 وَكُنْتُ أُدِيرُ الكَأْسَ مَلَأَى رَوِيَّةً
 وَكَانَتْ مَزِيداً فِي سُرُورِي وَمُتَعِّي
 تَنَاسَى ذِكْرَهَا لَتَقْرُبَ مَقْرَباً
 لِأَجْذَلِ مَسْرُورٍ بِهَا وَلَا طَرَباً
 فَأَضَحَّتْ مَقْرَباً مِنْ هَمُومِي وَمَهْرَباً (١)

وهذا كما قال في قَيْنَةِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ هَذَا الْبَابِ :

شَاهَدْتُ فِي بَعْضِ مَا شَاهَدْتُ مُسْمِعَةً
 ظَلَمْتُ أَشْرَبُ بِالْأَرْطَالِ ، لِأَطْرَباً
 وَمِنْ مَلِيحِ شَعْرِهِ فِي الشَّيْبِ :

كَأَنَّمَا يَوْمُهُمَا يَوْمَانِ فِي يَوْمٍ
 بِذَلِكَ ، بَلْ طَلِبَا لِلسُّكْرِ وَالنَّوْمِ

وَمِنْ نَكِدِ الدُّنْيَا إِذَا مَا تَنَكَّرْتُ
 إِذَا رُمْتُ بِالْمُنْقَاشِ نَتْفَ أَشَاهِي
 يَرَوُّعُ مَنقَاشِي نَجُومَ مَسَائِحِي
 وَقَالَ أَبُو الْفَتْحِ كَشَاجِمُ :

أُمُورٌ - وَإِنْ عَدَّتْ صِغَاراً - عِظَامُ
 أُنِيمِحَ لَهُ مِنْ نِينِنِ الْأَدَاهِمِ
 وَهَنْ لَعِينِي طَالَعَاتُ نَوَاجِمِ (٢)

لأبي الفتح
 كشاجم

أَخِي قُمْ فَعَاوِنِي عَلَى نَتْفِ شَيْبَةِ
 إِذَا مَا مَضَى الْمُنْقَاشُ يَأْتِي بِهَا أَتَتْ
 كَبْجَانٍ عَلَى السَّلْطَانِ يُجْزَى بِذَنْبِهِ
 وَقَدْ وَشَّحَتْ هَذَا الْكِتَابَ بِقَطْعِ مَخْتَارَةٍ فِي الشَّيْبِ وَالشَّبَابِ ، وَجِئْتُ هَهُنَا
 بِمُجْمَلَةٍ ، وَهَذَا النَّوْعُ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ نَحِيطَ بِهِ اخْتِيَاراً ، أَوْ نَبْلِغَهُ اخْتِيَاراً .

شذور لأهل العصر، في وصف الشيب ومدحه وذمه

ذَوَى غُصْنُ شِبَابِهِ . بَدَّتْ فِي رَأْسِهِ ظَلَائِعُ الْمَشِيبِ ، [أَخَذَ الشَّيْبُ بِعَيْنَانِ
 شِبَابِهِ] ، غَزَاهُ الشَّيْبُ بِحَيُوشِهِ ، طَرَّرَ الشَّيْبُ شِبَابَهُ ، أَقَمَرَ لَيْلُ شِبَابِهِ ، أَلْجَهُ

(١) في نسخة « فأضحت معزى من همومي ومهربا » (م)

(٢) في ابن الرومي « يراوغ منقاشي » (م)

بلجامه ، وقاده بزمامه ، علاه غبارُ وقائع الدهرِ . وزن هذا لابن المعتز * هذا غبارُ وقائع الدهرِ * بينا هو راقد في ليل الشباب ، أيقظه صبحُ المشيب . طوى مراحلَ الشباب ، وأنفق عمره بغير حساب . جاوز من الشباب مراحِل ، ووردَ من الشَّيبِ مَنَاهِل . فَلَّ الدهرُ شَبَاباً شَبَابِهِ ، وَمَحَا مَحَاسِنَ رِوَاثِهِ . قضى بأكورة الشباب ، وأنفقَ نَضَارَةَ الزَّمَانِ . أَخْلَقَ بُرْدَةَ الصَّبَا ، ونهَاهُ النَّهْيَ عَنِ الْمَوِي . طار غرابُ شبابه . انتهى شبابه ، وشاب أتراه . استبدل بالأدهم الأبلق ، وبالغراب العمقق (١) . انتهى إلى أَشَدِّ الكهل ، واستعاض من حَلَمِكَ الغراب بقادمة النَّسْرِ . افتترعن نَابِ القارح ، وقرع نَاجِدَ الحلم ، وارتاضَ بِلِجَامِ الدَّهْرِ ، وأدرك عَصْرَ الحُنْكَةِ وَأَوَانَ المسكَة . جمع قوَّة الشباب إلى وَقَارِ المشيب . أسفر صبح المشيب ، وَعَلَّتْهُ أهبَّة الكِبَرِ . خرج عن حدِّ الحدائث ، وارتفع عن غِرَّةِ الغرارة . نَفَضَ حَبْرَةَ الصبا ، وَوَلَّى دَاعِيَةَ الحجا . لمّا قام له الشيب مقام النصيح ، عدل عن علائق الحدائث بتَوْبَةِ نَصُوحِ . الشيب حِلْيَةُ العقل وشِيْمَةُ الوقار . الشيب زبْدَةٌ مَحَضَّتْهَا الأيام ، وَفِضَّةٌ سَبَكْتَهَا التجارب . سرى في طريق الرُّشْدِ بمصباح الشَّيبِ . عصى شياطين الشباب ، وأطاع ملائكة الشَّيبِ . الشيخ يقول عن عِيَانِ ، والشاب عن سَمَاعِ . في الشيب استحكام الوقار وتناهى الجلال ، وميسم التجربة ، وشاهد الحُنْكَةِ الشيب مُقَدِّمَةُ الموت والهَرَمِ ، والمُوْزِنُ بِالْحَرْفِ ، والقائد للموت . الشيبُ رسول المنية . الشيب عُنوان الفساد . والموتُ ساحل ، والشيبُ سفينة تقرب من الساحل . صفا فلان على طول العمر ، صفاء التَّبَرُّعِ على شخب الجمر (٢) . لقد تناهت به الأيامُ تَهْدِيْباً وَتَحْلِيَا ، وتناهت به السَّنُّ تَجْرِيْباً وَتَحْنِيْكَا . قد وعظه الشَّيبُ

(١) الأدهم : الأسود ، والأبلق : الذي لونه البلقمة . وهي سواد في بياض :

والعمقق : طائر لونه مختلط من سواد وبياض (م)

(٢) في نسخة « على مقت الجمر »

بِوَخِطِهِ ، وَخَبَطَهُ السِّنُّ بِابْنِهِ وَسِبْطَهُ ، قَدْ تَضَاعَفَتْ عَقُودُ عَمْرِهِ ، وَأَخَذَتْ الْأَيَّامُ
 مِنْ جَسَمِهِ . رُجِدَ مَسَّ الْكِبَرِ ، وَخَلَقَهُ ضَعْفُ الشَّيْخُوخَةِ ، وَأَسَاءَ إِلَيْهِ أَمْرُ السِّنِّ ،
 وَاعْتَرَضَ الْوَهْنَ . هُوَ مِنْ ذَوَى الْأَسْنَانِ الْعَالِيَةِ ، وَالصَّحْبَةِ لِلْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ . هُوَ
 يَمُّ هَرَمٍ ، فَذُ أَخَذَ الزَّمَانَ مِنْ عَقْلِهِ . كَمَا أَخَذَ مِنْ عَمْرِهِ . تَلَمَّه الدَّهْرُ تَلَمَّ الْإِنَاءُ ^(١) ،
 وَتَرَكَ كَذِي الْعَارِبِ الْمُنْكَوَبِ ، وَالسَّنَامِ الْمَجُوبِ . رَمَاهُ مِنْ قَوْسِهِ ^(٢) الْكَبِيرُ . أُرِيقَ
 مَا هُوَ شَبَابُهُ ، وَاسْتَشَنَّ أَدِيمَهُ كَسَرَ الزَّمَانُ جَنَاحَهُ ، وَنَقَضَ مِرَّتَهُ . طَوَى الدَّهْرُ
 مِنْهُ مَا نَشَرَ ، وَقَيَّدَهُ الْكَبَرُ . يَرْسُفُ زَسْفَانُ الْمُقْتِدِ ، هُوَ شَيْخٌ مَجْتَثٌ ^(٣) الْجَنَّةِ ، وَاهِي
 الْمُنَّةِ ، مَغْلُولُ الْقُوَّةِ وَمَقْلُولُ الْفِتْوَةِ ^(٤) ، ثَقَّاتٌ عَلَيْهِ الْحَرَكَةُ ، وَاخْتَلَقَتْ إِلَيْهِ رُسُلُ
 الْمَنِيَّةِ . مَا هُوَ إِلَّا شَمْسُ الْعَصْرِ ، عَلَى الْقَصْرِ . أَرْكَانُهُ قَدْ وَهَتْ ، وَمُدَّتُهُ قَدْ تَنَاهَتْ .
 هَلْ بَعْدَ الْغَايَةِ مَنزَلَةٌ ، أَوْ بَعْدَ الشَّيْبِ سِوَى الْمَوْتِ مَرِحَلَةٌ ؟ مَا الَّذِي يُرْجَى نَمِنْ كَانَ
 مِثْلَهُ فِي تَعَاجِزِ الْخَطَا ، وَتَحَاذُلِ الْقَوَى ، وَتَدَاوِيِ اللَّدَى ، وَالتَّوَجُّهِ إِلَى الدَّارِ
 الْأُخْرَى ، أْبَعْدَ دِقَّةِ الْعَظْمِ ، وَرِقَّةِ الْجِلْدِ ، وَضَعْفِ الْحَسَنِ ، وَتَحَاذُلِ الْأَعْضَاءِ ،
 وَتَفَاوُتِ الْإِعْتِدَالِ ، وَالتَّقْرُبِ مِنَ الزَّوَالِ . وَالَّذِي بَقِيَ مِنْهُ دَمَاءٌ ^(٥) يَرْقُبُهُ الْمُنُونُ
 بِمَرْصَدٍ ، وَحُسَّاشَةٌ هِيَ هَامَةٌ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ . قَدْ خَلَقَ عَمْرَهُ ، وَانطَوَى عَيْشُهُ ،
 وَبَلَغَ سَاحِلَ الْحَيَاةِ ، وَوَقَفَ عَلَى تَنْذِيَةِ الْوَدَاعِ ، وَأَشْرَفَ عَلَى دَارِ الْمَقَامِ ، فَلَمْ يَبْقَ
 إِلَّا أَنْفَاسٌ مَعْدُودَةٌ ، وَحَرَكَاتٌ مَحْصُورَةٌ . نَضَبُ غَدِيرِ شَبَابِهِ .

فقر لغير واحد في المشيب

قيس بن عاصم : الشيبُ خطامُ المنية . أكرم بن صيفي : المشيبُ عنوان
 الموت . الحجاج بن يوسف : الشيبُ نذيرُ الآخرة . غيره : الشيبُ نومُ الموت .

(١) في نسخة «ثلمة الإناء» (م) (٢) في نسخة «من قومه» (م)
 (٣) في نسخة «محبب الجنة» (م) (٤) في نسخة «معلول الفتوة» (م)
 (٥) الدماء - بفتح الدال - بقية النفس (م)

العتى : الشيبُ جمعُ الأمراض . العتاي : الشيبُ نذيرُ المنية . محمود الوراق : الشيبُ أحدُ الميتين . ابن المعتز : الشيبُ أولُ مواعدِ الفناء . وقال : عظمُ الكبير فإنه عرَفَ اللهَ قبلك ، وارحَمَ الصغير فإنه أعرثُ بالندى منك . غيره : الشيبُ قنَاعُ الموت . الشيبُ نَحَامٌ قَطْرُهُ الغموم . الشيبُ قَذَى عَيْنِ الشبَاب .

نظر سليمان بن وهب في المرأة فرأى الشيب ، فقال : عَيْبٌ لا عدمناه !
وقيل لأبي العيناء : كيف أصبحت ؟ فقال : في داءِ يتمناه الناس !
ابن المعتز :

أنكرت شرَّ مشيبي وولت بدموع في الرداء سَجُوم
اعذرى ياشرَّ شيبى بهم إن شيبَ الرأسِ نورُ الهموم
مسلم بن الوليد :

الشيبُ كرهٌ ، وكرهٌ أن أفارقه أعجبُ لشيء على البغضاء مودود
يَمْضِي الشبابُ فيأتى بعده بدلٌ والشيبُ يذهبُ مفقوداً بمفقود
وقال آخر :

لو أنَّ عُمرَ الفتي حسابٌ كان له شَيْبُهُ فَذَلِكَ^(١)
وقال بعضهم :

ولى صاحبٌ ما كنتُ أهوى اقترابه فلماً التقينا كان أكرمَ صاحبِ
عزيزٌ علينا أن يفارقَ بعد ما تمنيتُ دهرًا أن يكونَ مجانبِي
يعنى الشيب ، يقول : لم أكن أشتهى اقترابه ، فلما حل كان أكرم صاحب ، عزيز على مجانبته ؛ لأنه لا يجانبُ إلا بالموت .

(١) الفذالك : جمع فذلكة ، وهى جملة الحساب ، ووقع فى نسخة « كان له

شيبه عذابا » (م)

أبو إسحاق الصابي :

والعمرُ مثلُ الكاسِ ير سب في أواخرها التذّي

أبو الفضل الميكالي :

أمتنع شبابك من لهوٍ ومن طربٍ ولا تصيح لللام سمعٌ مكثرت
فخيرٌ عمرُ الفتى ريعانُ جدته والعمرُ من فضة والشيبُ من خبث

[بعض ما قالوه في الخضاب]

في ذكر الخضاب : الخضاب أحدُ الشبايين

عبدان الأصهباني :

قولهم في
الخضاب

في مشيبي شماتةٌ لعاداتي وهو ناعٍ منغصٌ لي حياتي

ويغيب الخضاب قومٌ، وفيه لي أنسٌ إلى حضورٍ وفاتي

لا ومن يعلم السرائر إني ما تطلبت خلة الغانيات^(١)

إنما رمت أن يغيب عني ما تُرينيه كل يوم مرآتي

وهو ناعٍ إلى نفسي، ومن ذا سرّه أن يرى وجوه الشعاة؟

ابن المعتز :

رأت شيبة قد كذبت أغفلت قصّها ولم تتعهدّها أكف الخواضب

فقال: أشيب ما أرى أقلت: شامة فقالت: لقد شانتك عند الحباب

الأمير أبو الفضل الميكالي :

قد أبت لي خضاب شيبتي فؤاد فيه وجد بكتكم سرّي ولوع^(٢)

خاف أن يحدث الخضاب نضولاً ونصول الخضاب شيء بديع

وقالوا : الخضاب من شهود الزور ، والخضاب حداد المشيب ، [إن خضب

الشعرُ] فكيف يخضب الكبير . الخضاب كفن الشيب .

(١) في نسخة « ما تطلبت حلية الغانيات » والحلة بضم الحاء - الحصلة (م)

(٢) في نسخة « مراد حدثني بكتكم سرّي » (م)

ابن الرومی :

ليس تُعْنِي شهادةُ الشعرِ الأسودِ شيئاً إذا استثنى الأديمُ
أفيرجـ ومُسَوِّدُ أن يُزَكِّي شاهد الخضب؟ أين ضلّ الحليمُ؟!
لا لعمري ما للخضب لدى الأبيصار إلا التكذيبُ والتأثيم
يدعى للكبير شمرخ شبابٍ قد تولى به الشبابُ القديمُ
والسوادُ الدعيُّ أوجب تكذيباً إذا كذب السواد الصميمُ

وله أيضاً في هذا المعنى :

كالو أردنا أن نحيل شبابنا مَشِيماً ولم يأتِ المشيبُ تعذراً
كذلك يُعْنينا إحالةُ شيننا شباباً إذا ثوبُ الشباب تحسراً
أبي الله تدير ابن آدم نفسه وأتى يكون العبد إلا مُدبراً
وقال :

قل للوّد حين شيب : هكذا غشّ الغواني في الهوى إيتاكا
كذب الغواني في سوادِ عذاره فكذبته في ودهن كذاكا^(١)
هيات عرك أن يُقال غرائزُ أئى الدواهي غيرهنّ دهاكا
لا تحسن خدعتهنّ بحيلة بل أنت ويحك خادعتك منّا كا؟
وقال أبو الطيب المتنبي :

ومن هوى كل من ليست مموهة تركت لون مشيبي غير مخضوب
ومن هوى الصدق في قولى وعادته رغبت عن شعري في الوجه مكذوب
ليت الحوادث بأعنتي الذى أخذت منى بحلمي الذى أعطت وتجريبي
فما الحداة من حلم بماعة قد يوجد الحلم في الشبان والشيب

(١) في نسخة « فكذبته في ردهن كذاكا » تطبيع (م)

غيره :

يا خاضبَ الشيبِ بالحناءِ يَسْتُرُهُ سَلِّ إِلَهَهُ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ
وقد سلك أبو القاسم مسلكا طريقاً في قوله :

أَفْدَىِ الْمَغَاضِبَةَ الَّتِي أَتَبَعْتُمَهَا نَفْسًا يَشْتَعِ عَيْسَهَا إِذْ آبَا^(١)
والله لولا أن يسفهنى الصبا ويقول بعضُ القائلين تصابى
لكسرت دُمْلَجَهَا الضِّبِقِ عِنَاقِهِ وَلَمَّمْتُ مِنْ فِيهَا الْبُرُودَ رُضَابًا^(٢)
بِنْتُمْ فَلَوْلَا أَنْ أُغَيِّرَ لَمْتِي عَتَبًا وَأَلْقَاكُمْ عَلَيَّ غَضَابًا^(٣)
لخضبت شيباً في عذارى كامننا ومحوتُ محوِّ النَّفْسِ مِنْهُ شَبَابًا^(٤)
وخلعته خَلَعَ النِّجَادَ مَذْمَاً وَعَاتَضْتُ مِنْ جِلْبَابِهِ جِلْبَابًا
ولبست مُبَيِّضَ الحِدَادِ عَلَيْكُمْ لَوْ أَنِّي أَجِدُ البِياضَ خِصَابًا
وإذا أردت إلى المشيب وفادةً فاجعل إليه مطيك الأخبابا
فلتأخذن من الزمان حمامة ولتدفنن إلى الزمان غرابا
ماذا أقول لرب دهرٍ خائن جَمَعَ العِدَاةَ وَفَرَّقَ الأَخْبَابَا

[الوليد بن يزيد وقد غلبت عليه لذاته]

وقيل للوليد بن يزيد بن عبد الملك لَمَّا غَلَبَتْ عَلَيْهِ لَذَاتُهُ . وَمَلَكَتْهُ
شهوته : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ إِنْ الرِّعِيَةَ ضَاعَتْ بِتَضْيِيعِكَ أَمْرَهَا ، وَتَرَكَتْ مَا يَجِبُ
عَلَيْكَ مِنْ مَضْلِحَتِهَا . فَقَالَ : مَا الَّذِي أَغْفَلْنَا مِنْ وَاجِبِ حَقِّهَا ، وَأَسْقَطْنَا مِنْ
مَفْرُوضِ ذِمَامِهَا ؟ أَمَّا كَرُمُنَا دَائِمٌ ، وَمَعْرُوفُنَا شَامِلٌ ، وَسُلْطَانُنَا قَائِمٌ ؛ وَإِنَّمَا لَنَا
مَا نَحْنُ فِيهِ ، بَسِطْ لَنَا فِي النِّعْمَةِ ، وَمُكِّنْ لَنَا فِي الْمَكْرَمَةِ ، وَأَذَاتْ لَنَا فِي الأُمَّةِ^(٥) ،
وَمُدِّ لَنَا فِي الحُرْمَةِ ، فَإِنْ تَرَكَتْ مَا بِهِ وَسْعٌ ، وَامْتَنَعَتْ عَمَّا بِهِ أَنْعَمٌ ، كُنْتُ أَنَا

(١) العيس : الإبل ، وفي نسخة « ما آبا » (م)

(٢) في نسخة « بضيق عناقها » والرضاب : ماء الفم (م)

(٣) في نسخة « أن أغير لمتي عبتا » (م) (٤) في نسخة « في عذارى كاذبا » (م)

(٥) في نسخة « وأذكي لنا في الأمة » (م)

المزبل لنعمتي بما لا ينال الرعية ضره ، ولا يؤودهم ثقله ^(١) . يا حاجب لا تأذن لأحد في الكلام .

وقال عمرو بن عتبة للوليد بن يزيد ، وكان خاصا به : يا أمير المؤمنين ؛ أنطقني بالأنس ، وأنا أسكت بالهيبية ، وأراك تأمرنا بأشياء أنا أخافها عليك ، أفأسكت مطيعاً أم أقول مشفقاً ؟ قال : كلُّ مقبولٍ منك ، معلومٍ فيه فقتك ^(٢) ؛ والله فيما علم غيب نحن صائرون إليه ! وتعود فتقول . فقت الوليد بعد ذلك بشهر .

[بين الحجاج وأهل العراق]

وقال عبد الملك بن مروان للحجاج : إني استعملتك على العراق ، فأخرج إليها كميّش الإزار ^(٣) ، شديد الغرّار ، قليل العثار ، منطوي الخصلة ، قليل الثميلة ^(٤) ، غرار النوم ، طويل اليوم ، واضغط الكوفة ضفطة تحبب منها البصرة .

وشكا الحجاج يوماً سوء طاعة أهل العراق ، وسقم مذهبهم ، وسخط طريقتهم ، فقال له جامع الحاربي : أما إنهم لو أحبوك لأطاعوك ، على أنهم ما شئتوك لبلدك ، ولا لذات يدك ، إلا لما تقمّوه من أفعالك ؛ فدع ما يبعدهم عنك إلى ما يدينهم منك ، والتمس العافية من دونك تُعطيها من فوقك ، وليكن إيقاعك بعد وعيدك ، ووعيدك بعد وعدك ثلاثاً .

فقال له الحجاج : والله ما أرى أن أردّ بنى اللّخناء إلى طاعتي إلا بالسيف . فقال جامع : أيها الأمير ؛ إنّ السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار . قال الحجاج :

(١) لا يؤودهم : لا يشقلهم ولا يعجزهم (م) (٢) في نسخة «معلوم لي فيك» (م)
(٣) كميّش الإزار : مشمرا ، وهو كناية عن الجد ، وفي نسخة «شديد العوار» (م)
(٤) الخصلة - بالحاء العجمة - كلُّ لحة فيها عصب ، ويقولون «ارتعدت فرائصه ، واضطربت خصائله» يريدون اشتد خوفه ، والثميلة : بقية الطعام في البطن (م)

الخيارُ يومئذ لله . قال جامع : أجل ، ولكن لا ندرى لمن يجعله الله . فغضب
الحجاج وقال : يا هناه ؛ إنك من محارب ، فقال جامع :
والحرب سُمينا وكنا محارباً إذا ما القنا أمتى من الطعن أجمرا
فقال له الحجاج : والله لقد هممتُ أن أخلع لسانك ، فأضرب به وجهك .
فقال جامع : إن صدقناك أغضبناك ، وإن كذبتناك أغضبنا الله . فقال الحجاج :
أجل ، وسكن سلطانه ، وشغل ببعض الأمر ، وخرج جامع وانسل من صفوف
الناس ، وانحاز إلى جبل العراق .

[جامع المحاربي]

وكان جامع لسينا مَفَوِّها ، وهو الذي يقول للحجاج حين بنى واسطا :
بَدَيْتَهَا فِي غَيْرِ بَلَدِكَ ، وَأَوْرَثْتَهَا غَيْرَ وَلَدِكَ .
وكان الحجاجُ من الفصحاء البلغاء ، ويقال : ما رُئِيَ حَضْرِي أَنْصَحَ مِنْ
الحجاج ومن الحسن البصرى . وكان يحبُّ أهل الجهارة والبلاغة ، ويؤثرهم
ويقر بهم .

[أيوب بن القرية]

ولما دخل أيوب بن القرية على الحجاج - وكان فيمن أُسر من أصحاب
عبد الرحمن بن الأشعث بن قيس الكندي - قال له : ما أعددت لهذا الموقف ؟
قال : ثلاثة حروف ، كأنها ركب وقوف : دُنْيَا ، وآخِرَةٌ ، ومعروف .
فقال له الحجاج : بِسْمَا مَنِّيَتْ بِهِ نَفْسِكَ يَا بَنَ الْقَرْيَةِ ، أترانى ممن تخدعه
بكلامك وخُطْبِكَ ؟ والله لا أنت أقرب إلى الآخرة من موضع نَعْلِي هذه .
قال : أَقْلَنِي عَثْرَتِي ، وَأَسْغِنِي رِيقِي ، فإنه لا بد للجواد من كِبْوَةٍ ، والسيف
من نَبْوَةٍ ، والحليم من صَبْوَةٍ .

قال : أنت إلى القبر أقرب منك إلى العفو ، ألسنت القاتل وأنت تجرّض
حزب الشيطان ، وعدوّ الرحمن ! تغدوا بالحجاج قبل أن يتعشى بكم ! وقد رويت
هذه اللفظة للغضبان بن القبيثى . ثم قدمه فضرب عنقه .

قال الخُرَيْمِيُّ لأبي دلف وأخذه من قول ابن القرية :
له كَلِمَةٌ فيك معقولةٌ إزاء القلوب كَرَكَبٍ وقوف

[كثير بن أبي كثير]

وبعث الحجاجُ إلى عامله بالبصرة : اختزلي عشرة من عندك ، فاختر رجلا
فيهم كثير بن أبي كثير ، وكان عربياً فصيحاً ، فقال كثير : ما أراي أفيتُ
من يد الحجاج إلا باللأخن ، فلما دخلنا عليه دعاني فقال : ما اسمك ؛ فقلت : كثير .
قال : ابن مَنْ ؟ فقلت في نفسي : إن قلت ابن أبي كثير لم آمن أن يتجاوزها ،
قلت : ابن أبا كثير ، فقال : اعزب^(١) لعنك الله ولعن مَنْ بعث معك !!

[من قولهم في المدح]

وقال النابغة الذبياني يمدح آل جفنة :

ولله عينا من رأى أهل قبة أضرب بن عادي وأكثر نافعاً^(٢)
وأعظم أحلاماً وأكثر سيدياً وأفضل مشفوعاً إليه وشافعياً
متى تلقهم لا تلق لبيت عورة فلا الضيف ممنوعاً ولا الجار ضائعاً

وأشد محمد بن سلام الجمحي للنابغة الجعدي :

فتى كملت أخلاقه غير أنه جوادٌ فما يُبقي من المال باقياً
فتى تم فيه ما يسرُّ صديقه على أن فيه ما يسوء الأعدايا
[أشم طويل الساعدين شمردل إذا لم يرح للمجد أصبح غاديا]

ومن حر المدح وجيد الشعر قول الخطيئة :

ترور امرأً يعطى على الحمد ماله ومن يعطى أثمان الحماد يُحمد
يرى البخل لا يُبقي على المرء ماله ويعلم أن المرء غيرُ مخلد

(١) عزب يعزب : بعد يعبد (م) (٢) في نسخة « أضرب من عادوا » (م)

كُتُوبٌ وَمِثْلَافٌ إِذَا مَا سَأَلْتَهُ تَهَلَّلَ وَاهْتَرَّ وَاهْتَرَزَ الْمَهْمَنْدُ
مَتَى تَأْتِيهِ تَعَشُّوْا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدٍ

وسمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه هذا البيت فقال : ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقوله :

يسوسون أحلاماً بعيداً أناتها
أقلوا عليهم لا أباً لأبيكم
أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا البنا
وإن كانت النعماء فيهم جزوا بها
مطاعين في الهيبة مكاشيفٌ للدجى
وتعداني أبناءٌ سعدٍ عليهم
وإن غضبوا جاء الخفيضة والجدة
من اللوم أوسدوا المكان الذى سدوا
وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا
وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا
بنى لهم أبائهم وبنى الجدد
وما قلت إلا بالذى علمت سعد

وقال منصور النمرى :

لمنصور النمرى

وترى الخليل يوم الحرب يظمان تحته
حلالٌ لأطراف الأسيئة تحزّه
ويزوى القنا فى كفه والمناصيل
حرامٌ عليها منه متنٌ وكاهل^(١)
وقال آخر :

فتى دهره شطرانٍ فيما ينوبه
فلا من بؤاة الخير فى عينه قدى
ففى بأسه شطرٌ وفى جوده شطرٌ
ولا من زئير الحرب فى أذنه وقرى

[الشراب وخطره]

وقال بعض الظرفاء : الشرابُ أولُ الخرابِ ، ومفتاحُ كلِّ بابٍ ، يمحَقُ
الأموالَ^(٢) ، ويذهبُ الجمالَ ، ويهدمُ المروءةَ ، ويوهنُ القوةَ^(٣) ، ويضعفُ الشريفَ ،

(١) يريد أنه لا يفر فينال خصمه ظهره (م)

(٢) يحق الأموال : يفتنيها (م)

(٣) يوهن القوة : يضعفها (م)

ويُهين الظريف ، ويذُلُّ العزيز ، ويفلس التجار ، ويهتِك الأستار ، ويورث
الشَّار (١)

وقال يزيد بن محمد المهلبى :

لعمرك ما يُحصَى على الكأس شرُّها وإن كان فيها لذة ورخاه
مراراً تُريك النعى رشداً ، وتارة تحيل أن المحسنين أساءوا
وأن الصديق للماحض الود مبغضٌ وأن مدح المادحين هجاء
وجربت إخوان النبىذ فقلمًا يدوم لإخوان النبىذ إزاء

[من اعتلال الطفيليين ، وحيلهم]

عوتب طفيلي على التطفيل فقال: والله ما بُدِيت المنازلُ إلا لتُدخَلَ، ولا نصبت
الموائد إلا لتؤكَل ، وإني لأجمع فيها خللاً؛ أدخلُ مجالساً، وأقعد مؤانساتاً، وأنسب
وإن كان ربُّ الدار عابساً؛ ولا أتكلف مغرماً، ولا أنفق درهماً، ولا أتعب خادماً.
وقال ابن الدراج^(٢) الطفيلي لأصحابه: لا يهولنكم إغلاقُ الباب ، ولا شدة
الحجاب ، وسوء الجواب ، وعموس البواب ، ولا تحذير الغراب ، ولا منابذة
الألقاب ؛ فإن ذلك صائرٌ بكم إلى محمود النوال ، ومعنى لكم عن ذلك السؤال ،
واحتملوا الأكرزة الموهنة ، والأظمة المزمنة ، فى جنب الظفر بالبُعْية ، والبرك
للأمنية ، والزمو الطوزجة للمعاشرين^(٣) ، والخفة للواردين والصادرين ، والتلق
للملئين والمطربين ، والبشاشة للخادمين والموكلين ؛ فإذا وصلتكم إلى مرادكم فكلوا
محتكرين ، وادخروا لغدكم مجتهدين ؛ فإنكم أحق بالطعام من دُعِى إليه ، وأولى به
من وُضع له ، فكونوا لوقته حافظين ، وفى طلبه مشغورين ، واذكروا قول
أبي نواس :

(١) الشَّار - بفتح الشين - أشد العار (م) (٢) فى نسخة «وقال أبو الدراج» (م)

(٣) فى نسخة «وازموا المطارحة» (م)

لِنَخْمَسَ مَالَ اللَّهِ مِنْ كُلِّ فَاجِرٍ وَذِي بَطْنَةٍ لِلطَّيِّبَاتِ أَكُولٍ^(١)

هذا يقوله أبو نواس في أبيات تُسْتَنْدَرُ كُلُّهَا ، وَيَسْتَرْفِ جُلْمَهَا ، وَهِيَ :
 وَخَيْمَةٌ نَاطُورٍ بِرَأْسِ مَنِيفَةٍ تَهُمُّ يَدًا مِنْ رَامَهَا بِزَلِيلٍ^(٢)
 إِذَا عَارَضَتْهَا الشَّمْسُ فَأَتَتْ ظِلَّهَا وَإِنْ وَاجَهَتْهَا أَذْنَتْ بِدُخُولِ
 حَطَطْنَا بِهَا الْأَثْقَالَ فَلَّ هَجِيرَةٌ عِبُورِيَّةٌ تُذْكَى بِغَيْرِ قَتِيلٍ^(٣)
 تَأْتَتْ قَلِيلًا ثُمَّ فَأَتَتْ بِمَذْقَةٍ مِنْ الظِّلِّ فِي رِثِّ الْإِنَاءِ ضَمِيلٍ^(٤)
 كَأَنَّهَا لَدَيْهَا بَيْنَ عِطْفَى نِعَامَةٍ جَفَا زَوْرُهَا عَنْ مَسْبُوكِ وَمَقِيلِ
 حَلَبَتْ لِأَصْحَابِهَا بِهَا دِرَّةَ الصَّبَا بِصَفَاءِ مِنْ مَاءِ الْكُرُومِ شَمُولِ
 إِذَا مَا أَتَتْ دُونَ اللَّهَاءِ مِنَ الْفَتَى دَعَا هُمُ مِنْ صَدْرِهِ بِرَحِيلِ
 فَلَمَّا تَوَافَى اللَّيْلُ جَنَحًا مِنَ الدَّجَى تَصَابَيْتُ وَاسْتَجَمَلْتُ غَيْرَ جَمِيلِ
 وَأَعْطَيْتُ مَنْ أَهْوَى الْحَدِيثَ كَأَبْدَا وَذَلَّتْ صَعْبًا كَانَ غَيْرَ ذَلُولِ
 فَغَنَى وَقَدْ وَسَّذَتْ يُسْرَايَ خَدَّهُ أَلَا رُبَّمَا طَالِبْتُ غَيْرَ مُنِيلِ
 فَأُزْرَتِ حَاجَاتِي بِمَحْوَى مُسَاعِدِي وَإِنْ كَانَ أَدْنَى صَاحِبِ وَخَلِيلِ
 فَأَصْبَحْتُ أَلْحَى الْسُكْرِ وَالسُّكْرِ مُحْسِنٌ أَلَا رَبُّ إِحْسَانٍ عَلَيْكَ تَقِيلِ
 كَفَى جَزَنًا أَنْ الْجَوَادِ مَقْتَرٌ عَلَيْهِ ، وَلَا مَعْرُوفَ عِنْدَ بَخِيلِ
 سَابِغِي الْغَنَى إِمَّا وَزِيرَ خَلِيفَةٍ يَقُومُ سِوَاهُ أَوْ نَخِيفَ سَبِيلِ
 بِكُلِّ فَتَى لَا يُسْتَطَارُ فُؤَادُهُ إِذَا نَوَّهَ الرَّحْفَانَ بِاسْمِ قَتِيلِ
 لِنَخْمَسَ مَالَ اللَّهِ مِنْ كُلِّ فَاجِرٍ وَذِي بَطْنَةٍ لِلطَّيِّبَاتِ أَكُولٍ^(١)
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَالَ عَوْنٌ عَلَى التَّقَى وَلَيْسَ جَوَادٌ مُعْدِمٌ كَبَخِيلِ

(١) تقول : خمست المال أخمسه - من باب نصر - إذا أخذت خمسة (م)

(٢) الناطور : حارس الزرع ، والمنيفة : العالية ، والزليل : الانزلاق (م)

(٣) الهجيرة : الهاجرة ، وعبورية : منسوبة إلى الشعري العبور ، وطلوعها

أشد الحر (م) (٤) في نسخة « في رث لأباء ضميل » (م)

ألفاظ لأهل المصر في صفة الطفاييين والأكلة وغيرهم

شيطانُ معدته رَجِيمٌ ، وسلطانها ظُلُومٌ . هو آكلٌ من النار ، وأشربٌ من الرمل . لو أكل الفيلَ ما كَفَّاهُ ، ولو شرب النيلَ ما أَرَوَّاهُ ، يجوبُ البلادَ ، حتى يقع على جَفَنَةِ جَوَادٍ يرى ركوبَ البريدِ ، في حضورِ الثريدِ^(١) . أصحابه الزمُّ للشَّوَاءِ ، من سَقُودِ الشَّوَاءِ ، وأنامله كالشبكة ، في سيد السمكة . هو أجوعٌ من ذئب مُعْتَسٍ بين أعاريب . العيون قد تَقَلَّبَتِ ، والأكباد قد تَلَهَّبَتِ ، والأفواه قد تحلبت . امتدت إلى الخوان الأعناق ، [واحتدت نحوه الأحداق] ، وتحلبت له الأشداق .

[وصف طائر]

سأل المهدي صباح بن خاقان عن طائر له جاء من آفاق الغابة فقال :
يا أمير المؤمنين ، لو لم يَبِينْ بحسن الصفة لَبَانَ بحسن الصورة . قال : صِفْهُ لِي .
قال : نعم ، يا أمير المؤمنين ، قَدْ قَدَّ الْجِلْمُ^(٢) ، وقوِّمَ تقويمَ القلم ، ينظر من بَجْرَتَيْنِ ، ويلفظ بدرَّتَيْنِ ، ويمشي على عميقتين ، تكفيه الحَبَّةُ ، وتُرْوِيه العَبَّةُ^(٣) ، إن كان في قنص فَلَقَّه ، أو تحت ثوب خرَّقه ، إذا أقبل فَدَبَنَاهُ ، وإذا أدبر حَمِينَاهُ .

[أحظى النساء عند المهدي]

ودخل عبدُ الله بن مصعب الزبيري على المهدي ، فقال : ويحك يا زبيري ؛ دَخَلْتُ على الخيزران ، فلما قامت لِتُصَلِّحَ من شأنها نظرت^(٢) إلى حُسنة ! فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ أدركك في ذلك ما أدرك الخزومي حيث قال :
بينما نحن بالبلاكتِ بالقاعِ سِراعاً والعيسُ تهوى هُوياً

(١) في نسخة « في حصول الثريد » (م) (٢) الجلم - بالتحريك - المقص (م)

(٣) نسخة « وترويه العبة » بالعين المهملة (م)

خَطَرَتْ خَطْرَةً عَلَى الْقَلْبِ مِنْ ذِكْرِكَ وَهَذَا فَمَا اسْتَطَعْتَ مُضِيًّا
قُلْتَ : لِيَبِكَ إِذْ دَعَانِي لَكَ الشُّؤْمُ قِ وَالْحَادِيَيْنِ كُرًّا الْمَطِيًّا
فَأَمْرٌ فَرَفَعْتَ السُّتُورَ عَنْ حُسْنِهِ .

ثم قال لي : يا زبيرى ، واسوأناه من الخيزران ! ثم اثنى راجعاً إليها
فقلت : يا أمير المؤمنين ، أدركك في هذا ما أدرك جميلاً^(١) حيث يقول :
وَأَنْتِ الَّتِي حَبَبْتِ شَعْبًا إِلَى بَدَأِ إِلَى وَأَوْطَانِي بِلَادٍ سَوَاهَا
حَلَّتْ بِهَذَا حَلَّةً ثُمَّ حَلَّةً بِهَذَا فَطَابِ الْوَادِيَانِ كِلَاهُمَا
فَدَخَلَ عَلَى الْخَيْزِرَانَ ، فَمَا لَبِثَ أَنْ خَرَجَ ؛ قَالَ الزُّبَيْرِيُّ : فَدَخَلْتُ ، فَقَالَ :
أَنْشَدْنِي فَنَاشَدْتُهُ لَصَخْرِ بْنِ الْجَعْدِ :

هَتَيْتُكَ لِكَأْسِ جَذِّهَا الْجَبَلِ بَعْدَمَا	عَقَدْنَا لِكَأْسِ مَوْثِقًا لَا نَحُونَهَا
وَإِشْمَاتِهَا الْأَعْدَاءِ لِمَا تَأَلَّبُوا	حَوَالِيَّ وَاشْتَدَّتْ عَلَيَّ ضَعْفُونَهَا
فَإِنْ تَصْبِحِي وَكَلَّمْتِ عَيْنِي بِالْبُكَاءِ	وَإِشْمَتِ أَعْدَائِي فَفَرَّتْ عَيْونَهَا
فَإِنْ حَرَامًا أَنْ أُخَوِّنَكَ مَا دَعَا	بِيَلِيلِ قُمْرِي الْحَمَامِ وَجُؤُنَهَا ^(٢)
وَمَا طَرَدَ اللَّيْلُ النَّهَارَ ، وَمَا دَعَتْ	عَلَى فَنَنْ وَرَقَاءَ شَاكِرَ زَيْنِهَا ^(٣)

فَأَمْرٌ لِي عَلَى كُلِّ بَيْتٍ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَكَانَتْ الْخَيْزِرَانَ وَحُسْنَهُ أَحْظَى النِّسَاءِ
عِنْدَ الْمُهْدِيِّ .

[وصف غلام] .

ووصف اليوسفي علاماً فقال : كان يعرف المراد بالأحظ ، كما يعرفه باللفظ ،
ويعاني في الناظر ، ما يجرى في الخاطر^(٤) ، أقرب إلى داعيه ، من يد معاطيه ؛

(١) نسب أبو تمام هذين البيتين إلى كثير ، ونسب أولهما إلى كثير في معجم البكري (م)
(٢) يليل : اسم واد (م) (٣) في نسخة « زينها » (م)
(٤) في نسخة « ما يحوى الخاطر » (م)

حديدُ الدهن ، ثاقبُ الفهم ، خفيفُ الجسم ، يُغنيك عن الملامة ، ولا يحوجك إلى الاستزادة .

وقال أبو نواس :

ومنتظرٍ رَجَعَ الحديثُ بِطَرْفِهِ إذا ما اثني من لينه فَضَحَ الغُصْنَا
إذا جعل الأَحْظَ الخفيّ كَلَامَهُ جعلت له عيني لتفهمه أَذْنَا
وقال :

وإني لَطَرْفِ العَيْنِ بالعَيْنِ زَاجِرٌ فقد كدت لا يَحْفَى على ضميرُ
وقد طرق هذا المعنى وإن لم يكن منه [من قال] :
بَلَوْتُ أَحِلَاءَ هَذَا الزمانِ فَأَقْلَلْتُ بالمَجْرٍ منهم نَصِيبِي
وكلُّهُمْ إن تَصَفَّحْتَهُ صديقِ العِيَانِ عَدُوُّ المَغِيبِ
تَفَقَّدْتُ مَسَاقِطَ لَحْظِ المريبِ فإن العِيُونَ وَجُوهُ القلوبِ
وهو كقول المهدي :

ومطلع من نفسه ما يَسْرُهُ عليه من اللحظ الخفيّ دليلُ
إذا القلبُ لم يُبْدِ الذي في ضميرِهِ ففي الأَحْظِ والألْفَاظِ منه رَسُولُ

[بين خالد بن صفوان وعلي بن الجهم]

ودخل خالد بن صفوان عليّ بن الجهم بن أبي حذيفة فألفاه يريد الركوب فقرب إليه حمار ليركبه ، فقال خالد : أما علمت أن العَيْرَ^(١) عار ، والحمار شَنَار ، مُنْكَرَ الصوت ، قبيح القوّة ، مُتَزَلِّجٌ^(٢) في الضحل ، مرتطم في الوحل ، ليس بركوبة فحل ، ولا بمطية رَحْل ، راكبه مقرف^(٣) ، ومسايره مشرف .

فاستوحش ابن أبي حذيفة من ركوب الحمار ونزل عنه ، وركب فرساً ودفع الحمار إلى خالد فركبه ، فقال له : ويحك يا خالد ! أتنتهي عن شيء وتأتي مثله ؟ فقال : أصلحك الله ! غير من بنات الكُرْبَالِ^(٤) ، واضح السربال ، مختلج

(١) العير - بالفتح - الحمار (م) (٢) في نسخة « مرتيج في الضحل » (م)

(٣) مقرف : معرض للتهمة (م) (٤) الكربال : كورة من كور فارس (م)

القوائم^(١) ، يحمل الرِّجْلَةَ ، ويبلغ العقبة ، ويعنى أن أكون جباراً عنيداً ،
إن لم أعترف بمكاني فقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين .

[كَرُّ الحَدَثَانِ]

قال ابن دأب : خرجت مع بعض الأمراء في سفر إلى الشام ، فرَّجني رجل
كنت أعرفه حَسَنَ الحَالِ من أصحاب الأموال الظاهرة في حال رتة ، فسلم عليّ
قلت : ما الذي غيّر حالك ؟ فقال : تنقلُ الزمان ، وكَرُّ الحَدَثَانِ ؛ فأثرت الضَّرْبُ
في البُلْدَانِ ، والبُعْدَ عن المعارف والخُلَّانِ ، وقد كان الأمير الذي أنت معه صديقاً لي
فاخترت البُعْدَ من الأشكال ، حين حَصَّنِي^(٢) الإقلال ، واستعملت قول الشاعر:

سَأُحْمِلُ نَصَّ العَيْسِ حَتَّى يَكْفِيَنِي غَنَى المَالِ يَوْمًا أَوْ غَنَى الحَدَثَانِ^(٣)
فَلَمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ يَرَى لَهَا عَلَى المَرءِ ذِي العُلْيَاءِ مَسٌّ هَوَانِ
مَتَى يَتَكَلَّمُ يُبَلِّغُ حُكْمُ كَلَامِهِ وَإِنْ لَمْ يَقُلْ قَالُوا عَدِيمٌ بَيَانِ
كَأَنَّ الفَتَى فِي أَهْلِهِ بوركِ الفَتَى بَغِيْزِ لِسَانِ نَاطِقِ بِلْسَانِ

قال ابن دأب : فلما اجتمعتُ مع الأمير في المنزل ووصفت له الرجل ،
فقال لي : ويحك ! اطلبه حتى أصلح من حاله ، فطلبتُه فَأَعْوَزَنِي .

[من قولهم في الرثاء]

وقال أبو الشيص يرثي [قتيلا] :

لأبي الشيص

حَتَلْتَهُ النُّونُ بَعْدَ اخْتِيَالِ بَيْنَ صَفَيْنِ مِنْ قَنًا وَنِصَالِ

فِي رِداءٍ مِنَ الصَّفِيحِ صَقِيلِ وَقِيصٍ مِنَ الحَدِيدِ مُذَالِ^(٤)

(١) في نسخة « محكم القوائم » وفي أخرى « حمليج » ولعله محرف عن « مهمليج » (م)

(٢) حصني - بالحاء المهملة - قص جناحي ، والإقلال : الفقر ، وفي نسخة

« حصني » بالحاء المعجمة (م) (٣) نص العيس : سير الإبل ، ونص فلان ناقته : أي

سيرها أقصى ما تستطيع من السير (٤) رداء من الصفيح : أراد السيف ، وقيص

من الحديد : أراد السرع ، ومذال : طويل (م)

لحارثة بن بدر
الغداني

وقال حارثة بن بدر الغداني يرثي زيادا :

صَلَّى الْإِلَهَ عَلَى قَبْرِ وَطَهَرَهُ عِنْدَ الثَّوْبَةِ يَسْفِي فَوْقَهُ الْمَوْرُ (١)
تَهْدِي إِلَيْهِ قَرِيشٌ نَعَشَ سَيْدَهَا فَمَّ حَلَّ النَّدى وَالْعَزُّ وَالْخَيْرُ (٢)
أَبَا الْمَغِيرَةَ وَالْدُنْيَا مَفْجَعَةً وَإِنَّ مَنْ غَرَّتْ الدُّنْيَا لَمَغْرُورٌ
قَدْ كَانَ عِنْدَكَ لِمَعْرُوفٍ عَارِفَةٌ وَكَانَ عِنْدَكَ لِلْمَكْرَاءِ تَنْكِيرٌ
وَكَانَتْ تُغَشِّي فَتُعْطِي الْمَالَ مِنْ سَعَةٍ فَالآنَ بَابُكَ أَمْسَى وَهُوَ مَهْجُورٌ
وَلَا تَلِينَ إِذَا عَوَّشِرْتَ مَعْتَسِرًا وَكَانَ أَمْرُكَ مَا يُوسِّرُ مَيْسُورٌ
لَمْ يَعْرِفِ النَّاسُ مَذْعَمِيَّتَ فَتَيْتَهُمْ وَلَمْ يُحَلِّ ظِلَامًا عَنْهُمْ نُورٌ (٣)
فَالنَّاسُ بَعْدَكَ قَدْ خَفَّتْ حُلُومُهُمْ كَأَنَّمَا نَفَخَتْ فِيهَا الْأَعَاصِيرُ
أَخَذَ هَذَا الْبَيْتَ مِنْ قَوْلِ مَهْلَهْلِ بْنِ رَبِيعَةَ فِي أَخِيهِ كَلِيبٍ، وَكَانَ إِذَا انْتَدَى (٤)

لم تحل حَبْوَتَه ، ولم ينطق أحد إلا بحبباً له ، إجلالاً ومهابة :

أَنْبَتَ أَنْ النَّارَ بَعْدَكَ أَوْقَدْتَ وَاسْتَبَّ بَعْدَكَ يَا كَلِيبُ الْمَجْلِسُ
وَتَحَدَّثُوا فِي أَمْرِ كُلِّ عَظِيمَةٍ لَوْ كُنْتَ حَاضِرَ أَمْرِهِمْ لَمْ يَنْفِسُوا

من أخبار
حارثة بن بدر

وَكَانَ حَارِثَةُ ذَا بَيَانٍ وَجَهَارَةٍ [وَأَدَبٍ] ، وَكَانَ شَاعِرًا عَالِمًا بِالْأَخْبَارِ
[وَالْأَنْسَابِ] ، وَكَانَ قَدْ غَلَبَ عَلَى زِيَادٍ ، وَكَانَ جَارِثَةً مِنْهُومًا فِي الشَّرَابِ ،
فَعَوَّتَبَ زِيَادٌ فِي الْاسْتِثْنَاءِ بِهِ ، فَقَالَ : كَيْفَ أَطْرَحُ رَجُلًا يُسَايِرُنِي مَدْخَلْتَ الْعِرَاقَ ،
وَلَمْ يَصْكَكْ رِكَابُهُ رِكَابِي ، وَلَا تَقْدَمْنِي فَنظَرْتَ إِلَى قَفَاهُ ، وَلَا تَأْخِرْ عَنِّي فُلُوبِيتَ
عَنْقِي إِلَيْهِ ، وَلَا أَخْذِ عَلَيَّ الشَّمْسَ فِي شِتَاءِ قَطٍ ، وَلَا الرِّوْحَ فِي صَيْفٍ ، وَلَا سَأَلْتَهُ
عَنْ بَابِ فِي الْعِلْمِ إِلَّا قَدَّرْتَ أَنَّهُ لَا يَحْسُنُ غَيْرَهُ .

وقال له زياد : من أخطب ؟ أنا أم أنت ؟ فقال : الأمير أخطب إذا تواعد

(١) يسفي : يثور ، والمور : التراب (م) . (٢) الخير - بكسر الخاء -
الشرف والكرم (م) . (٣) في نسخة « لم يعرف الناس مذ غيبت فنتهم » (م) .
(٤) انتدى : جلس في الندى ، وهو مجتمع القوم للسمر والمشورة (م) .
(٦ - زهر الآداب ؛

أو وعد، وبرق ورعد، وأنا أخطبُ في الوفاة، والثنا، والتحبير، وأنا أكذب
إذا خطبت، وأحشو كلامي بزيادات [مليحة] شهيّة، والأمير يقصد إلى الحق،
وميزان العدل، ولا يزيدُ في كلامه، ولا ينقص منه.

فقال له زياد: [قاتلك الله!] لقد أجدت تخليص صفتي وصفتك.

ولما مات زياد جفاه عبيدُ الله [ابنه]، فقال [له حارثة: أيها الأمير، ما هذا
الجفاء مع معرفتك بالحال عند أبي المغيرة؟ فقال له عبيد الله]: إن أبا المغيرة بلغ
مبلغاً لا يلحقه فيه عيب، وأنا أنسب إلى من يغلب على، وأنت تُدِيمُ الشراب،
وأنا حديث السن؛ فمضى قرّبتك فظهرت منك رائحة الشراب لم آمن أن يُظنّ بي
[ذلك]، فدع الشراب وكن أول داخل وآخر خارج.

فقال له حارثة: أنا لا أدعه لمن يملك ضرى ونفعى، أأدعه للحال عندك؟
ولكن صرّفتي في بعض أعمالك. فولاه سُرق من بلاد الأهواز.

وقال أبو الأسود الدؤلي، وكان صديقاً لحارثة: (١)

لأبي الأسود
في حارثة
بن بدر

أحار بن بدر قد وليت ولايةً فكن جُرْداً فيها تخون وتسرُق
ولا تدعن للناس شيئاً تصيبه فخطك من ملك العراقين سُرق
فما الناس إلا قائل فمكذب يقول بما يهوى وإما مُصدّق
يقولون أقوالاً بظنّ وتهمّة فإن قيل هاتوا حقّقوا لم يحقّقوا
فقال له حارثة:

جزاك إلهُ العرش خير جزائه فقد قلت معروفاً وأوصيت كافياً
أمرت بشيء لو أمرت بغيره لألفيتني فيه لأمرِك عاصياً

جواب
حارثة بن بدر

(١) هذا الشعر قد رواه ابن قتيبة في الشعر، ونسبه إلى أنس بن أناس السكناني
الدؤلي، وهو من رهط أبي الأسود الدؤلي (م).

[وصف امرأة]

قال الأصمعي : سمعت امرأة من العرب تصف امرأة وهي تقول : سَطَماءُ
بَضَّةٌ ، بيضاء غَضَّة ، دَرَماءُ رَحْصَةٌ ، قَبَاءُ طَفَلَةٌ ، تنظر بعيني شَادِنِ ظَمَانٍ ،
وتبسم عن مُنَوَّرِ الأَفْحوانِ ، في غَبِّ التَّهْتانِ ، وتشير بأَسارِيعِ السَّكْمِيانِ ، خلقها
عميم ، وكَلَّامُها رَخِيمٌ ، فهي كما قال الشاعر :

كأنها في القميصِ الرقاقِ مُخَّجَةٌ ساقِ بين كَفَيِّ ساقِ^(١)

أُعْجَلِها الشاوي عن الإحراقِ

ووصف أعرابي امرأة يحبها فقال : هي زينة [في] الحضور ، وباب من
أبواب الشُرور ، ولذ كرها في المغيب ، والبعد من الرقيب ، أشهى إلينا من كل
ولد ونسب ، وبها عرفت فضل الحور العين ، واشتقتُ بها إليهنَّ يوم الدين .

[من كلام الأعراب]

وسئل أعرابي عن سفر أ كدى فيه ، فقال : ما غنمنا إلا ما قَصَرْنَا من
صلاتنا ، فأما ما أكلته منا الهواجر ، ولقيته منا الأباغر ، فأمرُّ استخففتنا ،
لما أَمَلنا .

وقال عبد قيس بن خُفَّافِ البُرْجَمي لحاتم الطائي ، وقد وفد عليه في دماء
حملها ، قام بيدها وعجز عن بعض : إني حملت دماء عَوَّلْتُ فيها على مالي
وَأَمالي ، فأما مالي فقدَّمته ، وكنت أ كبرَ آمالي ، فإن تَحَمَّلْها فكم من حقِّ
قضية ، وهم كفيت ، وإن حال دون ذلك حائل لم أذمم يومك ، ولم آيس
من غَدِكَ .

وقيل لأعرابي : لم لا تُضربُ في البلاد^(٢) ؟ فقال : بمعنى من ذلك طفل بارك ،
ولصُّ سافك ، ثم إني لستُ مع ذلك واثقاً بِنُجْحِ طَلِيتي ، ولا معتقدا بقضاء

(١) ساق الأول : هو ما بين الركبة والقدم ، والثاني هو الذي يطوف بالشراب (م)

(٢) لا تضرب في البلاد : لا تسافر (م) .

حاجتي ، ولا راجياً عطف قرابتي ؛ لأنني أقدم على قوم أطفأهم الشيطان ، واستألمهم
السلطان ، وماعدهم الزمان ، وأسكرتهم حداثة الأسنان .

وخرج المهدي بعد هداة من الليل يطوفُ بالبيت ، فسمع أعرابية من جانب
المسجد تقول : قوم متظلمون ، نبت عنهم العيون ، وفدحتهم الدُّيون ؛ وعصفتهم
السنون ، باد رجالم ، وذهبت أموالهم ، وكثر عيالهم ، أبناء سبيل ، وأنساء طريق^(١) ،
وصية الله ، ووصية رسول الله ، فهل أمرٌ بخير ، كلاءه الله في سفره ، وخلفه في
أهله . فأمر نصرأ الخادم ، فدفع إليها خمسمائة درهم .

[من مقامات البديع]

المقامة
الأزادية

ومن إنشاء البديع في مقامات أبي الفتح الإسكندري : حدثني عيسى بن
هشام قال : كنت ببغداد ، في وقت الأراذ^(٢) ؛ فخرجتُ إلى السوق أعتام^(٣) من
أنواعه ، لا يتباعه ، فسرتُ غير بعيد إلى رجل قد أخذ أنواع الفواكه وصففها ،
وجمع أنواع الرطب وصنفها ؛ فقبضتُ من كل شيء أحسنه ، وقرضتُ من
كل نوع أجوده ؛ وحين جمعتُ حواشي الإزار ، على تلك الأوزار ، أخذتُ
عيناي رجلاً قد لف رأسه [ببرقع] حياء ، ونصب جسده ، وبسط يده ، واحتضن
عياله ، وتأبط أطفاله ، وهو يقول بصوت يدفع الضعف في صدره ، والحرص
في ظهره :

ويلى على كفين من سويقي أو شحمة تُضربُ بالدقيقِ
أوقصة مُملاً من خرديق تفتناً عن سَطَوَاتِ الرِّيقِ
تُقيماً عن منهج الطريق يرازق الثروة بعد الضيقِ
سهل على كفتي لبيق ذى حسب في مجده عريقِ

(١) أنساء : جمع نساء - بكسر النون - وهو المهزول (م)

(٢) الأراذ : ضرب من التمر (م) . (٣) أعتام : اختار (م)

يُهدى إلينا قـدم التوفيق يُنقذ عيشي من يد الترنيق
قال عيسى بن هشام : فأخذتُ من فاضل الكيس أخذةً وأنلتُهُ إياها، فقال :
يامن حَبَانِي بِجَمِيلِ بَرِّهِ أَفْضَى إِلَى اللَّهِ بِحُسْنِ مَرِهِ
واستحفظ الله جميل ستره إن كان لا طاقةً لي بشكره
فإن الله ربِّي من وراء أمره

قال عيسى بن هشام : فقلت : إن في الكيس فضلاً ، فازرُز لي عن باطنك
أخرج لك عن آخره ، فأماط لثامه ، فإذا شيخنا أبو الفتح السكندري ، فقلت :
ويحك ! أي داهية أنت ؟ فقال :

نُقِضَ العَمْرُ تشبيهاً على الناس وتمويهاً
أرى الأيام لا تبقى على حال فأحكيها
فيوما شرها في ويوما شرَّتي فيها

[من رسائل بديع الزمان]

وسأل البديع أبا نصر بن المرزبان - عارياً - بعض ما يتجمل به ، فأمسك عن
إجابته ؛ فأعاد الكتاب إليه بما نسخته :

لا أزال - أطل الله تعالى بقاء مولانا الشيخ - اسوء الانتقاد ، وحسن
الاعتقاد ، أمسحُ جبين الخجل ، وأمدُّ يمين العجل ، ولضعف الحاسة ، في القراسة ،
أحسب الورم شجماً^(١) ، والسراب شراباً ، حتى إذا تجشمت موارده ، لأشرب
بأرده ، لم أجد شيئاً .

وما حسبت الشيخ سيدي ممن تعنيه^(٢) هذه الجملة حتى عرضت على النار عوده ،
ونشرت بالسؤال جوده ، وكأ تبتُّه أستعيره حلية جمال ، سحابة يوم أو شطره ،
بل مسافة ميل أو قدره ، قعاص في الفطنة غوصاً عميقاً ، ونظر في الكيس

(١) أخذه من قول أبي الطيب المتنبي :

أعيدها - نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم (م)

(٢) في نسخة « ممن تجينه » (م)

نظراً دقيقاً ، وقال : هذا رجل مشحوذ اللذية ، في أبواب السكذية^(١) ، قد جعل استعارة الأغلاق طريقاً افتراسها ، وسبب احتباسها ، وقد متى ضررته ، وحدث بالجمال نفسه ، ولا لطيفة في هذا الباب ، أحسن من التغافل عن الجواب ، فضلاً عن الإيجاب ، وكلاهما في أبواب الردّ أقيح مما قرع ، ولا في شرائع البخل أوحش مما شرع ؛ ثم العذر له من جهتي مبسوط إن بسطه الفضل ، ومقبول إن قبله المجد ، وإنما كاتبته لأعيد الحال القديمة ، وأشترط له على نفسه أن أريحه من سوّم الحاجات من بعد ، فمن لم يستخني من « أعطني » ، لم يستخني له من « أعفني » ؛ وعلى حسب جوابه أجرى المودة فيما بعد ، فإن رأى أن يجيب فعل إن شاء الله .

وله إلى سهل بن محمد بن سليمان :

كتاب منه
إلى سهل
ابن محمد

أنا إذا طويت عن خدمة مولاي - أطال الله بقاءه - يوماً لم أرفع له بصري ، ولم أعده من عمري ، وكأني بالشيخ - أعزه الله - إذا أغفلت مفروض خدمته ، من قصد حضرته ، والتمول في حاشيته ، وجهة غاشيته ، يقول : إن هذا الجائع لما شبع تضلع ، واكتسى وتلفع ، وتجلل وتبرقع ، تربع وترفع ، فما يطوف بهذا الجناب ، ولا يظهر بهذا الباب ؛ وأنا الرجل الذي آواه من فقر ، وأغناه من فقر ، وأمنه من خوف ، إذ لا حرّ بوادي عوف ؛ حتى إذا وردت عليه رقتي هذه ، وأعارها طرف كرمه ، وظرف شيمه ، ونظر في عنوانها اسمي قال : بعداً وسحقاً ، [وسباً وتباً] وحتاً ونحتاً ، وطعناً ولعنناً ، فما أ كذب سراب أخلاقه ، وأكثر أسراب نفاقه ، فالآن انحلّ من عقده ، وانذبه من رقدته . وكاتبني يستعيدني ، كلاً لا أزوجه الرضا ولا قلامه ، ولا أمنحه المنى ولا كرامة ، بل أدعه يركب رأسه ، ويقاسي أنفاسه ، فستأتيني به الليالي ، والسكيس الخالي ، ثم أريه ميزان قدره ، وأذيقه وبال أمره ، حتى

(١) السكذية - بضم فسكون - السؤال والشحاذة (م)

إذا بلغ موضع الحاجة من الرقعة قال : مَأْرُبَةٌ لَا حَفَاوَةَ ، وَوَطْرَ سَأَقَهُ ، لَا نِزَاعَ سَأَقَهُ ^(١) ، فهذا بذًا ، ولا أبعدهم تلك الهمم العالية ، والأخلاق السامية أن يقول بحرحبا بالرقعة وكتابتها ، وأهلا بالخطبة وصاحبها [وقضاء الحاجة بإنحائها ، وإبرازها ، وهي الرقعة التي سألت إلى من التمسته ، كما اقترحت بما طالبته ، فرأيه فيه موفق إن شاء الله تعالى] .
وله أيضا إلى بعض الرؤساء يسأله إطلاق محبوس [بسببه] .

الشيخ - أطال الله بقاءه - إذا وصل يدي بيده لم أمس الجوزاء إلا قاعداً ، كتاب منه إلى وقد نأطها منةً في عنق الدهر ، وصاغها إكليلا لجبين الشكر . وما أقصر يدي عن الجزاء ، وأسأني عن الثناء . وهذا الجاهل قد عرف نفسه ، وقلع ضرسه ، ورأى ميزان قدره ، وذاق وبال أمره ، وجهز إلى كتيبة عجائز عاجزات ^(٢) ؛ فأطلقن العويل والأليل ، وبعثنني شفيعا إلى ، واستعنن في علي ، وتوسلن بكلمة الاستسلام ، ولحمة الإسلام ، في فك هذا الغلام ؛ فإن أحب الشيخ أن يجمع في الطول بين الحوض والكوتر ^(٣) ، وينظم في الفضل ما بين الروض والمطر ، شفيع في إطلاقه مكارمه ، وشرف بذلك خادمه ، وأنجزنا بالإفراج عنه ، مؤقفاً إن شاء الله تعالى .

[عفو عن ذى جريرة]

وقال رجل لإبراهيم بن المهدي : اشفع لي إلى أمير المؤمنين في فك أخي من المأمون حبسه ، وكان محبوسا في عداد العضاة ، فقال للمأمون : ليس للعاصي بعد القذرة عليه ذنب ، وليس للمصاب بعد الملك عذر ^(٤) . فقال : صدقت ؛ فما طلبتلك ؟ قال : فلان هبته لي . قال : هولك .

(١) نزاع : أراد به نزوع القلب إليه ، وشاقه : أعجبه ، والمراد أنه إنما بعثه على الكتابة الحاجة إليه لا المحبة (م) .

(٢) في نسخة « عجائز فاجرات » ولا يتفق مع موضوع الكتاب (م) .

(٣) في نسخة « في الطول إزاء الحوض إلى العفر » (م) .

(٤) في نسخة « وليس للعاتب بعد ذلك عليه عذر » .

وسأل أبو عبادة أحمد بن أبي خالد أن يطلق له أسارى ، ففعل ، فقال له : قد فككنا أشراك . فقال : لا فكَّ الله رقابَ الأحرار من أيديك !

ألفاظ لأهل العصر في التهنئة بالإطلاق من الأسر

الحمدُ لله حمدَ الإخلاص ، على حسنِ اتِّخْلَاصِ ، الذي أفضَى بك من ذلَّةِ رِقِّ ، إلى عزَّةِ عِتْقِ ، ومن تَصَلِّيَةِ جِجِيمِ ، إلى جَنَّةِ نَعِيمِ . خَرَجَ مِنَ الْعِقَالِ ، خَرُوجَ السِّيفِ مِنَ الصَّقَالِ . خَرَجَ مِنْ إِسَارِهِ ، خَرُوجَ الْبَدْرِ مِنْ سِرَارِهِ . الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَكَّ أَسْرًا ، وَجَعَلَ مِنْ بَعْدِ الْعُسْرِ يُسْرًا . خَرَجَ مِنَ الْبَلَاءِ ، خَرُوجَ السِّيفِ مِنَ الْجَلَاءِ . قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكَ مِنْ مَضَائِقِ الْأُمُورِ مَخْرَجًا جَيِّحًا ، وَمِنْ مَغَالِقِ الْأَهْوَالِ مَسْرَحًا فَسِيحًا^(١) .

[أبو نواس يمدح الأمين]

مدح أبو نواس الأمين محمدًا في [أول] خلافته بقصيدته التي يقول فيها :

أقول والعيسُ تعرّوْرى القلّاةِ بنا صُغْرُ الْأَرْمَةِ مِنْ مَثْنَى وَوُخْدَانِ
ياناق لا تسأى أو تبُلغى ملكا تَقْبِيلُ رَاحَتِهِ وَالرُّكْنِ سَيِّانِ
مقابلا بين أملاك تفضلهُ ولادتان ن المنصور ثننتان
متى تحطى إليه الرّخّل سالمةً تَسْتَجْمِعِي الْخَلْقَ فِي تَمَثَالِ إِنْسَانِ

قال [الحسن] : هذا لأن محمدا وادهُ المنصور مرتين من قبيل أن أباه هرون الرشيد بن المهدي بن أبي جعفر المنصور ، ومن قبيل أن أمه أمة العزيز بنت جعفر ابن [أبي جعفر] المنصور ، وكان المنصور دخل عليها وهي طفلة تلعب ، فقال : ما أنت إلا زُبَيْدَة ، فغلب عليها هذا اللقب ، ولم يلبِ الخِلافةَ مِنْ أَبَوَاهِ هَاشِمِيَانِ غَيْرِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأُمِّهِ فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدِ بْنِ هَاشِمٍ ، وَابْنَتِهِ الْحَسَنِ ، وَأُمِّهِ فَاطِمَةَ بِنْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالْأَمِينِ مُحَمَّدِ بْنِ الرَّشِيدِ .

(١) المسرح : مكان السراح ، وهو الانطلاق والفتك (م) .

رجع القول — فلما أنشده القصيدة قال : ما ينبغي أن يُسمع مدحك بعد قولك في الخصيب بن عبد الحميد :

إذا لم تَزُرْ أرضَ الخصيبِ ركابنا فأى فتى بعد الخصيب تزور؟
فتى يشتري حسنَ الثناء بماله ويعلم أن الدائراتِ تدورُ
فإفاته جودٌ ، ولا حلَّ دونه ولكن يسيرُ الجود حيث يسيرُ^(١)
فقال : يا أمير المؤمنين ، كلُّ مدح في الخصيب وغيره فمدح فيك ؛
لأنى أقول ، ثم ارتجل :

ملكتَ على طير السعادة واليُمْنِ وجاءت لك العلياء مقتبِلَ السنِّ
بمحميا وجود الدين تحييا مهناً بحسن وإحسان مع اليُمْنِ والأَمْنِ
لقد طابت الدنيا بطيب ثنائه وزادت به الأيامُ حسناً إلى حُسْنِ^(٢)
لقد فك أرقاب العفاة محمدُ وأسكن أهل الخوف في كنف الأَمْنِ^(٣)
إذا نحنُ أُنِينا عليك بصالح فأنت كما نثنى وفوق الذى نثنى
وإن جرّت الألفاظُ يوماً بمدحةٍ لغيرك إنساناً فأنت الذى نعتى
قال : صدقت ، مدحُ عبدى مدح لى ؛ ووَصَلَهُ وقرَّ به .

وأما قول أبي نواس :

* إذا نحنُ أُنِينا عليك بصالح *

فمن قول الخنساء :

فما بلغ المهدونَ للناسِ مدحةً وإن أطنبوا إلا الذى فيك أفضلُ
وما بلغت كفى امرئٍ متناولاً من المجد إلا والذى نلتَ أطولُ

(١) يروى « فما جازه جود . . . ولكن يصير الجود حيث بصير » (م) .

(٢) فى نسخة « بطيب محمد » (م) . (٣) فى نسخة « أغلال العناة » (م)

[بين الأخطل ومعاوية]

وفد الأخطل على معاوية ، فقال : إني قد امتدحُك بأبيات فاسمها ، فقال :
 إن كنت شَبَّهتني بالحية ، أو الأسد ، أو الصقر ، فلا حاجة لي بها ، وإن كنت
 [قلت] كما قالت الخنساء ، وأنشد البيتين ، فقل . فقال الأخطل : والله لقد
 أحسنت ، وقد قلت فيك بيتين ما هما بدونهما ، ثم أنشد :

إِذَا مَتَّ مَاتَ الْعُرْفُ وَأَقَطَعَ النَّدَى فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مِنْ قَلِيلٍ مَصْرَدٍ
 وَرُدَّتْ أَكْفُ السَّائِلِينَ وَأَمْسَكُوا عَنِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا بِحِزْنٍ مَجْدَدٍ

وقول أبي نواس : * وإن جرت الألفاظ يوماً بمدحة * من قول كثير
 في عبد العزيز بن مروان :

مَتَى مَا أَقْبَلْتُ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ مِدْحَةً فَمَا هِيَ إِلَّا لَابِنِ لِيَلَى الْمُعْظَمِ
 وقال الفرزدق :

وَمَا أَمْرَتِي النَّفْسُ فِي رِحْلَةٍ لَهَا إِلَى أَحَدٍ إِلَّا إِلَيْكَ صَمِيرُهَا
 وَلَمَّا أَنْشَدَ أَبُو تَمَامٍ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ قَصِيدَتَهُ :

* سقى عهد الحمى صوب العهاد *

وانتهى إلى قوله :

وَمَا سَافَرْتُ فِي الْأَفَاقِ إِلَّا وَمِنْ جَدْوَاكَ رَاحِلَتِي وَزَادِي
 مُقِيمُ الظَّنِّ عِنْدَكَ وَالْأَمَانِي وَإِنْ قَلَعْتَ رِكَابِي فِي الْبِلَادِ
 قال له ابن أبي دُوَادٍ : هذا المعنى لك أو أخذته ؟ قال : هُوَ لِي ، وَقَدْ أَلَمْتُ

فيه بقول أبي نواس :

وإن جرت الألفاظ يوماً بمدحة لغيرك إنساناً فأنت الذي نعى
 وأخذه المتنبي فقال :

أَشْرَتْ أَبَا الْحَسَنِ بِمَدْحِ قَوْمِهِ نَزَلَتْ بِهِمْ فَرَحَتْ بِغَيْرِ زَادٍ
وَوَطَّنُونِي مَدْحَهُمْ قَدِيمًا وَأَنْتَ بِمَا مَدَحْتَهُمْ مُرَادِي
وأما قول أبي تمام: «وما سافرتُ في الآفاق - البيت» فمن قول المثقب
العبدى، [وذكر ناقته]:

إلى عمزرو بن حمدان أيبني أخى النجذات والمجد الرصين^(١)

وأما قول أبي نواس: * فإفاته جود ولا حلّ دونه * البيت، فمن قول
الشمردل بن شريك | البربوعى]:

مَا قَصَّرَ الْمَجْدَ عِنْدَكُمْ يَا بَنِي حَكَمٍ وَلَا نَجَاوَزَكُمْ يَا آلَ مَسْعُودٍ
يَجْلُ حَيْثُ حَلَّامٌ لَا يَرِي بِكُمْ مَا عَاقَبَ الدَّهْرَ بَيْنَ الْبَيْضِ وَالسُّودِ^(٢)
إِنْ يَشْهَدُوا يَوْجِدَ الْمَعْرُوفَ عِنْدَهُمْ خِدْنًا وَلَا يَسْ إِذَا غَابُوا بِمَوْجُودٍ
وَقَدْ قَالَ الْكَمِيتُ الْأَسَدِيُّ:

يَسْ— يَرِ أَبَانَ قَرِيْعَ السَّمَاءِ حَ وَالْمَسْكِرَاتِ مَعَا حَيْثُ سَارَا

وقول أبي نواس أيضاً:

* فَتَى بَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ *

مأخوذ من قول الراعى:

فَتَى بَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ إِذَا مَا اشْتَرَى لِمَخْرَآةٍ بِالْمَجْدِ بِيَهْسُ

[بين السفاح وأبي نخيلة]

دخل أبو نخيلة على أبي العباس السفاح، فاستأذنه في الإنشاد، فقال:

لعنك الله! أَسْتَقَاتِلُ لِمَسَلَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ:

أَمَسَلَةَ يَنْجَلْ خَيْرَ خَلِيفَةٍ وَيَا فَارِسَ الْمُهَيِّجَاوِ يَاجِبِلَ الْأَرْضِ

(١) فى نسخة «إلى عمرو ومن عمرو أتنى» (م)

(٢) لا يريكم: لا يفارقكم، والبيض: الأيام، والسود: الليالى (م)

شكرتك إن الشكر حبلٌ من التقى وما كلُّ من أوليته نعمةً يقضى
 وألقيت لِمَا أن أتيتك زائراً على لحافاً سابغ الطولِ والعرضِ
 ونهبت من ذكري وما كان خاملاً ولكن بعض الذكر أنبه من بعض
 ثم أمره بأن ينشد ، فأنشده أرجوزة يقول فيها:

كنا أناساً نزهبُ الهلاكاً ونركب الأعجَاز والأوراكا
 وكل ما قد مرَّ في سواكا زورٌ، وقد كفرَ هذا ذاكا
 واسم أبي نخيلة الجنيد بن الجون ، [وهو مولى لبني حماد] ، كان مقصداً
 راجزاً .

قيل للنساء : لئن مدحت أخاك لقد هجوت أباك ! فقالت :
 جارِى أباه فأقبلا وهما يتعاوران ملاءة الحضْر^(١)
 حتى إذا جسدَّ الجراء وقد ساوى هناك القدر بالقدر^(٢)
 وعلا صياح الناس : أيهما ؟ قال المجيب هناك : لا أدري
 برقت صحيفةً وجهِ والده ومضى على غلوائه يجرى
 أولى فأولى أن يساويه لولا جلال السن والكبر
 وهما كأنهما وقد برزا صقران قد خطا على وكر
 وقيل لأبي عبيدة : ليس هذا في شعر النساء . فقال : العامة أسقط من أن
 يجاد عليها بمثل هذا .

وقد أحسن البحترى في نحو هذا ؛ إذ يقول في يوسف بن أبي سعيد ،
 [ومحمد] بن يوسف الطائي :

جدُّ كجد أبي سعيد إنه ترك السماء كأنه لم يشرف

(١) الحضْر - بالضم - شدة عدو الفرس (م) .

(٢) الجراء - بكسر الجيم - جرى الفرس (م) .

قامت به أخلاقه وهي الردى للمعتدى وهي الندى للمعتنى
 وإذا جرى في غايةٍ وجريت في أخرى التقى شأوا كما في المنصف (1)

قول الخنساء : * يتعاوران ملاءة الخضر *

أبرع استعارة ، وأنصع عبارة ، وقد قال عدى بن الرقاع :

يتعاوران من الفُبَارِ ملاءةً غبراء محكمة هما نَسَجَاهَا
 تطوى إذا وردا مكاناً جاسيا فإذا السنايك أسهلت نَشَرَاهَا (2)
 وإلى هذا أشار الطائي في قوله :

تُشِيرُ عَجَاجَةٌ فِي كُلِّ ثَغْرِ يَهِيمُ بِهَا عَدِيُّ بْنُ الرَّقَاعِ
 وأول من نظر إلى هذا المعنى شاعر جاهلي من بني عقيل (3) فقال :

أَلَا يَا دِيَارَ الْحَيِّ بِالسَّبْعَانَ عَفَّتْ حَجِجًا بَعْدِي وَهَنْ ثَمَانَ
 فلم يبق منها غيرُ نُؤْيٍ مُهَدَّمٍ وَغَيْرُ أَثَافٍ كَالرُّكِيِّ رِعَانَ
 وآيات هاب أورق اللون سافرت به الرِّيحُ وَالْأَمَطَارُ كَلَّ مَكَانَ (4)
 قِفَارٌ مَرَّوْرَةٌ تَحَارُّ بِهَا الْقَطَا وَتَمْسِي بِهَا الْجَبَابُنُ تَقْتَرِبَانُ (5)
 يثيران من نَسْجِ الْغُبَارِ عَلَيْهِمَا قَيْصِينَ أَسْمَالًا وَيَرْتَدِيَانُ

ومن مستحسن رثاء الخنساء وليلي وغيرهما من النساء

من رثاء
 الخنساء

قال أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي : أنشد أبو السائب الخزومي قول

الخنساء :

وإنَّ صَخْرًا لَمَوْلَانَا وَسَيِّدُنَا وَإِنْ صَخْرًا إِذَا نَشْتُو لِنَحَارُ

- (1) الشاؤ : الأمد والغاية ، والمنصف : النصف ، يريد نصف الطريق (م) .
 (2) في نسخة « إذا وردا مكانا ناشرا » (م)
 (3) ينسب بعض الناس هذا الشعر لابن أحمز ، وبعضهم ينسبه لابن مقبل (م) .
 (4) في نسخة « وآيات آب » (م) .
 (5) في نسخة « ويمشى بها الجامان يعتركان » (م) .

وإن صخرًا لتأتمُّ الهداةُ بهِ كأنه علمٌ في رأسه نارٌ
 فقال: الطلاق لي لازم إن لم تكن قالت هذا وهي تتبختر في مشيها،
 وتنظر في عطفها.

من بديع
 رثاء الخنساء

ومن مستحسن رثاء الخنساء قولها ترى أهاها صخرًا:
 اذهب فلا يبعدنك الله من رجل مناع ضميم وطلّاب لأوتار
 قد كنت فينا صريحاً غير مؤتشب مركباً في نصاب غير خوار
 فسوف أبكيك ما ناحت مطوّقة وما أضاعت نجوم الليل للساوي
 أبكي فتى الحى نالته منيته وكل نفس إلى وقت بمقدار
 وقولها [تعنيه]:

شهاد أنجية شدّ أدا وهية. قطاع أودية للوتر طلابا
 سمّ العداة وفكّك العناة إذا لاقى الوغى لم يكن الموت هيابا
 يهدى الرعيل إذا جار السبيل بهم نهّد التليل لزرق الشمر ركابا
 [من ترجمة الخنساء، وليلى الأخيلية]

من أخبار
 الخنساء

والخنساء اسمها تماضر بنت عمرو [بن الحارث] بن الشريد بن رياح بن
 [يقظة بن عصية بن خفاف] بن امرئ القيس، وتكنى أم عمرو، ومصدّق ذلك
 قول أخيها [صخر]:

أرى أم عمرو لا تملّ عيادتي وملت سليمي مَضْجَعِي ومكاني

سليمي: امرأته، وإنما لقت الخنساء كناية عن الظبية، وكذلك [تسميتهم]

الذلفاء. والذلف: قصر في الأنف؛ وإنما يريدون به أيضاً أن ذلك من صفات
 الظباء، وهي أشعر نساء العرب عند كثير من الرّواة؛ وكان الأصمعي يقدم ليلي
 الأخيلية، وهي ليلي بنت عبد الله بن كعب بن ذى الرحالة بن معاوية بن عبادة بن
 عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وقيل لها الأخيلية لقول جدها كعب:

نسب ليلي

نحن الأخاييل ما يَزَالُ غلامنا حتى يَدِبَ على العصا مذكورا موازنة بينهما
قال أبو زيد: [هذا البيت لها فسُميت به ، وليلى أغزر بحرا] ، وأكثرت
تصرفاً ، وأقوى لفظاً ؛ والخنساء أذهب في عمود الرثاء .
قال المبرد : كانت الخنساء وليلى الأخييلية في أشعارهما متقدمتين لأكثر الفحول ،
وقلما رأيت امرأة تتقدم في صناعة ، وإن قل ذلك ، فالجملة ما قال الله تعالى :
« أو من يُنشأ في الحليمة وهو في الخصام غير مبين » .
ومن أحسن المرائى ما خلط فيه مدحٌ بتفجعٍ على المرثى ، فإذا وقع
ذلك بكلام صحيح ، ولهجة معربة ، ونظام غير متفاوت ، فهو الغاية من
كلام المخلوقين .

واعلم أن من أجل الكلام قول الخنساء:

يا صخرُ و زاد ماء قد تناذرَه	أهل المياه فما في وزده عارُ
مشى السبنتى إلى هيحاء معضلة	لها سلاحان أنيابٌ وأظفارُ ^(١)
وما عجول على بوءٍ تطيفُ به	لها حنينان إعلانٌ وإسرارُ
ترتع في غفلة حتى إذا ادكرت	فإما هي إقبالٌ وإدبارُ ^(٢)
يوماً بأوجع منى حين فارقتى	صخرُ ، وللعيش إخلاصٌ وإمرارُ
لم تره جارةٌ يمشى بساحتها	لريبة حين يُحلبى بينه الجارُ

قال : ومن كامل قولها :

فلولا كثرة الباكين حولى	على إخوانهم لقتلتُ نفسى
وما يبكون مثل أخى ، ولكن	أسلى النفس عنه بالتأسى
يدكرنى طلوع الشمس صخرأ	وأذكره لكل غروب شمس

(١) السبنتى - بفتح السين والياء وسكون النون - الحرى ، المقدم ، وهو أيضاً

الغمر (م) (٢) حفظى « ترتع مارتعت حتى إذا ادكرت » (م)

يعني أنها تذكره أول النهار للغارة ، ووقت المغيب للأضياف .

لابن الرومي

وقد قال ابن الرومي فيما يتعلق بطرف من هذا المعنى :

رَأَيْتُ الدَّهْرَ يَجْرَحُ ثُمَّ يَأْسُو وَيُؤَيِّ أَوْ يَعْوِضُ أَوْ يُنْسِي
أَبَتْ نَفْسِي الْمَلَاعَ لِرُزْءِ شَيْءٍ كَفَى شَجْوًا لِنَفْسِي رُزْءَ نَفْسِي
أَتَجَزَّعُ وَحَشَّةَ لِقْرَاقِ إِلْفٍ وَقَدْ وَطَنْتُمْ سِيسَا لِحُلُولِ رَمْسٍ
وَقَدْ أَنْكَرَ عَلَيَّ مِنْ تَعَلُّلٍ بِالنَّاسِ بِمَا قَالَ غَيْرُهُ (١) ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ :
خَلِيلِي قَدْ عَلَلْتَنِي بِالْأَسَى فَأَنْعَمَا لَوْ أَنْقَى أَتَعَلَّلُ
الْنَّاسَ آثَارِي ، وَإِلَّا فَمَا الْأَسَى وَعَيْشُكَمَا إِلَّا ضَلَالٌ مُضَلُّ
وَمَا رَاحَةَ الْمَرْوَةِ فِي رُزْءِ غَيْرِهِ أَيْحَمِلُ عَنْهُ بَعْضَ مَا يَتَحَمَّلُ
كِلَا حَامِلِي عِبءِ الرِّزْيَةِ مُثَقَّلٌ وَليْسَ مَعِينًا مُثَقَّلَ الظُّمْرِ مُثَقَّلُ
وَضَرَبْتُ مِنَ الظُّمْرِ الْخَفِيُّ مَكَانَهُ تَعَزَّيْكَ بِالْمَرْوَةِ حِينَ تَأْمَلُ
لَأَنَّكَ يَا سَوْكَ الَّذِي هُوَ كَلْبُهُ بِلَا بَصَرٍ لَوْ أَنَّ جَوْرَكَ يَعْدِلُ
وَقَالَتِ الْخَنَسَاءُ :

للخنساء

وَقَائِلَةٌ وَالنَّعْسُ قَدْ فَاتَ خَطْوَهَا لَتُدْرِكُهُ يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى صَخْرٍ
أَلَا تَكَلَّمْتِ أُمَّ الَّذِينَ غَدَوْا بِهِ إِلَى الْقَبْرِ! مَاذَا يَحْمِلُونَ إِلَى الْقَبْرِ؟!
وَمَا ذَا يُؤَارِي الْقَبْرُ تَحْتِ تَرَابِهِ مِنْ الْجُودِيَا بُوْسِ الْحَوَادِثِ وَالدهرِ
فَشَانُ الْمَنَايَا إِذْ أَصَابَكَ رَبِّيْهَا لَتَضْحَكِي الْفَتَيَانَ بَعْدَكَ أَوْ تَسْرِي

وهذا المعنى كثير قد مرت منه قطعة جيدة ، ولم تزل الخنساء تبكي على أخويها
* خري ومعاوية ، حتى أدركت الإسلام ؛ فأقبل بها بنو عمها وهي عجوز كبيرة
إلى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ! هذه الخنساء ،

(١) فى نسخة « بما قال عنتره » تطبيع (م) .

وقد قرحت آماقها من البكاء في الجاهلية والإسلام ، فلو نَهَيْتَهَا لرجونا أن تنتهي ، فقال لها عمر رضى الله عنه : اتقى الله وأيقنى بالموت ، قالت : أبكى أبى وخَيْرَ بنى مضر صخرًا ومعاوية ، وإِني لموقنة بالموت ، قال : أتبكين عليهم وقد صاروا جَمْرَةً في النار ؟ قالت : ذلك أشدَّ لبكائي عليهم ! فرق لها عمر وقال : خلوا عن عجزكم لا أبا لكم ! فكل امرئ يبكي شَجْوَهُ ، ونام الخليل عن بكاء الشجي .

وكان عمرو بن الشريد يأخذ بيد ابنيه معاوية وصخر في الموسم ، ويقول : عمرو بن الشريد وأبناء
أنا أبو خَيْرَى مضر ، فمن أنكر فليغير ، فلا يغير ذلك عليه أحد ، وكان يقول : من أتى بمنلها أخوين من قبل فله حكمه ، فتقر له العرب بذلك .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : أنا ابن القواطم من قريش ، والعواتك من سليم ، وفي سليم شرف كثير .

وكان يقال لمعاوية : فارس الجون ، والجون من الأضداد ، يقال للأسود والأبيض ، وقتلته بنو مرة ، قتله هاشم بن حرمله ، فطلبه دُرَيْد بن الصِّمَّة حتى قتله ، وأما صخر فغزا أسد بن خزيمة فأصاب فيهم ، وطعنه ثور ابن ربيعة الأسدي ، فأدخل في جوفه حلقة من الدرع فاندمل عليه ، ففتأت قطعة من جنبه مثل اليد ، فمرض لها حولا ، ثم أشير عليه بقطعها ، فأحوا له شفرة ثم قطعوها ، فما عاش إلا قليلا .

ومن جيد شعر ليلي الأخيلية ترى توبة بن الحمير الخفاجي ، وكان لها محبباً ، وله فيها شعر كثير ، وقتله بنو عوف بن عقيل ، قتله عبد الله بن سالم :

نظرتُ وركنٌ من عمّاية دوننا وأركان جسمي أى نظرة ناظر^(١)
فأنت خيلا بالرق مغيرة سوابقها مثل القطا للتواتر

(١) عمّاية - بفتح العين - جبل في بلاد نجد من بلاد بنى كعب وقشير وعقيل (م)

فإن تكن القتلى بواء فإنكم
فلا يبعدنك الله يا توب إنما
أنته المنايا بين دزج حصينة
كان فتى الفتيان توبة لم ينسخ
ولم يدع يوماً للحفظ وللنهي
وللبازل الكوماء يرغو حوارها
فتى لا تحطاه الرقاق ، ولا يرى
فتى كان أحياناً من فتاة حبيبة
فتى لا تراه النَّاب إلهاً لسفها
وكنت إذا مولاه خاف ظلامه
وقد كنت مرهوب السنان وبين اللسان ومدلاج الشرى غير فاتر
ولا تأخذ الكوم الجلاذ سلاحها
فتى ما قتلت آل عوف بن عامر^(١)
لقاه المنايا دارعا مثل حاسر^(٢)
وأسمَرَ خطىَّ وجرءاً ضامر^(٣)
قلانس بفحصن الحصى بالكرراكر^(٤)
وللحرب ترمي نارها بالشرائر^(٥)
وللخيل تعدو بالكمامة المساعر^(٦)
لقدر عيالاً دون جار مجاور
وأشجع من ليث بخفان خادر^(٦)
إذا اختلجت بالناس إحدى الكبار
أتاك فلم يقنع سواك بناصر
لتوبة في حد الشتاء الصنابر^(٧)

وفود ليلي
على معاوية

وقال بعض الرواة : بينا معاوية يسير إذ رأى راكباً ، فقال لبعض شرطه :
اثنى به وإياك أن ترؤعه . فأتاه فقال : أجب أمير المؤمنين ، فقال : إياه أردت ،
فلما دنا الراكب حذر لثامه فإذا ليلي الأخيلية ، فأنشأت تقول :

معاوى لم أكذ آتيتك تهوى برحلى نحو ساحتك الركاب

(١) بواء - بفتح الباء والواو - متكافئين منائين (م)

(٢) خطى : منسوب إلى الخط ، والمراد الرمح ، والجرءاء : القصيرة الشعر ،
والضامر : المهضم البطن ، والمراد الفرس (م)

(٣) القلائص : جمع قلوص ، وهى الناقة الفتية ، والكرراكر : جمع كركرة ،
وهى رحي زور البعير ، أو صدره (م) (٤) الحفاظ - بالكسر - المحافظة على
ما يجب المحافظة عليه ، وفي نسخة «ترمي نارها بالشرائر» (م) (٥) الحوار - بضم
الحاء - ولد الناقة ، والسكامة : جمع كمي ، وهو الفارس التكمي في سلاحه : أى

المستتر فيه ، والساعر : جمع مسعر ، وهو الذى يوقد الحرب ويشعلها (م)

(٦) الليث : الأسد ، وخفان : مأسدة قرب الكوفة ، وخادر : مقيم (م)

(٧) صنابر الشتاء : شدة برده .

تَجُوبُ الْأَرْضَ نَحْوِكَ مَا تَأْتِي إِذَا مَا الْأَكْمُ قَنَّعَهَا السَّرَابُ
وَكُنْتَ الْمَرْجِي وَبِكَ اسْتَعَانَتْ لِقَنَّعُهَا إِذَا بَخَلَ السَّحَابُ
قال : فقال : ما حاجتُك ؟ قالت : ليس مثلي يَطْلُبُ إلى مثلك حاجة ،
فتخبر أنت ! فأعطاها خمسين من الإبل ؛ ثم قال : أخبريني عن مُضَر ، قالت :
فأخبر بمضَر ، وحَارِبِ بَقِيس ، وكَاثِرِ بَتِيم ، وناظر بأسد ، فقال : ويحك يا ليلي ! أكا
يقول الناس كان تَوْبَةٌ ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ، ليس كل الناس يقول حقا ،
الناسُ شجرةٌ بَغِي ، يحسدون النعم حيث كانت ، وعلى مَنْ كانت ؛ كان
يا أمير المؤمنين سَبَطَ البنان ، حديدَ اللسان ، شَجَى الأقران ، كريمَ المُخْبِر ،
عفيفَ المُتَزِر ، جميلَ المنظر ، وكان كما قلت ، ولم أتعد الحق فيه :
بعيدُ الثرى لا يبلغُ القومَ قَعْرَهُ أَلْدُ مُلْدٌ يَعْلِبُ الحَقَّ باطلُهُ (١)
فقال معاوية : ويحك يا ليلي ! يزعم الناس أنه كان عاهرا خاربا ، فقالت
من ساعتها مرتجلة :

مَعَاذِ إِلَهِي كَانَ وَاللَّهِ تَوْبَةٌ جَوَادًا عَلَى الْعِلَاتِ بَجْمًا نَوَافِلُهُ (٢)
أَغْرَهُ خَفَاجِيًّا يَرَى الْبِخْلَ سِبَةً تُخَالِفُ كَفَّاهِ النَّدَى وَأَنَامِلُهُ
عَفِيفًا بَعِيدًا هَمَّ صُلْبًا قَنَاتُهُ جَمِيلًا مَحْيَاهُ قَلِيلًا غَوَائِلُهُ
وَكَانَ إِذَا مَا الضَّيْفُ أَرْغَى بَعِيرُهُ لَدَيْهِ أَنَاهُ نَيْدٌ لَمْهُ وَفَوَاضِلُهُ
وَقَدْ عَلِمَ الْجُوعَ الَّذِي كَانَ سَارِيَا عَلَى الضَّيْفِ وَالْجِيرَانَ أَنُكَ قَاتِلُهُ
وَأَنُكَ رَحْبُ الْبَاعِ يَاتُوبُ بِالْقِرَى إِذَا مَا لَثِمُ الْقَوْمِ ضَاقَتْ مَنَازِلُهُ
يَبِيْتُ قَرِيرَ الْعَيْنِ مَنْ كَانَ جَارُهُ وَبُضْجِي بَخِيرَ ضَيْفِهِ وَمَنَازِلُهُ

فقال لها معاوية : ويحك يا ليلي ! لقد جُزَّتِ بتوبة قَدْرَهُ ، فقالت :
يا أمير المؤمنين . والله لو رأيتَهُ وخبرتهُ لعلمتُ أني مقصرة في نَعْتِهِ ، لا أبلغُ كُنْهَهُ
ما هو له أهل . فقال لها معاوية : في أي سنِّ كان ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين :

(١) أله : شديد اللدد ، والدد - بفتح اللام والدال - الحصومة (م)

(٢) جما: كثير ، ويروى «عما» وهو بمعناه ، والنوافل: جمع نافلة ، وهي العطية (م)

أَتَتْهُ الْمَسَايَا حِينَ تَمَّ تَمَامُهُ وَأَقْصَرَ عَنْهُ كُلُّ قَرْنٍ يُنَاضِلُهُ
 وَصَارَ كَلِيثَ الْغَابِ يَحْمِي عَرِينَهُ فَتَرْضَى بِهِ أَشْبَاهَهُ وَحَلَائِلُهُ
 عَطُوفٌ حَلِيمٌ حِينَ يُطَلَّبُ حَامِلُهُ وَسَمٌّ ذُعَافٌ لَا تُصَابُ مَقَاتِلُهُ

فأمر لها بجائزة ، وقال : أى ما قلت فيه أشعر ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ، ما قلت شيئاً إلا والذي فيه من خصال الخير أكثر ، ولقد أجدتُ حيث أقول :

جزى الله خيرا والجزاء بكفه فتى من عقيل ساد غير مكلف
 فتى كانت الدنيا تهون بأمرها عليه فلم ينفك جم التصرف
 ينالُ عليات الأمور بهونته إذا هي أعيت كل خرق مسوف (١)
 هو المسك بالأرى الضحاكى شبته بدر ياقه من خمر بيسان قرقف (٢)

وقد ليلي
 على مروان
 ابن الحكم

ويقال : إنها دخلت على مروان بن الحكم فقال : ويحك يا ليلي ! ألكما نعت توبة كان ؟ قالت : أصلح الله الأمير ! والله ما قلت إلا حقا ، ولقد قصرت ، وما رأيت رجلا قط كان أربط على الموت جأشا ، ولا أقلّ أحمياشا حين تحتدم برآكاه الحرب ، ويحمى الوطيس بالظعن والضرب ، كان والله كما قلت :

فتى لم يزل يزداد خيرا لذن نشأ إلى أن علاه الشيب فوق المسايح
 تراه إذا ما الموت حل بورده ضروبا على أقرانه بالصفائح
 شجاع لدى الهيجا تبث مشايح إذا انحاز عن أقرانه كل سايح
 ففاح حميدا لا ذميا فصاله وصولا لقرباه يرمى غير كالح

فقال لها مروان : كيف يكون توبة على ماتقولين وكان خارباً ؟ « والخارب سارق الإبل خاصة » ، فقالت : والله ما كان خارباً ، ولا لهوت هائبا ، ولكنه

(١) هونته : أى سهولة ولين ورفق ، والخرق : الأحمق (م)

(٢) الأرى : العسل ، وشبته : خلطته ، وبيسان : من بلاد الشام مشهورة بالخمر (م)

كان فتى له جاهلية ، ولو طال عمره وأنساء الموت لارغوى قلبه ، ولقضى في حب الله نخبه ، وأقصر عن لهوه ، ولكنه كما قال ابن عمه مسلة بن زيد :

فله قوم غادروا ابن مُحَيْرٍ قتيلاً صريعاً للسيوف البواتر
لقد غادروا حزمًا وعزمًا ونائلًا وصنبراً على اليوم العبوس القماطر
إذا هاب وورد الموت كلُّ غَضَنَفَرٍ عظيم الحوايا لبُّه غيرُ حاضر
مضى قدماً حتى يلاقى وِردَهُ وجاد بسئب في السنين القواشر (١)

فقال لها مروان : يا ليلي ، أعوذُ بالله من درك الشقاء ، وسوء القضاء ، وشماتة الأعداء ، فوالله لقد ماتت توبة ، وإن كان من فتیان العرب وأشدائهم ، ولكنه أدركه الشقاء ، فهلك على أحوال الجاهلية ، وترك لقومه عداوة .

ثم بعث إلى ناس من عقيل فقال : والله لئن بلغني عنكم أمرٌ أكرهه من جهة توبة لأصلبكم على جذوع النخل ، إياكم ودغوى الجاهلية ، فإن الله قد جاء بالإسلام ، وهدم ذلك كله .

قدوم ليلي
على الحجاج

وروى أبو عبيدة عن محمد بن عمران المرزباني قال : قال أبو عمرو بن العلاء الشيباني : قدمت ليلي الأخيلية على الحجاج بن يوسف وعنده وجوه أصحابه وأشرفهم ، فبينما هو جالسٌ معهم إذ أقبلت جارية فأشار إليها وأشارت إليه ؛ فلم تلبث أن جاءت جارية من أجل النساء وأكلهن ، وأتمهن خلفاً ، وأحسنهن محاورة ؛ فلما دنت منه سألت ثم قالت : أتأذنُ أيها الأمير؟ قال : نعم ، فأنشدت :

أحجاجُ إن الله أعطاك غايةً يُقصرُ عنها من أراد مداها .
أحجاجُ لا يُفكِّلُ سِلاحكُ إنما السمنيا بكفَّ الله حيث يراها

(١) القواشر : جمع قاشرة ، كأنها تقشر الجلد من جذبها ، وفي نسخة «الكواشر»

وفي أخرى «البواسر» (م)

إذا ورد الحجاج أرضاً مريضةً تَدْبَعُ أَقْصَى دَائِهَا فَشَفَاهَا
شفاها من الداء العيأ الذي بها غُلامٌ إذا هَزَّ القَنَاةَ ثَنَاهَا
إذا سَمِعَ الحجاجُ صَوْتَ كَتِيبَةٍ أَعَدَّ لَهَا قَبْلَ النَزولِ قِرَاهَا
أَعَدَّ لَهَا مَصْـمُولَةً فَارِسيَّةً بأَيْدِي رِجالٍ يَحْمِلُونَ صَراها^(١)

حتى أتت على آخرها . فقال الحجاج لمن عنده : أتعرفون من هذه؟ قالوا :
ما نعرفها ، ولكن ما رأينا امرأة أطلقَ لسانا منها ، ولا أجملَ وجهاً ، ولا أحسنَ
لَفْظاً ، فَمَنْ هِيَ أَصْلَحُ اللهُ الأمير؟ قال : هي ليلى الأخيلىة صاحبة توبة بن
الحير التي يقول فيها :

ولو أن ليلى الأخيلىة سَمَّتْ على ودوني جَنَدَلٌ وصفائِحُ
سَمَّتْ تَسْلِيمَ البِشاثةِ أوزَقاً إليها صَدَى من جانبِ القبرِ صَبائِحُ

ثم قال لها : يا ليلى ، أنشدنا بعضَ ما قاله فيك توبة ، فأنشدته :

نَأْتِكُ بليلى دارها لا تزورها وشطَّتْ نواها واسـتـمرَّ مَريرُها
وكنْتُ إذا ما زُرْتُ ليلي تبرفتُ وقد رابى منها الغداة سفورُها
على دِماءِ البَدَنِ إن كان زَوْجُها يرى لى ذنبا غيرَ أنى أرورها
وأنى إذا ما زرتها قلت : يا سلمى فهل كان فى قولى اسـمى ما يَصيرُها
حمامةَ بَطْنِ الوادِينِ ترنمى سقاك من الغرِّ الغوادى مطيرُها
أبني لنا لا زال ريشك ناعما ولا زلتِ فى خضراءِ دانٍ بريرُها^(٢)
وقد تذهبُ الحاجاتُ يطلبها الفتى شعاعاً وتَحشى النفسُ ما لا يَصيرُها
أيزهـبُ رِيعانُ الشِبابِ ولم أزرُ عرَّأرَّ من همدانٍ بيضاً نُحورُها
ولو أن ليلى فى ذرى مُتمنَّع بنَجْرانٍ لالتفتْ على قصورها

(١) مصقولة فارسية : أراد السيف ، وأصل الصرى - بفتح الصاد - بقية اللبن
فى الضرع ، وأرادت به أنهم يأتون بأخر ما يمكن من الضرب بها (م)
(٢) البربر : ثمر الأراك (م)

يقربُ بعيني أن أرى العيسَ ترتمى بنا نحو ليلى وهي تجرى صقورها
وأشرفُ بالنعورِ اليفاعِ لعلنى أرى نار ليلى أو يرانى بصيرها
أرتنا حمام الموتِ ليلى ، وراقنا عيونُ تَفَيَّاتُ الحواشي تُديرها

حتى أنت على آخرها . فقال : يا ليلى ، ما رآه من سفورك ؟ فقالت : أيها الأمير ؛ ما رآني قط إلا متهرقة ، فأرسل إليّ رسولاً إنه مملٌ بنا ، فنظر أهلُ الحى رسولهُ فأعدُّوا له وكنوا ؛ ففطنتُ لذلك من أمرهم ، فلما جاء ألقيت برقى وسقرت فأنكر ذلك ، فما زاد على التسليم وانصرف راجعاً . فقال لها الحجاج : لله درك ! فهل كانت بينكما ربيبة قط ؟ قالت : لا والذي أسأله صلاحك ، إلا أنى رأيت أنه قال قولاً فظننت أنه خضع لبعض الأمر ، فقلت :

وذى حاجة قلنا له : لا تبخ بها فليس إليها ما حبيت سبيلُ
لنا صاحبٌ لا ينبغي أن نخونهُ وأنت لأخرى صاحبٌ و خليلُ

فما كلمني بشيء بعد ذلك حتى فرّق الموت بيني وبينه . فقال لها : حاجتك !
قالت : أن تحملني إلى قتيبة بن مسلم على البريد إلى خراسان ، فحملها فاستظرفها قتيبة ووصلها ، ثم رجعت فماتت بساوة^(١) ، وقبرها هناك .

وروى المبرد أنها لما أنشدته الأبيات «أحجاج إن الله أعطاك» .. إلى قولها «غلام إذا هز القناه ثناها» قال لها : لا تقولى غلام ، ولكن قولى : هام ، ثم قال لها : أى نسأى أحبُّ إليك أن أنزلك عندها ؟ قالت : ومن نسأوك أيها الأمير ؟ قال : أم الجلاس بنتُ سعيد بن العاص الأموية ، وهند بنت أسماء بن خارجة الفزارية ، وهند بنت المهلب بن أبي صفرة العتكية^(٢) . قالت : هذه أحبُّ إلى . فلما كان الغد دخلت إليه فقال : يا غلام أعطها خمسمائة . قالت : أيها الأمير ، اجعلها أدمًا^(٣) .

(١) فى الأغاني «فماتت بالرى» (م) (٢) فى نسخة «القيسية» (م)

(٣) الأدم : جمع أدماء ، وهى السمراء اللون (م)

قيل لها : إنما أمر لك بشاء ، فقالت : الأمير أكرم من ذلك ؛ فجلها إبلا أذما استحيا ؛ وإنما كان أمر لها بشاء [أولاً ، والأدم أكرمها] .

وأول هذا الحديث عن رجل من بني عامر بن صعصعة يقال له ورفاء قال : كنت عند الحجاج فدخل الأذن^(١) فقال :: أصلح الله الأمير ! بالباب امرأة تهدير كما يهدير البعير النادر^(٢) . قال : أدخلها ، فلما دخلت نسبها فانتسبت له . فقال : ما أتى بك يا ليلي ؟ قالت : إخالف النجوم ، وقلة النجوم ، وكأب البرد ، وشدة الجهد ، وكنت لنا بعد الله الرافد .

قال لها : أخبريني عن الأرض . قالت : الأرض مُمبِّرة ، والفجاج مقشعرة ، وأصابتنا سنون مجحفة مظلمة ، لم تدع لنا هُبماً ولا ربُعاً ، ولا عافطة ولا نافطة^(٣) . أهلكت الرجال ، ومزقت العيال ، وأفسدت الأموال ، وأشدت الأبيات التي مضت آنفا ؛ فالتفت الحجاج [إلى أصحابه] . وقال : هل تعرفون هذه ؟ قالوا : لا . قال : هذه ليلي الأخيالية التي تقول :

نحن الأخاييلُ لا يزال غلامنا حتى يدب على العصا مذكورا
تبكي الرماح إذا فقدن أ كفينا حزناً وتلقانا الرفاقُ .
وفي آخر حديثها قال لها : أنشدنا بعض شعرك ، فأنشدته :

لعمرك ما بالموت عارٌ على الفتى إذا لم تُصِبه في الحياة المعابرُ
ومن كان مما يحدث الدهر جازعاً فلا بد يوماً أن يُرى وهو صابرُ
فلا يبعدنك الله ياتوبُ هالكا لدى الحرب إن دارت عليك المقاديرُ
فكل جديد أو شباب إلى بلى وكل امرئ يوماً إلى الله صائرُ
وكل قريئ ألقه لتفرق شتاتٍ وإن ضنا وطال التعاشرُ

(١) الأذن : الذي ينقل الإذن بالدخول ، شبه الحاجب اليوم (م)

(٢) النادر : الشروء (م) (٣) الهبع - بزنة صرد - ابن الناقة الذي ينتج آخر

فصل النتاج . والريع : الذي ينتج في وقت الربيع . والعافطة : الضائنة . والنافطة :

الماعزة (م)

فأقسمت أبكي بعد توبة هالكا وأحفل من دارت عليه الدوائر
 فقال الحجاج لصاحب له : اذهب بها فاقطع عني لسانها ، فدعا لها بالحجام
 ليقطع لسانها . فقالت له : ويحك ! إنما قال لك الأمير : اقطع لساني بالغطاء ،
 فارجع إليه فاسأله ، فسأله فاستشاط غيظاً ، وهمّ بقطع لسانه ، [ثم أمر بها فأدخلت]
 فقالت : أيها الأمير ، كاد يقطع ميمولى ، وأنشدته :

حجاج أنت الذى ما فوقه أحدٌ إلا الخليفة والمستغفر الصمد
 حجاج أنت شهاب الحرب إن لقمحت وأنت للناس نورٌ فى الدجاء يقد^(١)

احتذى الحجاجُ فى قوله : « اقطع لسانها » قولَ النبي صلى الله عليه وسلم
 لما أعطى المؤلفَةَ قلوبهم يوم حُنين مائة من الإبل ، وأعطى العباس بن مرداس
 أربعين فسخطها وقال :

أتجعل نهبي ونهب المبيد بين عيينة والأقرع
 وما كان حصنٌ ولا حابسٌ يفوقان مرداسَ فى تجمّع
 وما كنت إلا امرأً منهم ومن تزعّ اليوم لا يرفع^(٢)
 العبيد : اسم فرسه ، وحصن [الذى ذكره] هو أبو عيينة بن حصن بن حذيفة
 ابن بدر سيد فرارة ، وحابس : أبو الأقرع بن حابس ، وقد تقدم نسبه - فأمر النبي
 صلى الله عليه وسلم بإحضاره ، فقال : أنت القائل :

أتجعل نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة
 وكان النبي عليه الصلاة والسلام كما قال الله عز وجل : « وما علمناه الشعراً
 وما ينبغى له » . فقال : قم يا على فاقطع لسانه . قال العباس : فقلت : يا على ؛

(١) فى نسخة « وأنت للناس نور ضوءه يقد » (م)

(٢) مع هذه الأبيات قوله ، وهو من شواهد النجاة :

وقد كنت فى الحرب ذا تدرأ فلم أعط شيئاً ولم أمنع

أى : فلم أعط شيئاً عظيماً ولم أمنع البتة (م)

وإنك لَقَارِطٌ لَسَانِي ؟ قال : إني مُمَضِّ فِيكَ مَا أَمَرْتُ ، فمَضَى بِي حَتَّى أَدْخَلَنِي
الْحِطَّائِرَ ، فَقَالَ : ائْتِدْ مَا بَيْنَ الْأَرْبَعِينَ إِلَى مِائَةٍ ، قُلْتُ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي !
مَا أَحْلَمُكُمْ وَأَعْلَمُكُمْ وَأَعْدِلُكُمْ وَأَكْرَمُكُمْ ! فَقَالَ : إِنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَعْطَاكَ أَرْبَعِينَ ، وَجَعَلَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ [فَإِنْ شِئْتَ] فَخُذْهَا ، وَإِنْ شِئْتَ
فَخُذْ مِائَةً ، وَكُنْ مِنَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ . فَقُلْتُ : أَشْرُ عَلَى . فَقَالَ : إِنْ أَمَرْتُكَ أَنْ
تَأْخُذَ مَا أَعْطَاكَ . فَأَخَذْتُهَا .

* * *

وكانت ليلي الأخيالية قد حاجت النابغة الجعدي فأختمته .
ودخلت على عبد الملك ابن مروان وقد أسنت فقال: ما رأيت توبةً فيك حتى
أحبك؟ قالت: رأيت في ما رأى الناسُ فيك حين ولوك! فضحكك عبد الملك حتى
بدت له سن سوداء كان يُخفيها .

[عود إلى رثاء شواعر العرب]

وقالت هند بنت أسد الضباية :

هند بنت
أسد ترى
أخاها

لقد مات بالبيضاء من جانب الحبي
ففي كان زيناً للمواكب والشرب
يلوذُ به الجاني مخافة ما جنى
كما لذت العصماء بالشاهق الصعب
تظللُ بنات العمِّ والخالِ حوله
صوادي لا يروين بالبارد العذب
وقالت أم خالد النميرية [تشبباً بأثال السكلابي ^(١)] :

لأم خالد
الخميرية

إذا ما أتتنا الريحُ من نحو أرضه
أتتنا بمسك خالط المسك عنبر
وريح خزاي باكرتها جنوبها ^(٢)
وتنهلُ عبرات تفيضُ غروبها ^(٣)
وإحوال نفس غاب عنها حبيبها
حنين أسير نازح شد قيدهُ

(٢) كذا وقع في نسخة ، والسياق يقضي بأن يكون هذا الشعر رثاء لاتشيبيا (م)

(٣) الريا : الرائحة الطيبة (م) (٣) العبرات : جمع عبرة ، وهي الدمعة (م)

لأم الضحاك
المحارية

وأشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى [ثعلب] ، لأم الضحاك المحارية وكانت
تحب رجلا من الضباب حباً شديداً :

يأيها الراكب الغادي لطيفته
ما عاليج الناس من وجد تضمّنهم
عرج أبك عن بعض الذي أجد
إلا وجدت به فوق الذي وجدوا
ووده آخر الأيام أجهد
حسبي رضاه وأنى في مسرته
وقالت :

هل القلب إن لآقى الضبابي خالياً
وأزعجتنا قربُ الفراق ، وبيننا
لدى الركن أو عند الصفا يترحج
حديث كتفيس المريضين مزعج
غريضا أنى أصحابه وهو منضج
حديث لو أن اللحم يشوى بحره
وأشد الزبير بن بكار حليلة الخضرية ، وقد أنشدها المبرد لنبهان العبشمي (١)

لحليمة الخضرية

وهو أشبه (٢) :

يقر بعيني أن أرى من مكانه
وأن أرد الماء الذي شربت به
ذرى عيدات الأجرع المتقارذ
سديمي وإن مل الشرى كل وأخذ
وألصق أحشائي ببزد ترابه
وإن كان مخلوطاً بسم الأسود

للفارعة بنت

شداد

وقالت الفارعة بنت شداد ترى أخاها مسعودا :

يا عين بكى مسعود بن شدا
من لا يذاب له شحم السديف ولا
بكاء ذى عبرات شجوه بادي
يخفو العيال إذ ما ضن بالزاد
يخشى الرزية بين المال والنادي
فتاح مبهمة ، حباس أوزاد
مناع مقلبة ، فكالك أقياد
حلال ممرعة ، فراج مفضعة
حمال مضلعة ، طلاع أنجاد

(١) العبشمي : المنسوب إلى عبشمس ، وقالوا : عبدي ، وعبسى ، في النسبة

إلى عبد الدار وعبد القيس (م) (٢) إنما كان ذلك أشبه لأن الشعر في امرأة كما ترى
في البيت الثاني ، وإن تأملت الثالث عرفت أنه الأشبه حقا (م)

شَدَادُ أَوْهِيَّةٍ ، فَرَّاجُ أَسْدَادِ
 زَيْنُ الْقَرَيْنِ وَنِكَلُ الظَّالِمِ العَادِي
 يَوْمًا رَهِينُ صَفِيحَاتِ وَأَعْوَادِ
 نَفْسِي فداؤُك من ذِي كَرْبَةِ صَادِي
 يَخْلُو به الحَيُّ أَوْ يَفْدُو به العَادِي
 عند الشتاء وقد هُمُوا بإخَادِ
 مُتَعَنِّجِرًا بعد ما تَغْلِي بِإزْبَادِ
 إلى ذَرَاهُ وَغَيْثُ المُخَوِّجِ العَادِي
 والمحسنات من النساء كثير، وقد تفرقت لهن في أضعاف هذا الكتاب ما اختير.

[عِبْرَاتُ الحَبِيبِينَ]

عما أنشده ثعلب

وَأَنشَدَ أَحْمَدُ بنُ يَحْيَى ثَعْلَبُ :
 وَمُسْتَنْجِدٌ بِالْحُزْنِ دَمْعًا كَأَنَّهُ
 عَلَى الخُدِّ مِمَّا لَيْسَ يَرَقًا حَائِرٌ^(١)
 إِذَا دِيمَةٌ مِنْهُ اسْتَقَلَّتْ تَهَلَّتْ
 أَوَائِلُ أُخْرَى مَالِهِنَّ أَوَاخِرُ
 مَلَأَ مُقْتَلِيهِ الدَّمْعُ حَتَّى كَأَنَّهُ
 لِمَا أَنهَلَ مِنْ عَيْنِيهِ فِي المَاءِ نَاطِرٌ^(٢)
 وَيَنْظُرُ مِنْ بَيْنِ الدَّمْعِ بِمُقَلَّةٍ
 رَمَى الشَّوْقُ فِي إِنْسَانِيهَا فَهَوَّ سَاهِرُ
 وَقَالَ آخِرٌ - وَرُوِيَتْ لَقَيْسِ بنِ المَلَّوحِ :

عما ينسب إلى
 قيس ابن الملوح

نظرتُ كَأَنِّي مِنْ وِراءِ زِجَاجَةٍ
 إِلَى الدَّارِ مِنْ مِاءِ الصَّبَابَةِ أَنْظَرُ
 فَعَيْنَايَ طَوْرًا يَغْرِقانِ مِنَ البُكَاءِ
 فَأَعشى ، وَطَوْرًا تَحْمِرانِ فَأَبْصَرُ
 وَقَالَ غِيْلانُ :

وَمَا شَتْنَا خِرْقَاءَ وَاهِيَةَ الكَلْبِيِّ
 سَقَى بِهِمَا ساقِ وَلِما تَبَلَّلَا
 بِأَضْيَعِ مِنْ عَيْنِيكَ لِلدَّمْعِ كَلِّمَا
 تَوَهَّمْتَ رَبْعًا أَوْ تَوَسَّمْتَ مَنْزِلًا

(١) رَقًا الدَّمْعُ يَرَقُّ - مِنْ مِثَالِ فَتَحٍ يَفْتَحُ - سَكَنَ ، وَ «مِا» فِي قَوْلِهِ «مِمَّا لَيْسَ»
 يَرَقًا» هِيَ المَصْدَرِيَّةُ ، وَتَقْدِيرُ الكَلِمِ : كَأَنَّهُ - مِنْ عَدَمِ سَكُونِهِ - حَائِرٌ (م)
 (٢) مَلَأَ : أَصْلُهُ مَلَأَ (م)

وقال آخر :

ومما شجاني أنها يوم ودعت
فلما أعادت من بعيد بنظرة
تولت وماء الجفن في العين حائر^(١)
إلى التفاتاً أسلمته المحاجر^(٢)

للبحري

أبو عبادة البحري :

وقفناً والعيون مشغلات
نهته رقة الواشين حتى
يغالب طرفها نظراً كليل
تعلق لا يغيض ولا يسيل

مما أنشده
حجظة

وأشده أبو الحسن [حجظة] :

ومن طاعق إياه أمطر ناظري
كأن دموعي تبصر الوصل هاربا
إذا هو أبدي من ثناياه لي برقاً
فمن أجله تجرى لتدركه سبنا

لمتبي

أخذ البيت الأول المتنبي فقال :

بيتل خدي كما ابتسمت
من مطر برقه ثنائياًها

لأبي الشيص

وقال أبو الشيص ، واسمه محمد بن عبيد الله ، وهو ابن عم دعبيل :

وقائلة وقد بصرت بدمع
أتكذب في البكاء وأنت جلد
على الخدين منجدير سكوب
قديم ما جسرت على الذنوب
وقلبك ليس بالقلب الكئيب
عليه عشية بدم كذوب
[فقلت لها : فذاك أبي وأمي
أما والله لو فقتت قلبي
كمثل قميص يوسف حين جاءوا
دموع العاشقين إذا تلاقوا
ربجت بسوء ظنك في الغيوب]
لسرك بالعويل وبالنجيب
بظهر الغيب السنة القلوب

(١) شجاني : أحزني (م)

(٢) أسلمته المحاجر : كناية عن انهمال الدمع (م)

[من أخبار العباس بن الأحنف]

وقال بشار بن برد : ما زال فتى من بنى حنيفة يُدْخِلُ نفسه فينا ويُخْرِجُها

منا حتى قال :

تُزَفُّ البِكَاءَ دُمُوعَ عَيْنِكَ فَاسْتَعْرِ عَيْنَا لِعَيْرِكَ دَمْعُهَا مِدْرَارُ
مَنْ ذَا يَعِيرُكَ عَيْنَهُ تَبْكِي بِهَا أَرَأَيْتَ عَيْنًا لِلبِكَاءِ تُعَارُ ؟ !

قال : وهذا الذي عناه بشار هو أبو الفضل العباس بن الأحنف بن طلحة ابن هرون بن كادة بن خزيم بن شهاب [بن سالم] بن حبة بن كليب بن عدى ابن عبد الله بن حنيفة ، وكان كما قال بعض مَنْ وصفه : كان أحسن خلقِ الله إذا حَدَّثَ حديثًا ، وأحسنهم إذا حَدَّثَ استماعًا ، وأمسكهم عن مُلاحَاقِهِ إذا خُولِفَ ، وكان ملوكي المذهب ، ظاهر النعمة ، حسن الهيئة ، وكانت فيه آلاتُ الظَرْفِ ، كان جميلَ الوجه ، فأرِه المِركبَ ، نظيفَ الثَّوبِ ، حَسَنَ الألفاظِ ، كثيرَ النوادرِ ، رطيبَ الحديثِ ، باقياً على الشرابِ ، كثيرَ المساعدةِ ، شديدَ الاحتمالِ ، ولم يكن هجاءً ، ولا مداحاً ، كان يتنزّهُ عن ذلك ، ويُشَبِّهُ من المتقدمين بعمر بن أبي ربيعة .

وسُئِلَ أبو نواس عن العباس وقد ضَمَّهَما مجلس فقال : هو أرق من الوهم ،

وأحسن من الفهم .

وكان أبو الهذيل العلاف المعتزلي إذا ذَكَرَهُ لَعَنَهُ وَزَنَاهُ لِأَجْلِ قَوْلِهِ :

وَضَعْتُ خَدِي لِأَدْنَى مِنْ يُطِيفُ بِكُمْ حَتَّى اخْتَقِرْتُ وَمَا مِثْلِي بِمَحْتَقِرٍ (١)
إِذَا أَرَدْتُ أَنْتَصَارًا كَانَ نَاصِرًا كَمِ قَلْبِي ، وَمَا أَنَا مِنْ قَلْبِي بِمُنْتَصِرٍ
فَأَكْثَرُوا وَأَقْلَوْا مِنْ مَالِكُمْ فَكُلُّ ذَلِكَ مَحْمُولٌ عَلَى الْقَدْرِ

(١) وضعت خدى : كناية عن الخضوع ، وأدنى : أقل ، ويطيف بكم : أراد

من هو من خدمهم وخشمهم (م)

وقوله في البيت الأوسط كقوله :

قلبي إلى ما ضرتني داعي
لقلما أبقى على ما أرى
يُكثِرُ أَسْقَامِي وَأَوْجَاعِي
يوشك أن ينعاني الناعي^(١)
كيف احتراسي من عدوى إذا
كان عدوى بين أضلاعي

وقيل [لعنان] جارية الناطفي : من أشعرُ الناس ؟ قالت : الذي يقول
وأهجركم حتى يقولوا : لقد سَلَا
ولستُ بسالٍ عن هوائك إلى الحُشْرِ
ولكن إذا كان المحب على اندي
يجب شفيقاً نازع الناس بالهجر
وقال [العباس] :

جرى السيلُ فاستبكتني السيلُ إذ جرى
وما ذاك إلا أن تيقنتُ أنه
يكون أجاباً دونكم فإذا انتهى
فيا ساكني شَرِّقِي دجلةَ كلِّكم
وفاصتُ له من مقلتي غروب
يمرُّ بوادٍ أنتِ منه قريب
إليكم تلقى طيبكم فيطيب
إلى القلب من أجل الحبيب حبيب

موازنة
بين العتابي
والعباس

وقال الصولي : ناظر أبو أحمد على بن يحيى المنجم رجلاً يُعرف بالمتفقه
الموصلي في العباس بن الأحنف والعتابي ، فعلم على في ذلك رسالة أنفذها
لعلي بن عيسى ؛ لأن الكلام في مجلسه جرى . وكان مما خاطبه به أن قال :
ما أهل نفسه قطّ العتابي لتقديمها على العباس في الشعر ، ولو خاطبه مخاطبٌ لدفعه
وأنكره ؛ لأنه كان عالماً لا يؤتى من قلة معرفة بالشعر ، ولم أرَ أحداً من العلماء
بالشعر مثل العتابي والعباس ، فضلاً عن تقديم العتابي عليه لتباينهما [في ذلك] ،
وإن العتابي متكلف ، والعباس يتدفق طبعاً ؛ وكلامُ هذا سهلٌ عذب ، وكلامُ
ذاك متعمدٌ كثرٌ ، وفي شعر هذا رقةٌ وحلاوة ، وفي شعر ذلك غلظٌ وجسآوة ،
وشعرُ هذا في فنٍّ واحد وهو الغزل ؛ وأكثرٌ فيه وأحسن ، وقد افتنَّ العتابي فلم
يخرج في شيء منه عملاً وصفناه .

(١) في ديوانه «يوشك أن يعنى بي الناعي» وأحسبه محرفاً عما هنا (م)

وإن من أحسن شعر العتابي قصيدته التي مدح بها الرشيد وأولها :
يا ليلَةَ ليَ في حورانٍ سَاهِرَةً حتى تَكَلِّمَ في الصبحِ العَصَافِيرُ
وقال فيها :

أني الأماقي انقباضٌ عن جفونِهما أم في الجفونِ عَنِ الأماقي تَقْصِيرُ
وهذا البيت أخذته من قول بشار الذي أحسن فيه كل الإحسان وهو قوله :
جَفَّتْ عَيْنِي عن النغمِضِ حَتَّى كَانَّ جَفْوَنَهَا عنها قِصَارُ
فمسخه العتابي ، على أن بشاراً أخذته من قول جميل :

كَانَ الحَبَّ لِطولِ السَّهَادِ قَصِيرُ الجفونِ ولم تَقْصُرِ
إلا أن بشاراً أحسن فيه؛ فنازعهما إياه فأساء ، وإنَّ حقَّ من أخذ معني قدسُبق
إليه أن يصنعه أجود من صنعة السابق إليه ، أو يزيد عليه ، حتى يستحقه ، وأما
إذا قصر عنه فهو مسمى « معيوب بالسرقة » ، مذموم على التقصير .

ولقد هاجى أبا قابوس النصراني فقلَّب عليه في كثير مما جرى بينهما على
ضعف مئة أبي قابوس في الشعر ، ثم قال في هذه القصيدة :

ماذا عسى مادحٌ يُثني عليك وقد ناداك بالوحيِ تقديسٌ وتطهيرُ
فَتَ المادحِ إلا أنَّ السُّننَا مستعلنات بما تُخني الضمائر^(١)
فخم البيت فيها بأثقل لفظة لو وقعت في البحر لكدرته ، وهي صحيحة ،
وما شيء أملك بالشعر بعد صحة المعنى من حُسنِ صحَّة اللفظ ، وهذا عمل التكلف ،
وسوء الطبع .

وللعباس بن الأحنف إحسان كثير ، ولولم يكن إلا قوله :

أنكر الناسُ ساطعَ المسكِ من دجْلةٍ قد أوسعَ المشارِعَ طيبا

(١) الضمائر : أصله الضمائر ، فأشبع كسرة الهمزة فتولدت ياء ، ويقع ذلك في
شعر العرب الفحول وإن كان مستكرها ؛ فمن ذلك قول الفرزدق يصف ناقة :

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة نفي الدراهم تنقاد الصياريف

فالدراهم أصله الدراهم ، والصياريف أصله الصيارف ، فزاد الياء في كل منهما (م)

فهمُ يعجبون منه وما يدُ رُونَ أَنْ قد حَلَمْتُ منه قريبا
 قاسمى هذا البلاء، وإلَّا فاجعلى لى من التعزى نصيبا
 إن بعض العتاب يدعو إلى العتب، ويؤذى به الحب الحيبا
 وإذا ما القلوب لم تُضمر العطف فان يعطف العتاب القلوباً^(١)
 وقوله :

قالت مرضتُ فعدتها فتبرمتُ وهى الصحيحة والمرضى العائدُ
 تالله لو أن القلوب كقلبها مارق للولد الصغير الوالدُ
 إن كان ذنبى فى الزيارة فأعلمى إنى على كسب الذنوب لجاهد^(٢)
 ألتيت بين جفون عيني فرقة فالى متى أنا ساهرٌ يراقدُ
 يقعُ البلاء وينقضى عن أهله وبلاء حُبك كل يوم زائدُ
 سمىك لى ناسٌ وقالوا : إنها لهى التى تشقى بها وتكابدُ
 فحدثهم ليكون غيرك ظنهم إنى ليعجبنى الحب الجاحدُ
 وقوله :

إنى وإن كنت قد أسأت بى اليوم لراج للعطف منك غدا
 أستمع الله بالرجاء وإن لم أر منكم ما أرتجى أبدا
 وله :

أهدتلى له أحبابه أترجةً فبكى وأشفق من عيافة زاجرٍ
 متطيرا منها أنته وجسمها لوان باطنها خلاف الظاهر
 ولئن وفى أبو أحمد العباس حقه ، لقد ظلم العتابى ما كان مستحقه ، من
 سر الكلام ، وجودة رصف النظام . قال الصولى فى نسب العباس - وكان من

(١) لن يعطف العتاب القلوب : لن يميلها (م)

(٢) إن التى تقع اللام فى خبرها مكسورة الهمزة البتة (م)

(٨ - زهر الآداب ٤)

خُوْلته- : هو العباس بن الأحنف بن الأسود بن قدامة بن هيمان من بني [هقان بن

الحارث بن] ذهل بن [الدليل بن] حنيفة . وله يقول الصريح يهجوهُ :

بنو حنيفة لا يَرْضَى الدَّعَى بِهِمْ فَاتْرَكَ حَنِيفَةَ وَأَطْلَبَ غَيْرَهَا نَسَبًا

أذهب إلى عربٍ تَرْضَى بنسبتهم إني أرى لك لونا يشبه العربا

وقال [أبو أحمد : قال] العباس :

حُرِّ دَعَاهُ الْهَوَى سِرًّا فَلَبَّاهُ طَوْعًا فَأَضْحَكَ مَوْلَاهُ وَأَبَاكَاهُ

فشاهدت بالذي يُخْفَى لَوَاحِظُهُ وَعَدَّتْهَا بِقِيضِ الدَّمْعِ عَيْنَاهُ

جَازِيَتِنِي إِذْ رَعَيْتُ الْوَدَّ بِعَدِّكَ أَنْ وَكَلَّتِ طَرْفِي بِنَجْمِ اللَّيْلِ بِرَعَاهُ

اللَّهُ يَشْهَدُ أَنِّي لَمْ أَخْنُكْ هَوَى كَفَاكَ بَيِّنَةٌ أَنْ يَشْهَدَ اللَّهُ

وقال :

يَا مَنْ يُكَاتِمُنِي تَغْيِيرُ قَلْبِهِ سَأُكْفِ نَفْسِي قَبْلَ أَنْ تَتَبْرَمَا^(١)

وَأُصَدِّعُكَ فِي يَدِي بَقِيَّةً مِنْ حَيْلٍ وَدَّكَ قَبْلَ أَنْ يَتَصَرَّمَا

يَا لِلرَّجَالِ لِمَاشِقِينَ تَوَاقَفَا وَتَحَاطَبَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَكَلَّمَا

حَتَّى إِذَا خَافَا الْعَيُونََ وَأَشْفَقَا جَعَلَا الْإِشَارَةَ بِالْأَنَامِلِ سُدَّمَا

وقال :

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا أَرَدْتُ بِهِجْرَكُمْ إِلَّا مَسَاوِرَةَ الْعَدُوِّ الْكَاشِحِ

وَعَلِمْتُ أَنْ تَسْتُرِي وَتَبَاعِدِي أُنَبِّئُ لَوْ صَدِّقْتُكَ مِنْ دُنُوِّ فَاضِحِ

وقال :

يَهِيمُ بِمِحْرَانِ الْجَزِيرَةِ قَلْبُهُ وَفِيهَا عَزَالُ فَاتْرُكْ الطَّرْفَ سَاحِرُهُ

بُؤْأَزِرُهُ قَلْبِي عَلَى وَليْسَ لِي يَدَانِ بَيْنَ قَلْبِي عَلَى يَوْمِ أَزِرُهُ^(٢)

(١) في ديوانه « قبل أن تتبرما » (م)

(٢) في نسخة « يامن يؤازرها قلبي - بلخ » (م)

[العين والقلب]

وقد قال سهل بن هرون :

أعان طرفي على قلبي وأعضائي بنظرة وقفت جسعي على دأني
وكفت غرا بما يجني على بدني لا علم لي أن بعضي بعض أعدائي

وقال النظام :

إن العيون على القلوب إذا جمت كانت بليتتها على الأجساد

البحترى :

ولست أعجب من عصيان قلبك لي حقاً إذا كان قلبي فيك يعصيني

وقال الأصمعي : سمعت الرشيد يقول : قلبُ الداسق عليه مع معشوقه .

قلقت : هذا والله يا أمير المؤمنين أحسن من قول عروة بن حزام لعقراء في أبياته

التي أشدها :

وإني لتعزوني لذكرائك روعةً لها بين جلدِي والعظام ديبُ

وما هو إلا أن أراها فيه فُجاءةً فأبهت حتى لا أكاد أُجيبُ^(١)

وأصرف عن دأني الذي كنت أرتي ويقرب مني ذكره ويغيبُ

ويضمر قلبي غدرها ويغيبها عليّ ، ومالي في الفؤاد نصيبُ

فقال الرشيد : من قال ذلك وهما ، فقد قلته علماً .

[من مآثور الحكم]

قال علي بن عبيدة الريحاني : احمِ ودك فإنه عرضك ، وصن الأنس بك

فإنه يُفزر^(٢) حظك ، ولا تستكثر من الطمانينة إلا بعد استحكام الثقة ؛ فإن

الأنس سريرة العقل ، والطمانينة بذلة المتحابين ، وليس لك بعدها تحفة تمنحها

صاحبتك ، ولا حياءُ توجب به الشكر على من اصطفت .

(١) تحفظي « حتى ما أكاد أجيب » (م) (٢) في نسخة « فإنه يد حظك » وإن

لم تكن طبيعاً فهي معرفة عن « فإنه بدء حظك » (م)

وقال : ما أنصف من عاتب أخاه بالإعراض على ذنب كان منه ، أو هجره
 لخلاف بما يكره عنده ، إذا كان لا يعتد في سالف أيام العشرة إلا بالرضا عنه ،
 ومشاكلته فيما يؤنسه منه . فإن كان العاتب شكاً جميع ما ستره من أخيه أولاً ،
 فلقد تتمَّ الموافقة حظَّ الاغتفار ، وإن لم يكن وفي له بكل ما استحق منه
 فليقتصر بما وجب منه عليه لأخيه بقدر ذنبه ، ثم العودة إلى الألفة أولى من
 تشتت الشمل ، وأشبه بأهل التصافي ، وأكرم في الأحداث عند الناس .

وقال : الحياء لباسٌ سابغ ، وحيجاب وواق ، وسير من المساوى ، وأخو
 العفاف ، وجليف الدين ، ومصاحب بالصنع . ورقيب من العصمة ، وعين
 كالثقة^(١) تذود عن الفساد ، وتنهى عن الفحشاء والأدناس .

وقال : لا يخلو أحد من صبوة إلا أن يكون جاسي الخلق^(٢) ، منقوص
 البنية ، أو على خلاف تركيب الاعتدال .

[الهوى]

ورأى سعيد بن سلم^(٣) بن قتيبة ابناً له قد شرع في رقيق الشعر وروايته ، فأنكر
 عليه ، فقيل له : إنه قد عشق ، فقال : دعوه فإنه يلطف ، وينظف ، ويظرف .
 وقال الفضل بن أحمد بن أبي طاهر^(٤) ، واسم أبي طاهر طيفور : وصف
 الهوى قوم وقالوا : إنه فضيلة ، وإنه ينتج الحيلة ، ويشجع قلب الجبان ،
 ويسخى قلب البخيل ، ويصفى ذهن الغبي ، ويطلق بالشعر لسان المفتح ،
 ويبعث حزم العاجز الضعيف ، وإنه عزيز تذل له عزة الملوك ، وتضرع فيه
 صولة الشجاع ، وتنقاد له طاعة كل ممتنع ، ويدل كل مستعصب ،
 ويبرز كل محتجب ، وهو داعية الأدب ، وأول باب تفتق به لأذهان والفطن ،

(١) كالثقة : حافظة ، كلاًه يكلؤه - من باب فتح - حفظه ورعاه ، وتذود :
 تمنع وتدفع (م) (٢) جاسي الخلق : جافا غليظا (م) (٣) في نسخة « سعيد
 ابن مسلم » (م) (٤) في نسخة « أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر » (م)

وتستخرج به دقائقُ المكايد والحيل ، وإليه تستريح الهمم ، وتسكن نوافرُ الأخلاق والشيم^(١) ، يُمتنع جليسه ، ويؤانس أليفه ، وله سرورٌ يحول في النفس ، وفرحٌ مستكن في القلب ، وبه يتعاطف أهلُ المودّة ، ويتصل أهلُ الألفة ، وعليه تتألف الأشكال ، وله صولاتٌ على القدر ، ومكايدٌ تبطل لطف الحيل ، وظرفٌ يظهر في الأخلاق والحلق ، وأرواحٌ تسطع من أهلها ، وتعبق من ذوبها .

وقال اليماني بن عمرو مولى ذى الرياستين : كان ذو الرياستين يبعثُ بي وبأحداثٍ من أهله إلى شيخٍ بخراسان ويقول : تعلموا منه الحكمة ؛ فكنا نأنيه ، وإذا انصرفنا من عنده اعترضنا ذو الرياستين يسألنا عما أفادنا فنخبره ؛ فسيرنا إلى الشيخ يوماً فقال لنا : أتم أدباء ، وقد سمعتم الحكمة ، وفيكم أحداث ، ولكم نعم ، فهل فيكم عاشق ؟ قلنا : لا ، قال : اعشرا ؛ فإن العشق يُطلق الغبي ، ويفتحُ جبلةَ البليد ، ويسخى كفَّ البخيل ، ويبعثُ على النظافة وحسن الهيئة ، ويدعو إلى الحركة والذكاء ، وشرف الهمّة ، وإياكم والحرام .

قال : فانصرفنا ، فسألنا عما أفادنا في يومنا ؛ فهيناه أن نخبره ، فعزَم علينا . فقلنا له : أمرنا بكذا وكذا ، قال : صدق ، أتعلمون من أين أخذ هذا الأذب ؟ قلنا : لا . قال : إن بهرام جور كان له ابنٌ رشحه للملك من بعده ، فنشأ ساقطاً الهمّة ، حامل المروءة ، دنيء النفس ، سيء الأدب ، كليل القريحة ، كهام الفكر^(٢) ؛ فعنه ذلك ، ووكّل به من المؤدبين والمنجمين والحكماء من يلازمه ويعلمه ، وكان يسألهم فيخسكون له ما يسوؤه ، إلى أن قال له بعض مؤدبيه : قد كنا نحافُ سوء أدبه فحدث من أمره ما صرنا إلى اليأس منه ، قال : وما ذلك ؟ قال : رأى ابنةَ فلان المرزبان فعشقتها فملبت عليه ، فهو لا يهذي إلا بأمرها ، ولا يتشاغلُ إلا بذكرها فقال بهرام جور : الآن رجوتُ صلاحه .

(١) الشيم : جمع شيمة - بكسر الشين - وهي الخصلة والحلة والسجية (م)

(٢) كهام الفكر : ضعيفه متبلده (م)

ثم دعا بأبي الجارية فقال: إني مُسرُّك سرّاً فلا يعدونك^(١). فضمن له ستره فأعلمه أن ابنته قد عشقَ ابنته ، وأنه يريد أن يُنكِحها إياه ، وأمره أن يأخذها بإطاعه بنفسها ، ومراسلته من غير أن يراها ، أو تقع عينه عليها؛ فإذا استحکم طمعه فيهما تجنَّت عليه ، وهجرته ، فإذا استعبتها أعلمته أنها لا تصالح إلا لملك ، أو من همته همة ملك ، وأن ذلك يمنعها من مواصلته ، ثم ليعلمه خبرها وخبره ، ولا يُطلعها على ما أسرَّ إليه ، فقبل ذلك أبوها منه .

ثم قال للمؤدّب : خوفه بي ، وشجّعه على مراسلة الجارية ، ففعل ذلك ، وفعلت الجارية ما أمرها به أبوها ؛ فلما انتهت إلى التجني عليه ، وعلم القتي السبب الذي كرهته من أجله أخذ في الأدب ، وطلب الحكمة ، والعلم ، والفروسية ، ولعب الصّوالجة ، والرماية ، حتى مَهَر في ذلك ، وورّع إلى أبيه أنه يحتاج من المطاعم والآلات والدواب والملابس والوزراء فوق الذي كان له ؛ فسرَّ الملكُ بذلك ، وأمر له بما أراد ، ودعا بمؤدّب به ، فقال : إنَّ الموضوع الذي وُضع ابني نفسه فيه بحبِّ هذه المرأة لا يُزري به^(٢) ؛ فتقدّم إليه أن يرفع أمرها إلىّ ويسألني أن أزوجه إياها ، ففعل : فزوجها منه ، وأمر بتعجيل نقلها إليه ، وقال له : إذا اجتمعت أنت وهي فلا تُحدِثُ شيئاً حتى أصير إليك . فلما اجتمعا صار إليه فقال : يا بني ، لا يضعنّ منها عندك مراسلتها إليك ، وليست في حبالك ، فأنا أمرتها بذلك ، وهي من أعظم الناس منةً عليك ، بما دعتك إليه من طلب الحكمة ، والتخلُّق بأخلاق الملوك ، حتى بلغت الحدَّ الذي تصلحُ معه المُلْكُ بعدي ؛ فزدها في التثريف والإكرام بقدر ما تستحقّ منك . ففعل القتي ذلك ، وعاش مسروراً بالجارية ، وأبوه مسروراً به ، وزاد في إكرام المرزبان ، وورّع مرتبته وشرفه بصيانتته لسره وطاعته ، وأحسن جائزته وجائزة المؤدّب

(١) لا يعدونك : لا يتجاوزنك إلى غيرك ، يأمره بكمتمان السر (م)

(٢) لا يزري به : لا يعيبه ولا ينقصه ولا يضع من قدره (م)

بامثاله أمره ، وعقد لابنه الملك من بعده . قال الهنائي : وكان الشيخ الحسن بن مصعب .

ثم قال ذو الرياستين : قال علي بن بلال :

سبهلك في الدنيا شفيقٌ عليكمُ
إذا غاله من حادثِ الدهرِ غائله
وإنحفي لكم حبا شديداً ورهمة
وللناس أشغالٌ ، وحبك شاغله
كريمٌ يميت السرَّ حتى كأنه ،
إذا استخبروه عن حديثك ، جاهله
يودُّ بأن يمسي عليلاً لعلها
إذا سمعت عنه بشكوى ترأسله
ويرتاحُ للمعروف في طلب الملاء
لتحمد يوماً عند ليلى شمائله^(١)

وذكر أعرابي الهوى فقال : هو أعظمُ مسلكاً في القلب من الروح في الحسم ، وأملك بالنفس من النفس . يظهر ويبطن ، ويكثف ويلطف ، فامتنع عن وصفه اللسان ، وعيى عنه البيان ! فهو بين السحر والجفون ، لطيفُ المسلك والسكؤون . وأنشد :

يقولون لو دبرت بالعقل حبها
ولا خير في حب يدبر بالعقل

[من رسائل الميكالي]

فصل للأمير أبي الفضل الميكالي :

لا زالت الأيام تزيد رتبته ارتفاعاً ، وباعه اتساعاً ، وعزته غلبةً وأمتناعاً ، فلا يبقى مجدٍ لإشيدته معاليه ومكارمه ، ولا ملك إلا أفتزعته صرائمه وصوارمه . وله فصل : لا زالت حياة الأحرار بفضلته متسمة ، ووجوه المكارم بغيرر أيامه مبتسمة ، وأهواء الصدور بخدمة ودّه مراتمة ، [وغنائم الشكر بين محاسن قوله وفعله مقسمة] .

وله : الله يُديم راية الأمير الجليل محفوفةً بالفلج والنصر ، مكنوفةً^(٢) بالعلبة

(١) الشمائل : جمع شمال ، وهي الخصلة ، وقال الشاعر * وما لومي أخي من

شماليا * (م) (٢) مكنوفة : محوطة (م)

والقهر ، حتى لا يزال خطباً إلا تذلت به صعباًه ، ولا يُمارسُ أمراً إلا تيسرتُ
أسبابه ، ولا يروم^(١) حلاً إلا أذعن لهيته وسلطانه ، وخضع لسيفه وسنانه ، وذلَّ
لمقْد لوائه ، ومنذنى عنانه ، إلى أن ينال من آماله أفاصبيها ، ويمسك من كباغيه
أزمتها ونواصيها [ويسامى الثريا بعلو همته ويناصيها] .

وله فصل : إنما أشكو إليك زماناً سلب ضعف ما وهب ، وفجع بأكثر مما
أمتع ، وأوحش فوق ما آنس ، وعنف في نزوع ما ألبس ؛ فإنه لم يُدِقنا حلاوة
الاجتماع ، حتى جرعنا مرارة الفراق ، ولم يمتعنا بأنس الالتقاء ، حتى غادرنا رهن
التلهف والاشتياق ، والحمد لله تعالى على كل حال يُسئ ويسر ، ويخلو ويمر ،
ولا أياس من روح الله في إباحة صنع يجعل ربه مملخي^(٢) ، ويُقصر مدة البعاد
والتراخي ، فألاحظ الزمان بعين راض ، ويُقبل إلى حظي بعد إعراض ، وأستأنف
بعزته عيشاً سانح الذبول والأعطاف ، رقيق المعاني والأوصاف ، عذب الموارد
والمناهل ، مأمون الآفات والغوائل .

وله فصل : أنا أسأل الله تعالى أن يردَّ على برد العيش الذي فقده ، وفسحة
السرور الذي عهدته ؛ فيقصر من الفراق أمده ، ويعلو للالتقاء حكمه ويده ،
ويرجع ذلك العهد الذي رقت غلائله ، وصفت من الأقداء مناهله ، فلم أتهمنا
بعده بأنس مقيم ، ولا تعلقت يوماً إلا بعيش بهميم .

فلو ترجع الأيام بيني وبينه ، بذي الأمل صيفاً مثل صيفي ومربعي
أشدُّ بأعناق النوى بعد هذه مرائر إن جادتها لم تقطع
وما على الله عزير أن يقرب بعيداً ، ويهب طالعا سعيداً ، ويسهل عسيرا ،
وفيك من رق الاشتياق أسيرا .

(١) لا يروم : لا يطلب ، وأذعن : خضع وذلك (م)

(٢) المناخ : موضع الإناخة ، وأصلها برك الإبل ، وأراد بها الإقامة (م)

وله فصل من كتاب إلى أبي منصور عبد الملك الثعالبي :
 قرأتُ خبرَ سلامته ، فَمَسَرَى السَّرورُ في الجَوايح ، واهتَزَّتْ النفسُ له
 اهتِزازَ الغُصنِ تحتِ البارحِ :

أليس لأخبارِ الأَحِبَّةِ فرحَةٌ ولا فرحة العِطشانِ فَاجَأَهُ القَطْرُ
 يقولون : قد أَوْفَى لوقتِ كتابِهِ فتَنَدَشِرُ البشري ويَنشِرُ الحُصْدَرُ
 ثم سألت الله تعالى أن يحرسَ علينا سلامَتَهُ سابقَةَ الملابسِ والمطَّارِفِ ، موصولة
 التاليدِ بالطَّارِفِ .

وله فصل من كتاب تَعزِيَةِ عن أبي العباس بن الإمام أبي الطيب :
 لئن كانت الرِزِيَّةُ مُمِضَّةً مؤلمةً ، وطُرُقُ العِزاءِ والسَلوَةِ مُبْهِمةً ، لقد حَلَّتْ بِساحَةِ
 من لا تَنقِضُ بِأمثالها مَرَّأِرُهُ ، ولا تَضَعُفُ عن احتِمالها بَصائِرُهُ ، قد يَتَلَقَّها
 بصدْرٍ فسيحٍ ، يحمي أن يبيحَ الحُزْنَ جنابَهُ ، وصَبْرٍ مشيحٍ ، يحمي أن يُحِبِّطَ الجِزْعُ
 أجزَرَه وثوابَهُ ؛ كيف لا وآدابُ الدينِ من عنده تُلتَمَسُ ، وأحكامُ الشرعِ من
 لسانهِ ويده تُستَفادُ وتُتَقَبَسُ ، والعيونُ تَرُمُّقُهُ في هذه الحالِ لتَجْرِي على سَنَنِهِ ،
 وتأخِذَ بِآدابهِ وسُنَنِهِ ؛ فإن تَعزَّتْ القلوبُ فيحَسِبُ تَماسكُهُ عزائِها ، وإن حَسنتِ
 الأفعالِ فإلى حميدِ أفعاله ومذاهبه اعتزَّأواها .

[من شعر الميكالي]

جملة من شعره في تحسين القوافي والقرنل

قال :

عذِري من جفونِ رامياتِ بسَهْمِ السَّحْرِ من عيني غزالِ
 غزائي طرفُهُ حتى سَبَّاني لأتصرنَّ منه بمن غزالي

وله أيضاً :

أما حان أن يشفى المُستَهامُ بزورَةِ وَصَلٍ وتأوى له^(١)

(١) في نسخة «أن يشفي المستهام» ولا يستقيم عليها وزن البيت (م)

يجمجم عن سؤله هيبه وعلم علمك تأويله

وقال أيضاً :

شكوتُ إليه ما ألقى فقال لي :
فلو كان حقاً ما ادّعت من الجوى
وقال أيضاً :

تفرّق قلبي في هواه فعنده
إذا ظممتُ نفسي أقول لها: أسقني
فريقٌ وعندي شُبة وفريقٌ
فإن لم يكن راحٌ لديك فريقٌ^(١)
وقال أيضاً :

شافه كفي رشا
فقلت إذ قبلها
بقبلة ما شفت
يا ليت كفي شفتي

وقال :

يا شادناً غاب نجمُ الحسن لولاهُ
ولاهُ رقي ظرفٌ في شمسِ الله
قد كان يوسفُ لما مات ولأه
فاشتطّ في الحكم لولا أن تولاهُ
ارحم فتى مدنفاً ما إن يُخلصه
من غمرةِ الوجدِ إلا أنت واللهُ

[الاهتزاز لقضاء حوائج الناس]

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : حدثني أبو الهيثم بن السندی بن شاهك
قال : قلت في أيام ولايتي الكوفة لرجل من أهلها لا يحفُّ قلمه ولا استريح يده ،
ولا تسكن حركته في طلب حوائج الناس ، وإدخال المنافع على الضعفاء ، وكان رجلاً
مفوهاً : أخبرني عن الشيء الذي هوّن عليك النهب ، وقوّاك على التعب ، ماهو ؟

(١) الراح : الخمر ، وقوله «فريق» مؤلف من الفاء الواقعة في جواب الأمر ،
وكلمة «ريق» وهو ماء الفم ، ويتضمن تشبيهه ريقه بالخرم (م)

قال : قد ، والله ، سمعتُ تغريدَ الأطيارِ بالأسحارِ على أفنانِ الأشجارِ ، وسمعتُ [خَفَقَ] أوتارِ العيدانِ ، وترجيحَ أصواتِ القيآنِ ، فإطربْتُ من صوتِ قطِّ طَرَبِي من ثناءِ حسنٍ ، على رجلٍ قد أحسن ، ومن شاكرٍ مُنعمٍ ، ومن شفاعَةٍ شفيعٍ محتسبٍ لطالبِ ذاكرٍ

فقال أبو الهيثم : ققلت له : لله أبوك ! لقد حُشيتُ كرماً ! فبأى شيءٍ سَهَلتُ عليكِ المُعاوَدَةَ والطلبَ ؟ قال : لا أبلغُ المجهود ، ولا أسألُ إلا ما يجوز ، وليس صدقُ العذرِ بأكرهٍ إليّ من إنجازِ الوعد ، ولستُ لإكراهِ السائلِ بأكرهٍ مني لإجحافِ المسئولِ ، ولا أرى الراغبَ أو جَبَّ حقاً علىّ للذي قدم من حُسنِ ظنه من المرغوبِ إليه للذي احتمل من كله . قال إبراهيم : ما سمعتُ كلاماً قطُّ أشدَّ مؤالفةً لموضعه ، ولا أليقَ بمكانه ، من هذا الكلام .

[بين عميلة الفزاري وأسيد بن عتقاء]

وروى أبو بكر بن شقير النحوي عن أحمد بن عبيد قال :
كان أسيد بن عتقاء الفزاري من أكبر أهل زمانه ^(١) . وأشدّهم عارضةً ولساناً ، وطال عمره ، ونكبه دهره ؛ فاختلفتْ حاله ، فخرج يتقبل ^(٢) لأهله ؛ فمرّ عليه عميلة الفزاري ، فسلم عليه ، وقال : يا عم ؛ ما أشاركُ إلى ما أرى ؟ قال : بُحُلٌ مثلكِ بماله ، وصونٌ وجهي عن مسألة الناس . قال : أما والله لئن بقيتُ إلى غدٍ لأغيرنَّ من حالك ما أرى ، فرجع ابن عتقاء إلى أهله فأخبرهم بما قال عميلة ، فقالوا له : غرّك كلامُ غلامٍ جُنَحَ ظلامٍ فكأنما ألقموا فاهُ حجراً ؛ فبات متململاً بين رجاءٍ ويأسٍ ، فلما كان السحرَ سمعَ رُغاءَ الإبلِ ، وُثغَاءَ الشاءِ ، وصهيل الخيلِ ، ونَجَبَ الأموالِ ، فقال : ما هذا ؟

(١) في الأُمالي (٢٣٧/١) « من أكثر أهل زمانه » (م)

(٢) يتقبل لأهله : يطلب لهم البقل (م)

قالوا : عُمَيْلَةٌ قَدَسَاقُ إِلَيْكَ مَالَهُ ، فخرَجَ ابْنُ عَنقَاءَ لَهُ ^(١) ، فَقَسَمَ مَالَهُ شَطْرَيْنِ ، وَسَاهَمَ عَلَيْهِ ، فَأَنشَأَ ابْنُ عَنقَاءَ يَقُولُ :

رَأَى عَلِيٌّ مَابِي عُمَيْلَةَ فَاشْتَكَى	إِلَى مَالِهِ حَالِي ، أَسْرًا كَمَا جَهَرَ
دَعَانِي فَوَاسَانِي ، وَلَوْ ضَنَّ لَمْ يُبَلِّمْ	عَلَى حِينٍ لَا بَدْوٌ يُرَجَّى وَلَا حَضَرَ
فَقُلْتُ لَهُ خَيْرًا ، وَأَثْنَيْتُ فِعْلَهُ	وَأَوْفَاكَ مَا أَوْلَيْتَ مَنْ ذَمَّ أَوْ شَكَرَ ^(٢)
وَلَمَّا رَأَى الْمَجْدَ اسْتَعْبِرْتُ ثِيَابَهُ	تَرَدَّى بِثَوْبٍ سَابِغِ الذَّبِيلِ وَأَتَزَرَّ ^(٣)
غُلَامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْحَسَنِ يَافِعًا	لَهُ سَيْمِيَاءٌ لَا تَشْقُ عَلَى الْبَصْرِ
كَأَنَّ الثَّرِيَّا عُلَّقَتْ فِي جَبِينِهِ	وَفِي أَنْفِهِ الشُّعْرَى وَفِي خَدِّهِ الْقَمَرُ
إِذَا قِيلَتْ الْعَوْرَاءُ أَغْضَى كَأَنَّهُ	ذَلِيلٌ بِلَا ذُلٍّ ، وَلَوْ شَاءَ لَا تَنْصُرُ

[من غرر اللدائح]

وَأَنشَدَ أَبُو حَاتِمٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ لِلْعَرَنَدَسِ أَحَدِ بَنِي بَكْرِ بْنِ كِلَابٍ يَمْدَحُ بَنِي عَمْرِو الْعَنَوِيِّينَ ، وَكَانَ الْأَصْمَعِيُّ يَقُولُ : هَذَا مِنْ ^(٤) الْحَالِ ، كِلَابِي يُمْدَحُ غَنَوِيًّا !

هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ أَيْسَارُ ذَوُو كَرَمٍ	سُوَّاسُ مَكْرَمَةٍ أَبْنَاءُ أَيْسَارِ
إِنْ يَسْأَلُوا الْعُرْفَ يُعْطَوُهُ ، وَإِنْ خَبَرُوا	فِي الْجَهْدِ أُدْرِكُ مِنْهُمْ طَيْبُ أَخْبَارِ
لَا يَنْطِقُونَ عَنِ الْأَهْوَاءِ إِنْ نَطَقُوا	وَلَا يَمَارُونَ إِنْ مَارَوْا بِإِكْتَارِ
مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقَلُّ لَاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ	مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي
مِنْهُمْ وَفِيهِمْ يُعَدُّ الْخَيْرُ مَتَلِدًا	وَلَا يُعَدُّ نَتَا خَزْيٍ وَلَا عَارِ

[صُرُوفُ الدَّهْرِ]

فصل لبعض الكتاب — ماتعجبك مما لقيت من الخيف ! هل ضمن الدهر أن

(١) في الأماشي « فاستخرج ابن عنقواء ثم قسم ماله شطرين وسأهمه عليه » (م)
 (٢) وفيه « وأوفاك ما أبلت » (م) (٣) وفيه « تردى رداء سابغ الذيل » (م)
 (٤) في الأغاني (١/٢٣٩) : « هذا الحال »

يُنْصِفُ وَلَا يَحِيفُ^(١) ، أَوْ يُبْرِمُ فَلَا يَنْقُضُ ، أَوْ يُعَافِي فَلَا يُمْرِضُ ، أَوْ يَصْفُو
فَلَا يَكْدِرُ ، أَوْ يَنْفِي فَلَا يَغْدِرُ ؟ قَدَّرَ أَنْ تَغْذِبَ لِي مَسَارِبُهُ ، وَتَلِينَ لِي جَوَانِبُهُ ،
فَجَحْمُ الدُّنْيَا لَا تَتْرَكَ حَامِداً لَهَا إِلَّا أَسَكَّتَهُ ، وَلَا ضَاحِكا إِلَّا أَبْكَتَهُ ،
أَقْوَى مَا كَانَ بِهَا ثِقَةً ، وَأَشَدُّ مَا كَانَ لَهَا مِقَّةً^(٢) ، وَأَوْكَدُ مَا كَانَ رُكُونًا إِلَيْهَا ،
وَأَعْظَمُ مَا كَانَ حِرْصًا عَلَيْهَا .

[من لا يُؤِي فِي النِّعَمِ حَقَّهَا]

وقال بعض الكتّاب يصف رجلاً بالذم :

مَا ظَنَنْتُ بِنِ يَعْغِبُ بِالنِّعَمِ عَنَفٌ مِنْ سَاءِ تَهْمٍ مَجَاوِرِ تَهْمِهَا ، وَيَسْتَخْفُ بِحَقِّهَا
اسْتِخْفَافَ مَنْ ثَقُلَ عَلَيْهِ حَمْلُهَا ، وَيَطْرَحُ الشُّكْرَ عَلَيْهَا أَطْرَاحَ مَنْ لَا يَعْلَمُ أَنَّ
الشُّكْرَ يَرْتَبِطُهَا .

[عَوْدٌ إِلَى غُرَرِ الْمَدَائِحِ]

لأبي الشيب

وقال أبو الشيب :

يَا مَنْ تَمَنَّى عَلَى الدُّنْيَا مَبَالَغَةً هَلَا سَأَلْتَ أبا بَشْرٍ فَمُطِطَاهَا
مَا هَبَّتِ الرِّيحُ إِلَّا هَبَّ نَائِلُهُ وَلَا ارْتَقَى غَايَةَ إِلَّا تَخَطَّاهَا
غِيْرَهُ :

طَلَّابُ الْعَلَا إِلَّا عَلَيْكَ بَسِيرٌ وَبَاعُ الْأَعَادِي عَنْ مَدَاكَ قَصِيرٌ
إِذَا عَدَّ أَهْلُ الْفَضْلِ كَدَّتِ الَّذِي لَهُ وَالْفَضْلُ فِيهِ أَوْلُّ وَأَخِيرٌ

لأبي الحجناء

وقال أبو الحجناء الأصغر نصيب يصف إسحاق بن صباح :

كَأَنَّ ابْنَ صَبَاحٍ ، وَكَنْدَةَ حَوْلَهُ إِذَا مَا بَدَأَ ، بَدْرُهُ تَوَسَّطَ أَنْجَمَا
عَلَى أَنَّ فِي الْبَدْرِ الْحَاقِّ ، وَإِنْ ذَا تَمَامٌ فَمَا يَزِدَادُ إِلَّا تَمَمَا

(١) يحيف : يحور ويظلم (م) (٢) المقة : الحب ، أو أشده (م)

ترى المنسبر الغربي يهتز تحتها
فأنت ابن خير الناس إلا نبوة
إذا ما علا أغواده وتكلمنا
ومن قبلها كنت السنام المقدما
ونصيب هو القائل في البرامكة ، وكان منقطعاً إليهم :

لنصيب
في البرامكة

عند الملوك مضرّة ومنافع
إن العروق إذا استسمر بها البترى
وأرى البرامك لا تضره وتنفع
أثّ النبات بها وطاب المزرع^(١)
فإذا جهلت من أمرى أعراقه
وأخذ هذا من قول سلم الخاسر :

لا تسأل المرء عن خلائقه
وقال نصيب في بنى سليمان بن علي :

لنصيب
في بنى سليمان
بن علي

بنى سليمان حزم كل سكرمة
لا تسأل المرء يوماً عن خلائقه
وليس فوقكم فخر لمفتخر
في وجهه شاهد ينيبك عن خير
وأنت سدت جميع الجن والبشر

سأل سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت رجلاً حاجه ، فلم يقضها ،
وسأل آخر ، فقضاها ، فقال للأول :

ذمت ولم تحمد ، وأبت بحاجة
أبي لك فعل الخير رأى مقصر
تولى سواكم شكرها واصطناعها
ونفس أضاق الله بالبخل بأعيا
عصاها ، وإن همت بشراً أطاعها
إذا ما أرادته على الخير مرّة

[فَعَلَاتِ الْأَجْوَاد]

قال رجل لهشام بن عبد الملك : قد افتقرت يا أمير المؤمنين إلى ظهور
حسن رأيك ، فإن رأيت إظهاره بسرور الصديق ، ورغم العدو ، فعلت ،

هشام بن
عبد الملك

(١) في نسخة «أب النبات بها» تطبيع ، وأثّ النبات : كثر والتفت. (م)

قال هشام : أوجزت وملحت فيما سألت ؛ فلا تردّ لك طلبّة ، فما سأله شيئاً إلا أعطاه أكثر منه .

عمرو بن
مسعدة

قال حميد بن بلال : ولي عمرو بن مسعدة فارس وكرمان ، فقال له بعض أصحابه : أيها الأمير ، لو كان الحياء يُظهر سؤالاً لدعاك حيائى من كرمك فى جميع أهليك إلى الإقبال علىّ بما يكثر به حسدُ عدوى ، دون أن أسألك ، فقال عمرو : لا تبتغ ذلك بابتدائك ماء وجهك ، ونحن نُغنيك عن إياقته فى خوض السؤال ، فأزفَع ما تريده فى رُقعة يصل إليك سرّاً ، ففعل .

محمد بن
طيفور

وقال رجل من أهل فارس : قدم على محمد بن طيفور ، وهو عامل على بلاد أصبهان لبعض أهلها : كم تقدرون صلوات محمد فى كلِّ سنةٍ للشراء والتوسلين ؟ قالوا : مائة ألف دينار ، سوى الخلع والحلان^(١) .

وورد عليه يوماً كتابٌ من بعض إخوانه فى شأن رجل استأجبه له فى درجته^(٢) : أنت أعزك الله تعالى أجلّ من أن يتوسّل بغيرك إليك ، وأن يُستأججُ جودك إلاّ بك ، غير أنى أذكرك بكتابى فى أمر حامله ، ما شرع كرمك [من الشكر] وزرع إحسانك من الأجر ، قبل الصادرين والواردين ؛ فهناك الله تعالى ذلك ، ولا زالت يدُ الله بحملى إحسانه ونعمته متواترةً عليك .

فقال محمد للرجل : احتكم لك وله ؛ فأخذ منه ألف دينار ، ولن كتب له مثلها .

إبراهيم بن
المهدى

وقال رجل لإبراهيم بن المهديّ : قد أوحشنى منك تردّدُ غليلٍ فى صدرى أهأبك عن إظهاره ، واجلك عن كشفه ، فقال له إبراهيم : لكنى أكشف لك معروفى ، وأظهر إحسانى ؛ فإن يكن غير هذين فى خلدك ، فأكتب رُقعة يخرج توفيقى سرّاً لتقف على ما تحب ، فبلغ كلامه المهديّ فقال : هذا والله غاية الكرم .

(١) فى نسخة « سوى الخلع والهدايا » (م)

(٢) فى نسخة « استأجبه له فى منزله » (م)

محمد بن طيفور

وكتب محمد بن طيفور لبعض خاصته بمالٍ كثير وصَّاه به ، فكتب الرجلُ إليه : قد استغرقتْ نِعْمَتُكَ وَجُوهَ الشكرِ لك ، وغرَّرتِ الحمدِ فيما سلف منك ، ولولا فرطُ عجزِي عن تلقى ما يجبُ لك من الحمد لقبلتُ ما أفذتته .

فكتب إليه محمد : قد صغرتُ شكرُك لنا ما أسلفناه إليك ؛ فخذُ ما أفذناه ثوابا عن معرفتك بِشُكْرِ التَّافِه^(١) عندي ، وإلاَّ سمحَ شكرُك بما رأيناك له أهلا إلى أن يتسع قبولُ مثلك ما يستحقُّ به جميلُ الدعاء ، وجزيلُ الثناء ، إن شاء الله تعالى .

[من نوادر الرثاء]

ولما مات قِرْدُ زُبَيْدَةَ بنت جعفر ساءها ذلك ، ونالها من الغم ما عرفه الصغير والكبير من خاصتها ، فكتب إليها أبو هارون العبدى :

قرد زبيدة
بنت جعفر

أيتها السيدة الخطيرة ؛ إنَّ مَوْعِ الخُطْبِ بذهاب الصغير المعجب كموقع السرور ينيل الكثير المفرح ، ومن جهل قدرَ التعزية عن التَّافِه الخفي ، عَمِيَ عن التهنئة بالجليل السنِّي ، فلا نقصك اللهُ الزائد في سرورك ، ولا حرَمَكِ أجرَ الداهب من صغيرك .
فأمرتُ له بمجانزة .

وكتب أبو إسحاق الصابي عن ابن بقرية في أيام وزارته إلى أبي بكر بن قريبة يعزِّيه عن نور أبيض بقوله ، وجلس للعزاء عنه ترأفعا وتحمُّقا :

نور ابن
قريبة

التعزية على المفقود أطلال الله بقاء القاضى إنما تكون بحسب محله من فاقده ، من غير أن تُرَاعَى قيمته ولا قدره ، ولا ذاته ولا عينه ؛ إذ كان الغرض فيها تبريد العلة ، وإخماد اللوعة ، وتسكين الزفرة ، وتنفيس الكربة ، فربَّ وَلَدٍ

(١) في نسخة « معرفتك بشكر ما أسديناه »

عاق ، وشقيق مُشَاقِّ ، ودي رحم أصبح لها قاطعا ، [ولأهله فاجعا] ، ووريب قوم قد قلدّم عارا ، وناط بهم سنّارا ، فلا لؤم على ترك التعزية عنه ، وأخر بها أن تستخيل تهنئة بالراحة منه؛ وربّ مالٍ صامتٍ غيرٍ ناطقٍ ، قد كان صاحبه به مستظها ، وله مستثمرا ، فالفجعةُ به إذا فقد موضوعةً موضعها ، والتعزيةُ عنه واقعةٌ منه موقعها . وقد بلغني أن القاضي أصيب بشور كان له ، فجلس للعرض عنه شاكيا ، وأجهش عليه باكيا ، والتدم عليه وإلهاً^(١) ، وحُكيت عنه حكاياتٌ في التأين له ، وإقامة الندبة عليه ، وتعدد ما كان فيه من فضائل البقر التي تفرقت في غيره ، واجتمعت فيه وحده ؛ فصار كما قال أبو نواس ، في مثله من الناس :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد
 لأنه يكرّب الأرض مغمورة^(٢) ، ويثيرها مزروعة ، ويرقص في الدواليب
 ساقيا وفي الأرحاء طاحنا ، ويحمل الغلات مستقلا ، والأثقال مستخفا ؛ فلا يؤوده
 عظيم ، ولا يُعجزه جسيم ، ولا يجرى في الحائط^(٣) مع شقيقه ، ولا في الطريق مع
 رفيقه ، إلا كان جلدا لا يُسبى ، ومبرّرا لا يُلحق ، وفائتا لا يُنال شأوه
 وغايته ، ولا يبلغ مداه ونهايته . ويشهد الله أن ما ساءه ساءني ، وما آلمه آلمني ،
 ولم يجز عندى في حق ودّه استصغارُ خطبٍ جلّ عنده ، فأرقه وأمضه وأقلقه ،
 ولا تهوينُ صعبٍ بلغ منه وأمرضه ، وشقّه وأمرضه ؛ فكاتب هذه الرقعة ، قاضيا
 بها من الحق في مصابه هذا بقدرٍ ما أظهر من إكباره إياه ، وأبان من إعظامه
 له ؛ وأسأل الله تعالى أن يخصّه من المعوضة بأفضل ما خص به البشر ، عن البقر ،
 وأن يُفرد هذه البهيمة العجاء بأثرة من الثواب ، يضيفها إلى المكلفين من أهل

(١) في نسخة « ولها » بدون ألف ، وليست بشيء ، يقال : وله الرجل يله - مثل وعد يعده ، ووله يوله - مثل وجل يوجل - فهو ولهان ، وواله ، وآله ، والواله : الشديد الحزن (م) (٢) يكرّب الأرض : يثيرها للزرع ، وفي نسخة « معمورة » بالعين مهملة (م) (٣) الحائط : البستان (م)

الألباب^(١)؛ فإنها وإن لم تكن منهم، فقد استحققت ألا تُفرد عنهم، بأن منس القاضى سببها، وصار إليه مُنْتَسِبُها، حتى إذا أنجز اللهُ ما وعد به [عباده المؤمنين] من تمحيص سيئاتهم، وتضعيف حسناتهم، والإفضاء بهم إلى الجنة التى رَضِيها لهم داراً، وجعلها لجماعتهم قرآراً؛ وأورد القاضى - أيدى الله تعالى - موارد أهل النعيم، مع أهل الصراط المستقيم، جاء وتَوَزَّه هذا مجنوبٌ معه، مسموح له به؛ وكما أن الجنة لا يدخلها الخبث، ولا يكون من أهلها الحدث، ولكنه عَرَقٌ يجرى من أعراضهم، كذلك يجعلُ اللهُ تَوَزُّ القاضى مركبا من العنبرِ الشَّخْرِى، وماء الوَرْدِ الجُورَى؛ [فيصير تورا له طورا؛ وجُونةَ عَطْرِ^(٢) له طورا] وليس ذلك بمستبعد ولا مستنكر، ولا مستصعب ولا متعذر؛ إذ كانت قدرةُ اللهِ بذلك محيطَةً، ومواعيدهُ لأمثاله ضامنة، بما أعدَّه اللهُ فى الجنة لعباده الصادقين، وأوليائه الصالحين؛ من شهوات أنفسهم وملاذ أعينهم، وما هو سبحانه مع غامر فضله وفائض كرمه، بمانعه ذلك مع صالح مساعيه، ومحمود شيمه؛ وقلى متعلق بمعرفة خبره، أدام اللهُ عزَّه فيما ادَّرعه من شعار الصبر، واحتفظ به من إيثار الأجر، ورفع إليه من السكون لأمرِ اللهِ تعالى فى الذى طَرَّقَه، والشكر له فيما أزعجه وأقلقه، فليعرفنى القاضى من ذلك ما أكونُ ضاربا معه بسهمِ المساعدة عليه، وأخذنا بِقِسْطِ المشاركة فيه.

فصل من جواب أبى بكر: وصل توقيعُ سيدنا الوزير أطلال اللهُ بقاه، وأدام تأييده ونعاه، وأكمل رفعتَه وعُلاه، وحرس مُهْجته ووقاه، بالتعزية عن الثور الأبيض، الذى كان لاجترثٍ مثيراً، وللدواليب مُدِيراً، وبالسبق إلى سائر المنافع شهيراً، وعلى شدائد الزمان مُساعدا وظهيراً^(٣). لعمرُك لقد كان بِعَمَلِهِ

(١) فى نسخة « من ذوى الألباب » والألباب: العقول، واحدها لب (م)

(٢) الجونة - بضم الجيم - سلة صغيرة تغطى بالجلد، تكون مع العطارين (م)

(٣) ظهيرا: معينا

ناهضاً، ولحافات البقر رافضاً، وأنى لنا بمنله وشرواه^(١)، ولا شروى له؛ فإنه كان من أعيان البقر، وأنفع أجناسه للبشر، مضاف ذلك إلى خلاتٍ لو لا خوفي من تجدد الحزن عليه، وتهيبج الجزع وانصرافه إليه لعددتها؛ ليعلم - أدام الله عزه - أن الحزينَ عليه غيرُ مَلُومٍ. وكيف يُلام امرؤٌ فقد من ماله قطعةٌ يجب في مثلها الزكاة، ومن خَدم معيشته بهيمة تُعين على الصوم والصلاة، وقد احتذيتُ مأمثله الوزير من جميل الاحتساب، والصبر على المصائب؛ فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون قول من علم أنه أملك لنفسه وماله وأهله^(٢) وأنه لا يملك شيئاً دونه؛ إذ كان جلُّ ثناؤه، وتقدّست أسماؤه، هو الملك الوهاب، المرّجع ما ارتجع بما يعوض عليه نفيس الثواب. وقد وجدت - أيد الله الوزير - للبقر خاصةً فضيلةً على سائر بهيمة الأنعام، تشهد بها العقول والأفهام، وذَكَر جملة من فضائلها.

وكانَ أبا نواس في قوله :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

نظّر في هذا المعنى إلى قول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

[عوّذاً إلى المختار من الرئاء]

وقالت امرأة من العرب، يقال: إنها امرأة العباس عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ترفى بذبيها^(٣) :

رَعَوْا من المجدأ كفافاً إلى أجل حتى إذا كملت أظهاؤهم وردّوا

ميتٌ بصر، وميتٌ بالعراق، وميتٌ بالحجاز، منايًا بينهم بدد

كانت لهم همم فرّقن بينهم إذا التقاديدُ عن أمثالهم قعدوا

(١) الشروى - بفتح الشين وسكون الراء - المثل، والنظير، وفي نسخة

« وأنى لنا بمنله وشرائه وهو لا يشرى » تحريف (م)

(٢) في نسخة « قول من علم أن المرء لا يملك نفسه وماله وأهله، بل لا يملك

شيئاً دونه » (٣) تنسب هذه الأبيات أيضاً إلى فاطمة بنت الأحجم الخزاعية (م)

بَثَّ الجليل، وتفريج الجليل، وإعطاء الجزيل الذي لم يُعْطِه أحدُ
وقال عبدة بن الطيب في قيس بن عاصم :

عليك سلام الله قيسُ بنَ عاصمٍ ورحمتهُ ماشاء أن يترحمها
تحية من ألبسته منك نعمة إذا زار عن شحطِ بلادك سلماً^(١)
فما كان قيسُ هُلكهُ هُلكَ واحدٍ ولكنه بُنيانُ قومٍ تهتما
وقيس بن عاصم هو القائل :

إني امرؤٌ لا يَعتري حَسبي دنسٌ يُغَيِّره ولا أفنٌ
من مَنقرٍ في بيتٍ مكرمةٍ والأصل يَنبتُ حوله الغُضنُ^(٢)
حُطباء حين يقول قائلهم بيضُ الوجوهِ أَعفَى لُسنُ^(٣)
لا يَفيطنون لعيبِ جارهم ومُهمُّ الحُسنِ جواره فُظنُ

وقالت أختُ الوليد بن طريف الشيباني ترميه :

أيا شَجَرَ الخابورِ مالكٌ مُورِقا كأنك لم تجزَعِ على ابنِ طَريفِ
فَتَى لا يَعدُّ الزادَ إلا من التقي ولا المالَ إلا من قنأ وسيوفِ
عليك سلامُ الله وقفا؛ لأنني أرى الموتَ وقاعاً بكلِّ شريفِ
فقدناك فقدانُ الربيعِ، وليتنا فدَيِّناك من فتياننا بألوفِ

وخرج الوليد في أيام الرشيد، فقتله يزيد بن مزيد، وفي ذلك يقول بكر

ابن النطاح الحنفي :

يا بني تغلب لقد فجعتمكمُ من يزيدِ سيوفهُ بالوليدِ
لَوْ سيوفُ سوى سيوفِ يزيدِ قارَعتهُ لاقَتْ خِلافِ السعودِ
واترَ بعضُها يقتل بعضاً لا يفلُ الحديدَ غيرُ الحديدِ

(١) في نسخة « تحية من غادرته غرض الردي » (م)

(٢) في الأمامي (٢٣٩/١) « والفرع ينبت حوله » (م)

(٣) وفيه « مصافح لسن » (م)

لأخت الوليد
ابن طريف

بكر بن
النطاح

[من شعر بكر بن النطاح]

وكان بكر كثير التعصب لربيعة والمدح فيهم، وهو القائل:

ومن يفتقر منا يعش بحسامه ومن يفتقر من سائر الناس يسأل
ونحن ووصفنا دون كل قبيلة بشدة بأس في الكتاب المنزل
وإنا لنلهو بالسيوف كما هت فتاة بعقد أو سخاب قرنفل^(١)

يريد قول الله عز وجل: «ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد». جاء في

بعض التفاسير أنهم بنو حنيفة قوم مسيلة الكذاب.

وبكر القائل أيضا في أبي دلف:

يا عصمة العزب الذي لو لم يكن حيا لقد كانت بغير عماد
إن العيون إذا رأتك حدادها رجعت من الإجلال غير حداد
وإذ رميت النفر منك بقرمة فتحت منه مواضع الأسداد
فكان رمحك منفع في عضفري وكان سيفك سل من فرصاد
لو صال من غصبي أبودلف على بيض السيوف لذبني في الأعماد
أذكي وأوقد للعداوة والقرى نارين نار وغي ونار زناد

نسب أبي دلف
العجلي

وأبودلف هو القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل بن عمير بن شنج بن

معاوية بن خزاعي بن عبد العزى بن دلف بن جشم بن قيس بن سعد بن مجمل

ابن لجيم.

وقد رويت الأبيات التي مرت لأخت الوليد بن طريف لعبد الملك بن

بجرة العيزي.

وقال أبو هفان واسمه منصور بن بجرة، قال: أنشدني دعبل لنفسه:

لدعبل الخزاعي

وداعك مثل وداع الربيع وقصدك مثل افتقاد الدائم

(١) السخاب - بزنة الكتاب - قلادة ليس فيها جوهر (م)

عليك السلام فكم من وفاء أفارق منك وكم من كرمٍ
فقلت : أحسنت ، ولكن سرقت البيتين من ربيعيين : الأول من قول
القطامي :

ما للكواعب ودّ عن الحياة كما ودّ عنّي واتخذن الشيب ميعادي
والثاني من قول ابن بجرة :

* فقدناك فقدان الربيع وليتنا *

وأشد البيت . فقال : بلى ، والله سرق الطائي من ابن بجرة بيتنا كاملاً فقال :
عليك سلامُ الله وقفا فإنني رأيت الكريم الحر ليس له عُمر
كذا وردت الحكاية من غير وجه ، وكان يجب إذا كان من ربيعيين
أن يكون « فقدناك فقدان الربيع » لأخت الوليد .

وقد قال السموءل في قصر العمر :

يقرب حبّ الموتِ آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فنطولُ
وقال ابن قتيبة : أخذ النخعي قوله : « أيا شجر الخابور » من قول الجن في
عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

وفاء عمر
ابن الخطاب

أبعد قتيلٍ بالمدينة أظلمت له الأرض تهتزّ العِضاهُ باسئوُقِ
وقد أنشده أبو تمام الطائي للشماخ في أبيات أولها :

جزى الله خيراً من أميرٍ وباركت يدُ الله في ذاك الأديم الممزقِ

[ومن يَسعُ أو يركبُ جناحى نعامةٍ ليدرك ما قدمت بالأمس يُسبِقُ]

قضيتَ أموراً ثم غادرتَ بعدها نوافيج في أكمامها لم تفتق^(١)

وما كنتُ أخشى أن تكونَ وفاتهُ بكفى سبنتى أزرق العين مُطرق

تظل الحصانُ البكر تلقى جنينها ثنا خسر فوق المطى معلق

(١) النوافج : جمع نافلة ، وهى وعاء السك ، والأكام : جمع كم - بكسر
الكاف - وهو وعاء الطلع ، وهو أيضاً العلاف الذى ينشق عن الثمر ، وبرى
«بوائق فى أكمامها» والبوائق : جمع بائقة ، وهى الداهية والشر ، ولم تفتق : لم تفتح (م)

وقد قال بشار قريباً من قوله : [ولا المال إلا من قنا وسيوف] : لبشار

على جَنَبَاتِ الْمَلِكِ مِنْهُ مَهَابَةٌ وفي الدرع عَيْلُ السَّاعِدِينَ قَرُوعُ
إِذَا اخْتَزَنَ الْمَالَ الْبَخِيلُ فَإِنَّمَا خَزَائِنُهُمْ خَطَّيَةٌ وَدُرُوعُ
وهذا كقول أبي الطيب المتنبي في فاتك الإخشيدي :

كُنَّا نَنْظُرُ دِيَارَهُ مَمْلُوءَةً ذَهَبًا فَمَاتَ وَكُلُّ دَارٍ بَدَقِعُ
وَإِذَا الْمَكَارِمُ وَالصَّوَارِمُ وَالقَنَا وَبَنَاتُ أَعْوَجَ كُلِّ شَيْءٍ يَجْمَعُ^(١)
ومن بارع هذا النحو قول عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي :

وَإِنِّي لِأَرْبَابِ الْقُبُورِ لِفَاطِمٌ لَسُكْنِي سَعِيدٍ بَيْنَ أَهْلِ الْمَقَابِرِ
وَإِنِّي لِمَجْرُوعٌ بِهِ إِذْ تَكَاثَرَتْ عِدَائِي وَلَمْ أَهْتَفْ سِوَاهُ بِنَاصِرِ
وَكَانَتْ كَمَغْلُوبٍ عَلَى نَصْلِ سَيْفِهِ وَقَدْ حَزَّ فِيهِ نَصْلُ حَرَآنِ بَاتِرِ
أَتَيْنَاهُ زُورًا فَأَجْمَدْنَا قَرَى مِنَ الْبَثِّ وَالْدَاءِ الدَخِيلِ الْخَامِرِ
وَأُبْنًا يَزْرَعُ قَدِ نَمَّا فِي صَدُورِنَا مِنَ الْوَجْدِ يُسْقَى بِالْدمُوعِ الْبُؤَادِرِ
وَلَمَّا حَضَرْنَا لِاقْتِسَامِ تُرَائِهِ أَصْبْنَا عَظِيمَاتِ الْأَهَى وَالْمَائِرِ^(٢)
أَي لَمْ نَصِبْ مَالًا، وَلَكِنَّا أَصْبْنَا فَعَالًا.

[من كلاب الأعراب]

دخلت أعرابية على عبد الله بن أبي بكرة بالبصرة، فوقفت بين السماطين^(٣)،
فقال: أصلح الله الأمير، وأمتع به؛ حدرتنا إليك سنةً أشدَّ بلاؤها،
وانكشف غطاؤها، أقودُ صبيةً صغاراً، وآخرين كباراً، في بلد شاسعة،
تَحْفِضُنَا خَافِضَةً، وَتَرْفَعُنَا رَافِعَةً، لِمَلَمَاتٍ مِنَ الدَّهْرِ بَرَّيْنِ عَظْمِي، وَأَذْهَبِينَ
لِحِي، وَتَرْكُنَنِي وَالْهَمَةَ أَدُورُ بِالْحَضِيضِ، وَقَدْ ضَاقَ بِي الْبَلَدُ الْعَرِيضُ، فَسَأَلْتُ
فِي أَحْيَاءِ الْعَرَبِ: مَنْ الْكَامِلَةُ فَضَائِلُهُ، الْمُعْطَى سَائِلُهُ، الْمَكْفِيُّ نَائِلُهُ^(٤)؛

(١) الصوارم: السيوف، واحدها صارم، وبنات أعوج: الخيل العربية
الأصيلة (م) (٢) اللها - بضم اللام - العطايا الجزيلة (م)
(٣) السماط - بزنة الكتاب - الصف (م) (٤) في نسخة «الكافي نائله» (م)

فَدَلَّكَ عَلَيْكَ - أَصْلَحَكَ اللَّهُ تَعَالَى - وَأَنَا امْرَأَةٌ مِنْ هَوَازِنَ ؛ وَقَدْ مَاتَ الْوَالِدُ ،
وَوَجِبَ الرَّافِدُ ، وَأَنْتَ بَعْدَ اللَّهِ غِيَانِي ، وَمَنْتَهَى أَمَلِي ، فَافْعَلْ بِي إِحْدَى ثَلَاثَ :
إِمَّا أَنْ تَرُدَّنِي إِلَى بَلَدِي ، أَوْ تَحْسِنَ صَفَدِي ^(١) . أَوْ تَقِيمَ أَوْدِي ! فَقَالَ : بَلْ أَجْمَعُهَا
لَكَ ، فَلَمْ يَزَلْ يُجْرِي عَلَيْهَا كَمَا يُجْرِي عَلَى عِيَالِهِ ، حَتَّى مَاتَتْ .

أعرابي بيباب
عبيد الله بن زياد

قَالَ الْعَتَبِيُّ : وَقَفَ أَعْرَابِيٌّ بِيَابِ عَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ ، فَقَالَ : يَا أَهْلَ
الْعَضَاةِ ^(٢) ، حَقَّبَ السَّحَابَ ^(٣) ، وَانْقَشَعَ الرَّبَابُ ^(٤) ، وَاسْتَأْسَدَتِ الدُّنَابُ ،
وَرَدَمَ التَّمَدُّ ، وَقَلَّ الْخَفْدُ ^(٥) ، وَمَاتَ الْوَالِدُ ، وَكُنْتُ كَثِيرَ الْعُقَاةِ ، صَخِبَ
السَّقَاةُ ، عَظِيمَ الدَّلَاةِ ^(٦) ، لَا أَنْضَاعِلُ لِلزَّمَانِ ، وَلَا أَحْفَلُ بِالْحِدْمَانِ ، حَتَّى
حَلَّالٌ ^(٧) ، وَعَدَدُ وَمَالٌ ، فَتَفَرَّقْنَا أَيْدِي سَبَابًا ، بَعْدَ فَقْدِ الْأَبْنَاءِ وَالْآبَاءِ ؛ وَكُنْتُ
حَسَنَ الشَّارَةِ ، خَصِيبَ الدَّارَةِ ، سَلِيمَ الْجَارَةِ ، وَكَانَ مَحَلِّي رَحْمِي ، وَقَوْمِي
أُسَى ، وَعَزْمِي جَدًّا ؛ قَضَى اللَّهُ وَلَا رُجْعَانَ لِمَا قَضَى ، بِسَوَافِ الْمَالِ ^(٨) ،
وَشَتَاتِ الرَّجَالِ ، وَتَغْيِيرِ الْحَالِ ، فَأَغْيِثُوا مَنْ شَخَّصَهُ شَاهِدُهُ ، وَسَانَهُ وَافِدُهُ ،
وَقَفَرَهُ سَائِقُهُ وَقَائِدُهُ .

[من مقامات بديع الزمان]

المقامة البصرية

وَمِنْ مَقَامَاتِ الْإِسْكَانْدَرِيِّ مِنْ إِنْشَاءِ بَدِيعِ الزَّمَانِ ، قَالَ :
حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ ، قَالَ : دَخَلْتُ الْبَصْرَةَ وَأَنَا مِنْ سَنِيٍّ فِي فِتَاءٍ ^(٩) ، وَمِنْ
الرَّيِّ فِي حَبْرٍ وَوِشَاءٍ ^(١٠) ، وَمِنْ الْغَفَى فِي بَقَرٍ وَوِشَاءٍ ؛ فَأَتَيْتُ الْمُرَيْدَ مَعَ رُقْمَةَ
تَأْخِذَهُمُ الْعِيُونَ ، وَدَخَلْنَا غَيْرَ بَعِيدٍ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْمُنْتَهَزَاتِ ، وَمَشِينَا فِي تِلْكَ الْمَتَوَجِّهَاتِ ،
وَمَلَكْتْنَا أَرْضٌ فَخَلَّلْنَاهَا ، وَعَمَدْنَا لِقِدَاحِ اللَّهِو فَاجْلَنَّاهَا ، مُطَّرِحِينَ لِلْحِشْمَةِ ،

- (١) الصفد - بالتحريك - العطاء ، والأود - بالتحريك - العوج (م)
(٢) الغضارة : النعمة (م) (٣) حَقَّبَ السَّحَابَ : احْتَبَسَ ، وَالرَّابِدُ الْمَطَرُ (م)
(٤) الرَّبَابُ : الْأَبْيَضُ مِنَ السَّحَابِ (م) (٥) الْخَفْدُ : الْأَعْوَانُ وَالْأَنْصَارُ (م)
(٦) الدلالة : جمع دال ، وهو المستقي بالدلو من البئر (م) (٧) حَلَّالٌ : مَقِيمُونَ (م)
(٨) سَوَافِ الْمَالِ : هَلَكَه (م) (٩) فِتَاءُ السَّنِ : مَيْعَتُهُ وَنَضَارَتُهُ (م)

(١٠) الْحَبْرُ : جَمْعُ حَبْرَةٍ - بوزن عنبية - وهو ضرب من الوشي ، والوشاء :

نوع من اللباس مطرز (م)

إذ لم يكن فينا إلاماً ، فما كان إلا بأسرع من ارتداد الطرف حتى عن لنا
سواداً ، تخفضه وهاد ، وترفعه نجاد ، وعلمنا أنه بهم بنا ، فأتلعنا^(١) له ، حتى
انتهى إلينا^(٢) سيره ، ولقينا بتحية الإسلام ، ورددنا عليه مقتضى السلام ؛
ثم أجال فينا طرفه وقال : يا قوم ؛ ما منكم إلا من يلحظني شزراً ،
ويوسعي زجراً^(٣) ، ولا يذبكم غنى ، بأصدق مني ؛ أنا رجل من أهل الإسكندرية ،
من الثغور الأموية ، قد وطأ لي الفضل كنفه ، ورحبت بي عبس ، وتمامي
بيت ، ثم جمّع بني الدهر عن نمة ورمه^(٤) ، وأتلاني زغاليل حمر^(٥) الحواصل :

كأنهم حياتُ أرضٍ محلّةٍ فلو يعضّون لدكّ ستمهم
إذا نزلنا أرسلوني كاسباً وإن رحلنا ركبوني كلهم

ونشزت علينا البيض^(٦) ، وشمست منا الصفر ، وأكلتنا السود^(٧) ، وحطمتنا الحجر ،
وانتابنا أبو مالك ، فما تلقأنا أبو جابر إلا عن عفر^(٨) ، وهذه البصرة ماؤها هضوم ،
وقفيرها مهضوم ، والمره من ضرسه في شغل ، ومن نفسه في كل ، فكيف بمن :

يُطوّف ما يُطوّف ثم يَأوى إلى زغبٍ مُحدّدة العيون
كسأهنّ البليّ شعنا فتُمسي جِياعِ النَّابِ ضامِرة العيون

ولقد أصبَحنَ اليومَ وقد سرّخنَ الطرفَ في حيّ كميّتٍ ، وفي بيتِ كلا
بيت ، وقلبن الأ كفّ على ليّت ، فقضضنَ عقد الضلوع ، وأفضنَ ماء الدموع ،
وتدأعنَ باسمِ الجوع :

والفقرُ في زمنِ النسا م لكلّ ذي كرمٍ علامه

(١) أتلعنا : استشرفتنا ومددنا أعناقنا نحو (م) (٢) في نسخة «فأداه إلينا» (م)

(٣) في نسخة «ويوسعي حزرا» (م) (٤) نمة ورمه : قليله وكثيره (م)

(٥) أتلاني : أتبعني ، وزغاليل : أراد بهم أطهاله ، وحمر الحواصل : كناية

عن صغرم (م) (٦) البيض : الدراهم لسكونها من فضة ، والصفر : الدنانير لسكونها

من ذهب ، والنشوز والشماس بمعنى الفراق (م) (٧) السود : الليلي ، والحجر :

السنوات المجذبة ، وأبو مالك : الفقر (م) (٨) وأبو جابر : الحير ، ومانلقانا إلا عن

عفر : يعني كل حين مرة (م)

وقد اخترتكم يا سادة ، ودلتني عليكم السعادة ، وقلت^(١) : قسما ، إن فيهم
شيمًا ، فهل من فتى يعيشين ، أو يُعشَّين ؟ وهل من حرٍّ يقدِّين ، أو يرديين ؟
قال عيسى بن هشام : فوالله ما استأذن على سمعي كلامٌ رائعٌ أربع مما سمعت ،
لا جرمَ أنا استمخنا الأوساط ، ونفضنا الأكلام ، وبخشنا الجيوب^(٢) ؛ وأنلتُهُ
مُطْرَفِي ، وأخذت الجماعةُ أخذى ، وقلنا له : الحقُّ بأطفالك ، فأعرض عَنَّا بعد
شكر وفاء ، ونشر مَلَأَ بِهِ فَاهُ .

[من رسائل البديع]

ورسالة منه
لبعض الرؤساء

ومن رسائله إلى بعض الرؤساء :

خُلقت - أطال الله بقاء السيد وأدام تأييده - مشروحَ جَنَانِ الصدر ، جموحَ
عِنَانِ الحِلْمِ^(٣) ، فسيحَ رُقعةِ الصدر :
حَمُولاً صبوراً لو تَعَمَّدَنِي الردى لَسِرْتُ إليه مُشْرِقَ الوَجْهِ راضياً
أولفاً وفيّاً لو رُدِدْتُ إلى الصَّبَا لفارقتُ شَيْبِي مُوجِعَ القلبِ بِأَكْبَا
والله لأحيلنَّ السيد على الأيام ، ولأَكَلَنَّ استحالةَ رأيهِ فيَّ على الليالي ،
ولا أزال أصفيه الولاء ، وأسنيه الثناء ، وأفرش له من صدرى الدَّهْنَاء ، وأُعيره
أذنا صماء ، حتى يعلم أىَّ عِلْقٍ ياع ، وأىَّ فتى أضاع ، وليقفنَّ موقفَ اعتذار ،
وليعلمنَّ بِنُصْحِ أُنَى الواشونِ أمْ بِجُبُولِ^(٤) ، ولا أقول : يا حالفِ اذْكَرِ حِلًّا ،
ولكن يا عاقِدِ^(٥) اذْكَرِ حِلًّا ، ولست كمن يشكو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
أذى رَهْطِهِ ، وَيَسْتَأقُ إلى رمى يزيدٍ لِسِبْطِهِ^(٥) ، ولكنى أقول :

هنيئاً مريئاً غيرَ داءِ مُخَاوِرٍ لِعِزَّةٍ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتِ

(١) في نسخة « ونختنا الجيوب » تحريف ، وبخشنا الجيوب : تفتيشها (م)

(٢) في نسخة « جموح عنان القلم بحلم فسيح رقعة الصدر » (م)

(٣) هذا عجز بيت لكثير عزة ، وصدره * فلا تعجل ياعز أن تفهمني *

(٤) في نسخة « يا عاقِر » تحريف (م) (٥) في نسخة « ويشتاق » بالشين معجمة ،

وفي الرسائل (بيروت ١٤٠) « لو يستاق إلى الكفر من يدي سبطه » وسبطه :

هو الحسن بن علي ، رضى الله عنهما (م)

وأنا أعلم أن السيد لا يخرج عن تلك الحلية ، بهذه الرقبة ، وأن جوابه
أحسن من لقائه ، فإن نشط للاجابة فلتكن المحاطبة قرأت رقتك ، فهو أخف
مؤنة ، وأقل تبعه .

رسالة منه
إلى الشيخ
العميد

وله إلى [الشيخ] العميد :

أنا - أطال الله بقاء الشيخ العميد - [مع إخوان نيسابور] في ضيعة
لا فيها أعان ، ولا عنها أمان ، وشيمة ليست بي تغط ، ولا عني تغط ،
وحرقة لا عني تزال ، ولا فيها أدال ، وهي الكذبة التي علي تبعها ، وليس لي
منفعتها ، فهل للشيخ العميد أن يلفظ بصنيعه لطفاً يحط عنه درن العار ، وشيمة
التكسب بالأشعار^(١) ، ليخف على القلوب ظلمه ، ويرتفع عن الأحرار كله^(٢) ، ولا
يشقل على الأجنان شخصه ، بإتمام ما كان عرضة عليه من أشغاله ، ليعلق بأذياله ،
ويستفيد من خلاله ؛ فيكون قد صان العلم عن ابتداله ، والنضل عن إذلاله^(٣) ،
واشترى حسن الثناء بجاهه ، كما يشتره بماله ، والشيخ العميد فيما يوجهه من وعد
يعتمده ، ووفاء يتلو ما يعده ، عالٍ رأيه إن شاء الله .

[عود إلى غرر المديح]

لأبي العباس
الناشيء

وقال بعض أهل العصر، وهو أبو العباس الناشيء ، يمدح سعد الدولة أبا المعالي

شريف بن سيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان :

كأن مرآة فهم الدهر في يده يرى بها غائب الأشياء لم يغيب
ما يرفع الفلك العالی سماء علاً إلا علاها شريف كوكب العرب
يا من بعين الرضا يلقى مؤمله والبخل يطبق أجفانا على الفصب
لو يكتب الملك أسماء الملوك إذا أعطاك موضع بسم الله في الكتب

(١) في الرسائل (بيروت ١٦١) « وصمة التكسب بالأشعار » (م)

(٢) الكل - بفتح الكاف - الثقل (م) (٣) في الرسائل « فيكون قد صان

الفضل عن ابتداله ، والأدب عن إذلاله » (م)

غَرَبَتْ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْكَ مَكْرَمَةٌ فَلَيْسَ ذِكْرُكَ فِي أَرْضٍ بِمُخْتَرِبٍ
بَيْتَهُ الْأَوَّلُ كَقَوْلِ الْقَائِلِ :

أَطَّلَ عَلَى الْأَشْيَاءِ حَتَّى كَأَنَّمَا لَهُ مِنْ وَرَاءِ الْغَيْبِ مُقَالَةٌ شَاهِدٍ
[وَكَأَنَّ قَالَ] أَبُو تَمَامٍ الطَّائِي :

أَطَّلَ عَلَى كِلَا الْأَقْفَيْنِ حَتَّى كَأَنَّ الْأَرْضَ فِي عَيْنَيْهِ دَارٌ^(١)
وَأَفْرَطُ ابْنُ الرَّومِيِّ فَقَالَ :

أَحَاطَ عِلْمًا بِكُلِّ خَافِيَةٍ كَأَنَّمَا الْأَرْضُ فِي يَدَيْهِ كُرَةٌ
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ وَهَيْبٍ :

عَلِمْتُ بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ، كَأَنَّمَا يَخَاطِبُهُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَوَاقِبُهُ
وَقَالَ بَعْضُ شُعْرَاءِ بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ :

وَقُوفُكَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ أَقْرَبُ الْخِلَافَةِ فِي دَارِهَا
كَأَنَّكَ مُطَّلِعٌ فِي الْقُلُوبِ إِذَا مَا تَنَاجَتْ بِأَسْرَارِهَا
وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ لِلْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ :

كَأَنَّكَ عَيْنٌ فِي الْقُلُوبِ بَصِيرَةٌ تَرَى مَا عَلَيْهِ مُسْتَقِيمٌ وَمَائِلٌ
وَقَالَ فِي سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ :

يُنَالُ بِالظَّنِّ مَا فَاتَ الْيَقِينَ بِهِ إِذَا تَلَبَّسَ دُونَ الظَّنِّ إِيقَانٌ
كَأَنَّ آرَاءَهُ وَالظَّنَّ يَجْمَعُهَا تُرِيهِ كُلَّ خَفِيٍّ وَهُوَ إِعْلَانٌ^(٢)
مَا غَابَ عَنْ عَيْنِهِ فَالْقَلْبُ يَذْكُرُهُ وَإِنْ تَنَمَّ عَيْنُهُ فَالْقَلْبُ يَقْظَانُ

وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّكَاتِبِيُّ يَمْدَحُ عَبِيدَ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ [بَنِي
وَهَبِ الْوَزِيرِ] :

لأحمد بن
محمد يمدح
ابن وهب

(١) يريد أن الأرض بالنظر إلى علمه بما يقع في أرجائها صغيرة الرقعة كأنها دار
واحدة (م)

(٢) في نسخة « والحزم يتبعها » (م)

إذا أوقاسم جادت لنا يدهُ
 وإن أضاعت لنا أنوارُ غُرَّتِه
 وإن مضى رأيه أوحدهُ عزمته
 من لم يبت حذراً من خوف سَطْوَتِه
 ينال بالظن ما يعيياً العيَانُ به
 كأنه الدهر في نُعمى وفي نعمٍ
 كأنه وزمَامُ الدهر في يدهِ
 وأصل هذا قولُ أوسِ بنِ حَجْرٍ:

الألمى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعاً

وهذا المعنى قد مرّ في أثناء الكتاب .

قال أبو الحسن جحظة البرمكى : قلت لخالد الكاتب : كيف أصبحت ؟

لأعرابي

قال : أصبحت أرقّ الناس شعراً ، قلت : أتعرف قول الأعرابي :

فما وجد أعرابية قدّقت بها
 تمت أحاليب الرعاء، وخيممةً
 إذا ذكرت ماء المضاه وطيبه
 بأعظم من وجد بليلي وجدته
 وكانت رياح تجمل الحاج بيننا
 فصح خالد وقال : ويحك ! ويحك ! يا جحظة ! هذا والله أرقّ

من شعري .

(١) أرنت : صوتت ، والرنين : الصوت، وفي نسخة «وماء الصبا من نحو نجران

أنت» (٢)

[تكاليف الحمد]

فصل لأبي العباس بن المعتز

لن تكسب - أعزك الله - المحامد ، وتستوجب الشرف ، إلا بالحنلِ على
النفس والجال^(١) ، والنهوض بحمل الأتقال ، وبذل الجاه والمال ، ولو كانت
المكارم تنال بغير مئونة لا شترك فيها السفل والأحرار ، وتساهمها الوضعا مع
ذوى الأخطار ؛ ولكن الله تعالى خص الكرماء الذين جعلهم أهلها ، فحفف
عليهم حملها ، وسوَّغهم فضلها ، وحظرها على السفلة لصغر أقدارهم عنها ، وبعث
طباعهم منها ، ونفورها عنهم ، واقشعرارها منهم .

[وقال أبو الطيب التنبى :

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يُفقرُ والإقدام قتالُ]

وقال الطائى :

والحمد شهيد لا يزي مُشْتارُهُ يَحْنِيهِ إِلَّا مِنْ تَمِيحِ الْحَنْظَلِ^(٢)
شرُّ الحاملة ، ويحسبه الذى لم يؤذِ عاتقه خفيف الحملِ

أخذه الطائى من قول مسلم بن الوليد ، وقيل غيره :

الجودُ أحسنُ مساً يا بنى مَطَرٍ من أن تبرزَ كموه كَفءُ مُسْتَلَبِ
ما أعلمُ الناسَ أن الجودَ مدفَعَةٌ للذمِّ لكنَّه يَأْتِي عَلَى النَّشْبِ^(٣)

وقال بعض الأجواد : إنا لنجدُ كما يجدُ البخلاء ، ولكننا نصبر ولا يبصرون .

[احتمال الغضب]

وقال الجاحظ : قيل لأبي عبادٍ وزير المأمون ، وكان أسرع الناس غضباً :

إنَّ لقمانَ الحكيمَ قال لابنه : ما الحمل الثقيل ؟ قال : الغضب . قال أبو عباد :

(١) فى نسخة « والحال » بالحاء مهملة - تحريف ، والجال : العقل والعزم (م)

(٢) اشتار الصل : جناء من كوارته ، وهذا مثل قولهم « ولا بددون الشهيد

من إبراهيم النحل » (م) (٣) يروى « ما أعلم الناس أن الجود مكسبة للحمد »

لكنه والله أخف على من الريش ! قيل له : إنما عني لقمان أن احتمال الغضب ثقيل ، فقال : لا ، والله لا يقوى على احتمال الغضب من الناس إلا الجمل !
 وغضب يوماً على بعض كتابه ، فرماه بدواة كانت بين يديه فشجّه ،
 فقال أبو عباد : صدق الله تعالى في قوله : (والذين إذا ما غضبوا هم يغمقون) .
 فبلغ ذلك المأمون فأحضره ، وقال له : ويحك ! ما تحسن تقرأ آية من كتاب
 الله تعالى ! قال : بلى يا أمير المؤمنين ، إنى لأحفظ من سورة واحدة ألف آية ؛
 فضحك المأمون وأمر بإخراجه .

نبذة من لطائف ابن المعتز ، وفضل تحققه بالبديع والاستعارات

مما تتعين العناية بمطالعتها

قال أبو بكر الصولي : اجتمعت مع جماعة من الشعراء عند أبي العباس
 عبد الله بن المعتز ، وكان يتحقق بعلم البديع تحقّقاً ينصّر دعواه فيه لسان
 مذاكرته ، فلم يبق مسلك من مسالك الشعراء إلا سلك بنا شعباً من شعبه ،
 وأوردنا أحسن ما قيل في بابه ، إلى أن قال أبو العباس : ما أحسن استعارة
 اشتمل عليها بيت واحد من الشعر ؟ قال الأسدى : قول لبيد :
 وغداة ربح قد كشفت وقرّة إذ أصبحت بيد الشمال زمامها
 قال أبو العباس : هذا حسن ، وغيره أحمد منه ، وقد أخذه من قول ثعلبة
 ابن صعيرة المازنى ^(١) :

فتذاكرنا ثقلاً رثيداً بعدما ألفت ذكاه يمينها في كافر

(١) هكذا وقع في لسان العرب (٤٦٣/٦) ووقع في نسخة « بن صغير » بالعين
 مهملة وبغير تاء ، وفي أخرى « بن صغير » بالعين معجمة وبغير تاء ، قال في اللسان
 « وذكر ابن السكيت أن لبيد سرق هذا المعنى فقال :
 حتى إذا ألفت يدا في كافر وأجن عورات الثغور ظلامها » اهـ
 والاستعارة في هذه الآيات متقاربة (م)

وقول ذى الرمة أعجب إلى منه :

ألا طرقت مى هيموماً بذكرها وأيدي الثريا جئح في المغرب

وقال بعضنا: بل قول لبيد أيضاً :

ولقد ححيت الخليل تحمل شبكتي فرط، وشاحي - إن غدوت - لجامها

قال أبو العباس: هذا حسن ، ولكن نعدل عن لبيد .

وقال آخر : [قول المهذلي] :

ولو أننى استودعته الشمس لاهتدت إليه المنايا عينها ورسولها

قال أبو العباس : هذا حسن ، وأحسن منه ^(١) - في استعارة لفظ الاستيداع -

قول الحصين بن الحمام ؛ لأنه جمع الاستعارة والمقابلة في قوله :

نظائر دهم نستودع البيض هاهمهم ويستودعوننا السهمري المقوما ^(٢)

وقال آخر : بل قول ذى الرمة :

أقامت به حتى ذوى العود في الثرى وساق الثريا في ملاءته الفجر

قال أبو العباس : هذا لعمري نهاية الخبرة ؛ وذو الرمة أبدع الناس استعارة ؛

وأبرعهم عبارة ، إلا أن الصواب حتى «ذوى العود والثرى» ؛ لأن العود لا يذوى

ما دام في الثرى ، وقد أنكره على ذى الرمة غير ابن المعتز . قال أبو عمرو

ابن العلاء : كانت يدي في يد الفرزدق فأشدته هذا البيت ، فقال : أرشدك أم

أدعك ؟ قال : ققلت : بل أرشدني ، فقال : إن العود لا يذوى في الثرى ،

والصواب « حتى ذوى العود والثرى » .

قال الصولي : وكأنه نبه على ذى الرمة ؛ ققلت : بل قوله :

ولما رأيت الليل والشمس حية حياة الذى يقضى حشاشة نازع

(١) في نسخة « هذا بديع ، وأبدع منه - إلخ » (م)

(٢) حذف نون الرفع من قوله « ويستودعوننا » من غير ناصب ولا جازم ،

وكان من حق العربية عليه أن يقول « ويستودعوننا » (م)

قال أبو العباس : اقتدحت زندق يا أبا بكر فأورى^(١) ، هذا بارعٌ جدا ،
وقد سبقه إلى هذه الاستعارة جرير حيث يقول :

تحي الروامسُ ربعها وتجددهُ بعد البلي فتميته الأمطار^(٢)
وهذا بيتٌ جمع الاستعارة والطائفة ؛ لأنه جاء بالإحياء والإماتة ، والبلي
والجلدة ، ولكن ذو الرمة قد استوفى ذكر الإحياء والإماتة في موضع آخر
فأحسن ، وهو قوله :

ونشوان من طولِ الناس كأنه بمجبلين في مشطونة يترجح^(٣)
إذامات فوق الرّحلٍ أحييت روحه بذكرك والعيس المراسل جنح
فما أحد من الجماعة انصرف من ذلك المجلس إلا وقد غمره من بحر أبي
العباس ما غاض معه معينه ، ولم ينهض حتى زودنا من برّه ولطفه نهاية ما اتسعت
له حاله .

[كتمان الحب]

لابن العنز

وقال ابن المعتز :

لما رأيت الحبَّ يفضحني ونمت على شواهد الصب
أقيت غيرك في ظنومهم وسترت وجه الحب بالحب

لابن الأحنف

وقال العباس بن الأحنف في هذا المعنى :

قد جرر الناس أذيال الظنون بنا وفرق الناس فينا قولهم فرقا
فكاذب قد رمى بالظن غيركم وصادق ليس يدري أنه صدقا

[وقريب من هذا المعنى قول الفارسي رضي الله عنه ، وإن لم يكن منه :

تخالفت الأقوال فينا تباينا برجم أصول بيننا ما لها أصل^(٤)

(١) أورى : أخرج النار ، هذا أصله (م) (٢) الروامس : الرياح (م) .

(٣) في نسخة « في أنشودة يترجح » (٤) لعل الأصل « برجم ظنون » (م)

فَشْتَعُ قَوْمٌ بِالْوِصَالِ ، وَلَمْ أَصَلْ
وَمَا صَدَقَ التَّشْنِيعُ عَنْهَا لَشَقْوَتِي
وَأَرْجَفَ بِالسُّلْوَانِ قَوْمٌ وَلَمْ أَشَلْ
وَقَدْ كَذَّبَتْ عَنِ الْأَرَاخِيفِ وَالنَّقْلِ^(١)

لابن المعتز

وقال ابن المعتز :

لَنَا عَزَمَةٌ صَمَاءٌ لَا تَسْمَعُ الرَّقِي
وَأَنَا لِنَعطَى الْحَقِّ مِنْ غَيْرِ حَاكِمٍ
تُبَيْتَ أَنْوْفَ الْحَاسِدِينَ عَلَى رَغَمِ
عَلَيْنَا ، وَلَوْ شِئْنَا لَمَلْنَا مَعَ الظِّمِّ

لأعرابي

وقد أخذه أبو العباس من قول أعرابي :

أَلَا يَا شِفَاءَ النَّفْسِ لَيْسَ بِعَالِمٍ
سَوَى رَجْمِهِم بِالظَّنِّ وَالظَّنُّ كَاذِبٌ
بِكَ النَّاسُ حَتَّى يَعْلَمُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ
مَرَارًا وَفِيهِمْ مَنْ يُصِيبُ وَلَا يَدْرِي

للحسين بن مطير

وقال الحسين بن مطير :

لَقَدْ كُنْتُ جَلَدًا قَبْلَ أَنْ تُوقِدَ النَّوَى
- وَلَوْ تَرُكْتُ نَارَ الْهَوَى لَتَضَرَّمَتْ
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجَوَانُ تَمَوَّتَ صَبَابَتِي
فَقَدْ جَلَّتْ فِي حَبَّةِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا
بِمَرْتَجَةِ الْأُرْدَاكِ هَيْفٌ خُصُورُهَا
وَصَفْرٌ يَرِاقِيهَا ، وَخُمْرٌ أَكْفَهَا
مُخَصَّرَةَ الْأَوْسَاطِ ، زَانَتْ عَقُودُهَا
يَمِينِنَا حَتَّى تَرَفَّ قُلُوبُنَا
وَفِيهِنَّ مِقْلَاقُ الْوِشَاحِ كَأَنَّهَا
عَلَى كَعْبِي نَارًا بَطِيئًا خَمُودُهَا
وَلَكِنَّ شَوْقًا كُلَّ يَوْمٍ يَزِيدُهَا
إِذَا قَدِمْتَ أَيَّامَهَا وَعَمُودُهَا
عِبَادُ الْهَوَى تُوَلَّى شَوْقِي يُعِيدُهَا
عِذَابٌ ثَنَائِيهَا عِجَافٌ نَهْوُودُهَا
وَسُودٌ نَوَاصِيهَا ، وَبَيْضٌ خَدُودُهَا
بِأَحْسَنِ مِمَّا زَيْنَتْهَا عَقُودُهَا
رَفِيفَ الْخُرَامِيِّ بَاتَ طَلٌّ يَجُودُهَا
مَهَاةٌ بَثْرَانٍ طَوِيلٌ عَمُودُهَا^(٢)

وقال :

قَضَى اللَّهُ يَا أَسْمَاءُ أَنْ لَسْتُ بَارِحًا
أُحِبُّكَ حَتَّى يُغْمِضَ الْعَيْنَ مُغْمِضٌ

(١) هذه الأبيات ساقطة من أكثر الأصول ، وهو الوجه (م)

(٢) بثران : اسم مكان يعينه ، ووقع في نسخة « بثران طويل عمودها » (م)

فحبك بلوى غير أن لايسرني
 وإن كان بلوى أنتى لك مُبغض^(١)
 فواكبدا من لوعةِ البين كما
 ذكرتُ ومن رفض الهوى حين يرفض
 ومن عبرة تُدرى الدموع وزفرة
 تقضض أطراف الحشأ ثم تنهض^(٢)
 فياليتنى أقرضت جلدأ صبايتى
 وأقرضنى صبراً على الشوق مُقرضُ
 إذا أنا رُضتُ القلب فى حبِّ غيرها
 بدأ حبُّها من دونه يتعرض
 وكان الحسين قوى أسرِ الكلام ، جَزَل الألفاظ ، شديد العارضة ، وهو

القائل فى المهدى :

له يوم بؤس فيه للناس أبؤس
 ويوم نعيم فيه للناس أنعم
 فيمطر. يوم الجودِ من كفه الندى
 ويقطرُ يومَ البؤس من كفه الدمُ
 فلو أن يومَ البؤس خلتى عقابهُ
 على الناس لم يصبح على الأرض مُجرمُ
 ولو أن يومَ الجود خلتى نوالهُ
 على الأرض لم يصبح على الأرض مُعديم
 وأنشد أبو هفان له :

أين أهلُ العتاب بالدهناء
 أين جيراننا على الأحاء
 جاورونا والأرض ملبسة نوى
 رَ الأفاحي تجادُ بالأنواء^(٣)
 كل يوم بأقحوان جديد
 تضحكُ الأرضُ من بكاء السماء

لدعبل الخزاعي

أخذ هذا المعنى دعبل ، ونقله إلى معنى آخر ، فقال :

أين الشبابُ؟ وأمةٌ سلكا؟
 أم أين يُطلبُ؟ ضلَّ ، بل هلكا
 لاتعجبى يا سلم من رجلٍ
 ضحك المشيبُ برأسه فيكى

لمسلم بن الوليد

وقال مسلم بن الوليد فى هذا المعنى :

مُستعبر بيكى على دمنةٍ
 ورأسه يضحك فيه المشيب

(١) فى نسخة « غير أن لايسوءنى » والمعنى عليه غير مستقيم (م) .

(٢) فى نسخة « ومن عنده تدرى الدموع » تحريف (م)

(٣) تجاد : يسبقها الجود - بفتح الجيم وسكون الواو - وهو المطر (م)

[معالي الأخلاق]

مما أنشده الزبير
بن بكار

وأنشد الزبير بن بكار :

أحبّ معالي الأخلاق جهدي وأكره أن أعيب وأن أعايا
وأصفح عن سباب الناس حياءً وشرّ الناس من خبّ السبابا
وأترك قائل العوراء عمداً لإهلكه وما أعيا الجوابا
ومن هاب الرجال تهيبوه ومن حقر الرجال فلن يهابا

[رياضة النفس ^(١) على الفراق]

وعلى ذكر قوله :

* إذا أنا رُضت ^(١) القلب في حُبِّ غيرها *

أنشد الأصمعي لفلان من بني فزارة :

وأعرضُ حتى يحسبَ الناسُ أنما بي الهجرُ ، لا والله ما بي لها هجرُ
[ولسكنُ أروضُ النفسَ أنظرهل لها إذا فارقت يوماً أحبَّتها صبرُ] ^(١)

قال إسحاق الموصلي : قال لي الرشيد : ما أحسن ما قيل في رياضة النفس

على الفراق ؟ قلت : قول أعرابي :

وإني لأستخي عيوناً ، وأتقى كثيراً ، وأستبقى المودّة بالهجرِ

فأندِرُ بالهجران نفسي أروضها لأعلم عند الهجر هل لي من صبر ^(١)

[فقال الرشيد : هذا مليح ، ولسكني أستملح قول أعرابي آخر :

خشيت عليها العين من طول وضيائها فهاجرتها يومين خوفاً من الهجرِ

وما كان هجراني لها عن بلالةٍ ولسكني جرّبتُ نفسي بالصبر ^(٢)

(١) راض نفسه يروضها : ذلها وعودها حتى تتخلق بما يريد بها . (م)

(٢) اللالة : السأم والكراهية (م)

قال الصولي : قال لي المبرد : عمك إبراهيم بن العباس أحزمُ رأياً من خاله لابن الأحنف
العباس بن الأحنف في قوله :

كان خروجي من عنديم قدراً
من قبل أن أعرض الفراق على
وقال عمك إبراهيم :

لإبراهيم
الصولي

وناجيتُ نفسي بالفراق أروضها
فقلت لها : فالهجرُ والبينُ واحدٌ
فقلت له : إنه نقل كلام خاله :

عرضت على قلبي الفراق فقال لي
إذا صد من أهوى رجوتُ وصاله
وقال العباس بن الأحنف :

لابن الأحنف

أروض على الهجران نفسي لعلها
وأعلم أن النفس تكذبُ وعدّها
وما عرضت لي نظرةٌ مذعرقتها
[وقال المتنبي من المعنى :

للمتنبي

حبيبتك قلبي قبل حبي من نأى
وأعلم أن البين يشكيك بعدها
وقد كان غداراً فكنت أنتَ وافيًا
فلمست فؤادي إن وجدتك شاكياً]

لأبي صخر
الهدلي

قال الخاتمي : والذي أراه وأذهب إليه أن أحسن من هذا المعنى قول أبي
صخر الهدلي :

ويعنني من بعض إنكار ظلمها
مخافة أتي قد علمت لئن بدًا
إذا ظلمت يوماً وإن كان لي عذرٌ
لي الهجرُ منها ما على هجرها صبرٌ

(١) في نسخة « لا أعيرك من صبري » وليس بذلك (م)

(٢) البين - بالفتح - الفراق ، وأمنى : يقدر الله ذلك على (م)

وَأَنَّى لَا أَدْرِي إِذَا النَّفْسُ أُشْرِفَتْ عَلَى هَجْرِهَا مَا يَبْلُغَنَّ بِيَ الْهَجْرِ
فِيَا حَبَّأَ زِدْنِي جَوْيَ كُلِّ لَيْلَةٍ وَيَا سَلَوَةَ الْأَحْزَانِ مَوْعِدِكَ الْحَشْرِ

شذور من كلام أهل العصر في مكارم الأخلاق

ابن المعتز — العقلُ غريزةٌ تزينها التجارب . وله: العاقلُ من عقل لسانه^(١) ،
والجاهلُ من جهل قدره .

غيره : إذا تمَّ العقلُ نقص الكلام . حُسنُ الصورةِ الجمالُ الظاهر ، وحسنُ
الخلقِ الجمالُ الباطن . ما أبينَ وجوه الخيرِ والشرِّ في مِرآةِ العقلِ إذا لم يُصدِّقها
الهُوى . العاقلُ لا يدَعُه ما ستر اللهُ من عيوبه أن يفرحَ بما أظهرَ من محاسنه .
بأيدي العقولِ تُمسكُ أعنةُ النفوسِ عن الهوى . آخرُ بمن كان عاقلاً أن يكونَ
عما لا يَعْنِيهِ غافلاً . التواضعُ من مصايدِ الشرفِ . من لم يتَضَمَّعْ عند نفسه
لم يرتفع عند غيره .

يحيى بن معاذ — التكبرُ على المتكبرِ تواضع . الخلمُ حجابُ الآفات .
أحيوا الحياةَ بمجاورةٍ من يُستَحْيَا منه . مَنْ كَسَاهُ الحَيَاةُ ثوبَهُ ، سترَ عن الناسِ
عَيْبَهُ . الصبرُ تجرُّعُ الغصصِ ، وانتظارُ الفُرصِ . قلوبُ العقلاءِ حصونُ
الأسرارِ . انفرِدْ بسرِّك ولا تودعه حازماً فيزلُ ، ولا جاهلاً فيخونُ . الأناةُ^(٢)
حُسنُ السلامة ، والعجلةُ مفتاحُ الندامة . من حَسَّنَ خُلُقَهُ وَجِبَّ حَقُّهُ . إنما يستحق
اسمَ الإنسانيةِ مَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ . يكادُ سيءُ الخلقِ يُعَدُّ من البهائمِ والسباعِ .
أرسطاطاليس — المروءةُ استحياةُ المرءِ نفسه . المعروفُ حُسنُ النعمِ من
صروفِ الزمانِ . للحازمِ كنزٌ في الآخرةِ من عمله ، وفي الدنيا من معرفته .
لا تستحي من القليلِ فإنَّ الحرمانَ أقلُّ منه .

(١) عقل لسانه : حبسه ومنعه (م)

(٢) الأناة : التأني والتروي في الأمر قبل الإقدام عليه (م)

أبو بكر الخوارزمي - الطرف^(١) يجري وبه هزال، [والسيف يمضي وبه
انفلال] ، والحرث يعطى وبه إقلال^(٢). بَدَلُ الجاهِ أحدُ الماَلين . شفاعَةُ اللسانِ
أفضلُ زكاةِ الإنسانِ . بَدَلُ الجاهِ رِفْدٌ للمستعين^(٣) . الشفيعُ جناحُ الطالبِ .
التقوى هي العُدَّةُ الباقيةُ ، والجَنَّةُ الواقيةُ . ظاهرُ التقوى شرفُ الدنيا ، وباطنها
شرفُ الآخرةِ . من عَفَّتْ أطرافه ، حسنت أوصافه . قال أبو الطيب المتنبي :

ولا عِفَّةٌ في سَيْفِهِ وَسِنَانِهِ ولكنها في الكفِّ والفرجِ والفمِ
لقمان - الصَّمْتُ حُكْمٌ وَقَلِيلُ فاعِلُهُ . أَرَبِعُ كَلِمَاتُ صَدَرَتْ عَنْ أَرْبَعَةِ
ملوكٍ كأنما رُمِيَتْ عَنْ قَوْسٍ واحدةٍ ؛ قال كسرى : لم أندم على ما لم أقل ،
ونَدِمْتُ على ما قلتِ مرارا . قيصر : أنا على ردِّ ما لم أقل أقدرُ مني على ردِّ
ما قلتِ . ملك الصين : إذا تكلمتُ بالكلمة ملكتني ، وإذا لم أتكلم بها
ملكتها . ملك الهند : عَجِبْتُ مَنْ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ إِنْ رُفِعَتْ ضَرَّتَهُ ، وَإِنْ
لَمْ تُرْفَعْ لَمْ تَنْفَعَهُ . ما الدِّخَانُ على النارِ ، ولا العجاجُ^(٤) على الريحِ ، بأدَلِّ من
ظاهرِ الرجلِ على باطنه ، وأنشد :

قد يُسْتَدَلُّ بِظَاهِرٍ عَنْ بَاطِنٍ حيثُ الدخانُ فَمَمَّ مَوْقِدُ نارِ
مَنْ أَصْلَحَ مالهَ قَدَّ صانَ الأكرمِينَ المَالَ والعِرْضَ . من لم يحمَدِ في التقديرِ
ولم يذُبْ في التذبيرِ فهو شديدُ التذبيرِ^(٥) . عليك بالقصدِ بينَ الطرفين ، لا مَنعَ
ولا إسرافِ ، ولا بخلٍ ولا إترافِ . لا تكن رطباً فتتصّر ، ولا يابساً فتكسر ،
ولا حلوا فتتسرتط ، ولا مرّاً فتتلفظ .

المأمون بن الرشيد - الثناء أكثر من الاستحقاق مَلَقٌ وهذَرٌ ، والتقصيرُ
عِيٌّ وَحَصَرٌ .

(١) الطرف - بكسر الطاء - الفرس (م) . (٢) الإقلال : قلة المال (م) .

(٣) الرِفْد - بالكسر - العطاء (م) . (٤) العجاج : ما نثار من الغبار (م) .

(٥) في نسخة « من لم يذم التقير ، ولم يحمَد التذير ، فهو شديد التذير » (م) .

إكرام الأضياف ، من عادة الأشراف . وفي الخير : لا تتكلفوا للضيف فتبغضوه ؛ فمن أبغض الضيف أبغضه الله . ينبغي لصاحب الكريمة أن يصبر عليه إذا جمعتهما نوبة الزمان ، فليس ينتفع بالجوهرمة الكريمة من لم ينتظر نفاقها .

مواعظ عقلها بمض أهل المصر تتعلق بهذا الفصل

أغض على القذى ، وإلا لم ترض أبداً^(١) . أجهل الطلب فسيأتيك [ما قد ير لك ، صن عرضك] ، وإلا أخلفت وجهك . جاور الناس بالكف عن مساوئهم . انس رفدك ، ولا تنس وعدك ، كذب أسوء الظنون بأحسنها^(٢) . أغن من وليته عن السرقة ، فليس يكفيك من لم تكفه . لا تتكلف ما كفيته فيضيع ما أوليت .

ابن المعتز — لا تسرع إلى أرفع موضع في المجلس ، فالموضع الذي ترفع إليه خير من الموضع الذي تحط منه . لا تذكر الميت بسوء فتكون الأرض أكرم عليه منك . ينبغي للعاقل أن يداري زمانه مداراة الساج للماء الجاري . العتابي — المداراة سياسة رقيقة تجلب للنفعة ، وتدفع المضرة ، ولا يستغنى عنها ملك ولا سوقة ، ولا يدع أحداً منها حظه إلا غمرته صروف المكاره .

[من رسائل العتابي وأديه]

وكتب العتابي إلى بعض إخوانه :

لواعتصم شوقى إليك بمثل سلوك عنى لم أبدل وجه الرغبة إليك ،

(١) هذا من قول بشار :

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت ، وأى الناس تصفو مشاريه (م)

(٢) في نسخة « كذب سوء الظن بأحسنه » (م) .

ولم أتجشم مرارة تماديك ، ولكن استخففتنا صباقتنا ، فاحتملنا قسوتك ، لعظيم
قدّر مودتك ، وأنت أحقُّ من اقتص^(١) لصلتنا من جفائه ، ولشوقنا من إبطائه .

وله : كتبتُ إليك ونفسي رهينة بشرك^(٢) ، وسأني غلق بالثناء عليك ،
والغالبُ على ضميري لأئمة لنفسي ، واستقلالُ لجهدي في مكافأتك ، وأنت
- أصلحك الله ! - في عزِّ الغنى عني ، وأنا تحت ذلِّ الفاقةِ إلى عطفك ، وليس
من أخلاقك أن تولى جانبَ النبوّة منك من هو عانٍ في الضراعة إليك .

ودخل العتابي على الرشيد فقال : تكلم يا عتابي ؛ فقال : الإيأس^(٣) قبل
الإيساس ، لا يُحمّد المرء بأول صوابه ، ولا يُذمُّ بأول خطئه ؛ لأنه بين كلام
زوّه ، أو عيَّ حصره .

ومرّ العتابي بأبي نُوّاس وهو ينشد الناس :

ذكر الكرخ نازح الأوطانِ فبكي صبوةً ولاتِ أوانِ
فلما رآه قام إليه ، وسأله الجلوس ، فأبى وقال : أين أنا منك وأنت القاتل ،
وقد أنصفك الزمان :

قد علقنا من الخصيب حبلاً أمتتنا طوارق الحدائِنِ
وأنا القاتل وقد جار على ، وأساء إلى :

لفظتني البلادُ ، وانطوت الأكَفاء دوني ، ومكّني حيراني
والثقتُ حلقةً على من الدهرِ فاجتُ بكلِّ كلِّ وجيرانِ
نازعني أحداثها منية النفس وهدت خطوبها أركاني
فاشعُ للهموم معترف القلب كئيبٌ لناثبات الزمانِ

(١) اقتص : أصله القصاص ، وهو قتل القاتل ، والمراد هنا الانتقام عامة (م) .

(٢) في نسخة « دعيت إليك ونفسي راغبة لشوقك بشرك » (م) .

(٣) الإيأس : بعث الأيس إلى نفس الضيف واقتلاع الوحشة ، وأراد بالإيساس

تقديم الطعام والقرى ، وضرب ذلك مثلاً (م) .

[شعر الأعراب]

قال عبد الرحمن بن أخي الأصمعي : سمعت عمي يحدث قال : أرقت أيلة من الليالي بالبادية ، وكنت نازلاً عند رجل من بني الصيّداء^(١) ، وكان واسع الرّحل ، كريم المحل ، فأصبحتُ وقد عزّمتُ على الرجوع إلى العراق ، فأثبت أبا مثنوى^(٢) ، فقلت : إني قد هلّعت^(٣) من الغربة ، واشتقتُ إلى أهلي ، ولم أجد في قَدَمي هذه كبيرَ علم . وإنما كنتُ أعتفِرُ وحشة الغربة وجفاء البادية للفائدة؛ فأظهر الجفاوة حتى أبرز غداء له فتعدّيت ، وأمر بناقة مَهْرِيَّة^(٤) كأنها سيكة تجنن [فارتحلها] واكتفلها ، ثم ركبَ وأزدفني ، وأقبلها مطلع الشمس ؛ فمسيرنا كبير مسير حتى لقينا شيخاً على حمارٍ ، له جُحّة قد صبّغها بالورس^(٥) ، كأنها قنبيطة ، وهو يترنّم ، فسلم عليه صاحبي ، وسأله عن نسبه فأعترني أسدياً من بني ثعلبة . قال : أتروى أم تقول ؟ قال : كلاً . قال : أين توئم ؟ فأشار إلى موضع قريب من الموضع الذي نحن فيه . فأناخ الشيخ ، وقال لي : خذ بيد عمك فأنزله عن حماره ، ففعلت ، وألقي له كساءً قد اكتفل به ، ثم قال : أنشدنا يرحمك الله وتصدق على هذا الغريب بأبيات يبشهن عنك ، ويذكرك بهن ، فأنشدني له :

لقد طال يا سَوْداءِ مِنْكَ المَواعِدُ	ودون الجدا المأمول منك الفراقدُ
تمنّيننا بالوصلِ وَعَداءُ ، وغَميمكم	ضبابٌ ، فلاصحو ، ولا الغنمُ جائد
إذا أنتَ أعطيتَ الغني ثم لم تجدُ	بفضلِ الغني أقيتَ مالكَ حامدُ
وقلّ غناءُ عنك مالُ جمتهُ	إذا صار ميراثاً ووارك لا حدُ
إذا أنتَ لم تعرّكُ بجنيك بعضَ ما	يريبُ من الأدنى رماك الأبعادُ

(١) في نسخة « من بني الصيد » وهذه عن الأمامي (١٦٩/١) (م)

(٢) للشوى : الإقامة ، وأبو مثنوى : أي مضيق (م)

(٣) هلعت : جرعت (م) (٤) مهريّة : منسوبة إلى مهرة (م)

(٥) الورس : نبت أصفر شبه الزعفران ، وفي نسخة « تمغها بالورس » (م) .

إذا الحلم لم يَغْلِبْ لك الجهل لم تزل
 إذا العزم لم يَفْرُجْ لك الشك لم تزل
 إذا أنت لم تترك طعاماً تحبهُ
 تجلّت عاراً لا يزالُ يشبهُ
 وأنشدني لنفسه :

تعزّ فإنّ الصبرَ بالحرّ أجمل
 فلو كان يُغْنِي أن يرى المرءَ جازعاً
 لكان التعزّي عند كل مصيبةٍ
 فكيف وكلّ ليس يَعدّو حمامهُ
 فإن تكن الأيامُ فينا تبدّلتْ
 فما لَيتَ منا قنّاةٌ صَليبةٌ
 ولكن رحلناها نفوساً كريمةً
 وقيناً بجدّ العزمِ منا نفوسنا
 وليس على رَبِّبِ الزمانِ مَعوَلٌ
 لنازلةٌ أو كان يُغْنِي التذلُّ
 ونازلةٌ بالحرّ أولى وأجملُ
 وما لا مَرِيءٌ مما قضى اللهُ مَرَحِلُ
 بنعمي وبؤسى والحوادثُ تفعلُ
 ولا ذَلَّلْتَنَا للذي ليس يَجْمَلُ
 تُحْمَلُ مالا يستطيعُ فَتَحْمِلُ
 فصَحّتْ لنا الأعراضُ والناسُ هَزَلُ

قال : فقامت إليه ، وقد نسيت أهلي ، وهان على طول الغربة ، وصنكُ العيش ، سروراً بما سمعت ، ثم قال : يا بني ؛ من لم يكن الأدب والعلم أحبّ إليه من الأهل والولد لم ينجب .

[خصومة قرشية]

خاصم بعض القرشيين عمر بن عثمان بن موسى بن عبيد الله بن معمر ، فأسرع إليه القرشي فقال : على رسلك ، فإنك لسريع الإيقاد^(٢) وشيك الصريمة ، وإني والله ما أنا مكافئك دون أن تبلغ غاية التعدي ، فأبلغ غاية الإعذار .

(١) استتلى : استتبع ، وجعلها تالية ، والجنبية : الفرس ، مثلاً ، تقودها من غير أن تركبها (م) (٢) في نسخة « سريع الانتقال » (م) .

[ادعاء]

قال عبد الله بن عبد العزيز ، وكان من أفاضل أهل زمانه : قال لى موسى
 ابن عيسى : أنهى^(١) إلى أمير المؤمنين ، يعنى الرشيد ، أنك تشتمه ، وتدعو عليه ،
 فبأى شيء استجزت^(٢) ذلك ؟ قال : أما شتمه فهو والله إذا أكرم على من نفسى ،
 وأما الدعاء عليه فوالله ما قلت « اللهم إنه أصبح عبثاً ثقيلاً على أكتافنا ، لا تطيقه
 أبداننا ، وقذى فى عيوننا ، لا تطبق عليه أحفاننا ، وشجى فى حلوفنا ، لا تسيغه
 أفواهنا ؛ فاكفنا مؤتته ، وفرق بيننا وبينه » ! واكفى قلت : « اللهم إن كان
 تسمى الرشيد ليرشدفأرشده ، أو أتى غير ذلك^(٣) فراجع به ، اللهم إن له فى الإسلام
 بالعباس حقاً على كل مسلم ، وله بنبيك قرابة ورحما ، فقره به من كل خير ،
 وبعده من كل شر ، وأسعدنا به ، وأصلحنه لنفسه ولنا » . يقال له : يغفر الله
 لك يا عبد العزيز ، كذلك بلغنا .

[عزل وال]

ولما حجج الرشيد سنة ست وثمانين ومائة دخل مكة وعديله يحيى بن خالد ؛
 فأنبرى إليه العمري فقال : يا أمير المؤمنين ، قف حتى أكلمك ! فقال : أرسلوا
 زمام الناقة ، فأرسلوه ، فوقف فكأما أوتدت ، فقال : [أقول ؟ قال :] قل ، فقال :
 اعزل عنا إسماعيل بن القاسم . [قال : ولم ؟ قال :] لأنه يقبل الرشوة ، ويطيل
 النشوة ، ويضرب بالعشوة ، قال : قد عزلناه [عنك ،] ثم التفت إلى يحيى فقال :
 أعندك مثل هذه البديهة ؟ فقال : إنه ليحب أن يحسن إليه ، قال : إذا عزلنا عنه
 من يريد عزله فقد كافأناه .

(١) أنهى إليه : رفع إليه وبلغه ، وفى نسخة « أيتى إلى أمير المؤمنين » وليس
 بذلك (م) (٢) فى نسخة « فبأى شيء استحق ذلك » (م)
 (٣) فى نسخة « وإن كان غير ذلك » (م)

[حُرْمَةُ الكَعْبَةِ]

ولما وجّه عبدُ الملك بن مروان الحجاج بن يوسف إلى عبد الله بن الزبير وأوصاه بما أراد أن يُوصيه ، قال الأسود بن المهيم النخعي : يا أمير المؤمنين ، أوصِ هذا الغلام [الثقفى] بالكعبة ألاَّ يهدم أحجارها ، ولا يهتك أستارها ، ولا يُنفر أطيّارها ، ولا يأخذ على ابنِ الزبير شعابها ، وعقابها ، وأنقابها^(١) ، حتى يموتَ فيها جوعاً ، ويخرج مخلوعاً .

[كتاب ينصر محاربا]

وكتبَ عبدُ الله بن طاهر إلى نصر بن شبيب وقد نزل به ليحاربه في جنده ، فوجده^(٢) متحصناً منه ، فكتب إليه : اعتصمك بالقلال قيّد عزمك عن القتال ، والتجاؤك إلى الحصون^(٣) ، ليس ينجيك من المنون ، ولست بمُفْلِتٍ من أمير المؤمنين ، فإما فارس مُطاعين ، أو راجل مستأمن . فلما قرأه حصره الرعب عن الجواب ، فلم يلبث أن خرج مستأمناً .

[من حكم الفرس]

قال بزرجمهر بن البختكان لبعض الملوك : أنعم تُشكر ، وأرهب تُحذر ، ولا تم ازل فتُحقر ، فجعلهن الملك نقشَ خاتمه بدلا من اسمه واسم أبيه .
ولما قتل أنوشروان بزرجمهر وجد في منطقتة رقعةً فيها مكتوبٌ : إذا كانت الحظوظ بالجدود فما الحرص ؟ وإذا كانت الأمور ليست بدائمة فما السرور ؟
وإذا كانت الدنيا غرارة فما الطمأنينة ؟

[قال سقراط] : من كثر احتمالُه وظهر حلمُه قلَّ ظلمُه ، وكثر أعوانه ، ومن قلَّ همُّه على ما فاتته استراحت نفسه وصفا ذهنه وطال عمره . وقال : من تعاهد

(١) العقاب : جمع عقبة ، وهى ما صعب مرتقاها من الجبال ، والأنقاب : جمع نقب ، وهو الطريق فى الجبل (م) .

(٢) فى نسخة « ليحاربه فى جدة متحصنا منه » (م)

(٣) القلال : قمم الجبال واحدها قلة - بضم القاف ، وتشديد اللام مفتوحة (م) .

نفسه بالحاسبة أمن عليها المداهنة . وقال : الأمانى حبال الجهل ، والعشمة الحسنة وقاية من الأسواء .

وشتمه بعض الملوك وكان على فرس وعليه حُلل وبيزة فقال له سقراط : إنما تفخر على بغير جنسك ، ولكن رد كل جنس إلى جنسه وتعال الآن فلتتكلم .
وقال سقراط : من أعطى الحكمة فلا يجزع لفقد الذهب والفضة ؛ لأن من أعطى السلامة والدعة لا يجزع لفقد الألم والتعب ؛ لأن ثمار الحكمة السلامة والدعة ، وثمار الذهب والفضة الألم والتعب ؛ وقال : القنية ينبوع الأحران ؛ فأقلوا القنية نقل همومكم . وقال : القنية مخدومة ، ومن خدم غير نفسه فليس بحر

وقال أبو الطيب :

أبدأ تسترّد ماتهب الدنيا فياليت جودها كان بخلاً
وكفت كون فرحة تورث الهَمَّ وخل يغادر الوجد خلاً
[حكم للهند]

وفي كتاب الهند : العاقل حقيق أن تسخو نفسه عن الدنيا ، علماً بأنه لا ينال أحد منها شيئاً إلا قل إمتاعه به وكثر عناؤه فيه ، ووبأله عليه ، واشتدت مؤنته عند فراقه ، وعلى العاقل أن يدوم ذكره لما بعد هذه الدار ، ويتزّه عما تسيره إليه نفسه من هذه العاجلة ، ويتنجى عن مشاركة الكفرة والجهال في حب هذه الفانية التي لا يألؤها ولا ينخدع بها إلا المعترون .

وفيه : لا يجدنّ العاقل في صحبة الأحاب والأخلاء ، ولا يحرصن على ذلك كل الحرص . فإن صُحبتهم على ما فيها من السرور كثيرة الأذى ، والمؤنات ، والأحران ، ثم لا يفي^(١) ذلك بماقبة الفراق .

وفيه : ليس من شهوات الدنيا ولذاتها شيء إلا وهو مولد أذى وحزنا ،

(١) لا يفي به : لا يعادله ولا يكون مكافئاً له (م) .

كالماء المالح الذي كلما ازداد له صاحبه شربا ازداد عطشاً ، وكالقطعة من العسل في أسفلها سم للذائق ؛ فيه حلاوة عاجلة ، وله في أسفلها سمّ ذعاف ، وكأحلام النائم التي تسرّه في منامه ، فإذا استيقظ انقطع السرور ، وكالبرق الذي يُضيء قليلاً ، ويذهب وشيكاً^(١) ، ويبقى صاحبه في الظلام مُقيماً ، وكدودة الإبريسم ما ازدادت عليه لفاً إلا ازدادت من الخروج بعداً .

وفيه : صاحبُ الدين قد فكر ؛ فعلمته السكينة ، وسكن فتواضع ، وقنع فاستغنى ، ورضى فلم يهتم ، وخلع الدنيا فتجاً من الشرور ، ورفض الشهوات فصار حراً ، وطرح الحسد فظهرت له المحبة ، وسخت نفسه عن كل فأن ، فاستكمل العقل ، وأبصر العاقبة ، فأمن الندامة ، ولم يؤذِ الناس فيخافهم ، ولم يُذنب إليهم فيسألهم العفو .

[وصية من عتبة بن أبي سفيان]

وقال سعد القصر مولى عتبة بن أبي سفيان : ولأني عُتْبَةُ أمواله بالحجاز ، فلما ودعته قال : يا سعد ، تعاهد صغيراً مالى فيكبر ، ولا تجف كبيره^(٢) فيصغر ؛ فإنه ليس يمتنعى كثير ما عندي ، من إصلاح قليل مافى يدي ، ولا يمتنعى قليل ما عندي من كثير ما ينوبنى^(٣) . قال : فقدمت الحجاز ، فحدثت به رجلاً من قريش ، ففرتوا به السكتب إلى الوكلاء .

[يزيد بن معاوية]

وقال يزيد بن معاوية لعبيد الله بن زياد : إن أباك كفى أخاه عظيماً ، وقد استكفمتك صغيراً ، فلا تتكلمن منى على عذر ، فقد اتكلت منك على كفاية ، ولأن أقول لك : إياك ، أحب إلى من أن أقول : إياي ؛ فإن المظن إذا أخلف فيك أخلف منك ، فلا تُرح نفسك وأنت في أدنى حظك ، حتى تبلغ

(١) وشيكا : سريعاً قريباً (م) . (٢) في نسخة « ولا تغفل كبيره » (م) .

(٣) ينوبنى : يعتري وينزل بي (م) .

أقضاء؛ واذكر في يومك أخبارَ غَدِكَ ، واسترِ ذنبي يا حسانك إلى أهل الطاعة ،
وإساءتك إلى أهل المعصية ، أَرِدُكَ إن شاء الله تعالى .

[فضل العمامة]

ذكرت العمامة عند أبي الأسود الدؤلي فقال : جُنَّةٌ في الحرب ، ودِنَارٌ في
البرد ، وكِنَّةٌ في الحرِّ ، ووَقَارٌ في النَّدى ، وشرفٌ في الأحداث ، وزيادةٌ في
القامة ، وهي [بعد] عادةٌ من عادات العرب .

[من رسائل ابن العميد]

وكتب أبو الفضل بن العميد إلى أبي عبد الله الطبري :

وقفت على ما وصفت من برِّ مولانا الأمير لك ، وتوقَّره بالفضل عليك ،
وإظهار جميل رأيه فيك ، وما أنزله من عارفة^(١) لديك ؛ وليس العجب أن يتناهى
مثله في الكرم إلى أبعد غاية ، وإنما العجب أن يقصُرَ شيء من مستاعبه عن
نيلِ المجد كله ، وحيارة الفضل بأجمعه ؛ وقد رجوت أن يكون ما يفرسه من
صنعة عندك أجدر غرس بالزِّكاء^(٢) ، وأضمنه للربيع والنماء ؛ فأرغ ذلك ، واركب
في الخدمة طريقة تُبْعِدُكَ من اللال ، وتوسطك في الحضور بين الإكثار والإقلال ،
ولا تسترِّسِلْ إلى حسن القبول كلَّ الاسترسال ؛ فلأن تُدعى من بعيد خيراً من
أن تُقصَى^(٣) من قريب ، وليكن كلامك جواباً تتحرَّرُ فيه من الخطل ومن
الإسهاب ، ولا يعجبَنَّك تأتي كلمة محمودة فيلج بك الإطناب توقُّعاً لمثلها ؛ فربما
هدمت ما بنته الأولى ، وبضاعتك في الشرف مُرْجاة ، وبالعقل يزم اللسان ، ويرام
السداد ، فلا يستفزُّك طربُّ الكلام على ما يفسد تمييزك ؛ والشفاعة لا تعرض
لها فإنها مُخْلِقةٌ للجاه ؛ فإن اضطرت إليها فلا تهجم عليها حتى تعرف موقعها .
وتحصّل وزنها ، وتطالع موضعها ؛ فإن وجدت النفس بالإجابة سَمِحةً ، وإلى

من كتاب له
إلى أبي عبد الله
الطبري

(١) العارفة : العطفية ، والمعروف . وليس لها فعل (م) .

(٢) الزكاء : النماء ، ومثله الربيع (م) . (٣) تقصى : تبعده (م) .

الإسعاف هَيْبَةً ، فَأَظْهَرَ مَا فِي نَفْسِكَ غَيْرَ مُحَقَّقٍ ، وَلَا تَوْهَمَ أَنَّ عَلَيْكَ فِي الرَّهْ
مَا يُوحِشُكَ ، وَلَا فِي الْمَنَعِ مَا يَغِيظُكَ ، وَلِيَكُنْ انْتِظَاقٌ وَجْهَكَ إِذَا دُفِنْتَ عَنِ
حَاجَتِكَ أَكْثَرَ مِنْهُ عِنْدَ نَجَاحِهَا عَلَى يَدِكَ ، لِيُخَفَّ كَلَامُكَ ، وَلَا يَنْقَلِ عَلَى
سَامِعِهِ مِنْكَ . أَقُولُ مَا أَقُولُ غَيْرَ وَاغْظِ وَلَا مَرُشِدٍ ، فَقَدْ جَمَلَ اللَّهُ خِصَالَكَ ،
وَحَسَّنَ خِلَالَكَ ، وَفَضَّلَكَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ ؛ لَسَكُنَى أُنْبِيَهُ تَنْبِيَهُ الْمَشَارِكِ لَكَ ، وَأَعْلَمُ
أَنَّ لَكَ كَرِي مَوْصِعًا مِنْكَ لَطِيفًا .

وله أيضاً : سَأَلْتَنِي عَنِ شَعْنِي ^(١) وَجَدَيْ بِه ، وَشَفَفَنِي حُبِّي لَهُ ، وَزَعَمْتَ أَنِّي
لَوْ شِئْتَ لَذَهَلْتَ عَنْهُ وَلَوْ أَرَدْتَ لَاعْتَضَّتْ مِنْهُ * زَعْمًا ، لَعَمْرُؤُا أَيْبِكَ ، لَيْسَ
بِمَزْعَمٍ * كَيْفَ أَسْلُو عَنْهُ ، وَأَنَا أَرَاهُ ، وَأَنْسَاهُ وَهُوَ لِي نَجَاهٌ ؛ هُوَ أَغْلَبَ عَلَيَّ ،
وَأَقْرَبُ إِلَيَّ ، مِنْ أَنْ يُرْخِيَ لِي عَنَانِي ، أَوْ يُخْلِبِنِي وَاخْتِيَارِي ، بَعْدَ اخْتِلَاطِي
بِمَلْسَكِهِ ، وَانْتِخِرَاطِي فِي سِنِّكَ ، وَبَعْدَ أَنْ نَاطَ حُبُّهُ بَقَلْبِي نَاطِطًا ، وَسَاطَهُ بَدْمِي
سَاطِطًا ^(٢) . وَهُوَ جَارٍ مَجْرَى الرُّوحِ فِي الْأَعْضَاءِ ، مُتَنَسِّمٌ تَنْسَمُ رُوحَ الْهَوَاءِ ؛ إِنْ
ذَهَبَتْ عَنْهُ رَجِمَتْ إِلَيْهِ ، وَإِنْ هَرَبَتْ مِنْهُ وَقَعَتْ عَلَيْهِ ، وَمَا أَحَبَّ السَّلْوَةَ عَنْهُ مَعَ
هِنَاتِهِ ، وَمَا أَوْثَرَ الْخَلْوَةَ مِنْهُ مَعَ مَلَاتِهِ ؛ هَذَا عَلَيَّ أَنَّهُ إِنْ أَقْبَلَ عَلَيَّ بَهْتَنِي إِقْبَالَهُ ،
وَإِنْ أَعْرَضَ عَنِّي لَمْ يَطْرُقْنِي خِيَالَهُ ، يَبْعُدُ عَنِّي مِثَالَهُ ^(٣) ، وَيُقْرِبُ مِنْ غَيْرِي نَوَالَهُ ،
وَيَرُدُّ عَيْنِي خَاسِئَةً ، وَيَبْدِي يَدِي خَالِيَةً ، وَقَدْ بَسِطَ آفَاتِ الْعَيُونِ الْمُتَقَارِبَةَ ،
وَصَدَّقَ مَرَامِي الظُّنُونِ الْكَاذِبَةَ ، وَصَلَّهُ يُنْذِرُ بَصْدَهُ ، وَقَرَنَهُ يُؤْذِنُ بِيَعْدِهِ ،
يُدْنِي عِنْدَمَا يَنْزَحُ ، وَيَأْسُو ^(٤) مِثْلَ مَا يَجْرَحُ ، مَحَالَّتُهُ أَحْوَالُ ^(٥) ، وَخَلَّتُهُ خِلَالَ ،
وَحَكَمَهُ سِجَالُ ، الْحُسْنُ فِي عَوَارِفِهِ ، وَالْجَمَالُ مِنْ مَنَاحِهِ ، وَالْبِهَامَةُ مِنْ أُصُولِهِ
وَصِفَاتِهِ ، وَالسَّنَاءُ مِنْ نَعْوَتِهِ وَسِمَاتِهِ ، اسْمُهُ مُطَابِقٌ لِمَعْنَاهُ ، وَقَفَّوَاهُ مُوَافِقٌ

(١) فِي نَسْخَةِ « شَعْنِي » وَ « شَعْفِي » وَالْمَعْنَى مُتَقَارِبٌ (م)

(٢) سَاطُ : خَلَطَهُ (م) (٣) فِي نَسْخَةِ « مَقَالَهُ » (م)

(٤) يَأْسُو : يَدَاوِي (م) (٥) فِي نَسْخَةِ « مَحَالَّتُهُ أَحْوَالُ » .

لَتَجْوَاهُ ، يتشابه حالاه ، ويتضارع قَطْرَاه ، من حيث تلقاه يستدير ، ومن حيث تَدَسَّاهُ يستدير .

[هرب من الوباء]

وقع بالكوفة وباء ، فخرج الناس وتفرقوا بالنجف ، فكتب شريح إلى ضديق له خرج بخروج الناس : أما بعد ، فإنك بالمكان الذي أنت فيه بعين من لا يعجزه هرب ، ولا يفوته طلب ؛ وإن المكان الذي خلقت لا يعجل لأحد حماته ^(١) ، ولا يظلمه أيامه ، وأنا وإياك لعل بساط واحد ، وإن النجف من ذى قدرة لقريب .

وهرب أعرابي ليلا على حمار حذارا من الطاعون ، فبينما هو سائر إذ سمع قائلاً يقول :

لن يسبق الله على حماري ولا على ذى مئعة طيار
أويأتى الخنف على مقدار قد يصبح الله أمام السارى ^(٢)
فكرت راجعاً ، وقال : إذا كان الله أمام السارى فلات حين مهرب .

[قتيل الحب]

قال الأصمعي : أخبرني يونس بن حبيب قال : أتى قوم إلى ابن عباس بفتى محمول ضعفاً ، فقالوا : استشف لهذا الغلام ، فنظر إلى فتى حلوا الوجه ، عارى العظام ؛ فقال له : ما بك ؟ فقال :

بنا من جوى الشوق المبرح لوعة تكاد لها نفس الشفيق تدوب ^(٣)
ولكننا أبقى حشاشة ما ترى على مابه عود هناك صليب ^(٤)
فقال ابن عباس : رأيتم وجهها أعتق ، ولسانا أذلق ، وعوداً أصلب ، وهوى أغلب ، مما رأيتم اليوم ؟ هذا قتيل الحب ، لا قود ولا دية !

(١) الحمام - بكسر الحاء - الموت (٢) الخنف : الهلاك (م)

(٣) الجوى : الحزن ، والمبرح : البالغ الشدة في الإجهاد ، واللوعة : الحسرة (م)

(٤) الحشاشة - بضم الحاء - بقية الروح في الجسد ، و«عود» هو فاعل «أبقى» (م)

وكان ابن عباس رضي الله عنهما حبر قريش وبجرها، وله يقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل. وفيه يقول حسان
ابن ثابت:

إذا قال لم يترك مقالاً لقائل بملتقطات لا ترى بينها فضلاً
شفي وكفى مافي النفوس؛ فلم يدع لذي لسن في القول جدًّا ولا هزلًا
سموت إلى العليا بغير مشقة فنلت ذراها لا دينياً ولا وغلاً

[مسلم بن الوليد صريع الغواني]

وقال مسلم بن الوائد:

أعود ما قدمته من رجائها إذا عاودت بالأس فيها المطامع
رأتني غني الطرف عنها فأعرضت وهل خفت إلا أن تشير الأصابع^(١)
وما زينتها النفس لي عن لاجبة ولكن جرى فيها الهوى وهو طابع
فأقسمت أنسى الداعيات إلى الصبا وقد فاجأتها العين والستر واقع^(٢)
فقطت بأيديها ثمار نخورها كأيدي الأسارى أقمقتها الجوامع^(٣)
وكان مسلم أنصاريًا صريحًا، وشاعرا فصيحًا، ولقب صريعًا أيضًا لقوله:

سأفقد للذات متبع الهوى لأمضي هما أو أصيب فتى مثل
هل العيش إلا أن تروح مع الصبا صريع حميا الكأس والأعين النجل
واجتلب له هذا الاسم لأجل هذا البيت؛ وقد قال القطامي:

صريع غوان راقن ورفته لدن شب حتى شاب سود الذوائب
ومسلم أول من لطف البديع، وكسا المعاني حلل اللفظ الرفيع، وعليه يعول
الطائي، وعلى أبي نواس، ومن بديع شعره الذي امتثله الطائي قوله:

تساقط يمناه الندى وشماله الردى وعيون القول منطقة الفصل

(١) هكذا في جميع المطبوعات، وفي ديوان مسلم «رأتني غني الطرف» (م)

(٢) في نسخة «والسجف رافع» (م) (٣) الجوامع: السكبول والقيود،

واحدها جامعة (م)

كَانَ نَعْمَ فِي فِيهِ تَجْرِي مَكَانَهَا
 لَهُ هَضْبَةٌ تَأْوِي إِلَى ظِلِّ بَرْمَكٍ
 عَجُولٍ إِلَى أَنْ يُودِعَ الْحَدُّ مَالَهُ
 وَقَدْ حَرَّمَ الْأَعْرَاضَ بِالْبَيْضِ وَالنَّدَى
 حُبًّا لَا يَطِيرُ الْجَهْلُ فِي عَرَصَاتِهَا
 بَكْبَ أَبِي الْعَبَّاسِ يُسْتَمَطِرُ الْغَنَى
 مَتَى شِئْتَ رَفَعْتَ السُّتُورَ عَنِ الْغَنَى
 وَقَوْلُهُ أَيْضًا :

إِذَا كُنْتُ ذَا نَفْسٍ جَوَادٍ ضَمِيرُهَا
 رَأَيْتَنِي بَعَيْنِ الْجُودِ فَاتَهَزَّ الَّذِي
 ظَلَمْتُكَ إِنْ لَمْ أَجْزَلِ الشُّكْرَ بَعْدَمَا
 فَإِنَّكَ لَمْ يَتْرِكْ نَدَاكَ ذَخِيرَةً
 وَقَالَ لِيَزِيدُ بْنُ مَرْزُوقٍ :

مُوفٍ عَلَى مَوْجِ فِي يَوْمِ ذِي رَهَجٍ
 يَنَالُ بِالرُّقَى مَا يَنْيَا الرِّجَالُ بِهِ
 لَا يَرَحَلُ النَّاسُ إِلَّا نَحْوَ حَجْرَتِهِ
 يَقْرِي النِّيَّةَ أَرْوَاحَ الْكِمَاءِ كَمَا
 يَكْسُو السُّيُوفَ رُءُوسَ النَّا كَثِينَ بِهِ
 قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عَادَاتِهِ وَثَقَنَ بِهَا
 وَهَذَا الْمَعْنَى كَثِيرٌ .

(١) فِي نَسَخَةِ « إِلَى أَنْ يُودِعَ الْحَرَّ مَالَهُ ، يَعْدُ النَّدَى بِحَلَا » (م) .
 (٢) بِسَلْ - بِالْفَتْحِ - أَيْ حَرَامٌ (م) . (٣) حَبَا : جَمْعُ حَوْءٍ ، وَهِيَ أَنْ
 تَجْمَعُ الرَّجْلَ سَاقِيَهُ إِلَى ظَهْرِهِ بِتَوْبِهِ أَوْ يَدَيْهِ ، وَوَقَعَ فِي نَسَخَةِ « حَبَالًا يَطِيرُ الْجَهْلُ »
 تَحْرِيفٌ ، وَالذَّحَلُ : الثَّأْرُ (م) . (٤) الْكُومَاءُ : النَّاقَةُ النَّظِيمَةُ السَّمَامُ ،
 وَالْكُومُ جَمْعُهَا ، وَالْبَزْلُ : جَمْعُ بَازِلٍ وَهُوَ الْجَمَلُ الَّذِي تَمَّ لَهُ تِسْعَةٌ أَوْامٍ (م) .

[من شعر أبي نواس]

قال عمرو الوراق: سمعت أبا نواس ينشد قصيدته:

أَيُّهَا الْمَتَابُ عَنْ عُفْرَةٍ لَسْتُ مِنْ لَيْلٍ وَلَا سَمْرَةٍ
لَا أَدُودُ الطَّيْرِ عَنْ شَجَرَةٍ قَدْ بَلَوْتُ الْمَرْءَ مِنْ فَعْرَةٍ
فحسدته عليها، فلما بلغ إلى قوله:

وإذا مَجَّ القَنَا عِلْقًا وِترَاهِي المَوْتُ فِي صُورَةٍ
رَاحَ فِي ثَنِيٍّ مُفَاضَتِهِ أَسَدٌ يَدْمَى شَبَابَ ظَفَرِهِ
تَتَأَبَّى الطَّيْرَ غَزْوَتِهِ تَقَّةً بِالشَّمْعِ مِنْ جَزَرِهِ
تَحْتَ ظِلِّ الرَّمْحِ تَتَبِعُهُ فِيهِ تَلَوَهُ عَلَى أَرِهِ

فقلت: ما تركت للنابعة شيئاً حيث يقول:

إِذَا مَا غَزَوْا بِالْجَيْشِ حَلَقَ فَوْقَهُمْ عَصَابُ طَيْرٍ تَهْتَلِي بِعَصَابِ
جَوَانِحٍ قَدْ أَقْبَنَ أَنْ قَبِيلَهُ إِذَا مَا لَتَقَى الْجَعْمَانِ أَوَّلُ غَالِبِ
فقال: اسكت، فلئن أحسن الاختراع، لما أسأت الانتباخ.

أخذه الطائي فقال:

وَقَدْ ظَلَمْتُ عِقْبَانَ رَايَاتِهِ ضُحَى بِعِقْبَانِ طَيْرٍ فِي الدَّمَاءِ نَوَاهِلِ
أَقَامْتُ عَلَى الرَايَاتِ حَتَّى كَانَهَا مِنْ الْجَيْشِ إِلَّا أَنَّهُمَا لَمْ تَقَاتِلِ
[وصف جيش]

وقال المتنبي يصف جيشاً:

وَذِي لَجَبٍ لِأَذْوِ الْجَنَاحِ أَمَامَهُ بِنَاجٍ، وَلَا الْوَحْشُ الْمَنَارُ بِسَالِمِ
تَمْرٌ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَهِيَ ضَعِيفَةٌ تُطَالِعُهُ مِنْ بَيْنِ رِيَشِ الْقَشَاعِمِ
إِذَا صَوَّهَهَا لَأَفَى مِنَ الطَّيْرِ فَرَجَةٌ تَدَوَّرُ فَوْقَ البَيْضِ مِثْلَ الدَّرَاهِمِ

[شِعْبُ بَوَّان]

ونظير قول أبي الطيب في هذا البيت وإن لم يكن في معناه قوله يصف
شعب بَوَّان ، وسيأتي ، وفي هذا الشعب يقول أبو العباس المبرد : كنت مع
مع الحسين بن رجاء بن فارس ؛ فخرجتُ إلى شعب بَوَّان ، ففطرتُ إلى تربة كأنها
الكافور ، ورياض كأنها الثوب الموشى ، وماء يتحدر كأنه سلاسلُ الفضة ، على
حصباء كأنها حصَى الدر ؛ فجعلتُ أطوف في حَنَبَاتِهَا ، وأدور في عَرَصَاتِهَا ،
فإذا في بعض جدرانها مكتوب :

إذا أشرف المكَرُوبُ من رَأْسِ تَلَعَةٍ	على شعب بَوَّان أفاق من الكَرْبِ
وَأَلْهَاهُ بَطْنٌ كَالْحَرِيرِ لَطَافَةٌ	ومطرٌ دِيَجْرِي من البارد العَذْبِ (١)
وطيبُ رِيَاصٍ في بلادِ مَرِيعةٍ	وأغصانُ أشجارٍ جَنَاهَا على قُرْبِ (٢)
يُدِيرُ عَلَيْنَا الكَاسَ من لَوَحَطْتَهُ	بعينك مألَمَتَ الحَبيْنِ في الحَبِّ
فبِاللهِ يَارِيحَ الشَّمالِ تَحْمَلِي	إلى شعب بَوَّان سلامَ فَتَى صَبِّ (٣)

قال أبو العباس : فأخبرت سليمان بن وهب بما رأيت ، فقال : وقد رأيت

تحت هذه الأبيات :

ليت شعري عن الذين تركنا	خَلَفْنَا بالعراق هل دَ كَرُونَا؟
أم يكون المدى تطاول حتى	قَدَمُ العَهْدِ بَيْنَنَا فَذَسُونَا (٤)
إن جفوا حرمة الصفاء فينا	لهمُ في الهوى كما عهدونا

وشعر المتنبي :

مَعَانِي الشَّعْبِ طَيِّبًا في المَعَانِي	بمَنْزِلَةِ الرِّبِيعِ من الزَّمَانِ
ولكنَّ الفَتَى العَرَبِيَّ فِيهَا	غَرِيبُ الوَجْهِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ
مَلَاعِبُ جِنَّةٍ لو سار فِيهَا	سَلِيْمَانُ لَسَارِ بَتْرَجَانِ
طَمَّتْ فُرْسَانُنَا وَالخَيْلُ حَتَّى	خَشِيتُ وَإِنْ كَرُمْتَ من الحِرَانِ

(١) في الأمامي (٣ / ١٢٨) « كالحريرة مسه » (م) .

(٢) وفيه « وطيب نهار في رياض أريضة » (م) . (٣) وفيه « فبالله ياريح

الجنوب (م) . (٤) وفيه « أم لعل المدى تطاول » (م) .

غدونا تَنْفُضُ الأَغْصَانِ فِيهِ
 نَجَّحْتُ وَقَدْ حَجَبَنِ الشَّمْسَ عَنِّي
 وَأَلْقَى الشَّرْقُ مِنْهَا فِي بَنَانِي
 وَمِنْهَا :

يَقُولُ بِشَعْبِ بَوَّانِ حِصَانِي
 أَبُوكُمْ آدَمُ سَنَّ المَعَاصِي
 إِنَّمَا أَرَدْتُ هَذَا الْبَيْتَ . وَمِنْهَا :

لَهَا تَمَرٌ تُشِيرُ إِلَيْكَ مِنْهُ
 وَمَوَاهٍ يَصِلُ بِهَا حِصَاها
 بِأَشْرِبَةٍ وَقَفْنَ بِلَا أَوَانِي
 صَلِيلَ الخَلِي فِي أَيْدِي الغَوَايِي
 [رَجَعُ إِلَى وَصْفِ الجَيْشِ]

وأول من ابتكر هذا المعنى الأول الأفوه الأودى في قوله :

وَأَرَى الطَّيْرَ عَلَى آثَارِنَا
 وَقَالَ حميد بن ثور وذكر ذئبًا :
 إِذَا مَا عَدَا يَوْمًا رَأَيْتُ غِيَابَهُ
 فَهَمَّ بِأَمْرِ تَمَّ أَرْمَعُ غَيْرُهُ
 وَقَالَ مسلم بن الوليد :

مِنَ الطَّيْرِ يَنْظُرُنَ الَّذِي هُوَ صَانِعٌ (٢)
 وَإِنْ ضَاقَ أَمْرٌ مَرَّةً فَهُوَ وَاسِعٌ
 وَإِنِّي لِأَسْتَجِبِي القُنُوعَ وَمَذْهَبِي
 وَمَا كَانَ مِثْلِي يَعْتَرِيكَ رَجَاؤُهُ
 وَإِنِّي وَإِشْرَافِي عَلَيْكَ بِهَمَّتِي
 أَخَذَهُ أَبُو عَثْمَانَ النَّاجِمُ فَقَالَ :

لَمْ تَحْصَلْ بِمُخَضِّكِ المَاءِ إِلَّا
 زَبَدًا حِينَ رَمْتِ بِالْجَهْلِ زُبْدًا

(١) شتار : أى ستنال الليرة ، والميرة - بكسر الميم - الطعام (م) .

(٢) في نسخة « إذا ما غزوا يوما » ، وفي أخرى « إذا ما عوى يوما رأيت

غمامة » (م) .

[وصف وسفينة]

وقال مسلم أيضاً يصف السفينة :

كشفت أهاويل الدجى عن مهول
إذا أقبلت راعت بقنة قرهب
بجارية محمولة حامل بكر
وإن أدبرت راعت بقادمتي نشر^(١)
وقومها كبئح اللجام من الدبر
نسيم الصبا مشى العروس إلى الخدر
أطلت بمجدافين يمتورانها
كان الصبا تحكى بها حين واجهت

[مما قيل في وصف الأساطيل]

وقال أبو القاسم بن هانيء يصف أسطول المعز بالله :

أما والجوارى المنشآت التي سرت
قباب كما ترخي القباب على المأ
[وما راع ملك الروم إلا اطلاعها
ولله مما لا يرون كتاب
أطل لها أن الملائك خلفها
وأن الرياح الذاريات كتاب
عليها غمام مكفهرة صبيرة
مواخر في طامى العباب كأنها
أنافت بها أطامها وسما بها
[من الطير إلا أنهم جوارح
وليس بأعلى كبكب وهو باهق
من الراسيات الشم لولا انتقالها
من القادحات النار تضرم للصلى

لقد ظاهرتها عدة وعديد
ولكن من ضمت عليه أسود
تنشر أعلام لها وبنود
مسومة يجرى بها وجنود
فن وقت خلف الصفوف ردود^(٢)
وأن النجوم الطالعات سعود
له بارقات جملة ورعود^(٣)
لعزمك بأس أو لكفك جود
بنالا على غير العراء مشيد
وليس لها إلا النفوس مصيد
وليس من الضفاح وهو صلود
فمنها قبان شمع ورعود^(٤)
فليس لها يوم اللقاء خمود

لابن هانيء
يصف أسطول
المعز الفاطمي

(١) في نسخة « بقنة قرهد » والقرهب : الثور ، والقرهد : ولد الأسد أو ولد
الوعل (م) . (٢) ردود : جمع ردس بكسر الراء وهو كل ما اعتمدت عليه ورجعت إليه (م)
(٣) الصبير - بفتح الصاد - السحاب المتراكم بضه فوق بعض (م)
(٤) الربود : جمع ريد ، وهو القطعة من الجبل (م)

إِذَا زَفَرَتْ غِيظًا تَرَامَتْ بِمَارِجٍ
 تُعَانِقُ مَوْجَ الْبَحْرِ حَتَّى كَأَنَّهُ
 تَرَى الْمَاءَ فِيهَا وَهُوَ قَانٍ خِضَابُهُ
 فَأَنْفَاسُهُنَّ الْحَامِيَاتُ صَوَاعِقُ
 يَشَبُّ لَالِ الْجَأْتَلِيْقِ سَعِيرُهَا
 لَهَا شَعْلٌ فَوْقَ الْعِمَارِ كَأَنَّهَا
 وَغَيْرِ الْمَذَاكِى تَجْرُهَا غَيْرُهَا
 فَلَيْسَ لَهَا إِلَّا الرِّيحَ أَعْنَةً
 تَرَى كُلَّ قَوْدَاءِ التَّلِيلِ كَمَا انْتَدَتْ
 رَحِيْبَةً مَدَّ الْبَاعِ وَهِيَ نَضِيْجَةٌ
 تَكْتَبِرُنَّ عَنِ نَفْعِ يُنْبَارِ كَأَنَّهَا
 لَهَا مِنْ شُفُوفِ الْعَبْقَرِيِّ مَلَابِسٌ
 كَمَا اشْتَمَلَتْ فَوْقَ الْأَرَائِكِ خُرْدٌ
 لِبُوسٌ تَكْفُ الْمَوْجَ وَهُوَ غَطَامِطٌ
 فَهِنَّ دَرُوعٌ فَوْقَهَا وَجَوَاشِنٌ
 وَقَالَ عَلِيٌّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْإِيَادِيُّ يَصِفُ أَسْطُولَ الْقَائِمِ فَأَجَادَ مَا أَرَادَ :
 أَحْبَبَ لِأَسْطُولِ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ
 لَبِسَتْ بِهِ الْأَمْوَاجَ أَحْسَنَ مَنْظَرٍ
 مِنْ كُلِّ مُشْرِفَةٍ عَلَى مَا قَابَلَتْ
 دَهْمَاءَ قَدْ لَبِسَتْ ثِيَابَ تَصْنَعُ
 وَحُسْنَهُ وَزَمَانَهُ الْمُسْتَعْرَبِ
 يَبْدُو لِعَيْنِ النَّاطِرِ الْمُتَعَجِّبِ
 إِشْرَافَ صَدْرِ الْأَجْدَلِ الْمُتَنْصِبِ
 تَسْبِي الْعُقُولِ عَلَى ثِيَابِ تَرْهَبِ

لعلى الإيادى
 يصف أسطول
 القائم

- (١) السليط - بفتح السين - الزيت ، والذبال : جمع ذبالة (م)
 (٢) الردع : الزعفران ، والحلوق - بفتح الحاء - ضرب من الطيب (م)
 (٣) الكديد - بفتح الكاف - الأرض الصلبة (م) (٤) قوداء التليل : طوييلة العنق (م)

من كل أبيض في الهواء منشر
 كملاءة في البر يقطع شدتها
 محفوفة بمجاذف مصفوفة
 كقوادم النسر المرفرف عريت
 تحتشها أيدي الرجال إذا وئت
 خفاء تذهب إن يد لم تهدها
 جوفاء تحمل موكباً في جوفها
 ولها جناح يستعار يطيرها
 يظلوها حدب العباب مطارة
 تسمو بأجرد في الهواء متوج
 ينزل الملاح منه ذوابة
 فكأنما رام استراقة مقعد
 وكأنما جن ابن داود هم
 سجروا جواجم ناريها فتقاذوا
 من كل مسجور الحريق إذا انبرى
 عريان يقدمه الدخان كأنه
 ولواحق مثل الأهلة جنح
 يذهبن فيما بينهن لطافة
 كنضائض الحيات رحن لواعباً
 شرعوا جوانبها مجاذف أتعبت
 منها وأسحمت في الخليج معيب^(١)
 في البحر أنفاس الرياح الشذب
 في جانبين دوين صلب صلب
 من كاسيات ريشه المتهذب
 بمصعد منه بميد مصوب^(٢)
 في كل أوب للرياح ومدهب
 يوم الرهان وتستقل بموكب
 طوع الرياح وراحة المنطرب
 في كل لج زاخر مغلوب
 عريان منسوج الذوابة شوذب^(٣)
 لورام يركبها القطا لم ير ك
 للسمع إلا أنه لم يشهب^(٤)
 ركبوا جوانبها بأعنف مر ك
 منها بالسفن مارج متلهب
 من سجنه أنصت أنصلات الكوكب
 صبح بكر على الظلام الغيب
 لحق المطاب فئات المهرب
 ويجن فعل الطائر المتغلب
 حتى يقعن برك ماء الميزب
 شأو الرياح لها ولما تمعب

(١) الأسحمت : الأسود (م)

(٢) تحتشها : تحملها على السرعة ، وونت : فرت (م)

(٣) الشوذب من الرجال : الطويل الحسن الخلق (م)

(٤) لم يشهب : لم يرم بالشهاب ، يشير إلى قوله تعالى : (فأتبعه شهاب ثاقب

تنصاع من كَتَبَ كما نفر القَطَاً طوراً ، وتجتمع اجتماع الربِّ (١)
 والبحرُ يجمع بينها فكانه ليلٌ يقربُ عقرباً من عقرب
 وعلى كواكبها أسود خِلافةٍ تختالُ في عُدَدِ السلاح المذهب
 فكانما البحرُ استعمار بزيمهم ثوبَ الجمال من الربيع المعجب

[من لطائف التودد]

كتب العباس (٢) بن جرير إلى الفضل بن يحيى :

لا أعلم منزلةً توحشني من الأمير ولا توحشه مني ؛ لأنني في المودة له كنفسه ،
 وفي الطاعة كيدِه ، وإنما أُلطفُه من فضله ، وقد بعثت بعض ما ظننت أنه يحتاج
 إليه في سفره . وذكرك ما بعث .

وكتب غيره في هذا المعنى : إذا كان اللطف دليل محبةٍ ، وميسم قرابةٍ ،
 كفي قليله عن كثيره ، وناب يسيره عن خطيره ، لاسيما إذا كان التقصودُ به
 ذاهمةً لا يستعظم نفيساً ، ولا يستصغر خسيساً ؛ وقد حُزّت من هذه الصفة أجلُّ
 فضائلها ، وأرفع منازلها .

وفي هذا المعنى : إن يد الأنس طويلة بكل ما بلغت ، منبسطة بكل
 ما أدركت ، من حيث يد الحشمة قصيرة عن كل ما حوت ، مقبوضة دون
 ما أمّلت ؛ لأن باب القول مطلق لذوى الخصوص (٣) ، محظور عند ذوى المهموم ،
 ولتسكن ما بيننا عاطيتك من لطفى مالا دونه قلة ، ثقةً منك بأنه يرد على
 مالا فوفه كثرة .

(١) الربِّب — بوزن جعفر — جماعة بقر الوحش (م)

(٢) في نسخة « أبو العباس » (م) (٣) في نسخة « لذوى الخطوط » (م)

ومن أفاظ أهل العصر في إقامة رسم الهدية في المهرجان والنيروز

لمثل هذا اليوم الجديد والأوان السعيد سنة ، وعلى مثل فيها أن يتحف
ويُلفظ ، وعلى مثل سيدنا ، ولا مثل له ، أن يُقبل ويشرف . لليوم رسم إن
أخل به الأولياء عُد هفوة ، وإن منع منه الرؤساء حُسب جفوة ، ومولاي
يسوغني الدالة فيما اقترن بالرقعة ، ويكسبني بذلك الشرف والرفعة . الهدايا
تكون من الرؤساء مكاثرة بالفضل ، ومن النظراء مقارضة بالمثل ، ومن الأولياء
ملاطفة بالقل^(١) ، وقد ساسكت في هذا اليوم مع مولاي سبيل أهل طبقتهم من
الأرباب ، وقد حملت إلى مولاي هدية [الملائف ، لا هدية] المحتفل ،
والنفس له ، والمال منه .

ولهم في التهئة بالنيروز والمهرجان وفصل الربيع

هذا اليوم غرّة في أيام الدهر ، وتاج على مفرق القصر . أسعد الله مولانا
بنوروزِه الوارد عليه ، وأعاد ما شاء وكيف شاء إليه . أسعد الله تعالى سيدنا بالنوروز
الطالع عليه ببركاته ، وأيمن طائرَه في جميع أيامه ومتصرفاته ؛ ولا يزال يلبس
الأيام ويُبليها وهو جديد ، ويقطع مسافة نحسها وسعدنا وهو سعيد . أقبل
النيروز إلى سيدنا ناشراً حُلله التي استعارها من شيمته ، ومُبديا حالته^(٢) التي
اتخذها من سَجِيته ، ومستصحبا من أنواره ما اكتساه من محاسن فضله وإكرامه ،
ومن أنظاره ما اقتبس من جوده وإنعامه . ويؤكد الوعد بطول بقائه حتى عمِل العمر ،
ويستغرق الدهر . سيدنا هو الربيع الذي لا يذبل شجرُه ، [ولا يزول سحرُه]
ولا ينقطع ثمرُه ، ولا يُقْلِعُ عَمَامَه ، ولا تتبدل أيامُه ؛ فأسعد الله تعالى بهذا

(١) القل — بضم القاف وتشديد اللام — القليل (م)

(٢) في نسخة « ومبديا حليته » (م)

الربيع المتشبه بأخلاقه ، وإن لم ينل قدرها ، ولم يحمل فضلها ، ولم يجد بدءاً من الإقرار بها . سيدنا هو الربيع الذى يتصل مطرُه ، من حيث يُؤمن ضررُه ، ويدومُ زهرُه ، من حيث يتعجل ثمرُه ؛ فلا زال أمراً ناهياً ، قاهراً عالياً ، تهنئاً الأعياد بمصادفة سلطانه ، وتستفيدُ المحاسنُ من رياضِ إحسانه . أسعد الله سيدنا بهذا التَّوَرُّوزِ الحاضر ، الجديد الناضر ، سعادةً تستمرُّ له فى جميع أيامه على العموم دون الخصوص ، لتكونَ متشابهات [فى اكتشاف] المواهب لها ، واتصالِ المسارِ فيها ، لا يفرق إلا بمقدار يزيد التالى على الخلقى ، ويدرج الآتى على الماضى . عرف الله سيدنا بركة هذا المهرجان ، وأسعدَه فيه ، وفى كلِّ زمان وأوان ، وأبقاه ما شاء فى ظلال الأمانى والأمان . هذا اليومُ من محاسن الدهر المشهورة ، وفضائل الأرمنة المذكورة ، فلقى الله تعالى سيدنا بركة وُرودِهِ ، وأجرل حظه من أقسام سعوده ، هذا اليومُ من غرر الدهور ، وهواسم السرور ، معظم فى الملك الفارسى ، من نظرف فى الملك العربى : فوفر الله تعالى فيه على مولائى السعادات ، وعرفه فى أيامه البركات ، على الساعات واللحظات

[الصفات التى تلم فى رجل الشرطة]

وقال الحجاج بن يوسف : دلونى على رجل للشرطة ، فقبيل : أى رجل تريد ؟ فقال : أريد رجلاً دائماً العُبوس ، طويلَ الجلوس ، سمينَ الأمانة ، أعجفَ الحيانة^(١) ، يهونُ عليه سبُّ الشريفة فى الشفاعة^(٢) ! فقالوا : عليك بعبد الرحمن [بن عبد الله] التميمى ، فأرسل إليه يستعمله ، فقال : لست أعمل لك عملاً إلا أن تكفينى ولدك ، وأهل بيتك ، وعيالك وحاشيتك ، فقال : يا غلام ناد : مَنْ طلب إليه حاجة منهم فقد برئت منه الذمة .

(١) أعجف الحيانة : مهزولها وضميفها ، والمراد أنه عديم الحيانة (م)
 (٢) فى نسخة «يهون عليه سباب الشريف» وفى أخرى «سبب الأشراف» (م)

لأشجع السلمي
يمدح صاحب
شرطة الرشيد

وقال أشجع بن عمرو الشلمي يمدحُ في هذا المعنى إبراهيم بن عثمان بن نهيك
صاحب شرطة الرشيد، وكان جباراً عنيداً:

في سيف إبراهيم خوفٌ واقعٌ بدوى النفاق ، وفيه أمنُ المسلم
وبيت بكلاً والعيونُ هواجعٌ مالَ المصيع ومُهَجَّةُ المستسلم
شدَّ الخطامَ بأنف كلِّ مخالفٍ حتى استقام له الذي لم يُخطم
لا يَصْلِحُ السلطانَ إلا شدةً تغشى البرى بفضلِ ذنبِ المجرم
ومن الولاة مُفخَّمٌ لا يتقى والسينُ تَفْطِرُ شَفْرَتَاهُ من الدم (١)
منعت مهابتك النفوسَ حديثها بالأمر تكرهه وإن لم تعلم

[من كلام الأعراب]

أعرابية تلوم
أباها في الجود

عدت أعرابية أباها في الجود وإتلاف ماله ، فقالت : حبس المال ، أنفعُ
للعيال ، من بذل الوجه في السؤال ؛ فقد قلَّ التوال ، وكثر البخل ، وقد
أتلفت الطارف والتلاد ، وبقيت تطلبُ ما في أيدي العباد ، ومن لم يحفظ
ما ينفعه ، أوشك أن يسعى فيما يضره .

دعوة أعرابية

قال الأصمعي : سمعت أعرابية تقول : اللهم ارزقني عمل الخائفين ، وخوف
العاملين ، حتى أتعمم بترك التعم ، رجاء لما وعدت ، وخوفا مما أوعدت .
وقال آخر : اللهم من أراد بنا سوءاً فأحطه به كإحاطة القلائد ، بأعناق
الولائد ، وأرسخه على هامته ، كرسوخ السجيل ، على هام أصحاب القيل
وقال بعض الأعراب : نالنا وشي ، وخلفه ولي (٢) ؛ فالأرض كأنها وشي
[عبقرى] ؛ ثم أتتنا غيوم جراد ، بمناجل حداد ؛ فخربت البلاد ، وأهلكت
العباد ؛ فسبحان من يهلك القوى الأكل . بالضعيف المأكول .

(١) يروى « ومن الولاة مقحم » والمقحم - بزنة المعظم - الذى يقحم نفسه في
الأمور (م) (٢) الوسمى : أول المطر ، والولى : المطر يشع المطر (م)

[مع الولاة والخلفاء]

السفاح
وعمارة بن
حمزة

وقال عمارة بن حمزة لأبي العباس السفاح - وقد أمر له بجواز نفسه ، وكسوة
وصلة ، وأذني مجلسه - : وصلتك الله يا أمير المؤمنين وبركك ، فوالله لئن أردنا
شكرَكَ على كُنْهِ صلتك ، فإنَّ الشكرَ ليقصُرُ عن نعمتك ، كما قصُرنا عن
منزلتك ، غير أن الله تعالى جعل لك فضلا علينا بالتقصير منا ، ولم تحرِ منَّا الزيادة
منك لنقصِ شكرنا .

السفاح وخالد
بن صفوان

وقال أبو العباس السفاح لخالد بن صفوان : كيف علمك بأخوالي بني الحارث
ابن كعب ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، هم هامة الشرف ، وعزّنين السكّرم ،
وفيهم خصالٌ ليست في غيرهم من قومهم ، هم أحسنهم أمما ، وأكرمهم شيئا ،
وأهناهم طعا ، وأوفاهم ذمما ، وأبعدهم همما ، هم الجُمرة في الحرب ، والرأس
في كلِّ خطب ، وغيرهم بمنزلة العجب ^(١) .

عمر بن
عبد العزيز
وخالد
بن صفوان

وعزّي خالد بن صفوان عمر بن عبد العزيز وهنأه بالخلافة ، فقال : الحمد لله
الذي منَّ على الخلق بك ، والحمد لله الذي جعل نبوتكم رحمة ، وخلافتكم
عصمة ، ومصائبكم أسوة ، وجعلكم قُدوة .

وقال خالد بن صفوان لبعض الولاة : قدمت وأعطيت كلاً بقسطه من
نظرك ومجلسك ، في صوتك وعدلك ، حتى كأنك من كلِّ أحد ، وحتى
كأنك لست من أحد .

وقال رجل لخالد : إن أباك كان دَميا ، ولكنه كان حليما ، وإن أمك
كانت حسناء ، ولكنها كانت رَعناء ، فيا جامع شرَّ أبويه !

شدور في المقابح ومساوي الأخلاق

على بن عبيدة الرحمانى - أذنب شعار المرء جهله .

- (١) العجب - بفتح العين وسكون الجيم - أصل الدنب ، وهو أيضا مؤخر كل شيء (م)
(٢) الديميم - بالذال المهملة - القبيح الشكل ، ووقع في نسخة «ذميا» تطبيع (م)

ابن المعتز - نعم الجاهل ، كالرياض في المزابيل . كلما حسنتُ نعمةً الجاهل
ازداد فيها قُبْحًا . لسانُ الجاهل مفتاحُ حَتْفِهِ . لا ترى الجاهل إلا مُفْرطًا أو مُفْرَطًا .
الجاحظ - البخلُ والجُبْنُ غريزةٌ واحدةٌ ، يجمعهما سوء الظن بالله . البخلُ
يَهْدِمُ مَباني الشرف .

وقال ابن المعتز : لما عرف أهلُ النَّقْصِ حالهم عند ذوى السكّال ، استعانوا
بالكِبَرِ ليعظّمَ صغيراً ، ويرفعَ حقيراً ، وليس ينفَعُ الطمعُ في وثاقِ الذلِّ .
الغضب يصدى العقلَ حتى لا يرى صاحبه صورةَ حَسَنِ فيرتكبه ، ولا صورةَ
قبيحٍ فيجتنبه . الغضبُ ينبىءُ عن كامنِ الحقدِ . من أطاعَ غضبه أضاعَ أدبه .
حدّةُ الغضبِ تغيرُ المنطقَ ^(١) ، وتقطعُ مادّةَ الحجّةِ ، وتفرّقُ الفهمَ ^(٢) : غضبُ الجاهلِ
في قوله ، وغضبُ العاقلِ في فِعله . عقوبةُ الغضبِ تبدأُ بالغضبِبان : تقبّح
صورته ، وتلُمُ دينه ، وتعجّلُ ندمه . ما أقبح الاستطالة ^(٣) عند الغنى ، والخضوع
عند الفقر . من يهتك سِتْرَ غيره تكشّفت عوراتُ بيته . نفاق المرء من ذلِّهِ
الشرير لا يظنُّ بالناس خيراً لأنه يراهم بعين طبعه . من عدّد نعمةً محقّ كرمه .
خلفُ الوعدِ خلقُ الوغد ، من أسرع كثرُ عثّاره .

[من المفاخرات]

فاخر كاتبٌ نديماً ، فقال الكاتب : أنا مَعُونَةٌ ، وأنت مَوْنَةٌ ؛ وأنا للجدِّ ،
وأنت للهزَلِ ؛ وأنا للشدةِ وأنت للذّةِ ؛ وأنا للحربِ ، وأنت للسلمِ . فقال النديم :
أنا للنعمة ، وأنت للخدمةِ ؛ وأنا للحضرةِ ، وأنت للمهنةِ ؛ تقومُ وأنا جالسٌ ،
وتحتشمُ وأنا مُوانِسٌ ؛ تدأبُ لراحتي ، وتَشَقِّقُ لسعادتي ؛ فأنا شريكٌ ، وأنت
معينٌ ، كما أنك تابعٌ ، وأنا قرينٌ .

بين كاتب
ونديم

(١) في نسخة «تغير المنطق» (م) (٢) تفرق الفهم : تبيده (م)

(٣) الاستطالة : التكبر (م)

وفاخر صاحب سيفٍ صاحب قلم ، فقال صاحب القلم : أنا أقتل بلا غرر ،
وأنت تقتل على خطر . فقال صاحب السيف : القلم خادم السيف إن تم مراده ،
والإ فإلى السيف معاده .
قال أبو تمام :

السيفُ أصدقُ أنباءٍ من الكتبِ في حدِّه الحدُّ بين الجسدِ واللعبِ
إبراهيم بن المهدي :

فقد تلينُ ببعض القولِ تبدُّلهُ والوصلُ في جبلٍ صعبٍ مرَّاقبهُ
كالخيزرانِ مَنيعٍ حين تكسرهُ وقد يرى لئناً في كفِّ لآويهُ
أبو الهيثم^(١) عاصم بن عمارة المرِّي يرى :

لأبي الهيثم
المرِّي يرى

سأبكيك بالبيض الرقاق وبالقنأ فإن بها ما أدرك الوائرُ الوترأ
ولسنا كمن يبكي أخاه بعبرةٍ يعصُّرها من ماء مُقلته عصراً
ولكنني أشفي فزادى بغمرةٍ وأهب في قطري جوانبه جراً
وإنا أناس ما تفيضُ دموعنا على هالكٍ منا وإن قصم الظهرا

[من وصايا الحكماء]

لقي رجل حكيمًا فقال : كيف ترى الدهر ؟ قال : يُخيقُ الأبدان ، ويجدِّدُ
الأمال ، ويقربُ المنية ، ويباعدُ الأمنية . قال : فما حالُ أهله ؟ قال : من ظفر
به منهم تعب ، ومن فاتته نصب . قال : فما الغنى عنه ؟ قال : قطعُ الرجاء منه ،
قال : فأى الأصحاب أبرُّ وأوفى ؟ قال : العمل الصالح والتقوى . قال : أيهم أضر
وأردي^(٢) ؟ قال : النفس والهوى ، قال : فأين المخرج ؟ قال : سلوكُ المنهج . قال :
وما هو ؟ قال : بذلُ المجهود ، وتركُ الراحة ، ومداومةُ الفكرة . قال : أوصني .
قال : قد فعلت .

(١) في نسخة «أبو الهندام» وفي أخرى «أبو الهيثم» (م)

(٢) أردى : أشدردى ، والردي - بوزن الفقى - الهلاك (م)

(١٢ - زهر الآداب :)

وقال بعضُ الملوكِ الحكيمِ من حكمائه : عَظِي بِعِظَةِ تَنفِي عَنِ الْخَيْلَاءِ (١) ،
وتزهدني في الدنيا . قال : فَكَّرَ فِي خُلُقِكَ ، وَاذْكَرَ مَبْدَأَكَ وَمَصِيرَكَ ، فَإِذَا
فَعَلْتَ ذَلِكَ صَغَرْتَ عِنْدَكَ نَفْسُكَ ، وَعَظُمَ بِصَغَرِهَا عِنْدَكَ عَقْلُكَ ؛ فَإِنَّ الْعَقْلَ
أَنْفَعُ الْإِنْسَانِ عِظْمًا ، وَالنَّفْسَ أَرْزَنُهُمَا لَكَ صِغَرًا ؛ قَالَ الْمَلِكُ : فَإِنْ كَانَ شَيْءٌ يُعِينُ
عَلَى الْأَخْلَاقِ الْحَمُودَةِ فَصِفْتِكَ هَذِهِ . قَالَ : صَفَتِي دَلِيلٌ ، وَفَهْمُكَ مَحَبَّةٌ ، وَالْعِلْمُ
عَلِيَّةٌ (٢) ، وَالْعَمَلُ مَطِيَّةٌ ، وَالْإِخْلَاصُ زَمَامُهَا ، فَخُذْ لِعَقْلِكَ بِمَا يَزِينُهُ مِنَ الْعِلْمِ ، وَالْعَمَلِ
بِمَا يَصُونُهُ مِنَ الْعَمَلِ ، وَلِلْعَمَلِ بِمَا يَحْقِقُهُ مِنَ الْإِخْلَاصِ ، وَأَنْتَ أَنْتَ !
قال : صدقت .

[من المدح]

لابن الرومي

وقال ابن الرومي :

تَعْتَمُونَ عَنِ كُلِّ تَقْرِيطٍ بِمَجْدِكُمْ
غَيَّ الظُّبَاءُ عَنِ التَّكْحِيلِ بِالكَحَلِ
تَلُوحُ فِي دَوْلِ الْأَيَّامِ دَوْلَتِكُمْ
كَأَنَّهَا مِثْلَةُ الْإِسْلَامِ فِي الْمَلَلِ
وقال أيضاً :

كُلُّ إِخْلَاصٍ الَّتِي فِيكُمْ مَحَاسِنُكُمْ
تَشَابَهَتْ مِنْكُمْ الْأَخْلَاقُ وَالْخُلُقُ
كَأَنَّكُمْ شَجَرُ الْأَتْرُجِ طَابَ مَعَا
حَمَلًا وَتَوَرًّا ، وَطَابَ الْعُودُ وَالْوَرَقُ
وقال البستي [في نحو هذا] :

لأبي الفتح
البستي

فَتِي جَمَعَ الْعُلِيَاءَ عِلْمًا وَعِفَّةً
وَبَأْسًا وَجُودًا لَا يَفِيقُ فُوقَا
كَأَنَّكُمْ التَّفَاحُ حَسَنًا وَلَضْرَةً
وَرَأْمَةً مَحْبُوبَةً وَمَدَاقًا
قال أبو العباس المبرد : حدثني عجل بن أبي دلف قال : امتدح رجلُ أبي
بكلمةٍ ، فوصله بخمسة مائة دينار ولم يره ، وهي :

في مدح
أبي دلف

(١) الخيلاء : الكبر (م)

(٢) في نسخة « والعلم حيلة » وفي أخرى « والعلم حلية » (م)

مَالِي وَمَالِكَ قَدْ كَلَفْتَنِي شَطَطًا حَمَلِ السَّلَاحِ وَقَوْلِ الدَّارِعِينَ قَفِ
 أَمِنْ رِجَالِ المَنَايَا خِلْتَنِي رَجِيلاً أُمْسِي وَأُصْبِحُ مُشْتَاقًا إِلَى التَّلَفِ
 أَرَى المَنَايَا عَلَى غَيْرِي فَأُكْرَهَهَا فَكَيْفَ أُمْسِي إِلَيْهَا بَارِزَ الكَتْفِ
 أَحَلَّتْ أَنْ سَوَادَ اللَّيْلِ غَيَّرَنِي وَأَنْ قَلْبِي فِي جَنبِي أَبِي دَلْفِ
 قلت: هذا لحديث الذي دخل في قومٍ على شراب فسقوه غير الشراب الذي
 يشربون ، فقال :

نِيِّدَانِ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ لِإِيْشَارِ مُثْرٍ عَلَى مُقْتَرِ
 فَلَوْ كُنْتَ تَفْعَلُ فِعْلَ الكِرَامِ فَعَلْتُ كَفَعْلِ أَبِي البَخْتَرِيِّ
 تَدَبَّعَ إِخْوَانَهُ فِي البِلَادِ فَأَغَى المَقْلَ عَنِ المَكْرِ
 فانصل شعره بأبي البختري فأعطاه ألف دينار ولم يره .

[أحمد بن أبي فنن]

والأبيات التي مُدِح بها أبو دلف هي لأحمد بن أبي فنن^(١) ، وكان شاعراً
 مجيداً ، وهو القائل :

وَلَمَّا أَبَتْ عَيْنَايَ أَنْ تَمْلِكَ البُكْيَا وَأَنْ تَحْبَسَ سَحَّ الدُمُوعِ السَّوَاكِبِ^(٢)
 تَنَاءَبَتْ كَيْ لَا يُفَكِّرَ الدَمْعَ مَنَكِرًا وَلَكِنْ قَلِيلاً مَا بَقَاءَ التَّشَاؤُبِ^(٣)
 أَعْرَضْتَنِي لِلْهَوَى وَنَمَمًا عَلَيَّ؟ لِبَيْسِ الصَّاحِبَانِ لِصَاحِبِ
 وقال :

وَحَيَاةَ هَجْرِكَ غَيْرِ مَعْتَمِدِ إِلَّا لِقَصْدِ الحِنْتِ فِي الحَلْفِ
 مَا أَنْتَ أَمْلَحُ مَنْ رَأَيْتَ وَلَا كَلْفِي بِجَبِّكَ مُنْتَهَى كَلْفِي

(١) في نسخة «أحمد بن أبي العيلاء» وانظر اللآلي لأبي عبيد البكري (١٩٧) (م)

(٢) في اللآلي «أن تملكك البكي» ويروي «أن تقفك البكي»

(٣) «ما» في قوله «قليلًا» صفة لقليل ، وفي نسخة «ما يفيد التثاؤب» وليس

بشيء ، وكان من حق العربية أن يقول «ولكن قليل ما بقاء التثاؤب» ولما ذكر
 وجه ليس هو المهجع .

قال الصولي : كنا بحضرة أبي العباس المبرد فأنشد هذين البيتين فاستظرفهما
وأشردنا في ذلك :

وحياة غيرك غير معتمد به حينئذ ولكن معظماً لحياتك^(١)
ما ينقض طمعي وإن أطمعتني في الوعد منك إلى اقتضاء عداتك^(٢)

وقال الخنمي :

ولم أر مثل الصدأ أدمى إلى الهوى إذا كان من لا يخافُ على وصال
وآتٍ يميناً كالزجاج رقيقةً وما حلفتُ إلا لتحنثَ من أجلي
وكان أحمد بن أبي فتن أسود ، ولذلك قال :

* أخلت أن سواد الليل غيرني *

ولما أدخل على المعتز وامتدحه قال : هذا الشاعر الآدم^(٣) ، قال بعض من حضر :
لا يضره سواده مع بياض أيديك عنده ، قال : أجل ، ووصله .

أخذ قوله :

* أرى المنايا على غيري فأكرهها *

من قول أعرابي قيل له : ألا تغزو ؟ قال : أنا والله أكره الموت على فراشي ،
فكيف أمشي إليه ركضاً ؟

[الاستطراد]

وهذا المذهب الذي سلكه أحمد ضرب من البديع يسمى الاستطراد، وذلك
أن الفارس يظهر أنه يستطرد لشيء ويُبطنُ غيره ، فيكركُ عليه ، وكذلك هذا

(١) في نسخة «وحياة عزك» (م)

(٢) العداة : جمع عدة ، بمعنى الوعد ، واقتضاؤها : طلب إنجازها (م)

(٣) الآدم : وصف من الأدمة ، وهي السمرة (م)

الشاعر يظهر أنه يذهب لمعنى فيعين له آخر فيأتي به ، كأنه على غير قصد ، وعليه بناء ، وإليه كان معزاه (١) ، وقد أكثر المحدثون منه فأحسنوا في ذلك .

إسحاق
الموصلى

قال الأصمعي : كنت عند الرشيد فدخل عليه إسحاق بن إبراهيم الموصلى فقال : أنشدني من شعرك ، فأنشده :

وأمره بالبخل قلت لها : أقصرى فليس إلى ما تأمرين سبيل
أرى الناس خلان الجواد ، ولا أرى بخيلاً له في العالمين خليل
ومن خير حالات الغنى لو علمته إذا نال شيئاً أن يكون منيل
فعالى فعالم المسكرين تجملاً ومالى كما قد تعلمين قليلاً
وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى ورأى أمير المؤمنين جميل

فقال الرشيد : يا فضل ؛ أعطه عشرين ألف درهم . ثم قال : لله أبيات تأتينا بها يا إسحاق ما أتقن أصولها ، وأبين فصولها . وأقل فضولها ! فقال : والله يا أمير المؤمنين ؛ لا قبلت منها درهما واحداً . قال : ولم ؟ قال : لأن كلامك ، والله ، خير من شعري . فقال : يا فضل ؛ ادفم إليه أربعين ألفاً . قال الأصمعي : فعلمت أنه أصيد لدرهم الملوك منى .

أبى تمام
مصنف فرساً

ومن ذلك (٢) قول أبى تمام يصف فرساً :

وساج هطل التمداء هتان على الجراء أمين غير خوان
أظمى الفصوص ولم تظماً قوائمه فخل عينيك في ريان ظمان
فلو تراه مשיحاً والحصى زيم بين السنايك من مثنى ووحدان
أيقنت - إن لم تثبت - أن حافره من صخر تدمر أو من وجه عمان

وقد احتذى البحترى هذا الحدو في حمدويه الأحوال ، وكان حمدويه هذا

عدوا للمدوح ، فقال :

(١) معزاه - بالعين المهملة - اعتزأوه - أى انتسابه ، وفي نسخة «معزاه» بالعين

المعجمة (م) (٢) أى من الاستطراد (م)

وأغبراً في الزمن البهيم مُحَجَّلٌ قد رُحِتُ منه على أغرٍ مُحَجَّلٌ
 كالهيكَلِ المبنى إلا أنه في الحُسنِ جاء كصورةٍ في هَيْكَلِ
 مَلَكِ العيون؛ فإن بدا أُعطينهُ نظر الحب إلى الحبيب المقبل
 ما إن يعافُ قذى ولو أوردتهُ يوماً خلائقِ حَمْدِ وَبِه الأُحولِ

وفي قصيدته هذه يحكى أن البحرئى قال له أصحابه : إلك سُتُعبَ بهذا البيت ؛ لأنك سرقتَه من أبى تمام ، قال : أعاب من أخذى من أبى (١) تمام ؟! والله ما قلتُ شعراً قط إلا بعد أن أحضرت شعره في فكرى ، قال : وأسقط البيت بعد ، فلا يوجد في أكثر النسخ .

[سَبَقُ المتقدمين إلى الاستطراد]

وهذا معنى قد أعجب المحدثين ، وتحيلوا أنهم لم يُسبَقُوا إليه ، وقد تقدم لمن قبلهم ، قال الفرزدق :

كأن قفاح الأزد حول ابن مسمع إذا جلسوا أفواه بكر بن وائل
 قال الحاتمى : وأنى جرير بهذا النوع فثنا (٢) في وجه السابق إلى هذا المعنى فضلاً عن تلامه ؛ فإنه استطرد في بيت واحد ، فمجا فيه ثلاثة ، فقال :
 لما وضعت على الفرزدق ميسمى وعلى البعيث جدعت أنف الأخطل
 وقيل هذا البيت مما يرد على الحاتمى ، وهو قوله :

أعددت للشعراء كأساً مرة فسقيت آخرهم بكأس الأول
 قال أبو إسحاق : وأول من ابتكره السموئل بن عادىاء اليهودى ، وكل أحد تابع له فقال :

وإنا أناس لا نرى القتل سبةً إذا ما رأته عامرٌ وسلولُ
 يقرب حب الموت آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فتطولُ

(١) في نسخة «أعاب على أحد أخذى من أبى تمام ؟» (م)
 (٢) حثا التراب يثووه ويخثيه - مثل ذعاه يدعووه ورماه يرميه - قبض قبضة منه ورماه به (م)

للفرزدق

لجرير

السموئل

مبتكر
 الاستطراد

لطرفة بن
العبد البكري

وقد قال طرفة في هذا المعنى :

فلو شاء ربي كنت قيس بن خالد ولو شاء ربي كنت عمرو بن مرثد
فأصبحتُ ذا مالٍ كثيرٍ ، وعادني بنون كرامٍ سادة مسود
قيس بن خالد: ذو الجدين الشيباني . وعمرو بن مرثد: سيد بني قيس بن ثعلبة ،
فدعا [عمرو] طرفة لما بلغه ذلك ، فقال : أما البنون فإن الله يعطيك ، ولكن
لا تريم حتى تكون من أوسطنا حالا ؛ وأمر بنيه وكانوا عشرة ، فدفع إليه كل
واحد منهم عشراً من الإبل ؛ فانصرف بمائة ناقة .

ابن عبد
وابن بشر بن
مروان

وكان ابن عبدل منقطعاً إلى عبد الله بن بشر بن مروان^(١) ، فتأخر عنه بره ،
وغاب أياماً ، ثم أتاه فسأله عن غيبته ، فقال : خطبت ابنة عم لي بالسواد ،
فزعمت أن لها ديوناً وأسلافاً^(٢) هناك ، وأنى إذا جمعتها لها صارت إلى محبتي ، ففعلت
ذلك ، فلما استنجزتها كتبت إلى :

سَيُخَطِّطُكَ الَّذِي أُمَلَّتْ مِنِّي إذا انتقضت عليك قومي حبالِي
كما أخطأك معروفُ ابنِ بشر وكنت تعدُّ ذلك رأسَ مالٍ^(٣)
فقال : ما أحسن ما أظفت بالسؤال ! وأجزل صلته .

لبشار بن برد

ومن بديع هذا الباب قول بشار بن برد :

خليلي من كعب أعيناً أخا كما على دهره ؛ إن الكريم معين
ولا تبخلوا بخل ابن قزعة ؛ إنه مخافة أن يرجي نداء حزين
إذا جئته في حاجة سد بابهُ فلم تلقه إلا وأنت كمين
فقل لأبي يحيى متى تبلغ العلاء وفي كل معروف عليك يمين

لكبر بن النطاح

وقال بكر بن النطاح يمدح مالك بن طوق :

(١) وردت هذه القصة في ذيل الأمالى (٤٦) وذكر أنها بين ابن عبدل ومعرف
ابن بشر (م) (٢) في الذيل « فأرسلت إلى أن لي أشاوي على الناس وديونا »
والأشاوي : جمع أشياء التي هي جمع شيء (م) (٣) في الذيل « وكنت تعده لك
رأس مال » (م)

عَرَضْتُ عَلَيْهَا مَا أَرَادَتْ مِنْ الْمَنَى لَتَرْضَى فَقَالَتْ: قِمِ فَحِثْنِي بِكُوكِبِ
 قَلْتُ لَهَا: هَذَا التَّعْنَتُ كُلُّهُ كَمَنْ يَشْتَهِي لَحْمَ عُنُقَاءِ مُغْرِبِ
 سَلِي كُلِّ أَمْرٍ يَسْتَقِيمُ طَلَابُهُ وَلَا تَذْهَبِي يَا دَرِّ فِي كُلِّ مَذْهَبِ
 فَأَقْسَمُ لَوْ أَصْبَحْتُ فِي عِزِّ مَالِكِ وَقُدْرَتِهِ مَا رَامَ ذَلِكَ مَطْلَبِي
 فَتَى شَقِيَّتِ أَمْوَالِهِ بِسَمَاحِهِ كَمَا شَقِيَّتِ قَيْسُ بِأَرْمَاحِ نَعْلِي

واعتذر رجلٌ إلى رجلٍ بحضرة عبد الأعلى بن عبد الله فلم يُقبلْ عنده ،
 فقال عبد الأعلى : أما والله لئن كان احتمل إنهم الكذب ودينامته ، وخضوع
 الاعتذارِ وذِلَّتِهِ ، فعاقبته على الذَّنْبِ الذَّاهِبِ ، ولم تشكر له إنابة النَّائبِ ، إنك
 لمن يُسَىء ولا يُحْسِن .

وقال الحطيئة :

للحطيئة

يَسُوسُونَ أَحْلَامًا بَعِيدًا أَنَاتُهَا وَإِنْ غَضِبُوا جَاءَ الْحَفِيظَةَ وَالْجَدُّ
 أَقْلُوا عَلَيْهِمْ لَا أَبَا لِأَيِّكُمْ مِنَ الْيَوْمِ أَوْسُدُوا الْمَكَانَ الَّذِي سَدُّوا
 أَوْلِيكَ قَوْمٍ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبِنَا وَإِنْ وَعَدُوا أَوْفَوْا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا
 وَإِنْ كَانَتْ النِّعْمَاءُ فِيهِمْ جَزَوْا بِهَا وَإِنْ أَنْعَمُوا لَا كَدَّرُوهَا وَلَا كَدُّوا^(١)
 وَإِنْ قَالَ مَوْلَاهُمْ عَلَى جُؤَلِّ حَادِثٍ مِنَ الدَّهْرِ رُدُّوا فَضْلَ أَحْلَامِكُمْ رَدُّوا
 وَبِعَدْلِي أَبْنَاءَ سَعْدٍ عَلَيْهِمْ وَمَا قُلْتُ إِلَّا بِالَّذِي عَلِمْتُ سَعْدُ^(٢)

[شاعر باهلي في حضرة الرشيد]

وَوَصَلَ سَعِيدُ بْنُ سَلْمٍ إِلَى الرَّشِيدِ شَاعِرًا بَاهِلِيًّا ، فَأَنْشَدَهُ قَصِيدَةً حَسَنَةً ،
 فَاسْتَرَابَهُ الرَّشِيدُ ، وَقَالَ : أَسَمِعْتُ مَسْتَحْسِنًا ، وَأَنْكَرْتُ مَتَمًّا^(٣) ؛ فَإِنْ كُنْتَ سَابِحَ
 هَذَا الشَّعْرِ فَقُلْ فِي هَذَيْنِ ، وَأَشَارِ إِلَى الْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ وَكَانَا جَالِسَيْنِ .

(١) يروى « النعما عليهم جزواها » (م)

(٢) و يروى « وقد لامني أفضاء سعد عليهم » (م) (٣) في نسخة « وأكرمك متما » (م)

فقال : يا أمير المؤمنين ، حملتني على غير الجدد : هيبة الخلافة ، ووخشة الغربة ، وروعة المفاجأة ، وجلالة المقام ، وصعوبة البديهة ، وشروذ القوافي ، على غير الروية ، فليُمهني أمير المؤمنين حتى يتألف نافر القول .

فقال الرشيد : لا عليك ألا تقول ؛ قد جعلت اعتذارك عوض امتحانك .

فقال : يا أمير المؤمنين ؛ فسئت الخناق ، وسهلت ميدان السباق ، ثم قال :

بنيت بعبد الله بعد محمد ذرى قبة الإسلام فاحضرت عودها

ها طنبأها بارك الله فيهما وأنت - أمير المؤمنين - عودها

فقال الرشيد : وأنت بارك الله فيك ، سل ولا تكن مسألتك دون إحسانك

فقال : الهنيدة يا أمير المؤمنين^(١) ! فأمر له بها ، وبخلع نفيسة ، وصلة جزيلة .

[كاتب الحجاج عند سليمان بن عبد الملك]

دخل يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج على سليمان بن عبد الملك ، فازدراه ونبت عينه عنه ، فقال : مارأت عيني كالיום قط ، لعن الله امرأ أجزك رسنه ، وحكمك في أمره . فقال : يا أمير المؤمنين ، لا تقل ذلك ؛ فإنك رأيتني والأمر عني مدبر ، وعليك مقبل ؛ فلو رأيتني والأمر على مقبل ، وعنك مدبر ، لاستعظمت مني ما استصغرت ، واستكبرت ما استقللت .

قال : عزمت عليك يا بن أبي مسلم لتخبرني عن الحجاج ، أترأه يهوى في جهنم أم قد قر بها ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، لا تقل هذا في الحجاج ، وقد بذل لكم النصيحة ، وأمن دولتكم ، وأخاف عدوكم ، وكأني به يوم القيامة وهو عن يمين أبيك ، ويسار أخيك ، فاجعله حيث شئت .

فقال له سليمان : اعزب^(٢) إلى لعنة الله ! فخرج ، فالتفت سليمان إلى جلسائه

(١) الهنيدة - بزنة التصغير - اسم لمائة من الإبل (م) (٢) اعزب : ابعد (م)

فقال : قاتله الله ! ما أحسنَ بديهتهُ ، وترفيعه لنفسه ولصاحبه ! وقد أحسنَ المكافأة في الصنعة ، خلّوا عنه .

[من أدب إبراهيم بن العباس الموصلي]

قال إبراهيم بن العباس الموصلي : والله ما اتكّلتُ في مكاتبةٍ قط إلا على ما يجلبه خاطري ، وَيَجِيشُ به صَدْرِي ، إلا قولي في فصل : وصار ما كان يُحْرِزُهُم يُبْرِزُهُم ، وما كان يعقلهم يعتقلهم . وقولي في رسالة أخرى : «فأنزله من معقل إلى عُقَال ، وبدّلوه آجالاً بآمال» ، فإني أمت في هذا بقول الصريح ^(١) :

مُوفٍ على مُهْجٍ في يوم ذى رَهْجٍ كأنه أَجَلٌ يَسْعَى إلى أَمَلٍ
وفي المعنى الأول يقول أبو تمام :

فإن يَبْنِ حيطاناً عليه فإِنما أولئك عُقالاته لا مَعاقله

وكان يقول : ماتمت كلامَ أحدٍ أن يكون لي إلا قولَ عبدالمجيد بن يحيى :
الناس أصنافٌ متباينون ، وأطوار متفاوتون ، منهم علق مضنة لا يُبَاع ،
وغل مظنة لا يُبْتَاع .

ورد كتاب بعض الكتاب إلى إبراهيم بن العباس بدم رجل ومدح آخر ؛
فوقع في كتابه : إذا كان للمحسن من الجزاء ما يُقْنِعُهُ ، وللمسيء من النَّكَال
ما يَقْمَعُهُ ، بَدَلُ المحسن الواجب عليه رغبة ، واققاد المسيء للاحق رهبة . فوثب
الناس يقبلون يده .

ووقع لرجل متّ إليه بجرمة : تقدمت بجرمة مألوفة ، ووسيلة معروفة ، أقوم
بواجبها ، وأزعاها من جميع جوانبها .

وإبراهيم بن العباس هو القائل :

لنا إِبِلٌ كَوْمٌ يَضِيقُ بها الفضا وتَعْبُرُ منها أرضُها وسماؤها

(١) الصريح : صريع العوانى ، وهو مسلم بن الوليد ، وقد مضت له أبيات منها
هذا البيت (انظر ص ١٠٣٤ من هذا الكتاب)

فمن دونها أن تستباح دماؤها ومن دوننا أن يُستدمَ دماؤها^(١)
 حمى وقيرى فاللوت دون مرأها وأيسرُ خطب يوم حوق فناؤها
 وقال الصولي : وجدت بخط عبد الله بن أبي سعيد إبراهيم بن العباس
 أنشده لنفسه :

وعلمتني كيف الهوى وجهلته وعلمكم صبري على ظلمكم ظلمي
 وأعلم مالي عندهم فيردني هوائى إلى جهلي فأرجع عن علمي
 فقلت : أسبقك إلى هذا أحد ؟ فقال : العباس بن الأحنف بقوله :

تجنبَ ير تاد السلو فلم يجذ له عنك في الأرض العريضة مذهبها
 فعاد إلى أن راجع الوصل صاغراً وعاد إلى ما نشتهن وأعتبا^(٢)
 قال الصولي : وأظن أن ابن أبي سعيد غلط في هذه الرواية ؛ لأن الأشبه
 بقول ابن العباس : « فعاد إلى أن راجع الوصل صاغرا » قوله :

كم قد تجرعت من غيظ ومن حزن إذا تجدد حزن هون الماضى
 وكم سخطت وما باليتم سخطى حتى رجعت بقلبٍ ساخطٍ راضى
 وأنشد له :

لمن لا أرى أعرضت عن كل من أرى وصيرت على قلبي رقيباً لقاتله
 أدفعه عن سلوة وأردة حياء إلى أوصابه وبلايلة
 وقال في هذا النحو :

وأنت هوى النفس من بينهم وأنت الحبيب وأنت المطاع
 وما بك إن بعدوا وحدة ولا معهم إن بعدت اجتماع
 وقال الطائي :

إذا جئت لم أحزن لبعدي مفارق وإن غيمت لم أفرح بقرب مقيم

(١) في نسخة « أن تستدم دماؤها » (م)

(٢) أعتبا : فعل ما يزول معه العتب (م)

فيا ليتني أفديك من غُرْبَةِ النوى بكلِّ أخ لي وأصلٍ وحيم
وأصل هذا من قول مالك بن مسَمَعٍ للأحنف بن قيس : « ما أشتاق للغائب
إذا حَضَرَتْ ، ولا أتفجع بالحاضر إذا غَبِثَ » .

وقال إبراهيم بن العباس :

تَدَانَتْ بِقَوْمٍ عَن تَنَاءِ زِيَارَةٍ وَشَطَّ بَلِيلِي عَن دَنَوِّ مَزَارِهَا (١)
وَإِنَّمَا مُعَيَاتٍ بِمَنْعَرَجِ اللَّوَى لِأَقْرَبُ مِنْ لَيْلِي وَهَاتِيكَ دَارُهَا
وَلَيْلِي كَمَثَلِ النَّارِ يَنْفَعُ ضَوْؤُهَا بَعِيداً نَأَى عَنْهَا وَيُحْرِقُ جَارُهَا
كَأَنَّهُ نَظَرَ إِلَى قَوْلِ النَّظَارِ الْفَقْعَسِيِّ :

يَقُولُونَ هَذِي أُمُّ عَمْرٍو قَرِيبَةٌ دَنَتْ بِكَ أَرْضٌ نَحْوَهَا وَسَمَاءُ
أَلَا إِنَّمَا بَعْدُ الْخَلِيلِ وَقُرْبُهُ إِذَا هُوَ لَمْ يُوَصَّلْ إِلَيْهِ سِوَاهُ
وَقَوْلُهُ : « وَلَيْلِي كَمَثَلِ النَّارِ » كَقَوْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ :

أَحْرَمَ مِنْكُمْ بِمَا أَقُولُ وَقَدْ نَالَ بِهِ الْعَاشِقُونَ مِنْ عَشِقُوا
صِرْتُ كَأَنِّي ذُبَابَةٌ نَصَبْتُ تُضِيءُ لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ
وقال إبراهيم بن العباس :

أَسِيلٌ مَعَ الصَّدِيقِ عَلِيِّ بْنِ عَمِيٍّ وَأَخَذْتُ لِلصَّدِيقِ مِنَ الشَّقِيقِ
وَإِنِ الْفَيْتَنِي حُرّاً مُطَاعاً فَإِنَّكَ وَاجِدِي عَبْدَ الصَّدِيقِ
أَفَرَّقَ بَيْنَ مَعْرُوفِي وَمَعِيٍّ وَأَجْمَعُ بَيْنَ مَالِي وَالْحَقِيقِ

[رثاء مصلوب]

قال العقيلي يرثي صديقا له أخذ في خربة (٢) فقتل وصلب :

لعمري لئن أصبحت فوق مشدب طويل تُعَفِّيكَ الرياحُ مع القطرِ

(١) في ديوان إبراهيم بن العباس « دنت بأناس » والتثاني : البعد ، وشط : بعد (م)

(٢) في نسخة « أخذ في جزية » وفي أخرى « في خربة » (م)

لقد عشتَ مبسوطَ اليدين مرزاً وعُوفيت عند الموت من ضَعْفَةِ القبرِ
وأفَلتَ من ضيقِ الترابِ وعَمَّهِ ولم تفقد الدنيا ؛ فهل لك من شُكْرِ
فما تشتفى عيناى من دَائِمِ البُكَاى عليك ، ولو أُنَى بكيتُ إلى الحشِرِ
فَطُوبَى لمن يبكى أخاه مُجَاهِراً ولكنى أبكى لفقْدك فى سِرِّتِ

[كلام لا يحتمل الجواب]

وكتب محمد بن كثير إلى هارون الرشيد :

يا أمير المؤمنين ؛ لولا حظ كرم الفعل فى مَطَالع السؤال ، لألهى المطل من محمد بن
كثير إلى الرشيد
قلوبَ الشاكِرين ، ولصرف عيونَ الناظرين إلى حسنِ المحبة ، فأىّ الحالين
يُبْعِدُ قولك عن مجازِ فِعْلِكَ ؟

فقال هارون الرشيد : هذا الكلامُ لا يحتمل الجواب ؛ إذ كان الإقرار
به يمنعُ من الاحتجاج عليه .

[تعجيل الإحسان]

وقال يحيى بن أكرم للمأمون يذكر حاجة له قد وعده بقضائها ، واغفل بين المأمون
ويحيى بن أكرم
ذلك :

أنتَ يا أمير المؤمنين أكرمُ من أن نعرضَ لك بالاستنجاز ، وننايلك
بالأدكار ، وأنتَ شاهدى على وَعْدِكَ ، وأن تأمر بشيء لم تتقدّم أيامه ، ولا يقدر
زمانه ، ونحن أضعفُ من أن يستولى علينا صبرُ انتظارِ نعمتك ، وأنت الذى
لا يؤوده^(١) إحسان ، ولا يُعجزُهُ كرم ؛ فعجّل لنا يا أمير المؤمنين ما يزيدك كرمًا ،
وتزدادُ به نعمًا ، وتلقاه بالشكر الدائم .

فاستحسن المأمون هذا الكلام ، وأمر بقضاء حاجته .

قدم على المأمون رجل من أبناء الدهاقين وعظماهم ، من أهل الشام ، على
الدهاقين
عِدَّة سَلَفَتْ له من المأمون^(٢) ، من تَوَلَّيْتَهُ بِلدِّهِ ، وأن يضمَّ إليه مملكته ، فطال على

(١) لا يؤوده : لا يعجزه ولا يضعفه (م) (٢) عدة : وعد ، وسلفت : مضت (م)

الرجل انتظارُ خروجِ أمرِ أمير المؤمنين بذلك ، فقصدهم عمرو بن مسعدة وسأله إيصالَ رقعةٍ إلى المأمون من ناحيته ، فقال : اكتب بما شئت فإني موصله ، قال : فتول ذلك عني ، حتى تكون لك نعمتان . فكتب عمرو :

إن رأيت أمير المؤمنين أن يفك أسر عديته من ربة المظل ، بقضاء حاجة عديده ، والإذن له بالانصراف إلى بلده ، فعل موقفاً .

فلما قرأ المأمون الرقعة دعا عمراً ، وجعل يعجب من حسن لفظها ، وإيجاز المراد فيها ، فقال له عمرو : فما نتیجتها يا أمير المؤمنين ؟ قال : الكتابة له في هذا الوقت بما سأل ؛ لئلا يتأخر فضل استحساننا كلامه ، وبجائزة تنفي دناءة المظل . ومن كلام عمرو بن مسعدة : أعظم الناس أجراً ، وأنبيهم ذكراً ، من لم يرض بحياة العدل^(١) في دولته ، وظهور الحجية في سلطانه ، وإيصال المنافع إلى رعيته في حياته ، حتى احتال في تخليد ذلك في الغابرين بعده ، عنايةً بالدين ، ورحمةً بالرعية ، وكفاية لهم من ذلك مالو عنوا باستنباطه لكان يعرض أحد الأمرين ، إما الإلكاء^(٢) عن إصابة الحق فيه لكثرة ما يعرض من الالتباس ، وإما إصابة الرأي بعد طول الفكر ، ومقاساة التجارب ، واستفلاق كثير من الطرق إلى دركه ؛ وأسعد الرعاية من دامت سعادة الحق في أيامه ، وبعده وفاته وانقراضه .

[فضل الإيجاز]

وقال رجل لسويد بن منجوف ، وقد أطل الخطبة بكلام افتتحه للصلح بين قوم من العرب :

« يا هذا ؛ أتيت مرعى غير مرعاك ، أفلا أدلك عليه ؟ قال : نعم . قال :

(١) في نسخة « يموت العدل » (م)

(٢) في نسخة « أما الكد » (م)

قل : « أما بعد ، فإنّ في الصلح بقاء الآجال ، وحفظ الأموال ، والسلام .
فلما سمع القوم هذا الكلام تعانقوا وتواهبوا التّرات ^(١) » .

[أبو مسلم]

قال عبد الله بن مسعود ^(٢) : لما أمر أبو مسلم بحاربة عبد الله بن علي ^(٣) دخلتُ عليه . فقلت : « أيها الأمير ، تريد عظيماً من الأمر » ؟ قال : وما هو ؟ قلت : عم أمير المؤمنين وهو شيخُ قومه ، مع نجدة ، وبأس ، وحزم ، وحسن سياسة . فقال لي : يا ابن شبرمة ، أنت بجديثٍ تعلم معانيه ، وشفرٍ توضح قوافيه ، أعلمُ منك بالحرب ؛ إن هذه دولة قد اطرَدتْ أعلامها ، وامتدت أيامها ، فليس لناؤها والطامع فيها يدُ تنيله شيئاً من الثوب عليها ، فإذا ولت أيامها فدع الوزغ بذنبه فيها .

قال بعض حكماء خراسان : لما بلغني خروج أي مسلم أتيتُ عسكره لأنظر إلى تدبيره وهيبته ، فأقت فيه أياماً ، فبلغني عنه شدة عجب ، وكبرٌ ظاهر ، فظننت أنه تحلى بذلك لعني فيه أراد أن يسُتره بالصنم ، فتوصلت إليه بحيث أسمع كلامه ، وأغيب عن بصره ، فسلمت فرداً جميلاً ، وأمر بإدخال قوم يريد تنفيذهم في وجه من الوجوه ، وقد عقدوا الرجل منهم لواء ، فنظر إليهم ساعة متأملاً لهم ، وقال : افهموا عني وصيتي إياكم ؛ فإنها أجدى عليكم من أكثر تدبيركم ، وبالله توفيقكم . قالوا : نعم أيها السالار ، ومعناه السيد بالفارسية ، فسمعتُه يقول ، ومترجم يحكي كلامه بالفارسية لمن عبّر له منهم بالعربية : « أشعروا قلوبكم الجرأة فإنها سبب الظفر ، وأكثروا ذكر الضغائن فإنها تبعث على الإقدام ، والزمو الطاعة فإنها حصنُ المحارب ، وعليكم بعصبية الأشراف ، ودعوا عصبية الدناءة ؛ فإن الأشراف تظهر بأفعالها ، والدناءة بأقوالها » .

(١) الترات : جمع ترة ، وهي - بوزن عدة - الثأر (م)

(٢) في نسخة « عبد الله بن شبرمة » (م) (٣) خرج عبد الله بن علي حين مات

السفاح وولى الخلافة أبو جعفر النصور في سنة ١٣٧ .

من أوصاف
أبي مسلم

وذكر إدريس بن معقل أبا مسلم فقال : بمثل أبي مسلم يدرك ثار ، وينقى عار ، ويؤكد عهد ، ويبرم عقد ، ويسهل وعر ، ويخاض غمر ، ويقلع ناب ، ويفتح باب .

[حساب]

وقال رجل لأبي جعفر المنصور : أين ما تحدث به في أيام بني أمية ؟ إن الخلافة إذا لم تقابل بإنصاف المظلومين ، ولم تعامل بالعدل في الرعية ، وقسمه النعم بالسوية ، صار عاقبة أمرها بواراً ، وحقاً يؤلأتها سوء العذاب . قال : فتنفس ثم قال : قد كان ما تقول ، واسكننا يا أخى استهجاننا الفانية على الباقية ، وكأن قد انقضت هذه الدار . فقال له الرجل : فانظر على أى حالة تنقضى .

وقال أبو الدوائيق وكان فصيحاً بليغاً : « عجبا لمن أصر عليه غرضاً ليسهام الخطايا ، وهو عارف بسرعة المنايا ، اللهم إن تقض للمسيئين ^(١) صفحاً فاجعلني منهم ، وإن تهب للظالمين فسحاً فلا تجرمي ما يتطول به المولى على أخس عبيده » .

[من كلام الأحنف بن قيس]

سئل الأحنف بن قيس عن العقل ؟ فقال : رأس الأشياء ؛ فيه قوامها ، وبه تمامها ؛ لأنه سراج ما بطن ، وملاك ما علن ، وسائس الجسد ^(٢) ، وزينة كل أحد ، لا تستقيم الحياة إلا به ، ولا تدور الأمور إلا عليه .

الأحنف ابن
قيس يصف
العقل

ولما خطب زياد خطبته المشهورة قام الأحنف بن قيس ، فقال : الفرس بشده ، والسيف بجده ، والمرء بجده ، وقد بلغ بك جدك ما أرى ، وإنما التناه بعد البلاء ، فإننا لا نُدنى حتى نبلو ^(٣)

(١) في نسخة « إن تقض للمسلمين » (م) (٢) في نسخة « وسائس الجسد »

تطبيع (م) (٣) البلاء : الاختبار ، بلاه يبلوه : اختبره (م)

[عما كتبه ابن الزيات]

وكتب ابن الزيات عهدَ الواثق على مكة بحضرة المعتمد : أما بعد ، فإن أمير المؤمنين قد قلَّدك مكة وزمزم ، تُراثَ أبيك الأقدم ، وجدِّك الأكرم ، وركبته جبريل^(١) ، وسقياً إسماعيل ، وحفرَ عبد المطلب ، وسقاية العباس ؛ فعليك بتموى الله تعالى ، والتوسعة على أهل بيته .

وكتب : لو لم يكن من فضل الشكر إلا أنك لا تراه إلا بين نعمة مقصورة عليه ، وزيادة منتظرة له ، ثم قال لحمد بن رباح : كيف ترى ؟ قال : كأنهما قرطان بينهما وجه حسن ، ومع ذلك ذكر ابن الزيات أمرَ الحرم بتعظيم وتفخيم ألفاظ لأهل المصر في التهنئة بالحج ، وتفخيم [أمر] الحرم و [تعظيم] أمر المناسك والمشاعر ، وما يتص بها من الأدعية

قصد البيت العتيق ، والمطاف الكريم ، والمدنم النبیه ، والمستلم النزیه .
[وقف بالمعرف العظيم ، وورد زمزم والحطيم] . حرم الله الذي أوسع للناس كرامة ، وجعله لهم متابة^(٢) ، وللخليل حطة ، وللذبيح حلة ، ولحمد صلى الله عليه وسلم قبلة ، ولأمته كعبة ، ودعا إليه حتى أتى من كل مكان سحيق ، وأسرع نحوه من كل فيج عميق ، يعود عنه من وفق وقد قبلت توبته ، وغفرت حوبته^(٣) ، وسعدت سفرته ، وأنجحت أوبته ، وحمد سعيه ، وزكا حجته ، وتقبل عجه ونجه^(٤) . انصرف مولاي عن الحج الذي انتضى له عزأمة ، وأنضى فيه رواحله ، وأتعب نفسه بطلب راحتها ، وأنفق ذخائره بشراء سعة الجنة وساحتها ؛ فقد زكت إن شاء الله تعالى أفعاله وتقبلت أعماله ، وشكر سعيه ، وبلغ هديه .

(١) يروى أن جبريل - عليه السلام ! - ضرب بقدمه موضع بئر زمزم فأبسط الماء (م) (٢) مثابة : أى مكانا يعود إليه من خرج منه (م)
(٣) الحوبة - بالفتح - الذنب (م) (٤) العج : رفع الصوت بالتلبيه ، والشج : إراقة دم الهدى (م)

قد أسقطت عن ظهرِكَ النقلَ العظيمَ، وشهدتَ الموقِفَ الكريمَ، ومحضتَ عن نفسك بالسُّعَى من الفجِّ العميقِ، إلى البيتِ العتيقِ، حدًّا لمن سهلَ عليك قضاءَ فريضةِ الحجِّ، وزُويَّةَ المشعرِ والمقامِ، وبركةَ الأدعيةِ والموسمِ، وسعادةَ أفنيةِ الحطيمِ وزمزمِ فصدًّا كَرَمَ المقاصدِ، وشهدَ أشرفَ المشاهدِ؛ فوردَ مَسَارِعَ الجنةِ، وخيمَ بمنازلِ الرحمةِ. وقد جُمعتَ مواهبَ الله لديك: فالحجَّ أدبتَ فرضه، وحرَمَ اللهَ وَطِئْتَ أرضه، والمقامَ الكريمَ قُمْتَهُ، والحجرَ الأسودَ استلمْتَهُ، وزُزْتِ قَبْرَ النبيِ صلى الله عليه وسلمَ مشافهاً لمشهده، ومشاهدناً لمسجده. ومباشراً يديه ومَحْضَرَه، وماشياً بين قبره ومنبره، ومصلياً عليه حيث صلى، ومتقرباً إليه بالقراءةِ العظمى، وعدتَ وسَعَيْكَ مشكوراً، وذُنُوبَكَ مغفوراً، وتجارتك رابحةً، والبركاتُ عليك غاديةً ورائحةً. تَلَقَّى اللهُ دعاءَكَ بالإجابةِ، واستغفارك بالرضا، وأملكَ بالثَّجِّحِ، وجعلَ سَعْيَكَ مشكوراً، وحجَّكَ مبروراً. عَرَفَ اللهُ تعالى مولايَ مناهجَ ما نواه، وقصده وتوخاه، ما يسعده في دنياه، ويحمدُ عُقباه.

[من شعرِ قَطْرَى بنِ الفَجَّاءِ]

قال أبو حاتم: أتيت أبا عبيدة ومعى شعرُ عروة بن الورد، فقال لي: مامعك؟ قلت: شعرُ عروة، قال: شعرُ فقيرٍ، يحمله فقيرٌ، ليقرأه على فقيرٍ! قلت: ما معى [شعرٌ] غيره؛ فأنشدني أنت ما شئت، فأنشدني:

يأربُ ظلُّ عُقابٍ قد وقَّيتُ به مَهْرِي من الشمسِ والأبطالِ تَجْتَلِدُ^(١)
 وربُّ يومٍ حَيٍّ أرْعَيْتُ عَفْوَتَهُ حَيْبِي اقْتَسَارًا وَأَطْرَافُ الْقَنَا قِصْدُ^(٢)
 ويومٌ لهُو لأهلِ الخَفْضِ ظلٌّ به لهُوى اصْطِلاءِ الوغى وَنَارُهُ تَقْدُ

(١) العقاب، هنا: الراية، وتجتلد: يجالده بعضها بعضاً (م)

(٢) العقوة - بالفتح - الساحة والمهلة، وقصد: جمع قصدة - بالكسر - وهي القطعة مما يكسر (م)

مَشْهُرًا مَوْقِفِي وَالْحَرْبُ كاشِقَةٌ
 وَرَبُّ هَاجِرَةٍ تَغْلِي مَرَاجِلَهَا
 تَجْتَابُ أودية الأَفْزَاعِ آمِنَةٌ
 فَإِنَّ أُمَّتَ حَتَفَ أَنْفِي لِأُمَّتِ كَدًّا
 وَلَمْ أَقُلْ لَمْ أَسَاقِ الْمَوْتَ شَارِبُهُ
 ثُمَّ قَالَ : هَذَا وَاللَّهِ هُوَ الشَّعْرُ ، لِأَمَّا يَتَعَلَّلُونَ بِهِ مِنْ أَشْعَارِ الْحَنَائِثِ .

وَالشَّعْرُ لَقَطْرِي بِنِ الْفَجَاءَةِ الْمَازِنِي ، وَكَانَ يُكْنَى فِي السَّلْمِ أَبُو مُحَمَّدٍ ، وَفِي
 الْحَرْبِ أَبُو نَعْمَانٍ ، وَكَانَ أَطْوَلَ الْخَوَارِجِ أَيَّامًا ، وَأَعْدَمَ شَوْكَةً ، وَكَانَ شَاعِرًا
 جَوَادًا ، وَهُوَ الْقَائِلُ أَيْضًا :

لَا يَرْكُنُ أَحْسَدٌ إِلَى الْإِحْجَامِ
 يَوْمَ الْوَعْيِ مَهْتَبِيًّا لِلْحَمَامِ
 فَلَقَدْ أَرَانِي لِلرَّمَايحِ دَرِيئَةً
 مِنْ عَنِ يَمِينِي تَارَةً وَأَمَامِي
 حَتَّى خَضَبْتُ بِمَا تَحْدَرُ مِنْ دَمِي
 أَكْنَفَ سَرْحِي أَوْ عِنَانَ الْجَامِي
 ثُمَّ انْصَرَفْتُ وَقَدْ أَصَبْتُ وَلَمْ أَصَبْ
 جَذَعَ الْبَصِيرَةَ قَارِحَ الْإِقْدَامِ

[مِنْ جَيْدِ الْمَدِيحِ]

وَقَالَ الْمَسِيْبُ بْنُ عَلَسٍ :

تَبَيْتُ الْمَلُوكَ عَلَى عَتَبِهَا
 وَكَالشَّهْدِ بِالرَّاحِ الْفَاطِمِمْ
 وَكَالْمَسِكِ تُرْبُ مَقَامَتِهِمْ
 وَتَرَبُّ أَصْوَلِهِمْ أَطِيبُ
 وَقَالَ آخَرُ :

أَذْكَرُ مَجَالِسَ مَنْ بَنَى أَسَدُ
 الشَّرْقِ مَنْزِلَهُمْ ، وَمَنْزِلُنَا
 بَعْدُوا فَنَّا إِلَيْهِمْ الْقَلْبُ
 غَرْبٌ ، وَأَيْنَ الشَّرْقُ وَالْغَرْبُ ؟

(١) الْهَاجِرَةُ : الْوَقْتُ نِصْفُ النَّهَارِ ، وَبَحْرَتُهَا : قَطْعَتُهَا ، وَتَحْدٌ : مِضَارِعٌ وَخَدٌ
 فِي سَيْرِهِ ، إِذَا أَسْرَعَ (م) (٢) قَصْرُهُ كَذَا وَقِصَارَاهُ : أَيُّ غَايَةِ مَا يُطَلَّبُ (م)

من كل أبيض جُلُّ زينتِه مسكٌ أحمٌ وصارمٌ عَصَبٌ^(١)
 ومدججٌ يَسْمَى لغارتهِ وعقيرةٌ بفتائه ، تَحْبُو^(٢)
 آجر :

رَأَيْتُمْكُمْ بَقِيَّةَ آلِ حَرْبٍ وَهَضَبَتِهَا التِّي فَوْقَ الْهَضَابِ
 تُبَارُونَ الرِّيحَ نَدَى وَجُوداً وَتَمَثَّلُونَ أَفْعَالَ السَّحَابِ
 مَذَكَّرْنِي مَقَامِي الْيَوْمَ فِيكُمْ مَقَامِي أُمْسٍ فِي ظِلِّ الشَّبَابِ

[بين سعيد بن عبد الملك وسعيد بن حميد]

كتب سعيد بن عبد الملك إلى سعيد بن حميد :

أكره — أطل الله بقاءك ! — أن أضحك ونفسي موضع المذر والقبول ،
 فيكون أحدنا معتذراً مقصراً ، والآخر قابلاً متفضلاً ، ولكن أذكر
 ما في التلاقي من تجديد البر ، وفي التخلف من قلة الصبر ، وأسأل الله تعالى أن
 يوفقك وإيانا لما يكون منه عقبى الشكر

فأجابه : وصل كتابك — أكرمك الله تعالى ! — الحاضر سروره ،
 لللطيف موقعه ، الجميل صدوره ومورده ، الشاهد ظاهره على صدق إبطه ،
 ونحن — أعزك الله — نجمل جزائك حسن الاعتراف بفضلك ، ومجارئك التقصير
 دونك ؛ ونرى أن لا عذر في التخلف عنك ، وإن حالت الأشغال بيننا وبينك .
 وإن كنت ساحت في العذر قبل الاعتذار ، وسبقت إلى فضيلة الاعتذار ، فلا
 زلت على كل خير دليلاً ، وإليه داعياً ، وبه آمراً ؛ ولقد التقينا قبل وصول كتابك
 لقاءً أحدث وطراً ، وهاج شوقاً ، وأرجو أن تنسم لنا الجمعة بما ضاقت به الأيام ؛
 فننال حظاً من محادثتك والأنس بك

(١) الصارم : السيف . والمضب : القاطع ، وفي نسخة «وعارض هضب» (م)

(٢) في نسخة «وعقيرة تنابيه يحبو» (م)

[منزله سعيد بن حميد]

ولسعيد بن حميد حلاوة في منظومه ومنتوره ، ولكنه قليل الاختراع ، كثير الإغارة على من سبقه ؛ وكان يقال : لورجج كلام كل أحد إلى صاحبه ليق سعيد ابن حميد ساكتاً .

وفيه يقول أبو على البصير :

رأس من يدعي البلاغة مني ومن الناس ، كلهم في حراممة
وأخونا ولست أكني سعيد بن حميد تؤرخ الكتب باسمه
هذا المعنى ينظر إلى قول منصور الفقيه وإن لم يكن منه :

تضيق به الدنيا فينهض هاربا إذا نحن قلنا : خيرنا بالذل السمح
فإن قيل : من هذا الشقي ؟ أقل لهم على شرط كتمان الحديث : هو الفتح
وكان سعيد يهوى فضل الشاعرة ؛ فعزم مرة على سفر ، فقالت له :
كذبني الود أن صاغت مرتحلا كفت الفراق بكف الصبر والجلد
لا تذكرن الهوى والشوق لو فجمت بالشوق نفسك لم تصبر على اليمد
وكان سعيد عند بعض إخوانه ، فنهض منصرفاً وأخذ بمضادتي الباب ،
وأنشأ يقول :

سلام عليكم ، حالت الكأس بيننا وولت بنا عن كل مرأى ومسمع
فلم يبق إلا أن يصفحني الكرى فيجمع سكرأ بين جسمى ومضجعى
وقال [سعيد] :

أرى ألسن الشكوى إليك كليله وفيهن عن غير الثناء فتور (١)
تقيم على العتب الذي ليس نافعاً وليس لها إلا إليك مصير
وما أنت إلا كالزمان تلوانت نواب من أحداه وأمور
فإن قل : إنصاف الزمان وجوده فن ذا على جور الزمان مجبور

(١) كليله : ضعيفة متعبة ، وقوله « غير الثناء » وقع في مكانه « عين الثناء » (م)

[من السرقات الشعرية]

أما قوله :

* تقيمُ على العتبِ الذي ليس نافعاً *

فمن قول المؤتمل :

لا تفضينَ على قوم تحبهمُ فليس منك عليهم ينفعُ الفضبُ
يا جأزِينَ علينا في حُكومتهم والجورُ أبيضُ ما يؤتَى ويرتكبُ
لسنا إلى غيركم منكم نفرًا إذا جرتم، ولكن إليكم منكم الهربُ
وأول من تبه على هذا المعنى النابغة الذبياني في قوله للنعمان بن المنذر .

فإنك كالليل الذي هو مُدركي وإن خلتُ أن المنتأى عنك واسع
خطاطيفُ حُجْنٍ في حبال متينة تمدُّ بها أيدٍ إليك نوازِع
سرقه أشجع السلمى فقال لإدريس بن عبد الله بن الحسين بن علي ، وقد

بعث إليه الرشيد من اغتاله في المغرب :

أتظنُّ يا إدريس أنك مُفليتُ كئيدَ الخلافة أو يقيق حذارُ
إن السيوف إذا انتضاها عزُّمه طالت ، وتقصر دونها الأعمارُ
هيهات إلا أن تحلَّ ببلدةٍ لا يهتدى فيها إليك نهارُ

وقال سلم الخاسر يعتذر إلى المهدي :

إني أعز بخير الناسِ كلهمُ وأنت ذاك لما يأتي ويحتمبُ
وأنت كالدهرِ مبثوثا حباله والدهرُ لا ملجأ منه ولا هربُ
ولو ملكتُ عنانَ الريحِ أصرفه في كل ناحية ما فاتك الطلبُ
فليس إلا انتظاري منك عارفةً فيها من الخوفِ منجاةٌ ومُنقلبُ

وقول سلم :

* ولو ملكت عنانَ الريحِ أصرفه *

كأنه من قول الفرزدق للحجاج :

ولو حملتني الريح ثم طلبتني لكنت كمود أدركته مقاديره^(١)

وقول علي بن جبلة لحميد الطوسي :

وما لأمري حاولته منك مهربٌ ولورفعتهُ في السماء المطالعُ

أخذه البحرى فقال :

سلبوا وأشرفت الدماء عليهم محرة فكانهم لم يسلبوا
فلو أنهم ركبوا الكواكب لم يكن ليحيرهم من حدِّ بأسك مهربٌ

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر في نحو قول النابغة :

وإني وإن حدثت نفسي بأنتي أفوتك إن الرأى منى العازبُ
لأنك لى مثلُ المسكان المحيط بي من الأرض لولا استهضتني للذاهب

وأما قول سعيد : * وما أنت إلا كالزمان * والبيت الذى يليه ، فكانه

ألم فيه بقول شمعل الثعالبي وإن لم يكن المعنى بنفسه :

أمن جذبة بالرجل منى تباشرت . عذاتي ، ولا عتب على ولا هجرُ
فإن أمير المؤمنين وقله لك الدهر ، لا عار بما صنع الدهرُ

وقال رجل من طي وكان رجل منهم يقال له زيد من ولد عمرو بن زيد الخليل

قتل رجلا اسمه زيد فأقاد منه السلطان ، فقال الطائي يفتخر على الأسديين :

علا زيدنا يوم الحمى رأس زيدكم بأبيض مشحوذ الغرار يمانى^(٢)
فإن تقتلوا زيدا بزيدا فإيما أقادكم السلطان بعد زمان

وقول الثعلبي مأخوذ من قول النابغة ، وهو أول من ابتكره :

وعيرتني بنو ذبيان خشيتهُ وما على بأن أخشاك من عار

(١) في نسخة « وأن لوركبت الريح » وفي نسخة أخرى « لكنت كشيء أدركته

مقاديره » (م) (٢) حفظي « بأبيض ماضى الشفرتين يمان » (م)

ومن جيد شعر سعيد بن حميد :

أهابُ وأستحِيبِي وأرقُبُ وعدَه
فلا هو يبدَأني ولا أنا أسألُ
هو الشمسُ مجرَّأها بعيدٌ وضوءها
قريبٌ ، وقلبي باليعيدُ موكلُ
وهذا المعنى وإن كان كثيراً مشهوراً فما يكادُ يدانى في الإحسان فيه .
وقد قال أبو عيينة :

غزَّتني جيوشُ الحبِّ من كلِّ جانب
إذا حان من جُنْدِ قفولٍ غزاً جُنْدُ
أقول لأصحابي : هي الشمسُ ، وضوءها
قريبٌ ، وليكن في تناولها بُعدُ
وقال العباس بن الأحنف :

هي الشمسُ مسكنُها في السماء
فعرزَّ القواد عَزَاءً جَمِيلاً
فَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْهَا الصُّعُودَ
وإنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْكَ النَّزُولَ
وقال البحترى :

دنوتَ تواضعاً وعَاوَتَ قَدْرًا
فشأنك انحدارُ وارتفاعُ
كذلك الشمسُ تبعدُ أن تدانى
ويَدْنُو الضوءُ منها والشعاعُ
وقال ابن الرومي :

وذخْرَتُه للدهرِ أعلمُ أنه
كالدهرِ فيه لمن يؤولُ مآلُ
ورأيتُه كالشمسِ إن هي لم تنلُ
فالنورُ منها والضياءُ يُنالُ
وقال المتنبي :

بيضاءُ تُظْمِعُ فيما تحت حلتها
وعزَّ ذلك مطلوباً لمن طلبها
كأنها الشمسُ يُعْبَى كَفَّ قَابِضُهَا
شعاعها وترآه العينُ مقرباً
وقال سعيد بن حميد ، ويروي لفضل الشاعرة :

ما كنتُ أيامَ كنتِ راضيةً عني بذاك الرضا بمغتيطِ
 علماً بأن الرضا سببتهُ منك التجنى وكثرة السخَطِ
 فكلُّ ما ساء في فعن خلقِ منك وما سرني فعن غلطِ

وفي هذا المعنى يقول أبو العباس الهاشمي من ولد عبد الصمد بن علي، ويُعرف

بأبي العَبَرِ .

أبكي إذا غضبت، حتى إذا رضيت بكيتُ عند الرضا خوفاً من الغضبِ
 فالموت إن غضبت، والموت إن رضيت إن لم يُرْحني سلوةُ عشتُ في تعَبِ

وقال العباس بن الأحنف :

إذا رضيت لم يهني ذلك الرضا لصحة علي أن سببته عتبُ
 وأبكي إذا ما أذنبت خوف عتبتها فأسالها مرضاتها ولها الذنبُ
 وصالكم هجر، وقر بكم قلى وعطفكم صدِّ وسلمكم حربُ
 وأنتم بحمد الله فيكم فظاظةُ وكل ذلولٍ من أموركم صعبُ^(١)

وقال :

قد كنتُ أبكي وأنتِ راضيةُ حذارَ هذا الصدود والغضبِ
 إن تمَّ ذا الهجرُ يا ظلوم ولا تمَّ فالي في العيش من أربِ^(٢)

وما أحسن قول القائل :

وما في الأرض أشقى من محبة وإن وجد الهوى حلوا للذائقِ
 راءه باكيًا في كل حينِ مخافة فرقة أو لاشتياقِ^(٣)
 فيبكي إن نأوا حذراً عليهم ويبكي إن دنوا خوف الفراقِ

(١) ذلول : سهل القادة ، وصعب : أي يعسر قياده ، وأصله في الخيل والإبل (م)

(٢) الأرب - بالتحريك - المقصد (م) (٣) يروي « في كل حال » (م)

وَتَسَخَّنُ عَيْنَهُ عِندَ التَّنَائِي وَتَسَخَّنُ عَيْنَهُ عِندَ التَّلَاقِ

[الاقْتِباسُ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ]

وقال سعيد بن حميد: إذا نزعْتُ في كتابي (١) بآية من كتاب الله تعالى أرت إظلامه ، وزيّنتُ أحكامه ، وأعدبتُ كلامه .

أمثال للعرب والمعجم والعامية وما يماثلها من كتاب الله تعالى

إما هو أجل منها وأعلى [أخرجها أبو منصور عبد الملك الثعالبي

قال عليّ رضي الله تعالى عنه : « القَتْلُ أَنْفَى لِلْقَتْلِ » ، وفي القرآن :
« وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ » .

والعربُ تقول لمن يعيّر غيره بما هو فيه : « عَيَّرَ بِجَيْرٍ بِجَرِّهِ وَنَسِيَ بِجَيْرٍ خَيْرَهُ » (٢) ، وفي القرآن : « وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ » .

وفي معاودة العقوبة عند معاودة الذنب : « إِنْ عَادْتَ الْعِقَابُ عُدْنَا لَهَا »
وفي القرآن : « وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا » . « وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ » .

وفي ذوق الجاني وبال أمره : « يَدَاكَ أَوْ كَتَا ، وَفُوكَ نَفَخَ » . وفي القرآن :
« ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ » .

وفي قرُب الغد من اليوم قول الشاعر * وإِنْ غَدًا لِنَاظِرِهِ قَرِيبٌ * وفي
القرآن : « أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ » .

وفي ظهور الأمر : « قَدْ وَضَحَ الْأَمْرُ لَدَى عَيْنَيْنِ » ، وفي القرآن : « الْآنَ
حَصَّصَ الْخَلْقَ » .

وفي الإساءة إلى من لا يقبل الإحسان : « أَعْطِ أَخَاكَ تَمْرَةً ، فَإِنْ أَبِي فَجَمْرَةً » .

(١) في نسخة « إذا برعت في كتابك » (م)

(٢) هذا مثل ، يضرب لمن يعيّر غيره بالذي هو فيه (م)

وفي القرآن: « ومن يَعِشْ عن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا قَهُوًّا لَهُ قَرِينٌ » .
وفي قِوْتِ الأَمْرِ: « سَبَقَ السَّيْفُ العَدْلَ » ، وفي القرآن العظيم: « قُضِيَ
الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ » .

وفي الوصول إلى المراد بِبَدَلِ الرغائب: « من ينفكح الحسناء يُعْطِي مَهْرَهَا »
وفي القرآن: « لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ » .
وفي منع الرجل مُرَادَهُ:

* وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ العَيْرِ وَالتَّزْوَانِ ^(١) *

وفي القرآن: « وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ » .

وفي تَلَاْفِي الإِسَاءَةِ: « عاد غيث على ما أفسد » ، وفي القرآن: « ثُمَّ بَدَّلْنَا
مَكَانَ السَّيْئَةِ الحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا » .

وفي الاختصاص: « كل مقام بمقال ^(٢) » . وفي القرآن « لِكُلِّ نَبِيًّا مُسْتَقَرًّا » .

العجم: « من أحترق كُدَّسه تمنى إحراق أ كداس الناس ^(٣) » ، وفي القرآن:

« وَذُؤَالُوا تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً » .

العامة: « مَنْ حَفَرَ لِأَخِيهِ بَرًّا وَقَعَ فِيهَا » ، وفي القرآن: [ولا يحمق المسكر

السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ » .

ومن الشعر:

يكل امرئ يشبهه فعله ما يفعل المرء فهو أهله

وفي القرآن: « قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ » .

العامة: « كل البقل ولا تسأل عن المُنْقَلَةِ » .

وفي القرآن: « لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدِّلَكُمْ تَسْؤِمٌ » .

(١) هذا عجز بيت من كلام صخر بن عمرو أخى الحنساء ، من أبيات يقولها في

امراته ، وصدره قوله : * أمم بامر الحزم لو أستطيعه * (م)

(٢) في نسخة « وفي اختصاص كل مقام بمقال : لكل مقام مقال » (م)

(٣) الكدس - بوزن رطب أو بوزن حمل - الكومة من الطعام أو التمر أو

الدرهم (م)

شعر:

كَمْ مَرَّةً حَفَّتْ بِكَ الْمَكَارِهُ خَارَ لَكَ اللَّهُ وَأَنْتَ كَارِهُ
 وفي القرآن: «وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا» .
 العامة: «المأمول خيرٌ من المأكول» ، وفي القرآن: «وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ
 الْأُولَى» . العامة: «لو كان في اليوم خيرٌ ما سلم على الصياد» ، وفي القرآن:
 «وَلَوْ عَلَّمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ» . المتنبي: *مصائب قوم عند قوم فوائد*
 وفي القرآن: «وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا» . *عند الخنازير تنفق العذرة*
 وفي القرآن: «الْحَبِيبَاتُ لِحَبِيبَتَيْنِ وَالتَّحِيْبَاتُ لِلْحَبِيبَاتِ» . العجم: «لم يرد الله
 بالملء صلاحاً إذ أنبت لها جناحاً» ، وفي القرآن: «حتى إذا فرحوا بما أوتوا
 أخذناهم بغتة» . العامة: الكلب لا يصيد كارها ، وفي القرآن: «لا إكراه
 في الدين» . العجم: «كل شاة تناط برجلها» ، وفي القرآن: «كل نفس
 بما كسبت رهينة» .

جملة من مكاتبات | بمض | أهل العصر

أبو القاسم محمد بن علي الإسكافي عن الأمير نوح بن نصر وعن ابنه
 عبد الملك لأبي طاهر وشمكير بن زياد بشكره على حميد سيرته:
 مَنْ حَمَدَنَاهُ - أَعَزَّكَ اللَّهُ تَعَالَى - مِنْ أَعْيَانِ الْمَلَّةِ الَّذِينَ بِهِمْ افْتِخَارُهَا، وَأَعْوَانِ
 الدولة الَّذِينَ بِهِمْ اسْتِظْهَارُهَا، بِجَلَّةٍ يَنْزِعُ فِيهَا مِنْ جَلَالِ^(١) الْفَضْلِ، وَخَصْلَةٍ يَكْمُلُ بِهَا مِنْ
 خِصَالِ الْقَدْلِ. وَإِنَّكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - مِنْ نَحْمَدُهُ بِالْإِرْتِقَاءِ فِي دَرَجِ الْفَضَائِلِ، وَالِاسْتِوَاءِ
 فِي كُلِّ الشَّوْءِ كُلِّ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ مُحَمَّدَةٍ إِلَّا وَسَهْمُكَ فِيهَا فَائِزٌ، [وَلَا مِنْ شِدَّةِ
 إِلَّا وَمَهْلُكَ^(٢) فِيهَا بَارِزٌ]، وَذَلِكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ تَعَالَى! - أَمْرٌ قَدْ أَغْنَى صِدْقُ خَبْرِهِ
 عَنِ الْعِيَانِ، وَكُنْفَى بَيَانِ أَثَرِهِ تَكْلَافِ الْإِمْتِحَانِ، وَلَوْ أَعْطَيْنَا النُّفُوسَ مُنَاهَا،

(١) الحلة - ضم الحاء - الخصلة، وجمعها خلال (م)

(٢) المهل - بالفتح وجملة - العمل بسكينة ورفق وغير عجلة، وهو أيضا التؤدة

والرفق (م)

وسوء غناها هواها ، لأوردنا عليك في ذرور^(١) كلَّ شارِقٍ جديدٍ شُكْرٍ ، وجددنا لك مع اعتراض كل خاطر جميلٍ ذِكْرٍ ، لكننا للعادة في تَرْكِ المسوى ، والذقة بأنك مع صالح آدابك تحلّ الأذى من الإحماد محلّ الأوفى ، فيُقضى لك بأفه - وإن عظم قدره - يسير العدد ، وعلى ماهو - وإن تنهى لفظه - باقى الفخر مدى الأبد ، وكان مما اقتضانا الآن تناولك به أخبارٌ تواترت ، وأقوالٌ تظاهرت ، بإطباق سكان الحضرة ونيسابور من أهل عملك على شُكْر ما تيزيد لهم وفيهم من مواد عدلك ، وحسن فضلك ، حتى لقد ظلوا ولهم في شُكْر ذلك محافل تُعقد ، ومشاهد تُشهد ، يعجب بها السامعُ والرأي ، ويقترنُ بها المؤمنُ والداعي ؛ فإن هذا - أعزك الله - حال يطيب مسمعه ، ويلذّ موقعه ، حتى لقد ملأ القلوب بهجاً ، والصدور ثلجاً ، حتى استفزها فرطُ الارتياح ، وصدقُ الانشراح ، إلى هذا الكتاب أن أعجلناه ، وهذا الشكر أن أجزلناه . بعد ذكر لك اتصل كل الاتصال ، وأجل كل الإجمال ، وتضاعف به حظك من الرأي أضعافاً ، وأشرف محلك على كل الخال إشراقاً ، ونحن نهنيك - أعزك الله - على التوفيق الذى قسمه الله لك ، والتيسير الذى وكله بك ، ونبعثك على استدامتها بصالح النية ، وبصدق البغية ، لتدنو من العدل على ما ترعى ، وتحسن الهدى فيما تتولى . فرأيك أباك الله تعالى فى إحلال ذلك محله من استبشار به تستكله ، واستثمار له تعجّله [إن شاء الله تعالى] .

وكتب إليه يعزیه : « إن أحقَّ من سلّم لأمر الله تعالى ورضى بقدره ، حتى يُمَحَّضَ مصطنعاً^(٢) ، ويُخلَصَ مُصْطَبِراً ، وحتى يكون بحيث أمر الله من الشكر إذا وهب ، والرضا إذا سلب ، أنت أعزك الله تعالى ؛ لمُحَلِّك من الشكر والحجبا ، وحظك من الصبر والنهى ، ثم لما ترجعُ إليه من ثبات الجنان^(٣) عند النازلة ،

(١) ذرور : طلوع ، وأراد من كل شارِق الشمس ، يعنى فى طلوع كل يوم (م)

(٢) فى نسخة « حتى يمضى مصطنعاً » (م) (٣) الجنان - بوزن السحاب - العقل (م)

وقوة الأركان لعز الدولة الفاضلة ، فإن لك فيها وفي سهمك الفائر ، ومهلك البارز ، عوضاً عن كل مرزوء ، ودركاً لكل مرزوء ، ونسأل الله أن يجعلك من الشاكرين لفضله إذا أبلى ، والصابرين لحكمه إذا ابتلى ^(١) ، وأن يجعل لك لا يك التعزية ، ويقيك في نفسك وفي ذوبك الرزية ، بمنه وقدرته .

وله إليه : ترى إلينا خبر مصابك بفلان ؛ فخلص إلينا من الاعتماد به ما يحصل في مثله ممن أطاع ووفى ، وخدم ووالى ، وعلمنا أن لفقدك مثله لوعة ، وللصاب به لذة ؛ فأثرنا كتابنا هذا إليك في تعزيتك ، على يقيننا بأن عقلك يُغنى عن عِظَتِكَ ، ويهدي إلى الأوّل بشيئتك ، والأزيد في رُتبتك ، فليُحسُنْ - أعزتك الله - صبرك على ما أخذ منك ، وشكرُك على ما بقي لك ، ولتتمكن في نفسك ما وفر لك من ثواب الصابرين ، وأجزل من دُخْر المحسنين ، وليرد كتابك بما ألهك الله تعالى من عزاء ، وأبلاكه ^(١) من جميل بلاء ، إن شاء الله تعالى

وله إليه جواب : وصل كتابك - أعزك الله تعالى - مفتتحاً بالتعزية عن فلان ، ووصف توجعك للمصيبة ، ونحن نحمد الله تعالى الذي يُنعم فضلاً ، ويحكم عدلاً ، ويهب إحساناً ، ويسلب امتحاناً ، على مجارى قضيته كيف حرت أخذه ومعطية ، ومواقع مشيئته كيف مضت سارة ومسيئة ، حجد عالين أن لا حكم إلا له ، ولا حول إلا به ، ومستمسكين بما أمر به عند المساءة من الصبر ، والمسرة من الشكر ، راجين ما أعده الله من الثواب للصابرين ، والمزيد للشاكرين . وما توفيقنا إلا بالله عليه تتوكل وإليه نيب ^(٢) ، وأما وحشتك - أعزك الله - للحادث على الماضي ، عفا الله عنه ، فثلك من ذوى الصفاء والوفاء اختص بذلك واهتم له ، وعرف مثله فاعتم به ؛ فإن الطاعة نسب بين أوليائها ، والنعمة سبب بين أبنائها ،

(١) أبلى : أعطى ، وابتلى : اختبر وامتنحن ، والاسم البلاء (م)

(٢) إليه نيب : إليه نرجع (م)

فلا عَجَبُ أن يمسك في هذا العارض ما يمسُّ أولى للمشاركة، ويمخصك من الاهتمام ما خص ذوى المشايكة .

وله إليه أيضاً في أمر غزاة : ورد خبرك أكرمك الله تعالى بنفوذك لوجهك فيمن جمعهم الله تعالى للسعي في سبيله إلى جملتك ؛ فاملنا أن يكون ذلك موصولاً بأعظم الخيرة ، مؤدياً إلى أحسن الغيبة . إلا أننا أحسننا من الغزاة الذين بهم تفتضد ، وإياهم تستنجد ، فتور نيات ، وفساد طويات ؛ وهذا كما علمت باب عظيم يجب الاطلاع بالفكر والرأى عليه ، والاحتراس بالجد والجهد من الخطل فيه . [فسيدك أن تتأمل أمرك بعين استقصاء العورة ، واستدراك الآخرة] ، فإن أنت وجدت في عدتك تمام القدرة ، وفي عدتك مقدار الكفاية ، ولم تجد نيات أولئك الغزاة مذخولة ، ولا عراهم مخلولة^(١) ، استخرت الله تعالى في المسير بكل ما تقدر عليه من الحرزم في أمرك ، ثم إن تكن الأخرى ، وكان القوم على ما ذكرت من كلال البصائر ، وضعف المرائر^(٢) ، عملت على التلوم لحديث يحدثك به كتابنا هذا إن اجتليت ما ذكرته ، وإن لم تبلغ بلاغة ما اخترته ، فاعتلق بذيله^(٣) .

[من مقامات بديع الزمان]

وهذه المقامة من إنشاء البديع ، قال عيسى بن هشام : غزوت الثغر بقزوين سنة خمس وسبعين ، فما اجترنا حزنًا ، إلا هبطنا بطنًا ، حتى وقف بنا المسير على بعض قرأها ، فمالت الهاجرة بنا إلى ظل أثلاث في حجرها عين كلسان الشمعة ، أصفى من الدمعة ، تسيح في الرضراض ، سيح النضناض^(٤) ؛ فنلنا من المأكل ما نلنا ، ثم ملنا إلى الظل فقلنا ؛ فما ملكنا النوم حتى سمعنا صوتًا أنكر من صوت الحمار ؛ ورجعنا أضعف من رجح الحوار ، بشفهما صوت طبل كأنه خارج

(١) المرى : جمع عروة ، وأصلها أخت الزر من الثوب ، ويشبه به البنك من الناس (م)

(٢) الكلال : الضعف ، والبصائر : جمع بصيرة ، وهى العقل والفظنة ، والمرائر :

جمع مريرة وهى العزيمة ، وأصلها مالطف وطال واشتد قتله من الجبال (م)

(٣) اعتلق بذيله : تمسك به (م)

(٤) الرضراض : الحصى ، والنضناض : الحية التى تتلوى دائماً (م)

من ماصغى أسد؛ فذاد عن^(١) القوم رائد النوم، وفتحت العيون إليه وقد حالت
الأشجار دونه، وأصغيت فإذا هو يقول على إيقاع صوت الطبل:

أدعو إلى الله فهل من مجيب
وحنّة عالية ما تنى
يا قوم إني رجلٌ نائبٌ
إن ألك أمّنتُ فكم ليلة
ياربّ خنزير تمشّشته^(٢)
ثم هـداني الله، وانتاشني
فظلّت أخني الدين في أسرتي
أسجدُ للاث حذار العدى
وأسالُ الله إذا جنّني
ربّ كما أنك أنقذتني
ثم اتّخذتُ الليلَ لي مركباً
وقدك من سيري في ليلة
حتى إذا ما جرت بحر العمى
وقلت إذ لاح شعارُ الهدى

ولما بلغ هذا البيت قال: يا قوم؛ وطئت والله بلادكم بقلب لا العشق ساقه،
ولا الفقر ساقه، وقد تركت وراء ظهرى حدائق وأغابا، وكواعب أترابا،
وخيلاً مسومة، وقناطير ممتطرة، وعدة وعديدا، ومراكب وعبيدا، وخرجتُ
خروج الحية من جحره، وبرزتُ يروز الطائر من وكره، مؤثراً ديني على

(١) ذاد: منع (م) (٢) تنى: تفر (م) (٣) نائب: راجع (م)

(٤) تمشّشته: أكلت مشاشه - والشاش - بزنة الغراب - طرف مالان من

العظام (م) (٥) انتاشني: خلصني وأنقذني (م)

دُنْيَايَ . وجامعاً يُمنّأى إلى بَسْرَايَ ، واصلاً سَيْرِي بِسْرَايَ ^(١) ، فلو رفعت النار بشررها ، ورميت الروم بحجرها ، وأعتنموني على غزوها مساعدة وإسعاداً ، ومرافدة وإرفاداً ، ولا شَطَطَ ، فكلُّ قادر على قُدْرَتِهِ ، وحسب ثرْوَتِهِ . ولا أَسْتَكْثِرُ البَدْرَةَ ، ولا أَرْدُ التَّمْرَةَ ، وأقبل الذرة ، ولكل مني سهمان ، سَهْمٌ أَذْلَقَهُ لِلْقَاءِ ^(٢) ، وسهمٌ أَفْوَقَهُ بالدعاء ، وأرسلني به أبواب السماء ، عن قَوْسِ الظَّامِ .

قال عيسى بن هشام : فاستفزني رائعُ ألفاظه ، وسرّوتُ جِلبابِ النومِ ، وعودت إلى القومِ ، وإذا والله شيخناً أبو الفتح الإسكندري ، بسيفٍ قد شَمِهَرِه ، وزياً قد نكره ؛ فلما رأني غَمَزَنِي بعينه وقال : رحم الله امرأً أحسنَ حَدْسَه ؛ وملك نفسه ، وأغنانا بفاضلِ قَوْلِهِ ، وقسم لنا من نَيْلِهِ ! ثم أخذ ما أخذ ، فقمت إليه فقلت : أنت من أولاد بنات الروم ؟ فقال :

أنا حالي مع الزمان كحالي مع النسب
نسبي في يد الزمان إذا سامه انقلب
أنا أمسى من النسيب وأضحى من العرب

[عاقبة السؤال بلفظ حسن]

قال سليمان بن عبد الملك : ما سألتني أحدٌ قط مسألة يتقلُّ عليّ قضاؤها ، ولا يخفُّ عليّ أداؤها ، بلفظٍ حسنٍ يجمعُ له القلبُ فهمه إلا قضيتها ، وإن كانت العزيمة نفذت في منعه ^(٣) ، وكان الصواب مستقراً في دفعه ، ضناً بالصواب أن يردَّ سائله ، أو يحرم نائله .

[ابن رفاعة يتحدث عن النعمان بن المنذر والحارث الغساني]

وقال أبو عبيدة : كان أبو قيس بن رفاعة يَفِدُ سنةً إلى النعمان بن المنذر

(١) السير : الذهاب في الأرض أي وقت كان ، والسرى - بالضم - سيرامة الليل (م) (٢) ذلق السكين : حده ، وذلق السراج : أضاه وأوقده ، هذا أصل هذه العبارة (م) (٣) في نسخة «قصدت في منعه» ولها وجه (م)

(١٤ - زهر الآداب : ٤)

اللعنَى وسنة إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ، فقال له الحارث يوما وهو عنده :
يا بن رفاعة ، بلغني أنك تفضل النعمان عليّ ! قال : كيف أفضله عليك أبيت
اللعن ! فوالله لفقاك أحسن من وجهه ، ولأمتك أشرف من أبيه ، [ولأباؤك
أشرف من جميع قومه] ، ولأمتك أفضل من يومه ، ولشمالك أجود من يمينه ،
ولجرمانك أنفع من بذله ، ولقليلك أكثر من كثيره ، [ولثمادك أغزر من
غديره ، ولكرسيك أرفع من سريره ، ولجدولك أغمر من بحوره ، وليومك
أفضل من شهره ، ولشهرك أشرف من حوله ، ولحولك خير من حقه ، ولزندك
أورى من زنده ، ولجندك أعز من جنده ، ولهرك أصوب من جدّه ، وإنك
لعمن غسان أرباب الملوك ، وإنه لمن نلّم كثيرى النوك ! ففلام أفضله عليك ؟
وقد زوى مثل هذا الكلام للناطقة الديباني مع النعمان بن المنذر] .

[أربعة أبيات]

وقال المفضل الضبي : دخلت على المهدي فقال قبل أن أجلس : أنشدني
أربعة أبيات لاتزد عليهنّ ، وعنده عبد الله بن مالك الخزازي ، فأنشدته (١) :
وأشعث قد قدّ السقارُ قبيصه يجرّ شواءً بالعصا غير مُنضج
دعوتُ إلى مانابني وأجابني كريمٌ من الفتيان غير مزلج (٢)
فتي يملأ الشيزي ويروي سنانه ويضرب في رأس الكي المدجج
فتي ليس بالراضى بأدنى معيشة ولا في بيوت الحى بالمتوج
فقال المهدي : هذا هو ، وأشار إلى عبد الله بن مالك ، فلما انصرفت بعث
إليّ بألف دينار ، وبعث إليّ عبد الله بأربعة آلاف .

[أبو الأسود الدؤلي وامراته]

تنازع أبو الأسود الدؤلي وامراته إلى زياد بن ابنهما ، وأراد أبو الأسود أخذَه

(١) هذه الأبيات من قصيدة طويلة للشماخ بن ضرار العطفاني (انظر ديوانه

ص ٩ مصر) (م) (٢) للزجج : الرجل الناقص ، أو هو الصوت (م)

منها فأبَتْ ، وقالت المرأة : أصلح الله الأمير ، هذا ابني ، كان بطني وعاؤه ، وحجري فناؤه ، وثدي سقاؤه ، أكلؤه إذا نام ، وأحفظه إذا قام ؛ فلم أزل بذلك سبعة أعوام ، فلما استوفى فضالهُ ، وكملت خصالهُ ، واستوكمت أوصالهُ^(١) ، وأملتُ نفعهُ ، ورجوت عطفهُ ، أراد أن يأخذهُ مني كرهاً ، فأدبني أيها الأمير ؛ فقد أراد قهرى ، وحاول قسرى .

فقال أبو الأسود : هذا ابني حملته قبل أن تحمله ، ووضعته قبل أن تضعه ، وأنا أقوم عليه في أدبه ، وأنظر في تقويم أوده^(٢) ، وأمنحه علمي ، وألهمه حلمي ، حتى يكمل عقله ، ويستكمل فتله .

فقالت المرأة : صدق أصلحك الله ؛ حملته خفياً ، وحملته ثقلاً ، ووضعته شهوة ، ووضعته كرها .

فقال زياد : ارددْ على المرأة ؛ ولدها ؛ فهي أحق به منك ، ودعني من سجعك .

[عظات ووصايا]

قال الأصمعي : بلغني أن بعض الحكماء كان يقول : إني لأعظكم ، وإني لكثيرُ الذنوب ، مسرفٌ على نفسي ، غير حامد لها ، ولا حاملها على المسكروه في طاعة الله . وقد بلوتها فلم أجد لها شكرياً في الرضاء ، ولا صبراً على البؤس . ولو أن أحداً لا يعظ أخاه حتى يحكم أمره لتترك الأمر ولكن محادثة الإخوان حياة القلوب وجلاء النفوس ، وتذكيرٌ من النسيان ، واعلموا أن الدنيا سرورها أحران ، وإقبالها إديار ، وآخر حياتها الموت ، فكم من مستقبل يوماً لا يستكملهُ ، ومنتظر غداً لا يباغهُ ؟ ولو تفتظرون الأجل ومسيره لأبفضتم الأمل وغرورهُ .

جمع عبد الملك أهله وولده فقال : يا بني أمية ، ابدلوا نداءكم ، وكفوا أذاكم ، وأجملوا إذا طلبتم ، واغفروا إذا قدرتم ، ولا تُلحفوا إذا سألتم ، ولا تبخلوا إذا سُئِلتم ؛ فإن المغو بعد القدرة ، والثناء بعد الخبرة ، وخير المال ما أفاد حرداً ونقياً ذماً

(١) استوكمت : كملت وتمت ، وأوصاله : أعضاؤه (م)

(٢) أوده : اعوجاجه وميله ، وتقوعه : تهديله (م)

عظة عبد الملك
ابن مروان
أهله وولده

[وصف هشام بن عبد الملك بصفته]

ودخل سعيد الجعفرى على هشام بن عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ، إني أريد أن أصفك بصفتك ، فإن انحرف كلامى فلهيبة الإمام ، واجتماع الأقوام ، وتصرف الأعوام ، ولرب جوادٍ عثر فى أرسانه^(١) وكبا فى ميدانه^(٢) ، ورحم الله امرأ قصر من لفظه ، وألصق الأرض بلفظه ، ووعى قولى بلفظه . فخاف هشام أن يتكلم فيقتصر عن جائزة مثله ، فعزم عليه فسكت .

[حاتم الطائي يتحمل الديات عن عبد قيس البرجمي]

قال عبد قيس بن خفاف البرجمي لحاتم الطائي وقد وفد عليه فى دماء تحملها وعجز عن البعض : إنه وقعت بينى وبين قومى دماذ فتواكلوها ، وإنى حملتها فى مالى وأملى ، فقدمت مالى ، وكنت أملى ، فإن تحملها فرُب حق قضيتها ، وهم قد كفيتها ، وإن حال دون ذلك حائل لم أذم يومك ، ولم أياس من غدك .

[وَصْفٌ ثَقِيلٌ]

قال أبو على العتابي : حدثنى الحمدونى قال : بعث إلى أحمد بن حرب المهلبى فى غداة ، السماء فيها مغيمة ، فأتيته والمائدة موضوعة مغطاة ؛ وقد أفت عجاب المغنية ، فأكلنا جميعاً ، وجلسنا على شرابنا ، فما راعنا إلا داق يدق الباب ، فأتاه الغلام فقال : بالباب فلان ؛ فقال لى : هو فتى من آل المهلب ، ظريف ، نظيف ، فقلت : ما تريد غير ما نحن فيه ، فأذن له ، فجاء يتبختر وقد أيا قدح شراب فكسره ، فإذا رجل^(٣) آدم ضخم ، قال : وتكلم فإذا هو أعيان الناس ، فجلس بينى وبين عجاب ، قال : فدعوت بدواة وكتبت إلى أحمد ابن حرب :

(١) الأرسان : جمع رسن - بالتحريك - وهو ما يقاديه الفرس ونحوه (م)

(٢) كبايكبو : عثر (م) (٣) آدم : وصف من الأدمة ، وهى السمرة (م)

كَدَّرَ اللهُ عَيْشَ مَنْ كَدَّرَ التَّمِيْشَ! فَقَدْ كَانَ صَافِيَا مُسْتَطَابًا
جَاءَنَا وَالسَّمَاءُ تَهْطَلُ بِالغَيْثِ وَقَدْ طَابَقَ السَّمَاعُ الشَّرَابَا
كَسَرَ الكَاسَ وَهِيَ كَالكُوكَبِ الدَّرُ رِيٌّ ضَمَّتْ مِنَ المَدَامِ رُضَابَا
قَلْتُ لِمَا رُمِيَتْ مِنْهُ بِمَا أَكْرَهُ وَالدهْرُ مَا أَفَادَ أَصَابَا
عَجَّلَ اللهُ نَعْمَةَ لابْنِ حَرْبٍ تَدْعُ الدَّارَ بَعْدَ شَهْرِ خِرَابَا
وَدَفَعْتُ الرِّقْمَةَ إِلَى أَحْمَدَ ، فَقَالَ : [وَيَحْكُ] أَلَا نَفْسَتْ قَلْتِ بَعْدَ حَوْلٍ ؟
قَلْتِ : أَرَدْتُ أَقُولُ بَعْدَ يَوْمٍ ، لَخِفْتُ أَنْ تَصِيبَنِي مَضْرَبَةٌ ذَلِكَ ، وَفَطِنَ التَّقِيْلُ
فَنَهَضَ ، فَقَالَ : آذَيْتَهُ ! قَلْتِ : هُوَ آذَانِي .

[طيلسان ابن حرب]

وقال الحمدوني في طيلسان ابن حرب :

وَلِي طَيْلَسَانٌ إِنْ تَأَمَّلْتَ شَخْصَهُ تَيَقَّنْتَ أَنَّ الدَّهْرَ يَفْقِي وَيَنْقَرِضُ
تَصَدَّعَ حَتَّى قَدْ أَمِنْتَ انْصِدَاعَهُ وَأَظْهَرْتَ الأَيَّامُ مِنْ عَمْرِهِ الغَرَضُ
كَأَنِّي لِإِشْفَاقِي عَلَيْهِ مَرَّضٌ أَخَا سَقَمٍ مِمَّا تَمَادَى بِهِ المَرَضُ
فَلَوْ أَنَّ أَصْحَابَ الكَلَامِ يَرَوْنَهُ لَمَارَوْكَ فِيهِ وَادَّعَوْا أَنَّهُ عَرَضٌ (١)

[وَقَالَ فِيهِ :

لَطَيْلَسَانُ ابْنُ حَرْبٍ نَعْمَةٌ سَبَقَتْ بِهَا تَبَيَّنَ فَضْلِي فَهُوَ مَتَّصِلٌ
قَدْ كُنْتُ دَهْرًا جَهُولًا ثُمَّ حَنَّتَنِي عَلَيْهِ خَوْفِي مِنَ الأَقْوَامِ إِنْ جَهَلُوا
أَظَلُّ أَجْتَنِبُ الإِخْوَانَ مِنْ حَذَرِ كَأَنَّمَا بِي جَرْحٌ لَيْسَ يَنْدَمُلُ
يَا طَيْلَسَانَا إِذَا الأُلْحَازُ جُلْنَ بِهِ فَعَلْنَا فَعَلَ سَهَامٍ فِيهِ تَنْتَضِلُ
لَنْ بَلِيَّتَ فِكْمِ أْبَلِيَّتَ مِنْ أُمِّ تَنْزِيَّ أْبَادَتَهُمْ أَيَّامُكَ الأَوَّلُ

(١) أصحاب الكلام : أراد علماء الكلام (علم التوحيد = علم العقائد) وماروك :
أراد جادلوك وشكوك ، والعرض - بالتحويلك - مالا يقوم بنفسه ، وإنما يقوم
بغيره ، كالبياض (م)

وكم رآك أخ لي نم أنشدني : ودع هريرة إن الركب مرَّ محل [وقال فيه (١) .

يا بنَ حربِ كسوتني طيلساناً
أمَرَضتَهُ الأوجاعُ فَهَوَّ سقيمُ
فإذا ما لبستُهُ قلتُ : سُبْحاً
نَكَ مُحَيَّبِي العظامِ وهى رَمِيمُ
طيلسانُ له إذا هَبَّتِ الرِّيحُ
عليه بمنكبي هَمِيمُ
أذكرتني بيتاً لحسان فيه
حُرُقٌ للفؤاد حين أقومُ
لو يدبُّ الحولُ من ولد الذِّ
رَّ عليها لأندبنا السُّكُومُ (٢)
وقال أيضاً :

يا قاتلَ اللهُ ابنَ حربٍ لقد
أطالَ إتعابِي على عَمَدِ
بطيلسانٍ خَلتُ أن البلي
يطلبه بالوترِ والحِدِ
أجدُّ في رَفْوِي له ، واليلى
يلهو به في الهَزْلِ والجدِ
ذكرني الجفنة لما عَدَا
أصحابها منها على حَرَدِ (٣)
إن أتهمَّ الرِّفاءَ في رفوه
مضى به التمزيقُ في نَجْدِ
غنيته لما مضى راحلاً :
يا واحدِي تتركني وحدي !
وقال أيضاً فيه :

إنَّ ابنَ حربٍ كسانِي
ثوباً يُطيلُ انحرافَهُ
أظللَ أدفعُ عنه وأتقى كلَّ آفِهِ
فقد تعلمتُ من خَشيتي عليه النِّقافَهُ
وقال أيضاً :

طيلسانُ ما زال أقدمُ في الدهرِ من الدهرِ ما لِرَفْوِيهِ حيله

(١) البيتان الأول والثاني من هذه الأبيات في وفيات الأعيان لابن خلكان
(٢) ٩٣/٦ (بتحقيقنا) (٢) أندبنا: جرحتها، والكوم: جمع كلم- بالفتح- وهو الجرح (م)
(٣) يشير إلى القصة التي ذكرت في سورة القلم من الآية ١٦ إلى الآية ٢٦ (م)

وترى ضَعْفَه كضعف عجوز رَثَّةِ الحَالِ ذاتِ فقرٍ مُعِيلِه
غَمْرَتِه الرِّقَاعُ فهو كِضْرٍ مَكْنَتِه نُزَاعُ كُلِّ قَبِيلِه
إِنْ أَرَيْتَهُ يابنَ حربِ بَدِي فجريرٌ قد زانَ قبلي بِجَمِيلِه
جريرٌ : ابنُ عبدِ اللهِ البجلي ، وله صحبة [رضى الله عنه ، وقد] قال غسان في

هجائه جريراً :

لعمري لئن كانت بجيلة زانها جريرٌ لقد أخزى كَلْبِيَّاً جريرُها
وقال الحمدوني في معناه الأول (١) :

يائِنَ حربِ إني أرى في زوايا بيتنا مثل ما كسوتَ جماعة
طليسانُ رَفَوْتُهُ ورفوتُ الرِّفِّ فَوَ منه حتى رَفَوْتُ رِقَاعِه
فَأَطاعَ البِـلِيَّ وصار خليعاً ليس يعطى الرِّفَاءَ في الرِّفْوِ . طاعه
فإذا سائلٌ رآني فيه ظنَّ أي فتى من أهل الضياعة (٢)
وقال فيه :

طَيْلَسَانُ لابنِ حربٍ يتداعي لا مِساساً (٣)
قد طَوَى قَرْنًا قَرْنًا وَأَناساً فَأَناساً
لَبِسَ الأَيامَ حَتَّى لَمْ تَدعِ فِيهِ لِبَاساً
غابَ تحتَ الحَسِّ حَتَّى لا يُرى إِلا قِياساً

[من رسائل ابن العميد]

من ابن العميد
إلى الطبري

كتب أبو الفضل بن العميد إلى أبي عبد الله الطبري :

كتابي وأنا بحالٍ لولم ينقص منها الشوقُ إليك ، ولم يرتقِ صفوها النزاعُ نحوك ،
فعددتُها من الأحوالِ الجميلة ، واعتدبتُ حظي منها في النعمِ الجليلة ؛ فقد جمعتُ
لِها بين سلامةِ عامَّةٍ ، ونعمةٍ تامةٍ ، وحظيتُ منها في جسمي بِصَلاحٍ ، وفي سعيي

(١) هذه الأبيات الأربعة في ابن خلكان (٩٤/٦) وثمة مقطعات ليست هنا (م)

(٢) في نسخة كما في ابن خلكان « من أهل الصناعة » (م)

(٣) لامساس : أي لاعمسى ، وهذه كناية عن شدة بلاه (م)

بنجاح ، لكن ما بقي أن يَضْفُوَ لى عيش مع بُعْدِي عنك ، ويحلو ذرعى مع
 خلوى منك ، وِيسُوع لى مطعم ومشرب مع انفرادى دونك ، وكيف أطمَع
 فى ذلك وأنتَ جزء من نفسى ، وناظم لشملى أنسى ، وقد حُرِمْتَ رؤيتك ،
 وَعَدِمْتَ مشاهدتك ، وهل تسكنُ نفس متشعبة ذات انقسام ، وينفع أنس
 مُتَشَدِّت بلا نظام ، وقد قرأت كتابك جعلنى الله تعالى فداءك ؛ فامتلاتُ
 سرورا بملاحظة خَطِّك ، وتأمل تصرفك فى لفظك ، وما أقرَّظهما فكلُّ
 خصالك مقرَّظٌ عندى ، وما أمدحهما فكلُّ أمرك ممدوح فى ضميرى وعقدى ،
 وأرجو أن تكونَ حقيقةً أمرك موافقةً لتقديرى فيك ، فإن كان كذلك وإلا فقد
 غطى هواك وما ألقى على بَصْرِى .

وله إلى عضد الدولة يهنئه بولدين :

من ابن العميد
 إلى عضد الدولة

أطال الله بقاء الأمير الأجل عضد الدولة ، دام عزه وتأيدته ، وعلوه وتمهيدته ،
 وبسَطْطته وتوطيدته ، وظاهر له من كل خير من يده ، وهناه ما اختصه به على قُربِ
 الميلاد ، من توافر الأعداد ، وتكثُر الأمداد ، وتتمر الأولاد ، وأراه من النجابة فى
 البنين والأسباط^(١) ، ما أراه من الكرم فى الآباء والأجداد ، ولا أخلى عينه من قرّة ،
 ونفسه من مسرّة ، ومتجدد نعمة ، ومستأنف مكرمة ، وزيادة فى عدده ، وفسح فى
 أمده ، حتى يبلغ غاية مهله ، ويستغرق نهاية أمله ، ويستوفى ما بعد حُسْنِ ظنه ؛ وعرفه
 الله السعادة فيما بشرَ عبده من طواع بدرين هما انبعاثاً من نوره ، واستناراً من
 دُوره ، وحفاً بسريره ، وجعل وفودهما متلائمين ، وورودهما توائمين ، بشيرين
 بتظاهر النعم ، وتواتر القسم ، ومؤذنين بترادف بنين [يفصُّ] بجمعهم مُنْخَرَقُ
 القضاء ، ويشرقُ بنورهم أفق العلاء ، وينتهى بهم أمدُ النباء^(٢) ، إلى غاية نفوت

(١) الأسباط : جمع سبط - بكسر السين وسكون الباء - وهو ولد البيت (م)

(٢) النباء : الزيادة (م)

غاية الإحصاء ، ولا زالت السبلُ عامرة ، والمناهلُ عامرة ، يصافحُ صادرهم بالبشر
[الوارد] ، وآملهم بالنيل القاصد .

وقال أبو الطيب وذكر أبا دلف وأبا الفوارس ابني عضد الدولة :
لأبي الطيب في
ابني عضد الدولة
فلم أر قبله شِبْلِي هَزْبَرُ كَشْبِلِيهِ ، ولا فَرَسِي رَهَابِ
فعاشا عيشة القمرين يحيى بضوئيهما ولا يتحاسدانِ
ولا ملكا سيوى مُلكِ الأعادى ولا وَرِثًا سِوَى مَنْ يَقْتُلَانِ
[وكانا ابناً عدو كائراه له ياءى حروف أنيسيان]
دُعاه كالثناءِ بلا رِياءِ يُؤدِّيه الجنانُ إلى الجنانِ

وكتب أبو القاسم الإسكافي عن نوح بن نصر إلى وشمكير بن زياد في
من الإسكافي في
تهنئة واستبطاء
استبطاء وتهنئة :

وصل كتابك ناطقاً مفتحاً بجميل العذر ، فيما نقل من المكاتبة ،
وبعث من المطالعة ، ومُعَرِّباً مَحْتَمِّمَهُ عن مُجَلَّةِ خَيْرِ السَّلَامَةِ التي طَبَّقْتَ
أعمالك ، والاستقامة التي عمت أحوالك ، وفهمناه ، ولولا أن مواتاتك — أيدك
الله تعالى — فيما تأتي وتذّر ، وترتّبى وتدبّر ، عادة لنا أورتناها قرابة ما بين
وفاقنا ووفاقك ، وملاءمة حال ألبأتنا لحال استحماقك ؛ لسكنا ربما ضايقتك
في العذر الذي اعتذرت به ، وإن كان واضحاً طريقه ، وناقشناك فيه ، وإن
كان واجباً تصديقه ، لفرط الأنس [يخأص إلينا] بكتابك ، والارتياح
بخطابك ، اللذين لا يؤدبان إلا خبر سلامة توجب الإحجاد ، فنحن نأبى
إلا إجراء تلك العادة ، كما عودتنا ، وإلا التجافي عما تريد فيه من الزيادة
التي أردتها ، ولا ندع مع ذلك أن يصل تسويفك^(١) إلى الإقلال الذي اخترته
ياحمادك على الكتاب إذا كتبتة ، توخياً^(٢) لأن تكون مؤهلاً في الحالين لخالصة

(١) سوف الأمر تسويفاً : أرجأه وأخره (م)

(٢) توخى الأمر يتوخاه توخياً : قصده (م)

التنويل ، مقدماً في درج التفضيل ، موفياً حقائق الإيثار ، موفياً لواحق الاستقصار ، ونستعين بالله على قضاء حقوقك ، وعلى جميل النية في أمورك ؛ فإن ذلك لا يُبَالِغُ إلا بقوته ، ولا يُدْرِكُ إلا بحوله ، وأما بعد فقد عني^(١) — أعزك الله تعالى — ما أفاد كتابك بحجر السلامة من أنسه ، على آثار من سبقه بخبر العلة من وحشة ، فأوجبتنا مقابلة موهبة الله تعالى في المحبوب صنع ، والمكروه دفع ، نستقبلُ به إخلاص المواهب لنا ، ونستديمُ به أخص المراتب بنا ، فرأيتك — أعزك الله تعالى — في المطالعة بذكر تسمده في الفنوة والصحة من مزيد ، والطاعة والكفاية من توفيق وتسدید ، موفقاً إن شاء الله تعالى ..

ألفاظ لأهل العصر في ضروب التهاني وما ينخرط في سلكها

من ذلك في النهيئة بالمولود وما يجري مجراها من الأدعية ،

وما يختص منها بالملوك أو الرؤساء

مرحبا بالفارس المصدق للظنون ، المقر للعيون ، القبل بالطالع السعيد ، والخير العتيد ، أنجب الأبناء لأكرم الآباء . أما مستبشر بطلوع النجم الذي كنا منه على أمل ، ومن تناول استسراجه [الذي كنا منه] على وجل ، إن يشأ الله يجعله مقدمة إخوة في نسق كالفرید المتسق^(٢) . قد طلع في أفق الحرية أسعد نجم ، [ونجم^(٣)] في حدائق المروءة أذكي نبت . يا بشرأى بطلوع الفارس اليمون جدّه ، المضمون سعده ، عليه خاتم الفضل وطابمّه ، وله تنهم الخير وطالمه . الحمد لله على طلوع هذا الهلال الذي تراه إن شاء الله بدرأ لا يضمير السرار بيه ، ولا يبلغ المحاق سناه وسناه ، وقد بشرت قوابله بالإقبال وعلو الجد^(٤) ، واقترن قدومه بالطالع السعد . هناك الله تعالى بقوة الظهور ،

(١) عني : غطي وستر (م) . (٢) الفرید : أراد الدر ، والمتسق : المنتظم (م)

(٣) نجم : طلع (م) (٤) الجد - بفتح الجيم - البخت والحظ (م)

واشتداد الأزر. الفارس المكثّر لسواد الفضل، الموفّر لحلال الأهل، المستوفى شرف الأرومة، بكرم الأبوة والأمومة، وأبقاه حتى نراه، كما رأينا جدّه وأباه. عرفت أنّفاً ما كثر الله به عدده، وشدّ عضده، من طلوع الفارس الذي أضاء له الأفق، وطال به باعُ السعادة، فعظمت النعمى لدى، وأوردت البشرى غاية المبنى على. مرحباً بالفارس القادم، بأعظم المنام، سويّ الخلق [سامي العرق] يلوح عليه سماء المجد، وتتجاذبه أطراف الملك والحمد. وردت البشرى بالفارس الذي أوسع رباع المجد تأهيلاً، ومناكب الشرف ارتفاعاً، وأعضاد العزّ اشتداداً. واتنتى بشرى البشائر^(١)، والنعم المحروسة على النظائر، في سلاّة العز وسليته، وابن منبر الملك وسريره، والأمير القادم بغيره المكارم، الناهض إلى ذرّوة العلياء، بأباء أمراء، وملوك عطاء. مرحباً بالفارس المأمول لشدّ الظهور، المرجو لسدّ النفور. الحمد لله الذي شدّ أزرّ الدولة، ونظم قلادة الإمرة، ودعم سرير العزّة، ووطد منابر المملكة، بالقمر السعد، وشبل الأسد الورد. قد تنسّمت المكارم والمعالي، وتباشرت الخُطب والقوافي، بالفارس المأمول لشدّ أزرّ الملك، وشدّ ثمر المجد، وتطاول السرير شوقاً إليه، واهتزّت المنابر حرصاً عليه. قد افتترّ جفن العالم عن العين البصيرة، واستغرب مضحكّه عن اللمعة المنيرة؛ أما الأمير فالنتاج لجبينه يبهي، والركاب بقدمه تزهى^(٢)، اللهم أرني هذا الهلال بدرّاً قد علّا الأقدار قدراً، وبلغه الله فيه من مناه، حتى نراه وأخاه، مُنيفين على ذرّوة المجد، آخذين من أوفر الحظوة بأعلى المجد.

ولهم: والله يمتع به، ويرزق الخير منه، ويحقق الأمل فيه. عرف الله تعالى آثار بركة الموبود المسعود، وعضد الفضل بالزيادة في عدده، وأقرّ عين

(١) واتاه يواتيه: أسعفه وأنجده، وتقرأ « واتنتى » بالهمز من الإتيان بمعنى المحي. (م) (٢) في نسخة « هو آمال الأمير فالنتاج بجبينه سما، والركاب بمقدمه زها » وليس كما ينبغي (م)

المجد بالسادة من ولده . عرفه الله تعالى من سيادة مقدمه ، ما يجمع الأعداء تحت قدمه . عمرك الله تعالى حتى ترى هذا الللال قرماً باهراً ، وبدراً زاهراً ، يكثر به عدد حفدتك ، ويعظم معه غصّة حسدتك ، من حيث لا تهتدي النوائب إلى أغراضكم ، ولا تطمع الحوادث^(١) إلى انتقاصكم ، متمك الله بالولد ، وجعله من أقوى العُدَد ، ووصله بإخوة متوافرى العَدَد ، شادى الأزر والعصُد . هناك الله تعالى مولده ، وقرن باليؤمن مؤرده ، وأراك من بنيه أولاداً برره [وأسباطاً وحفدة ، وعرفك بركة قُدومه ، ونجح مقدمه ، وسعد طالعه ، ويمن طائرته ، وعمرك الله] حتى ترى زيادة الله منه كما رأيته^(٢) به^(٣) ، والله يبليغك أفضل ما تقسمه السعود ، وتعلو به الجدود ، حتى يستغرق مع إخوته مساعى الفضل ، ويشيدوا قواعد الفخر ، ويزحموا صدور الدهر ، ويضبطوا أطراف الأرض ؛ والله يجرسه من نواظر الأيام أن ترؤو إليه^(٤) ، وأطماع الليالى أن تتوجه عليه ، حتى يستقل بأعباء الخدمة ، وينهض بأثقال الدعوة ، ويخف في الدفع عن البيضة ، ويسرع في حماية الحوزة ، والله يديم لمولانا من العُمُر أكلاه ، ومن العز أهناه ، ليطبق العالم بفضلته وعدله ، ويدبر الأرض بالنجباء من نسله .

ولهم في ذكر المولود العلوى

غُضِن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شجره أهل أن يحملوا ثمره ، وفرع بين الرسالة والإمامة منتماه ، خليف أن يُحمَد بدوّه وعُقباه . مرحباً بالطالع بأيمن طالع ، ومن هو من أشرف المناصب والمنابع ، حيث الرسالة والخلافة ، والإمامة والزعامة ، أبقاه الله تعالى حتى يتهدأ فيه صوانع المن^(٥) ، ويعد حسنه من بنى الحسن .

(١) في نسخة « ولا تطلع الحوادث - إلخ » (م)

(٢) في نسخة « كما ترى مهايته » (م) (٣) ترنو : تنظر (م)

(٤) في نسخة « حتى يتهيا منه صنائع المن » (م)

ولهم في التهنئة بالإملاك^(١) والنفاس ، وما يقترن به من الأدعية

من اتصل بمولاي سببه ، وشرف به منصبه ، كان حقيقاً بالرغبة إلى الله تعالى في توفيره وتكثيره ، وزيادته وتشميره ، لتزكو منابت الفضل ، وتنمى مغارس النبل والفخر ، وتطيب معادنُ المجد . بارك الله لمولاي في الأمر الذي عقده ، وأحمده إياه^(٢) وأسعده ، وجعله موصولاً بنماء العدد ، وزكاه الولد ، واتصال الخبل ، وتكثير النسل . والله تعالى يخير له في الوصلة الكريمة ، ويقربها بالمنحة الجسيمة . قد عظم الله بهجتي ، وضاعف غيظتي ، بما أتاحة من سرور ممدد ، بجمع شمل مجدّد ، فلا زالت النعم به محفوفة ، والمسار إليه مصروفة ، جعل الله هذه الوصلة أكيدة العقدة ، طويلة المدة ، سابعة البركة والفضل ، طيبة الذرية والنسل . وصل الله هذا الاتصال السعيد ، والعقد الحميد ، بأكمل المواهب ، وأحمد العواقب ، وجعل شمل مسرتك ملتماً ، وسبب أنسك منتظماً . عرفك الله تعجيل البركات ، وتوالي الخيرات ، ولا أخلاك الله من هذه الوصلة [من التهانى بنجباء الأولاد ، وكبت بكثرة عددك الحساد . هناك الله مولاي الوصلة] بكثرة العدد ، ووفور الولد ، وانبساط الباع واليد ، عالي القدر والجد .

ولهم في التهنئة بالولاية والأعمال ، وما يتصل بها من الأدعية

للوزراء والقضاة والعمال

عرفت أخبار البلد الذي أحسن الله إلى أهله ، وعطف عليهم بفضله ، إذ أضيف إلى ما يلاحظه مولاي بعين إبالته ، ويشفي خلة بفضله أصالته . أنا من سر

(١) الإملاك : الترويح ، تقول « أملك الرجل ابنته » تريد أنه زوجها (م)

(٢) أحمدته إياه : جملة يرى عاقبته محمودة ، ووقع في الأصول كلها « وأحمدته

أباه » ولا نراها إلا مصحفة عما أثبتناه (م) .

بالولاية يلبس مولاي ظلّالها ، ويسحب أذيالها ، بنعم مستفادة ، ورُتب
 مستزادة ، سرورى بما أعلمه بكسبه^(١) الثناء فى كل عمل يدبره، من أحداث جميلة،
 ومثوبة جزيلة ، ويؤثره من إحياء عدل ، وإماتة جور، وعمارّة لسبيل الخيرات،
 وإيضاح الطرق المسكرات ، سيدى يوفى على الرتب التى يدعى لها مجلوله^(٢) ؛
 فهينئاً لها بتجملها بولايته ، وتحملها بكفائته . الأعمال إن بلغت أقصى الآمال،
 فكفاية مولاي تتجاوزها وتنخطاها ، والرتب وإن جلت قدراً ، وكبرت
 ذكراً ، فصناعتها تسبقها^(٣) وتمسوها ، غير أن للتهانى رسماً لا بدّ من إقامته ،
 وشرطاً لا سبيل إلى نقض عادته . الأعمال وإن بلغت أقصى الآمال فكفاية
 سيدى توفى عليها إيفاء الشمس على النجوم ، وترتفع عنها ارتفاع السماء على التخوم .
 سيدى أرفع قدراً وأنبه ذكراً ، من أن نهينته بولاية وإن جل أمرها وعظم
 قدرها . قد أعطيت قوس الوزارة باريها ، وأضيفت إلى كفيها وكافيتها ، وفسخ
 فيها شرط الدنيا الفاسد فى إهداء حظوظها إلى أوغادها ، ونقض بها حكمها الجائر
 فى العدول بها عن نجباء أولادها . الدنيا أعز الله الوزير مهتأة بانحيازها^(٤) إلى
 رأيه وتنفيذه ، والممالك مغبوظة باتصالها إلى أمره وتدبيره . قد كانت الدنيا
 مستشرفة لوزارته ، إلى أن سدت بما كانت الأيام عنه نخيرة ، وحطيت
 بما كانت الظنون به مبشرة . أنا أهني الوزارة بالقائها إلى فضله مقادتها ،
 وبلوغها فى ظله إرادتها ، وانحيازها من إيالته إلى واضحة الفخر ، وتوشحها من
 كفايته بمرّة سائدة على وجه الدهر . الحمد لله الذى أقر عين الفضل ، ووطأ
 مهآد الجدد ، وترك الحساد يتعشرون فى ذبول الخيبة ، ويتساقطون فى فضول
 الحسرة ؛ وأراني الوزارة وقد استكمل الشيخ إجلالها ، ووفى لها جمالها :

(١) فى نسخة « سرورى بما أعلمه يكسب الثناء - إلخ » (م)

(٢) فى نسخة « يدعى له بحولها فهينئاً لها بتجملها » (م)

(٣) فى نسخة « تنسقها » (م) (٤) فى نسخة « بانحياز الولاية » (م)

فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها .
والقاضي علم العلم شرقاً وغرباً ، ونجم الفضل غوراً ونجداً ، وشمس الأدب
براً وبحراً ، فسبيل الأعمال أن تهتأ إذا رُدَّت إلى نظره الميمون ، وعصبت برأيه
الأمين . [أسعد الله القاضي بما جدَّ] له من رأى مولانا وارتضاه ، واعتمده
لأجل أمر الشريعة وأمضاه ، وأسعد المسلمين والدين بما أصاره إليه ، وجمع زمامه
في يديه . عرف الله سيدي من سعادة عمله ، أفضل ما ترقاه بأمله ، ولقاه من
مناجح أمره ، أفضل ما انتحاه بفكره . خار الله له فيما تولاه وتطوَّقه ، وبلغه في
كل حال أملة وحققه ، وعرفه من يُمن ما باشره تديره ^(١) الخير [والخيرة]
والبركات الحاضرة والمنتظرة ، وجعل المناجح إليه أرسالا ، لا تملّ تواليها واتصالا .
أسعدته الله أفضل سعادة قسّمت لوالي عمل ، وأسهم له أخص بركة أسهمت
لمسامي أهل ^(٢) ، أحضر الله السداد عزّمه ، والرشادهمه ، وكنفته العِصمة وأيده ،
وقرّنه بالتوفيق ولا أفرده . هنا الله تعالى الموهبة التي ساقها إليه ، ومدّ رواقها
عليه ؛ إذ كانت من عقائل المواهب ، مُستفيرة عن خصائص المراتب ، وحلت فيه
لحل الاستحباب لا الإيجاب ، والاستحقاق دون الاتفاق . هنا الله نعمته الفضل ^(٣)
الذي الولاية أصغر آلائها ، والرياسة بعض صفاتها

ولهم في التهنئة بذكر الخلع والأجبية

أهني سيدي مزيد الرِّفعة ، وجديد الخِلمة ، التي تخلع قلوب المنازعين ،
واللواء الذي يلوي أيدي المنابذين ، والحظ الذي لو امتطاه إلى الأفلاك لحازها ،
أو سامى به الجوزاء لحازها . بلغني خبر ما تطوَّعت به سماه الحمد ، وجادت به

(١) في نسخة « ما باشره وتديره » (م) (٢) في نسخة « لسامي أمل » (م)

(٣) في نسخة « هنا الله نعمته بالفضل الذي - إلخ » (م)

أنواه الملك ، فصن من الخلع أسناها ، ومن المراكب أهبهاها ، [ومن السيوف أمضاها ، ومن الأفراس أجزأها ، ومن الإقطاعات أتماها] . ليس خلعتة متجلاًلاً منها ملابس العز ، وامتطى فرسه فارعا به ذرّوة المجد ، وتقلد سيفه حاصداً بحد ، طلى أعدائه^(١) وغامطى نعمائه ، واعتنق طوقه متطوقاً عزّ الأبد ، واعتضد بالسوارين الموديين بقوة الساعد والعضد ، وسأس أولياءه ولواه العزّ عليه خافق ، وهو بلسان الظفر والنصر ناطق . قد لبس خلعتة التي تعمد بها [رفعتي] ، وامتطى حُملانه الذي واصل به إحسانه^(٢) ، تمنطق بحسامه الذي ظاهر أبواب إنعامه ، وتحتم بحاتميه ، اللذين بسطوا من يديه ؛ ووقع من دواته ، التي أعلت من درجاته قد زررت عليه سماه الشرف عرى الخلعة ، التي تترأى صفحات العزّ على أعطافها ، وتمترى مزايا المجد من أطرافها ، وركب الحلان الذي تناول قاصيتي المنى من ناصيته ، والمركب الذي تستخذى^(٣) حلى الثريا لحيته ، والسيوف والمنطقة الناطقان عن نهاية الإكرام ، الناظران قلائد الإعظام . خلع تلخج قلوب الأعداء من مقارها^(٤) ، وتعدر نفوس الأولياء بمسارها ، وسيف كالقضاء مضاءً وحداً ، ولواه يخفق قلوب المنازعين إذا خفق ، وحملات تصدع منكب الدهر إذا انطاق^(٥) .

ولهم في التهنئة بالقدوم من سفر

أهني سيدي ونفسي بما يسره الله من قدومه سالماً ، وأشكره على ذلك شكراً قائماً ؛ غيبة المكارم مقرونة بغيبتك ، وأوبة النعم موصولة بأوبتك ؛ فوصل الله تعالى قدومك من الكرامة ، بأضعاف ما قرن به مسيرك من السلامة . وهناك أيامك ، وبلتك محابك ؛ ما زلت بالنية مسافراً ، وبتصال الذكر

(١) الطلى - بضم الطاء ، بوزن الهدى - الأعناق أو أصولها (م)

(٢) في نسخة « وامتطى حملاته التي واصل بها إحسانه » (م)

(٣) في نسخة « والمراكب الذي يستعد بالجلية على السير » (م)

(٤) في نسخة « عن مقارها » (م) (٥) في نسخة « إذا نطق » (م)

والفكر لك ملاقيا ، إلى أن جمع الله شمل سروري بأو بتك^(١) ، وسكن نافر قلبي
بعودتك ، فأسأل الله أن يسعدك بمقدمك سعادة تكون فيها [بالإقبال] مقابلا ،
وبالأمانى ظافرا ، ولا أوحش منك أوطان الفضل ، ورباع المجد ، بمنه وكرمه .
[من أحسن الشعر]

قال الهيثم بن عدي : أنشدني مجالد بن سعيد شعراً أعجبنى ، فقلت : من
أنشدك ؟ قال : كنا يوماً عند الشعبي فتناشدنا الشعر ، فلما فرغنا قال : أيكم يحسن
أن يقول مثل هذا ، وأنشدنا :

خليلي مهلاً طالما لم أقل مهلاً	وما سرفايم الآن قلت ولا جهلاً ^(٢)
وإن صيباً ابن الأربعين سفاهاً	فكيف مع اللاتي مُثِلتُ بها مثلاً
يقول لي المفتي وهنّ عشية	بمكة يسخّنين المهديّة السجلاً ^(٣)
تق الله لا تنظر إليهنّ يا فتى	وما خلّفتي بالحج ملتمساً وصلأ
فوالله لا أنسى وإن شطت النوى	عرانينهن الشمّ والأعين النجلاً
ولا المسك في أعرافهن ولا البرى	جواعل في أوساطها قصباً خذلاً
خليلي لا والله ما قلت مرّحياً	لأول شيباتٍ طلّعن ولا أهلاً ^(٤)
خليلي إن الشيب داء كرهته	فما أحسن المرعى وما أقيح الحلاً

قال مجالد : فكتبت الشعر ، ثم قلنا للشعبي : من يقوله ؟ فسكت ، فحسبنا
أنه قائله .

[المرأى التي قيلت على قبر عمرو بن حمزة الدوسي]

قال الشرفي بن القطامي : لما مات عمرو بن حمزة الدوسي - وكان أحد من
تتجأكم العرب إليه - مرّ بقبره ثلاثة نفر من أهل المدينة قادمين من الشام : الهدم
ابن امرئ القيس بن الحارث بن زيد ، وهو أبو كلثوم بن الهدم الذي نزل عليه

(١) أوتبتك : رجوعك (م) (٢) في نسخة «ولا سرفايمى المقال» (م)

(٣) في نسخة «المهديّة النجلا» تصحيف ، وأراد بالمهديّة السجل الثياب البيض ،

واحد هاصجيل ، وانظر الأمالى ١٢٤/٢ (م) (٤) يروى «خليلي لولا الله» (م)

(١٥ - زهر الآداب : ٢)

النبي صلى الله عليه وسلم ، وعتيك بن قيس بن هيشة بن أمية بن معاوية ، وحاطب
 ابن قيس بن هيشة ابن معاوية . وحاطب بن هيشة الذي كانت بسببه حره
 حاطب ، فعمقروا رواحلهم على قبره ، وقام الهدم فقال :

لقد ضمت الأتراء منك مرزاً عظيم رماد النار مشترك القدر
 إذا قلت لم تترك مقالا لقائل وإن صلت كنت الليث تحمي حتى الأجر
 حلما إذ ما الحلم كان حزاماً وقوقاً إذا كان الوقوف على الجمر^(١)
 لبيكك من كانت حياتك عزه وأصبح لما مت يفضي على الصغر
 سقى الأرض ذات الطول والعرض منجم أحم الذرى واهى العرى دائم القطر^(٢)
 وماى سقيا الأرض لكن تربة أضلك فى أحشائها ملحد القبر
 وقام عتيك بن قيس فقال :

برغم العلا والجود والمجد والتدى طواك الردى ياخير حاف وناعل
 لقد غال صرف الدهر منك مرزاً نهوضاً بأعباء الأمور الأناقل
 يضم العفاة الطارقين فناؤه كما ضم أم الرأس شعب القبائل
 ويسرو دجا الهيجا مضاه عزيمة كما كشف الصبح أطراق الغياطل^(٣)
 ويستهمز الجيش العرمم باسمه وإن كان جرراً كثير الصواهل
 فيما تصبنا الحادثات بنسكبة رمتك بها إحدى الدواهي الضائل^(٤)
 فلا تبعدن إن الخوف موارد وكل فتى من صرفها غير وائل^(٥)
 وقام حاطب بن قيس فقال :

سلام على القبر الذى ضم أعظاً تحوم العالى نحوه فتسلم

- (١) فى الأمالى ١٤٣/٢ « وقورا إذا كان الوقوف على الجمر » وفى نسخة من
 نسخ هذا الكتاب « حلما إذا ما الحلم حل حزامه » تحريف قبيح (م)
 (٢) فى الأمالى « أحم الرجا » والرجا : وسط النجم ومعظمه (م)
 (٣) الغياطل : جمع غيطة ، وهى الظلمة واختلاط الأصوات ، والبقرة الوحشية (م)
 (٤) الضائل : جمع ضليل ، وهى الداهية (م) (٥) غير وائل : غير ناج (م)

سلام عليه كلما ذرَّ شارقٌ
 [فيا قبرَ عمرو جاد أرضاً تعطفت
 تضمنتَ جسماً طاب حياً وميتاً
 فلو نطقتَ أرضٌ لقال ترابها
 إلى مرّمسٍ قد حلّ بين ترابه
 فلا يبعدنك اللهُ حياً وميتاً
 لعمركم الذي حطتْ إليه على الونا
 لقد هدم العلياء موتك جانباً
 وما امتدَّ قطع من دُحجى الليل مُظلمٌ
 عليك مُلثٌ دائمٌ القطرِ مرزُمٌ
 فأنت بما ضُمّنتَ في الأرض مُعلمٌ
 إلى قبرِ عمرو الأزدي حلّ التكرم
 وأحجاره بدرٌ وأضبط ضيفمٌ
 فقد كنت نور الخطب والخطب مُظلمٌ
 حدابيرُ عوجٌ نهباً مُتهممٌ [
 وكان قديماً رُكنها لا يهدمٌ]
 [بلاغة الأعراب]

قال الأصمعي : سمعت أعرابياً يذكر قومه فقال : كانوا إذا اصطفوا تحت
 أعرابي القتام ، مطرت بينهم السهام ، بشؤبوب الحمام^(١) ، وإذا تصالحوا بالسيوف ، ففرت
 يصف قومه أفواهاها الختوف ، فرب قرن عارم قد أحسنوا أدبه ، وحرّب عبوس قد أضحكها
 أسنتهم ، وخطب مُشمئز ذلّوا مناكبه ، ويوم عماس قد كشفوا ظلمته بالصبر
 حتى تتجلى . كانوا البحر لا ينكش عُماره ، ولا يُزانه تياره .

قال العتبي : سئل أعرابي عن حاله [عند موته] فقال : أجدني مأخوذاً
 أعرابي بالنقلة ، محجوجاً بالمهلة ، فأرق ما جمعت ، وأقدم على ما ضيعت ، فيا حيائي من
 يصف حاله عند الموت كريم قدّم المعذرة ، وأطال النظرة^(٢) ، إن لم يتداركني بالمغفرة ، ثم قضى .

وقال بعض الرواة : كان يقال : الإخوان ثلاثة : أخ يخلصُ لك وُدّه ، ويبلغ
 الإخوان ثلاثة لك في مهلك جهده ، وأخ ذو نية يقتصرُ بك على حسن نيته ، دون رِفده^(٣)
 ومعونته ، وأخ يجاملك بلسانه ، ويشغل عنك بشأته ، ويوسعك من كذبه بأيمانه .

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : وقفت علينا أعرابية فقالت : يا قوم ، تعز أعرابية تسأل
 بنا الدهر ، إذ قلّ منا الشكر ، وفارقنا الغنى ، وحالفنا الفقر ، فرحم الله امرأ فهم

(١) القتام : الغبار الذي أثارته الخيل في المعركة ، والشؤبوب : الدفعة من النظر (م)

(٢) النظرة : التأخير والتأجيل (م) (٣) الرفد - بالكسر - العطاء (م)

بعقل ، وأعطى من فضل ، وواسى من كفاف ، وأعان على عفاف .

[ذل السؤال]

قال أبو بكر الحنفي : حضرتُ مسجد الجماعة بالكوفة ، وقام سائلٌ يتكلم عند صلاة الظهر ثم عند العصر والمغرب ، فلم يُعْطَ شيئاً ، فقال : اللهم إنك بحاجتي عالم غير معلم ، واسع غير مكلف ، وأنت الذي لا يرزوك نائل ، ولا يُحْفِيكَ^(١) سائل ، ولا يبلغ مدحتك قائل ، أنت كما قال اللثنون ، وفوق ما يقولون ، أسألك صبراً جميلاً ، وفرجاً قريباً ، ونصراً بالهدى ، وقرّة عين فيما تحب وترضى ، ثم ولّى لينصرف ، فابتدره الناسُ يعطونه ، فلم يأخذ شيئاً ، ثم مضى وهو يقول :

ما اعتاض بأذل وجهه بسؤاله عَوْضاً ، ولو نال الغنى بسؤال
وإذا السؤالُ مع النوالِ وَزَنَتْهُ رَجَحَ السؤالُ وخفَّ كلُّ نوالٍ

[من مقامات بديع الزمان]

ومن مقامات الإسكندري إنشاء البديع : حدّثنا عيسى بن هشام قال : كنت في بلاد الأهواز ، وقصاراى لفظه شرود أُصيدها ، أو كلمة بايعة أستفيدها ؛ فإداني السير إلى رُقعة [من البلاد] فسيحة ، وإذا هناك قومٌ مجتمعون على رجل يستمعون إليه وهو يخبط الأرض بمصاً على إيقاع لا يختلف ، وعلبت أن مع الإيقاع لحناً ، ولم أبعُدْ لأنال من السماع حظاً ، أو أسمع من البليغ لفظاً ، فما زلت بالنظارة ، أزحم هذا وأدفعُ ذلك ، حتى وصلتُ إلى الرجل ، وصرفت الطرف منه إلى حُرُوقَةٍ كالقُرْنَبِ^(٢) ، مكفوف في شملة من صوف ، يدور كالخُدروف^(٣) ، مُتَبَرِّساً بأطول منه ، معتمداً على عصاً فيها جلاجل ، يضربُ الأرض بها على إيقاع غَسِج ، ولفظ هَرَج ، من صدرٍ حَرَج ، وهو يقول :

يا قومُ قد أنقل دَينِي ظَهْرِي وطالبتني طَلَبْتِي بِالْمَهْرِ^(٤)

القامة
الأهوازية
(المكفوفية)

(١) لا يحفيك - بالحاء المهملة - لا يثقل عليك ، ووقع في نسخة « لا يخفيك »
تحريف (م) (٢) الحزقة : القصير المتقارب الخطو ، والقرنب - بوزن جعفر - اليربوع
أو القارة (م) (٣) الخدروف : لعبة من لعب الصبيان (م) (٤) الطلة : الزوجة (م)

أَصْبَحْتُ مِنْ بَعْدِ غَفَى وَوَفَّرِ
 يَأْقَوْمُ هَلْ بَيْنَكُمْ مِنْ حُرٍّ
 يَأْقَوْمُ قَدْ عَيْلَ بَغْفَرِي صَبْرِي
 وَفَضَّ ذَا الدَّهْرُ بِأَيْدِي البَثْرِ
 آوَى إِلَى بَيْتِ كَقِيدِ الشَّبْرِ
 خَامِلَ قَدِيرٍ وَصَغِيرَ قَدِيرٍ (١)
 لَوْ خَتَمَ اللهُ بِخَيْرِ أَمْرِي
 أَعْقَبَنِي مِنْ عُسْرَةِ بَيْسُرِ
 هَلْ مِنْ فَتَى فِيكُمْ كَرِيمِ النَّجْرِ
 مُحْتَسِبٌ فِي عَظِيمِ الأَجْرِ
 إِنْ لَمْ يَكُنْ مَعْتَنَا لِلشُّكْرِ

قال عيسى بن هشام : فرق له والله قلبي ، واغرورقت عيني ، وما لبثت أن أعطيته دينارا كان معي ، فأنشأ يقول :

يَا حُسْنَهَا فَاقِعَةٌ صَفْرَاهُ
 مَعشوقَةٌ مَنقوشَةٌ قَوْرَاهُ
 يَكَادُ أَنْ يَقْفُرَ مِنْهَا المَاءُ
 قَدْ أَمَرَتْهَا هَمَّةٌ عَلْمَاهُ
 نَفْسُ فَتَى يَمْلِكُهُ السَّخَاهُ
 يَصْرِفُهُ فِيهِ كَمَا يَشَاءُ
 يَا ذَا الَّذِي يَعْنِيهِ ذَا الشَّاهِ
 مَا يَتَقَضَى قَدْرَكَ الإِطْرَاهُ

فَامْضِ عَلَى اللهِ لَكَ الجَزَاءُ

ورحم الله من شدها في قرآن بمثلها ، وأنسها بأختها ، فناله الناس ما نالوه (٢) ؛ ثم فارقههم وتبعته ، وعلمت أنه متعالم لسرعة ما عرف الدينار ، فلما نظمتنا خلوّة مددت يميني إلى يسري عضدي ، وقلت : والله لتريبي سرك ، أو لا كشفن سرك ؛ فكشف عن توأمتي لوز (٣) ، وحدرت لثامه ، فإذا هو والله شيخنا أبو الفتح الإسكندري ، فقلت : أنت أبو الفتح ؟ فقال : لا

أَنَا أَبُو قَلْبُونٍ فِي كُلِّ لَوْنٍ أَكُونُ

(١) كَقِيدِ الشَّبْرِ : كَقَدْرِهِ (م) (٢) ناله الناس : أعطوه (م)

(٣) توأمتي لوز : كناية عن حدة عينيه .

اخْتَزَ من الكسب دُونَاً فَإِنَّ دَهْرَكَ دُونَُ
زَجَّ الزمانِ مَحْمُومِي إِنَّ الزمانِ زَبُونُ
لَا تُحْسَبُ دَعْنُ بِعَقْلُ ما العقلُ إِلَّا الجنونُ

[من شعر كشاجم]

وقال أبو الفتح كشاجم :

ما زال حرُّ الشوقِ يَغْلِبُ صَبْرَها حتى تَحْدَرُ دَمْعُها المتعلِّقُ
وجرى من الكحلِّ السحيقِ بخدِّها حَطُّ تَوَعُّرُهُ الدموعُ الشَّبِقُ
فكانَ مَجْرَى الدمعِ حَلِيَّةُ فِضَّة في بعضه ذهبٌ وبعضُ مَحْرَقُ

وقال :

مالذَّةُ أَكْمَلُ في طيِّبها من قُبَلَةٍ في إثرها عَضَّة
كأَمَّا تَأثيرها لَمَعَةٌ من ذهبٍ أَجْرِي في فِضَّة
خَلَسَتْها بالكُرهِ من شادِنِ يَعْشَقُ بَعْضِي بالثَمَنِ بَعْضُهُ

وقال :

ومستَهجنٍ مَدْحِي له إن تَأَكَّدَتِ له عَقْدُ الإِخْلَاصِ ، والخرُّ يُمَدِّحُ (١)
ويأبِي الذي في القلبِ إِلَّا تَبَيَّنَا وكلَّ إِنْاءٍ بالذي فيه يَرَشِّحُ

وقال :

وإذا افتخرتَ بأعْظَمِ مقبورة فالناسِ بينَ مكذِبٍ ومُصَدِّقِ
فأَقِمِ لِنَفْسِكَ في اتِّسَابِكَ شاهداً بحديثِ مَجْدٍ للقديمِ محقِّقِ

وقال :

يا مُسَدِي العُرْفِ إِسْراراً وإِعلانا ومُتَّبِعِ السَّبْرِ والإِحْسانِ إِحْساناً (١)
أَقْلِعِ سَحَابَكَ قد غَرَّ قَتْنِي نِعْماً ما أَدْمَنَ الغَيْثُ إِلَّا كانَ طُوفاناً (٢)

(١) اللسدى : العطى ، أسدى يسدى : أعطى ، والعرف : المعروف (م)

(٢) أقلع سحابك : أراد أقطع معزوفك وعطائك ، وأدمن : دام وتتابع (م)

هذا مولد من قول أبي نواس :

لا تسدين إلى عارفة
حتى أقوم بشكر ما سلفا

البحترى :

أحَّ جوداً ولم تضرز سحابه
وربما ختر في إلحاحه المطر
مواهب ما تجشمننا السؤال لها
إن النعام قلب ليس يحتقر^(١)
وقد أخذ على ذي الرمة قوله :
ولا زال منهلاً بجزعائك القطر
ألا يا أسلمى يا دارمى على البلى
قالوا : وأحسن منه قول طرفه :
فسقى ديارك غير مفسدها
صوب الربيع وديمة تهنى

وقد تحرز ذو الرمة مما تؤول عليه بالسلامة في أول البيت .

وقال كشاجم :

أيا نشوان من خمير فيه
متى تصحوا وريقك خندريس^(٢)
أرى بك ما أراه بذى انتشاء
أح عليه بالكاس الجليس
تورّد وجنة وقتور خط
تمرضه وأعطاف تيمس
وقال :

وما زال يبرى جملة الجسم حُبها
وينقصه حتى نقصت عن النقص^(٣)
وقد ذبت حتى صرت إن أنا زرتها
أمنت عليها أن يرى أهلها شخصي

[الرجوع إلى الرئيس بعد تجربة غيره]

كتب ابن مكرم إلى بعض الرؤساء : نبت بي غرة الحدائنة ، فردتني
إليك التجربة ، وقادتني الضرورة ، ثقة ياسراعك إلى وإن أبطأت عنك ،

(١) تجشمننا : تكلفنا ، والقلب : البئر (م) (٢) الخندريس : اسم من أسماء

الحجر (م) (٣) يبرى : ينحل ويهزل ويضعف ، وفي نسخة « على النقص » (م)

وقبولك العذر وإن قصرتُ عن واجبك ، وإن كانت ذنوبي سدتُ على مسالك الصفح عني ، فراجع في مجدك وسؤددك ، وإني لا أعرف موقفاً أذل من موقفي ، لولا أن المخاطبة فيه لك ، ولا خطة أدنى من خطتي ، لولا أنها في طلب رضاك .

وهذا المعنى الذي ذهب إليه من الرجوع إلى الرئيس بعد تجربة غيره قد أكثر الناسُ منه قديماً وحديثاً وسأفيض في طرفٍ من ذلك :

وأشدُّ أبو عبيدة لزياد بن مُنقذ الحنظلي ، وهو أخو [المرار العدوي ، نسب إلى أمة العدوية ، وهي فُكَيْهَة بنت تميم بن الدؤل بن جبلة بن عدني بن] عبد مناة بن أد بن طابخة ؛ فولدت لمالك بن حنظلة عدياً ويربوعاً ؛ فهؤلاء من ولده يقال لهم [بنو] العدوية ، وكان زيادُ نزل بصنعاء فاجتواها^(١) ومنزله بنجد ، فقال في ذلك قصيدة يقول فيها وذكر قومه :

مُحَدَّمُونَ يُقَالُ فِي مَجَالِسِهِمْ فِي الرِّحَالِ إِذَا صَاحِبَتِهِمْ خَدَمٌ^(٢)
لَمْ أَلْقَ بَعْدَهُمْ حَيًّا فَأُخْبِرُهُمْ إِلَّا يَزِيدُهُمْ حُبًّا إِلَى هُمْ
[وأراه أول من استثار هذا المعنى .

وكان ابنُ أبي عَرَادَةَ السعدي مع سلم بن زياد بخراسان وكان له مكر ما فكره وصحب غيره فلم يحمده أمره ، فرجع إليه ، فقال :

عَتَبْتُ عَلَى سَلْمٍ فَلَمَّا قَدَدْتُهُ وَجَرَّبْتُ أَقْوَامًا بِكَيْتٍ عَلَى سَلْمٍ
رَجَعْتُ إِلَيْهِ بَعْدَ تَجْرِيْبِ غَيْرِهِ فَكَانَ كَبْرُهُ بَعْدَ طَوْلٍ مِنَ السَّقِيمِ
وقال مسلم بن الوليد :

حَيَاتِكَ يَا بَنَ سَعْدَانَ بْنِ يَحْيَى حَيَاةٌ لِلْمَكْرِمِ وَالْمَعَالِي
جَلِبْتَ لَكَ الثَّنَاءَ فِجَاءً عَفْوًا وَنَفْسُ الشُّكْرِ مُطْلَقَةُ الْعِقَالِ

(١) اجتواها : كرهها واستوخمها (م)

(٢) محدَّمون : يكثر غيرهم خدمتهم ، ويقال في مجالسهم : كناية عن الحلم والثبات (م)

وترجعني إليك - وإن نأتُ بي ديارى عنك - تجربة الرجال
وأشدُّ أبو العباس محمد بن يزيد المبرد للبحثى :

أخ لك عاداه الزمان فأصيحث مذممةً فيما لديه الطـالبُ
متى ما تذوقه التجاربُ صاحباً من الناس تردُّهُ إليك التجاربُ
وأشد :

حياة أبي العباس زين لقومه لكل امرئ قاسى الأمور وجرباً
ونعتب أحياناً عليه ولو مضى لكنا على الباقي من الناس أعتباً^(١)

قال الصولى : جرى ذكرُ المكتفى بحضرة الراضى فأطربته وأكثرتُ الثناء
عليه ، فقال لى : يا صولى ؟ كنت أنشدتني لجرير :

أسليك عن زيد لتسلى ، وقد أرى بعينيك من زيد قذى ليس يبرحُ
فقلت : يا أمير المؤمنين ، من شكر القليل كان لكثير أشدَّ شكراً ، وأعظم
ذكراً ، قال : فأين أنا لك من المكتفى ؟ فأشدته للطنائى :

كم من وساع الجودِ عندى والندى لمتا جرى وجريت كان قطوفاً^(٢)
أحسنتم صفتى ، ولكن كنت لى مثل الربيع حياً وكان خريفاً
وكلا كما اقتعد العلاء فركبتها فى الذروة العليا وجاء رديفاً^(٣)
إن غاض ما المزن فضت ، وإن قست كيد الزمان على كنت رهوفاً
وكان المكتفى أول من نادى بالصولى ، واختلط به .

ولم يل الخلافة أحد اسمه على إلا على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، من اسمه على
وعلى بن المعتض المكتفى بالله ، وكان سبب اتصاله به وانقطاعه إليه أن رجلاً
يعرف بمحمد بن أحمد الماوردى نزع إلى المكتفى بالرفقة ، وكان ألب الناس

(١) أعتبا : أشد عتبا (م) (٢) الوساع : الواسع ، والقطوف : البطى والسير (م)

(٣) الرديف : الذى يركب خلف راكب (م)

بالشطنج ، فلما قدم عليه بغداد وهو خليفة قال : يا أمير المؤمنين ، أنا أعلم الناس بهذه الصناعة ، فأقطعني ما كان للرازي الشطنجي ؛ فعاظ ذلك المكتفى ، وندب له الصولى فلم يرَ معه الماوردى شيئاً . فقال له المكتفى : صار ماء وردك بؤلاً ، قال الصولى : فأقبل المكتفى علىّ ورتبني في المجلساء ، فحجبت يوماً عنه ، واتصل بي أن خصى شمتي بي ، فكتبت قصيدة للمكتفى أقول فيها :

قد ساء ظنُّ الناس بي وتذكروا لمّا رأوني دون غيري أُحجَبُ
 إن كان غلبتُه يُقرَّبُ أمره دوني فأني عن قريب أُغلبُ
 فضحك ، وأمر لي بمائتي دينار ، واندرجتُ في خدمته .

[في بيعة يزيد بن معاوية]

اجتمعت وفودُ العرب عند معاوية رحمه الله تعالى ، وكان إذا أراد أن يفعل شيئاً ألقى منه ذرءاً إلى الناس^(١) ، فإذا امتنعوا كفّ ، وإن رضوا أمضى ، فعرض بيعة يزيد ، فقامت خطباء معدّة فشققوا الكلام ، وأطنبوا في الخطاب ، فوثب شاب من غسان قابضاً على قائم سيمه ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنّ الخيف في حكم السيف^(٢) ، وبعدها نسيم الهيف^(٣) ؛ فإن هؤلاء عجزوا عن الصيال ، فعولوا على اللقال ، ونحن القاتلون إذا صلنا ، والمعجبون إذا قلنا ، فمن مال عن القصد أقمناه ، ومن قال بغير الحق وقمناه^(٤) ، فلينظر ناظرٌ إلى موطىء قدمه ، قبل أن تدحض فيهبوى هوىّ الحجر من رأس النيق^(٥) ؛ فتفرق الناس عن قوله ، ونسوا ما كانوا فيه من الخطب .

(١) ذرءاً : أى شيئاً منه ، ووقع في نسخة « ألقى منه طرفاً » (م)

(٢) الخيف : الظلم والجور (م) (٣) الهيف : ربح حارة (م)

(٤) وقمناه : قهرناه وأذلناه (م) (٥) النيق : أرفع موضع في الجبل (م)

[في الإقدام حياة]

وقال المهلب يوماً لجلسائه : أراكم تعنفونني في الإقدام ، قالوا له : إني والله ، إنك لسقوط بنفسك في المهالك ، قال : إليكم عني ! فوالله لولا أن آتى الموت مسترسلاً ، لأتاني مستعجلاً ؛ إني لستُ آتى الموت من حُبِّه ، إنما آتته من بُغْضِهِ ، ثم تمثل بقول الحصين بن الحزام المري :

[تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد نفسي حياة مثل أن أتقدا

ومن هذا أخذ أبو الطيب المتنبي قوله] :

أرى كلنا يهوى الحياة لنفسه حريصاً عليها مستهماً بها صباً
فحبُّ الجبانِ النفسَ أوردته التُّقى وحبُّ الشجاعِ النفسَ أوردته الخرباً

وقال أبو دلف :

الحربُ تضحكُ عن كرمي وإقدامي والخيلُ تعرفُ آثارِي وأيامي
سَيفي مُدَامِي ، وريحاني مثفتي ، وهمتي مقةُ التفصيلِ للهَامِ (١)
وقد تجرد لي بالحسن منفرداً أَمْضَى وَأَشْجَعُ مني يوم إقدامي (٢)
سلتُ لواحظه سيفَ السَّفَامِ على جسمي فأصبح جسمي رنَّعَ أسقام

[من أخبار أبي دلف وشعره]

وكان أبو دلف شاعراً مجيداً ، وجواداً كريماً . جامعاً لآلات الأدب والظرف ،

وله شعرٌ جيد في كل فن ، وهو القائل :

أحبك يا جنان ؛ فأنت مني محلّ الروح من جسدِ الجنانِ
ولو أني أقول : مكان روحي خلقتُ عليكِ بادرَةَ الزمانِ

(١) اللقمة : المحبة ، ووقع في نسخة « وهمتي نية التفصيل » (م)

(٢) في نسخة « وقد تجرد بالحسن ذوبدع » (م)

لإقْدَامِي إِذَا مَا الْخَيْلُ جَالَتْ وَهَابَ كَمَا هَبَا حَرَّةَ الطَّعَانِ (١)

وكان يتعشق جارية ببغداد فإذا شخّصَ إلى الحضرة زارها، فركب في بعض قدّماته إليها، فلما صار بالجرس مشى على طرف طيلسان بعض المازنين، فخرقه، فأخذ بعنانه، وقال: يا أبا دلف؛ ليست هذه كرخك، هذه مدينة السلام؛ الذئب والشاة بها في مَرَبَعٍ واحد! ففنى عنانه متوجّهاً إلى الكرخ، وكتب إلى الجارية:

فَطَمَتُ عَنْ لِقَائِكَ الْأَشْغَالُ وَهَمُومٌ أَتَتْ عَلَيَّ نِيَالُ
فِي بِلَادِ يَهَانَ فِيهَا عَزِيزُ الْقَوْمِ حَتَّى تَنَالَهُ الْأَنْدَالُ
حَيْثُ لَا مَدْفَعٌ بِسَيْفٍ عَنِ الضَّيْمِ وَلَا لَلْكَمَاءِ فِيهَا مَجَالُ (١)
وَمَقَامَ الْعَزِيزِ فِي بِلَدِ الْهُوَ نَ إِذَا امْكُنَ الرَّحِيلُ مَحَالُ
فَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا ظَنِيَّةَ السَّكْرِ نَحْ أَقْتَمِ وَحَانَ مِنَّا ارْتِحَالُ

ودخل أبو دلف على المأمون بعد الرضا عنه، فسأله عن عبد الله بن طاهر، فقال: خلفته يا أمير المؤمنين أمين غيب، نصيح جيب، أسدًا عاتياً، قائماً على برائته، يسعد به ولئيك، وبشقي به عدوك، رَحِبَ الفِئَاءَ لِأَهْلِ طَاعَتِكَ، ذَا بَأْسٍ شَدِيدٍ لِمَنْ زَاغَ عَنِ قَصْدِ مَحَجَّتِكَ، قَدْ فَقَّهَ الْحَزْمَ، وَأَيَّقَظَهُ الْعَزْمَ، فِقَامٌ فِي نَجْرِ الْأُمُورِ عَلَى سَاقِ التَّشْمِيرِ، يُبْرِمُهَا بِأَيْدِيهِ (٢) وَكَيْدِهِ، وَيَنْقَلِبُهَا بِجِدِّهِ وَجِدِّهِ؛ وَمَا أَشْبَهَهُ فِي الْحَرْبِ إِلَّا بِقَوْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ:

أَكْرَهُ عَلَى الْكِتَابَةِ لَا أَبَالِي أَحْتَقِقُ كَانَ فِيهَا أُمَّ سِوَاهَا

[فقال قائل: ما أفصحه على جَبَلِيَّتِهِ! فقال المأمون: وإن بالجلل قوماً أمجاداً، كراماً أمجاداً، وإنهم ليوفون السيفَ حظه يوم النزال، والكلام حقّه يوم المقال، وإن أبا دلف منهم]

(١) السكّاة: جمع كمي، وهو الفارس التنكمي في سلاحه. أي المستتر (م)

(٢) الأيد: القوة (م)

[من رسائل الميكالى]

فصل لأبي الفضل الميكالى من كتاب تعزية عن أبى العباس بن الإمام
أبى الطيب .

لئن كانت الرزية بمصيبة مؤلمة ، وطرقُ العزاء والسَّلوة مهمة ، لقد حلتْ
بساحةٍ من لا تُدْتَقَضُ بأمانها مرَّأثرُهُ ، ولا تَصْغَفُ عن احتمالها بصائرُهُ ، بل
يتلقاها بصدرٍ فسيحٍ يحمى أن يفتحَ الحزنُ بابه ، وصبرٍ مشيحٍ يحمى أن يُحْبَطَ
الجرجُ أجره وثوابه ، ولم لا وآدابُ الدين من عنده تلتبس ، وأحكامُ الشرع
من بنائه ولسانه تستفاد وتقتبس ، والعيونُ ترمقه^(١) فى هذه الحال لتجرى على
سننه ، وتأخذ بأدابه وسننه ؛ فإن تعزَّت القلوب فيحسُن تماسكه عزاؤها ، وإن
حسنت الأفعال فالى حميد أفعاله ومذاهبه اعتراضوها .

وله من تعزية إلى أبى عمرو البحترى : قدس الله روحه ، وسقى ضريحه ؛
فلقد عاش نبيه الذُّكْر ، جليل القدر ، عميق النناء والنشر ، يتجمل به أهل
بلده ، ويتباهى بمكانه ذوو مودته ، ويفتخر الأثرُ وحاملوه بتراخى بقائه ومدته ،
حتى إذا تسنم ذروة^(٢) الفضائل والمناقب ، وظهرت محاسنه كالنجوم النواقب ،
اختطفته يدُ المقدار ، ومجى أثره بين الآثار ، فالفضلُ خاشعُ الطرفِ لفقده ،
والكرمُ خالى الربع من بعده ، والحديثُ يندبُ حافظه ودارسه ، وحسنُ العهد
يبكى كافله وحارسه .

وله : فأما الشكرُ الذى أعارنى رداءه ، وقلدنى طوقه وسناؤه ؛ فهيات أن
ينتسب إلا إلى عادات فضله وإفضاله ، ولا يسير إلا تحت رايات عرفه ونواله ،
وهو ثوب لا يخلى إلا بذكره طيرازه ، واسمٌ له حقيقته ولسواه مجازه ، ولو أنه

(١) ترمقه : تنظره وتتطلع إليه (م)

(٢) تسنم : علا ، وأصله ركب فوق السنام ، وهو أعلى مكان فى الإبل ، وذروة

كل شىء : أعلاه (م)

حين ملك رقي بأيديه ، وأعجز وسعي عن حقوق مكارمه ومساغيه ، خلى لى
مذهب الشكر وميدانه ، ولم يجاذبني زمامه وعنانه ، لتعلقت عن بلوغ بعض
الواجب بعروة طمع ، ونهضت فيه ولو على وهن وظلم^(١) ، ولكنه يابى إلا أن
يستولى على أمد الفضائل ، ويتسهم ذراً الغوارب منها والكواهل ؛ فلا يدع في
المجد غاية إلا يسبق إليها فارطاً ، ويخلف من سواه عنها حسيراً ساقطاً ؛ لتكون
للعالى بأسرها مجموعة في مدكته ، منظومة في سلكه ، خالصة له من دعوى
القسيم وشريكه .

وله فصل من كتاب إلى أبي سعيد بن خلف الهمداني : فأما التُّخْفَةُ التي
شَفَعها بكتابه فقد وصلت ، فكانت ضرة لزهري الربيع ، موفية بحسن الخط على
الوشى الصنيع ، وليس يهتدى لمثل هذه اللطائف في مبرة الإخوان ، إلا من
يعد من أفراد الأقران ، ولا يرضى من نفسه في إقامة شعائر البر دون القرآن^(٢) ،
والله يمتعه بما منحه من خصائص هي في آذان الزمان شُوف^(٣) ، وفي جيده
عقد برصوف .

[عتاب]

وقال أبو يعقوب الخريمي يعاتب الوليد بن أبان :

أتعجب مني إن صبرت على الأذى	وكنتُ امرأً ذا إزبة متجملاً
فإني بحمد الله لا رأى عاجز	رأيت ، ولا أخطأت للحق مفصلاً
ولكن تدبرتُ الأمور ؛ فلم أجذ	سوى الحلم والإغضاء خيراً وأفضلاً
وأقسم لولا سالف الود بيننا	وعهدُ أبت أركانه أن تزيبلاً
وأياك العر اللواتي تقدمت	وأوليتنيها مُنعماً مُتطولاً

للخريمي
يعاتب الوليد
بن أبان

(١) الوهن : الضعف ، والظلم : أن تعجز في سيرك (م)

(٢) القرآن - بكسر القاف - أن تجمع الشيء إلى الشيء (م)

(٣) الشنوف : جمع شنف - بالكسر - وهي حلية تلبس في أعلى الأذن (م)

رحلت قلوبَ الهَجْرِ ثم اقتعدتها
 وأكرمتُ نفسى والكرامةُ حظُّها
 وعارضت أطرافَ الصِّبَا أبتغى أخا
 أخا كَأبي عمرو، وأنى بمنله
 جزى الله عثمانَ الحرَّيمى خيراً ما
 أخا كان إن أقبلتُ بالودِّ زادنى
 أخا لم يخنى فى الحياة ولم أبت
 إذا حاولوه بالسَّعَاية حاولوا
 يحكمنى فى ماله ولسانِه
 كفى جفوةَ الإخوانِ طولَ حياتِه
 وبات حيناً لم يكدرُ صنيعُه
 وكنتُ أخا لو دام عهدك واصلاً
 ففَعِيرُك الواشون حتى كأنما
 إلى البعد ما أُنفيت فى الأرض مَعَمَلا
 ولم ترى لولا الهوى متذللاً
 يُمينُ إذا ما الهُمُّ بالمرءِ أَعْضَلَ
 إذا الحُرُّ بالمجدِ ارتدى وتَسَّرَ بلا
 جزى صاحباً جَزَلَ المواهبِ مُفضِلا
 صفاء وإن أدبرتُ حَنَ وأقبلا
 يخوفنى الأعداءُ منه التَّنقِلا
 به هَضْبَةٌ تَأبَى بأن تَتَخَلَّخَلا
 ويركبُ دونى الزاعِجِ المؤلِّلا^(١)
 وأورث مَمَّا كان أعطى وأحزلا
 ولم أقله طولَ الحياة وماقِلا
 نَصوراً إذا ما الشرُّ خَبَّ وهَرَوَلا
 ترانى شُجاعاً بين عينيك مُقبِلا

[من ترجمة أبى يعقوب الحرَّيمى]

وأبو يعقوب هَذَا إسحاق بن حسان ، قال المبرد : كان أبو يعقوب جميل
 الشعر ، مقبولاً عند الكتاب ، وله كلامٌ قوى ، ومَذْهَبٌ متوسط ، وكان يرجع
 إلى نسبِ كَرِيمٍ فى الضُّغْدِ ، وكان له ولَاةٌ فى غطفان ، وكان اتصاله بمولاه أبى
 عثمان بن خُرَيْمِ المرى الذى يقال له خُرَيْمِ الناعم ، وكان أبو عثمان هذا قائداً
 جليلاً ، وسيداً كريماً . وسُئِلَ [خُرَيْمِ] عن لَذَّةِ الدنيا ، فقال : الأمنُ فإنه لا عيشَ
 لخائف ، والعافيةُ فإنه لا عيشَ لسقيم ، والغنى فإنه لا عيشَ لفقر . وقيل له :

(١) ازاعجى : الرمح الذى إن هز زته تدافع كله ، والمؤل : المحدد طرفه (م)

ما بلغ من نعمتك؟ قال: لم ألبس جديداً في صيف، ولا خلقتا في شتاء. وفي نسبه في الصُّغْد يقول:

أَبَا لَصْغَدٍ بَاسٍ أَنْ تَعْبِرَنِي جُبُلُ
وَمَا ضَرَّتَنِي أَنْ لَمْ تَلِدْنِي يُحَابِرُ
سَفَاهَا وَمِنْ أَخْلَاقٍ جَارَتْنَا الْبُخْلُ^(١)
وَلَمْ تَشْتَمِلْ جَرْمَ عَلِيٍّ وَلَا عُكْلُ^(٢)
يقول فيها:

[ودون الندى في كل قلب ثنية
وودّ الفتى في كل نيل يُنيله
وأعلم علما ليس بالظن أنه
وأن أخلاء الزمان غناؤهم
تزوّد من الدنيا متاعاً لغيرها
وهل أنت إلا هامة اليوم أو غد
وقال يتشوق الحسن بن النخعتان^(٤):

أَلَا مُبْلَغٌ عَنِّي خَلِيلِي وَدُونَهُ
رِسَالَةٌ ثَاوٍ بِالْعِرَاقِ وَرُوحُهُ
لَهُ كُلَّ يَوْمٍ حَنَنَةٌ بَعْدَ رَنَّةٍ
إِلَى صَاحِبٍ لَا يُخْلِقُ النَّأْيُ عَهْدَهُ
تَخَيَّرَهُ حَرًّا نَقِيًّا ضَمًّا يَرُهُ
هُوَ الشَّهْدُ سَلَامًا، وَالذَّعَافُ عَدَاوَةٌ
فِي أَحْسَنِ الْحُسْنِ الَّذِي عَمَّ فَضْلُهُ
إِلَيْكَ عَلَى بُعْدِ الْمَزَارِ تَطَلَّعَتْ
أَرَى بَعْدَكَ الْإِخْوَانَ أَبْنَاءَ عِلَّةٍ
مَطَا سَفَرٍ لَا يَطْعَمُ النَّوْمَ طَالِبُهُ
بِفُسْطَاطِ مِصْرٍ حَيْثُ جَمَّتْ عَجَائِبُهُ
يُحْيِسُ بِهَا فِي الصَّدْرِ شَوْقَ يَفَالِبُهُ
لِنَاءٍ وَلَا يَشْقَى بِهِ مِنْ يُصَاقِبُهُ
جَمِيلًا حَيَّاهُ كَرِيمًا ضَرَائِبُهُ
وَبَحْرٍ عَلَى الْوَرَادِ تَجْرِي غَوَارِبُهُ
وَتَمَّتْ أَيْادِيهِ وَجَمَّتْ مَنَاقِبُهُ
نَوَازِعُ شَوْقٍ مَا تُرَدُّ عَوَازِبُهُ
لَهُمْ نَسَبٌ فِي وَدِّهِمْ لَا أَنَا سِبُهُ

(١) في نسخة « أن يعبرني الجهل » وليس بذلك (م)

(٢) يحابر، وجرم، وعكل: من قبائل العرب (م)

(٣) في نسخة « فقد شممت حدباء » والحدباء: السريعة (م)

(٤) في نسخة « ابن المحتاج » وفي أخرى « ابن البحنج » (م)

فهل يرَجِنُ عَيْشِي وَعَيْشَكَ مَرَّةً ببغداد دَهْرٌ مُنْصِيفٌ لَا نُعَاتِيهِ
 لِيَالِي أَرْعَى فِي جَنَابِكَ رَوْضَةً وآوِي إِلَى حِصْنٍ مَنِيْعٍ مَرَاتِبُهُ ^(١)
 وَإِذْ أَنْتَ لِي كَالشَّهْدِ بِالرَّاحِ صُفْقًا ماء رِصَافٍ صَفَقْتُهُ جَنَابَتِيهِ ^(٢)
 عَيْسَى وَلَوْلَا اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا كَالْأَمْتِ صَدَعِ الْإِنَاءِ مَشَاعِيهِ

فقر وفضول في معان شتى

قال العتابي : حظَّ الطالبين من الدَّرَكِ، بحسب ما استصحبوا من الصَّبْرِ.
 بعض الحكماء : الحلم عُدَّةٌ للسفيه ، وجُنَّةٌ من كَيْدِ العاوِ ، وإنك لن
 تقابل سفيها بالإعراض عن قوله إلا أذلتَ نفسه ، وفَلَّتَ حَدَّهُ ، وسَلَّتَ عليه
 سيوفًا من شواهد حِلْمِكَ عنه ، فتولوا لك الاتِّقَامَ منه .
 وقال آخر : العجلة مكسبة للمذمة ، مجابة للندامة ، منقرة لأهل الثقة ،
 مانعة من سدادِ الرغبة .

وأنى العتابي وهو بالرَّمَى رجلٌ يودِّعه فقال : أين تريد ؟ قال : بغداد ،
 قال : إنك تريد بلداً أصطلح أهلُه على صحَّةِ العلانية ، وسَمَمِ السريرة ، كلُّهم
 يعطيك كاه ، ويمنعك قله

وقال يحيى بن خالد لرجل دخل عليه : ما كان خيرُك مع فلان ؟ قال : قد
 افتديت مكاشفته واشتريت مكاشرتَه ^(٣) بألف درهم ، فقال يحيى : لا تبرح حتى
 يكتبَ الفضلُ وجعفرُ عنك هذا القول .

قال الأصمعي : سمعتُ أعرابيا يدعو ، ويقول : اللهم ارزقني عملَ الخائفين ،
 وخَوْفَ العاملين ، حتى أتتعم بتركِ التَّعَمِّ ، رجاء لما وعدت ، وخوفاً مما أوعدت .
 وللعتابي : أما بعد فإنه ليس بمستخلص غَضَارَةُ عَيْشٍ إلا من خلال مَكْرُوهِهِ ،

(١) في نسخة «منيع ترائبه» (م) (٢) صفاقاً : خطأ ، وريصاف : جمع رصفعة -
 بالتحريك - وهي الحجارة للرصف بعضها إلى بعض في مسيل الماء ، والجنايب : جمع
 جنوب ، وهي الريح التي تقابل ريح الشمال (م) (٣) مكاشرتَه : فعالته بالبخس (م)
 (١٦ - زهر الآداب ٤)

ومن انتظر بمعاجلة الدرك مؤاجلة الاستقصاء سلبته الأيام فرصته .

كتب بعض الكتاب إلى أخ له : إن رأيت أن تحدّد لي ميعاداً لزيارتك ،
أتقوته^(١) إلى وقت رؤيتك ، ويؤنسني إلى حين لقائك ، فعلت إن شاء الله
فأجابه : أخاف أن أعذبك وعداً يعترض دون الوفاء به مالا أقدر على
دفعه ، فتكون الحسرة أعظم من الفرقة .

فأجاب المبتدئ : أنا أسر بموعدك ، وأكون جدلاً^(٢) بانتظارك ، فإن عاق
عن الإنجاز عائق ، كنت قد رجحت السرور بالتوقع لما أحبه ، وأصبحت أجرى
على الحسرة بما حرمته .

وكتب أخ^٣ إلى أخ له يستدعيه : أما بعد فإنه من عانى الظماً بقرقتك
استوجب الرى من رؤيتك ، والسلام .

وكتب آخر في بابه : يومنا يوم طاب أوله ، وحسن مستقبله ، وأتت
السماء بقطارها ، فخلت الأرض بأنوارها^(٣) ، وبك تطيب الشمول ، ويشقى الغليل ،
فإن تأخرت عنا فرقت شملنا ، وإن تعجلت إلينا نظمت أمرنا .

قال إسحاق اللوصلي : قال لي ثمامة بن أشرس ، وقد أصبت بمصيبة : لمصيبة
في غيرك لك ثوابها ، خير من مصيبة فيك لغيرك أجرها .

ومر عمر بن ذر بابن عياش المنتوف ، وكان سفه عليه فأعرض عنه ، وتعلق
بشوبه ، وقال : يا هناه ؛ إنا لم نجد لك جزاء إذ عصيت الله فينا ، خيراً من أن
نطيعه فيك . أخذه من قول عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : ما عاقبت من
عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه .

وكتب بعض الكتاب إلى رئيسه : ما رجائي عدلك بزائد على تأملي
فضلك ، إذ أنه ليس خوفي صيالك ، بأكثر من خشيتي نكالك ؛ لأنك

(١) أتقوته : أجمله قوتالى (م) (٢) جدلاً : مسروراً (م)

(٣) القطار - بكر القاف - الطار . والأنوار : جمع نور - بالفتح - وهو نور الزهر (م)

لا تَرْضَى للمحسن بصغير الثَّوبَةِ ، كما لا تَفَنَعُ للمسيء إلا بموجع العقوبة .
 وقال آخر : ما عسيت أن أشكرك عليه من مَوَاعِدٍ لم تُشَبَّ بِمَطَلٍ ، ومرافِدٍ
 لم تشن بمنّاً ، وعهد لم يمازجه مَلَقٌ ، ووُدٌّ لم يشبه مذاق .
 وقال آخر : علقت به أسباب الجلالة غير مستشعر فيها بنخوة ، وترامت له
 أحوالُ الصرامة غير مستعمل معها السطوة ، هذا مع دَمَانَةٍ في غير حَصْرِ ، ولين
 جانب من غير خَوَرٍ ^(١) .

فصل لابن الرومي : إني لَوَلِيْتُكَ الذي لم تزل تنقادُ لك مودته من غير طمع
 ولا جَزَعٍ ، وإن كنتَ لذي رغبة مَطْمَعاً ، ولذي رَهْبَةٍ مَهْرَباً .
 أبو فراس الحمداني :

كذلك الوداد المحض لا يرتجى له ثوابٌ ، ولا يُحْشَى عليه عقابٌ
 [بين حنيفة ونمير]

غزّت حنيفة نميراً فانتصفوا منهم ، فقيل لرجل منهم : كيف صنع قومك ؟
 قال : اتبعوني وقد أحقبوا كل جمالية خيفانه ^(٢) ، فزالوا يَحْصِفُونَ [أخفاف]
 المطى بمخواف الخيل ، حتى لحقوهم ؛ فحملوا المران أرشيّة الموتِ ، فاشتقوا بها
 أرواحهم .

[دعاء]

ودعا أعرابي فقال : اللهم إن كان رزقي نائياً فقرّبه ، أو قريباً فيسرّه ،
 أو ميسراً فعجله ، أو قليلاً فكثره ، أو كثيراً فتمره .

[من رسائل البلغاء]

وكتب عَنبَسَةُ بن إسحاق إلى المأمون وهو عامله على الرقة ، يصف خروج
 الأعراب بناحية سنجار وعيّنهم بها ^(٣) : يا أمير المؤمنين ، قد قطع سبيل المجتازين ،
 وعامله على الرقة

(١) السمانة : اللين والسهولة ، والحصر - بالتحريك - احتباس القول والعي ،
 والخور : الجبن والضعف (م) (٢) أحقب البعير : جعل عليه الحقب ، وهو جبل يشد
 به الرحل ، والجمالية - بضم الجيم - الناقة القوية الوثيقة ، والحنيفانة : السريعة (م)
 (٣) عيّنهم - بالفتح - إفسادهم (م)

من المسلمين والمعاهدين ، تفر من شذاذ الأعراب الذين لا يرقبون في مؤمن إلا^(١) ولا ذمة ، ولا يخافون من الله حداً ولا عقوبة ، ولولا نقتي بسيف أمير المؤمنين وحضده هذه الطائفة ، وبلغه في أعداء الله ما يردع قاصيهم ودانيهم ، لأذنت بالاستنجد عليهم ، ولا بتعمت الخيل إليهم ، وأمير المؤمنين معان في أموره بالتأييد والنصر إن شاء الله .

فكتب إليه المأمون :

أَتَمَمْتَ غَيْرَ كِهَامِ السَّمْعِ وَالْبَصْرِ لَا يَقَطَعُ السِّيفُ إِلَّا فِي يَدِ الْحَذِرِ
سَيَصِيحُ الْقَوْمُ مِنْ سَيْفِي وَضَارِبِهِ مِثْلَ الْمَشِيمِ ذَرْتَهُ الرِّيحُ بِالْمَطَرِ
فَوَجَّهَ عُنْبَةَ بِالْيَتِيمِينَ إِلَى الْأَعْرَابِ ، فَمَا بَقِيَ مِنْهُمْ اثْنَانِ .

وكتب المطلب بن عبد الله بن مالك إلى الحسن بن سهل في رجل توسل به :
طَلَبُ الْعَافِينَ الْوَسَائِلَ إِلَى الْأَمِيرِ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - يُنْبِئُ عَنْ شُرُوعِ مَوَارِدِ
إِحْسَانِهِ ، وَيَدْعُو إِلَى مَعْرِفَةِ فَضْلِهِ ، وَمَا أَنْصَفَهُ - أَعَزَّهُ اللَّهُ تَعَالَى - مَنْ تَوَسَّلَ
إِلَى مَعْرِوفِهِ بغيره ؛ فَرَأَى الْأَمِيرَ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - فِي التَّطَوُّلِ عَلَى مَنْ قَصُرَتْ مَعْرِفَتُهُ
عَنْ ذَلِكَ بِمَا يَرِيدُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ مَوْفَقًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

بين الحسن
بن سهل
والمطلب
بن عبد الله

فكتب إليه الحسن : وصلك الله بما وصلتني في صاحبك من الأجر والشكر ،
وأراك الإحسان في قصدك إلى بأمثاله فرضاً يفيدك شكره ، ويعقبك أجره ،
فرايك في إتمام ما ابتدأت به وإعلاي ذلك مشكوراً .

وكان المطلب ممدحاً كريماً ، وقد حسد دعبل شرفه وإنعامه ، وغبط إحسانه
وإكرامه ، إذ يقول :

أَضْرَبَ نَدَى طَلْحَةِ الطَّلِحَاتِ مَعْتَرِفًا لَوْثُومٍ مُطَلَّبٍ فِينَا وَكُنْ حَكْمًا
تَحْلِيصُ خِرَاعَةٍ مِنْ لَوْثُومٍ وَمِنْ كَرَمٍ فَلَا تَعَدُّ لَهَا لَوْثًا وَلَا كَرَمًا
وَأَمْرٌ طَلْحَةُ أَعْرَفُ مِنْ أَنْ يُوصَفَ .

(١) الإل - بكسر الهمزة وتشديد اللام - العهد (م)

وما أبعـد قولـه دعبـل من قول البحـرى لصاعـد بن مـخلد وأهل بيته :
 بنى مـخلد كـفوا تـدققـوا جـودكم ولا تبـخسونا حـظنا في المـكارم
 ولا تـنصروا مـجدى قـنان ومـخلد بأن تـذهبوا عـنا بـسمعة حـاتم^(١)
 وكان لنا اسم الجود حتى جعلتم تفضون منا بالخلال الكرام

[رثاء يزيد بن يزيد]

قال الزبير بن بكار : لما مات يزيد بن يزيد بأرمينية قام حبيب بن البراء خطيباً ، فقال : أيها الناس ، لا تقنطوا من مثله وإن كان قليل الظير ، وهبوه من صالح دعائكم مثل الذي أخلص فيكم من نواله ، والله ما تفعل الديمة المظلمة في البقعة الجذبة ما عملت فينا يده من عدله وتداه .

فسرق هذا أبو لبابة [الشاعر] فقال :

ما بقعة جادها غيث وقرها فأزهت بأقاحى الثبت أوانا
 أبهى وأحسن مما أثرت يده في الشرق والغرب معروفاً وإحساناً

[وقال ابن المبارك يمدح يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة :

وإذا تباع كريمة أو تشتري فسواك بائعها وأنت المشتري
 وإذا توعدت المسالك لم يكن فيها السبيل إلى نذاك بأوعر^(٢)
 وإذا صنعت صنعة أتمتها بيدين ليس نداها بمكدر
 وإذا هممت لمعتفك بنائل قال الندى - فأطعته - لك : أ كثر^(٣)
 يا واحد العرب الذي ما إن لهم من معدل عنه ولا من مقصر [

(١) في نسخة « ولا تنصروا مجدى قيان ومخلد » وفي ديوان البحري « قنان وخالد » (م) (٢) توعدت المسالك : صعبت وشقت على سالكيها ، والندى - بزنة الفتى - الجود والكرم (م) (٣) المعتنى ، ومثله العاني : طاب المعروف (م)

[من رسائل بديع الزمان]

كتب البديع أبو عبد الله أحمد بن الحسين بن يحيى : أما أبو فلان فلا شك أن كتبي يرد منه على صدرٍ مَحَا سُمِّي من صحيفته ، وقطع حظي من وظيفته ، ونسي اجتماعنا على الحديث والفضل ، وتصرفنا في الجدِّ والهزل ، وتقلبنا في أعطاف العيش ، بين الوقار والطيش ، وارتضاعنا ثُدَى العشرة ؛ إذ الزمان رقيقُ القشرة ، وتواعدنا أن يلحق أحدنا بصاحبه ، وتصالحنا من قبل ألا نصرم الحبل ، وتناهدنا من بعد ألا ننقض العهد ، وكأني به وقد اتخذ إخواناً فلا بأس ، فإن كان للجديد لذة فللقديم حُرْمَةٌ ، والأخوة بُرْدَةٌ لا تضيق بين اثنين ، ولو شاء هاشرنا في البين ، وكان سألني أن أرتاد له ^(١) منزلاً ماؤه روي ، ومرعاه غدي ، وأكاتبه لئيمهض إليه راحلته ؛ فهك نيسابور ^(٢) ضالته التي نشدتها وقد وجدتها ، وخراسان أمنيته التي طلبتها وقد أصبتمها ، وهذه الدولة بغيته التي أَرادها وقد وردتها ، فإن صدقتني رائداً ، فليأتني قاصداً .

وله إلى بعض إخوانه يعزبه عن أبيه : وصلت رقعتك ياسيدي والمصاب لعمر الله كبير ، وأنت بالجزع جدير ، ولكنك بالعزاء أجدر ، والصبر عن الأحتبة رشد كأنه النى ، وقد مات الميت فليخى الحى ، والآن فاشدذ على مالك بالחס ، فأنت اليوم غيرك بالأمس ، وكان الشيخ رحمه الله وكيلك ، تضحك ويبكى لك ، وقد مولك ما أَلَّف في سراه ^(٣) وسيره ، وخلفك فقيراً إلى الله غنياً عن غيره ، وسيعجمُ الشيطان عودك ، فإن استلانك رماك بقومٍ يقولون : خيرُ المال ما أتاف بين الشراب والشباب ، وأنفق بين الحباب ^(٤) والأحباب ، والعيش بين القداح والأقداح ^(٥) ، ولولا الاستعمال ، ما أريد المال ! فإن أطعتم فاليوم في الشراب ، وغداً في الخراب ، واليوم واطر باللكأس ، وغداً واحرباً من

(١) أرتاد: أطلب (م) (٢) في نسخة « قهاهى نيسابور » (م)

(٣) في نسخة « ما أَلَّف من سراه » (م) (٤) الحباب - بفتح الحاء - وهى

نفاخات الماء (م) (٥) القداح : أراد بها قداح اللبسر . والأقداح : أراد بها

كوؤوس الحجر ، يعنى يضيع المال بين المقامرة والسكر (م)

الإفلاس ، يامولاي ذلك لخارج من العود يسميه الجاهل فقراً ، ويسميه العاقل فقراً . وكذلك المسموع في الناي ، هو في الأذان زمر ، وفي الأبواب سمر ، فإن لم يجد الشيطان مغزراً في عودك من هذا الوجه ، رماك بقوم يمثلون الفقير حذاء عينيك ، فتجاهد قلبك ، وتحاسب بطنك ، وتناقش عرسك^(١) ، وتمنع نفسك ، وتتوقى دنياك بوزرك ، وتراه في الآخرة في ميزان غيرك ، لا ، ولكن قصداً بين الطريقين ، وميلاً عن الفريقين ، لا تمنع ولا إسراف ، والبخل فقراً حاضر ، وضراً عاجل ، وإعماً يبخل المرء خيفة ما هو فيه .

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقراً فالذي صنع الفقير وليسكن لله في مالك قسم ، وللمروءة قسم ؛ فصل الرحم ما استطعت ، وقدر إذا قطعت ، فلأن تكون في جانب التقدير ، خير من أن تكون في جانب التبذير .

وله إلى رئيس عناية برجل : كتابي أظال الله بقاء الرئيس ، والكاتب مجهول ، والكتاب فضول ، وبحسب الرأي موقعة ، فإن كان جميلاً فهو تطوّل ، وإن كان شديداً فهو تقوّل ، وأية سلاك الظنّ فله - أيده الله تعالى - المن ، من نيسابور عن سلامة شاملة نسأل الله تعالى ألاّ يُلهمنا بسكرها ، عن شكرها ، والحمد لله رب العالمين . يقول الشيخ - أيده الله تعالى : من هذا الرجل ؟ وما هذا الكتاب ؟ فأما الرجل فخطبٌ وُدّ أولاً ، وموصل شكر ثانياً ؛ وأما الكتاب فليحام أرحام الكرام ؛ فإن يُعِنُّ الله الكرام تتصل الأرحام . هذا الشريف قد حارب به زمانُ سوء ؛ فأخرجه من البيت الذي بلغ السماء مفخراً ، ثم طلب فوّه مظهرًا^(٢) ؛ وله بعدُ جلالَةُ النسب ، وطهارةُ الأخلاق ، وكرمُ العهد ، وحضرتني فسألته عما وراءه ، فأشار إلى ضالّة الأحرار ، وهو الكرم مع اليسار ،

(١) عرس الرجل - بكسر العين وسكون الراء - زوجة (م)

(٢) هاتان الفقرتان مأخوذتان من قول النابغة الجعدي :

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا وإنما لنبغى فوق ذلك مظهرًا

وَنَبَّهَ عَلَى قَيْدِ الْكِرَامِ ، وَهُوَ الْبِشْرُ مَعَ الْإِنْعَامِ ، وَحَدَّثَ عَنْ بَرْدِ الْأَكْبَادِ ، وَهُوَ مَسَاعِدَةُ الزَّمَانِ لِلجَّوَادِ ، وَدَلَّ عَلَى نَزْهَةِ الْأَبْصَارِ ، وَهُوَ التَّرَاءُ ، وَمُتَمِّعَةُ الْأَسْمَاعِ ، وَهُوَ التَّنَاءُ ، وَقَلَّمَا اجْتَمَعَا ، وَعَزَّ مَا وَجِدَا مَعًا . وَذَكَرَ أَنَّ الشَّيْخَ الرَّئِيسَ - أَيْدَهُ اللَّهُ - جَمَعَ هَذِهِ الْخَيْرَاتِ ، وَسَأَلَنِي الشَّهَادَةَ لَهُ ، وَبَدَّلَ الْخَطَّ بِهَا ، فَفَعَلْتُ ، وَسَأَلْتُ اللَّهَ إِعَانَتَهُ عَلَى هِمَّتِهِ ؛ فَرَأَى الشَّيْخُ - أَيْدَهُ اللَّهُ - تَعَالَى فِي الْوُقُوفِ عَلَى مَا كَتَبْتُ ، وَفِي الْإِجَابَةِ - إِنَّ نَشِطًا - الْمَوْقِفَ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ

وله إلى ابن أخته : وَصَلَ كِتَابُكَ بِمَا ضَمَّنْتَهُ مِنْ تَطَاهُرٍ نِعَمَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَعَلَى أَبُوبِكَ ، فَسَكَنْتَ إِلَى ذَلِكَ مِنْ حَالِكَ ، وَسَأَلْتُ اللَّهَ بَقَاءَكَ ، وَأَنْ يَرْزُقَنِي لِقَاءَكَ ، وَذَكَرْتُ مَصَابِكَ بِأَخِيكَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، فَكَأَنَّمَا فَتَتْ عَضْدِي ، وَطَعَنْتَ فِي كَبْدِي ، فَقَدْ كُنْتَ مَعْتَضِدًا بِمَكَانِهِ ، وَالْقَدْرُ جَارٍ لِشَانِهِ ، وَكَذَلِكَ الْمَرْهُ يُدْبِرُ ، وَالْقَضَاءُ يَدْتَمِرُ ، وَالْأَمَالُ تَنْقَسِمُ ، وَالْأَجَالُ تَنْبَسِمُ ، فَاللَّهُ يُجْعَلُ لَكَ فَرَطًا ، وَلَا يُرِينِي فِيكَ سُوءًا أَبَدًا ، وَأَنْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَارِثُ عَمْرِهِ ، وَسَدَادِ نَفْرِهِ ، وَنِعْمَ الْعِوَضُ بِقَاوُكَ .

إِنَّ الْأَشْيَاءَ إِذَا أَصَابَ مُشَدَّبًا مِنْهُ أَتَمَّهَلُ ذُرًّا وَأَنْتَ أَسَافِلًا^(١)

وَأَبُوبُكَ سَيِّدِي أَيْدَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَأَلْهَمَهُ الْجَمِيلَ ، وَهُوَ الصَّبْرُ ، وَأُنَالَهُ الْجَزِيلَ ، وَهُوَ الْأَجْرُ ، وَأَمْتَمَعُهُ بِكَ طَوِيلًا ، فَاسُوءَتْ بَدِيلًا ، وَأَنْتَ وَلَدِي مَا دَمْتُ وَالْعِلْمُ شَانُكَ ، وَالْمَدْرَسَةُ مَكَانُكَ ، وَالِدَفْتَرُ نَدِيمُكَ ، وَإِنْ قَصَّرْتَ ، وَلَا إِخَالَكَ ، فَغَيْرِي خَالَكَ .

وله من كتاب إلى أبي القاسم الداؤدي بسجستان :

كِتَابِي - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْفَقِيهِ - كِتَابٌ مَن يَنْسِي الْأَيَّامَ وَتَذَكَّرَهُ ، وَيَطْوِيهَا

(١) الْأَشْيَاءُ - بَزْنَةُ السَّحَابِ - صَغَارُ النَّخْلِ ، وَالْمَشْدَبُ : الَّذِي يَقَطَعُ الْقَشُورَ وَالْعِيدَانَ الْمُتَفَرِّقَةَ مِنَ الشَّجَرِ ، وَأَتَمَّهَلُ : اعْتَدَلُ وَاتَّصَبَ ، وَالذَّرَا : الْأَعْلَى ، وَأَنْتَ : النَّفْ وَكَثْرَ (م)

وتنشره ، ويبيد أبناء دهره ، وراء ظهره ، ويخرج أهل زمانه ، من ضيانه ، فإذا تناولهم بيمينه ، وتسلمهم بيسراه ، أقسم أن صدقته هي الراجحة ، وكفته هي الراجحة ، وأنا - أيد الله الفقيه - على قُرب العهد ، بالمهد ، قد قطعت عرض الأرض ، وعاشرت أجناس الناس ، فما أحدٌ إلا بالجهل أتبعته ، وبالخبرة بعثته ، وبالظن أخذته ، وباليقين نبذته ، وما أحدٌ وضعته في أحدٍ إلا ضيعته ، ولا مدحٌ صرفته إلى أحدٍ إلا غربته ، ومن احتاج إلى الناس ، وزنهم بالقسطاس ، ومن طاف نصف الشرق ، فقد لقي ربيع الخلق ، ومن لم يجد في النصف لمحة دالة ، لم يجد في الكل غرة لأحبة ، وكان لنا صديقٌ يقول : إن عشت تسعين عاماً مت ولم أملك ديناراً ؛ لأنى قد عشت ثلاثين ولم أملك ثلثها ، وهذا لعمرى ياس ، يوجب قياس ، وقنوط ، بالحجة متنوط ، ودعابة ستكون جيداً ، ووراء هذه الجملة موجدة على قوم ، وعز بدة إلى يوم ، والأمير السيد واسع مجال المهمم ، ثابت مكان القدم ، وأنا في كنفه صائب سهم الأمل ، وافر الجدل ، والحمد لله على ما يؤليه ، ويؤلينا معشر مواليه ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وذريته .

ولة إلى إبراهيم بن حمزة خادم الأستاذ الجليل : قد أتبع قدمه ، إلى الخدمة قلته ، وأتلى لساعة ، في الحاجة بناءً ، وقد كان استأذنه في توفير هذا اليوم في مجلس السيد الجليل فأذن له على عادته السليمة ، وشيئته القويمة ، ومن وجد كلاً رتع^(١) ، ومن صادف غيباً انتجع^(٢) ، ومن احتاج للحاجات سأل ، وبقي أن يشفع الأستاذ الجليل بإزاء الحوض عفرة^(٣) ، وينظم إلى روض الإحسان مظهره ، ويطرر أنسناً بأبي فلان ؛ فقد وُصف لي حتى حننت شوقاً إليه ، ووجدأ به ، وشغفأ له ، وغلوا فيه ، ورأيه في الإصغاء إلى الكرم عالٍ ، إن شاء الله تعالى .

(١) الكلاً - بوزن الجبل - العشب رطبه وبإسه ، وترتع : رعى (م)

(٢) الانتجاع : طلب الرعى (م)

(٣) العفر - بوزن الجبل - وجه الأرض ، وأول سقبة سقيها الزرع (م)

[من مقامات بديع الزمان]

المقامة
السجستانية

ومن إنشائه في مقامات أبي الفتح السكندري :

حدثنا عيسى بن هشام قال: حداني إلى سجستان أرب^(١)، فاقتمدت طيئته،
وامتطيت مطيئته، واستخرت الله تعالى في العزم حدوته أمامي، والحزم جعلته
قدامي، حتى هداني إليها، ووافيت دروبها^(٢)، وقد وافت الشمس غروبها، واتفق
المبيت حيث انتهيت؛ ولما انتضى نضل الصباح، وبرز جبين المصباح، مضيت إلى
السوق أتخذ منزلا، فحيث انتهيت من دائرة البلد إلى نقطتها، ومن قلادة السوق
إلى واسطتها، خرقت سمعي صوت له من كل عرق معنى، فانتحيت وفده، حتى
وقفت عنده؛ فإذا رجل على فرسه، محتنق بنفسه، قد ولاني قداله وهو يقول: من
عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي، أنا باكورة اليمن، أنا أحدى
الزمن، أنا أذعية الرجال، وأحجية ربات الحجال^(٣)، سلوا عنى الجبال وحزونها،
والبهار وعيونها، والخليل ومتونها، من الذي ملك أسوارها، وعرف أسرارها،
ونهب سمها، وولج حرمتها؟ وسلوا الملوك وخزائنها، والأغلاق ومعادنها،
والعلوم وبواطنها، والخطوب ومعاليقها، والحروب ومضابقتها، من الذي أخذ
مخزنها، ولم يؤد ثمنها؟ ومن الذي ملك مفاتيحها، وعرف مصالحتها؟ أنا والله فعلت
ذلك، وسفرت بين الملوك الصييد، وكشفت أستار الخطوب السود. أنا والله
شهدت حتى مصارع المشاق، ومرضت حتى لمرض الأحداق، وهصرت
الفصون الناعمات، وجنيت جنى الحدود المورقات، ونفرت عن الدينات نفور
طبع الكريم عن وجوه اللثام، ونبوت عن الحرمات نبو سمع الشريف عن
قبيح الكلام، والآن لما أمفر صبح الشيب، وعلمتني أهبه الكبير، عمدت

(١) حداني: بعثني، والأرب - بالتحريك - الحاجة (م)

(٢) الدروب: جمع درب، وأصله الطريق الموصل إلى بلاد الروم (م)

(٣) الأذعية والأحجية: الكلام الذي يخالف معناه لفظه (م)

لإصلاح أمر المعاد ، بإعداد الزاد ، فلم أرَ طريقاً أهدى إلى الرشاد مما أنا سالكه ،
يراني أحدكم راكب فرس وهوس^(١) ، فيقول : هذا أبو العجب ، لا ، ولكني
أبو العجائب ، عاينتها وعاينتها ، وأمُّ الكبائر قايستها وقايسيتها ، وأخو الأغلاق ،
صعباً أخذتها ، وهونا أضعها ، وغالياً اشتريتها ، ورخيصاً بعثها ؛ فقد والله صحبت
لها المواكب ، وزاخرت المناكب ، ورعيت الكواكب ، وأنضيت الركائب ،
ولا من عليكم ، فما حصلتها إلا لأمرى ، ولا أعددتها إلا لأنفسي ، لكني دُفِعْتُ
إلى مكاره نذرتُ معها ألا أدرخ عن المسلمين نفعها ، ولا بد لي أن أخلع رِبْقَةَ
هذه الأمانة من عنقي إلى أعناقكم ، وأعرض دوائى هذا فى أسواقكم ، فليشتره
منى من لا يتقزز من موقف العبيد ، ولا يأنف من كلمة التوحيد ، وليعصنه من
أنجبت جدوده ، وسقى بلماء الطاهر عوده .

قال عيسى بن هشام : فدرت إلى وجهه لأعلم علمه ، فإذا شيخنا أبو الفتح
الإسكندري ، وانتظرت إجمال النعمة بين يديه ، ثم تعرّضت فقلت : كم يُحِلُّ
دواءك هذا ؟ قال : يُحِلُّ الكيس ما مست الحاجة ؛ فانصرفت وتركته .

ومن إنشائه فى هذا الباب : حدثنا عيسى بن هشام قال : بينا أنا بمدينة المقامة القرديّة
السلام ، قافلاً من البيت الحرام^(٢) ، أميس ميس الرحلة^(٣) ، على شاطئ الدجلة ،
أتأمل تلك الطرائف ، وأتقصى تلك الزخارف ، إذ انتميت إلى حلقة رجال
مزدحمين ، يلوى الطرب أعناقهم ، ويشق الضحك أشداقهم ، فساقنى الحرص
إلى ما ساقهم ، حتى وقفت بسمّح صوت رجل دون مرأى وجهه ، لشدة
الهجمة ، وفرط الزحمة ، وإذا هو قرّاد برقص قدده ، ويضحك من عنده ،
فرقصت رقص المخرج ، وسرت سير الأرج ، فوق أعناق الناس ، يلفظنى
عائق هذا لسرة ذلك ، حتى افترشت لحيّة رجلين ، وقعدت بين اثنين ، وقد

(١) فى المقامات « راكب فرس ، نثر هوس » (م)

(٢) مدينة السلام : بغداد ، وقافلاً : راجعاً (م)

(٣) أميس : أتبختر ، والرحلة : ضرب من البقول يقال له « البقلة الحماة » (م)

أشرفني الخجل بريقه ، وأرهقني المكان لضيقه ، فلما فرغَ القراءة من شغله ،
وانتفض المجلس عن أهله ، قمت وقد كساني الريب حُلَّتة ، ووقفت لأرى صورته ،
فإذا أبو الفتح الإسكندري ، فقلت : ما هذه الدناءة ؟ ويحك ! فقال :

الذنبُ للأيام لا لي فاعتب على صرف الليالي
بالحمق أدركتُ المنى ورفقتُ في ثوبِ الجلال

ومن إنشائه في هذا الباب أيضاً : حدثنا عيسى بن هشام قال : كنت
بأصفهان أعزِمُ المسير إلى الرمي ، فخللها حلولُ النبي^(١) ، أتوقع الثقلَةَ كلَّ لَمحة ،
وأترقب الرحلة كلَّ صَبحة ؛ فلما حُمَّ ما توقَّعتُه ، وأزِف ما ترقَّبتُه ، نُودِي
للصلاة نداءً سمعته ، وتعين فرضُ الإجابة ؛ فانسَلتُ من بين الصحابة ، أغتم
الجماعة أدركها ، وأخشى فوات القافلة أتركها ، لكنني استعنتُ ببركة الصلاة ، على
وَعَناء القلاة ؛ فصرَّتُ إلى أول الصفوف ، ومثلتُ للوقوف ، وتقدَّم الإمام
للمِحْرَاب ، وقرأ فاتحة الكتاب ، [وثني بالأحزاب^(٢)] ، بقراءة حمزة ، مدَّة وهزَّة ،
وأتبع الفاتحة بالواقعة ، وأنا أتصلي بفار الصبر وأتصلب ، وأتقل على جمر الغيظ
وأتقلب ، وليس إلا السكوت والصبر ، أو الكلامُ والقبر ، لما عرفت من خشونة
القوم في ذلك المقام ، أن لو قطعتُ الصلاة دون السلام ، فوقفتُ بقدِّم الضرورة
على تلك الصورة ، إلى انتهاء السورة ، وقد قنطتُ من القافلة ، ويئسْتُ من
الراحلة ، ثم حتى قَوَّسَه للركوع ، بنوع من الخشوع ، وضرب من الخضوع ،
لم أعهدُه قبل ذلك ، ثم رفع رأسه ويده ، وقال : سَمِعَ اللهُ مِن حمدِه ، وقام ،
حتى ما شككتُ أنه نام ، ثم أكبَّ لوجهه ، فرفعتُ رأسي أنتهز فرُصة ،
فلم أر بين الصفوف فرُجة ، فمذتُ للسجود ، حتى كبر للقعود ، وقام للركعة
الثانية ، وقرأ الفاتحة والقارعة ، قراءة استوفى فيها عمراً الساعة ، واسترقَّ أرواح

المقامة
الإصفهانية

(١) الفى : الظل ، وأصله الفىء - بالهمز - فسهل الهمز (م)

(٢) هذه الكلمة ليست في المقامات ، والصواب تركها ؛ لأنه سيقول بعد ذلك

« وأتبع الفاتحة بالواقعة » (م)

الجماعة ، فلما فرغ من ركعتيه ، مال للتحية بأخذه عليه ، فقلت : قد قرب الفرج ،
وآن المخرج ، فقام رجل فقال : مَنْ كان منكم يحب الصحابة والجماعة ، فليعيرني
سمعه ساعة .

قال عيسى بن هشام : فلزمت أرضي ، صيانة لعرضي ، فقال : حقيق على
ألا أقول على الله إلا الحق ، قد جئتكم ببشارة من نبيكم ، لكني لا أوديتها
حتى يظهر الله هذا المسجد من نذل جحد نبوته ، وعادي أمته .

قال عيسى بن هشام : فربطني بالقيود ، وشدني بالحبال السود ، ثم قال :
رأيتُه صلى الله عليه وسلم [في المنام] كالشمس تحت الغمام ، والبدر ليلة التمام ،
يسير والنجم ينتبه ، ويسحب الذئيل والملائكة ترفعه ، ثم علمني دعاء ،
وأوصاني أن أعلم ذلك أمته ، وقد كتبتُه في هذه الأوراق بخلوق^(١) ومسك ،
وزعفران وسك ؛ فن استوهبه مني وهبته ، ومن أعطى ثمن القراطس أخذته .

قال عيسى بن هشام : فانتألت عليه الدرهم ، حتى حيرته ؛ ونظرت فإذا
شيخنا أبو الفتح الإسكندري ، فقلت : كيف اهتديت إلى هذه الخيلة ؟ ومتى
اندرحت في هذه القبيلة ؟ فأنشأ يقول :

الناسُ حُرٌّ فجوَّزَ وابرُّزَ عليهم وبرزُ
حتى إذا نلت منهم ما تشبهه فقرور^(٢)

[جارية ذات أدب وجمال تبتدأ أبناء الخلفاء]

وصفت لعبد الملك بن مروان جارية لرجل من الأنصار ذات أدب وجمال ،
فساومه في ابتياعها ، فامتنع وامتنعت ، وقالت : لا أحتاج للخلافة ولا أرغب في
الخليفة ، والذي أنا في ملكه أحبُّ إليَّ من الأرض ومن فيها . فبلغ ذلك
عبد الملك فأغراه بها ؛ فأضعف الثمن لصاحبها وأخذها قسراً ، فما أعجب بشيء

(١) الخلوق - بفتح الخاء - صرب من الطيب ، والسك - بضم السين - مثله (م)

(٢) فروز الرجل - بوزن دهرج - مات (م)

إعجابها بها ، فلما وصلت إليه ، وصارت في يديه ، أمرها بلزوم مجلسه ، والقيام على رأسه ؛ فبينما هي عنده ، ومعه ابنتاه الوليد وسليمان ، قد أخلاها للمذاكرة فأقبل

عليهما فقال : أي بيت قالته العرب أمدح ؟ فقال الوليد : قول جرير فيك :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأُنْدَى الْعَالَمِينَ نُطُونَ رَاحِ
وقال سليمان : بل قول الأخطل :

شُمْسُ الْعِدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَفَادَ لَهَا وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا

فقالت الجارية : بل أمدح بيت قالته العرب قول حسان بن ثابت :

يُفْشَوْنَ حَتَّى مَا تَهَرَّ كَلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ

فأطرق ، ثم قال : أي بيت قالته العرب أرق ؟ فقال الوليد : قول جرير :

إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُجَيِّمِ قَتَلَانَا

فقال سليمان : بل قول عمر بن أبي ربيعة :

حَبِذَا رَجَعَهَا يَدَيْهَا إِلَيْهَا مِنْ يَدَيِ دِرْعِهَا تَحُلُّ الْإِزَارَا

فقالت الجارية : بل بيت يقوله حسان :

أَوْ يَدْبُ الْحَوْلَى مِنْ وَلَدِ الذَّرِّ عَلَيْهَا لِأَنْدَبَتِهَا الْكَلُومُ^(١)

فأطرق ، ثم قال : أي بيت قالته العرب أشجع ؟ فقال الوليد : قول عنتره :

إِذْ يَتَّقُونَ بِيَ الْأَسْتَةِ لَمْ أَحْمِ عَنْهَا ، وَلَوْ أَنِّي تَضَاقِقُ مَقْدَى^(٢)

فقال سليمان : بل قوله :

وَأَنَا لِلْمَنِيَةِ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا قَالِمُوتٌ مَنِي سَابِقِ الْأَجَالِ

فقالت الجارية : بل بيت يقوله كعب بن مالك :

نَصَلُ السِّيَوفِ إِذَا قَصُرْنَ بِحِطُونَا قَدَمًا وَنَلْحَقُهَا إِذَا لَمْ تَلْحَقِ

فقال عبد الملك : أحسنت ، وما نرى شيئاً في الإحسان إليك أنبلغ من ردك

(١) أندبتها . جرحتها ، والكلوم : جمع كلم ، وهو الجرح (م)

(٢) لم أحم : لم أجبن ، ولم أنكل ، ولم أحجم (م)

إلى أهلك . فأجمل كسوتها ، وأحسن صلتها ، وردّها إلى أهلها .

ومثل قول كعب بن مالك قول نَهْشَل بن حَرَّيٍّ :
 إنا بني نَهْشَل لا ندعى لأبٍ عنه ، ولا هو بالأبناء يشرينا
 إن تبتدّر غايةً يوماً لمكرمةٍ تَلَقَّ السوابق منا والمُصَلِّينَا
 إنا لئِن معشر أفتى أوائلهم قولُ السكاةِ : ألا ابن الحامونا
 لو كان في الألف منا واحدٌ فدعوا من فارسٍ خالهم إياهُ يَمْنُونَا
 إذا الكُماةُ تأبوا أن ينالهمُ حدُّ السيفِ وصلناها بأيدينا^(١)
 إنما أردت هذا البيت .

وقوله : * لو كان في الألف منا واحد * أخذه من قول طرفة بن العبد :
 إذا القوم قالوا من فتى خلت أنى عُنيتُ فلم أكسل ولم أتبلد

[نَهْشَل بن حَرَّيٍّ]

وكان نهشل شاعراً ظريفاً ، وهو نَهْشَل بن حَرَّيٍّ بن ضَمْرَةَ بن جابر بن قَطَن بن نَهْشَل بن دارم ، وكان اسم جده ضمرة هذا : شِقَّة ، ورد على النعمان بن المنذر فقال : من أنت ؟ فقال : أنا شِقَّة ، وكان قضيئاً^(٢) نحيفاً دميماً ، فقال له النعمان : نَسَمِعُ بالمعيدي لا أن تراه ، والمُعَيدي : تصغير المعدي ، فذهبت مثلاً ، فقال : أبيت اللعن ! إن الرجال لا تُكَال بالقفزان ، وليست بمسوك^(٣) يَسْمَقُ بها من الغُدْران ، وإنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، إذا نطق نطق ببيان ، وإذا قاتل قاتل بجدان ، فقال : أنت ضَمْرَةَ ! ونَهْشَل هو القاتل :

ويومٍ كأنَّ المصْطَلين بِحَرِّهِ وإن لم يكن جحرٌ قيام على الجمر
 أمنا به حتى تجلّى ، وإعسا تُفَرِّج أيامُ الكريهة بالصَّبْرِ

(١) الذي أحفظه عن الحماسة « إذا السكاة تنحوا أن يصيبهم * حد الظباء » (م)

(٢) القضيئ : النحيف (م) (٣) مسوك : جمع مسك - بالفتح - وهو الجلد (م)

[أثر الشعر]

وكان عبدُ الملك يقول : يا بني أمية ، أحسابُكم أعراضُكم ، لا تعرضوها
على الجبال ، فإنَّ الذمَّ باقٍ ما بقى الدهر ؛ والله ما سررتني أني هُجيت بيت
الأعشى ، وأن لي طلاعَ الأرضِ ذهبًا ، وهو قوله في علقمة بن عُلانة :

يبيتون في المشتى ملاء بطونهم وجاراتهم غرني يبيتن خائضا

والله ما يُبالي من مُدح بهذين البيتين ألا يُمدح بغيرها ، وما قول زهير :

هنالك إن يستخبأوا المالَ يُخبلوا وإن يسألوا يعطوا وإن يسروا يُفعلوا^(١)

على مُكثريهم حقٌ من يفتريهم وعند المقلين الساحة والبذل

وقال ابن الأعرابي : أمدحُ بيتَ قاله الحدوثون قولُ أبي نواس :

أخذتُ بجبلٍ من حبالِ محمدٍ أمنتُ به من طارقِ الحدَّانِ

[تغطيت من دهري بظل جناحه فعيني ترى دهري وليس يراني

فلو تسأل الأيامُ عنى ما درتُ وأين مكاني ما عرفن مكاني

وهذا كقول أعرابي ، ذكر بعضُ الرواة أن مالك بن طوقٍ كان جالسًا في

بَهِوٍ مطلقٍ على ركبته ومعه جلساؤه، إذ أقبل أعرابي تخمبٌ به ناقته، فقال : إياي

أراد ، وبحوى قصد ، ولعل عنده أدبًا يُنتفع به . فأسر حاحيه بإدخاله ، فلما مثل بين

يديه قال : ما أقدمك يا أعرابي ؟ قال : الأمل في سيب الأمير والرحاء لنا لله^(٢) .

قال : فهل قدمت أمام رغبتك وسيلة ؟ قال : نعم ، أربعة أبيات قلتها بظهير البرية ؛

فلما رأيت ما يبأب الأمير من الأبهة والجلالة أستصغرتها ، قال : فهل لك أن

تنشدنا أبياتك ؟ ولك أربعة آلاف درهم ، فإن كانت أبياتك أحسن فقد ربحتنا

عليك ، والا قد نلت مرادك وربحت علينا ، قال : قد رضيت ، فأنشده :

(١) يستخبأوا المال : يطلب إليهم أن يعيروا إليهم ليشرب المستعير ألبانها

وينتفع بأوبارها ، ويسروا : يدخلوا في لعب الميسر (م)

(٢) السيب : العطاء ، ومثله النائل (م)

ومازلتُ أخشى الدهر حتى تعلقت يداي بمن لا يتقى الدهرَ صاحبه
فلما رأني الدهر تحت جناحه رأى مُرْتَقَى صعباً منيعاً مطالبه
وأنى بجيئ النجمُ في رأسِ باذخٍ تُظِلُّ الورى أكنافه وجوائبه
ففى كسماه الغيث والناسُ حوله إذا أجذبوا جادت عليهم سحائبه
قال : قد ظفرنا بك يا أعرابى ، والله ما قيمتها إلا عشرة آلاف درهم .
قال : فإن لى صاحباً شاركته فيها ما أراه يرضى بيى ، قال : أترأى حدثت نفسك
بالنكث ؟ قال : نعم ، وجدتُ النكث فى البيع أيسرَ من خيانة الشريك ،
فأسر له بها .

[أنصف بيت ، وأصدق بيت]

وأنصفُ بيتِ قالته العربُ قولُ حسان بن ثابت لأبى سفيان بن الحارث فى
جوابه عما هجا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروى محمد بن عمار عن أبيه
قال : أنشد النبيَّ حسانُ بن ثابت قوله :

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا ، فَأَجِبْتُ عَنْهُ وَعَبَدْتُ اللَّهَ فى ذاك الجزاء
فقال النبيّ عليه السلام : جزاؤك الجنة يا حسان .

فلما انتهى إلى قوله :

فإن أبى ووالده وعرضى لعرضِ محمدٍ منكم وقاه
قال النبيّ عليه السلام : وقاك الله حرَّ النار .
فلما قال :

أَهْجَوُهُ وَاسْتَ لَهُ بِكَفٍ فَشَرَكَا خَيْرَكَا الْغَدَاءِ

قال مَنْ حضر : هذا أنصفُ بيتِ قالته العرب :

وأصدقُ بيتِ قالته العرب وأمدحه قولُ كعب بن زهير فى رسول الله
صلى الله عليه وسلم :

تحمله الناقة الأدماء معتجرا بالبردِ كالبدرِ جلى ليسة الظلم

وفى عِطَافِيهِ أو أثناء برده ما يعلم الله من دين ومن كرم

وقال الأصمعي : والجهال يروون هذا البيت لأبي ذهبل ، واسمه وهب بن ربيعة ، في عبد الله بن عبد الرحمن الأزرق والى اليمامة ، والصواب ما ذكرناه ، وهو بصفات النبي صلى الله عليه وسلم أغلقت ، وبمده أيق .

ألفاظ لأهل العصر في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم

سليل أكرم نبتة ، وقريع أشرف بقعة . جاب بأتمه الظلمات إلى النور ، وأفاء عليهم بالظل بعد الحرور . وهو خيرة الله من خلقه ، وحبته في أرضه . الهادي إلى حقه ، والمُنْبَه على حكمه . والداعي إلى رُشدِهِ ، والآخذُ بفرضه . مبارك مولده ، سعيدة غرته ، قاطعة حجته ، سامية درجته ، ساطع صباحه ، متوقد مصباحه ، مظفرة حروبه ، ميسرة خطوبه ، قد أفرد بالزعامة رحده ، وختم بأن لا نبي بعده . يُفصَح بشعاره على المنابر ، وبالصلاة عليه في المحاضر ، وتعمر بذكره صدور المساجد ، وتستوى في الاقيادله حالة المقر والجاحد . آخر الأنبياء في الدنيا عمرا ، وأولهم يوم القيامة ذكرا ، وأرجحهم عند الله ميزانا ، وأوضحهم حجة وبرهانا . صدع بالرسالة ، وبلغ بالدلالة ، ونقل الناس عن طاعة الشيطان الرحيم . أرسله الله قرأ للإسلام منيرا ، وقدراً على أهل الضلال مبيرا . صلى الله عليه وسلم . خير من افتتحت بذكره الدعوات ، واستنجحت بالصلاة عليه الطلبات . خير مبعوث ، وأفضل وارث وموروث . وخير مولود ، دعا إلى خير معبود . صلى الله على كاشف العمّة عن الأمة . الناطق فيهم بالحكمة ، الصادع بالحق ، الداعي إلى الصدق ، الذي ملك هوادي الهدى ، ودل على ما هو خير وأبقى . صلى الله عليه بشير الرحمة والثواب ، ونذير السطوة والعقاب . صلى الله على أتم بريته خيراً وفضلاً ، وأطيبهم فرعا وأصلاً ، وأكرمهم عودا ونجارا ، وأعلام منصبا و فخارا ، وعلى أهل الذين عظمهم توقيرا ، وطهرهم تطهيرا هم مقاليد السعادة ومفاتيحها ، ومعارج البركة ومصاييحها . أعلام الإسلام وأمان الإيمان . الطيبون الأخيار ، الطاهرون الأبرار . الذين أذهب عنهم الأرجاس ، وجعل مودتهم واجبة على الناس . هم حبل الهدى وشجرة الإيمان ، أصلها نبوة ، وفرعها مروة ، وأغصانها تنزيل ، وورقاتها تأويل ، وخدمها ميكال وجبريل .

لبديع الزمان
الهمداني

ولبديع الزمان إلى بعض الأشراف في درج كلام تقدم :

إن جعلنا نعدُّ فخاركم ، ونحدُّ آثاركم ، نقد الحصى قبل نفودها ، وفنيت الخواطر ،
قبل أن تفنى للآثر ، ولم لا ، وإن ذُكر الشرف فأنتم بنو بجدته ، أو العلم فأنتم
عاقدهو إزرتة . أو الدين فأنتم ساكنو بلدته ، أو الجود فأنتم لابسو جلده ، أو التواضع
صبرتم لشده ، أو الرأي صلمتم بجدته ، وإن بيتاً تولى الله عز وجل بناءه ، ومهد
الرسول عليه السلام فناءه ، وأقام الوصي رضوان الله عليه عماده ، وخدم جبريل
عليه السلام أهله ، لحقيق أن يُصان عن مدح لسان قصير .

وذكر النبي صلى الله عليه وسلم أعرابيُّ فقال : بأبي وأمي رسول رب
العالمين ، ختمت به الدنيا ، وفتحت به الآخرة ، صلى الله عليه وسلم ، به يبدأ
الذكر الجميل ويحتم .

إلى هذا المكان أمسكت العنان . والإطناب في هذا الكتاب يعظم ويتسع ، خاتمة المؤلف
بل يتصل ولا ينقطع ؛ إذ كان غرضي فيه أن ألمح المعنى من معانيه ، ثم أنجز معه
حيث أنجز ، وأمر في كيف مر ، وأخذ في معنى آخر غير موصول بشكله ، ولا
مقرون بمثله ، وقد أخل نظاما ، وأفرد تواما ، نشرًا البساط الانبساط ، ورغبة في
استدعاه النشاط . وهذا التصنيف لا تدرك غايته ، ولا تبلغ نهايته ؛ إذ المعاني غير
محصورة بعدد ، ولا مقصورة إلى أمد . وقد أبرزت في الصدر ، صفحة المُدر ، يجول
فَرندها ، ويتقب زندها ، وذلك أني ما ادَّعيتُ فيما أتيتُ إلا ما [لا] يكون ما
تركته أفضل مما أدركته ، وأنى لم أسلك مذهباً مخترعاً لم أسبق إليه ، ولا قصدت
غرضاً مبتدعاً لم أغلب عليه ، ومن ركب مطية الاعتذار ، واجتنب خطية الإصرار
فقد خرج من تبعية التصغير ، وبرىء من عهدة العاذير .

وأما بعد فإن أحق من احتكيم إليه واقتصر عليه الاعتراف بفضل الإنصاف ،
وليعلم من ينصف أن الاختيار ليس يعلم ضرورة ، ولا يوقف له على صورة ، فيكثر
الإغماض ، ويقل الاعتراض ، ويعلم أن ما لا يقع بهواه ، قد يختاره سواء ، وكلُّ يفعل
اقتداره ، ويحسن اختياره ، فلو وقع الاجتماع على ما رضى ويسخط ، ويثبت ويسقط ،
لارتفع حجاج المختلفين ، في أمر الدنيا والدين .

وقال المتنبي :

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم إلا على شجَب والخلف في الشجَب

فقيل : تخلص نفس المرء سالمة وقيل : تشرك جسم المرء في العطب

الشجب : الموت ، وهي لفظة معروفة ، وإن كانت غير بالوفة عند أهل النقد .

وقد أنكرها البحترى على عبيد الله بن عبد الله بن طاهر في مجاذبته إياه حيث يقول :

وَلَوْ أَنَّ الْحَكِيمَ وَازَنَ فِي الْأَلْفَظِ واختار لم يقل شجبه

وكان أبو الطيب نظراً إلى ما رواه أبو ظبيان ، قال : اجتمع نفرٌ من أهل الكلام

على رجل من الملحدين ، فجعلوا لا يأتون بمسألة إلا سألهم الدليل عليها ، وناقضهم

فيها ، فأعيام كثيرة ما يقول ويقولون ، فقال بعضهم : أما بعد فإن الموت لا شك فيه

فقال الملحدي ما رأيتُ خاطباً وواعظاً وشاهداً لا يُردُّ أوجز منه ، ولما ترى معي

إلا وهو يدافع أو يناقض ويحارُّ به عن سواء الحجّة . وقيل : من طلب عيباً وجده . قال

أبو عمرو بن سعيد الطُّرْبُلِيُّ : ليس من بيتٍ إلا وفيه لطاعنٍ مطَّعنٍ ، إلا قول الحطيئة :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهبُ العُرفُ بين الله والناس

وقول طرفة بن العبد :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وقول علي بن زيد :

عن المرء لا نسلٌ وسلٌ عن قرينه فكل قرينٍ بالمقارنٍ مُقتدٍ

وللعلم بذلك قال قتبية بن مسلم لأبي عيَّاش المنتوف ، وقد دخل عليه وبين

يديه سلة زعفران : أنشدني بيتاً لا يصارف ولا يكذب وهي لك ، فأنشده ما ليس

لطاعن فيه مطعن :

فاحمَلتُ من ناقةٍ فوق كورها أبزاً وأوفى ذمّةً من محمدٍ

[صلى الله عليه وسلم ، ورحم وكرّم ، وشرف وعظم ، وعلى آله الطيبين ، وسلم تسليماً]

قد تم كتاب « زهر الآداب ، لأبي إسحاق الحصرى »

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على كريم الآباء والأمهات

فهرس الجزء الرابع من كتاب
« زهر الآداب ، وثمر الألباب » لأبي إسحاق الحصرى

الموضوع	ص	الموضوع	ص
قفر فى تهوين العلة	٩٢٩	فاتحة الجزء	٩٠٧
—	—	نماذج من الشعر الجيد	٩٠٨
جمل فى شكاة أهل الفضل	٩٣٠	لابن المعتز	٩٠٨
جمل فى تنمى الإقبال وذكر الإبلال	٩٣٠	لعلى بن الخليل أمام الرشيد	٩٠٩
قفر فى أدعية العيادة	٩٣٢	وصف دعوة لمحمد بن حازم	٩١١
—	—	من مستحسن الأجوبة	٩١١
من كلام الأطباء والفلاسفة	٩٣٣	من ترجمة معن بن زائدة وأخباره	٩١٢
قفر فى ذكر المرض والصحة	٩٣٣	الرأى والشجاعة	٩١٢
من الأجوبة المفحمة	٩٣٥	قضاء الله وعدله	٩١٣
—	—	بنو كليب	٩١٣
رثاء قذح انكسر	٩٣٨	من جيد كلام الأعراب	٩١٣
لكشاحم فى رثاء منديل	٩٣٨	جمل من ألوان المديح	٩١٦
—	—	ألفاظ لأهل العصر فى ضروب المباح	٩١٧
وله يصف سقوط الثلج	٩٣٩	أدعية فى صدور الكتب	٩٢٠
للصنوبرى	٩٣٩	لابن المعتز فى القاسم بن عبید الله	٩٢١
لأبى الفتح البسقى	٩٤٠	منزلة صناعة الكلام	٩٢١
—	—	بعض ما قيل فى النسب	٩٢٣
لأبى الفضل الميكالى	٩٤٠	لأبى كبير الهذلى	٩٢٣
لأهل العصر فى وصف الثلج والبرد	٩٤٠	عمران بن حطان والحجاج	٩٢٤
لهم فى وصف القيظ والحرق	٩٤١	من ترجمة عمران بن حطان	٩٢٥
العجلة أم الندامة	٩٤٢	بين أعرابى وبعض الولاة	٩٢٦
—	—	الدنيا وأهلها	—
تأميل ورد جاء	٩٤٢	أربع كلمات طيبات	—
من حسن التقسيم	٩٤٢	بين معاوية وعمرو بن سعيد	٩٢٧
بين قينة وأربعة من عشاقها	٩٤٥	—	—
بين ابن المعتز وقينة	٩٤٧	من تواضع الرشيد	—
بين ابن المعتز وبعض الوزراء	٩٤٨	اللمتنبى فى حمى أصابته بمصر	٩٢٨
—	—	ألفاظ لأهل العصر فى العيادة	—
جرير فى المدينة يفرى بشعر قيس	٩٥٠		
ابن الخطيم	—		
يعقوب بن داود	—		
بين أحمد بن أبى دواد والوائق	٩٥٢		
من خطباء العرب شبيب بن شبة	٩٥٣		

الموضوع	ص	الموضوع	ص
من رسائل البديع	٩٨٩	ومنهم خالد بن صفوان	٩٥٤
عفو عن ذى جريرة	٩٩١	سحبان وائل	—
لأهل العصر في التهنية بالإطلاق	٩٩٢	عجلان بن سحبان	٩٥٥
لأبي نواس في مدح الأئمة	—	دغفل بن حفظة النسابة	—
بين الأخطل ومعاوية	٩٩٤	عزة الخليل بن أحمد	٩٥٦
بين السفاح وأبي نجيعة	٩٩٥	من رسائل الصابي	٩٥٧
من شعر الحنساء	٩٩٦	من رسائل بديع الزمان	٩٥٩
مما يستحسن من رثاء الحنساء	٩٩٧	المقامة الأذرية لبديع	٩٦١
ليلي الأخيلية صاحبة توبة بن الحخير	٩٩٨	مختار من الشعر في أيام الشباب والمشيب	٩٦٣
موازنة بين الحنساء وليلي	٩٩٩	شذور لأهل العصر في وصف الشيب	٩٦٨
لابن الرومي	١٠٠٠	قفر لغير واحد في المشيب	٩٧٠
للحنساء	—	بعض ما قالوه في الحنساء	٩٧٢
عمرو بن الشريد وأبناء صخر ومعاوية	١٠٠١	الوليد بن يزيد بن عبد الملك	٩٧٤
من رثاء ليلي الأخيلية لتوبة	—	بين الحجاج وأهل العراق	٩٧٥
وفود ليلي على معاوية	١٠٠٢	جامع المحاربي	٩٧٦
وفودها على مروان بن الحكم	١٠٠٤	أيوب بن القرية	—
وفودها على الحجاج الثقفي	١٠٠٥	كثير بن أبي كثير والحجاج	٩٧٧
العباس بن مرداس السلمي	١٠٠٩	مختار مما قالوه في المدح	—
عود إلى رثاء شواعر العرب	١٠١٠	الشراب وخطره	٩٧٨
عبرات المحبين	١٠١٢	من اعتلال الطفيليين وحيلهم	٩٧٩
من أخبار العباس بن الأحنف	١٠١٤	وصف طائر	٩٨١
موازنة بين العتابي والعباس الأحنف	١٠١٥	أحظى النساء عند المهدي	—
العين والقلب	١٠١٩	وصف غلام	٩٨٢
من مأثور الحكم	—	بين خالد بن صفوان وعلي بن الجهم	٩٨٣
الهوى	١٠٢٠	كرة الحدثان	٩٨٤
من رسائل أبي الفضل الميكالي	١٠٢٣	مختار مما قالوه في الرثاء	—
من شعر الميكالي	١٠٢٥	من أخبار حارثة بن بدر التمداني	٩٨٥
الأزتياع لقضاء حوائج الناس	١٠٢٦	وصف امرأة	٩٨٧
بين عميلة الفزاري وأسيد بن	١٠٢٧	من كلام الأعراب	—
		المقامة الأزازية لبديع الزمان	٩٨٨

الموضوع	ص	الموضوع	ص
فضل العمامة	١٠٦٤	من غرر المدايح	١٠٢٨
من رسائل ابن العميد	—	صروف الدهر	—
أهرب من الوباء	١٠٦٦	من لا يوفي النعم يحققها	١٠٢٩
قتيل الهوى	—	عود إلى غرر المدايح	—
ابن عباس حبر قرين	١٠٦٧	فعلات الأجواد	١٠٣٠
مسلم بن الوليد صريع الغواني	—	من نواذر الرثاء	١٠٣٢
من شعر أبي نواس	١٠٦٩	رثاء قرد	—
وصف جيش لعتبي	—	رثاء ثور	—
شعب بوان	١٠٧٠	عود إلى المختار من الرثاء	١٠٣٥
عود إلى وصف الجيش	١٠٧١	من كلام الأعراب	١٠٣٩
وصف سفينة	١٠٧٢	المقامة البصرية لبديع الزمان	١٠٤٠
مما قيل في وصف الأساطيل	—	من رسائل بديع الزمان	١٠٤٢
من لطائف التودد	١٠٧٥	عود إلى غرر المديح	١٠٤٣
لأهل العصر في الإهداء في المهرجان	١٠٧٦	تكاليف المجد لابن المعتز	١٠٤٦
وفي التهنئة بالنيروز وفضل الربيع	—	احتمال الغضب	—
الصفات التي تلزم في رجل الشرطة	١٠٧٧	نبذة من لطائف ابن المعر	١٠٤٧
من كلام الأعراب	١٠٧٨	اكتبان الحب	١٠٤٩
مع الولاة والخلفاء	١٠٧٩	معالي الأخلاق	١٠٥٢
شذرات في مساويء الأخلاق	—	رياضة النفس على الفراق	—
من المفاخرات	١٠٨٠	من كلام أهل العصر في مكارم الأخلاق	١٠٥٤
من وصايا الحكماء	١٠٨١	من رسائل العتابي وأديه	١٠٥٦
من المديح	١٠٨٢	خصومة قرشية	١٠٥٩
الاستطراد ، وأمثلة منه	١٠٨٤	دعاء	١٠٦٠
سبق المتقدمين إلى الاستطراد	١٠٨٦	عزل وال	—
شاعر باهلي في حضرة الرشيد	١٠٨٨	حرمة السمكة	١٠٦١
كاتب الحجاج عند سليمان بن عبد المطلب	١٠٨٩	من حكم الفرس	—
من أدب إبراهيم بن العباس الموصلي	١٠٩٠	من حكم الهند	١٠٦١
رثاء مصلوب	١٠٩٢	أوصية عتبة بن أبي سفيان لبعض ولاته	١٠٦٣
		يزيد بن معاوية	—

الموضوع	ص	الموضوع	ص
١٢٧ في التهئة بذكر الخلع والأجبية	١٠٩٣	كلام لا يحتمل الجواب، تعجيل الإحسان	١٠٩٤
١٢٨ في التهئة بالقدوم من سفر	١٠٩٥	فضل الإيجاز	١٠٩٦
١٢٩ من أحسن الشعر	١٠٩٧	أبو مسلم الخراساني	١٠٩٨
— ما قيل من الشعر على قبر عمرو بن	١١٠٠	حساب، من كلام الأحنف بن قيس	١١٠١
حمة الدوسي	١١٠٢	بما كتبه ابن الزيات	١١٠٦
١١٣١ بلاغة الأعراب	١١٠٨	— لأهل العصر في التهئة بالحج	١١٠٩
١١٣٢ اذل السؤال ، المقامة الأهوازية	١١٠٠	١٠٩٨ من شعر قطري بن الفجاءة	١١٠١
(الكفوفية)	١١٠٢	١٠٩٩ من جيد المديح	١١٠٦
١١٣٤ من شعر كشاجم	١١٠٨	١١٠٠ بين سعيد بن عبد الملك وسعيد بن حميد	١١٠١
١١٣٥ الرجوع للرئيس بعد تجربة غيره	١١٠٢	١١٠١ منزلة سعيد بن حميد الأدبية	١١٠٦
١١٣٧ من اسمه على من الخلفاء	١١٠٦	١١٠٢ نماذج من السرقات الشعرية	١١٠٦
١١٣٨ في بيعة يزيد بن معاوية	١١٠٨	١١٠٦ الاقتباس من القرآن الكريم	١١٠٨
١١٣٩ في الإقدام حياة	١١٠٨	— أمثال للعرب والعجم وما يقابلها	١١٠٨
— من أخبار أبي دلف وشعره	١١٠٨	من القرآن الكريم	١١٠٨
١١٤١ من رسائل الميكالي	١١٠٨	١١٠٨ جملة من مكاتبات بعض أهل العصر	١١١١
١١٤٢ للخريجي يعاتب الوليد بن أبان	١١١٣	١١١١ المقامة القزوينية لبديع الزمان	١١١٣
١١٤٣ من ترجمة أبي يعقوب الخريجي	١١١٤	١١١٣ عاقبة السؤال بلفظ حسن	١١١٤
١١٤٥ فقر وفصول في معان شتى	١١١٥	١١١٤ أربعة أبيات ، أبو الأسود وامراته	١١١٥
١١٤٧ دعاء ، من رسائل البلغاء	١١١٦	١١١٥ عظات ووصايا	١١١٦
١١٤٩ رثاء يزيد بن يزيد الشيباني	١١١٧	١١١٦ وصف هشام بن عبد الملك بصفته	١١١٧
١١٥٠ من رسائل بديع الزمان	١١١٩	— حاتم الطائي يتحمل ديات، وصف ثقيل	١١١٧
١١٥٤ المقامة السجستانية لبديع	١١٢١	١١١٧ طيلسان ابن حرب	١١١٩
١١٥٧ اجارية ذات أدب وجمال تبدأ بناء الخلفاء	١١٢١	١١١٩ من رسائل ابن العميد	١١٢١
١١٥٩ نهشل بن حري، ومختار من شعره	١١٢٤	١١٢١ لأبي الطيب في ابني عضد الدولة	١١٢٤
١١٦٠ أثر الشعر	١١٢٥	— للاسكافي في استبطاء وتهئة	١١٢٤
١١٦١ أنصف بيت ، وأصدق بيت	١١٢٤	١١٢٤ لأهل العصر في ضروب للتهاني	١١٢٤
١١٦٢ ألفاظ لأهل العصر في ذكر النبي	١١٢٥	١١٢٤ في ذكر المولود العلوي	١١٢٥
صلى الله عليه وسلم	١١٢٥	١١٢٥ في التهئة بالإملاك والنفاس	١١٢٥
١١٦٣ خاتمة مؤلف الكتاب	١١٢٥	— في التهئة بالولاية والأعمال	١١٢٥

والحمد لله حق حمده ، وصلاته وسلامه على نبيه وعبيده